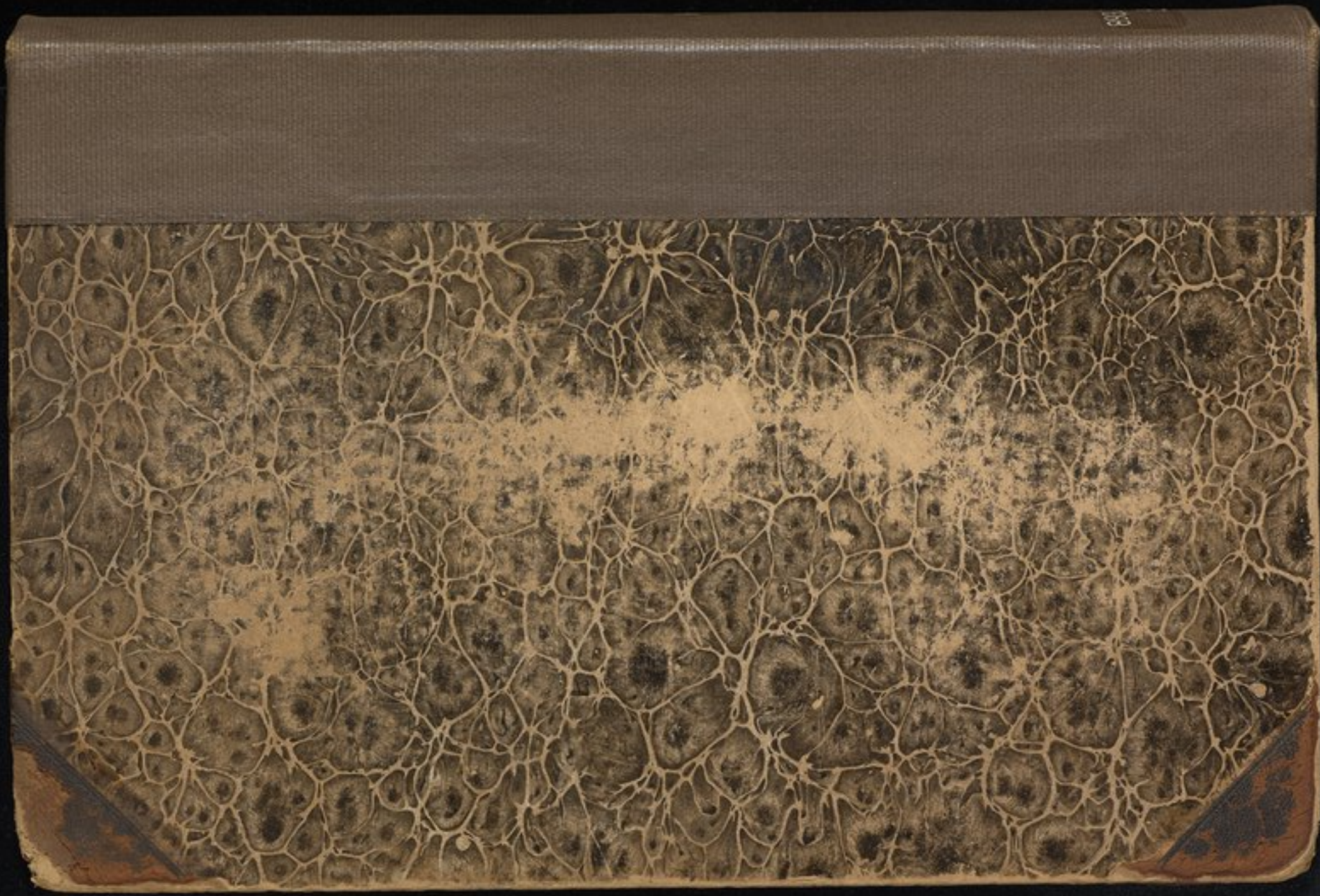

ʿAntarah ibn Shaddād

893.7Am82
S
v.1-8

AIGMUJOO
3ORLIOO
Y.M.YHAGHLI

الجزء الاوّل من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٦ هجريه)

COLUMBIA
COLLEGE
LIBRARY

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) الكريم المنان * المنعم بالمنة والجود والاحسان * الموصوف بالكمال والقدرة والسلطان المقدس عن الشبيه والمثل والزيادة والنقصان * المنزه عن الشريك والزوجة والاولاد والاخوان المنفرد بالوحدانية والعظمة والكبرياء والرضوان * والعز والبقاء والدوام وهو الله الواحد المنان * الكريم الحليم العظيم الذى لا يشغله شان عن شان * ما العرشه أركان * رفع السماء بقدرته * ومد الارض بحكمته * وصرف المقدورات بمشيئته * ودبر الاوقات والاحيان * سبحانه وتعالى وتسبح له الاملاك فى الافلاك هدى من شاء من عباده وأضل من طرده عن بابه من العباد * وقد ميز فى كتابه العزيز ما سبق فى علمه القديم من عباده الاشقياء ومن أراد لهم بالاسعاد * فقد قال الله فى كتابه العزيز وهو أعز من قال تنبيها للعباد * ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فما له من هاد * أذاق حلاوة طاعته لعباد الامجاد * وخص بفضله من أراد من العباد * واصطفاه من الخواص والزهاد * ونور قلوب أوليائه بنور معرفته فأقاموا على طريق الرشاد * وسقاهم بكأس محبته شراب الوداد (أحمده) حمد عبده معترف بشكر جزيل احسانه (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فى ملكه وسلطانه * العزيز فى حكمه انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * وأسبغ نعمه على المؤمنين بغير حساب * وأمهل الظالمين استدراجا وفتح لغيرهم الباب * سبحانه وتعالى الكريم الوهاب * المالك العظيم رب الارباب * ناصر كل مظلوم مخلص أواب (وأشهد) أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأهل بيته والتابعين وتابع التابعين وتابعيهم صلاة توجب الزلفى والوسيلة العظمى فى يوم العرض والحساب * ثم الرضا عن أبى بكر الصديق الذى وفقه الله للصواب * واختاره لنبيه صديقا وصديقا وجعله أفضل الاصحاب * ثم الرضا عن الامام الاشهر عمر بن الخطاب * الذى أظهر الاسلام بالسيف القرضاب * وعلا بالحسام على رأس المنافق الكذاب * ثم الرضا عن الامام عثمان ابن عفان * المقتول ظلما وعدوان * من شهدت بفضله ملائكة الرحمن * ثم الرضا عن ليث المواثب ومفرق الكتائب * شجاع بنى غالب * أمير المؤمنين على بن أبى طالب * خاتم الاصفياء * وابن عم سيد الانبياء * وبعل ست النساء * فاطمة الزهراء * ووالد الحسن والحسين * وقاتل المشركين * يوم بدر وحنين * ثم الرضا عن بقية الآل والاصحاب * ما خفق رعد وأمطر سحاب * وغفر الله لى ولكم ولوالدينا وللسادات الحاضرين وأدخلنى وإياكم فى رحمته انه غفور رحيم تواب (أما بعد) فاسمع أيها السامع اما كان من

احاديث

أحاديث العربان وماجرى بين يعرب وقحطان وفزارة وذبيان وعبس وغطفان وأولاد معد بن عدنان
وما كان لهم فى سالف الازمان وما كان بين أولاد نزار * وكانوا أربعة وهم مضر وربيعة وايادوأنمار * وكان
مضر أكبرهم فقال لهم مضر لما أن كثرت أموالهم ورجالهم وزادت أنعامهم يا اخوتى أنا أكبركم والموصى
لى بالملك من بعد والدكم فاسمعوا منى ما أقوله لكم فارحل أنت يا ربيعة واسكن أرض العراق وأنت
يا أخى يا اياد ارحل بمالك وأنعامك واطلب أرض اليمن وأنت يا أنمار ارحل بمالك وأنعامك واطلب
أرض الشام وكل منكم يرحل بماله وأنعامه وأهله ويتخذ كل منكم ما عينته له من المقام فقالوا كلهم سمعا
وطاعة وسار كل منهم لما عينه له أخوه وقعدوا مدة من الزمان فسميت عرب مضر الحمير به لانهم
اتخذوا من السلاح أجوده وكانت خيولهم حمرا وسميت عرب ربيعة الفرس لاجل حسن حالهم وملبوسهم
وعرب اياد قحطان وعرب الشام بنى غسان وعرب الحجاز بنى عدنان والعراق بنى شيبان واليمن قحطان
ونسبهم كلهم متصل الى نزار وبعد ذلك وقع بينهم الحرب والقتال على المياه والغدران والمناهل والاوطان
واستمر بينهم الحرب مع طول الايام وهذا ما ذكره علماء السير والحكماء والكهان الذين رووا أخبار
العربان الجاهلية قبل ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير البريه (وهذا) ما ذكر وما كان وما وقع
بينهم من الحروب والمكايدة وبين الملوك والفرسان * من أولاد معد بن عدنان وان من رواة هذه
السيرة العجيبه * المطربة الفائقة الغريبه * فصيح ذلك الزمان المتكلم على ما مضى من أحاديث
العربان الاولين فى ذلك الزمان العالم العلامة عبد الملك بن قريب الاصمعى رحمه الله تعالى الذى كان
من المعمرين الذى عاش عمرا طويلا جاهلية واسلاما الى أن أدرك الخلفاء الاربعة والاموية وغيرهم
ومما ذكروا أنه ما سمى بالاصمعى الا لانه ليس له شحمتا آذان غير أن رأسه كانت صومعة وآذانه خرقين فى
الصدغين لاغير وكان فصيح ذلك الزمان وعالما فى دين الاسلام وهو من جملة من روى الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا * ومن جملة
من روى هذه السيرة العجيبة أيضا أبو عبيدة ووجيهة بن المثنى اليمنى والبلخى وحماد وسيار بن قحطبة الفزارى
والكاهن الغسانى الثقفى وابن خداش النبهانى وكل منهم روى ما شهد وما سمع عمن يوثق به ممن حضر
وقائع العربان وضبط كم فنى منهم فى الحرب والطعان وكم هلك من ملوك بنى حمير وملوك بنى الاصفر
وما جرى بين كسرى وقيصر والجندلى بن كركر فكانت أربع وقائع عظاما لم يكن مثلها فى مدى
الايام والازمان * فأولها وقعة نزار فى اليمن دامت الحروب بينهم مائتى سنة حتى قتل فيها ألوف مؤلفة
وثانى وقعة كانت وقعة حرب البسوس وكانت بين بنى بكر وبنى وائل وبنى حرب ودام الحرب بينهم
أربعين سنة * وثالث وقعة كانت وقعة داحس والغبراء وكانت بين بنى عبس وغطفان وفزارة وذبيان
واتصل الحرب بينهم الى جميع العربان والملوك الذين كانوا فى ذلك الزمان ولبث الحرب بينهم ستين سنة
ورابع وقعة كانت بين الاوس والخزرج ولبث الحرب بينهم أربعين سنة الى قرب ظهور رسول الله صلى
الله عليه وسلم (ذكر) الاصمعى رحمه الله تعالى أنه كان من أحسن هذه الوقايع العظام وأبينها نظاما
وأصدقها كلاما وأعظمها احتراما حديث بنى عبس الذئاب الطلس ولقد حدث المحدثون وأخبر المخبرون
الذين نقلوا كلام العربان الاولين بما رووا من حديث عربان الجاهلية الشجعان * وعبادتهم الاصنام
وانعكافهم على الازلام والاوثان * وقد أضلهم وأغواهم الشيطان حتى ابتلاهم الله تعالى بالمذلة والحرمان
لانه لم يكن قصدهم فى ذلك الزمان الا أنهم يتفاضلون على بعضهم البعض * وكان كل منهم يريد أن يكون
مامثله أحد على وجه الارض * و يقهر شجعانها بالطول والعرض * وكانوا لا يخافون الله ولا يراقبونه
ولا يخشونه ولا يحترمونه (ولما) أراد الله سبحانه وتعالى اهلاك أهل تجبرهم وتكبرهم أذلهم الله

JUN 14 1897 American University 42528/316
283071

تعالى وقهرهم بأقل الاشياء عليه وأحقرها لديه وكان ذلك غير عسير عليه وذلك بالعبد الموصوف بأنه حية بطن الوادالذكى الفؤاد الطيب الميلاد صاحب الوداد عنترة بن شداد الذى كان فى زمانه كأنه شرارة خرجت من زناد فقمع الله به الجبابرة فى زمن الجاهلية * حتى مهدالارض قبل ظهور سيدنا محمد خير البرية * وكان منشؤه فى عشيرته بنى عبس الذئاب الطلس الذين كانوا اذا بنى الغبار على رؤسهم سقفا * ينسفون الرجال نسفا * وكان كل مائة منهم فى الحرب تقاوم ألفا * وكان لهم ملك صاحب قدر وقيمه وكان اسمه زهير بن جذيمة بن رواحة بن بغيض بن عبس بن غيلان بن قيس بن خزاعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكان له فرسان تركب لركوبه وتنزل لنزوله منتظرين له السمع والطاعة * ولكنا لانذكرهم حتى نذكر حديث سيدنا ابراهيم عليه أفضل الصلاة والتسليم وبعد ذلك نذكر الاصل والفرع ونصلى نحن وأنتم على صاحب السنة والشرع وماجرى له مع النمرود بن كنعان لعنه الله وغضب عليه وكيف أراد أن يلقى خليل الرحمن فى النار وكيف جعلها الله عليه بردا وسلاما وكيف أهلك الله النمرود باضعف الاشياء عليه ونذكر حديث سيدنا اسمعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأتم الرضوان من الملك المنان ونذكر من يتفرع من أصل العرب الشجعان وما تفرع غيرهامن قبائل العرب وبعد ذلك نذكر كل قبيلة وعربها وفرسانها وشجعانها وماتم لهم فى زمن الجاهلية من القيل والقال وما قالوه من الاشعار الفصيحة البيان التى لم يقدر عليها غيرهم فى سالف الازمان ونشرحه على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان وعلى الله تعالى التكلان وأسأل الله تعالى لى ولكم ولوالدينا ووالديكم الرحمة والغفران * بجاه سيدنا محمد سيد ولد عدنان (ذكر) وهب بن منبه حديث أولاد كوش وميلاد النمرود بن كنعان لعنه الله وميلاد سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وحديث أولاد معد ابن عدنان وما تفرع بعدهما من العربان (ذكر الرواة الحفظة) عن وهب بن منبه وعن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنهما أنه لما أهلك الله سبحانه وتعالى قوم سيدنا نوح صلوات الله وسلامه عليه بالطوفان وقوم عاد بالريح العقيم وقوم ثمود بالصيحة الذين هم قوم سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام وأهل البئر المعطلة والقصر المشيد وأصحاب الرس بالمسخ وأهلكهم الله جميعا بقدرته أنشأ الله سبحانه وتعالى قوما آخرين من أولاد سام وحام ويافث أولاد سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام (قال) وكان الملك فى أولاد سام والتجبر والقسوة فى أولاد حام والفتوة والنبوة فى أولاد يافث قال وكانت بلاد الحجاز وبلاد اليمن سكنا لسام وبلاد المغرب وأعلاها من الحبشة والسودان والنوبة سكنا لحام وظهر من أولاد حام رجل يقال له كوش ابن قرط بن حام وكان لكوش أخ يقال له زاغور وكان جبارا لا يطيقه أحد وكان كوش أشد قوة وتجبرا وجلدا وكان أسمر اللون أزرق العينين عظيم الخلقة والقد والهيكل وله أظفار كأنها مخالب السباع فخرج بعساكره يطوف الارض شرقا وغربا يقاتل من ينازعه فما زال يسبى ويخرب ويقتل وينهب كل من لاقاه الى أن وصل أرض كوثربا وكان فيها وادمما يلى بلاد العراق نزهة للناظرين فرآها أرضا واسعة ورأى مياهها نابعة وهى ذات أشجار وأنهار ووحوش وأطيار قد كسيت بالازهار صنع الله الواحد القهار فاستطابها وأراد أن يسكن فيها ويتخذ ذلك الوادى له مسكنا فنزل فى تلك الارض واستدعى بالمنجمين وأرباب التقاويم والحساب وقال لهم انى أريد منكم أن تنظروا لى فى علومكم بالبرهان * فانى قد استطبت هذا المكان * وهو من جملة ما طفته من البلدان وقد عزمت على أن أتخذه سكنا ووطنا فانظروا هل يصلح لى أم لا فقالوا أيها الملك انا وجدنا فى علومنا والديران * انه لابد وأن يكون فى هذا المكان * ملك عظيم القدر والشان * يملك الارض شرقا وغربا وان له بين الملوك عزا وقربا (قال وهب بن منبه) فتبسم كوش وقال هو أنا ذلك الملك العالى الاركان ثم انه أمر أن يشرعوا فى البنيان فى ذلك المكان فبنوا له فى

ذلك

ذلك الوادى القصور الرفيعة والمجالس المزخرفة المصنوعة وجعلوا فيها شيأ كثيرا من التصاوير العجيبه والامور الغريبه ومناظر مشرفة على كل مكان * فيها من كل صنف ألوان * وكل بيت فرشه على مثال لونه فسبحان الواحد المنان * وأسس بها البساتين وغرس فيها الاشجار المتنوعة من جميع الثمار وشق الجداول وأجرى فيها الانهار (قال) فعمرت تلك الارض حتى لم يبق حولها شئ خرب ولم يزل مستوطنا بها حتى أتى له ولد وسماه كنعان وكان له ولد آخر أكبر منه يقال له حام وهو خليفة أبيه والموصى له بالملك من بعده وكان كنعان قوى البطش وكان مولعا بالصيد والقنص والدوران فى السهل والجبل * فبينما هو فى يوم من الايام ببرية كوثر بافى صيد السباع فانه كان اذا صاح على السباع تشققت مرائرها من هول صرخته فبينما هو كذلك اذ نظر الى امرأة وقد امها بقرات وهى لها ترعى وكان بعد وفاة أبيه استقر أخوه على سرير مملكته فلما رأى تلك المرأة الراعية أعجبته فراودها عن نفسها فامتنعته عن نفسها فأعاد عليها كنعان القول وألح عليها فى السؤال فقالت له امض عنى ياهذا فان لى زوجا قد تركته فى همة الاقبال الى هذا المكان وانى أخاف عليك منه أن يرانا على الحالة التى أنت تذكرها فيقتلك ويقضى عليك فقال لها وهل على وجه الارض من يقاومنى أو ينازعنى وأنا من أولاد كوش بن حام بن نوح وقد ملكنا الارض جميعا سهلا وجبلا والبناقد انتهى أمرها (قال) فضحكت الراعية من كلامه ولم تخش منه ولا ارتعب فؤادها منه وقالت له ياهذا لا تذكر الملوك وأنت رجل صياد فبينما كنعان هو واياها على ذلك الحال وقد زاد عليها فى التهديد والوعد والوعيد واذا بزوجها قد أقبل وأبصرهما على تلك الحالة فغضب زوج الراعية غضبا شديدا فتقدم الى كنعان وكان معه سكين وكر عليه فتلقاه كنعان وتقابضا وتعاركا وتماسكا وتجاذبا فعثرت رجل كنعان فى حجر هناك فوقع على الارض على ظهره فركب زوج الراعية على صدره وأراد أن ينحره بالسكين التى معه فلم يزل كنعان يلاطفه فى الكلام و يتخضع له فى السؤال و يتذلل اليه حتى قام عن صدره فثار كنعان عن الارض وهجم على الرجل ودخل فيه واحتمله على يديه ورفعه الى أن بان سواد ابطيه وجلد به الارض حتى رض عظامه فى بعضها البعض وأدخل طوله فى العرض فقضى عليه ثم أقبل الى الراعية وكان اسمها سلحاء وقال لها كيف رأيت قوتى ثم مد يده اليها وأراد أن يقتنصها فقالت له كيف تفعل هذه الفعال وأنت تدعى أنك من أولاد الملوك الكبار وأنا امرأة فقيرة صعلوكة راعية فلم يعبأ بقولها وواقعها فى تلك البرية و بعد ذلك أخذها معه وأتى بها منزله فكانت عنده من أحظى نسائه وأعزهن عليه (قال وهب) وبعد ذلك سار كنعان فى طلب صيده وبغيته فغلغل فى البر والمجر ونصب شبائك الصيد فما لبث غير قليل واذا بعسكر مكسور مقهور وكان السبب فى كسر ذلك العسكر وقهره أنه كان هناك ملك من أولاد يافث بن نوح عليه السلام يسمى جوهرا بينه وبين ملك من الملوك حروب فقهر ذلك الملك جوهرا وكسر عساكره فهجمت العساكر على وجوههم فى البر الاقفر الى أن وصلوا المكان الذى كان يصطاد فيه كنعان فنفر الصيد بعد ما كان قريب الوقوع فى الاشراك فصعب ذلك على كنعان ونار من مكانه كأنه من بعض العمار و جرد الحسام و وقف فى وجوه تلك العساكر و زعق زعقة فرجعت الخيل على أعقابها ورمت عن ظهور ركابها فنظر جوهر بن يافث عساكره وهى راجعة اليه والعدو من الجانب الآخر قادم عليه فسأل عن الخبر فقالوا له أيها الملك ان قدامنا رجلا كأنه طود أو أسد حل من قيد وهو حاطم علينا فتقدم جوهر بن يافث الى قدام فرأى كنعان وهو كأنه من بعض العمار فقال ما حالك أيها الانسان وما سبب قتالك لنا ومن أى الناس أنت وما الذى أوجب وقوفك فى هذا المكان فقال له أما أنا فكنعان بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وأما وقوفى فى هذا المكان فانى ناصب أشراك الصيد حتى أصيد السباع والوحوش وعساكرك قد هيجت الوحوش على فهذا سبب قتالى لهم فقال له ياهذا ان

كنت من أولاد كوش بن حام فأنا جوهر بن يافث بن نوح عليه السلام وأنت تكون ابن عمى فعاونى على عدوى وأنا أزوجك ابنتى وأقاسمك نعمتى فعاد معه الى عدوه وتقاتلوا معه فقهروا ذلك العدو وملكوا ملكه فطلب كنعان من جوهر أن يزوجه ابنته فأبى ذلك جوهر وقال أنا لا أزوج ابنتى لرجل صياد فلما مكر جوهر بكنعان رجع كنعان الى كوتر ياودخل على أخيه الهاص وقال له ياأخى أنت تعلم انى أنا أكبر منك وقد سلمت الملك اليك ولم أنازعك فيه وهذا جوهر بن يافث وعدنى بزواج ابنته وبعد ذلك مكر بى وقال أنا لا أزوج ابنتى لرجل صياد فقال له أخوه الهاص وما الذى تريد أن تفعل فقال كنعان أريد أن تعطينى عساكر من عندك حتى أسير بها اليه وأقتله واقهر عساكره وآخذ ابنته منه قهرا فقال له الهاص ياأخى ان جوهر امن أولاد يافث وهو ابن عمنا وهو من الملوك ولا يمكننى أن أعينك على قتله وأيضا انه صدق فى قوله انك ما عليك سيمة أولاد الملوك وان أولاد يافث مبرؤن منك فغضب كنعان على أخيه الهاص ووثب عليه ومسكه بيديه وأخذ بحقويه وجلد به الارض فرض عظامه بعضها فى بعض وخلط طوله فى العرض فقضى عليه وجلس مكانه من وقته وساعته واحتوى على ملكه وماله ونواله الممدود وأطاعه العساكر والجنود وهابوه من عظم تجبره وتكبره ثم انه لما دانت له البلاد وأطاعه سائر العساكر والاجناد جمع العساكر والجنود وطلب منهم الخروج الى قتال جوهر بن سويد فأجابوه الى ذلك وكان جوهر قد علم بذلك من عيون كانت له عليه فتجهز فى عساكره وأقباله وسار كل منهما الى الآخر فالتقيا وتقاتلا قتالا شديدا فسطا كنعان على جوهر فقتله وكسر عساكره واحتوى على ملكه وأخذ ابنته وتزوج بها قهرا ورجع الى كوتر ياببلده وأقام فيها (قال وهب بن منبه) وقد كان لجوهر ولد يسمى بلخ وكان قد انهزم بعد قتل أبيه فلما رجع كنعان الى كوتر يا رجع بلخ الى موضع أبيه وجند الجنود والعساكر وسار الى قتال كنعان فسمع به كنعان فخرج اليه من كوتر ياوتقاتلا قتالا شديدا فسطا بلخ على كنعان وكسره وكسر عساكره فأراد كنعان أن يعود الى قتال بلخ مرة أخرى فكتب كتابا الى عوج بن عنق يستنجد به على بلخ فسار عوج الى كنعان وجند كنعان الجنود وسار الى قتال بلخ فتقاتلا قتالا شديدا فكان الرابح فى القتال كنعان لاسيما ومعه مثل ذلك الجبار الذى هو عوج بن عنق فسطا على بلخ فقتله وكسر عساكره وسبى الجارية التى كانت هذه الحروب من أجلها وأعطاها الى عوج بن عنق واحتوى كنعان على ملكه وأمواله وما تحت يده وما حوته مملكته ودانت له تلك البلاد وأطاعه من فيها من العباد وما بقى له فيها منازع فعند ما تم له ذلك رأى فى ليلة من بعض الليالى منامات هائلة فانتبه منه مرعوبا فاستدعى من وقته وساعته بالمنجمين والمعبرين فلما أحضروا بين يديه قال اعلموا ياقوم انى رأيت فى المنام كأنى صارعت رجلا فصرعنى ودق عظمى وعنقى وقال لى انى ميثوم على أهلى وان مسكنى الظلمة وانى خارج من خلفك من الظلمة الى ضوء الدنيا قال فعند ذلك قال له المنجمون أجل لنا يومنا ولليلتنا هذه وسكنوا روعه وفزعه ثم انهم رجعوا اليه بعد انقضاء الاجل المعين وقالوا له نخبرك أيها الملك أنه يأتى لك مولود يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك وهو الآن فى بطن أمه ثم انهم انصرفوا عنه الى حال سبيلهم * وقد ذكرنا ان سلهاء الراعية كانت عنده من أحظى محاظيه وكانت حملت منه فى تلك الايام وذلك لامر قدره الله تعالى وقضاه بارادته وقدرته ولا يكون الا ما يريد وقد قدر أن يظهر من ذلك الجبار العنيد والشيطان المريد النمرود لعنه الله وأخزاه وجعل النار منقلبه ومثواه ولما ان بان على سلهاء الراعية الحمل فى تلك الايام كانت تسمع فى بطنها قعقعة عظيمة وجلبة جسيمة فسمعها كنعان فى بعض الاوقات والاحيان فقال لها ياسلهاء هذا الذى فى بطنك ليس بآدمى وأراد كنعان أن يدوس على بطنها ليقتل ذلك الولد ويجعل بغيته الى الابد واذا بها تف بهتف به وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول ارجع عما عزمت عليه فان لك سبيل

عليه

عليه ولا وصول اليه فرجع كنعان عن ذلك * ولما ان انقضت أيام حملها وضعت سلخاء الراعية ولدا ذكرا أعبس أقطس مقطب الوجه فتبينته فاذا قد خرج من حجرها حية رقيقة وقد دخلت فى أنف ذلك المولود ففزعت سلخاء من ذلك فزعا شديدا (قال الاصمعى) ولما ان دخل عليها كنعان أخبرته بذلك الشان فقال لها ويلك دعينى أقتله لانى أظنه ولدا ميشوم الناصية فقالت له يا مولاى لا يطيب على قلبى قتله لانه ولدى على كل حال فقال لها أنا أشير عليك بما هو أسهل من القتل فقالت له وما هو فقال لها هو انك تقومين وتحملينه الى بعض المواضع فى البرية وتطرحينه هنالك حتى يموت فطاوعته على ذلك واحتملته من وقتها وساعتها على يد جارية وخرجتا به خفية الى خارج البلد (قال الراوى) فبينما هما فى البرية واذا هم براعى غنم وقيل براعى بقر فقالت له سلخاء هل لك أن تأخذ هذا المولود وتقبله منى وتربيه حتى يكون لك عبدا على طول المدى فأخذه الراعى منها ووضعه بين المواشى حتى يفرغ من رعيه ويأخذه معه الى داره فلما وضعه بين البهائم تنافرت عنه ومضت كل واحدة منها الى ناحية فصعب على الراعى جمعها وصار كلما جمعها تفرقت ولم يزل على مثل ذلك الى آخر النهار * قال وأما سلخاء فانها لم يأخذها هدوء ولا قرار على فراق ولدها فعادت اليه لتنظر ما جرى عليه فوجدت الراعى على تلك الحالة وقد نفر قلبه من ذلك المولود وهو يقول مالى بمولود قد سخط عليه أبواه فمالى به حاجة فأخبرته سلخاء بما جرى لها وما كانت تسمع منه وهو فى بطنها فقال لها اذا كانت البقرات تنافرت عنه وأمه وأبوه فزعا منه فهو ولد ميشوم على كل من يلوذ به فقالت له سلخاء اذا كان الامر كذلك فاقتله حتى نستريح من غائلته فأبى الراعى من ذلك وقال هذا شئ لا أفعله ولا أتعلق بدمه ولا أتحمله ثم قال لها احملى ولدك واطرحيه فى بعض المواضع فاحتملته وأتت به الى جانب نهر وطرحته هنالك وقالت فى نفسها لعل أحدا ممن يأتى يريد الماء يأخذه وكان ذلك النهر بعيدا عن المسالك فوضعته ومضت عنه وهو لا يبكى ولا يتحرك ولا يتذعر * قال فجاءت غمرة تريد الماء لتشرب فوقفت عليه فألهمها الله تعالى ارضاعه فأرضعته ثم انصرفت عنه وصار لها ذلك عادة الى أن كان يوم من بعض الايام أتت امرأة تريد الماء فنظرت الغمرة وهى ترضع ذلك المولود فتعجبت منها ومضت الى القرية التى هى منها وأخبرت الناس بما رأت من المولود والغمرة فخرج الناس من القرية وأتوا الى ذلك المكان الذى قالت لهم تلك المرأة عليه فوجدوا الامر كما قالت فأخذوه واحتملوه وأتوا به الى القرية فأخذه أحدهم وسماه غرودا باسم تلك الغمرة التى أرضعته ومازال ينمو ويكبر فى تلك القرية الى أن صار له من العمر سنتان فصار يعربد مع الصبيان الكبار ويضربهم بالاحجار حتى بلغ من العمر سبع سنين فزاد شره على أقرانه فشكوا منه الى أبيه الذى ربّاه فلم يقدر ان يمنعه عن الاذى فوصل الى حاكم القرية خبره فأحضر أباه الذى ربّاه وقال له كف شر ولدك عن الناس أو أخرجه عنا من القرية فلم يقدر على ذلك فلما رأى الحاكم العجز عنه أخرجه الى ظاهر القرية فجعل يقطع الطريق ويسرق أموال الناس ويغير على السفار وكل من اجتمع عليه يعطيه ويهبه حتى اجتمع عليه كل قليل دين وسارق ومنافق وصار عنده خلق كثير فوصل خبره الى كنعان فأرسل اليه قائدا بعد قائد وعسكرا بعد عسكر وهو يكسرهم ويأخذ سلبهم وخيلهم فتسامعت به أهل الشقاوة فأتوا اليه من كل جانب حتى صار فى عالم لا يحصى فسار بهم الى مدينة كوتر باوقاتل كنعان ولم يعلم أنه أبوه فقتله واحتوى على ملكه وخزائنه وقصوره وجواريه وسراريه ومن جملتهم سلخاء الراعية فاختصها لنفسه وجعلها محظيته ثم بعد ذلك زاد فى الشر والفساد حتى ملك كثيرا من البلاد وأذل العباد وجعل كوتر باملحل عزه وفيها تخت مملكته وصار يغزو البلاد والملوك واحدا بعد واحد وكل من ظفر به قتله وملك ملكه واحتوى على خزائنه وأرضه حتى ملك الارض والبلاد واجتمعت عليه العساكر والاجناد ثم انه سار فى سبعين ألف مقاتل فقصد ملك الغرب وكان اسمه أشنوش بخمع أشنوش عساكر الغرب

وتقاتلوا قتالا شديدا فظفر به النمرود وكسر عساكره وقتله واحتوى على أرضه وبلاده ومملكته ثم سار الى ملك الشرق وكان اسمه عيزار وكان فى عالم عظيم فتقاتل هو واياه فظفر به فقتله واحتوى على أرضه وبلاده ومحل عزه وخزائنه وأمواله * ثم ان النمرود سار بعد ذلك الى أرض اليمن وكان اسم ملكها أزينوش فتقاتل هو واياه فقهره وقتله واحتوى على ملكه وبلاده ومحل عزه وخزائنه وأمواله ولم يزل على ذلك الحال حتى قتل عدة ملوك وكان آخرهم ملك الهند وكان اسمه مهرفسار اليه النمرود وتقاتل هو واياه فقتله واحتوى على بلاده وخزائنه وأمواله ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى ملك مشرق الارض ومغربها من البلاد وأطاعه العساكر والاجناد ولما طغى وبغى استدعى بكبراء دولته وأرباب مملكته وقال لهم انى أريد أن أبنى قصرا ما سبقنى أحد من قبلى الى مثله فأشاروا عليه أن يكلف آزر بن ناخور بذلك لانه كان عارفا بالنجارة والهندسة والبناء والتصاوير وغير ذلك من الدهانات وكان عارفا بجميع الصنائع لا يخفى عليه شئ منها للطافته وحذاقته ومعرفته وكان على جانب عظيم من المعرفة فاستدعى به النمرود عليه لعنة الله تعالى ولما دخل آزر عليه سجد له فقال له انى أريد منك أن تبنى لى بيتا ما بنى مثله لاحد من قبلى وتزوقه تزويقا عجيبا وتجعل فيه من التصاوير كل أمر عجيب ولا تبق صورة الاصورتها به وتجعل فيه عدة مجالس وكل مجلس تصور فيه صورتى حتى ان كل من دخل يسجد لى وهذه خزائنى بين يديك فخذ منها ما شئت وما تريد واعزم على ما أقول لك عليه (قال وهب بن منبه) فخرج آزر من عند النمرود وجمع الصناع بين يديه وكان عارفا حاذقا ماهرا ثم انه شرع فى البناء واجتهد فيه حتى أكمل قصرا طوله وعرضه ألف ذراع وجعل حيطانه من قوارير الجوهر وأرضه من خالص المرمر وزوق سقفه بالذهب والفضة وجعل فيه مجالس كل مجلس لا يشبه الآخر وجعل عوض الخشب الصندل والعرعر وكل مجلس فيه نوع لا يشبه الآخر والابواب من العاج والآبنوس والمسامير من الذهب والفضة والمجالس متقابلة بعضها الى بعض ورصع الابواب بالدر والجوهر والحيطان قد نقشت من السقف الى الارض والمجالس يدخل من بعضها الى بعض وجعل حصى ذلك القصر من المعدن وتراب من المسك الاذفر وأجرى الى ذلك القصر الانهار وغرس من حوله الاشجار وجعل فيه أربعة أنهر نهر ماء ونهر لبن ونهر عسل ونهر خمر وجعل فيه أشجارا ملونة من سائر الاصناف والاثمار وفى حسنها تحير الابصار وكلها من الذهب والفضة والمعدن من سائر الالوان المتنوعة وجعل عليها طيورا مكونة مجوفة اذا هب الريح عليها دخل الى الاجراس التى وضعت فى أجوافها ويخرج من أدبارها فتتحرك الاجراس فيتخيل للناظر أنها تنطق بسائر اللغات المختلفات * وجعل أسرة من داخل المجالس من اللجين والعسجد مصفحة بصحائف الذهب الاحمر * وصار النمرود يجلس عليها كلما احب أن يتمرد وجعل صورته الملعونة فى كل مجلس من تلك المجالس (قال) ولما فرغ آزر من صناعته التى صنعها فى ذلك القصر أعلم النمرود بذلك فأتى الى القصر فأعجبه ما صنع آزر وتأمل الى صناعة عجيبة من البناء والدهانات والتصاوير * فأمر لآزر بخلعة فائقة وهذا يا ونعم وجعله وزيره الاكبر وقدمه على كل وزير وأمير * وبعد ذلك أخذ النمرود فى التكبر والبطر حتى انه ادعى الربوبية فخاب وخسر وتدمر وخزى وكان مع ذلك مولعا بعلم النجوم (قال وهب بن منبه) ان علم النجوم أعطاه الله لسيدنا ادريس عليه الصلاة والسلام وكان يعمل به ولم يزل كذلك حتى رفعه الله تعالى الى سمائه ويقال ان ذلك العلم ورثه من بعد سيدنا ادريس رجل يقال له هرمس وكان وصيا لادريس وخليفته من بعده الا أنه عاهده أن لا يعلمه لاحد ولا يطلع عليه الا من يكون يستحقه ويكون من المؤمنين فلم يزال المؤمنون يتعلمونه ويتوارثونه من بعضهم بعضا حتى ظهر النمرود لعنه الله (قال وهب بن منبه) فبينما النمرود جالس فى منظرة عالية

تشرف

تشرف على خارج المدينة اذ نظر الى جماعة من الاحبار العباد عليهم لباس الشعر والصوف وهم
ماردون فى البرية من غير طريق معروفة فاستدعى النمرود بعض خدامه وأعوانه وأمرهم باحضار
الاحبار بين يديه فهرع الاعوان اليهم وأحضروهم بين يديه فقال لهم النمرود من أنتم ومن أين
أقبلتم والى أين أنتم قاصدون فقالوا له نحن من بقايا قوم ادريس واننا لما رأينا هؤلاء الاقوام أقبلوا
على عبادة الاصنام واشتغلوا عن عبادة الله الواحد القهار اعتزلناهم وخرجنا الى البر والآكام نعبد
الله تعالى حتى يأتينا الحمام فقال لهم النمرود لعنه الله أنتم مخيرون بين أمرين اما انكم تدخلون فى ديني
وتعبدونني واما أنكم تعلموني علم النجوم وتعبدون ما تشاؤن فاستخاروا أن يعلموه علم النجوم عن الكفر
وقالوا له نحن نعلمك علم النجوم ودعنا نمضى الى حال سبيلنا فوافقهم على ذلك ولم يزالوا يعلمونه حتى تعلم منهم
بعض أشياء وبعد ذلك مضوا عنه يعبدون الله تعالى حتى أتاهم اليقين (قال كعب الاحبار) ان النمرود لما
تكبر تصور له ابليس اللعين فى يوم من الايام فى صورة رجل شيخ كبير وقال أيها الملك أنت اشتغلت بعلم
النجوم عن غيره وعندى علم هو أحسن منه فقال له النمرود ما هو يا شيخ علمنى اياه حتى أفعله فقال له ابليس
هو علم السحر والكهانة * وان الملوك الذين مضوا من قبلك كان لهم أصنام يعبدونها هم وقومهم وأنت
أشدهم بأسا وأقواهم مراسا فيجب عليك أن تجعل لك صنما تعبده وتدعو الناس الى عبادته فقال النمرود
يا شيخ نعم ما ذكرته ثم انه طلب وزيره آزر بين يديه وقال له اتخذ لى صنما على صورتى واصنع لقومى أصناما
على صورتى ثم ان آزر عمل له صنما من ذهب لا من فضة وزينه بأنواع الحلى والحلل والجواهر واليواقيت
ورصعه بالياقوت والبلخش الاخضر وبعد ذلك اتخذ للناس أصناما على قدر أحوالهم حتى جعلوا سبعين
صنما وسوروها بأسوار من الذهب الاحمر وغشوها بالحلى والحلل والديباج المدثر وشقق الحرير المسربل
ثم ان الناس انهمكوا على عبادتها وكان آزر قد جعل للنمرود صنما طوله سبعة أذرع وعرضه ذراعان وكان
من خالص الذهب الاحمر وسوره بأسوار من الذهب ورصعه بالمعدن وجعل عينيه من الياقوت وأذنيه من
الزبرجد وأسنانه من اللؤلؤ وشفتيه من العقيق الاحمر وعلى رأسه تاج من الذهب الاحمر مرصع بالدر
والجوهر وسريره من العاج والآبنوس مزملك بقضبان الذهب وجعل عليه شبكة مشغولة من الذهب
وسماه زيلون ولما فرغوا من تلك الاصنام أمرهم النمرود أن يقربوا لها قربانا ففعلوا ذلك حتى صار لهم
عادة بذلك وانهمكوا على عبادتها حتى كأنهم لم يعرفوا لهم رباسواها * ولما طال عليهم الامر طغوا وبغوا
وتكبروا وعتوا عتوا كبيرا وأكثروا الفساد فى الارض فضجت الارض الى الله سبحانه وتعالى الملك
الجبار وكذلك الوحوش والطيور والدواب فقالوا الهنا وخالقنا ورازقنا ان هؤلاء يأكلون رزقك
ويعبدون غيرك اللهم دمرهم تدميرا انك على كل شئ قدير (قال كعب الاحبار) فأوحى الله سبحانه
وتعالى اليهم أن اسكتوا فانا خلق خلقى والرزق رزقى وانى قاض فيهم بقضائى وقدرى وأنا الحليم على من
عصانى وان رحمتى سبقت عذابى فاستقروا لما سمعوا النداء من العلى الاعلى (الآية التى رآها النمرود
قبل ولادة سيدنا ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى وسلامه عليه) وذلك أنه صعد على سريره فانتفض
السرير من تحته انتفاضا شديدا وسمع هاتفا يقول خاب وخسر وتعس من كفر بآلهة ابراهيم وكان آزر
واقفا على رأسه فقال النمرود سمعت يا آزر أنت ما سمعت أنا فقال له نعم فقال له ومن يكون ابراهيم قال
آزر لا أعلم به وان هذا الاسم لا أعرفه ولا سمعت به الا فى هذه الساعة * فارسل النمرود خلف السحرة
والمنجمين فلما حضروا بين يديه أخبرهم بما سمع من الهاتف بذكر ابراهيم فقالوا له ما سمعنا بهذا الاسم
قط ولا يقدر أحد بعد غيرك لانك أنت دانت لك البلاد وأطاعك العباد من الشرق الى الغرب من
قريب وبعيد ثم انصرفوا من عنده خائبين (قال وهب بن منبه ثانى آية رآها النمرود) بينما هو جالس

على سريره بعد مدة وهو ينظر الى حسن قصره وما فيه من البناية العجيبة والتصاوير الغريبة اذ سمع النمرود هاتفا يقول وهو لا يراه يا نمرود يا كافر يا جحود لا يغرنك قصرك وما زخرفت فيه من التصاوير فانه قد آن أوان من يأتي ويخربه على رأسك يا لئيم غير كريم فمن أين لك مهرب من آله ابراهيم (قال) فلما سمع النمرود ذلك اغتم غما شديدا وفزع فزعا ما عليه من مزيد فاستدعى من ساعته بالمنجمين والكهنة والسحرة وأخبرهم بما سمع وقال لهم هل تجدون في علومكم شيئا يدل على هذا الاسم فقالوا جميعا ما سمعنا ولا رأينا ولا عرفنا نجما يدل على هذا الاسم فتحير النمرود في أمره وارتبك في سره من هذا الذي يخرب قصره ولما زاده الخوف اتخذ من سائر السلاح وعلقه في قصره ومن سائر الوحوش من الافيلة والاسود والنمور والفهود مما له ناب ومن الطيور ما له مخلاب الى أن جمع شيأ كثيرا وجعل الجميع حول قصره وكل ذلك فزعا مما سمع من ذكر ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ﴿الآية الثالثة التي رآها النمرود﴾ وهي أنه خرج ذات يوم من الايام الى الصيد والقنص فكان كلما مر على شئ من الوحوش الكواسر والطيور الجوارح وغير ذلك نطق باذن الله تعالى وقال بلسان طلق لا يغرنك يا نمرود ما جمعت من الوحوش والطيور والسلاح فان هذا كله لا يغنيك شيأ اذا أتاك أمر الله فان هذا الامر لا يرده حرب ولا كفاح ولا كثرة وحوش ولا جنود فاذا أتاك يحول بينك وبين ملكك ولا تنفعك عساكرك ولا أجنادك وكانوا يعنون بذلك سيدنا ابراهيم بن آزر بن ناخور بن تارخ بن ارغوى بن قالغ بن غابر بن قينان بن أرفخشد ابن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل ان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه كان لفظ نارخ فلما صار عند النمرود يصنع الاصنام سماه آزر (ومما) ذكر أهل التواريخ والعلم أن مولد سيدنا ابراهيم كان في زمن النمرود بن كنعان وكان بينه وبين الطوفان ألف سنة ومائة وثلاثون سنة وذلك قبل سيدنا ابراهيم وكان النمرود بن كنعان بن كوش بن سحار بن حام بن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ﴿ولنرجع الى ما كنا فيه من الكلام﴾ ونصلي ونسلم على بدر التمام فانصرف النمرود من العيد الى داره وهو مهموم مغموم وهو يقول ما هذا الا أمر عظيم ثم انه أرسل الى آزر فحضر بين يديه وسجد له فأخبره النمرود بما سمع وبما كان ثم مضى معه الى بيت الاصنام وهو في قلق وهيام وتقدم الى صنمه زيلون وسجد بين يديه وهو خائف محزون ثم ان النمرود سأل صنمه عن ابراهيم ما يكون فنطقت جميع الاصنام باذن الملك العلام وقالوا عن صوت واحد ويلك يا نمرود يا كافر يا جحود كيف تكفر بالله ابراهيم وان ابراهيم لم يخلق غير أنه قد قرب ظهوره وظهرت معجزاته وبراهينه وانه اذا ظهر في دار الدنيا سلب نعمتك ونزع من يدك مملكتك ولا يكون لك ملجأ ولا ينفعك عسكرك ولا جنودك ولا أبطالك أن لم تؤمن بربه وتصدق برسالته (قال وهب) فبقي النمرود حائرا في أمره مرتبكا في سره وقد زاد فزعا ورعبا فقال له آزر لا يهولنك كلام الاصنام فربما تكون ساخطة عليك فقرب لها قربانا فان لك أياما وأنت مشغول عنها قال فأمر النمرود أن يقربوا للاصنام قربانا فقربوا لها سبعمائة بقرة غير الغنم والمعز فشيأ أخذته الفقراء والصعاليك وشيأ أخذته الشياطين وشيأ أخذته الطيور والوحوش والسباع والضباع والكلاب ﴿الآية الرابعة التي رآها النمرود﴾ بينما هو جالس في صحن داره واذا بطائرين أبيضين سقطا من الهواء بين يدي النمرود فأقبل أحدهما اليه وقال له بلسان فصيح طلق يا نمرود هلكت وزال ملكك أنا طائر الشرق وهذا طائر الغرب قد جئنا نبشرك من عند خالق الخلق وخالق السموات والارض ونخبرك بأن ابراهيم يظهر عن قريب وتهلك على يديه ان لم تؤمن بربه وتصدق برسالته فاذا جاءك الملك فلا تكذبه فيكون سبب هلاكك وزوال ملكك ثم طارا من بين يديه وقد طار عقله وذهب لبه وغشي عليه فلما أفاق من غشيته استحضر آزر عنده فلما حضر أخبره بما سمع من الطائرين فقال له آزر

أيها الملك أظن ان هذا الذي يأتيك من الجان ويدخل عليك ويوسوس لك بالهذيان لانهم يحسدونك على
ما نلت من الملك والسلطان وقوة الهيبة والشان لان ملوك الارض جميعا قد دانت لك والعالم معتمدهم
عليك وما في الارض جميعا قد صار تحت يديك ولا يتجاسر أحد أن يقف أمامك ولا يرد عليك كلامك
وهذا لا يشق عليك ثم انصرف عنه ﴿الآية الخامسة﴾ قال كعب الاحبار فبينما النمرود ذات ليلة من
الليالي غارق في المنام ولذيذ الاحلام اذ أتى اليه ملك وتصور له في صورة براها وبصرها وقال له يا نمرود
يا كافر يا جحود الى كم ترى هذه الآيات والدلالات في اليقظة والمنام وأنت لا تؤمن بربك أبشر بالدمار
وخراب الديار ثم ذهب عنه وقد ارتبك في أمره وتخبل في سره وبعد أيام قلائل رأى منا ما هائلا فانتبه
وهو مرعوب وأحضر الكهنة والمنجمين وقال لهم اني رأيت رؤيا هائلة في منامي ولذيذ أحلامي فأوضحوها
لي ولا تكتموا عني شيأ منها وان كتمتموا عني شيأ منها قتلتكم ورميت لحومكم الى الوحوش والسباع فقالوا
له أعلمنا اياها ونحن لا نكتم منها شيأ فقال لهم اني رأيت نورا من السماء ساطعا يأخذ بالابصار وهو أضوأ
من القمر وهو نازل من السماء الى الارض وقد رأيت أقواما ينزلون فيه ويصعدون من الارض الى
السماء واذا برجل أحسنهم وجها وأجلهم قدرا وهو واقف في ذلك النور وهم يقولون له نصرك الله
وأهلك عدوك وهذا ما رأيت فاخبروني بما عندكم وما في علومكم فقالوا نحن نريد منك ان تمهلنا أياما حتى
ننظر تأويل ذلك المنام فقال لهم أمهلتكم ثلاثة أيام فخرجوا من عنده فوجدوا آزر واقفا على الباب على
كرسي وجماعة من الوزراء والحجاب بين يديه قياما وقعودا على قدر مراتبهم فتقدم الكهنة بين يديه وقالوا
له أيها الوزير والصدر الكبير ان الملك رأى رؤيا هائلة وأراد منا تأويلها وحلف وشدد في الايمان اننا
نخبره بالصدق ولا نخفي عليه شيأ منها فيهلكنا وانا نخبرك عن تأويل هذه الرؤيا انها تدل على مولود يظهر
من أقرب الناس اليه ولما يبلغ من العمر مدة يحضر بين يديه وينازعه في ملكه وينصر عليه ويرث الارض
كلها ويرتفع قدره ويعلو ذكره في الارض والسماء والمشارق والمغارب ولم يكن يقاومه أحد أبدا غيرانا
لا نقدر أن نحدث الملك بهذا الكلام ولا يمكننا أن نقول الا الصدق في تفسير المنام من كثرة ما شدد علينا
في الاقسام فقام آزر ودخل على النمرود لعنه الله وكان القوم في صحبته وسجد بين يديه فأمره بالجلوس
فجلس في مرتبته وكان بالقرب منه ثم انه تشفع عنده للقوم أنه لا يوقع بهم مكروها اذا عرفوه تأويل المنام
فأمنهم على أنفسهم فلما أمنهم أخبروه بتفسير الرؤيا من غير كذب ولا ريب وقالوا له أيها الملك يكون
معلوما عندك أن هذا الرجل الذي يأتي اليك لا يأتي معه عسكر ولا جنود ولا أعوان ولا يكون معه سلاح
فتبسم النمرود لعنه الله عليه وقال اذا كان على هذه الصفة فما يهمنا أمره ولا نبالي به ثم التفت الى آزر
وقال له هات ما عندك من الرأي والمشورة والتدبير فقال آزر أيها الملك اسأل المنجمين هل يعرفون
ممن يأتي ذلك الغلام الذي يأتي من غير عسكر ولا جنود فسألهم النمرود عن ذلك فقالوا انه يأتي من أقرب
الناس اليك وأحظاهم لديك وليس لنا علم غير ذلك والسلام فقال النمرود ليس أقرب الناس الى غير
ولدي كوش ووزيري آزر (قال وهب بن منبه) ثم أمر باحضار ولده كوش بين يديه فتجارت الغلمان
اليه فأتى معهم والحاضرون يظنون انه يخرقه أو يهوّل عليه فلما رآه النمرود أمر بضرب عنقه فضربت
رقبته في الحال وقال هذا أمر كفيناه ثم ان الملعون أمر بأن يكشفوا عن النساء الحوامل فمن ولدت ذكرا
قتله ومن ولدت بنتا أحسن اليها وتركها ولم يزل كذلك يذبح الاطفال سبع سنين حتى ذبح مائة ألف
طفل أو يزيدون ثم بعد ذلك أحضر المنجمين وقال لهم انظروا في علومكم هل استرحت من هذا المولود أم لا
فقالوا أيها الملك ان هذا المولود لم تكن أمه حملت به الى الآن وهو في ظهر أبيه فأمر النمرود لعنه الله أن
النساء تعتزل عن الرجال وجعل الى كل اثنين رقيبا فاذا حاضت المرأة جمع بينها وبين بعلها واذا طهرت

عزلها عن بعلها فطالت عليهم المدة فصارت النساء تحبل رغما عنه (قال وهب) فعاد الى ذبح الاطفال حتى ضجت منه سائر المخلوقات من النساء والرجال وغيرهم فعند ذلك أوحى الله سبحانه وتعالى الى الارض بالبشارة فارتجت الارض ارتجاجا شديدا قال فدخل آزر الى بيت الاصنام وسجد لها فرآها ترتج ولا تسكن من الارتجاج وسمعها وهي تقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد أتى النمرود ما كان يحذره ويخشاه فخرج آزر خائفا متحيرا فى أمره مرتبكا فى سره حتى دخل على زوجته وأخبرها بذلك الامر المهول فقالت وأنا أيضا أخبرك بشئ أعجب من هذا فقال لها وما هو ذلك الشئ فقالت انى كنت أنست من الحيض من مدة كذا وكذا سنة ففى يومى هذا أتانى الحيض فتعجب آزر من ذلك فقال لها اكتمى أمرك ثم مضى عنها فبعد أيام طهرت من الحيض فسمع هاتفا يقول يا آزر ان الله قد رد على زوجتك شبابها بعد الهرم فقم اليها واقعها حتى يخرج من صلبك ذلك النور الساطع اللامع فلما سمع آزر ذلك الكلام والمقال لحقه الخبال فولى وهو هارب على وجهه فى البرارى الخوال واذا به يسمع قول القائل وهو لا يرى المتكلم يا آزر الى أين أنت ذاهب عن بلدك ووطنك ارجع الى خلفك ورد الامانة التى فى ظهرك الى أهلها قال فعاد آزر الى منزله ولم يقدر أن يقرب زوجته خيفة من النمرود أن يعلم بذلك فربما يفعل به كما فعل بولده كوش أو يسلب نعمته فأقام على ذلك مدة أيام وهو يراود نفسه أن يقرب زوجته فعرضت للنمرود حاجة فى خارج المدينة فلم يجد أحدا يحرس المدينة الا آزر لانه كان نصوحا فاستدعى به الى بين يديه فلما حضر بين يديه قال له النمرود يا آزر انى أريد منك أن لا تقرب زوجتك فقال له يا ملك أنت تعلم أن زوجتى عجوز عقيم وأنا أحرص منك على ذلك الامر ثم ان النمرود انصرف الى قضاء حاجته بعسكره وقومه ورجع آزر الى منزله واذا بهاتف يقول آن أوان ظهور النور الكريم فنظر آزر الى زوجته فرآها قد عاد اليها حسنها وجمالها وشبابها أحسن ما كانت أولا قال وزوجة آزر تقول له انظر كيف رد على حسنى وذلك النور الذى هو ظاهر من وجهى فتعجب آزر من ذلك النور وكان آزر هو الذى يتولى خدمة الاصنام ويضع عندها الطعام والشراب فتأتى الشياطين ويأكلون الطعام وهو يظن أن الاصنام تأكل الطعام فلما كان ليلة من الليالى قرب للاصنام الطعام على عادته وانصرف الى منزله فلما أتت الشياطين تأكله على جارى عادتها واذا بالملائكة صاحت عليهم فهربوا ولم يأكلوا شأ من الطعام وبقى على حاله فلما كان عند الصباح أتى آزر فوجد الطعام على حالته فاغتم لذلك غما شديدا وظن أن الاصنام ساخطة عليه فسجد لها وتذلل بين يديها وأقام عندها بعيدا فاستبطأته زوجته وكانت المسافة بينهم قريبة فجاءت اليه تنظر ما جرى عليه فقال فلما رآها وقعت فى قلبه بموقع عظيم فهم بها ليواقعها فقالت له أما تستحى أن تكون قدام آلهتك وتفعل بين يديها هذه الفعال فلم يعبأ بكلامها وواقعها وكل ذلك بأمر الله تعالى ومشيئته حتى يظهر ذلك النور الذى هو نور سيدنا ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) فلما واقع آزر زوجته حملت بسيدنا ابراهيم وأصبحت الاصنام كلها منكسة على رؤسها فى الارض وعيناها غائرة وفرحت الطيور والوحوش التى من حول القصر وفرح كل شئ خلقه الله تعالى من الوحش والطير والنبات وجميع المخلوقات وطلع نجم سيدنا ابراهيم وله طرفان طرف بالمشرق وطرف الى ناحية المغرب وكان نورا عظيما ساطعا أضوأ من الشمس والقمر والناس يتعجبون من ذلك كل العجب وكان النمرود لعنه الله قد عاد من غيبته فرأى ذلك النور فتعجب من ذلك وارتبك فى أمره فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح استدعى بالكهنة والمنجمين فلما حضروا بين يديه خروا له ساجدين من دون الله تعالى رب العالمين ورفعوا رؤسهم أجمعين فقال لهم النمرود ما تقولون فى ذلك النجم الذى ظهر فقالوا أيها الملك ان هذا النجم الذى ظهر يدل على مولود يظهر يكون له قدر وشان يعلو مكانه ويكون له من رب

السماء

السماء عز ونصر و يخشى عليك منه وعلى ملكك و يتغلب عليك وربما غير ملتك ويكون له ملة أخرى
(قال وهب) فزاد بالنمرود أمره وارتبك في سره واذا بهاتف يقول وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه ياعدو
الله وعدو رسوله ان المولود الذي تخافه وتخشاه قد حملت به أمه وهو الذي يخرب دبارك ويعمو آثارك
والله تعالى جعل هلاكك على يديه صلى الله عليه وسلم هذا كله ولم يزدد الملعون الا كفرا وتجبرا وعتوا
وأخذ في قتل الاولاد والاطفال حتى قتل خلقا لا يحصى عددهم الا الله الواحد الاحد هذا وابراهيم في بطن
أمه وهي لا تخفيه من القوابل ولا من النساء حتى مضى عليه أربعة أشهر فرأت في منامها كأنه خرج من
تحت ذيلها نور ساطع وامتد الى عنان السماء وقد عم المشرق والمغرب وملأ الخافقين برا وبحرا وسهلا
وجبلا فانتبهت من منامها فوجدت آزر جالسا امامها فقصت عليه ما رأت في أحلامها وما شاهدته
في منامها فقال لها آزر ان صدقت رؤياك فانه يخرج من بطنك نبي عظيم يكون هاديا مهديا حتى يبلغ شأنه
من المشرق الى المغرب وربما يكون هو الذي يخاف منه على الملك ويكون به الامر مقضيا ولكن اكتمي
أنت أمرك واجعليه أمرا مخفيا فقالت له زوجته وكن أنت الآخر كذلك وامسك عليك وانظر الى
ما بين يديك ولا تظهر ذلك الكلام فيخشى عليك (قال وهب) هذا وابراهيم في بطن أمه وتمضي عليه
الايام والليالي والنمرود منهمك على قتل الاولاد لاجل ما سمع من الهواتف وما سمع من الكهنة والمنجمين
وقد زاد كفرا وتجبرا وطغيانا الى أن صار لسيدنا ابراهيم في بطن أمه تسعة أشهر فسألت بعلها أن يوصلها الى
الاصنام حتى انها تسأل لها تخفيف الولادة عليها فجاءت بها الى الاصنام ومضى بها في الليل خوفا عليها من
الناس لئلا يعلم أحد بحالها فلما دخلت الى الاصنام نكست رؤوسها الى الارض اكراما لسيدنا ابراهيم فلما
رأت الاصنام نكست رؤوسها خرجت مرعوبة واذا هي بالنمرود قد أتى وبين يديه المشاعل والخدام
فقال النمرود من تكون هذه المرأة في هذا الليل العاكر فقال له الخدام هذه زوجة عبدك آزر فأراد
أن يقول امسكوها فأمسك الله لسانه فقال سيبوها تمضي الى حالها وكل هذا الهام من الله سبحانه وتعالى
فهرولت الى منزلها وهي خائفة مرعوبة من النمرود لعنة الله عليه (قال وهب بن منبه) فجاءها المخلق
كما يشاء رب الخلق في الطريق واذا بملك أتى اليها وقال لها لا تخافي ولا تحزني وسيري مني من وقتك
وساعتك الى مكان تضعين فيه ما في بطنك فتبعته وهي فرحة مسرورة وهي تسمع صوته ولا ترى شخصه
حتى انه دخل بها الى الغار الذي ولد فيه الانبياء الاخيار وهم نوح وادريس عليهما السلام وذلك الغار يقال
له غار النور وهو في الكتاب مسطور فنظرت فاذا هناك فرش مفروشة وآنية مصفوفة وقناديل معلقة
وآلة وولادتها حاضرة وكل ذلك اجلالا وتعظيما لسيدنا ابراهيم فأخذتها الرجفة والرعدة لما صارت في ذلك
المكان واذا بقائل يقول لها على مهلك لا تخافي نحن رسل ربك نحفظك ونراعيك لاجل ما في بطنك * قال
وخفف الله عنها ما تجد غيرها من ألم الولادة ومن مرارة المخلق كما يشاء ملك الخلق وباسط الرزق فوضعت
سيدنا ابراهيم كما يشاء الملك العليم وكانت ليلة الجمعة ليلة ثمان مضت من شهر الله المحرم الحرام (قال
وهب بن منبه) ولما صار سيدنا ابراهيم على الارض ارتجت طولا وعرضا ثم استوى جالسا وقيل ساجدا
وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فبلغ صوته الى المشرق والمغرب والى السماء والارض وارتفعت
الاصوات من سائر الجهات ومن سائر المخلوقات وقطع جبرائيل سرته وأكمل مقلته وأذن في أذنه
وبارك فيه والى نهر الرضوان مضى به وغسله وكساه ثوبا أبيض نوره ساطع وهو أرق من الهواء وأتى به الى
بين يدي أمه ووضعه وهو أبهى من الشمس والقمر وكانت أصابعه الخمس تدر له قوتا يقتات به فكان
الابهام يدر له عسلا والسبابة لبنا والوسطى خمرا والخنصر زبدا طريا (قال وهب) فتعجبت أمه لذلك عجبا

شديدا عظيما ثم قال لها ذلك الملك قومي الآن الى منزلك فقامت وهي خفيفة نظيفة كأنها لم تحمل ولم تضع والملك بين يديها الى ان أوصلها الى منزلها وقال لها اكتمي أمرك وسرك وما رأيت من أمرك فدخلت الى منزلها وهي مشغولة القلب على ولدها ولما أصبح الله تعالى بالصباح دخل عليها آزر فرآها خفيفة نشطة فقال لها ما كان من حملك فاني أراك غير ما أعهده منك فقالت له يا آزر أنا أخبرك ان الذي كان في بطني ريح وزال عني وقد فرحت بذلك ففرح آزر وخرج من عندها وقد نسي ذلك الامر (قال وهب) كانت الملائكة تزور سيدنا ابراهيم عليه السلام * قال أهل الاخبار لا يولد نبي ولا صديق الا تتولى امره الملائكة وما صلى على أحد منهم الا على سيدنا ابراهيم وعلى نبينا محمد صلى الله عليهما وسلم وكان قولهم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد (قال) ولما كان في اليوم الثالث خرجت أم سيدنا ابراهيم عليه السلام من منزلها سرا تريد ولدها فلما وصلت الى الغار وجدت الوحوش والسباع على باب ذلك الغار فاغتمت لذلك غما شديدا وتوهمت أن ولدها من الهالكين ولم تعلم أنه في حفظ رب العالمين (قال) ولما رأتها الوحوش وسوسوا لها وجعلوا يمرغون وجوههم على التراب بين يديها فلما رأت ذلك أمنت على ولدها ودخلت عليه في ذلك الغار فرأت ولدها على فرش من السندس والاستبرق وهو مدهون مكحول مختون وهو في غاية ما يكون ولما أن نظرت اليه بقيت متحيرة في ذلك وعلمت ان له ربا يحفظه من المهالك وقد اصطفاه وسلكه في أحسن المسالك فرجعت الى منزلها وأقبلت على زوجها وأخبرته بأمرها وهي مرعوشة مرعوبة فقال لها يا هذه احذري أن تعودي الى ذلك المكان فانه هو المولود الذي أخبر عنه الكهان وسوف يكون له شان وأي شان فكانت أمه كل قليل تمضي اليه سرا وتنظر منه كل شئ عجيب وهي صابرة على ذلك حتى كمل له حولان كاملان وقد شملته العناية والوقار (قال وهب بن منبه) كان سيدنا ابراهيم عليه السلام ينزل عليه سيدنا جبرائيل بطعام وشراب من الجنة وقد صار يطعمه ويسقيه الى أن استحق الفطام وصار له من العمر حولان كاملان كما ذكرنا قال المؤلف فهذا ما كان من سيدنا ابراهيم وما تم له (وأما ما كان) من النمرود لعنه الله تعالى فانه ركب في يوم من بعض الايام يريد الصيد والقنص فمر على باب ذلك الغار فرأى الاعلام أي اعلام الملائكة عليه منصوبة وخيم الانوار عليه مضروبة ومن بابه تشرق الانوار وقد ذكرنا فيما تقدم من الكلام أن النمرود لم يكن له علم بولادة سيدنا ابراهيم عليه السلام فبقي النمرود اللعين حائرا في أمره مشتغلا مما رأى في سره ولا يدري ما يفعل في ذلك وقد ضاقت عليه الدنيا مما حل به وجعل يتفكر كيف الوصول الى ذلك المحل وقد خاف أن يؤل ذلك الامر الى طريق المهالك وزعم في نفسه أنه يدبر الحيلة على اهلاك هذا المولود واعدمه ولم يعلم أنه هو الذي سينزل به الدمار ويجعل عاقبته البوار وانه ولد عظيم لم يكن مثله في الخافقين وأنه محفوظ معصوم وسوف يكون له شأن عظيم فبينما هو كذلك واذا هو بهاتف من ورائه يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول له يا ملعون ان الله تبارك وتعالى لم يجعل لك عليه من سبيل لانه نبي الله ابراهيم الخليل فخر النمرود من ذلك مغشيا عليه فلما أفاق انصرف خائفا وجلا لا يبصر ما بين يديه (قال وهب بن منبه) انه لم ينج من مكايد الشيطان أحد الا أربعة من الرجال وأربعة من النساء فأما الاربعة الذين هم من الرجال الكرام فهم سيدنا ابراهيم عليه السلام وموسى وعيسى ونبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام * وأما الاربعة اللاتي من النساء الكريمات فهم آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة ابنة خويلد وفاطمة الزهراء عليهم أجل التحية وأتم الرضوان (قال وهب) ولنرجع الى ما كنا فيه من كلامنا الاول وهو ان النمرود لما رأى الغار في المنام وفيه المولود وهو سيدنا ابراهيم عليه السلام وقد أكرمته الملائكة ذلك الاكرام وقد خيل له ان ذلك في اليقظة

لا

لا فى المنام فلما انتبه بقى مرعوبا مهموما وقد حل به الذل والهوان وفى عاجل الوقت والحين جمع السحرة والكهنة والمنجمين فلما حضروا بين يديه خروا له ساجدين فاعلمهم بما رأى فى منامه وقص عليهم جميع أحلامه وقال لهم أتعرفون غارا صفته كذا وكذا وفيه مولود من علامته أن يكون منصورا على عدوه فلم يعرف ذلك منهم أحد ولا وصل علمه اليه أبدا فانصرفوا وهم خائفون خائبون ولم ينالوا هم والنمرود ما هم له طالبون (قال وهب رحمه الله تعالى) ثم ان النمرود لم يزل بعد ذلك مهموما مغموما فى سره ليله كله ونهاره وهو حيران فى أمره هذا وسيدنا ابراهيم عليه السلام من ربه فى غاية التعظيم والاكرام والملائكة يدخلون عليه فى كل ليلة جمعة ويكرمونه ويتباركون به ويقبلونه بين عينيه ولم يزالوا يخدمونه حتى كمل له من العمر أربع سنين وقد ظهرت له العلامات والبراهين فأتاه ملك بكسوة من الجنة وقد حفته من الله الرحمة والمنة وكانت تلك الثياب من السندس والاستبرق فصارت الانوار منها تعلو وتشرق وسقاه شراب التوحيد وهى أن لا يشرك بالملك المجيد وقال له الآن اخرج يا ابراهيم من الغار متوجا بالهيبة والسكينة والوقار مؤيدا منصورا محفوظا بعناية الملك الجبار (قال وهب بن منبه) فخرج سيدنا ابراهيم من الغار والبر من أنواره قد أشرق وأضاء وبيده قضيب من الذهب كأنه الحسام الماضى وقال له الملك يا ابراهيم دم على حالك وما يليك واقصد الى بيت أمك وأبيك ولا تخف فان ربك معك يحفظك ويرعاك * قال فخرج سيدنا ابراهيم يريد منزل أمه وأبيه والملك يدله على الطريق ويريه وكانت أمه تلك الليلة قد رأته فى المنام لانها كانت قد انقطعت عنه مدة أيام فاشتاقت الى رؤيته ونظره ولو كان يمكنها لمضت اليه فى ليلتها وأبصرت جميع خبره فقال لها آزر يا هذه ان الذى أصابك جنون أو بخارات الطعام فقومى ادخلى الى بيوت الاصنام وتعبدى هناك فلعل أن يسكن ما بك من الهواجس والآلام ثم انهما قاما جميعا فى جوف الليل ودخلا على أصنامهم فوجدوها منكسة على رؤوسها ففزعا ورجعا على الاثر (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) وفى ذلك الوقت أقبل سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وجبرائيل وميكائيل يحفظانه من خلفه ومن بين يديه حتى أوقفاه على باب أبيه فقال له جبرائيل يا ابراهيم ان هذا بيت أبيك بارك الله له فيك ثم انصرفا وعرجا الى السماء ولم يبق له من بعدهما الا الله تعالى فوقف ابراهيم على باب أبيه وصار ينظر الى تلك المعاهد ويتأمل ثم انه استأذن على أبويه فى الدخول فأذنا له فدخل فلما نظر آزر الى سيدنا ابراهيم ورأى ذلك الحسن والجمال وقع به التحير ولحقه الانذهال فوثب اليه وعانقه وقبله بين عينيه وتامت اليه أمه وصارت تقبل وجهه ويديه وقالت له يا ولدى وعزة النمرود لقد كنت مشتاقة اليك فقال لها سيدنا ابراهيم ويحك يا أمى لا تقولى وعزة النمرود فان العزة لله الملك المعبود الذى خلقنى وخلقك وفى بطنك صورنى ومنه أخرجنى وفى الغار ربانى وحمانى وأطعمنى وسقانى وأرشدنى وهدانى (قال وهب) فارتعد آزر من كلام سيدنا ابراهيم وخاف من جهته خوفا عظيما وقال لزوجته انى أخاف من شأن هذا المولود أن يكون سببا لازالة ملك النمرود وسلب هيبته واذهاب النعمة السنية والمنزلة الرفيعة العلية عنه ثم انه نظر الى حسنه وجماله وما أعطاه الله من كماله فقال ما أحسنك من ولد وما أجملك وما أبهاك وما أكملك ولولا ما وقع فى قلبى لك من المحبة لكنت الساعة أرسلت أعلمت النمرود بخبرك ثم انه بكى خوفا على سيدنا ابراهيم أن يقتله النمرود الرجيم فقال له ابراهيم يا أبت لا تخف فان الله يحفظنى منه ومن غيره وهو السميع العليم فتعجب آزر من ذكاء عقله على صغر سنه (قال وهب) ثم ان سيدنا ابراهيم عليه السلام أقام عندهم وهذه الحالة حالته فدخلت عليه أمه يوما من الايام فقال لها من ربى وكان يمتحنها بذلك فقالت له أنا فقال لها ابراهيم فمن ربك أنت فقالت أبوك فقال لها ومن رب أبى فقالت له النمرود فقال لها ابراهيم

ومن رب النمرود فقالت له اسكت ياولدى عن هذا فسكت طاعة لها فدخل عليها آزر فأخبرته بما قال سيدنا ابراهيم فدخل آزر عليه فقال ابراهيم يا أبتاه من ربى فقال له أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك أنت فقال له النمرود فقال ابراهيم ومن رب النمرود فنهاه أبوه عن ذلك فسكت طاعة له (قال وهب) ثم انه قال يوما لابيه أريد أن انظر الى هذه الارض واتساعها والى هذه السماء وارتفاعها فخرج هو وأبوه من باب داره (قال وهب) فانطلق سيدنا ابراهيم يسعى فى ذلك البر فنظر واذا بالخيل والابل والبقر والغنم تسعى فسأل أباه عنها فقال له أبوه انها دواب خلقها لنا النمرود لنركبها ونأكل منها ألبانا وغيرها فقال له سيدنا ابراهيم ان الذى خلق هؤلاء هو ربى الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى وهو رب ليس له ثان ولا اله غيره ولا أعبد الا اياه ولا أتوكل الا عليه (وقال وهب رحمه الله تعالى) فقال له أبوه الثالث رب غير النمرود الذى نعبده والنمرود له شرق الارض ومغربها وهو يعبد الاصنام ونحن نعبدها معه فقال ابراهيم ان ربى الله لا اله الا هو خالق كل شئ ورازق كل حى ورافع هذه السماء وبانيها وساطح هذه الارض وداحيها لا شريك له فيها ثم انهما رجعا (قال وهب) فبلغ خبر ابراهيم الى بعض أقارب آزر فقد خلوا عليه وأكثروا عليه الاقاويل وقالوا له يا آزر من أين لك هذا المولود الجميل فقال لهم آزر هذا ولدى وابنى وقد أتيت به الى الآلهة على كبرسنى فقال له الرجل فما هذا القول الذى قد بلغنى عنه أنه يقع فى حق النمرود والهنا وأيضا يتقول فى حق أصنامنا فقال آزر هو كذلك فكلامه ياهذا عسى أنه يرجع الى ديننا وكلامنا (قال وهب) فاجتمع عليه القوم وجعلوا يلومونه ويخوفونه من سطوة النمرود ويحذرونه من عذابه وسيدنا ابراهيم عليه السلام لم يرتدع لذلك ولم يزدد الا علما وفهما وضياء ونورا حتى بلغ أشده فقال ابراهيم يوما لابيه وهو قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين فلم يزدهم ذلك الا قسوة وضلالا الى ان كان يوم من الايام خرج ابراهيم الى الصحراء فنظر الى ما خلق الله تعالى من الاشجار والاطيار والانهار وهى تسبح الله الواحد القهار فأمسى عليه الليل وقيل انها كانت ليلة معتمة وقيل كانت ليلة احد وعشرين فرأى المشترى وقيل كانت الزهرة فرأى ذلك الكوكب وهو كأنه القمر المنير وذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما مضى الليل باعتكاره وأشرق النهار بأنواره وطلعت الشمس على الارض وأشرقت ورأى نورها وقد تشعشعت فقال هذا ربى وذلك قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فلما رجع الى بيت أبيه جعلوا يجتمعون عليه ويلومونه على ما يقول وذلك قوله تعالى وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان وجعلوا يتوعدونه بسطوة النمرود وشدة بأسه فلم يخش من ذلك شيأ وذلك قوله تعالى ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون * هذا وسيدنا ابرهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام يجادلهم ويحاجهم ويذكر ربه وفضله عليهم حتى أعجزهم وأسكتهم وحيرهم (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فانصرفوا عنه وهم فى أمره متعجبون وفى أمورهم متحيرون تخاف آزر أن يلحقوه الى النمرود لعنه الله ويخبروه بخبر سيدنا ابرهيم عليه السلام فقال له يا ابراهيم كف عن هذا الكلام حتى أنى أستخلفك على بيوت الاصنام فانى قد كبرت وعجزت عن القيام بواجبها والخدمة لها فقال له سيدنا ابراهيم يا أبت كف عن عذلك لى والملام فانى لا أعبد الا الملك العلام الذى خلق فأبدع واتقن ما صنع وأما هذه الاصنام التى تعبدونها من دون الله فانها لا تضر ولا تنفع فكف عنى يا أبت لومك فانى عن عبادة ربى لا أرجع وذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد

اصناما

أصناما فتظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا
كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى
فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر
لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى
من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
أتى الله بقلب سليم (قال وهب بن منبه) واتفق أن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان عند أمه يوما فنظر
الى وجهه فى المرآة فقال لامه يا أماه أينا أحسن وجها أنا أم النمرود فقالت له يا ولدى أنت أحسن وأجمل
وانما النمرود اسود أدبس معبس الوجه أحول أفطس فقال لها سيدنا ابراهيم لو كان الها ما كانت هذه
الحالة حالته ولا كانت هذه الخلقة خلقته ولا هذه الصفة صفته فقالت أمه لابيه ما قاله لها ابراهيم فقال
له أبوه يا ابراهيم لا تذكر الهنا النمرود ولا أصنامنا بسوء فتكون عدوا لنا فانه هو الذى خلقنا
ورزقنا ورزقنا ففضب سيدنا ابراهيم وقال له تبا لك من شيخ ما أجهلك وذلك قوله تعالى واذ قال ابراهيم
لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين (قال) وكان آزر يصنع الاصنام وينحتها من
الخشب وغيره فصار يصنعها ويعطيها لابراهيم ويأمره ببيعها فيذهب بها سيدنا ابراهيم عليه السلام طاعة
لوالده وينادى عليها من يشترى شيأ يضره ولا ينفعه فما يشتريها منه أحد فاذا بارت معه من البيع يذهب بها
الى النهر فيضرب رؤسها فى الماء ويقول لها اشربى وكان يقول ذلك استهزاء منه بقومه وبآلهتهم فيما هم
عليه من الجهالة والضلالة (واتفق) لسيدنا ابراهيم عليه السلام أنه بينما هو يبيع الاصنام اذ خرجت عليه
امرأة عجوز قد مرت عليها السنون والاعوام فقالت له يا ابراهيم يعنى صنما وانى استحملك أيها أجر ودو أنفع
فقال لها سيدنا ابراهيم عليه السلام على سبيل الاستهزاء بالاصنام انى أنصحك ان تأخذى هذا الكبير فانه
أنفع لك لانه أكثر حطبا فقالت له انى ما آخذه لاجل الوقد وانما آخذه لاجل العبادة فقال لها سيدنا ابراهيم
عليه السلام تبا لكم ولما تعبدون فردته اليه ولم تأخذه ولم يزل سيدنا ابراهيم عليه السلام على ذلك الحال
حتى فشا منه استهزاؤه بآلهتهم التى يعبدونها من دون الله تعالى (قال) فخاف آزر من غائلته ومن اتصال
الخبر الى النمرود قبل أن يعلمه به لانه كان كما ذكرنا مقربا عنده وكان رأس وزرائه فأقبل حتى دخل على
النمرود لعنه الله وتقرب منه وسجد بين يديه وقال له أيها الملك انى قد جئتك ناصحا ومحذرا من شئ
اطلعت عليه فقال له النمرود قل يا آزر ما بدا لك فان كلامك عندنا مسموع مقبول فقال آزر أيها الملك ان
المولود الذى تخاف منه وعلى ظهوره وتتقيه وتحذره هو ولدى وهو الآن فى دارى وتحت يدى ولم يولد عندى
ولا فى دارى وانما جاءنى وهو غلام يعقل ويفهم غير أنه يزعم أن له الها غيرك ومعبودا سواك وانى قد
عرفتك بذلك فاصنع به ما أنت صانع فانى لامرك مطيع ولقولك سامع (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى)
فلما سمع النمرود من آزر ذلك الكلام ارتعدت عظامه وحلت به الاسقام من خيفته مما كان يراه فى
منامه من الاحلام وقال لآزر ويلك صف لى هذا الغلام فقال فوصف له آزر جميع صفاته حتى كأنه
رآه وتصور ما فيه من شمائله وذاته فعندها صاح النمرود صيحة أذهل بها كل من كان حاضرا فى مجلسه وقال ان
صاحب هذه الصفة هو الذى كنت أنتظره فى المنام وهذه الصورة صورته وكنت أحذره وأخاف منه وأخشاه
والى الآن هو عندك يا آزر وما أعلمتنى به حتى أنفذ فيه أمرى لعله يزول عنى ما كنت أخاف منه
وأحذر وهل هو الآن باق عندك قال نعم فقال النمرود لم لا أعلمتنى به فقال له آزر كنت أجادله عن دينه
وأعدله وأرتجى أن أعيده الى عبادتك فلم يفعل والآن قد أخبرتك به فافعل به ما تريد ان تفعل فيه
وتشتهى فعندها قال النمرود لاعوانه ائتونى به فخرجت الاعوان فى طلبه رجاء انه اذا حضر الى النمرود

يعمل عطبه الى أن وصلوا الى بيت أبيه وأخذوه من الدار وذهبوا به وقد أنزل الله عليه السكينة والوقار وقد حفته الانوار ولم يلحقه من ذلك وحشة ولا انذعار الى أن أحضروه بين يدى النمرود الغدار فلما رآه النمرود وقد أحضروه بين يديه لم يستطع النظر اليه من شدة الهيبة التى وقعت عليه فأمر به فى ساعة الحال الى السجن وقال لهم خذوه واحبسوه وفى غداة غد الى بين يدى أحضروه (قال وهب بن منبه) فمضى به الاعوان الى السجن والبسه أدخلوه وعادوا الى النمرود ينتظروا ماذا يأمرهم به يفعلوه فلما كان من الغد أمر النمرود بتزيين البلد وكذلك أمر بتزيين قصره ومجالسه فزينوها بزينة عظيمة عجيبة ورتبوها بأحوال غريبة وأتقن ذلك مع عساكره وجنوده وأمرهم باتخاذ أسلحتهم وأظهار زينتهم وأوقف بين يديه جملة من الوحوش والافيلة وخدمتهم الموكلين بهم منها الاسود والنمورة والافيلة والفهود وغير ذلك ممن له ناب أو مخلاب من الجوارح وغيرها وصار فى عزلم يرعلى غيره من الملوك الذين هم مثله ثم قال لمن حوله من الجنود والاعوان والخدام أحضروا بين يدى ذلك الغلام فذهبت جملة من الاعوان الى سيدنا ابراهيم وأخرجوه من السجن وقد داوراه من كل جانب ومكان وأتوا به الى بين يدى النمرود عليه اللعنة الى يوم الدين وقد شقوا به بين تلك العساكر والجنود وعرضوه على تلك الوحوش والاسود فلم ينزعج ولم يرتاع مما عليه من الهيبة وما أنزل الله عليه من العلو والارتفاع والهمة كأنه داخل بها الى حرب وقراع ثم انه التفت يمينا وشمالا فلم يجد له معينا ولا نصيرا الا الله تعالى فقال اللهم انصرنى على عدوى وعدوك انك على كل شئ قدير فقال له النمرود لعنة الله تعالى عليه ما هذا القول الذى قد بلغنى عنك وأنا خلقتك ورزقتك ولى ثلثمائة صنم يعبدها قومى فقال له سيدنا ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له النمرود لعنة الله عليه ألك رب غيرى تعبده فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام نعم ربى الله الذى لا اله الا هو خالق كل شئ ورازق كل حى الذى خلق هذه السماء ورفعها وبسط الارض ووضعها وأرسى الجبال الشامخات وأوتدها وخلق جميع المخلوقات وأوجدها وهو بعباده لطيف خبير وهو على كل شئ قدير (قال) فلما فرغ سيدنا ابراهيم من كلامه اقشعرت منه الجلود ولانت له الكبود من وصفه الى مصنوعات الملك المعبود فأقبل عليه النمرود وقال له ياهذا اتبع دينى وما أنا عليه وأنا أنعم عليك نعمة ما لها حدود فانى خلقتك ورزقتك وجعلت لك عمر الاسود فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام كذبت يانمرود يا كافر بالله يا جحود يافاجر يالعين يامهين انما خلقنى وخلقك ورزقنى ورزقك الله الذى لا اله الا هو خالق الخلق و باسط الرزق لكل الخلق أجمعين وهو الذى أنشأ هذه المخلوقات وهو الذى ان شاء يكون لى عليك ناصرا ومعينا لا اله الا هو يحيى ويميت بيده الخير واليه المصير وهو على كل شئ قدير وهو نعم المولى ونعم النصير (قال وهب) فبهت له الحاضرون وتعجبوا من شدة بأسه وقوة مراسه وما فيهم الا من تحير من كلامه للنمرود ومجادلته له على صغر سنه وما فيهم الا من رحمه وحن عليه ووقعت محبته فى قلبه لما رأوا من حسنه وجماله وقده واعتداله ونظروا فيه شيئا ما هو فى أمثاله وحسن حديثه للنمرود وما أورد عليه من الاقوال (قال وهب) ثم التفت النمرود الى آزر بى سيدنا ابراهيم عليه السلام وقال له يا آزر ان ولدك هذا صغير صعلوك فقير لا يدرى ما يقول وان قوله هذا قد ارتبكت عليه العقول ولا ينبغى لمثلى مع علو قدرى وعظيم ملكى وانفاذ نهيى وأمرى انى أميل عليه بقوتى وتجبرى فخذه اليك يا آزر وخوفه من شدة بأسى وقوة مراسى لعله يتحول عما هو فيه وبعد ذلك خبرنا وبرنا يصل اليه (قال صاحب الحديث) فأخذه آزر بيده وانصرف الى منزله وانفض مجلس النمرود وانصرف الناس وليس لهم اشتغال الا بما وقع لابراهيم مع النمرود ولجت الناس فى ذلك لجاجة عظيمة (قال وهب) ولما انصرف آزر بولده ابراهيم عليه السلام الى منزله تلقته أمه وفرحت بسلامته من كيد النمرود لعنة الله عليه ثم ان آزر جعل يعذله ويلومه ويخوفه ويروعه ومن جملة ما قال له ان قال يا ولدى

ان

ان لى عليك حق الابوة وأنا أسألك بحقى عليك أن تطيعنى وتكفينا شر النمرود فانه ليس لنا قدرة عليه وأن تلازمنى فى عملى وتساعدنى على بيع ما أصنعه من الاصنام أنت واخوتك وتكون مساعد الاخوتك على ذلك فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام لابيه كيف تلزمنى ببيع ما أبغضه وأجمع ثمنه وهو على حرام فقال له أبوه افعل أنت ذلك ونحن نجعل لك فيها قسما وكان ذلك غرض أبيه يظن أنه اذا خالطها لعل قلبه يميل اليها (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فأخرج له آزر صنمين واحدا كبيرا وواحدا صغيرا وقال له بع الكبير بكذا والصغير بكذا وتكون قد قضيت حاجتى ووقت بواجب حتى عليك من ولايتى فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام لابيه أفأنت تعبد الاصنام على أنها ترزقك وتزعم أنها خلقتك قال نعم فقال سيدنا ابراهيم عليه السلام تبا لكم ولما تعبدون من دون الله فانها لا تضر ولا تنفع ولا تضع ولا ترفع ولا يضر وينفع الا الله ولا يشقى ويسعد الا الله ولا يقرب ويبعد الا الله ولا يميت ويحيى الا الله فنهاه أبوه عن مجادلته فى ذلك وذلك قوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا فاغتاظ آزر من ذلك وذلك قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لان لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا أى لست بتارك عبادة الاصنام قال ابن عباس واهجرنى مليا أى عمرا طويلا ودهرا فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا أى عالما بى مستجيبا دعوتى (قال وهب) ومات آزر على الكفر وتبرأ منه سيدنا ابراهيم وذلك قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم (ولنرجع الى ما كنا فيه من حديث سيدنا ابراهيم) قال فلما امره ابوه ببيع الاصنام كان يخرج ومعه صنمان فيقول ابن من يشترى منى ما يضره ولا ينفعه ولا يهش الذباب عن نفسه ولا يدفعه فكان لا يشتريها منه أحد فيأتى بها الى نهر ويدس رؤسها فيه استهزاء بها كما تقدم له سابقا وكان يشد الحبال فى ارجلها ويجرها على وجوهها فى التراب وكانت الناس يستعظمون منه ذلك الا انهم لا يتجاسرون على لومه على شئ من ذلك لما ألقى الله تعالى عليه من الهيبة فى قلوبهم ولما كان لابيه من التقدم والخدمة عند النمرود لعنة الله عليه (قال وهب رحمه الله تعالى) فبينما سيدنا ابراهيم ذات يوم من الايام وبين يديه بعض الاصنام واذا بشيخ كبير قد تقدم اليه ووقف بين يديه وقال له يا ابراهيم اريد ان تبيعنى صنما وتعرفنى كيف اعبده فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام ياشيخ انى لا احسن عبادة الاصنام وانى لا اعبد الا الملك العلام وانى ما قعدت ههنا الا مستهزئا بآلهتكم وما انتم عليه من امرها فقال له الشيخ بورك فيك فماذا تفعل ثم انه تقدم الى هاران اخى ابراهيم وقال له يا ابن ناخور بعنى صنما جيدا حتى أعبده وعرفنى كيف عبادته فباعه صنما وعرفه كيف يفعل به فاحتمله الرجل على عاتقه ومشى به قليلا فعثرت رجله فى حجر هناك ملقى على الارض فوقع الرجل على وجهه وسقط منه الصنم فاندق عنقه فى الارض فانكسر (قال وهب) فرجع الشيخ الى هاران اخى سيدنا ابراهيم عليه السلام وقال له يا ابن ناخور أيحل لك ان تبيعنى الها مكسورا فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام وما تفعل يا هذا بالصنم المكسور فقال له هاران هذا لم يكن مكسورا فقال له الرجل انى أذهب انى اليك ليحكم بينى وبينك فانى اعهد منه انه منصف فى نفسه ثم انهما تحاملا الى آزر وشكا الرجل قصته اليه فقال له ياشيخ اذهب به واعبده حق عبادته فانى جوزت لك ان تعبده وهو على حالته (قال وهب بن منبه) ثم ان سيدنا ابراهيم عليه السلام بينما هو فى يوم من بعض الايام قاعد على قارعة الطريق يبيع الاصنام اذ مرت عليه امرأة عجوز قد مرت عليه السنون والاعوام فقالت له

يا ابراهيم يعني صنما من هذين الصنمين ويكون أخيرهما واجودهما فقال لها سيدنا ابراهيم ان هذا الصنم الكبير اكثر حظا من هذا الصغير فقالت له يا هذا انني ما اريده للوقد بل اريده ان اتخذه معبودا فقد كان لي اله وسرق وسرق لي معه جملة اثواب كثيرة ودراهم غزيرة واريد ان اشتري هذا الصنم واعبده ولا ازال أتوسل اليه وأنا قائمة على رجلي بين يديه لعله أن يرد على رحلي فقال سيدنا ابراهيم لا اله الا الله اله يسرق ليس هو باله فلو كان الها ما سرق ولا سرقت ثيابك معه وان هذا أمر ليس بطيقه أحد ولا يسمعه ولكن يا عجوز كم لك سنة تعبدين هذا الصنم الذي سرق فقالت انني أعبده من نصف عمري وعبدت النمرود بقيه دهري فقال لها سيدنا ابراهيم عليه السلام بئس ما كنت تعبدين وخاب ما كنت فيه تعتقدين (قال وهب) وهذه معجزة لسيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ثم قال لها يا عجوز أتريدين أن تعبدي رب الارض والسماء حتى يرد عليك جميع ما أخذ لك فقالت كيف لي بذلك وكنت أرجع عن هذا الدين وأتيقن بيقين غير هذا اليقين فقال لها سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل بيت رسول الله ورضوان الله عليهم أجمعين ورحمة الله على أمة سيدنا محمد أجمعين فقال لها ابراهيم لك على شرط ان رد عليك رحلك تؤمني بالله رب العالمين فقالت له وافتك على ذلك وأقول بمقالتك وأصدقك بما جئت به من رب العالمين (قال وهب) فدعا ابراهيم ربه وتوسل الى الملك العلام واذا بالرجل الذي سرق الصنم قد أتى به سيدنا جبرائيل عليه السلام والرجل بين يديه فقال سيدنا ابراهيم يا عجوز انظري فان هذا رحلك ومعه صنمك ولم يعدم لك منه شيأ ولا الدرهم الفرد فابصري ان كان عدم لك منه شيء فيك على بدله فقامت العجوز وافتقدت رحلها فوجدته لم ينقص منه شيء فعمدت الى صنمها وأخذته من داخل رحلها وجعلت تضربه بحجر حتى انها كسرته وصارت تقول له تبا لك من اله ما تحمي نفسك وتعالمن يعبدك دون الله وآمنت تلك العجوز بالله وبسيدنا ابراهيم نبي الله وزاد الله في حسنها وجمالها فبلغ خبرها الى النمرود لعنه الله تعالى وهي أول من آمن بسيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه فأمر النمرود باحضارها اليه فسحبت الى بين يديه فلما حضرت سألها عن حالها فأخبرته بما جرى لها فقال لها ان لم ترجعي والا قتلتك فقالت له اصنع ما أنت صانع فاني عما عزمت أنا عليه لست براجعة فأمر بقتلها فقتلت ورموها خارج البلد فبلغ ذلك سيدنا ابراهيم عليه السلام فمشى اليها وتوجه الى الله تعالى وسأله فيها فأحياها الله تعالى وأعاد عليها حسنها وجمالها أكثر مما كانت عليه ونزلت عليها قبة من نور من خرقة فخلصت فيها ورفعت في الهواء حتى وقفت على رأس النمرود لعنه الله تعالى وأخزاه ونادته من داخل القبة وقالت له ويلك يا نمرود يا كافر يا جحود يا مطرود عن باب الله الكريم أبشر بالعذاب الاليم أنا فلانة الذي فعلت معي ما فعلت من القتلة والرمي على الكيمان فانني راقية الى الجنان بجوار الملك الديان مع الحور والولدان (قال وهب) وهذه معجزة ثانية لسيدنا ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأتم التحية والاكرام وذلك أنه كان للنمرود خازندار يقال له بهرام فلما سمع من العجوز ذلك الكلام وعاين ما فعله معها من القتل والاثام انزعج الخازندار غاية الانزعاج وقال آمنت بالله الذي لا اله الا هو واتبعت ملة ابراهيم عليه السلام وآمن معه زيادة عن ألف انسان وكانوا من وجوه أهل كوثا وثبت في قلوبهم الايمان فاغتم النمرود غاية الغم الشديد وارتج على رأسه الايوان وأمر بهم أن ينشروا بالمناشير وأن يلقوا بين يدي السباع والنمورة والكلاب وغيرها من كل شيء جارح فلم تأكل لهم لحما ولم تنهش لهم عظما بل صارت تشفق عليهم وتحرس جراحاتهم وفي ذلك اليوم أتت على القوم زلزلة عظيمة فارتجت لها تلك الارض وأيقن الناس بالهلاك وهلاك النمرود لما رأوا في ذلك اليوم من الاهوال والعجائب وكاد الايوان أن يسقط على رأسه وأقبلت أم سيدنا ابراهيم أوشا وجعلت تشق الناس وتقول اعتبروا بما نزل من

البراهين

البراهين وكذلك سيدنا ابراهيم عليه السلام قد أتى ووقف على باب النمرود لعنه الله وصار يقول أيها الناس قولوا لا اله الا الله وأتبعوا ما جاء به نبي الله (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) ولم يزل سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه يعلو أمره ويزداد قدره وهو ينذر الناس ويحذرهم من عذاب الله تعالى وسخطه والبارى جلت قدرته يحميه من شر النمرود لعنه الله تعالى ومكائده

(ذكر بعث سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلما كمل له من العمر أربعون سنة نزل عليه سيدنا جبرائيل عليه السلام وقال له يا ابراهيم ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قد أرسلتك الى النمرود فاجهد وسر اليه وادخل من غير ريبة عليه ولا تخف ولا تجزع فانه حافظك وناصرك (قال وهب) وعرج سيدنا جبرائيل الى السماء فأقبل سيدنا ابراهيم عليه السلام الى أن وقف على باب النمرود ابن الفالم وهو غير خائف ولا وجل ثم نادى بأعلى صوته وقال ياقوم قولوا معى لا اله الا الله وانى ابراهيم رسول الله (قال وهب ابن منبه) فانتشر صوته حتى ملأ السهل والجبل وقد لحق الناس من ذلك الرعب والوجل وسمعه الصغير والكبير والوزير والامير قال ففزع النمرود من ذلك وصار يرتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف وارتجت الاسود والافيلة والفهودة والنمورة وكانت تلك الوحوش كلها مربوطة فى دار النمرود فلما سمعوا صوت سيدنا ابراهيم تنافروا من أماكنهم وقطعوا مقاودهم وطلعوا على وجوههم مجيبين دعوته ملبين لكلمته وهم يقولون لبيك وسعديك يارسول الله (قال بعضهم) وفى ذلك الوقت أقبل اللعين ابليس فى صورة بعض الوزراء وتقدم الى بين يدى سيدنا ابراهيم وقال له يا ولدى ألا ترحم شبابك وتترك ما معك من السحر لان فى مملكة هذا الرجل من السحرة والكهنة شيأ كثيرا فقال له سيدنا ابراهيم لست بكاهن ولا بساحر بل ملعون بامهين وانما أنا رسول رب العالمين وانا أعرفك انك ملعون مطرود وقد أتيت تتقرب الى عدو الله النمرود أتظن انى ما أعرفك وأنك ذليل لئيم أخرجك الله من رحمته وأنت مدحور شيطان رجيم (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فلما سمع ابليس لعنه الله تعالى ذلك القول من سيدنا ابراهيم عليه السلام أدبر من بين يديه وقد أنزل الله الخزى واللعنة عليه ثم انه دخل الى عدو الله النمرود وقال له أيها الملك ما هذا القعود فقد جاءك ابراهيم الساحر يريد أن يتوصل بسحره اليك وهو واقف على بابك يريد الدخول عليك فاذا هو دخل عليك فلا تخف منه ولا يلحقك ارتياب وكن مسرعا له فى رد الجواب (قال المصنف لهذا الكتاب) فاستدعى ذلك الوقت النمرود بالوزراء والحجاب وأجلسهم فى مجالسهم على قدر مراتبهم وأقاموا جنودهم صفوفا ورتبت عساكره ألوفا وأمر باحضار سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه فأمره الاعوان بالدخول عليه فلما دخل جعلت الاسود والافيلة وسائر الوحوش تخضع بين يديه وتودعه وتتذلل له وتمرغ وجوهها على قدميه فلما توسط داخل الدار وقد حفت به السكينة والوقار وانسبلت عليه الانوار نادى ذلك الوقت بصوت رفيع يسمعه الرفيع والوضيع وقال ياقوم قولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له خالق كل شئ وباعث كل حى (قال وهب بن منبه) المعجزة الثالثة لسيدنا ابراهيم عليه السلام والتحية والاكرام أنه كان فى دار النمرود خطاطيف قد آوت الى ذلك المكان من سنين قديمة وأعوام فصاحت وجعلت تترامى على أقدام سيدنا ابراهيم تقبلها وتسلم عليه وتتذلل بين يديه ثم تقدم سيدنا ابراهيم حتى وقف بين يدى النمرود وتكلم بأفصح كلام وقال قولوا لا اله الا الله وقروا بأنى ابراهيم نبى الله فعند ذلك قال له بعض الوزراء القعود من أنت أيها الرجل المسعود فقال أنا ابراهيم نبى الله أتيت اليكم أدعوكم الى عبادة الله رب العالمين وآمركم بطاعته أجمعين قالوا فمن ربك الذى تدعونا اليه قال رب السموات والارضين فقال النمرود اللعين فلكى أعظم من ملكه لانى كما ترى فى عز وتمكين فقال له سيدنا ابراهيم

باذليل يامهين انما الملك والسلطان لله الملك الحق المبين فقال النمرود لقد تكلمت يا ابراهيم بكلام عظيم وأنا خلقتك ورزقتك فبينما النمرود يتكلم بذلك الكلام السقيم واذا بسريره قد اضطرب اضطرابا عظيما وأيقن من كان حوله بالعذاب الاليم فقال له سيدنا ابراهيم كذبت ياعدو الله انما خلقني وخلقك العلي العظيم وانك لمغمور بنعمته ولا تقر بوحدانيته (قال وهب رحمه الله تعالى) المعجزة الرابعة لسيدنا ابراهيم عليه السلام وذلك أنه كان في دار النمرود ديك أبيض فأقبل حتى وقف بين يدي النمرود وقال له يا كافر ياجحود أفق من غفلتك وانتبه من رقدتك واشهد بأن الله رب العالمين وان هذا رسوله ابراهيم أرسله اليكم أجمعين وان قوله هو الحق والصدق المبين وهو أبو الانبياء والمرسلين (قال وهب رحمه الله تعالى) ونذكر المعجزة الخامسة وما وقع لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وذلك انه كان في ذلك الوقت في دار النمرود بقرة وكانت عجيبة الخلقة وكان النمرود يحبها محبة شديدة فأقبلت تسعى اليه وهي في غاية ما يكون من الحسن والسمن وأوصافها الاتراك وكان قد اختصه بها ناس من بلاد الشام فتقدمت من غير سائق يسوقها أو قائد يقودها الى أن صارت بين يدي النمرود لعنه الله وقالت له بلسان طلق فصيح يسمعه كل من حضر من القائمين والقاعدين يا كافر يالعين ياذليل يامهين ياجحود ياأخس من كفر بالملك المعبود لو أن ربي أمرني أن أهلكك في وسط هذا المحضر لكان ذلك أهون علي من لمح البصر (قال مؤلف هذا الكتاب) فأمر النمرود لعنه الله بذبح البقرة فذبحت فأحياها الله تعالى ثم قالت مثل ما قالت أولا فأمر بذبحها ثانيا فأحياها الله تعالى أيضا ثم قالت مثل ما قالت ثلاث مرات ويحييها الله تبارك وتعالى وهي تخاطبه مثل ذلك الخطاب وتجاوبه بذلك الجواب ويقال ان الله تبارك وتعالى أنبت لها جناحين وطارت بهما في الهواء وهي تقول يانمرود يالعين يارجيم ان لك عند الله عذابا أليما ثم أقبل النمرود على نبي الله ابراهيم وقال له اني رأيت من سحرك شيأ عظيما من كلام الديك والخطاطيف والبقرة ما تقدر عليه السحرة فهل بقي عندك شئ غير ذلك (قال وهب رحمه الله تعالى) ونذكر المعجزة السادسة وما كان منه لسيدنا ابراهيم عليه السلام فنقول ثم التفت ابراهيم يمينا وشمالا وجعل ينظر الى أولئك القوم الفجار واذا بجارية واقفة بباب خباء النمرود وعلى كتفها ابنة صغيرة ترضعها فلما وقع عليها نظر سيدنا ابراهيم وتبينها وثبت الصغيرة من على كتفها وجعلت تمشي حتى وقفت بين يدي النمرود عليه اللعنة من الملك المعبود وقالت له يا أبت اعلم ان هذا ابراهيم نبي الله قد جاء بالحق من عند الله فمن تبعه فقد أفلح ومن صدق بنبوته وصار من أمته فقد نجح ثم انها حولت وجهها الى سيدنا ابراهيم صلاة الله وسلامه عليه وقالت أشهد أن الله واحد لا شريك له وانك ابراهيم عبده ونبيه ورسوله جئت بالهدى ودين الحق ونطقت بالصدق فلما نظر النمرود الكافر الجحود الى تلك الآيات العظيمة والمعجزات الكريمة انزعج في نفسه انزعاجا عظيما وقال للجارية لاعذبنك العذاب الاليم لما أنك صبوت الى سحر ابراهيم ثم انه أمر أن تقتل وأن يقطعوها قطعا فبقي ساعة الحال احتاطت بها الاعوان وقتلوها وقطعوها فأحياها الله تعالى لتمام المعجزة لسيدنا ابراهيم عليه السلام ثم ان النمرود لعنه الله وأخزاه وجعل النار منقلبه ومثواه التفت الى آزر وقال له أيعجبك يا آزر ما جاء به ولدك ابراهيم من السحر ثم انه التفت الى ابراهيم وقال له أتريد أن تقهرني بسحرك وأصير تحت تهلك وأمرك فقال له ابراهيم كذبت يا كافر يافاجر انني لست بكاهن ولا ساحر وانما أنا رسول رب العالمين الذي هو على كل شئ قدير وانما هذه آيات ربي أراك اياها ثم قال سيدنا ابراهيم عليه السلام ومن آيات ربي الكرام انني أدعو الاسود والافيلة والنمور والفهود التي ربيتها أنت وهي معتادة عليك وأسلطها عليك وآمرها أن تمزقك بمخالبها وأنيابها أو آمرها أن تفترسك أو آمر سريرك أن يهبط بك وتاجك أن يطير عن رأسك والى قصرك أن ينهدم عليك (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فاضطرب النمرود اضطرابا

عظيما

عظيما وأيقن ان ذلك ليس هو منه ببعيد ثم قال يا ابراهيم انك لتدعي بشيء عظيم ولكن ما أظنك صادقا وانك على ذلك لست موافقا فقال ابراهيم وحق من لا يعجزه شيء وهو الغفور الرحيم ان ربي غني كريم وهو على كل شيء قدير ومن قدرته أنه يحيي الموتى فقال النمرود أنا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كذبت كيف تفعل يا كافر فقال له اخرج رجلا من السجن لا يستحق القتل فأقتله وكذلك أفعل برجل يستحق القتل فاطلقه فأكون قد أحييت هذا وأمت هذا فقال له سيدنا ابراهيم يا نمرود يا كافر ان ربي على كل شيء قدير وانه لم يفعل هكذا بل الميت يحييه والحي يميته من غير ذلك ولكن يا نمرود يا كافر يا جحود ان ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب وذلك قوله تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين (قال وهب بن منبه) المعجزة السابعة من كرامات سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم السلام وذلك أنه قال يوما من الايام رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم (قال وهب) فأخذ ابراهيم ديكا أبيض وغرابا أسود وحماما أبلق وطاووسا ملونا فذبحهم وتقطعهم وخلط الدم بالدم وكذلك اللحم باللحم والريش بالريش ثم انه قسمهم أربعة أجزاء وسار الى جبال بالقرب منه ووضع كل جزء على جبل وكانت الجبال متقاربة من بعضها ثم جعل رؤس الطيور بين أصابعه ثم انه دعاها اليه كما أمره الله تعالى فجعل كل لحم وعظم يطير الى صاحبه ثم جعلت الرؤس تخرج من بين أصابعه وتلتئم على لحمها حتى صار كل رأس على بدنه وطار باذن الله تعالى حتى استقر بين يدي سيدنا ابراهيم عليه السلام فلما نظر الى ذلك خر ساجدا لله الملك العلام وقال ان ربي على كل شيء قدير ثم قال للنمرود كيف رأيت من قدرة الله تعالى فقال النمرود عليه اللعنة من الملك المعبود ليس هذا ببعيد من سحرك يا ابراهيم ثم قال النمرود من أنا يا ابراهيم قال له أنت النمرود بن كنعان الذي وثب على سلحفاء الراعية فواقعها سفاحا بعد قتل بعلها ثم ولدت حراما وأمر بعدك عنها فذهبت بك وسلمتك الى راع وهو يرعى بقرا فوضعك بينها فنفرت منك لسماجة وجهك ونفر قلبك فتشاءم الراعي بك وأنت اليه أمك فردك اليها وألقوك في النهر بعد ذلك فتذفك النهر الى شاطئه وقيض الله لك غرة فأرضعتك الى أن خرجت أهل البلد وأخذوك وربوك الى أن كبرت وقتلت أباك ونكحت أمك من بعده واستولى عليك الشيطان بغروره حتى ظهر كفرك ومعاندتك الى ربك ولا بد له أن يدمرك ويذهب عنك ملكك (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فغضب النمرود من ذلك وزاد حنقه وأمر بابراهيم أن يقيد في أصفاد الحديد وأن تغل يداه الى عنقه وأن يذهبوا به الى السجن وكان ذلك السجن غميقا وهو تحت الارض وفيه حسك وسكك وقراره عميق بعيد وفيه عقارب وحيات وله رائحة كريهة من كثرة ما فيه من الصديد (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) فلما أتوا بابراهيم الى باب السجن جاءت أمه اليه وودعته وقبلته بين عينيه وقالت له يا بني ألم أنهك عن هذا فما انتهيت حتى فعل بك هكذا لكن هكذا اشتهيت فقال ابراهيم سوف ترين يا أمي من قدرة مالك الاملاك ما يفرح به قلبك وتقر به عينك ثم دخل ابراهيم الى السجن فنظر السجان الى نور وجهه وما أعطاه الله تعالى من الحسن والجمال وأراد ابراهيم أن يصلي فلم يتمكن من ذلك لثقل ما عليه من الحديد فعظم ذلك عليه وكبر لديه فبينما هو كذلك اذ أتى اليه الوحي من عند الله تبارك وتعالى وقال له ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك اصبر فاني مخرجك من السجن وأحل بعدوك الانتقام وأنصرك على عدوي وعدوك وانجيك من جميع الآلام ثم انه فرش له فرشا من السندس والاستبرق وألبسه حلة خضراء من حلل الجنة ووضع

بين يديه طعاما من طعام الجنة وهو طعام قال له الله كن فكان فأكل سيدنا ابراهيم عليه السلام ما جاءه الملك له من ذلك الطعام ثم قال له اصبر يا نبي الله كما صبر الانبياء من قبلك فان الله تعالى قد أعطاك نصرا وتأييدا مالا أعطاه لاحد مثلك ثم عرج الملك الى السماء وبقي سيدنا ابراهيم في السجن يسبح الله تعالى ويقدسه ويمجده وكان اذا قام في جوف الليل الى الصلاة يصعد من عند رأسه عمود من النور حتى يلحق الى عنان السماء وتضيء منه سائر الجهات وكانت تنزل عليه الملائكة بالكرامات (قال وهب بن منبه) وكان سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه يذكر لاهل السجن حديث الجنة والنار وما أعد الله في جهنم من العذاب للكافرين الفجار فتقدم اليه رجل من أهل السجن وقال له يا ابراهيم انك لتصف الها عظيما فلم لا تخاطبه وتناجيه حتى ينصرك على عدوك ويخلصك مما أنت فيه فقال له سيدنا ابراهيم اني لو سألت ربي في ذلك لفعل ولكن الصبر هو أحسن العمل وان ذلك يجمل ان يكون من مثلي واني لاصبر كما صبرت الأنبياء من قبلي فقال له رجل آخر من أهل السجن يا ابراهيم أخبرنا من يطعمك ويسقيك فانا لا نرى أحدا من أهل السجن يطعام يأتيك وانا نجد عندك طعاما طيبا زكيا وشرابا رائقا صافيا وله رائحة أطيب من رائحة المسك الاذفر فقال لهم سيدنا ابراهيم عليه السلام ان ربي الواحد القهار الاحد المعبود هو الذي يرزقني وينصرني على النمرود الكافر الجحود فقام اليه رجل منهم وقال له يا ابراهيم انني رجل من أهل المغرب وان هذا الملك النمرود لما تملك بلادنا وكنا أربع اخوة قبض علينا ثم فرق بيننا وأمر بحبسي ههنا وأمر بحبس الثاني في المشرق وأمر بحبس الثالث في ارض المغرب وأمر بحبس الرابع في بلاد اليمن حتى انه أضعفنا وثقلنا فهل يقدر ربك أن يجمع بيننا حتى اننا نوحده ونكون به مؤمنين وبرسالتك مصدقين فقال ابراهيم عليه السلام ان أردت ذلك أنت ووافقني عليه دعوت ربي أن يفعل ذلك فقال له الرجل افعل فاني موافقك على ذلك (قال وهب) فتوجه سيدنا ابراهيم الى ربه بعد ما توضأ وصلى ركعتين ودعا الى الله سبحانه وتعالى فما استتم دعاءه الا ورجلان منهم قد انقض أحدهما من المشرق والآخر من المغرب وقد أتيا في الهواء بقدرة الله تعالى وذلك عند انتهاء الدعاء (قال وهب) فتعجب أهل السجن من ذلك وبلغ الخبر الى النمرود من بعض الاعوان الذين له لعنه الله فاستدعى بهما الى بين يديه وقال لهما من الذي جمع بينكما ومن فك عنكما ما كنتما فيه من القيود والاغلال التي كانت عليكما فقالا له ابراهيم هو الذي أحضرنا ومما كنا فيه من القيود والاغلال خلصنا فقال النمرود لعنة الله عليه ان هذا قليل على ما عنده السحر الذي أتانا به ثم انه استدعى بمن عنده من السحرة فحضروا بين يديه فقال اعلموا أن ابراهيم قد فعل من السحر ما هو كذا وكذا فهل تقدرون أن تفعلوا مثله وتحضروا لنا الاخ الآخر من اليمن كما فعل ابراهيم وأتى بهذين الاخوين فقالوا له انا لا نقدر على شيء من ذلك ولا نقدر ان نفعله نحن ولا غيرنا ولا يصل أحد اليه فاستدعى النمرود بابراهيم الى بين يديه فأتى به الاعوان وأدخلوه عليه فقال له يا ابراهيم أنت أحضرت هذين الاخوين من مكانهما الذي كانا فيه فقال ابراهيم فعلت ذلك باذن ربي انه على كل شيء قدير فقال النمرود اننا نريد منك أن تحضر لنا أخاهما الذي في اليمن كما أتيت بهذين الاخوين (قال وهب) المعجزة الثامنة لسيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه فلما قال له النمرود ذلك القول توجه ابراهيم الى ربه وتضرع اليه وطلب منه ذلك فأوحى الله اليه أنه مات ودفن في قبر في أرض بلاد اليمن فأخبرهم ابراهيم بذلك فكذبوه ولم يصدقوه فقال له النمرود ادع ربك أن يأتينا بقبره لنتحقق أمره فتوجه ابراهيم الى ربه ودعاه فأمر الله الملك الموكل بالارض أن يخرق الارض ويطلع القبر ويأتي به الى بين يدي سيدنا ابراهيم عليه السلام (قال وهب رحمه الله تعالى) فبينما الناس قيام وقعود فلم يشعروا الا بخروج القبر من الارض وقذفه بين يدي النمرود عليه اللعنة والخزي

من

من الملك المعبود فقال سيدنا ابراهيم للاخوة الثلاثة ان هذا قبر أخيكم قد دعوت ربى فأحضره اليكم فقال السحرة الذين طلب منهم النمرود ذلك وعجزوا عنه ان كان هذا حقا فليدع ربه حتى يحييه وينظره أخواه وبكلماه (قال المؤلف) فدعا ابراهيم ربه ان يحيى ذلك الرجل و يقيمه الى أخويه حتى يزدادا يقينا ومعرفة واذا بالقبر قد انشق وظهر الرجل منه وهو ينادى أشهد أن لا اله الا الله وأنك ابراهيم نبى الله جئت بالحق من عند الله وبلغت ما أرسلك به الله ففزع منه القعود والقيام لما سمعوا منه ذلك الكلام وكذلك النمرود قد حار ولحقه الانبهار والرجل يقول هذا جزاء من عبد الأصنام من دون الله الملك العلام (قال وهب) فوثب الخازن الذى كان للنمرود وكان جليل القدر عنده وكان يحبه محبة عظيمة فقام وهو ينادى آمنت برب ابراهيم وبما جاء به ابراهيم وصار يقول لمن حوله من هؤلاء الخلائق القعود والقيام الهرب الهرب مما أنتم فيه يالئام من عبادة الاوثان والأصنام وعليكم بدين ابراهيم عليه السلام فقال له النمرود ويلك قد عمل فيك سحر ابراهيم ولكن سوف أعذبك العذاب الاليم فلما رأى الحاضرون ما فعل ذلك الخازن آمن معه جماعة من حجاب الملك لما رأوا تلك المعجزة العظيمة فعندها قال النمرود لاعوانه خذوا هؤلاء من بين يدى وقيدوهم والى السجن أدخلوهم فتبادرت اليهم الاعوان الملعونون فصاح فيهم الخازن فولوا عنه مدبرين وقال الويل لك يانمرود يا كافر يا جحود أما تخشى من عذاب الملك المعبود هل تريد بيانا واظهار معرفة وايقانا أعظم من احياء الموتى من قبورهم الدارسة وأنت لا ترجع عن طغيانك وكفرك بالله تعالى فعند ذلك صاح النمرود بأعوانه فهجموا عليهم وقبضوا على الخازن وعلى كل من آمن معه ثم التفت الى كبراء قومه وقال لهم أشيروا على بأى عذاب أعذب به هؤلاء الذين كفروا بى فقال بعض وزرائه الذى نشير به عليك أن تقتل هذا الذى كفر بك أشر قتلة وأن تمثل به أقبح مثلة حتى لا يعود أحد يجسر عليك ولا على مخالفتك من اهل مملكتك (قال وهب) فعند ذلك امر النمرود لعنه الله عليه بسيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الى السجن هو ومن معه فأرادت الاعوان ان يدنوا اليهم و يأخذوهم فزعق عليهم الخازن فرجعوا عنهم فعندها امتزج النمرود غيظا وغضبا وزعق عليهم فى عاجل الحال فعادوا لهم وتعاونوا عليهم فأمر النمرود بهم فبطحوهم بين يديه وكان له أساطين ثقال فوضعت عليهم بعد ما شدوا ايديهم وارجلهم فى القيود والاغلال فما آلمهم من ثقلها وجع ولا مسهم منها ألم وبقى النمرود باهتا لا يدرى ما يصنع فما كان منه الا ان قال لهم عودوا الى طاعتى وانا اعفو عنكم بسطوتى وأرفع عنكم ما أعددته لكم من شدتى فانى الذى خففت عنكم هذه الاساطين حتى انكم لم تجدوا لثقلها ألما فقال له الخازن كذبت يانمرود يا كافر يا جحود فان كنت صادقا فى قولك فأمر فى هذه الساعة واحدا من هذه الحجاب الذين حولك أن يوضع عليه اسطوانة من هذه الاسطوانات وخففها عنه حتى يظهر لنا صدقك من غيره ونعلم أنك صادق فى قولك (قال وهب) فغضب النمرود لذلك غضبا شديدا وامر بنار فأوقدت بين يديه وألقاهم فيها فلم تحرقهم النار ولا اثرت فيهم اثرا اكراما لسيدنا ابراهيم عليه السلام وهبت عليهم نسمات الرياح باذن فالق الاصباح وارسل الله عليهم سحابة بيضاء فأمطرت عليهم مطرا غزيرا حتى صار الماء ملء ذلك البر والفضاء واطفأت عنهم النار باذن الملك الجبار ولم تحرق لهم لحما ولا هشمت لهم عظما ولم تحرق منهم غير الحبال التى كانت فى ايديهم وارجلهم ثم انهم وثبوا على اقدامهم فتعجب الناس عجبا شديدا لقيامهم فارتبك النمرود وانعكس فى أمره وازدادهما من تحيره وتفكره ولم يدر ما يصنع فيهم ولا كيف يوصل الاذية اليهم فأمر بهم الى السجن فأدخلوهم فمكثوا فيه اربعين يوما وكان قد جعل التوكيل عليهم وامر النمرود لعنه الله أن لا يطعمهم أحد ولا يسقيهم (وذكر المؤلف لذلك الكلام) انهم لما نزلوا الى السجن ومكثوا فيه ثلاثة أيام قيل كان فى السجن حيات

وعقارب وافاعى كبار غيبهم الله عنهم فلم تؤذهم ولا وصلت اليهم ووسع الله عليهم مجالسهم الى ان كان فى بعض الايام جاءت اوشا أم سيدنا ابراهيم عليه السلام حتى وقفت على باب النمرود لعنه الله وأطالت البكاء وسألته ان يعفو عن ولدها ابراهيم فرق لها وامر باخراجه من السجن هو ومن معه ان كانوا على قيد الحياة وكان ظن الملعون انهم ماتوا من الجوع والعطش أو من تلك الحيات والافاعى التى كان يعهدها فى السجن فلما خرجوا ووجدهم فى الحياة ولم يصبهم مما ظن بهم شئ وحفظهم الله تعالى مما يؤذيهم فبقى النمرود متعجبا من ذلك ثم قال لابراهيم من أطعمك وسقاك لما كنت فى السجن انت ومن معك من رفقائك ومن رد عنك ما فيه من الافاعى والحيات فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام اعلم ياهذا أن الكل مقدورات وانى لست كنت فى سجنك وانما هو سجن ربى أقعدنى فيه هذه المدة اليسيرة وهو الذى أطعمنى فيه وسقانى وهو الذى يدلنى على طريق الخير ويلك ياغرود آمن بالله تعالى فانه هو الذى أراك آياته وأظهر لك معجزات نبيه ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ومن آياته أنه يحيى الموتى وأنه ينجى المؤمنين من القوم الكافرين فهو الله رب العالمين فيجب عليك ياغرود أن تؤمن بربوبيته وان تصدق بوحدانيته (قال وهب) فغضب النمرود لعنه الله تعالى واحضر من ابراهيم حصرا عظيما ولم يدر ما يفعل به فقال لآزر أبى ابراهيم ان هذا لم نخش منه ولم نعبأ به ولا من سحره ولذلك هذا الا أنى لما كنت أسمع بخبره وباتيانه كنت أحسبه أنه يأتينى فى أعوان كثيرة وأمور خطيرة فما رأيت من ذلك شيأ والآن قد عرفت أن أموره لا تنفذ الا بالسحر والكهانة والحيل وانه لا حقيقة له فى أمره ولا فيما يفعل وانى قد اطمئن قلبى من جهته فى هذا العمل فخذ ولدك فانى وهبته لك لكونك وزيرى ومدبرى ومشيرى وانى محتاج الى مثله يكون على بابى ومن جملة حجابى وأصحابى فخذه وادخل به الى بيت الاصنام وتلطف به وعده عنى بالجميل والانعام فعسى أن يكون على طاعتى فأتوجه بتاج كرامتى وأزوجه بابنتى وأقاسمه فى نعمتى ويكون وزيرى الاكبر (قال المؤلف) لهذا الكلام فأخذ آزر ولده بيده وهو متلطف به وأخرجه من دار النمرود لعنه الله تعالى وقال له يابنى اذهب معى حتى أدخلك على أصنامنا وتنظرها فلعل أن يميل قلبك اليها وتعبدها فقال سيدنا ابراهيم لابيه ياشيخ ياضال ليس لك عقل تهتدى به ثم قال له قوله تعالى أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ثم ان ابراهيم تنحى عن أبيه وسار حتى توسط كوثريا ووقف على محل عال ونادى بأعلى صوته وقال ياقوم قولوا لا اله الا الله وصدقوا بأنى ابراهيم نبى الله وقد جئت بالحق من عند الله فانكم اذا أقررتم بذلك تفلحون وفى أموركم تنجحون فانى أخشى عليكم أن يقع بكم العذاب كما وقع على الذين من قبلكم ويفعل الله بكم كما فعل بقوم نوح عليه السلام وهود وصالح وأصحاب الرس وأصحاب الايكة وقوم تبع وأصحاب البئر المعطلة والقصر المشيد (قال وهب) فلما سمعوا منه ذلك كذبوه واجتمعوا حوله وقالوا له ان هذا الذى جئت به هو سحر عظيم ثم بعد ذلك أقبل اليه أبوه وقال له ياولدى يا ابراهيم أما تخشى من كيد النمرود وأنه يقتلك ويفجعنى فيك ألم تر الى ما كان منى ومن والدتك من الشفاعة اليه والتذلل بين يديه فقال ابراهيم يا أبت ان ربى هو الذى يعصمنى من كيد النمرود وسطوته فقال له أبوه يا ابراهيم انى لم أقدر على غيظ النمرود ولا أعارضه فى مملكته فانك ان لم تطعنى وترجع عن معاندته والاهجرتك ورجعت الى خدمته لانى كما ترى من تقربى عنده قد وكلنى بخدمته وخدمة أصنامه وآلهته فقال له سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه يا أبت انها لبئس الخدمة وبئس التقرب اليه ثم زاد بينهم الملاجمة والكلام حتى أفضى بهم الامر الى المشاجرة والخصام فقال له أبوه انى لست مطيعا لك ولست بتارك آلهتى التى وجدت آبائى يعبدونها فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبت ان هذه الاصنام التى تعبدوها لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنك شيأ ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا فلم يزدد لذلك آزر الا قسوة

ونفورا

ونفورا وذلك قوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا (قال وهب رحمه الله تعالى) ثم انه اعتزل أباه من ذلك الوقت وصار يدعو ربه أن ينصره على اللعين النمرود وعلى قومه وأن يهدى من يريد هدايته ويؤمل أن أباه يدخل فى طاعته لانه بعد ذلك قد لين له جانبه فانتظر منه ذلك فلم يره يزداد الا عتوا ونفورا فاعتزله وتبرأ منه وذلك قوله تعالى فى كتابه العزيز وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم وأقام سيدنا ابراهيم عليه السلام على ذلك برهة من الزمان ينتظر عواطف الرحيم الرحمن ﴿المعجزة التاسعة لسيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه﴾ وذلك انه لم يزل النمرود أوصل الله خزيه اليه يوكل بقتل كل من آمن بسيدنا ابراهيم حتى قتل خلقا كثيرا لا يحصى عددهم الا الله تعالى فأوقع الله الغلاء والقحط فى تلك الارض ولم ينزل عليهم من السماء مطرا ولم ينبت لهم من الارض زرعا حتى ضاق على الناس الحال واضطرب النمرود من ذلك الامر وضيق الحال فجمع الحبوب والاطعمة ووضعها فى المخازن وصار يخرج للناس يوما بعد يوم فأضر الجوع بالناس الذين آمنوا بسيدنا ابراهيم عليه السلام لانهم لم يكونوا يطعمون مع الناس (قال وهب رحمه الله تعالى) فدعا ابراهيم ربه أن يطعمه هو ومن آمن به فأوحى الله تبارك وتعالى اليه أن اذهب الى الكثيب أى الرمل الذى بظاهر المدينة فخذ منه ما يكفيك أنت ومن معك فانه طعام حسن للمؤمنين فصار المؤمنون يخرجون اليه ويأخذون منه فيجدونه حنطة طيبة فيطحنونها ويخبزون ويأكلون وصارت الكفار يأتون الى النمرود لعنه الله تعالى واليه يسجدون ومن طعامه الذى احتكره يأخذون حتى نفد جميع ما عنده وما كان قد احتكره ولم يبق عنده شئ فقال فبلغه أمر الكثيب الرمل وما يصنع به فاشتد ذلك عليه لانه أبصر العالم قد طلبوا سيدنا ابراهيم عليه السلام (قال وهب) ومالوا اليه فاغتم لذلك غما شديدا (قال وهب رحمه الله تعالى) ولما أبصر النمرود ايمان القوم بسيدنا ابراهيم يزداد يوما بعد يوم حار فى أمره وارتبك فى سره ولم يجد من ذلك محيصا فبينما هو ذات يوم فى قصره واذا هو قد نظر الى سيدنا ابراهيم وهو مار عليه وبيده جراب فيه حنطة قد احتمله من ذلك الكثيب ورأى الخلق قد تبادروا اليه واحتاطوا به ووقفوا بين يديه فاستدعى به الى عنده فحضر اليه فقال له ما هذا الذى معك يا ابراهيم فقال له انه طعام رزقنى به ربى ورب العالمين وانه لا يأكل منه الا من كان من المؤمنين فقال له النمرود افتحه وأرنى اياه فلما فتحه ضرب النمرود يده فى الجراب وقبض منه قبضة فاذا هى رمل أحمر مثل ما كان فى الكثيب فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام لا تعجب يا نمرود من أمر الله ثم انه مد يده المباركة وسمى باسم الله تعالى وأدخلها فى الجراب وقبض منه قبضة وأخرجها فاذا هى حنطة الحبة فى قدر الفستق الكبار مكتوب على كل واحدة منهن هذه هدية من الله رب العالمين لنبيه ابراهيم ولمن تبعه من المؤمنين فقال النمرود لعنه الله انك يا ابراهيم قد تغلبت على وعلى قومى وأفسدتهم بسحرك وقهرتنى فاخرج من بلدى والا قتلتك وكفيت شرك فقال له ابراهيم عليه السلام ولماذا أخرج من البلد وأنا أحق بها منك لانها بلدى وبلد آبائى وأجدادى من قديم الزمان وانما أنت أبوك كنعان قد تولى بها ظلما وعدوانا وكان رجلا صيادا وقد أتى الى أمك لهناء الراعية وهى ترعى غنمها فى البرية وراودها عن نفسها وأتى اليه بعلها وقهره فلم يزل أبوك يحتال عليه حتى قام من تحته وتغلب عليه بالمحال وقتله وواقعها سفاحا فحملت

بك وأخذها الى قصره الى أن وضعتك وتشاءم بك وأمرها أن ترميك فى البرية حتى يرتاح منك ومن شؤم طلعتك فذهبت بك وأعطتك الى راع فوضعك بين البقر فنفرت منك فتشاءم بك ورماك الى النهر فقذفك الماء الى الجانب الآخر وقيض الله لك نمرة أرضعتك الى أن خرج جماعة من أهل البلد وأخذوك وربوك الى أن كبرت وطلعت كافرا عنيدا وجبارا حقودا وجئت الى أبيك وتغلبت عليه وقتلته ودخلت الى قصره وملكته ونكحت أمك سلخاء الراعية وهذه قصتك ومنشؤك فأنت الأحق بالخروج منها (قال وهب رحمه الله تعالى) ثم ان سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه قال يا نمرود آمن بالله تعالى والا دعوت الله عليك فيهلكك ويذهب عنك ما تحتويه من ملكك فغضب النمرود لذلك غضبا شديدا وشق ذلك عليه وأمر أعوانه أن يخرجوا سيدنا ابراهيم من بين يديه لانه قد ارتجف قلبه منه ومازال لا يعبأ به ولا يخشاه لأنه متوكل على مولاه (قال المؤلف) وأصبح الخلق ضاجين من الجوع الى النمرود عليه اللعنة والخزى من الملك المعبود ويقولون له أما ترى الى ابراهيم ومن معه من المؤمنين فى فرح ومرح ونحن فى ضيق وغلاء وجدب فاما أن توسع علينا والا صبونا اليه وآمنا به وبربه واتكلنا عليه (قال المؤلف) فارتبك النمرود فى سره واحتار فى أمره وضاقت عليه الامور وقيل انه كان فى نفسه رجلا غيورا دخل به ذلك الويل والثبور ومن كثرة ما اشتد به استدعى بآزر أبى سيدنا ابراهيم فحضر الى بين يديه فقال له النمرود لعنة الله عليه يا آزر ان ابنك ابراهيم آذانى فى مملكتى وأفسد على أهل مدينتى وأرباب دولتى ولولا صحبتك لى ومعزتك عندى لكنت بطشت به بطشا شديدا وفعلت فيه فعلا عنيدا فقال له آزر أما تعلم أنى قد هجرته ولست راضيا له بذلك وقد حذرته من شدتك وسطوتك وقوة بأسك وخوفته فلم يخف ولم يقبل منى قولا فاصنع به ما شئت من الامر المهول فانى لا يضيق صدرى بما به تفعل لانى قد عجزت عنه وضاقت بى فيه الحيل (قال وهب بن منبه) رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة مثقلبه ومثواه ولما كان بعد ذلك بأيام أراد سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يرى النمرود وقومه ضعف الاصنام والاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله ويعجزها ولزام الحجة عليهم واثباتها فجعل ينتهز لذلك الفرصة ويحتال فيها حتى انه يشفى ما بقلبه من تلك الغصه وكان لاهل المدينة التى هى كوثى فى كل سنة عيد وكان يخرج فيه السادات منهم والعبيد وكانوا يعملونه فى موضع بعيد وكانوا يقيمون فيها أياما يتفرجون فاذا انقضت أيام عيدهم فالى بلدهم يرجعون وكان النمرود لعنة الله تعالى عليه يخرج وسادات قومه حوله وأرباب دولته بين يديه وكان يركب فى زينة عظيمة لان ذلك العيد كان له عندهم قدر وقيمة فلما قرب ذلك العيد وأرادوا الخروج اليه قالوا لبعضهم عسى أن نأخذ ابراهيم معنا فتقدموا اليه وقالوا له يا ابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا تنظره وتتفرج عليه لعلك اذا نظرته يعجبك ديننا وتدخل فيه فخرج ابراهيم معهم وهم على تلك الحالة ونظر الى ما هم عليه من الجهالة والضلالة وكانوا قبل خروجهم يدخلون الى بيوت الاصنام ويضعون عندها الطعام ويخرون لها ساجدين من دون الله رب العالمين واذا رجعوا من عيدهم دخلوا اليها وفعلوا معها كذلك وسجدوا لها وعادوا الى منازلهم وهم مغترون بذلك فلما كان العيد الثانى وأرادوا أن يخرجوا على عادتهم وطلبوا سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يخرج معهم فألقى نفسه وقال انى سقيم فاتركونى لحراسة أصنامكم مقيم فتولوا عنه مدبرين والى عيدهم ذاهبين ولم يبق الا من عاقه الصغر أو استولى عليه وهد حيله الكبر وكانوا قبل خروجهم دخلوا الى بيوت الاصنام وأقاموا بواجب خدمتها ووضعوا بين أيديها الطعام وكانت الشياطين عند ذهابهم تأتى وتأكله الا مدة تلك الايام التى أقام فيها سيدنا ابراهيم عليه السلام فلم تأكل الشياطين لهم طعاما وذلك اكراما لسيدنا ابراهيم وهيبة وتعظيما لقدره وكانوا كما ذكرنا اذا عادوا من عيدهم ودخلوا على أصنامهم يجدون الشياطين قد أكلت طعامهم فيفرحون ويصيرون بذلك مستبشرين ويخرون لها على وجوههم ساجدين فلما كان ذلك اليوم الذى

مضوا

مضوا فيه الى فرجتهم ذاهبين نادى فى أعقابهم تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فلم يسمعه القوم لما تكلم بهذا الكلام الا رجل منهم وكان ذلك الرجل متأخرا عنهم وهو الذى أفشاه عنه لهم ثم ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وثب داخلا الى بيوت الاصنام فوجدها فى أمر عظيم ووجد ذلك الطعام بين أيديها مقيم ومستقبل ذلك صنم كبير وعليه من الثياب الملونات الحرير شئ كثير والى جانبه أصنام أصغر منه وكراسيها موضوعة على الارض وبعضها بجانب بعض وكل منها يليه أصغر منه (قال وهب) فلما نظر سيدنا ابراهيم عليه السلام وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام الى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على سبيل الاستهزاء بهم ألا تأكلون فلم يجيبوه بجواب ولم يبد واله خطاب لان الشياطين لم تقبل على سيدنا ابراهيم كما تقبل على أولئك القوم الملاعين وذلك قوله تعالى قال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وكان معه فاس قد استعدها لذلك الامر وقيل انه كان وجدها فى جانب البيت الذى للاصنام وهى التى كانوا ينحتون الاصنام بها فأخذها بيمينه ومال عليها وجعل يكسر رأس هذا وأنف هذا ويد هذا ورجل هذا حتى جعلهم قطعا قطعا وبضعهم بضعا بضعا وذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون لانه لم يترك منهم بلا تكسيرا الا ذلك الصنم الكبير فعلق الفأس فى عنقه وأراق تلك الاطعمة التى كانوا وضعوها بين أيديهم وخرج من عندهم لما شفى قلبه منهم ومضى الى بيت أمه كأنه لم يعمل من ذلك شيأ (قال وهب رحمه الله تعالى) فلما فرغ القوم من عيدهم دخلوا على بيوت الاصنام لاجل ان يتبركوا بهم ويأكلوا ما يبقى من طعامهم فعاينوا ما حل بهم من تلك المصائب والآلام وما فعل بهم سيدنا ابراهيم عليه السلام فقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ونظن انه هو الذى فعل بهم هكذا فبلغ الخبر الى النمرود لعنة الله عليه فقال ائتونى به وذلك قوله تعالى قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون انه هو الذى فعل ذلك بآلهتهم فلما أن أحضروه قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وسيدنا ابراهيم عليه السلام لم يكذب بل ورى فى ثلاثة مواضع وهى مذكورة عنه فى كتاب الله تعالى وهى قوله انى سقيم أى سقيم القلب منهم لما دعاه قومه الى الفرجة الى عيدهم فأبى ذلك والثانى قوله بل فعله أى ابراهيم والوقف فى القراءة على فعله وكبيرهم كلام مبتدأ فظنوا أن كبيرهم هو الذى فعل بآلهتهم أى كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون والثالث قوله لما قال له الملك ما تكون منك هذه الجارية قال هى أختى أى فى الدين (ونرجع الى ما كنا فيه) فلما قال لهم ابراهيم هذا المقال قالوا قوله تعالى فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون لانفسكم بعبادتكم هذه الاوثان مع هذا الصنم الكبير وقد زاد عليهم مما حل بهم الويل والتعكير وذلك قوله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فبقوا من ذلك متحيرين وفى أمورهم متشاورين وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فلما ثبتت الحجة عليهم وقد خاطبهم بذلك الخطاب ورأوا أنهم قد عجزوا عن رد الجواب قالوا للنمرود احرقه فى التنور الذى لنا كما أحرق قلوبنا على آلهتنا (قال وهب رحمه الله تعالى) المعجزة العاشرة على التمام لسيدنا ابراهيم عليه السلام وذلك انه كان للنمرود لعنه الله تنور من حديد وكان اذا غضب على أحد من أهل مملكته قريبا كان أو بعيدا يأمر بأن يحمى ذلك التنور حتى يصير أحمر ويطرح فيه ذلك الرجل فيحترق ويذوب لحمه عن عظمه فلما كان ذلك اليوم ووقع ما وقع لسيدنا ابراهيم مع أولئك الملاعين أمر بذلك التنور أن يحمى ويربط سيدنا ابراهيم ويلقى فيه حتى يحترق كما احترق غيره فتقدمت اليه الاعوان وفعلوا ما أمرهم به عدو الرحمن وألقوه فيه ولم يعلموا أنه محفوظ بحفظ الملك الديان فلما ألقى فيه صار كأنه فى روضة من رياض الجنان ولم يضره من تلك النار شئ بقدرة الله

تعالى ولم يقض عليه بقضاء وصار قاعدا فى التنور كأنه قاعد فى الفضاء فقال النمرود أخرجوه حتى أنظر ما فعل به وما كان منه فانى قد عجزت عنه من سحره وتحيرت فيه وفى أمره فتقدمت اليه الاعوان وأخرجوه وهم يتعجبون من قدرة الملك الخلاق فوجدوه لم تحرق منه النار شيأ غير الوثاق وهو الحبل الذى كانوا ربطوا به يديه فلما رأى النمرود ذلك حار فى أمره وارتبك فى سره وضاقت به الحيل ولم يدر ما يفعل وجعل يتشاور مع قومه وأرباب دولته ورؤساء مملكته وقال لهم ماترون فى أمر هذا الذى أفسد علينا ملتنا وفعل ما فعل بآلهتنا وذلك قوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين وكان الذى أشار عليهم بحرقه رجلا من الاكراد يسمى هيزق فقال لهم ان أردتم ان تحرقوه وتبلغوا منه ما تريدون فاحبسوه من وقتكم هذا واجمعوا له حطبا كثيرا وأضرموا فيه النار حتى يصير جمرا فاذا صار كذلك فألقوه فيها فانه يحترق فان النار الكثيرة لا ينفذ فيها سحره (قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى) ثم ان ذلك الرجل الكردى لما قال ذلك المقال ودلهم على تلك الفعال خسف الله به وبداره الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * ثم ان النمرود امتثل ما قاله ذلك الرجل وأمر بحبس سيدنا ابراهيم وأن يحفروا له حفيرة كبيرة و يبنوا لها حائطا عاليا حولها ثم انهم أخذوا فى جمع الحطب من أصناف الخشب حتى كانت المرأة منهم تمرض أو يمرض ولدها فتقول ان عوفيت أو عوفى ولدى لأجمعن حطبا لحرق ابراهيم وكان من النساء من تنذر على نفسها أن تجمع حطبا وتجعل ذلك فى دينها احتسابا وكذلك فعل الرجال أيضا و يطلبون بذلك ثوابا ثم انهم أكثروا من الحطب حتى عجزت الخيل والجمال عن حمله فتصور لهم ابليس اللعين فى صورة رجل منهم وأمرهم أن يحملوا الحمير والبغال وكانت البغال تحمل بقبول فقيل انه قطع نسلها بسبب ذلك فحملوا الحطب حتى ملؤا الحفيرة وطلع من الجانب الآخر وصار قدر الجبل الكبير العظيم فعند ذلك أضرموا النار فى أربعة أركانها وهبت عليها الرياح المختلفة حتى التحمت النار بعضها ببعض وعلت وماجت وصار لها وهج عظيم حتى كانت الطير تمر بها من مسيرة نصف يوم فتحترق من شدة وهجها فاحتاروا فى أمر ابراهيم كيف يلقونه فى النار فبينما هم كذلك واقفون وهم فى أمورهم متحيرون اذ تصور لهم ابليس اللعين فى صفة رجل شيخ وعليه الملابس الحسنة من كل لون فاخر فصاح عليهم صيحة واحدة فشخصت أبصارهم وأطالوا النظر فيه وهو يمشى على مهل وقد أقبل عليهم بذلك الزى والملبوس فتقدم الى بين يدى النمرود لعنة الله عليه وسجد له بين يديه من دون الله تعالى وقال له أيها الاب المكين مالى أراكم فى أموركم متحيرين وأنتم فى خطب جسيم عظيم وأظن ذلك من جهة هذا الذى يسمى ابراهيم فقال له النمرود أيها الشيخ وأنت عند قولك فانا قد حرنا فى أمره وقد نفذ فينا سحره وقد عجزنا عن القائه فى هذه النار حتى يحترق ونكتفى شره والاضرار فقال لهم ابليس اللعين أنا أدلكم على شئ تبلغون به قصدكم وتوصلون به ابراهيم الى هذه النار وتنال به أيها الملك مرادك وما تختار و يحترق فيها و يصير لها وقيدا وشررا فقال له النمرود اللعين افعل ما بدا لك ودلنا على ما تريد أن تفعله من أعمالك فعندها أمر اللعين باحضار النجارين والحدادين وقال لهم أريد أن تصنعوا لى شيأ يقال له المنجنيق و يكون واثقا مكينا فقال النجارون لا نعرف ذلك ولا سمعنا به من آبائنا الاولين فقال ابليس اللعين تكون صفته كذا وكذا وصوره لهم بأمر مكين (قال وهب رحمه الله تعالى) وكان الذى أخرج المنجنيق ابليس اللعين لعنة الله عليه وهيأ لهم العمل فما مضى عليه ذلك النهار حتى اكتمل وأتوا به اليه فقام النمرود لعنة الله تعالى عليه ونصبوه بازائه وكان من الاخشاب الطوال وجعلوا له حبلا وكفة وله حبال يجذبونه بها فلما اكتمل عمله أمر باحضار سيدنا ابراهيم عليه السلام فأحضروه الى بين يديه والبارى سبحانه وتعالى مطلع عليه فقال له يا ابراهيم انى قد عزمت على القائك فى هذه النار أو تدخل فى دينى وتقر بأنى ربك فقال له سيدنا ابراهيم يا ملعون ان ربى وربك الله الذى لا اله الا هو الملك العلام الذى لا اله الا هو ولا

معبودكم سواه (ياسادة) فلما سمع النمرود ذلك الكلام من سيدنا ابراهيم امتلأ غيظا وغضبا وازداد كبرا وتمردا وأمر ان يلقى سيدنا ابراهيم فى النار فعند ذلك تقدم اليه الاعوان وكتفوا يديه ورجليه ووضعوه فى كفة المنجنيق وهو ينظر وليس له فيهم صديق وجذبوا حبالها حتى صارت فى أعلى مكان وأطلقوه فى الهواء فطلع منها ابراهيم مثل السهم حتى وقع فى النار فقال له جبريل حين رمى الى النار عند وضعه فى كفة المنجنيق هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال له جبريل فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فأمر الله جل وعلا النار أن تكون بردا وسلاما عليه وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو لم يقل وسلاما لاهلكته النار ببردها ويحكى أن النار ما أحرقت منه الا وثاقه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انما نجا ابراهيم عليه السلام بقوله حسبى الله ونعم الوكيل وكان يطل عليه النمرود من الصرح فيجد سيدنا ابراهيم فى روضة ومعه جليس من الملائكة بجانبه (ذكر الناقل لهذه القصة والخبر) بأن النار بقيت تتقد سبعة أيام وهى فى أشد ما يكون لها من الاضرام حتى انها من أربع جهاتها التهبت وفى اليوم الثامن أراد الله اخمادها فخمدت (قال وهب رحمه الله تعالى) وكان فى الليلة الثامنة قد أبصر النمرود فى منامه أن النار لم تحرق ابراهيم ولم يضره منها شئ فاستيقظ وهو مرعوب ذاهل العقل واللب وصرخ صرخة عظيمة أذهل بها كل من كان فى داره ففى ساعة الحال اجتمعوا حوله وسجدوا بين يديه جعل الله عليه وعليهم اللعنة والغضب والخزى فى الدنيا والآخرة وقالوا له ما شأنك أيها الملك فقال لهم ياقوم انى رأيت فى منامى ان النار لم تحرق ابراهيم ولا أكلت له لحما وانى ما بلغت من جمله مرادى ولا بلغت من حرقه أملى فقالوا له أيها الملك ما هذا الكلام فهذه النار العظيمة لها تتقد سبعة أيام ويقع فيها انسان ولم يحترق ما نظن هذه الا أضغاث أحلام فقال لهم النمرود عليه وعليهم اللعنة من الملك المعبود انى غدا أفتح باب الوادى الذى كانت فيه النار وأدخل بذاتى اليه وأنظر الى ابراهيم وما جرى عليه فان كانت النار قد أحرقته فيكون أضغاث أحلام وان كان حيا فأنا أكون صادقا فى المنام ثم ان النمرود أمر أن ينادى فى البلد أن لا يبقى فى البلد أحد الا ويخرج الى ظاهرها حتى انهم ينظرون الى النار وما عملت بابراهيم رسول الملك الجبار ففعلوا ما أمرهم به وتهيؤا للخروج عند الصباح كأنهم يأجوج ومأجوج فلما أصبح الله تعالى بالصباح خرج النمرود لعنه الله ومعه جميع أرباب دولته ورؤساء مملكته ولم يبق أحد فى البلد الا وخرج حتى يتفرج على ابراهيم وما فعلت معه النار (قال وكان ممن خرج مع النمرود أبوه آزر وأمه كى ينظرا ما جرى على ولدهما وكان أعظم الناس حسرة لذلك أم ابراهيم فساروا حتى وصلوا الى الوادى فنزل النمرود لعنه الله تعالى وأتى الى باب الشعب وأمر بفتحه ودخل اليه وقد كان بعهده نارا تتأجج فوجد فى وسطه نهرا جاريا ومواهه تتلجلج والخضرة فيه على ألوان مختلفة أنوارها تتفلج وفيه زهر أول ما بدا يتبهج وابراهيم عليه السلام قد صف أقدامه وهو واقف يصلى ويداه مبسوطتان نحو السماء وأن النار لم تحرق من سيدنا ابراهيم غير الحبل الذى كان فى يديه ورجليه (قال وهب) فتقدم النمرود عليه لعنة الملك المعبود الى سيدنا ابراهيم عليه السلام وقال له يا ابراهيم من رد عنك هذه النار فقال له ويلك يا ملعون أخزاك الله ردها عنى الملك الجبار الواحد الاحد التواب الذى اذا سئل أعطى واذا دعى أجاب فلما سمع النمرود منه ذلك الخطاب امتلأ غيظا وارتبك وقد عاد ذلك الوادى أشجارا مثمرة وغير مثمرة كما كانت قبل قطعها وزيادة فحار النمرود فى أمره وارتبك فى سره وخاف أن تتغير عليه قلوب رعيته وينفروا عن عبادته لما نظروا ما وقع من ابراهيم ومعجزته (قال وهب بن منبه) وظهر ابراهيم عليه السلام من ذلك الوادى وأعين العالم ناظرة اليه وقد وقع فى قلوبهم الزيغ والرعب من تلك الهيبة التى نزلت عليه وما زال ابراهيم يشق بين الخلائق حتى جلس بجنب أمه وقد رفع الله عنه الهم والغم واذا بجارية مليحة

القوام حلوة الابتسام قد أقبلت تشق بين ذلك العالم وهى كأنها قضيب بان أو قضيب من الخيزران حتى انها جلست بجانب ابراهيم ووجهها كأنه قمر فى ليلة أربعة عشر فقالت لها أم ابراهيم ماذا تريدين قالت لها انى كفرت بالنمرود وآمنت برب ابراهيم الذى لا اله الا هو الملك المعبود الذى نجى ابراهيم من هذه النار ونصره على هؤلاء القوم الفجار (قال المصنف لهذه الاخبار) وكانت تلك الجارية التى تكلمت مع أم ابراهيم هى سارة رضى الله تعالى عنها ثم بعد ذلك أقبل النمرود حتى وقف على ابراهيم وقد ضاعت قوته وتحيرت فكرته وصار لا يدرى ما يفعل به وقال لابراهيم ما أعجب سحرك الذى أردت به هذه النار العظيمة فقال ابراهيم ابردها الله الذى لا اله الا هو وهو على كل شئ قدير وجعلها على بردا وسلاما وألبسنى ثوب العز والبهاء فقال له النمرود انى رأيت عن يمينك رجلا فقال ابراهيم كان ذلك ملكا جاءنى من ربى يبشرنى أنه اتخذنى خليلا وانه عن قريب منزل بك أمرا وبيلا فاغتاظ لذلك النمرود غيظا عظيما وبدا له أن يعذب ابراهيم بغير ذلك عذابا أليما فعلم الله تعالى ما فى نيته فجازاه على قبيح فعله وأمر الله تعالى الريح أن تنسف تلك الرمال فى وجوه أولئك العوالم فلم يبق أحد الا وهرب طالبا البلد مما حل به من التعب والنكد وقد عميت أعينهم مما حل بهم وزاد الامر عليهم حتى كان الرجلان يصطدمان فلا ينظر بعضهما بعضا وقد داستهم الخيل والدواب فمات منهم خلق كثير مما حل بهم من الويل وما صدق النمرود أن يدخل الى البلد سالما وهو على ما به وبقومه نادما فبينما هو مستقر فى مملكته وقد أحاط به من بقى من أرباب دولته اذ أتى سيدنا ابراهيم اليه ومن غير استئذان دخل عليه وقال له يا ملعون يا كافر يا مفتون أرأيت ما فعل بك ربى وبقومك واذا لم تؤمن بالله فهو يهلكك وقد نجانى الله من كيدك فقال النمرود الكافر المجحود عليه اللعنة والخزى من الملك المعبود اذا كان ذلك كلا ملك والهك يساعدك على فأنا أصعد اليه وأقتله كذب الملعون الكافر المفتون فانه يمهله ولا يهمله وقال الملعون حتى أنظر بعده من ينصرك (قال وهب) فخطر للنمرود لعنه الله تعالى له خاطر فى سره وكان ذلك سببا لهلاكه ودماره وذلك انه أمر أن يصنع له تابوت من خشب وأكده بمسامير من حديد وجعل له بابين بابا الى ناحية السماء وبابا الى ناحية الارض فلما فرغ منه النجارون أمر بأربع نسور عظام شداد جوعت ثلاثة أيام ثم انه اتخذ أربع رماح فسمرها فى أربع أركان التابوت وجعل على رأس كل رمح قطعة من اللحم ثم أمر بالنسور فشدت أرجلها فى أركان التابوت فى أسفل الرماح وفرش التابوت وقعد هو ووزيره معه داخل التابوت وأخذا معهما ما يأكلان وما يشربان وأخذا معهما قوسا وكنانة ملآنة من النبل ثم انه أطلق النسور فرفعت رؤسها فرأت اللحم مع ما أضرها من الجوع الذى لحقها فطارت تقصد اللحم وكلما ارتفعت ارتفع اللحم فوقها فلم يزالوا على ذلك ساعة من الزمان فقال النمرود لوزيره افتح الباب الذى يلى الارض وانظر كيف هى ففتح الوزير الباب ونظر فاذا هى كالقرية ثم قال له افتح الباب الذى يلى السماء ففتحه فقال له كيف تراها فقال له أراها كما كنت فى الارض فقال اطبق الباب ففعل فارتفعت النسور الى مقدار نصف يوم ثم أمره بفتح البابين ثانيا وقال له كيف تراها قال كما كانت ونحن فى الارض فقال أغلق الباب وارتفعت النسور ما شاء الله تعالى ثم انه أمر الوزير أن يفتح الباب الذى يلى الارض وقال له كيف تراها فقال له الوزير انى لم أر شيأ الا كغمام من دخان فأمره أن يغلق الباب ففعل ذلك وصعدت النسور ثالثا ما شاء الله تعالى ثم انها ضعفت قوتها وعجز طيرانها وأيقنا وقوعهما بالتابوت وقيل انه سمع تسبيح الملائكة فى السماء وسمع قائلا يقول الى أين تصعد يا نمرود يا كافر يا جحود فقال له النمرود فمن أنت الذى تخاطبنى بهذا الخطاب فقال له أنا ملك من ملائكة العذاب أتيت اليك حتى أنظر ما تصنع ومهما الاذن انك من ههنا تقع فقال النمرود انى صاعد الى الهك حتى أحاربه فقال له الملك يا ملعون يا كافر يا مفتون أتدرى كم بينك وبين سماء الدنيا قال لا قال فان بينك

وبينها

و بينها خمسمائة عام وهن سبع سموات عمام وبين كل سماء والتى تليها خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك
وبعد ذلك حجب لا يعلمها الا الله تعالى فلما سمع الوزر ذلك القول خر فى التابوت ميتا فرماه النمرود وبقى فى
التابوت منفردا ثم انه من تجبره وشدة كفره أخذ القوس ووضع فيه سهما ورماه فى الهواء فأمر الله تعالى
ملكا من ملائكة الغضب أن يلقمه دما ويرده اليه استدراجا له لقوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وأمر الله تعالى ذلك الملك أن يضرب التابوت بخافقة من جناحه فضربه فانقلب ولا زال يهوى حتى وقع
فى البحر ثم ان الله تعالى أمر الامواج أن تقذفه الى الساحل فقذفته فخرج من التابوت وقف قائما وقد
ابيضت رأسه وذقنه وسار الى مدينة من مدائنه وكان ليلا فلما أصبح عليه الصباح ورآه الناس دخل عليه
النواب فلم يعرفوه الا من كلامه ثم انهم سجدوا له وقالوا له ما الذى أتى بك الى هذه البلاد وأتيت بلا عسكر ولا
أجناد ولو كنت أرسلت الينا وأعلمتنا أنك قادم علينا كنا طلعنا اليك وتلقيناك على بعد من الديار كما
تحب وتختار فقال النمرود أنا كما شئت ان شئت أتيت وحدى وان شئت أتيت بعساكرى وجندى ثم انه
ركب وسار الى أن وصل الى مدينة كوثربا وهى دار عزه ومحل مملكته فدخل اليها ليلا حتى لا يعلم أحد بحاله
لانه فى حال التعس والنحس والذل مما جرى له فلما كان عند الصباح وقد علمت به أهل مملكته وأرباب
دولته دخلوا عليه وحضروا بين يديه فأنكره حجابه وأهل دولته لبياض ذقنه وتغير حالته فلما تكلم عرفوه
بكلامه وقد تعجبوا مما حل به من ذله وارغامه فسجدوا له وسلموا عليه وبلغ ذلك الى سيدنا ابراهيم فأتى اليه
وقال له كيف رأيت قدرة ربى وفعله فيك يا ملعون يا كافر يا مفتون فقال له النمرود وقد أخفى ما به من
الكمد وأظهر الكفر والتجبر والجلد انى قتلت ربك كذب الملعون الكافر المفتون فقال ابراهيم كذبت
يا ئيم ان ربى قوى شديد وانك لا تقدر عليه وليس لك وصول اليه وانما هو يمهلك ولا يهملك ولو شاء من
ساعته قتلك وانما غرك الشيطان حتى يحل بك الهلاك والخسران وها أنا عبد من عبيده وهو يتصرف فى
وفيك و يفعل ما يريده فهل لك يا ملعون أن تحاربنى فقال له النمرود يا ابن آزر انك فى الحرب لا تقاومنى
فقال له ابراهيم انى متوكل على ربى وانه ينصرنى عليك و يفرج عنى كربى فقال له النمرود يكون الملتقى
بينى وبينك ظاهر البلد ثم تجهز وخرج فى عالم لا يحصى لهم عدد وخرج ابراهيم فى نفر قليل من المؤمنين وقد
ضجوا بالتكبير والتهليل لرب العالمين (قال وهب) فأمر الله الملك الموكل بالبعوض أن يرسل عليهم منه قدر
ما شاء الله تعالى فأرسل عليهم منه ملء الارض وسد فجاجها طولا وعرضا واجتمعوا على جيوش النمرود
حتى صاروا فوق رؤسهم كأنهم الدخان المعقود وفيهن كبار وصغار وفيهن من لها فى فمها منقار وقيل ان
الواحدة كانت قدر طير الحمام فجعلوا يلدغونهم والخلق يضرب بعضهم بعضا حتى مات منهم خلق كثير
وانهزم الباقون الى البحر وجعلوا يرمون أرواحهم فيه فغرق منهم ما لا يحصى لهم عدد ومنهم من ذهب الى
الدور والقصور وأطلقوا عليهم الدخان وكان ذلك مما أطلقوه من النيران فلم يغن عنهم ذلك شيأ مما حل
بهم من الذل والهوان وهلك ذلك الجمع كله ولم يبق منهم الا نفر قليل وكل ذلك بقدرة الملك الجليل والنمرود
يرى ذلك كله فلم يزدد الا كفرا وطغيانا وذلك فضلا وحلما وكرما وعفوا من الملك المتعالى الرحيم الرحمن ثم
انه خاف على نفسه وعاد هاربا حتى وصل الى قصره ودخل اليه وغلق الابواب وأرخى الستور وظن أنه
نجا ولم يعلم أن الله غيور ونام على قفاه وجعل يتفكر فى ذلك الامر الذى فجأه واذا ببعوضة قصرها الله اليه
لانقضاء أجله فتخللت الستور والابواب حتى قعدت على جبهته ولدغته حتى كادت أن تخرج مقلتيه
فسكها بيده وهم أن يقتلها ولم يعلم بأن الله تعالى الى قتله أرسلها فطارت وقعدت على شفتيه فأراد أن
يمسكها فدخلت فى احد منخريه وصعدت الى رأسه فاشتغل عن أهله وناسه ومشت فى مخه وصارت
تخمش فيه حتى أحرمته لذيذ النوم ومكثت فى رأسه على ذلك الحال أربعين يوما فصار لا يأكل ولا يشرب ولا

ينام ودام على ذلك الحال مدة ليال وأيام وصار يضرب برأسه الارض وكان أعلى الناس عنده منزلة من يخلع من رجله المداس ويدق به على أم ناصيته والراس ودام على تلك الحال حتى سمعها تقول هذا جزاء من يتجبر و يتكبر على الملك العلام المتعال ثم انهم بعد ذلك اصطنعوا له دقماقا من خشب وصاروا اذا شدت عليه يضربونه به على نافوخه فلم يزل على ذلك حتى رق جلده وانفتحت رأسه ومات وعجل الله بروحه الى النار و بئس القرار ودفنوه فى قرية من قرى الشام يقال لها كفرحور بالقرب من طبريه لعنه رب البريه وأرسل الله على أهل مدينة كوثريا الزلازل والامطار حتى هلك أهلها جميعا وعجل الله لهم الدمار ولم يبق من أهلها الا الذى آمن بسيدنا ابراهيم عليه السلام وكان ذلك توفيقا من الله السميع العليم وكان من جملة من آمن به كما قدمنا فى الديوان السيدة سارة ابنة ماهان وقالت له انى أحب أن أتزوج بك فقال لها سيدنا ابراهيم عليه السلام انى لا أجد ما أمهرك به فقالت له يكون مهرى عليك انك لا تخالفنى فى ما آمرك به فأوحى الله تعالى اليه ان افعل ما تقوله لك وما تأمرك به فانى قد رضيتها لك (قال وهب) ثم ان ابراهيم ومن آمن به لما جرى على أهل كوثريا ما جرى وهلكت أهل مدينة كوثريا ومن حولها من القرى ولم يبق لهم فى تلك الارض مقام خرج بهم منها وطلبوا ناحية الشام حتى وصلوا الى بلد يقال لها حوران فدخلوا اليها وأقاموا فى ذلك المكان ومكث فيه قوم ابراهيم المؤمنون وتوالدوا وتناسلوا حتى مضى عليهم حين من الدهر والسنين (قال وهب) وكان سيدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه قد تركهم وسار من تلك البلد الى بلد غيرها وهو متوكل على الفرد الصمد فلم يلحقه من تلك العوالم الا السيدة سارة وكانت كما قدمنا آمنت به فلما سار من تلك البلد لحقته طائعة مختارة فقال لها سيدنا ابراهيم ما حالك أيتها المرأة فقالت له ياسيدى لم يبق لى عنك صبر فان شئت أن تجفونى وان شئت أن تقبلنى فانى بعد ربك قد اتكلت عليك وقد سلمت أمرى اليك وانى أريد منك بحق الله أن تأخذنى لك زوجة ولا تدعنى من اليوم فريدة وحيدة فقال لها ابراهيم وقد تغيرت منه الاحوال اذا كان كذلك فاسترى وجهك فانى منتظر من ربى ما يريد فانى فى هذا اليوم وحيد فريد فقالت له انى أشهد الله وملائكته أنى زوجتك نفسى عن طيب ورضا فقال لها ابراهيم وانى انا الآخر كذلك اشهد ربى وملائكته أنى رضيت بهذا الامر و بهذا الزواج وانك من اليوم تكونى زوجتى ثم انهما توافقا وتصالحا وتعاقدا على ذلك وعقدوا عقدة النكاح وقدمنا ان الله تعالى اعطى سارة حسنا وجمالا زائدا وقد امره بطاعتها فلما تعاقدا على النكاح جعل يده فى يدها وسارا فى ذلك البر حتى وصلا الى بلد يقال لها مصر وكان ملك هذا البلد رجلا جبارا يعبد الاصنام من دون الملك الجبار وهو مغرم بالنكاح وهو مصر على الفساد ولما وصل سيدنا ابراهيم الى باب البلد وهو متوكل على الفرد الصمد وأراد الدخول اليها فرآه الموكلون وكان وضعهم الملك لمثل هذه الامور فأوصلوهما الى بين يديه لانهم استغربوه ولما رآهما رنظر الى وجه سارة وهو كأنه القمر المنير لحقه الخبال وقال لسيدنا ابراهيم ما تكون منك هذه الجارية ياغلام فقال انها أختى وقد عنى بذلك أنها اخته فى الاسلام فقال الملك هل لك ان تزوجنى اياها فقال هى وشأنها اخبر فقال الملك انا رضيت بها طائعة أو كارهة وأمر الخدام ان يدخلوا بسارة الى داخل القصر وأخرج سيدنا ابراهيم من بين يديه وتام من وقته وساعته ودخل عليها ومد يده اليها يتحرش بها لينال منها غرضه فتزلزل القصر واضطربت جوانبه وأخذته الارض وشلت يده فلم يصل اليها فاستغاث بها وقال أما ترين ما حل بى فقالت هذا جزاؤك لانك أغضبت خليل الله على اهله فقال لها تبت وندمت على ما فعلت فاسأليه أن يدعو لى بالفرج عنى فسألته السيدة سارة فدعا سيدنا ابراهيم عليه السلام ربه الفرج عنه فأوحى اليه أنه لا يطلق مما حل به الا بتسليم ما عملك لك يا ابراهيم فأخبره سيدنا ابراهيم عليه السلام فأجاب بالسمع والطاعة فأمر بتسليم جميع ما علكه الى سيدنا ابراهيم عليه السلام فردت عليه يده

وقذفته

وقذفته الارض ثم ان الخليل رد عليه جميع ما أخذ منه (قال الراوى) وكان لهذا الملك جارية قبطية تسمى هاجر ذات جمال ودلال وقد واعتدال وافرة العقل وبيدها خزائن ذلك الملك لحسن أمانتها فوهبها للسيدة سارة وقال لا تصلح هذه خادمة الا لهذه السيدة سارة والسيدة سارة وهبتها السيدنا الخليل ابراهيم عليه السلام فأتت له بسيدنا اسماعيل عليه السلام جد النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت الغيرة على السيدة سارة فقالت لسيدنا ابراهيم عليه السلام انى لا أحب أن تكون معى هاجر فى هذه الدار فخولها عنى حيث شئت فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه بأن يحولها الى البيت العتيق وجيء له بالبراق فحمل هاجر وسيدنا اسماعيل عليه السلام ووضعهما بجنب البيت وكان دارسا ولا ماء هنالك ولا زمزم لان الله تعالى لما تعلقت ارادته باهلاك قوم نوح بالطوفان أمر الملائكة فأغرقهم به ورفع البيت المعمور الى السماء ومكثت الارض هكذا سنين وأعواما الى أن بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا ابراهيم عليه السلام وأمره بعمارة البيت الحرام ورفع قواعده ويرزق الله سبحانه وتعالى أهله من جميع الثمرات ويجعل فيه القناعة والبركات وقد حصل كل ذلك ببركة دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام ثم ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما وضع السيدة هاجر عند البيت كما تقدم وأراد الانصراف الى الشام قالت له السيدة هاجر رضى الله تعالى عنها على من تتركنا ياخليل الله قال سيدنا ابراهيم على ربى سبحانه وتعالى وهذا ما أمرنى به ربى وقد اختار هذا المكان لك منزلا فامتثلى ما أمرت به فقالت رضيت بما ما أمرك به ربى حسبى الله وعليه توكلت ورجعت لولدها سيدنا اسماعيل عليه السلام فعند الانصراف التفت الى ناحية هاجر وولدها وأخذته الشفقة والحنية حيث لم يترك لهما شيأ من القوت والماء يكفيهما ولا ترك لهما أنيسا ولا جليسا وقال رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم الى آخر الآية كما قال سبحانه وتعالى ذلك اخبارا عنه لنبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (قال الراوى) ثم انطلق سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام منصرفا الى الشام ووكل أمر هاجر وولدها اسماعيل عليه السلام لله سبحانه وتعالى فهذا ما كان من سيدنا ابراهيم عليه السلام (وأما ما كان) من السيدة هاجر رضوان الله سبحانه وتعالى عليها حين انصرف سيدنا ابراهيم عليه السلام من عندها الى جهة الشام فانها رجعت لولدها سيدنا اسماعيل عليه السلام وقد طلعت الشمس واشتد الحر وهى غير معتادة عليه فتحيرت فى أمرها ولم تدر ما تفعل فشكت حالها الى عالم سرها ونجواها وقالت ربى دلنى كيف أفعل فعمدت الى عباءة عندها فضربتها على أصل شجرة هنالك وجعلتها وقاية تقيها حر الشمس عنها وعن ولدها وصارت عند اشتداد الحر تمكث تحتها وكان عندها قليل من الماء وقليل من الزاد فشربا الماء وأكلا الزاد ولم يبق عندهما شئ من الماء والزاد واشتد بهما العطش حتى كاد أن يهلكا من العطش فطلعت من الظلة ومشت الى جهة الصفا تطلب الماء بعلامة من طيور أو خضرة فلم تجد ثم مشت الى جهة المروة كذلك وكان بينهما واد غير تصله تهرول فيه مسرعة خوفا على ولدها فصارت الهرولة سنة بعدها الى قيام الساعة (قال الراوى) فبينما هى كذلك وهى تذهب يمينا وشمالا لتطلب الماء واذا بها تسمع بنادى ياهاجر أقبلى لجهة ولدك فرجعت لولدها فوجدت عين ماء جارية تحت أقدام سيدنا اسماعيل عليه السلام فخوفا على ضياع الماء صارت تجمع حوله التراب والحصا من كل جانب وتقول له زم زم يامبارك فبقدرة الله سبحانه وتعالى وقف ولم يسل وكان السبب فى ذلك ان الله سبحانه وتعالى أمر سيدنا جبريل أن يفتح لهم هذه العين فضرب بريشة من جناحه هذا المحل المعهود فخرجت عين زمزم اكراما لسيدنا اسماعيل عليه السلام وجعل الله تعالى ماءها أفضل من ماء الكوثر فشربت وارتفع ظمؤها وباتت مطمئنة ولولا انها حوطت عليه التراب والاحجار والحصا لكان نهرا جاريا فى تلك البقعة الشريفة كما أخبر بذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفى اليوم الثانى مر بها أقوام من اليمن من بنى جرهم كان قصدهم التوجه الى الشام فرأوا الطير حائمة وقائمة

ونازلة فى ذلك الوادى فاستدلوا بأن الطير لا تحوم ولا تقوم ولا تنزل الا على الماء أو الجيف فأرسلوا منهم
واحدا ليكشف الخبر فغاب وحضر وأخبرهم بما عاين ونظر فتوجهوا اليه مسرعين ورأوا الماء المعين
ووجدوا السيدة هاجر وولدها فى حجرها فقالوا لها من أين لك هذا الماء ونحن لا نعهد أن هنا ماء فقالت لهم
هذا حق هذا الولد الصغير أخرجه له بقدرته العلى القدير فقالوا لها أتأذنى لنا بالورود منه والاستعمال
ونحن نمدك ونعينك بما تبغى من الاموال فقالت لهم حبا وكرامة فأعطوها زادا وأغناما ورجعوا الى أهلهم
وأحضروهم وسكنوا فى ذلك الوادى وصارت الناس تتوارد عليها كل يوم قوم بعد قوم وكل ذلك ببركة دعاء
سيدنا ابراهيم عليه السلام وكثرت قبائل العرب فى ذلك الوادى وحصل للسيدة هاجر الانس والعز والتعظيم
فانظر فى العواقب يا من طالت فكرته وانظر الى ألطاف البارى جلت عظمته وانظر الى أحكامه
النافذة فى خليقته واعلم أنه على ما يشاء قدير ونشأ سيدنا اسماعيل بينهم على أحسن حال الى أن بلغ مبلغ
الرجال وكثر ماله وصلح حاله وصار له رجال ورحال ومواشى وأغنام وأموال وأحب ركوب الخيل وصار
يتفنن على ظهرها النهار والليل حتى حاز من الفروسية أكملها وأعطاه الله تعالى من الجمال والبهاء
والفضائل أعظمها وكان يميل الى الصيد والقنص وكان له خواص وجلساء ونور نبينا عليه وعليه
الصلاة والسلام يلمع فى جبهته الحسناء فلما تم له الحال ضرب له مضربا للضيفان وصارت الناس تهرع
اليه من كل مكان وكل ذلك ببركة دعاء سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه من الله سبحانه أفضل الصلاة
والسلام هذا ما كان من أمر السيدة هاجر وسيدنا اسماعيل عليه السلام (وأما ما كان) من أمر سيدنا
ابراهيم فانه اشتاق الى ولده اسماعيل فأخبرا السيدة سارة بذلك فقالت له بشرط انك لا تنزل عن دابتك
وتعود راجعا فرضى بذلك وتوجه على البراق طالبا الحرم المعظم الى أن وصل اليه فرأى شيأ قرت به عينه
لانه تركهم على حالة الانفراد وما عندهم ما يكفيهم من الماء والزاد فوجد عندهم الخيرات ومن الرجال
والنساء أعداد فسبحان من له هذا المراد وهو رب العباد واقتحم البيوت وهو يسأل عن بيت اسماعيل
فقالوا له عليك بهذا البيت الرفيع العماد الذى ليس له بين البيوت مثيل فحمد الله سبحانه وتعالى على
ما خوله ولده وأهله من الخير الجليل حتى وقف على باب الخباء ونادى يا أهل المنزل الرفيع البناء فخرجت
اليه امرأة غير مكترثة به وما قالت له من أين أنت ولا لمن تريد لا رحبت به بل كلمته بكلام فظ غليظ لا يليق به
فقال لها أين صاحب المنزل قالت غائب فى الصيد قال ربنا يبارك فيه فاذا أتى فقولى له غير عتبة بابك
داركى وانطلق راجعا الى الشام ثم ان سيدنا اسماعيل حضر من الصيد فأخبرته الخبر فقال لها الحقى بأهلك
على الاثر ثم بعد برهة من الايام تزوج بامرأة غيرها من بنى جرهم ذات عقل وكمال وجمال وقد معطر (قال
الراوى) ثم ان الخليل اشتاق لزيارة سيدنا اسماعيل عليه السلام فأخبر سارة بذلك وركب البراق وتوجه
نحو الحرم الى من له حبيب وهو اليه مشتاق وشرطت عليه عدم النزول ورضى منها ذلك بالقبول حتى
وصل الى الحرم ووقف على باب الخباء ونادى يا أهل هذا المنزل الرفيع الشان فخرجت اليه الزوجة
الثانية وهى مسرعة وقد شمت فيه رائحة الاحباب وقالت فى نفسها ان هذا الشيخ لا شبه الناس بسيدى
اسماعيل وفرحت به فرحا زائدا وقالت له انك ضيف عزيز وقبلت يده وقالت له ألا تنزل عندنا لتحل
بركتك علينا ويكون قد حضر سيدى اسماعيل صاحب هذا الخباء الجليل فقال لا أقدر على النزول
لما هو على موكول لكن ان كان عندك شئ من الزاد فقدميه كى أدعو لكم بالبركة فيه فأحضرت له
قعبا من اللبن وقطعا من اللحم فدعا لهم فيهما بالبركة فمن بركة دعائه وقد نقل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال والذى نفس محمد بيده لو وجدت تلك المرأة شيأ من البر ودعا لها فيه خليل الرحمن
بالبركة لكان فى أرض تهامة أكثر من غيره ببركة دعاء ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قالت له يا سيدى

هل

هل يمكن أن أسرح لك ذوائبك فانى أرى شعرك قد شعث من أثر السفر قال لها ألم أقل لك بأنه لا يمكننى
النزول فلما سمعت منه المرأة أنه لا يمكنه النزول أتت بصخرة الى جانب مركوبه حتى بقيت محاذية لسيدنا
ابراهيم وكانت قد أتت بشئ من الزبد ودهنت به رأسه وأصلحت له شعره وأسبلت له ذوائبه وأزالت
ما كان عليه من الغبار وأراد الانصراف فقالت له ياسيدى لم لا تصبر حتى يأتى سيدى اسماعيل وتنظره
وينظرك فقال خليل الرحمن اذا أراد الله أمرا كان ولكن اذا أتاك صاحب بيتك فقولى له أتاك حبيب
من الاحباب وهو يقرئك السلام ويقول لك احفظ عتبة باب دارك ولا تغيرها ثم انصرف عنها راجعا
بعد أن قبلت يده ونالت له ياسيدى لا تنسنا من دعائك (قال الراوى) وبعد قليل أقبل سيدنا اسماعيل
واقتحم البيوت داخلا فقال انى أشم رائحة الحبيب ولما جلس قال لزوجته هل طرق ديارنا طارق قالت نعم
ياسيدى أتى الينا شيخ مليح الشيبة كثير الهيبة بهى الصورة والمنظر للخير عليه علائم ودلائل وأردنا
ضيافته حتى تشملنا بركته فقال لا يمكننى النزول وقال بانى اسماعيل عنى السلام وسوف يعود بعد
قليل من الايام فقال لها ما قال لك من الكلام قالت انه يقول اذا أتى اسماعيل فقولى له يحفظ عتبة باب
داره ولا يغيرها فانها مباركة (قال وهب بن منبه) وبعد أيام اشتاق سيدنا ابراهيم الى رؤية ولدها اسماعيل
لانه فى المرتين ما رآه وأراد الاقامة عنده والسكنى بالوادى المحرم وكان ذلك باذن العلى الاعلى فأذنت له
سارة فى ذلك فركب على ظهر البراق وسار طالبا الى بلده اسماعيل ولما وصل الى الوادى المحرم اقتحم
البيوت داخلا فوجد ولده اسماعيل جالسا فقام اليه ساعيا ولما وقعت أعينهم على بعضهم البعض صار
اسماعيل يقبل يديه واعتنقه أبوه ولما استقر بهم القرار قال اسماعيل لابيه ياخليل الرحمن لاى شئ
وضعتنى أنا ووالدتى فى هذا المكان الذى لا به أنيس ولا جيران فقال يابنى انى ما فعلت ذلك الا باذن
العزيز الرحمن الكريم الباقى على الدوام ثم ان سيدنا اسماعيل أحسن ضيافة والده ومضى عليه مدة
يسيرة فبينما هو فى ليلة من الليالى اذ رأى فى المنام كأنه أمر بذبح ولده اسماعيل وكان ذلك بأمر الملك
الجليل فانتبه من منامه الخليل وهو مذعور فاستدعى بولده اسماعيل فأتى اليه وهو فرح مسرور لانه
لا يعلم ماذا عليه قادم فقال له يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فقال له اسماعيل اقصص على ما رأيت ولا تخش من ملام فعند ذلك
أبدى الخليل يقول وذلك قوله تعالى فى محكم الكتاب المبين يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى
قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فقاما وقد أسلما أمرهما لله رب العالمين وأخذ
سيدنا ابراهيم مدية وحبلا طويلا وخرجا الى الصحراء من غير قال ولا قيل وسار ابراهيم ومن خلفه اسماعيل
واذ قد تعرض لاسماعيل الشيطان الرجيم وقال له من أجل أضغاث أحلام أبوك يقتلك وتشرب كأس
الانتقام فقال له تنح من وجهى ياذليل ياشيطان فان خليل الرحمن لا يفعل الا ما يأمره به الملك العلام
وصار يرجمه بالاحجار فصارت سنة رمى الجمار وولى الشيطان ذاهبا ولم يكن الخليل بذلك عالما فلما أبعد عن
الحمى اضطجع اسماعيل وقال يا أبت افعل ما تؤمر يا أبت اشدد وثاقى ولا تكن لى راحما ففعل ابراهيم ذلك
ولم يأخذ فى ذلك تهاونا فضجت ملائكة الارض والسماء من ذلك ثم وضع المدية على عنقه فانقلبت كأنها
لشبابه قد رحمت فقال اسماعيل يا أبت ان كانت انقلبت فاضغ بها اضغا فعند ذلك تجلى الملك الجليل
وهو مطلع على ما قال اسماعيل وما عمل الخليل وضجت ملائكة السماء والارض واذا بالنداء من
العلى الاعلى يا ملائكتى تأدبوا فانى أعلم بما مضى وما هو آت وان ابراهيم واسماعيل من جملة عبيدى
وانى متصرف فيهم وفيكم بما أريد اهبط يا جبريل الى الجنة واحرج لهما الكبش الذى ادخرته لهما قبل
أن أخلقهما بكذا وكذا ألف عام فهبط جبريل كما أمره الملك الجليل وذلك قوله تعالى ونادينا أن

يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم قال ابن عباس وكان من جملة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين ولا فخر ثم ان الله تعالى الملك العلام أمر سيدنا ابراهيم بعمارة البيت الحرام وذلك قوله تعالى وهو أعزم من قال ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فعند ذلك انتدب ابراهيم الى ما أمره به ربه وشرع فى عمارة البيت وأعانه الله تعالى فلما أكمل بناءه دعا الله تعالى وقبل الله دعاءه وأمره بالنداء فى الناس بالحج فقال ابراهيم يارب ان ندائى لا يبلغ الى جميع الناس فأوحى الله تعالى اليه أن يا ابراهيم عليك النداء وعلينا البلاغ وذلك قوله تعالى وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (قالت الرواة) ولما انتهت تلك الاحوال واستقامت لسيدنا اسمعيل الاحوال وعاد خليل الرحمن الى بلاد الشام وكان ذلك بأمر الملك العلام ورزق سيدنا اسمعيل الاولاد ودانت له تلك الاودية والوهاد وكان من جملة أولاد سيدنا اسمعيل قيدار وجرى له ما جرى فى التابوت والسكينة مع يعقوب بن اسحق وهو ابن عمه ولما تزوج قيدار رزق الاولاد وتناسلوا وتوالدوا الى زمان معد بن عدنان فرزق عدنان بمعد ومعد رزق ولدا فسماه نزار ورزق نزار أربعة أولاد فكان منهم اياد ربيعة ومضر وانمار وكان نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه (أى نزار) ولما آن أوان وفاة والدهم أحضر أولاده بين يديه وقال لهم يا أولادى أنتم اليوم سادات العرب ما بعد منها وما قرب وانى قد قسمت بينكم تركتى وما خلفته من نعمتى حتى لا تتخاصموا من بعد موتى فاذا أنا قضيت نحبى ولحقت بربى وقضيتم عزائى بعد وفاتى فقد كتبت لكم رقعة تتضمن أموالى وخصصت كل واحد منكم بما يليق له فاذا اطلعتم عليها فليأخذ كل منكم ما خصصته له ولا تتخاصموا ولا تتلاجوا وان كان لا يرضيكم ما قسمته بينكم فعليكم بالملك الاقيى ابن الجرهمى فامضوا اليه فانه يحكم بينكم ومهما يأمركم به فافعلوه ثم بعد ذلك قضى نحبه ولحق بربه فواروه فى التراب وعملوا عزاءه وتاموا بواجب حقه وأحضروا الرقعة حتى يعملوا بما فيها وينظروا معانيها واذا مكتوب فيها أما الخيل الدهم الملاح والسيوف والرماح وآلة الحرب والكفاح فهى لولدى اياد وأما الغنم والجمال والابقار فهى لولدى أنمار وأما الخيل الشقر والقباب الحمر فهى لولدى ربيعة وأما النعم والعبيد والاماء فهم معدودات لولدى مضر (قال صاحب العبارات) فلما قرؤا تلك الرقعة قالوا ما هذه التقسيمات لا نرضى بهذه العبارة فوقعت بينهم مشايخ القبيلة وحكموا بينهم وقالوا لهم ان كان لا يرضيكم ما فعله أبوكم فامضوا الى الملك الاقيى يحكم بينكم كما قال أبوكم فرضوا بذلك وتوجهوا اليه فبينما هم سائرون فى طريقهم وهم يتذاكرون فيما يريدون أن يقولوه قدام الملك الاقيى فجاءت طريقهم على واد يقال له وادى السمعمع فى جنباته يرتع وارضه واسعة فياحة سياحة قد فرشت ارضه بالزعفران والزهر والاقحوان وترغت على اشجاره البلابل والورشان وناحت عن اغصانه الحمائم فهيجت قلوب المحزونات وصاح القمارى على نضير الاغصان وزعق الكروان ونصياحه يهيم الغريب الى الاوطان وصرخت ام حسان وفاحت روائح ازهاره وطاب نسيمه لزواره والارض قد فرشت بالسندس الاخضر وبسطت بالعنبر والعبقرى الاصفر فتبارك الله الملك الخالق الذى تكفل بأرزاق الخلائق الذى انشأ اشجاره الباسقه واوراق اشجاره المتعانقه وقد أينعت اثماره واشرقت انواره واحمر جلناره وباحت من زهره اسراره فهو كما أشار الشاعر حيث يقول ونحن وانتم نصلى على سيدنا محمد النبى الرسول

الظل ممدود السرادق * والطل مفروش النمارق * قد غنت الاطيار فى
جنباته كل الطرائق * ما بين قمرى يصيح بحسن انواع الحقائق

وبلابل

وبلابل قد بلبلت * وبلهنها قد هام عاشق * والاقحوان وعرفه
بين النواسي والمخانق * وعرائس الاطيار تجلى باندیم على الخلائق

(قال الراوي) فبينما أولاد نزار يتحادثون وتنادموا وهم سائرون الى ماهم له قاصدون واذا هم قد نظروا قدامهم أثر بعير كأنه شارد والى ناحية الماء الذى بين أيديهم وارد فقال ربيعة ان الجمل أهوج وقال مضر وأنا أقول انه أعور فقال اغمار وأنا أقول انه أزور وقال اياد أنا أقول انه أبتر فلما خرجوا من ذلك الوادى واذا باعرابى قاصد اليهم مهرولا وهو ينادى السلام عليكم ياسادات العرب يا أهل المنازل والرتب انه قد شرد منى بعير وأخبرت أنه الى ذلك الوادى يسير فهل رأيتموه فى طريقكم أزال الله عنكم تعويقكم فقال ربيعة ياوجه العرب أجملك أهوج فقال نعم فقال مضر أجملك أعور قال نعم فقال أغمار يا أخا العرب أجملك أزور قال نعم فقال اياد يا أخا العرب أجملك أبتر قال نعم فقال أغمار يا أخا العرب حمله عسل ودقيق فقال الاعرابى باللعرب قد صح عندى أن بعيرى عندكم لان هذه الصفات الذى تذكرونها صفته ولا أعرفه الا منكم فقالوا أيها الاعرابى لا نعلم بعيرك ولا رأيناه فقال الاعرابى واحر باه من هذا الجور والتعدى كيف انكم تصفوه وتنكروه فقالوا يا أخا العرب ما عندنا علم منه وانما نحن سائرون الى الملك الافعى الجرهمى فى حكومة بيننا ونحن اولاد نزار بن معد بن عدنان وقد وقع بيننا خصومة فقصدناه ليفصلها بيننا فقال الاعرابى وأنا أسير معكم وعلى جملى أحاكمكم (قال صاحب الكلام) بعد الصلاة والسلام على بدر التمام فساروا حتى وصلوا الى دار الملك الافعى والاعرابى معهم يجد ويسعى فلما وصلوا اليه وقدموا عليه ترحب بهم واستقبلهم أحسن استقبال وقال ياسادات العرب ما الذى أقدمكم الينا وأنا الذى أحق بالسعى الى جنابكم لانكم سادات العرب أولاد نزار بن معد بن عدنان وأشرف هذا الزمان فقالوا نحن أتينا فى حكومة الملك وسوف نقصها عليك فقال الملك الافعى على الرحب والسعة والكرامة ثم انه أدخلهم الى دار الضيافة وأحضر لهم سماطا على قدر مرتبته وكان من جملة السماط خروف مشوى وخبز أبيض نقى وخمر صاف فأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا ولما دارت بينهم نشوات الخمر قال ربيعة ما أطيب لحم هذا الخروف لولا أنه رضع من كلبة فقال مضر ما أطيب هذا الخمر لولا أن كرمه مغروس بجانب جبانة فقال أياد ما أطيب هذا الخبز لولا ان عاجنته كانت حائضا وقال اغمار ان صاحب هذا الزاد ينسب الى غير ابيه (قالت الرواة) وكان الملك الافعى جعلهم فى مضرب من الديباج وجعل عندهم جارية تسمع كلامهم بحيث انهم لا يرونها ولا يشعرون بها رام رها ان تحفظ كل ما يقولون ولا تفرط فيه فرجعت الجارية الى الملك الافعى واعادت عليه ما سمعته منهم فاسودت الدنيا فى عينيه ومابقى يبصر ما بين يديه وأحضرهم الى عنده والرجل صاحب الجمل معهم فقال لهم ماذا يريد هذا الرجل منكم فقال الاعرابى ايها الملك انا شرد لى بعير فسرت ادور عليه فوصلت الى وادى السمع فرأيت هؤلاء السادات فسألتهم عنه فوصفوا لى مشيه ونقله وايضا وصفوا لى حمله وما على رحله وشرح للملك ما قالوه على التمام والكمال فتعجب الملك من ذلك المقال وسألهم وقال من قال منكم انه اعور فقال مضر انا قال من اين علمت وما برهانه قال لان البعير السالم العينين اذا اكل من النبات يأكل من الجهتين وهذا اكله من جهة واحدة فعلمت أنه اعور فقال الملك ومن قال انه ازور فقال اغمار انا قال له الملك من اين علمت وما برهانه قال انى رأيت مكان اكله متعفشا فعلمت انه ازور ومعنى الازور مخلوع الحنك قال الملك ومن قال انه اهوج قال ربيعة أنا فقال له الملك من اين علمت وما برهانه قال ربيعة ان البعير اذا مشى ينقل يده بعد يد ورجلا بعد رجل فيبقى مشيه متتابعا مستقيما وهذا اثر مشيه مختلف فعلمت انه اهوج قال الملك ومن قال انه ابتر قال اياد انا قال الملك من اين علمت وما برهانه فقال اياد ان الجمل اذا راث يحرك ذيله على اوراكه فيفر دروثه وهذا روثه كتل كتل فعلمت انه ابتر والابتر مقطوع الذنب ثم قال الملك لاغمار من

ابن علمت ان حمله دقيق وعسل قال لانى رايت الذباب يعف من جانب والدقيق من الجانب الآخر فعلمت ان حمله عسل ودقيق قال فانقضت محاكمة الجمل ولم يثبت عليهم شئ ثم جلسوا يتحادثون فقال الملك الافعى ياسادات العرب انى اريد ان أسألكم عن شئ والكذب شين لانه يشين الرجال ولو كانوا جليلين المقدار اخبرونى عن اربعة اشياء تكلمتم بها وانتم تأكلون فقالوا قل ما شئت فانا لا نتكلم الا بالصدق فقال من قال ان عاجنة الخبز حائض قال انما رأنا فقال الملك من اين علمت ومابرهانه قال ايها الملك ان المرأة اذا كانت حائضا وعجنت العجين يصير الخبز يتقطع وذلك الخبز الذى اتانا كان على تلك الصفة فدلنى على ماقلت قال الملك ومن قال ان الخروف رضع من كلبة قال ربيعة انا قال الملك من اين علمت ومابرهانه قال ايها الملك سائر الحيوانات شحومها فوق لحومها الا الكلاب فان لحومها فوق شحومها وهذا الخروف الذى اتانا كان لحمه فوق شحمه فعلمت انه رضع من كلبة فتعجب الملك من كلامهم غاية العجب ثم قال لهم ياأولاد نزار بن معد ومن قال ان الخمر غرس بجانب جبانة قال مضر انا قال الملك من اين علمت ومابرهانه قال مضر لان الخمرة اذا شربها الرجل تعطى نشاطا وفرحا وهذه حين شربتها حصل لى منها كسل وفتور وذكرتنى الموت والبعث والنشور فعلمت ان غرسها بجانب جبانة فقال الملك ومن قال ان الملك ينسب الى غير ابيه قال انمار انا قال الملك من اين علمت ومابرهانه قال سمعت فى الاخبار ان الرجل اذا لم يجلس مع ضيوفه ولا يحادثهم ولا يمازجهم ويتكبر عليهم يكون منسوبا الى غير ابيه وانت لم تجالسنا ولم تمازجنا فاستدللت بهذه الصفة على تلك المعرفه (قال الراوى) فقام الملك الافعى من عندهم وهو لا يعيد ولا يبدى واستدعى بالخبازة اليه وسألها عن حالها فقالت يامولاى ان الحيض قد دهمنى عند ممارسة الخبز فصرفها وطلب الراعى وسأله عن الخروف وما سبب منشئه فقال يامولاى وضعته امه ومكثت قليلا وماتت وكان بين الغنم كلبة والدة فأرضعته منها حتى انه كبر فصرفه وطلب الشربتلى وسأله عن اصل ذلك الشراب فقال يامولاى انى ما وجدت فى الكروم فى هذا الاوان اطيب من الكرم الذى على الجبانة لان طرحها جيد طيب فصرفه وتعجب من تلك المعرفة غاية العجب وبعد ذلك دخل الى امه والسيف فى يده مشهور وقال اصدقينى فى قولك يا لحناء والا قتلتك قالت ما الذى اصدقك فيه قال من هو ابى ومن ينتهى اليه حسبى قالت ياولدى ابوك الملك الجرهمى فقال الم اقل لك تكلمى بالصدق وأهوى نحوها بالحسام واراد قتلها فقالت ياولدى اصبر على قليلا فأنا اصدقك فى المقال لكن ياولدى تعطينى الامان فقال لها لك ذلك فقالت ياولدى ان ابالك الجرهمى كانت ضعفت همته عن النساء وكبر سنه خفت على الملك ان يخرج من ايدينا فوقعت بعض الغلمان فحملت بك وهذه قصتى والسبب فتركها ما علم بالامور وخرج الى أولاد نزار وقد كتم أمره عنهم وقال ياسادات العرب اتركوا ما نحن فيه واذكروا لى حالكم وما تسألوا عنه فأخبروه بالرقعة الذى كتبها لهم أبوهم وكيف انه أوصاهم اذا وقع بينهم الخلف أن يقضى بينهم فقال يا أولاد نزار بن معد من تكون هذه الفراسة فراستهم وهذا الاب أبوهم لا ينبغى لمثلى أن يحكم بينهم والرأى عندى ان ترجعوا وترضوا بما قسم لكم به أبوكم فرضوا بذلك ورجعوا الى منازلهم فى أرض الحرم وأخذ كل واحد منهم أمواله وما فرض له أبوه وعاد به الى حاله (قال الراوى) وبعد ذلك كثرت أموالهم وصلح حالهم وتوالدوا وتناسلوا حتى صاروا مائة وعشرين ألفا فتفرقوا فرقا فرقا ورحل من رحل من أرض الحرم وقعد من قعد ونزلوا على ماء يقال لها أرمياو وهو آخر ماء الحجاز وأول ماء اليمن (قالت رواة الاخبار) وظهر بعد ذلك لربيعة أربعة أولاد وكان كبيرهم يسمى وائلا ويكنى بأبى ثدية وأخوه الذى دونه يسمى عديا ويكنى بالوهاب (قال وهب) وكان فى أيامهم ملك فى اليمن يقال له مرة بن ذهل وكان مرة بن ذهل له عشرة أولاد وكان أكبرهم جساسا ودهماما فلما علم بأولاد نزار ونزولهم عليهم صعب عليه وكبر لديه وكان فيهم رجل جبار وهو فى حكمه

مطاع

مطاع وكان له ابن أخت من العمالقة طوله اثنا عشر ذراعا وكان اذا جلس طول الانسان اذا كان قائما ولا يجسر أحد أن يوقظه اذا كان نائما وكان اتخذ كبشا من الغنم وكساه من الحلى والحلل وغلف قرونه بالذهب الاحمر ورصعه بالدر والجوهر وعلق فى رقبته قلائد من أصناف اليواقيت والزمرذ الاخضر وسلم ذلك الكبش الى ابن أخته وأمره أن يطوف به على سائر الملل والقبائل وعلى من كان نازلا على المياه والمناهل و يأخذ منهم حق المرعى والغفارة فصار يفعل ذلك وكانت العربان من سطوة ذلك الملك تطيع لذلك الكبش وتقبل الارض بين يديه وتؤدى الغفارة اليه فلما أتت أيام جمع المال وجبايته جاء ابن أخت الملك ومعه الكبش حتى يأخذ المال على جارى عادته واتفق أنه أتى الى ربيعة ومضر وطلب منهم الغفارة ومن عندهم من العربان (قالت الرواة) فخاطبوه بغليظ الكلام وتعاونوا عليه وقتلوه وأكلوا كبشه ونشأ بعد ذلك كلب وجرى له مع تبع بن حسان ما جرى وقتله وملك قصره وما حوته يده من المدن والقرى وأخذ الملك وبلغ ما بلغ وشرط ما شرط وكانت أيامه كلها غلظا وشططا وقتله ابن عم له وكان سببه ناقة البسوس أخت تبع بن حسان لما جاءت اليهم وألقت بينهم الكلام والهذيان ودام الحرب بينهم والقتال مدة من الزمان وتوارثته جماعة بعد جماعة وكان من جملتهم جمعة بن عباد اليشكرى سيد بنى ذبيان وانقسمت العرب قسمين وكان منهم بنو عبس وعدنان وكان الملك فيهم والمؤمر عليهم الملك جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عبس بن غيلان بن معد بن عدنان وكان رئيسا فى ذلك الزمان على كل من طلعت عليه الشمس فلما جرى ما جرى للمهلهل الذى يلقب بالزير وأخذ الثار وكشف عنه العار وأخذ بثار أخيه كليب وقتل الحارث بن عباد اليشكرى فى أرض العراق وكان ما كان بينهم من تلك الامور التى أرخها الرواة وأثبتوها فى الكتب والاوراق ومات المهلهل كأنه ما كان فسبحان من له البقاء والدوام و بقى ذكره على ألسنة العوام فخفلت عربه بعد موته خوفا من العربان لانه كان فى زمانه قد أباد الشجعان وأهلك الاقران وقد دانت له البلاد وأطاعته العباد فخافت قومه أن تخطفهم العربان من كثرة ما كان عليهم من الدماء فى زمن المهلهل فتشتتوا فى تلك الآفاق وكل فرقة منهم التجأت الى قوم وأكثرهم التجأ الى بنى عبس ونزلوا عندهم من دون عربان الحجاز لان بنى عبس هم جمرة العرب من بعدهم ومن اقترب وكان كما قدمنا ملكهم جذيمة بن رواحة جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وبطلا صنديدا لا يصطلى له بنار ولا يعتدى له على جار فلما التجأت اليه قوم المهلهل أمنهم وأعطاهم الامان والذمام فخافتهم العربان وحماهم من نوائب الزمان وخلطوا أنسابهم بأنساب بنى عبس وهابتهم فرسان الجاهلية (قال الراوى) وصار جذيمة يحكم بينهم بالعدل والانصاف لانه كان خبيرا بالسياسة والمعروف وتدبير الحرب وهو فى خبرته موصوف وكان حسن الرأى جيد التدبير وبعواقب ما يأتى من الامور بصير وكان ذلك الملك له يومئذ عشرة أولاد وكانوا من شدتهم كأنهم الاسود فى الكر والطراد معروفون بين العربان بالشدة والبأس وقد حضروا الوقائع وخاضوا فى المعامع وذكرهم بين العرب شائع ومن جملتهم عمرو وزنباع الفارس المتاع وزهير وأسيد وباقيهم كانوا فرسانا الا ان أكبرهم عمرا كان مطيعا لوالده فى كل ما يريده وكان الملك جذيمة يؤمل أن الملك من بعده يكون لولده عمرو لانه كان كما ذكرنا أكبر أولاده وكان موصوفا بشدة باسه وقوة مراسه فلما كان يوم من بعض الايام وكان ذلك الوقت وقت قيامه من المنام ركب جواده وقصد ناحية الغدير وكان ذلك الغدير يسمى غدير ذات الاوصاد وليس معه أحد سوى عبده فلاح (قال) وكان فى عنق عمرو طوق من الذهب الاحمر وقد رصع بالدر والجوهر ولما وصل الى الغدير خلع أثوابه التى كانت عليه وقلع الطوق من رقبته وقرب من الغدير ونزل فيه وبقى العبد عند أثواب مولاه ولما صار عمرو فى الماء غطس ففى عاجل الحال خفى شخصه واختلس فانتظره العبد حتى ضاقت أخلاقه فلم يصعد فلطم على وجهه ورأسه ولما انقطع من مولاه يأسه رجع العبد الى

مولاه جذيمة وأخبره بما جرى من تلك الاحوال الذميمه فعظم عليه ذلك الامر ولطم على رأسه من أجل ولده عمرو وكثر فى الحى الصياح وزاد البكاء والنواح واشتد الامر وكثر البكاء والتعداد وركب الملك جذيمة فى نفر قليل من قومه ومن له من الاولاد وقصدوا الغدير وفتشوا فلم يجدوا سوى الارض وتلك الوهاد فعادوا الى الخيام وقد ساءت منهم الاحوال وأقام هو وأولاده على ذلك الحال مدة أيام وليال وبعد ذلك أراد الملك جذيمة أن يفرج عن قلبه ما نزل به من الغصص فركب هو وأولاده الى الصيد والقنص وأوسع فى البر لاجل انهزاز الفرص فبينما هو وسائر على تلك الحالة اذ لاحت بينه وبين الكثبان غزاله يخدو وراءها الطلب وأوسع وأوسعت هى قدامه فى الهرب ولم يزل يجد فى طلبها وهو تابع أثرها حتى وصلت الى غابة كثيرة الاشجار وأرضها كثيرة المياه والانهار فدخلت الغزالة فى تلك الغابة وهى مما نزل بها مر تابه فدخل الملك بين تلك الاشجار خلفها بالعجلة وظن أنه ينال منها ما أمله (قال الراوى) فبينما هو يشق بين الاشجار فى ذلك المكان اذ لاح له شخص آدمى الا أنه عريان فولى الملك جذيمة منه هاربا وخرج ذلك الانسان الى خارج الوادى وراءه طالبا وكلما جد وراءه فى الجريان يظن جذيمة أنه عفريت أو شيطان فبينما هما كذلك واذا بذلك الشخص ناداه بعد ما حاذاه وقرب منه وقال أيها الملك قف لى ولا تخف من أمرى فأنا والله ولدك عمرو فقال له ان كنت ولدى فاتبعنى واخرج من هذا المكان لان قلبى قد صار منك فزعان ثم ان الملك خرج من الغابة وعقله قد انذهل واذا بذلك الشخص اليه قد وصل فتبينه وصح له الامر واذا به ولده عمرو فعند ذلك فرح به وضمه الى صدره وسلم عليه وقال له يا ولدى ما الذى أصابك حتى انك فارقت اخوتك وأصحابك وما الذى أتى بك الى ذلك المكان وأنت هكذا عريان وقد بكت عليك الاهل والجيران (قال) فأخبره بأنه حين نزل فى الغدير كان على يد شيطان وقد حمله الى أقصى ذلك المكان ولما تخلص منه عاد الى ما رآه من المكان (قال الراوى) فعند ذلك خلع الملك عليه بعض ما كان عليه وألبسه اياه ورجع به الى أصحابه بعد ما أردفه وراءه وأعلمهم بما جرى له فى الغدير ففرحوا به وبرؤيته ثم انهم عادوا به الى الاحياء والابيات وقد وقع فى الحى بقدوم الملك وولده عمرو المسرات وعلت من القبيلة الاصوات فى سائر الاوقات وكثرت الافراح والمسرات وعادوا الى ما كانوا عليه من الافراح واللعب والصياح وراق لهم الزمان ومنعت عنهم طوارق الحدثان ودانت العرب الى جذيمة فى كل قفر وواد وحملوا له الخراج ولم يبق أحد الا أطاعه وأجاب الى أمره وكانت مملكة بنى الريان يقال له الرياب مملكة عظيمة الشان قوية السلطان ولها جنود وأعوان وخدم كثيرون وغلمان وكانت قد مارست الاقران وقهرت الفرسان فى ذلك الزمان وكان قومها من أشجع العربان وهم كما قدمنا يقال لهم بنو الريان وهم أبطال وأقران (قال) فلما علم بنو الريان أن الملك جذيمة قد طال عليهم واستطال على جميع العرب وقد حملت اليه الملوك الخراج والعداد من كل حى وواد وقادوا اليه الخيل الجياد والنوق والجمال فقالوا نحن لا نطيع أحدا ولا نعطى أحدا عقال ومن طالبنا بشئ من ذلك فماله عندنا الا الحرب والقتال * قال فلما بلغ جذيمة ذلك المقال فى الحال جمع العساكر والاجناد وأتته العرب من كل شعب وواد وسار طالبا ديار بنى الريان وملكهم الرياب حتى انه يجاز يهم على مقالهم وينزل بهم الفناء والعذاب ويترك أموالهم غنيمة للعربان وسار بعسكره وهم يجدون فى سيرهم الليل والنهار وجذيمة فى ذلك العسكر الجرار حتى وصل الى أرض بنى الريان فى تلك العساكر وأشرقت عليهم تلك الغبائر وقد ضربت فيهم بوادره فوقع فى بنى الريان النفير ونفروا من سائر المواضع وأقبلوا مثل الغمام الطالع وقد ارتجت منهم الجبال وأقبلوا كأنهم السيل السائل وهم فى عساكر وجنود ليس لهم حد محدود لانهم خلق كثير لاسيما وقد وقع فيهم النفير (قال) وكانت هذه القبيله كثيرة غير قليله

وما

وما فى قبائل العرب قدر هذه القبيلة ولا أشجع من أهلها ومع ذلك قد انضاف اليها خلق كثير من غير أهلها لانهم كانوا يقصدونها وينزلون حولها وقد ملكوا تلك الشعاب والهضاب ليحتموا بتلك القبيلة وملكتهم الرباب لما شاع لها من الحرمة والهيبة وعلو الجناب وكانت تلك الارض واسعة ومياهها من بعضها قريبة تابعة قال الا أن العساكر لما نزلت وقربها القرار وصار بعضها البعض فى الانتظار استدعت الملكة الرباب برجل من قومها جليل القدر والمقدار وبنى عمها والاقارب والانصار وقالت له أريد أن تمضى يا ابن العم الى هؤلاء القادمين وتبصر ما هم عليه عازمون والى أى القبائل ينسبون وماذا يريدون وحققى لى أخبارهم وعد الينا (قال الراوى) فعند ذلك سار الرجل من ساعته ممتثلا حتى وصل الى العساكر المأمور بالوصول اليهم ولما وصل الى أول العساكر قاموا اليه وساروا فى الحال بين يديه وقالوا له ما الذى تريده فلا تكن كاتما والا صرت لروحك عادما فقال يا وجوه العرب أنا رسول اليكم وأريد منكم ان تدلونى على الامير فيكم كى نعلم من أنتم وما قصدكم ومن يقال لكم فقالوا له ويلك لا أم لك نحن بنو عبس وعدنان وملكنا جذيمة ملك هذا الزمان وقد أتينا نخرب أطلالكم وننهب أموالكم ونسبى نساءكم وأولادكم فقال الرسول يا قوم أرشدونى على الملك ودلونى عليه حتى انى أكلمه بما جئت فيه اليه قال فعند ذلك ساروا بين يديه حتى أوصلوه الى الملك جذيمة فقبل الارض وسأله عن حاله وعن أخباره وما السبب الذى أزعجه من أطلاله فأعلمه الملك جذيمة بما تقدم ذكره من المقال وأنه أتى بقتل الرجال وينهب الاموال ويسبى العيال فقال الرسول أيها الملك ولماذا تريد أن تفعل بنا هذه الفعال وأنت ملك مفضال فقال الملك جذيمة أفعل ذلك بكم لاجل عصيانكم علىّ وكلامهم الغليظ الذى أوصلتموه الىّ فان سائر العرب دخلت تحت طاعتى وسمعت مقالتى ولبت دعوتى وجملت الى الخراج والعداد الا أنتم أيها الاوغاد فقد بلغنى ما أنتم عليه من العصيان والفساد وما قالت لكم ملكتكم من الارهاب والارعاد وما كنت بالذى أحمل عليكم وأنتم على غير استعداد والا كنت أمرت العساكر التى أتت معى فى عدد الجراد أن تحمل عليكم وتطحنكم طحن الحصاد وتفترسكم افتراس الآساد فارجع الى التى أرسلتك وبلغها ما قلت لك (قال) فعند ذلك عاد الرسول بذلك الجواب حتى وصل الى ملكتهم الرباب وأعاد عليها جميع ما سمعه من الخطاب فقالت له ارجع اليه وبلغ كلامى اليه وقل له يبرز الى الميدان ويلقانى قدام هؤلاء الفرسان وأجول أنا وايا ه فى معترك الجولان فان قهرنى دخلت تحت طاعته وبلغته كل ارادته وان أنا قهرته منت عليه بروحه وأخذت منه فرسه وتكون بهذه الفعال قد سلمنا جميع الرجال وأرحنا القبائل من الحرب والقتال وسلموا من الهلاك والوبال وكل منهم يعود الى ديار ه والاطلال اذا انقضت الاشغال (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة وما حوت من الالفاظ الغريبة فعند ذلك رجع الرسول بذلك الخطاب الى الملك جذيمة وأخبره بما قالت الرباب فزاد بالملك الغيظ والاهتمام وقال له ارجع لا أم لك وركب فى ساعة الحال وطلب الميدان وجال وصال حتى زهقه الفرسان وبعد ذلك طلب الطعن والضراب فبرزت اليه الملكة الرباب وهى على جواد فى لون الغراب وجالت معه فى الميدان حتى حيرت جميع الابطال والعربان وأخذا فى الكر والفر وكان ذلك الجواد قوى الاعصاب من خيول الملوك الكبار وقد زاد بينهما الهزل والجد والاخذ والرد والمماحكة والمعاركة والمناوشة والمشابكة وقد شخصت لهما الاعين بالاحداق وامتدت اليهما الاعناق وقام الحرب بينهما على قدم وساق وجرى بينهما الالتصاق والافتراق وكان بينهما فى الحرب ما لا يطاق (قال) وقد نظرت اليهما كل عين وتعجب مما جرى من قتالهما كل من الفريقين وقد عولا على أخذ بعضهما على بعض فى تلك الفلاة والارض ولازالا على ذلك الحال ساعة من النهار وبعد ذلك اختلفت بينهما طعنتان واصلتان قاطعتان ماحقتان الا أن الملك جذيمة كان بالطعنة سابق لانه

كان رأى من الملكة الرباب الاهوال والبوائق فلهذا كان هو بالطعنة سابقا ولما أن رأت الملكة الى طعنته وأنها الى صدرها واصلة وفيها العطب فانقلبت فى الحال عن الجواد وصارت لجواد الب فعندها مرت الطعنة خائبة بعد أن كانت صائبة ورجعت الى ظهر جوادها وهجمت على خصمها ومالت عليه وضايقته ومارغته وراغمته وقطت فى كعوب رمحها وهجمت على خصمها وطعنته فى صدره فطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن جواده وقد عدم صلاحه وجلة رشاده وانقصم ظهره وانهد أساسه فوقع الى الارض مخمودة أنفاسه وعدمه أهله وناسه (قال المؤلف) ولما ان رأت عساكره الى ذلك الحال حملت العرب بعضها على بعض وارتجت من ركض خيولهم تلك الارض وعمل السيف القرضاب وتقطعت منهم الرقاب وضاقت بهم الاسباب واشتدت الامور الصعاب وتخنبت الكفوف وطارت القحوف وولى الجبان المخوف وحان بينهم الحين وزعق على رؤسهم غراب البين وحمى الهوجل ونار القسطل وضاقت بهم الحيل وعملت السيوف الرقاق أوفى عمل وبرز كل فارس وبطل وقد أقبلت عرب تلك الديار من جميع الاودية والقفار وصار الامر عظيما والخطب جسيما وقد رأت بنو عبس الاهوال وزادت عليهم عن حد القياس ولا طاقة لهم بما اجتمع عليهم من تلك الخلائق والناس فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وطلبوا ديارهم والاوطان من خوف الهلاك ووقوع الحدثان لان تلك الارض امتلأت خيلا ورجال فانهزموا خوفا من دنو الآجال (قال الراوى) ولم يزالوا فى تلك الهزيمة والانكسار الى أن أشرفوا على الاطلال والديار وقد أخبروا بما جرى وما كان وبمن قتل من السادات والفرسان فعند ذلك ندبت النوادب وكثرت المصائب وصار اللطم يعمل فى البيوت وعلى الابواب من كل جانب وذهلت الحبول وشقت الاثواب وكثر البكاء والانتحاب ولم يزالوا على ذلك العمل والحال وهم فى بكاء وندب واعوال مدة سبعة أيام وليال (قال الاصمعى) المصنف لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب وبذلك جلس عمرو موضع أبيه جذيمة وأتت اليه العرب من جميع الوديان والفيافى والقفار تعزيه فى أبيه وبالملك تهنيه الا أنه ياسادات ما أقام فى الملك الا أياما قلائل ومات وقد استوفى منيته وفارقت روحه جثته وأنزلوه حفرته فلما مضى وانقضى وحل به الصير تولى مكانه أخوه زهير لانه كان طريده فى العمر * قال الا أنه كان فارسا مرامذاق فلما جلس مكان أخيه أظهر الهيبة والصوله ورتب قواعد الدوله وعلا فى القبائل ذكره وخاف كل أحد وشره مكره وأطاعته جميع العرب من بعد منها ومن اقترب وفرحت بنو عبس بهيبته وتسارعت الفرسان والملوك الى خدمته وطاعته وخلع ووهب وفرق الفضة والذهب وأكرم من أتى اليه من الكبراء وأحسن الى السادات والامراء الا أنه ياسادات الناس لما استقر فى مملكته وعلم أنه اشتدت هيبته وثبتت قواعد سلطنته أراد أن يأخذ ثاره ويمحو عنه عاره فجمع جنده وأنصاره وأرسل الى من يقاربه ومن كان من خلفائه من ملوك العرب وصار يحث على أخذ ثار أبيه فى الطلب * قال فلم تكن الا أيام قلائل حتى قدمت اليه الفرسان والمحافل وأقبلت من الشعاب والجبال وتسارعت اليه كأنها البحر العجاج فعند ذلك تهيأ ووهب وفرق الفضة والذهب ولما نجز حاله وانقضت أشغاله سار طالبا ديار بنى الريان بما قد جمع من العربان ليأخذ الثار من ملكتهم الرباب ولم يزل سائرا وهو قدام تلك الجيوش والعساكر يقطع المياه والمناهل وبكثرة من السير المتواصل حتى وصل الى حى بنى الريان بتلك الجموع التى كأنها البحر العجاج وعند وصولهم اليها زعقت فى بنى الريان فاجتمعت من كل جانب ومكان وأقبلوا من الشعاب والجبال وقد خافوا على الحريم والعيال وأتوطا بين الحرب والقتال الا أنهم لما قدموا لم يمهلوا بل حملوا على بنى عبس واستحلوا وكان قد دا خلهم الطمع وأرادوا أن يفعلوا فيهم كما فعلوا أولا وينزلوا عليهم العذاب الاشنع (قال) فحملت الطائفتان وحان الحين وزعق

غراب

غراب البين وعلا الصياح واشتد الكفاح وتطاعنوا بالرماح وثبت كل فارس جحجاح وطلب الجبان الهرب وراح وجرى الدم وساح وصبرت الكرام وفرت اللئام وكثرت الصدام وتناهلوا بكاسات الحمام واختلطت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وصدم الملك زهير الملكة الرباب فى حومة الميدان صدمة تهد شوامخ الجبال وكر عليها فى المجال وصاح بالثارات الملك جذيمة الملك المفضال ثم انهما تقاتلا قتالا شديدا فسطا عليها زهير سطوة جبار عنيد وشيطان مريد وطعنها طعنة شاذة بين ثديها فطلع الرمح من بين كتفيها ونادى وأعلن بالنداء يا آل عبس يا آل عدنان أنا أخذت ثارى وكشفت عارى هذا ولما رأى بنو الريان ذلك انحلت عزائمهم وبنو عبس عليهم هاجمه وفيهم طامعه وعلى هلاكهم وفنائهم عازمه فولوا قدامهم وركب بنو عبس ظهورهم وقد حيروهم فى أمورهم وأفنوهم بالصارم البتار وفرقوهم فى جهات البر والقفار (قال الراوى) ثم انهم عدلوا الى خيامهم فملكوها وحازوا أموالهم ونهبوها ثم ان الملك زهيرا عاد الى الديار وهو فرحان بأخذ الثار وكشف العار وأموالهم بين يديه تساق ولم يزالوا سائرين فى البرارى والقفار حتى وصلوا بتلك الغنائم الى الديار فعند ذلك فرق الغنائم على جماعته وأرباب دولته وفرسانه وخدمته وتفطرت قلوب أعدائه وأعطى الغنى والفقير والغلام والامير فأحبوه محبة عظيمة لانه فعل فعلا ما فعله أبوه جذيمة وأقام بعد ذلك يشن الغارات ويقتل السادات وينهب ما لحقه من الاموال ويسفك دماء الرجال الجهال وجميع العربان والابطال وعلا شانه وقوى عزمه وسلطانه (قال الناقل)

لهذه الاقوال يا أهل الذوق والعرفان وهو المصنف لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على خير الانام وقد كانت العرب فى ذلك الزمان تحج الى بيت الله الحرام وزمزم والمقام فى شهر رجب الحرام وكانت توقره تشريفا له واحترام وكذلك تفعل فى شهر ذى القعدة وذى الحجة وهى الاشهر الحرم فكانت العرب فى شهر ذى القعدة تقعد عن القتال وما سمى ذا القعدة الا لهذه الفعال وأما ذو الحجة فما سمى بهذا الاسم الا لاجل أنهم كانوا يحجون فيه البيت الحرام ويعظمونه فى كل عام من عهد أبينا آدم عليه السلام الى ظهور الاسلام ☆ قال وكان من تعظيم العرب لهذه الاشهر المباركة ولا سيما شهر رجب لانه الشهر الاصب الذى تصب فيه الرحمة وقيل الاصم لانه كانت تصم فيه آذان العرب عن طنين السلاح ولا أحد منهم يحمل سلاحا تعظيما لهذا الشهر وكان أحدهم يلتقى مع قاتل أبيه أو أخيه فلا يقاتله ولا يتعرض له بسوء وكانوا يرفعون أسنة الرماح من رماحهم وينزعون السيوف من أعناقهم فاذا مضت هذه الاشهر الحرم أعادوا أسنة الرماح ولبسوا الحديد والسلاح وما سمى شهر صفر الا لمعانيه وكان الحرب والشر بين العرب يصفر فيه فهذا ما يتعلق بالاشهر الحرم ومعانيها وهى التى كانت العرب تحترمها وتتقيها (قال) وأما ما كان من الملك زهير وما كان له من الاسباب فانه لما أخذ ثاره من الملكة الرباب واستقر فى ملكه ودانت له الاباعد والاصحاب وأقبلت تلك الاشهر الحرم طلب الحج الى بيت الله الحرام فأخذ معه اخوته والاكابر من أهل دولته ولما وصل الى مكة شرفها الله ونظر ما يفعله الحاج فى يوم وقوف عرفة وكيفية الطواف بالكعبة وتقبيل الحجر الاسود وتعظيم الصفا والمروة فعند ذلك حج وتعبد (قال الناقل) فأعجبه ذلك الفعل كله وأراد أن يكون له مثله لانه جبار من الجبابرة ونظر الى نفسه وقد أطاعه العربان بالبادية والحاضرة فلما قضى حجه وعاد الى داره ووصل اليها وقر بها قراره وجلس على كرسى مملكته استدعى بأكابر قومه ودولته وقال يا بنى عمى ومن بهم يفرج همى وغمى انى جمعتكم لاشاوركم فى حال من الاحوال فأشيروا على برأيكم الذى فيه الصلاح وذلك أنى عزمت على أن أبنى فى العلم السعدى وأرض الشربة بيتا يكون بناؤه على صفة البيت وأسميه البيت الحرام وآمر الناس ان تحج اليه فى كل عام وأبنى بجانبه بيتا للضيفان يشبع فيه الجيعان ويروى فيه الظمآن ويحصل للخائف فيه الامان ولا يصاد من حوله وحش ولا غزلان ولا

يسفك فيه دم انسان ومن خالف أمرى أو عصانى من قاص أو دان قحطانيا كان أو عدنانيا أنزلت به المصائب وعذبته بأشد المعاطب وجعلت لحمه للطيور ذوات المخالب وها انا يا بنى عبس وأقاربى قد جمعتكم وأطلعتكم على سرى وما قد خطر ببالى من هذه الاسباب لتشيروا على بما فيه الصواب (قال) الاصمعى وأبو عبيدة وجهينة بن غيلم اليمنى وأبو حازم المكى وهم الرواة لهذا الكلام ان بنى عبس لما سمعوا بمقاله ما منهم أحد الا وقد تفكر فى هذا الامر وأحواله ولم يجبه أحد منهم بكلام وقد صار كل واحد منهم كأنه ألجم بلجام فعند ذلك نهض من بينهم شيخ كبير قد حنكته التجارب وهذبته الليالى والايام وكان قد قرأ كتب القدماء وعرف مقالات أهل الفضل والعلماء التى تدل على توحيد رب العالمين ثم انه لما وثب قائما على قدميه أشار الى الملك زهير بيديه وقال له أتسمع مقالى أيها الملك الابى والاسد الكمى فانى أشير عليك بما فيه الصواب والنجاح والصلاح وبما فيه التوفيق الى طريق الرشاد والفلاح فدع عنك هذا الامر الذى قد خطر ببالك ولا تركب مطية البغى بأعمالك واعلم أن هذا البيت للرب القديم وفيه مقام أبينا الخليل ابراهيم وتلك المواقف العظام والصفا والمشعر الحرام وقد جعلها الله لخلقه حمى وأمانا عظيما مكرما من رب السماء والارض العليم الخبير بما فى طولها والعرض وهو الذى أمر ببنائها فى ذلك المكان وأمرنا على لسان أبينا الخليل ابراهيم أن تحجه الناس على مدى الايام والدهور والازمان واعلم أيها الملك أنك متى عارضت قدرته وطلبت أنك تهدم كعبته حطمك وقصمك وأزال عنك نعمته وتعلقت باهلاكك قدرته ومن أين يكون ببيتك الذى تبنيه للضيفان يسع ستمائة ألف انسان ولا يضيق بهم المكان فالصواب البعد عن هذا الامر أيها الملك العظيم الشان لانك لا تقدر على ما شرحته لك من الامور الشان فان هذه الامور التى ذكرتها لك ما هى الا لقدرة باهره وآيات بينات ظاهره فكن أيها الملك متجنبا لما حدثتك به نفسك الغادره بحديث الماضين من الجباره الذين أصبحوا بأعمالهم مرهونين فى الغابره ومنازلهم بعدهم خربة دائره فارجع أيها الملك عن هذا الحال ولا تفعل ما خطر ببالك من هذه الامور الثقال فانى قد نصحتك فى المقال خوفا عليك أن يحل بك الوبال والنكال (قال صاحب الحديث والمقال) ثم ان الملك زهير لما سمع من الشيخ ذلك المقال وما أشار اليه ارتد وعاد عما كان قد عزم عليه وقال له سادات قومه وأبطال عشيرته مثل الامير شداد بن قراد ومن جملتهم اخوته مالك وزهمة الجواد وكذلك الامير الربيع بن زياد واخوته وأهل عشيرته وقالوا كلهم أيها الملك المهاب والاسد الوثاب اسمع من هذا الرجل ما به عليك قد أشار واتبع سنة العرب الاخيار وان كنت قصدت بهذا الامر العلو والافتخار فانك اليوم أعلى الملوك نفارا وأوقدها نارا وأوفرها أنصارا وأكرمها للقصاد والضيفان قرارا وعدوك يخشى منك الهلاك والدمار وما رأيناك رددت سائلا ولا منعت قائلا يهتدى الى بيتك الوارد والطارق ويقصدونا لك حتى فى ظلام الليل الغاسق وأجفانك ملآنة للقادم والمارق ولسانك منصف وفيما تقوله صادق وسنان رمحك فى قلوب أعدائك خارق وسيفك لرقابهم ماحق وأى كرم غير هذا الظاهر الفائق (قال) فلما سمع الملك زهير كلام تلك السادات الاجواد وهم آل عبس وبنو قراد وبنو زياد انثنى عزمه عما كان قد عزم عليه وعاد عما أراد وسمع تلك الاقوال السداد من مثل تلك السادات الامجاد لان هؤلاء الذين ذكرناهم كانوا سادات قبيلته وأماجد عشيرته وهم الذين كان يعتمد عليهم عند شدته وهم فرسان قبيلته وهم أصحاب الحرب والجلاد ولهم همة غير ركوب الخيل الجياد والغارات على أصحاب الحلل والبلاد وكانت تهابهم ملوك الزمان وتفزع منهم الفرسان وآل قحطان وعدنان وبنو شيبان * قال وأقام الملك زهير على ذلك الامر والشان أياما وليالى الى أن كان يوم من بعض الايام طلبت نفسه الوصال لربات الجمال

واشتهى

واشتهى له امرأة ذات حسن و جمال وأن تكون من أصحاب الانساب والاحساب ثم انه جعل يسأل ويستخبر (قال الراوى) فمازال يبحث الى أن سمع برجل من العرب ذى بأس شديد وكان فارسا صنديد وكان سيدا من السادات وهما مامن القادات وله بنت تسمى تماضر ماشاهد أحد مثلها فى البوادى والحواضر وهى فائقة فى الجمال مائسة بالدلال الا أنها باغضة للرجال وكان أبوها بها ضنين وهو عرق لايلين وأى شخص خطبها من الرجال أومن الاعراب يذكر انه ليس له بنت خلف حجاب وقد ردعنها جميع الخطاب والطلاب فلما سمع عنها الملك زهير ذلك المقال اشتاق اليها مثل مايشتاق العطشان الى الماء الزلال وتمنى أن ينال منها منال وأن يحظى منها بالوصال وقد هام بحبها على الصفة ولم يحقق منها معرفة كما أشار بعضهم لهذا المعنى حيث يقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول

يامن كلفت به عشقا ولم أره * والعشق للقلب ليس العشق للبصر
سمعت أوصافك الحسنى فهمت بها * فكيف ان نلت ذاك الحسن بالنظر

(قال الراوى) ثم ان الملك زهيرا من عظم فطنته وذكاوته ومعرفته ما أرسل يطلبها ولا بعث أحدا من عنده له يخطبها لانه علم أن أباها لا يقر له بها بل صار يهدى الى أبيها الهدايا والتحف و يظهر له المودة و يخصصه بما عنده من الظرف ولم يزل كذلك حتى صار من أصحابه وملكه باحسانه واحتوى على عقله ولبه ولما علم ذلك منه أنفذ اليه يقول ألا تأتى عندى وتنزل فى أرضى وتنظر أبطالى وجندى لانه ما بقى لى عنك صبر أبدا ونتفق أنا وأنت على المحبة ومازال معه على تلك الصداقة والمودة والصحبة حتى نقله من بلاده الى العلم السعدى وأرض الشربة وحكمه فى مراعيه ومواضعه ولا بقى يأكل ولا يشرب الا معه * هذا وقد زادت به النيران وألهبه العشق والغرام وزاد عليه الم الكتمان ومن عزة نفسه مع زيادة بلباله لم يظهر أحدا على أحواله ولا شكا الى أحد من الخلان بل كان يتسلى بشرب خمر الدنان ويبيت ليله سهران واذا زاد به القلق وجن عليه الظلام ينشد الاشعار ومن جملة ما قال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

ترى هل للياليى من آخر * ترى هل لعشقى من ناصر
أبيت أقاسى كروب الهوى * وناراشتياقى الى باهر
وأخفى هوى الحب فى باطنى * دليلا يترجم عن ناظرى
سأصبر حتى أنال المنى * وتحمد عاقبة الصابر
وأكتم وجدى وشوقى لها * ولا أظهر الحب فى خاطرى

(قال الراوى) وكان من جملة حلفائه قوم يقال لهم بنو غراب وهم تحت طاعته ونازلون قريبا من حلته ولما أعيته الحيل فيما يعمل أرسل الى بنى غراب سرا مع بعض أصحابهم وقال لهم غيروا على جيراني واسروهم ولا تقتلوهم وطاولوهم فاذا رأيتموني قد أشرفت عليكم وقدمت لديكم وأتيت فى بنى عبس أنجدهم فعودوا وارجعوا عنهم * قال وما فعل زهير هذه الفعلة الا لاجل ان يشاهد تماضر عند سيبها و يعلم أبوها انه قد نظرها واذا خطبها منه لا ينكرها فلما وصلت تلك الرسالة الى بنى غراب ركبوا فى خمسمائة فارس انجاد وساروا على خيول سوابق وصبحوا القوم عند الصباح فأخذوا أموالهم وسبوا عيالهم ووقفوا بطاولونهم فى القتال وكانوا فى انتظار أخبارهم فأدركهم بنو عبس وفى أوائلهم الملك زهير فلحقهم وهم يمانعون عن أنفسهم * هذا والبنات على أبواب البيوت منهتكات والشعور ناشرات وتماضر على باب خبائها كأنها الشمس وقت ضحاها وقد نشرت ذوائب مثل الغسق وجبينها بالانوار أشرق وخدودها من اللطم كالورد اذا تشقق ودموعها على وجناتها تتدفق (قال) فلما نظر الملك زهير الى ذلك الجمال زاد بلباله وحاوله رجاله فحملت الفرسان والابطال وطلبوا الضراب والقتال وهجموا على بنى غراب وهم كأنهم أسود الغاب

فولوا قدامهم طالبين الذهاب وعاد الملك زهير الى المضارب والقباب وعلى رأسه راية العقاب وردالنساء والبنات الاتراب بعد هتكهن الى وراء الستور والحجاب ثم أمر الربيع بن زياد أن يستر تماضر بردائه ففعل ما أمره به واشتهاه ولم تكن غير ساعة حتى انكشف الغبار وطلبت بنو غراب الهرب والفرار وعادت بنو عبس عنهم ومعهم ثلاثون أسيرا منهم بعد ما خلصوا المال وأطلقوا الاسارى من العقال وأتوا بأسارى بنى غراب وهم ينقادون قود الكلاب فقال الملك زهير امضوا بهؤلاء الى الحلة حتى أريكم ما أفعل فيهم وسوف أوقع عليهم عذابى لكونهم تعرضوا لجيرانى وأحبابى ثم قال عجلوا بالطعام والشراب حتى أقيم نهارى مع هؤلاء السادات الانجاب ثم استدعى برجل من بنى عبس وأسر اليه شيأ من الخطاب وكان من جملة ما قال له اذا بعدتم عن المضارب والقباب فاطلقوا أسارى بنى غراب ثم انه ثنى رجله ونزل هو وأصحابه (قال الراوى ياسادة) واعتنق أبا تماضر وطيب قلبه وهناه بالسلامة من الغلبة والقهر وخلاصه من المذلة والاسر * هذا والعبيد قد تبادروا وأسرعوا وبسطوا الزرابى والبسط فى الحال وأتوا بالطعام الذى له صنعوا فلم تكن الا ساعة حتى تبدلت الاتراح بالافراح وقدم لهم الطعام والراح ولما دارت بينهم الاقداح كثر بينهم البسط والانشراح وقد نهل القوم من خندريسهم وتمكنت الخمرة من رؤسهم فعند ذلك أخذ الملك زهير فى مدح الشريد أبى تماضر وأثنى عليه الثناء الجميل ولم يزل يمدحه ويثنى عليه حتى فاضت الدموع من عينيه ولعبت الخمرة بعطفيه فوقف قائما على قدميه وقال اشهدوا على ياسادات العرب ويا أصحاب الحسب والنسب أنى عبد لهذا الملك زهير وأنا قد أصبحت مملوكه وخادمه ولسانى عاجز عن وصف بعض مكارمه وما أعطانى الرب القديم شيأ أتحفه به على ما أولانى من الجود والمفاخر الا ابنتى تماضر الذى منعت عنها الخطاب ورددت عنها الطلاب وحميتها عن الملوك وعن كل غنى وصعلوك وأنا أسألكم أيها السادات الحاضرون أن تسألوه أن يقبلها منى جارية وأنا مملوك فقالوا أيها السيد انك قد نظرت موضع النظر وقضيت لهذا الملك الوطر وأهديت الدرة لمن يعرف قدرها ويعلى على بنات العرب مهرها ونحن نسأل الملك أن يقبلها ويترك بنات الملوك لها جوارى فى منزلها * قال فقام الملك زهير على قدميه بعدان علم أنه يبلغ مرامه وأخنى جواه بعد أن بلغ مناه مما كان يريده ويهواه وأخذ بيد الرجل الى ما اليه دعاه وقال أيها السيد المهاب قد رضيت أن نتساوى فى الاحساب والانساب وان تكون عندنا من أجل الاصحاب وفى تلك الساعة ضربت قبة الزفاف وتم الامر وما بقى خلاف وما أرخى الظلام أذياله حتى أقبلت الجارية على الملك زهير وهى تجلى له وكان قدومها عليه فى ذلك الاوان أحلى من العافية اذا أقبلت على سقيم الابدان لانه عاين شمسا على قضيب خيزران وورد جورى على خدود انسان وقد اصبح شاكر الزمان بعد ما كان عليه عتبان * قال ثم انه خلع وهب وفرق الفضة والذهب وأقام عند القوم فى الخيام على أكل وشرب مدة سبعة أيام (قال الراوى) وبعد ذلك انتقل الى خيامه وجدد الولائم والدعوات وذبح لقومه الاغنام والابل مدة عشرة أيام تمام * هذا والملك زهير قد نال مناه وحصل له ما كان يتمناه وراقت له الايام وحظى بجارية تفوق بدر التمام ومن كثرة تعجبه بنفسه ومادبره وكيف أخذها بالتكبر والبطر حدث زوجته فى بعض الليالى بما فعل ومادبر وكيف أخذها بعد امتناع أبيها بلا مهر وقد زال ما بقلبه من الحصر فلما سمعت مقالته نفر قلبها من فعاله وكانت امرأة عاقلة وفى امورها غير جاهلة فما كلمته فى ذلك الامر حتى صحا من الخمر فأخذ يلاعبها وقد ضمها الى صدره فردت يده اليه وقالت له اما تستحى من هذه الفعال وأنت تدعى الرياسة والافضال وتأخذ بنات الرجال بالمحال وتبخل عليهم بعطية المال فصعب عليه ذلك المقال وقال لها ويلك أنا ما بخلت عليك بالمال ولا فعلت الا أفعال الرجال لان اباك تجبر على الخطاب وردا الطلاب فما كان له عندى غير

هذا

هذا الجواب ولو علمت انى لو أخطئ منه بعطيك حتى امهرك وأرضيك لكنت فعلت فقالت له يا ملك انت تقول انك فعلت هذه الفعال وملكت ناصيتى بالمكر والاحتيال فأنى أكثر منك شطارة ومكرا ورجال (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام أخذه القلق وزاد به الحنق وجلس فى فراشه بعد ما كان رقد والشمعة منيرة عليه ودار فى ام رأسه مقل عينيه وقال لها يا بنت اللئام ما الذى رأيتيه من عجزى ووهنى حتى تقولى ان أباك اشطرمنى فقالت له يا سيدى لا يصعب عليك وانظر ما بين يديك واعلم أن من اطلق لسانه فى الخطاب صعب عليه رد الجواب ومن احتقر بالرجال دخل عليه المحال واعلم ان أختى التى رأيتها فى الحسن والجمال ما بلغت منها الآمال ولا حظيت منها بالوصال وهى أحسن من شمس النهار والهلال وانى لا أصلح ان اكون لها خادمة للنعال لانه لم يكن على وجه الارض مثلها ولا فى بنات العرب شكلها ولما غمرت ابى باحسانك غلبه الحياء منك فاهداك بى وأختى اسمها تماضر وهى تدهش برؤيتها كل ناظر ويحير من وصفها كل خاطر وأما انا فاسمى خداع وبينى وبينها تفاوت فى الحسن والارتفاع ولولا ان الامر قد انقضى ما كنت حدثتك بشئ مما مضى (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير منها ذلك الكلام مع اللوم نفر من عينيه النوم ولا بقى يعرف ما بين يديه من القوم فقال لها أتصدقين فى هذه المقالات قالت نعم ورب السموات وان لم تعتقد صحتها فارسل بعض البحائر المحتالات وقل لها تنظرك اختى من وراء الحجاب فيظهر لك الصدق من الجواب فقال لها اذا كان الامر على ما قد صار فلا تنظرها الى الاسائلة ما لها مقدار أو سائل يدور بين البيوت أو حدار فقالت له نعم لان الحدار ما له عند بنات العرب مقدار ولا تستحى منه الجوارى ولا البنات الابكار فقال لها والله ليس الخبر كالعيان وما النظر مثل سماع الآذان ثم قال وحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذى يعطى بلا طلب وأمره على كل العباد غلب لابد ان أتسبب فى هذا الامر بكل سبب وأقضى حاجتى واكشف هذا الخبر وامضى الى أبياتكم فى زى حدار ولا أتكبر ثم انه نام وهو فى ذلك الامر يتفكر ولما أصبح الصباح وظهر قال لخدامه بعد ما وقف قائما على أقدامه من طلب اليوم على الدخول فقولوا له ما لك اليه وصول لانه أصبح اليوم متوعكا من شرب العقار ويريد ان يأخذ له راحة فى هذا النهار فلما اتت ارباب دولته الى خدمته أخبروهم بمقالته فرجع كل منهم الى بيته ومنزلته وأقام الملك زهير يدبر ما كان عليه من أمره وقعدته ولما تضاحى النهار وارتفعت الشمس وأوت الى خيامها ابطال بنى عبس خلع ما كان عليه من لبس الملوك والبس لبس فقير صعلوك وأخذ معه حقيبة ملآنة من العطر والطيب وقد هانت عليه نفسه وعز عليه كلام الحبيب ثم انه خرج من خلف الحجاب مشدود الوسط حافى الاقدام وعلى رأسه عمامة كأنها جرن حمام وقد هرول فى مشيته وضيق اللثام ولما بعد عن المضارب تفكر فيما ذا يفعل وما يترتب عليه من ذلك العمل وما الذى يدبر من الحيل فجعل يتمثل بهذه الابيات ويقول ونحن وأنتم نصلى على سيدنا محمد النبى الرسول

اذا ما ادعيت العشق عانى أموره ✲ بنفسك لا تأمن على السر صاحبا
وذل اذا عز الحبيب بوصله ✲ ودم هكذا ان كنت تخشى عواقبا
ولا تدعى فى العشق بأسا وسطوة ✲ يسموك بين الناس فى العشق كاذبا
ودار الهوى خوف الوشاة ولا تكن ✲ جزوعا اذا كان الحبيب مجانبا

(قال الراوى) فهذا ما كان من الملك زهير ✲ وأما ما كان من زوجته تماضر فانه لما خرج الملك من عندها قامت من ساعتها ولبست لبس الرجال وتعممت وخرجت من بيت بعلها وطلبت خيام أبيها وهرولت فى مشيها حتى دخلت الى بيت أبيها وأحضرته عندها وأحضرت أخاها وأخبرتهما بما سمعت من بعلها وما

قال وبما أخبرها به فى ذلك الحال وانه ما أخذها منهم الا بالمكر والخداع وأعلمتهما بما دبرت معه من
الاحتيال * قال فتعجبا من مكرها وكيف قدمت على تلك الاهوال فقال لها أبوها ما تريدين ان تدبرى
فقالت تخرج أنت وأخى الساعة عنا واكمنوا قريبا منا وأقعد أنا وأمى فى خبائنا النفيس وتدعوه عندنا
فاذا دخل والحقيبة على كتفه أخذناها منه وأشغلناه بالحديث حتى تأتيا أنتما وتقبضا عليه حتى يوفى لكما
بالمهر والا بقيت أنا وأنتم معيرتمدى الدهر فاذا عتب عليكما فقولا له هذه فى مقابلة مقالك وعثرة
لسانك ومعيرتك لعيالك (قال) فأجاباها الى مقالها وقد امتلأت قلوبهما غيظا على الملك زهير من
أجل هذا المقال لما سمعا أنه قال ما أخذها الا بالمحال ثم انهما اعتدا بالسيوف وكمنا فى مكان بحيث انهما
يشاهدانه ثم ان تماضر خلعت ثياب الرجال ولبست لبس النسوان ربات الحجال وضيقت البرقع على
محاجر عينيها وملأت بالكحل جفنيها وقعدت تنتظر الملك زهيرا حتى يقدم عليها * هذا وأمها تقول والله
يا بنية كنا غنيين عن هذه الفضيحة كلها والصواب هنا رحيلنا من أرض هذا الرجل ونتزل على بعض الحلل
ونبتعد عن هذه المعاهد والطلل فقالت لها تماضر لا يهمك هذا الوجه وما يأتى من جانبه ولا تخافى منه
ولا من عواقبه (قال الراوى) فبينما تماضر مع أمها فى الكلام واذا بالملك زهير قد دخل بين الخيام
يلوح بعينين كأنهما عيون الثعالب وهو ينظر الى البيوت والمضارب فنادته أم تماضر وقالت له ادن منا
يا حدار ان كان معك طيب يصلح للبنات الابكار قال نعم معى طيب يصلح لكل خل وحبيب ثم انه تقدم
الى باب المضرب وفى قلبه نار تتلهب وحط الحقيبة عن كتفه وقد زاد تلهفه ونظر زوجته هى وأمها وهن
وقوف وهى تنظر اليه بعيون أحد من السيوف فقال لام تلك الجارية أتريدين الطيب قالت نعم ان كنا
نستاهل يا وجه العرب فقال بلى وحق الملك القادر انك رخيصة بالارواح والنواظر ولكن ما اسمها
قالت اسمها تماضر فقال هل معك غيرها من البنات قالت نعم رزقت أخرى واسمها خداع وكان الملك
زهير نظر هذه الجارية وطلب أن تكون له أهلا فما رضينا أن يكون هو لها بعلا وكتمنا عنه هذه الجارية
لما فيها من الحسن والجمال لانا نريد ان نعطيها لبعض الملوك الثقال الكبار فلما سمع الملك زهير ذلك
الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وقال فى نفسه وحق الاله المعبود اذا خرجت من هنا لابد من قتل
أبيها وأخيها وأخذ هذه الجارية ولا أترك فى قلبى غصة ثم انه أراد ان يرضيهن بشئ من الطيب ويعود واذا
بالرجال هجموا عليه مثل الاسود ومسكوه وشدوا يديه الى رجليه وقامت زوجته تماضر اليه وكشفت
البرقع عن وجهها وقد اشتفى قلبها وخاطرها وقالت له أيها الملك كيف رأيت أعمالنا من أعمالك
* قال وكان الملك زهير لما أمسكوه قد أيس من نفسه وأيقن بحلول رمسه ولما نظر الى وجه زوجته وسمع
مقالها عاشت روحه بعد ذهابها وقال لها ما الذى أحوجك الى هذه الفعال فقالت لها معيرتك لى
وقولك أخذتك بالمكر والاحتيال ورب زمزم والحطيم لا نطلقك ولا أكون عنك هجيعه ولا ترانى
لك ضجيعه الا ان كنت تحلف لى برب البيت العظيم انك اذا أطلقتك تسوق لابى النوق والاغنام والجمال
وتوفى المهر على التمام والكمال والا بقيناك هكذا أبدا على هذا الحال (قال الراوى) فلما سمع مقالها
تبسم وندم على مقاله وكيف عيرها واعلمها باحتياله وقال لها انا اعطيك خمسمائة ناقة وحلينى من
الاعتقال فقالت له انها لا تساوى ساعة من ساعات الوصال فقال لها أزيدك عليها مثلها من جمالى فقالت
له انها قليلة فى ليلة من الليالى فقال لها ان أردت عد الساعات والليالى تأخذى جميع نوقى وجمالى
فتبسمت من مقاله وحلته من عقاله بعد ما انفصل الحال على ألف من الجمال وعشرين رأسا من
الخيول المسومة الغوال وعشرين عبدا وعشرين أمة وحلف بعد ذلك برب البيت الحرام انه يوفى بما قال
من ذلك المرام واقام عندهم حتى اظلم الظلام وبعد ذلك سار هو مع زوجته وابوها واخوها واخوها فى

خدمته

خدمته الى ان قرب من البيوت والمضارب فعادوا عنه ودخل هوالى بيته وقد زادت محبته فى زوجته (قال الاصمعى وابو عبيدة) واقامت معه حتى ولدت منه عشرة اولاد وكانوا كأنهم الآساد وكان اكبرهم شاس وقيس ونوفل والحارث ونشهل ومالك وجندل وخداش بعده وبعدهم ولدت بنتا واسمها المتجرده وكان فى ذلك الزمان وتلك الايام المتعدده اذا ولدت امرأة عشرة غلمان سموها المنجبة ويشيع ذكرها بين العربان ويقولون انجبت زوجة فلان * قال وكانت المتجردة بنت الملك زهير من احسن بنات العرب واوفاهن عقلا وادب وكانت من المنجبات ايضا شريحة ابنة وضاح وكان ابوها من ارباب الحرب والكفاح وهى من بنى تميم السادات وكان تزوج بها زياد بن عبد اللات لانها كانت الاخرى ولدت عشرة اولاد ذكور وحديثهم فى هذه السيرة مشهور وهم الربيع وقيس والجواد وانس والحفاف وعمارة الوهاب وغالب وطالب والدارك وعمرو والفتاك وكانوا ابطالا شدادا جلادا امجادا وهم فى الحرب شداد ورماحهم مداد وسيوفهم حداد وكانوا معدين ليوم الحرب والطراد وكان بنو عبس وبنو زهير وبنو قراد وبنو زياد اصولا لهذه القبيلة الامجاد الا ان بنى قراد منهم شداد وأخوه مالك وزخمة الجواد كانوا ممن تشهد بوادرهم ولا تؤمن نوازلهم (قال الراوى) وأقام الملك زهير برهة من الزمن وقد أطاعته ملوك العرب وحملت له الهدايا من كل حدب * هذا وبنو عبس مواظبون على شن الغارات وقتل الفرسان والسادات حتى هابهم وخافهم جميع العربان وسكان الفلوات (قال الراوى) وأعجب ما جرى فى هذه السيرة العجيبة من الامور المطربة الغريبة الفائقة الرائقة أن فرقة من بنى عبس وفرسانها قد افتقروا وقل مالهم وشعث حالهم ولم يبق عندهم شئ من كثرة الطارق عليهم والوارد من الضيفان اليهم فعزموا على الغزو والغارة ونهب أموال العربان كما قد جرت عادتهم فى ذلك الزمان وكانوا عشرة فرسان ومن جملتهم الامير شداد بن قراد المسمى بفارس جروه وحامى النسوه لان فرسه اسمها جروة وكانت من الخيل الموصوفات الحسان فى ذلك الزمان وقد حسده عليها جميع العربان والفرسان وقد راسلته بسببها الملوك وهو لا يجد عنها سلوان ولا يقبل فيها ثمنا ولا رهان وكان دائما يذكرها فى أشعاره فى كل الاوقات ومن جملة ما قال فيها هذه الابيات ونحن وانتم نسلى على سيد السادات

ألا لا تطلبوا فرسى ببيع * بجروة لا تباع ولا تعار * لان لنا بها حصنا منيعا
وفى وثباتها عز وجار * ونغذوها اذا جاءت الينا * مع الرعيان تتبعها المهار
وندخرها لايام الرزايا * فتنجينا اذا طلع الغبار * بجروة مهرة للخيل سادت
كما فوق النظام علا النثار * تطير مع الرياح بغير ريش * وتخشاها البرارى والقفار

(قال الراوى) وكان من جملة العشرة الامير شداد ومالك ومعاوية وزخمة الجواد والحرث بن شماخ والعيسوب وعامر بن ناشد وعياض بن ناشب وزياد بن وشاح وعاصم وهو باقى العشرة وهم من الفرسان ممن لا يجرى مجراهم فى الرهان المشهورين المعدودين فى الحرب والطعان ثم انهم ساروا من أرض الشربه وهو فى تلك الجماعة والصحبه وهم غائصون فى الحديد متدرعون بالزرد النضيد وساروا حتى أبعدوا عن أرضهم وديارهم ولم يحبوا الغارة بالقرب من دارهم وأمصارهم وجدوا حتى قطعوا أرض بنى عدنان ودخلوا أرض بنى قحطان وجعلوا يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل فى الظلماء ومازالوا على ذلك الحال حتى أشرفوا على جبلين يقال لهما أجا وسلما فرأوا بينهما قبيلة عامرة وأموالها جزيلة غامرة ولها مضارب وخيام ورايات وأعلام وأكثر المضارب من الديباج الزيبقى ولها لمعان فى الشمس وارتهاج والحله كأنها البحر العجاج المتلاطم بالامواج من كثرة العبيد والغلمان والفرسان والشجعان والجوارى الحسان والخيول المختلفة الالوان وهى قبيلة جليله وهى تسمى بنى جديلة وهم آمنون من

ريب الزمان وتغير الحدثان ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى بنو عبس أحوالهم وكثرة خيلهم ورجالهم لم يجسروا على المسير اليهم وخافوا على أنفسهم من الهجوم عليهم فتركوهم وعادوا قاصدين مراعيهم فنظروا الى ألف ناقة ترعى وقد أوسعت فى المرعى وأسنمتها قد مالت من كثرة العشب والكلا وهى سارحة فى تلك الارض والفلا ومع تلك النوق أمة سوداء وهى قائمة ترعى فى تلك البقاع والمرعى وهذه الامة عريضة الاكتاف غليظة الاطراف مائسة الاعطاف مائلة الارداف مليحة الاعتدال كأنها غصن البان اذا مال ونهدها مقعد وثناياها مثل البرد وخدودها كأنها برق يتوقد ومع تلك الامة ولدان أطفال وهم يعينونها على رعى الجمال ويدورون من حولها ذات اليمين وذات الشمال ﴿قال الاصمعى﴾ فلما ان نظرت بنو عبس الى تلك النياق جدوا اليها فى السباق وخطفوها وساقوها سوق الارانب ولذعوها من كل جانب باسنة الرماح والقواضب فخدت النياق فى خطاها وقد أوسعت فى مشيها ومسراها ومعها تلك الامة والعبدان أولادها من وراها وبنو عبس فى أثرهم متأهبين للقاء من يتبعهما من الفرسان أعداها الا أنهم ما أبعدوا عن الديار الا القليل حتى طلع من خلفهم غبار قد ثار وعلا حتى سد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن بريق زرد ولميع خود وخلائق مالكثرتها عدد ✲ هذا وخلف الغبار صياح الابطال ودمدمة الاقيال فلم تكن الا ساعة حتى أدركوهم وهم لهم طالبون ونادوا الى أين تفجون يا كلاب العرب ونحن لكم فى الطلب فلقد سعيتم بأرواحكم الى آجالكم وقدمتم على موتكم ووبالكم دعوا ما معكم من الاموال واطلبوا الارواح النجاة قبل الفوت ولقد وصل اليكم الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر ثم انهم حملوا على بنى عبس حملة صادقة ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت العشرة من بنى عبس الى ذلك الحال أعنوا خيولهم واعتدوا بنصولهم ووقفوا ينتظرون القادمين فلما ان وقعت العين على العين وتقابل كل من الفريقين أكبت بنو عبس رؤسها فى قرابيص سروجها وحملت مثل الشواهين وأثبتوا الاجنه وعملت بينهم الاسنه فسال الدم وجرى ومدوا الفرسان على وجه الثرى وتركوهم لوحش البرقرا فعند ذلك عمل البتار وقدحت حوافر الخيل الشرار وعميت الابصار وقلت الانصار ولحق الجبان الانهار وحار وطلب الهرب والفرار وقصرت الاعمار وكشفت الاستار وباحت الاسرار وضاقت الاقطار ولم يزالوا على هذه الاخطار الى نصف النهار ﴿قال الراوى﴾ هذا وبنو جديلة مع بنى عبس فى حرب وخصام وتجريع الموت الى الزوال ولم ينالوا من بنى عبس منال وقد نفد منهم المال وعدموا النياق والجمال وعولوا على الانفلال وقل عزمهم وعجزوا عن لقاء خصمهم وتلف جمعهم فصاحت بنو عبس عليهم فولوا من بين أيديهم هاربين والى ديارهم طالبين وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور بعد ما قتلت أبطالهم وأخذت أموالهم وساق بنو عبس النياق والجمال وطلبوا الديار والاطلال وجدوا فى قطع الجبال والوديان ومازالوا سائرين على ذلك الحال الى أن غابت عنهم الشمس وأمسى عليهم المساء فنزلوا على بعض الغدران لاجل الراحه فى ذلك البر والساحه ثم انهم أكلوا شيأ من الطعام وأرادوا هنالك المنام حتى يذهب الظلام ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قد لاحت من الامير شداد التفاتة الى تلك الامة التى كانت تسوق النياق فملت فى قلبه واحنوت على سرائره وولبه والى وصلها قد اشتاق وذلك لاجل ما رأى من نعومة أطرافها ولين أعطافها وحسن لونها وغنج عيونها وسحر جفونها وميل قدها وسماحة وجهها ولميع خديها وحلاوة لفظها وحسن شكلها لها عيون أحد من المنايا وبرق ثناياها ألمع من المرايا ومبسمها عذب وقوامها معتدل كما وصف ذلك بعضهم حيث قال صلوا على سيدنا محمد ضا من الغزال

وفى السمر معنى لو عرفت بيانه ✲ لما نظرت عيناك بيضا ولا حمرا

لباقة أعطاف وغنج لواحظ * يعلمن هاروت الكهانة والسحرا
ولولا سواد الخال فى خد أبيض * لما عرف العشاق يومالة قدرا
ولولا سواد المسك ما اتباع غاليا * ولولا سواد الليل ما أطلع الفجرا
ولولا سواد العين فيها لمازها * محاجرها فى عين عاشقها جهرا

(قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة ياكرام صلوا على البدر التمام فلما نظر الامير شداد بن قرادالى مافى هذه الامة من الاوصاف زهت فى عينيه كماشاء خفى الالطاف ليظهر منها مكنون سره وبين مايريد من أمره فهنالك أومأ لها شداد وسار فتبعته الى مكان بعيد ولم تعلم مايريد فهنالك طلب أن ينشاها فمانعته عن نفسها ولم ترض بذلك الامر النكير لانها كما يأتى كانت من بيت كبير فقال لها ويلك أنت بقيت زوجتى وأولادك عندى وأنا أكرمك طاقتى وجهدى (قال الراوى) فهنالك طاوعته على مراده تخلابها لما رأى من حسن طباعها وقضى غرضه وبرد فؤاده وذلك لما هو عند أهل ذلك الزمان وجهل فرسان جاهلية العربان من اعتقادهم أن كل من اكتسب شيأ فهوله حلال لكثرة الجهل والضلال (قال المصنف) لانه ما كان لهم رسول ينهاهم عن ركوب الآثام ولا شريعة تعرفهم الحلال من الحرام بل كانت العقلاء منهم ينتظرون ليلا ونهار طلوع شمس رسالة صاحب الانوار سيدمحمد النبى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام (ونرجع الى ما كنا فيه من سياق الحديث الاول) فلما قضى الامير شداد من الامة مراده من وصله عاد الى أصحابه وقد عرفوا منه ذلك فأرادوا أن يفعلوا مثل فعله ويتبعوه فى أمره فلم ترض تلك الامة لهؤلاء الرجال ولم تطعهم على ذلك الفعل والاعمال بل هربت من بين أيديهم فى الرمال وقد أنكرت منهم تلك الاحوال لانها من نسل قوم كرام غير لئام وسوف نذكرها فى تأصيل نسبتها ونذكر سبب غربتها وفرقتها ولكن نذكر كل شئ فى مكانه بعون الله وسلطانه اذا وصلنا اليه والنبى يتبسم فى وجه من يصلى عليه صلى الله وسلم عليه (قال الاصمعى) فلما ان أبعدت عنهم تلك الامة وفعلت فعل الحرة المكرمة ولم ترض بهذا الامر النكير ولانها كما قد منا من بيت كبير غارت نفس الامير شداد عليها وردهم عنها وقال لهم انى جعلتها فى عصمتى ورضيت أن آخذها من قسمتى فرضوا بذلك الحال ثم عادوا عنها راجعين ومما أملوه خائبين ولم ينالوا منها أرب سوى الامير شداد المنتخب ولذلك حكم له بها قاضى العرب وقال ياشداد ان هذا المولود بعدلك من جملة الاولاد (قال الراوى) ثم انهم باتوا فى تلك الارض والبطاح الى أن أصبح الله بالصباح وطلع النهار ولاح ورحلوا يقطعون البرارى والقفار وساروا بالغنائم والاموال طالبين الديار ولم يزالوا يجدون سيرهم حتى وصلوا الى أرضهم ودارهم وفرحت بهم أهلهم (قال الراوى) فعند ذلك قسموا تلك الغنيمه وأولموا الوليمه بحضرة الملك زهير بن جذيمه صاحب القدر والقيمه بعدما أخرجوا منها قسما للملك زهير ذى القدر الوافر ووقعت الجارية وأولادها فى قسمة شداد الاسد الكاسر وكان لها بين الاحرار حرمة وهيبه وكان اسم ولدها الاكبر جريرا والاصغر شيبوب وكانا كابناء المصبوب فعند ذلك تركها الامير شداد من جملة الاماء فى المرعى هى وأولادها للاموال ترعى وكان الامير شداد يرعى وداده اهى وأولادها ويفتقدها صباحا ومساء وفى سائر الاوقات والساعات وقدرة الله تعالى تقلبها كيف يريد صاحبها ويشاء ومازالت على ذلك الحال والعمل حتى ظهر عليها الحبل وكبر بطنها وقل نشاطها وتداولت عليها الايام والشهور حتى كملت أوقاتها وحان من الولادة الظهور كما يشاء الملك الغفور الذى قدر الاشياء وابتدعها وخلق الخلائق وصنعها (قال المؤلف) فلما كان تلك الليلة أخذها الطلق كما يشاء خالق الخلق فمازالت من أول الليل تصرخ الى وقت السحر فولدت مولودا ذكر وهو أسود أدغم مثل الفيل أفطس المنخر واسع المناكب واسع المحاجر

صنعة الملك الجليل معبس الوجه مفلفل الشعر كبير الاشداق مكدر المنافس متسع الظهر صلب الدعائم والعظام كبير الرأس والاقدام كأنه قطعة غمام بآذان كبار وأحداق يتطاير منها شرار النار كما قال فيه الشاعر هذه الابيات صلوا على سيد السادات

وأسود يحكي ظلام الدجا ✿ كأنه جرمن الجلمد ✿ له ذراعان بعيدا المدا
قوامه المياس كالمرود ✿ وقد تراه أعبسا أدبسا ✿ ومزعجا للبيض والاسود

(قال الراوى) الا أن أعطافه ومناكبه شداد وأعضاءه وخلقته تشبه خلقة أبيه شداد ففرح به الامير شداد لما ان رآه وقال سبحان من خلقه وسواه وبعنتر سماه وأوصى أمه زبيبة عليه وصار فى كل الاوقات يشرف عليه وينظر اليه وكانت أمه زبيبة اذا منعته من الرضاع همهم وصرخ ودمدم ويذوم كما تذوم السباع وتحمر عيناه حتى تصير كأنها الجمر اذا أضرم وكل يوم يلبسونه قماطا جديد لانه يقطعه ولو كان من جديد ولما ان صار له من العمر عامان بالتمام صار يدرج ويلعب بين الخيام ويمسك الاوتاد ويقلعها فتقع البيوت على أصحابها مرارا كان يفعلها ويعافر مع الكلاب ومن أذنابها يمسكها ويخنق صغارها ويقتلها ويضرب الصبيان والاولاد واذا رأى ولدا صغيرا هبشه فى وجهه ورماه على ظهره ويلغ منه المراد وان كان ولدا كبيرا يعافر معه حتى يفتت منه الاكباد ولم يزل على ذلك الحال حتى خرج عن حد الرضاع وصار له من العمر ثلاث سنين وكبر وانتشى وترعرع ومشى وذكره قد شاع (قال الراوى) فعند ذلك سمع به الفرسان العشرة القسريه الذين كانوا مع الامير شداد فى السريه فما منهم الا من تعجب من هذه القضيه واشتهى كل واحد منهم ان ينظره وحده وتحدثه نفسه انه عبده دون البريه ثم انهم قد اجتمعوا وأتوا اليه فلما ان رأوه وقفوا حواليه وكل واحد ظن انه من قسمه وانه يعد من سهمه ثم انهم قالوا لشداد أنت لما كنا اقتسمنا كان لهذه الجاريه اثنان من الاولاد وهذا الغلام الثالث كانت حاملا به وما صار عليه كلام (قال الراوى) ووقع الصياح وزاد بينهم الخصام حتى كاد أن يقع بينهم ضرب الحسام ولولا حرمة الملك زهير تمنعهم عن بعضهم البعض لكانوا قرضوا أنفسهم قرض ثم ادعى كل واحد منهم أنه عبده بعد ما عصبه أقاربه وجنده وتخاصم الجميع عليه وداروا كلهم حواليه وزاد الشر فى القبيله وقلت الخيله وصارت فتنة وبيله وقد جرد كل سيفه الباتر وصار الاول منهم لا يعرف الآخر (قال الراوى) فلما علا الصياح وعلا ووصل الى عنان السما فعند ذلك وصل الخبر الى الملك زهير صاحب الكرم والخير فأرسل خلفهم يدعوهم الى حضرته ويسألهم عن هذا الشر وعاقبته وما هذه المخالفة والفساد فما كان غير قليل حتى أقبل الامير شداد والعشرة الفرسان الامجاد فلما دخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه فقال لهم أيها السادات والاعيان لقد أزعجتم قلوب النساء والصبيان فما سبب هذا الامر والشان فاخبروني بالخبر وأطلعوني على جلية الاثر حتى آخذ للمظلوم حقه وأقابل الظالم بما يستحقه لانكم أولاد عم وقرايب وأهل وحبايب ونسايب (قال الراوى) وكان فى ذلك اليوم عند الملك زهير ضيوف من بنى غطفان السادات الكرام وهو جالس معهم على الطعام فلما حضر الجميع الرفيع منهم والوضيع سألهم الملك زهير عن حالهم وما الذى أوجب قتالهم فأخبروه بقصتهم وما اكتسبوه فى سفرتهم وكيف انهم قد سار وا فى مريه وكيف غنموا النوق والجاريه الحبشية وكيف قد غشيها الامير شداد وكيف أعطاهم قسمه وما كان عليه اسمه وأخذ الجاريه والاولاد وانها أتت بمولود خلقته تشبه خلقة الاسود وكل منا يدعى انه لم تقع عليه القسمه حيث كان مخفيا بطن أمه يا أهل الوفاء والذمه وهذا الذى كان سببا للفتنة (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تعجب غاية العجب من تلك الاحوال وقال لشداد ائتنى بهذا العبد الذى قد تخاصمتم عليه حتى انظره أنا وهؤلاء السادات الحاضرون فعند ذلك

مضى الامير شداد وغاب ساعة وعاد وأتى بالغلام بين يديه وقد قامت فى أم رأسه مقل عينه فلما أوقفه الامير شداد قدام الملك زهير نظر اليه الملك والحاضرون واذا بصورته كصورة الاسد اذا أنذعر وعينه كالدم الاحمر فاحتار الملك منه والحاضرون ومامنهم الا من قال هذا أسد من أسد العرين * هذا والملك ينظر الى صورته ويتعجب من خلقته وكبر جثته مع أن عنترا كان ذلك اليوم لم يكمل له أربع سنين الا أنه كان يقارب أولاد العشرين ثم ان الملك زهير زعق عليه ورمى اليه قطعة لحم من ذلك اللحم الذى بين يديه فسبقه كلب اليها من تلك الكلاب الواقفين وخطف اللحمة مثل الشاهين وولى يطلب الهرب فهنالك يحلق الغلام عينيه وعدا وراءه وقد اشتد به الغضب فلحقه ومسكه من رقبته وبرك عليه وأخذ اللحمة من بين فكيه ثم أدخل يديه فى فمه وقبض على شدقيه فشق حنكه الى حد كتفيه وعاد يطلب أباه شداد وهو يأكل من اللحمة وفمه ملآن ويردد النظر الى الملك زهير ومن عنده من الضيفان (قال الراوى) فتعجب الملك زهير غاية العجب وبهت فيه كل من كان هنالك من سادات العرب وقال الملك زهير والله ما هذه الفعال الا دليل الشجاعة والقوة لهذا الغلام المسمى عنتر ولابد ان يصير من أشجع الشجعان ثم ان الملك زهيرا أقبل على الفرسان وقال لهم يا بنى عمى ومن بهم يفرج همى وغمى اسمعوا كلامى وافهموا مرامى ان كنتم لى طائعين ولكلامى سامعين لا تتقاتلوا وتنزلوا بأنفسكم التدمير من أجل هذا المولود الصغير وأبطلوا ذلك الامر النكير وان كان لابد لكم من تبيان هذا الامر الذى يفنى الذرارى فعليكم بقاضى العرب بشارة بن قطبة الفزارى وأعلموه بهذا الامر والسبب فهو يحكم بينكم بالسوية ويفصل لكم هذه القضية لانه أخبر بهذا السبب وهو قاضى سائر العرب (قال الراوى) فلما سمعوا من الملك زهير كلامه مامنهم الا من أطاع أحكامه وكفوا أيديهم عن القتال وأبطلوا المشاجرة والاقوال وركبوا خيولهم فى الوقت وساروا قاصدين الى قاضى العرب صاحب الحسب والنسب من ذوى الرتب فلما وصلوا اليه وتمثلوا بين يديه شرحوا له قصتهم وأعلموه بقضيتهم وما جرى لهم فلما سمع قاضى العرب منهم ذلك الكلام قال لهم هل أحد منكم غشيها فقالوا لا وحق من خلقها وسواها الا شداد فهو الذى افترسها فقال لهم اذا كانت هذه شهادتكم على أنفسكم وهى بارادتكم وما أرى أحدا منكم جحدها فكيف آخذ ولد الرجل وأعطيه لكم وانى قد لاح لى وجه آخر وهو أن هذا الغلام أشبه الخلق بشداد وأنا قد حكمت أن يكون له من جملة الاولاد فكفوا عن الشر والعناد وارجعوا الى طريق الصلح والوداد والسداد والعقو والرشاد (قال الراوى) فعند ذلك اصطلحوا قدامه وأجابوا كلامه ولزموا الاحترام والادب بين يديه ورجعوا كلهم عما كانوا عازمين عليه والامير شداد أفرح الخلق بهذا الامر والشان فلما رجعوا الى الديار ووصلوا الى الاوطان فرحت بصلحهم جميع الاهل والخلان وبعد ذلك افرز الامير شداد لزبيبة وأولادها بيتا من الارجوان وجعل عندها ما تحتاج اليه من الطعام والالوان وأوصاها بأولادها وأكد عليها وأكثر وصيته على الولد الاصغر الاسد الضرغام المسمى عنتر وصار عنتر ينمو ويكبر ويخرج مع أمه واخوته الى البرية والصحراء والمرعى ويعينهم على رعى النوق والجمال فى البرية القفرا (قال الراوى) ولم يزل عنتر على هذه الاحوال الى أن كبر واشتدت أوصاله وقوى عصبه وانصلبت أحواله وقويت عظامه واحتد كلامه فصار يكابد أقرانه ويضرب من غالطه أو أهانه واذا عاد من المرعى عند المساء يطرح نفسه بين العبيد ويكثر عليهم الشر والاساءة واذا أرادوا أمرا وأرادهو غيره لا ينفذ الا ما يريد وأى من عانده منهم وتعاصى عليه وثب اليه ونزل بعصاه عليه ولو كان أكبر منه فى العبيد وكل يوم تأتى العبيد والاولاد الى مولاه شداد يشكونه اليه وصار كل من فى الحى ضد اليه (قال الراوى) فلما ان كثرت الشكاوى عليه هنالك اشغله مولاه شداد بقطعة من الغنم ووكل رعيها اليه فأخذها وصار يبعد بها فى البر والاكام عن الاحياء

ويستحسن هذه الاشياء ويوسع فى البر ويغوص بتلك الاغنام ويخلو بروحه ويختفى ويحدث روحه بكل أمر خفى ويقضى نهاره بالجرى فى جنبات البر وراكض كلاب الغنم ويتعلم من طرادها الكر والفر وفى كل يوم تزداد قوته وتتجدد شطارته وتعلو همته ولم يزل على ذلك الحال والمرام الى أن صار له من العمر تسعة أعوام (قال الراوى) فلما أن كان فى يوم من الايام أوسع فى البر بالغنم وقصد بها الروابى والاكم الى ان حميت الشمس وكان قد أبعد عن حى بنى عبس فقصد شجرة يستظل تحتها وأراد أن يدير ظهره الى جانبها ويترك الاغنام ترعى وهو يراقبها واذا بذئب قد أتى من كبد البر ودخل بين تلك الغنم فشردها وعنتر يناظرها ويراقبها فلما نظر ذلك الذئب وقد شرد لاغنامه خطف عصاه ونهض على أقدامه وسعى نحوه الى أن قاربه وصرخ فيه وكان الذئب قوى الراس صعب المراس فلم يلتفت اليه ولا عداعليه بل حطم على الغنم وشتتها فى البر والاكم فهجم عليه عنتر وضربه بعصاه فغابت بين عينيه فطيرت مخه من أذنيه وفى الحال قضى عليه فتقدم عنتر اليه وقد شد قلبه عليه وداسه برجليه ثم بعدها قطع يديه ورجليه ورأسه من بين كتفيه وعاد وهو يهمهم ويدمدم ويزمجر كأنه الاسد الغضور ويقول ويلك يا ميشوم الناصية لانا أقل الامن أغنام عنتر أما تعلم أنه همام غضنفر ثم انه جعل رأسه ويديه ورجليه فى مخلاة كانت معه وترك باقى جسده ملقى على الفلاة وعاد الى الشجرة وجلس موضعه جاثيا على ركبتيه ثم انه جال الشعر فى خاطره فباح بما كان فى ضميره فأنشد وجعل يقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول

يا أيها الذئب المهجوم على الردى * هاقد بقيت معفرا منهوبا * أتريد أموالى تكون مباحة
هاقد تركتك بالدما مخضوبا * شردت أغنامى ولم تك عالما * أنى هزبر لا أزل ضروبا
لو كنت تعلم أن هذا تلتقى * منى وتنحى للحمام شروبا * ما كنت تبغى نحو صندید فقد
وافاك حتفك عاجلا مصبوبا * هذى فعالى فيك يا كلب الفلا * والحال انى ما شهدت حروبا

(قال الراوى) ولما أن أمسى المساء عاد عنتر طالب الاحياء ولم يخش من رقيب فلما وصل الى البيوت تلقته أمه وأخذت المخلاة منه فوجدت فيها راس الذئب والعراقيب فارتابت وخافت خوفا شديدا فسألته فأخبرها وأعلمها بما جرى له من الامر العجيب فحارت من ذلك الكلام واستهولت هذا الاقدام وأخذت راس الذئب ووعته والى مولاها شداد قدمته وأخبرته أن ولدها عنترا قتله فاستعظم ذلك أيضا واستهوله وتعجب شداد من ذلك السبب وقال لها والله ان هذا الغلام فعائله كلها عجب وان اخوته أكبر منه ما وقع منهم مثل هذا لما عندهم من العقل والادب (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام واذا هم بشيبوب وهو يبكى خلف الخيام فناداه شداد بين يديه وقد صعب بكاؤه عليه وقال له ما بالك وما الذى جرى لك فقال له يا مولاى أجرنى من رعى الخرفان لانى فى هذا النهار قاسيت الموت والاهوال وكدت أن أهلك من شدة ما ركضت وجريت فى البرارى والوديان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن شدادا لما أعطى عنترا الاغنام يرعاها أعطى الخرفان الرضع لشيبوب لاجل خفته وراها فلما كان ذلك اليوم الذى نحن فى ذكره خرج شيبوب والخرفان وراء ظهره الى أن توسط البر فرأى رابية خضراء فساق اليها الخرفان ووقف يراقبها وينظر الى البر والقيعان * قال وكان فى تلك الرابية ثعلب فلما وصلت الخرفان الى الرابية هرب فنظره شيبوب وظن أنه من جملة الخرفان فألقى العباءة عن كتفه وأخذ فى يده العصا وأطلق رجليه وكان شديد الجريان يسابق الغزلان فى البر والقيعان * هذا والثعلب جد فى الهرب وشيبوب وراءه من رابية الى رابية كأنه الطير اذا طار الى أن أدركه ورده بالعصا قوة واقتدارا ولا زال سائقا له حتى أوصله الى الخرفان فلما رأته الخرفان جفلت يمينا وشمالا فركض شيبوب وجمعهم حالا وافتقد الخروف فما رآه فطلع يجرى وراءه الى أن رده بالعصا فلما رأته الخرفان شردت فعاد لهم فهرب الثعلب وتشتت وبقى

على

على ذلك الى المساء وساق الجميع الى الاحياء وهو يراقبها ويكى قداء شداد كما ذكرنا فقال شداد ويلك هذا أمر كبير من هذا الخروف الحقير فدلنى عليه حتى أذبحه وأريحك منه ولو كان مالى غنى عنه فقال شيبوب ها هو يا مولاى يحدق بأعينه الى فلا رعاه الله ولا احياه ما أكبر آذانه لمد لاه فنظر اليه شداد المنتخب واذا به ثعلب فمسكه وذبحه ثم ان شدادا التفت الى زبيبة وقال لها اعلمى أن كل أولادك شياطين فلا تفارقيهم أجمعين خصوصا عنترة فلا تبعدى عنه ليلا ولا نهارا لئلا يسطو بعض الوحوش عليه ويأخذ روحه من بين جنبيه فتندمى فعليك أن تلاحظيه وارعى أنت الغنم وهم معك ولا توسعوا فى البيداء لئلا يلتقى بكم أحد من العدا فقالت زبيبة سمعا وطاعة فكل ما تأمرنى به أفعله فى هذه الساعة (قال الراوى) فلما ان كان عند الصباح سرحت زبيبة ومعها أولادها وقد ساقوا الخيل والجمال والاغنام وطلبوا بها الجبال والآكام وصار عنتر يوسع فى تلك لفلاه ويقصد المراعى البعيدة والاراضى المخصبة والمياه وأمه عن ذلك تنهاه وتعلمه بما أوصاها به مولاه فلم يسمع كلامها ولا مقالها ولم يفعل الا ما اشتهاه وصار يركب الخيل ويتعلم على ظهورها الفروسية والشطاره ويسوق عليها فى جوانب الاقطار ويطعن بالقصب الفارسى أصول الاشجار ويطلب لنفسه العلو والافتخار ويتعلق على ما تبديه نفسه من الاشعار وكانت أمه تخفى جميع أحواله ولا تعلم أباه بافعاله خوفا عليه ان يضربه أو يشد اعتقاله وكان عنتر اذا خلا بنفسه فى القفار يتمهر فى أبواب الحرب طول النهار ويطلب بذلك منازل العز والافتخار (قال الراوى) لهذا الكلام يا سادة يا كرام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وسلم ما تاح الحمام (قال الناقل) ثم ان عنترة فى بعض الايام قال لاخيه شيبوب هات عباءتك يا قيم السودان فأعطاه اياها فأخذها وعلقها على بعض الاشجار وصار يجول على ظهور الخيل ويطعنها بالقصب الى أن خرقها ومن جميع أطرافها مزقها ثم أخذ عباءة أخيه جرير وفعل بها مثل ما فعل بعباءة شيبوب بلا نكير ثم شلح عباءته وصار يطعنها الى أن أتلفها ومزقها وهو يتقلب على ظهور الخيل * هذا وشيبوب من خوفه من مولاه شداد أخذ العبى وراح الى مراقد الرعيان فبددها وغيرها ولم يشعر بذلك انسان لان الحر فى الارض شديد وعند نصف النهار تنام الرعيان والعبيد فأتاهم شيبوب بالعتيق وأخذ الجديد وصار كل يوم على هذا الحال والفتنة تقع بين الرعيان عند المساء حين يعودوا الى الاحياء ويقول بعضهم لبعض أنت بدلت العباءة ثم ان شيبوب ترك الرعيان وصار يأتى الى الناس وهم نيام فيأخذ عبيهم الجديد ويضع لهم القديم وكل صباح تقع الفتنة بين العبيد ويعلو بينهم الصياح ولم يزالوا على هذه الاحوال القباح ولم يعرفوا الشر من أين اليهم أتى وراح وكانت هذه الفتنة من عنتر وشيبوب ليوقعوا بين العبيد البلاء المنصوب وكان من شدة حبث شيبوب وأخيه يسبقهم الى المرعى فى الفلاة فينزول فيه واذا كان وقت الرجوع كان رجوعهم بعد الرعاة وبقوا على هذا الحال مدة من الزمان حتى ضجت أهل الحلة من كثرة الفتن التى تقع بين الرعيان (قال المؤلف) ومازالوا على ذلك الامر المتوالى الى ان كانت ليلة من بعض الليالى فغرق شيبوب فى المنام وما أفاق الى الصبح وكان ذلك من شدة التعب والعيا ولما أفاق ساق هو وأخوه جرير وعنتر المال والخيل والجمال وسار واحتى وصلوا الى المستقر الذى لهم وأطلقوا المال يرعى وطلب عنتر من شيبوب العباءة ولم يكن تلك الليلة سرق شيئا ولم تكن معه الا عباءته فأعطاه اياها فأخذها ومازال يطعن فيها حتى مزقها وكذلك عباءة أخيه جرير خرقها عباءة نفسه وأيضا مزقها وقال لاخيه شيبوب اذا كانت الليلة الآتية حين ينام العبيد خذ عبيهم وغيبها ففعل شيبوب ما أمره به الامير عنتر ثم ان العبيد عند ما تفقدوا عبيهم صاروا فى ضجر الى أن وصلوا البيوت وهم على هذا الحال المنكر (قال الراوى) لهذه المقالات فاتفق أن مولاهم شداد خرج يباشر أمواله وخيله وجماله حيث تأخرت

فسار فى البيداء وطلب الصحراء على مهل واذا بماله وخيله وجماله قد أقبلت فلما رأى شيبوب مولاه شدادا قد أقبل قال لاخوته ويلكم يا أولاد الام أرى سيدى شدادا يهرول الينا على عجل وأنا والله خائف منه أن يلقانا هذه الساعه ونحن على هذه الحالة من البشاعة وربما يرى عبيكم ممزقة فيمزق جلودكم تمزيقا فالصواب أن تعملوا الى خلاصكم طريقا فقال عنتر وأى شئ يا ابن الام تدبره لنا قبل أن يسألنا فدبرنا أنت بفعالك وخلصنا باحتيالك فقال لهم شيبوب يا اخوتى سوقوا أنتم المال بلا وقوف ولا انتظار وتخلصوا أنتم من هذه المصيبة والاكدار وأنا أتقدم اليه وأكذب عليه كذبة وأقص عليه ما جرى لى فى الغربه عسى انها تدخل عليه والا لم تقدروا أن تقفوا بين يديه وان كانت لا تدخل عليه فانظروا ماذا تعولون عليه وعلى أى شئ تقدمون اليه وتعلموا ما تلقونه من الضرب الشديد ويجرى علينا ما يجرى كل يوم على العبيد (قال الراوى) ثم ان شيبوبا تقدم الى مولاه شداد ولاقاه وصاح وناح وعدد وباح ورمى نفسه الى الارض وحثا على رأسه التراب وشق ما عليه من الثياب فانزعج الامير شداد غاية الانزعاج وخاف على أمواله ونوقه وجماله وصاح على شيبوب ويلك يا غلام ما بالك وما الذى جرى لك هل أحد غار عليكم ووصل بضره اليكم أو شردت الجمال أو أخذ شئ من الخيل الاصال فقال شيبوب لم يكن يا مولاى شئ من هذا الحال بل أنا أخبرك انا دخلنا بالاموال الى شعب الوادى وأطلقنا الدواب فى المرعى واذا قد خرج علينا جراد عظيم بليغ حتى سد فم الوادى فطلبناه من كل جانب فردناه بالعصى نخرقها وانظر كيف نزقها ولولا أننا فعلنا تلك الفعال لكان قد ضيع منا النوق والجمال فقال شداد أتكذب يا ولد الزنا لماذا متى رأيت أو سمعت أن الجراد يفعل بشباب الناس هذا فقال له نعم وحياتك يا مولاى لان فيهم جرادا كبارا قدر العصفور وفيهم من هو أكبر من الزرزور فقال له الامير شداد وقد انطلت حيلته عليه لاعدتم تبعد والهذا البعاد فى الوديان لئلا يجرى عليكم مثل هذا الشان (قال الراوى) وهذا ما سمعناه فى هذه السيرة المجازيه ونصلى نحن وأنتم على خير البريه وقد ذكرناه حتى لا يضيع على المستمع شئ من الحديث الذى أوردناه (وانرجع) الى سياق الحديث الاول والخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما سمعت أذن بخبر واتصلت عين بنظر يا سادة يا كرام ه وما زال عنتر يطلب لنفسه المنازل العالية والامور السامية وكانت أمه تخفى حاله ولا تظهر على أبيه أفعاله مخافة من ان يضربه و يشد اعتقاله وكان اذا خلا بنفسه فى القفار ينقلب على ظهور الخيل والمهار و يقهر عليهم فى أبواب الحرب طول النهار و يطلب بذلك العز والافتخار ولم تزل هذه الاوصاف اوصافه حتى اشتدت اطرافه وعرضت اكتافه وكملت اوصافه بالقوة والبراعه وظهرت فيه اعلام الشجاعه وصار اذا شرد منه البعير يصيح عليه فيرجفه واذا مسكه من ذيله يوقفه ثم يعافر الجمال الصوال و يجرها و يقهرها واذا تعاصت عليه دق اعناقها وشق اشداقها فخافته جميع العبيد وهابه القريب والبعيد ولم يزل كذلك وهو على ذلك الحال مدة من الايام والليال (قال الراوى) وكان للملك زهير مائتا عبد ترعى له نوقه وجماله وخيله وأمواله كما قدمناه وكان شاس أكبر أولاده والموصى له بالملك من بعد أبيه عند نزول رب المنون وكان لشاس عبيدا يضا ترعى له أمواله وكان المقدم عليهم عبدا اسمه داجى شديد التكبر عظيم الخبر وكان من تكبره كل من عارضه لا يكون من شره ناجى وكان شاس يحبه لاجل شدته وفعاله وحفظه لنوقه وجماله وأمواله والعبد هيبته من هيبة مولاه وما فى العبيد الا من يهابه و يخشاه ومع هذا قد طمع فى سائر العبيد الضعيف منهم والشديد واستخدم منهم القريب والبعيد وكان عنتر لا يعبأ به ولا يخافه ولا يرعاه ولا يخشاه ولا يحسب حسابه وكان داجى يغتاظ من عنتر و يبغضه و يتمنى هلاكه وموته ولم يزل الامر بينهما على ذلك الحال وهم على مثل ذلك المرام

الى

الى ان كان يوم من بعض الايام عند المساء وكان من عادة الرعيان أنهم يطلبون قبل المساء الاحيله بعدان يطلبوا الغدير ليسقوا المواشى والانعام فلما كان ذلك اليوم وقد تجمعت الصعاليك والارامل والايتام وقد أتوا ليسقوا جمالهم لدى الخاص والعام وصاروا كلهم عند الماء قيام وداجى عبد شاس ابن الملك زهير منع الناس عن الغدير وملكه بلا نكير وردا لجميع عن الوصول اليه مع ان الغدير يسع جميع الواردين عليه وانما كان ذلك من داجى عبد شاس مجرد أذية لهؤلاء الناس فكان الفقراء والصعاليك والايتام ينظرون اليه وهم عطاش قيام لا يقدرون أن يتجمعوا عليه لخبث أخلاقه اللئام (قال المؤلف) فتقدمت اليه امرأة عجوز من عجائز بنى عبس وكانت امرأة كبيرة السن ضائعة الذهن فقربت الى نحو داجى وصارت له بالذل والاحتقار تناجى ثم دنت منه وركبت مركب الاخطار وقالت له ياسيدى داجى تفضل على واسق لى غنيماتى ونجاجى لانى من لبنها أقتات فارحم كبرى وعبرتى حفظت من السنات واقبل سؤالى واسقهالى يامن ينتمى للاجاد والسادات ثم انها ألحت عليه فى الكلام فلم يلتفت اليها ولا حن قلبه عليها فعند ذلك تأخرت ونفسها قد انكسرت (قال الراوى) فتقدمت اليه عجوز أخرى وكانت من أرباب النعم وعلى اعطافها شواهد الصيانة والكرم ثم انها تقدمت اليه وقالت له ياسيدى داجى أنا امرأة ضعيفة كما ترى وقد رمانى زمانى بعد أهلى وخلانى وأصابنى الدهر كما ترى بقضائه المبرم وبادت رجالى وفقدت أولادى وأهلى وبعلى الاكرم وقد تشتت من بعد الاجتماع بهم شملى وعدت لا أملك الا هذه الغنيمات وانى من لبنها أقتات وما أبقى لى الزمان من يقوم بأمرها فارحم وحدتى وقلة حيلتى واغنم أجرى واجب مسألتى واسقها وارحم الضعفا وكن لمساكين منصفا تحظ بفضلهم (قال الراوى) فلما سمع داجى من العجوز ذلك المقال ورأى ازدحام النساء عليه والرجال تشوشت أخلاقه ومر مذاقه واحمرت أحداقه وطلع الزبد على أشداقه والتفت الى المرأة ودفعها فى صدرها فوقعت على ظهرها ولم تبلغ الآمال وقد صارت فى أسوا حال وانكشفت عورتها وهتك سترها وظهر ما كان من أمرها فتضاحكت العبيد عليها لانكشاف عورتها وشدة ذلتها (قال الراوى) فلما نظر عنتر الى تلك القضيه لعبت بأعطافه النخوة العربيه وعصفت فى رأسه حمية الجاهليه ولم يصبر على ذلك الحال واصفر وجهه بعد ما كان مثل الليل الحالك ثم انه تقدم الى العبد داجى وعارضه وزعق فيه فأرعبه وعلى ما جرى عاتبه وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا ما هذه الفعال الرديئات يا ابن العاهرات أتهتك ستر النساء العربيات قطع الله أوصالك وأوصال من هو بهذه الفعال يرضى لك ثم دنا منه وصار يكلمه بمثل هذا الكلام ويقول له والله يانسل الحرام ويا ابن اللئام مالك دواء الا الحسام (قال الراوى) وكنا ذكرنا أن العبد داجى كان طويلا عريضا فظا غليظا فلما سمع من عنتر من غليظ الملام ما أشار به اليه كاد ان يغشى عليه واستقبل عنترا وقد وصل اليه ورفع يده الى ان بان سواد ابطيه ولطم عنترا على وجهه فكاد ان تسيل مقل عينيه وان يقضى عليه (قال الراوى) فعند ذلك صبر عنتر حتى افاق من اللطمه وردت روحه اليه وتقدم الى العبد داجى وركض عليه ومسكه من احدى رجليه وجذبه ورماه على عجزه وارادان يحل به عطبه وادخل يده فى شدقه وقبض بيده الاخرى على عنقه ورفعه بقوة ساعديه وزنده وقد زاد به الامر عن حده الى ان بان سواد ابطيه وجلد به الارض فرض عظامه رض وخلط طوله فى العرض وفى الوقت قضى عليه ثم عاد عنه وقد اشتد به الغيظ والحرد وصار يدمدم ويزمجر وبهجهم كهمهمة الاسد فلما نظرت العبيد الى داجى وقد حلت به النوائب والمصايب تصايحوا على عنتر من كل جانب وقالوا له ويلك يا ابن الملعونة ونسل الارجاس قتلت داجى عبد الامير شاس أخبرنا من هو الذى بقى يغيثك أو يجيرك من الناس (قال الراوى) ثم انهم وقعوا فيه بالعصى والحجاره على رجليه وأقدامه وقد حلت به الخساره

فخلع عباءته ولفها على يده وتستر بها من الضرب وفعل كما تفعل أبطال الفرسان اذا اشتد الحرب ثم جذب من واحد منهم عصاه ودفعه فرماه على قفاه وعاد اليهم كعودة الاسد وصار يحمل عليهم ويحملون عليه وأرادوا أن يوصلوا الاذية اليه وقد زاد الصياح بينهم والغبار قد خيم عليهم * هذا وعنتر يضرب فيهم وصارت دماؤهم من رؤسهم تسيل وقد عمل فيهم بالعصا ما لا يعمله غيره بالحسام الصقيل (قال الاصمعي وأبو عبيدة) وكان في أولاد الملك زهير ولد اسمه مالك وكان كأنه البدر اذا تجلى في ظلام الليل الحالك وهو بديع في الجمال زائد في الكمال جيد الخصال حسن الفعال كثير الحمية للنساء والرجال قوي الجنان فصيح اللسان له وجه مثل الصبح وقامة أعدل من الرمح وكان أبوه الملك زهير يحبه للطافته وحسن خلقته وكان يفضله ويعظمه على سائر اخوته وأهل قبيلة كلها تحبه وتريد قربه وتطيعه في مقالته (قال الراوي) ومن بعض الاتفاق الذي يؤرخ ويسطر في الاوراق انه كان في ذلك اليوم خارجا يطلب الصيد والتنقص وانتهاب اللهو والفرص ومعه جماعة من العبيد يخدمونه وفي ذلك البر والبيدا يتبعونه وهم قدامه مثل الاساد ولا زال يقطع بهم البر والمهاد الى أن قارب غدير ذات الارصاد فسمع الصياح قد علا والغبار قد غما وقد طبق الفلا فحرك الجواد واقتحم ذلك الغبار والسواد حتى يكشف عن تلك الاخبار واذا قد رأى العبيد في جمع زائد وصياحهم متزائد كلهم قد حاطوا بعبد واحد فحقق الامير مالك فيه النظر وقال لبعض من معه ويلك من هذا الغلام فقال له غلامه يا مولاي هذا عنتر وهو عبد الامير شداد بن قراد * هذا وقد حقق مالك فيه النظر واذا به ظافر بهم ولم يخسر وقد بدد شملهم يمينا وشمالا وهو يحمل عليهم حملات الاسد الرئبال فتارة يجمعهم وتارة يفرقهم وتارة يقلل جمعهم وتارة يمزقهم وما هو من سائر جسده تسيل لما وقع فيه من العصي والحجارة وكان غير قليل وهو مع ذلك يظهر الشجاعة والشطارة ويقول يا أولاد اللئام الشجاعة صبر ساعة وقد رضي لنفسه بالهلاك والعطب ولم يطلب من قدامهم الهرب واختار الهلاك والدمار ولم يرض بالهرب والفرار وهو يدمدم كأنه الاسد الهدار وقد قيل في الاشعار بعد الصلاة على النبي المختار

يا نفس قري لا تميلي للهرب * فليس ينجيك اذا الموت اقترب
والعمر محتوم وان جاء السبب * فلتصبري صبر الكرام ذوي النسب
لا تفزعي يا نفس من خوف العطب * تبقى ذليلة عند سادات العرب
ولتثبتي حتى تنالين الارب * وستنصرين على عدوك في الطلب

(قال الراوي) فلما سمع الامير مالك مقاله ونظر أفعاله دمعت عيناه لما رآه ورثى لحاله وقال لله درك من عبد ما أطول باعك وما أقوى ذراعك وما أشد دفاعك وما أحسن بين العبيد قراعك ثم انه صاح على العبيد ففرقهم عنه يمينا وشمالا ولم يجسروا ان يدنوا منه وقال لهم مالك يا ويلكم يا أولاد الحرام لماذا تفعلون هذه الفعال لا حيا الله آباءكم وأمهاتكم ووجوهكم يا أولاد الزواني اللئام أما تخافون من المعيرة عند كل قاص ودان يا ويلكم تجمعتم كلكم في الجمع المتزائد واتفقتم على شخص واحد وأضمرتم له قتالا وشرا ومع ذلك هو أصغركم عمرا ارجعوا يا أولاد اللئام الى وراكم والا لحقت بهذا السيف أقصاكم وأدناكم فقال له العبيد يا مولانا انه قتل داجي عبد أخيك الامير شاس فقال تكذبون يا أنذال الناس هذا مما لا يصدق ولا يقال لان عبد أخي معدود في الحرب من فحول الرجال فكيف يقدر هذا الطفل عليه ويوصل اليه الوبال (قال الراوي) ثم مال الى ناحية عنتر ليكشف عن حاله فسمعه يهمهم مثل الاسد الغضنفر وتزداد به الغيظ والحرد وهو ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد النبي الرسول

اذا أقبلت جمع العبيد الكواذب * والقوا بأحجار تحاكي اللهايب

حملت عليهم ثم بددت شملهم * كفعل هزبر قد سطا فى الكتائب
ولست أبالى ان تكاثر جمعهم * ولكننى أرديهم فى المعاطب
ألا ياعبيد السوء تأتون عنترا * لصغرى ولم تخشوا فنون المصايب

(قال الراوى) فتعجب الامير مالك لما سمع مقاله فتقدم اليه ثم أدناه الى ركابه وقد زاد منه أعجابه وسأله عن حاله وما سبب قتاله للعبيد فشرح له عنتر جميع ما جرى له وأخبره بفعل العبد داجى مع العجوز وقصتها وكيف دفعها فى صدرها وألقاها على ظهرها ولشف عورتها راى العبيد عليها لما هتك سترها وقال فى آخر كلامه فلما رأيته فعل تلك الفعال جئت أنا يا مولاى اليه ونهيته عن ذلك فلطمنى على وجهى حتى كاد أن ينزل بى المهالك فقلعته بيدى من الارض وخبطته خبطة خفيفة دخل بها طوله فى العرض ورضيت عظامه رض وخلطت دمه فى دمض وراحت روحه لمالك بعد أن شرب كاس المهالك فلما رأى فعلى به هؤلاء العبيد الاشرار ثاروا الى ليأخذوا منى بالثار فلزمنى أن أدافع عن نفسى وجسمى ولولا قدومك كنت هلكت وانمحى رسمى وبقيت قتيلا أعفر فى هذا البر الاقفر (قال الراوى) فلما سمع الامير مالك من عنتر ذلك المقال وكشف له عن صحة الحال أحبه لما رآه قوى الجنان وعلم أنه شديد الغيرة على النسوان فقال له سر فى ركابى الى الاوطان فقال له عنتر يا مولاى أخاف من أخيك شاس فقال له سر ولا تخف أنت مجار من كل من كان تحت السماء ممن أكل الخبز وشرب الماء ولا أتخلى عن ذمامى مع جميع الناس وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أرجع عن ذمامى ولو صار رأسى قدامى وعليك أدارى وأحامى طول شهورى وأعوامى فعند ذلك تقدم عنتر اليه وقبل فى الركاب قدميه وصار من جملة عبيده الذين بين يديه الا أن الامير مالكا ما قرب من خيامه الا وأخوه شاس قد طلع وفى يده السيف يلمع وتحته حجرة أسرع من السحاب اذا همع وصدره ملآن غيظا وشرا لما أن قد أتاه الخبر بما فعل بعبده داجى عبد شداد عنتر وهو قد أقبل ليقتله فلما رآه أخوه على مثل ذلك وانه ان لم يدفعه عن عنتر أوصل اليه منه الضرر فعندها تلقى مالك أخاه شاس وقال له يا أخى مالى أراك منزعج الحواس فقال له شاس اعلم ان عبدى داجى قتله عنتر ابن الشام وأنا قد أتيت أريد أن أنهب جسده بهذا الحسام (قال الراوى) فقال له مالك يا أخى ما بقى لك اليه من سبيل وكل من عارضه أصبح قتيل لانى أنا أجرته وأعطيته ذمامى وما بقيت أتخلى عنه أبدا ولو صار رأسى قدامى (يا ساده) فلما أن سمع شاس كلام أخيه لم يلتفت اليه ولا رد له سؤاله وقد نظر الى عنتر وهو ماش الى جانب ركابه وقد صار من جملة عبيده وأصحابه فطلبه ليقتله ولم يعتن بأخيه ولا هابه بل مال اليه بالحسام فعند ذلك غضب مالك وزاد به الكرب وسل سيفه الشطب وقد تدانى الاخوان وعزما على الضرب والحرب فبينما هما قد عزما على تلك الاسباب واذا بأبيهم الملك زهير قد أقبل وخلفه من الابطال جلباب (قال) وكان الخبر قد وصل اليه بما جرى بين العبيد فركب فى ساعة الحال من غير تفنيد ووصل اليهم قبل أن يقع الحرب بينهم ويزيد فلما رآه الامير مالك تقدم اليه قدام الناس وشكا له كيف خرق حرمته ولم يسمع مقالته أخوه شاس فلما رأى الملك زهير ذلك الامر رد شاسا عن أخيه مالك وقال يا ولدى هب لاخيك هذا العبد الاسود لمالك وأنا على عوضه عشرة من العبيد تكون أنت لهم المالك (قال الاصمعى وأبو عبيدة) فعند ذلك رجع شاس حياء من أبيه وصاح الملك زهير بعنتر وقال له ويلك لماذا قتلت عبد ولدى وأنزلت به العبر فقص عليه عنتر جميع الخبر وأعلمه كيف دفع العجوز فى صدرها وألقاها على ظهرها وكيف هتك سترها وأضحك العبيد عليها ثم قال جئت أنا اليه ونهيته عن ذلك فلطمنى على وجهى فكاد أن يطير مقل عينى وينزل بى المهالك فما كان منى الا أن حملت عليه وضربت به الارض فصار هالك فلما سمع الملك زهير مقاله نظر اليه واذا بعنتر أنشد وقال هذه الابيات

صلوا على سيد السادات

ألا أيها الملك المشار لامره * ومن خص بالفعل الجميل وبالذكر
فلا لوم لى من أجل قتلى داجيا * فان جزاء القتل يا ملك العصر
أتى لعجوز ذات فضل ونعمة * وأزرت بها الايام فى عادة الدهر
دهاها فألقاها على صفح ظهرها * وقد هتكت بين العبيد على النهر
فأقبلت يا مولاى أنى أصده * فناولنى كفا أحر من الجمر
قبضت مراقه بعزم وقوة * وجندلته فى الارض ملقى الى الحشر
فمال الى نحوى العبيد لاجله * بضرب محاديف أمر من الصبر
فأنقذنى من فاق بالجود مالك * وأنجدنى من ضيقة العسر بالسر
وشاش بنى قتلى فأقصاه سيدى * قد اصطدم الاثنان بالبيض والسمر
ولولا لك أن تأتى وفينا بقية * لما عاد منا من عبيد ولا حر
فعش فى أمان سالما وبنعمة * تدوم بها والعز باق مدى الدهر

﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك لما سمع الملك زهير مقاله تبسم وقال والله ما قصر عنتر فى أفعاله ثم التفت الى من حوله من الفرسان وقال والله ليكونن هذا العبد شديد الغيرة على النسوان ويصير شجاعا قرمانا عا قوى الجنان ثم التفت الى أبيه شداد وقال له ياشداد هذه نخوتك قد عملت معه فى الاساس فوالله ليكونن هذا العبد أنجوبة لجميع الناس ويكون شديد الغيرة على الحريم والاولاد ويكره الظلم والفساد ويسلك طريق السداد ﴿قال الراوى﴾ وكان شداد فى ذلك اليوم قد ركب مع الملك زهير خوفا على ولده لانه قطعة من كبده ثم قال له الملك زهير خذ ولدك فقد وهبته لك وأوصيك به الى حين أطلبه منك ولا يصعب عليك ﴿قال الراوى﴾ ومن ذلك اليوم وقع لعنتر فى قلب مالك وأبيه الملك زهير بن جذيمة محبة عظيمة ثم انهم عادوا الى الابيات واجتمعت حول عنتر النساء والبنات وجعلن يسألنه عن حاله وهو يحدثهم بجميع ما جرى من شغل باله لان خبره قد شاع فى الحله وأتت اليه نساء عمومته ومن جملتهن بنت عمه مالك التى تسمى عبله فتقدمت اليه وسألته عن حالته وتوجعت لوجعه ﴿قال الراوى﴾ وكانت عبلة أحسن من الشمس والقمر وهى فى العمر أصغر من عنتر وكانت ضاحكة السن تزهو كهلال وهى مبدعة فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وكانت بهية فائقة الملاح وكانت تتدلل على عنتر وتكثر معه المزاح لانه كان كخادمها وهو ولد عمها فلما حضرت ذلك اليوم مع البنات والنسوان قالت له ويلك يا ولد الزنا لماذا قتلت عبد الامير شاس أما خفت أنه يقتلك ولا يجيرك منه أحد من الناس ﴿قال الراوى﴾ فقال لها والله يا بنت العم ما قابلته الا بما يستحقه من المجازاه لاجل جوره على العجوز وقلة حياه وحدثها بما جرى له وأطلعها على قصة داجى وما قاساه فتبسمت فى وجهه وقالت له ما قصرت فى فعلتك وقد فرحنا والله بسلامتك وما عملت هذا الامر الا فى محله وكل من تعدى عليك فاسقه كاس أجله لانك اليوم عندنا مثل الاخ وعند أمهاتنا مثل الاولاد فى المنزلة والحرمة لاجل مالك علينا من الخدمة ثم ان النساء والبنات انصرفن عنه ﴿قال الراوى﴾ وما كان فى نساء بنى قرادا مرأة الا وعنتر يخدمها ويزيد فى اكرامها وذلك بعد ما يفرغ من خدمته لزوجة أبيه شداد وهى سيدته لانها كانت تأمره وتنهاه بما تريد وهو كأنه لها من جملة العبيد وكانت عادة نساء العرب فى ذلك الزمان أن يشربن لبن النياق عند المساء وعند الاشراق وكان العبيد يحلبونه ويبردونه فى هبوب الرياح ويأتون به لساداتهم فى المساء والصباح وكان عنتر يفعل ذلك مع زوجة أبيه سمية وامرأة عمه زهيمة الجواد وامرأة عمه مالك وبنتها عبلة بالجمله ويسقى من بعدهن الفضلة لمن يشاء ويريد من نساء الحله ولم يزل على ذلك وقد تعلقت عيناه بعبلة وقد تصورت

صورتها

صورتها بين عينيه واشتد ذلك الامر عليه الى أن كان يوم من بعض الايام فدخل عنتر الى بيت عمه مالك فوجد أم عبلة تمشط شعرها وقد أسبلته على ظهرها وهو أسود كأنه الليل الحالك فتحير عنتر من ذلك * هذا وعبلة قد قامت لما دخل عنتر ورآها والشعر ينسحب من وراها فعند ذلك بهت وتحير وقد عدم المصطبر ثم انه أطرق برأسه وقد غابت جميع حواسه وتنهد وتحير وتفكر وقد حصل عنده من هواها محصول فعند ذلك أنشد وجعل يقول وأنا وأنتم نصلي على طه الرسول

وجناء تسحب شعرها من طوله * وتغيب فيه وهو ليل أبهم
فكأنها فيه نهار طالع * وكأنه مذبان ليل مظلم
وكأنها بدر بدا في تمه * وبنوره الوهاج تخفى الانجم
زادت محاسنها على من حولها * فسبى لخدمتها الجميع وعموا
وتمتعوا بجمالها وكمالها * وتلذذوا في حسنها وتنعموا
وتفكهوا في الصدر مع رمانه * فرماهم قوس الجفون المبرم
فتراهم ضدين مذ هاموا بها * فالبعض ذو خرس وبعض يفهم
لاتعذلوني في هواها انني * مضنى وقلبي في هواها مغرم
اني سأكتم حبها في مهجتي * حتى أرى لي السعد يوما يخدم
كيف اصطباري والهوى نار الجوى * والشوق يضنى والفؤاد متيم

(قال الاصمعي) يا سادة يا كرام صلوا على بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العزيز العلام من كان يصلي بالليل والناس نيام عليه أفضل السلاة وأتم السلام عدد ما غرد قمري على الاغصان وناح حمام وبعد هذا النقض والابرام أقام عنتر برهة من الزمان على هذا الامر والاحكام وهو صابر في الايام والليال وقد زاد به البلبال الى أن كان أول شهر رجب الفراد الحرام الذي كانت سائر العربان في الجاهلية تحترمه وتحج فيه الى البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ويعظمونه ويتقربون فيه الى الآلهة والاصنام من دون الملك العلام ويسجدون لها ويعظمونها ويحترمونها وكان الذي يقيم في القبائل والحلل السادات والنساء والبنات وكانوا يخرجون الى ظاهر الخيام ويظهرون أصنامهم في يوم عيدهم موافقة لزوار البيت الحرام وتعظيما لما عليه من الآلهة والاصنام فلما كان ذلك اليوم خرج بنو عبس وأخرجوا أصنامهم معهم وترتبت الاماء والرجال فلعبت النساء والبنات ورقصت الاماء وغنت المولدات على المزاهر والدفوف والطارات وخرجت السادات وكان يوما عظيم الصفات وكانت عبلة في ذلك اليوم من جملة البنات المزينات وتدلست العقود وأبرزت النهود وأضاء جبينها على الجواهر فصارت أبهى من الشمس والقمر بين النجوم الزواهر (قال الاصمعي) ولقد أخبرني من أثق به وأعتمد في كلام الصدق عليه أنه ما كان يعلم في ذلك الوقت في سائر الاقطار والممالك أجمل من عبلة ابنة مالك وقد ثبت عندي ذلك باذن مالك الممالك الذي كل شئ غير وجهه الكريم هالك (ونرجع الى ما كنا فيه من الطلب) ونصلي ونسلم على سيدنا محمد النبي المنتسب فلما نظر اليها عنتر وهي في ذلك الزي والمنظر بهت وتحير وأطرق رأسه الى الارض وتفكر ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات بعد الصلاة والسلام على سيد السادات

رمت الفؤاد مليحة عذراء * بسهام لحظ ما لهن دواء
مرت تريد العيد بين نواهد * مثل الشموس لحاظهن ضياء
فاغتالني سقمي الذي في باطني * أخفيته فاذابه وضاء
خطرت فقلت قضيب بان حركت * أعطافه بعد الجنوب صباء

نفرت فقلت غزالة مذعورة * قد راعها وسط الفلاة ظباء
سفرت فقلت الشمس حقا وجهها * لما بدا للناظرين ضياء
وبدت فقلت البدر ليلة تمه * قد قلدته نجومها الجوزاء
وتبسمت لاح الضياء من ثغرها * وبدا لداء العاشقين شفاء
الله أكبر يالها من ظبية * تسبي العقول لطيفة حسناء
سجدت تعظم ربها فتهابت * لجمالها أعطافها العظماء
ياعبل مثلي بهالك اني لأرى * بشمائل نارت بها الارجاء
ان كان يسعدني الزمان وان أبى * ظلمتني في صرفه ارزاء

(قال الراوي) فلما أن سمعت عبلة من عنتر وصف شمائلها وجمالها وهي بين أترابها ازداد فرحها واعجابها وصارت تشاغله بلحاظها وتتبسم من فصاحته وتتعجب من وتاحته وهو اليها باهت ومما جرى عليه صوته خافت ولما انقضت أيام العيد وعادت الى الحي الجواري والعبيد زاد بعنتر العشق والهوى وقد التهب فؤاده بنيران الجوى وقد حدثته نفسه بأشياء شتى * فلما كان ثاني يوم ياسادة يامعدن الجود والافادة أتى عنتر باللبن وهو مشغول الفؤاد فاسقى عبلة اللبن قبل سمية زوجة أبيه شداد وقد ماست بقدها كي تنال له الفؤاد فعلمت عبلة بحاله فضحكت ولعبت ثم انها شربت وناولته باقي اللبن بعد ما شبعت وقد أبصرت سمية ذلك فغضبت وعبست وقطبت وتمنت أنها لم تكن خلقت وأرادت أن تشكوه الى أبيه وتبلغ من عذابه ما تشتهيه (قال الراوي) وقد دام عنتر على هذه الحاله وقد صارت له عادة انه أول ما يحلب اللبن يسقي عبلة وبعدها يسقي سمية الفضله وقد زاد به العشق والبلبال وصار بهواها دائما مشغول الفكر والبال الى أن كان يوم من بعض الايام وكانت عبيد بني عبس تخاف من عنتر وتهاب من سطوته وكان للربيع بن زياد عبد يقال له ضاجر وكان من العبيد الفواجر وكان لما علم أن عنترا قد تفعت منزلته ونفذت فيهم كلمته داخله الحسد حتى أحرق منه القلب والجسد فما كان له دأب الا أنه استغفل عنترا حتى سرح الى البراري والهضاب فأتى الى عند الامير شداد ودخل عليه وقبل يديه وقال له يامولاي اعلم أن عبدك عنتر كل يوم يأخذ أموالك ونوقك وجمالك ويبعدها في البر الاقفر الاغبر ويخاطر بها ويطلب بذلك أن ينقلب على ظهور الخيل ويسوقها في القفار ويطعن عليها بالقصب ورق الاشجار ويشغلها عن المرعى وعن شرب الماء طول النهار وينتقل من على ظهر جرة الى ظهر حصان وقد طير لحومها من شدة الجري والى نهبته عن ذلك الامر والشان فشتمه وضربني ولو كنت الحت عليه لقتلني فلما سمع شداد من العبد ذلك الكلام قال والله يارلدي انك صادق وقد ثبت عندي صدق مقالك لاني من يوم سلمته الخيل يرعاها ما اكتسبت لها ولا شحما ولا علاها وهذا دليل على أنه يركبها ويسوقها في القيعان وأذاب عنها لحومها بالجريان وصعب على شداد ذلك الامر والشان (قال الراوي) فلما سمعت سمية ذلك المقال ووجدت الى عذاب عنتر مجال تكلمت بما في قلبها وشكت الى بعلها وأعلمته كيف أنه يسقي عبلة اللبن قبلها (قال الراوي) فلما بلغ شداد ذلك الايراد غما الغيظ في قلبه وزاد وصبر حتى أتى عنتر من المرعى فقبضه من يده وشده شدا وثيقا وضربه بالسوط حتى مزق جلده تمزيقا * هذا وأمه زبيبة واقفة تراه وهي لا تقدر أن تتكلم مع مولاه لانها لا تدري ما سبب بلاه ثم انها خرجت من الخباء وسألت بعض الاماء فأخبرتها شكوى العبد ضاجر وكيف يفعل عنتر تلك الفعلة بالخيل وأخبرتها أيضا بشكوى سمية وكيف يسقيها اللبن بعد عبلة (قال) فلما سمعت زبيبة ذلك المقال قعدت وسكتت وصبرت على ذلك الحال حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكرت قامة زين الملاح

وكنز

وكنز الفلاح وسرحت العبيد الى المرعى وكل منهم غدا الى مراعيه يرعى وبعد ذلك دخلت زبيبة على ولدها عنتر وأخبرته بجميع الخبر وقالت له ياولدى ان ضاجر اعبد الربيع بن زياد هو الذى شكاك الى مولاك حتى انه فعل بك هذا الفعل الشنيع وكذلك تكلمت فيك سمية بما فعلته معها من تلك الفعلة وكيف انك تسقيها اللبن بعد عيلة فلا عدت من اليوم ياولدى تخالفها فيما تريد والزم معها سنة العبيد ولا بقيت تمد عينيك الى مولاتك عبله فيكون سبب هلاكك بالجمله (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام من أمه عمل معه الغيظ وتعطى فى اكفانه فقطع حبلها ووثب على قدميه قائما وانطلق لسانه بالشعر متكلما وجعل ينشد ويقول وأنا وأنتم نصلى على سيدنا محمد النبى الرسول

اليوم يقتل ضاجر * عبد اللئيم فاجر * ويكون فى وسط الفلا * برعاه وحش كاسر
ويقر قلبى بعده * ويطيب منى الخاطر * لم كان مسعاه بما * قد قاله ويخاطر
ان لم أكن فى قتله * وسط الفلاة أبادر * لاسر قلبى ساعة * بل لاصفالى ناظر
لم كان يشكونى له * هذا اللئيم الفاجر

(قال الراوى) ولم يزل عنتر سائرا فى تلك الفلاه وهو يدور على العبد بين الرعاة حتى التقاه فقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا سعيت الى مولاى حتى ضربنى وأهانتنى وعذبنى ثم تقدم اليه وقبض منه من مراق بطنه بيده ورفعه وضرب به الارض فرض عظامه رض وأدخل طوله فى العرض فلما رآه قد خمدت نار حسه خاف من ذلك الامر على نفسه ثم انه بعد ذلك سار طالبا بيت صديقه الامير مالك وقصده من دون الناس وهو الذى كان أجاره لما قتل داجيا عبد الامير شاس فقصد خيامه فلما وصل اليها دخل عليه وحدثه بما جرى عليه وتم فتعجب الامير مالك من ذلك وتبسم ثم انه بعد ذلك طيب قلبه ووعده ان يفرج همه وكربه وبعد ما طيب قلبه تركه جالسا فى البيت وقد سكن منه الفؤاد وركب وسار طالبا بيوت بنى زياد فلما وصل الى البيوت لم يجد أحدا من السادات سوى النساء لا غير فسألهن عن الربيع بن زياد فقالوا له انه فى دعوة عند أبيك الملك زهير وأولاده الاجواد فعند ذلك سار الامير مالك طالبا بيت أبيه وعلم أن الامر قد أتاه كما يشتهيه ولما وصل وجد سادات بنى عبس جالسين على مراتب السرور والكاسات عليهم تدور وسادات بنى زياد والربيع أقرب من الملك زهير دون الجميع والعبيد كلهم فى الخدمة من قيام وهم واقفون على الاقدام ولا أحد منهم يقدر ان يفسر له كلام وذلك من هيبة الملك زهير ومن حضر عنده من هؤلاء السادات بنى الاعمام فلما دخل مالك عليهم حياهم بالسلام فلما رأوه ما بقى أحد منهم جالسا الا وقام ثم ان الربيع قال له انزل ياملك واجلس فى مقامك لان الناس كلهم قائمون لقيامك فقال مالك ياعم أتحب أن أجلس معكم ويطيب منى الخاطر فقال الربيع اى وذمة كل من هنا فى هذا المقام حاضر فقال مالك لا أجلس حتى تهب لى عبدك ضاجر فقال الربيع وما الذى رغبك فيه حتى خطر لك هذا الخاطر فقال مالك لانى رأيته عبدا نجيبا شاطرا والى قضاء الحاجات مبادر فأحببت انك تهبه لى فقال الربيع اجلس فقد وهبتك اياه وان شئت وهبتك عبدين سواه فقال مالك أشهد عليك هذه السادات العبسية انك خرجت عنه ووهبته لى بالكلية فقال الربيع اى ورافع السموات العلية وباسط الارضين المدحيه انه هبة لك بالكليه ولا أمن عليك ياأمير بهذه العطيه فقال مالك اشهدوا عليه أجمعين يامن حضر واعلم يا ربيع أن الامر قد تدبر وان العبد ضاجر قد قتله عبد شداد عنتر وانه لما رأى الامر قد فرط منه استجارنى فأجرته فلا تعارضه كرامة لانى فلما أن سمع الربيع ذلك القول بردت سائر حواسه ولحقه الكرب العظيم والغيظ وزاد بلاه وطأطأ برأسه وأخذه الحياء من ندمائه وجلاسه وزاد همه وكربه ووقعت بغضة عنتر من ذلك اليوم فى قلبه (قال الراوى) فعند ذلك قال

الملك زهير لولده مالك ما الذى ألجأ عنترا الى قتل العبيد وما الذى يطلب بذلك وما يريد فحدثه مالك بجميع أحواله وأعلمه بما قد جرى له فعند ذلك تبسم الملك زهير من مقاله وطيب قلب الربيع بن زياد ووهبه عبدين من عبيده الشداد وأصلح ما كان عنده من الفساد فلما سمعت عبيد الحلة بما جرى من تلك الفعال هابوا عنترة وخافوا منه فى كل حال ومامنهم الا من خاف منه على نفسه ولو فعل مهما فعل وما عادوا يكلموه وكل من العبيد أيقن أن عنترا سيكنه فى رمسه ثم ان القوم عادوا لما كانوا عليه من أكلهم وشربهم ولهوهم ولعبهم وفرحوا بما هم فيه من الدعوات فلما ان كان عند المساء عاد مالك بن الملك زهير الى بيته وهو فرحان مستبشر غير ملام ثم انه طيب قلب عنتر وقدم له الطعام والمدام وقعدا الليلة بالتمام وتحدثا بما جرى لهما من الامور والاحكام وأيضا قد حدث مالك عنترا بما جرى له مع الربيع من ذلك الكلام * هذا وعنتر قد وثب قائما على قدميه وقد صار من شدة فرحه يقبل يديه ورجليه ويمدحه ويثنى عليه وأشار بمدحه بهذه الابيات ويقول وأنا وأنتم نصلى على طه الرسول

يا من بجانبه الرفيع تعلقت * دون البرية كلها آمالى * قد طال ترددى عليك بحاجتى
وعلى الكرام تحمل الاثقال * أوليتنى منا وأنت ذخيرتى * يا منقذى من هلكتى ووبالى
فلأشكرنك طول عمرى دائما * حتى تغيب فى الثرى أوصالى

(قال الراوى) فلما سمع مالك من عنتر ذلك الكلام وفهم مالك ما قال عنتر فى حقه من الشعر والنظام ازدادت محبته فى قلبه وقد احتوى على مجامع ذهنه ولبه وعلم أن ذلك الكلام لا يطلع الا من صدر بطل همام وفرح به مالك وقربه اليه وشكره وأثنى عليه فهذا ما كان من أمر عنتر (وأما ما كان) من الامير شداد ابن قراد فانه لما عاد من الوليمة وكان قد صعب عليه ما فعل عنتر بعبد الربيع بن زياد وغاظ غضبه وزاد أحضر اخوته بين يديه وهما مالك وزخمة الجواد وقال لهما يا بنى أبى لقد تعب قلبى وضاقت بى الحيل ولا أدرى يا اخوتى ما الذى أعمل فيما جرى ونجدد من أمر هذا العبد الاسود وأنا خائف منه أن يقتل أميرا كبيرا ممن له حسب ونسب ويلقى الفتنة بين سادات العرب ونصير نحن نطالب بدمه ويصير وجودنا كعدمه فقال زخمة الجواد والله يا أخى لقد نظرت موضع النظر وان لم نعمل على هلاكه رمانا هذا العبد مع الناس فى غاية الخطر وانه والله يا أخى لو يكون مع هذه الشطارة والشجاعة فيه عقل ما كان له مثيل فى الدنيا بين العبيد ولا فى سائر البشر ولكن بعد هذه الفعال ما نريد خدمته ولا بد لنا أننا نتدبر فى قتله ونستريح من غائلته ونعود وقد بلغنا مما نؤمله المقصود ولكن يا أخى قتله على رؤس الاشهاد ما هو مليح ولا بنظر لانه تحت ذمام الامير مالك ابن الملك زهير الكريم المعشر والصواب أن نقتله وهو فى المرعى ونتركه موسد فى القيعان ولا يدرى به أحد ولا ينتطح فيه كبشان ولا نطلع أحدا على هذا الحال لا من النساء ولا من الرجال فلما سمع شداد بن قراد من أخيه ذلك الخطاب رآه موافقا للصواب ثم انهم اتفقوا على ذلك الشان فلما كان عند الصباح سرح عنتر يطلب المرعى فسارت أعمامه وأبوه خلفه على الاثر وسار وا يطلبون قتله وازهاق روحه لدفع العار وازالة الضرر وكان عنتر فى ذلك اليوم قد ساق الاموال وطلب البر الواسع والقفر البعيد الشاسع وكان قصده بذلك الاتساع فى القفار حتى انه يبعد عن الديار لاجل أن يخلو بنفسه وينشد الاشعار ويتقرب من قلب عبلة بالتذكار فسار حتى تعالت الشمس وغاب عن المضارب وتذكر ما جرى عليه من المصايب ففاضت دموعه على خديه سواكب لانه كان قد رأى عبلة تلك الليلة فى المنام وهى تشير اليه بالسلام وهو يقبلها وتقبله من فوق اللثام فعندها زاد به الوجد والغرام وبكى منتحبا وأنشد وجدا وطربا وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الرسول

أتانى طيف عبلة فى المنام * وقبلنى ثلاثا فى اللثام * وودعنى فأودعنى لهيبا
وأطفئه فيشعل فى العظام * ولولا أننى أحلو بنفسى * واطفئ بالدموع لظى غرامى
لمت جوى ولا أشكو لانى * أخاف عليك يا بدر التمام * ألا ياعبلة كيف التسلى
وذقت هوالك من قبل الفطام * وكيف أروم منك القرب يوما * وحول خبائك أسد فى الاجام
وحق هوالك لاداويت قلبى * بغير الصبر يا بنت الكرام * الى أن ارتقى رتب المعالى
بطعن الرمح أوضرب الحسام * نسيم الصبح حين تمر فانزل * بعبلة حيها بتذى السلام
وبلغها شديد الشوق عنى * اليها فى الصباح وفى الظلام * وصف حالى وما يلقى فؤادى
وقلبى قد أضر به سقامى * أحامى عن هوالك بطول عمرى * وهل لهوالك أن يرعى ذمامى
وأبذل مهجتى فى كل صعب * اذا ما النقع خيم كالظلام * فاما أن أشال على العوالى
واما أن أعد من الكرام * وتخشانى الملوك وتتقينى * وتحذر فى لظى الهيجا مقامى
خصوصا عندما أطلقت مهرى * وصار النقع أسود كالظلام * فهيا يابنى الاندال نحوى
عينى أو شمالى أوامامى * سانهب منكم الارواح نهبا * بسيف باتر صعب المرامى
أنا العبد الذى خبرت عنه * رعيت جمال قومى من فطامى * أروح من الصباح الى مغيب
وأرقد بين أطناب الخيام * أهيم بعبلة من عظم وجدى * وأجعلها من الدنيا اهتمامى
وامتثل الاوامر من أبيها * وقد قاد الهوى منى زمامى * رضيت بحكمهم طوعا وكرها
جحودوا قبل ما ألقى حمامى * فان ضيعتمونى ما استفدتم * فذكرى شائع بين الانام
وان عابوا سوادى فهو فخرى * فانى فارس من نسل حام * ولى قلب أشد من الرواسى
ولونى مثل لون المسك نامى * ولولا المسك ما افتخرت ملوك * وأرباب الفخار على العوام
ولولا الليل ما عاينت صبحا * له شفق يزحزح للظلام * أجيروفى من البلوى أجيروا
فمثلى من يراعى فى الانام * رضعت هوالك مع لبنى صغيرا * ويوم منيتى أنوى فطامى
أيحمد أننى أشقى وأضنى * وأفنى فى هوالك من الملام * ولولا الحب ما خضعت أسود
بغابات التلال مع الاكام * ومن عجبى أصيد الاسد قهرا * وصاد القلب ربات الخيام
وتقنصنى فتاة ذات حسن * بنادبها مشرفة المقام * ألا ياطيبة الجرعا عرقى
لحالى واسمعى منى كلامى * وحقك لو سفكت دمى لاضحى * حلالا فى الهوى وقضى مرامى

محبك فى الورى أمسى وحيدا * فنى ياعبيلة بالكلام
اليك عبيلة منى دواما * سلام فى سلام فى سلام

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان عنترا بعد انشاده لهذا الكلام لم يزل سائرا فى تلك البقاع الى ان وصل الى واد يقال له وادى السباع وهو كثير الغمورة والسباع فعند ذلك فرق الخيل والابل ترعى فى جنباته وتأكل من عشبه ونباته وكان عنتر قد قصد هذا الوادى من بين الوديان ومن دون الرعيان لانه علم أن العشب قد طال فيه قدر قامة انسان وما كان فى عبيد بنى عبس أحد يقصده ولا يسل اليه من الرعيان وهو واد كثير الاتساع وهو مسكن للغمورة والسباع وما كان قصده عنتر وأتى اليه من دون الوديان الا لانه قال لعلى أقع فيه بأسد كبير هائل فأقتله واسطو عليه وافتخر به على العبيد ليعلموا أنى بقيت ذا بأس شديد فلما وصل الى ذلك الوادى وتلك الاطلال وسرح الخيل ترعى مع الجمال وقعد فى بعض الروابى العاليه وجعل ينظر تارة يمينا وتارة شمال واذ هو بأسد كبير قد الثور وأكبر مجال بالشعر والوبر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى اذا هز وهمر شدوق شدقم عبوس ضيغم

تسمع الرعد منه اذا هم ودمدم ويلمع البرق من عينيه اذا الليل أظلم هائل المنظر وقد خرج من بطن الوادى وهو يمشى ويتمختر وهو أغبر أفطس المنخر بأنياب أحد من النوائب ومخالب أحد من المصائب عبوس الوجه تسمع صوته كالرعد شديد الحيل صعب المراس عريض الكف والاساس فلما ظهر من ذلك الوادى وشمت الخيل رائحته تفرقت ونفرت وشردت فى جنبات الوادى يمينا وشمالا وكذلك فعلت النوق والجمال وهو حاطم كما قال فيه الشاعر

عبوس أفطس الانف * شديد الحيل والباس * عريض الكف ذو باع
كبير الصدر والراس * اذا كشر نابيه * أسالا من دما الناس

(قال الراوى) فلما نظر عنتر الى ذلك الامر المنكر تحدر الى بطن الوادى يكشف عن ذلك الخبر والسيف فى يمينه مشهر واذا هو بذلك الاسد رابض وباسط يديه وهو يلعب بذنبه ويضرب به جنبيه والشرار يطير من وجهه وعينيه فعند ذلك زعق عنتر عليه وهجم عليه وصار بين يديه فدوت من رعقته الجبال وقال له أهلا وسهلا ومرحبا بك يا أبا الاشبال ويا كلب الفلا الى أين يا أوحش وحوش البر والبيدا فانا اليوم والله لابد ان أحظى منك صيدا فلقد أبديت باسك وشدة مراسك وصولتك وافتخرت بهمتك وعظم خلقتك فلا شك انك ملك السباع وسلطانهم وتحكم عليهم وملك يا أبا الحارث ارجع بالخيبة ولا تجعل لك على صولة ولا هيبة فانا أنا مثل من لاقيت من الرجال ولا تعدنى ممن أهلكت من الابطال يا أبخر الفم ويا قريب الدم أنا مهلك الابطال ومبتم الاشبال أنا لا أرضى أن ألقاك بحسام ولا أقتلك بسنان ولا أريدك الا بالكف والبنان وأسقيك كأس الحمام ثم انه رمى السيف من يده وحمل عليه وترنم بالشعر واشار اليه بهذا النظام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام

أنا الاسد الموصوف والبطل الذى * تخاف الورى يوم الحروب سنانى
أكر واحمى مال شداد والدى * وأقهر اعدائى بضرب يمانى
اذا هز منى السيف فى حومة الوغا * يطيش من الفرسان كل جبان
وترهبنى أسد الفلا وليوثها * ولا أحد الايخاف مكانى
فنى ساحة البيدا تكون مجندلا * وأسقيك كأسا من صروف زمانى
ولست أخاف الموت ان جد جده * وأفهم ما ألقى بكل لسان
وها أنا أرمى السيف وبحك من يدى * وأريدك يا كلب الفلا بيدانى

(قال الاصمعى رحمه الله تعالى) وفى تلك الساعة وصل الامير شداد واخوته كما ذكرنا وقد أتوا يريدون أن يقتلوه ويخفوا أمره كما قدمنا فرأوه وهو يخاطب الاسد وسمعوا جميع ما ترنم به وأنشد فصاروا ينظرون ما يجرى بين الاسد وبين عنتر الهمام الامجد فقال شداد يا اخوانى أراحنا الله فلا تعب وعنا لانى أراه نزل الى الاسد بلا سلاح وفى هذا الوقت يقتله وعلى وجه الارض يجندله ونرجع نحن فى عاجل الحال من غير ان يتعب منا الخاطر والبال فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الحديث والخبر (وأما ما كان) من عنتر فانه تحدر من على الرابية وهجم على الاسد ووقع عليه وقوع البازى ونفض مثل ما ينفض الثعبان الاسود الذى هو بلقاء الاسود معود وكبب يده ولكمه فى رقبته فقلبه ووثب قائما عليه حتى صار محاذيا لكتفيه وقبض على شدقيه وتعطى فيهما واستعان بالله وقوته فشقهما الى كتفيه وحدلبته وصاح بعد ذلك بصوت أزعج الوادى ثم صبر على الاسد حتى طلعت روحه وقضى عليه وسحبه الى خارج الوادى برجليه ثم انه جمع الحطب من يابس الاشجار وأخرج من جربندته زنادا وأوقد النار وأضرمها فى ذلك الوقت بالحطب وصبر حتى بقى كله جمرا يتلهب ثم انه سلخ الاسد وشق جوفه وأخرج

أمعاءه وقطع يديه ورجليه ورقبته ولف اللحم فى الجلد وطرحه بعد ذلك على النار وصبر عليه حتى نضج واستوى وطلع له قتار فلما استوى زاح عنه النار وأخرجه من الجلد وجثا على ركبتيه وصار يقطع ويبلع حتى أكله جميعه وأتى على آخره وما أبقى منه الا العظام الخشنة حتى انه كاد أن يشبع ثم انه مضى الى عين ماء كانت قريبة اليه وشرب منها حتى روى وغسل يديه ووجهه وبعد ذلك أتى الى شجرة فرقد تحتها وجعل رأس الاسد له وسادة واستظل من تلك الشجرة بظلها هذا كله يجرى وأبوه شداد وأعمامه ناظرون الى ذلك العمل وقد عاينوا جميع ما فعل فما منهم الا من خاف منه وانذهل فعند ذلك تشاوروا مع بعضهم البعض أنهم يهجمون عليه وهو نائم فقال زخمة الجواد وقد حار من تلك الفعائل والله من يكون له مثل هذا و يفرط فيه فلا يكون عاقل والذى أعرفه أنا وأنحققه من غير ما طله أن العاقل هو الذى لم يكن بينه وبين هذا العبد معامله فقال مالك وقد خاف من ذلك الامر ويلك يا أخى فكيف يكون التدبير فى هلاك هذا العبد القليل القدر وقد صار أمره كبيرا ولا فينا من يقدر له على مضرة ولا يدنو أحد منه الا و يهلكه فى كره ويوصل اليه البؤس والمضره و يفعل به كما فعل بهذا الاسد و يجعل حشو جوفه مبددا وجسده فى القاع ممددا وربما أنه يقتل أحدا منا وربما يكون ما شبع فيأكلنا مثل ما أكل الاسد (قال الراوى) فقال شداد لما سمع من أخوته ما أشاروا به عليه الرأى عندى اننا نعود بحرمتنا ونترك هيبتنا باقية علينا لان الذى كنا نخاف منه على الخيل والجمال قد قتله وعجل فناءه وأكله وقد صرنا على أموالنا مطمئنين ومن هذا الشعب وهذا الوادى آمنين وبعد ذلك قطعوا الكلام ورجع شداد واخوته الى الديار وكل منهم من فعل عنتر محتار فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من عنتر فانه صبر الى المساء ورجع الى الحلة بالاموال من الخيل والغنم والنوق والجمال فتلقاه أبوه شداد وتبسم فى وجهه وأكرمه وأحسن اليه وأخذ بيده وأجلسه معه على الطعام فأكلوا وهو وأبوه والعبيد كلهم قيام على الاقدام فبينما هم على مثل ذلك الحال واذا هم برسول الملك زهير قد أقبل ووقف بين يدى الامير شداد وقال له أيها الامير والسيد الخطير ان الملك زهير يسلم عليك وقد أرسلنى الى حضرتك يأمرك انك تأخذ أهبتك أنت واخوتك لاجل أمر عظيم وهو يريد الغزو الى بنى تميم وقد عول عند الصباح على المسير الى أطلالهم ليقطع آثارهم ويخرب ديارهم فلما سمع شداد ذلك القول أجاب بالسمع والطاعه وأنفذ خلف اخوته ومن يلوذ به فى تلك الساعه (قال الراوى) ثم ان شدادا التفت الى عنتر وقال له اعلم انى فى غداة غد أسير مع أبطال الحى وجميع الفرسان وتبقى البيوت خالية من الشجعان فوصيتك بأبياتنا والنسوان ولا تبعد اذا خرجت للرعى عن الحى مع الرعيان فقال عنتر يا مولاى ان عدم مما تسلمنى عقال فاتركنى عليه بقية عمرى فى الاعتقال فشكره الامير شداد على ذلك المقال ووعده أنه اذا عاد من الغزو يعطيه فرسا يركبها فى المجال وجبة يلبسها للقاء الرجال فلما أصبح الصباح ركبت الابطال وسارت عن الديار والاطلال وفى أوائلها الملك زهير كأنه الاسد الربال ولما خلا الحى من الفرسان وتخلفت البنات والنسوان والعبيد والغلمان صنعت سمية زوجة الامير شداد وليمة للنساء على غدير ذات الارصاد وذبحت فيها الاغنام وروّحت الطعام وروّقت المدام وغنت بها الجوارى والمولدات وحملت الاماء والعبيد الآلات ورقصت البنات العربيات وكان عنتر من جملة الغلمان وهو بذلك القصد فرحان لان عبلة كانت من جملة البنات والنسوان وقد خرجت وهى تزهو بينهن كأنها الغزال العطشان وعليها الحلى والحلل المختلفات الالوان وقد تولى عنتر خدمتها وقد غرق فى بحر محبتها وقد سبته بسواد مقلتها وقد طلعت أمها أيضا بالجملة وطلعت النسوان وهن يتمايلن كأنهن الاغصان وقد أكلن من الطعام ودارت بعد ذلك عليهن كؤس المدام وكان الزمان يومئذ زمان الربيع والارض قد

كسيت بزهرها البديع وقد تبهرجت بحسنها وجليت لعشاقها فى حلل اشراقها وتأرجت آفاقها بشذا عباقها وفاضت غدرانها وناح أقمرانها وناح شيحها وبعيثرانها وتجاوبت الاطيار على أغصانها وترغت بألحانها وهى كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات صلوا بنا ياحاضرون على سيدنا محمد سيد السادات وصاحب المعجزات اللهم صلى وسلم وبارك عليه

الظل ممدود السرادق * والروض مفروش النمارق * والزهـــر فى حافاته
مثل الطراز على الشقائق * من أبيض وأحمـــر * مع أصفر فى اللون فائق
وترى الغـــدير بمائه * مابين ذاك الروض دافق * أشجـــاره وثماره
شبه القلائد والبخانق * والطير غـــرد فوقها * طربا باصناف الطرائق
من بلبـــل وحمامة * ناحت فأبكت كل عاشق * هب النسيم فصوتت
ورق الغصون على الحدائق * نثـــر النثار فأطلقت * بالزهر أشجار عوائق
والوقت طاب وقد مضت * بالوصل آفات العوائق * راق الزمان فكن الى
لذاته يوما مسابـــق * وافرح وقته ولا تكن * للهو ياهـــذا مفارق

(قال الراوى) هذا وقد أخذت النسوان فى شرب المدام واللهو والطرب حتى كاد البر بهم يلعب ثم ان بعض الجوارى المولدات قامت من بينهن وشدت خمارها وضربت طارها ورقصت وانخلعت وأنشدت وجعلت تقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول

أشرق المرج بما فيـــه * من البيض الغوالى * كل عذراء حلوب * ذات غنج ودلال
ذات حسن ودلال * مبدعات بالجمال * كل عـــذراء كعوب * ذات حســن وكمال
مائسات بقـــد ود * مثل أرماح العوالى * سابـــلات لشعور * كعناقيـــد الدوالى
فائقات صائدات * بلحاظ كالنبـــال * فاتكات آسرات * قاهـــرات للرجال

(قال الراوى) ثم انها تخلعت كل الاختـــلاع فعندها قامت عبلة من بين أترابها ورقصت باعجابها وضحكت فلمع البرق من بين أنيابها وغنت فأخـــذت من الحاضرين عقولها فزاغ من عنترالبصر وهام وزاد به العشق والغرام وذهل عقـــله وتخيل نقله وهم أن يقوم فى تلك الساعه ويهتك العشق بأنامل البلبال واذا هم بخيل طلعت عليهم من بين الجبال فتبينوهم واذا هم مائة فارس من قحطان قد ادركتهم على الغـــدير وقصـــدت النسوان فساقوا الجميع بالذل والهوان وأما عبلة فقد انقض عليها بعض الفرسان وأردفها وراءه عـــلى الحصان فنظر عنـــتر الى ذلك الشان فغشى عليه ومابقى يعرف مابين يديه ولكن مامعه عدة تدفع عنه شدة فركض على الفرسان وهو ماش على الاقدام الى أن لحق الفارس الذى سبى عبلة وجـــذبه من على ظهر جواده ورماه على أم رأسه فقصف رقبته وأخذ حصانه وسلاحه بعد ما أنزل عنه عبلة وركب وناداهم ياويلكم ياأوغاد غير أمجاد ألم تعلموا أنى عنتر بن شداد ثم انه مال عليهم وحطم فيهم فقتـــل منهم أربعين وحمل عليهم فمال عليـــه منهم عشرون وتأخر الباقون فتلقاهم عنتر وهو ينشد ويقول بعد الصلاة والسلام على المظلل بالغمام

أنا فى الحرب العوان * غير مجهول المكان * وحسامى مع سنانى * يشهدا لاينكرانى
واذا نادى منـــاد * فى دجا الهيجا ترانى * أطعن الخصم برمحى * وهو يقظان الجنان
ثم أسقيـــه المنايا * وهو منى غير دانى * انى قـــرم شجاع * ثابت يوم الطعان
خلق الرمح لكفى * والحسام الهندوانى * وهما فى المهد كانا * فوق صدرى يؤنسانى
وهما كنى وحرزى * وبحربى يشهدان * انتى ألقى عدوى * عابسا فى الارض فانى
واذا

واذا ما الارض صارت * وردة مثل الدهان * والدما تجرى عليها * لونها كالارجوان
ورأيت الخيل تجرى * فى الفلا والعصفان * أترك القوم حيارى * من ضرابى أوطعانى
عللانى عللانى * انما الدنيا أمانى * واسقيانى الخمر صرفا * فانزجاها واسقيانى
عنقت حتى ظننا * أنها قبل الزمان * وأتت تسعى الينا * فى رداء أرجوانى
فاتبعانى واسمعانى * نغمة كى تجبانى * ومر بالرمح جهرا * فى الوغا يوم الطعان
وصاح القوم فيه * وهو للارواح دانى * ان هذا الفعل عندى * هو أمان فى أمان

(قال الراوى) ثم انه استقبل القوم بقلب أقوى من الحجر وتلقاهم بطعن لا يبقى ولا يذر وصار ينثر الصناديد ويسطو عليهم سطوة الجبار العنيد وكان قد عرف مقدم القوم وثار به فحمل عليه وحاربه وزعق فيه فارعبه وطعنه فى جانبه فقلبه وعن جواده كركبه فلما نظر أصحابه ما حل به وكيف قتل مقدمهم انقطع طمعهم وأيقنوا بهلاكهم وقالوا اذا كان هذا جرى علينا من عبد لا قيمة له ولا مقدار فكيف يكون حالنا اذا جاءتنا الرجال الكبار فدعونا نجوبا أنفسنا ونطلب الفرار والاحسن بنا الهلاك والدمار (قال الراوى) ثم انهم عادوا وطلبوا العرب لما قد حل بهم من الويل والعطب وخلص النسوان بعدما كان قد وقع بهن الذل والهوان ثم ان عنترا بعد رواح الفرسان وخلاص الحريم جمع الخيل والاسلاب وعاد وهو فرحان وقد زاده الوجد والهيمان فأنشد وقال بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المفضال

هذى فعالى اذا ما الخصم أنكرنى * وعاير وا بسوادى وهو لى سود
أكفكف الخيل والابطال صاغرة * ويقعم الحرب مهرى وهو موقود
من كان ينكرنى جهلا فقد علمت * كل الخلائق أن الفضل محمود
أنا ابن يومى هذا والحسام أبى * وفيه فخرى محمود وموجود

(قال الراوى) ثم انه ضم الخيل والاسلاب فكانت ثمانية وأربعين حصان وقد زاد فى محبته النسوان اللاتى قد كشف عنهم ذلك الذل والهوان وسترهم بعدما كانوا قد أيقنوا بالهتيكة والخذلان وسمية زوجة أبيه شداد قد تبدلت له بعد البغضة محبة وازدادت فيه شهامة ورغبه وصار فى قلبها أحلى من الرقاد على العين بعد السهاد وصار عندها أعز من سائر الاهل والاولاد ثم انها حلفت سائر الاماء والعبيد والنسوان انهم لا يظهرون هذا الخبر لاحد من الفرسان خوفا عليهم من الرجال لئلا يغتالوا من اجل أنهم خرجوا من البيوت الى الغدران * هذا وعنتر قد كتم حاله حتى كأن ذلك الشئ لم يكن جرى له (قال الاصمعى) وبعد أيام قلائل قدم الملك زهير من غزو بنى تميم ومعهم من الخيرات شئ جسيم وفرح المقيمون بالقادمين وقد صار لهم بين العرب عز وتمكين وكان لقدومهم يوم كثرت فيه الافراح وركب شداد بعد قدومه عند الصباح وخرج ليفتقد أمواله ونوقه وجماله فوجد فيها خيلا زائدة ورأى عنترا راكبا على حجرة دهماء كأنها الليلة الظلماء تسبق الطرف وتفوق الوصف فقال له أبو شداد أخبرنى من أين لك هذه الخيل الجياد فقل لى وأصدقنى فى المقال والا أنزلت بك الذل والوبال وكانت الحجرة التى تحت عنتر لمقدم بنى قحطان الذى قتله عنتر يوم وليمة النسوان وباقى الخيل من خيل الفرسان وأما الاسلاب فكان تركها عند أمه وأوصى عليها اخوته الذين كانوا يحملون همه ولما سأله أبوه عن الخيل وقد رآها شدادا متفرقة فى المرعى تتدفق مثل السيل قال عنتر يا مولاى مرت على وأنا فى المرعى وأظنها غائرة ومن أرض اليمن المناهارية تسعى ومعها غنائم ومن كثرتها لا تساق وكان القوم فزاعا من العرب فساقوا الذى ساقوه وانقطع منهم الذى انقطع فاقتفيت آثارهم والقوم لا يعلمون بى وصرت لهم تبع فخطفت هذه الخيل من

أعقابهم وهم لا يعرفون ان كنت من أعدائهم أو من أصحابهم فقال له شداد كذبت يا عبد السوء ما هذه خيل تنقطع من ركابها ولا أخذتها الا من تحت أصحابها لانك تخلو بنفسك فى الفلوات وكل من عبر عليك أخذت ماله ولا تبالى ان عاش أو مات ولا تعرف ان كان من أعدائنا أو من حلفائنا ولا تزال على هذه الحالة حتى تلقى بين بنى عدنان الشر والعداوة (قال الراوى) وكانت العرب فى ذلك الزمان صنفين فمن أرض اليمن الى نحو البصرة يسمون بنى قحطان ومن أرض مكة وبر الحجاز يسمون بنى نزار وبنى عدنان وعرب أرض العراق يسمون بنى شيبان وكذلك عرب الشام يسمون بنى غسان وقد ذكرنا ذلك أولا فى الديوان ثم اختلفت بعد ذلك أسماء القبائل وعادت الى نسب واحد فى الفعل والامر والخصائل وقد قال شداد هذا المقال من خوفه من عنتر أن يلقى فى أرضهم الفتن ويقيم بين قبائل العرب الشر والمحن وكان الذى قوى عزم شداد على تلك الفعال قتله قدامه الاسد فى الوادى المسبع فى سابق الحال حين تبعه هو واخوته وراءه لكى يقتلوه ثم ان أباه الامير شدادا قبض عليه وجذبه الى نحوه وشد يديه ورجليه ٭ هذا ورأسه مطأطئ لا يستطيع من شدة الحياء أن يتكلم وفى ذلك الوقت كان وجوده كأنه العدم وقال له اقعد ههنا ما بقينا نريدك ترعى لنا جمالا ولا مالا ثم انه قنعه بالسوط على أكتافه حتى أورد تلافه وهو فى الاعتقال (قال الراوى) فلما أبصرت سمية زوجة أبيه شداد ما قد جرى على عنتر جرى دمعها من عينيها وانحدر وسال على خدودها كأنه المطر وقامت فى وجه شداد تسترضيه وقالت له ورب البيت ما أدعك تؤذيه فزاد غيظه وغضبه ودفعها فى صدرها فألقاها على ظهرها فقامت وقد انكشفت رأسها فألقت عليه نفسها وقالت له والله لا أمكنك من ضربه حتى انك تضربنى قبله فقال لها شداد ويلك وما الذى أوقع فى قلبك هذه المحبة والوداد بعد تلك البغضة والعناد لهذا العبد السوء نسل الاوغاد فقالت له اطلقه حتى أقص عليك قصته وأحكى لك حكايته وما جرى من شجاعته وشطارته وهمته وقوة عزمه وبراعته (قال الراوى) ثم انها قصت عليه وأخبرته كيف انهاد عت النسوان وكيف غارت عليهم خيل بنى قحطان وكيف لحقهم عنتر وأباد منهم الشجعان وقتل المقدم على الفرسان وكيف لقى وحده مائة عنان وردهم بالذل والهوان وكيف صان الحريم وفعل فعل الكريم ثم انها أنشدت وجعلت تقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الرسول

شداد لو ربتنى والوجه مكشوف ٭ وثقل ردفى ورا الفرسان مردوف
وعبلة أركبوها من ورا بطل ٭ ودمعها فوق صحن الخد مذروف
وعرس قيس تنادى لا سبيل لها ٭ وخمرتى عن أديم الوجه مكشوف
أما العبيد الاولى حوشتهم هربوا ٭ وكلهم فر يجرى وهو مرجوف
وأهلنا حولنا يبكوا جوى وضنى ٭ وطعننا قد سبى والقلب ملهوف
نخاضها عنتر والنقع ثائرة ٭ والجو ذو ظلمة والطير معكوف
ولت فوارسها من عظم صولته ٭ هذا قتيل وذا بالقيد مكتوف
وصاننا بعد ما رحنا بأجمعنا ٭ خلف الرجال وعرض الكل متلوف
يحق لى أن أراعيه وأحفظه ٭ ستر العرض وستر الغير مكشوف

(قال الاصمعى) فلما سمع شداد كلامها وشعرها ونظامها تعجب من ذلك المقال وأخذه من ذلك الطرب وقال والله أن حكاية هذا الغلام أعجب وكتمانه هذا الحديث من أعجب العجب وانقياده معى للشد والوثاق أعظم وأغرب وهو من المروءة وسلوك الادب ٭ هذا وعنتر واقف بين يديه وهو مستحى منه ومشغول بنفسه وقد سمع سمية زوجة أبيه وهى تشكر ونتنى عليه والقيد فى رجليه والكتاف قد أدمى يديه

فتذكر

فتذكر بعد ذلك ما جرى عليه ففاضت الدموع من عينيه وبكى حتى غشى عليه ولما أفاق عاد الى نسبته العربيه بخاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره فأنشد عند ذلك وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الرسول

p.60

قامت تظللنى والضرب يرلمنى * والدمع من جفنها المطال ينهمر
كأنها عند ما أرخت ذوائبها * بدر بدا وظلام الليل معتكر
فالمال مالكموا والعبد عبدكمو * والروح تفديكموا والسمع والبصر
ستذكرونى اذا ما الخيل قد طلعت * عبس الوجوه عليها النقع معتكر
اذ لم أكفكفها والطعن مختلف * فلا سقيت ولا أروانى المطر
سمر العوالى عندى ترتوى بدم * وعند غيرى تحاكى وخزها الابر
والسيف فى راحتى قدما مضاربه * وسيف غيرى مافى حده أثر
والناس قسمان هذا قلبه صدف * عند القتال وهذا قلبه حجر

(قال الراوى) فلما أن سمع أبوه منه هذا المقال قام اليه وقد لحقه الانذهال وحله من اعتقاله وقد تعجب من أفعاله ومن فصاحة لسانه وعلم أن الشعر والنظام لا يخرج الا من صدر فتى همام وفارس ضرغام وأسد هجام فخلع عليه واعتذر اليه وقد باسطه فى الكلام (قال الراوى) وبينما هو معه فى ذلك القول والملامه واذا قد أقبل عليهم عبد من عبيد الملك زهير بن جذيمة وهو يطلب شداد واخوته حتى يحضروا وليمة عودة السلامه فعندها أخذ شداد عنترا معه وسار الى وليمة الملك زهير وقد توهم فيها المسرة والخير ولما وصلوا رأوا بيوت الملك زهير منقلبة بدق الدفوف والمزاهر وجزر الجزور ونحر النحور وقد اجتمعت هنالك سادات بنى عبس وفرسانها وأبطالها وشجعانها فجلس شداد وبقى عنتر واقفا مع جملة العبيد وهو بينهم كأنه الاسد الصنديد وقد دارت أقداح الراح وامتزجت بينهم المسرة والافراح وعمل العقار فى الاسرار وقد أخذوا فى انشاد الاشعار وذكر الوقائع والاخبار فسمع شداد كل حكاية وشعر وخبر فما سمع بأحسن مما جرى لولده عنتر ثم انه حدث الملك زهيرا بما فعل عنتر وبما نظم ونثر وواصل الحديث وداربين كل من حضر فتعجبوا من فصاحته وشجاعته فقال الملك زهير والله انه من حين قتل عبد ولدى شاس علمت أنه ستكون له شهرة بين الناس ومن تكون هذه الفعال فعاله يجب علينا أن نعلى قدره عمن يكون مثاله ثم ان الملك زهيرا نادى له من ساعته فتقدم عنتر وباس الارض بين يديه وسلم عليه فناوله القدح وقد غلب عليه السرور والفرح فلما شرب عنتر ورأى نفسه بين ذلك المحضر استنشده الملك زهير الابيات التى ذكرها عنه وكان قصد الملك زهير ان يسمعها منه فعند ذلك ترنم عنتر وأنشدها وصار الملك زهير يشرب ويسقيه ويسأله عنها وهو يردها عليه ويقولها والملك زهير والحاضرون جميعهم يصغون اليه وقد زاد عنده لمحبوبته عبلة الشوق والهيمان وأراد أن يكتم ذلم يقدر على الكتمان وباحت باسراره دموعه فنطق بما عنده وما اشتملت عليه ضمائره وضلوعه فأنشد وجعل يقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول

العشق كالموت يأتى لا مرد له * ما فيه للعاشق المسكين تدبير
كم ذل فيه عزيز كان مقتدرا * وشاع هتك محب وهو مستور

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الابيات والشعر والانشاد طربت من سماعه الفرسان الاجواد فقال له صديقه مالك ياعنتر فقال لبيك يامن هو جمال هذا المحضر فقال له الامير مالك اشتهى عليك أن تنشدنى شيأ من أشعارك الجياد كما أنشدت أباك شداد حتى يزداد فيك حبى ويكمل فيك ههنا طربى ويزيد سرورى وسرور أبى فقال عنتر سمعا وطاعه فأنا أنشدك شيأ ما قلته الا فى هذه الساعه ثم ان

عنترا رفع رأسه وأنشد وقال وأنا وأنتم نصلى ونسلم على سيدنا محمد المصطفى الذى سلمت عليه الغزال

العز فى صهوات الخيل معقود * والنصر بالسيف فى يوم الوغا جود
ما ثار نقع عجاج يوم معركة * الا أغاثنى السمر العوالى الملد
أخوض فى نقعها لم أخش غائلة * اذا تغشى هناك البيض والسود
كم من فتى شرس ألقى السلاح اذا * ثار العجاج فولى وهو مطرود
هناك أقتحم الحرب العوان ولى * قلب وصدر من الاحجار مقدود
يا أيها الملك الضرغام لو نظرت * عيناك فعلى وسيفى وهو محدود
لما أتونا العدا يبغوا غنائمنا * ألقيت سيدهم فى القاع ممدود
علوته بحسام ما به ملل * فمال عن سرجه والخد مخدود
ملكتنى يا مليك الارض قاطبة * وذكره فى جميع الارض ممدود
أنتم ملوك معد من يعاندكم * يلقى الهوان سريعا وهو مبعود
فدونكم أسدا ما سل صارمه * الا وهابته فرسان صناديد
ولا يخاف لقا الابطال ان كثرت * ولا يذل لجمع وهو مسعود
تهابه الاسد فى غاباتها جزعا * والجن ترهب منه والعرابيد
أخوض فى النقع والابطال جائلة * والسيف يغتال لا يثنيه جلمود
لا أنثنى عن مرادى حين أطلبه * حتى يكون الذى أرجوه مقصود
انى لعبدكم أدعى بعنترة * يوم الكريهة آبائى أجيد
تعلو على سائر الملاك يا ملك * بحسن وصف وهذا الفعل محمود
ويحفظ الله شدادا أبى فله * عندى يد لا تكافاوهو مسعود
لانه السيد المولى وذو شرف * من آل عبس وهم قوم صناديد

(قال الراوى) فعند ذلك طربت من نظمه السادات وطرب الملك زهير والحاضرون وهم الى عنترة ناظرون والى نحوه شاخصون وقد وقعت فى قلوبهم هيبته ومحبته وصاروا يتعجبون من فصاحته وفرح الامير مالك ابن الملك زهير لانه من جملة المحبين لعنتر وكان فرحه من أبيه أكثر لانه كان من أشد متعصبيه هذا وقد خلع عليه الملك زهير حلة وعمامه لا تصلح الا للملوك الكبار من ملوك تهامه وأكرمه غاية الكرامه ولما ان كان المساء عاد مع أبيه شداد وقد انسر بما وقع له وقلبه فرحان ببلوغ المراد وبعلو قدره ورفعة موضعه بين العباد وقد زاد فى عبلة طمعه وغرامه وتمكن حبها من قلبه وجميع أعضائه الا أنه كان يكتم هيامه وجواه ولا يبوح الى أحد بشكواه لانه ينظر الى نفسه بعين العبودية وان القوم له موالى ولا علاء عينه بالنظر الى عبلة الا اذا كان المكان خالى (قال الاصمعى) فلما كان عند الصباح ركب عنتر جواده وقد امتلأ من العشق والغرام فؤاده واخوته بين يديه تسوق الاموال الى المراعى وهو من ورائهم حام لهم وراعى (قال الاصمعى) وكان أخوه شيبوب آفة العبيد وأقواهم وأشدهم جنان وهو كأنه شيطان فى صورة انسان اذا جرى يلحق الغزلان واذا طلبته الخيل قطعها بين الوديان والكثبان (قال الناقل) وكان أولاد الملك زهير قد أصبحوا فى دعوة وولية قد صنعها لهم عمهم أسيد بن جذيمة وكانوا قد اشتهروا عليه أن يسعد بهم فى البرارى والنيعان ويسقيهم على ربوات الرعيان ففعل ذلك وأمر العبيد والخدام ان تسبقه الى ذلك المكان بالاغنام والمدام ويذبحوا الذبائح ويروّحوا الطعام وركب أولاد الملك زهير العشرة وهم شاس وقيس وورقاء وخداش والحارث وكثير ونوفل ومالك ونهشل وجندل وساروا جميعهم الى رابية

خضراء

خضراء وهى عالية مشرفة على الارض والصحراء مدحية الجنبات ومزهرة بالنبات وحولها عيون نابعات وغدران جاريات ووحوش نافرات وأرضها ممنوعة بالزهورات كما قال فيها الشاعر هذه الأبيات بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات

وبعض العبقرى الوشى غض * تشاكل حين زخرف بالعقيق
سماء زبرجد فيها نجوم * تراهم طالعات من عقيق

(قال الراوى) ثم انهم جلسوا وقدم لهم العبيد الطعام فأكلوا وأحضروا اليهم المدام فشربوا ونهلوا فعند ذلك رفعت الاصوات وغنت المولدات ودارت عليهم الكاسات والطاسات وأنشد فى حقهم هذه الابيات بعد الصلاة والسلام على سيد السادات

امزج بماء نار كأسك واسقنى * فلقد مزجت مدامعى بدماء
واشرب على زهر الرياض مدامة * تنفى الهموم بعاجل السراء
لطفت فصارت من لطافة قدها * تجرى كجرى الروح فى الاعضاء
وكأن ذات حبابها من جوهر * أوذات نار كيفت بهواء
وكأن حامل كأسها ساربها * اذ تام يحليها على النـــدماء
شمس الدجا رقصت فزين وجهها * بدر الدجا بكواكب الجوزاء

(قال الراوى) ولما تمكن خندريسهم من رؤسهم وبما هم فيه من اللهو والطرب طابت عند ذلك نفوسهم فعند ذلك التفت مالك ابن الملك زهير ومد عينيه فرأى صديقه عنترا الذى يعز عليه وهو راكب على جواده كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل والخيل والجمال أمامه ترعى واخوته شيبوب وجوير بين يديه وهما يردان المواشى الى المرعى وعنتر يطرد الوحوش ويتشاغل بالصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص فقال مالك هذا والله عنتر بن شداد الذى يجب أن تفتخر به الاجداد ووالله ان مثله قليل لا يوجد فى الرجال الشداد لا سيما فصاحته فى المقال وحسن الفعال (قال الراوى) ثم انه استدعى ببعض العبيد وقال له امض الى عنتر وادعه لنا لنتم به أفراحنا وسرورنا وتنتظم بحادثته أمورنا فقال شاس من شدة بغضه لعنتر والله يا أخى انك لقد نظرت الى هذا العبد بغير موضع النظر وشكرته وهو لا يشكر وبالامس أنت وأبى أجلستموه بين السادات ورفعتم قدره بين القادات وأسمعتمونا منه تلك الابيات وتركتم له بين العبد منزلة عظيمة ورفعة قدر وقيمة ولقد كان فى بالى انى أقوم اليه وأضربه بسيفى فأقتله لما فى قلبى منه ولولا انى أخاف من غيظ أرباب الاحاجى لكنت قتلته مجازاة لقتل العبد داجى وكنت مستريحا منه ومن ذكره الى وقد زدتنى عليه الآن بغضا رصفك له بين يدى وارسالك وراءه فوالله ان حضر معناههنا لاقتلنه اشر قتلة ولامثلن به اقبح مثله (قال المؤلف) فبينما شاس مع اخيه مالك فى هذا الكلام واذا قد طلعت عليهم غبرة كأنها الغمام وبعد ساعة قد انكشفت وبان من تحتها ثلاثمائة فارس همام كأنها أسود الآجام وتحتهم خيول كأنها الغزلان وهم على ظهورها كأنهم العقبان وعلى اكتافهم رماح كأنها الاشطان متقلدون بسيوف كأنها النيران ولما أن قربوا من المراعى وأشرفوا جمعوا رؤس خيلهم ووقفوا (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكانت هذه الخيل من بنى قحطان وقد وصلوا الى هذا المكان فى طلب غنيمة يغنمونها من أرض بنى عدنان لانهم كانوا قد قل عليهم الزاد فى ذلك الزمان فتفرقوا سرايا فى الطرقات والوديان فكانت منهم السرية التى جاءت يوم وليمة النسوان وجاءت هذه السرية الاخرى الآن وكان قصدهم أن يسرقوا أموال بنى عبس من مراعيها ويأخذوها فوجدوا هؤلاء وهم يشربون المدام ولا عادوا يعرفون القعود من القيام فقالوا لبعضهم البعض احملوا بنا

على هؤلاء العصابة اليسيرة لنأخذهم الى ديارنا فان فداهم أهلوهم بالمال فهو الغنى لان هؤلاء سادات هذا المكان وكبراؤه وبهم تبلغ المنى ثم انهم أكبوا رؤسهم فى قرابيس سروجهم وحملوا كأنهم العقبان وهم ينادون يا آل قحطان وقد حملوا كأنهم الاباليس وكانوا كما قدمنا ثلاثمائة فارس فلما شاهد أولاد الملك زهير الى ما حل بهم عند اصطباحهم توائبوا الى خيولهم واختطفوا عدة سلاحهم ثم انحدروا من على ذروة الجبل وما منهم الا من صاح وحمل وغاصوا تحت العجاج والقسطل وانطبقت عليهم فرسان اليمن تحت العجاج مثل انطباق البحر اذا ماج وسمع عنتر بن شداد صياحهم عالى خاف أن تنهبهم الاعداء برؤس العوالى لاسيما وفيهم صديقه مالك الذى اصطفاه وأجاره ومن دون بنى عبس أحبه واستخاره فلما حقق عنتر ذلك الامر احمرت عيناه حتى بقيت كأنها مثل الجمر وصاح فى أخيه شيبوب وطلب مقدم القوم مثل الربع المهبوب وانحدر عليهم من الرابية مثل البلاء المصبوب (قال الراوى) وكان هذا الفارس أخا فاتك بن جلاح الذى قتله عنتر يوم سبى النسوان وكان قصده أن يأخذ ثاره فى ذلك اليوم وهو من جملة الفرسان فلما أن رآه عنتر علم أنه مقدم القوم فحمل عليه وطعنه بين ثديه فأخرج السنان بلمع من بين كتفيه فمال عن جواده وصار يختبط فى دمه بيديه ورجليه وحمل بعده على أصحابه ففرقهم بالحسام وفرشهم تحت الاقدام وجعل السروج خالية من الرجال وكأنه قصر منهم الاعمار الطوال فنظروا منه شدة الاهوال التى لا تندفع والبلاء الذى لا يرتد ولا يمتنع فما بقى منهم من يسمع ولا يبصر ولا ينتفع ولم يكن لهم أوفى غنيمة من الهرب وقد انقطع منهم الطمع والطلب فلما فرغ من ذلك طلب أولاد الملك زهير من أجل خوفه على مالك وصاح فيمن بقى عندهم من الفرسان التى كانت هنالك فارتعدت من هيبته الابدان وتغيرت من زعقته الالوان والتقى بأولاد الملك زهير وقد تبدل خوفهم بأمان وقد أقبل عليهم مثل ثنية الجبل وهو ينثر الرجال مثل نثر الحرمل وهو يصول ويجول ويرتجز وينشد ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات صلى الله عليه وسلم

لا ترتقى درج المعالى * الا بأطراف العوالى والصبر فى يوم الوغا
عند الملمات الثقال * ولقاء كل غضنفر أو قسور حامى الشبال
سلنى تجدنى حين اذ * طار الشرار من النعال لى مرهف يلقى اذا
جردته صرف الليالى * طعنى تشق له النسا عجيوبهن على الرجال
وأنا ابن سوداء الجبين * من زبيبة ذات الدلال عبد يخاف طعانه
سادات كل والموالى * والموت نوقا بلقه ما كنت قط له أبالى
هى شربة لابد لى * منها اذا حان ارتحالى أسعى اليها ان أتت
من عن يمينى أو شمالى * ثم الصلاة على الذى قد جاءنا بالدين غالى

(قال الراوى) المرتب لهذا الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الحبيب صاحب البردة والقضيب والناقة والنجيب الذى كل من صلى عليه قط لا يخيب كيف يخيب وهو يصلى على الحبيب (ياساده) ثم انه بعد ذلك النثر والنظام وما قاله من الكلام خاض العجاج ورمى نفسه فى المعمعة وصاح وهاج وترك الدم بحسامه يسيل من أنابيب الاوداج ورمى الفرسان على التراب وبددهم أفرادا وأزواج وأوقع فى قلوب الاعداء الانزعاج وانكشفت الغمة عن أولاد الملك زهير وحصل لهم غاية الافراح والابتهاج (قال الراوى) وكانت العبيد قد ألقت النفير فى بنى عبس فعلم الملك زهير ما أصاب أولاده بالامس فتغيرت أحواله وهاج بلباله فركب فى عاجل الحال على جواده وتراكضت من خلفه فرسانه وتتابعت من ورائه أقرانه وشجعانه وما وصلوا الى

المكان

المكان المعهود الاوقد وجدوا عنترا قد قضى الاشغال وهزم الابطال وبدد الاقيال من الرجال فى الجال ورجعوا عائدين الى الخيام الغوال وعنتر بين أيديهم كأنه الاسد الرئبال وهو مع ذلك يترنم بالاشعار وينشد ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات صلى الله عليه وسلم

لا يطلب العز من لم يركب الخطرا * ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن أراد العلا عفوا بلا تعب * مات ولم يقض من لذاتها وطرا
لا بد للشهد من نحل يمانعه * لا يجتنى النفع من لم يحمل الضررا
وأحزم الناس من لومات من ظمأ * لا يقرب الورد حتى يعرف الخبرا
وأعز الناس عقلا من اذا نظرت * عيناه أمرا غدا بالغير معتبرا
فقد يقال عثار الرجل ان عثرت * ولا يقال عثار الرأى ان عثرا
يهون بالرأى ما يجرى القضاء به * من أخطأ الرأى لا يستوشم القدرا

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير منه ذلك المقال ورأى منه تلك الافعال أعجبه ذلك الحال ثم انه فرح بسلامته وسلامة أولاده وحمد عنترا على حسن وداده وسألهم عن الخيول الغائره فحدثوه بحقيقة الخبر وما منهم الا من أثنى على عنتر ومدحه وشكر وعاد الجميع وكلهم ينشدون ما سمعوه من الاشعار التى قالها عنتر عند حلته ويتعجبون من فصاحته وشجاعته ولما وصل الملك زهير الى بيوته ومضاربه جدد الوليمة لاولاده وأهله وأقاربه ثم انه لما جلس أقعد عنترا الى جانبه وأسقاه من خاص شرابه ورفعه على جميع أصحابه وخلع عليه من ملابسه خلعة معلمة بالذهب وأركبه على جواد من أنفر خيول العرب وقلده بسيف مشطب صقيل الملمس وسماه بحامية بنى عبس وقال لابيه شداد لا عدمت من هذا اليوم فصاعدا نحط منزلته برعى الجمال بعد ما بان منه ما بان من جميل الافعال وفصاحة المقال واتركه يغير مع الشجعان ويغزو مع الابطال حتى يقال ان لبنى عبس عبدا يذل صناديد الرجال من أهل الرتب وذوى الافضال (قال الراوى) ومن ذلك اليوم لما أن رأى أبوه منه ذلك رفعه فازداد فى عبلة ابنة مالك طمعه وهى التى كانت سببا لفصاحته ومقاومته للابطال وشجاعته وتجرئة لسانه لانه كان كلما ذكرها انطلق بالشعر لسانه وطلبت نفسه المنزلة العالية وقوى جنانه وصار يبعد عن الحى ويغير على القبائل وأخوه شيبوب يدله على الطريق والمناهل وقد صار ساعى ركابه ورفيقه فى سائر سفراته ومغازيه ومن خواص أصحابه وما توجه فى أمر الا ونجح ولا عدل الى مهم الا وانصلح وكلما غزا حيا من أحياء العرب لا يعود الى الديار الا بالغنائم الكثيرة وقد أفلح حتى أغنى أباه شداد وفرح به الرجال الامجاد وصار له بأغضاء حاسدا شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وكلما رأوه يفعل تلك الفعال يزداد عليه فى قلوبهم البغضاء والاحقاد (قال الراوى) وقد صار محبوبا عنتر من بنى عبس اذا حضروا على الشراب يتناشدون أشعاره ويتذاكرون أخباره ولا يقول ذلك الا من يكون من الاحباب ويصفون محبته لعبلة وكان عنتر يذكر فى قيامه وقعوده محبوبته عبلة حتى بلغ الحديث الى أمها وأبيها بالجملة وسمعاه وحفظاه ونقل اليهم مرارا أنه يذكرها فيما يقوله من الاشعار وهما يضحكان منه فى السر والاجهار ولا يأخذان فى بالهما شيأ من ذلك ولا يغتاظان لانهما يستقصيان حوائجهم ويستخدمانه فى كل ما كان وهو عندهما بمنزلة العبيد ولم يعدوه بمنزلة الابطال الشداد (قال الراوى) ولما ان كثر الحديث عند أم عبلة دعته اليها وأحضرته بين يديها وقالت له يا عنتر انى سمعت عنك انك تحب ابنتى عبلة وتذكرها فى شعرك ولا تكتم ما تحصل من هواها فى صدرك وكانت عبلة قاعدة جانبها وقد أرخت شعرها وذوائبها فسمعت أمها تقول لعنتر ذلك المقال وهو واقف ينظر

اليها فتبسمت عن ثغر أبرد من الزلال وأنقى من اللآلى فى الكمال وضوء وجهها أنور من الهلال فزاد بعنترا لهوى والبلبال وقد تغيرت عند نظرها منه الاحوال فقال لها يا مولاتى وهل رأيت أحدا يبغض مولاته نعم والله انى أحبها وان حبها قد تمكن من قلبى بجميع حالاته وان ذكرها وصورتها لا تبرح عن ناظرى وقلبى وانها ملأت ضمائرى ولبى وأنا أكتم هذا المعنى وما يدل عليه من الشعر والنظام ولا أصف الا ما كساها الله تعالى من الحسن والجمال وما أعطاها الله تعالى من القد والاعتدال وما عندى من الوجد والهيام (قال الراوى) فلما سمعت أمها منه ذلك الكلام زاد عجبها وقرب عنتر من قلبها فقالت له يا عنتر ان كنت صادقا فى مقالك فأنشدنى شيأ من أشعارك ينسب الى أحوالك ويكون أول مقالك وأسمعه لى هنا بينى وبينك فعندها جاش الشعر فى خاطره وظهر منه ما كان يخفيه فى ضمائره فأنشد وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على النبى الرسول

أحبك حب كرام الرجال * وأقنع منك بطيف الخيال * وأنت محكمة فى دمى
ومالكتى فاسمحى بالوصال * فياعبل قد كل منى اللسان * بتعداد وصفك ذات الدلال
فقدك غصن كبان النقاء * قويم لدى الميل والاعتدال * وثغرك يحكيه در النظام
فكيف نشبهه باللآلى * ولى فى حبينك كل الهدى * وبالليل شعرك فيه ضلالى
ونهداك قد خلقا فتنة * فيحفظك الله رب الجلال * وعقدك قد شد عقدا لصدور
وحل من الناس عند الوصال * يحصر نحيل رقيق المعانى * ويحمل جور الهوى وهو بالى
ومن دون بيتك أسد البطاح * وبيض الصفاح وسمر العوالى * ووجهك يحكى هلال السماء
قريب الضياء بعيد المنال * وقد شاع عشقى وحبى لديك * فهل لى معين على سوء حالى
فديتك انسان عين الفؤاد * وفيك تعلمت رعى الجمال * وأعجب أنى أصيد الاسود
وتقصدنى منك عين الغزال * وتخشى الضراغم من سطوتى * وأخشى ملامك بنت الموالى
عليك سلام بطول الدوام * فانى مدا العمر ما قط سالى

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الابيات وعبلة وأمها فى وجهه باهتات ومن كلامه وألفاظه متعجبات ومتبسمات وضاحكات الا أن عنتر قد شفى غليله وأهدى لاعج فؤاده وصدره وأفشى ما فى قلبه وبه باح وكشف بالمحبة ستره وقد رأى من عبلة عين المحبة والنجاح وعن لومه وعتبه بواسطة المحبة قد استراح ومن عجب أمها به لما سمعت منه ذلك الكلام قالت له والله يا عنتر ما كنت أحسب انك تنطق بمثل هذا النظام فوحق ذمة العرب لقد فقت أصحاب الحسب والنسب وتعلقت بفصاحة السادات من ذوى الرتب ولابد أن أقول لبعلى مالك أن يزوجك بخميسة أمة ابنتى عبلة فقال عنتر يا ستاه وحق اله السماء ومن علم آدم الاسماء صاحب العزة والقدرة لا ضاجعت قط امرأة لا أمة ولا حرة ولا أريد الا من يريدها قلبى ويحبها ويشتهيها وأما من لا يريدها قلبى فلا خير فيها فقالت له عبلة الله يبلغك جميع أمانيك ويرزقك بزوجة تكون تحبك وترضيك وتكون تريدها وتريدك فقال عنتر آمين اللهم آمين يا رب العالمين (قال الراوى) يا سادة يا كرام صلوا على بدر التمام وقد شاعت الاخبار بهذه الابيات فى الحى بين العبيد والسادات وقد تناشدتها البنات والمولدات واتفق أن الربيع بن زياد عمل وليمة عظيمة وعزم فيها شاسا ابن الملك زهير وما لكا أبا عبلة ودار بينهم الكلام وذكرت أخبار عنتر بين يدى الربيع بن زياد وشاس بن الملك زهير وبعض اخوته السادات الاجواد وكانوا على الشراب وكان قد أتاهم خمر جديد وعندهم أبو عبلة وجماعة من العبيد وجاؤا بذكر عنتر وما أنشد من الاشعار والنظام وما قاله فيها من رقيق الكلام فقال شاس والله ما ينظر هذا العبد السوء الى نفسه الا بالرفعة على أبناء جنسه

الا

ألا ترون الى هذا العبد الاسود كيف تعدى طوره وتمرد فقال الربيع والله ياشاس ماترك لهذا العبد ذكرا بذكر الا أبوك وكذلك أخوك وقد مضى دم عبدين عبدى ضاجر وعبدك داجى وبالامس أقعده أبوك بين السادات واستنشده تلك الابيات وخلع عليه ولولا ذلك مازاد طمعه فى البنات العربيات فبكى عمرو أخو عبلة وزاد عليه الغيظ والاهتمام لما سمع ذلك الكلام وقال وحق الملك الفتاح ان ضرب الصفاح وطعن الرماح أحسن من هذه المقالات القباح وقال شاس أنا أرتب له بعض العبيد يقتله وعلى الارض يجندله وننال منه مانريد لان فى قلبى منه نار الوقيد فقال الربيع أنا عبدى بسام أخو العبد ضاجر قد هم أن يقتله مرارا من سابق الزمان وأنا أنهاه وأمنعه من ذلك الشان ثم ان شاسا والربيع اتفقا على أنهما يرتبان لعنتر أربعين عبدا شداد عشرين من عبيد شاس وعشرين من عبيد الربيع بن زياد ويكونون صحبة بسام واتفق رأى الجميع على هذا الامر والابرام (قال الاصمعى) ومما اتفق أنه كان لشداد بنت اسمها مروة من غير زوجته سمية وكانت متزوجة من بنى عطفان برجل يقال له ماجد وكان الامير ماجد زوج أخته برجل يقال له الحجاج بن الليث فلما راحت مروة الى وليمة العرس أتت الى أبيها شداد ونساء بنى قراد ودعتهم الى الوليمة فأجاب شداد وأخذ معه اخوته مالكا وزنجة الجواد وجماعة من بنى قراد الاجواد وسارت الفرسان تقطع البرارى والقيعان وتأخرت النسوان وحدهن ومعهن عنتر وهو متولى خدمة سمية وعبلة وأمهما وهو يتمنى أن يطول عليه الطريق وعبلة وأمها يضحكان من هذه الاحوال * هذا وعنتر قد جاش الشعر فى خاطره فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

سيرى مسير الامن يا كل الامل * سيرى فمن حولك ضرغام بطل
يضرب بالسيف اذا الحرب اتصل * ضرب غلام لايبالى بالاجل
ولى جنان ثابت يوم الوجل * ولا يهاب البيض مع سمر الاسل
ياعبل سيف اللحظ من سيف الكلل * كاحظ عينيك اذا سل قتل
وحق رب فى علاه لم يزل * حبك فى قلبى عبيلة ما انتقل
ياعبلة هل منك أبلغ الامل * بالعشق قلبى وفؤادى اشتعل

(قال الاصمعى) ولم يزالوا سائرين وهم فى لهو وطرب الى أن قدم الظلام بالغيهب فنزلوا على غدير من الماء يسرح وزهره قد تفتح فأقاموا الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح واذا هم بغبار قد ظهر من البر والوديان وانكشف وبان من تحته فرسان وأى فرسان وهم مائة فارس للعديد لوابس مثل الاسود العوابس ويقدمهم فارس صنديد وليث عنيد وهو مثل البرج المشيد وهو سائر قدام الابطال وهو ينشد ويقول هذه الابيات

اليوم آخذ ثارى ان ظفرت به * واترك الخصم فى البيداء منجدلا * من عبد قوم لئام لا فخار لهم
أبناء عبس ولا أصغى لمن عذلا * لانى فى جلاد الحرب مقتدر * أنا الشجاع الذى آتى الوغا بطلا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان هذا الفارس ينادى الثار الثار البدار البدار وكنا قدمنا أن شاس ابن الملك زهير والربيع بن زياد القليل الخير قد اتفقا وتحالفا على عنتر ورتبوا له العبيد الاربعين الذين قدمنا ذكرهم وتركا عليه العيون والارصاد فلما أن سمعا بمسير بنى قراد الى بنى غطفان وأبصرا عنترا قد تخلف فى المسير مع النسوان فأحضرا العبيد المذكورين وأفرغا عليهم العدد وسار العبيد وأكمنوا لعنتر فى وادى الغزلان وكانوا عازمين أنه اذا أشرف عليهم عنتر يبادرونه بغتة بالحرب والكفاح ويتكاثرون عليه ويقتلونه وفى القيعان يجندلونه وعلى الرمال يعددونه ولا يأخذون من المال الذى معه ولا عقال وقد ذكرنا أن عنترا ما طلع عليه من تحت الغبار الا مائة فارس كرار وكان ظهورهم من وادى الغزلان وقد

تبادروا الى الحرب والطعان وكان قدومهم فى ذلك الوقت له قصة عجيبة لان حوادث الدهر كلها غريبة
وذلك من تقلبات الايام والدهور وقد يحدث من بعد الامور أمور وذلك أن عبيد بنى زبادلما أن طلعوا من
الحلة وأبعدوا فى ذلك البر والاكام وكان المقدم عليهم عبد الربيع اسمه بسام وكان ذلك العبد من العبيد
اللئام لا يعرف عهدا ولا يرعى حرمة ولا ذمام وكان داهية من الدواهى العظام ولم يزل سائرا هو ورفقته
فى تلك الوديان حتى انهم أشرفوا على وادى الغزلان وعولوا على الدخول فيه وأن يكمنوا فى تلك الوديان
واذا هم بحس رجال وهمهمة أبطال ووقع حوافر خيل قد طلعت عليهم وقد تبادرت اليهم من اليمين
والشمال وفرسان فى أيديهم سيوف تلمع وحديد وزرد تشعشع وقد حمل هؤلاء القوم وهدروا وزمجروا
بالقتال اليهم وهم يقولون أخبرونا من تكونوا من فرسان الخيل واثبتوا فى أماكنكم قبل أن يحل بكم
الذل والهوان والويل وأعلمونا من تكونوا من العرب قبل أن تروح أرواحكم وتذهب فلما سمع بسام
منهم ذلك الكلام نبه أصحابه الى الطعان ومدرمحه بين آذان الحصان وقال لهم يا وجوه العرب نحن من
بنى عبس وعدنان وأنتم من تكونوا من الفرسان ومن أجاكم لوقوفكم فى هذه الوديان والبرارى
والقيعان فقال المقدم عليهم يا نسل العبيد اللئام والله انا طالبون لكم من دون الانام لاسيما ان كان
فيكم عبد شداد القبيح الفعل الردى الذى هو فى جميع أموره معتدى (قال الراوى) وكان هؤلاء من
عرب يقال لهم بنو المصطلق وبالقضاء والقدر اتفق أن عنترا كان قد قتل للمقدم الذى عليهم أخا يقال له
ماجد ونهب ماله فى بعض الغزوات وأخذ من نوقه وجماله قطعة وكان أخوه غالب بن واثب هذا غائبا فى
بعض الغارات فلما قدم وعلم بموت أخيه وما أصابه اغتم غما شديدا وشق ثيابه وعظم عليه ما حل به من خراب
بيته ويتم أولاده وفرقة أهله وأحبابه وما أقام فى الحى أكثر من ثلاثة أيام حتى سار فى هذه الفرسان
يقطع البرارى والاكام وهو يقول ما قتل أخى الا عبد شداد وهو من بنى عبس وعدنان فأنا أقتل منهم
السادات والاعيان وألقى الخوف فى أرضهم والقيعان وأختطفهم من كل بر وفد فد ولا اعود الا برأس
ذلك العبد الاسود ولم يزل سائرا الى ان اشرف على وادى الغزلان واكمن فيه بمن معه من الفرسان ثم
انه انفذ بعض عبيده ليأتيه بالاخبار فمضى وعاد اليه بعد ثلاثة ايام وكان قد سار حتى قرب من الديار
فحدث مولاه بالوليمة التى صنعت فى بنى غطفان وقد سار اليها جماعة من بنى عبس وعدنان وكم
رجال واولاد ونسوان وقد سارت الرجال وفرسان بنى قراد قدامهم ولم يتخلف عن الفرسان غير عبيدهم
وعنتر بن شداد يسير معهم فى الجملة لاجل ان يتولى خدمة مولاته عبله فلما سمع غالب قول عبده فرح
وداخله الطرب وصاح من شدة فرحه يا للعرب لكم البشارة الآن اجيئكم بالاموال والذهب
لاخذ الثار وبلوغ الارب (قال الراوى) فلما سمع رجاله هذا الخبر تعجبوا من هذا الاتفاق كل العجب
واقاموا فى انتظاره حتى اشرف عليهم العبد بسام هو ومن معه من العبيد اللئام وجرى لهم ما جرى ثم انهم
أعلموه بالخبر وانهم ما أبقوا كلهم الا لقتل عنتر فلما سمع بسام كلام المقدم عليهم قال لهم يا قوم قد بحنا من
كل جانب لان كلامنا قد أتى وهو لقتل هذا العبد عنتر طالب ونحن موالينا قد أرسلونا فى طلبه حتى
انا نسقيه كاس عطبه وعما قليل يصل اليكم مع البنات والنسوان ماضين الى الوليمة التى صنعت فى
بنى غطفان فان شئتم نحن نقتله ونعطيكم راسه وتهدم لكم اساسه ونخمد انفاسه فقال يا مولدين العرب
انتا ما نريد منكم معاونة على هذا الشيطان ولولا انكم اخبرتمونا بخبر عندنا منه علم وقاعدة ما كنا ابقينا عليكم
ساعة واحدة ولكن عاهدونا على ان تكونوا لنا ولا تكونوا علينا محامين والا بذلنا السيوف فيكم
اجمعين فعاهدهم على ذلك بسام بعد ان تحالفوا بالاقسام واعطاهم غالب الذمام ثم ان بسام قال للعبيد
الذين هم رفقته ها قد كفيناها هذا الامر الذى قد تجدد والرأى انا نصبر حتى ينفصل هذا الامر فان رأينا عنترا

قد

قد سطا عليهم وطال ومحق منهم العدد حملنا عليه بعد ذلك وقطعنا منه المدد وان رأيناهم وقد قتلوه وعجلوا له الذهاب حملنا عليهم ولا تمكنهم من سبي حريم سادات العرب ولو تركونا ممددين على التراب وانهم ان قتلوا عنترا من اول حمله ارسلنا واحدا منا الى الحمله واذا رأيناهم قد تعرضوا للنسوان والعيال اشغلناهم بالقتال حتى تدركنا الخيل والرجال ونقفوهم بالسيوف والقنا ونكون نحن قد بلغنا من عنترا اني ولكن نكون نحن وقت الحمله متأخرين حتى لا يعلم بنا النساء انا كنا عليهم قادمين ويتحدثوا عنا اننا كنا مع الاعداء ويلومنا كل احد على ذلك فقال له اصحابه افعل ما بدا لك فكلنا متبعون افعالك ثم انهم صبروا حتى انجلى الظلام وكانوا قد اتفقوا على ذلك الامر والمرام وكان عنتر هو ومن معه من النسوان قد أتوا ونزلوا قريبا من ذلك المكان فعند ذلك طلعت عليهم الاعداء وغبارهم قد طلع مثل الغمامة السوداء وقد أقبلوا عليهم وهم يصيحون البدار البدار اليوم نقضي الدين من هذا العبد الفرار ثم انهم أكبوا رؤسهم في قرابيس سروجهم وجردوا سيوفهم ومدوا الى عنتر رماحهم فعند ذلك علا من النسوان البكاء والعويل ونظر عنتر الى عبلة ودموعها على خدودها تسيل وهي تلطم خدودها وأمها قد حارت في أمرها وما في النساء الا من بكت ودقت على صدرها فلما نظر عنتر الى ذلك تبسم والى ما بين يدي النسوان تقدم وقال لام عبلة كيف ترين حالك ياستاه في هذا العدو الذي قد ظهر علينا من الفلاه فقالت ياولدي ياعنتر قد قلت الحيلة وعدم المصطبر وفي هذه الساعة تسبينا العدا ونبقى مسبيين في هذه البيدا قال عنتر ياستاه أتزوجيني بعبله وأنا أرد الخيل عنكم من اول حمله وأنزل بهم الذل والوبال وأريهم بأطراف الرماح الطوال وأفنيهم بالسيوف الرقاق وأعطيكم خيلهم وسلاحهم من بعض المهر والصداق فقالت له ياعنتر في مثل هذا الوقت لا يكون المزاح فقال عنتر أنا ما أقول الا الصدق وحق خالق الاصباح ان أنت وعدتيني بزواجها رددت هذه الخيل وأقتل أهلها فقالت له أم عبلة قاتل ياعنتر فان مصيرها لك ان كان لك فيها نصيب الا أنها ما قالت لعنتر ذلك الكلام الا بلسانها خلاف ما في قلبها من المرام فلما سمع عنتر هذا المقال قال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الانذال احم أنت ظهري بالنبال وأنا أفرجك على القتال فقال له شيبوب احمل أنت يا ابن السوداء عليهم وأنا أشفي غليلك منهم وأميل فيهم فعند ذلك حمل وصاح وزمجر والى نحوهم من تلك التلال انحدر * هذا وقد جعل شيبوب يحمل خلف عنتر فرأى عبلة تبكي ودموعها تجري على خدودها وتقدر فقال لها ياستاه كفي دموعك ولا تخافي من بشر لان الامر أهون من ذلك وأيسر والعدو أقل وأحقر وسوف تنظرين كيف يقهر وتشاهدين من أخي عنتر ما يروى عنه ويكتب في الاوراق ويسطر هذا ما كان من شيبوب وعبلة (وأما ما كان) من عنتر فانه صاح صيحة دوت لها تلك الجبال وحمل وعلى أوائل الخيل قد انطبق واستقبلهم بطعن مطلق وأوصله الى الصدور والحدق واستقبل الفارس الاول بطعنة في صدره فطلع السنان يلمع من ظهره والثاني أرداه وحمل على الثالث وهو في كروفر فأراد أن يطعن عنترا فضربه شيبوب بنبلة في فؤاده فكسه عن جواده فلما نظر القوم الى حرب عنتر وفعاله هابوه وتفرقوا من قباله وخافوا من ضربه وطعانه لانهم شاهدوا منه ضربا يسبق البصر وطعنا لا يبقي ولا يذر ولا ينفع منه خوف ولا حذر وكأنه من أيام الساعة التي هي أدهى وأمر (قال الاصمعي) فلما نظر عنتر منهم التقصير وقد تفرقت من بين يديه الفرسان مال الى ناحية العيال وقال لعبلة أقلي يا نور عيني من بكاك فلا عاش من يشناك ولا شمتت بك أعداك فلما سمعت عبلة ذلك المقال تبسمت عن ثغر كأنه من اللآلي الغوال وأيقنت بالنصر وبلوغ الآمال * هذا وعنتر عاد الى الاعداء كأنه الاسد الربال وحمل عليهم في ساحة المجال وصار يمد الابطال يمينا وشمال وشيبوب من خلفه يحمي ظهره بالنبال * هذا والغبار قد طلع وعلا وملأ جنبات

البر والفلا والخيل تخرج من تحته خاليه وأصحابها قتلى وسروجها تقطر بالدما والنساء قد أيقنت بالنصر والحما وقد تركن العويل والبكاء وصرن يدعين ويتوسلن الى رب السماء لان عنترا لما طاب له الحرب والقتال ترنح فى سرجه ومال وأنشد وقال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

كفى الدموع فان القلب متبول * والجسم من زفرات الحب مشغول
ياعبل لاتجزعى يوم الوغى أسفا * فقد حماك هزبر الغاب بهلول
ليث تذل له الابطال خاضعة * بالحق يوم اللقا تغدو الاباطيل
ياعبل ان الجفا والبعد أقلقنى * فليت حبل التدانى منك موصول
ياعبل قومى انظرى فعلى وفعلهمو * تحت العجاج وشخص الضد مذبول
لاجمنك هذا اليوم يا أملى * فلى حسام بقد الهام مصقول
وقد أراد العدا يسبوك لاسلموا * ياعبل كف الذى بشنائك مشلول
لاروين حسامى من دمائهم * ويشبع الوحش والسرحان والغول
قفى انظرى لفعالى عند جلتهم * اذا غدوا وعميد القوم مقتول
هناك تعلم كل الخلق قاطبة * بأن خصمى تحت النقع مقتول
وان جارى عزيز لاعدوله * وان قولى عند الناس مقبول

(قال الراوى) فلما أن سمعت الفرسان منه ذلك المقال لحقهم الانذهال وأيقنوا بالذل والوبال وصار عنتر بهجم عليهم كأنه الاسد الرئبال وقد قتل من تلك المائة خمسين فارسا ومددهم على الرمال وقد ذل الباقون ولحقهم الانبهار * هذا وجواد عنتر قد كل من الطراد والمحاولة فنزل عنه وركب غيره من الخيول الغائره (ياسادة) هذا كله جرى وعبيد بنى عبس تنظر وترى وقد تقطعت ظهورهم وحاروا فى أمورهم فقال العبد بسام لاصحابه اشكروا اللات والعزى اللتين جلبا لنا هذه الاعداء وأشغلاه عنا والا كان أهلكنا ولازجع واحد منا الى الديار وأحرمنا الارطان والقرار * هذا وعنتر قد عاد الى المجال وأجاد فيهم الحرب والقتال ونظر غالب بن وثاب مقدم القوم الى أصحابه وما أصابهم من العذاب ورأى باقيهم واقفين لايردون الجواب ولا يبدون خطاب فقال غالب والله لابعد للنوائب الا أهلها وأصحابها ولا أحد يأخذ بثارى الاسنانى ورمحى وبتارى فقال له أصحابه لو أنك كنت خرجت من الاول اليه ما كنت مكنته من قتل هؤلاء الرجال وكنت قضيت الاشغال وكانت تسلم من القتل جميع الرجال فقال غالب اعلموا أن الاجل محتوم والرزق مقسوم وابن ثلاثة لايموت ابن يومين وابن يومين لايموت ابن يوم وأنا الذى فرطت فى أمر هذا العبد السوء حتى انه بلغ من أمره ان وصل الى هذا الحال وسطا على أصحابى فى الحرب والقتال وفعل بهم هذه الفعال ثم انه نهز الى الميدان بجواده وعدة جلاده وكان عليه زرد يه تلمع وترد البوائق وتمنع متقلدا السيف باترا للاعمار يقطع ويبدد رمح أسمر من عمل سمهر يفصل ويفعل فعله بحكم القضاء والقدر وركب على جواد أجرد حالك اللون أسرد يقوائم مثل العمد عيناه كأنهما سراجان تتوقد وهو من فوق ظهره كأنه برج مشيد أو قطعة من جلمد الا أنه كبير الراس ثابت الاساس صلب الاوصال عريض الاكتاف طويل السبال خبير بالقتال كثير الاهوال وملاقاة الابطال فلما خرج الى الميدان صال وجال وتذكر وتفكر أفعال عنتر بأخيه فزاد به البلبال فأنشد وقال ونحن وأنتم نصلى على سيدنا محمد النبى المفضال

رمتنا صروف الدهر من قوس صرفه * على يد عبد لا يبالى بحتفه
فلا عجب أن يرفع الدهر عاجزا * ويتركه يلقى الاسود بضعفه

أياعبد سوء قد تجاوز حده * أتاك هـمام لا تقوم بوصفه
فدع عنك هذا الجهل يا ابن زبيبة * فكم أسد أردیته عند زحفه

(قال الراوی) ثم انه أوسع فی المجال وأراد أن يتم شعره ومقاله واذا بعنتر قد فاجأه بحملته ولقاه بصدمته وأجابه على عروض شعره يقول بعد الصلاة والسلام على النبي الرسول

تعايرنی يا ابن اللئام بأننی * كون الدجا هاقد بليت بعسفه
وان كنت عبدا قد قتلت رجالكم * وأرميتكم من ذا الزمان بصرفه
أنا الاسد الكرار فی حومة الوغا * أكر اذا جاء الكمی بعنفه
تميل الجبال الراسيات لهيبتی * ويبشر من يبنی عنادی بحتفه
فكم فارس لما بدا لون غرتی * حيال مقام الحرب ألوی بعطفه
تخلت بداه عن جميع سلاحه * وخر بعض الارض خوفا بكفه
وكم من كمی قد تركت مجندلا * وأوجرته طعنا على رغم أنفه
وان كنت تبغی الحرب دونك ماجدا * يذيقك طعم الموت من ضرب كفه
نخذ ضربة من يد ليث سميدع * يصيد ملوك الارض فی وقت زحفه

(قال) الاصمعی وأبو عبيدة رحمهما الله تعالى ثم انه بعد ذلك حمل عليه ولم يتركه ينظر الى ما بين يديه وطعنه بين ثديه فأخرج السنان يلمع من بين كتفيه وتركه يخور فی دمه ويضطرب فی عندمه ثم انه انقض على باقی أصحابه مثل انقضاض الباز وانجز أمرهم غاية الانجاز فشردت الفرسان فی كل مكان مما أنزل عليهم عنتر من الضرب والطعان وقد جعل يطعنهم فی الصدور والنحور وترك أدميتهم على وجه الارض تفور ونظرت بقية الرجال الى طعن يشتعل اشتعال كأنه نيران صارت تتأجج فی تلك الروابی والتلال ونظرت عبيد شاس والربيع ما جرى لبنی المصطلق وعنتر من خلفهم كأنه النار ذات اللهب أو الشهاب اذا انطلق وشيوب من خلفه كأنه البرق اذا برق فعند ذلك عادت العبيد على الاعقاب وطلبوا الروابی والشعاب وأما بسام عبد الربيع فانه راح فی الاول وهو يصيح فی العبيد يا أولاد الزنا اطلبوا بنا الاحياء والاحمل بكم الفنا لان الطعنة التی وقعت فی صدر مقدم القوم كانت لی أنا ومن يقاتل من بعد هذا اليوم هذا العبد ولد الزنا فيكون مجنونا وقد طلب الموت والفنا ثم انهم بعد ذلك غابوا فی القفار وطلبوا الاهل والديار وعاد عنتر وسنان رمحه يقطر من الدما فتلقته النسوان وقد استبشروا بالنصر والظفر والحما وقد صار عنتر فی قلوبهم أحلى من الماء الزلال عند شدة الظما وتلقته عبلة عند رجوعه وتبسمت فی وجهه وشكرته على صنيعه وقالت لله درك يا أبيض الفعال ويا زين المجال ويا غاية الآمال ويا ملیح الخصال ثم انها لما كلمته بذلك الكلام الجميل كان على قلب عنتر ألذ من العسل وأحلى من العافية على بدن العليل وزال عنه ما لاقاه من الحرب الثقيل فشكرها على ما قالته من مقالها وردها الى هودجها وأركبها على ظهر جملها وأمر العبيد فجمعت أسلاب القتلى والخيول من ذلك الفلا وأركبوا البنات والنسوان وقد أمنوا من غدرات الزمان وطلبوا أحياء بنی غطفان وهم سائرون يرفلون فی ثياب العز والامان حتى وصلوا الى الحی وهم سالمون فوجدوا الناس فی اصطناع الولائم مجتهدين وهم ينهلون من شرب الخمور وكاسات الفرح والسرور عليهم تدور والنقی المقيمون بالقادمين وصاروا على بعضهم البعض مسلمين وزادت بينهم الافراح وعلامهم الصياح بالانشراح وأخبرت النساء رجالهن بما فعل عنتر فعامهم الامن فرح بذلك واستبشر وشكروه وأثنوا عليه فيما فعل وما وصلت يده اليه من الفخر وقدمت العبيد الاسلاب وتلك الخيول الجياد الى ما بين يدی

الامير شداد وأخبروه كيف ان عنترا صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم ودفع عنهم ذلك الهول العظيم وكيف لقى الفرسان الذين لاقوهم وكانوا مائة وعشرين فارسا صناديد من سادات العرب الاماجيد وأنه أرداهم وتركهم ممددين على الصعيد (قال الراوى) فلما سمع أبوه الامير شداد ذلك القول زادت رغبته فيه ومابقى يعرف بأى شئ يجازيه فعند ذلك قام من بين يدى الحاضرين اليه وقبله بين عينيه وأخذه بيده وأجلسه مع السادات فقعد لحظة لاجل خاطر أبيه شداد ثم قام بين الحاضرين ووقف مع العبيد على ماجرت به العادات وقال والله يامولاى لا أغير فى خدمتك العاده ولا أغتر بأيام السعاده فحينئذ الامير شداد وتعجبت فرسان العرب من حسن أدبه ومامنهم الا من عظم قدره عنده وحبابه وقربه ولاسيما أبوه شداد فانه فرح به الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وخلع عليه المشايخ والشباب وأجلسوه بينهم وأسقوه من صافى الشراب ودارت عليهم كاسات المدام وزادوا له فى الاكرام فعند ذلك أنشد وقال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

امزج بماء نار كأس واسقنى ✲ فلقد مزجت مدامعى بدماء
واشرب على زهر الرياض ثلاثة ✲ تنفى الهموم بعاجل الصهباء
لطفت فصارت من لطافة سكرها ✲ تجرى كجرى الروح فى الاعضاء
وكأن ذات حبابها من جوهر ✲ أوذات نار كيفت بهواء

(قال الراوى) ودام واعلى شرب المدام سبعة أيام على الكمال والتمام ومامن يوم يمضى الا وبنو غطفان يرفعون قدر عنترة ويعظمون الامير شداد هو ومن معه من الرجال الاجواد ثم بعد ذلك انقضت الوليمة وعاد بنو قراد طالبين الاوطان بالنساء والبنات والاولاد وجميع الرجال والفرسان حذرا من النوبة الاولى وخوفا من التعدى وجدوا فى سيرهم حتى أشرفوا على العلم السعدى ولم يزالوا حتى قاربوا الابيات فرأوا الصياح منعقدا من سائر الجنبات والغبار قد أظلم على الروابى والفلوات وأهل الحى قد طرقوا بحوادث الآفات فقال شداد لمن حوله من سائر الرجال والسادات وحق ذمة العرب ان حلتنا قد رميت بالدواهى والآفات ثم انهم حركوا أنفسهم على الخيول العربيات واقتحموا المضارب والابيات فوجدوا النساء مهتكات والبنات من المضارب بارزات وقد غرقوا البراقع بالعبرات وفى الغبائر بريق السيوف لامعات وأسنة الرماح السمهريات مشهرات وهمهمت الرجال كأنهم الاسود فى الغابات وماكان فى الحى الا رجال قلائل والكل مثخنون بالجراحات وهم فى أذيال البيوت يمانعون ممانعة من قد أيقن بشرب كأس الممات وهم قد قلت منهم الحركات وخفتت منهم الاصوات (قال نجد مؤلف تلك العبارات) بعد الصلاة والسلام على صاحب المعجزات وكان لذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب لابد أن نذكره ان شاء الله تعالى على الترتيب لكن بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى النبى الحبيب وذلك أن الملك زهيرا كان قد أخذ فرسان بنى عبس وعدنان وسادات الحلة الاعيان وسار بهم طالبا ديار بنى قحطان يطلب عدو له يقال له المتغطرس ابن فراس وكان فارسا شديد الباس صعب المراس وكان من عرب يقال لهم بنى قينان وكان قد بلغ الملك زهيرا أن ذلك الفارس تجهز اليه بجماعة من الفرسان فصعب عليه ذلك الامر والشان ورحل يلاقيه فى الطريق قبل أن يصل الى أرضه وتركه فى الحى أخاذ زناع فى نفر قليل من بنى عبس وعدنان ليصونوا ماله وعرضه فخالف عدوه فى الطريق من غير قصد ولا حذر لان كل واحد منهم سار يطلب دار الآخر فاختلفوا فى الطريق لان البر مثل البحر الجحاج الواسع الفجاج فوصل المتغطرس الى ديار بنى عبس فوجد الاحياء خالية خامدة والرجال غياب فهجم طالبا الخيام والقباب فتارفى وجهه من بقى

من بنى عبس الكرام وركبت على صهوات الخيل الجياد وهزوا فى أكفهم الرماح المداد وجردوا قواضب البيض الحداد واتصل بينهم الطعن بالسمر الصعاد وتمددت القتلى على بساط الارض والمهاد وتبضعت منهم الاجساد وعاد بياض النهار وضوءه الى سواد وكثر العدد على بنى عبس وزاد فعادوا الى الخيام والاطناب لما أن نظروا الى سقاة المنايا تدور عليهم بكاسات العذاب وقد ابتلوا من العدو بأمر لا يطاق وسالت دماؤهم على أسنة الرماح الدقاق والسيوف الرقاق ورأت مورد الموت مرّ المذاق * هذا وقد زاد من النساء الصياح والزعاق وأيقنوا بالسبى والشتات فى الآفاق وفاضت الدموع من الآماق وخرجت تماضر زوجة الملك زهير من خدرها وقد انهتك بين النساء والرجال سترها وانحدرت دموعها على صدرها حتى بلت قلائد نحرها ودقت من خوف السبى بيديها على صدرها (قال الراوى) وفى تلك الساعة أشرف عليهم شيبوب وأخوه عنتر بن شداد والامير شداد بن قراد ونظروا الى ذلك البلاء العظيم الذى قد نزل على بنى عبس الاجواد فعند ذلك التفت شداد الى من معه من سادات بنى قراد وقال لهم والله لقد انقلعت آثارنا وخربت ديارنا وما جرى هذا الجرى الا والملك زهير غائب غير حاضر فيا للعرب الكرام أبناء الحرائر فدونكم يا بنى عمى والحملة على هذه الكتائب وابذلوا المجهود لعلنا أن نكشف عن قومنا هذه المصائب وكان عددهم أربعين فارسا من بنى قراد فحملوا وقد تركوا جميع العبيد عند النسوان الا عنترة فانه التفت اليه الامير شداد وقال له ابن زبيبة انى أريد أن أنظر اليوم الى فعالك مما سمعت وما نقله عنك الرجال ورأوه منك فى سابق الحال فقال له عنتر وقد تبسم اى والله يا مولاى ليس الخبر كالعيان فاليوم تشكرنى عند لقاء هؤلاء الفرسان فقاتلوا أنتم واطلبوا تلك الاعلام والرايات المشتبكات التى هى عن الحمى بعيدات فلا شك أنها لمقدم القوم وهو ينتظر الرجال حتى يسوقوا الى بين يديه الغنائم والاموال فقال شداد والله انك لصادق فيما تقول ولكن ما يصل الى هناك الا كل بطل مهول ثم انهم صاحوا بالعبس بالعدنان وهزوا القواضب وطلبوا الفرسان من كل جانب ومكان ونجبت العبيد والاماء لما علموا أن هؤلاء القادمين من سادات الحماة * هذا وبنو اقراد قد حملوا على الميسرة وطلب عنتر الميمنة وله هدير وزمجرة وهو كأنه النار المسعرة المحرقة ولما أن رأى سيوف الاعداء قواطع وسوق الحرب قائم حل وهو كأنه الليث المصادم اذا رأى فريسته وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول

اليوم أسعرها نارا بلا حطب * تفنى الجبابرة الطاغين فى الحقب
واليوم أسعرها حربا تذل له * اذا علوت رؤس القوم بالقضب
واترك الدم يجرى من على قمم * كجرى سيل بنهر الماء فى صبب
وكم شجاع رآنى جئت طالبه * ألقى السلاح وولى طالب الهرب
أنا الهزبر لنار الحرب أشعلها * أردى شجاع الوغا بالصارم القضب
واليوم يفرحنى يوم الكريهة أن * ثارا لهاج وصار النقع كاللهب
كم قسطلا خضته لم أخش غائلة * دعائم الحرب منها وهى فى الطلب
وراحتى فى لقا الابطال اذ جمعت * فرقتها كوقود صار فى اللهب
لا فعلا من فعالا لامثال لها * فعلا يسطر فى الاوراق والكتب
واصطلابها يقينا والبحار دم * لان فى موجها يزداد بى طربى
واجعل الجو كالليل البهيم اذا * علا الغبار على الاقطار كالحجب
وليس لى مؤنس فى كل معركة * الا الجواد وسيفى وهو ذو قضب

فمن يفاخرنى والموت يخدمنى ✲ وقد علوت على ذى الجاه والنسب
وهمتى قد علت فوق السماك ولى ✲ عزم يفوق على الاعجام والعرب

(قال الراوى) المؤلف لهذا الكلام بعد الصلاة على النبى عليه السلام ثم ان عنترا نقض على الميمنة وزعق فيها فقبلها وحمل عليها فأذهلها وطعن فى صدورها فقبلبلها فتنافرت من بين يديه الاعداء واندفعت فى ساحة البيداء وكذلك فعل شداد واخوته فى الميسره وقد انعقدت عليهم الغبره وكانوا فى جملتهم كأنهم النار المسعره فلما رأى بنو عبس الذين كانوا فى الحلة الى ما فعل بنو عمهم عند الحملة فى الاعداء ارتفع بعد الخوف صياحها وعادت تجر رماحها وأقبلت تهز سلاحها وعاشت بعد الموت أرواحها وصار القتال يعمل بين الفريقين فى البر والسبب واتسعت الابطال فى المجال وتصادموا على ظهور الجياد وتطاعنوا بالرماح المداد وتضاربوا بالسيوف الحداد وتقابضوا بالسواعد الشداد ونهبت منهم الارواح البشريات بخالب أسنة الرماح السمهريات وطارت ثمار أغصان الجماجم بضارب السيوف المشرفيات ✲ هذا وقد هتك عنتر ميمنة القوم بضربات ناطعات وطعنات نافذات وأبصر عنتر المتغطرس وكان واقفا على رأس رابية عاليه والاعلام على رأسه مرتفعات فعلم عنتر انه هو المشار اليه بهذه العلامات فجد فى طلبه وصارت الخيل من قدامه نافرات فرآه المتغطرس وقد جرت منه هذه الوقعات ورأى الفرسان بين يديه على اعقابها شاردات والميمنة تنساق قدامه سوق الابل المهرولات أو مثل الغنم السارحات وفى اعقابها صرخات مثل الرعود القاصفات فتحدر عند ذلك المتغطرس من على الرابية بمن معه من الشجعان وقد تبعه من كان واقفا عنده من الفرسان وقد أكثروا الصياح والزعاق ومدوا الى عنتر قطع الرماح الدقاق وانتهب الحرب بنيران المنايا وزاد سعيرها وتساوى فيه عبدها وأميرها ولم يسمع فيها كلام مشيرها ولا عاد يرحم صغيرها كبيرها فالتقاهم عنتر بمن معه من الفرسان بالصدور وصبر على عظائم الامور ✲ وأعجب ما فى هذا الديوان من هذا الحديث أن بساما عبد الربيع بن زياد الذى كان قد خرج يقتل عنتر بن شداد لما سار بالفرسان الى بنى غطفان وانهزم هو والاربعون عبدا لما قتل عنتر غالب بن وثاب وقتل أكثر الفرسان الذين كانوا معه ومضى الباقى وهم لا يصدقون بالنجاة فرأى الحى خاليا والرجال غيبا مع الملك زهير فأقاموا الى ان كان هذا اليوم المذكور وجرى من القتال ما جرى فقاتل بسام مع جملة العربان وانهزم مع المنهزمين كما وصفنا فى هذا الديوان (قال الراوى) ووصل عنتر وأبوه ومن معهما من الفرسان كما ذكرنا ودفعوا عنهم الاعداء ورأى بسام من عنتر شيأ كثيرا أنساه الحرب الاول فزاد حسده له وأضرمت النار فى كبده وصار فى فؤاده من كثرة الحسد نار الجحيم فأضمر فى نفسه انه يقتله ان وجد منه فرصة فى الحرب ويتركه على الارض عديم فحمل فى ذلك اليوم عند اختلاف الضرب والطعن وجعل يديم عينيه عليه ويرقبه لعل أن يجد منه فرصة وتبعه فى الحملة حين حمل لاجل لقاء المتغطرس فحمل وراءه فى الاثر ✲ هذا وقد حمل المتغطرس فى موكبه عليه ومال برجاله اليه وقصده بالرماح من كل جانب ومكان وكثر من حوله الضجيج والصياح فى هذا الشان ✲ هذا وهو يلتفى الاعداء ولا يتأخر ويحمل حملات الاسد الغضور ✲ هذا وأصحابه قد نظروا البلاء عليهم قد نزل فتأخروا وتنافروا لما رأوا الاذى اليهم قد وصل وما صبروا بل ان بساما عبد الربيع بن زياد لما ان رأى الغبار قد انعقد وما بقى أحد يعرف أحد أتى من وراء عنتر وحمل عليه وصمم بالطعنة اليه وصوب اليه السنان وعلم انه ينال بقتله المنزلة العليه والدرجة الرفيعة ويبقى له عند مولاه الربيع قدر وقيمه (قال الراوى) وما هو الا أن قارب من عنتر وأقام يده وأراد أن يطعنه واذا بنبلة قد وقعت فى ظهره فخرجت تلمع من صدره فزعق ومال عن الجواد وتمدد على الارض والمهاد

وقتله

وقتله حسده لانه قيل فى الامثال لاتعادمسعودا فتموت مكمودا لان الحسود لايسود ولله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله (قال) وكان الذى قتل بسام شيبوب أخو عنتر لان عنترا الماحل وعلى القتال عول أوصى أخاه شيبوبا بعبلة وأن يحفظها ويكون ملازما هودجها هى وأمها وبنات عمها و يقعد عندهن حتى يسكن روعهن من خوف الاعداء فلما رأى القوم قد خرجوا من بين الاطناب واتسع لهم المدى فى واسع الرحاب ونظر أخاه عنترا وقد طلب الاعلام والرجال قد تحدرت اليه مثل قطع الغمام ونظر الى الرماح من حوله مثل قضب الآجام خاف على أخيه من شرب كأس الحمام فغدا طالبه مثل البرق تحت الغمام حتى اقتحم الغبار ورأى ماقد عزم عليه بسام وهو هاجم على أخيه بغدره فضربه بنبلة فى ظهره فطلعت تلمع من صدره وأسقاه كأس الحمام و روى من القصة ماندجوى وماقدمناه فى كلامنا بلا امترا هذا كله وعنتر مشتغل بقتال الاعداء وهو لا يعلم بشئ من هذه الاعمال الا الطعن فى صدور الرجال وتنكيس الابطال فى حومة المجال حتى انه وصل الى المتغطرس بن فراس فعلم أنه المقدم عليهم من دون الناس وهو يحرض برجاله ويشير بالرمح الى أبطاله وهم لا يلتفتون اليه ولا يعتنون بما عول عليه وقد تفرقوا قدام عنتر مثل القطا لنافر وبقى الاول منهم لا يلحق الآخر فلما رأى ذلك صعب عليه وثبت للطعان ولم ير النفسه الهزيمة والهرب مع تلك الفرسان ومد عينه فرأى الفرسان قدام عنتر تتقهقر فتقدم وصدم عنترا بقلب مثل الصخر المرمر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وكان المتغطرس من أفرس أهل زمانه فارس شديد وبطل صنديد فتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وخفتت منهم الارواح لما قاسوا من ألم الجراح فاشتد من عنتر الغضب فصاح به وهاجمه مهاجمة الاسد وطعنه بحنق وحرد فخرق ما عليه من الزرد ومزق احشاءه والكبد وتركه كالجزع الممدد ونفرت أصحابه مثل ما تنفر الذئاب قدام الاسد وطلبوا الهرب قبل مغيب الشمس وعملت فى أقفيتهم رماح بنى عبس (قال المؤلف) ولما ان تم القتال وبطل الشغل جمعت العبيد الاسلاب المبدده والغنائم والخيل الشارده وقد عادت الفرسان من خلف المنهزمين وهم فرحون بالنصر والظفر والغلبة بعد الارتياب وهم يثنون على شداد واخوته ويمدحون عنترا ويصفون شجاعته وقوة همته وكيف قتل المتغطرس وأباده بطعنته ٭هذا وعنتر فرحان بهذا المقال وشداد أيضا قد داخله الفرح والسرور بهذه الاحوال وقد فرح بفعال عبده عنتر وعلم أنه بسببه يرتفع قدره بين الرجال ٭هذا وان عنترا قد أتى اليه وقبل يديه فاستقبله شداد وقبله بين عينيه وقد رآه مثل شقيقة الارجوان مما قد سال عليه من أدمية الفرسان وسيفه وسنانه من دم الفرسان يقطران وبنو قراد فرحهم قد زاد وازداد بهم العجب وشداد ما وسعه سرجه من شدة الفرح والطرب وقال لاخيه زخمة الجواد وحق ذمة العرب لقد زكت فى هذا العبد تربيتنا وما ضاع فيه التعب ولولا انه ولد حلال ما فعل هذه الفعال وقد ملكنا به رقاب ملوك العرب أصحاب الحسب والنسب فقال له أخوه زخمة الجواد يا أخى كيف لا يكون ولد حلال منتسب وقد حكم لك به قاضى العرب وقال انه ولدك من ظهرك فلا تحد نسبته اليك وما وجب فاسمع منى وألحقه بالنسب وهب انه تعار نابه سائر العرب لانه بطل وأى بطل ويستحق أنه يستاهل أوفى الحسب فلما أن سمع شداد من أخيه ذلك الكلام تبسم تبسم الغضب والخصام وعادوا طالبين المضارب والخيام وعنتر من ورائهم وهم له أمام وقد سمع جميع ما قالاه من الكلام فأخفاه وكتمه فى فؤاده كأنه لم يسمعه ولم يبده لا فى خطاب ولا نظام بل انه تقدم الى قدام فتذكر حبه لعبلة بنت عمه فزاد به الهيام وشق عليه ذلك وهام وأشار بقول الشعر والنظام ويترنم من قلب مستهام فمن جملة ما قال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

٨٩ ب

أنا الفارس المقدام والبطل الذى * تذل له الفرسان يوم المهالك
اذا خضت فى الاهوال يوم اشتعالها * ترانى كليث قد سطا فى الدكادك
اذا ثار نقع كنت موقد ناره * وأفنى الأعادى بالسيوف القواتك
وأصلى لظى الحرب العوان بهمة * يقصر عن ادراكها كل سالك
ومن يبتغى حربى فانى غضنفر * أجندل أعدائى ببيض فواتك
وكم بطل ألقى السلاح لهيبتى * وآخر قد أردیته فى المعارك
وجندلت للمتغطرس الفارس الذى * يقدم فى الهيجاء عند المشابك
وخلصت قومى من أكف عداتهم * ولست لفعل المكرمات بتارك
اذا ما طعنت القرم خر لوقته * يكشر عن أنيابه غير ضاحك
اذا ما دعانى صائح فى كتيبة * أجيب ندا الفرسان عند التماحك
ولى سطوة فى الحرب عظما شهيرة * فسل عن فعالى كل ليث مشابك
فهذا نخارى فى الانام جميعهم * وفى موقف الهيجاء غير مشارك

(قال الاصمعى) فلما أن سمعوا منه ذلك الكلام والشعر والنظام فمنهم أحد الا وله قد شكر واستبشر وفرح به أعمامه وأبوه بما بان منه وما ظهر ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الخيام وشيوب بعد وبين أيديهم كأنه ذكر النعام وقد أظهر الفرح والمسرات وهو يسوق ما حصل له من الخيل والاسلاب وما وصل اليه من الخيرات حتى وصلوا الى الحى ودخلوا فيه واستقروا فى الابيات وأخذوا الراحة مما قاسوه من تعب الحرب والقتال وقد خلا بهم المكان فقال عنتر لامه زبيبة يا أماه انى قد سمعت اليوم كلاما من عمى زخمة الجواد مع مولاى شداد وهو كلام قد أورثنى بلاء وسقام وما عرفت معناه فأخبرينى من هو أبى ومن يتصل اليه حسبى ونسبى بين الانام هل أنت رزقتنى من غير أب أنتسب اليه فأوقفينى على هذا الامر وبينى علىه فقالت له ياولدى ها أنا أقول لك على الحقيقة وأبين لك الامر كله وأوضح لك الطريقه وذلك انه كان فى حال صغرى وأنا صبية قد أخذت مسبيه والذين أغاروا علينا جماعة من الفرسان العبسيه وكان من جملتهم مولاك شداد والباقى عشرة من رجال بنى عبس الاجواد فلما ملكنى مولاك شداد صار أمرى له مباح فغشينى من دونهم وهو يزعم أن ذلك سفاح ثم انها قصت له جميع القصة من أولها الى آخرها وأطلعته على باطنها وظاهرها ثم قالت له وانى لما غشينى شداد وبلغ منى المقصود والمراد حملت بك فى ذلك الوقت والحين ومازلنا سائرين حتى وصلنا الى العلم السعدى وبه وضعتك ياولدى ثم انها أعلمته كيف انه تقاتل عليه العشرة رجال وكيف ادعى كل واحد منهم انك ابنه من صلبه وتنسب اليه فحضوا الى قاضى العرب فحكم لمولاك شداد انك تكون له ولد لان تلك الفوارس شهدوا له أنه غشينى دون كل أحد وما فيهم من كتم ذلك ولا جحد وأنا على الحقيقة ياولدى لا أعرف لك أبا غير شداد وهذا الذى قد حصل يا ابن الاجواد (قال الراوى) فلما سمع عنتر من أمه ذلك الكلام وأكده زال ما عنده من الاوهام وقال لها عنتر يا أماه اذا كان قاضى العرب حكم بأنى ولده وكل أحد من البريه شهد بحق بما شهده فلم لا ينادينى بالولد ويفعل معى كما يفعل كل أحد فقالت له زبيبة والله ياولدى انه يعز على هذا الامر وكيف لى به طاقة وقلبى من ذلك يتلظى على لهيب الجمر ولكن أنا أعلم انه ما يمنعه من ذلك الا انه يخاف من مذمة العرب من زيد وعمرو ويدعى انك ولد سفاح وقد أتيته من غير عقد نكاح ويخشى أن يدخل معه فى الحسب والنسب فيعايروه بذلك ولا تطيعه فرسان العرب والاحرار والسادات من ذوى الرتب فقال عنتر أنا لا أحوجه الى ذلك وكل من

عابره

عايره أسقيته بسيفي هذا كؤس المهالك وقد شهد لي بهذا الامر في هذا اليوم عمي زخمة الجواد وكل أحد من الاجناد وقد سمعته وهو يقول لابي شداد ان عنترا ولدك فلم لا تدعوه كما تدعو الآباء أولادها ولكن مولاي شداد ما أراد قبولها ورأيته قد حصل له من ذلك اكمد وأنا لا بد لي أن أكلمه على ذلك وأحسن له الوداد فان لم يلحقني بالنسب والحسب والا جفيته ورحلت عنه ومثل ما يتبرأ مني أتبرأ أنا الآخر منه واذا رأيته أنكرني وجحدني وأردت كل عشيرته تطلب دواني بذلت في الجميع سيفي وسناني ورحلت عنهم الى قوم يعرفون قدري ويعظمون شاني وأول ما أقتل أبي ان لم يعترف بنسبي ويصل حسبه بحسبي وألحق به عمي مالك وأسقيه هو وولده كاسات المهالك وأنجل منيته ان لم يزوجني عبلة ابنته وأقتله أشر قتلة وأما عمي زخمة الجواد فما ينالك مني الا المحبة والوداد لانه قد تبين لي منه أنه رجل كريم ويعرف الجميل ويكره الذميم فقالت له أمه بالله عليك يا ولدي لا تفعل شيأ من هذه الافعال لانه قد أحبك النساء منهم والرجال لما رأوا منك من حسن الخصال فلا تتعرض لاحد منهم بسوء وتهدم ما بنيت فتكون قد ظلمت وتعديت فقال لها عنتر يا أماه ان أم عبلة قد وعدتني أن تزوجني بها وقد عاهدتني على ذلك لما اني حميتها وخلصتها فقالت له أمه زبيبة يا ولدي لا تطمع نفسك بالمحال ودع عنك هذا المقال ولا تؤمل هذه الآمال فيطول عليك المطال فان هذا لا يكون على الابد ولا فضله بين العرب أحد وكيف يكون عبد مالا حسب ولا نسب ويطمع نفسه في زواج بنات العرب والسادات من ذوي الرتب فقال لها عنتر سوف أريك يا لخناء من فعالي وكيف ألحق روحي بالنسب وأذل بسيفي رقاب ملوك العجم والعرب ان كان لي عمر مديد وأجل بعيد ثم ان عنترا بات تلك الليلة متفكرا الى الصباح وهو موسوس فيما يفعل لنفسه من الصلاح واذا بالملك زهير قد أقبل مع فرسانه أجمعين وهو لا يصدق أن يرى أهل الحي سالمين لانه سمع أن المتغطرس بن فراس قد خالفه في الطريق وسار الى أهله ودياره فخاف عليهم أن يعدموا السعادة والتوفيق وخشي عليهم من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فبادر اجعا بعدما كان قارب ديار بني قحطان وقد جد في سيره حتى أشرف على الاوطان فرأى الناس في فرح وأمان فلما أن رآه أهل الحي في ذلك الجيش العظيم تلقاه منهم كل رجل كريم وركبت الى لقائه الرجال وتبادرت الى تهنئته الفرسان والابطال وأقبلت الاكابر والاصاغر والعبيد والاماء والحرائر وفي أيديهم الدفوف والمزاهر والنقوه ملتقى السادات الاجواد وبشروه بالنصر على الاعداء والحساد وقد أعادوا عليه ما فعله عنتر عبد شداد وكيف تلقى الفرسان بحملته وقتل المتغطرس بطعنته فقال الملك زهير والله لقد ذخرنا بهذا العبد على كل القبائل من كل النوازل ولا بد أن يكون عنتر حامية لهذه القبيلة من كل بطل منازل ثم ان الملك زهير نزل في أبياته فتلقته زوجته عفيرا وهي تثني على عنتر وتشكر فضله وكيف انه حماهم من ذلك الامر المنكر وتقول له والله يا ابن العم انه قد صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم فزادت منزلته عند الملك زهير لما أن تبين له في وجهه اعلام الخير فقال وحق ذمة العرب لو أننا حكمناه في الاموال والاولاد والارواح لكان قليلا على ملاقاته لهؤلاء الفرسان ومحازاته على هذه الفعال الملاح ثم انه أمر بذبح النوق والاغنام وترويح الطعام وترويق صافي المدام ودامت الناس على ما هم عليه من الافراح وقضوا يومهم بشرب الراح وأقبلت الفرسان الى ولية الملك زهير ومن جملتهم الربيع بن زياد وجميع اخوته وجلس كل انسان في مرتبته وأقبل الامير شداد في بني قراد ومن يليهم من الفرسان الشداد (قال الراوي) لهذا الايراد ونحن نصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد سيد العباد هذا وقد دخل عنتر معهم الى الملك زهير ودعا له بدوام العز والنعم والى الملك زهير تقدم فقال له الملك زهير وحق ذمة العرب لا كان نديمي اليوم الا أنت يا عنتر ولا أشرب الا وأنت معي وانني الى منادمتك أشتهي وأريد أن

أتأملك وأنظر اليك فعندها تقدم عنتر اليه وقبل من وقته وساعته يديه فتزحزح له الملك زهير وأجلسه بجانبه وباسطه فى الحديث ولاعبه حتى كأنه من بعض أقاربه ففرحت لعنتر المحبون بذلك ومن جملتهم مالك بن الملك زهير الاشاسا والربيع بن زياد فانه ماسرهم ذلك وقد زادهما الهم والغم وذابت منهما الاكباد هذا وقد جعل الملك زهير ينادمه ويلاعبه ويضاحكه ويمازجه وينشرح معه وكلما هم عنتر أن يقوم الى الخدمة منعه الملك زهير من ذلك وهو يقربه اليه ويدنيه ويكافئه من دون أقاربه وأهليه (قال المؤلف) لهذا الكلام بعد الصلاة على بدر التمام ولم يزالوا على ماهم عليه من شرب المدام حتى لعبت الخمرة برؤسهم وقد تغيرت عليهم الامور فقام الرجال وتفرقوا وساروا الى أماكنهم ومضاجعهم فى المنام وكان من جملتهم الامير شداد فخدم الملك زهيرا وأراد الانصراف فخلع عليه وعلى اخوته وخلع على عنتر خلعة أحسن من خلعة أبيه وعمومته وعممه بعمامة من الحرير المدثر مطرزة بالذهب الاحمر وقلده بقلادة من خالص الجوهر محبوكة بالحرير الاصفر بتقاطيع الذهب الاحمر وقدمت له العبيد جوادا ابرج مذهب ووهبه الملك زهير سيفا مشطب يساوى بدرة من الذهب صقيل الملس وسماه بحامية عبس ثم خرج بنو قراد من بين يدى الملك زهير فى غاية الفرح وقد حفتهم السعادة والخير وزال عنهم الترح (قال الراوى) ولما أن قربوا من الابيات ترجل عنتر وسار فى خدمة أبيه الامير شداد وعضده حتى أنزله عن ظهر الجواد كما تفعل العبيد مع السادات الجياد فلما أن أراد شداد أن يدخل الى الابيات والمضارب تقدم عنتر الى بين يديه وصار له مقارب وهو سكران طافح من السكر وقبل يديه وأثنى عليه وقال له يامولاى لما لاتبلغنى منك ما أريد وتعترف بحقى كما عرفه القريب والبعيد فقال له الامير شداد وما الذى تشتهى وتريد فقل لى على حاجتك حتى أقضيها لك وأبلغ روحك أمانيها وأحضر لك جميع أموالى وأحكمك فيها ومهما اشتهيت فافعل فيها وقد ظن شداد لما سمع من عنتر ذلك أنه يطلب منه نوقا وجمالا يقتنيها أو أبياتا ومضارب يأويها أو أمة خطرت بباله يبغيها فقال له عنتر يامولاى اعلم انى أريد منك أن تلحقنى بالنسب وتقول انى ولدك حتى يصير لى حسب ونسب وألحق بأولاد سادات العرب وأنا أكافئك بشئ لا يقدر عليه انسان وأترك سادات العرب يخدمونك فى كل مكان خوفا من شدة بأسى ومن سيفى والسنان وأسوق اليك أموال سادات من العربان وأساويك بملوك الزمان ويصير لك قدر وشان (قال نجد بن هشام) فما أتم عنتر كلامه حتى قامت عينا شداد فى أم راسه وانزعجت سائر حواسه وقال والله يا ابن الملعونه لقد حدثتك نفسك بشئ يكون لك فيه الهلاك ومنتك أمانيك بسوء الارتباك وقد لعبت خلعة الملك زهير بعطفيك ودخل كلامه فى أذنيك وصرت تطلب أن تضعنى وترفع قدرك وتنركى حديثا لكل من تحدث أو سمع والله مابقى لك عندى جواب بعد هذا الخطاب الا الضرب بالحسام القرضاب ثم ان شدادا جرد حسامه بعدما انتهى من كلامه ثم تقدم اليه وقد تهاربت العبيد من حواليه وسمعته زوجته سمية وهو يهدس بهذه المسائب فخرجت من الخباء وهى مكشوفة الراس منزعجة الحواس مهدولة الذوائب فوقفت فى صدر زوجها شداد ومسكت السيف بيدها وردته عنه بقوة ساعدها وزندها وقالت له والله لا أمكنك أن تقتله لانى ما أنسى على طول الزمان فعله ولا يضيع مثلك صنيعه وعمله وان كان قد طلب منك أمرا لا يصلح فيكون السكر قد زينه له (قال الاصمعى) ومازالت سمية على بعلها حتى سكنت غضبه وأخذت السيف من يده ثم أدخلته الى الخباء وأضجعته هذا وعنتر قد استعظم زلته واستكبر فعلته واستحى أن يصبح فى أبيات بنى قراد وأن تقع عينه فى عين أبيه شداد فما كان له الا أنه قصد الى بيت الامير مالك بن الملك زهير ووصل اليه وقال لبعض العبيد أن يأخذ له الاذن فى الدخول عليه وكان مالك قد عاد من وليمة أبيه وهو فرحان بما قد نال عنتر من المنزلة الرفيعة وعلو الشان

لانه

لانه كان من المتعصبين معه ومن محبيه ولكثرة فعاله الجميلة رغب فيه وكان هم أن ينام فدخل عليه عبد من عبيده واستأذنه فى دخول عنتر عليه فانذهل مالك لذلك وتحير وقال لعبده دعه يدخل فدخل عنتر وهو على حالة الذل والخجل جارى الدموع يتنهد من فؤاد موجوع فقال له مالك أهلا وسهلا ومرحبا ثم انه أجلسه الى جانبه وقربه اليه كأنه من أهله وأقاربه وسأله عن حاله فأعاد عليه ماجرى له مع أبيه وحدته بالسبب وكيف أنه طلب منه أن يلحقه بالنسب وأن يدخله فى الحسب وكيف أنه أراد قتله من شدة الغضب فقال له مالك والله ياعنتر لقد تعديت على أبيك بهذا السبب ولقد جنيت على نفسك من دون العرب وماحملك على هذا السبب الا أمر عجيب ولكن أطلعنى على حالك ولا تكتم عنى شيأ ولا تخفيه حتى انى أتدبر بعقلى ومعرفتى معانيه وأبلغ معك بتدبيرى غاية الجهد والا انقطع عليك باب لا ينسد (قال المؤلف) لهذا الكلام العجيب والحديث الغريب فلما سمع عنتر كلام مالك زاد به البلبال وماوجد له بدا من اعلامه بحالة الحال وقال والله يامولاى ماحملنى على هذا السبب الا الهوى الذى هدم منى الحيل والقوى وألهب قلبى بنيران الجوى ولعبت بعقلى كاسات الهوى والا ما كان جرى على ماقد جرى وماقد تم فى هذه الليلة على من الافترا بل كنت كتمت هواى ودائى حتى يدنو موتى ووناة أعدائى والذى أعلمك به يامولاى انى أحب عبلة ابنة مالك بن قراد وهى التى منعت من عينى لذيذ الرقاد ورمتنى بالسهر والسهاد وماطلبت من أبى أن يلحقنى بالنسب الا من أجلها حتى يكون لقربى لها سبب وألقى نفسى من أجلها فى بحار العطب واملأ عين أبيها بالفضة والذهب وأجلب له المال والمكسب وأقول لنفسى لعلى ان أنال منها أرب أو أهلك فى بعض أحياء العرب واستريح من تعلل القلب والتعب ثم زاد به الوجد فبكى وتحسر حسرات متتابعات زائدات تدل على نيران ثائرات وان واشتكى شكوات تتلظى بزفرات وصاحبه مالك قد فاضت دموعه على خدوده لما أن سمع منه تلك الشكوات ثم ان عنترا رجع الى طبع العرب لما أن زاد به الهم والكرب وجعل يتسلى بالشعر والنظام وحسن الكلام فأنشد يقول بعد الصلاة والسلام على النبى الرسول

ساخفى غرامى فى فؤادى وأكتم * وأسهر ليلى والحواسد تنوم * وأطمع فى دهرى بما لا أناله
وأمسك منه ذيل من ليس يرحم * وأرجو التدانى منك يا ابنة مالك * ودون التدانى نار حربى تضرم
فنى بطيف من خيالك واعلمى * اذا غبت عنى ان قلبى متيم * ألا فاسألى نوح الحمائم فى الدجى
فمن بعض أشواقى ونوحى يعلم * ولا تجزعى ان لج قومى فى دمى * فمالى بهذا الهجر لحم ولا دم
ولكن عظام باليات وأعظم * على رسمها جيش الصدود مخيم * وان عشت من بعد الصدود فانا
كمن يدعى ياعبل فى الحب مغرم * وان نام جفنى كان نومى علالة * أقول لعل الطيف يأتى يسلم
بليت من الشوق المضر وانى * صبور على مر الجوى وغشمشم

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب فلما فرغ عنتر من أبياته وشكا ما يجده من ألم فراقه ونيران زفراته انهملت دموعه على خدوده ووجناته فقال له مالك والله ياعنتر لو كنت أطلعتنى على هذا الامر قبل أن يشيع بين الناس ويشتهر لكنت خاطرت بروحى وما أملكه من مال ونوال وكنت دبرته بعقلى وسديد رأيى لانى بمعرفة هذه الامور وأمثالها أخبر والآن فقد أفسدت هذا الامر وصار قلبك على لظى الجمر يتعمر وأنا أعلم أن عبلة بعد هذا اليوم تحجب عنك ولا عدت تراها الا أن يكون اتفاقا من غير أن تعلم أباها لانه ان علم أنك تطلب من أبيك النسب وأن يلحقك بما لحقت به سادات العرب يعلم أنه من أجل هذا السبب ولا يمكنك من الدخول الى بيوته ولا أن تدنو من مضاربه ويمنع عنك عبلة لمروءته وربما دبر عليك حيلة بأمر يهلكك فيه ويقتلك ويخفى أمرك ويطمس خبرك ويبذل المجهود فى هلاكك فلا

تأمن بعد ذلك منه على نفسك والا يسكنك فى رمسك والصواب انك تقيم عندى هاهنا حتى أتحدث مع ابى
فى امرك وندبر لهذا الامر تدبيرا وابصر كيف يكون التدبير وكيف يزول عنك العناء والا انزل بك بنو قراد
التدمير لان هذا امر عسير فقال عنتر يا مولاى والله انى ما اقدر ان اقيم فى الحى حتى تخمد هذه النار
وينسى هذا الحديث والاخبار واكون اول النهار خارجا الى الصحراء ولا اعود الا وقت المساء حتى ارى ماذا
يصير ولا يبقى لى عين انظر بها احدا من الناس ولا من البشر لاسيما عمى مالك وولده عمرو وانت تعلم أن
أشد الناس لى عداوة الربيع بن زياد واخوك شاس ثم قام هو ومالك بقية الظلام بشرب المدام ونشيد
الاشعار الى أن بان ضوء النهار وركب عنتر جوادا من خيل مالك بن المملك زهير وتقلد بعدة جلاده وخرج
من بين المضارب وسار حتى ابعد عن الابيات وسار فى الروابى والاكام وهو لا يدرى الى اين يأخذ من
الجهات ولا الى أين هو ذاهب وقد ضاقت عليه الطرقات وغلقت فى وجهه المذاهب ولم يدر الى اين هو
ذاهب وسار بهيم يمينا وشمالا بين الروابى والتلال الى ان تضاحى النهار واتسعت فى وجهه البرارى والقفار
وتذكر فعل أبيه شداد وكيف أشمت به الاعداء والحساد وصار يترنم بهذه الابيات صلوات على سيد السادات

أعاتب دهرا لا يلين لعاتب ✲ واطلب أمنا من صروف النوائب ✲ وتوعدنى الايام وعدا مزخرفا ٩٠٩٤
واعلم حقا أنه وعد كاذب ✲ خدمت اناسا واتخذت اقاربا ✲ وعونا لدهرى عند حكم التجارب
ينادوننى فى السلم يا ابن زبيبة ✲ وعند لقا الابطال يا ابن الاطايب ✲ ولولا الهوى ماذل مثلى لمثلكم
ولا روعت اسد الشرى بالثعالب ✲ ستذكرنى قومى اذا الخيل اقبلت ✲ تجول بها الابطال من كل جانب
اذا ما نسونى فالقواضب والقنا ✲ تذكرهم فعلى ووقع المضارب ✲ فيالیت ان الدهر يدنى احبتى
كما انه مدن لكل المصائب ✲ ويأتى خيال منك يا عبل زائرا ✲ يرى فيض جفنى بالدموع السواكب
سأرحل حتى تستريح عواذلى ✲ واعلم اعدائى بتلك الجوانب ✲ مكانك فى افق السماء محله
وكفى قصير عن منال الكواكب ✲ وان قدر الله العظيم بلطفه ✲ فلا غرو من انى انال مطالبى
واكمد كل الحاسدين واحتوى ✲ على بغيتى قهرا بحد القواضب

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الاشعار وهو لا يدرى الى اين يسير ويذهب ثم انه سار من غير مقصد
وقد طاب البر والفدفد فهذا ما كان من عنتر (واما ما كان) من الحى فانه اصبح يموج بحديث عنتر وحديث
ابيه شداد وقد شمت به الاعادى والحساد وقالوا يا فضيحتنا بين العربان اذا علموا ان اولاد الزنا دخلوا فى
انسابنا وشاركونا فى الحسب والنسب وسمع مالك أبو عبلة بهذا الحديث والكلام فصار الضياء فى عينيه
كالظلام وزاد به الغضب وكذلك ولده عمرو وقد حل بهم البحر وقالوا والشداد انا نريد أن نرتاح من هذا العناد
وحق ذمة العرب الاجواد ما بقى لنا بد ولا غنى عن قتل هذا العبد ولد الزنا فقال شداد أما قتله على رؤس
الاشهاد فليس بصواب فقال له مالك والله ما أقتله الا على رؤس الاشهاد وان احتمى له الملك زهير وولده مالك
وجموه ومنعونا من قتله قتلت أنا ابنى عبلة وأوقعت بها المهالك فقال شداد يا أخى الصواب ما قلت لك عليه
نحن نهلكه بحيث لا يعلم به أحدا ما فى الصيد والقنص واما ان ننفذه فى مصيبة ما يجد له منها مخلص فهذا
ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من شاس ابن الملك زهير فانه لما أن سمع بهذا الحديث والخبر الذى شاع
وفشا واشتهر عن عنتر وبلغه أنه فى بيت أخيه مالك تقلد بسيفه وطلبه وقد أخذه الغضب والحرد وسار
وتسدعول على قتل عنتر الفارس الفاتك وأن يسقيه كاس المهالك وقال لا أبالى ان غضب أبى أو رضى
ولا بد لى من ضرب رقبته وأبلغ من ذلك غرضى ثم انه سار حتى وصل الى بيت أخيه مالك فلم يجد عنترا هناك
فسأله عنه فانكر منه وجده وقال له يا أخى ما الذى تريد منه فقال له أريد أن أقتله وعلى وجه الارض
أجند له واى شخص أجاره فعلت به هكذا وعجلت دماره ✲ قال فتبسم مالك من كلامه ومقاله وقال له يا أخى

لا

لا تفعل هذه الفعال فأى جناية جناها حتى يستوجب عليها القتل وهذا العمل أتريد أن تجازيه على أن صان حريم بنى عبس وعدنان وقتل الفرسان أو على فعله الذى فعله فى أودية الرياحين والسيسبان أو من أجل قتل الفرسان على نهر الارجوان وانما طلب لنفسه المنزلة العالية والافتخار كما يفعل كل أحد وقد تحدث مع أبيه وهو سكران وما على السكران جناح ولا عتب عند الناس وقد اعترف وأقر لما صحا من سكره بذنوبه القباح ومن يعترف بذنبه فما عليه جناح ومن عظم حيائه قد طلب الصحراء والبرارى والقفار وربما التجأ الى بعض أحياء العرب ولا أظن انك تراه بعد هذا فقال شاس الى حيث ألقت رحلها أم قشعم فقال له مالك فان كان مرادك قتله فاطلبه فى الاوعار فانه كفء لاهل هذه الديار فقال شاس وحق ذمة العرب والبيت العتيق المطهر وما جذب ان رجع الى هذه القبيلة ووقع فى يدى مرة أخرى لاقتلنه وأقطع رأسه ارباربا ثم قال يا مالك أنت وأبوك أطعمتماه حتى نطق لسانه بما سمعتماه وانه ما طلب الحاقه بالنسب الا ليحط قدرنا بين سادات العرب ونبقى معيرة عند جميع القبائل بقولهم بنو عبس ألحقوا عبدهم بالانساب والحسب وأيضا ليتزوج بنت مالك عبلة ويبلغ منها الارب وتصير فضيحة بين سادات العرب ولابد وأن تقول العرب لمالك بن قراد بالامس كان عنتر راعيا جمالها وجمالك واليوم صار ابن أخيك وزوج بنتك وهذا من أعجب العجب بالامس كان راعيها واليوم يركب صدرها ويلثم ثغرها ويحويها ويتحكم فيها ويتركها ثيلا عند العرب قاصيها ودانيها (قال الراوى وهو نجد ابن هشام) ثم ان شاسا خرج وخرج أخوه مالك معه وهو يسكن غضبه ويبرد أخلاقه ويرده عن طلبه فألح شاس على مالك فى السؤال فقال له والله لا أعلم له حال الا أنه من أول الليل طلع وسار وهو على وجهه فى البرارى والقفار والسهول والاوعار وما أطلعنى على حاله ولا سمعت به الا منكم فى هذا النهار فانصرف شاس وأيقن أن أخاه صدق فى انه ما عنده من هذا الامر أخبار وأما مالك فانه كان يظن أن عنترا عند المساء يرجع اليه ويبيت عنده ويخبره بما جرى فما عاد اليه فى الليلة الآتية ولا الماضية فانتظره ثلاث ليال فضاق صدره عليه وتحير فى أمره واغتم لاجله لان مالكا كان يحبه محبة عظيمة لما رأى منه من الحمية والغيرة على الحريم وهو ممن له قدر عظيم فمن شدة ما جرى عليه من فراق عنترا عظم أباه بذلك وبما جرى من ذلك الامر المقدر فنال قلب الملك زهير منال عظيم وتألم وعتب على ولده مالك وقال له ويحك يا مالك لما لا أعلمتنا وهو عندك حاضر حتى انى كنت أتوسط فى نوبته مع أبيه وعمه وأطيب منهما الخاطر وأدير نوبته وكنت أخذته الى بيت من أبياتى وأنظران كان مراده الزواج كنت أزوجه بجارية من خاص جوارى أو من المولدات فقال مالك يا أبتاه انى خفت من وقوع الفتنة فى الحى وجلب المحنة بين العرب لانى رأيت اخى شاس طلبه ليقتله من دون الناس وأيضا طلب ذلك أبو عبلة واخوها عمرو وحاسدوه أكثر من محبيه لانهم يحسدونه على الفعل الذى يفعله وعلمت انك ان نصرته تثور الفتنة والشر ويعظم الامر وما خرج من عندى الا على البر فقلت انه يعود عند المساء فالى الآن ما عاد ولا سمعت له خبر فقال الملك زهير وحق ذمة العرب لقد فرطت فيه غاية التفريط ولابد ان أرسل خلفه من يقتفى أثره وأعيده الى داره (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد وأخباره فانه عند خروجه من الحى سار حتى أبعد عن الديار وطلب البرارى والقفار وصار يلتفت يمينا ويسارا فرأى بين يديه غبار خيل سائرة سيرا حثيثا وهى نحو الاربعين فارسا بدروع تلمع ورماح شرع وخيلهم تنهب الارض نهبا فحرك عنترا الجواد نحوهم لينظر من أين هؤلاء الفرسان وسار حتى انه لحقهم فلما أن رآهم عرفهم واذا هم من بنى عبس رهط عدنان وهم فى سروجهم كالاغصان على خيول كالغزلان ومقدم هذه السرية أمير من سادات بنى عبس الاطايب يقال له عياض بن ناشب وكان معودا بخوض الشدائد والنوائب ولقاء الاهوال والمصايب معروفا بالشجاعة فى يوم الطراد وهو سائر مع هؤلاء الاجواد طالبا

المكسب والغارة ممن لقيه من العباد أو على بعض احياء الاعارب كما جرت عادة الفرسان في ذلك الزمان من الغارة على من في الفلاة أو في المضارب * ولقد ذكرنا ان العرب كانت في ذلك الزمان صنفين من العراق الى بر الحجاز يسمون بني عدنان ومن البحر الى بر اليمن يسمون بني قحطان ثم يرجعون في النسب الى جد واحد وان بني عدنان من نسل ربيعة ومضر و بني قحطان من نسل اياد وانمار وكل يرجعون في النسب الى نزار بن معد بن عدنان (وعدنا الى سياقة الحديث الاول) بعد ألف صلاة وألف سلام على النبي المكمل فلما التقت عباض بن ناشب العبسي ورأى غبرة عنتر بن شداد أعن الجواد ووقف معه الاربعون فارسا فلما قاربهم عنتر تبينوه وعرفوه فقال لهم عباض ياقوم هذا عبد شداد قد لحق بكم فلما وصل اليهم وعرفهم حياهم بالسلام فردوا عليه السلام وتلقوه بالتحية والاكرام وسألوه عن سبب انفراده في هذه القفار فقال لهم أيها السادات الكرام اني خرجت قاصد الصيد والقنص فرأيتكم وانتم في هذه القفار فظننت انكم من الاعداء اللئام فرأيتكم من خاص المحبين الكرام فملت اليكم فقال عباض بن ناشب مرحبا بك وأهلا اعلم اننا سائرون نريد المعاش بالمكسب فقال لهم عنتر وانا اسير معكم أساعدكم واكسب مما تكسبون فقال له عباض بن ناشب سر معنا ونحن نبلغك ماتريد ونفضلك عن سوالئ من العبيد فقال عنتر وما معنى هذا الكلام ايها السيد الهمام فقال ان العبد اذا غزا مع السادات الاحرار يعطونه ربع سهم على سبيل الهدية وانت اذا غزوت معنا اعطيناك نصف سهم لاجل مافيك من الشجاعة والهمة فقال بعض الفرسان والله ان عنتر الا يقاس بغيره من العبيد وانه يستحق سهما تاما ولو كان له حسب ونسب كان يستحق ثلاثة سهام لما فيه من القوة والثبات عند الحرب وخبرته بمواقع الطعن والضرب فلما سمع منهم عنتر ذلك الكلام ازداد غيظا من حديثهم أكثر مما كان فيه وهو يكتم غيظه عنهم وقال لهم ياقوم اسمعوا مني وأنصفوني ولا تتعدوا علي ولا تظلموني فان عادة الكرام الانصاف ومن عادة اللئام الابى والاسراف فأنا أروح معكم واكبس المال وحدي واذا نفرت وراءكم الخيل التقيتها بقوة ساعدي وزندي وأعطوني قسما كاملا من غير ظلم ولا تعدي وأنتم قوم كرام فقال عباض لقد أنصفت في مقالك وانك تستاهل اكثر من ذلك لاجل حسن فعالك وانما نحن نخاف من معيرة العرب من بعدنا ومن اقتراب اذا نحن قسمنا الابن الامه مثل ابن الحرة المكرمه فقال عنتر اعطوني نصف سهم كما قلتم حتى لا تكونوا حارجين عن سنة العرب كما وصفتم ولا اترك احدا يعايركم من أجلي بكل سبب فقالوا رضينا بهذا المقال فسيروا على اسم الله تعالى * قال فسار القوم على ذلك يقطعون القفار ويخوضون الاخطار وعنتر يقول في باله لابد أن آخذ غنائمهم وان تكلموا لاقطعن حاجهم وما زالوا حتى خرجوا من أرض بني عدنان ودخلوا الى أرض بني قحطان وأشرفوا على بعض حلل العربان فرأوا فيها نعما لا تحصى وأموالا بعدد الرمل والحصا والحي يموج بساكنيه مستريح بفناطنيه بقباب مضروبه وخيام منصوبه وخيول مجنوبه ورماح مركوزه وسيوف محدوده والخيل تلعب على مقاودها كأنها الغزلان وهي مختلفة الالوان من أصفر كالذهب واحمر كاللهب وابيض واشهب واسود كالغيهب وأهل الحلة آمنون من طوارق الحدثان مطمئنون غافلون عن القضاء السابق فقال عباض يابني الاعمام ماهذه الحلة الا كثيرة الاموال غزيرة الانعام والنوق والجمال قليلة الرجال والابطال فدونكم والاموال انهبوها قبل أن يعول النهار على الارتحال وتدهمنا الرجال من جميع الاقطار ثم ان عباضا غار عق في أوائل الخيل وحمل وتبعته الفرسان مثل الغيث اذا هطل ودخلوا بين الاطناب وساقوا الجمال وأخذوا الكواعب الاتراب وقد ركب رجال الحي لرد الحريم والعيال والاموال فردتها فرسان بني عبس على الاعقاب ومددوا أكثرهم على التراب وسطا عليهم عنتر بسطواته وأبادهم في البر بحملاته وتواتر طعناته (قال الراوي) وكان في الحلة فارس من الفرسان المشهوره وبطل من الشجعان

المذكورة

المذكوره يقال له الحارث بن عباد البشكرى وكان غضب من قومه بنى بشكر ونزل عند هؤلاء القوم غضبان ومضى له مدة من الزمان فلما جرت هذه المحنة وأن فرسان بنى عبس قد طرقتهم وجب عليه نصرتهم ومساعدتهم لاجل مقامه عندهم وأكله الزاد معهم وسكناه فى بيوتهم كما جرت عادات الفرسان والشجعان فوثب فى عاجل الحال وركب على ظهر مهر أدهم كأنه الليث القشعم وكان هذا المهر يشبه لون الظلام أو كأنه قطعة من الغمام وكانت أم هذا المهر يقال لها نعامه وكانت تضرب بها الامثال فى ارض تهامه ويفتخر بها أهل اليمامه وهى التى قال فيها الشاعر فى يوم حرب بنى وائل حيث قال

قرب سريعا النعامة منى * انى فى الحروب كالزبال

لا تقربن لسبتى فالنعامة لى * واسأل من بنى وائل جميع فعالى

(قال الراوى) وكان أبو هذا المهر يقال له واصل وكانت تحسر عليه العربان وملوك القبائل فلما أن صار الحارث على ظهر المهر صاح بين أذنيه وقصد به الناره فطار من بين البيوت كأنه من العقاريت الطياره ونظرت اليه الفرسان فلم يروا الا غباره وقد وثب به وثبات منذاركات حتى صار على أعلى الربوات العاليات المرتفعات وأمن صاحبه من الآفات والنكبات فلما أن رأى عنتر الى ذلك الجواد تنهد وتحسر وتحجب كل التحجب وأضرمت فى قلبه النار وزادت باللهب وصار عنتر مثل الغريق وتلهب قلبه على نيران الحريق وقد علم انه بالسداد اذا طلبه ما يبلغ منه المراد ولا يصل اليه بجرى ولا طراد * هذا وبنو عبس قد قلعت الحله بما فيها وأحاطت عليها من سائر نواحيها وقد ملكت الاموال والخيول وعنتر عن هذه الامور مشغول ومن شدة ما جرى عليه ضاقت به الحيل وبقى يمنى نفسه بعسى ولعل فلما أن رآه الحارث بن عباد البشكرى وقد طلبه صبر عليه حتى قاربه فأبصر الموت من طعانه ومضاربه فعاد وزجر المهر بكعبيه وصاح بين اذنيه واطلق له العنان فهرب مثل البرق فى خلال اللمعان * هذا والجواد ينهب الارض بأربعة حوافره ويريد ان يدرك مواقع نواظره واذا رأى خياله تحدثه نفسه انه يسبقه ويظن ان جواده قارب ان يلحقه وفى دون درجة غاب عن عينى عنتر وقد زاده القلق ونسى عشقه لعبلة بذلك الحصان الذى ما ملك مثله انسان لما اعتراه من العشق الذى قد دهاه وعاد عنتر يتمنى ان ينظر ذلك الفارس او يراه ولو امكنه كان بنفسه اشتراه * هذا وبنو عبس قد ساقوا الغنائم من تلك الديار ثم ساروا العبيد أن يسوقوها حتى صارت فى القفار رقاوا لعنتر يا ابن زبيبة تسلم هذه الاموال وسربها فى هذه التلال ونحن نقف فى هذه الجبال حتى انثار دعنك الذى يتبعها من الرجال لان هذه الارض كثيرة الطارق ولا نأمن فيها من الخوف والبوائق (قال الراوى) فعندها تقدم عنتر وفعل ما به امروه وقد علم ان القوم قد استحقروه فأسرها فى نفسه وصاح فى العبيد فساقوا الغنيمة بين يديه وما فيهم من خالفه ولا رد عليه وكانت تلك الغنيمة لها قدر وقيمه وكان قد وقع لعنتر فى قلوب العبيد هيبة عظيمه لما رأوا من حملاته وهجماته وما شاهدوا من ضربه وطعناته وما زالوا يسوقون المال والنساء ينددن على الرجال بالويل والثبور وعظائم الامور وهن يكثرن من التفجع والاعوال ويبكين على المنازل والاطلال ويقطعن الشعور على من لهن من الرجال حتى غاب بنو عبس عن عينى عنتر وصار بينه وبينهم مقدار فرسخ أو اكثر * هذا وعنتر سائر يتلهب بنيران الحريق والابعاد كيف انه يخرج من تلك الارض وما حظى بهذا الجواد الا أن بنى عبس ما غابت بأفهم الا وذلك الفارس قد أقبل بالجواد وهو بهيم وفى فؤاده على أهل ذلك الحى نيران الجحيم فلما أن رآه عنتر ناداه وافرحاه وقد ترحاه يا قفى بحق الرب العظيم رب موسى وابراهيم ورب زمزم والحطيم قف على يا هذا الفارس قليلا فى مكانك واسمع كلامى ولك ذمام منى يدوم فى كل واد وقليم ومن سائر أحمائى وحق الملك العزيز العليم فبالله عليك ان ترد على جوابى * قال فوقف الحارث وقال يا اسود والله انك فارس كرار وبطل مغوار فها أنا قد وقفت لك فتكلم بما تختار فقال عنتر

اريد منك أن تبيع لى هذا المهر الذى أنت راكبه والا فأهده لى ان كنت صاحبه واعلم يافتى ان الجميل عندى غالى وان بعته لى تحظ بمديحى لك ومالى وتصير لى صديقا وموالى (قال الراوى) فلما ان سمع الحارث من عنتر هذا الكلام تبسم وقال وأو جز فى المقال فوالله ان خول الرجال البيض مالهم ذمام وعاجزون عن فعل الجميل فكيف تكون حالة السودان وانا استغفر الله العظيم الواحد المنان من هذه الفضول وانا اقول وحق الملك الجليل المتعال لو كنت سألتنى فيه من قبل ان تفعلوا بنا هذه الفعال لكنت اهديته لك ولا أخذت منك نوقا ولا جمال وكنت اعطيتك معه قطعة من النوق الغوال ولكن يافتى هذا جواد نجم راكبه بالسعادة مقرون لانه يطير بلا جناح وفى لمح البصر يغيب عن العيون وان كنت ما سمعت به فهذا الابجر ابن النعامه الذى ما اقتنى مثله فارس فى ارض تهامه وهو الذى عليه الملوك تفتخر مثل كسرى وقيصر وملوك بنى الاصفر وكبراء بنى بشكر وامه يقال لها النعامة بنت واصل التى ضربت بها الامثال فى سائر القبائل التى فاقت على خيول بنى وائل وأبو هذا المهر يقال له المرجوع وبه تضرب الامثال فى سائر قبائل بنى يربوع ولم يكن لهم مثل هذا الجواد الذى لم يبعد عليه ميعاد ويبلغ راكبه منه المراد ولكن اسمع يافتى هذا المقال ثم انه اشار بقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

ان كنت تطلب هذا المهر تركبه * دع الغنيمة اولا عنه فانصرف * لانه نعم مركوب اذا انتبكت
زرق الرماح ونار النقع كالسجف * هناك يقتحم الهيجا بهمته * ويترك القرم يوم الروع لم يقف
أغر أدهم كالليل البهيم له * وجه وغرته كالبدر فى الشرف * فراكب الابجر الخطار فى دعة
وفى امان من الآفات فاعترف * خذه يا عنتر تنظر عواقبه * اذا الجبان تولى وهو فى اسف

(قال الراوى) ياسادة يا كرام صلوا على البدر التمام فلما انتهى الحارث بن عباد من كلامه وسمع عنتر شعره وحسن نظامه قال له عنتر انتم تعديتم علينا بالشر وسفك الدماء وصرتم لنا اعداء وهجمتم علينا فى الحما وهل رأيت أحدا يسلم حصانه وسلاحه بين الملا ويصير وحيدا فى البيدا بين العدا بلا شئ يركبه فى الفلا ولا سيما هذا المهر الذى يقتدى بالارواح وهو المنسب كما ينتسب العرب أصحاب الانساب الصحاح ولكن يافتى ان كان قد وقع خاطرك فيه ومال قلبك اليه فأنا ما أمنعك منه وأبيعك اياه وادعك تركب عليه وترى محياه ولكن بشرط أن ترد هذه الغنيمة الى أصحابها وتدعها تعود الى أربابها ويعز على والله انى أنزل من على ظهره وأبيعه بهذه الغنيمة ولكن الضرورة تحوج الى مثل هذه النازلة الذميمة التى هى غير مستقيمة لانك لو وزنت فى حافره مثل هذا الفلا ذهبا لكان رخيصا بهذه القيمة ولا تظن أنى قد تركت قتالكم خوفا من المنية بل خوفا على مورى هذا أن تصيبه رزية ويقع بسببه هذه القضية فما أنا والله جبان ولا بليد ولكنى ذو بأس شديد وما عارضتكم وسرت بهذا المهر اليكم الا وانا أعلم أن فرسان الحى لابد لها منكم وان تلحقكم بأذيالكم ويخلصون الحريم والمال من أيديكم وأنا قصدى أتسبب فى خلاص الحريم والعيال والمال فان كنت توافقنى فى المروءة وحسن الشيم فأرى العبيد أن يردوا المال والجمال والنساء والعيال وآخذ أنا الجميع وارجع بهم الى الارطان وخذ أنت المهر الذى هو أعجوبة الزمان فانه لم يسمح بمثله الدهر على انك تعطينا من قومك الامان ولا تظن انك فى تلك البيعة خسران وأنا وحق مكون الاكوان وملون الالوان ومن دبر بحكمته وقدرته الملك والزمان لولا انى نزيل عند هؤلاء القوم وقد اكلت زادهم وطعامهم وانا لهم حام ومصالح لما كنت لهذا الحصان فى مثل هذه الغنيمة مسامح والليل قد امسى وصارت الليلة غلسا وسيأتى تمام هذا الكلام فى اول الجزء الثانى وفى ليلة غد اتسمعون يا اخوانى ما جرى فى بقية هذا الكلام واصلى واسلم على رسول الله بدر التمام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

الجزء الثانى من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة المجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليه
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٦ هجريه)

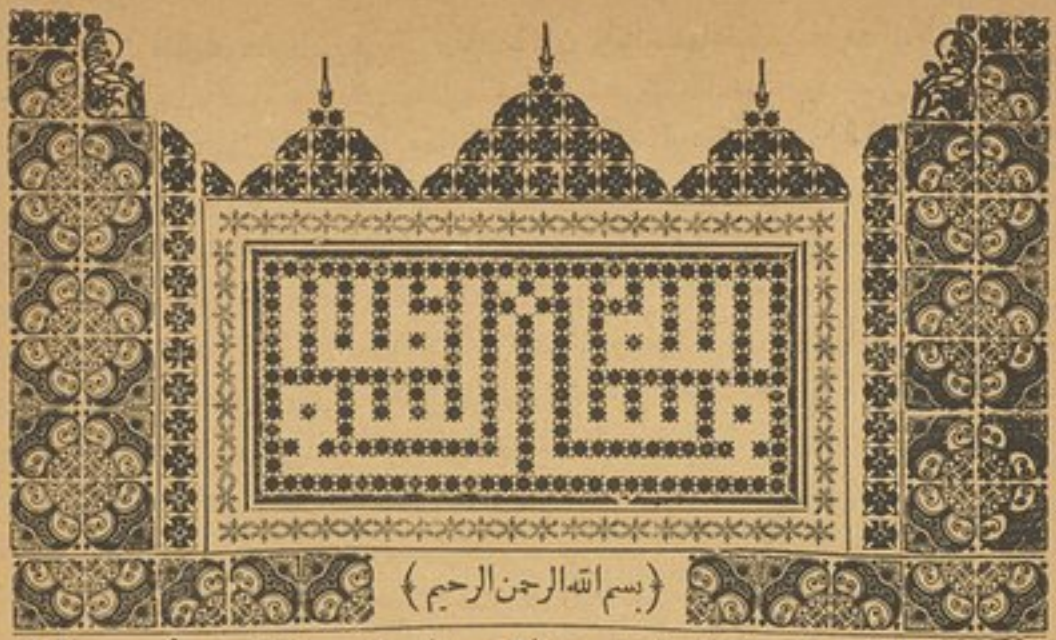

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿قال الراوى﴾ فلما أن سمع عنتر من الحارث هذا الكلام بقى كأنه فى منام وعلم ان الحارث من الرجال سادات الكرم فأراد أن يساويه فى المروءة وحسن الشيم فقال له يا فتى انى قد اشتريت منك هذا المهر بهذه الغنيمة ولك على بعد ذلك المنة الجسيمة وهذه يدى لك بالزمام وان عارضك أحد من قومى جندلته بهذا الحسام ولا ادع أحدا منهم يبلغ المرام ثم انهما تعاهدا على ذلك وأعطاه يده وحلف له بالله العلى العظيم الوهاب وهو لا يصدق بذلك الخطاب فلما استوثق منه بالعهود وحلف له بالايمان نزل عن المهر وسلمه اليه باليد بلا توان وأعطاه عنتر جواده وأمر بعد ذلك الغلمان أن يسوقوا الاموال والمهارة والنسوان والعيال والعبيد والاخدان وأمرهم بالعود الى الديار والاوطان فساقها العبيد وعادوا وقد أقبلت عليهم الافراح وعاد فسادهم الى صلاح وقد أخذهم الحارث وسار بهم فى عرض البر والقفار وصار عنتر يرعاهم حتى غابوا عن الابصار وعاد عنتر وقد نال بالا بجر غاية المراد وحصل له ما كان عليه يتحسر وحظى بالمنى والظفر ﴿قال الراوى﴾ وما غابت القوم بالغنيمة حتى طلعت فرسان بنى عبس فرأوه سائرا فى البر وحده والغنيمة ليست عنده فقالوا له ويلك يا ابن زبيبة أين رحت بالغنيمة فقال يا بنى عمى بعتها بهذا الفرس وحزت بها المنة العظيمة ونلت المنى والهنا وتركت لكم فى القوم الشكر والثنا وأنتم تعلمون أن الذين سبقوا يقولون فى الامثال جلب الثنا خير من الغنى وانى رأيت صاحب هذا المهر جيد الشيم بادى الجود والكرم كثير الغيرة على الحريم والخدم وسمعت منه كلاما يدل على المروءة فأردت أن أساويه فى أخلاق الفتوة وأن لا يكون لنا فى هذه الارض فعلة قبيحة نعاير بها على طول المدى ونصير سمعة ومعيرة بين العربان واذا كنا سبينا الحريم والغلمان فى غيبة الرجال والفرسان فوالله يا جياد ان سبى الحريم والغلمان لفضيحة ولكن البر أمامنا واسع والرب لنا حافظ وناصر وهو المعطى المانع ولا نعود ان شاء الله بلا فائدة ومنافع ولا نرجع الا ومعنا ما نريد من أموال ونوق وجمال وعبيد بقدرة الصانع ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمع عياض بن ناشب كلامه وهو الذى كان على انسربة مقدامه صار يهمهم ويدمدم وهو كالاسد الواثب وقد دارت به المصائب وحلت به وبأصحابه النوائب وقال له ويلك يا ولد الزنا نحن أعطيناك مثل ما يأخذ الواحد منا فأخذت أنت الكل يا عبد السوء وما سألت عنا وبعت واشتريت وتصرفت فى أموالنا

وقد

وقد تعديت فقال لهم عنتر يابنى عمى الآن كان ما كان وأنا أخلفها عليكم من غير هذا المكان ان كنتم توافقونى فى اعطاء الذمام وان طلبتم قتلى مانعت عن نفسى بهذا الحسام ولا أعيش مفسوخ الذمام قال فزاد بعباص بن ناشب الغضب من هذا الكلام وقال لاصحابه دونكم وهذا الولد نسل الحرام احملوا عليه وقطعوه واسقوه كأس الحمام وردوا الغنيمة والا أصبحتم معيرة بين الانام وصرتم مثلا بين القبائل خاصها والعام (قال الراوى) ياسادة وهما الاصمعى وأبو عبيدة فعندها ماجت فرسان بنى عبس وتأهبوا للقتال واعتدوا معه للحرب والنزال فعند ذلك خرج عنهم عنتر بجواده الابجر ونزل عنه وشد حزامه وافتقد عدة جلاده وسيفه الابتر ثم انه عادالى ظهره أسرع من البرق وقد أظلم فى عينيه الغرب والشرق وصال وجال وأوسع فى المجال ورأى نفسه قليل الناصر فى تلك الحال فعاتب دهره بهذه الابيات وأنشد وقال بعد الصلاة والسلام على من أجار الغزال صلى الله عليه وسلم

أعاتب دهرا لا يلين لناصح * وأخفى الجوى فى القلب والدمع فاضحى
وقومى مع الايام عون على دمى * وقد طلبونى بالقنا والصفائح
وقد أبعدونى عن حبيب أحبه * وأصبحت فى بر من الارض نازح
وقد هان عندى بذل نفس عزيزة * ولو فارقتنى ما بكتها جوارحى
فيارب لا تجعل حياتى ذميمة * ولا موتتى يارب بين النوائح
ولكن قتيلا تدرج الطير حوله * وتشرب غربان الفلا من جوارحى
رعى الله انسانا أضاف بعشر * فاصبح فيهم آمرا بالمصالح
ولما رأونا قد طرقنا بادرهم * على كل جوال من الخيل سابح
وعدنا بأموال وبيض كواعب * حسان بأكفال ثقال رواجح
فداهن بالمهر الذى ليس مثله * وباع الفتى بيع الكريم المسامح
ومن رام منكم يابنى عبس قتلى * فانى له وسط المجال بفاضح
أجول عليكم فوق أجرد عابس * واحمل فيكم مثل موج اللواقح

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع بنو عبس مقاله توقفوا عن نزاله وتأخروا عن قتاله وصار بعضهم يحرض البعض ويتأخر وقت الحرب ويتكل على الآخر ثم انهم قالوا للمقدم عباص أنت تشير علينا بالقتال يا ابن العم وتتأخر عنه وقت النزال وأنت المقدم علينا والمشار اليه فينا فقال لهم عباص والله يابنى عمى انى ما تأخرت عن قتال هذا العبد الا لسبب والعاقل لا يكون بينه وبين هذا العبد معاملة ولا نسب فقالوا له أطلعنا على معنى هذا الكلام ولا تدعنا مخاطرين لضرب الحسام ولا ترمنا معه فى المهالك فقال لهم عباص والله يابنى عمى انى رأيته لما نزل يشد حزام فرسه وأراد أن يركب فرأيت خصيتيه مدلاتين الى قرب ركبته فعلمت اننا ما خطرنا له على بال ولو اننا خطرنا على باله لارتفعت خصيتاه وتغيرت جميع أحواله فقال رجل آخر من الرجال وأنا الآخر رأيت ما هو أعجب من ذلك الحال فقال عباص وما الذى رأيت يا أخا العرب من القصص فقال حين رأيته وهبه الملك زهير الفرس وقد أخذه ليلجمه فتعاصى عليه ولم يقبل اللجام فمسك عنتر قوائم الفرس بيديه ورفعه الى أن بان سواد بطنه وجلد به الارض فرض عظامه رض وأدخل طوله فى العرض فالعاقل لا يتعرض له بقتال فيتركه ملقى على الرمال * فلما سمعت الرجال ذلك المقال ضاقت نفوسها وعلمت أنها مخاطرة برؤسها فقالوا للمقدم عباص بن ناشب تقدم أنت اليه وامنن بالغنيمة عليه ولا تظهر له اننا خفنا منه حتى لا يزيد منه فينا الطمع ويحل بنا منه سوء المصرع وربما

يقول لا أرجع عنكم حتى آخذ سلاحكم وخيلكم وأنهب أرواحكم فقال المقدم عباض لقد صدقتم وقد كنا في غنى عن مرافقة هذا العبد ولد الزنا وقد أعطى القوة واللباس وعظم الجثة وقوة الراس ثم تقدم عباض بن ناشب اليه وقال له ويحك يا ابن العم ما هذه الفعال القباح أما تستحي أن تقاتل بني عمك وتشهر في وجوههم السلاح وتطلب منهم الجدوهم قد طلبوا منك المزاح وما قدر هذه الغنيمة التي ملكناها وما هي الا بقوة ساعدك وثبات جنانك نلناها وقد أخذتها أنت وبعتها واشتريت بها هذا الجواد الذي تقاتل عليه أعداءنا والاضداد فنحن يا ابن العم جاهلون لقدرك ولسنا قائمين بشكرك لانك سقيتنا الصقيل ورمحنا الطويل وباعنا الذي نطيل به ونستطيل (يا كرام ياساده) ولم يزل عباض يمسح أطراف عنتر ويتلطف به حتى لان وقال يا ابن العم أنا لا أنسى جميلكم أبد امدى الازمان ولا أريد لكم أذى ولا خذلان ولكن الانسان اذا بلي بمن يريد قتله وجب عليه أن يدافع ويحفظ نفسه خوفا واحترازا ممن يسكنه رمسه وقد اعتذرت اليكم أول مرة فما قبلتم عذري بل احتقرتموني وجهلتم أمري حتى بلغ الامر الى هذا الحد وما أنا الا عبدكم بسيفكم أضرب وبأسكم أغلب ولولاكم ما كنت بين الناس مذكورا ولا عند أحد مشكورا * قال وما كان كلام عنتر ذلا لديه وانما أراد أن يعرف ما في قلوبهم عليه لما عجزوا أن يقاتلوه وبهذا الكلام خاطبوه فعلم أنهم قد خافوا منه وعادوا وهم معترفون بالعجز عنه وعاد عباض وهو يقول لقومه يا بني الاعمام ما قلت لكم الا الذي تعهدوه وقد طلب منكم الفرس فلم أوهبوه فقالوا كلهم وهبناه الغنيمة كلها وبيننا وبينه نسبة لا نضنه بها ثم انطفأت النار بحسب الظاهر وبقيت متوقدة في الضمائر وعادوا خاسرين بعد التعب والكدر وعاد عنتر وهو فرحان بمهره الابجر الذي ما حوى مثله كسرى ولا قيصر ولا ملوك بني الاصفر فهو الابجر ابن نعامه الذي تحسرت عليه وعلى أمه أهل اليمامه وتمنته عرب تهامه وهو في الحرب شامه الريح أسير يديه وقرين رجليه والنجم معلق بلجامه والحرير ملمس بدنه وعظامه ظهره حصن لراكبه ونار لطالبه ويدهل الخيل تحت سنابكه جميل الآثار بعيد المزار قليل العثار ان حبسته ثار وان أطلقته طار أعلاه جبل وأسفله جندل وظهره محجل كأنه القمر اذا ابتدر أو هلال قد أهل للبشر وكأنه الاسد اذا وثب لا يأخذه ملل ولا ضجر ولا يخشى عند طراده من حذر وفي عنقه قلادة من الجوهر نورها يخطف البصر قد ورث الهمة في السير والسباق من آبائه وأجداده العتاق الكر والفر صار له عادة ما ملك مثله أحد من بني عامر ومرة وكلاب ولا من بني شيبان ولا السكاسك ولا زهران ولا بني فزارة ولا ذبيان ولا عبس ولا عدنان ولا عبادة ولا بجيله ولا بني زبيد ولا بني بارقة وجديله ولا بني سيادة ولا خفاجة ولا هوازن ولا بني همدان ولا بني مراد ولا بني غطفان ولا بني سعد ولا بني لحيان ولا بني طيئ ولا نبهان ولا بني عاملة ولا بني النعمان ولا بني غبراء ولا غيلان ولا بني كنده ولا خوان ولا حوت مثله ملوك الزمان ولا سلاطين الاوان ولا ملوك العجم ولا في الري ولا في أصفهان ولا قم ولا قاشان ولا الكرج ولا كوشان ولا الترك ولا العربان ويفتخر به كل انسان وقد شاع ذكره في سائر البلدان أسبق من برق اليمن ما قفى مثله ملك من الملوك المغايرة للاديان كأنه نجم انقض على شيطان أو عفريت من جن سليمان عظيم الغرة والشان وكأنه من عزة نفسه سلطان محجل اليد والرجل يرى في العيان ملك الرجاحة والنجاحة والملاحة دون سائر العتاق الحسان همته همة يقظان وخفته خفة غزلان وصهيله جرس وقوائمه كأنها حرس وعيناه ياقوتتان ويداه جناحان وعند ما يلقى كأنه القبة المبنية أو العروس المجلية كما قال فيه الشاعر من الاقوال السنيه

وأغر أدهم ذي حجول أربع * وبياضها يعلو على مسوده

خلع الصباح عليه بارق حلة * منه وقلده الظلام بجلده * فكأنه لما تسربل بالدجا *
وطوى له فابيض ناصل عقده * قلق المزاج فان تتابع جريه * ظن المطارد أنه فى مهده
ترمى حوافره الشرار وان همو * قد عارضوه حوى الفخار بسعده
وصلاة ربى والسلام على النبى * خير الخلائق من سما فى مجده

(قال الروى) وكان هذا الجواد نزهة للناظرين ومنية للطالبين كما قال فيه الشاعر المكين ونحن وأنتم نصلى على ضمين العاجزين

وأدهم يحكى ظلام الدجا * محجل كالصبح رابى الكفل * اذا جرى ضاق على الفلا *
واجتمع السهل له والجبل * وقد خلف البرق فى اثره * يسائله ريح الصبا أين حل
كأنه الطير الذى أينما * أراد بأرض نزولا نزل *
وصل ياخالق كل الورى * على الرسول المصطفى المكتمل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ومن حذر عنتر على نفسه أبعد عن بنى عبس وسار وحده وسار القوم والحسد يعمل فى قلوبهم اللهب مثل ماتعمل النار فى الحطب وبعضهم يقول لبعض مافعلنا فى سكوتنا عن هذا العبد قليل الادب خيرا يأخذ غنيمتنا منا ونحن من فرسان المنا ياوالنوائب وحق من فى علم غيبه قد احتجب ان هذا الذى فعلناه اذا سمعته عنا سادات العرب عيرونا به وقالوا ما أعطت بنو عبس أموالها وغنائمها لهذا العبد الشيطان ولد الزنا المهان بلا سبب الا من تحت الذل والهوان والا فمن يكون هذا العبد ابن الامة الكشحان حتى اننا نوليه الجميل والاحسان ونعود من سفرتنا بالذل والخيبه ويرجع هو بالعز والهيبه (ياساده) هذا وعنتر سائر فى أعراضهم وتدفاتهم وعلم أنهم فى أمره يتلاومون وأنهم لابد به يغدرون فعلم من وجوههم ذلك فاحترز على نفسه منهم وقد عول على ان كل من تعرض له منهم جرحه وعلى وجه الارض طرحه ولم يزالوا سائرين الى أن جاء وقت المسا وهم فى قال وقيل ولعل وعسى حتى وصلوا الى واد قد فاحت أزهاره وفاضت أنهاره وتناغت أطياره وطابت لزائره أنواره وفيه من سائر الازهار المختلفة الالوان من شيح و ياسمين وبعثران ومنثوره على سائر الحافات فنزلوا فيه لاجل الراحة والمبيت وبات عنتر حارسا لهم وكان اكثر حرسه على نفسه من خوفه ان يغدروا به ولم يزل وهو على ذلك الحال حتى أشرق الصباح وعولوا على المسير والرواح واذا قد لاح لهم جمل عالى وعليه هودج مجلل بالديباج المدثر موشح بوشائج الحرير الاصفر والاحمر على ناقة عالية السنام مليحة القوام طويلة الزمام يطير الزبد من أشداقها ونحن الى مرعاها من شدة اشتياقها وحولها جماعة من العبيد والاحرار وفى أيديهم الدفوف والمزاهر والمزمار وعليهم ألوان الحرير الفاخر وحولهم جماعة من العبيد كأنهم الاسود الكواسر وهم متقلدون بالسيوف البواتر ويتقلبون تحت درقهم ويلعبون بسيوفهم ومن ورائهم ستون فارس كأنهم الليوث العوابس كبار العمائم ملاح الشمائل طوال الشكائم وكانوا على خيول جياد متقلدين بسيوف حداد * قال فلما نظر رجال بنى عبس الى ذلك الامر المهول علموا أن فى الهودج عروسا سائرة من عند أهلها بين هؤلاء الخيل الى بعلها وان هذه الخيل حامية لها ولكن لا يعلمون من هم أهلها ولا من هو بعلها بل قالوا هذه غنيمة قد ساقها الناوب السماء لنغنمها ونستعوض ماضاع منا ثم أكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم ودار وا بها وأرادوا الحمله ثم ساقوا الكل بالجمله وحين نظر الفرسان الذين معهم هذا الشان تزاعق منهم الابطال وحملوا على بنى عبس من غير مطال فتلقاهم بنو عبس من غير امهال وانزلوا بهم الذل والوبال ولم يزالوا فى كر وفر حتى قتل منهم خمسون فارسا وعاد منهم عشرة منهزمين والى اهلهم

طالبين ووقع الفرح فى بنى عبس لاجل ذلك الظفر والنصر هذا ما كان من بنى عبس (واما ما كان) من عنتر فانه ما قاتل معهم خوفا على نفسه منهم ان يغدروه ثم انهم بركوا الناقة فرأوا فى الهودج عروسا مثل الصباح اذا ابلج بطرف اكحل وحاجب اقوس مزجج وخد احمر مضرج ومعصم قد غاص فيه الدملج فحارت منهم الافكار وذهلت الابصار وعلموا انها من بنات الملوك الكبار يعنى ملوك العرب لما رأوا عليها من الفضة والذهب وبين عينيها درة تلتهب وروائحها قد فاحت فى الاقطار والقيعان وهودجها كأنه مقصورة من مقاصير الجنان فسألوا بعض العبيد عنها والاماء فقالوا يا وجوه العرب هذه أميمة بنت حنظلة الملقب بشارب الدماء وبعلها الذى نحن سائرون اليه يقال له ناقد بن الجلاح فارس اليمن وغفير صنعا وأهلها وعدن وقد تجاسرتم على امر عظيم وركبتم طريقا غير مستقيم فقال عباس للعبيد تعظمون القصة يا اولاد الزنا لا كنتم ولا كانت اهل اليمن وصنعا ثم سار وا يقطعون الفلا والجارية فى هودجها تصيح بالبكاء وكان عنتر يسمع من العبيد صفات ابيها وبعلها فعرفهما وعرف أنهما من اشر القبائل وقائدين لنار المحافل ولابد أنهم يلحقونهم وعن مسيرهم يعوقونهم وكان قد سمع محاورتهم من اجله وكيف قد عولوا على قتله وابصر قلة اعتنائهم به فحقد عليهم وقال فى نفسه لابد ان اعرفهم قدرهم فى هذه البيداء ولا اجاور عبسيا ابدا ثم التفت اليهم وقال هناكم الله بالنصر فقالوا له وانت بأتيك ما يسرك ويدفع عنك ما يضرك يا ابن زبيبه فقال أنتم تعلمون أن هذه الغنيمة أوفى من الاولى قدرا وقيمة وقد اشتهيت أن تطرحوا عليها السهام وتقسموها حتى يفرح كل منا بقسمه ويحميه بروحه وجسمه فقال واحد منهم يا عنتر أخذت الاولى وحدك وتريد أن تأخذ من الثانية جزءك (قال الراوى) فقال له عنتر يا مولاى الغنيمة الاولى وهبتموني اياها وعادة السادات اذا وهبوا شيأ لا يرجعوا فيه فقال عباس صدق الرجل فيما قال وما نهب شيأ ونرجع فيه اطرحوا السهام على سائر الغنيمة وانظروا ما ينوب الرجل منكم وأعطوه نصيبه لانه على كل حال عبدكم وشرفه عائد اليكم فقال عنتر يا وجوه العرب لا تفعلوا واقصدوا الحق الذى هو بكم أليق لانه لا يتكلم بالصدق الاكل كريم ولا يحيد عنه الا كل لئيم فقالوا ما معنى هذا الكلام فقال سبق الشرط الذى بينى وبينكم أن كل غنيمة غنمتموها آخذ نصفها فقالوا يا ابن زبيبة لقد أطمعت نفسك بالمحال وما أنت الا مجنون بعد هذا المقال ولقد خرجت عن التوفيق والاعتدال تبا لساعة صادفناك فيها على الطريق فقال ولقد صدقتم ونعم ما فعلتم فالمجنون من يرافقكم ويكون له رفيق منكم لانكم قليلون الانصاف كثيرون الجور والاسراف وأنا لا آخذ من هذه الغنيمة الا نصفها والا قاتلت عنها من يطلبها فعند ذلك التفت عباس لاصحابه وقال لهم دونكم وولد الزنا هذا الاسود الذى طغى وتمرد واتركوه على الارض ممدد وقطعوه بكل صارم مهند وان لم نخاطر بنفوسنا والا أخذ هذا العبد غنيمتنا ونحن فرسان بنى عبس فعندها اقتحمت الرجال وتصايحت الابطال وأبعدوا عن عنتر وما بقى الا القتال واذا قد بان لهم غبار مثل الغمام فانتظروه حتى بان وطلع من تحته أسنة رماح ولمعان صفاح وفى أوائل القوم أبو الجارية وهو يدمدم وفى يده صارم مهند ومعتقل برمح أملد وعلى رأسه بيضة تتوقد وعلى جسده درع أقوى من الجلمد وهم ينادون الى أين تهربون يا أولاد الزنا وأنا الملقب بشارب الدما (قال الراوى) وكان السبب فى وصول هذه الخيل اليهم العشرة فوارس الذين سلموا من الوقعة الاولى فانقسموا اقسمين خمسة مضوا الى أبى الجارية وخمسة الى بعلها ناقد بن الجلاح وهم يدعون بالويل والثبور بلا مزاح وكانت حلة أبى الجارية أقرب من حلة بعلها ولما وصلوا اليه وأخبروه بذلك الحال ركب وقد زاد به الغضب فتبعه من قومه ثلاثمائة فارس مثل أسود البطاح وهم غائصون فى الحديد فلحقوا بنى عبس قبل التحام القتال مع عنتر

الاسد

الاسد المفضال وهو السبب الذى قد عاقهم حتى وصل اليهم شارب الدماء وأدركهم ولما رأى عنتر الخيل قد أقبلت والشجعان قد تبادرت علم انه يوم ثقيل وعلى أصحابه وبيل فقال عنتر يا بنى عمى قد جاءتكم الابطال واليوم يحل بكم الوبال حيث انكم منعتمونى من الغنيمة وطمعتم فى حقى وأردتم قتلى وقطع رزقى ولكن أنا أسامحكم لانى فى نعمتكم ربيت وهذه غنيمة قد ملكتموها بأسيافكم فدونكم ومن جاء اليكم فقد اعترفت بذنبى وأعطيتكم رئى فقاتلوا من جاء يأخذها منكم وها أنا منعزل عنكم فقالوا صدق الرجل ماله الا ما حصل بلا تعب به هذا وعنتر قد تركهم وقصد رابية عالية فعلاها ونزل عن جواده وقعد يستريح فى رباها ثم انه بعد ساعة نهض على الابجر متكئا على رمحه الاسمر وقد ثنى رجليه على ناصية الجواد وهو ينتظر ما يجرى لاصحابه مع بنى طيئ الاجواد فلم تكن غير ساعة حتى قاربتهم الخيل ودهمتهم مثل السيل فتلقوها بأسنة الرماح وقد علموا أنه ما بقى ينجيهم الهرب ولا عاد لهم الا الضرب والكفاح ثم اختلف بينهم الضرب واشتعلت نار الحرب وزاد البكاء والكرب وسالت الدماء مثل السيل وصار النهار كالليل وعظم الهرب والويل وكثر على بنى عبس العدد وقل عنهم المدد وسطا عليهم شارب الدما وصير وجودهم عدما وكحلت الاعين بمراود العمى وأخذ الانفس الكرب والضنا وتحسرت الاكباد على شربة من الماء وملك ابنته شارب الدماء هى ومن معها من المولدات والعبيد والاماء وطلبت بنو عبس الهزيمه وكانت نفوسها أوفى غنيمه ونظر عنتر الى أحوالهم وهو على تلك الرابية وسعادة رأيه نامية وعزم على رد الغنيمة فوضع رجله فى ركابه واقتلع رمحه من التراب وتحدر من أعلى الرابية مثل العقاب وقال أريد نصرة بنى عمى على ما سمعت منهم من الكلام والخطاب وسوف أريهم حتى يعرفوا أفعالى من أفعال أصحاب الحسب من سادات العرب ثم تبع آثارهم وصرخ فى أعقابهم بخاوبته البرارى والقيعان والاودية والكثبان وقد دفع الابجر قربه مثل السحاب وثار فى لجج الغبار وهو فوقه كأنه الاسد الهدار (قال الراوى) يا سادة يا أخيار وكان بعض الخيل تبع بنى عبس والباقى وقفوا مع الجارية المقدم ذكرها فطلبهم عنتر وصاح فيهم وجعل يجندل الفرسان ويفترس الشجعان ويبيد الاقران فحار عند ذلك فرسان بنى طيئ ودهشوا من أفعاله ومن عظم قتاله وتنافروا قدامه من شدة صياحه وأبعدهم عن الغنيمة بضرباته وكثر الصياح وعظم النواح فسمع الفرسان الذين تبعوا بنى عبس فالتفت مقدمهم فرأى ما حل من عنتر بأصحابه من ذلك فقال يا ويلكم دهينا ورب الكعبة وقد أتت وراءنا الاعداء ولا شك أن هذا كمين من خلفنا قد أتى ثم عاد عودة الحنق وعادت الخيل خلفه تندفق فتلقاه عنتر بطعن يسبق لمح البصر وضرب لا يبقى ولا يذر وقلب أقوى من الحجر وقد أعانه على ذلك مهره الابجر لانه كان اذا طلب لحق واذا طلب لم يلحق واذا كثرت عليه الرجال ودارت به الابطال خرج عنها وسبق وجعل يجول يمينا وشمالا ويجندل الابطال فى المجال حتى قلل عددها وسطا عليها وفرقها وعادت فرسان بنى عبس وقد انقطعت عنها الخيل والطلب ونظروا الى عنتر وقد أثار نار الحرب وأضرمها وقتل الفرسان وأجرى دمها وما بقى بين يديه ثابت الا شارب الدماء والباقون على وجه الارض قتلى فلما رآه رفقاؤه قالوا ان صاحب هذه الفروسية وحق ذمة العرب يحق له أن يطلب الغنيمة ولو كلها ذهب لان عين الشمس لا تتغطى ثم حنت منهم القلوب وصار عنتر عندهم أحب من يوسف الى يعقوب وحملوا ليعينوه على الاعداء بنيات صافيات وهجموا على أعدائهم وأنزلوا بهم الآفات فنظر شارب الدماء الى هذه المصائب ورأى عنترا بين يديه مثل الاسد الواثب فألوى عنان جواده وولى وهو هارب وتبعه أصحابه ورفقاه وهم لا يصدقون بالنجاه (قال الراوى) وعاد عنتر على جواده الابجر بعد ان كل الجواد ومل وصار الدم يقطر من جوانبه ترنم وأنشد يقول

هذه الابيات

أيا نفس صبرا عند مشتبك القنا * فان عزيز القوم من عز جانبه
ولا تطلبي مني الفرار فانني * أرى الموت حلوا اذ عندي مضاربه
وتبقى دماء القوم تجرى كأنها * فيوضات بحر سار فيه مراكبه
أيا عبل قد جاء العدا يطلبونني * يريدون قتلي والقضا من يغالبه
أيا عبل لو عاينت ما قد أحاط بي * من القوم كل صاحبته مضاربه
أيا عبل مالي اليوم في البر صاحب * سواك وهذا المهر يسعد راكبه
أيا عبل كم من سيد قد أسرته * وآخر منهم أوحشته حبائبه
وكم محفل فرقته وقت معركة * وكم ملك بالطعن فرت كتائبه
تكاد نجوم الليل تهوى لسطوتي * وكم فارس قد فر اذ أنا أطالبه
أنا فارس الفرسان يوم طعانها * يذل لي الضرغام حين أقاربه
وكم فارس ألقى السلاح لهيبتي * اذا جئته يوم الهياج أحاربه

(قال الراوى) فلما سمع فرسان بني عبس هذه الابيات تلقاه جميعهم بالتبجيل والتحيات وأكثروا له من الحمد والثناء وقالوا لله درك من فارس أسود وضارب بالمهند والله لو أخذت الارواح وملكت الاشباح لكان قليلا في مقابلة فعلك الجميل ثم اعتذروا اليه فقبل عذرهم وقال أنا ما انكر فعلكم وما أنا الا عبدكم وبكم أعرف في كل هول ثم انهم جمعوا الاسلاب والخيول والرماح وساروا طالبين الديار وهم في فرح واستبشار * قال ووصل الخبر الى بعل الجارية ناقد بن الجلاح (قال الراوى) وكان ناقد بن الجلاح فارسا شجاعا وليث البطاح وأسد الكفاح لا يخاف طعنات الرماح وكان شغله مقاومة الابطال وكان اذا الكر خلا من الجمال قتله واذا أمسك قوائم الفرس الجارى أوقفه واذا هز الرمح الاسمر قصفه وكان قبيح المنظر أفطس المخبر وكان له مع أبي الجارية وقعات وخلصه من الاسر مرات حتى زوجه بنته التي نحن في حديثها كما ذكرنا وقد أرسلها أبوها كما وصفنا مع ستين فارسا من بني طيئ وكان لاقاها عنتر هو والاربعون فارسا وجرى ما جرى وما وصل الخبر الى ناقد بن الجلاح بسبي زوجته وكان منتظرا قدومها وفي قلبه منها لهيب لا يطفأ فلما أن سمع هذا الخبر ثار مثل الاسد وصاح في بني معن الخيل يا أرباب الخيل فركبت القبيلة كلها وقالوا ما بالك أيها الشجاع والقرم المناع فحدثهم بما جرى من سبي زوجته وقال لهم اعتدوا للقتال فاعتدوا من ساعتهم وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وكانوا خمسة آلاف فارس ما بين مدرع ولابس واقتفوا آثار بني عبس وجدوا في المسير وناقد لا يقر له قرار يصل سير الليل بسير النهار بما قد ركبه من العار بأخذ زوجته في القفار وهو يسمى فارس الاقطار فسار ثلاثة أيام وهو معول أن يقصد ديار بني عبس وغطفان ومن خوفه ان يفوته غريمه في هذه الفلوات فرق الخمسة آلاف فارس خمس فرق على سائر الطرقات وملأ بها الفلوات وكان عنتر ومن معه قد تاربوا الديار وهم في أمان واذا قد ثار عليهم الغبار حتى سد الاقطار فوقفوا شاخصين والى الغبار ناظرين ساعة من النهار واذا بالمواكب أقبلت من كل جانب واهتزت القواضب وناقد في أوائلها كأنه أسد واثب وقد كشف رأسه وجمع حواسه وهو ينادي الى أين تنجون يا بني عبس بالحريم وخلفكم مثلي وهو لكم غريم ثم انه أغار على جواده واعتد بعدة جلاده وعول على طلبهم فنظرت فرسان بني عبس الى هذا البلاء فهالهم وتقطعت ظهورهم وقال بعضهم لبعض والله هذه فرسان بني قحطان قد أتت لنهب الارواح واليوم تباع النفوس بيع السماح ثم انهم التفتوا الى عنتر

فرأوه

فرأوه يتبسم فتعجبوا من قلة اكتراثه بالفرسان فقالوا له يا أبا الشجعان اليوم تؤخذ غنائمنا وتطير من فوق ابداننا جماجمنا فقال اعلموا أيها السادة الاماجيد ان الاعمار لا تنقص ولا تزيد ومن كان في أجله تأخير لا يعمل في جلده الحديد ويسلم من كيد الاحرار والعبيد وأنا لمثل هذا اليوم كنت أريد لاني خرجت من العشيرة ومالي نية في العود اليها لما بيني وبين أبي وقد اتفق لي معكم هذا الاتفاق في البراري والآفاق وكنت سائرا الى الحلة وأنا غير طيب الخاطر وما كان مرادي أن أجاورهم والآن قد حضرت هذه الفرسان وما بقي لي الا الضرب والطعان فمن شاء منكم أن يكون هاربا فأنا لا بد لي أن أكون لكاساتها شاربا ولهيجاتها محاربا ثم حمل في المواكب وهو ينشد ويقول بعد الصلاة على طه النبي الرسول

اليوم تنظر آل عبس موقفي * وفعائلي في الحرب يوم أجول * وأحوز كل المال مع أصنافه
بمثقف ماضي السنان ذبول * وأبيد شجعان الحروب بصارمي * فالكل مجروح به وقتيل
وأكر في فرسانهم بعزيمتي * وأجول فيهم في الوغا وأصول * انا فارس الفرسان والاسد الذي
ما قط لي بين الرجال مثيل * تخشاني الآساد في آجامها * وأنا الكمي الفارس البهلول

(قال) الاصمعي وأبو عبيدة فلما فرغ عنتر من هذه الابيات حمل حملة الاسود الضاريات واحتاجت بنو عبس ان تحمل معه وتبلغ الغايات فخاضوا في تلك الكتائب واختلفت رسل المنايا بين مغلوب وغالب واقدمت فرسان بني عبس مع الثبات وتحسرت على مافات وقتل منها عشرون فارسا من السادات ونفذت فيهم الرماح السمهريات والباقون أيقنوا بالحتوف وعاجل الممات وعنتر يفعل ما فعلت أصحاب العزيمات بطعنات نافذات وصدمات تهد الجبال الراسيات وضربات قاطعات أخف من هبوب الرياح العاصفات وقد اجتمعت حوله المواكب المختلفات كأنها البحار الزاخرات وقد كان فعل فارس بني عبس في هذه الوقعات كما قال منشي هذه الابيات

فرب يوم شديد النقع حين دجا * ليل الوغى وهجير الحر يشتعل
والخيل تختال زهوا في أعنتها * مثل العروس عليها الحلي والحلل
تبكي الجماجم والهندي يضحك والـ * ـأرواح تزهق والخطي يعتمل
غنى الحسام بشجو والدماء له * خمر وقامت نشاوى زانها العقل
كأنما هي والارواح زاهقة * تحت النصال وجوه زانها المقل
ان جردوا بيضهم فالداجيات ضحى * وان أثار واعجاجا ترقص الاسل

(قال الراوي) فلما نظر عنتر الى ناقد بن الجلاح وهو قاصد اليه يريد الحرب والكفاح علم انه ان قتله وقعت في اصحابه هيبته فعاد راجعا حتى اتسع عليه المجال وتبعه ناقد طمعا فيه واستطال وعلم عنتر الحال فعطف عليه عطفة الاسد الرئبال ثم انطبقا كأنهما جبلان في صورة رجلين وقد جرى بينهما ما حير الفريقين وتقابضا بالزندين واختلف بينهما طعنتان وكان عنتر أسبق الى موضع الطعان فصادف سنانه صدر ناقد ابن الجلاح فخرج من بين كتفيه مثل كوكب الصباح فمال الى الارض يختبط في دمه ويضطرب في عندمه ورأت فرسان بني طيئ ومعن ما حل بصاحبهما من المحن فصاحت على عنتر من سائر الجهات وقصدوه بأسنة الرماح السمهريات وهم يقولون لعنك الله يا عبد الزنا لقد قتلت فارسا ما يسمح بمثله الزمان ولا تضع مثله النسوان ثم طلبوه بالاسنة وأمالوا نحوه الاعنه وضيقوا عليه المواضع وهو يمانع عن نفسه ويدافع ويتعلق باذيال المطامع ويورد الرجال موارد المنايا وقد زاد عليه العدد وكثرت عليه الرجال حتى أثخن بالجراح وسالت دماؤه من وكز أسنة الرماح وأيس من السلامة وحلت به الندامة وتذكر الاطلال والربوع ففاضت عيناه بالدموع وثبت للرماح وهي تنهبه وقد طاب له الموت وصار يستعذبه وهاجت

فى رأسه الاشجعان وباح بما عنده من الكتمان فأنشد يقول هذه الاوزان الحسان بعد الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان

لا زلت مرتقيا الى العلياء * حتى بلغت مطالع الجوزاء * وهناك لا ألوى على من لامنى
خوف الممات وفرقة الاحياء * ولاعصين حواسدى وعواذلى * ولاصبرن على مديد عنائى
ولاجهدن على اللقا حتى ارى * ما ارتجيه أو يحين قضائى * ولاحمين النفس فى يوم اللقا *
حتى ارى ما يقتضيه لقائى * من كان ينكرنى فقد باح الذى * قد كنت اكتمه على الرقباء

ماسانى لونى واسم زبيبة * اذ قصرت عن همتى اعدائى
فلاصنعن عجائبا وغرائبا * ولاحسن لالسن الفصحاء

قال فلما سمع بنى طئ ومعن من عنتر ذلك الكلام صاروا مامنهم الا من حلت به الاوهام فنادى بعضهم بعضا يا ويلكم اقصدوه بأسنة الرماح والا أفنانكم وصرتم رمما فى البطاح ففعلوا ذلك وأرادوا قتل الابجر وقصده كل ليث هصور غضنفر واذا بغبار من بين أيديهم قد ثار حتى ملأ البر الاقفر وارتفع وعلا وأقبل مسرعا عجلا فاشتغلت به الاسرار وأحدقوا نحوه بالابصار الى أن انجلى ظلامه والاعتكار وظهر من تحته جيش جرار وصوارم كأنها شعل نار ورجال تهمهم وهمهمتها كأنها الرعد القاصف وفى مقدمة الجيش فارس كأنه العقاب على جواد يتدفق مثل السحاب مليح الوجه حسن الثياب عليه درع يلمع بالذهب وتحته جواد أشهب كأنه البرق اذا برق او السيل اذا اندفق والكل ينادون يا لعبس يا لعدنان ويتسابقون الى الحرب تسابق العقبان وكان السبب فى ذلك الجيش وقدومه مالك ابن الملك زهير البطل الهمام لانا ذكرنا قبل هذا الكلام ما جرى له على فقده عنترة من الآلام وانه أعلم أباه بعد ثلاثة أيام كيف ان عنترة طلب من أبيه شداد النسب وكيف أراد شداد قتله من شدة الغضب وكيف خرج من الحى حيران فصعب على الملك زهير ذلك الامر والشان من كثرة ما حصل له من ايقاد الفؤاد وأنفذ خلف أبيه شداد ولامه على تفريطه فيه فقال يا مولاى وذمة العرب أنا ما منعته عن ذلك الامر بدون سبب وذلك ان اخى مالكا قال لى يا شداد عبدك عنترة قد فضحنى فى ابنتى فان أنت ألحقته بالنسب زاد طمعه بهذا السبب ويكون آخر أمرى أنى أقتله وأرحل عنك وأتبرأ منك ان أنت ادخلته فى انسابنا فقال الملك زهير لقد فرطتم فيه ولا يفلح مكان لا يأويه ولقد أبعدتموه وبكل قبيح جازيتموه (قال الراوى ياسادة يا كرام) فقال لهم الملك زهير أنا لو عرفت به كنت أخذته عندى وزوجته بعض من يريد من امائى التى هى أحسن من العربيات وأجمل من بنات السادات وكنا افتخرنا بشجاعته على سائر القبائل وعلى كل من قاد الجحافل فأى فخر أعظم من هذا الشان اذا كانت عبيدنا تقاوم الشجعان وتذلهم فى كل مكان بالطعن فى صدور الفرسان وذمة العرب لابد ان أقتفى أثره وأعيده الى مكانه وحلته ثم وصى ولده مالكا أن يبحث على أخباره ففعل ما أمره به وأنفذ خلفه من يقتفى اثره الى أن علم انه قد سار مع عياض بن ناشب فخاف عليه ان يلقى نفسه فى المصائب لاجل انه قد خرج غضبان فأمر ولده أن يتبعه فى خمسمائة فارس ويلحقه الى ديار بنى قحطان فقبل مالك ما به والده أشار وأخذ الفرسان وسار خلفه بقطع القفار مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع التقى القوم بالعشرين فارسا الذين انهزموا من المعركة فسألهم مالك ابن الملك زهير عن الحال فأخبروه بما جرى عليهم من الوبال لما لحق بهم ناقد بن الجلاح وما فعل بهم عند الحرب والكفاح فقال لهم مالك ما كان منه فقالوا له خلينا ه والرماح تنهب جسده والصوارم من كل جانب تقصده فبكى مالك عليه وتناثرت الدموع من عينيه وقال وحق الواحد الحنان المنان لاعدت الى الديار والاوطان حتى آخذ بثاره من بنى قحطان ثم جد فى المسير الى ان

ادركوه

ادركوه فى ذلك المكان ورأوه وهو يحصد الفرسان فنادى مالك يا للعرب هلك والله ابن زبيبة وقد حل به العطب وهو لا يرضى لنفسه الهرب خوفا من العار بين الناس ثم صاح وحمل وقد فعلت أصحابه مثل ما فعل واختلط فرسان عدنان مع فرسان بنى قحطان واختلف الضرب بينهم والطعان واتسع على عنتر الميدان وهدأت حواسه عن الخفقان وتمكن من ضرب الحسام فنشر الفرسان ونهب أرواح الشجعان وطلع القتام الى العنان وفاض الدم كالغدران وطاب الموت وهان و بان الهمام من الجبان ولم تكن غير ساعة حتى ولت بنو قحطان وقد حاز عنتر أسلابهم وخيلهم واماءهم وعبيدهم والجارية أميمة بنت شارب الدماء وصار عنتر فرحا بمجيء مالك اليه وقد علا أمره واشتد ذكره وساروا الى أن قاربوا الاوطان ولعبت بعنتر الاشجان وهبت عليه الرياح وقد جذبته الاشواق فباح ونادى وصاح وجرت دموعه فناح وأنشد يقول وأنا وأنتم نصلى على الرسول

اذا هبت الارياح بالعلم السعدى * طفا بردها حر الصبابة والوجد
وذكرنى قوما حفظت عهودهم * وما عرفوا قدرى وما حفظوا عهدى
ولولا فتاة فى حماهم مقيمة * لما اخترت طيب الوصل يوما على البعد
مهفهفة بيضاء طيب حديثها * اذا كلمت لميت قام من اللحد
أشارت اليها الشمس عند غروبها * تقول اذا اسود الظلام اطلعى بعدى
ونادى لها البدر المنير بأسفرى * فوجهك مثلى فى تمامى وفى سعدى
شكا البان منها فى الصباح وفى المسا * وقال اقصرى فى الميل يا قامة الرند
فولت حياء ثم أرخت لثامها * وقد نثرت من خدها ورق الورد
وسلت حساما من لحاظ جفونها * كسيف صقيل مرهف قاطع الحد
تقاتل عيناها به وهو مغمد * ومن عجب ان يقطع السيف فى الغمد
يبيت فتات المسك تحت لثامها * و يزداد فى أنفاسها نكهة الند
ويطلع ضوء الصبح فوق جبينها * فيغشاه ليل من دجا شعرها الجعد
شكا عقدها من نحرها متظلما * فوا عجبا من ذلك النحر والعقد
ترى تسمح الايام يا ابنة مالك * بوصل يداوى القلب من ألم الصد
سأجمل من قومى ولو سفكوا دمى * واحمل فيك الضيم دون الورى جهدى
فلولاك لم أصبر على الضيم ساعة * ولولاهوالك ما طويت لهم خدى
حذرت من التفريق بينى و بينكم * وقد كان ظنى لا أفارقكم جهدى
ترى تجمع الايام يا ابنة مالك * نعيش كما كنا على العلم السعدى
و يأتى بشير منكمو بلقائكم * و يخبر عنكم أنكم فى ربا نجد
وتجمعنا أرض الشربة والحمى * وبالجزعين السامين على السعد

(قال الراوى) وكان عنتر ينشد هذه الابيات ومالك يتعجب من فصاحته فلما فرغ عنتر من أبياته خمدت نيران زفراته فقال له مالك ارح الله أسرارك أنا أعلم أنك نشرت لعبلة ذكرا يذكر الى يوم القيامة ولا بد أن تأتى اليها السفار من جميع الاقطار فقال عنتر صدقت يا مولاى لكن وحق خالق البشر لا يقدر أحد يذكرها ما دامت الشمس والقمر ومادام هذا الرأس على البدن ما أبالى بصروف الزمن قال ثم انهم مازالوا سائرين والبشير سابقهم الى الحلة يبشر بقدومهم (قال الراوى) فهذا ما كان من امر عنتر وعباس ومالك ومن معهم (واما ما كان) من شاس والربيع بن زياد واخيه ومالك بن قراد وولده عمرو فانهم

ما اعجبهم عودة عنتر وسلامته وكان شداد قد حدث أخاه مالكا بما عتب عليه الملك زهير من أجل عنتر فقال مالك ياشداد ان كان هذا العبد ولد الزنا يعود سالما وشد معه الملك زهير أو احد من أولاده رحلت بمن يعز على من أهلي ولا أجعل للعرب على ملا ما فقال شداد ومن هو الذي يشكد عليك لا تحمل قلبك هما من هذا العبد ودعه عن بالك ودع حرمتك باقية عليك كالحراس ولا ترفع له ذكرا ولا تعده من الناس وانا اقذفه في مصيبة لا يرجع منها ومازال يطيب قلب أخيه حتى لان وفي تلك الساعة وصل البشير بقدوم مالك وعنتر فركب الملك زهير الى لقائهما وركب شداد وركب أخوه وولده عمرو وساروا في موكب من بني قراد وشيبوب قد فرح بعودة أخيه وطلع في أوائل الناس وكان عنتر اذا غاب لا يزال شيبوب في الحلة لا يفارقها لا ليلا ولا نهارا والملك زهير قد خرج الى ظاهر الابيات واجتمع بعنتر فتقدم عنتر وباس رجله في الركاب فقال له الملك زهير لم لا اخبرتنا انك قد كنت خرجت من الملك غضبان حتى كنا ارضينا خاطرك باي شئ كان فقال يا مولاي لا زال أمرك نافذا في جميع الاقطار وحق انعامك ما كان خروجي من الحلة على اني غضبان وما انا يا ملك الزمان الا من اقل العبيد والغلمان وما هو الا اني لما طلعت من بين يديك وانا سكران عثر لساني مع مولاي شداد بنوع من المقال وما كان ذلك مني على سبيل الاذلال والا فمن أين استحق انا هذه المنزلة وما رده عني الا كرمه ولما عاينت ذلك ما وسعني الا الرحيل من بين يديه والآن قد اقبل مولاي مالك وخلصني من المهالك وقد حملتني من انعامك ما ثقلت به الجبال ونظر عنتر الى مولاه شداد حين اقبل فسعى اليه وقبل في الركاب قدميه وقال يا مولاي أما سمعت قول الشاعر حيث قال

مولاي قد جئتك مستغفرا * فاسمع لعبد كان قد اذنبا
فالسيف ينبو وجواد الفلا * ايضا اذا ما زاد عجبا كبا

(قال الراوي) فلما سمع شداد هذا المقال من عنتر ورآه يتخضع ثارت النخوة في راسه وقبله بين عينيه وقال له يا عنتر انت الولد الشفيق والركن الوثيق ثم قال في نفسه لعن الله من يكون له مثل الولد والاسد الاسود ويبعده وعليه يغضب (قال الراوي) ثم رجع القوم الى خدمة الملك زهير واما عنتر فما كان تذلله اليهم خوفا وانما حاجته عندهم عبلة ومازال الهوى يذل الابطال وبعد ذلك احضرت الاموال بين يدي الملك زهير ففرقها على بني عبس واما الجارية امية فانه اخذها الى بيته وقال هذه بنت ملك لا يجري عليها لا بيع ولا شراء واوصى الملك زهير شدادا على عنتر وكان ابصر الجواد الذي تحته فتعجب من خلقته وقال لولده مالك ياولدي ما يصلح هذا الجواد الا لعنتر ودخلوا الى الحلة والملك زهير يقول لولده لا بد أن أجعل عنتر في بيوتنا وبين حرمنا هذا ومالك عمه وولده عمرو ويسمعان وفؤادهما ينقطعان وقال مالك ياولدي ان عنتر على هذا الامر يطمع في اختك عبلة فقال عمرو والله يا ابتي لو لا طمعه في حرمنا لكان نخره عائدا علينا وكنا نتقوى به على ابناء الزمان ويلزمنا هذه الساعة ان نزوج ابنتك عبلة بمن يحجبها من هذا العبد ولد الزنا والملك زهير واولاده ما لنا بهم طاقة لان الكل قد شدوا معه فقال مالك وانا لا اخليه سالما والله لا بد أن اتسبب في قتله بكل سبب ثم نزلوا في الخيام واما عنتر فانه نزل في مضاربه فتلقته امه زبيبة وكانت تحبه محبة عظيمة (ثم) ان عنترا اعطى جميع ما معه لابيه وما اخذ الا الجواد واما مالك ابن الملك زهير فانه رجع الى ابيات ولسانه لا يفتر عن حديث عنتر وما جرى له مع السرية وما قال من الاشعار وابوه الملك زهير يسمع ذلك ويلتذ بهذا الحديث ومازالوا سائرين حتى نزلوا في الخيام وبعد ذلك جمع الملك زهير اولاده العشرة وجماعة من الفرسان والامراء واحضر اخوته وذبحوا الذبائح وامر وابتهيئة الطعام بعد ما احضروا العقار فقال الملك زهير لولده ياولدي في مثل هذا الوقت يجب سماع ما جرى لعنتر في سفرته حتى نقضي بحديثه هذه الليلة لانك اخبرت عنه بشئ قد شاهدت بعضه والباقي ما كنت مشاهدا له وليس الخبر

كالعيان

كالعيان فأنفذ خلفه حتى نسمع حديثه فما كان غير ساعة حتى حضر عنتر ودخل السرادق فرحب به الملك زهير واستنشده الابيات التي ذكرها عنه ولده فأنشده جميع ما قاله فلما سمع الملك زهير هذه الابيات التي قالها عنتر اطربته بعد أن امر له بالجلوس وناوله الكؤس فأخذها عنتر من يده واومأ اليه براسه وزنده ومازال عنتر ينشدهم الى ان خرج عنتر بريق الماء في الخلاء واذا بشاس قد تكلم في حق عنتر بما لا يليق ولا جرى وقد قال لابيه لاى شئ ترفع قدر هذا العبد ولد الزنا وتحسن اليه هذا الاحسان فلما سمع الملك زهير كلام ولده صعب عليه وقال ويلك ياشاس مالك من الغرض حتى انك تتكلم بكلام الحساد على الناس يا ولدى هذا الذى تقول انه عبد نعم كما هو تقول ولكنه شديد البأس وقد بان لنا فيه اعلام السعادة وأريدك ياولدى انك لا تكون حسودا فتموت مكمودا وارجع عن قديم العادة فأراد الجماعة ان يجردوا على شاس لذمه عنتر واذا بعنتر قد أقبل وعينه الى نحو مضارب بنى قراد لان نيران عبلة تتقد فيها اشد اتقاد فنظر عنتر اليها وتحسر وانهل دمعه وانحدر فانشد يقول هذه الابيات

ان نيران عبلة يا ندمى * قد زالت ظلام ليلى البهيم * يتلظى لهيبها فى فؤادى
وجوى العشق ساكن فى صميمى * اضرمتها بيضاء تهتز كالغصن اذا ما ثناه مر النسيم
وكستها أنفاسها روح ند * ادخلتها من حسنها فى النعيم * كلما ذقت باردا من لماها
خلته فى فمى كنار الجحيم * ذقت من ريقها ألذ من الشهد اذا ما زجته بنت الكروم
سرق البدر حسنها واستعار الـ * ـجفن منها ظلام ليل بهيم * وغرامى بها قديم فواطو
ل سقامى على الغرام القديم * واتكالى على الذى كلما أبـ * ـصر ذلى يزيد فى التعظيم
ملك تقصد الملوك اليه * لتؤدى مراسم التسليم * ويطوفوا بساحة هو فيها
كطواف الحجيج عند الحطيم * واذا سار سابقته المنايا * فبيد الاعداء قبل القدوم
لا تلوموا مضنى كئيبا غريبا * ساهر الليل دائما بالهموم * فاعدلوا ان أردتم أو بغوروا
أنتم جنتى وأنتم جحيمى * واسمحى بالوصال يا نور عينى * وانقذينى مما اطال همومى

(قال الاصمعى) وأبو عبيدة ولما فرغ عنتر من هذه الابيات أطرب كل من كان حاضرا فقال الملك زهير لقد أوليتنى وحق رافع السماء جميلا لا أقوم بجازاته ثم أهدى له مولدتين وعقد جوهر وقال قد ذكرتنى فى شعرك ياعنتر وقبيح على أن تخرج من عندى بغير جائزة على انى لا أرضى لك بشئ من هذه الرغائب حتى تنال ما أنت له طالب وحق ذمة العرب لولا أنك عبد لا لحقتك بنسبى وجعلتك من جملة أولادى ولو أن العرب تعايرنى فى كل حين (قال الراوى) ومن شدة ما جرى على شاس من كلام أبيه نهض من حضرته وهو لا يعقل من شدة غيظه وأما عنتر فانه مازال يشرب عند الملك زهير الى وقت السحر ثم خرج فى خدمة مالك صديقه حتى أبعد عن السرادق وودع كل منهم صاحبه وافترقوا وسار عنتر وأخوه شيبوب حتى وصلا الى أبيات بنى قراد فرأى نيرانهم لم تخمد ونيران الحلة قد خمدت فدخل الى بيت أمه زبيبة وسألها عن ايقاد النار فقالت له ياولدى ان أباك وأعمامك من أول الليل ساروا فى عشرة فوارس خلف غنيمة ليخلصوها من الاعداء وقد باتت النساء ساهرات من أجلك الى هذا الوقت حتى يسألوك عن سفرتك وأكثرهن اشتياقا اليك عبلة محبوبتك لانها فى أكثر الايام تسألنى عنك (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك طار من رأسه الخمر شوقا الى وجه محبوبته ثم انه دخل الى مضارب أعمامه فرأى النسوان كلهن فى انتظاره فسلم عليهن فردد عليه السلام وقمن له كلهن على الاقدام وقالت له عبلة ويلك يا ابن زبيبة هكذا تعمل معنا وتسهرنا الى هذا الوقت فقال والله ياستات و يانور ناظرى ما علمت بغيبة الرجال والا ما كنت قعدت الى هذا الوقت ثم تقدم الى أم عبلة وباس يدها وبكى من شدة

السكر والهوى فسكتته من بكاه وبردت نيران عشقه وجواه وكانت دموعه التي تجرى أكبر شفيع الى عبلة لانها كانت تحبه لشجاعته ولتعرده ومدحه فيها ثم قالت له ويلك يا ابن زبيبة وأين نصيبي من هذه الغنيمة أما كان لى عندك قدر ولا قيمة فقال لها بارو حي وحياة عينيك وهو قسم على عظيم ان عبدك ما ملك منها عقال بعير بل الكل وصل الى أبيك وأعمامك وروحي وما أملك قدامك ثم ناولها العقد الجوهر الذى أعطاه له الملك زهير واعطاها المولدتين والطبب ثم قال لها يا عبلة خذى هذا الطبب ولو كنت فى غنى عنه لان طبيبك أوفى وريقك أشفى فضحكت من كلامه وشكره النساء وسألنه عن سفرته فحدثهم بما كان منه وكان قد فى قلب عبلة بمكان رفيع وشكر عنتر ليلته أولها وآخرها وقال هذه ليلة من عمرى لا أحسبها أولها سرور باطناب وآخرها لقاء الاحباب ولما أن هدأت ناره سأل عن أبيه وعن أعمامه فاخبروه أن العبيد الرعيان أتوا وأخبروهم أن قيس بن ضبيان معه غنيمة عظيمة وهو طالب بها أرضه ولما سمع مولاك شداد وأعمامك هذا الحديث من العبيد قالوا لهم ولكم أتعلمون أين هم يبيتون الليلة قالوا يبيتون على أرض الردم والمناهل القديمة فقال ابوك أنا أسير اليه وآخذ منه الغنيمة ولا أخلى بنى قحطان تجوزون أرضنا بغنيمة فتطمع فينا العربان ولا بد لى أن أتبعهم ولو أنهم ألف فارس وسار أبوك وأعمامك وعمرو وزخمة الجواد وستة فوارس من فرسان بنى قراد وهذا آخر العهد منهم فقال عنتر والله لقد ركبوا مركب الخطر لان هذا قيس بن ضبيان أخبرونى عنه انه آفة من الآفات وسير جيشه معه الى الشتات ولكن ما بقى لى صبر عنهم ولا بد لى من المسير خلفهم ولو انهم ما أعلمونى ولا شك أنهم قد احتقرونى ثم التفت الى عبلة وقبل يديها وضمها الى صدره وقبل خديها وقال يا سيدة الغزلان هذه قبلة الوداع قبل الفراق لانه ما بقى لى مثل هذه الليلة تلاق فلما سمع بهذا المقال قلب عبلة وأمها ونساء أهل الحلة بالجملة فقالت له أم عبلة والله يا عنتر ما أنت الا واحد منا وليس لنا غنى عنك وحياة ولدى عمرو وأبيه وأعمامه الاجواد أنا ما حجبت بنتى عنك الا من كلام الحساد فقال لها قد علمت ذلك ولا ألومك على شئ من هذا ثم انه عاد الى بيت أمه ولبس لأمة حربه واعتد بعدة الجلاد وأخذ أخاه شيبوبا قدامه وسار يطلب أثر أبيه وأعمامه وكان الليل قد دخل بجيوش سواده وظلامه ولما أبعدا عن البيوت قال له شيبوب أخبرك يا أخى بشئ وهو ان كل ما تفعله مع هؤلاء القوم ضائع فاجعل كلامى فى بالك وكن لى خير سامع وطائع فقال له أخبرنى بما عندك يا ابن الام فقال شيبوب أن زوجة مولاى شداد قالت لى حذر أخاك من عمه مالك وولده عمرو لانهما قد عولا على أهلاكه وعزما على أن يكمنا له فى الصحراء واذا خرج يهجمون عليه وهو لا يرى ومولاك شداد لا يعلم بذلك وأعلمتنى بهذا المقال فقال له عنتر ويلك ولم لا أعلمتنى بذلك فقال له ما أمكنها لكون نساء أعمامك كن عندك ولكن اذا لحقناهم وهم فى القتال خذ حذرك منهم والا اغتالوك ولاجل هذا ما أعلمك مولاك شداد حتى انك لا تروح معهم لانه علم بما فى قلوبهم من الاحقاد وانهم صار والك من جملة الاعداء والحساد فقال عنتر لشيبوب سوف أريك من يكون منا ونادما ثم انهم اقتفوا آثارهم وشيبوب بين يديه سائر وقد امتلأ قلبه على عمه غيظا وتعكر منه الخاطر وسارا الى أن طلع النهار وجلى الحر والقيظ وصار كأنه نار الحريق واذا بفارس مقبل عليهما وهو معارضهما فى الطريق وثيابه غارقة فى الدماء كأنه قطعة شقيق فقال عنتر وحق ذمة العرب ما هذا الا بئس الفال وأمر يدل على هلاك الابطال ثم انهم تبينوا الفارس المقبل عليهم وأذا به من بنى قراد من الفرسان الذى كانوا مع أبيه شداد وفيه جرح مثل الارقم وهو يئن من شدة ما فيه من الالم وقد أشرف على الهلاك والعدم فقال له عنتر ويلك يا ابن العم أخبرنى ما اصابك وأين مولاى شداد ورفقته وأين الغنيمة التى اخذوها فقال يا عنتر انا قد صح لى هذا الجرح الذى ترى وان كانوا ظلمونى فهم فى حل مما جرى فقال عنتر وقد ضحك من كلامه ويلك حدثنى

بما

بما جرى فقال له هوانا لما سرنا مع ابيك حتى نهجم على بنى قحطان وهم نازلون على الغدير لنأخذ منهم الغنيمة رأينا قيس بن ضبيان نازلا يحرسهم وهو حامٍ بهم فلما سمع بوقع حوافر خيلنا صاح فينا وحمل علينا وأول ما حمل طعنني وبعدى طعن عمك مالك وبعده أطبق على ولده عمر وفكر كبه ولما سمع قومه ذلك صاحوا وثاروا علينا ودارت بنا وأكثروا فينا الصياح فما مضى دون ساعة حتى قتل منا أربعة فوارس وأسر مولاك شداد ولما كثر فينا الصياح هربت أنا فى الليل حتى انى أردت الخيل وما سلم من الجميع الا أنا فان كنت تريد ان تلحق بهم فدونك وخليلك على حالك وان أردت العود فهو خير لك فقال والله لا رجعت حتى أوسع الكل بحسامى واخلص ابى وأعمامى وارجع والغنائم تنساق قدامى فسر معنا ان كان فيك قوة على السفر والا فانزل على هذا الغدير حتى نأتيك فقال والله يا عنتر ما كنت سائرا الا خوفا من الاعداء والآن ما بقى لى قوة أمسك بها روحى على الجواد فقال عنتر يا شيبوب اطرحه على جانب الغدير الى ان نرجع ان كان فى اجله تأخير فطرحه شيبوب وربط جواده بجانبه وبقى هو واخوه سائرين حتى اشرفا على القوم فراوا الجمال والخيل والنياق تنساق قدام الفرسان والابطال والفرسان مربوطون بالحبال وقيس بن ضبيان على اثرهم وهو حامٍ لهم وهو مثل الاسد الرئبال وشداد مربوط على فرسه ولكنه ما اسر حتى قتل جماعة من الفرسان المذكوره والاقيال المشهوره (قال الراوى) هذا وقيس التفت الى ورائه فنظر عنتر يركد بالجواد وهو طالب له حتى حاذاه فمسك جواده ووقف ولم يعلم اصحابه بما قد اتاه بل انه عاد الى عنتر وفاجأه واشار اليه بكلام يعيبه وانشد يقول

انا ابن ضبيان تخشى سطوتى العرب * واكشف الكرب والهندى مختضب
والجو أسود والاقطار مظلمة * من الغبار ونور الشمس محتجب
والنقع قد ثار والابطال صائلة * والارض من شدة الاوهاج تنقلب
يوم تشيب له الاطفال قاطبة * ولا يقضيه الا من له حسب
شهدته بجنان ما ألم به * وهن ولا مسه خوف ولا عطب
وخضته وغبار الموت مبتدر * على جواد كريم مشيه خبب
وكل عين تراه وهى حائرة * تدنو اليه وقد اودى بها العجب
لا خير فى المرء قد تدنو منيته * وماله همة تجلى بها الكرب

(قال الراوى) ثم نادى لعنتر بعد شعره وقال ايها الساعى الى حلول رمسه القائد كل الردى لنفسه ان همتك همة الفرسان وجلدك جلد السودان فقال عنتر الويل لك يا ابن اللخنا قد حل بك التدمير مما تريد ان تلقى اليوم هنا ولا بد لامك ان تفقم عليك ماتم الضنا فقال له انت عنتر قال نعم انا ذلك العبد خادم هذه الفرسان الذين معك وها أنا قد جئت اليك لاخلصهم من يديك وآخذ روحك الآن من جنبيك فلما سمع قيس كلام عنتر ورآه بهذا الكلام استظهر قال له انحس يا ولد الزنا وتربية الخنا وحق من انزل القضاء المتدارك لو علمت انك عبد ما رجعت اليك ولا اخليك العار يركبنى فى نزالك بين الاخوان وعصبة الاقران فقال له عنتر يا وغد العرب واخس من ضرب فى البيداء طنب ان كنت تعايرنى بعبوديتى فاليوم يظهر لك من انا وتحقق معرفتى بالبيان ثم انه اجابه على شعره بقول صلوا على طه الرسول

ان كنت عبدا فروحى حرة خلقت * او اسود اللون فالهندى تى حسب
وان تعير سوادى فهو لى شرف * يوم الطعان اذا ما فاتنى نسب
وفى اللقا عنتر العبسى تعرفنى * وصارمى من دم الابطال مختضب
ونسبتى من قراد المجد سيتهم * والحزم والعزم والافضال والادب

وفى الوغى اهزم الابطال قاطبة * واترك الدم فى الهيجاء ينسكب
وان اسرك قومى زادنى طربا * لكى يجىء وكأس الموت مقترب
واليوم القيك فى البيداء منقلبا * ملقى طريحا وقد أودى بك العطب
واترك الخيل فى الاقطار شاردة * خوفا وفرسانها فى النقع تضطرب

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره حمل على ذلك الفارس باهتمام وتلقاه كما تتلقى الارض صيب الغمام فتلقاه قيس بن ضبيان وهو كالبرج المشيد وله قلب اقوى من الحديد ثم انهما هجما هجمة الاسود وتطاعنا طعنا يشيب له المولود وراى شيبوب اخاه على خصمه قد استطال فبقى على حاله حتى لحق الرجال والغنائم والاموال وصار ينادى فى اعقابهم يا ويلكم اطلبوا النجاة يا بنى قحطان فقد اتتكم بنو عبس وعدنان وقد قتل فارسكم ابن ضبيان (قال الراوى) فلما سمع القوم ذلك الكلام المهول عادوا راجعين الى شيبوب ودار وابه وقالوا له ساءت فعالك يا ولد الزنا أفبهذه البشارة تبشرنا ثم بعد ذلك طلبته الرجال فجعل يرميهم بالنبال واذا ادركته الخيل يفر من قدامها كأنه ريح الشمال واذا بعدوا عنه يعود الى القتال فجعلوا يتعوذون منه كما تتعوذ الانس من الجان وقد ظنوا انه شيطان (قال الراوى) ولم يزل على ذلك الحال حتى كثرت عليه الرجال وانحدروا عليه من رؤس الجبال وهو يمانع عن نفسه واراد ان يعود عنهم واذا بأخيه عنتر قد طلع وعليه الغبار خيم وسطع بعد ان جرى له مع قيس ما جرى وقد طاوله وجاوله وطعنه طعنة بين ثدييه فأطلع السنان يلمع من بين جنبيه فوقع الى الارض ثم تركه وعاد ينظر أخاه فأدركه وهو فى اضيق الحال فسل حسامه ومال على هؤلاء القوم واشتهر وارواهم طعنا لا يبقى ولا يذر فذهلت منهم الابصار وركنوا الى الفرار قال وكان شيبوب قد اسرع الى شداد وفكه من على ظهر الحصان وفك اخوته الاجواد وفك عمرا اخا عبلة واحضر لهم عدة الجلاد وهى عدة القتلى الذين رماهم عنتر فى المهاد ولما انتظم حالهم تبعوا عنتر وهو تابع اعداءهم فما لحقوه الا وهو راجع من خلف القوم وقد قضى الاشغال فلما نظر عنتر الى ابيه واعمامه وهم مقبلون عليه ترجل لهم وقبل اقدامهم فى الركاب فعند ذلك لاقوه بأحسن ملتقى وعظموه والى ظهر حصانه ردوه ثم رجعوا سائرين الى شيبوب فراوه يجمع الاسلاب والغنيمة بين يديه فلما وصلوا اليه سار الجميع متوجهين الى اوطانهم وعنتر لم تسعه الدنيا من شدة الفرح وهم سائرون يقطعون الارض الى ان ادركهم المسا وقلب عمه مالك كما مر به قسا فنزلوا على الغدير الذى طرح عليه شيبوب الفارس المجروح فراوه قد فارقته الروح فصعب ذلك عليهم وقال شداد والله هلك منا فى هذه السفرة ابطال خير من الغنيمة وما فيها وكان هذا الغدير فى وادى واسع الجنبات كثير الخيرات فباتوا الى نصف الليل وقد زال عنهم ما كانوا فيه من الذل والويل لكنهم مغمومون بما جرى من قتل تلك السادات والامرا ومازالوا حتى اشرفوا على الاحياء والشمس قد اشرقت على الصحراء فراوا الملك زهير اراكبا وعلى راسه رايته العقاب ومن حوله اولاده والاصحاب فعدل اليهم هو واخوته وقدموا الغنيمة بين يديه وحدثه شداد بما جرى عليهم حتى صارت الغنيمة بين ايديهم واخبر بما فعل عنتر بالفرسان وكيف قتل قيس بن ضبيان وكيف جندل فرسان بنى قحطان فضحك زهير طربا من فعال عنتر حين حكوا له ما جرى وقال يا شداد ادع لعبدك على هذه المرة الاخرى وعدها له حتى تكون جازيته على فعله الحسن ولا تترك غيرك يعتز بسيفه بقية الزمن فاغتاظ لذلك جماعة ممن كانوا حاضرين منهم الربيع بن زيادوشاس بن الملك زهير ومالك بن قراد وفرح بذلك صديقه مالك بن زهير ثم ان الملك زهير قسم الغنيمة كما اراد ولم يأخذ منها عقالا اكراما لعنتر بن شداد ولما عرف كل منهم قسمه وهب عنتر جميع ما حصل له لابيه واعمامه والليل أمسى وصارت الليلة غلسا (قال الراوى) ياسادة يا كرام لهذا

الكلام

الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى يجب ان نسوقه على الترتيب بعد ألف صلاة ترضى النبى الحبيب (يا سادة) وفرح بذلك لعنتر صديقه مالك بن زهير ثم ان عنتر قال العبد وما تملك يداه لسيده ولو نال ما نال من الخير فتعجبت العرب من فعاله ومن حسن خصاله وبعد هذا نزل الملك زهير على الغدير هو ومن معه من الرجال وأمر العبيد بذبح الاغنام والجمال وان يشرعوا فى ترويح الطعام فما كان الا ساعة حتى دارت الاقداح واتسع المجال وتجاذبوا اطراف المقال وأشار الملك زهير الى عنتر وقد قربه اليه من دون ذلك المحضر وقال يا أبا الفوارس اريد منك أن تنشد ناشيا من أشعارك على قدر وقتنا هذا وما نحن فيه فلما سمع عنتر ذلك القول من الملك زهير أطرق رأسه الى الارض ساعة ورفع صوته وتكلم على البديهة وأنشد يقول نحن وانتم نصلى على النبى الرسول

١٤٥ أتى الدهر بالامر الذى أنت طالبه * فعش سالما قد أمكنتك عواقبه * حضرت به فاخضر واصفر نبته
وزاد ابتساما شرقه ومغاربه * وهذا غدير أنت أعذبت ماءه * ولولاك ما انهلت عليها سحائبه
وفاح نسيم المسك من نور زهره * وبانت لنا آياته وعجائبه * فدعنا نقضى حقه بمدامة *
ونمزجه حتى تفيض جوانبه * ونشرب بالكاسات منه مسرة * ونسحب ذيلا أنت بالفخر صاحبه
فوجهك بسام ومجدك شامخ * وسيفك فى اعدائك تمضى مضاربه * وفى كبدى نار يشب وقودها *
ولكن يسكنها الحبيب وجانبه * وفى جانب الوادى قباب عجيبة * ومن دونها فسطاط يسموه صاحبه
نسيج من الديباج والسندس الذى * زها وصفه قد حيرتنى عجائبه * يعز علينا يوم سار عن الحمى *
وعاد الى المولى المليك يخاطبه * اذا قيل من فى الناس اوفى عزيمة * وأى فتى مناته قد مناقبه
لقلنا زهير ماجد متفضل * علا فى محل لا تنال مراتبه * وقلنا زهير من ربيعة سيد
كريم سخى عز فى الكل جانبه * أضاءت لنا أفعاله غيهب الدجا * فاشرق حتى نظم الجزع ثاقبه
وسازال فى كل الامور مسددا * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

١٤٦ (قال الراوى) ولما سمع الملك زهير والحاضرون هذا الشعر زادبهم الطرب وكان أشدهم طربا الملك زهير ودارت عليهم الكاسات والطاسات وطابت لهم الاوقات وانتهبوا اللذات وبادروها قبل الفوات (قال الراوى) وبينما هم فى تلك المسرات واذا بغبرة طلعت عليهم وقد بان من تحتها مائة فارس كل منهم للحديد لابس يقدمهم فارس مليح القوام بوجه مثل بدر التمام على جسده ديباجة رومية وعلى رأسه عمامة خركوفه وتحته مهره عربيه وهم نحو الغدير قاصدون وعلى بنى عبس واردون ولهم طالبون حتى وصلوا الى الغدير فوقفوا وترجل ذلك الغلام الذى قدمنا ذكره ورجاله وراءه وقوف وحوله ودنا من الملك زهير وقبل يديه وأعلن بالسلام عليه وأجرى على الخد دموعا سوابغ الدموع وشكا من فؤاد موجوع وأنشد يقول صلوا على النبى الرسول

١٤٦ يا أمان الملهوف والمستجير * كن معينى على العدا ونصيرى * أنت ربيتنى يتيما صغيرا *
وبنعماك جبر قلبى الكسير * سيدى قد رمى الزمان فؤادى * بسهام فشق ستر ضميرى
وابتلانى بظالم طبعه الغد * روهتك المحذرات البكور * كلما سار طالب الحرب سارت *
خلفه الخيل داميات النحور * برماح كأنها قصب الغا * ب بأيدى فوارس كالنسور
تنفر الجن منه والانس جمعا * واسود الثرى واهل الشرور * فأجرنا من شره وارحمنا
* قبل تسبى نساؤنا بالشعور *

(قال الراوى) فلما انشد الغلام هذا النظام فما بقى من الحاضرين شخص الا وقد رحم ذلك الغلام وعرفه مالك بن الملك زهير فوثب اليه وضمه الى صدره وقبله بين عينيه وقال له يا أخى ما الذى أبكاك وفرسان بنى

عبس وراك لا أبكى الله لك عينا ولا كان من يشنأك اكشف لنا حالك حتى انا نحمل اثقالك ولم يزل مالك به حتى انه خفف عنه ألم الجوى وسكن ما به من النار التى هدت منه القوى وكان عنتر قد تعجب من ذلك المقال وتطاول اليه حتى يعرف حقيقة الحال (قال الراوى) وكان هذا الغلام أخا مالك ابن الملك زهير من الرضاع والسبب فى ذلك ان الملك زهير كان قد اغار على بنى مازن فى بعض الغزوات فأخذ من هذا الغلام ولما عاد بها ادخلها الى الابيات وكان هذا الغلام على صدرها صغيرا يرضع اللبن وكانت زوجة الملك زهير قد رزقت بمالك فلما جاءت هذه الجارية أرضعت مالكا مع ولدها الى ان انتشى مالك وهذا الغلام سواء وكانت أم هذا الغلام قد زاد حالها وصلح شانها فسمعت بها اخت لها فأتت اليها تزورها وصارت تصف لها حسن الوطن وتشوقها اليه ومازالت بها حتى حن قلبها الى وطنها وتذكرت اهلها وصارت تندب وتبكى فسمعتها ضرتها بنى الاهل والجيران فاحضرتها وسألتها عن حالها وقد رق لها قلبها لما ان سمعت شكواها فقالت لها ياسيدتى انى ابكى شوقا الى المنازل ومن فيها من اهلى فلما سمعت ضرتها كلامها شرعت تسبب لها فى المسير الى اهلها بعد ما شاورت فى ذلك بعلها فأمر بتجهيزها وعمد الى شئ من حطام الدنيا ووهبه لها وأرسل معها جماعة من الرجال يحرسونها الى ان يوصلوها الى اهلها وكان قد نشأ معها ذلك الغلام وفى أعضائه روائح من نسل الكرام فطلع نارا محرقه وصاعقة بارقه حتى تحيرت منه بنو مازن وجميع من كان حول ديارهم وقد احبوه لما ظهر من شجاعته وما بان من فروسيته وصار يشن الغارات ويلاقى فى الحرب السادات وكان له فى تلك القبيلة خال وكان معه بنت ذات حسن وجمال وقد مائس واعتدال فنظر اليها فى بعض الايام فتمكن من قلبه هواها ولكن استحيا ان يخاطب خاله فى معناها ولما كان فى بعض الايام قدم على خاله رجل من بنى برجم يقال له عوف بن غيلم وكان فارسا كرارا وبطلا مغوارا كثير المال ووصل فى تلك الايام اليه ونزل عنده فأكرم مثواه وذبح له النوق والاغنام وروق له صافى المدام واما شربوا والتذوا وطربوا قام ذلك الرجل فى عاجل الحال واشار الى ابى الجارية بيديه وقال له اعلم ايها الشيخ انى قد جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا فهل انت فيمن اتاك راغب فلا تخيب سؤال قاصديك ومن احسن الظن فيك فلما سمع ابو الجارية منه ذلك اراد ان يسمع له بها وما خاف الا من ابن اخته حصن ولكن لم يخف على حصن هذا المرام فهذا ما كان من ابى الجارية (واما ما كان) من امر الغلام حصن فانه لما رأى عوف بن غيلم البرجمى طالبا لها ورأى خاله راضيا به ضاقت عليه الارض بما رحبت وعلم انه ان سكت خرجت الجارية من يده وقد أفحمه ما شرب من الخمر فقال ياخالى لا تنعم له بما طلب فأنا أحق بها منه وأوجب لاجل صلة الرحم والنسب وما اخلى ابنة خالى تخرج من هذا المضرب ولا تبعد عن قومها وتتغرب فقال البرجمى وقد لعبت به العقار وطارت من عينيه النار ياغلام اوباغ من قدرك انك تجاوب بمثل هذا الكلام وتريد ان تكسر عزمى وانت معدود من جملة الايتام (قال الراوى) فلما سمع حصن ذلك الكلام قال ولاى شئ لا أعارضك وانا افخر منك نسبا واجل حسبا بين القبائل الكرام وأشرف منك أما وأبا بين الانام فوحق من رفع السماء بقدرته لولا انك نزيل فى بيت خالى لعلوت رأسك بحسامى واذقتك الوبال بضرب يهد الجبال وان كنت تزعم انك كثير المال فأنا أكثر منك مالا فان أموال العرب كلها لى مباحة آخذ منها ما أريد بغير مكيال وان كنت تدعى انك شجاع فدونك والميدان حتى ترى هذه العربان من هو أقوى مناجنانا وأثبت فى الميدان (قال الراوى) فلما سمع البرجمى ذلك المقال ازداد غيظا وحنقا وقال لابد لى من مبارزته وحق ذمة العرب ثم قام الى جواده وأخذ عدة جلاده وقد فعل حصن مثل ما فعل وخرجا من الحى قدام الجميع ووقف القوم وخاله ينظرون ما يجرى بين هذين الفارسين من الطعان * قال وقد أوسعا فى المجال ولعبت الخرة فى رؤسهما وصالا وجالا وقد تحملا فى الحرب اثقالا وتقاربا وتباعدا

وتصادما

وتصادما وتجادلا وقد ضايق حصن عوفا البرجمى وانا رسوء أخلاقه ومسكه من اطواقه وجذبه من على سرجه فرجله بعد ما صرخ عليه فاذهله وأراد ان يضرب رقبته فتقدم اليه خاله وسأله فيه العفو وقال له ياولدى اطلقه من عقاله واعلم انى لا أدعك تقتل رجلا أكل طعامى ودخل فى ذمامى فلما سمع حصن من خاله ذلك الكلام عفا عنه وأطلق عقاله واعطاه سلاحه ورعى رجاله واخرجه من الحى خائبا وشاعت هذه الاخبار عنهما عند الاعراب فقصرت عن الجارية الخطاب ولم يزل حصن على ذلك الحال الى ان كانت ليلة من الليالى أتت اليه امه وقالت له يا ابنى أريد ان أخبرك بما سمعت من المقال فقال لها أخبرينى قالت له ياولدى ان خالك قال لزوجته ان ابن أختى فارس حلو الشمائل كثير الفضائل غير أنه فقير ما عنده شئ وكلما وقع فى يده شئ ينفقه ويهبه لمن يعرفه ولمن لا يعرفه وأخاف اذا زوجته ابنتى أن تصير معه تحت الضيق لا تنم العدو ولا تفرح الصديق وما عيبه الا كرمه وسخاؤه فقالت له وكيف الرأى ونحن لا بد لنا منه فسكت خالك ولم يجبها فلما أن سمع حصن هذه المقالات تغيرت منه الحالات وقد أراد أن يبيت عند عمه فرآه ركب مع جماعة من صعاليك العرب الذين لم يملكوا مائة الا من الذهب فأخذهم وسار حتى خرجوا الى ظاهر البيوت والمضرب رعاد عنهم وحده وأنفذ خلف بنت عمه حتى انها تطلع تودعه ويشكو كل منهما للآخر حاله فخرجت اليه من الخباء كأنها غزال عطشان اذا خطر فى القيعان فالتقيا واعتنقا وقد أخبرها أنه يريد أن يمضى الى طلب المهر ويأتى لابيها بما يرضيه ثم انه عانقها وودعها وهى تبكى ودموعها تسيل من طرف كحيل على خد أسيل فأشار اليها حصن يقول وأنا وأنتم نصلى على النبى الرسول

ودعتها وتركت قلبى عندها * كيف الخلاص بمهجتى من ذا العنا
فبكيت عند فراقها بدم وقد * ملك الفؤاد الحب فازداد الضنى

(قال الراوى) فلما سمعت منه بنت خاله هذا الشعر اجابته تقول صلوا على النبى الرسول

عليك سلام الله منى دائما * الى أن تغيب الشمس من حين تطلع
عجبت الى حب بمدمعه * الى حبه عند الوداع ويسرع

(قال) فلما سمع منها ما قالها قبلها بين عينيها وعاد راجعا على حاله حتى لحق بجماعته وجد وافى المسير طالبين أحياء العرب فى طلب المعاش والمكسب فغزوا بلاد همذان وأغاروا على بنى ملجم وغيلان وقد أفنوا فى غارتهم جماعة من العربان فطالت عند ذلك غيبتهم وانتظرت القبيلة لسفرتهم * فاتفق أنه كان فى بنى قحطان فارس شديد يقال له عساف أخبرت عنه الرواه أنه من الجبابرة العتاه عظيم الخلقة شديد الزعقة طويل القامة كبير الهامه اذا مشى ساوى بقامته الاشجار واذا تكلم أشعل فى القلوب النار له صوت كصوت الاسد الهدار * قال وكان ركب فى عدد كثير وجمع غزير فاتفق فى تلك السنة ان أرضه أجدبت وقل من عندهم العشب والكلأ فشكا اليه قومه ما حل بهم من تلك الارض فارتحل ونزل بهم بين جبلين يقال لهما خاخش والتناصب ثم انه ضرب مضاربه فى أرض يقال لها المانعة وكانت كثيرة العشب حتى ان الرعاة كانت ترعى فيها بلا تعب ولا شقاء فسمعت به سكان هذه الارض فهربوا عن الاحياء والتجؤا الى الحلل والقبائل ثم انه ركب يوما من الايام وشق على تلك البرارى والاكام وجعل يدور فى تلك النواحى والغدران ويقسم الاراضى بين الفرسان وقد أبعده وجماعته فى الوديان حتى أشرف على حى بنى مازن فرأى غدرانها واسعة ومرعاها فائقة فاتفق أن الجارية نعيمة بنت نجم التى مضى حصن يأتى بمهرها خرجت ذلك اليوم مع أقاربها وجويرات من أقاربها وجماعة من أصحابها وهم يلعبون على الغدران فرآهن عساف وهن غافلات وقرب منهن وهن مشتغلات فرأى نعيمة بنت نجم التى هى أبهى من البدر تلتفت لفتة الغزلان وتتبسم بثغر كأنه بالمسك ملآن وتهم أن تقوم فتقعدها

ارداها الثقال فطار عقله وزال ووقع به الانذهال فرأته الجوارى وهو ينظر اليهن فصاحوا فيه أما
تستحى ياوجه العرب أما أنت من أصحاب الحسب والنسب وتقف بهذه الجماعة على بنات أبكار
ونواعم أعذار فما هذا فعل الرجال الاحرار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عساف ذلك الكلام ولى عنهم وقد
أبدى الابتسام ثم قال ومن نظرت عيناه أقلق قلبه * وتجرى على خديه سمط المدامع
ثم استدعى بعجوز كانت عندهم وخرجت معهم لتحرسهم فأتت فسألها عن الجارية نعيمة ومن أبوها فقالت
له ياأمير اعلم أن هذه نعيمة بنت نجم سيد بنى مازن التى قد حازت جميع المحاسن فقال لها عساف ياأم
الفرسان هذه الجارية ذات خدر أم ذات بعل فقالت والله ذات خدر وخباء وستر وحمى فى هذه الارض
فلما سمع عساف ذلك المقال رجع فى رجاله وهو مشغول وعقد صبره محلول ولما أن وصل الى الارض p.146b
التى نزل فيها ما استراح ولا قر له قرار مما حصل له من لهيب النار فأحضر بنى عمه بين يديه وقص قصته
وما جرى له عليهم وقال أريد منكم أن ترسلوا رسولا الى بنى مازن ويدخل على نجم أبى الجارية التى هواها
ومحبتها فى قلبى جارية ويقول له ان الملك عساف ارسلنى اليك خاطبا وفى ابنتك راغبا وقد رآها بين
الجوارى على الغدير ويريد أن ترسلها له مكرمة مزينة مثل عادات العربان الصغير والكبير وكل ما طلبه
من المهر فتكلم به وأنا أدفعه بلا تقصير وان كان لا يرسلها عزيزة مكرمة اخذتها منه مسبية مثل
الامة بعد ما أقطع بنى مازن وبنى تميم ولا أترك منهم رضيعا ولا فطيم وكان هذا الكلام من تجبره ﴿قال
الراوى﴾ فمضى الرسول الى نجم بهذه الرساله وبلغه ما ذكرناه من المقاله فقال نجم ياوجه العرب ابنتى
لابن أختى قد زوجتها ومضى الامر من يدى واقترب ولا بقى لى حكم عليها الا بالمعروف والادب فان
كفانا صاحبك شره فهو الكريم ذو الحسب والنسب وان أنفذ رجاله الينا وتجبر بقلة معروفه علينا
وطلب قتالنا من غير جناية ولا سبب حاربناه ودافعنا عن أنفسنا وحمينا العيال والاموال ومتنا كراما ولا
نموت لئاما * قال فعاد الرسول الى عساف بهذا الخطاب وقال له ما قاله نجم من الجواب فلما سمع ذلك من
الرسول غضب وزاد به الحنق وحلف أنه ما يأخذها الا أسيرة بالسيف وقال حينئذ لم يبق لا بيها على عتاب 148 Tur
(وفى) تلك الايام قد وصل حصن ومعه غنائم وأموال لا تحصى فأعطى خاله ما طلب من المهر وقد عزل
مائتى ناقة لاجل الوليمة واشترى روايا خمر وطالب خاله بالزواج بخدنه خاله بحديث عساف وما جرى بالتمام
فقال حصن والله ياخالاه ان تعرض لى لاقطعن آثاره وأربن دياره وما أخليه يقيم بجوارنا الا بمقدار
ما أدخل على زوجتى وأكاتب مولاى الذى ربيت فى نعمته حتى يأتى الينا برجال من بنى عبس وعدنان
وأقلعه من ذلك المكان ثم طيب قلب خاله وشرعوا فى اعمال الفرح وذبحوا النوق والاغنام وهيؤا الطعام
ودار بينهم الكلام وشربوا الراح فى المساء والصباح سبعة أيام وفى اليوم الثامن زينت الجارية بالحلل
الفاخره وانواع الزينة الباهره وأرادوا أن يزفها على حصن فأتاهم الخبر من بعض السفار بأن عساقا 149 Tur
من أجلها جمع فرسان القبائل وأصدقاءه ومن يعز عليه وهو وسائر اليكم وبعد حين يأتى لديكم ويبيد أقصاكم
وأدناكم وقد علم أن بنى عبس تسير اليكم فتقاوى بالعربان وسيأتى عن قريب اليكم بالفارس والراجل
وهو فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد أجابه عالم عظيم وسار معه عوف الذى كان أسره حصن
فى جمع من بنى جرهم فى طلب ثاره الذى تقدم فلما سمع أبو الجارية ذلك الكلام خاف على نفسه وقومه فجمع بنى
عمه وشاورهم فيما بلغه من يومه فقالوا والله يانجم ما لنا طاقة بهذه العساكر القادمة علينا والجمع الذى تجمع
فاسمع لنا ما نقول ودع عنك المحال ولا تتكل علينا فى نصب القتال ونحن قد بدا لنا أنك تزوجه بها من
وقتك واحفظ عليك حرمتك والا تنقطع أهلك وعشيرتك فعندها حار نجم فى أمره وقصته وتوقف عن
زواج ابنته وقد فاضت دموع حصن على وجنته لاجل انقطاع اخراجه ومسرته وقد زادت لذلك نيرانه
وحسراته

وحسراته فقال لحاله يامولاى اصبر على عشرة أيام من غير انكار حتى أريك ما أفعل بهذا الجبار ﴿قال الراوى﴾ ثم انه اعتد فى الحال وخرج فى مائة فارس ممن يحبوه من قومه وساروا يقطعون الارض حثيثا وتقريبا واشواقه تزداد جوى ولهبا حتى وصل الى الجبل الشامخ والطود البازخ الملك زهير بن جذيمه الذى له بين الملوك قدر وقيمه وهو بين قومه كأنه قيصر ملك الروم أو القمر بين النجوم فتقدم اليه وانشد مما أنشد مما عراه وقد زاد لهيبه وجواه وقد عرفه ابن الملك زهير مالك واخوته وسلموا عليه وأسكتوه من بكاه وسأله الملك زهير عن شكواه فشرح له حاله وأخبره بجميع ما جرى له فقال له الملك زهير أبشر ياولدى بكل خير وطب نفسا وقر عينا فنحن نعينك عليه ونقطع آثاره ونخرب ديار فقال له مالك أنا أسير معك برجال يرون الموت ألذ من شرب الراح وعناق الملاح هذا كله جرى وعنتر يسمع ويرى فقال لمالك ياسيدى كيف أخليك تفعل هذه الفعال وأنا أشتهى هذه الاحوال أم كيف أخليك تسير أنت وتركب مركب الخطر وبين يديك محبك عنتر فأنا أنوب عنك واسير مع هذا الغلام وابلغك اغراضك ما تريد من المرام واقتل عدوه ولو يكون كسرى صاحب الايوان وافرق جيوشه ولو انها عدد رمال الكثبان فضحك الملك زهير وتعجب مما اعطاه الله من قوة الجنان ثم انه قال لمالك سر أنت ياولدى لنصرة أخيك ويكون معك الف فارس وفى الجملة عنترا بو الفوارس يحميك من كل مدرع ولابس ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم روحوا الطعام ودار عليهم المدام فقال الملك زهير اليوم خمر وغدا لله الامر ✻ هذا ومالك ينفذ خلف الفرسان وينتخب الابطال والشجعان ويأمرهم باخذ الاهبة وانهم يستعدون وقد زاد الحصن فى الاكرام الى ان تقضى النهار واخذوا حظهم وبات حصن عندهم وهم لا يصدقون باصباح الصباح حتى انهم يسيرون فى تلك الربا والبطاح من خوفهم على اهل حصن وديارهم من الاعداء لانهم لا يعرفون ما جرى عليهم من بعده ✻ ولما مضى الليل ظهرت الفرسان من الخيام مثل سباع الآجام ثم ان مالكا ودع اخوته وودع عنترا مهزيبة وهى تبكى لوداعه وهو لا يعبأ بها لان قلبه متعلق بحب عبلة صباحا ومساء وهو يعلل نفسه بالعل وعسى ثم سار وشيبوب فى ركابه سائر قدام جماعته واصحابه وسارت فرسان بنى عبس وهم غائصون فى الحديد وهم على خيول عربية متقلدون بسيوف هندية معتقلون برماح خطيه ومالك راكب بينهم على جمرة قصيرة الركاب سريعة الذهاب وهو لابس ثوبا من الزرد معلم بالذهب وهو مثل القمر اذا اشرق وعنتر بجانبه مثل الاسد الهصور وشيبوب بين يديهما يقطع البيداء ولا يعبأ له عصب ولا يلم به تعب وهم يقطعون الآكام وحصن قد آلمه الهوى والغرام ومالك يسليه بالكلام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع برز ما أراده الله تعالى الملك العلام من القضاء والاحكام وما قضى بمشيئته وقدر وعنتر سائر بين ايديهم وهو يقول صلوا على الرسول

بشر الحصن فقد صحبت بمالك ✻ متعود خوض الوغى بالذابل ✻ سأرى لعساف بانى ضيغم
عند اللقا بشديد ضرب فاصل ✻ واكر فى الهيجا كأنى ضيغم ✻ يخشى حسامى كل قرم هائل
والموت فى يوم الوغى لى خادم ✻ وبصارمى الهندى أبيده قاتلى ✻ انا كالقضاء على الانام انا البلا
وانا المقسم العز وسط قبائلى ✻ نجمى علا بين السماء وهمتى ✻ أعيت ملوك العرب عند تجاول
صدر رحيب مع حسام قاطع ✻ من سطوتى خافت جميع محافل

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت له السادات وتعجبوا من همته وفصاحته ولم يزالوا سائرين وهم فى سيرهم مجدين ✻ قال ولما يريده الله تعالى من سعادة عنتر انه عدل عن الطريق وقصد الى واد عميق فنظر الى فارسين يتقاتلان وقد سطا أحدهما على الآخر فعرج عنتر عليهما حتى قرب منهما ونظر اليهما وصاح فيهما على مهلكما ياوجوه العرب وأخبرانى هل لقتالكما سبب فلما سمع الفارسان كلام

عنترا فترقا عن القتال وسار أحدهما اليه وقال لعنترا نا مستجير بك فأجرني ياهمام فقال له اطلعني أيها الغلام على جلية حالك واصدقني في مقالك فقال له ذلك الفارس اعلم ياأخا العرب اني انا وهذا الفارس اخوان من ام واب وكنا روحين في جسد ولا كان بيننا الا نكد وان اخي هذا هو الكبير وانا دونه وكان ابونا اميرا كبيرا يقال له الحارث ابن تبع سيد بني حمير وكان جدنا الاكبر تبع حسان ملك العصر والاوان سيدا على كل من نهى وامر وكان في بعض الايام عرض اموا له عليه وتأمل فيما حوته كفتا يديه من نوقه وجماله وكان له ناقة مليحة الصفات زائدة الحسن سريعة الحركات وكان مولعا بها مر دون الجمال ولما عرضوا عليه الجمال لم يرها مع الاموال فسأل عنها الرعيان فقال له بعض العبيد يامولاي انا اخبرك بما كان منها وذلك انها شردت يوما من المرعى فسرت خلفها في الطلب الى ان ابعدت في البر وقد تعبت ومللت فانحنيت الى الارض واخذت حجرا اسود على صفة الصوان وهو شديد اللمعان ورميت به الناقة فخاء في جنبها فخرق بطنها وخرج من الجانب الآخر فوقعت الناقة الى الارض وقد تبددت امعاؤها طولا وعرضا وماتت وبقي في جنبها خرق هائل المنظر والحجر بجانبها ملطخ بالدم فقال جدي للراعي سر قدامي وأرني الناقة والحجر فأخذه الراعي وسار حتى اراه اياها ميتة والحجر بجانبها فأخذ جدي الحجر وتميزه بخبرته فعرف انه صاعقة فأخذه وعاد وأحضر اهل الصناعة الجياد وأمرهم أن يصنعوا له ذلك الحجر سيفا قاطعا فأخذه بعضهم وصنعه صنعة محكمة وأتى به الى جدي فلما رآه أعجبه فخلع عليه فعند ذلك وصف الحداد ذلك السيف وقال

سيف حديد ماله من يغالبه ✲ مليح ولكن اين للسيف ضاربه

(قال الراوي) فلما سمع جدي ما قال الحداد اخذ السيف وضربه به فاطاح راسه عن بدنه وقال له أنا ضارب وأي ضارب ثم ان جدي ترك السيف في خزائنه وسماه الظامئ وما زال عنده الى ان شرب كاس الانتقال فورثه بعده ابي ولم يزل عنده الى ان احس بوفاته فدعاني اليه وقال لي ياولدي اني اخاف عليك من اخيك بعدي ان يحتاط بالسيف مع الاموال فقلت له يا ابي وكيف تكون حيلتي فقال خذ ياولدي هذا السيف وانكره من اخيك واذا انا قضيت نحبي وجار عليك أخوك فاذهب انت بهذا السيف الى من اردت من الملوك فانه يغنيك بسببه فأخذت ذلك السيف وخرجت به الى الصحراء في هذا المكان ودفنته ورجعت الى ابي وافت عنده حتى قضى نحبه فدفناه وبعد ذلك احتوى اخي هذا على ما كان من الملك والاموال وافتقد ذلك السيف فلم يجده فصعب عليه وزاد غضبه وقبضني من طوقي وجرد حسامه علي وسألني عنه فأنكرته فلم يصدقني واراد ان يقتلني فلما رايت منه ذلك اخبرته بما فعلت فقال لي احضره والا اقتلك فقلت له يا اخي اركب معي وانا اريك ثم انتشار كبنا واتينا الى ههنا وفتشت على السيف فتاه عني مكانه فخفت من اخي وقلت له والله ما عرفت له مكانا فقال لي انت تخفيه وتنكره مني وسل سيفه واراد قتلي فحميت عن نفسي حتى اشرفت أنت علينا وهذه قصتنا وانا فوضت امري اليك واحكم بيننا بما تريد حكم الموالي على العبيد (قال الراوي) فلما سمع عنتر كلام الغلام قال له انت مظلوم وحق الملك العلام ثم ان عنترا تقدم لاخيه وقال له لم ظلمت لاخيك وهو ابن امك وابيك فقال له يا ابن اللئام اي شيء لك الى هذا المقال وقد عول على ضرب عنتر بالحسام فاستقبله عنتر وطعنه في صدره فطلع الرمح يلمع من ظهره ✲ ثم ان عنترا قال للغلام عد الى حلتك واجلس مكان أخيك وانت في ذمامي وكل من تعرض لك اعلمني وانا أقصم ظهره فشكره الغلام وقبل يديه وقال له يامولاي بعد اخي ما بقي لي معاند ثم انه ودع عنترا وسار طالبا أهله ودياره هذا ما كان من أمر الغلام (وأما ما كان) من عنتر البطل الهمام فانه لما فارق ذلك الغلام نزل بريق الماء يغلس وهو متفكر في ذلك الامر وجعل يبحث في الارض بأنامله واذا قد ظهر له غمد سيف فجذبه واذا به سيف صقيل فسله فرآه حساما ماضي الشفرتين وانواره ساطعة ما ملك مثله الا كاسرة يكاد يقطع بلا وصول (قال الراوي)

ففرح

ففرح به عنتر واستبشر وعلم ان سعادته كل يوم تزداد فى النماء وان هذا السيف ساقه له رب السما من جملة النعماء وان جميع الناس تساق لها الآجال والارزاق ولا احد يتعدى ما قضاه الملك الخلاق فأخذه عنتر وهو مسلول حتى لحق مالك بن زهير وأخبره بما جرى له مع الغلام المخبول فتعجب مالك غاية العجب وقال له يا أبا الفوارس هذه تحفة أتحفك بها الرب القديم رب موسى وابراهيم ولا صنع هذا السيف الا لك ولا يليق الا لكفك ثم اجتمعت حوله الفرسان من بنى عبس وعدنان ونظروا ذلك السيف وتعجبوا منه ومن حسن لمعانه ثم ان عنتر تقلده وسماه الظامئ وبعد ذلك ساروا يقطعون الارض بسير حازم وعنتر فرحان بذلك السيف حتى قاربوا ديار بنى مازن وهم يهنون عنتر بما وصل اليه فعندها اشتد بحسن الحال وهاج عنده الشوق والبلبال فتقدم الى مالك وقال له اعلم يا أخى اننا قد قربنا من المنازل وقد هاجت بى الاشواق والبلابل ولا أدرى ما قد جرى من بعدى على الاهل والاقارب وأنا أريد الساعة أن أتقدم بين أيديكم وأكشف الحال وأنظر ان كان بنو عمى فى شدة أو قتال وأبشرهم بقدومكم وأحفظ الحريم والمال فعندها قال له مالك افعل ما بدا لك وها نحن سائرون خلفك على الاثر فاسرع أنت بالعجل فما يكون بيننا وبينك الا القليل فسار حصن بالمائة فارس الذين وصل بهم من حلته وفى قلبه النار حتى أشرف على الديار واذا بالصياح عال والصراخ نام والاصوات قد أرجفت القلوب وهى تدل على غالب ومغلوب والرجال فى قتال يشيب الاطفال فصاح حصن فى أصحابه وقال وا أسفاه لمكنت الرجال وفنيت الابطال ثم انه أطلق جواده وتجارت من خلفه الفرسان الى أن قربت الى الاوطان فأبصروا قبائل عساف وقد دارت بهم من كل مكان وأسرت جماعة من الفرسان وكان بنو مازن أخذوا أولادهم ونسوانهم وحفظوهم فى جبل يقال له أبان وثبتوا فى ذيل ذلك الجبل وهم يدافعون عن الحريم بشدة وامعان حتى أثخنوا بالجراح والنساء قد اكثرن عليهم الصياح ونشرن الشعور والذوائب وتهتكت البنات الكواعب هذا وعساف ينادى فى قومه يا ويلكم اسبوا النساء والبنات والحلائل من المضارب وكل ما تأخذونه من المال فهو لكم غنيمة وغنم وانا الآخذ من الجميع الا نعيمة بنت نجم (قال الراوى) فلما رأى حصن ذلك انزعج قلبه وفاض دمعه وجعل فيمن معه من الرجال ونادى يا مازن يا تميم وهجموا على ذلك الجمع العظيم فلما ابصرهم أهلهم وقد حملوا صاحوا عليهم صيحة الافراح وانقلب الجبل بالصياح ونزلت الرجال المقيمون وقد سلت الصفاح وشرعت الرماح وهانت عليهم المصائب وحملوا على تلك الكتائب وحين حمل حصن جعل يقاتل ويخترق المصاف ويطلب خصمه عساف ليوقع به أشد الاتلاف لان فى قلبه منه نارا لا تطفا ولهيبا لا يخفى وكان قد عرفه لما سمعه ينادى بذلك النداء وهو يحرض الفرسان على سبى النسوان فقصده حصن وقرب اليه ونادى يا عساف خاب والله أملك يا عادم الانصاف وستلاقى شؤم عملك بلا خلاف (قال الراوى) فلما سمع عساف كلام حصن اسودت الدنيا فى عينيه وصاح عليه بصوت يفلق الحجر وقال له دونك والقتال يا ابن الجحاف الانذال وأخبرنى من تكون أنت من الفرسان وما الذى أتى بك الى هذا المكان فقال له ويلك أنا حصن عبد نعيمة ذات العيون الحسان وقد أتيتك بسيوف حداد ورماح مداد ورجال شداد من بنى عبس وبنى قراد يسقونك كأس المنايا فان أجلك قد حان ويحلون بجموعك الرزايا وبلاء الامتحان فلما سمع عساف من حصن ذلك المقال زاد به الغضب والبلبال وقال له ويلك يا ابن الملعونة أأنا ممن يفزع من بنى عبس أو غيرهم من الرجال ثم حمل عليه وصدمه صدمة تهد الجبال وتقصر الاعمار الطوال واشتد بينهم القتال وعظمت الاهوال هذا وخيل اليمن قد ملأت الفضاء وحملوا على بنى مازن فردوهم الى الجبل وقتلوا من أصحابهم خمسين بطل (قال الراوى) ثم ان حصنا لما رأى ما حل بأصحابه رجع الى ورائه وخاف أن يحل به ما حل برفقائه هذا وعساف قد ضايق حصنا

تحت الغبار وقد قلل منه الجلد والاصطبار الا أنه صار يظهر الجلد ويخفى الكمد ولم يزل على ذلك الحال الى أن قاربت روحه التلاق وزاد به الاحتراق وأيقنت نفسه بالفراق واذا بفرسان بنى عبس قد أقبلت كأنها العقبان على خيول أخف من الغزلان وعنتر قدام الخيل يحكى سواد الليل والابجر من تحته يتدفق وهو مثل البرق اذا برق وهو يذكر أمه زبيبة على ركوب الاخطار وكثرة الاسفار وهو يترنم بهذه الاشعار صلوا على النبى المختار

تخوفنى زبيبة بالكلام * من الاقدام فى يوم الزحام * تخاف على أن ألقى حمامى
بطعن الرمح أو ضرب الحسام * اخوض النقع فى بحر المنايا * وأرجع سالما والبحر طامى
أيخشى الموت مولود صغير * ويلقى حتفه قبل الفطام * فلا أرضى بمنقصة وذل *
وأقنع بالقليل من الحطام * فعش فى العز والاقبال يوما * ولا تعشن ذليلا ألف عام
واسمى عنتر ابنى قراد * وشداد أبى حامى الذمام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ورأى دائرة الحرب واقعة فى بنى مازن ورأى عساف اضايق حصنا وقد أشرف على الهلاك فعند ذلك حمل عنتر وصاح على الابجر فخرج من تحته كأنه البرق الخاطف وهجم على الخيل هذا والامير مالك بن الملك زهير قد فرق الفرسان فى سائر الجهات ونادى فى عساكر عساف برق الشتات وقد انفصل البراز بين حصن وعساف وعاشت أرواح بنى مازن بعد التلاف وأضرمت نار الحرب وزاد الطعن والضرب وتمددت الرجال فى وسيع الارض وقد حقت الحقائق وعمل السيف فى المفارق وزاد القلق وكثر الخنق وجرى الدم واندفق وسلت السيوف وقطعت الرؤس وكان يوما عبوس هذا وعنتر قد فرق الكتائب ونثر الجماجم واتسع المجال وظهرت الاهوال ونظرت اهل اليمن شيأ ما كان لها على بال (قال الراوى) وبينما عنتر يجول وعلى الابطال يصول واذا بصوت مالك بن الملك زهير وهو ينادى يا أبا الفوارس الحقنى قبل الهلاك فقد حل بى الارتباك وكان مالك قد حمل فى مقابلة العساكر وغاص فى الدساكر فالتقى بعساف وقد قاتله فرأى منه حربا أكيدا فاضايق مالك ونادى يا أبا الفوارس فأدركه عنتر ولما لحقه رأى عسافا ظافرا على مالك بن زهير ففاجأه عنتر وحمل عليه وأراد عساف أن يجول مع عنتر واذا بأبى الفوارس تأخر عنه وتعطى فى رمحه وطعنه فقلبه وعن مركوبه كركبه فلما رأى نوعه الى ما فعل به عنتر حملوا عليه كالسيل اذا انحدر لانهم كانوا قد احتقروه بالنظر ولما رأوه قد قتل عسافا بلا توان طلبه الفرسان من كل مكان ولما قاربوه تلقاهم بقلب أقوى من الحجر وجنان مثل تيار البحر اذا زخر فعند ذلك حملت الخيل على الخيل وانعقد عليهم الغبار كسواد الليل وقل منهم الجلد والحيل ونزل بهم الذل والويل واشتد القتال وطاب النزال وعملت النصول وبعث ملك الموت الى قبض الارواح رسول * هذا وشيوب مع عنتر لا يفارقه بل يرمى من حوله بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وعنتر يهيج فيهم كالاسد الرئبال وقاتل مالك أحسن قتال وغرق بأصحابه فى تلك الاهوال حتى ملك أبطالهم وجندل رجالهم لان صوته كان مثل الرعد القاصف فما سمعه انسان الا وصار منه خائف * هذا وعنتر تذكر صياح مالك حين استغاث به فى ذلك اليوم المهول فأنشد يقول صلوا على الرسول

اذا كانت الابطال بالبيض افرطوا * وعادت رقاب الخيل بالدم تنقط
فناد ألا يا عنتر الخيل والقنا * يجيبك من سيفى البلاء المسلط
بطعن يشيب الطفل من عظم هوله * ويرجع عنه بالمشيئة أشمط
وترتعد الاجساد عند برازه * وتخفى له الاصوات ان هو يسقط
وتعنو له الابطال فى الحرب ذلة * وتبسط أيد للرضا حين يسخط

(قال

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره دارت به سادات بنى مازن بعد ما فرق الاعداء فى الميدان لانهم رأوا من عنتر ضربا يهد الجبال فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وركب كل واحد منهم هواه وهرب فى الفلاه فغنمت بنو عبس وبنو مازن خيلهم وأسلابهم ورجعوا والفرح عليهم قد نزل حتى وصلوا الى الجبل ونزلوا به وقد زال عنهم الخوف والوجل فلما أصبح الصباح نحرت بنو مازن النوق السمان والاغنام والفصلان وكان أكثر فرحهم بمالك وعنتر أبى الفرسان وأقاموا على ذلك الحال سبعة ايام وفى اليوم الثامن دخل حصن على زوجته وقد كملت فرحته ودامت مسرته ولما صفت القلوب ولم يبق لبنى مازن عدو فى تلك الارض طلب مالك بن زهير الرحيل فصعب على بنى مازن رحيلهم وفراقهم وخرجوا لوداعهم فرحل مالك وبنو عبس وهم طالبون الديار وركب بنو مازن لوداعهم ذلك النهار ولم يزل مالك بن الملك زهير هو وبنو عبس سائرين وعنتر سائر معهم وهو لا يصدق بالوصول حتى يرى مقام عبلة التى هى غاية المأمول وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى ماء يقال له المنهل فنزلوا هناك وقد هبت عليهم أرياح أرض الشربة فتنشق عنتر تلك الارياح وتذكر عبلة ست الملاح فنطق لسانه بالشعر وباح وأنشد يقول صلوا على النبى الرسول

غرامى الى عبلة زائد * جفوت المنام من الاشتياق

وقلبى من البعد فى لاعج * وقد ساء حالى بطول الفراق * ترى بعد تودیعها فى الدجا
أراها وأحظى بيوم التلاق * وانى لعبلة عبد الهوى * وعبد بنى عبس مادمت باق
تركنى الغرام حليف السقام * أنام ستهام بذاك الفراق * الا يا عبلة لو تنظرين
لضرب الفوارس اذ لا يطاق * سلامى عليك بعز وشوق * وانى مدى الدهر فى الحب راق

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره طرب مالك لنظمه وكذلك فرسان بنى عبس وقال له مالك يا أبا الفوارس انك لنعم الرفيق والخل والصديق وان زعمت انك من العبيد فما أنت عندنا الا أعلى الفرسان الصناديد وأنت لنا عدة عند كل شدة ولا تحسب انك عندنا قليل بل أنت سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام من مالك ترجل وقبل قدميه فقبل مالك رأسه وبين عينيه ثم قال عنتر لمالك يا مولاى همتك هى التى رقتنى الى هذه المنزلة عند الناس ولولاها ما ارتفع لى عند الفرسان راس فلا زلت الدهر مسعودا وموصوفا بطول الحياة والبقاء والانفاس ثم قبل قدميه مرة ثانية وعاد الى ظهر الجواد وقد سر منه القلب والفؤاد ثم سار واطالبين الديار وعنتر لا يصدق بالوصول شوقا منه الى عبلة وقد اقلقته الفكر ولا بقى له عنها مصطبر * هذا ومالك يحدثه ويسليه وبأنواع الآمال يمنيه ولم يزالوا على هذه الوسيلة الى ان بقى بينهم وبين الحى ليلة * فهذا ما جرى لهؤلاء من الاخبار (واما ما كان) من بنى عبس المقيمين فى الديار فانهم كانوا لهذه السرية فى الانتظار لا سيما الملك زهير فانه كان فى قلق لاجل ولده وكذلك كل من كان له اخ او قريب الا عنتر فانه كان حساده اكثر من محبيه لما قد نال من الفروسية والرفعة العلية بعد الرق والعبودية لا سيما عمه مالك ابو عبلة فانه كان يشتهى ان لا يرجع لانه قد هتك بنته بذكرها فى اشعاره وقد صار لعبلة حديث فى سائر الاماكن والجهات وصارت الرجال تقصد بنى عبس فى الولائم والمسرات كى ينظروا عبلة ذات المحاسن الفائقات * قال وكان للربيع اخ يقال له عمارة ويلقب بالوهاب وكان حسن الشباب معجبا بنفسه غاية الاعجاب وانه لما سمع عن عبلة هذه الصفات وطرق سمعه ما جرى من حديث عنتر معها الذى انتشر فى سائر الجهات فاشتغل بعبلة قلبه وفؤاده وطار عنه نومه ورقاده فعند ذلك استدعى بدابته واطلعها على قصته وقال لها اريد ان تمضى الى بيت مالك بن قراد وتنظرى عبلة وتتحدثى معها وتأتينى بخبرها وتنظرى ان كان تصلح لمثلى ام لا وهل عنتر صادق فيما قال فيها من الشعر والنظام فهضت الدابة الى ام عبلة فى هيئة زائرة فاستقبلتها احسن استقبال وتحدثت معها وصارت تهزل فى كلامها

وتنظر عبلة وتبصر ما كساها الله من الجمال والحسن والدلال وحققت النظر فيها من راسها الى قدميها ثم مازحتها ولعبت معها فسمعت من مزاحها سائر الدلال مع الادب والكمال ثم عادت الى عمارة وهى لا تدرى اى شئ تصف فى عبلة ولم تزل سائرة حتى دخلت عليه وسمعها وهى تقول سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك وأحسن صنعتك فقال لها عمارة أى شئ استعظمتيه حتى تتعجبى منه وما تريدين من هذا المقال فقالت يا مولاى عجبا لهذه الجارية وما قد أعطاها الله من الجمال والفصاحة وحلاوة المقال وقد كنت أغتاظ من عنتر كلما سمعته يصفها فلما ان نظرتها علمت انه والله ما أنصفها لانى لما نظرتها حرت من حسنها ولين أعطافها وثقل أردافها وسواد شعرها المسبل على أردافها ومن الرأى عندى أيها السيد أن تبادر الى خطبتها وأعطاها كل ما يريد لعلك تحظى بذلك الجمال الفريد (قال الراوى) فلما سمع عمارة ذلك المقال والوصف فى ذات الدلال زاد التهابه وعظم مصابه وقام من وقته وساعته ولبس أفخر ثيابه وتطيب وأسبل شعره على اكتافه ثم ركب فى جماعة من العبيد فلقى مالكا وولده عمرا وهما راجعان من الصحراء فمال اليهما فأرادا أن يترجلا اليه فاقسم عليهما أن لا يفعلا ثم قال لمالك يا عم ارجع معى على سبيل الفرجة فان لى اليك حاجة وأريد أقولها لك سرا بينى وبينك حتى لا يعلم بها أحد فقال مالك يا سيد العرب لم لا أرسلت الى وأنا آتيك وقد أتعبت نفسك وتعنيت وتبعتنا الى هذا المكان فقال له جزاك الله خيرا ولكن الامر الذى أريد أن أعرفك به يستوجب السعى اليك لانى أريد القرب من جنابك والصيانة لحريمك والقمع لغريمك وقطع جميع اعدائك وقد جئتك خاطبا وفى كريمتك راغبا وأنا ما فعلت هذه الفعال الا لكى اتمن عليك وعليها من هذا العبد الذى أفشى أمرها فى شعره بين جميع الرجال وما فعلت ذلك الا رغبة فى مواصلتك لانى قد رأيتك شديد الغيرة عظيم النخوة وأكون أنا واخوتى اليك ذخيرة ومازال عمارة على مثل هذا الحال ومالك أبو عبلة يتقدم فى رأيه لما فى قلبه من عنتر ويتأخر لكونه فضح ابنته بين البدو والحضر مما نظم فى وصفها وما نثر ومن كثرة بغضه لعنتر وشدة حبه لبنى زياد قال لعمارة أيها السيد ان بنتى لك امة وهى هدية اليك تحضر وهى لك من بعض العبيد والجوارى وانى قد زوجتها لك ثم أعطاه يد وصافحه وزوجه بعبلة وعاهده وعادوا الى الحى وعمارة بهلاك عنتر بعده ثم افترقا وسار عمارة الى بيته واعلم أخاه الربيع بما قد حصل بينه وبين مالك فقال الربيع والله أنا ما أرضى لك بذلك ولا يطيب على قلبى مصاهرتك لبنى قراد وبعد ذلك ان كنت تريد هذا الامر ولا بد لك منه فانجزه قبل أن يجىء عنتر وبعد ذلك فاحذره فانه والله شيطان لا يرام وبطل ضرغام وهو يحب عبلة مستهام فقال عمارة ومن هو يا أخى عنتر أو بنو قراد حتى يعارضوا مثلى وأنا لى مثل عنتر ألف خادم شداد ثم انه بات تلك الليلة وهو قرير العين ونوى انه عند الصباح يرسل المهر بلا مين (قال الراوى) فلما كان عند الصباح قدم مالك بن زهير وعنتر وبنو عبس من ديار بنى مازن ومعهم الهدايا والانعام فالتقى المقيمون بالقادمين وكان لقدومهم يوم عظيم وفرح الملك زهير بقدوم ولده مالك وفرح أيضا بعنتر ثم ان الملك زهير سأل ولده عن حالة السفر فحدثه بالحال وما قد فعل عنتر وكيف قتل عساف وفرق الكتائب فى سائر الاطراف وأعاد عليه الحديث من أوله الى آخره فلما سمع زهير هذا المقال استبشر بما فعل عنتر وقال ما عنتر لهذه القبيلة الا حصن مشيد فهذا ما كان من الملك زهير وولده (وأما ما كان) من عنتر فانه لما وصل الى أبيات أبيه وأعمامه فبالترحيب تلقوه وبالسلامة هنوه وفرحوا به غاية الفرح الا عمه مالك فانه بخلاف ذلك لان له فى قلبه بغضا وقد فرق عنتر جميع ما حصل له من المال فشكره جميع النساء والرجال على تلك الفعال وبعد ذلك دخل على أمه زبيبة وهى لا تصدق ان تراه سالما ففرحت به غاية الفرح وكانت زبيبة قد علمت بزواج عبلة لعمارة فلم تعلم ولدها عنتر حتى انه اطمأن واستراح ودخل الليل وخلا المكان وقد توسد للمنام وكانت

عند

عند رأسه تحادثه فعند ذلك سألها عن عبلة فقالت له يا ولدى دع عنك هذا الكلام من ذكر عبلة ولا عدت تذكرها أبدا لانك ما بقيت تنظرها لان أباها بعمارة قد زوجها وما بقى الا المهر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك المقال أخذه الانذهال وتغيرت منه الاحوال وكان نائما فقعد وزاد به الوجد والكمد وكاد أن يغشى عليه ثم قال لها يا أماه ويلك ومن هو الذى يقدر أن يتزوجها من الملك زهير فقالت له يا بنى عمك رغب فى بنى زياد لكثرة مالهم وأما عبلة فانها قالت لو قطعنى أبى ارب ما أنا مطاوعة له على ما يريد من هذا النسب فلما سمع عنتر ذلك المقال كره الحياة وطلب الموت والوفاة وقال وحق من سطح الغبرة ورفع السماء بالقدرة وعظم الكعبة الغرا وعلى العوش استوى لئن تعرض عمارة لعبلة لاقتلنه ولو أنه فى جحر كسرى فعند ذلك قال له أخوه شيبوب أنا أمضى اليه فى هذه الساعة وأذبحه ولم يكن لاحد به فكر فقال له عنتر لا يا أخى اصبر على حتى أمضى الى الملك زهير واجتمع بصديقى مالك وأقول له على ذلك المقال ثم انه بات تلك الليلة وماذاق فيها لذيذ الرقاد بل قضاها بالسهر والتعداد ولم يزل فى بكاء ونواح حتى طلع الصباح فشد له شيبوب الابجر فركب عنتر وسار الى أبيات مالك بن الملك زهير ولما وصل اليه ترجل وقبل يديه فترحب به وسأله عن حاله فقال له يا مولاى هذه الليلة ما ذقت فيها المنام ولا أكلت ولا شربت المدام وكنت كما قال

عبيدك يا سيدى قد أتى * من النار فى مهجتى قادحه
وسهران بت وغاب الكرى * ولا انطبق الجفن مذ البارحه

﴿قال الراوى﴾ فقال له مالك يا أبا الفوارس ما معنى هذا الكلام فحدثه عنتر بحديث عمارة وما قالت له أمه عليه ثم قال ومع هذا قد عول على قتلى وأن يسقينى كأس منيتى وقد ترجح عندى أن ابدأه به وأركب معه الخطر وأتركه عبرة لمن اعتبر ولا أعيش تحت خوف ولا حذر فقال له مالك بن زهير وقد صعب هذا الامر عليه واشتد هوله لديه والله يا أبا الفوارس لقد خاب أمل عمارة وقد خسر عملك فى هذه التجارة ومادام هذا الامر قد بلغ هذا الحد ولم يزل فى ازدياد فأنا أتولاه وأرد عنك كيد بنى زياد وأدفع عنك جميع الاعداء والحساد والا خرجت عبلة من يدك وتولد من هذا فى القبيلة فساد فطب نفسا وقر عينا واصبر على ما تجد من هذه الكرب حتى انى اعلم اباك واسأله ان يلحقك بالنسب فان فعل ذلك خاطبنا عمك مالكا أبا عبلة فى الحال وضمنا له ما يريد من المال ونقول له ان عنتر أحق ببنت عمه من سائر فرسان العرب وأسأل ابى ان يعاوننا على ذلك ونأخذها لك بكل وجه وسبب وان لم يقبل سؤالى فى الحاقك بالنسب ولم يجعل لكلامى قيمة ولا تأثيرا بين سادات العرب فأنا أطلب عبلة لنفسى واسعى عليها فينقطع طمع عمارة وغيره عنها وغاطل عمك بما نجعله له من المهر ونحو وجه أن لا يزوجها طول الدهر الى أن نمل ويكل وعقدتك بالصبر تحل ولابد أن يلحقك أبوك بالنسب وتأتى لك الايام بما لا يكون فى الحساب بلا سبب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا الكلام زال عنه بعض ما يجده من الغرام وقال لمالك لاعدمتك يا سيدى وبلغت ما تريد ولا تزال منزلتك كل يوم فى مزيد ويجعل الله لك الايام على ما تشتهى وتريد ثم سار بجانبه والخدم بين أيديهم ومن خلفهم الى أن وصلوا الى أبيات الملك زهير فوجدوا عنده سادات العرب فوقف عنتر فى الخدمة الى ان أمره الملك زهير بالتقدم فعندها تقدم عنتر اليه فتبسم الملك زهير فى وجهه وقربه وسأله عن أخباره وما جرى له فى أسفاره فأخبره بحاله وما جرى له فى سفرته وأخبره بحديث السيف وكيف رآه مدفونا ثم سله وهزه فتعجب منه ورده الى غلافه وقال له يا عنتر هذا أيضا من تمام السعادة وقد ساقه اليك رب الارادة لان الرب القديم اذا أراد سعادة انسان فتح فى وجهه باب الاحسان فقبل عنتر رجله فى الركاب وسأله أن يقبله منه هدية الاحباب فقال له زهير بل هو لكفك أليق وكونه معك أوفق لانه لك مصنع ولو ضرب به

غبرك لما قطع ثم ان الملك زهير سار هو ومن معه طالبين الغدران وكانت هذه سنة العرب أن الملك كل يوم يركب ويسير حول الاحياء ويتفرج فى أقطار الفلاة ويشرف حول المراعى هو ومن معه فى ذلك الفلا وأن الملك زهير خرج ذلك اليوم على حاله وقد لحقت به فرسان الحى من بنى عبس وبنى زياد وبنى قراد وكان عمارة فى ذلك اليوم بجانب مالك بن قراد وسار معه أخوه شداد ولبس عمارة أفخر ثيابه وأكثر الطيب فى أعطافه وأسبل شعره على اكتافه قال فرآه عنتر ذلك اليوم على هذا الحال فزاد به البلبال وأضرمت نيرانه وزاد اشتغاله فصبر على ذلك الحال وقد تعلقت منه بوعد مالك الآمال * قال ولما أشرف الملك زهير على المراعى رأى أمواله وجميع عبيده وهو يتحدث مع أولاده وجنوده حتى حمى الحر وتوقدت الارض بالنيران فعاد يطلب المنازل والاطلال ولما وصل تفرقت من حوله الابطال وطلب كل واحد مضاربه فقال مالك بن زهير لعنتر سر أنت وحدك الى بيتى حتى انى أتحدث مع أبيك وأسمع ما يقول وأعود اليك ثم انه انفرد عن عنتر ولحق أباه شداد وسلم عليه وباسطه فى الكلام وشداد يدعوله ويقول له يا مولاى ما أنا الا عبد نعمتك ومن جملة خدمك فقال له مالك يا شداد الى متى تمنع ولدك ولا تعطف عليه وأنت تمنعه من حقه وكل القبائل تحسدك عليه وعلى رزقه أتظن أن فى العرب أحدا مثله وهل يوجد من يقف قدامه أو يجرد حسامه ومع هذا فان العرب قد شهد والك أنه ولدك فاسمع كلامى وألحقه بنسبك حتى انى أعمل وليمة وأجمع فيها سادات العرب لترفع رأسه من رق العبودية بين الرجال وتنظر ما يفعل معك فى مجازاة هذه الفعال فقال شداد وقد بان فى وجهه الغيظ يا مالك ومن فعل هذا قبلى من الفرسان أتريد أن تحط قدرى بين السادات وتجعلنى بين القبائل حديثا الى الممات ويقال عنى ان شدادا اقتنص أمة سوداء بشهوة النكاح وأتاه منها ولد بالسفاح فأعده من نسله وجعله له رقيبا حتى يعتز بسيفه حين خرج عبدا نجيبا وهذه سنة قبيحة وافشاؤها بين العرب فضيحة فقال مالك يا شداد ومن له ولد مثل هذا وذمة العرب ما على وجه الارض من حر ولا عربية ولدت مثل ولدك والرأى عندى انك تسن هذه السنة فى العرب وتجعلهم لك تبعا لان الفضائل الحميدة تشكر ان لم تكن بدعة ولا منكر وهل المرأة الا وعاء للرجل يسترد منها ما بذر وما هى الا بمنزلة ظرف يخبأ فيه العسل واذا أخذه منه يرمى الظرف ولا يستعمل فقال شداد والله يا مالك ان ضرب الحراب عندى أهون من هذا الجواب وأريد من احسانك ان تمهل على حتى انى انظر فى قصتى وأشاور أهلى واخوتى ﴿قال الراوى﴾ ثم عاد مالك من عنده بلا فائدة وقد هانت نفسه عنده وعلم أنه قد بلى بقوم غير كرام وقد ضاع مع شداد ما قاله من الكلام وقال والله لو عمل عنتر مهما عمل لا يلام ثم انه عاد الى بيته فوجد عنترا جالسا يتقلى فى حسرته فقص مالك عليه القصة وأخبره بما كان ففاضت دموعه على خديه من الاجفان وقد تحسر وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لاركبت على حصان ولا حضرت ضربا ولا طعان ولا أقمت بعدها فى أوطان ولا صبرت على ذل وهوان ولابد أن أكافئ كل أحد بما فعل فى حقى وما منه كان ولا أريد أبا ولا أعمام ولا أجعل لى قريبا وصاحبا ومعينا الا هذا الحسام والانفراد بهذا الرمح المعتدل القوام فقال له مالك ابن الملك زهير أترحل من الديار وأنا موجود والله لارغمن أنف جميع أعداك وأبلغك مناك وأجعل روحى فداك وبعد ذلك أمر باحضار ما راج من الطعام وما راق من المدام ثم قضوا مع بعضهم باقى النهار بمناشدة الاشعار ومحادثة الاخبار وما جرى للعشاق من الهجران والاعذار ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن غسق الظلام وطلع نجم سهيل ودام ﴿قال الراوى﴾ وكان عمارة بن زياد تلك الليلة عند مالك بن قراد فى دعوته وقد نحر له وعقر ونا وله من العقار كاسات وطابت بينهما المسرات والاوقات وتقرب هو وولده بالخدمة اليه وهم يتشاورون فى أمر عبلة ومتى يكون دخولها عليه لانه لم يكن بعد الملك زهير وأولاده من

يليق

يليق للامارة من بني زياد الا الربيع وعمارة وطائفة من بني قراد وهي أشجع من الطائفتين الباقيتين لان الثلاثة كما قدمنا وان كانوا أولاد عم لكن الشجاعة والبراعة والجود والحسب لبني قراد ذوي الهمة والعزم قال وما خرج عمارة من بيوت بني قراد حتى أضاء الفجر وأقبل الصباح وسار يطلب بيته وهو ميل من الراح ﴿قال الراوي﴾ فعندها التقى بعنتر وهو عائد من بيت مالك بن زهير وقد وعده بنيل أمله وكل خير وشيوب عشى قدامه وهو طالب بيت أبيه وأعمامه وكان حول عمارة جماعة من العبيد وقد نال من أبي عبلة ما يريد حيث جاءه متئدا للاورغبه بالاموال والخير المزيد وأبو عبلة غره كونه من المتصفين بعزة الحسب والنسب لكونه واقاربه من أصحاب الشهرة بين سادات العرب فلما رآه عمارة قال له أين كنت ايها رحة يا ابن زبيبة وأنا كنت عند مواليك في أكل الطعام وشرب المدام وكنت انتظرك بين العبيد فما وقعت عيني عليك ولو رأيتك لخلعت عليك لان ساداتك ما قصروا فينا ولا طلعت من عندهم الا وأنا لهم شاكر لما فعلوا معي من الاكرام فلو كنت انت حاضرا كنت أجلستك معي على الشراب فقال له عنتر وقد أخفى الكمد اعلم أيها السيد أني لا آخذ منك الخلعة ولا أستاهلها ولا اطاوعك على الامور كلها الا ان زفت عليك مولاتي عبلة فعند ذلك آخذها وأتي عليك عند كل أحد ولكن يا عمارة لا خلعن رقبتك من بين كتفيك ويكون هذا أشأم الاعراس عليك وأجعلك عبرة لمن اعتبر بين الخلق والبشر ويلك يا عمارة أضاقت عليك الدنيا حتى زاحمتني على محبوبتي عبلة وتزوجت بها وتريد ان تظهر سطوتك علي وتفتخر بها وتريد أن تأخذ روحي التي أعيش بها أما علمت يا عمارة اني هائم بها ليلا ونهارا أما سمعت ما قلت فيها من الاشعار الذي سارت بها الركبان والسفار في سائر الاقطار فوالله يا عمارة لاحرمنك شم الهواء وأخلي منك هذه الديار وأقطع منك الآثار ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عمارة ذلك المقال أخذه الانذهال وقال ويلك يا عبد السوء أي شئ هذا الحديث والهذيان أأنت نائم أم خالط عقلك خمر الدنان على اني سمعت عنك أكبر من هذا الكلام وذلك من حماقتك فانك ساعة تطلب لنفسك النسب وساعة تطلب بنات العرب والله يا ابن الملعونة المنتنة الابطين لئن رجعت وذكرت عبلة بين العرب أو طلبت من ابيك الحسب والنسب لعلوت بهذا الحسام رأسك وأخمدت أنفاسك وأعجل حتفك وأرغم أنفك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وهان عليه عند ذلك شرب كأس الحمام وقال يا عمارة لابد أن تبصر من منايا شرب كأسه وتقلع عيناه ويقطع رأسه واعلم يا عمارة يا ارذل ذوي الامارة انك لا تقدر ان تضرب كلبا ولا تهينه لدى مضربي والخيام ولولا ان بيننا حرمة النسب لعلوت رأسك بهذا الحسام فلما سمع عمارة ذلك زادت به الفكر وجرد سيفه وهجم به على عنتر وهو يقول يا ولد الزنا تو بختي وتشتمني وتتطاول علي بالكلام وانت اقل من عبيدي واحقر لا كنت ولا مثلك كان ولا عمرت بك اوطان ثم انه طلبه ليقتله فسل عنتر ايضا حسامه وقابله وهجم عليه وصار قدامه وصار يمانعه ورفع يده عليه واراد ان يوصل الاذية اليه فصاحت العبيد عليه وصاح ايضا شيوب ودخل بين الاثنين وخاف عليهما في عاقبة الامور من نزول البين ودفع عبيد عمارة عنترا في صدره وصار عنتر واقفا متحيرا في امره وقالوا له يا عنتر لقد غرك عجبك حتى انك على مواليك يأتي شرك لا بورك فيك والعزى تشنيك ثم وقع الصياح في بيوت بني قراد فخرجوا من الخيام وهي اوائلهم شداد ومالك وولده عمرو وزخمة الجواد واتوا مسرعين والى الصياح مبادرين ولما وصلوا اليهم فرقوا بينهم وعظموا قدر عمارة وصاحوا بعنتر وتقدم مالك الى عنتر ولطمه على راسه وقال له يا ابن امة الخنا أبلغ من قدرك ان تضاهي السادات الكرام وتقاوم ذوي الامارة الفخام ياويلك ارجع الى رعي الجمال * هذا وعمارة يقول والله يا ابن زبيبة لئن لقيتك في مكان خال خارج عن الحمى لاخضبن جسدك بالدما ﴿قال الراوي﴾ ولما نظر العبيد الى مالك وقد لطم

عنترا على راسه طمعوا فيه وسطوا عليه بالعصى والحجارة وطلبوه من سائر الجهات فأشرف منهم على الهلاك ولم يمانع عنه الا اخوه شيبوب فانه جعل يتلقى عنه البلاء المصبوب * هذا وعنتر باهت حائر من الحياء والخجل وهو لا يدرى اى شئ يعمل ووصل الخبر الى مالك بن الملك زهير فاسرع الى عنتر والسيف فى يده قد بان واقبل وخلفه جماعة من العبيد وقدامه جماعة من الغلمان وهم يزأرون مثل الاسود وفى يد كل واحد منهم عمود ثم تقدم مالك وصاح فى عنتر ونهره وقال له ياطخيير لم لا تبذل فى هؤلاء سيفك ياويلك أتظن ان لك عندهم مقاما فقال له عنتر مولاى وما تريد ان افعل أفأمد يدى الى موالى لا فعلت ذلك ابدا ولو نهبوا جسدى باطراف القنا وسقونى كؤس الردى (قال الراوى) وكان عنتر قد نظر الى مالك وهو آت حافى الاقدام متوشح بملحفة المنام لانه لما اتاه الخبر كان طالبا أن ينام ولما رآه عنتر اتى على هذه الحالة جعل يقبل اقدامه ويقول له يامولاى قد زعجوا خاطرك على مع انى بالنسبة لانزعاج مزاجك لا اساوى شيأ فلا تظن ان وقوفى عن قتالهم خوفا وحذرا من العدد لا وذمة العرب بل لكونهم سادات بنى عبس وقراد وز ياداهل الحسب والنسب وعلى كل هم اولياء نعمتى بالشر والخير خصوصا وقد شملهم انظار سيدى الملك زهير فكيف يكون لى وجه ان اوقع بهم الهم والضير ولو لم يكونوا من قومى وعشيرتى ما ابقيت منهم احدا ثم انه حدثه بما جرى له مع عمارة وكيف قامت هذه الغارة ثم انه جعل يقبل ايادى مالك ويثنى عليه ويشكره وصار يمدحه بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

انت المجير ومفنى الدار عين اذا * ثار الهجاج على الهندى تعتمد * الخائض الغمرات المهلكات اذا
ولى الجبان ونار الحرب تتقد * ياسيدى انت لى حصن ألوذ به * من الاعادى وشكرى ماله عدد
يا كاشف الكرب عنى بالسيوف اذا * جاءت عبيد زيادى لهم مدد

(قال الراوى) فلما سمع مالك من عنتر شعره شكره ولكن شق عليه ذلك لما راى الفتنة قائمة وقد انقلب الحى بفرسانه وثارت مشايخه مع شبانه وثارت عبيده بنسوانه وقد بلغ الخبر الى الربيع وقالوا له ادرك اخاك والا اهلكه عنتر فعند ذلك ركب الربيع فى سائر اخوته ومن يعز عليه من عشيرته واتى وله زمجرة وقال ما اردت ان يتعرض اخى لهذا العبد ابن الامة وانا قد نهيته مرارا فما قبل منى وقد اهان نفسه مع هذا العبد وفعل هذه الفعال ثم انه حرك جواده الى ان اتى الى مكان الوقعة فراى اخاه يحرض العبيد على قتل عنتر لاجل ان يسقوه كأس حمامه * هذا وعنتر يصيح فيهم ويردهم وعبيد مالك بن زهير قد قتلوا ثلاثة منهم وقتل من عبيد بنى قراد ثلاثة وقتل شيبوب عبد بن لبنى زياده من الصناديد لانه استظهر عليهما بقوة قلبه من اخيه واعتز وقوى بقدوم مالك بن زهير ولما رأى الربيع ذلك صعب عليه وتحير وكان السيف فى يده مشهر فهمهم وقصد عنترا واراد ان ينزل به العبر وهو يقول بلغت رتبة العبيد ان تضاهى السادات الا ماجد وان يتطاولوا عليهم فى الكلام ويشهروا فى وجوههم الحسام ثم قال يلزمنا ان نسقى كأس الحمام لهذا العبد ولد الزنا ابن اللئام والله لاقتلنه وابلغ بقتله المرام (قال الراوى) وكان عنتر واقفا ينتظر وهو راكب على ظهر الابجر وسيفه الظامى فى يده مشهر واقام ينتظر ماذا يكون من امرهم ويعتبر (قال الراوى) ثم ان مالك بن زهير امر بجواده وركبه ولبس ثوابه وعدة جلاده لما راى الربيع طالبا عنتر ومعولا على ان يضربه صاح فيه فأرعبه وقال له يا ربيع لا تكن مثل اخيك رقيع والا وحق رب السماء تركت الخيل اليوم تجول فى الدماء ثم انه تقدم ليقاتله وتأهب عنترا يضا للقتال وقد حدثته نفسه ان يبذل فيهم الحسام واذا بالملك زهير قد اقبل فى جماعة من اولاده وفرسانه واجناده واتى وهو يركض بالجواد بين الفرسان وهم يصيحون ياويلكم ازعجتم قلب الملك من اجلكم وقد بلغه صياحكم فأخبروه ما سبب هذه الفتنة (قال الراوى) وكان الملك زهير قد اتاه فى ذلك اليوم خبر من بنى طيئ عن يزيد بن حنظلة الذى كوى عنتر قلبه

كاوسبى ابنته امامة وقتل بعلها ناقد بن الجلاح واعدمه التوفيق والصلاح لما كان مع عياض بن ناشب فى السرية المقدم ذكرها وكانت الجارية فى بيت الملك زهير عند نسائه لم يعتريها شئ من الضرورة ولكن ابوها فى قلبه من اجلها نار تضرم والعرب تعير اباها بتركها فى الاسر ويقولون له ماقعادك عن بنتك وتركها فى الذل والاسر والهوان فما تركت اخذ الثار الا جبنا وخوفا من عبس وعدنان (قال الراوى) ولما الهبته العرب بالكلام انفذ الى قبائل العرب من اليمن واستنجد بالحلفاء ومن هو له مطيع فى ذلك الزمان وقد ارسل لهم الاموال والهدايا فاجتمع عنده عالم لا تعد ولا تحصى بلا توان ومن جملة من اجابه من اصحاب الملك ذوى الاحسان والفرسان بنو عبد المدان وبنو جشع وبنو خشم وبنو همدان وبنو جديلة وبنو قحطان ولما ساروا فى هذا العسكر الجرار صار يطلب بنى عبس ليخلص ابنته امامة ويكشف عنه لباس العار ووصلت اخباره الى الملك زهير فركب وهو مشغول القلب بتلك الاشارة وكان ذلك اليوم الذى جرت فيه الفتنة بين عنتر وعماره فوصل اليهم وفى قلبه من هذا الحديث اشتغال (قال الراوى) فلما رآه العبيد اشرف عليهم انكفوا عن القتال وتقدم اليه عمارة وقد تخبلت عمامته فى رقبته وحوله جماعة من اخوته وقالوا له أيها السيد الهمام ما بقى لنا فى ارضك مقام اذا لم تأذن لنا فى قتل هذا العبد الهجام وتريح منه سائر الانام وقال له الربيع أيها الملك المقدام لولا قدومك فى هذه الساعة لكان افنى من القبيلة جماعة وكان السيف يعمل بيننا ونصير مثلا بين القبائل لان هذا العبد قد كبرت نفسه وداخله الطمع فينا من الاوائل وانت السبب فى ذلك لانك قربته اليك ورفعت قدره لديك وكذلك مالك ولدك لا يأكل ولا يشرب الا معه ونحن ايها الملك لا نصبر على هذا الاذى ولا نقعد معه تحت الاهانة وهو بهذه المنعة فتطمع فينا العبيد اولاد الزنا فاما ان تبعده عنا والا فنحن نرحل فى هذه الساعة فقال الملك زهير وما كان سبب هذه الفتنة التى جرت بينكم وقد أقامت هذه المحنة فكم فعندها اخبره الربيع بان سبب تلك العلة هى ان عمارة خطب عبلة وكان فى الليلة الماضية يشرب الخمر عندابيها واخيها وكانوا يتحدثون فى الامور التى يمكن ان يدخلوها فيها على عمارة ويخرج من عندهم فلقيه عنتر فى الطريق ولما أن لقيه كلمه بغليظ الكلام لما فى قلبه من الآلام وجرد عليه الحسام وذكر انه يحب عبلة مستهام وقد باح بسره وذكرها فى شعره بين فرسان العرب وهذا كان هو السبب (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من الربيع ذلك الكلام علم ان عنترا مظلوم معهم من بين الانام وانهم ما فعلوا تلك الفعال القبيحات فى طلبهم عبلة من دون البنات الا ليزيدوا بها كياده ويطلبوا عناده وطرده وابعاده وكان الملك زهير قد نظر عنترا لما اقبل عليهم فرآه بعيدا عن المعمعة لا يدنو منهم وهو كالوالد السكران غير انه واقف يحفظ نفسه من اعداه فرق قلب الملك زهير له حين رآه وقال ان هذا العبد بين هؤلاء كالدرة المصفاة وقد علم انهم قد تعدوا عليه لكن ما قدر ان يحاجهم لاجل ما سمع عن شارب الدماء من الخبر وما قد جمع من العسكر (قال الراوى) واما شاس فانه من بغضه لعنتر قال لابيه الملك زهير فى حال وجود من كان من العرب قد حضر يا ابتاه ان هذا امر لا يصبر عليه احد من البشر وقد فضحنا بين العرب هذا العبد الاسود ومن هذا العبد ولد الزنا حتى انه يهجم على سادات العرب ممن غاب او حضر ويفعل بالامير عمارة هذه الفعال ويخرق حرمته بين الابطال فان كان هذا اليوم قد خرق حرمة هذا السيد المفضال فغدا يخرق حرمة افاضل الرجال ثم تقدم مالك ابو عبلة بين يدى الملك زهير وبكى وقال وافضيحتاه واقلة ناصراه ايها الملك اتأذن لى فى الرحيل من هذه الديار والا انهتكت ابنتى فى سائر الاقطار ويركبنا الذل والعار ونعاير بهذا آناء الليل واطراف النهار والا أعطنا الاذن ان نقتله لان هذا العبد قد طغى وتعدى طوره (قال الراوى) ثم ان الملك زهير لما رأى القضية اشتبكت ورأى العبيد بينهم قتلت قال لهم يا بنى عمى ما تريدون هذه الساعة فقالوا ايها الملك

نريد اما قتل هذا العبد ابن الزنا واما ان تبعده عنا ليزول ما بيننا من الشر والعنا فقال الملك زهير أما قتله فلا أطاوعكم عليه ولا أمد يدى بسوء اليه لانه دخل بيتى وأكل زادى ولو كان غريبا واكل طعامنا فلا تمدا يديكما اليه باذى ولا ضنى واما قولكم نبعده عنكم فهذا امر ما هو لى بل لابيه شداد وهذا كله يجرى ومالك بن زهير واقف قدام ابيه وكلما اراد ان يتكلم يرى المبغضين لعنتر كثر من محبيه هذا كله يجرى وعنتر واقف يتقصص ولا يدرى كيف يفعل لانه ان غضب عليهم ورحل عنهم يخاف ان قلبه لا يطاوعه على بعده عنهم لاجل بنت عمه عبلة ويعلم انه لا قدرة له على فراقها لان هواها فى قلبه شديد وسلطان محبتها عليه عنيد وان بذل سيفه فيهم وشفى فؤاده منهم لم يبق له وجه يرجع به الى الحلة ويحرم النظر الى وجه عبلة فمن اجل ذلك يصبر على جورهم وتفكر فى نفسه فما وجد للعشاق الا الصبر فانه لهم ترياق ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك زهير استدعى بشداد اليه فأجابه وتقدم بين يديه فقال له اعلم ان هؤلاء القوم قد تعاونوا على قتل عبدك ويريدون أن يفعلوا به فعلا مذموما وهذا أمره بيدك فافصل بينهم بما تريد وانا على ما تحكم به شهيد وكل منكم اذا تعدى طوره كنت أنا خصمه وطلبت غوره فقال شداد أيها الملك ما الذى أقول فانى والله قد احترت فى هذا الامر المهول أما أخى ابن أمى وأبى فما أقدر أن اغضبه وهذا الولد ما هو ممن يستحق الضرب حتى اضربه لانه اليوم يعد نفسه من الفرسان وصار له شان وأى شان ومابقى فى الامر الا طرده وابعاده أو يرجع لما كان عليه من رعى الجمال مع الغلمان ومنعه من ملاقاة الابطال فان بنى عبس بوجودك عن قتله غنيون وأمنعه عن النطق بالاشعار وعن التكلم مثل فرسان العربان بقيل وقال وان خلع عن جسده ثياب الصوف أو ردته كأس الحتوف وأخرج هذه الحماقة من رأسه فان هذا الولد قوى من يوم ركب الخيل وأجلستموه معكم على الطعام وانشاده الاشعار بين السادات الكرام فقال الملك زهير يا شداد أحضره حتى يسمع كلامى واشرط عليه هذا الشرط قدامى وافصلوا هذا الامر أمامى فعندها استدعى شداد بعنتر وكان بالبعد عنهم راكبا جواده الابجر وهو على ظهره كالنسر المعمر فلما دعا به ترجل وسعى اليه وقبل يديه بحضرة الملك زهير وقد فاض الدمع من عينيه وأذله العشق الذى أذل الجبابرة وقهر الفرسان ولما رأى عنتر نفسه أنه مغلوب أعانه ابدمعه المسكوب لان الانتحاب للعشاق يطفى نار الكروب ولذا قال بعض العشاق هذه الابيات صلوا على سيد السادات

كم دمعة هطلت من جفن منتحب * فزال عنه الضنى والهم والكرب * وزال عنه غرام كان منقدا
بين الضلوع ونار القلب تلتهب * وماله مسعف ياصاح يسعده * غير الدموع على الخدين تنسكب

﴿قال الراوى﴾ هذا ثم ان شداد قال لعنتر لما سمع من الملك زهير ذلك الكلام ويلك ياعبد السوء ها أنت قد سمعت ما جرى من أجلك من هذه الفعال فارجع الى ما كنت عليه من رعى الجمال والا جعلتك قتيلا وعلى الارض جديلا على كل حال فلما سمع عنتر كلام أبيه وما به أوعده من ذلك المقال قال له يا مولاى افعل بى ما تريد واحكم على حكم الموالى على العبيد والعبد ماله غير مولاه ان ابعده أو أدناه وأنا أشهد على نفسى أنى من اليوم فصاعدا قد امتثلت أمرك ولا أقصر عن خدمتك ولا أفارق رعى الجمال وأكون على حفظ أموالك واعيا ولا أركب جوادا ولا أجرد حساما مع الابطال ولا أنطق بشعر أبدا ولو شربت كاسات الردى مع الاندال فعند ذلك شهد عليه الحاضرون وكذلك الملك زهير وانطفت نار الحرب بعد الايقاد وقد شمتت بعنتر الاعادى والحساد وكان أكثرهم فرحا عمارة والربيع بن زياد ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك زهير قال يا بنى عمى الآن خذوا أهبتكم للقتال واعتدوا من اليوم الى غد حتى انى أسير بكم الى ديار من أتى يطلب دياركم وقتل أولادكم ونهب أموالكم قال فلما سمع الحاضرون ذلك القول داخلهم

الحمية

الحميه ولعبت بأعطافهم الخوة الجاهليه وقالوا أيها الملك من بلغك انه سائر الينا من ملوك الزمان وفرسان الاقران ومن هو الذى أقدم على هذا الامر العظيم ونحن بنو عبس نقمع كل لئيم المعروفون بين الانام الملقبون فى الحرب بفرسان المنا باوالجمام فعندها أخبرهم بما بلغه عن بنى طيئ وما جمع عليهم ملجم ابن حنظلة الملقب بشارب الدماء ومن أطاعه من القبائل ثم قال لهم الملك زهير يا بنى الاعمام ومن أعتمد عليهم بين الانام أنتم تعلمون أن بنى طيئ جرة العرب وقد انضاف اليهم جماعة من العربان ومن يدعى الشجاعة من فرسان الزمان وان أميمة بنت سيدهم شارب الدماء عندنا فى أعز البيوت الملاح وعنتر كان قد قتل بعلها ناقد بن الجلاح وهذا سبب تجمعهم علينا والاتيان لقتالنا وأعظم الناس مذلة من يحارب فى داره وقد عولت على أنى أسير بكم اليهم واكر بكم عليهم وأدهمهم فلا أحد منكم يبيت الا وهو مستعد للرواح * فلما سمعوا ذلك أجابوا بالسمع والطاعة وتفرقوا على ذلك ليعلموا أصحابهم ومن كان غائبا عن الجماعة وقد علم عنتر أنهم سوف يحتاجون اليه فدخل على زبيبة فوجدها باكية العين عليه مما وصل من الاذية اليه فقال لها دعى هذا البكاء والانين ورب زمزم والحطيم ومقام أبينا الخليل ابراهيم لا أبلغن منای ولا آخذن عبلة على رغم أعدای وأحظى بجمالها وأفوز بوصالها ويحصل بيننا الوداد وأملكها على رغم أنف بنى زياد وأكمد الاعداء والحساد وأبلغ بحد حسامى هذا المراد فقالت له أمه ياولدى أما عبلة فهى لك أمة وهى لك تريد على كل حال من دون العباد وكانت عندى فى هذا اليوم وقت ان خلت البيوت من الرجال عند ما اشتغلتم فى القتال ورأيتها تبكى على ما جرى عليك وتتوجع على ما توجه اليك وقالت لى طيبى قلبه وفؤاده وأنا لا أنسى جميله ووداده ولا أطاوع أبى وأعطيه مراده ولو قطعنى بالحسام (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام انجلت عن قلبه الهموم والآلام وحصل له الفرح واتسع قلبه وانشرح وفى مثل هذا يقول ولست أبالى سخط من لا أريده * اذا رضيت عنى حبيبة مهجتى

(قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أمر عنتر عند ذلك اخوته ان تسوق الجمال والنياق الى المرعى بعزم شديد وكان الحى أصبح يموج بقطانه كأنه البحر اذا لعبت به عواصف الرياح من لمعان القنا وبريق الصفاح وما انتصف النهار حتى خرجت الابطال وتلاحقت بعضها ببعضها الرجال وقد غاصوا فى الحديد وركبوا الخيول وما بقى من العشيرة الا نفر قليل وقد ركب الملك زهير قدامهم وهو كأنه الاسد الغضنفر وهو غائص فى الحديد ونشر على رأسه رايته العقاب ودارت به أصحابه كغيث السحاب فلما رأى الملك زهير البر يرهج بالحديد فرح فرحا شديدا وخاف ان يسير بهذا الجمع فيختلف فى الطريق وتأتى الاعداء الى الحلة فيعدموها التوفيق فترك فى الحى ولده شاسا فى خمسمائة فارس من كل ليث ممارس وشد عضده بأخيه قيس وكان من الرجال الاجواد لما يعلم فيه من الرأى والعقل السامى وكانت العرب تسميه قيس الرأى وكان لعقد الرأى معتاد ثم ان الملك زهير أوصى شداد وأخويه مالكا وزخمة الجواد وكانوا فى جملة المقيمين عند الحريم والاولاد (قال الراوى) ثم سار العسكر وكان جملتهم خمسة آلاف فارس وهم طالبون الاعداء وقد امتلأت بهم البيداء وقد ركبوا الخيل العتاق وساقوا خلفهم النجب السباق واعتقلوا بالسمر الرقاق وأفرغوا على أجسادهم الزرد المطليات (قال الراوى) هذا ما كان من الملك زهير (وأما ما كان) من بنى طيئ فانهم ساروا من حيهم ورحلوا من ديارهم فى ثمانية آلاف فارس من كل بطل للحروب ممارس والكل للدروع لابس (قال الراوى) لهذا التبيان وقد كان حساب الملك زهير الذى حسبه من ذكائه وخبرته باحوال الزمان وافق ما خطر له فى الجنان لان بنى عبس وبنى طيئ اختلفا فى الطريق لسعة البر وكان الاسبق للديار بنى طيئ لانهم وصلوا بعد خروج بنى عبس من الحى وكان وصولهم عند الصباح وقد ملؤا تلك الارض والبطاح من كثرة الرماح ولما نظرهم الرعيان عادوا

على اعقابهم وردوا الانعام الى الاحياء بجميع الدواب ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور ودخلوا من اقطار الحمى واخبروا بقدوم بنى طى فنفرت الابطال وتسارعت الاقيال وركب شاس واخوه قيس وخرجت الفرسان واخذوا فى ترتيب الصفوف ورفع السنان واعتدوا لمعاناة الحرب والطعان ليمانعوا عن الحريم والاولاد والعيال وركبت ابطال بنى قراد وفى اوائلهم شداد واخوته مالك وزخمة الجواد وما بعدوا عن الحمى والخيام حتى طلعت عليهم خيل بنى طيئ من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب وظهرت الخيل والجنائب وارتجت الارض من شدة الغياهب ولمعت الاسنة فى القتام لعب الكواعب وحجبت الشمس بنورها الثاقب ولما راى قيس هذه الامور العجائب قال لاخوته والله ان فراق ابى ما كان صائب ولا بقى يخبينا الا الضرب بالسيوف القواضب والانهبت اموالنا واقتضح بين قبائل العرب نساؤنا ثم انهم تأهبوا للقتال وتقدمت الابطال وتقاربت الرجال من الرجال * هذا وعنتر قد ابصر الابطال وتلك الاهوال ففرح بذلك الاشتغال وقال وحق الاله المتعال لابد وان ادرك اليوم ما اشتهيه من بلوغ الآمال ثم اتى الى اخيه شيبوب وقال له ويلك ياأخى ما الذى تشير به على ان افعله من الفعال فقال له شيبوب أقبل منى ما اقول لكى تبلغ المأمول وتنال انت شرف النسب وتعد من سادات العرب وان لم تنل اليوم ما تريد فلا تزال من جملة العبيد فقال له ياأخى قد استشرتك فى هذه الامور فاخبرنى ما الذى اعمل وما الذى ترى فيه الخير من الاعمال فقال شيبوب الرأى عندى أنك تأخذ قد املك قطعة من النوق والجمال وتقصد بها بعض التلال حتى ترى ما يكون من الفعال ولا تزال على الجبل حتى تنظر ما يقع بينهم من العمل فأنا اعلم ياأخى ان اصحابنا ينكسرون واليك يحتاجون فلا تركب جوادك حتى ان اباك يلحقك بالنسب وينكم عدوك ويزيد به العطب و يشهد أبوك على نفسه انك ولده وقطعة من كبده وان لم يفعل فلا تركب جوادا ولا تحضر حربا ولا جلادا ودم واقفا فى الموضع الذى انت فيه ولا تغيره وقل له يامولاى انا من جملة العبيد وما جرت العادة ان العبيد تقاتل السادات الامجاد وبالامس منعتنى من ركوب الخيل واشهدت على سادات العرب وليس لى ان اخالف امرك ولا اقلع عن بدنى ثياب الخدمة لك واكون بين يديك كالعبد المصقلك (قال الراوى) فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الكلام ورآه صوابا فرح به غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم اخذ العصى بيده وساق الابل قدامه وجعل ينتظر ما يجرى ويكون والابل سائرة امامه حتى تعلق فى ذيل الجبل ووقف على راس العلم وشيبوب قائد له الا يجر قدامه وعلق بالسرج لجامه وسلاحه وسيفه الظامى واخذ الرمح واعتقل به على كتفه ولما تعالت الشمس انتشب الحرب بين بنى طيئ وبنى عبس وشيبوب يقول لعنتر هذا اليوم يومك وسيفرح قلبك وقد اتت بنو طيئ مثل قطع الغمام وقد التفتهم بنو عبس وطاب لهم الحمام وجرى الدم وسال حتى بل الرمال وقد ارتجت الارض تحت الاقدام وارتفع الغبار وصارت العبيد كالاحرار وقد علم الاعداء ان الملك زهير غائب فتفرقوا على بنى عبس من كل جانب واعملوا فيهم القنا والغواضب وهم صابرون صبر اولاد العرائب وقد اختاروا على الحياة شرب كاس الممات وضعفت منهم الاصوات وتكاثرت عليهم الكربات وغمرهم كثرة العدد وابهرهم زيادة المدد وزاد الكرب على الفرسان وصبر على حربهم الشجعان وكلت الابدان عن الطعان وثبتت الكرام وفرت اللئام وعلا على رؤس الطائفتين القتام وانقطع من الفريقين الكلام وصهلت الجياد وصالت الاجواد وظهر العناد وتفطرت المرائر والاكباد وخفق من الرجال الفؤاد ورجع بنو عبس الى الخيام وبرح قيس بن الملك زهير وقاسى هو وجماعته كل هم وضير واعطى بنو عبس للاعداء اكتافهم وقد بقنوا بدمارهم وهلاكهم وصار الغبار يعمل بين الاطناب وداست فى بطون القتلى الدواب وخرجت من البيوت الكواعب الاتراب وانكشف عنهن الستر

والحجاب

والحجاب وهن للذوائب ناشرات ولاثوابهن مخرقات وهن ينادين بالويل والثبور وعظائم الامور ويكثرن الانتحاب ويشققن الاثواب ويعجن فى الفرسان ويرودنهم الى الطعان وهم لايسمعون منهن كلاما ولاجواب واختاروا العار عن ضرب الرقاب وزعق فيهم بوق الشتات والخراب فعندها قال مالك ابو عبلة لاخيه شداد وقد جرح فى موضعين وحل به البلاء واثخين يا أخى أين عبدك عنتر ولم لاحضر فى هذا اليوم المنكر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع شداد ذلك المقال من أخيه قال له يا مالك أنت ما أبقيت لنا مع عنتر امرا ولاحال فدع عنك هذا المحال فوالله الرحمن الرحيم الملك المتعال لوكان عنتر معنا اليوم فى هذا القتال لكان لنا حال غير هذا الحال ثم ان شدادا التفت فراى عنترا واقفا على العلم السعدى وهو يضحك على بنى عبس وينظر ما حل بهم من الدمار واخوه شيبوب قدامه يرقص بالمزمار فعندها هم شداد جواده وما صبر حتى صار قدام ابى الفوارس عنتر وقد لحقه مالك على الاثر ولما صار شداد عنده صاح فيه ألا ياعبد السوء ياخسيس النفس ياصاحب العقل الازور أما تنظر ما اصاب بنى عبس من الاذية والضرر بين الانام من الاعداء اللئام فقال عنتر يا مولاى وما الذى اصنع لوان يدى طائلة لكنت لاعدائكم ادفع فانى يعز على ماجرى عليكم ويغمنى وصول الاذية اليكم فيالبت لى قوة وعقلا سديد لابلغ به ما أريد ولكنى عبد من جملة العبيد لاقدر لى ولاقيمة عند بنى عبس الاماجيد وحيث كان أمرى عندكم هكذا فاريد ان اعيش فريدا وحيدا أو أساق مع الغنيمة وكل من ملكنى من السادات خدمته ونصحته خدمة العبد للسيد فى جميع ما يطلب منى من الانتفاع وأخرج له الزبد والسمن حتى لاأهان ولا أباع ثم ان عنترساق الجمال وترك أباه وأعمامه واقفين ولم يرد عليهم كلاما فانغاظ ابوه شداد وزعق عليه حين رآه غير معتن بكلامهم ولامكترث بقدرهم وقال له ويلك يا ابن الزنا لاى شئ عدم الاعتناء بنا أمجنون أنت أم مسحور يا ابن الخنا فقال عنتر يا مولاى وما الذى تريده منى أرأيت أحدا من السادات الاماجيد يطلب النصر من العبيد ويترك الفرسان المعدودين لمثل هذا اليوم الذين عندهم أولادا لاماء مثل الكلاب بلا مزيد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع شداد من عنتر ذلك المقال زاد به الغيظ وأظهر الكتمان وقال له ويلك صبرت وقدرت وأنا أعلم أن قلبك علينا من الغيظ ملآن ومما جرى عليك منا غضبان ولكن احمل معنا على الاعداء وكر وأنت بعد اليوم حر فقال عنتر يا مولاى أنا قد أكدت فى اليمين انى ما بقيت أركب جواد ولا أحضر حربا ولا جلاد ولا بقيت أعانى قتال ولا أركب أنا بين الرجال ولا أعدر وحى من الابطال ولا أزال أرعى الجمال وأريح قلبى من القيل والقال وكل من ملكنى كنت له مملوك وأعيش بين يديه كما يعيش الفقير الصعلوك فقال له شداد ويلك لاتفعل فانك الى محتاج ويفوتك الشرف العالى على ممر الايام واللياى فاركب وقاتل معنا اليوم وأنا أدخلك فى نسبى وألحقك بحسبى فقال له عنتر يا مولاى ما أعرف هذا الكلام ومعناه على خفى غير مظنون ولا أعرف النسب كيف يكون ولا أنا يا مولاى على هذا الامر مغبون فقال شداد قد أقررت بأنك ولدى خرجت من ظهرى ثم تقدم مالك أبو عبلة لما سمع ما دار بينهم من الكلام وقال له يا ابن أخى احمل على هؤلاء العدا وقد ألحقنا بالانساب وخلص قومك من العذاب فقال عنتر يا مولاى أنا أعدر وحى بأقل العبيد وقد صح عندى أنه لاقدر لى عندكم ولاقيمة وأريد أن أكون مجرورا مع الاعداء فى الغنيمة فلابد لهم من سبيكم وان أخذونى وصرت عندهم ففى ذلك الوقت أريكم من يكون الرابح وأى شئ أريده أفعله معكم ومع خلافكم فقال له مالك ارجع ارجع يا أبا الفوارس وانظر الينا نظر الحافظ الحارس ﴿قال الراوى﴾ كل هذا يجرى بين عنتر ومالك وشداد واذا بخيل اليمن قد دخلت البيوت وقد قلعوا الاوتاد وأخرجوا النساء والبنات وأشتفى منا الاعادى والحساد وخرجت سمية والمدللة وشريحة والجمانة وعبلة وما فيهن الا من تنادى بالويل والثبور وعظائم الامور وكان أشدهم خوفا وذله

بنت مالك حائزة الجمال عبلة وقد سباها رجل جبار يقال له سوار وكان طول عمره يسبي النساء والبنات الابكار وهو الذي كسر بني عبس في هذه النوبة وأحل بهم البلاء وأخذ عبلة وسحبها سحب الامة في الذلة والقلة وهي تلطم وجهها وقد خضبت خدودها بالدماء وفاضت دموعها كفيض الماء وأخذت ايضا أمها وقد جرح أخوها وأبوها * قال ولما نظر مالك الى بنته وقد سبيت وزوجته وقد اهتكت فاضت دموعه مثل السحاب وذل عند حلول هذا المصاب فاقبل على عنتر بلسان الاذلال مما رأى من تلك الاهوال وقال له يا أبا الفوارس أما ترى الى بنت عمك وهي تنساق سوق الاماء وكيف هي في يد الاعداء وأنت يا أبا الفوارس قد عودتها بالحمى على طول المدا فلما سمع عنتر مقاله ورأى ذله وعلم سؤاله قال له يا مولاي لما لا طرحت نفسك على عمارة المهاب وسألته ان يخلصها من السبي والارتياب أما هو قد تزوجها وقد اتخذته لك صهرا وحمى فقال يا ابن أخي ان عمارة في هذه النوبة قد اثخن بالجراح وبكى على نفسه وناح * قال فعندها قال له عنتر لما رأى ذله بين يديه ان أنا جلت في هذه الساعة وبذلت روحي في هواها وخلصتها من بلاها أتشهد على نفسك أنك تزوجني اياها فقال له مالك من شدة ما أصابه اي وحق من خلق الجبال وأرساها ودحا الارض وسواها ان اجتهدت وخلصتها من النوائب وفرجت هذه الكربة عن الاهل والاقارب لاكونن لك عبدا وهي لك أمة ورب المشارق والمغارب ولا انافي قولي هذا كاذب * قال فما فرغ مالك من حديثه والاقسام حتى تقدم شيبوب بالابجر وقال له يا أخي الآن ما بقي على أبيك وعمك ملام فاركب الساعة وابذل المجهود وتوكل على الملك المعبود فها أنت قد بلغت المقصود وأكمدت العدو والحسود فاقبل مني ما أقول لك عليه فعندها قام عنتر وتقدم ولبس عدة الجلاد وقد زالت من قلبه الاحقاد وقد نظرت اليه الفرسان الاجواد وقد أخذ على عمه العهود بأن لا يخون * ثم ان عنتر أفرغ على جسده الزرد ونسيفه الظامي تقلد وأخذ بيده مرحه الاملد وتحذر من الزابية وهو يهمز همزات الاسد وقد اشتد به الغضب على الاعداء وعليهم حقد وحمل وقد طلع من شدقيه الزبد مما حصل عنده من هذا لقول المسدد ثم ترنم وقال بعد الصلاة والسلام على من أجار الغزال

p.185. ستعرون اليوم فعلي انني * فارس الهيجا وذو عزم قوي * وشجاع في الوغى لا انثني
عند وقع التاج من رأس علي * وأخوض الحرب لا أخشى لطعن * بل انا المردي برأس السمهري
وأرد الخيل قسرا نا كصات * فوق ظهر الابجر السامي البهي * وبري الاعداء فعلي حين حربي
وكيف أرديهم بحد المشرفي * وسوف ترين يا عبلة صدامي * واسقي السيف من هام الكمي
وستعودين يا ابنة العم نحوي * برغم الحاسد الكلب العوي * ويطيب العيش لما أن أراك
في غواني الحي كالبدر المضي * ثم أرديهم على الاعقاب منهم * وأرد الخيل في القاع السوي
وأقد الهام بالهندي ضربا * واذيق القوم موتا بالظمي * بحسام أبتر في الحد ثابت
ليس ينبو ثم رمح سمهري * وأروي من دم الابطال سيفي * ورمحي في البكور وفي العشي
فعلي ضرب شديد الوقع عال * يخبر الابطال عن داء دوي * أترى يا عبل هل يصدق أبوك
ويوفي الوعد بالفعل الرضي * وأحظى بالذي املت منك * بثغرك ذلك العذب الهني
واني قد بذلت اليوم جهدي * أقد البيض بالضرب القوي * وأرد فرسانا أتونا عنوة
فعلي ضرغام شجاع قسوري * وأقيم الحرب في الاعداء طرا * فعل ليث وهمام ماجدي
وأرد السبي من حوز الاعادي * بقتال وطعان السمهري * ويكون الذكر لي بين البرايا
كل قرن وزمان أبدي * وأنا من خير عبس ابي المعالي * ولي فخر بعزمهم القوي
أنا المشهور حقا يوم حرب * أنا بطل ولي عزم الكمي

(قال

(قال الراوى) ثم ان عنترة صاح بعد نثره ونظمه واكب رأسه فى قربوس سرجه وحمل عليهم وجعل قصده الفارس الذى سبى عبلة وكان قد خرج بها من الحلة وهى تنادى فلم تجد لها نصيرا وهى تقول أين عيناك يا ابن زبيبة فلما سمعها عنترة انقض على الفارس انقضاض الاسد على فريسته وأراد قتله فخاف عنترة أن يضربه فتصل الضربة الى عبلة فيهلك الاثنان بالجملة فطرد الجواد حتى ساواه وطعنه فى صدره فطلع السنان يلمع من ظهره ومال عن الجواد يخور فى دمه وساق عبلة راكبة على الجواد قدامه وقد سقى الفارس كأس حمامه هذا وعبلة قد فزعت من هول ما عاينت من ضربته وماهدأ روعها حتى انها عرفته وهناها بالسلامة وسلمها الى أبيها وهى فرحانة بسلامة نفسها من الردى وخلاصها من ايادى العدى * ثم ان عنترة عاد بعد ذلك الى الغبار وانصب عليهم انصباب الامطار وجعل قصده بنى كندة لانهم اكثر عددا وأقوى مددا فنكب أقيالهم وفرسانهم وقتل حماتهم وقد أخرجهم من الخيام وردهم منهزمين على الاعقاب وسقاهم من الموت أخبث الشراب وفرقهم بين الروابى والهضاب ولما خلت المضارب من الرجال وقد هلكت الفرسان وهربت الاقران نظر الاعداء الى عنترة وقد فعل تلك الفعال الحسان وقد نثر الابطال وصال فيهم وجال وشيبوب يدور حوله بالنبال كأنه السرحان القتال فلما رأت بنو عبس ذلك الحال تراجعت بنو قرادا الى القتال وفعلوا فعل الرجال الابطال فعندها ولت بنو كندة وقد رمت ما كان معها من الاسلاب وتهاربت كما تتهارب الغنم من الذئاب ولما رأى عنترة أن القوم ما بقى لهم رجعة الى القتال ترك بنى قرادا تعمل فى اعقابهم وتأخذ الاموال وحرق تلك الناحية التى فيها بنو طيئ وكانوا قد قصدوا أبيات الملك زهير من دون بيوت الحى لاجل ان يخلصوا امامة بنت سيدهم فانها كانت هناك مأسورة فخلصوها ومن هناك أخذوها وعلى الخيل العتاق أركبوها ومن الحى أخرجوها وبردت عند ذلك نار ابيها وحين خلصها أبوها من الضير سبى حريم الملك زهير وحريم أولاده وقلع المضارب بكل ما فيها وقتل حضاره وعاد هو وبنو عمه طالبين ديارهم ومعهم السبى والاموال فتلقاهم ابن شداد الليث الغضنفر بضرب لا يبقى ولا يذر فطلبوه وازدحموا عليه فزعق فيهم ففرقهم وطعن فيهم حتى مزقهم * هذا وبنو عبس قد بلغوا مرادهم وقويت بعنترة قلوبهم وأكثروا عند ذلك زعيقهم ونادى لهم بالنصر المنادى ورجعت الفرسان من كل شعب ووادى ورجع شاس وقيس بعدما التجؤا الى الشعاب وقويت قلوبهم على الطعن والضراب وأبصر شاس فعال عنترة بالاعدا وقد أسقاهم كؤس الردى ونظر الى حسامه وهو يعمل عمل النار وقد لمع تحت الغبار والصياح من حوله قد ارتفع وصوته كالرعد القاصف اذا تقعقع فقال لاخيه قيس أما ترى الى هذا العبد ولد الزنا كيف تقاعد عن القتال الى هذه الساعة حتى انه يظهر عزه وذلنا ويصير له شأن من دوننا وأنا ان لم أقتله وأبلغ المقصود أمت من الغيظ وأنا مكمود فقال له أخوه قيس وأى شئ فى نيتك تعمل فقال له لابد لى من قتله على كل حال مادام انه مشغول فى القتال فانه ان عاد سالما الى الحلة فلابد لابيه أن يدخله فى أنسابنا بالجملة فقال له قيس يا أخى اذا كانت هذه أفعاله فلا ينبغى قتله ولا قتاله وان شاع عنك هذا الخبر ووصل الى الفارس عنتر وأنك تريد به تلك الفعال فانه يوقع بك النكال وربما يصل منه اليك خير فى حال من الاحوال فاسمع منى ولا تعاد رجلا مسعودا فتموت مكمودا وانظر كيف هو فى مقام الاخطار والاهوال وقد فادى عن الحريم والعيال حتى خلصنا من نائبات الوبال وعمل عملا ما تقدر عليه صناديد الرجال ولم يزل قيس يراجع أخاه حتى رده عما عزم عليه واشتهاه ثم حملت الصناديد الثقال وأعانت عنترة على ما هو فيه من القتال فعندها زاد الحرب فى الاشتعال وجرى الدم وسال وبان الصدق من المحال وكثر الضجر والملال وتقدم الشجاع وجال وقد اجتهد قيس أن يصل بفرسانه الى عنتر فلم يقدر من كثرة ازدحام الابطال وسارع عنترة فى

طلب فارس بنى طيئ ربيعة بن فياض وكان فارس عصره ومازال عنتر يطلبه حتى أدركه فى المجال ورمى بروحه عليه وطعنه فخرق أمعاءه مع ماهو متحصن به من لبس الحديد فانقلب عن ظهر الجواد كأنه طود من الاطواد أومن بقايا قوم عاد * قال ولما نظرت بنو طيئ الى هذا الطعن المنكر رجفت أجسادها وردت سيوفها فى غمودها وولت هاربة تطلب بلادها وتركت ما كان معها من الغنائم وتخلت عن سبى المحارم وهرب شارب الدماء ولم ينل سوى ابنته ذات البهاء فأخذها وسار طالبا لباديه وقد تبعه رجاله وتبعهم بنو كلب بن وبرة وكانت عليهم أيشم سفره وانكسر واقدام عنتر كسرة وأى كسرة لانهم قد تفرقوا فى أقطار الارض وعنتر يضرب فيهم بالطول والعرض و بنو عبس قد بذلت فيهم رماحهم الى أن أبعدوهم عن الديار وعادوا راجعين الى الاوطان ونالوا الاوطار وعنتر بين أيديهم كأنه الاسد الادرع وهو من دماء الاعداء قد تدرع ثم انه أقبل على بنى قراد وهنأ عمه مالكا بالنصر وأباه شداد وقد زالت من قلوبهم الضغائن والاحقاد وأظهروا له حسن الوداد وقربه أبوه بعد ذلك البعاد ومحا بياض فعاله ذلك السواد وظن عنتر أنه قد نال المراد ولم يعلم أن فى باطن عمله الحسد والاحقاد وعنتر قد سادبهذه الفعال على كل الرجال ولما رأى ما قد حصل له من الاكرام أنشد وقال

189 عقاب الهجر اعقبنى الوصالا * وصدق الصبر أظهر لى المحالا * ولولا حب عبلة فى فؤادى
مقيم مارعيت اذا جمالا * عتبت الدهر كيف يذل مثلى * ولى عزم أقد به النصالا
أنا الرجل الذى خبرت عنه * وقد عاينت مع خبرى الفعالا * غداة أنت بنو معن وطيّ
تهز اكفها سمرا صقالا * بجيش كلما فكرت فيه * حسبت الارض قد ملئت رجالا
فداسوا ارضنا بحوافرات * حسبت سهولها قيلا وقالا * فولت جفلا منى حيارى
وقتلاهم على البيدا جدالا * ومارفعت ذوى الاحساب ضيما * ولا سمعت لداعيها مقالا
ولا رد الفوارس غير عبد * ونار الحرب تشتعل اشتعالا * بطعن ترعد الابطال منه
لشدته تجنبت القتالا * صدمت الجيش حتى مل منه * وصدمى ماوجدت له ملالا
فولوا بالخيول غدا هزاما * خفافا بعد ما كانت ثقالا * تدوس على الفوارس وهى تبدو
وقد جعلت جماجمها نعالا * وكم بطل تركناه طريحا * يحرك بعد عناه الشمالا
وخلصت العذارى والغوانى * وما أبقيت مع أحد عقالا * بطعن الرمح والسمر العوالى
بهم أرمى على الغبرا الرجالا * ولى سعد علا فوق الثريا * وأخرق حجبها لما تعالا
وأنى عنتر حامى ذمامى * بسيف لا ترى فيه انفلالا

(قال الراوى) لهذا الايراد ففرح عند ذلك شدادا لما سمع من عنتر هذا النظام وقال لاخيه مالك يا أخى لابد أن يرتفع قدر هذا الولد عند سائر البشر من البدو والحضر فقال أبو عبلة بمكره الآن يا أخى كان الذى كان ومضى وعاد عنتر سيفنا المنتضى ثم انهم دخلوا الى الحى والاماء قدامهم تدق بالدفوف والمزاهر وقد وقعت الافراح والبشائر وتخلصت العبيد والحرائر ودارت النسوان بعنتر وهو عائد مثل شقيقة الارجوان فدعوا له بطول العمر والبقاء والنصر على الاعداء وقد زادت فى قلب عبلة محبته وعلت فى العشيرة منزلته ودامت عندهم الولائم واستمروا على ذلك الحال خمسة أيام وهم فى فرح وسرور فبينما هم كذلك واذا هم بالملك زهير وقد قدم وهو طائر العقل لا يصدق أن يرى حيه سالما لانه قد سمع ان الاعداء خالفوه فى الطريق ففزع على خراب الديار وعاد راجعا بما كره فرأى قومه آمنين فرحين ورآهم لعنتر شاكرين وهم يثنون عليه ثم ان عنتر ركب الى لقاء الملك زهير ولما وصل اليه ترجل وقبل الارض بين يديه وقبل ركابه ويديه فانحناله الملك زهير وقبل رأسه وبين عينيه ووهنأه بالنصر على الاعداء ثم انه

أمره

أمره بالركوب على جواد من جنائبه فركبه وسار الملك زهير حتى وصل الى أبياته وعنتر بجانبه وقد ظهرت فى وجهه الافراح وزالت عن قلبه الاتراح وباتوا تلك الليلة فى هناء وانشراح حتى طلع الصباح فأمر العبيد بنحر النوق والاغنام وان يزوجوا الطعام وكانت تلك الوليمة لها قدر وقيمة وفرح بذلك فرسان القبيلة واستبشر أبطال العشيرة بتلك الامور الظهيرة وكان أقرب الناس الى الملك زهير من دون العباد الامير بدر الدولة عنتر بن شداد لانه فى ذلك اليوم زاد فى اكرامه لاجل ما سمع عنه من الاعمال وكيف صان الحريم والعيال فزاد غيظ ولده شاس وقد دخل به الوسواس حتى كادت نفسه أن تزهق وشتت منه الحواس * ثم ان الملك زهير سأل شدادا فأخبره أنه ألحقه بالنسب حتى أنه أزال عنهم الكرب فلما سمع ذلك شاس ظن ان قلبه التهب وتفكر فى عنتر وكيف انه تغافل عن القتال حتى وصل الى هذا الحال وصار له الذكر بين الابطال فقال شاس يا شداد كيف يجوز لك أن تلحق عبدا من جملة العبيد بالنسب وتدخله فى الحسب وتجعله شريكا لنا بين السادات وأولاد العرب حتى تحتج أنت بهذا وتجعله أقوى سبب فقال قيس والله يا شاس ما قصر عنتر فيما فعل وانه يستحق أن يعمل فى حقه أوفى من هذا العمل فقال الملك زهير يا شاس لا تتكلم بكلام الحسد وتدخل بين الوالد والولد لان هذا الامر ما لك فيه نشب ولا يحصل لك منه الا التعب وكل القبيلة تعلم أن عنتر اولد شداد ان شاء يلحقه بنسبه وان شاء يبعده كما تفعل الآباء مع الاولاد وانه ولد قد فاق على سائر العربان وقهر فرسان بنى قحطان وصان أموالنا والاولاد وله زيادة على ذلك قوة براعة وفصاحة وشجاعة واذا افتخر علينا كان يحق له لافتخار لانه دائما رفع قدرنا ويدفع عنا كل أذى فى القبائل والامصار ويقبل كل ما أمرناه ونحن نهمله ولا نلتفت الى ما أراده وتمناه * (قال الراوى) وكان الملك زهير يقول هذا الكلام وعنتر يقبل الارض ويدعو له بطول البقاء والدوام ثم قال له يا مولاى لا تؤاخذ مولاى شاسا بما قال من الكلام لانه قد تألم قلبه من الحاقى بالنسب فأنا لا اغيظ سيدا من ساداتى وفى غد أرحل الى بعض احياء العرب واتخذه لى سكنا ووطن فاما ان ابلغ ما اريد واتى اشرب كأس الحمام ولا اقيم بدار ذل وهوان ولا اعادى من لهم على الاحسان فقد فنى عمرى وقل صبرى وانى قد قلت لكم ما فى صدرى ولولا انتظارى لهذا اليوم ورجائى فيه فيض الواحد العلام لما صبرت على هذا الضيم والخصام وهذا كله من اجل بنت عمى عبلة وكرامة لها والساعة قد بلغ الامر منتهاه وقد وعدنى عمى بها وسبق لى منه كما ذكرت خطبتها ولكنى ما اطلبها الا عن اذنه ورضاه وان كانت لا ترضيكم هذه الفعال ولا يعجبكم هذا المقال فأنا اتخذ لى بعض المنازل سكنا اواقيم على بعض المناهل واجعله لى وطنا واتجرد بعد ذلك لنهب الاموال ورمى العتن واخذ النوق والجمال واسبى النساء والعيال واخلى الارض من السكان واعيش عمرى بلا صاحب ولا خليل ولا اقارب واهجر الاهل والحبائب ثم بعد ذلك انحدرت الدموع من عينيه وكاد من الغيظ ان يغشى عليه فأنثنى وتأوه وانشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

دع ذكر عبلة والزمان الاول * واذا نزلت بدار ذل فارحل * واذا بليت بظالم كن ظالما
واذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل * واختر لنفسك منزلا تعلو به * اومت كريما تحت ظل القسطل
والموت لا يبقيك من آفاته * حصن ولو شيدته بالجندل * واذا الحبيب جفا ومل خله
فى غيه واصم مقال العذل * موت الفتى فى عزه خير له * من ان يبيت اسير طرف اكحل
ان كنت فى عدد العبيد فهمتى * فوق الثريا والسماك الاعزل * وبذابلى ومهندى نلت العلا
لا بالقرابة والعزيز الامثل * ان انكرت فرسان عبس نسبتى * فسنان رمحى والحسام يقربى
والخيل تشهد والفوارس انى * فرقت جمعهم بحد الفيصل * ورميت مهرى فى العجاج فخاضه

والنار تشعل تحت ظل القصطل * واعدته كالارجوان مخضبا * يشكو بفرط تقلق وتململ
خاض الهياج محجلا حتى اذا * شهد الوقيعة جاء غير محجل * وقتلت فارسهم ربيعة عنوة
والهندبان وجابر بن مهاهل * وابني ربيعة والجريش ومالكا * والشيطبان بعض صم الجندل
باتت تزبية في الظلام تلومني * خوفا علي من ازدحام المحفل * صارت تخوفني الحتوف وانني
اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل * فأجبتها ان المنية منهل * لابد ان اسقى بذاك المنهل
فاخلي لبالك لا ابالي واعلمي * اني امرؤ سأموت ان لم أقتل * ان المنية لو تصور شخصها
يوم الهياج طعنتها في الاول * لابد ان تبقى الملوك باسرها * من سطوتي عند الجهاد تقللي
وكذا الحماحمة العناة اذا رأوا * شخصي بلوح تفرخيفة منصلي * والخيل عابسة الوجوه كأنها
تسقى ذوارعها نقيع الحنظل * وانا ابن سوداء الجبين كأنها * ضبع ترعرع في رسوم المنزل
والساق منها مثل ساق نعامة * والشعر منها مثل حب الفلفل * يا نازلين على الحمى وديارة
هلا رأيتم في الديار تقلقلي * وحلتم مني السلام الى الاولى * لولا هموما خضت نار الهوجل
وصفالهم وحدي وذلي في الهوى * ومن العجائب عزهم وتذللي * قولوا لهم ما بال حال اسيركم
عان بكم يبكي بدمع مهمل * لا تجعلوه مغرما بصدودكم * وبهجركم وارعوا عهود من ابتلى
ان حل قتلي عندكم في حبكم * من ذا يطالبكم بقتلي المهمل

(قال الراوي) لهذا الكلام فما فرغ عنتر من شعره حتى نهض الملك زهير قائما على الاقدام ومشى بنفسه الى عنتر وقبله بين عينيه وقال لا شمت بك عدو ولا حاسد ولا تكون عندي الا كما انت عند الوالد وانا اول من يخضع لك من الملوك ويحق لك ان تلحق بالنسب وان تفتخر على سادات العرب لانك حويت الفخر العميم والفضل المقسم وانت اليوم ابن عمي ولحمي ودمي ومفرج عني وعن اموالي وعيالي ثم انه نادى ياسادات العرب من كان منكم يعرف نسبي وصح عنده حسبي فليناد ابن عمي عنتر مثل ما يناديني فانه وحق ذمة العرب من بعدها ومن قرب ان عنتر صديقي ورفيقي وابن عمي وأرجوه في مضيقي (قال الراوي) لهذا الكلام الذي يشرح الخاطر وكان ولده مالك حاضرا وهو يخاصم عنه ويناظر ولما ان سمع من ابيه ذلك الكلام الذي يشفي الغليل ويعافي العليل من الآلام نهض قائما على الاقدام كأنه البدر عند التمام ثم انه عانق عنترا وهناه وقرت عيناه بذلك وبابن العم ناداه وقام بنو عبس بعد مالك الى عنتر وعانقوه وفرح من كان معهم بحبه وبابن العم نادوه * هذا وشاس والربيع وعمارة قتلهم الغيظ والحسد ولكن أظهروا الجلد ووافقوا المجلس وقد تمت الافراح وزالت عن قلوب المحبين الاتراح وقضوا يومهم p. 193 بحديث عنتر وشجاعته وفصاحته وتعجب الحاضرون من قصته وبعد ذلك قام الملك زهير وخلع على عنتر من الملبوس المفتخر وهو في خيمته وقد تفرقت الناس من بعده وما فرغت الوليمة حتى خلع الملك زهير على عنتر خلعة ثانية مثمنة ذهبية وقلده بصمصام هندي واعطاه قناة خطية وأركبه جردة عربية وسماه حامية عبس وعدنان وفرح بذلك من يحبه من الفرسان ثم بعد ذلك سار مع ابيه وعمومته الى ابياتهم والعبيد في خدمتهم وقد علت منزلته وزادت بينهم مرتبته والاماء والجواري حواليه بالمزاهر والدفوف والعبيد قدامهم بالحراب والسيوف ووقعت لعنتر البشائر وفرحت به العشائر ولما وصل الى ابيات بني قراد تلقته البنات والنساء والاولاد وقد زاد بني زياد الكياد وعنتر قد زاد امره وعظم شأنه وارتفع ذكره وبلغ مناه وكيدت أعداه وكان اعظمهم حسرة عمارة بن زياد لانه راح من الوليمة مكمودا وقد كاد قلبه ان يذوب وقد علم ان عبلة خرجت من يده وقد اشتعلت النار في كبده وظن ان روحه خرجت من جسده فخلى بنفسه وعلى ما اصابه جرى غزير دمعته وقضى ليلته بدوام حسرته حتى اضاء النهار وقد زاد غرامه وحار

وكثر

وكثر انينه والافكار وحس ان قلبه اطلقت فيه النار وكان هذا من حب عبلة لانه هام بها عقله وطار وذلك من حين سماعه الصفة من غير نظر ولا معرفة وكان كما ذكرنا خطبها من ابيها وزاد طمعه فيها الا انه جرى لعنتر ما جرى والحقه ابوه بالنسب وبقى يعد من سادات العرب ولما سمع عمارة ان مالكا زوج عنترا بعبلة حين خلصها من السبي بشجاعته قال مالي الا اني احتال على عبلة وانظرها فان كانت في الحسن كما قيل لي عنها فأنا اطرح روحي على اخي الربيع واسأله ان يعاونني على عنتر ونهلكه سريعا واكون قد بلغت المراد الاكبر لان اخي قادر على اهلاكه وتدميره بمكره ودهاه وعلى أن يبلغني منه ما اريد بما يراه وان تكن بغير هذه الصفة تركتها عني وسلوتها وعن قلبي رميتها واريح قلبي من معاناة هذا العبد ولد الزنا (قال الراوي) ثم ان عمارة رصد حتى راى عبلة خرجت من الخباء في جماعة من نساء الاجواد الى غدير ذات الارصاد فلبس ثياب بعض العبيد وتزيا بزيهم وخرج خلفهن وجلس في موضع بحيث انه يراهن ولا يرينه فنظر اليها وتميزها بينهن فتبين منها صورة الجمال وهيئة الدلال وهي تمشي وتتمايل كأنها غصن بان او غزال عطشان تخجل القضيب اذا مال متضفرة ذوائب طوال ولها وجه كأنه الهلال ترد الشمس منكسفة وهي ناعمة مترفة ولها عيون غنجه وثنايا مفلجة وهي كأنها القمر ليلة اربعة عشر بل اضوأ منه اذا اسفر يأخذ الانسان منها الفكر كما قال فيها الشاعر وما قصر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها * اذا تثنت بكشح بادر عطر
كأنه سل سيف من لواحظها * بين الجفون على العشاق مشتهر
تمت محاسنها من عطر فكهتها * فالشمس تحسدها في الحسن والبهر

(قال الراوي) فلما نظرها التهب فؤاده وتزايد عشقه وغرامه وبدت لوعته وسقامه ورجع وهو لا يدري اين يضع اقدامه فلما وصل منزله قص على اخيه الربيع قصته وشكا حسرته وعظمت مصيبته وقال يا اخي ان فاتني هذه الجارية ذهب عقلي وان اخذها هذا العبد كان سبب قتلي فقال الربيع يا عمارة لقد اورثنا الذل والخسارة وجلبنا امرا كنا عنه في غنى واحوجتنا ان نعادي العبيد اولاد الزنا الذين هم ليسوا من جنسنا وانا من اول الامر ما أحببت ان تتعرض لبني قراد فانهم ذو شهامة وعناد ولا لعبلة لانها توقعك في المذلة والآن فما بقيت تقدر عليها الا ان كان ابوها يعينك ويميل الى مصاهرتك فاطلعه غدا على امرك فان كان لا يريد الا عنترا لاجل شجاعته فأنا ادبر لك حيلة على اهلاك مهجته * ووالله لقد كذب الربيع يا اخوان لان تدبير المخلوق ما يضر انسان ومن كان له عناية من المنان ما تهدله اركان (قال) نجدين هشام فطاب قلب عمارة بهذا القول الهذيان وظن انه بلغ المرام وزاد به الابتسام وانطفأ ما كان يجده من نار الغرام وقام من الغد ولبس الخز ثيابه وقد نفخ ابليس في معاطفه وزين حاله وانفذ عبدا من عبيده خلف مالك ابي عبلة وولده عمرو فأقبلا من ساعتهما وسلما عليه فقال مالك لعمارة ما حاجتك ايها الامير فقال له يا عماه انا ما دعوتك الا لامر ما في قلبك علي من جهة الدرة اليتيمة هل انت باق على ما حصل بيننا من الاتفاق او عدلت عني لراعي الجمال والنياق الذي فضحنا ابوه في دخوله في نسبنا وانت جعت له شمل الفراق وان رأيك الذميم اورثني مر المذاق فعندها قال له عمرو اخو عبلة وقد زاده الكمد وظن ان قلبه قد انفقد انهم لو قطعوني اربا ارربا وابعدني ابي شرقا وغربا ما طاوعته على ذلك ولا أسلم اختي اليه ولو اجتمعت العرب علي وعليه ولا أترك العرب تعايرني بذلك واعلم انه ما على أضر من هذا العبد ولد الزنا فقال مالك لولده اطو الساعة هذا المقال حتى أتحدث أنا وهذا السيد المفضال واعلم أني ما أبغض أحدا من الدنيا سوى هذا العبد ابن الزنا ولكن من له سعادة لا يعاند ونحن لما كنا في القتال وقلنا له نحن ندخلك في نسبنا كان ذلك منا محال وما قدر أن ينال هذه المنزلة الا ابا الملك زهير وولده مالك ونحن كان الخطأ منا

ومن تمام سعادته أنه فى يوم حرب بنى طيئ خلص ابنتى من المهالك وصار له حجة على بذلك ولو غدرت به
ما مكنتنى من ذلك الملك زهير ولكن أنا أدبر وأحسن التدبير وانتظر ما تجرى به المقادير فقال عمارة يا مالك
أما خوفك من الملك زهير وولده مالك فهذه حجة ما تحتج بها علينا ولا تقول ان أحدا يغصبك على ابنتك
ويغلظ عليك فى الكلام ويزوجها بغير ارادتك ولو انك تكون أقل من فى القبيلة ولكن أريد منك
الموافقة غدا اذا حضرنا فى المجلس وقعد الملك زهير فأقوم أنا وأخطب منك بنتك وأغلظ عليك فى المقال
فاذا تكلمت معك أجبنى لذلك واطلب منى كل ما أردت من المهر من نوق وجمال ودعنى أنا بعد ذلك أتجرد
لعنتر وزهير وولده مالك الآخر ولكل من يعارضك أو ينازعك وارغم أنف كل من لا يطاوعك ويكون
المهر ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر تنساق اليك من غير عاقة وألف رأس من الغنم وعشرين رأسا من
الخيل ومائة ثوب ومائة عبد ومائة أمة وعمل وليمة يحضر فيها كل من كان فى الحى وصار عمارة يرغب
مالكا فى المال ويلح عليه فى المقال فقال عمرو أخو عبلة وقد فرح بذلك وظن أنه أصاب انه ما قصدنا
مالك ولا نوالك ولا قصدنا الا مصاهرتك حتى نهاب بصولتك والا فأى شئ نعمل بهذا العبد الذى ليس
له حسب ولا نسب له بين العرب (قال الراوى) فلما سمع عمارة ذلك المقال فرح فرحا زائدا وأيقن أنه بلغ 196
مناه من عبلة وقد كذب ونزى * وقد انفصل الامر بينهم أن عمارة يكفيهم ما يأتى من الشر والضير من جهة
عنتر والملك زهير * هذا وقد عول مالك على أن يغدر بابن أخيه عنتر ثم لما انفصل الحال حدث عمارة أخاه
الربيع بما جرى له مع مالك ففرح بذلك الربيع ووعده بالمعاونة على ذلك الاسود ولما كان من الغد جلس
الملك زهير للسلام ودارت به السادات من بنى عبس الكرام وسلموا بأجمعهم عليه ودار واحواليه وأقبل
عمارة فى جماعة من بنى زياد وقد كبروا العمائم وضيقوا اللثائم وجلسوا على يسار الملك زهير وقد أيقنوا
بالخير وأقبل سادات بنى قراد يقدمهم بدر الدولة عنتر بن شداد فابتداه الملك زهير بالسلام والصباح
وضحك فى وجهه وصاح وقال أهلا وسهلا ومرحبا بابن العم ومن هو كاشف عن قومه الهم والغم ثم أمره أن
يجلس بين أولاده عن يمينه وكان جلوسه بجانب مالك ابن الملك زهير وأخذت الفرسان مقاماتها وجلست
على حسب عاداتها وبعد ذلك أخذ الملك زهير يحادث عنترا ويسأله وهو يرد عليه جوابه ولما استقر بالناس
المجلوس أراد عمارة أن يخطب من مالك العروس فالتفت اليه وأعلن بالسلام عليه وقال له ياسيدى
أتعرف أن نسبى ردىء فقال مالك لا ياولدى بل أنتم السادات الحماة والفرسان الكماة فقال له عمارة
ياوالدى ولاى شئ تتهاون فى حقى بعد ما أنعمت على بابنتك وأنت تعلم أنى راغب فى مصاهرتك فان كان
حدث فى نفسك شئ فأبده وأظهره بين هؤلاء ولا تخفيه فقال مالك والله يا أمير عمارة ما فى قلبى شئ
مما ذكرت فقال عمارة الآن مضى ما مضى وها نحن اليوم فى حضرة هذا الملك المعظم صاحب الاحسان
والخير وكاشف كل هم وضير المقدام الملك زهير وأنا قد جئت اليك خاطب وفى مصاهرتك راغب فاقطع
المهر مهما شئت وأشهد علينا وعليك هؤلاء السادات (قال الراوى) هذا كله يجرى وعنتر يسمع ويرى
ويتعجب مما جرى وقد فهم بذكاء عقله ان عمه راغب فى عمارة وان سكت حلت به الخسارة وخاف ان
تهاون ينقطع عليه المهر وتخرج بنت عمه من يده فقال عنتر لعمارة استحياء من أن يخاطب عمه مالكا يا ابن
زيادان من هذا بانك أن تخطب من الرجل شيأ ما هو له مالك فقال عمارة بحماقته اسكت أنت يا عبد
السوء والزم موضعك فانى ما أضيع كلامى معك (قال أبو عبيدة رحمه الله تعالى) ثم ان عمارة التفت الى أبى
عبلة فى عاجل الحال وقال له أى شئ تقول فيما سمعت من المقال وانى عازم على ما بذلت لك من الصداق
وان شئت أزيدك عليه من غير نفاق وانى مقيم على ما وعدتك به من الوعد وبعد هذا أنا عمارة الوهاب
من سادات الاعراب * طيط فى ذقنه يا حاضرين وكونوا لقولى فاعلين * قال فعند ذلك قام عنتر وقد زاد به

الغيظ

الغيظ والحنق وأخذه القلق والوسواس وذهب من وجهه الحياء ولا بقى يبصر الدنيا ولا الناس وقال ويلك ياعمارة ماتعرف أى شئ تقول ومالك بحديث عبلة حتى أنك تأمر وتنهى فيها وكيف تذكرها بفمك وبدك لاتصل الى دركك واعلم أن عبلة هى لمن خلصها من مخالب الفرسان وأنت دائر حيران وكان ذلك الوقت لايعطف الاخ على أخيه والولد على أمه وأبيه فعندها قام عمرو أخو عبلة من بين الجماعة وقال والله ياعنتر لوأن هذا الملك يقتلنى أوان سيوف هؤلاء الحاضرين تنهبنى ماسلمت اليك أختى ولوشربت كاسات الردا بالامتهان ولاأصير معيرة بين العربان ويكون حديثنا شائعا فى كل مكان ويقال عنا ان بنى قراد الذين هم معدودون من السادات قدز وجوا بنتهم الدرة اليتيمة بعبدهم الذى ماله قدر ولاقيمة وحق اللات والعزى ان هذه لغريبة فعندذلك التفت اليه الربيع العنيد وقال له ومن هو الذى يغصبك على زواجها بعبد من العبيد فزوجها لمن تختار من السادات الاماجيد وتحدث شاس ابن الملك زهير بما أراد وكذلك كل من كان يكره عنترا أظهر مافى صدره من الاحقاد وعاون بعضهم بعضا على ذلك العناد فلما رأى عنتر الامر خارجا من يده أحس بانفطار كبده وكاد أن يخنقه الحمق بين الحاضر والباد فقام وركب جواده وقد زاد غضبه وأظهر عناده وكان سيفه الظامى مع أخيه شيبوب فأخذه وقد أشهره من غمده وهزه حتى بان الموت من فرنده ونادى وقد احمرت عيناه ياسادات بنى عبس ويامن لهم الفخر بالفروسية على كل من طلعت عليه الشمس ها أنا وأنتم فى حضرة هذا الملك العالى المكان والسلطان على القاصى والدان وقد خطر لى ههنا خاطر وأنا فى حضرته فأقول قدام هذه السادات الكرام وهو مما يصدقنى فيه الخاص والعام أنتم تعلمون أنى سألت ابى المرة بعد المرة ان يلحقنى بنسبه ويجعلنى فى عداد اولاد العرب فلم يجبنى الى ذلك بالكلية ولارضى أن يطلقنى من رق العبودية حتى انه احتاج الى فى وقت فظيع وانتصر بسيفى على الجميع لماحصل له ولقومه ماحصل من ذلك الامر الشنيع وهذا عمى قال لى حين عزمت على تخليص ابنته ياابن اخى خلصها وهى لك زوجة وذمة وعاهدنى على ذلك واخذت عليه الميثاق وخلصتها وغيرها من ضيق الخناق وقلعت فرسان بنى طيئ من هذه الديار ومحقت بسيفى الظامى منهم كل بطل مغوار وعملت عملا يعجز عنه صناديد الرجال وماتركت ان يذهب مع الاعداء من الاموال ولاعقال وبذلت نفسى للسيوف الصقال والرماح الطوال طمعا فيما يحدث فى مثل هذا اليوم من المقال فكيف فى ذلك اليوم يقول لا أزوج ابنتى الا لك واليوم يزوجها لغيرى ويعدنى عبدا من العبيد بين هؤلاء الصناديد وأما عمارة العنيد فقد جرى لى معه ماجرى واراه قد تعرض لى مرة اخرى وطمع فى لما رآنى افعل معكم من الخضوع والادب واراعى لكم حرمة النسب ولولا مراعاتى لذلك كنت جعلت قدر عمارة مثلا بين العالم يضرب وعرفته قدره والزمته طوره عند كل من بعد واقترب فلما كان عمارة خلص عبلة واباها واخاها من المهالك بل هج على وجهه وقد ضاقت به المسالك ولم يعبأ به احد فى ذلك النهار ولم يخش ركوب العار والساعة قد كان الذى كان من الجور والاسراف وانى اريد منكم العدل والانصاف ان كنتم كما زعمتم سادات واشراف فاحكموا بيننا بما تروه من العدل والانصاف فان رأيتم انى معهم مظلوم فاسعفونى بالائتلاف واعلموا أنى لست عن اخذ حقى جبان ولا يدى قصيرة عن الضرب والطعان بل انى اشد من ضرب بالحسام وطعن بالسنان ولا أرجع عن قصدى حتى انال مااريد وانا عزيز غير مهان اواصبح طعاما للرخم والعقبان لانه مابقى لى نفس تصبر على الضيم والهوان ثم ان عنترا اشار الى الملك زهير وقد تألم قلبه وامتلأ حقدا من قليلى الخير وما اصابه من الشر والضير وقال ايها السيد الجليل العادل المهاب فى سائر القبائل لاتلمنى على ما انا فاعل فانك اعلم وادرى بما نحن فيه وهذا امر لا اريده ولا اشتهيه وهذا عمارة قد عاندنى فى بنت عمى واراد همى وغمى

وانا يامالك لا اظلمه ولا ارده عن طلبه فأمره ان يبرز لى وابرز له وكل من اسر رفيقه كانت العروس له وانا ما اخرج له الا بغير سلاح وهو على ما يرى ويختار من آلات الكفاح وان قهرته يشترط على عمى ما يريد من الصداق حتى آتيه بكل ما يطلب من الاموال والارزاق ولا يحتج على بمال عمارة فان عمارة لا تملك الا ما فى يده وانا اموال العرب كلها لى ولا يعيقنى عن أخذها الا طلب الراحة ولا اتركها الا عفوا منى وان لم يسمح منى عمى ذلك الكلام رحلت عنكم واقمت فى البيت الحرام واعبد ما يكون هنالك من الآلهة والاصنام واكون عدوا لكم على ممر الايام ولا ازال كذلك حتى افنى اعدائى جميعا بالحسام ولا اترك منهم شيخا ولا غلام واتركهم موعظة للانام لانى احسنت لهم مرارا عديدة وهم يجحدون الاحسان وتحملت جهلهم فقالوا هذا جبان واريد أن اعرفهم اليوم من هو الاحق بالذل والهوان وانى يامالك قد تكلمت بهذا الكلام لانه ما بقى لى عندكم نية ولا مقام ولا بقيت اطلب منكم حسبا ولا نسبا ولا ابا ولا اعماما ولا اريد لى نسبا الا هذا الحسام ولا عما غير الرمح المعتدل القوام ثم جاش الشعر فى خاطره فانشد وقال

اذا مجد الجميل بنو قراد * وجاروا فى الفعال بنو زياد * فهم سادات عبس اين حلوا
كما زعموا وفرسان البلاد * فلا عتب على ولا ملام * اذا أصلحت حالى من فساد
لان النار تخرج من جماد * اذا ما الصخر كر على الزناد * وارجو الوصل بعد الهجر حينا
كما ارجو الدنو من البعاد * ومن لم يركب الاخطار امسى * يقيد الذل فى اسر الاعادى
حملت كما علمتم حق حملى * ولم اترك بدار كمو ودادى * سأجهل بعد هذا الحلم حتى
احل دم الحواضر والبوادى * ويشكو السيف من كفى ملالا * ويشكو عاتقى حمل النجاد
وقد شاهدتمونى فى يوم طى * فعالى بالمهند والجداد * رددت الخيل خالية حيارى
وسقت جيادها والسيف صادى * ولو أن السنان له لسان * لعد طعانه فى ذا الفؤاد
وكم داع دعانى يوم حربى * وناداتى فلبيت المنادى * لقد عاديت يا ابن العم ليثا
جواد الامل من الطراد * يرد جواده قولا وفعلا * بيض الهند مع سمر الصفاد
فكن ياعم منه على حذار * ولا تملأ جفونك بالرقاد * ولولا سيد فينا مطاع
كريم القول مرتفع العماد * اقمت الحق بالهندى قهرا * واظهرت الضلال من الرشاد

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره تعجب الحاضرون من نظمه ثم ان شدادا التفت الى مالك وهو بين تلك المحافل وقال له يا أخى انت تريد أن تفرق شملنا فى القبائل وتجعلها عائدة لكل قائم وقاعد قم زوج ابنتك لولدى عنتر والا رحلت أنا والاخر وأسعى أنا وهو فى البر الاقفر واصير لكم من جملة الاعداء واجلب لكم الشر والضرر وكذلك قال زخة الجواد وأما مالك بن زهير فانه احمر وجهه وقد زاد به على أبى عبلة غيظه وغضبه وصار يريد ان يكلمه ويبلغ منه أربه ولكن الحياء يمنعه فقال له أبوه ما يا مالك يا مالك تكلم بما تريد وافصل هذه القضية ولا تخش من قريب ولا بعيد وكان الملك زهير يحب ولده مالكا أكثر من أولاده فقال مالك اقول أى شئ ما أبو عبلة الا من الظلمة المعنية لارعاه الله من كل الاذية وكذلك كل من يرى الظلم ويجعله غيه ثم قال لابى عبلة لاى شئ يا مالك ألحقتموه مع اولاد العرب وانت فى وقت نزول البلاء بك تقول له يا ابن أخى واذا كنت مطمئنا تناديه يا ابن زبيبة وعند ما خلص بنتك من ضيق الخناق جدت بها عليه الى ان سلمها لك فكيف يحل لك الرجوع عن قولك وعهد مثلك وقوله حجة لا ينقض ولكن وحق من غسق الغسق وامرا الغيث فتدفق انها له على رغم انفك وانف اعدائه الكبير منهم والحقير والرفيع منهم والوضيع

(قال الراوى) فلما ان تكلم مالك بهذا الكلام ساعده جماعة من المحبين لعنتر وقالوا انه يستاهلها ولاموا أبا عبلة وعنفوه عليها فلما رآهم انحرفوا عليه وعادوا نوه فقال من غيظه ومن قلقه انا لا اسمع كلامكم ولا ازوج

ابنتى

p.198

ابنتي الا لمن عاهدته فى الاول وهو الامير عمارة فقال الملك زهير هذه حجة باردة لا اسمعها ولا تغضب مثل هذا الفارس الذى حمى القبيلة باجمعها ولا تدع أن يخرج من يدنا هذا الفارس الاسود والحجر الجلمد الذى ناره فى الحرب لا تخمد وصارمه لا يزال مثلما من قطع الهام وقد الزرد وان كان خوفك من الربيع وعمارة فأنا اسألهم ان يهبوا لنا هذه الجارية فى الحال ويرفضوا الامر الذى يكون لنا فى عاقبته وبال واسأل الربيع ان يطفئ لنا هذه النار فلما سمع الربيع ذلك الكلام التجم من الغرس بلجام الخبال وقام من شدة غيظه ودهاه فى الضلال وقال للملك زهير ايها البطل الهمام والليث الضرغام وحق مالك الممالك ما بقيت اخلى عمارة يذكر هذه الجارية ولو هلك فى محبتها من الغرام ولا أنادى عنترا لاكما أنادى أبناء الاعمام مثلك ومثل السادة الكرام (قال الاصمعى) ثم انفصل الامر على ذلك المقال وتوقفته الابطال وبلغ عنترا الآمال وعاد عمارة مما امله خائب وقد أحاط به الذل والنوائب ولم يزل حتى وصل الى ابياته هو واخوه الربيع وقد خص ان قلبه يتفطر من هذا الامر الشنيع ثم انهما لما وصلا واجتمعا فى الابيات بكى عمارة بين يدى اخيه مثل بكاء الثكلات وقال وحق اللات والعزى لئن أخذ عبلة هذا العبد الزنيم وحظى بحبها هذا الوغد اللئيم فانى أموت فى الحسرة والكمد ويشمت بى فيما يجرى كل أحد وأنا لم يبق لى صبر ولا جلد فقال له الربيع ياعمارة أنت لم ترجع عن هذا العبد الاسود حتى ترمينا فى النكد ولقد تعلقت فى أمر يخرب ديارنا وحطيت قدرنا مع من ليس من أقراننا فدخلت عليهما أمهما فوجدت عمارة تزائد البكاء فسألته فاخبرها بما جرى له مع عنتر وما شرط عليه قدام الملك زهير وكيف عابوه وعن عبلة منعوه (قال الراوى) وكانت أمهما كبيرة القدر بين العرب فقالت ياعمارة بالله ان تتعرض لهذا البطل لانى اخشى عليك منه الفشل فانه قد ظهرت شجاعته وازدادت براعته ومع هذا فهو عاشق بنت عمه ولا يبالى بما يفعل ولا تعاند من اذا قال فعل وقد رأيت من شجاعته ما حير بصرى لانه صان الحريم بسيفه ولولاه كنا الى الآن تحت الذل والهوان فقال لها عمارة طبعك هكذا دائما يا أماه تصفين هذا الوغد اللئيم بالثناء والتكريم وانك كلما تذكريه يذوب جلدى وان أخذ عبلة أموت بحسرتى فقال الربيع وأنا اذا لم أدبر على اهلاكه فما أنا الربيع * قال وكان للربيع صديق من بنى عبس وكان بطلا شجاعا قد افنى عمره فى الغارات ونهب اموال العرب وكان لا يقر بمكان وهو مغرم بملاقاة الشجعان وكان يصطاد السباع من الآجام وكان اسمه عروة بن الورد ويلقب بعروة الصعاليك لانه كان يحب الفقراء وكان اذا تفرقت بنو عبس فى الحر على المناهل يبقى هو والصعاليك فى الحى ويذبح لهم ويطعمهم وينفق كل ما كان معه عليهم ولهذا سمته العرب عروة الصعاليك وكانت العرب تتحدث بكرمه وحسن أخلاقه وكان ذلك الفارس مع ما هو فيه حلو الكلام فصيح اللسان وكان من جملة ما قال حين كانت أمه تمنعه عن السفر فى الليل والنهار فأنشدها بقول هذه الابيات

أقلى يا أميمة من كلامى * وعزلى فى الرحيل وفى المقام
فمن طلب العلا أمسى وحيدا * وأصبح جائلا تحت القتام
ولاقى كل جبار عنيد * بطعن الرمح مع ضرب الحسام
فأهنأ ما يلذ به رفادى * محادثة الضيوف على الطعام
وأبذل نعمتى لجياع قوم * وأنزل نعمتى لجياع قوم
حيارى بين أطناب الخيام * وأجعل نارنا فى الليل تهدى
اليها الطارقون دجى الظلام
ويطربنى صرير الرمح حتى * أشبهه بغانية المدام
فعش فى العز والاقبال يوما * ولا تحت المذلة ألف عام

قال وكان عروة هذا يسمع بعنتر وبفعاله ولكن ما حضره فى حرب قط وما جرى لعمارة هذه المجرى مع عنتر وشكا حاله لاخيه الربيع وكان عروة فى تلك الايام فى الحلة فاستدعى به الربيع بين يديه وكان بينه وبين الربيع صحبة قديمة فلما وصل اليه عروة ودخل عليه نهض له الربيع قائما على الاقدام وأجلسه الى جانبه

وحدثه بالكلام بعد أن سلم عليه ثم أحضر له المدام ولما دارت الخمرة عليهم طاب لهم الكلام فابتدأ الربيع بحديث عروة بحديث أخيه عمارة وما جرى له مع عنتر قدام الملك زهير من تلك العبارات ثم انه طلب منه الاعانة عليه والمساعدة منه لديه فقال له عروة يا ربيع أو بلغ من هذا العبد الشنيع أن يصل الى هذا الحد وصار ممن يراجعكم في المقال ويهددكم في الفعال ونسي ما كان عليه من رعي الجمال وجمع المسكة بين التلال فقال الربيع اي ومن أرسى الجبال ويعلم عدد الرمال لقد خرج علينا شيطانا لا ينافس وبطلا في الحرب لا يقايس وقد رفع الملك زهير قدره وأعلى بين الرجال ذكره ولقبه بحامية عبس ودعاه بابن عمه وقد صار أقرب اليه من كل ما على وجه الارض وقد شممنا في شعره وخوفنا من ضرب حسامه ونريد منك يا أبا الابيض أن تعيننا عليه وتجتهد في أذيته توصلها اليه ولعل بقوة بأسك تكفينا شره ومكره وكان عمارة حاضرا وقد لعبت به الخمرة وطاش عقله من السكرة وحكم عليه سلطان الهوى وزاد به الوجد والجوى وطلب من عروة النصر على عنتر وقد حل به الوجد والفكر ثم انه قبله بين عينيه وبكى من شدة العشق بين يديه فقال عروة لا تبك يا أمير عمارة فالامر أقرب من هذا الحال وأنا أخرج اليه واقتله وأعجل مرتحله وان أراد أن يغوص في الثرى أو يطلع الى السما قتلته ولو قام بنصرته كل من في القبيلة والحمى وهذه يدي لك بالوفاء بما أقول وسيصل اليك خبر ما افعل به من الامر المهول فقال عمارة يا أبا الابيض نذرت علي ان أنت فعلت ما تقول وقتلت عنترا أعطيك فرسي العسوب ورمحي المعتدل الكعوب وجبتي الحمراء وعمامتي الخضراء ومائة ناقة حلوب وعشر عبيد وعشر جوار وأزيدك فوقهم مائتي دينار فقال عروة مرادك يا عمارة أن تخدعني بالمحال وأنا لا أريد منك مالا ولا نوال ولا نوقا ولا جمال كيلا تقول عني العرب اني قليل المروءة وانى أخذت على قضاء حاجة رشوة من المال ولكن أنا أغتاله في بعض المواضع الخاليات وأقتله ولا يعلم بي أحد من المخلوقات فاشرب وطيب قلبك واشرح صدرك واترك أمرك الى غداة غد ولا تشمت بنفسك العدا فشرب عمارة عند ذلك وطاب قلبه لما سمع من عروة ذلك وخف عنه كربه وداخله السرور والفرح وطاب قلبه وانشرح قال فهذا ما جرى لهؤلاء

﴿وأما ما كان﴾ من عنتر فانه لما أصبح الصباح جلس الملك زهير وأتت الفوارس اليه لاجل الخدمة والسلام عليه وأتى عنتر في الجملة وهو يهذي بذكر بنت عمه عبلة فقال له الملك زهير ويلك يا أبا الفوارس أو تحب عبلة الى هذا الحد فقال نعم وحق من ليس له ند ولولا طيفها يطرقني في المنام لكنت هتكت ستر الاحتشام ولكن أيها الملك أنا أظهر الصبر والجلد وأخفي الوجد والكمد كي لا يشمت بي من الاعداء أحد ثم فاضت عيناه بالدموع وان أبيا من فؤاد موجوع وأنشد يقول

جفوت نومي وهذا الدمع قد وكفا * بحب عبلة أضحى القلب محتفظا * حورا كريمة اخلاق وناعمة
لا صبر عنها ولا ألفى لها خلفا * اذا انثنت كان غصن البان يحجبها * عن الرجال بقد يورث التلفا
يا عبل اني أسير في هواك ولا * أرجو الفكاك بأسر عنك فيه خفا * يا عبل قد ذلت الابطال صاغرة
لسطوتي وأنا أرعى الذي سلفا * يا عبل اني أصيد الاسد مقتنصا * وأنت قانصتي في ذا الهوى شغفا
ان عايروني بأني أسود فأنا * يوم الكريهة فعلي أبيض وكفي * يا زهرة الشمس جودي للحبب فقد
زاد الغرام على المهجور وانعكفا * وواصلي من لطول الليل يسهره * يرعى النجوم ودمع العين قد ذرفا
لو حاله دونك كسرى ما حفلت به * وكنت أهزمه بالطعن مختلفا * وأورد الخيل نهلا من دمائهم
والجو أقتم والاوغاد لم تقفعا * لكنني أرتجي بالقلب يا ملك * فكن معيني لاحوي العز والشرفا

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك زهير من عنتر ذلك الشعر والنظام طرب طربا شديدا وكذلك صديقه مالك لحقه الوجد والهيام ثم انهم انصرفوا من حضرة الملك زهير وسار مالك الى بيته وقد أخذ عنترا في صحبته وصحبه

أبوه شداد وعمه مالك أبو عبلة و بقوا ذلك اليوم فى دعوته بالجملة وقد فرح عنتر بقضاء حاجته وعلو منزلته وجعل يصف مكارمه وكذلك فعل بعمه مالك وصار كلما قام وقعد يقبل يديه و يخدمه و يظهر له الوداد و يقول له بالله عليك ياعم لا تضيع خدمتى لك وتعبى ولا تترك عمارة بن زياد يشمت فىّ ولم يزل كذلك حتى غلب عليه السكر وأراد أن يختبر عمه و يعلم ما فى قلبه فقال له ياعم ان كان فى قلبك شئ فأظهره ولا تكتمه حتى انى أعرفه وأعلم خبره فقال له بمكره وخبثه ودهاه والله يا ولدى ما بقى فى قلبى منك شئ غير المحبة ومن اليوم فصاعدا لا أجعلك الا ركنى وأنت من اليوم فى مرتبة ولدى وما وقع منى ذلك اليوم كان حياء من بنى زياد لانهم من أصحاب الاحساب فما أمكننى أن أجاوبك قدامهم الا بذلك الجواب وأنت عندى يا ابن أخى من جملة الاحباب ولولا أن هذا السيد الذى نحن فى انعامه وانعام أبيه لما انطفأ الشر الذى كنا فيه لانه هو الذى كفهم عنى واطفأ تلك النار وكذلك أبوه الملك زهير لا عدمنا فضله وانعامه لانه ردعنا شر الربيع وشر اخوته الجميع والآن بلغنا المراد وصار لنا من يردعنا بنى زياد وقد صفت القلوب من الاحقاد فشكره عنتر على هذه الفعال وأيقن عند ذلك ببلوغ الآمال وقال يا مولاى ما اضرم فى قلبى ذلك اليوم نيران الاشتعال وأحوجنى أن أفعل تلك الافعال الا قول ولدك عمرو بين السادات والابطال والله لو قتلنى الملك زهير أو نكلنى أشد النكال ما سلمت أختى لمن كان بالامس يرعى الجمال فقال له عمه مالك يا ولدى ان ابنى عمرا قد رغب فى نعم بنى زياد وأمل أن يختلط بهم و يعيش فى ظلهم بالارغاد وهو لا يعول على قوله لان الامر لى وأنا الذى أدبر فى الاول وفى الآخر لانى اذا قلت قولا لاولدى يقدران ينفيه فقال مالك بن الملك زهير يا مالك اقبل سؤالى فى عنتر و بلغه مراده منك وأنا اكفيك شر اولاد زياد وغيرهم من سائر العباد وفى غد امضى الى عمارة واكفيك شره وشر بنى زياد بالجملة واحرمه ان يذكر عبلة فشكره مالك وقضوا يومهم بالسرور والافراح وشرب مدام الراح وتناول الكاسات والاقداح الى ان اقبل الليل بظلامه الحالك فركب شداد واخوه مالك وعادا الى المضارب وعنتر ماش فى ركاب عمه مالك و يريد بذلك القرب وان يميل اليه قلبه ولعله ان يعطف عليه و يحبه ولم يزالوا حتى وصلوا الى الابيات فشكره عمه مالك وشكرته ام عبلة على تلك الاشارات ثم بعد ذلك عاد الى بيت امه زبيبة وقد انجلى عنهم كل هم وريبة ﴿قال ابو عبيدة﴾ ولما اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح ركب مالك ابن الملك زهير الى ابيات بنى زياد يرجو بذلك ان يطفئ ما قد حصل بينهم من الشر والعناد ثم انه دخل على عمارة فترحب به وقال أهلا وسهلا بالامير الناصح والسيد الذى لم يزل يتكلم فى المصالح ارجوان تكون قد عرفت ما عملت فى حقى وكيف تعديت على وقطعت من عبلة رزقى فتبسم مالك وقال بالله يا عمارة اقصر عن هذه الجويرية لئلا تحل بك الرزية فغيرها كثير من البنات العربيات وما اتيت اليك الا لاعرفك انك خلصت من امر عظيم وقد كفيت شر هذا الاسود الزنيم فقال الحمد لله يا مالك على تفضيلك ابن الامة على ابن الحرة وهو ابن عمك فقال مالك والله يا عمارة انها ما كان ذلك الا شفقة عليك وخوفا من ان تصل اذيته اليك بسبب امراة قد عشقها وذكرها فى شعره ثم قال عمارة انها قد تعلق بها قلبى من كثرة ما وصفوها الى فقال مالك اذا كنت انت يا عمارة حلت بك هذه الفعال وانت مارا بتها فكيف بالذى قد تربى معها وقد عرفها حق المعرفة وبعد هذا فانا آمن عليك منه واخاف ان يؤثر فيك اثرا فانك تعلم ان الانسان يحمله الهوى على امور لم تخطر على بال ثم ان مالك بن زهير ركب جواده وسار من عند عمارة وقد الهب فى قلبه النار من خطابه (قال الراوى) وكان عمرو اخو عبلة قد بات تلك الليلة باشد حق لما علم أن اباه عند مالك ابن الملك زهير ولما اتى ابوه قال له اخبرنى يا ابتاه ان كنت قضيت امرا مع عنتر من جهة عبلة فأنا ارحل عنك بسلام لعنتر وان كان الامر قد صح فلا بقيت ترانى ابدا ولا اسمع بمثل هذا الكلام فقال له ابوه طب نفسا وقر عينا فوحياتك لاقتلنه شر قتلة على يد غيرى ولا شفين غليلى

من هذا الوالد ابن اللئام ولا ادع ان يقع على ذلك عتب ولا ملام فطاب قلب والده عمرو بذلك وما صدق
ان الصباح يصبح حتى مضى الى عمارة وحدثه بما جرى بينه وبين ابيه من تلك الاشارة وحدثه ايضا
بحديث عروة وكيف ضمن له قتل عنتر وكيف وعده بذلك الوعد فغرح عمارة عند ذلك واستبشر وقد
ايقن انه بذلك الهذيان انتصر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عروة فانه بقى
متفكرا فى امر عنتر وصار يقول فى نفسه انا قد عقدت لساني مع عمارة انى اقتل له عنترا فأكمن له الارصاد
وكان عنتر يقطع اكثر اوقاته فى الصيد والقنص وانتهاز اللهو والفرص وهو منتظر وعد عمه مالك
وما اتفق عليه من الاتفاق وهو صابر صبر العشاق * قال وكانت عبلة ابنة مالك تحب عنترا وتريد قربه
وتراسله وتطيب قلبه وتخبره بما يجرى بين ابيها واخيها من الرأى الذى يدبرانه بمكرهما ويفعلانه
باتفاقهما ثم انها ارسلت تقول لعنتر يا ابن العم لا تغتر بما قال ابى واخى وخذ منهما حذرك ودبر امرك
واحذر على نفسك منهما واعلم ان عمارة بن زياد قد وعده عروة بن الورد بقتلك وانا اسأل الله رب البيت
الحرام وزمزم والمقام ان ينصرك على اعدائك اللئام فخذ حذرك ولا تضيق من قبلى صدرك فما
انا الا فى معونتك على العدا ولا املك روحى لغيرك ابدا فسكن روعك وبرد هجرك (قال الناقل) فلما
بلغ عنترا هذا الخبر طاب قلبه بهذا الكلام وقد ايقن ببلوغ المرام ثم انه سأل عن عروة بن الورد فقالوا له انه
قد اخذ رجاله وسار بابطاله من امس وهو طالب بهم ارض بنى مذحج ليغير واعليها ويكسبوا من حولها
من الابطال والرجال * قال وكان لعروة بن الورد مائة فارس تسمع لقوله وتركب لركوبه وتنزل لنزوله وكان
عنتر قد صدق عبلة فيما قد ارسلته له من الكلام * هذا وان عروة قد اختبأ لعنتر برجاله فى شعب يقال له
شعب الوادى وقد أكمن له العيون والارصاد الى ان اتفق لعنتر أنه خرج من الحى واخذ اخاه شيبوبا فى
ركابه وابعد فى البرارى والقفار والسهول والاوعار ثم ان شيبوبا أشار على أخيه عنتر بالصيد والقنص
وانتهاز اللهو والفرص فعند ذلك خرج عنتر فى الحال ولم يخالف أخاه فى المقال وتبطنوا فى تلك البرارى
الخوالى وصار الامير عنتر يصطاد واخوه شيبوب يرد له الوحوش من القفار ومازالا على ذلك الحال
حتى اشرفا على شعب الوادى الذى اكمن فيه عروة له الارصاد (قال الراوى) فبينما عنتر ومن معه على ذلك
الحال اذا قد خرج عليهم من جانب الوادى فارس وهو فى الحديد غاطس طويل القامة عظيم
الهامة فما هو الا أن أطلق نحو عنتر عنانه وقوم اليه سنانه وجرد حسامه فى ميدانه وكان هذا الفارس هو
عروة بن الورد وكان قد غير زيه وهيئة لباسه حتى لا يعرفه أحد من اجناسه فحين وقعت عينه على عنتر
حمل عليه وصرخ فى وجهه وتقدم اليه وكان قد اوصى رجاله وقال لهم اعلموا يا رجال ان هذا العبد قد شاع
ذكره بالفروسية والشجاعة وقد سمعت عنه أمرا عظيما وأن له همة علية ونخوة أبية وأنا قد ضمنت لعمارة
قتله وقد خرجنا من الحلة بسببه وما صدقت انى أراه فما فيكم من يجاوله ويحمل عليه وها أنا خارج
اليه وأرمى روحى عليه فان ظفرت به كان وان رأيتموه قد استطال واستظهر على فعند ذلك اندفوا فيه
الصفاح وشيلوه على أسنة الرماح وان رأيتمونى قد ظفرت به فدعونى أناوياه حتى انى أقتله وأوفى
ضمانى وأكون أظهرت منزلتى بين أقرانى وكان قد قال هذا المقال من جودة خبرته بالقتال ثم انه
خرج فى ذلك الوقت على عنتر كما ذكرنا من غير أسباب وحمل عليه من غير كلام ولا خطاب * ولما أن
رآه عنتر صدق الخبر وعرفه بركبته وطول قامته فأراد أن يحقق معرفته فاستقبله من ساعته وناداه وقال له
ويلك من تكون أنت من الفرسان وما الذى أوقفك فى هذا المكان قال فلم يكلمه عروة بمقال
ولا نطق بشفة ولا بلسان قوال بل انه صال معه وجال فعند ذلك صرخ عنتر وقال يا للرجال الاجواد
ما أحسن ركبة هذا الفارس الطعان فانى أراه ثابت الجنان لكن كأنه أخرس اللسان ولم ينطق بكلام بين

الرجال

الرجال عند الجلاد فقال له شيبوب يا ابن الام اقتله ودعه يكون أيامن كان من العباد والا فدعني أضربه بنبلة في الفؤاد أحرمه بها الرشاد وأقلبه بها من على ظهر الجواد الى الارض والمهاد والا أقلب حصانه من تحته حتى يقع في وسط الميدان وأربطه ولو يكون النمرود بن كنعان فقال له عنتر لا ياشيبوب أمهل ولا تكن خوان حتى نعرف من هو من الفرسان والى من ينسب من العربان فأنا وحق السيد عبد مناف ما أريد منه الا الانصاف فأنا كفء له ولو كان معه خمسة آلاف لأسقينهم كؤس التلاف ولكن ان صدقني حذري ولم يخطئ فكري وحياة عيون عبلة ست الملاح ما هذا الفارس الا عروة بن الورد البطل الجحجاح وقد أتى الينا كما وقع بينه وبين عمارة بن زياد الاتفاق (قال الراوي) فلما سمع عروة من عنتر ذلك الكلام علم انه عرفه فكشف عن وجهه اللثام وقد زعق عليه وسار الى أن بقي بين يديه وتكلم وقال له ويلك يا أسود الجلد يا زنيم يا وغد يا لئيم ان كنت ما تعرفني فأنا أعرفك بنفسي أنا عروة بن الورد الكريم الاب والجد وانني لك بهذا المكان في الانتظار حتى انني أقتلك بسيفي البتار وأقطع منك الآثار لانك قد تعديت طورك وجاوزت حدك ولم تعرف قدرك فانك قد عاديت بني زياد وأنا قد ضمنت لهم قتلك وأن أصرف عنهم مكرك وشرك وأشار عروة بقول بعد الصلاة والسلام على النبي الرسول

قف قد أتى ليث شجاع فاضل * مودى العدا يوم الوغا بالمنصل
أسد تخاف الاسد شدة بأسه * والنقع في الهيجاء ليس بمنجلي
شرس غشوم فارس ذو نجدة * يحمي حماه في الوغا بالذابل
يا أسود لا قالك قرم باسل * متعود خوض الحروب حلاحلي
بمهند صافي الحديد مقدم * والموت في ضرباته لم يخذل

(قال الراوي) فلما فرغ عروة من شعره وسمع عنتر ما قال من نظمه ونثره قال له والله يا ابن الورد لقد حدثتك نفسك بالمحال وقد حل بك الويل والنكال وألقيت بنفسك للوبال ولو علمت من أنا لكنت عن هذا الامر في غنى فان كنت بي جاهلا فأنا اليوم أعرفك من فينا ولد الزنا ومن فينا ولد الحلال ثم ان عنترا أوسع في مجاله وأجابه عن مقاله وقد أشار الى عروة وأنشد يقول بعد الصلاة على الرسول

دع عنك شقشقة اللسان فانها * تردي لك في مهوى الهلاك العاجل * وابرز لتلقى ضيغما ما مثله
يوم الكريهة في غبار القسطل * ان كان لونى أسودا فعمائلي * بيض كلون الشمس فانهض واسأل
وانا المنية وابن كل منية * وانا الرسول الى القضاء المنزل * مالي انيس في الظلام اذا اتى
الا الحسام وذابلي ذو المنصل * كم من عزيز قد اهنت بصارمي * وتركته فوق الثرى بتجندلي
واليوم يا ابن الورد تردى في الفلا * وتكون رزقا للطيور الأكل

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من شعره والنظام طلبه عروة كأنه الجارح اذا انقض على الحمام وحمل كل واحد منهما على صاحبه واخذ يطاعنه ويضاربه وانحط عليه عنتر انحطاط الغمام وهجم عليه مثل اسد الآجام وقد جالا مع بعضهما البعض حتى تدكدكت من تحت ارجل خيولهما الارض وتقاتلا بالطول والعرض وما زالا في قتال ونزال ومحاربة وجدال الى ان كلت منهما الاوصال لانهما كانا فارسين شديدين يحيران بفروسيتهما كل عين ولكن كان عنتر اجلد واصبر وبأحوال القتال أدرى واخبر (قال الراوي) لهذا الكلام العجيب وقد كان شيبوب اخو عنتر قد تركهما مشغولين في القتال وطلب الشعب حتى يبصر ان كان فيه احد كامنا من الرجال فمضى وغاب ساعة وعاد الى اخيه اسرع من ريح الشمال وهو ينادي ويلعلع في المقال ويقول يا اخي خذ حذرك فقد جاءتك الرجال من الشعب ومن بين الجبال وهي تهزق اكفها اطراف العوال * قال فلما سمع عنتر من اخيه شيبوب هذا المقال هدر مثل الاسد

الزبال وصدم عروة صدمة تهد الجبال وهو كأنه الاسد الضرغام الذى من عاداته ممارسة الابطال ثم جاوله وطاوله الى ان اوقع به الضجر والملال وكان عنتر كلما لاح له من عروة مضرب يعفو عنه الى ان اتعبه واكربه وقد مد يده الى جلباب درعه وهزه ناقتلعه من سرجه واخذه من على ظهر الحصان ورماه الى الارض وقد رض عظامه فى بعضها البعض فلما ان صار على الارض انقض عليه شيبوب وشد كتافه وقوى منه سواعده واطرافه وبعد ذلك طلب عنتر فم الشعب واذا بالخيل قد خرجت كأنها النار ذات الاشتعال وحملوا عليه ودار وا من حواليه فاستقبلهم عنتر بطعن يعمى البصر وضرب لا يبقى ولا يذر وجعل ينثر الرجال نثر الورق كلع البصر ويحمل على المواكب ويرد الخيل من كل جانب وشيبوب يرمى بالنبال الى سائر الرجال ويتركهم من حوله ممددين فى الرمال وكل من وقع بشد كتافه الى ان صاروا لا يخرج احد من خوفه وكأنه ما بقى احد فيه روح الا من هو قتيل أو مجروح ولم يزالوا على مثل هذا الحال الى ان تعالى النهار وقد رأت أصحاب عروة من عنتر ما يحير الابصار فعند ذلك طلبوا النجاة والفرار والرواح وكان منهم جماعة موثوقين بالجراح وهم مشرفون على ذهاب الارواح ولما انجلى الغبار وتفرقوا فى الاقطار أمر عنتر شيبوبا بأن يشد الجرحى على خيلهم ويسير بهم نحو الديار وسار وابعد ذلك طالبين البيوت وصار عنتر يتحدث مع أخيه شيبوب بمودة عبلة وكيف أعلمته بهذه الفعلة فأنشد وقال

أعبلة لولا الخير بأتى تكرما * تركت جميع القوم بالسيف جثما

خرجت الى صيد الوحوش فبان لى * رجال وفيهم عروة قد تلثما * ولولا الحياء من آل عبس تركتهم طعاما لوحش البر والطير حوّما * ولو رام غيرى ان يراهم لحومت * عليه المنايا كلما رام أو رمى أعروة دع مكر الربيع وغدره * فما بيننا ثار ولا بيننا دما * وقل لى أفيكم فارس ذو حمية * يقوم لمثلى بارزا متقوما *

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر عنتر وعروة وأما ما كان من الربيع الغدار الذى دبر هذا التدبير وكان به على عروة مشيرا فانه ركب ذلك اليوم هو وأخوه عمارة مسرورين بما اتفقا عليه من شن تلك الغاره وما دبراه من هذه الاشارة وقد أملا أن عنترا ما عاد يرجع للديار وفى ظنهم ان عروة يقتل عنترا ويطفئ منهما النار فسارا وهما يتحدثان فى أمر عروة وكان الملك زهير فى ذلك اليوم قد ركب هو وأولاده وخواصه مع فرسانه وسار وا الى أن أشرفوا على المراعى وكان الربيع فى ذلك اليوم قد التقاهم فقصدهم والتصق بشاس ابن الملك زهير ومالك أبى عبلة وأعلمهما بالخبر وبما دبر فى قتل عنتر ففرحا واستبشرا لما سمعا منه من مقاله ومادبر من فعاله وسار الى أن حمى الحرب واشتد الهجير فعند ذلك رجع الملك زهير وهو طالب الابيات وحوله سائر الابطال والسادات وقد انفرد منهم شاس وعمارة وأخوه الربيع ومالك أبو عبلة وولده عمرو وتلاحقوا ببعضهم الجميع فقال لهم الربيع سيروا بنا الى عروة حتى نساعده ونشتفى بقتل عنتر من دون الناس فساروا سائرين وهم على ذلك الحال حتى انهم وصلوا الى وادى الجراجيل واذا هم بأوائل الخيل المنهزمين وأولهم لا يلتفت لآخرهم وهم على خيولهم يركضون والى ورائهم لا يلتفتون ولما ان رأوا ذلك حاروا فى أمورهم وذهبت عقولهم وقد حرك شاس جواده وتلقاهم وقال لهم ما وراءكم فقالوا له اعلم أن وراءنا الموت الاحمر وهو ابن شداد المدعو عنتر وقد فعل فينا هذا الفعل المنكر الذى لا يبقى ولا يذر وقد أسر مقدمنا عروة وأنزل به الذل والبلوة وسطا علينا وتجبر وترفع وتكبر فلا تعقنا أيها السيد ودعنا نمضى الى حال سبيلنا لانه ان لحقنا عنتر يفتنا فقال لهم تمهلوا واخبرونى بأصل الخبر وأوقفونى على الاثر فعندها أخبروه بما جرى عليهم من عنتر فلما سمع شاس منهم ذلك الكلام صار من الغيظ مغشيا عليه حتى صار لا يعرف ما بين يديه وأما الربيع فانه تعلقت خصيتاه فى حلقه مما قد أتى عليه ثم انه بعد ذلك قال لشاس

عما قد أصابه من الهم والوسواس والله ما بقي الا اننا نستمر على ما نحن عليه من ذلك الحال حتى اننا نلقى
هذا العبد ونلومه على هذه الفعال ونقبح عليه أعماله حتى انه يطلق لنا من بين يديه عروة ورجاله قبل
ان يفعل بهم المكائد لانه ذو بأس شديد وهو شيطان مريد وانه اذا علم انها منا نخاف أن يعلم أباك بأحوالنا
فيلومنا على أفعالنا ثم انهم سارو ا يركضون بخيلهم وهم لا نفسهم يلومون ويؤملون أنهم لعنتر يلحقون
ولعروة ورجاله منه يخلصون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عمارة فانه صار يضرب بيديه
على صدره ويقول واحزناه وافرقتاه راحت عبلة من يدي وأنا أعلم أنه سيملكها من دوني ولا بد أن
أموت شوقا لها ويفقدوني قرابتي وأهلي ثم ان عمارة التفت الى أخيه الربيع وجعل يقول له وقد حل
به من الغيظ هم عظيم فظيع وحق اللات والعزى ان الموت ما يقدر على هذا العبد ولد الزنا فقال له الربيع
والله يا عمارة أنت لا تترك عنا اللجاج والعناد حتى انك تركتنا مثلا بين العباد ونحوجنا أن نظاهر
بالعداوة عبد شداد فقال عمارة والله يا أخي ان عبلة تستاهل أكثر من ذلك من جليل الافعال وانها
رخيصة بذهاب الآجال فقال له الربيع والله يا عمارة مادام هذا العبد في الحياة ما يدعك تشمها ولو
فعلت معها ما فعلت ثم انهم بعد ذلك ساروا وهم يتلاومون وفي قتل عنتر يتشاورون وفي خلاص عروة من
هذا الامر المنكر يتفكرون وهم مجدون في السير قال فبينما هم كذلك واذا قد طلع عليهم ثلثمائة فارس
أبطال قوانص وفي الحديد غواطس ما منهم الا كل مدرع ولابس وهم كأنهم الاسود العوابس يقدمهم
فارس أمرد وعليه جوشن منضد وهو متقلد بحسام مهند وعلى رأسه بيضة تتوقد وهو مضيق اللثام
وآخذ بالزمام وتحته جرة عربية تسبق الرياح الغربية (قال الراوي) فلما رأى ذلك الفارس شاس ابن
الملك زهير هجم عليه كأنه الاسد الرئبال وزعق عليه زعقة أسود الجبال وانقض عليه انقضاض الباز على
الحمام وخطفه من سرجه مثل أسد الآجام وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وانقض بعده على مالك وولده
عمرو وانقضاض الاسد الكاسر والليث الغائر وشد منهم الاكتاف وقوى منهم السواعد والاطراف فعندها
برز اليه الربيع بن زياد وكان ذلك الفارس يسمى الهجام وكان فارسا مقداما على الاهوال العظام فحاول
الربيع ساعة وأخذه أسيرا بعد ما جرى بينهما العجائب والاهوال لان الربيع كان من الفرسان المعدودين في
الحرب والقتال وقرنه الى شاس في الاعتقال وقد نزل عليهم الذل والخبال وبعدها طلب عمارة وزعق
عليه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده وأعدمه عقله وفهمه رشاده وأرجف أعضاءه وأرعب
فؤاده فكتفه الذي كتف أخاه وأوثق شداده ثم انهم رفعوهم من على الارض وساروا بهم يطلبون الديار
وقد عرج بهم وسار على طريق بلادهم وأمصارهم ومازالوا سائرين والغلام المقدم عليهم سائر أمامهم
وهو فرحان ببلوغ الآمال وقضاء الاشغال في عاجل الحال (قال الراوي) وكان ذلك الفارس من
بني معن يقال له الهجام بن جابر وكان سبب مجيئه الى بني عبس وعدنان سببا عجيبا وأمرا مطربا غريبا
وذلك أن الملك زهير لما سار الى قتال المتغطرس من غير تعويق وصل الى حيهم فوجده خاليا من الرجال
والابطال فعرف أنهم ركبوا وساروا الى ديارهم وقد خالفوه في الطريق فرجع الملك زهير الى ديار خوفا
على سبي عياله لانه ما ترك في حيه الا القليل من الرجال وولده ورقة فوجد القوم قد سبقوه وسبوا الحريم
والاطفال والعيال وقتلوا بعض الفرسان ولحقهم عنتر في أول مبتدئهم وخلص منه الاموال والسبايا وقتل
رجالهم مثل الضحايا وجرى من النصر ما جرى مما ذكرناه في كلامنا المتقدم وعاد الملك زهير وعبر في طريقه
على قوم هذا الغلام كما تقدم وقتل من تعرض له من الرجال وسبوا نساءهم والاطفال وقتل أبا هذا الغلام
الذي نحن في ذكره وكان هذا الغلام غائبا في بعض أسفاره فلما قدم ووصل الحي سمع النوادب والنوائح
فسأل عن الخبر فأخبروه بما جرى على أهله وقبيلته وبكوا بين يديه وعزوه في أبيه وأعلموه أنه قتله الملك

زهير فى غيبته فسار فى هذه الثلثمائة فارس من بنى عمه لما أوقد فى قلبه من لهيب النار وسار يطلب ديار بنى عبس وملكهم ليأخذ منه الثار فوقع بشاس بهذا الاتفاق كما قدمنا وأسر الجميع كما ذكرنا وأنزل بهم الويل كما أشرنا ثم انه قال لاصحابه اعلموا ان الامر قد هان علينا رهانحن قد أخذنا شاس بن زهير الذى هو قاتل والدى وهذا الربيع وعمارة ومالك بن قراد وهم مشايخ الحلة وقد ظفرنا بهم وأسرناهم بأمان فيحلوا بنا فما بعد الربح الا الخسران والرأى اننا نرجع الى ديارنا ونقتلهم هناك ونأخذ منهم بالثار وتكون قد كشفنا عنا العار ثم انهم شدوهم على خيولهم بالعرض وعزموا على الرجوع الى ديارهم وقد أوسعوا بهم فى جنبات الارض فبينما هم كذلك واذا بغبرة ثارت من بين أيديهم فتأملوها واذ هى مقبلة نحوهم وواصلة اليهم (قال الراوى) وكان هذا الغبار غبار عنتر ومعه عروة ومن أسر من رجاله وكل منهم قد أيقن بهلاكه وويلاه فلما رأى ذلك الفارس عنترا مال عليه وتقرب بكليته اليه وناداه ويلك من تكون من الفرسان ولاى العرب تنتسب لعل أن ينجيك النسب ويكون خلاص مهجتك سبب فنداه ان لم ينجنى النسب نجانى هذا السيف المشطب والرمح المعتدل المكعب ياويلك أنا الفارس الطويل النجاد الضارب بالسيوف الحداد الطاعن بالرماح المداد ياويلك أنا عنتر بن شداد فأخبرنى من تكون أنت من الفرسان ومن تعرف من الشجعان فقال له ذلك الفارس ويلك ياأسود الجلد أنا الهجام فارس بنى الريان واليوم أقودك ذليلا مهان وأضيفك على من معى من الفرسان ثم انى اسير بكم الى اوطاننا والديار واكشف عنى ما على من العار من قتل ملككم ابى سيار (قال الراوى) فلما ان سمع عنتر من الفارس كلامه وابصر الاسارى مربوطين على خيلهم بالعرض زعق فيه زعقة ارتجت لها قطار الارض وقال له ويلك ياابن اللئام وياءمن هو معدود من نسل الاوغاد الذين هم غير كرام اخبرنى من هؤلاء الاسارى الذين معك فى الشداد فقال له اما هذا فهو الربيع واخوه عمارة اولاد زياد واما هؤلاء فهم عمك مالك وولده عمرو واما هذا فهو مولاك شاس ابن الملك زهير * قال فلما سمع عنتر كلامه اسودت الدنيا فى عينيه وصار لا يعرف ما بين يديه وتغيرت جميع احواله وعظمت نار اشتعاله وقال ياغلام لقد خابت منك الآمال وقدمت الى اسوا الحال ونزل عليك الذل والخبال لتعرضك لبنى عبس الاشبال * قال فلما سمع الهجام من عنتر هذا الكلام وقوله له ياغلام صار الضياء فى عينيه كالظلام ولم يأخذه هدو ولا قرار فصال وجال وترنم وقال هذا الشعر والنظام بعد الصلاة والسلام على خير الانام

انا الهجام والليث العبوس * وحامى الجار والاسد الهموس * اقد النار فى الحرب اشتعالا
هجوم فى الوغى قيل شروس * عبيد السوء قد وافاك حتف * وتأتيك المصائب والنحوس
فلست كمن ترى لاقيت قبلى * من الفرسان بل انى العبوس * ستبقى طعمة للوحش ملقى
على القيعان تلقاك العكوس * فدونك فارسا يردیك قاعا * تمزقك الكواسر والنموس

(قال الراوى) فلما فرغ الهجام من نظامه ونثره ففى الحال حمل عليه عنتر بقصد قهره وهاج كالليث الغضنفر وقابله ولم يتفكر وأنشد وقال صلوا على النبى المفضال

دع الهذيان ياوغد النفوس * فانى القيل والاسد الشروس * وانى ماجد فرد كمى
اذا اشتبك اللقا قرم عبوس * غبار الحرب يشهد لى بأنى * سأجليه اذا حمى الوطيس
وانى اوحد الفرسان حقا * وليث الحرب اذ دارت كؤس

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه نحالا فى الميدان وصالا واختلف بينهما الضرب والطعان وتعجب من فعالهما الانس والجان وعنتر ما قصد معه التطويل بل حمل فى الحال معاجلة عليه وضربه ضربة الحنق فوقعت الضربة على وريديه فأطاحت رأسه

من

من بين كتفيه فوقع قتيلا وعلى وجه الارض جديلا ثم انه حمل على اصحابه فى عاجل الحال ونزل عليهم
مثل السيل اذا سال والتقاهم بضرب يهد الجبال * هذا واخوه شيوب يساعده برمى النبال فيصيب بها
مقاتل الابطال وبقى كل واحد منهم مدهوش وعنتر دائر فيهم بهوش وعملت بينهم الاحقاد وكثر العناد
وتفتت الاكباد وصارت الرقاب تقطع والارواح من الاشباح تنزع والارض بالدماء تتكرع وفر
الجبان من شدة الخوف والفزع والدماء من الاوداج فائره والرجال حائره وطاحون الحرب بينهم دائره
والسيوف باتره والرماح بارقه والمنايا عليهم زاعقه * هذا واصحاب الهجام قد واقعهم الندم وعلموا انهم
قد خرجوا من الوجود الى العدم وماجوا مثل ما يموج البحر اذا التطم وشابت من تلك الوقعة الاطفال
وكثرت بينهم الاهوال وزاد الصياح والزعاق وابصروا منه ما لا يطاق ﴿قال الراوى﴾ هذا وشاس
والربيع وعمارة ومالك وولده عمرو ينظرون الى عنتر وما فعل فى تلك الغارة وكل منهم قد تحير من تلك
العبارة وقد تعجبوا من اتفاق سعادته وعظم نخوته وبقى كل واحد منهم فيما جرى يتفكر ومرائرهم كادت
ان تتفطر وهم مشدودون على خيلهم عرضا وقد زاد لعنتر فى قلوبهم الحقد والبغضا فلما رأى اصحاب
الهجام الى ضربات عنتر بانها لا تبقى ولا تذر ركنوا الى الفرار وولوا الادبار وكان سيف عنتر لهم ماحقا
ومانجا منهم الا من كان جواده سابقا فشتتهم فى ذلك البر الاقفر فعندها ترجل عنتر عن جواده الابجر
وسعى على قدميه وقصد الامير شاسا وقبل ركابه وتقدم اليه وحل يديه ورجليه وقبله بين عينيه وقال له
يا مولاى لا عدمت هذه الطلعة البهية ذات الافعال المرضية ولا كان يوم اراك فيه اسيرا ولا كان يوم يصل
اليك فيه الزمان بنائبة من نوائب الشر والعدوان وعبدك عنتر راكب على ظهر الحصان ثم ان عنتر
تقدم الى عمارة ورأى ما حل به من الذل والخسارة وضربه بالسوط على معاطفه واكتافه وعلى خواصره
واجنابه حتى مزق جلده تمزيقا واشرف على هلاكه وتلافه وقال له ويلك ياردىء الفعال ويا اخس الرجال
واندل الانذال من بعادى الرجال ينبغى ان يفعل به هذه الفعال تبرطل على عروة بالمال لما انك
عجزت عن حربى وقتالى وضربى ونزالى وها قد خيب الله آمالك وأتلف احوالك وقد نصرنى الله عليك
وعليه وقد اسرته وشددت يديه ورجليه وقتلت جماعة من رجاله وساءت جميع احواله ثم انه كرر
الضرب عليه ليريه بذلك شهامته وجسارته ولم يزل يضربه حتى تعبت يداه فلما نظر شاس الى فعال عنتر
بعمارة ما هان عليه واغتاظ من فعل عنتر وخرقه حرمة عمارة وهتكه بين الناس ولكنه اخفى الكمد
واظهر الجلد ثم تقدم الى عنتر بن شداد وقال له يا ابا الفوارس بحياتى عليك وحياة ابى ان كنت تقبل لنا
وداد افاقبل شفاعتى فى عمارة واطلق سبيله وسبيل اخيه وعمك وابن عمك وايضا عروة فانهم كلهم بنو عمك
وبهم يزول همك وغمك فقال عنتر يا مولاى انا مثلى ومثلكم فى الامر الممدوح كما قال قيس بن مشكوح

اريد حياته فيريد قتلى * فاترك ما اريد لما يريد

فأما عمارة واخوه فاشفعك فيهما واما عمى وولده فأنا عبدهم وبين ايديهم واما عروة ومن معه من رجاله
فانى لا اطلقه من عقاله الا بين يدى ابيك حتى انه يحدثه بالحال ويعلمه من جسره على هذه الفعال ثم انه
اطلق عمارة واخاه وعمه وابن عمه وعادوا وهم يطلبون الابيات وكانوا لا يصدقون بالانفلات وعمارة يقول
والله ان ملك الموت هو الذى يقدر ان يدانيه متى رآه قاتل الله امه واباه ولا بد ان يأخذ عبلة دونى من
بين الانام واموت بحبها من الوجد والغرام فقال له الربيع وذمة العرب يا عمارة انك ما ترجع عن
هذه اللجاجة حتى ترمى فى اشد الكيادة فقال عمارة يا اخى ان عبلة تساهل اكثر من ذلك وانها رخيصة
بركوب المهالك فقال له الربيع يا عمارة لا تكن صقيعا فما دام هذا العبد السوء فى قيد الحياة فلا بد عنك
ان تراها حيث صار لها منيعا ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم ساروا وهم فى سعد هذا الرجل يتساءلون ومما جرى له

معهم يتعجبون ثم ان شاسا نظر الى عروة ومن معه من الرجال بين يدى عنتر وهم مشدودون بالحبال فأقبل عليه وقال له يا ابن العم اى شئ هذه الفعال لقد اساءت التدبير الى عروة مأوى الصعاليك وكهف المماليك فقال له عنتر لكنه فضولى يتكلم فيما لا يعنيه وكثيرة فضوله اوقعته فيما هو فيه مما لا يرضيه وقد اغراه على الاعدا ان يسقينى شراب الردى وانا لا بد لى من قتله حتى لا يعاد بنى احد ولا يفعل معى مثل هذا الامر ويعود الى مثله فقال له شاس ومن هو الذى يقدر من الرجال ان يكون لك منافسا وانت ابن عمنا وقد صرت واحدا منا فقال له عنتر يا مولاى انا مالى عدو الا بنى زياد لانهم كل وقت يطلبون لى الشر والعناد وعمارة هو الذى برطل على بالاموال لهذا الرجل حتى خرج وفعل هذه الفعال هو ومن معه من هؤلاء الرجال وان الله تعالى قد نصرنى عليهم على كل حال وقد فعلت ما ترى من هذه الفعال ولا بد لى من احضار الجميع قدام الملك زهير وأقص عليه حالى وأبين له احوالى واخبره بما قد وقع لى مع هؤلاء القوم وما جرى لى معهم حتى انه اذا رأى هذا الامر يدبر بمعرفته ما يريد ومتى علم بذلك يصير على وعليهم شهيد (قال الراوى) لهذه الاخبار فلما سمع شاس من عنتر هذا الكلام علم انه يقول ويفعل ما يريد من المرام فعندها أقبل شاس على عنتر وقال له يا أبا الفوارس لا تحدث على صفو عيشك الكدر مادمت تسمع فى بنى عمك كلام الاعداء الذين يريدون أن يوقعوا بينك وبينهم الشر والضرر وانى أريد من انعامك أن تقبل منى فى عملك ما أشرت به عليك فانى ما أشير عليك الا بكل خير وغاية مطلوبى انك تحوم من كل هم وضير فاستحى عنتر من شاس وقال يا مولاى قد أجبتك وأطعتك فيما به أشرت من مقالك فقال له شاس ان كنت قبلت قولى فلا تعلم أحدا بحالنا ولا بما تم بيننا وما جرى لنا ولا تجعل انك لقيتنا فى الطريق ولا خلصتنا من الاسر والضيق فقال عنتر وحق من منّ علينا بالاحسان وهو الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان ما أظهر أحدا على هذه الاحوال ثم أنه أعطى الربيع وعمارة عددهم وخيلهم وساروا وانحوا الحملة من وقتهم وساعتهم وعنتر سائر وعروة ورجاله مربوطون معه على خيلهم وهو يشكر ربه على جميله واحسانه الذى قد نصره على أعدائه حيث أظفره بهم من خيره وانعامه فسار وهو فرحان فرحا شديدا ما عليه من مزيد وهو يفتخر بأعماله وقد جاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره فأنشد يقول بعد الصلاة على طه الرسول

أنا الفارس القيل الذى ليس مثله * ومودى العداطرا برمحى وذابلى * ولى سطوة فى الحرب ليست لضيغم
اذا التقت الابطال فالفخر عادتى * وانى لمقدام اذا خافت الورى * هجوما على الابطال عند التناضل
أيا عبل قد جاء العدا بسرية * لكيما يكيدونى ولست بواجل * أيا عبل انى قد أسرت جماتهم
وعروة قد أوثقته بحبائلى * وأسقيت للهجام كأس حتوفه * وألقيته فوق الثرى ذا تململ
بنو معن قد أهلكتهم بضاربى * على السوق والاعناق من كل باسل
وخلصت شاسا وهو فرع مليكنا * ووارث ملك كان عن كل كامل * وأطلقت حتى للربيع وبعده
عمارة المغرى بغمس شمائلى * وكم كربة فرجتها عن احبتى * اذا ثار نقع الجو فوق الاقاضل
وكم عايرونى أن لونى أسود * فرمحى كضوء الشمس عند التقابل
وكم فارس ألقى السلاح مخافة * لبأسى وعزمى مع عظيم خصائلى * سلى عنى الابطال يا ابنة مالك
اذا كنت فى يوم الوغى ذا تناضل * يفيدك عنى من رأى فيه سطوتى * بأنى أجيد الطعن عن كل بازل
ومالى أنيس غير سيفى ودابلى * وقلبى كجلمود وصبرى مواصلى * ومهرى لا تنسيه يسمى بأبجر
له جلد عند اللقا فعائلى * فلا الموت اخشى أن يلم بساحتى * وأسد الثرى صيدى غذائى وما كلى
وكم من شجاع قد تركت مجندلا * تحوم عليه الطيرذات الغوائل * فهذى فعالى يوم كل كريهة
ومالى

ومالى فى يوم اللقاء من مماثل * ولى همة فوق السماك محلها * وعند اللقاء فى غيرها لم تعادل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه سار يقطع البرارى والقفار وعروة ورجاله معه فى الاسر والاضرار حتى انهم وصلوا الى الديار ودخلوا على الملك زهير فوجدوا الربيع وعمارة وسائر بنى زياد عنده وهم فى فكرة وضير فدخل عنتر عليه وقبل الارض بين يديه * قال فلما رآه الملك زهير فرح به غاية الفرح واتسع صدره له واستبشر وانشرح وسأله عن أحواله وقصته ومالاقاه فى سفرته فقال يا مولاى قصتى عجيبة وحالتى غريبة وان أمرنى الملك قصصتها عليه وأبديتها اليه فقال له الملك اذكرها لى حتى أسمع وتكلم ولا تفزع * قال وكان الربيع وعمارة حاضرين كما ذكرنا فنشف ريقهم وجمدت أعينهم فى وجوههم خوفا من أن يحكى قصتهم مع القصة بالجملة اذ عند العرب افشاء العيوب أمر من قطع الكبود وخلع القلوب وكانوا لما أطلقهم عنتر سبقوه الى الديار وجلسوا فى مجلس الملك زهير بين الحضار وقد خافوا من عنتر ان يحدث الملك بالقصة ويورثهم الغصة فابتدأ عنتر وحدث الملك زهير بما حصل فى سفرته وقص عليه جميع قصته فصعب عليه وعظم لديه ثم انه استدعى بعروة فخلوه عن جواده وأحضروه الى قدامه فقال له الملك ويلك يا أبا الابيض أنت دائما تدعى العقل والكرم والفروسية وحسن الشيم فما الذى قادك الى معاداة هذا الرجل الذى لم يصل اليك منه شئ يؤذيك وهو حامية عبس وأفرس ممن طلعت عليه الشمس وهو جامع شمل العشيرة بعد الطمس فقال عروة يا مولاى ما أعرف شيأ مما تقول عنى ولكن أنا أحدثك بحالى وأبين لك صدق مقالى وكذبى من محالى وأنت تعلم أنى رجل كثير الاسفار شهرا غائب ويوما فى الديار وفى هذه النوبة أخذت رجالى وطلبت بنى مذحج فلما وصلت الى أرض الردم وأنا سائر أتحدث مع بعض القوم واذا قد نفر الوحش فصار عن يمينى الغزلان وعن شمالى الغربان فقلت فى نفسى دعى أصطاد من هذا فعدلت اليها فشردت والى الجبال طلعت فعدلت أطلب الديار فلقيت عنترا فى طريقى وأنا سائر وهو يتصيد فى تلك القفار الدوائر وكان فى قلبى منه أمر عظيم يمزق المرائر لما سمعت من فعاله وحربه وقتاله لانى ما عاينت نزاله ولا شاهدت قتاله ولما رأيته منفردا أردت أن أجرب روحى معه واختبر شجاعته وفروسيته وقلت ان ظفرت به نلت عند العرب المنزلة العلية والرتبة السنية بالذكر بين الملا والفخر والعلا وكان فى قلبه خلاف ما فى قلبى وما خطر ببالى فتلقانى وقتل رجالى وساءت معه أحوالى وقد شدنى بالوثاق وشد جميع من كان معى من الرفاق وقال لى أنت أخذت على البرطيل من أعدائى وخرجت لتجعلنى قتيلا أو جديلا واتهمنى بشئ لم أعرفه ولا أعرف معناه وأتى بالزور فى دعواه فقال عنتر وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب والرب الذى اذا طلب كل العباد غلب لقد كذبت فى مقالك يا كلب العرب قبح الله من لى أرسلك ومن المصائب ما حملك ولا احتملك ثم ان عنترا التفت الى الملك زهير وقال يا سيدى وحق الكعبة المضية ومكة العلية ما كان مكمنا فى أرض الردم الا لقتلى واذلالى لانه كان ينتظرنى يوما بعد يوم وقد جعل على العيون والارصاد طمعا فى برطيل بنى زياد وهذا عمارة الذى ضمن له المال على قتلى ثم انه قال لعمارة يا ابن زياد هذا ذل منك ومهانة وعجز منك وخيانة انك تبرطل على وتطالب بلوغ منالك بغيرك وهذا شئ لا يتم لك وأنت تزعم انك من أصحاب الحسب والنسب فان كان فى نفسك شئ فانزل مهجتك وخاطر بنفسك بين العرب وابرز الى أنت واخوتك وأنا ما أحاربكم بسيف منتضب وما أقاتلكم الا بهذه العصا التى هى من الخشب وكونوا أنتم على أتم الاحوال والبسوا كامل آلة الحرب والقتال وحق الملك المتعال وأنا أشهد على وعليكم هذا الملك المفضال فاما أن تظفروا بالمنا واما أن تموتوا بداء ما له دوا فقال عمارة والله يا عبد السوء انك أذل وأحقر وان أردت هذا فسوف تلقاه أسرع من لمح البصر وتعلم اننى أسقيك كأس الحمام وأفلق رأسك بهذا الحسام فقال عنتر فلم لا تعدل فى القيام

وتصدق فى الكلام وتترك القيل والقال فانى أريد منك أن تفعل هذه الفعال حتى انى أريك ما تكون عليه من النكال لانك جبان تعلل نفسك بالمحال ولا تصل يدك الى ما تريد من الفعال وتفزع ممن يخاف منك وممن لا يخاف من أقرانك فى موقف الحرب والضراب والنزال وأنا لو تصور لى الموت فى صفة انسان فى الميدان اضربته بالعضب اليمان ثم انه بعد فراغه من هذا الكلام وما أبداه من المرام أنشد وقال بعد الصلاة والسلام على النبى المفضال

تهدد بالقتال وبالنزال * شجاعا طبعه طعن العوالى * عمارة لو صدقت وقلت حقا
عدلت من المقال الى الفعال * فلا عجب جبان القوم ان قا * مت به الآمال مال الى المحال
فيا ابن زياد قد عاديت ليثا * صبورا فى الملمات الثقال * بياض فعائلى وسواد جلدى
أشد عليك من ضرب النصال * فمت كمدا كما قد عشت حزنا * حسودا الى على ذات الجمال
سأحويها ولو أن المنايا * تميل على فى صور الرجال * وأحظى بالذى أرجوه حتما
بأمر مهيمن ماضى الفعال * وقد عاينتنى فى يوم طى * فان أنكرتنى فانظر قتالى
عمارة لو ذكرت اليوم ما قد * جرى لك كنت تبقى فى خبال * ولكنى لاجل فتى كريم
* سأستر ما مضى لك من ضلال *

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره ونظمه وقد بردت نيران جواه بما قدمن الشعر والنظام قد أبداه قام اليه الربيع بمكره ودهاه وتلقاه وقبله فى صدره وبين عينيه وقال يا ابن العم وذمة العرب لقد كذب وفشر من أخبرك عن أخى عمارة بهذا الخبر ومتى ما جعلت اذنك طريقا للئام كثر عليك الخصام فدع عنك هذا الخوض والحقد والحذر وانظر الينا وحقق النظر واعلم بأن أخى عمارة من يوم سأله هذا الملك المفتخر أدام الله تعالى توفيقه وجعل الى الخيرات طريقه فى السكوت عن تلك الجارية سكت ولم يتكلم بذكرها وتركها بالجملة ومن اليوم فصاعدا اشهد واعليه يا سادات بنى عبس وعدنان انه ما عاد بذكرها بعد هذا الكلام وان سمعته طمعت رأسه بهذا الحسام وأما هذا الرجل عروة فكل من فى الحلة من الناس يشهدون له بالفتوة ويقرون له بالكرم وحسن الاخلاق والشيم وصدق الكلام والمودة وحفظ الذمام وما يفعل فى حق الارامل والايتام وطول عمره يطلب لهذه القبيلة الذكر الجميل بين الانام فلا تدخله فى أمر يكون عليك فيه وبال ولا علينا ولا على بنى الاعمام وماه والا صادق فيما قال وما عليه فيه ملام ولا جناح وما طلب منك القتال الا على سبيل المزاح وقد جازيته على فعاله وأهلكت أكثر رجاله وأبطاله ولكن عذرك فى هلاكهم واضح ومثلك من يعفو ويسامح وأنت ما عرفتهم وما ظننت الا انهم طالبون لقتلك وما آخذوك على فعلك وذلك كان بقضاء الرب الكريم رب موسى وابراهيم * قال ولما رأى الملك زهير أن هذه النوبة مشكلة من سائر الجهات لم يكن له أصوب من الصلح بينهم لان الربيع شيخ من مشايخ بنى عبس ومشيرها فى كل الامور وعروة عند جميع الناس محمود ومشكور وعنتر كذلك غير أنه من أعدائه محسود ومنصور وضده مكمود فأصلح بينهم صلحا لم يكن مقبولا بل هو صلح مضيع لا يضر ولا ينفع لان أحقاد العرب تزداد ولا تزول كما أشار له الشاعر حيث يقول صلوا على الرسول

قلوب حشوها حسد وغل * وأضغان كنيران الزناد
فما هذا اتفاق بل نفاق * كصلح العامرية بالفساد

(قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك نهضوا وتفرقوا وقد شاع هذا الحديث فى القبيلة وسمع به شداد أبو عنتر ففرح بذلك واستبشر بما قد حصل لولده من هذه الفعال وكيف خلص من الرجال الثقال لان عروة كان فارس بنى عبس الاوحد وعمادها الامجد ورجاله ركن من أركان بنى عبس ففرح بذلك شداد وزاد به

الاستبشار

الاستبشار وحمد الاله القديم وانقلب بغضه بمحبة من وسط الصميم وصار يحس بفعاله ويحدث بهذا الخبر بني عمه وكل رجاله وأما مالك وولده عمرو فانه عظم عليهم هذا الامر وزاد بهم الهم والغم وقال مالك هذا شئ لا ننال به مقصودا ولا نكبت به حسودا لان هذا الملك الخرفان قد كسانا الذل وثوب الهوان وقد صار يحبه فعائل هذا العبد ولد الزنا وتربية الخنا وأنا ان لم أهلكه فما نلت المنى وان لم أبعده عن الديار وألقيه في الاخطار والا ألبسنا ثوب العار ثم صار ويدبرون الامر في هلاك عنتر وكذلك الربيع أحس أن قلبه قد تفطر وأشرف على الهلاك ولم يجد له من قبل ذلك فكاك * قال ولما كان من الغد خرج عنتر الى البر وكان يفعل هذا من ضيق نفسه والصدر وقد حار في امره فلما علم الربيع ذلك وان الحي خال من عنتر انفذ خلف مالك وولده فركبا اليه وسلما عليه وركب عمارة ايضا وسار واعلى خيلهم يتحدثون وفي قتل عنتر يتشاورون فقال الربيع لمالك وقد علم ما في نفسه من بغضته له يا مالك ان أردت قتل عنتر واهلاكه فاسمع مني مقالي لاني ما أنفذت خلفك حتى دبرت حيلة في هلاكه واتلاف مهجته فقال له مالك وماذاك يا اخي فقال له الربيع وذلك بان تظهر له من اليوم المحبة والوداد كما يفعل الاقارب بالاولاد ولا تمنعه من دخول الخباء واظهر له محبة القرابة وبعد ذلك طالبه بمهر ابنتك وبين له حاجتك واذا قال لك وما الذي تريد من المهر الكثير فقل له أريد منك الف ناقة من النوق العصافير التي للملك المنذر بن ماء السماء اللخمي حتى تفتخر بها ابنتي على سائر بنات العرب وتصير لك انت المنزلة العالية على اصحاب الحسب والنسب وأنا أعلم يا مالك انه ان سار الى بني شيبان فيأخذوه أسيرا مهانا اذا نه تعرض لهذا الملك العظيم الشان والقى روحه لك يا ومخالب العقبان ولا تعود تسمع حسه ما بقي الزمان ويكون عذرك واضحا عند الملك زهير وعند سائر العربان لانهم يقولون انه مضى ليأتيه بمهر ابنته فاغتالته طوارق الحدثان (قال الناقل) ولما أن سمع مالك ذلك رآه عين الصواب وخف عن قلبه البلاء والالتهاب والهم والعذاب وقال عمارة يا اخي وحق ذمة العرب لقد فتحت لهذا العبد يا باذا عطب وكذلك قال عمرو اخو عبلة لما سمع هذا الخطاب وما عادوا الى المضارب الا وقد ايقنوا ان عنترا بهذا التدبير عاطب (قال الراوي) ثم ان عنترا قد اقبل عند المساء من صيده فتلقاه عمه مالك وضحك في وجهه وامر العبيد ان يأخذوا ما معه من الوحش والغزلان فأخذوه واصلحته المولدات واخذه الى بيته وجعل يحادثه حتى راج الطعام واكل هو واخوه شداد وولده عمرو مع عنتر ثم احضروا بعد ذلك المدام وقضوا به اكثر الظلام وشداد لا يرفع راسه من نظره الى ولده عنتر ولا يشبع من كلامه ويقول لاخيه مالك يا أخي ان غلمان بني زياد يبغضون ولدي عنترا ويكرهونه وانا لم ار فيهم مثله وحق الرب القديم رب البشر يا اخي انه ليس في العرب العرباء شرقا ولا غربا افرس من عنتر ولا فيهم مثله ولا ارى فيهم من يضاهي شجاعته وهو على ظهر جواده الابجر ولا بد ان يكون له شان واي شان وتهابه ملوك الزمان ثم بكى شداد بكاء شديدا وقبل عنترا بين عينيه والتفت الى مالك وقال له يا اخي وابن امي وابي ان كنت تحبني فأحب ولدي عنترا لانني يا مالك قد احببته بعد بغضه محبة تامة فبالله كن مقربا له وارع ذمامه واكرم لاجلي مثواه وعظم احترامه فقال مالك بخبثه ودهاه بعد ان اسال دمعته على خديه مما أبداه انت يا اخي عمادنا وعنتر حامينا وان عنترا يا اخي لسيفنا القاطع ودرعنا المانع وبنو زياد لا يريدون رفع مجدنا ولا علو قدرنا ولكنا نراعيهم لكونهم لنا ارحاما والباغي له مصرع وهو من الذباب اوقع * قال ففرح عنتر بذلك الكلام ورآه من اوفى المرام وتلذذ من عبلة بالمنادمة والكلام الى تمام الثلاثة ايام وفي الليلة الرابعة خلع الملك زهير على عنتر خلعة ليس للعشيرة مثلها وقد طاب قلب عنتر بمشاهدته لمحبوبته عبلة وصار ابن عمه عمرو يحادثه ويناديه على الجفرة ويستحسن الخلعة التي عليه ويقول له يا ابا الفوارس ما رايت احسن من هذه الخلعة التي عليك فلما سمع عنتر كلامه عرف معناه وعرف ما يريد

منه نخلعها عنترمن على بدنه والبسها اياها وقال له يا ابن العم اعذرنى فى هذا المقام الجليل فما هذه الخلعة فى حقك الا قليل ولكن الزمان بيننا طويل وسوف تنظر ما صل منا اليك من الخلع والفعل الجميل ثم انه اشار اليه وانشد وجعل يقول ونحن واتم نصلى على طه الرسول

ان للدهر صاح مداوزجرا * ولطرق الحياة سهلا ووعرا
كم ملكنا من فارس ذى جنان * لا يسامى فى الناس مجدا وفخرا
كم خلعنا من خلعة فى مقام * ليس يحصى لها الفوارس قدرا
غابت النجم ثم لاحت شموس * سترها فى غيهب الليل بدرا
فاسقينها من الصباح الى ان * يأتى الليل والكواكب زهرا
ودعانى أشاهد البدر ليلا * واقبل يا صاح خمسا وعشرا
بدر تم ما مثله يا ندمى * هو روحى وراحتى فيه ذكرى
وأنا عنتر الفوارس حقا * ومبيد الابطال عبدا وحرا

(قال الراوى) فلما فرغ عنترمن شعره قال له عمه يا ابن اخى ان عبلة اليوم هى امتلك والمرتبة مرتبتك وابوها عبدك واخوها خادمك فلما سمع عنتر كلام عمه زال همه وغمه ومن سكره وعشقه ما وجد شيأ يكافئه به على كلامه الا ثيابه التى كانت على جسده فخلعها على عمه وكان لها قدر وقيمة وما بقى عليه الا سراويله وصار يتخضع لعمه ويقبل يديه وقدميه * قال فلما نظرت عبلة الى عنتر كأنه فحل جاموس ورات جسمه وهو عريان كأنه قطعة آبنوس وفيه ضربات السيوف وخدوش الرماح صارت عبلة تضحك عليه وتتعجب من جثته وعظم همته وصارت تتبسم فى وجهه من محبتها له فلما نظر عنتر الى عبلة والى ضحكها عليه انشد يقول صلوا على طه الرسول

ضحكت عبلة مذرأتنى اسودا * وبجانبى من الرماح خدوش
لا تضحكى وتعجبى منى اذا * دارت على مواكب وجيوش
ورايت رمحى فى الصدور محكما * وعليه من فيض الدماء نقوش
يا عبل ما تدنى الرماح منية * نحو الشجاع ولا الجبان يعيش
ألقى صدور الخيل وهى عوابس * وأنا ضحوك نحوها وبشوش
انى لاعجب كيف ينظر صورتى * يوم الهياج مبارزى ويعيش
انى انا الليث العرين ومن له * اضحى الجبان محيرا مرعوش
وانا الذى اسطو على جمع الورى * واصول فيهم بالقنا واهوش

(قال الراوى) فلما استوفى عنتر أبياته حتى قامت اليه عبلة وقبلت رأسه وقالت له والله يا ابن العم أنا ما ضحكت الا فرحا بك وبرؤيتك وتعجبت من صورتك ونظرت الى هذه الجراحات التى فى جسدك وأنت لا تلتفت اليها ولا تبالى بها فعلمت يا ابن العم انك أسد ضارى وبحر جارى ففرح عنتر بكلامها وعلم صدق وداده لان المحب لا يخفى عليه نظر المحبوب (قال الراوى) ثم انهم أتوه بثياب غيرها فلبسها ولم يزل كذلك مع محبوبته وعمه مالك فى أكله وشربه وتلذذه مدة تسعة أيام وكل يوم يزيد له عمه فى الاكرام ويجتمعون على شرب المدام فلما ان كانت الليلة العاشرة طاول له عمه فى الكلام وشرب المدام حتى نامت النسوان وهجعت العبيد والغلمان وذهب أبوه شداد الى بيته ولم يبق الا عنتر ومالك وولده عمرو وقد سكروا من تناول أقداح الخمر فقال له عمه مالك يا أبا الفوارس أى شئ فى نيتك وما فى مرادك أن تفعل فى حق ابنتى فانك قد قطعت عنها الخطاب ومنعت عنها الطلاب أتأخذها يا عنتر بلا مهر ولا صداق وتتركها معيرة طول الدهر فى جميع الآفاق فقال عنتر يا مولاى انظر ما تريد من المهر لهذه الحرة المصونه والجوهرة المكنونه ومهما أردته وطلبته فلا يكون لها قيمه وأنا كنت منتظرا كلامك فاطلب منى ما تريد ولا تطلب الا ما تعجز عنه الفرسان الصناديد وانا آتيك به بقوة الملك المجيد فقال مالك وقد لقى للسيف مضرب اوذمة العرب والرب الذى اذا طلب كل العباد غلب لا أطلب منك الا مثل سنة العرب وهم

لا

لا يطلبون فى الصداق الا الجمال والنياق وأنا أريد منك ألف ناقة من نوق الملك المنذر لانها لم توجد عندنا فى أرض الحجاز وتكون فى أموالنا مثل الطراز وتنال بذلك العز والافتخار اذا أتيت بها مهر المحبوبتك فى هذه الديار فقال عنتر وقد داخله الفرح واتسع صدره وانشرح وزاد به الاستبشار وقد لعب بعقله الخمر وشرب العقار وقال ياعماه أيوجد عند الملك المنذر هذا القدر من النوق قال نعم وأعمادون ذلك شدائد وأهوال ولا يقدر على أخذ ناقة منها الا فحول الرجال لانها محوطة من حولها بالرجال والابطال وقد سماها النوق العصافير فقال عنتر أنا آتيك بها باذن العليم القدير لتفتخر بها على طول الدهر وتنال بها بين القبائل الفخر وتجعلها غيظا لبنى زياد وقطعا لكلام الاعادى والحساد فشكره عمه وقال ما أريد منك شيأ سواها وأصنع لك وليمة ونجمع فيها سادات العرب أقصاها وأدناها حتى تبلغ عبلة ابنتى مناها وأنحر من جمالى ما يكفى بنى عبس لان الحبل بينى وبينك قد اتصل ولا أمنع عنك ناقة ولا جمل ومازال عمه يرقق له الكلام والخطاب حتى انه أنعم وأجاب * قال ولم يعلم عنتر أن النوق والجمال للملك المنذر المفضال سيد سادات العربان وخليفة كسرى أنوشروان وأنه صاحب التاج والايوان والحاكم على قبائل العربان فقال عنتر ياعماه اذا أنا أتيتك بهذه النوق محملة من خزائن صاحبها الى عندك تخلص لى نينك وتزوجنى ابنتك فقال له مالك نعم يا ابن أخى لك على ذلك فعندها عاهده عمه وأعطاه يده وحلف له بالبيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام انه صادق فيما قال من الكلام فعند ذلك قام عنتر الى منزله وما جاء له فى تلك الليلة منام وذلك مما ناله من الفرح ولم يعلم أن عمه أراد هلاكه وعدمه ثم انه قام نصف الليل ونبه أخاه شيبوبا وقال له شد على الابجر فقال له شيبوب الى أين يا ابن الام يكون المطلوب والى أين أنت قاصد فى هذا الظلام أصدقنى يا أخى فى الكلام وما تريد أن تفعل من المرام فقال له عنترانى سائر فى طلب مهر بنت عمى عبله لعل الله تعالى أن يفرج عن قلبى تلك العله فقالت له أمه ياولدى أطلب منك عملك هذا المهر ومال قلبه اليك بعدا لجفا وزال عنه الحقد وصفا فقال لها نعم ياأماه وقد زال عن قلبى ما أخشاه والظاهر لى انه قد زال من قلبه النفاق والحسد وذهب عنه الرياء والكمد وقد عاهدنى أنه يزوجنى بابنته اذا أحضرت له هذا الصداق فقالت كان الله لك عونا وردك الى أوطانك ويكون لك حافظا ومعينا على كيد الاعداء المبغضين وردك الى سالما ثم ان شيبوب شد له الجواد الابجر وأحضر له آلات حربه وجلاده وما يحتاج اليه مما خطر فى مراده وخرج الاثنان فى ظلام الليل الحالك وأمهما خلفهما تبكى وتنوح من كبد مجروح خوفا من وقوعهما فى المهالك وبعد ما رجعت أمهما زينة وقلبها لا يصدق بوعد عمه مالك * هذا وقد سار عنتر وتبطن فى القفار وأبعد عن الاهل والديار وتفكر فى بعده عن محبوبته عبله وفى فؤاده منها غله فلعلع بصوته فى البر الاقفر وهو سائر يتحسر وأنشد يقول

أتانى طيف عبلة فى المنام * فقبلنى ثلاثا فى المشام * وودعنى فأودعنى لهيبا
يؤرقنى ويشعل فى عظامى * ولولا انى أخلو بنفسى * وأطفى بالدموع جوى غرامى
لمت أسى ولا أشكو لانى * أغار عليك يا در التمام * أيا ابنة مالك كيف التسلى
وعهد هواك من عهد الفطام * وكيف أروم منك القرب يوما * وحول خبائك آساد الاجام
وحق هواك لا داويت قلبى * بغير الصبر يا بنت الكرام * الى أن أرتقى درج المعالى
بطعن الرمح أو ضرب الحسام * أنا العبد الذى خبرت عنه * رعيت جمال قومى من فطامى
أروح من الصباح الى مغيب * وأرقد بين أطناب الخيام * أذل لعبلة من فرط وجدى
وأجعلها من الدنيا اهتمامى * وأمتثل الاوامر من أبيها * وقد ملك الهوى منى زمامى
رضيت بحبها طوعا وكرها * فهل أحظى بها قبل الحمام * وان غابت سوادى فهو نورى

لانى فارس من نسل حام * ولى قلب أشد من الرواسى * وذكرى مثل عرف المسك نامى
ومن عجبى أصيد الاسد قهرا * وأفترس الضوارى كالهوام * وتقنصنى ظبا السعدى وتسطو
على مهاالشربة والخزام * لعمرأبيك لا أسلوهواها * ولو طعنت محبتها عظامى
عليك أباعبيلة كل يوم * سلام فى سلام فى سلام

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من أبياته سار وقد تبطن فى البرارى والقفار فقال له أخوه شيبوب يا ابن الام الى أين تريدان تركب والى أى المذاهب تذهب فقال له اقصد بنا ياشيبوب أرض العراق ومنازل بنى شيبان لان عمى أخبرنى انهم اكثر العرب أموالا ونوقا وجمالا وان فيها ماند بنى عمى اليه ومافيه أرغب من المال ومرادى أن أفى له بجميع ماطلب فقال له أخوه شيبوب لوأقمت فى الحى الى الصباح وأعلمت صديقك مالكا ابن الملك زهير بهذا الرواح فانه اذا علم بمسالك ربما كان يساعدك على بلوغ آمالك لان هذه الديار التى أنت طالبها يا ابن الام بعيدة ومسالكها صعبة شديدة فقال له عنتر سر أنت ودع عنك كثرة الكلام فانى لا أريد مساعدا ولا معينا على بلوغ المرام الا الذى خلق الضياء والظلام ورزق الطير والوحوش والهوام وهذا السيف المشطب وهذا الرمح المكعب والذى فعلته أنا فهو عين الصواب والامر الذى لا يعاب والا لو كنت سرت على رؤس الاشهاد فربما كان العدى يدبرون لى مكيدة أو مصيبة يوصلوها الى ويبلغون منى المراد * قال فعلم شيبوب صدق هذا المقال وصحة تلك الاحوال فعندها سار بين يديه وقد استقبل ريح نجد فهاج به الوجد والغرام وهبت عليه روائح الخزام فأنشد يقول صلوا على الرسول أجوب الفيافى والقفار بأسرها * عسى الله أن يدنى مزارا أحبتى * وأقتحم الخطب الجليل لعل أن
أنال الذى أرجو وأبلغ منيتى * وأغدو الى أرض العراق بهمة * أجول بها من عظم بأسى وشدتى
وأرجع بالنوق العصافير سالما * وأكمد أعدائى الئام بعودتى * لتعلم فرسان الهياج بأننى
أنا فارس الهيجا وحامى عشيرتى * أباعبل انى فى هواك مخاطر * وقد سمحت نفسى بروحى ومهجتى
وأنهب أموال العراق بصارمى * وترجف أرض الفرس من عظم سطوتى
أصول اذا ثار العجاج بأدهم * من الخيل حر أرتجيه لصولتى * اذا ماجرى فى البر للبرق خاطفا
وألقاه تحت النقع حافظ صهوتى * تراه كمثل الليث فى حومة الوغا * يصدر رحيب فى مجالى وخبرتى
نذرت على روحى اذا عدت سالما * الى العلم السعدى وأرض الشربة * أحج الى البيت العتيق تطوعا
وأشفى غليل النفس من بعد شقوتى * ترى تجمع الايام يا عبل بيننا * وتخمد نيرانى وتمسى ضجيعتى
أنا الضيغم الموصوف فى حومة الوغا * صروف الردا أضحت تذل لهيبتى
علوت على أبناء جنسى تكرما * ولست أبالى أن تدانت منيتى
ولى همة عبسية عنترية * وسعدى علا فوق الثريا وهمتى

(قال الراوى) ثم سار عنتر يعسف فى البرارى والقفار والسهول والاوعار الى أن تضاحى عليه النهار واذا قد لاح من بين أيديهم غبار وتقرب وبان للنظار وانكشف وبان من تحته فرسان كأنهم العقبان وهم راكبون على خيول أخف من الغزلان فلما قربوا من عنتر عرفوه وصاحوا عليه وطلبوه وقالوا له الى أين أنت ذاهب يا غدار وسائر فى هذه البرارى والقفار ونحن لك فى الانتظار ففى هذا اليوم نصرم عمرك ونكفى الناس شرك * قال فلما سمع عنتر هذا المقال ورأى تلك الاحوال احمرت عيناه ولا بقى يعرف ما بين يديه ولا يراه وسل سيفه الظامى وصار يدافع عن نفسه ويحامى لما رآهم قد ألحوا فى طلبه وعلم انه ان توانى عنهم عجلوا بعطبه فاستقبلهم بهمة غير فاترة وحمل عليهم حملة منكرة وأراد أن يهلكهم فى تلك البرارى والوديان وان يسقيهم كؤس الهوان وقد تبين له أنهم أعداه وقد أكمنوا له فى تلك الفلاه

فصار

فصار يذم الزمان على ما أبداه من فعاله وكيف عاقه عن بلوغ آماله ثم جاش الشعر فى خاطره فأنشد وقال صلوا على النبى المفضال

تعاندنى الأيام حتى كأننى * عـــدو لها فى ليلها ونهارها * وتجمعنى مع كل أحمق جاهل
وتحسب انى عاجز عن كفاحها * فلو مثلوا لى صورة الموت بينهم * لخضبت يدى من دمها وجراحها
ولى صارم لو أن ضربت بحده * صروف الليالى بان شين قلاحها * أكر على الابطال كرة باسل
ولو أن بحر الحرب زاد طفاحها * ولو أنصفونى لم يكونوا تعرضوا * لحربى ولو كانوا أسود نطاحها
أنا عنتر العبسى فارس قومه * وذكرى سرى بين الورى بصلاحها * وانى لهجام اذا اشتبك القنا
* الى أن تروح الروح بعد فلاحها *

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والمقال زعقت عليه الرجال وتسارعت اليه الابطال وحمل عليهم عنتر حملته المعروفه ووصال فيهم صولته المألوفه وهجم على مقدم القوم وهو مثل اللهب وأراد أن ينزل به العطب واذا بالفارس كشف عن وجهه اللثام وأبدى الضحك والابتسام واذا به شاب معتدل القوام ثم انه ناداه لا تفعل يا أبا الفوارس أنا ابن الملك زهير بن الحارث الذى ما رأيت منه الا كل الخير سلمك الله من كل هم وضير ثم انه دنا منه وسلم عليه فلما حققه عنتر رمى الرمح من يديه ونزل اليه وكان هذا يريد أخيه مالك الذى يحب عنترا ويتعصب له وكان الآخر كذلك وكان سبب ملتقاه به انه كان غائبا فى وليمة عملت له فى بنى غطفان ولما عاد من الوليمة التقى بعنتر وهو وسائر هو وأخوه شيبوب كما ذكرنا فلما رآه أراد أن يمازحه ويلاعبه حتى يتفرج على طعانه ومضاربه فصاح فيه وجرى بينهما ما جرى فعندها لما عرفه عنتر قال له يا مولاى لاى شئ تفعل هذه الفعال وحق الاله المتعال لقد خاطرت بنفسك وبهؤلاء الرجال لانه لو كان فرط منى فرط أو سبق لك منى ضرب ثم علمت انك طريد سيدى مالك بن زهير لكان تلبس بقلبى لظا الجمر وربما مت من الكمد ولم يدر بى أحد ولا كنت أقدر أن أقيم فى الحى أبدا قال فضحك الحارث وتعجب من ذلته اليه وخضوعه بين يديه بعد المقدرة عليه فقال له لله درك من فارس مهاب وقرم وثاب ولكن الى أين أنت سائر وذاهب فى هذا البر والسباسب وفى هذه الاوعار الصعبة المسار فقال عنتر يا مولاى أما سمعت قول القائل من أراد النفيس خاطر بالنفيس وأنت تعلم أن عبلة بنت عمى قرة عينى وعمدة بقية الاصدقاء وقد قاسيت من أجلها ما قاسيت من الذل والشقاء حتى أنعم لى أبوها بزواجها وقد طلب منى مهرها وها أنا قد خرجت فى طلبه وأنا آمل من الله تعالى انى ما أعود حتى أبلغ بسعادتكم ما آربى فقال له الحارث أرضى منك عملك بالمهر وأطاعه لك رب السماء والارض بعد هذا العصيان بطول الدهر فقال عنتر نعم يا مولاى حصل ذلك وهان الامر فقال له الحارث ارجع معى يا عنتر الى الحلة وأنت تعلم أنه ليس فى أموالنا قلة وأنا متعجب كيف انك لم تعلم أبى وأخى بسيرك فى هذه البرارى والبيد ولا أعطوك من أموالهم ما تريد فقال عنتر يا مولاى ما علموا بمسيرى ولا أطلعتهم على شئ من أمورى فقال له الحارث يا عنتر لقد أخطأت بطلعتك فارجع ولا تحرم نارؤيتك وأنا وحياة أبى أعطيك كل ما تريد من نوق وجمال وذهب ومليوس وأضمن لك ان أبى يرضيك ويعطيك ما يكفيك ولكن يا أبا الفوارس كيف ان أهلك تركوك وحيدا فريد ولم لا أعطوك من أموالهم ما تريد فقال له عنتر انهم ما معهم خبر من أمرى ولا أطلعتهم على سرى وجهرى فقال الحارث ماذا عليك يا أبا الفوارس ان أطعتنى بان ترجع معى الى الحلة يا ابن شداد ولا تخالفنى وأنا ابلغك المراد ولا تشمت بك الاعداء والحساد فشكره عنتر على ذلك المقال وقال له يا مولاى ان عمى طلب منى حاجة من تلك الارض والبلاد وهى لا توجد فى ارض الحجاز يا ابن الاجواد فأجبته الى ذلك وقلت له نعم وها انا من

اجلها اقطع البر والاكم وانا بعد ما قلت نعم لا اقول لا كى لا ابقى أحدوثة فى الملا ثم انه انشد وقال صلوا على النبى المفضال

لا تقل لا بعد ما قلت نعم * تلبس العار وتبقى فى ندم * قول لا بعد نعم فاحشة
وهو يحكى من بفحشاء ألم * واذا صاحبت فاصحب ماجدا * فيه نبل ذا حياء وكرم
قولك للشئ لا ينتج لا * واذا قلت نعم قيل نعم * اجعل المال لعرض جنة
أنفق المال ولا تخش العدم * رب فقر قد اتى بعد غنى * وغنى قد اتى بعد عدم

(قال) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه وسمع الحارث حسن كلامه قال له كلنا يا عنتر نسير معك وعلى ما تريد نتبعك فقال له عنتر لا يكون ذلك ابدا ولا اخاطر بمثلك فى طرق الردى فقال الحارث اذا كان الامر كذلك فسر مصحوبا بالسلامة آمنا من الندامة ثم ان الحارث ودعه وسار طالبا ارض الشربة والعلم السعدى ثم ان عنترا وشيبوبا سارا ولو كان لهما اجنحة لطارا وصارا يقطعان الارض والآفاق وهما مجدان الى نحو ارض العراق وهما كما اشار الشاعر حيث قال

لاجلك سعيى واجتهادى وخدمتى * وبالبت هذا كله فلك يثمر * فوالله ما بعدى محب ومشفق
وسوف اذا جربت غيرى تذكر * تبعت الذى يرضيك فى كل حاجة * فان لم تكن تبصره فالله يبصر
فما شئت من امر فسمعا وطاعة * فما ثم الا ما تحب وتأمر

هذا واستمر عنتر سائرا وشيبوب يردا امامه الوحش وهما سائران سيرا حثيثا الى أن اقبل عليهما المساء وطلبا بعض الغدران وعولا على المبيت واذا هم بمضرب شعر منصوب وابل ترعى وهى فى تلك الارض تسعى فقصدها عنتر النحرير واذا هو بشيخ كبير قد احناه الكبر وصار عبرة لمن اعتبر وهو كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

وشيخ فوق ظهر الارض يمشى * ولمته تعادل ركبتيه
فقلت له لماذا انت محنى * فقال وقد رفع نحوى يديه
شبابى فى الثرى قد ضاع منى * وها أنا دائما اسعى عليه

وفى يد ذلك الشيخ قعب ملآن من لبن اللقاح المبرد فى الرياح ممزوجا بالماء القراح ثم انه لما رآهم نادى اهلا وسهلا بضيوف اتونا كرام وقد ساقهم الينا الملك العلام * قال فلما سمع عنتر كلام الشيخ داخله الفرح وزال عنه الهم والترح وتناول القدح وشرب حتى ارتوى وناوله لشيبوب فارتوى منه أيضا ثم ان عنترا ترجل عند باب المضرب ووطأ الشيخ تحتهم نوعا من الطنافس وهو يقول اهلا ومرحبا وكان جواده موقورا من الغزلان فأضرم لهم الشيخ النار وصنع لهم الطعام واحضر لهم المدام وجلسوا يأكلون ويتحادثون الى وقت الظلام وبعد ساعة سأل الشيخ الامير عنتر وقال له يا ولدى لماذا اتيت الى هذا البر الاقفر أعلمنى يا ولدى بالخبر فعندها اخبره عنتر بالقصة وما وقع له مع عمه مالك ابى عبلة وكيف انه طلب منه المهر والصداق وارسله الى ارض العراق وانه طلب منه النوق العصافير التى فى تلك الارض والآفاق * قال فلما سمع الشيخ جميع مقاله عرف ان عمه ما ارسله الا لهلاكه ووباله فقال الشيخ الا قاتل الله عمك مالك وضيق عليه جميع المسالك فلقد رمالك الى المهالك والتدمير ودبر على قتلك بأحسن تدبير فقال له الاسد المماحك كيف يا عم ذلك فقال له الشيخ يا ولدى هذه النوق لا توجد الا فى بنى شيبان وهى للملك المنذر سيد العربان وتحت يده ابطال وفرسان وشجعان ويحكم على جميع العربان وهو نائب كسرى انوشروان صاحب الايوان وهو ملك عظيم القدر والشان وهذه النوق التى ذكرتها لا يقدر عليها احد غيره فلا تتعرض لها لئلا يمسك شره وضره واقول لك أيضا يا ولدى هب أنك ملكتها بتدبيرك فمن ذا الذى من هذا الشر يجيرك لقد جعلك عمك كالاوابد ورمالك فى الشدائد وما فعل معك هذه الفعال الا زورا منه ومحال وما قصد

معك

معك هذه المقاصد الا وهو فيك زاهد واعلم أني ما نصحتك الا لاجل اكلك معي الزاد وارالك فارسا جواد
فقال شيبوب لاخيه عنتر لقد صدق هذا الرجل يا ابن الاماجد واعلم ان عملك فيك زاهد فانقض يا اخي
هذا العمل ولا تبلغ الاعادي فيك الامل وارجع يا اخي والزم طريقك واعلم ان عملك مالكا وولده عمرا
اراد اتمويقك فارجع بناورد كيد عملك في نحره ودع عمارة تموت بغيظه وقهره واخبر الملك زهير بأمرك
وبهذا المراد لعله أن يأخذ لك عبلة منه ان ابى اواراد فقال عنتر ويلك يا شيبوب اى شئ هذا الكلام
واني لا اسمعه حتى لا يراني عمي بعين النقصان ولا اقول في الامس نعم واقول بعدها لا ولو ابقى طعاما الوحش
الفلا ولا افعل هذه الفعال ولو مالت على الجبال في صور الرجال * قال ومازالا على مثل ذلك الرواح
وهما في تلك الارض والبطاح الى ان اصبح الصباح فودعا الشيخ وسارا قاصدين ارض العراق وتلك
البراري والآفاق وقد جعل عنتر نفسه غاية الخطر وعشقه لعبلة غيب عنه السمع واعمى منه البصر وكلما
طالت عليه الطريق يتذكر عبلة وتلك الاوطان فينشد ويقول بعد الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان

بارض الشربة شعب بوادي * رحلت وهم في صميم الفؤاد * يحلون فيه وفي ناظري
وان ابعدوا في محل السواد * اذا خفق البرق من حيهم * ارقت وبت حليف السهاد
وريح الخزامى بذاك النقا * يذكرني عرف ذات الايادي * اياعبل مني بطيف الخيال
على المستهام وطيب الرقاد * عسى نظرة منك تحيابها * حشاشة ميت الجفا والبعاد
اياعبل ما كنت لولا هواك * قليل الصديق كثير الاعادي * وحقك لا زال ظهر الجواد
مقيلي وسيفي ودرعي وسادي * الى ان ادوس بلاد العراق * وافني حواضرها والبوادي
اذا قام سوق لبيع النفوس * ونادى واعلن فيه المنادي * واقبلت الخيل تحت الغبار
بوقع الرماح وضرب الحداد * هنالك اصدم فرسانها * فترجع مخذولة من طرادي
وارجع والسوق منقادة * تسير الهوينا وشيبوب حادي * وتسهر لي اعين الحاسدين
* وترقد اعين اهل الوداد *

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طرب شيبوب وهام وقال يا اخي لقد شوقتني الى انشاد
الاشعار وذكر الآثار ثم انه اشار الآخر يقول

فراق الحبيب وطول البعاد * اضر بجسمي واضنى فؤادي * وكم ذا انوح على فقدهم
واحرم عيني لذيذ الرقاد * انوح بليل وجفني جريح * يراعي الكواكب والليل هادي
فلا تهجروني فلا ذنب لي * لقد كان لي في حماكم ايادي * فمن بعدكم صرت رق الخلا
ل والزمت روحي بلبس السواد * وعنتر اخي وهو ليث الوغى * وحكم الاله لنا بالبعاد

(قال الراوي) فلما سمع عنتر من اخيه شيبوب هذه الابيات تعجب منه وقال له قاتلك الله يا شيبوب واماتك
ولا احياك او بلغ من قدرك ان تناظرني في ابياتي وتقول مثل مقالي (قال الراوي) وكانت هذه الابيات
اول ابيات صدرت من شيبوب ثم انهما سارا يقطعان القيعان والمناهل والغدران حتى اشرفا على ارض
بني شيبان وقد بقي بينهما وبين الحيرة يوم كامل فرأى عنتر بلادا عامرة وخيرات وافرة ومراعي خضره
ومياها جارية واشجارا مائلة وخيولا صائلة ونباتا وفصلانا وجمالا حسانا وعبيدا وغلمانا واماء
ومولدات واقليما قد عمته سائر البركات وشملته الهيبة من سائر الجهات ورأى ارضا كافورية بيضة نقية
وهي في واد من الاودية الحسان وقد تزخرفت بزخارف الجنان وهي ذات روح وريحان وروضة
وبستان ودوح وغيطان وفنون وافنان وفيها اشجار واطيار تسبح الملك القهار * قال فلما نظر عنتر
الى الرياض والازهار والى حسن تلك الديار تعجب من صنع الاله القهار خالق الليل والنهار * قال

فبينما هو غارق فى بحر الافكار واذا هو بست هوادج على ستة جمال وفيها جوار كأنهن الاقمار وحولهن ستة من الفرسان راكبون على خيول اخف من الغزلان وهم كأنهم العقبان * قال فلما نظر عنتر الى تلك الهوادج تذكر محبوبته عبلة التى شق هواها كبده بنبلة فهبت فيهم وحار فى امره وزاد لهيب جمره وجاش الشعر فى خاطره فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ما للهوادج بالاحبة ترحل * والصبر ماض والتأسف مقبل * ولقد سألت الدار عن سكانها
فأجابنى رسم الرسوم تحولوا * كانوا بها واوا لحاسدون بحسرة * وقضوا المقام بأرضنا واستقبلوا
لا تسمعن بربعهم متكلما * الا الحمائم والظباء الجفل * فلارسلن مع النسيم تحية
لوان انفاس الصبا تتحمل * واقول كيف هجرتم ولمتيم * حيران اقلقه الجفا والعذل
لله صب قد تمنى وصلكم * فقضى وهو تحت التراب مزمل * اضنى الهوى جثمانه واذابه
لكنه بين الورى يتململ * فالنار دون العار يا حادى السرى * والشوق عاد والتحمل اجمل
ولقد بليت بمعشر يا صاحبى * قوم على قتلى مرار اعولوا * فهموعمارة والربيع ومالك
عمى وعمرو ذا اللئيم الارذل * نصبوا على وارسلونى منوة * نحو العداة لاجل مهر يحمل
وتيقنوا انى اموت بمكرهم * والله يفعل ضد ما قد املوا * وانا المكنا بالهزبر حقيقة
ليثا اصول على الشجاع وافضل * ان يجهلوا عزمى فقد شهدت به * بيض الصوارم والرماح الذبل
فاسألهما عنى اذا حق اللقا * والنقع ليل والدجنة أزبل * ولقد وصلت الى العراق بهمة
لرجا النياق وللقضا مستقبل * من اجل عبلة كى افوز بوصلها * يوما ويأتينى النعيم الاكمل
بالاثمى فى حبها ومفندى * فأرالك فى ثوب المذلة ترفل * شيبوب اسرع واكشفن لى عاجلا
مرعى النياق لكى اليها نهرول * سلمت امرى للذى رفع السما * وبحوله القى العداة وافصل

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره نظر خيولا ومهارا وابلا مجدات فى التسيار وهى تسير سيرا كموج البحار ونياقا وفصلان وخيرات حسان ونعما سارحات واقليما قد عمته البركات ولما رأى عنتر ذلك حار واخذه الانبهار وعلم ان عمه مكار وغدار وما ارسله الا وهو يريد هلاكه والاضرار وعلم انه رماه فى هذا البحر الذى ماله قرار الا ان الشجاعة قد زينت له الهجوم على الاخطار والعشق قد صغر عنده الامور التى تورثه الدمار فقال شيبوب يا اخى ان هذه الاموال تدل على ان صاحبها عظيم الشان قوى السلطان فقال عنتر يا اخى لقد صدقت فيما نطقت بأن هذا الملك كثير الجيوش والاعوان والفرسان وما ارسلنى عمى الا وقصده هلاكى وما ينفع هذه الساعة الا حسن النظر والتسليم للقضاء والقدر فسر يا اخى وخذ خبر نوق العصافير واعرفها معرفة الرجل الخبير حتى انى اريح جوادى الابجر وتكون انت قد عدت الى بيقين الخبر فقال شيبوب لك السمع والطاعة وها أنا أسير فى هذه الساعة ثم انه حط قوسه وكنانته وقد لبس خليقات مرقعة وحط العصا على كتفه وسار يطلب المراعى فوصل اليها وكان قد مضى بعض النهار فوجد المراعى طيبة الارجاء كثيرة الماء فنظر العبيد الى شيبوب فرحوه وأخرجوا من زادهم وأطعموه وتحدثوا معه وسامروه فرأوا لغته حجازية وصفته عبسية فسألوه عن حاله فحدثهم من صنوف محاله وقال لهم يا بنى الخالة أنا عبد من عبيد الربيع بن زياد فعله ما يستحق من رب العباد لانه جبار عنيد وشيطان مريد وهو لا يرحم أمة ولا حره فهربت من شره واسترحت من جوره وغدره ورادى أنى لا أراه ولا يرانى فقالت له العبيد يا ابن الخالة أقم عندنا عمرك واقطع فى أرضنا سنتك وشهرك فانك تكون فى أمان طول الزمان ونحن نقول لمولانا المنذر أن يزوجك ببعض اماه وتقعد معنا فى حماه فشكرهم شيبوب على ذلك وأتى عليهم وأقام عندهم باقى يومه حتى انه عرف النوق العصافيرية من غيرها

فرآها

فرآها من عجائب الزمان وهى بيض الالوان بأكفال مدورات وأسنام مائلات وهى من غير هذه الارض معدومات ثم انه تعشى مع العبيد بحسب الكفاية وحادثهم وساق الابل معهم حتى قرب من الاحياء وقد غافلهم وهم مشغولون عنه ورجع الى أخيه كأنه الطير اذا طار وهو يعدو فى القفار ومازال سائرا الى أن وصل الى أخيه عنتر وأخبره بما سمع وما نظر فقال له أخوه عنتر وحق ذمة العرب ما نحن الا فى مقام الخطر ولقد دبر هذا الخبيث فى هلاكنا وما قصر وأنا أعلم أن بنى زياد تشمت بنا اذا سمعوا بقصتنا وما هى الا نقطة دم تراق بشرب كأس مر المذاق الا أن تكون معنا سعادة من الرب القديم رب زمزم والحطيم فهو الذى ينجينا مما دبر العدو لنا من الهول العظيم ثم قال عنتر ويلك ياشيبوب ألم تعلم القول الصائب من لم يصبر على النوائب فكيف ينال أعلى المراتب ثم انهما أقاما الى وقت السحر فقال عنتر ياشيبوب قدم لى الابجر فقدمه له شيبوب فى الحال من غير امهال وكان عنتر قد أفرغ عليه الحديد وصار كأنه برج مشيد وأردف أخاه خلفه فيالهما من بطلين فارسين وأسدين ضرغامين وسارا الى المراعى فرأيا كل عشرة من العبيد يسوقون مائة من النياق ثم ان عنترا أكمن فى مكان تمر عليه النياق العصافيرية (قال الراوى) ثم ان النوق صارت تطلب المرعى والعبيد كما ذكرنا يسوقونها ويدارونها حتى لاتزاحمها فحول الجمال فلما رآهم عنتر صبر عليهم حتى توسعت النوق فى المراعى وأخذ العبيد فى حديثهم ولعبهم وانشراحهم ومادنوا من عنتر ولا كلموه لانهم من العز العظيم على جانب والعبد من طينة مولاه لانهم من منذ نشؤا ما طرقهم طارق وما يعرفون أى شئ تكون البوائق وجعل شيبوب يقول ياأخى هذه النوق العصافيرية التى أتيت فى طلبها فاصنع ما أنت صانع فقال له اذهب انت وامسك عليهم الطريق التى هى من جهة الحلة ولاتمكنهم من الهزيمة بالجملة فربما يثور علينا الصياح قبل ما نبعد عن الديار والبطاح ففعل شيبوب ما أمره به أخوه وسار الى جانب الحلة ووقف خلف العبيد ونزع كنانته وأوتر قوسه وجثا على ركبتيه كل ذلك والعبيد عنهم غافلون وهم فى لعبهم مشتغلون (قال الراوى) ولنرجع الى البطل الهمام والاسد الضرغام فنقول ثم انه حرك جواده الى وسط النوق وقطع برمحه ألف ناقة وصاح فى العبيد سوقوا النوق يابنى الزوانى قدامى والا خضبت من دمائكم سنانى * قال فلما سمع العبيد كلام عنتر صاحوا عليه وقال المقدم عليهم دونكم واياه وأعدموه الحياه فمالوا عليه وأقبلوا اليه ثم لما نظروا عظم جثة عنتر وخفة جواده الابجر جزعوا والعقل منهم تحير ولكنهم أعطوا الجلد قوة وتبادروا اليه بالكلية وقالوا له من أنت أيها الجاهل المغرور الذى قد ساقه الاجل برجليه الى الهلاك والثبور وارتكاب عظائم الامور أما علمت أن هذه النوق والفصلان لملك الارض فى طولها والعرض صاحب العز والنصر والمنازل العالية والقصر وهو الملك المنذر بن ماء السماء اللخمى مالك أهل هذا العصر فقال له فى است أمك واست أم المنذر معك وضربه بالحسام على وريديه فطير رأسه من بين كتفيه (قال الراوى) فلما رآه العبيد ورأوا تلك الضربة خافوا وساقوا النوق قدامه وقد وجلت قلوبهم وحاروا فى أمورهم وقد علت الضجة فى المراعى والحى وكثر اللجاج على هذا الشى وقد تركهم عنتر عبرة لمن اعتبر * وأما الذين قصدوا جهة الحلة فان شيبوبا قد استقبلهم بنباله وردهم بخفة سعيه واقباله ورماهم فى النحور والصدور وترك دماءهم على البيداء تفور وما سلم منهم الا من لم يره عنتر ومن لم يلحقه أخوه شيبوب القسور ثم ان شيبوبا رجع ولحق المال والعبيد وأمرهم أن يسوقوا المال والجمال واستقبل مهب الشمال وغاص فى البر والسباسب وساق النوق سوق الهارب وغاصوا فى البر الاقفر وتأخر عنتر محاميا لهم على الاثر ومازالوا سائرين الى أن تنصف النهار واذا قد طلع من خلفهم غبار وعلا وملأ الفلا والقفار وأقبل من كل جانب وكدر المشارق والمغارب وصار ذلك الغبار مثل الدخان حتى انعقد الى العنان وهو يذهل العقول والاذهان

وقد بان من تحته فرسان وظهرت أبطال بنى شيبان ولمعت شفار الصفاح وأسنة الرماح وصلصل الحديد ولمع الزرد النضيد وهمهمت الرجال الصناديد وطلبوا عنترا مثل الشواهين وهم من عشرة الى عشرين وهم عصب وفرق ومامنهم الامن للحرب قد سبق وترادفت الفرسان من كل جانب وهم مثل السلاهب والكل ينادون يامن غربة نفسه الى أين تجوم من سطوة المنون وشرب كأس الحمام من سيف ملك الزمان ونائب كسرى صاحب التاج والايوان (قال الراوى) وكان الصباح قد وصل الى الملك المنذر وهو فى ظاهر الحيرة وكان قد ركب الى الصيد والقنص وحوله مواكب وأبطال برجال كالجبال فلما رآه العبيد ألقوا نحوه الصوت فلما التفت الملك اليهم بل قال لولده النعمان انظر هؤلاء العبيد ما بالهم وما حالهم واكشف لى عن خبرهم وما نالهم وكان النعمان أكبر أولاده وأشدهم عزما وهو الموصى له بالملك من بعده ثم ان النعمان ابن الملك المنذر تقدم الى الرعيان وسألهم عن الخبر فأخبروه بأن فارسا قد أغار على المراعى وأخذ من النوق العصافير به ألف ناقة وسار بها (قال الراوى) فلما سمع النعمان ذلك حرك الجواد وتجارت خلفه الرجال الاجواد من نهل وشيبان وثعلبة وشكر وبنى سنان ومازالوا حتى لحقوا بعنتر وقاربوه كما ذكرنا وأطلقوا اليه الخيول ومدوا اليه النصول ثم ان عنترا لما رآهم اهتز على جواده طربا وتبسم عجبا وتلقى الخيل كما تتلقى الارض العطشانة وابل المطر وطعن الصدور وخرق الجوانب والنحور * هذا صارت الرجال تميل اليه وهو يمددها على الارض بالطول والعرض الى أن كثر العدد وزاد المدد وغاص معهم تحت الغبار وطعن فيهم بالاسمر البتار وكان اذا طعن ضلعا دقه واذا ضرب رأسا شقه ولما ازدحمت عليه الابطال وضايقته الخيل والرجال صاح فيهم فبددهم وزعق على الفرسان فشردهم * هذا وأخوه شيبوب مشتغل عن معونته بالنوق والعبيد الذين معه وقد قويت قلوب العبيد بقدوم مولاهم وتوقفوا عن المسير الى جهة مسعاهم ثم انهم لما رأوا النعمان بن الملك المنذر هموا على شيبوب وأرادوا هلاكه ورجا كل منهم من يديه فكاكه فعند ذلك ناداهم شيبوب يا أولاد الزوانى وحق الكعبة ان تنفس أحد منكم أو صاح لاضربنه بنبلة فى لبته بلا توانى ثم صار ينظر الى أخيه عنتر وما يجرى له مع النعمان * قال وكان الملك النعمان قد صاح فى الفرسان وناداهم أذلكم الله بين العربان هذا كله يجرى عليكم من عبد لا قدر له ولا شان فعند هاتناهض الابطال وتبادروا وتقدموا بعدما كانوا تأخروا فقاتل عنتر ذلك اليوم حتى كلت مناكبه ووقفت ووقعت ضرباته على الجماجم فانتثرت ونفذت طعناته فى الصدور فأثرت ورغت موجات العساكر كالبحور اذا أزبدت وعلا الغبار واعتكر وقصر تحت عنتر جواده الابجر وصار لا يقدر أن يتقدم أو يتأخر ثم ان الجواد كبا به وهو فى أشد الحروب فترجل عنتر عنه وصار مكروب وخرج الجواد غائرا من تحته مثل الريح الهبوب وهو خال من صاحبه عنتر فأيقن شيبوب أن صاحبه قد قتل وشرب كاس المنية ونفذت فيه الرماح السمهرية ففاض الدمع من حفنيه وتناثر على خديه ونجا بنفسه يعدو على قدميه فابصرت العبيد منه ذلك فصاحت عليه وأومت للخيل اليه فحركت خلفه الفرسان على خيول عتاق وطلبته من سائر الآفاق فأحس شيبوب بوقع حوافر الخيل خلفه فسعى مثل الطير الطائر والنمر النافر وغاص فى البر بقوة عصبه ولجت الرجال فى طلبه فلا هو يفوتهم ويجو بنفسه ولا هم يلحقونه حتى يسكنوه فى رمسه وقد دام الامر كذلك من الظهر الى المساء فوصل شيبوب الى مغار فى جبل فرأى على بابه غلاما بديا أسمر اللون وهو قاعد وأغنامه قدامه ترعى وبين يديه نار تضرم وعليها لحم من الوحش يشوى * قال فلما رآه شيبوب دنا اليه وناداه يا فتى أجرنى فانى بذمامك اعتصمت وبك استجرت أجر عبدك الذى فارق أخاه وجار عليه الزمان وأبلاه بفراق من طابت منجاياه وأشرف على هلاكه وفناه فقال له الغلام اى وأبيك فانى أجرتك واللات والعزى من كل من

اكل

أكل الخبز وشرب المياه ولا أسلمك دون أن أقتل قبلك فادخل الغار وكن آمنا من كيد الاشرار ياغريب الديار فدخل شيبوب الغار وهو لا يصدق بذلك الا انه ما استقر به الجلوس حتى وصلت الخيل الى الراعي وهي متقطعة يتبع بعضها بعضا وعلى أكتافها بيض الصفاح وفي أيدي فرسانها عوالي الرماح فلما رأوا الراعي زعقوا عليه وقالوا له أخرج لنا هذا الشيطان الذي قتل خيولنا وبلبل عقولنا حتى نقطفه على أسنة الرماح ونقطعه بشفار الصفاح قطع الله نسله ما أشد عصبه وأقوى قصبه فقال لهم الغلام ياسادات العرب هبوه لي واقبلوا فيه سؤالي فاني قد أجرته وقد صار في ذمامي من غير معرفة به فقالوا له لا كنت ولا كان ذمامك أخرجه والا نقتلك قبله ونسبك حمامك فانه لابد لنا من قتله فان أخاه قد قتل من بني حسان مايزيد عن ثلثمائة بطل من الفرسان فسلمه الينا فانا قد لقينا منه مالا نلقاه من انسان لان هذا الكلب من الجان فارحم نفسك وسلمه الينا والا قتلناك وأسلنا دماك فقال الراعي حين رأى النوبة صعبة ياوجوه العرب اذا لم تسمح أنفسكم بتركه فاعملوا معي نوع المعروف وأبعدوا عن المغار قليلا مقدار أربعين باعا أو ذراعا من قدامي حتى أخرجه لكم من ذمامي ثم دونكم واياه ولا تخفروا ذمتي ولا تضيعوا يافتيان حرمتي فقالوا له افعل مابدا لك فما فينا احد يخالف مقالك فعند ها دخل الغلام على شيبوب فوجده بأسوا حال من خوفه على نفسه من الوبال فقال له الراعي ياقتى ها انت قد سمعت ماجرى بيني وبين هؤلاء الكلاب وقد اطلعت على السؤال والجواب وما اقدر على خلاصك الا باتلاف مهجتي وأنا راض بذلك ولا اضيع حرمتي ولو كان معي عشرة من بني دودان ما كان وصل اليك منهم شيطان فاخلع ثيابك والبس ثيابي واذا صرت على باب المغار فسق الغنم بين يديك وخذ زادي هذا ومزودي وخذ هذه العصا في يدك فان رأوك وسألوك فقل لهم ياوجوه العرب أنا دخلت لكي أخرجه اليكم فارضى أن يخرج معي فدونكم واياه فاذا رأيتهم دخلوا علي ونزلوا عن خيولهم الى فاطلب انت لنفسك النجاة ودعني اناوا ياهم حتى يسقوني كأس الحمام ولا أكون مفسوخ الذمام فعند ها لبس شيبوب ثياب الراعي وشد مزودته بين كتفيه واخذ العصا بيديه وخرج من الغار وحدثهم بما علمه الراعي من الكلام وساق بين يديه الاغنام ومازال حتى انه ابعد عنهم في الاكام واستعان بما في المزودة من الطعام فعادت قوته الى ركبتيه ثم انه ترك الاغنام في ذلك المكان وسار يقطع الفلاة والقيعان وهو فرحان بنجاته من أعداه على يد ذلك الغلام فترجل بنو شيبان ودخلوا المغار وأخرجوا الغلام الى ضوء النار فرأوا عليه ثياب شيبوب وهو ساكت فقالوا له ويلك ولماذا فعلت بنفسك هذه الفعال ورضيت بالقتل والتعذيب لاجل رجل غريب فقال لهم ياوجوه العرب اعلموا انه قد استجارني فأجرته واتيتم انتم في طلبه وسألتكم فيه فما قبلتم سؤالي ومالي طاقة بدفعكم ففديته ورضيت لنفسي التعذيب وانا ما بيني وبينكم مطالبة وقد صرت أسيرا في ايديكم فان منتم علي بالاطلاق شكرتكم في سائر الآفاق والا فافعلوا بي ماشئتم من التضييق ثم انه بكى وانتحب وأشار بقول بعد الصلاة على سيد العرب

يابني النجيبات من شيبان * لا تضيعوا صنائع الاحسان * أنا ان كنت قد تعديت فعلا
لست أهجى في سنة العربان * فاسمحوا واغنموا ثنائي وشكري * ومديحي لكم بكل لسان

(قال الراوي) فتعجب فرسان بني شيبان من مقاله وفعاله وما استحسنوا من انفسهم ان يقتلوه ورأوا أن يرجعوا بالخزي والمذلة ويكون الغلام قد فاز بالشرف والذمة فرجعوا عنه خائبين * وأما شيبوب فانه نجا بنفسه واستمر سائرا بأمان في البراري والبطاح الى أن أصبح عليه الصباح وهو سائر يتذكر ما جرى له وما صار لاخيه عنتر وكان أشد ما عليه دخوله الى حيه ونعيه لاخيه وشماتة أعدائه فيه لاسيما عمه مالك وولده عمرو وعمارة والربيع بن زياد (قال الراوي) وما جرى لشيبوب من عظيم الاهوال وما حصل في قلبه من هذه الاحوال لعلع بصوته في البر وأنشد يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

يافارس الخيل ما للخيل تبكيكا * وما لسمر القنا بالويل تنعيكا * لا كان يوم رأيت الخيل مقبلة
فيه اليك وأطراف القنا فيك * لو كان يقبل صرف الدهر فيك فدا * لكنت من نائبات الدهر أفديكا
سقاك عمك كأسا من خديعته * كما سقى الغيث يا ابن الام ساقيكا * فاليوم تعرف عبس حق من فقدت
اذا أتيت الى الاحياء أنعيكا * ويشمت ابن زياد اى عمارتهم * وتشتفى فيك يا روحى أعاديك
وبنت عمك تضحى وهى جارية * له ولو عشت لا ترضاه مملوكا * يافارس الخيل ما أبقيت لى جلدا
وليس قلبى من الاحزان يسلوكا * والمهر يصهل بين الخيل ملتفتا * اليك كالمرأة الثكلى بناديكا
لهفى عليك وقد أصبحت منجدلا * مضمخا بالدما والنقع يعلوكا * سقى ثراك الحيا من كل غادية
* هطلا ولازالت الاطلال تنعيكا *

(قال الراوى) ثم ان شيبوب اسار بطلب ديار بنى عبس وغطفان ودموعه تجرى مثل الغدران وقلبه موجوع وعقله حيران فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من أخيه عنتر فانه مازال يقاتل وهو يرد الخيل على أعقابها حتى ترك الارض حوله غارقة بالدماء ومدد الرجال على الثرى وهو لا يسمع ولا يرى وتعجبت منه الابطال ونزلوا عليه مثل السيل اذا سال وهو يضرب فيهم بالحسام يمينا مع شمال حتى وقع على وجهه من شدة الكر والفر والنزال فأخذوه أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وقدموه بين يدى النعمان فلما رآه تعجب من صورته ومن عظم جثته وقال لهم شدوه على جواده حتى نسير به الى الملك يفعل فيه كل مراده ويسأله عن حاله ومن أى العرب هو ويقتله كما يريد ويقطع أثر القبيلة التى هو منها ويبددها على الصعيد ثم انهم أوثقوه بالكتاف وقووا منه السواعد والاطراف وعارضوه على جواده وقد أيقن بتلافه ونكاده وعادوا به الى الملك المنذر آخر النهار وهو فى حالة العدم والاضرار وكان الملك قد خرج فى ذلك اليوم الى الصيد والقنص وهم أن يرجع الى الحلة فظهر عليه أسد من أرض يقال لها جفان وكانت سباع جفان يضرب بها الامثال فى ذلك الزمان وكان كل من قتلها يفتخر بها على الفرسان وقد ذكرتها الشعراء فى أشعارها بهذه الابيات

ان نحن نلقى سباعا لا مثال لها * من أرض جفان لا تبقى ولا تذر
اذا تعطفت رأيت الخيل حافلة * وان سطت طار من ألحاظها الشرر

(قال الراوى) فلما ظهر ذلك الاسد أرعب قلوب الرجال ونفرت منه خيلهم من المجال وقد فرت من نحوه الابطال وكثر الصياح من اليمين والشمال * هذا والنعمان قد قدم عنترا بين يدى أبيه المنذر فأوقفه قدامه وأخبره بحاله فتعجب الملك المنذر من خلقته وطول قامته وقال له من أى العرب أنت فقال له من بنى عبس واعلم أيها الملك انى أنا الليث الهمام والبطل الضرغام الضارب بالحسام الصابر تحت ظل القتام أنا طبيب عبس اذا مرضت وحاميها اذا ذلت وحافظ حريمها اذا ولت وشجاعها اذا ابتدرت * قال فتعجب الملك المنذر من فصاحته وقوة قلبه ووقاحته وهو فى ذلة القهر وغلبة الاسر فقال له الملك المنذر ما لك وما حملك على التعرض لاموالى ونهب نوقى وجمالى فقال له عنتر حملنى على أخذ نوقك وأموالك بنى عمى على وتجبيره لانى ربيت مع ابنته وأفنيت عمرى فى خدمته فلما رآنى طالبا زواجها طلب منى مهرها ألف ناقة من النوق العصافير وأنا بها جاهل غير خبير فأجبته الى ما طلب فسرت الى أرضك وتعرضت لها فوقعت فى هذا البلاء والعناء والعطب فقال له الملك المنذر وأنت بهذه الشجاعة والفصاحة والادب وترمى نفسك فى بحور العطب وخاطرت بنفسك من اجل جويرية من بنات العرب فقال عنتر أى نعم يا مولاى فان الهوى يحمل الانسان على ركوب الاخطار والاهوال ومن أجله تضرب أعناق الرجال ولا يعذر العشاق الا من ذاق مرارة هجر الوصال وما يوقع فى البلاء فى سائر المواضع الا النظر لما تحت البراقع وأى بلية تحمل النفوس على اتلافها وقتلها الا والنساء أصلها وسبب فرعها ثم ان عينيه رغرغت بالدموع

وناوه

وتأوه من قلب موجوع وتنهد وتحسر وصار لا يسمع ولا يبصر وأنشد يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

جفتني الغواني من حوائي البراقع * أحد من البيض الرقاق القواطع
اذا جردت ذل الشجاع وأصبحت * محاجر عينيه غزير المدامع * سقى الله عمى من يد الموت شربة
وشلت يداه بعد قطع الاصابع * كما قاد مثلي بالمحال الى الردى * وعلق آمالي بنيل المطامع
لقد ودعتني عبلة يوم بينها * ودع يقين انني غير راجع
وناحت وصاحت كيف حالك بعدنا * وأصبح مثلي بالجوى غير هاجع
وحقك لا حاولت في الدهر سلوة * ولا غيرتني عن هواك مطامعي
خلقنا لهذا الحب من قبل آدم * فما يدخل اللوم المصمم مسامعي * سأضرب بالهندي حادثة النوى
وأوثقها ضربا بروم الفجائع * وأقطع صرف الحادثات بقاطع * ومثلي أنا في الحب ليس بقاطع
فبلغ لها يا برق مني تحية * وكل ديار هيئتها مراتع
ويا ساكنات الايلك ان جزت فاندبي * اذا صرت ملقى للطيور السواجع
ونوحي على من مات ظلما ولم ينل * سوى البعد عن أحبابه والفجائع
ويا خيل فابكي فارسا كان يلتقي * أسود المنايا دائما في المعامع * وأمسى بعيدا في غرام وذلة
بقيد ثقيل من قيود المطامع * بحقكم لا تعذلوني وأقصروا * ولا ترفعوا ما مر نحو مسامعي
وكيف أطيق الصبر عمن أريده * وقد أججت نار الهوى في الاضالع
وحق الهوى ما رمت يوما لسلوة * ولا لعبت بي في هواك مطامعي
أنا الفارس الرعديد في حومة الوغا * وقد شهدت أبطال عبس وقائعي
اذا شئت فاسأل عن حديثي وموقفي * ترى عجبا يوم الوغا في المعامع
اذا لاح برق النار من حد صارمي * تذل له هام الرجال الشواجع
وان نال وجه الارض بأسي وشدتي * رأيت دواني الارض مثل الشواسع

(قال الراوي) فلما ان سمع الملك المنذر من عنتر ذلك الشعر والنظام تعجب من شجاعته وفصاحته وكان الملك المنذر من فصحاء العرب وهو يعرف الشعر والادب فعلم انه غارق في بحر العشق والهوى وهو لا يعلم ما علمه استوى فبينما هو معه في الكلام واذا بالرجال نفرت الى ما بين يديه كما ينفر من الجارح اضعف الحمام فطلب الملك عن تلك الاحوال الاستعلام فقالوا له أيها الملك المظفر والهمام الغضنفر قد ظهر علينا اسد قسور وقد اهلك الفرسان وفرق الشجعان والرماح لا تعمل في جسده ولا تؤثر فيه فقال المنذر بادروه قبل ان يلتجئ الى بعض الجبال فربما انه يقطع الطرق ويخوف المسالك وتصير معبرة بين العرب بسبب ذلك فلما سمع عنتر كلام الملك المنذر هانت عليه المصائب وطاب على قلبه ان يرمي نفسه في النوائب ونادى أيها الملك اقسمت عليك بحق من رفع السماء وعلم آدم الاسماء واجرى بقدرته الماء انك تقول لاصحابك ان يرموني قدام هذا الاسد ويدعوني بين يديه ودعه بهجم علي واهجم عليه فاذا فترسني تكون قد اخذت مني ثارك وقضيت اوطارك لاني قد قتلت رجالك وبددت ابطالك وان انا قتلته فيكون ذلك بسعادتك فقابلني بما استحقه من نعمتك واموالك وعطيتك ولا تعدل عن الحق بما انت فيه من مملكتك * قال فأمر الملك المنذر ان يحلوه من القيود والاغلال فبادرت الحجاب والغلمان في الحال وحلوا يديه واراد وا ان يحلوا رجليه فقال عنتر لا يا ملك لا تفعل بحق ذمة العرب والرب الذي اذا طلب كل العباد غلب ولا تتركهم يحلوا غير يدي ويدعوا القيود على حالها في رجلي حتى لا يكون لي من قدام الاسد براح اما ان اقتله واما

ان يتركنى قتيلا ملقى على البطاح ولا يكون لى من قدامه هرب ولا رواح فعند ذلك تعجب الملك المنذر وزاد به العجب وامرهم ان يحلوا يديه ويدعوا رجليه ففعلوا ذلك فقام على قدميه واخذ سيفه الظامى بيديه واخذ درقته وجعل فى قيده واغلاله وقد تبصر فى أحواله وزاد به الاشتياق عند الحلول فقام وانشد يقول صلوا على طه الرسول

p.224 دونك يا كلب البطاح والربا * فاليوم اسقيك بكفى العطبا * وسوف تلقى فارسا غشمشما
حسلا حلا عند اللقا مجربا * ويحك لمثلى لا تكن مبادرا * لانى سمـــــدع قد أنجبا
تجفل الفرسان يا كلب الفلا * فأين تلقى اليوم منى مهربا * خذ ضربة بالمرهف الظامى الذى
منه الرداوا لحتف عنه ماتنبا * من كف قرم عنترى باسل * تلقى النكال والوبال والوبا

(قال الراوى) فلما سمع المنذر منه ذلك الشعر والنظام ورأى ما عزم عليه من المرام تعجب من مقاله للاسد وخطابه وما ابداه من جوابه وتقدم بين خواصه وحجابه واهل دولته واصحابه وهم يريدون ان يتفرجوا على ذلك البطل الاسود لينظروا كيف يكون قتاله مع الاسد * قال ثم انهم لما قاربوه وتحققوا منه وتظروه اذا هم بأسد عظيم جسيم وسيم وهو اسد عتيق فى قدر الثور الكبير واسع المناخر طويل الاظافر وهو شدوق شدقم عبوس ضيغم افطس ادغم تسمع صوته كأنه الرعد اذا زأر ودمدم وعوى كأنه صخر جبل تهدم بشدق كأنه القليب وانياب كأنها الكلاليب واذا مشى وتمختر يطير من عينيه الشرر ويعجب فى مشيته ويهتز فى خطوته وكلما راى الخيل والرجال حوله زعق وضرب بيديه وكشر عن نابيه ولما راى الاسد عنترا قاصدا اليه اخذه القلق وبالارض التصق وكشر واقشعر ونظر اليه بعين مثل الجمر وتمطى فصار كمثله واجتمع للوثبة عليه حتى صار كنصفيه وفى الحال تقدم الى عنتر ونهض عليه وهو كأنه القضاء اذا نزل الى السماء وزعق زعقة عظيمة تقلقل الجبال فأجابه عنتر بزعقة اعظم من زعقته وفتح باعه لضربته واستقبله بالحسام وضربه ضربة بطل همام حقها من يد عنتر وقال انا ما شقيت فأنا حبيب عبلة ما بقيت فوقع الحسام فى جبهته فما زال يقطع الى ان وصل الى سرته فوقع الاسد قطعتين وصار على الارض شطرين لانه رافق وثبة الاسد وقوة ساعد البطل الامجد فلما صار على الارض ممدد مسح عنتر سيفه فى جلده وقد اقشعرت منه الجلود وتغيرت الالوان وزاغت العينان مما فعل من ذلك الامر والشان وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

p.225 ترى علمت عبيـــلة ما الاقى * من الاهوال فى ارض العراق * رمانى بالدها والمكر عمى
وجار علىّ فى طلب الصداق * فخضت بهـ ـتى بحر المنايا * وسرت الى العراق بلا رفاق
وسقت النوق والرعيان وحدى * وعدت اجد من نار اشتياق * وما ابعدت حتى ثار خلفى
غبار حوافر الخيل العتاق * واطبق كل ناحيـة غبارا * واشعل بالمهنـدة الدقاق
وصاحت تحته الفرسان حتى * حسبت الرعد مطلوق النطاق * فعدت وقد علمت بأن عمى
دهانى بالمحال وبالنـفاق * وما قصرت حتى كل مهرى * وقصر فى السباق وفى اللحاق
نزلت عن الجواد وسقت جيشا * بسيفى مثـل سوق للنياق * وبادرت الفوارس وهى تعدو
بطعن فى الصدور وفى الاماق * وفى باقى النهار اسرت قهرا * ومنى قد وهاعضدى وساقى
وساقونى الى ملك كريم * جليـل قـدره بالعز باق * وقـد لاقيت بين يديه لبثا
كريه الملتـــقى مر المذاق * بوجه مثل دور الترس فيه * لهيب الجمر يشعل فى الاماق
قـددت لهامه بالسيف نصفا * وعدت اليه اعجل فى وثاق * عساه يمـدنى برضاه عنى
* ويـنـعم بالجمال وبالنياق *

(قال

(قال الراوى) فلما سمع المنذر شعر عنتر ورأى افعاله قال لحجابه والله ان هذا العجوبة الزمان وفريد العصر والأوان لانه قد حوى الفصاحة والشجاعة والاقدام على الامور الصعاب وقد رأينا منه امورا تحير فيها اولوا الالباب ومثل وهذا أنال به عند الملك كسرى ما أريد من المرام وافتخر به على سائر الانام * قال وكان الملك المنذر عاقلا كثير الفهم قوى العزم حسن السياسة والتدبير وهو بنوائب الدهر خبير فلهذا قدمه الملك كسرى أنوشروان على سائر العربان وجعله عليهم خليفة وسلطان رأمر القبائل كلها بطاعته وحثهم على خدمته ومن يعصى له أمرا من الامور يقطع أثره ويقصم ظهره * قال وكان الملك المنذر اذا قدم على الملك كسرى أنوشروان وأقبل عليه فى الايوان يرفع الملك كسرى منزلته ويعلى حرمته ويترحب به ويأمره بالجلوس وينصب له كرسيا من الفضة بين يديه ولا ينادبه الا بادشاه تازيان يعنى يا ملك العربان ثم انه يأكل هو واياه فاذا انبسط معه فى الكلام يذكر له أصائل العرب ومكة والبيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وافتخار العرب على الدنيا والعجام وينشد له قصائد الفصحاء التى علقت على البيت الحرام وكان الملك كسرى من عدله واحسانه يظهر له الفرح والطرب ويمكنه من الفضة والذهب لان الاكاسرة كانوا فى ذلك الزمان يفتخرون بالعدل والانصاف ويكرهون الجور والاسراف ويملكون رقاب الناس بالعطاء والاسعاف وكان الملك كسرى قد جعل جرسا على رأسه من الذهب الاحمر وجعل له سلسلة من الفضة الى ظاهر قصره فاذا تحرك الجرس بأمر حجابه أن يأتوه بالاخصام الى بين يديه فيحكم فيهم على أى حالة تكون وكان الملك المنذر قبل أن يقع عنتر فى يده قد سار الى الملك كسرى ودخل عليه فى الايوان وأقام عنده مدة وهو يخلع عليه ويعطيه ويقربه ويدنيه فحسده بعض الحجاب على ذلك * قال فلما دخل الملك المنذر دخل ذلك الحاجب على الملك كسرى وقال له أيها الملك لماذا تكرم هذا البدوى عابد الحجر وترفع قدره ان غاب أو حضر وهو أقل من ذلك وأحقر ثم ان ذلك الحاجب قال اعلم أيها الملك أن العرب كلهم رعاة الاغنام عابدون الاصنام وما فيهم من له عهد ولا ذمام ولا يفتخرون الا بالسرقة والغارة وعبادة الحجارة ويشترى الرجل منهم الامة ويفكحها الى أن تحبل منه ثم انه يبيعها وهى حامل فتلد حملها وتربى بنتها الى أن تكبر فيشتريها مثل أمها فى الاول ثم ينكحها أو يزوجها لولده فينكحها وهى أخته وأما الخصوصية والكذب والقياده فهى عندهم مباحة وعاده ومعلوم أن الحسد مركب فى الانسان * وقد قالت العرب فى حق سيدنا الامام على كرم الله وجهه وعمه بالرضوان

حسدوا الفتى ان لم ينالوا سعيه * فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

(قال الراوى) وكان ذلك الحاجب الذى حسد الملك المنذر جبارا من جبابرة الديلم وهو عند كسرى مقدم على عشرين ألفا من عساكر العجم وفراعنة الديلم وكان يقال له خسروان بن جرهم وانه مازال يسب العرب ويتكلم فيهم بالكذب وقلة الهمم حتى انه غير الملك كسرى عن مودة الملك المنذر وقد قال فى آخر الكلام أيها الملك ان أردت أن تعرف بلادة هذا الرجل الذى قدمته على سائر العرب وتعرف سفاهته وتعلم أنه جاهل قليل الادب فاحضره عند الاكل وأمر الغلمان أن يقدموا قداما تمرا منزوع النوى وتأمرهم أن يقدموا قدامه تمرا بنواه وانظر أيها الملك ما يفعل * قال ففعل كسرى ذلك وأحضر الملك المنذر وأمر الناس باحضار الطعام وبعد الطعام أمر بالتمر فأتوا به فى أطباق من الفضة والذهب ثم انهم تركوا قدام الملك كسرى تمرا منزوع النوى وجعلوا موضع النوى لوزا وفستقا وسكرا ومن أنواع الطيب والعنبر وتركوا قدام الملك المنذر تمرا بنواه فصار كسرى ومن معه يأكلون من ذلك التمر الذى نزع نواه ويلعونه لانه

ليس فيه نوى يرمونه فنظر الملك المنذر الى فعلهم فأنكره فى نفسه وقال أظن ان العادة عند القوم عباد النار أن يأكلوا التمر بالنوى فيجب من أمر السياسة ومعاشرة أهل الرياسة أن يفعل الانسان مثلهم ويتبع فعلهم ويتخلق بأخلاقهم ويقتفى سنتهم * قال فأكل الملك المنذر التمر وبلع النوى فغص ببعض النوى وذاق العذاب فقضا حكت عليه الوزراء والحجاب وتبسم كسرى وكاد أن يخرج منه الارتياب فجعل الملك المنذر من ضحكهم عليه ونظرهم اليه وقال للملك أدام الله عزك وضحكك يا ملك الزمان ما الذى أضحكك وأضحك حجابك وقد زاد غيظا وحنق وتمنى ان لم يكن يخلق فقال الملك كسرى بادشاه تازيان نحن ضحكنا عليك من شأن أكلك التمر بنواه فقال المنذر أيها الملك أنا اتبعتك أنت وقومك وفعلت مثل فعلكم وأكلت مثل أكلكم لانى رأيتكم تأكلون التمر وتبلعون النوى ففعلت مثلكم وتخلقت بأخلاقكم وقلت لاى شئ أخالف الجماعة والمخالفة من طبع أهل الفساد والشناعة فقال له الملك كسرى نحن تمرنا منزوع النوى وموضع نواه سكر ولوز وفستق وطيب فأكلناه بلا تعب ولا نصب فقال الملك المنذر يا ملك هذا دليل على انى مهزأة لك ولقومك وما أحضرتنى الا لاجل ضحكك على أنت وحجابك وما أنا يا ملك الا من بعض خدامك وعبد نعمتك وخادم دولتك ولو فعلت معى ما فعلت ما أخالف مقالك * قال فلما سمع الملك كسرى كلامه وما أشار به من اهتمامه طيب خاطره بلين الكلام وأسعفه بالعطاء والاحسان والانعام وضحك فى وجهه وباسطه فانبسط المنذر ولم يبين له غيظا ولا كلام خوفا على نفسه من شرب كأس الحمام ثم انه أقام عنده ثلاثة أيام وعاد الى الحيرة بسلام فلما صار فى محل عزه وحكمه أظهر الغضب وقام وقعد وأرغى وأزبد وكتب الى عربه وقومه ومن كان تحت طاعته من سائر العربان وقال لهم غيروا على رستاق كسرى واخربوه وطوفوا حول المدائن وكل من لقيتموه انهبوه وكل من مانع عن نفسه اقتلوه وخذوا ماله وانهبوه ثم انه شرح لهم ما جرى له مع الملك كسرى وأنشد يقول

ألا بلغوا العربان عنى رسائلى * وحيوا اذا جئتم لبكر بن وائل
وقولوا لهم ان الاعادى ضيعت * عهودى وساموني بسوم الارذل
حمى الله مقرى الضيف من غير أكله * ومن يطلب الانصاف من غير عادل
دعانى كسرى واستحق بتمره * فعال لئيم ناقص العقل جاهل
وجاؤابه والطيب واللوز حشوه * وتمرى بهم كالحصا والجنادل
أساغوه بلعا فاتبعت فعالهم * ولم أك عن فعل الجميل بناكل
فلما رأونى قد تغصصت بالنوى * علا ضحكهم بين الورى من فعائلى
وهم سخروا بى واستباحوا مذلتى * وغرهم طوعى لهم وتواصلى
فيا بنى سام النبى وتبع * وعنصر ابراهيم خير الاصائل
لقد غير الدهر الخؤون عليكمو * وصارت أسود البيد تحت الجنادل
وقال لها يا شمس أنت خفية * وقال الدجا يا صبح لونك حائلى
فطوفوا بلاد الفرس منكم بغارة * وقودوا الاسارى بين حاف وناعل
ليعلم كسرى ما جناه بفعله * على ومن قد خان عند القبائل

(قال الراوى) فلما وصل الكتاب الى بنى وائل ومثله الى بنى طيئ وسائر القبائل صعب ذلك على سوار بن عامر وعلى الفرسان فغاروا على سائر المدائن وغار الحارث بن بريز على بلاد الابلة فما ترك لا صغيرا ولا كبيرا وقد وقعت الفتن فى الرستاق وخافت من العرب جميع الآفاق وضربت الاعناق وصارت تجار العجم تشكو الى كسرى وتصيح من كل جانب وضجت من عظم المصائب فقامت على كسرى القيامة

واشتد

واشتد به الغيظ والندامة ثم أمر الوزير بزرجمهر أن يكتب كتابا الى الملك المنذر ويخبره بما جرى من العرب وأن يأخذ الحق من العربان لترد أموال التجار والاوحق النار والنور والفلك الذى يدور أرسل لك الفرس والديلم فكتب اليه الوزير كتابا يقول فيه الذى نعلم به ملك العرب المقدم فى الرتب أن قلب الملك العادل عليك قد تغير من غارة العرب على العجم والرعية وقد تألم فقابل الذى تعدى وأجرم وابذل فيهم سيوف النقم وخذ للمظلوم حقه ممن ظلم ان كنت سامعا للدولة الكسروية وناصرا للدولة الفارسية والسلام عليك من النار الحمية ثم انه أنفذ الكتاب الى الملك المنذر * قال فلما وصل اليه الكتاب وسمع ما فيه من الخطاب رد الجواب بقوله الذى نعلم به الملك العادل ان اسمى بين العرب قد انهدم وناموسى بين القبائل قد انحطم وقد هانت عندهم حرمتى لما بلغهم ما فعلت بنى عند أكل التمر وقد فات الامر وظنوا أنى مسخرة فخرجوا من طاعتى ومرقوا من تحت ولايتى ففعلوا هذه الفعال ولا سمعوا الى مقال وأنت البصير بدولتك والعارف بسياسة رعيتك فان أردت من العرب الطاعة والانقياد والاصلاح بعد الفساد فارسل لى جماعة الحجاب الذين أضحكتهم على مكتفين حتى أكويهم بين يدى على وجوههم بالنار وأطأ على رقابهم بالنعال ثم انى أبعث كل واحد منهم الى قبيلة من قبائل العرب حتى يهينوهم ويفعلوا بهم ما يريدون فاذا وقع ما أقول فحينئذ ترى الكل قد عادوا الى طاعتى وسمعوا مقالتى وخافوا سطوتى * قال الراوى * فلما وصل هذا الجواب الى كسرى وقرأه قامت عليه القيامة وقال وحق النار والنور والظل والحرور لقد طمعت فينا العرب واستطال علينا المنذر الكلب الاكلب وان لم أذله وأقابله على هذا المقال وأهدم من الكعبة الاركان وأرمى من فوقها الاصنام والاوثان والا فما أكون ملك الانام لانه قد استطالت علينا رعاة الاغنام فقال له الحاجب خسروان الذى كان سببا لهذا الشر والطغيان يا مولانا ومن هو الملك المنذر حتى يدخل على قلبك منه هم وغم فأنا وحق نعمتك أسير اليه وأقتل فرسانه وأخرب ديارة وأعجل دماره وآتيك به وبأولاده فى الحبال مشدودين وأهلك فرسانه اجمعين وآتيك بالنساء والبنات والبنين فقال كسرى ما لهذا الامر غيرك يا خسروان لانك انت كنت السبب فى هذا الشان فتأهب وسر بالجيش الذى تحت يدك ودبر هذا الامر بعقلك ولكن لا تقتل ملك العرب ان ظفرت به بل ائتنى به حتى اعذبه واعرفه قدره وبعدها أمن عليه بروحه * قال فلما سمع الحاجب خسروان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا بمسيره الى الملك المنذر وقد عول على قتله وامر العسكر الذين تحت يده بأخذ الاهبة للمسير ثم انه تجهز فى ثلاثة ايام وسار فى عشرين الف فارس من الديالم والاعجام وهم مستعدون بالتروس الكسروية والعمد الديلمية والسيوف المشرفية والجنائب العربية وخسروان فى اوائلهم مثل الاسد وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد فهذا ما كان منه (واما ما كان) من الملك المنذر فانه لما جرى له مع عنتر ما جرى ورأى ضربته للاسد فقال وذمة العرب ما افرط فى هذا الفارس الذى ما يوجد مثله فى اقطار الارض ثم انه قال لاولاده وحجابه احتفظوا عليه الى ان يأتينا من عند كسرى جواب الرسالة ونعلمه انا منعناه لانه غار على اموالنا وساق نوقنا وجمالنا وقتل رجالنا لاجل ان نحتج بذلك عليه من كل جانب ونال من الحاسد الذى تكلم فينا المطالب فسكت عنتر وهو فى الوثاق الشديد وصار لا يمكنه فعل ما يريد * قال ولما اقبل النهار وركب الملك المنذر فى عسكره الجرار فبينما هو يتصيد واذا بغبار قد طلع من ناحية بلاد العجم فقال المنذر هذه عساكر الفرس اقبلت فخذوا يا بنى عمى اهبتكم للحرب والطعن والضرب وأنا أعلم أن كسرى صعب عليه كلامى ورآه غير صواب لانى أسأت معه الادب فى الخطاب ولكن عثرات اللسان قلما يسلم منها الانسان كما قال الشاعر

امسك لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(قال الراوى) فلما سمعت الرجال كلام الملك المنذر اجابه كل واحد منهم بجواب واستعدوا للحرب والضراب وارسلوا الفرسان الى قبائل بنى شيبان والى جميع العربان فاقبلت اليه القبائل واتوا بالفارس والراجل واستقبلوا عساكر العجم وتسارعت للحرب العرب والديلم وانعقد الغبار الى العنان وجمل كل فارس منصان وتقدمت فرسان الديالم وصار الحرب بينهم قائم والتقت الطائفتان وجملت وفاضت الدماء وهطلت وقدحت نار الحرب واشتعلت وأقبل خسروان عابد النار بجمل وقتل فى العرب وأبلاهم بالويل والكرب وأيقنوا منه بالعطب وأشفى فؤاده مثل ماطلب وتصدريات المنذر ولما تقرب وقد بدد الفرسان وفرقها وابلاها بالويل ومحقها (قال) وكان المنذر فى ذلك اليوم قد جمل فى جميع الفرسان ليلتقى جيش الملك كسرى أنوشروان وهو فى اثنى عشر ألف فارس من العرب فما أمسى حتى قتل منهم أربعة آلاف فارس ممن هو مجرب وصار الباقون يطلبون الهرب والفرس والديلم لهم فى الطلب وهم ينادون باسم النار والنور والظل والحرور والفلك الذى يدور وصارت الفرس تقتل وتأسر حتى اظلم الغيهب ثم وعادت الديالم والاعجام وضربت لهم المضارب والخيام ونزل خسروان وهو يرعد مثل الاسد الغضبان وقد أضرمت فى قلبه النيران وقال للمرازبة والحجاب دوروا بالحيرة من كل جانب واحفظوا جميع الطرقات والمذاهب الى أن يصبح الصباح حتى لا يهرب الملك المنذر تحت الظلام والغياهب لانى أريد غدا أن آخذه أسيرا وأقوده ذليلا حقيرا وأقدمه بين يدى أنوشروان وهو فى الذل والهوان (قال) ففعل الحجاب ما أمرهم به ودار واحول الحيرة من كل جانب وحفظوا الطرقات والمذاهب فهذا ما جرى لهؤلاء (واما ما كان) من الملك المنذر فانه بقى حيرانا مقهورا ودخل الى البلد مكسورا وصار بعض كفيه ندما وغيظا ومازال على هذه الحالة الى أن دخل الحيرة وجلس على كرسى مملكته وأحضر جميع اولاده والخواص من اجناده وكان له ثلاثة اولاد شداد وكل منهم له عساكر واجناد وهم كأنهم الآساد وهم الملك النعمان ويزيد الملقب بالاسود وهو الاكبر والاصغر يقال له عمرو بن هند وكانت أمه من بنات ملوك اليمن * قال فلما ان أحضرهم اليه أخذ فى المشورة والكلام معهم وقال لهم يا أولادى لقد فتحنا علينا باب فساد وسلكنا بسوء أفعالنا غير طريق الصواب وذلك بمعاداتنا للملك كسرى صاحب الابواب وانا لو جمعنا العرب والفرسان القاصى منها والدان قبل هذا الآن من قبل ان يصل الينا هذا الحاجب خسروان ومن تبعه من الاقران والفرسان كنا قدرنا على ملاقاة هذا الشيطان ولكن ما كنت اظن ان كسرى يفعل هكذا والآن ما بقى ينفعنا الا الصبر على الاهوال والضرب بالصوارم الثقال فان نحن نصرنا فى غدا نغدو عليهم فى مجال القتال كان فى ذلك بلوغ الآمال وان لم يكن ذلك نجمع عليهم عند اقبال الظلام سائر الشجعان والسادات وندورهم من سائر الجهات ونحمل على هؤلاء الاعداء من كل جانب ونضرب هامهم بالسيوف القواضب ولم نزل نضرب بالصوارم والرماح الى أن نصيرهم من وراء العدا وتطلب الرواح فى وسيع الفلا والبطاح ونترك المنازل خالية والديار خاوية واذا أوسعنا جمعنا العرب والفرسان من سائر الاقطار والقيعان وعدنا الى قتال عباد النار لنقطع منهم الآثار ونرجع الى أوطاننا والديار * قال فبينما هم فى هذا الحديث والتذكار واذا هم بعبد داخل عليهم وقبل الارض بين أيديهم وقال أيها الملك الهمام والليث الضرغام اعلم أن الفارس العبسى الذى نحن به موكلون وعليه مترصدون قد سمع الصياح فسأل عن الخبر فأخبرناه بما جرى بيننا وبين أعدائنا وكيف حضرتنا العدا وجعلتنا فى حالة الردا وأدخلونا البلد قهرا وما حصل لنا من النكد الذى يعسر على كل أحد فلما سمع مقالنا وفهم سؤالنا قال لنا أخرجونى الى الملك وأنا اضمن له كسر هؤلاء العسكر وتشتيته فى البر الاقفر * قال فلما سمع الملك المنذر من العبد هذا المقال قال احضروه حتى نسمع كلامه فى ملا الرجال لعله ان

يكسره هؤلاء الاندال ويبليهم بالذل والخبال فاذا كسرهم فمن عليه بعوده الى بلاده بما طلب من النوق والاموال والجمال لانه لا يستحق هذا الذل والوبال * قال فسار العبد الى نحو عنتر ليطلقه من وثاقه وكان عنتر فى ذلك الوقت قد تذكر ابنة عمه عبلة ومحبته لها وهواه فيها وما قاسى من أجلها وكيف خرج يأتى بمهرها وجرى عليه ما جرى بسببها فطفح ما بقلبه من الهم وفاضت دموعه من الغم فباح بسره المكنون وزاد به الشجون فأنشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

الا بلغوا عنى زهيرا ومالكا * وعبلة صدق القول غير ملبس * بأنى ملكت النوق تختال فى الثرى
وجندلت يوم الروع كل عرندس * وقد حزت أموالا ونوقا كريمة * وسقت لها فى أرض نجم العوابس
ومهرى الابجر كل منى وخانى * وغادرنى بالطعن كل مترس * وعدت رهينا فى القيود أجرها
وأمشيت فيها مشية المتلبس * ولولا هجوم الليث فيهم وخانهم * وقوله مولى وبك عنترة اجلس
فقمت له بالقيد أعجل نحوه * وقد أيقنوا انى قتيل المهجرس * وما هالنى اذ جاءنى متغطرسا
فقد حسامى هامة المتغطرس * وأطلعته من بين نخذيه عاجلا * ونظفته فى جلده المتدنس
رمونى الى بحر الاذى يبتغوا الردا * فأردبته كالهاور المتكردس

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه دخل عليه العبيد وقالوا له أجب الملك المنذر لانا بلغناه ما قلت من المقال وأعلمناه بالسؤال وقد طلبك ليسمع مقالك ويرى أفعالك فقام عنتر معهم يخطر فى قيده حتى دخل على الملك المنذر فتقدم بين يديه وأشار بالسلام اليه فأمرهم بفك قيده من رجليه وأن يقطعوا الكتاف من يديه فعندها تقدم عنتر وقبل الارض وأشار وأنشد يقول هذه الاشعار

عفا الله عنى ما أحد جنانى * ولكن عمى خاننى ورمانى * وأوقعنى من غدره وسط حفرة
من النار فى تأجيجها أصلانى * وقد صرت مسلوب الفؤاد معذبا * تغل الى عنقى يدى وبنانى
ومثلى يزين القيد يا عبل رجله * ويرتاب من ذا الحال كل جبان * فيا ملك الدنيا بجدك تسمع
وجير قوم سادة فرسان * ويا نسل من قد حاز كل فضيلة * فحتى ماله بين البرية ثانى
اذا جالت الفرسان فاند بنى لها * لتنظر حربى عندهم وطعانى * وتصبح منصورا بصولة عنتر
وأبدل خوفا سيدى بأمان * فأحم حمى ظهرى بألف صميدع * ترى عجبا من صارمى وسنانى
ترى ضيغما يردى الفوارس فى الوغا * بسيف يفوق البرق فى اللمعان * وبعد فهبنى مهرجى عبلة
بألف عصافيرية الالوان * ووفى به فضلا على ومنة * لتشكر عند القوم من عدنان
وخذنى خليلا ما حييت مصاحبا * وقاوم بعزمى جملة الفرسان * أيا عبل لا تخشى على من العدا
اذا كثرت حولى وجال حصانى * فانى يوم الحرب شهم مجرب * أبيد العدا دوما بطعن سنانى
وما الموت الا صورتى وشمائلى * كذا السعد مقرون بطرف عنانى * وانى سأردى للاعادى جميعهم
على الارض مالى فى البرية ثانى * أيا أيها الملك الذى شاع ذكره * لكل ملوك الارض والفرسان

(قال) فلما سمع الملك المنذر هذه الابيات تعجب وأخذه الانبهار مما رأى من فصاحة لسانه وقوة جنانه وأيقن بالنصر من سيفه وسنانه فقال يا عبسى ما هذا القول الذى قلته وسمعته عنك وما الذى ذكرته من الكلام لما سمعت الصياح وقت الصدام فقال عنتر يا مولاى ورب الكعبة والبيت الحرام كادت مرارتى ان تنشق لما سمعت أنكم منهزمون من هؤلاء الطناجير الكلاب وكيف وليتم قدامهم هربا باضطراب وهذا عار لا ينمحى عن الاعراب اذا هى رضيت بهذه الاسباب وان هذا يا ملك لا يرضى به أحد من أهل الطعان والضراب فقال الملك المنذر فما الذى تصنعه الرجال اذا بليت بأسباب البليات والامتحان بالنائبات وما تصنع اذا أحاطت بها الفرسان وأنزلت بها الذل والهوان وكيف يكون ثباتها

اذا بليت بما لا تطيق وانسدفى وجهها كل بروطريق فقال له عنتر أيها الملك العظيم الشان ان غلمة الرجال هى الموت الاحمر الذى لا يقدر عليه أحد من البشر وان الرجال تصبر على الحروب والقتال وتشرب كؤس الموت كما تشرب الماء الزلال ولا تولى وقت الحرب والقتال ولا تلبس ثوب العار بركوبها الهزيمة والفرار من مجال النزال ولو داستها حوافر الخيل وأتاها البلاء والويل وها أنا أيها الملك بين يديك وحالتى قد عرفتها وقصتى قد قصصتها عليك وان أنت أيها الملك الكبير ضمنت لى ألف ناقة من النوق العصافير التى قد طلبت منى وهى مهرابنة عمى عبلة التى هى من لحمى ودمى وتفرج بها همى وغمى وترد لى سيفى ورمحى وجوادى وتعطينى عدة جلادى ويكون معى من قومك ألف فارس أبطال عوابس ليكونوا خلفى يحمون ظهرى فعند ها ترى ما صنع عبدك الاسود البطل الامجد وتنظر كرى وفرى وما يظهر من فعلى وأمرى فقال له الملك المنذر يا عبسى ورب الكعبة الحرام وزمزم والمقام ان فعلت ما قد ذكرت وكسرت هذا الجيش كما قد قلت حكمتك فى جميع أموالى وما تحويه يدى من نوق وجمال وغير ذلك من التحف الغوال وأعطيك كثيرا من الاموال والنوق والجمال وكلنا تكون بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ونحمل معك التعب والعنا ونضرب فى وجوه أعدائنا بالسيف والقنا فصار عنتر يرى هذه الرجال شبيهة بالغنم وهو ذئبهم يدعهم على الارض رمم ثم ان الملك المنذر بعد هذا الكلام أمر أن يردوا على عنتر جواده ويعيدوا له عدة جلاده ثم انهم باتوا تلك الليلة وهم معولون على الحرب والكفاح الى أن أصبح الله بالصباح ولما ان أصبحوا سمعوا الصياح من العداقد علا حتى أطبق جنبات الفلا وطمعوا فى نهب الاموال وأخذ النساء والاطفال والعيال فعند ها خرجت العرب بهمة قوية وعزيمة على الحرب جريه واصطفوا فى مقام الطراد وفى أوائلهم عنتر بن شداد وهو قد أوقر الجواد بعظم جثته وهول همته وهو ينادى خابت آمالكم يا طناجير العجم اليوم ترون من عنتر ما تتحدث به الامم ثم انه حمى جواده وسار الى وسط الميدان ومحل الضرب والطعان ولما صار فيه هاج وماج ولحقه الوجد والانزعاج وصار يقول يا لعبنين عبلة أقاتل عباد النار اللئام أولاد الحرام ثم انه بعد ذلك أنشد وقال

يوم حرب يطول فيه قتالى * فابرزوا لى معاشر الانذال * سوف أروى من الاعاجم سيفا
مرديا للنفوس عند المجال * أنا ذو البطش بالفوارس حقا * متلف للكماة والابطال
فى يدى صارم يقد الجلامي * د ويبرى الرقاب مع أوصال * ولهام الرجال يبرى ويفرى
ويقد الصخور فى الاجبال * طاب وقت القتال بالصارم العضـ * ـب وطعن المثقف العسال
وبرمح يأتى على الجيش جمعا * فالبثوا ساعة ترو اهوالى * سأخلى القتلى على الارض رزقا
لوحوش الفلاة والاشبال * ودماهم تجرى كسحب غواد * وهى تجرى من صارمى الفصال
فاعدلوا تحت قسطل النقع والطعـ * ـن وضرب الرينال ذى الانكال * سأخوض العجاج حتى ألاقى
خسروانا أسقيه كأس الوبال * سوف يسقى من حد سيفى شرابا * لم يذق بعده شراب الزلال
وترى الخيل شاردات حيارى * قد خلا ظهرها من الاقيال * وأنا الضيغم المقدم فى الحر
ب وبأسى تخشاه كل الرجال * ولى المجد والسعادة والفخـ * ـر ونجمى على النجوم يلالى

(قال الراوى) ثم ان عنترا بعد شعره قد حمل وتلقى أوائل الخيل يطعن فيهم بطعن أحد من لمع البصر وربما وافق القضاء والقدر فلم تكن الا ساعة حتى سالت الدماء على الارض كالما وتكحلت الشجعان بمراود العمى ولما رأت بنو الاعجام أقبلت الى ذلك من سائر الجهات طمعا فى نهب الاموال والبنات فردتها العرب عن تلك النيات بسيوف قاطعات لانها ظهرت من الخيرة كما تظهر الاسود وعنتر قدامهم كأنه عمود وسيفه يلمع على اعناق الرجال كالبرق وصوته كالرعود ثم ان العرب ثبتت للاعاجم

الدائرات لما ان رؤا ثبات عنتر صاحب العزمات تعلموا منه الصبر على النائبات فعند ذلك دارت على
الاعاجم الدائرات ورأوا عنترا قد نزل عليهم بنوائب الآفات وطعنت العبيد والسادات وقد ساقهم
عنتر سوق الغنم السارحات فانقطع طمعهم من نهب البنات والتفات الاعاجم الى الخيام وكان
الخسروان فى ذلك اليوم واقفا بعيدا ينظر الى القتال فطال به المطال ورأى أصحابه عادوا اليه هاربين
فسأل بعضهم فقال له يا مولانا لقد نصرت علينا فى هذا اليوم العرب ونظرنا من فارس معهم غاية العجب
وان لم تنزل اليه والا فما يبقى منا شخصا ولا ذانب وهذا الفارس لا يخطئ اذا ضرب ولا يلتقى اذا تصيب
له صوت كالرعد القاصف اذا سمعه الانسان لم يزل من هيبته راجف فقال ومن أين أتى هذا الفارس
الى هذا المكان ولمن ينتسب من العربان فقال له حاجب من الحجاب ما ندرى وحق النار والنور والظل
والحرور وأنا من هذا الفارس قد حار فكرى لانى قط ما شهدت فى الحرب مثله ولا رأيت من يفعل فعله
* قال فلما سمع الخسروان من الحاجب هذا الكلام خرج من تحت الاعلام طالبا مكان المعمعة ومحل
الصدام وفى يده عامود ثقيل ما يخرجه قبان وهو كأنه من بعض الجان فلما رآه الفرسان الذين حوله
حملوا معه خوفا عليه فخاض هو الهجاج بنفسه وافتخر على أبناء جنسه فخافت من عامود الفرسان وهابته
الشجعان والاقران وقد ثار الغبار الى العنان وعاد ربح العجم الى خسران وقام الحرب على ساق وقدم
وتخضبت اللحى بالدم وأيقنوا بعد الوجود بالعدم ولم يزالوا كذلك فى حرب وقتال وطعن ونزال وضرب
بالنصال الى أن آلت الشمس الى الغروب وقد خمدت نيران الحروب فافترقت المواكب بعضها عن
بعض وقد امتلأت من قتلاهم جوانب الارض ﴿ قال الراوى ﴾ وكان الملك المنذر قد أمر أولاده أن
يخرجوا الخيام الى خارج البلد لما بان له وجه النصر والظفر بذلك الفارس الاسود الاسد وقد فرح
بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقد ضربوا السرادقات والاعلام ودارت بهم العبيد والخدام
وجلس الملك المنذر مع سائر فرسانه ودارت به أولاده وجميع خلانه ثم ان الملك المنذر أقبل على عنتر وقال
له اجلس بخلس عن يمينه مقدما على أولاده وصار عنده أعز أحبابه وأقبل عليه غاية الاقبال وصار يطيب
قلبه ويعده بالنوق والاموال ثم انهم بعد ذلك أحضروا موائد الطعام فأكل الملك المنذر وعنتر وحدهم
لا غير وفى هذا غاية الاكرام وصار الملك يمازحه ويباسطه فى الكلام وعنتر يدعوله بطول البقاء على
الدوام ثم ان الملك المنذر سأل عنترا عن مبدأ حاله مع بنت عمه وما جرى له مع عمه وأهله فعند ذلك أخبره عنتر
بما جرى له مع عمه مالك وما وقع بينه وبينه من الامور والاحوال وأخبره بجميع ما عمله من الاعمال
وكيف ألحق روحه بالنسب وكيف رضى عمه عليه بعد الغضب وكيف أنفذه ليأتى بالمهر والصداق
ويحصل على النوق العصافيرية من أرض العراق ثم قال له وأنا قد خرجت على هذا الشرط والاتفاق
(قال) فلما سمع الملك المنذر من عنتر ذلك الكلام قال له يا عبسى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لقد
غرك عملك وكذب عليك فى المقال وكل ما دبره لك فهو زور ومحال لينال به من اعدا ملك الآمال ولو
كان راضيا عنك ما كان ابعدك ولا انفذك الى هذه الديار ولا رماك فى هذه الاخطار والآن قد سهل الله
الامر والخلاص من المهالك ولو كنت اعلم ان قلبك يطيب بالاقامة عندى لكنت كتبت الى ملككم زهير
ان يأخذ عبلة من ابيها و ينفذها الينا بالرضا او بغيره ولكن اخاف ان قلبك لا يطيب بذلك فتحمل امورا
لا ترضاها فيكون ذلك على غير هوى النفس ومناها * فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له والله يا مولاى
ليس لى قدرة على المقام واعلم ان كل يوم يمضى على كأنه شهور واعوام ولكن يا ملك لا ارحل من هنا
حتى تبلغ ما تريده من اعدائك اللئام ولو ان قلبى يتقطع بلهيب الغرام وفى غدا كر لك الجيش بسطوتك
ولو انه بعدد الرمل والآكام على انهم فى هذا اليوم كانوا على شرف الانكسار وما ثبتوا الا بحملة هذا الجبار

الذى حمل فى آخر النهار وفى الصباح اطلب البراز فان برز الى اسقيته كأس الحمام فقال له المنذر لا ياولدى بل ان ظفرت به لا تقتله بل استبقه لاجل شئ قد فعله وكان غير حميد وانا خائف من وقوعى فيه وكنت اردت ان اعلى العرب على العجم فأتانى الامر على غير ما اريد وغضب على الملك كسرى الذى هو ملك الارض والملوك تطيعه وهذا العسكر الذى انفذه الينا ما هو الا نقطة من تيار جيوشه وعساكره وانا خائف من غضبه ولما فرغوا من اكل الطعام ومادار بينهم من الكلام قاموا يريدون الراحة والمنام وكان عنتر اراد ان يتولى الحرس فما مكنه المنذر من ذلك بل امر ولديه الاسود والنعمان أن يتوليا الحرس ومعهما جماعة من الفرسان فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا (واما ما كان) من طائفة الاعجام فانهم لما نزلوا فى الخيام ومقدمهم الخسروان يهدر مثل الاسد الهمام قدم اصحابه من أجل انهم ما بلغوه من اعدائه الارب فقالوا له وحق النار كنا ظفرنا بكسر عسكر الملك المنذر لو لا ظهر لنا فارس قد فعل معنا ما فعل ورأينا منه شيأ ما رأيناه بطول أعمارنا لا من العرب ولا من العجم وان دام علينا يومين او ثلاثة لا يخلى منا لا كبيرا ولا صغيرا وحق النيران ما كأنه انسان وما هو الا شيطان من الجان وانا لما التقيناه بقينا نحمل عليه من كل جانب ونقول اننا نثقب جسده بالقواضب فيصيح فى الخيل فيردها على اعقابها ويركب من على ظهورها عصبة ركابها وصوته يزعج الارض ويهدها ويضرب بحسامه الجماجم فيقدها فعند ذلك قال لهم الخسروان بئس ما تصفون فى هذا الجبار فانى رأيته وما حملت الا من اجله حتى انى اعجل قتله ولكنى لما حملت كان بعيدا عنى فقتلت فى حملتى عشرة فوارس صناديد فى غداة غدو حق الكواكب العلية لا يتقدم ويبرز الى حرب هذا البطل احد غيرى لا بل ان أسقيه كأس الردا وآمركم ان تبذلوا سيوفكم فى جميع هؤلاء العرب ثم انه اخذ جماعة وقال لبعض حجابه خذ هؤلاء الجماعة وتولى الحرس معهم الى الصباح فأجابه الى ذلك واقام فى حرس اصحابه الى الصباح فعند ذلك تبادرت الفرسان الى الحرب والكفاح وقد اصطفت الصفوف فى البطاح فبينما الخسروان يتأهب الى الميدان واذا بفارس من عسكر العراق خرج بين الصفين ورمقه كل من الطائفتين وهو كأنه البرج المشيد وهو غائص فى الحديد مسربل بالزرد النضيد وتحته حجرة صفراء فى لون الذهب ثم ان ذلك الفارس ساق الى الميدان بالعرض والطول وكشف عن وجه كأنه وجه الغول فتبينته الفرسان ونظرت اليه الشجعان واذا هو البطل الجواد الامير عنتر بن شداد وكان قد خرج ذلك اليوم ليقتل الخسروان وينزل به الهوان وبعد ذلك يطلب العودة الى الديار لعله ينال من ابنة عمه عبلة ما يحب ويختار ولما توسط العسكر حمل وعيناه مثل الشرار وطلب البراز وقصد الى ميمنة الفرس ففرقهم وقتل منهم تسعة أبطال وطلب الميسرة فقلبها على الميمنة وقتل منها سبعة ورجع الى الميدان وهو على تلك الحجرة التى وصفناها لان الابجر قد اصبح تعبانا قليل الثبات وكان فى صدره من اليوم الماضى جراحات فقدم له الملك المنذر هذه الحجرة ليخوض بها الملمات فلما ان خرج الى الميدان وجال عليها فوجدها ثابتة الاوصال صعبة عند ملتقى الابطال فعاد بها الى وسط الميدان ودعاهم الى البراز وقد أنشد هذه الابيات صلوا على سيد السادات

نفسوا كربى وزيلوا علتى * وابرزوا لى كل ليث بطل * وانهلوا من حد سيفى جرعا
مرة منها نقيع الحنظل * واذا الموت أتى فى جحفل * فدعونى ولقاء الجحفل
يابنى الاعمام ما بالكم * عن لقائى كلكم فى شغل * أين من كان لقتلى طالبا
رام يسقينى شراب الاجل * قدموه وانظروا ما يلتقى * من سنانى تحت ظل القسطل
قسما يا عبلة يا منيتى * بثناياك كالآل الشمل * وبعينيك وما قد جمعا
من دواهى سحرها والكحل * انى لولاك ما ذقت الكرى * كى أرى الطيف به يا املى
يا

يا ترى ريح الصبا تخبرها * باشتياقى لربوع المنزل وتبلغك سلاما كلما
شق ذيل الليل صبح بعجلى * فسقى الله ليالينك التى * سلفت وابل غيث هطل
وسلامى لك يهدى دائما * ماسرت ريح الصبا والشمأل

ثم ان عنترا كان ينشد هذه الابيات وهو يصول فى الميدان والخسروان يتأهب للقتال فقفز بجواده الى المجال وهو على حصان سريع الالتفات كثير الحركات وقد تقلد بسيف بتار ماضى الشفار واخذ تحت فخذه أربع حراب مثل شعل النار ولما صار فى الميدان أخذ يبربر ويشتم العربان ثم انه أراد أن يحمل على العسكر فامكنه عنتر من ذلك الشان بل انه حمل عليه والتقاه بقلب قوى الجنان وتصادما وتضاربا ساعة من الزمان وقد أظهرا من عجائب الصدام ماحير الاذهان ومازال الاعلى ذلك الحال الى نصف النهار وكان الخسروان كلما أراد أن يهم على عنتر ويضربه بالعمود يجده يقظان فيوسع له فى الجبال ويظهر له الخداع والمحال وكان عنتر يطاوله ويتبعه حتى اشتد الحر وزاد الكر واشتد بقدم العجم الغيظ فنقل العامود من يده اليمين الى الشمال واستلب حربة وهمهم على عنتر وزجها اليه فخرجت من يده كأنها البرق الخاطف أو الرعد القاصف هذا كله يجرى وعنترا ساكن غير محتفل بها الى أن وصلت اليه فسحبها بمعرفته وبكل ما يقدر عليه فحازت عنه ونزلت بعيدا منه فحارت الفرسان مما رأت فاستلب الخسروان حربة ثانية وزجها اليه فحاد عنتر عنها ومضت خائبة فلما رأى الخسروان ذلك حار فى أمره وأخذ الحربة الثالثة وزجها اليه فأبطلها بحسن صناعته فبدر اليه بالرابعة فكانت لباقى الحراب متابعة فلما نظر الخسروان الى ما فعل عنتر زاد به الغيظ ونقل العامود من يده الشمال الى اليمين وتعطى بما أعطاه الله من القوة وحذف عنترا بالعامود وزعق فى عقب حذفته زعقة دوت منها الجبال فركز عنتر الرمح من يده واستقبل العامود وخطفه من الهواء بيده وهزه وضرب به الخسروان ونادى عند ضربته خذها ياقرنان وأنا حبيب عبلة بنت مالك بن قراد وكان الخسروان قد استهول أخذ العامود من الهواء وعاد يطلب الفرار من عنتر وحمل ترسه بين كتفيه فوقع العامود على الترس أعظم من حجر المجنيق فخذفه الى قدام أكثر من اثنى عشر ذراعا فكسر أضلاع الخسروان وقطع منه النخاع وقد حار من تلك الضربة كل بطل شجاع ولما نظرت الاعجام الى ذلك حارت فى أمورها فحملت على عنتر وعلى العرب من شدة ما نالها فالتقتها فرسان العرب بأسنة يسمهريا تها وقد اشتدت بفعال عنتر قوة عزماتها ونخواتها وقد شفى عنتر فؤاده من العجم بالقتال وجندل الابطال وصاح الملك المنذر فى العرب وأمرهم بالحملة فرمت العرب عند صياحه أنفسها على أعدائها وقد اشتد زفير الحرب والتهب بحملاتها وقد سقطت ثمار الاعناق عن غصون قاماتها ونظرت الاعجام من عنترما أذهلها فولت هاربة الى فلواتها وتفرقت فى تلك الارض ولم تصدق بنجاتها وصارت العرب فرحانة ببلوغ الارب ومكثرة لعنتر من الشكر والثناء ثم انه قد تذكر ما جرى له بخاش الشعرى خاطره فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

سلى يا ابنة العبسى رمحى وصارمى * وما فعلا فى يوم حرب الاعاجم سقيتهم والخيل تنفر فى الوغا
دماء العدا ممزوجة بالعلاقم * وفرقت جيشا كان فى جنباتهم هما م شديد عند برق الصوارم
على مهرة منسوبة عربية * تطير اذا اشتد الوغا بالقوائم وتصهل عجبا والرماح قواصد
الى صدرها تنسل سل الاراقم * وخضت بها بحر المنايا فخمحمت وقد غرقت فى بحرها المتلاطم
وكم فارسا يا عبل خليت غاديا * يعض على كفيه عضة نادم يقلبه وحش الفلا وتنوشه
من الجو عقبان النسور القشاعم * أحب بنى عبس ولو سفكوا دمى لاجلك يا بنت السراة الاكارم

واحمل ثقل الضيم والجور والاسا * واظهر انى ظالم وابن ظالم
لبلك سلام يا ابنة العم فاعلمى * بأنى اليـــك قادم بالغنائم
﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من ذلك النظام تعجب الملك المنذر
ولحقه الهيام وقال ياوجه بنى عبس اعلم انى قد وهبتك كل
ماتركت العساكر فى هذه النوبة لانك أنت السبب
فى نصرتنا وكل هذه الاسلاب تأخذها مع
النوق العصافيرية والمال ويكون
هذا فى مقابلة فعلك قليلا فلما
سمع عنتر ذلك قال له
أيها الملك افعل
مابدا لك

م

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله قال الراوى فلما أن سمع عنتر من الملك﴾
﴿المنذر الى آخر الكلام على واقعة الملك المنذر مع جيوش الملك كسرى﴾

الجزء الثالث من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة المجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٦ هجريه)

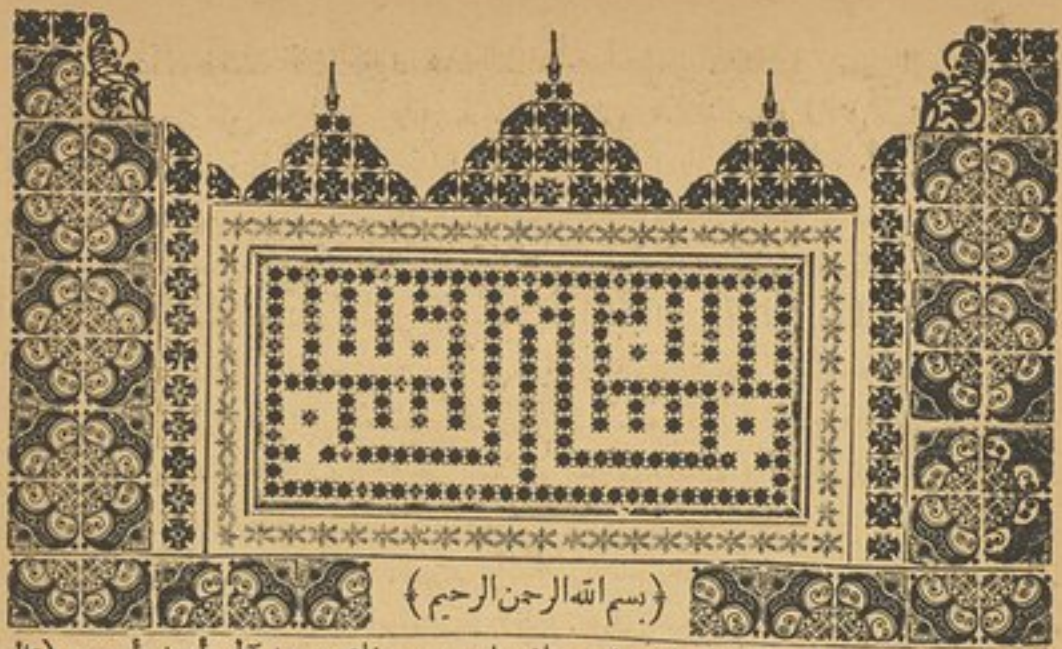

{بسم الله الرحمن الرحيم}

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين {قال الراوى} فلما أن سمع عنتر من الملك المنذر ذلك الكلام قال له يا مولاى افعل ما تريد فانى قد صرت لك من جملة العبيد ولا أعدل عن أمرك ولا أحيد ثم انه بعد ذلك امتثل وخدم ودعا للملك بدوام العز والنعم ولاعدائه بالويل والنقم ثم انه انصرف بعد ذلك من قدام الملك المنذر الى مكان أعد له وقد بات الملك المنذر فى أمره متفكرا فيما قد نشب فيه وهو خائف من الملك كسرى ودواهيه الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فجلس الملك المنذر على سرير مملكته وقد جمع أمراء عشيرته وسادات قبيلته وقد أخذ معهم فى المشورة من أجل مكاتبة العرب ليأخذ حذره من طائفة العجم ولقائها صار يتأهب {قال} فلما أن سمع منه أكابر قومه ذلك الكلام قالوا له افعل ما تريد ولا بأس من الاحتراز من شر هؤلاء الاعجام الصناديد {قال} فبينما هم فى الكلام وما قد نشبوا فيه من المرام واذا بحاجب من حجابه قد دخل عليه وقبل الارض بين يديه وقال له يا مولاى قد اختلف القول والعمل واعلم أن وزيرك عمرو بن نفيلة من مكة قد وصل وقد أتى للسلام عليك وذلك من اشتياقه اليك لانه قد بلغه ما جرى لك وقد سمع بقصتك مع الملك كسرى وما صار من أحوالك فأتى ليدبر هذا الامر كما يريد ويفصل تلك القضية برأيه السديد {قال الراوى} وكان هذا الوزير عمرو بن نفيلة من جملة المعمرين المنتظرين لظهور سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لانه قد عاش من العمر خمسمائة عام وكان أكثر مقامه فى البيت الحرام وكان هو من جملة من قدم عليه وأسلم على يديه ومن جملة ما وقع له انه كان فى تلك الايام مقيما فى البيت الحرام لاجل زيارة مكة والتبرك بها فسمع من الحجاج بخبر هذه الوقعة وما جرى بين الملك المنذر وبين الملك كسرى فما قدر أن يصبر عن العرب وخاف عليهم من طائفة العجم كى لا ينزلوا بهم العطب فخرج من مكة وسار الى أن وصل الى الحيرة فلما أقبل على الملك المنذر سلم عليه فأكرمه غاية الاكرام وسأله عن العربان الذين اجتمعوا عند البيت الحرام وسأله أيضا عن الشيخ عبد المطلب الذى كان فى ذلك الزمان كلمته العليا على جميع العرب وهو صاحب الحسب والنسب فقال له الوزير عمرو اعلم أيها الملك انى أخبرك عن شئ جرى فى مكة وهو أنه قد وصل الى شيخ الحرم خبر الواقعة التى جرت لكم مع طائفة العجم فأراد أن يجهز لكم عسكرا جرارا من كل ليث مغوار فأشرت عليه برأى وهو أن يكون منتظرا الجواب بعد توجهى اليك ونظرى سبب هذه الواقعة التى قد جرت عليك وان قدرت أصلحت قصتك

واقت

وأقمت ناموسك وحرمتك لان الشيخ عبد المطلب قد أخبر أنه لم يبق الا القليل لظهور الرجل الجليل الذى يظهر الحق ويخفى الاباطيل وأنه يسلم عليك ويتقرب بذلك الامر اليك ثم انه يقول لك لا تعاند عباد النار حتى تشرف مكة بالانوار من الذى يظهر من عدنان بالنبوة والبرهان وتشتد به الغمران وتخرب لقدومه بيوت النيران وتتساقط عن الكعبة الاصنام والاوثان وما بقى الا القليل ويظهر ذلك النبى النبيل فاسمع من الشيخ عبد المطلب وأجب ما قال واعلم أنه ما بقى يليق فى القصة الا أن تعتذر فى السر والنجوى وتتواضع لهذا الملك كسرى واعلم أنك قد أسأت التدبير فى الاول والثانى وقتلت حاجبه الحسروان وكسرت مواكبه فاحذر منه ولا تأمن عواقبه فعند ذلك قال الملك المنذر أيها الوزير كيف يكون التدبير قل لى حتى اتبعك فى رأيك وما به على تشير فقال له الوزير ان أردت الرأى فالزم الادب واقعد عن مكاتبة العرب واصبر على قليلا حتى أسير الى خراسان وأجتمع على الموبذان وأدخل عليه وأقبل يديه وأسلم الامر اليه وأسأله أن يعفو عن أمرنا ولا يؤاخذنا باجرامنا ويشفع لنا عند كسرى لانه قاضى دولة الاكاسرة ومعلمهم عبادة النيران وأسأله أن يكشف عنا شر كسرى وبرده عن معارضة العربان لان الموبذان رجل حليم حكيم ذو ذكاء والحكماء لا تشير باهراق الدماء فقال له الملك المنذر افعل أيها الوزير ما تريد أن تفعله من اعمالك لانك الشفيق فى أفعالك ثم ان الوزير عمرو بن نفيلة أقام فى الحيرة يومين الى أن استراح من التعب وفى اليوم الثالث رحل طالبا المدائن وقد أوصى الملك المنذر بعنتر وقال له لا تمكنه من العودة الى الاوطان حتى تنظر كيف الحال وجازه على أفعاله قبل الارتحال لان الملك المنذر كان حدثه بأعماله وكيف قتل الحسروان وكسر عسكره وما وقع من افعاله ولما أن توجه وسار بقى فى قلبه منه آثار وما زال سائرا فى تلك البرارى والقفار الى ان وصل الى المدائن ودخل على الموبذان من بعد الاستئذان فقام له وبجله واكرمه واجلسه الى جانبه وقال له ما الذى أقدمك علينا بعد ما وصلت اذ بتك الينا فقال له الوزير عمرو بن نفيلة اعلم أيها الاب الكبير انى لما جرت هذه القضية ما كنت حاضر ولا شاهدت هذه الامور الكبائر ولما ان بلغنى الخبر بما جرى من المنذر قدام كسرى وكيف انه اكل التمر وغص بالنوى وتحكمت عليه الحجاب والوزرا وعاد الى الحيرة وهو منكس الراس ضائع الحواس فأمر فرسان العرب بعد ذلك بشن الغارات على الرساتيق من اهل المدائن والبلاد ونهب الاموال وقطع الطرقات على السفار من التجار فلما سمعت ذلك علمت ان هذا الامر يزداد فسادا فأسرعت فى حث الركاب وجزعت نفسى بذلك المصاب وقلت لعلى ادرك الامر قبل الفوات فما وصلت الا وقد فات فبادرت بالسير اليك لاصير بين يديك خوفا على هذه الصور الآدميه أن تموت وتهلك وان كانت باستحقاق المنيه فأحسن ما دمت قادرا على الاحسان ولا يحملك الهوى فتحقد لاجل اختلاف الاديان وافرض ان العرب جهال ولا يخطر لهم حساب الملوك على بال فقال فلما سمع الموبذان من عمرو بن نفيلة ذلك الكلام رق له قلبه ولان وقال له يا عمرو وحق النار والنور انى دبرت هذا الامر من قبل ان تأتى وبحصل هذا السؤال منك ولما ان وصل الجيش وهو مكسور وصاحبه فى العدم والثبور لا بلغت الملك كسرى بهذه الامور خوفا على الرجال من الاهوال وعلى الدماء ان تهرق وعلى شمل العرب أن يتفرق وكان ايضا عندنا شغل وهو أهم من هذا ونحن فيه فى القيل والقال ولا اردت ان احمل قلب الملك كسرى هذه الاثقال لانى افديه بروحى من كل الاهوال لان الدولة تمرض كما يمرض الانسان وتنقلب كما ينقلب الدهر والزمان وما لها من يدبرها الا وزرازها وحكماؤها لانها اعرف بأمورها واحوالها فقال له عمرو يا مولاى أعلمنى اى شئ الذى اشغل الملك العادل وهو ملك الارض فى طولها والعرض فقال له الموبذان اعلم أيها الوزير ان الملك قيصر ملك الروم صاحب انطاكية كان كل سنة يحمل له المال والجوارى الرومیات وذخائر تعجز عنها الصفات مداراة عن بلاده بالتحف والهدیات

الى ان دخل هذا العام ووصلت الاموال على العاده ولكن القضاء اراده فوصل معها بطريق جبار من كبار الجبابرة الاشرار وقد أتى معه خمسون فارسا من عبدة الصلبان وعشر قسوس وثلاث رهبان وذلك البطريق معه رسالة من الملك قيصر ولما أتى الينا وتمثل قدام الملك كسرى قال للترجمان أعلم الملك كسرى أنوشروان أن معي أموالا لا تحصى ولا توصف بلسان وقد صحبها جوار حسان كأنهم حور الجنان ولكن لا أسلمها الى الملك الا أن يكون عنده فارس يلقاني في الميدان اذا اختلف بيننا الحرب والطعان وذلك كما أمرني المسيح وماري المعمدان (قال الراوي) وكان هذا البطريق له حكاية عجيبه وأمور مطربة غريبه مما ظهر منه هذا البطريق عند قيصر من الاهوال والفروسية في القتال وكان له عنده قدر واجلال الى أن كان يوم من الايام دخل عند قيصر فوجده جالسا وخزانه بين يديه وهم يعرضون الاموال عليه وهي من الجواهر الغوال وأكياس الاموال ويضعونها في الاكياس وهو يختم عليها ويحطها في الصناديق وهو مشغول الحواس ورأى أيضا عنده جماعة متهيئين للسفر وسلوك الطريق في البر الاقفر فعند ذلك تعجب البطريق غاية العجب وكاد عقله أن يذهب فسلم وجلس الى جانبه بين حجابه وأقاربه ثم انه سأل الملك عن هذه الاحوال وقال له الى أين يا ملك ترسل هذه الاموال والذخائر الغوال فقال له يا ولدي اعلم ان هذا المال للملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان الحاكم على جميع العربان القاصي منها والدان الذي هو ملك العرب والعجم وأطاعه سائر الامم وانه يحمل له كل سنة من الاموال والتحف الغوال مثل هذه الاحمال التي تراها بين الرجال فقال البطريق وكسرى هذا هل يعبد المسيح فقال لا يا ولدي هو يعبد النار ذات الشرار ويحكم على سائر الاقطار وذلك لاجل كثرة جيوشه وأعوانه ومواكبه وفرسانه ولولا مداراتنا له بالاموال والجوار ما كان لنا في ارض الشام من قرار (قال) فلما سمع البطريق من الملك ذلك الكلام قامت عيناه في أم راسه وانزعج جميع حواسه وقال وحق المسيح والمذبح والذبيح ما كنت أقول ان في الدنيا من يعبد غير المسيح وان كان هذا الملك كما ذكرت فما بقي غير الجهاد واظهار الدين الصحيح فكيف تصبر على الذل والهوان من عباد النيران وأنت تدعي عبادة المسيح وتشد الزنار وحق من أقام الموتى من حفر التراب ونفخ في الطين فطار منه طيور حارت منها أولوا الالباب لاتركنك تحمل من هذا المال دينارا واحدا حتى اسير به اليه وأطلب الجهاد في طاعة المسيح وألتقي بعسكر هذا الملك وأبذل فيهم المجهود واذا أنا قتلت فدم أنت على هذه العهود وان أنا نصرت ونصرني المسيح وفتحت أقاليمه وبلاده أقمت فيها من قبلك أعدل نائب وأنت تكون مقيما في مكانك وتأمن من النوائب وتصير الدنيا كلها مسيحيه والملة مريميه فقال له الملك قيصر لا تفعل يا ولدي ولا تفتح علي بابا لا أقدر على سده ولا تخاطر بنفسك وكف عن هذا خوفا على قيصر وجنده ولكن ان كنت تريد أن تفعل شيأ لاجل قسمك الذي أقسمته ويمينك الذي حلفته فسر وتحقر بين يديه وافعل ما تقدر عليه فاذا رأيت ملكه وبلاده وفرسانه وأجناده فعند ذلك اطلب منه البراز في حومة الميدان والمحاولة مع الفرسان فان أوصلك الى ما تريد وهو لا يتعدى ولا يحيد فانك تبلغ جميع آمالك وتنصلح سائر أحوالك لانه يا ولدي هو ملك عادل طيب الاخلاق حسن السيرة ولا عنده رياء ولا نفاق فاذا صرت عنده وبين يديه افعل ما تقدر عليه فان رأيت لك في ملكه مطمع فعد الي حتى اني أريك ما تصنع وان أدبرت الامر عظيما والخطب جسيما فلا تتعرض له بل تحمل المال اليه ليكون حالنا معه مستقيما ولا يكون فعلنا ذميما (قال) فلما سمع البطريق من الملك ذلك الكلام امتثله ورآه صوابا وسار مع المال لما تجهز وأخذ معه الهدايا والتحف ومازال في سيره تحدثه نفسه بالبشرى الى ان وصل الى بغداد وصار في حضرة الملك كسرى فقال له أيها الملك اعلم أن ملكنا قيصر يحمل اليك الاموال كل عام وقد أتيت اليك بكثير من الاموال والجواهر والمماليك والجواري العظام وكان حمل

اليك

اليك هذا المال حذرا من سطوتك لئلا تلحق بنا الذل والنكال وما أتيت اليك في هذا العام الا وأنا أريد
أن أكشف هذا الضيم عن دين النصرانية واحامي عن الملة المسيحية وأبارز بين يديك كل فارس يعز
عليك فاذا قتلت في البراز كان دمي لك حلال مع ما أتيت به من المال ويتم بيننا كما العهد على ما أنتم
عليه في كل حال واذا رزقت النصر على فرسانك وشاهدت الظفر مني على شجعانك حط عن بلادنا
ذلك الخراج من كرمك واحسانك فهل أنت بهذا الشرط راض بلا جدال وتترك هذا العناء وسفك دماء
الابطال لان سفك الدماء في سائر الاديان حرام ولا يرتضي به احد من الانام واعلم أيها الملك اني
ما قلت لك هذا الكلام الا طمعا في عدلك بين الانام وذكرك الذي قد شاع في جميع الاراضي والاكام
على ألسنة الرجال وضربت به الامثال (قال) فلما سمع الملك كسرى من الترجمان ذلك الكلام بان
في وجهه الغضب الا أنه ما أظهر شيأ من هذا النصب لانه كان ملكا عادلا والعدل يرده الى الصواب
ثم قال لارباب دولته من يطلب الانصاف فما يكون له الا الاسعاف فأنزلوه في مكان يصلح له واتركوا المال
الذي أتى به عنده الى غداة غد حتى انه يخرج الى الميدان وتشهد ببرازه الفرسان ولا نأخذ من الذي
أتى به شيأ الا باستحقاقه واذا لم يكن عندنا فارس يلقاه من فرسان العجم والديلم فما يكون له عندنا الا غاية
الكرم وجميع ما أتى به يكون اليه مسلم لاننا قد رضينا منه بهذا الشرط بلا زيادة ولا نقصان وعند
الامتحان يكرم المرء أو يهان (قال) ففعلت الحجاب ما أمرهم به الملك كسرى وبات على السنة العسكر
في أمر ذكرى بما شرط على الملك كسرى الى ان أصبح الصباح فعند ذلك تبادرت الفرسان من
العجم والديلم وقد امتلأ الميدان بالامم وركب الملك كسرى وعلى رأسه التاج والاكليل وبين عينيه درة
تضيء مثل القنديل وقدامه المرازبه والحجاب والصقالبه ومن حوله الرايات وعلى رأسه الازدهارات
والاعلام المذهبات المختلفات الصفات وهو راكب على جواد له غرة مثل الطراز يطير من غير
جناح ويسبق الخيل عند الكفاح ولما ان وصل الى الميدان خضعت له جميع الفرسان وترجلت
بين يديه الشجعان واصطفت الفرسان والعساكر صفين وانقسمت قسمين وما زالت العساكر وقوفا
وهم بين يديه مصطفون صفوفا الى ان أقبل البطريق البدرموط ومن حوله القسوس وقدامه الرهبان
ومن ورائه الجنائب المختلفات الالوان وأصحابه قد رفعوا على رأسه الصلبان وتأهبوا للضرب والطعان
(قال) فلما توسط الميدان صال وجال وتأهب للمصائب ولقاء النوائب وقد تقلقلت له المواكب ثم انه
تقلب تحت القنطاريه على ظهر الجواد وارتعدت من هيبته الاجساد وقد زادت به الاحقاد وطلب
بعد ذلك البراز والقتال فتبادرت اليه الابطال والاقيال من عباد النار وطلبته من جميع الجهات
يريدون بذلك الافتخار عند الملك كسرى في ذلك النهار فعندها صاحت عليهم الحجاب والنواب وردوهم
بأمر الملك كسرى عن الميدان وقالوا لهم اخرجوا اليه فارسا بعد فارس كما أمر الملك وكل من أسره في الميدان
أخذ جميع ما صحبه من المال والنوال وان كنتم لا تصبرون على بعضكم البعض فأقرعوا فمن وقعت عليه
القرعة فليخرج اليه ويتأخر الآخر الى أن تجيء النوبة اليه (قال) فلما سمع العجم من الحجاب ذلك الكلام
تأخروا الى ورائهم وسار واموكبا واحدا ثم انهم أقرعوا فوقعت القرعة على مرزبان فخرج اليه كأنه شيطان
من الجان وكان ديلميا شديد الباس صعب المراس مبلبل الشعر كبير الراس يقال له سرجان فلما ان صار
في الميدان انقض على البطريق انقضاض العقاب ولما أن قاربه ضربه ضربة بحربة كانت في يده
فخرجت كأنها جمر المنجنيق فسحبها البطريق على طارقته وقد أخرج رجله من الركاب وصبر الى ان عبر
المرزبان والجواد من تحته في شدة الجولان ورفسه فقلبه على الصحصحان ولما نظرت الفرسان الى ذلك
ذهلت مما رأت وحارت مما جرى على الديلمي لما رأوه انقلب عن ظهر الجواد والروحي واقف ما طعنه ولا

ضربه بحسام فتعجبوا من ذلك ثم انهم افترقوا وتقارعوا فوقعت القرعة على رجل جبار من جبابرة العجم وكان حاجبا مقداما وقد قاتل بسائر السلاح وله صبر عظيم اذا اشتد الحرب والكفاح وخرج وفى يده عمود من الحديد وهو يهمهم همهمة الاسد الجليد ومازال الا ان قرب من البطريق وقاربه وفتح باعه ليضربه فوكزه البطريق بعقب القنطاريه تحت أضلاعه فقلبه لانه كان فى يده قنطاريه كأنها صارى مركب لووكز بها فيلا لانقلب وكان قد شرط على نفسه قدام الملك كسرى شيأ ما سبقه به أحد غيره لانه أشهد عليه القسوس والرهبان لدى كسرى أنوشروان ان دمه لهم حلال ودمهم عليه حرام فى ساحة الميدان الا من تحامق عليه فلا بدان يقتله ويجعل من الدنيا مرتحله (قال الراوى) ومازالت الفرسان تخرج اليه باختلاف أجناسها وعددها وهو يصرعها وعلى الارض عددها الى أن قهر مائة فارس كرار وأكثرها حجاب من ولاة الاقطار وقد قاربت على الغروب شمس النهار والملك كسرى من أفعاله قد حار فعند ذلك استدعى به الملك وخلع عليه ونال له وحق النار وما فيها من الحرارة والاشتعال انك أحق بما جئت به من الاموال وأنت أولى بها من هؤلاء الانذال ثم انه رجع بعد ذلك من الميدان وهو على عساكره وجحابه ساخط غضبان وعادت جيوشه وفى قلوبها النيران وعاد البطريق وهو فرحان وحوله القسوس والرهبان يعوذونه بالانجيل والصلبان ثم انهم باتوا تلك الليلة فى العز والافراح الى ان أصبح الصباح ولما أقبل الصباح برز البطريق الى الميدان فرمى فى عرصاته مائة فارس من الشجعان فزاد بكسرى الغضب وازداد به الكمد وما جعل بباله من أحد وما بقى ملكه يساوى عنده حبة خردل من عظم ما وجد واستولى على قلبه الهم واشتد عليه الغيظ والغم وعلا عليه السخط والغضب وصارت نار وجهه تتلهب وقد دام الامر على ذلك الحال الى تمام خمسة عشر يوما يا اخوان وقوة البطريق كل يوم فى زيادة وفرسان العجم فى نقصان وكسرى يبيت ويصبح وهو حزين حيران وخائف أن يرجع البطريق بالمال وهو فرحان ويحدث الملك قيصر ملك الروم بما فعل فيحط قدر المملكة الكسروية عند عباد الصلبان ويحدثهم نفوسهم بشئ لم يكن لهم على بال وقد خشى من عاقبة هذه الامور والاحوال (قال الراوى) فلما سمع الموبذان كلام كسرى وطن قلبه على الاجوا وتوجه الى الوزير عمرو بن نفيلة وقص عليه ما عند كسرى من أمر البطريق وما جرى (قال الراوى) فلما سمع الوزير من الموبذان هذا الكلام تعجب الوزير عمرو بن نفيلة العدوى من تقلبات الايام وقال للموبذان اعلم يا مولاى أنه قد سهل الامر وهان وسيتضح لك الحال ثم انه حدثه بحديث عنتر وما جرى له مع الملك المنذر وكيف انه أغار على النوق العصافيرية وكم قد أهلك من بنى شيبان وأنزل بهم الرزية وما وقع له من الاسر وقتل الحاجب خسروان وكسر عساكره بعد ما كان حاصر الملك المنذر فى البلد حتى لم يبق له به طاقة ولا جلد وكيف انه قتل الاسد وهو مقيد (قال الراوى) فلما سمع الموبذان من عمرو بن نفيلة ذلك الكلام دخل على قلبه الهنا والسرور والفرح وعلم أن الامر قد انصلح فقال وحق النار ذات اللهب ان هذا الحديث يجب أن يؤرخ ويكتب فى أحاديث العجم والعرب وأنا أقول ان ذلك الفارس يزيل عن قلب الملك كسرى ما به من التعب ويكون لاصلاح الشأن أقوى سبب ثم انه نهض من ساعته وقام وقعد وأيقن بزوال الكرب وقال لعمرو ابن نفيلة لا تبرح من هذا المكان الى أن أعود اليك وأقص ما يجرى عليك ثم انه سار الى ان دخل على الملك كسرى فترحب به هو وكل من كان حاضرا فقال له الملك أيها الاب الكبير انى أردت ان أرسل خلفك هذه الساعة ولك أستشير فى هذا الامر الذى تعسر وبالبلاء تحدر وأسألك عن حال هذا البطريق وما فعل بفرسان العجم والديلم وقد تجبر وخفض سحاب دولتنا وانزل بنا الالم وعدلنا عما عنه أذيته وانا نريد أن نكتب الى خراسان ونأمر نيابنا أن يأتونا بكل فارس شجاع عرمرم لعل أن يقع لنا من يذل هذا الشيطان

والا

والا طمعت فينا عبدة الاصنام فقال له الموبذان أيها الملك الامر أقرب من هذا والخطب سهل وعدوك مهان ومن يكون هذا الكلب حتى تكاتب من أجله أهل خراسان وتعظم شأنه فى البلدان فقال له كسرى أعلمنا كيف يكون التدبير بعد هذا القتال والنكال بالفرسان وهذا أمر لا يرضى به انسان وكيف التوصل لاسباب النظر فى عواقب هذا الامر الخطير فقال له الموبذان اذا كان ولابد وقد سلمت الامر الى فأنا أشير عليك أن تكتب الى نائبك على العرب كتابا لان جميع العرب تحت طاعته والفرسان تنقاد لكلمته وتأمره أن يرسل اليك أقل ما عنده من العبيد فتبلغ به من هذا الشيطان كل ما تريد لان فرسان العرب ماهرون فى البراز خصوصا فرسان الحجاز فانها تبلغ ما تريد وتختار فى المهمات وفى البراز فقال له الملك كسرى كيف وملك العرب علينا غضبان لما جرى بينه وبين الحاجب خسروان وقد سار اليه فى عسكر مثل البحر اذا زخر والى الآن ما وصل لنا منه خبر فقال له الموبذان أيها الملك تبقى لنا أنت ما بقى الزمان فى سرور ونعمة وأمان وينزل على أعدائك الذل والهوان اعلم يا ملك أن خسروان قد شرب كأس الحمام ووصل جيشه منهزما من منذ خمسة أيام وقد أبهمت عنك هذا الامر والشان خوفا على صدرك أن يضيق فما رأيت أوفق من الكتمان حتى لا أحملك ما لا تطيق وحق لهيب النيران والآن دعت الحاجة الى اطلاعك على ذلك الامر وأنا أسأل النار أن تبلغك من الاعداء الآمال وتصلح الحال (قال) فلما سمع كسرى من الموبذان ذلك الكلام والمقال زاده الاشتعال وقال يا أبانا ومن هو الذى قتل الخسروان فارس العصر والاوان فقال له الموبذان قتله فارس من شجعان بنى عبس وعدنان ثم أعلمه بما سمع من عمرو بن نفيلة وزير الملك المنذر وما سمع منه عن عنتر من القوة والشجاعة والفروسية والبراعة فقال الملك كسرى فاذا كان الامر كما ذكرت فبأى وجه ترسل الى الملك المنذر حتى انه يرسل الينا هذا الفارس المذكور بعد ما قتل بطلا من خيار أبطالنا وأكابر دولتنا وقد كسر فرقة من حماتنا ولو أرسلنا اليه وطلبنا منه المجىء فلا أظن انه يجىء لانه لا يأمن على نفسه من سطوتنا وغضبنا ولو أعلم أنه يأتى أو يرسل هذا الفارس لارسلت اليه وسألته أن ينفذه الينا وأنا أعفو عما تقدم من ذلك لاننا على كل حال قد تعدينا بظلمنا عليه بما صنعنا معه وما أوصلنا من الاذية اليه فقال له الموبذان يا ملك الزمان أنا أعلم ان الحاجة فى هذا الوقت داعية اليه ولابد لك من ارسال كتاب للمنذر ليسرع التفتيش عليه ويطلبه من الملك زهير ملك بنى عبس وما أظن أن يوجد فى الارض من يرد له عنان ويروع له جنان ثم انه حدثه بحقيقة الخبر وما كان منه وكيف ان الملك المنذر قد انكسر ودخل البلد هاربا وانحصر وان عنترا كان عنده يومئذ فى الاسر وهو مقيد بالقيود فأطلقه وبلغ به المقصود وقص عليه القصة من أولها الى آخرها وكيف أتى وساق مال المنذر وحده وقتل عسكره وجنده ولولا أن كبه الجواد لما قدر المنذر عليه ولا وصل بالضرر اليه وما أتى ذلك الفارس من أرضه وساق تلك النوق والجمال الا لاجل ابنة عمه عبلة ذات الدلال وهو يريد أن يتزوج بها فقطع عليه عمه من جملة مهرها ألف ناقة من النوق العصافيرية فأتى وساقها وهذا ما كان سببا لذلك واعلم أيها الملك أن الصواب أن ترسل الى الملك المنذر الخلع والتشاريف وتأمره أن يحضر عندنا وصحبته عنتر فارس بنى عبس وننظر كيف يلقى هذا البطريق العنيف فمن قتل منهما صاحبه كانت له السعادة والتوفيق فقال الملك كسرى وان كان الملك المنذر لا يطيع أمرنا ولا يعتنى بجوابنا وهو كاتبنا ويدا خله فينا الطمع ويقول فى نفسه ان الفزع بالفرس قد وقع فكيف بعد ما نصنع فقال الموبذان اعلم أيها الملك انى ما تكلمت بهذا الكلام حتى ثبت عندى أن الملك المنذر من غضبك خائف وجلان وبذنبه معترف وحيران لانه علم أنه قد أخطأ وهو على ما فعل ندمان فقال له كسرى ان كان كذلك أيها الاب فافعل ما تريد ودبر ما هو برأيك سديد فأنت الوزير والمدبر والمشير فعجل ذلك قبل ان يحل

بفرسانا التدمير وأتى بهذا الفارس الخطير وأوعده عنا بالعطاء المزيد ان كان المنذر يبلغنا
من ذلك البطريق ما نريد (قال الراوى) فلما سمع الموبذان من الملك كسرى ذلك الكلام قام من
عنده وأتى الى الوزير عمرو بن نفيلة وأعلمه بما جرى من الملك كسرى ففرح بذلك وكتب من وقته
وساعته كتابا للملك المنذر حرضه فيه على المسير والاستعجال من غير امهال وأعلمه فى الكتاب بما وقع
لعساكر كسرى مع فارس الروم وأن الامر الذى يتم به الصلح بينكم وبين كسرى أن تحضروا وبصحبتكم أبو
الفوارس عنتر حامى بنى عبس الاسد الغضنفر وانى قد ضمنت له بأن عنترا يمزق هذا البطريق تمزيقا
ويوقع بقلب الملك قيصر من أجله حريقا وأن ينزل به الهدم ويزيل عن قلب الملك كسرى ما نزل به من
الهم والغم وقال له فى آخر الكتاب ولا يكن لك جواب الا وضع رجلك فى الركاب والمجىء بعنتر بن
شداد صاحب الصولة على الآساد ثم انه علق الكتاب على جناح الطير وأقام له فى الانتظار فهذا ما جرى
ههنا من الاخبار (وأما ما كان) من البطريق البدر موط الجبار فانه باكر الى الميدان ذلك النهار وبارز
رجال كسرى الاقيال وأخذ منهم فى المجال وسطا عليهم فى القتال وقد عيب المرازبة الكبار وعاد وقد
نال الشرف والافتخار ولما كان من الغد برز اليه مقدم من مقدمين الديلم يقال له بهرام بن بهرمان وكان
رجلا رقيقا رشيقا يقاتل بسائر الاسلحة والمزاريق وبالسيوف والعمد وكل رمح وثيق وهو عمدة الملك كسرى
فى كل شدة وضيق ولاجل هذا الحال كان منعه الملك كل هذه الايام عن القتال وقد منعه شفقة عليه من
الهوان ولما بلغ الامر الى ذلك ورأى ذلك البطريق قد عيب الفرسان خرج من غير استئذان وتقدم الى
البطريق وجال معه فى الميدان وقد كان راكبا على جواد عتيق كأنه نار الحريق وعليه درع وثيق قد
نسج فى ساعة سعد وتوفيق وبيده رمح رشيق ولما صار فى الميدان التقى بذلك البطريق وصارا هو واياه
فى مقام الجولان وقد فتحا بعضهما أبوابا من الحرب حسان وأخذا فى الضرب والطعان حتى حارت
منهما الفرسان وذهلت من قتالهما الشجعان ولم يزالا على ذلك العيار الى آخر النهار وقد كلا وملا من
الجولان تحت الغبار وكان البطريق الرومى قد استحقر أمر العجم فى القتال لان العجم قد قلوا فى عينه لاجل
ما تقدم الى أن لقى ذلك المقدم ورآه كل ساعة فى زيادة ورجحان وهو مليح الاحتراز خبير بملاقاة الشجعان
يوم البراز وقد خاف أن ينقضى النهار ولا يبلغ من خصمه ما يختار وخاف أن تنقص منزلته بعد العلو
والافتخار فكان يقاتل خصمه بالقنطارية بغير سنان كما جرت عادته مع الفرسان الى أن كان منه ما كان
ومن رأى أن العجمى كثير الاحتراز مليح فى البراز فأخرج سنانه من قربوس سرجه وركبه على قنطاريته
وحمل على الديلمى وقد أراد بذلك أنه يوهمه ويصل بالسنان الى صدره فلما رأى الديلمى الطعنة وهى
واصلة اليه فاجزع ولا فزع ولا خاف ولا انجزع فرمى الرمح من يده وسل حسامه من غمده وضرب قنطارية
خصمه قبل ان تصل اليه فبراها كما يبرى الكاتب القلم فعلم الرومى أنها صارت تنفع فرماها من يده وسل
حسامه من غمده وزاد غيظه وحقده ونبه عزيمته وأظهر فى قتاله ما عنده وتجالدا مع خصمه بالحسام
حتى حارت من فعالهما الصفوف وحامت عليهما عقبان الحتوف وفرحت العجم بقتال صاحبها وأملت
أنه ينصر على فارس الروم وانجلى ما كان على قلب الملك كسرى من الهموم ودام الامر على هذا الحال
حتى تضاحى النهار واستحال وعاد الفارسان من تحت الغبار وهما سالمان من البوار وقد صاحت العجم
فرحا بقدومها وقد استدعى به كسرى اليه وقربه منه وخلع عليه وشكره على فعاله وساله عن خصمه
وقتاله فقال أيها الملك وحق ذات الذوائب وما فى هذه البنية من الكواكب انه فارس ما مثله فى العجم
والعرب وسوف تنظر هذا الفارس الذى أنفذت وراءه وهو ذلك العبد العنيد وسوف يصير قدامه مثل
العبيد لانى أقول ان هذا الفارس يلقى بنى عبس كلها فارسها وراجلها ويذلها بقوة جنانه وشدة حربه

وطعانه

وطعانه ويردها تتعثر فى أذيالها ولم يكن أوحد زمانه وفارس عصره وأوانه ما كان وقف قدامى ولا ثبت لحربى وصدامى وعلى أن قتالى معه فى ذلك اليوم ما كان الا مدافعة وكان على سبيل الاختبار حتى يظهر له من أين تنزل عليه الاقدار وتحيط به المصائب والاخطار ولكن فى غداة غد أرميه باحدى هذه المزاريق واتركه فى دمه غريق وأحله من البلاء ما لا يطيق وأشعله بنار الحريق فقال كسرى باركت فيك النار يا فارس الاقطار ثم انه عاد من الميدان وهو بجانبه فرحان بما ظهر من أهواله وعجائبه وكان البطريق الآخر عاد الى أصحابه وقال لهم لولا ان فى أجله تأخيرا ما كان ثبت قدامى ولا نجا من حربى وطعانى على انى لو أردت قتله كنت قتلته قبل أن يتعالى النهار الا أنى شرطت على نفسى قبل هذا أنى لا أسفك لهم دما قدام الملك العادل كسرى أنوشروان ومن قدر على منهم فدمى له حلال فقالت القسوس والرهبان وحق المسيح والصلبان ان هذا شرط ما فعله قبلك انسان ولا ضمن أحد عن نفسه هذا الضمان فى طول الازمان الا أنت يا سيف المسيح والصلبان ونحن نبيت تلك الليلة نتلو حولك الانجيل المعظم ونسأل المسيح عيسى بن مريم أن ينصرك على فرسان العرب والعجم والفرس والديلم ثم انهم باتوا على مثل ذلك حتى انشق ذيل الدجا وطلع الصباح متبلجا وأقبل الملك كسرى الى الميدان وانتشرت كتائبه ومواكبه فى الوديان واصطفت الصفوف وترتبت المياه والالوف وبرقت السيوف فهنالك تقابل البطلان وتجاولا فى الميدان وكان البطريق قد جعل ذلك اليوم تحت ركابه حربتين وعول على قتل خصمه ان تعسر عليه أمره أو انه يجتهد فى أسره فعندها تطاعنا حتى مضى أكثر النهار وتراشقا بالحراب الى أن مالت الشمس الى الاصفرار فاندهلت منهم العقول وحارت الابصار وقد رأوا من شدة قتالهم الهول المهول وهم يتقاتلون بالنصول ويتراشقون بالحراب والمزاريق حتى انفطرت قلوبهم من شدة الضيق وفى اليوم الثالث تبارزوا وحمل كل واحد على صاحبه وقاسى كل منهم الهول العظيم من كثرة ما قاسى من رفيقه من طعانه وضربه وما جرى بينهما مما يشيب الطفل الفطيم وظن كل واحد منهما أن الآخر عديم وقد قتل كل واحد جواد الآخر من شدة الجولان والركض وصارا مشاة على وجه الارض وتقابضا بالكف والزند حتى تفتت منهما الكبد ولما جن عليهم الليل افترقا عن بعضهم البعض وقلوبهم فى ويل وقد ضجر الملك كسرى من تردده الى الميدان وقل ملكه فى عينه وهان وعلم أن صاحبه ان غلب بعد هذه الفعال انقطعت ظهور أصحابه الاقيال وخاف أيضا من رجوع البطريق الى قيصر بهذه الاموال وعلم انه لا بد أن يعلمه بما جرى له مع فرسان العجم فى المجال فيأخذه الطمع ويقطع الخراج الذى ينفذه اليه فى كل عام ومن شدة ما جرى عليه من القلق أرسل الى بيوت النار والمعبد الاكبر بأنها تسعر ولا تغلق وأوصى مشايخ النار أن يقربوا القرابان وأن يرموا فيها البخور ويسألوها النصر على عبدة الصلبان وكذلك فعلت بالبطريق القسوس والرهبان وأتاوهم من حوله يتلون عليه الانجيل بالاحترام مع مزامير داود عليه السلام وصارت البطارقة يضرونه والبتاركة الكبار ويصلون عليه صلاة الاموات الى أن ذهب الليل وفات (قال) ولما طلع الضوء وبان نزلا جميعا الى الميدان واصطفت الجمعان وخرج الملك كسرى أنوشروان وتقاتل الفارسان وكادا أن يتصادما بعضهما فى القتال واذا قد أشرف الملك المنذر ومعه الفارس القسور والبطل الغضنفر أبو الفوارس عنتر ومن خلفهم مائة فارس من العرب الاجواد وهم بالرماح المداد والسيوف الحداد والخيول الجياد وهم مقبلون مثل النسور والغبار عليهم يثور وما زالوا مجدين الى أن أقبلوا الى الميدان ورمقتهم بالاعين الفريقان وكان أول من عرفهم عمرو بن نفيلة والموبذان وقد خرجوا للقاهم فى جماعة من الفرسان والتفتت اليهم المواكب بالنظر ووقف العسكران عن الطعان وما كانت الا ساعة حتى عاد الموبذان والملك المنذر بأحد جانبيه وعنتر

ابن شداد بجانبه الآخر وقد أثقلت جثته الجواد ومن خلفه أبطال العرب الجياد والوزير يحدثه بما وقع لهم من فارس الروم وما حصل له لهم من فعله المذموم فقال عنتر وقد عرف سائر المرام يا مولاى انت ضمنت عنى عند الملك العادل كسرى بأنى ألقى فارس الروم وقد أجبت الى ذلك باذن الحى القيوم وألقى أيضا زيادة عليه فارس العجم ولو كان معه ألف فارس من عباد المسيح بن مريم * قال فلما سمع الوزير من عنتر هذا الكلام المعتبر حصل له بذلك الفرح والسرور وتوفرت عنده أنواع الحبور ثم قال له عنتر يا مولاى اذا لم أوف بهذا الضمان وأقتله فى حومة الميدان استحق أن أسحب من رجلى وأرمى فى بيوت النيران وأجعل لها قربان وأن تهملوا جميع العبسيين الذين أنا منهم بكل محفل ومكان فتبسم من كلامه الوزير والموبذان ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الميدان وقد اصطفت من العجم المواكب والجيوش والكتائب وأشهروا العدد من كل جانب وأشرقت العدد وصارت فى شعاع الشمس تتوقد وكان أول من تلقاهم موكب المدججة وهم بثياب الديباج المرهجة وبشبائك اللؤلؤ المنظمة الموهجة وبعدها ساروا الى موكب الاساورة وهم أصحاب الاساور المذهبة المطعمة بالجواهر والياقيت البهية البواهر وبعدها ساروا الى موكب المتوجه وهم أصحاب التيجان والاكاليل والسيوف المجلاة البواتر ومن هناك ترجل الملك المنذر ومن معه من الفرسان وترجل عنتر موافقة للملك المنذر ومن معه من الفرسان ومشى الى أن صار قدام الملك كسرى وامتثل وخدم ودعا وسلم وكذلك فعلت فرسان العرب ولزم عنتر الادب وانحنى الى الارض راكعا ورفع صوته بالدعاء وكان الملك كسرى ذلك اليوم راكبا وقد أحدقت به الوزراء والحجاب والامراء والنواب فحار عقل عنتر لما شاهد هذه الاحوال وأبصر فرفع صوته وجهر وقال أعز الله دولتك بالدوام والبقا ولازلت فى العلو والارتقا مادام الصباح مشرقا والليل مغلقا والشجر مورقا والغيث متدفقا يا ملك العرب والعجم وبحر العطاء والكرم وأهل الجود والنعم ثم انه أشار بقوله كفاك الله نائبة الزمان * وعشت من الحوادث فى أمان

p.269

ولازالت نجومك مزهرات * بسعد ثابت أعلى المكان * ودمت مباديا فى كل عز
وحكمك نافذ أقصى ودانى * يا ملكا لقد حاز العطايا * وبذل الجود ثم علو شانى

(قال الراوى) هذا وجعل الملك كسرى ينظر اليه ويتميز طوله وعرض كتفيه ويصغى لكلامه ويسأل الموبذان عليه ليزيد فى اكرامه فقال الموبذان أيها الملك هذا الفارس العبسى الذى قتل صاحبك خسروان وكسر جيشه وكان عشرين ألف عنان وقد أتيت به ليصرم عمر هذا البطريق ومن معه من عبدة الصلبان ويفرج عن قلوبنا ما تحملناه من الهم والاحزان ثم قال انه سيفنيه هو ومن معه قبل المغيب ويأتى فى محو آثارهم بكل فعل عجيب فقال كسرى اذا فعل ذلك سامحناه من الخطا وغمرناه بالاحسان والعطا لان بحر عدلنا يغرق فيه جاهله من غير أن يبين لطالب ساحله وبعد ذلك فالرأى فى هذا الامر موكول اليك ومعول فيه عليك ثم أمره أن يعرض عليه الراحة الى غد وأمر بانزاله مع الملك المنذر وأصحابه وقال اكثروا لهم الطعام والمدام وعدهم منا بالخير والاكرام ثم انه استدعى بالملك المنذر لديه وطيب خاطره وأحسن اليه وقال له ماشاء تازيان الخطا منا فى الاول والحسد مركب فى الانسان والذى كان ملأ قلبى عليك ملك على يديك فسر قلب الملك المنذر بهذا الكلام فقبل الارض قدامه ودعا له بالعز والدوام وأمر الموبذان أن ينصب لهم الخيام فقال عنتر لا وحق من أنزل القطر من الغمام لا اكلت عندكم طعاما ولا شربت مداما ولا طلبت راحة ولا منا ما الا بعد أن أقتل هذا البطريق ابن الشام وأسقيه كؤس الحمام لانه قد أزعج قلب هذا الملك الهمام والاسد الضرغام ثم انه عاد الى ظهر الجواد واعتد الى الحرب والجلاد فأعلم الموبذان الملك كسرى بما قال فقال كسرى يا للنار نخاف أن يكون تعبان فدعه حتى يستريح عندنا يوما من الزمان فقال

الموبذان

الموبذان دعه يا مولاى لانه قد أهلك حاجبنا الخسروان فان أهلكه الرومى فتكون قد أخذت حقنا منه النار وان هو قتل البطريق انلثون نال السعد والامان فعندها تقدم الملك كسرى فى موكبه الخاص لينظر ما يجرى بين هذين الفارسين فى الميدان فاستدعى تلك الساعة الموبذان بالبطريق البدرموط ابن اللئام وقال له اعلم اننا اتعبناك فى هذه الايام وانه قد أرسل الملك العادل الى ارض خراسان لما ضجر من الوقوف فى الميدان وأمران يأتيك بفارس يقهرك فى الميدان لان هؤلاء الذين خرجوا اليك ما هم فرسان بل كلهم مرازبة وحجاب وولاة ونواب وليس منهم من يذكر بشجاعة ولا اقدام الا الذى له فى قتالك هذه الثلاثة أيام وقد رآه الملك معك فى نقصان فما أراد أن يخرق ناموسه بين الشجعان لانه صاحب اقاليم وبلدان ولم يرده لاكك معه لانه حملك على بساط عدله واعطاك الامان وقد سبق اليك فضله والاحسان ولو انك اعدمته لحملت عليك طائفة الديلم واوصلوا اليك البؤس والنقم ولكن قد اتى اليك نائبه على العرب ومعه فارس يزعم انه يلقالك ويضيق عليك وعلى عشرة من الفرسان الذين معك وقال انه لا يدع الشمس تزول الا وقد ألقاكم تحت ارجل الخيول فشد عزمك والقه فى المجال ودمه لك حلال بخلاف غيره من الرجال فاذا قهرت هذا الفارس المعلوم فخذ اموالك صحبتك وارجع الى صاحبك ملك الروم وانت مبجل مكروم لانه لا يخرج اليك بعد هذا الفارس احد ولا عندنا من يقوم مقامه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع البطريق هذا الكلام قال يا مولاى وحق المسيح ان هذا الكلام الذى قلته مليح ولا يشتغل لى به بال ولا يضيق لى صدر ولا حال ولا انا ممن يكترث بالشجعان فى حومة الميدان وانا لو كنت اخاف من ابطال الزمان ما كنت اتيت بهذه الاموال والجواهر الحسان وطلبت البراز والجولان وقد اساءت الادب فى حضرة الملك كسرى انوشروان وما اتيت الا ومرادى ان القى أهل خراسان وابذل المجهود فى طاعة مارى المعمدان واكشف الضيم عن ملة النصرانية وعبدة الصلبان وانا الواردت قتل مقدم الديلم من اول يوم برز لى كنت قتلته ولكن علمت ان ذلك يصعب على الملك العادل فتركته ومادام ان الامر قد بلغ منتهاه وان هذا الفارس يريد أن يبرز الى فأنا اليوم اجعله بين الفرسان الوقاح لان قتال الجد ماهو مثل قتال المزاح فقال له الموبذان فان كان الامر على مثل هذا الحال فأشهد عليك اهل ملتك عند برازك لهذا الفارس الهمام حتى انه اذا تم عليك امر لا يكون على الملك فى ذلك عتب ولا ملام فعندها استدعى البطريق بالقسوس والرهبان واشهدهم على نفسه عند الموبذان انه اذا قتل فى الميدان يكون دمه حلالا غير حرام وان قتل خصمه فما يطالب به والسلام ✲ قال وبعد ما اشهد اصحابه على نفسه نزل الى ساحة الميدان واراد ان يجول ويصول واذا هو بزعقة اخجلت العقول وزعزعت الارض عرضا وطول وكانت تلك الزعقة زعقة عنتر بن شداد وكان خرج تلك الساعة من بين اصحاب الملك المنذر يريد الحرب والجلاد ثم انه لعب برمحه على ظهر الجواد حتى حير عقول اولى الالباب وبعد ذلك رمى الرمح وجرد الحسام ولعب به ابوابا من الحرب بين الرجال وهجم على البطريق وجال قدامه وصال فى اربعة اركان المجال وانشد وقال

اليوم انصر للمليك المنذر ✲ ليعلم كسرى قوتى وتجبرى ✲ واهد ركن الروم جمعا فى الوغا
وأجز رأس البدرموط بأبتر ✲ وابيد ساقته واقطع راسه ✲ ليسر ذا قلب المليك المنذر
يا ايها النذل الذى رام الوغا ✲ مستهزئا متكبرا بتجبر ✲ هاك الق حربى واصطبر لعزيمتى
تلقى امرأ بطلا شبيه غضنفر ✲ اوما علمت بان قدرى قد علا ✲ فوق السماك يفوق حد المشترى
وانا الذى ادعى بحامية الوغا ✲ يوم النزال ابى الفوارس عنتر ✲ ان كنت انت البدرموط فانتى
من آل عبس غاب ليث قسور ✲ ولئن قهرت جيوش كسرى فى الوغا ✲ فلسوف اقهر فى المجال القيصرى
ولئن تكن قد فقت ابطال العجم ✲ فأنا افوق لتبع مع حمير ✲ فاسمع نظاما من شجاع ماجد

ذى همـــــة ونجابة وتفاخر * مردى الفوارس والغبار مخيم * والنقع مظلم ذو عجاج اكدر
والخيل فى وسط القتام عوابس * والرمح يعمل مع حسام ابتر * فأنا الذى شهدت له يوم الوغا
كل الفوارس من زبيد وحمير * سيفى انيسى فى الظلام وذابلى * والمهر مع رمح مديد اسمر
والليل لونى والصباح فعائلى * والشمس اقبالى بغير تنكر * لا تنتقص لونى اخى لدى الورى
وتقول انى كالظلام المعكر * فالمسك يغلو بالسواد مزية * وكذلك العود الذكى مع عنبر
وفعائلى تزرى بأنوار الضيا * وسميت فى يوم القراع بعنتر * فابرز لتلقى شرح ما قد قلته
* واعلم بأنى واحد فى الاعصر *

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه فما عرف البطريق ما قال من كلامه الا انه عرف انه يطلب الحرب والقتال والطعن والنزال فمال عليه البطريق كأنه شعلة نار الحريق ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأظهر ما عنده من عجائبه وغرائبه واصطدما كأنهما جبلان واقترقا كأنهما بحران وكان ذلك الرومى طويلا عريضا وكان اشقر الوجه ازرق العينين واما عنتر فكان اسمر اغبر كأنه الاسد القسور فحالا مع بعضهما ساعة من النهار وكان عنتر على خصمه ثقيل العيار ويرجح عنه الدرهم بقنطار وكل ماله فى زيادة واستظهار واما البطريق فصار يرجع شيأ فشيأ الى النقصان فعرف عنتر منه ذلك معرفة الرجل الخبير لما بان له من خصمه التقصير فخدعه فى الطعان وقال هذا وقت المجاهدة وثبات الجنان ثم انه صاح فى ذلك البطريق وهجم عليه وأراد القتال فى وسيع المجال فعند ها صاح به البطريق وزعق عليه وطعنه طعنة الحنق فصبر عنتر للطعنة حتى قاربته فمال عنها وصبرها على درقته بحسن معرفته وصناعته وامهله حتى قرب منه فخاذاه وضربه بعقب الرمح بين كتفيه فأدهشه وزعق فيه فأرعشه ومن قلة اكتراثه به لم يتبعه بل صبر عليه حتى عاد اليه جنانه وصحا على نفسه فى ميدانه وقد قل نشاطه وجولانه فتعجبت الجيوش من فعاله وعفوه بعد المقدرة عليه فى مجاله وقد صار لهم معه شهرا كاملا حتى كلوا من قتاله وعجزوا عن نزاله وقد كانوا بين يديه مثل الغنم ووجودهم لديه كالعدم وعلموا ان عنتر لو اراد قتله لقتله وعلى ادهم الثرى جندله ورأى ذلك كسرى منه فتبسم وقرب عنترا اليه وعظم فى عينيه واقسم بالنار وما ظهر لها من الشرر أن هذه هى الفروسية التى تشكر ثم انه تقدم فى موكبه الخاص الى عرصة المجال لينظر ما يجرى بين هذين الفارسين من العجائب والاهوال وعلى اى شئ ينفصل الحال (قال) ولما رأى هذه الفعال مقدم الديلم بهرام حسد عنترا على ما بان منه من الشجاعة وظهر وقد حقد عليه لكونه رده عن مجاله وقتاله للبطريق وقت نزاله وايضا لكونه قتل الخسروان الحاجب فى ارض الكوفة وهو ابن عمه ولحمه ودمه وبعد هذا كله رآه قد تقرب من قلب الملك كسرى بهذه الفعال فأشكلت عليه الامور وغضب من فعاله حتى انه صار لا يسمع ولا يرى وعوّل على قتل عنتر وقتل البطريق الآخر حتى يكون له الذكر بالفروسية وبهما يذكر ومن شدة دهاه ومكره صبر حتى عاد الفارسان الى القتال والحرب والنزال وكان الرومى قد كل ومل ووهى عزمه واضمحل واخذ حذره من عنتر لما رآه بخلاف من بارزه من فرسان العجم وابطال الفرس والديلم وعلم انه فحل ذكر ومن الطعان لا يمل ولا يضجر ومازال عنتر يحاوره الى أن اتعبه وهو يطاوله ولا يطعنه ولا يضربه حتى قارب الزوال وقد قاسى البطريق من حرب عنتر الاهوال واما توسط النهار وقلقت الركب من الانتظار جد عنتر مع خصمه فى القتال وضاق على الاثنين الميدان وغابا عن العيان وابصر الديلمى هذا الحال فنبه عزيمته عند اشتغال عنتر بخصمه فى المجال فانقض على عنتر انقضاض النسر على صيده وصاح فيه واتى له معارضا وصار بين يديه وهز الحربة فى يمينه وصوّبها اليه وقال خذها يا ابن الامة البدوية من كف بهرام فارس النار الحمية وكان

عنتر

عنتر مع ما هو فيه من اشتغاله بخصمه يقاتل وعيناه الى سائر الجيوش والمحافل وذلك حذرا منه على نفسه لانهم من غير أبناء جنسه (قال) ولما علم عنتر ان الديلمي حمل عليه عرف مراده واخذ حذره منه ولما قرب العجمي منه وصوب الحربة اليه وسمعه وهو يقول خذها يا ابن الامة البدوية فعندها رفع عنتر حربته من يده واستقبل حربة العجمي ولقفها من الهواء فصارت وبقت في يده وكان البطريق لما سمع أن بهرام قد حمل على عنتر وجرى له معه ما جرى ورآه قد اشتغل به عنه نبه عزيمته وأراد أن يضربه ويحمل منيته فعندها استقبله عنتر بالحربة التي في كفه وزعق عليه فأوقفه وضربه بها في صدره فأنفذها من ظهره فمال بها صريعا يمج علقما ونجيعا وعاد بعدها يطلب بهرام وقد صار الضيا في وجهه كالظلام * هذا وقد ضجت مواكب العجم وقالوا وحق النار ولهيبها اذا أضرم ان هذا ما فعله أحد من الامم (قال الراوي) ولما رأى الملك كسرى عنترا وقد قتل البطريق وحمله من البلاء ما لا يطيق ومزق قلبه أشد تمزيق قال أحسنت ياشاة نازيان يعني يا ملك العربان ورآه بعد قتل البطريق عاد الى بهرام كأنه نار الحريق فضرب يدا على يد وتحسر خوفا على أبي الفوارس عنتر من أن يقتله على حين غفلة هذا الديلمي الاشقر وخاف على حاجبه بهرام عند ما رأى عنترا قد قتل البطريق وأسقاه كأس العبر أن يلحقه به على الاثر فصاح على مرازبته وقال ويلكم ردوا بهراما قبل أن يقتل ويسقى كأس الضرر فتسارعت اليه الحجاب والمرازبة من كل مكان وردوه عن ظلمه واعتدائه من حومة الميدان وخلصوه من أبي الفوارس عنتر وردوا عنترا عنه من قبل أن يصل أحدهما للآخر بأذية وتلطفوا بأبي الفوارس وأخذوه بينهم وساروا به الى الملك كسرى بالسوية وقدموه بين يديه فانحنى عنتر وخدم ودعا بدوام العز والنعم وأشار وجعل يقول

أدام الله عزك بالسرور * وعشت مؤيدا طول الدهور * أيا ملكا له كل البرايا
عبيد في السنين وفي الشهور * لانك فيهم حصن منيع * ومجري العدل في كل الامور
تركت البدر موطوط اليوم ملقى * على البيداء مأكلة النسور * بضربة فيصل أضحى صريعا
وعاد نجيعه رزق الطيور * وخليت الدما تجري عليه * كمثل السيل في اليوم المطير
فان عاداك قيصر يا مليك * وسار اليك بالجيش الكثير * سألحقه بصاحبه وأفنى
جيوش الروم بالسيف البتير * ومن عاداك يا ملك البرايا * يعود كعودة النذل الحقير
سأبذل مهجتي حتى أخلى * عنيدي للسباع لدى الهجير * أنا البطل الغشمشم ذو اقتدار
عظيم الجاه ذو القدر الخطير * فأنت اليوم لي كهف منيع * وذخر ثم عوني في اموري
أيا ملكا حوى رتب المعالي * ومن أمست عداه في ثبور * لقد زاد اشتياقي واضطرابي
الى الاوطان فاسمح بالمسير * لقد زاد اشتياقي واهتمامي * لوجه عبيلة القمر المنير
أدام الله قدرك في ارتفاع * بطول الدهر مع حظ كثير

(قال) فلما فرغ عنتر من كلامه طرب الملك كسرى من نظامه وقربه وأدناه وخلع عليه خلعة كسروية من ملابسه وكانت بالذهب مطلية وقال له بذان سلم لعنتر ما كان مع البطريق من الاموال والجواري الروميات والخيل الصافنات وأنزله عندي في الايوان وأكرمه غاية الاكرام حتى يحضر غدا معنا على الطعام ونجعله لنا عدة على سائر الليالي والايام ونغمره بالاحسان والانعام وبعدها التفت الى البطارقة أصحاب البطريق وقال لهم ان كان فيكم من يقاتل فليبرز الى الميدان فقالوا لا وحق المسيح وماري حنه المعمدان لا نريد حربا ولا طعان ونحن ما أتينا لهذا الحال بل أتينا مع صاحبنا نشاهد الافعال ونكون شهداء على ما يجري من أمر القتال وقد رأينا منك أيها الملك المفضال العدل والانصاف الى ان أتى هذا الفارس وأبقى صاحبنا كؤس التلاف وفي هذه الساعة نطلب الاذن والانصراف ثم انهم

ساروا يقطعون الفلاة وهم لا يصدقون بالنجاة وعاد كسرى الى الايوان وتولى أمر عنتر الوزير الموبذان وأنزله فى أعز مكان وكذلك المنذر ومن معه من العربان وكان المنذر قد امتلأ قلبه بالفرح واتسع صدره وانشرح لما رأى من عنتر ما رأى وظهر وبان قوة فروسيته فى حومة الميدان ثم ان كسرى فتح صناديق الاموال وعرضها على عنتر وكانت هذه أموال البطريق التى أتى بها من عند الملك قيصر فوجد عنتر أموالا لا تعد ولا تحصى ورأى من المعادن والجواهر والياقيت شيأ يبهر الجنان ومن الاقمشة والثياب المنقوشة بالذهب المطعمة بالجواهر على الصدور واللبب ومن الحلل القيصريات اللاتى كأنها العنب ومن الخيال الاصائل عليها سروج الفضة والذهب ورأى خيرات يعجز عن وصفها ألسن فصحاء العرب فقام عنتر وقبل يدى الموبذان وشكره وأثنى عليه على هذا الاحسان وقال يا مولاى ما أعد هذه النعم الا من فضل الرب الكبير وفضلك لانك كنت أنت السبب فيها ثم انه أشار وجعل يقول

أوليتنى نعما عجزت بشكرها * وكفيتنى كل الامور بأثرها
فلاشكرنك ما حييت وان أمت * فلتمدحنك أعظمى فى قبرها

(قال) فلما سمع الموبذان كلام عنتر فرح واستبشر وقام عنتر من فرحه بتلك الاموال التى لا تأكلها النيران يشكر الموبذان على احسانه ويمدحه بهذه الابيات فأنشد يقول

سرت لنا منك يا مولاى أسرار * بين الضلوع لها حكم واقدار * أسكنتها فى سويدا القلب فهى اذا
يشيع منها على الناسوت أنوار * لما تمثلت فى جود وفى كرم * لم يبـــق للنفس آمال وأوطار
أغنيتنى منا عن ذا الوجود فلم * يمسنى بعدما أعطيت اعسار * زادا بسباطى والايام قد نشدت
* من السعادة أن لا تبعد الدار *

(قال) فلما سمع الموبذان ذلك القول تبسم وقال لعنتر أيها البطل الامجد نحن ما نرضى لك بهذا العطاء القليل على ما فعلت من الجميل لان هذه الاموال ما هى من أموالنا وسوف تنظر عطانا ونوالنا وأما هذه فهى أموال قيصر التى أتت مع البطريق عابد الصلبان وقال هى لمن يقهرنى فى الميدان فها أنت قتلته وصار المال لك وبسبب ضربك ونصالك خرته وسوف تنظر ما يصل اليك من الانعام اذا حضرت فى غد مع الملك كسرى على الطعام ثم انه أمر الخدام أن يبسطوا الدار بالفرش الملونات والنمارق المزركشات ويضعوا فيها الاوانى والاباريق ويملؤها من الخمر العتيق ويقدموا أوانى الطعام قدام عنتر والملك المنذر وأصحابه الكرام فنظر عنتر الى الطعام فرآه مختلف الالوان فقال يكون بعافية الابدان وكانت كلها من لحوم الضان وهى ممزوجة بالزعفران وحلويات منوعة حسان ومن داخلها القرنفل والجبهان فخار عنتر مما شاهد وأبصر ولما خلا المكان سأل عنتر الملك المنذر عن هذا الطعام وقال يا مولاى أهذا طعام الاعجام على ممر الايام أولا يطبخ الا فى المواسم والاعياد العظام وانى ما أرى فيها لحوم الجمال وهذا طعام لا يليق الا للاطفال فعندها تبسم الملك المنذر من هذا المقال وقال له لا ى شئ هذا الكلام يا فارس البدو والحضر دع عنك ما كنت فيه من سكنة البر الاقفر وشرب لبن النياق صباحا وعتابا وتخلق بأخلاق أهل المدن سلاطين القرى والبلدان لانك أنت اليوم فى جوار هذا الملك الجليل المقدار العالى الافتخار (قال) فلما سمع عنتر هذا الكلام استحى وأكل من الطعام حتى اكتفى وشرب من المدام حتى ارتوى وقد دارت عليهم الكاسات والطاسات واغتنموا أوقات المسرات وكان الساقى لهم المدام بعض الجوارى الحسان والبعض يضربون على الآلات والاوتار وقد علم أنهن ملك عنتر وفى قبضة يديه فصرن يتقربن بالخدمة اليه وكلما قام أو قعد يدرن من حواليه وهو لا يلتفت اليهن على التفصيل والجملة لانه لم يكن فى قلبه غير هوى بنت عمه عبلة وقد رشق الهوى فى قلبه نبلة فقال له الملك المنذر يا أبا الفوارس

لم لا تفرح وتطرب وتلذ وتلعب مع جواريك وتحمد الرب القديم على ما أنت فيه من علو مقدارك الذى هو أعلى من هذه المنزلة الرفيعة ولا أظن أنك رأيت فى زمانك أحسن من هذه الليلة البديعة فدع عنك الافتكار وذكر الاحبة والديار وخل عنك الفكر والارتياب وخذ من زمانك ما طاب لانك أمسيت فى مرتبة الملوك أهل الفضل والاعتبار (قال) فلما سمع عنتر هذا المقال زاد به البلبال وأن أنين المجروح وشكا من قلب مقروح وتناثرت على خدوده العبرات وتذكر ديار ه والربوات والتفت الى الملك المنذر وقال له لعمرك يا ملك الزمان ان هذه النعمة ما لها عندى مقدار لان قلبى فى غير هذه الديار وأنت تعلم يا ملك الزمان أن الاوطان لها فى القلب مكان خصوصا اذا كان للانسان بها حبيب ويصير عنه بعدا غير قريب وهو ينتظر خياله ربما يزوره فى رقاده أو يهب عليه نسيم من ناحية بلاده ثم انه زاد بعنتر البكاء والاشتكا فأنشأ وجعل يقول

برد نسيم الحجاز فى السحر * اذا أتانى بريحه العطر * ألذ عندى مما حوته يدى
من اللآلى والمال والبدر * وملك كسرى لا أشتهيه اذا * ما غاب وجه الحبيب عن نظرى
سقى الخيام التى نصبن على * شربة الانس وابل المطر * منازل تطلع البدور بها
مبرقعات بظلمة الشعر * بيض وسمر تحمى مضاربها * آساد غاب بالبيض والسمر
صادت فؤادى منهن جارية * مكحولة المقلتين بالحور * تربك من ثغرها اذا ابتسمت
كاس مدام قد حف بالدرر * أعاره الظبى سحر مقلتها * وبات ليث الشرى على حذر
خود رداح هيفاء فاتنة * تخجل بالحسن بهجة القمر * يا عبل نار الغرام فى كبدى
ترمى فؤادى بأسهم الشرر * يا عبل لولا الخيال يطرقنى * قضيت ليلى بالنوح والسهر
يا عبل كم فتنة بليت بها * وخضتها بالمهند الذكر * والخيل سود الوجوه كالحة
تخوض بحر الهلاك والخطر * ادافع الحادثات فيك ولا * اطيق دفع القضاء والقدر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره تعجب الملك المنذر من نظمه ونثره وفصاحته وسعة صدره وعلم أن حبه لبنت عمه شديد وسلطان الهوى عنيد فقال له يا عبسى خذ بنا فى غير هذا المقال ثم انه جعل يحدثه بما يصل اليه من المال والهدايا والانعام والنوال ويبشره بقرب العود الى الديار والاوطان والاحبة والاخدان ولم يزالوا كذلك حتى مضى الظلام وأقبل النهار بالابتسام واستشاروا فى الركوب الى الميدان واذا قد أتاهم الموبذان وحوله جمع من المرازبة والحجاب والنياب والغلمان فسلم عليهم وسألهم عن ليلتهم فقالوا هى من أبرك الليالى وبلوغ الامانى فعندها أمرهم بالركوب للسلام على الملك العادل كسرى انوشروان وقال لعنتر يا أبا الفوارس قم بنا الى الملك كسرى لانه قد أرسل يطلبك لتحضر عنده اليوم فقال عنتر سمعا وطاعة ثم انه قام من وقته وساعته وركب هو والملك المنذر والموبذان معهم وساروا الى أن وصلوا الى الملك كسرى واستأذنوا فى الدخول عليه فأذن لهم فدخلوا الى بستان عظيم الشان وفى ذلك البستان من كل فاكهة ألوان ومن شقائق النعمان وكان فى ذلك البستان قصر عالى البنيان وهو فى الهواء شاهق قد أمن من البوائق وتحيرت فى وصفه الخلائق طوله تسعون ذراعا وعرضه سبعون قد بنى بحجارة المرمر ورصع بالدر والزمرذ الاخضر وللقصر أربعة عشر بابا من النحاس الاصفر لها لمعان يأخذ بالبصر وسقوف القصر تبرق من لمعان الفضة والذهب وهو أعجب من كل عجب كما قال فيه الشاعر المنتخب حيث يقول بعد الصلاة على طه الرسول

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جمالها الايام * قصر سقوف المزن فوق سقوفه
فيه لاعلام الهدى اعلام * قد زينت حيطانه وتزخرفت * وكأنه سبقت له الانعام

فيه العجائب من صنوف غرائب * قد حيرت فى نظمها الافهام
يحوى مليك الارض كسرى ذا الذى * سادالورى وسمابه الاكرام

والتاج تاج الملك صيغ بجوهر * من أخرالياقوت ليس يرام * وازداد فخرا حين حل برأس من قد عمنا من فضله الانعام * فاق الملوك ببذله وبعدله * ويفوقهم مادامت الاعوام

(قال الراوى) ثم انهم بسطوا فيه البسط كما أمر الملك كسرى وصفوا فيه الكراسى من الابنوس والعاج وقد دخل الملك كسرى وحجابه وكل خواصه وجلسوا فيه وأرسل الموبذان خلف عنتر والملك المنذر فلما أتيا وأذن لهما بالدخول دخلا على كسرى وقبلا الارض بين يديه وسلما عليه ووقفا فأمر الملك كسرى للملك المنذر بالجلوس فجلس وكذلك عنتر بعد ما خدم ثم أخذه الملك بجانبه وصار يترحب به ويحادثه وعنتر يشكر كسرى على ما أولاه من النعم وبعد ذلك أحضر وا موائد الطعام وقعد الملك كسرى يأكل مع الجماعة وهو يلقم عنترا مما جعل قدامه من ذلك الطعام الفاخر ومازال يلقمه الى ان اكتفى فقام عنتر وخدم وأشار الى الملك كسرى يمدحه بهذه الابيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات

يا أيها الملك الذى راحاته * قامت مقام الغيث فى هطلانه * ياقبلة القصاد يا تاج العلا
يا بدر هذا العصر فى سلطانه * يا مخجلا نوء السماء بجوده * يا منقذ المحزون من أحزانه
يا ساكنين ديار عبس انني * لاقيت من كسرى ومن احسانه * ما ليس يوصف أو يقدر أو يفى
أوصافه أحد بوصف لسانه * ملك حوى رتب المعالى كلها * بسمو مجد حل فى ايوانه
مولى به شرف الزمان وأهله * والدهر نال الفخر من تيجانه * واذا سطا خاف الانام جميعهم
من بأسه والليث عند عيانه * المظهر الانصاف فى أيامه * بخصاله والعدل فى بلدانه
امسيت فى ربع خصيب عنده * متنزها فيه وفى بستانه * ونظرت بركته تفيض وماؤها
يحكى مواهبه وجود بنانه * فى مربع جمع الربيع بربعه * من كل فن لاح فى افنانه
وطيوره من كل نوع أنشدت * جهرا بأن الدهر طوع عنانه * ملك اذا ما جال فى يوم اللقا
وقف العدو محيرا فى شانه * والنصر من جلسائه دون الورى * والسعد والاقبال من اعوانه
فلاشكرن صنيعه بين الملا * واطاعن الفرسان فى ميدانه

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وسمعه كسرى طرب غاية الطرب ولما جاء آخر النهار وانقضت تلك الاوقات انصرف الملك المنذر وعنتر الى منازلهم بعد أخذ عطايا الملك كسرى وانعامه عليه وكيف جعله نديما وصار يسليه والملك المنذر يقول له ياعنتر لقد نلت مقاما ما ناله أحد غيرك فلما سمع عنتر من الملك المنذر ذلك الكلام جرت دموعه على خديه سجام وقال يامولاى هذه النعمة وان كانت جزيلة لكنها عندى لا تساوى حبة خردل من حبى لمن فى تلك الديار وأنت أعلم بالحال ولاسيما الوطن الذى يكون للانسان فيه حبيب ويمسى عنه بعيدا غير قريب ويصير متلبسا بالطرد والتعذيب وينتظر خيال الحبيب أن يزوره أو يريحها تهب عليه من ناحية بلاده ولو ريح الاذيب ثم أنه ناح من العشق والغرام وبما كان فى ضميره من الوجد والهيام فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

سقى الخيام التى نصبن على * شربة الانس وابل المطر * منازل تطلع البدور بها
مبرقعات بظلمة الشعر * بيض وسمر تحمى مضاربها * آساد غاب بالبيض والسمر
صادت فؤادى منهن جارية * مكحولة المقلتين بالحور * تريك من ثغرها اذا ابتسمت
كاس مدام قد حف بالدرر * اعارت الظبى سحر مقلتها * وبات ليث الشرى على حذر
خود رداح هيفاء فاتنة * تخجل بالحسن بهجة القمر * ياعبل نار الغرام فى كبدى

رمى فؤادى بأسهم الشرر * ياعبل لولا الخيال يطرقنى * قضيت ليلى بالنوح والسهر
ياعبل كم فتنة باليت بها * وخضتها بالمهند الذكر * والخيل سود الوجوه كالحة
تخوض بحر الهلاك والخطر * ادافع الحادثات فيك ولا * أطيق دفع القضاء والقدر

(قال الراوى) فلما سمع المنذر من عنترة ذلك الشعر والنظام تعجب من فصاحته ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الظلام فعندها انطرحوا لطلب الراحة والمنام الى أن أقبل الصباح فبينما هم على ذلك المنوال عدة أيام اذ دخل عليهم الموبذان وقال لهم اعلموا ان الملك كسرى مراده ان يركب فى هذا اليوم لطلب الصيد والقنص وقد أمرأن يصنعوا له الطعام الى حين يرجع ويحضر جميعا فى الايوان وتأكل من ذلك الطعام فقال المنذر ياعنترة قم بنا الى ملك الزمان لتنظر ما يأتيك منه من الانعام والاحسان فلما سمع عنترة من الملك المنذر ذلك الامر والشان قال له يامولاى ان فى قلبى حسرة لا يزيلها الا العود الى الاوطان وما مقامى لاجل المال والاحسان ومالى حاجة لشئ من ذلك غير النوق العصافير أريد أن تكون بصحبتى لتكون سبب الاجتماع بابنة عمى حبيبتى (قال) فضحك المنذر من كلامه وقال له أما النوق فقد تحصلت ومعها أمثالها من النياق والجمال وهى موقورة بالارزاق مجملة من مال العراق بطول بقاء الملك العادل وهذا الوزير الفاضل وأما العود الى الاوطان فهو قريب كما تريد وتختار بعد أن يعطيك هذا الملك شيأ تفتخر به على سائر العباد فى جميع الاقطار ثم انهم ركبوا وساروا جميعا الى الملك كسرى أنوشروان فوجدوه خارجا من باب الايوان وبين يديه المرازبة والحجاب والخدام والغلمان ومعه آلة الصيد على التمام من فهود وصقور وكلاب سلوقية (قال الراوى) فلما وقع نظر الملك كسرى عليهم ترجل الملك المنذر والموبذان وسلما عليه وحييا تحية الملوك وأراد عنترة أن يترجل ويفعل مثلهما فمنعه الملك كسرى من ذلك وأقسم عليه وأعطاه يده فقبلها وأمر الغلمان فقدموا له فرسا من نجائبه بركاب ذهب ولما ركب أخذه كسرى الى جانبه وسار معه وهو يحادثه ويلاعبه ويسأله عن مبيته وراحته وما وجد من الشوق الى أهله وباسطه فى الكلام وصار عنترة يدعو للدولة الكسروية بالدوام الى أن وصلوا الى مكان الصيد والقنص وكان ذلك المكان لا يدخله الا الملك كسرى صاحب الايوان وعليه مرازبة يحمونه من الناس وقد امتلأ بالوحوش من سائر الاصناف والاجناس وروائحه كالمسك * قال ولما أشرفوا عليه وقربوا منه ورأتهم الوحوش والغزلان تنافروا من كل جانب ومكان ووقع الصياح ووثبت الفهود على الغزلان وانقض الفرسان على الوحوش انقضاض القضاء وتجارت على ظهور السوابق من الخيل وصاروا فى انتشارهم مثل السيل وسعوا فى الارض بالطول والعرض وعلا العجيج حتى أزعج البر والملك كسرى واقف يتفرج وهو فى نفر قليل من أصحابه والصيد يأتى اليه ويحيط به من خلفه وبين يديه وهم يتقربون بذلك اليه وكان عنترة قد تبع شرذمة من الوحش وساقها بين يديه وأبعد بها فى البر ومددا كثرها على الارض (قال) فبينما هو كذلك واذا بفارس قد انقض عليه انقضاض الاسد وصاح به صيحة تصدع الحجر الجلمد وما كلمه ولا عاتبه حتى صار فى جانبه وضربه بالة الحديد بساعد شديد وكف عنيد فوقع اللت بين كتفيه حتى كاد أن يقضى عليه وصاح فى أثرها خذها يا كلب الحجاز واذا كان بقى فيك رمق فدونك والبراز ولو كان فيك مروءة التبعان فلا بد لى من قتلك كما قتلت أنت الخسروان ابن عمى الذى هو من لحمى ودمى وقتلت أيضا بطريق عبدة الصلبان فى الميدان واحتويت على المال والجوارى الحسان وأنت أقل العبيد والفرسان وكان هذا الفارس هو بهرام الديلمى لما ذكرنا مما دخل فى قلبه من الحسد والكيد لعنترة بن شداد وكان لما نهاه كسرى عن معاندته ومعاداته رجع وقال لاصحابه ان راح هذا العبد بهذه الاموال الى البلاد وسلم من الانكاد لم يبق لنا عند أحد قيمة ولا مقدار وانهدمت أركان الافتخار ثم انه

ترك عليه العيون والارصاد وصار مقهورا مسلوب الفوائد حتى خلا به فى ذلك اليوم وهو يصطاد فقال هذا وقت انتهاز الفرص وازالة الغصص فسار اليه وفعل ما فعل وظن أنه لعنتر قد قتل فسل حسامه وطلبه وكان عنتر قد داخ من عظم تلك الضربة وشد تها ساعة ولما هدأ روعه ورأى خصمه قدامه وقد أشهر فى يده حسامه ورآه راجعا اليه صاح به وحمل عليه واستقبله وهو يهمهم ويدمدم دمدمة الاسد من شدة ما نالة وما وجد من الغيظ والحرد وقال له لقد خاب أملك يا عابد النار أتريد أن تقتلنى يا مدار الشر بالويل والخبال والذل والدمار ثم انه استقبله وصاح فيه وقلب السنان الى خفه وطعنه بعقب الرمح فقلبه وعن جواده كركبه ولولا ما عليه من الزرد والثياب كان قد خسف صدره * هذا وان الديلم لما رأت فعال عنتر حملت عليه من سائر الجهات وسلوا السيوف القاطعات وطلبوا قتاله وتحولوا على نزاله فعندها صاح فيهم وحمل عليهم حملة الاسد وصار يدافع عن نفسه من كل أحد ويتجنب سفك الدماء وهو ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ريب المنون رماك للضرغام * حتى بقيت مطوقا بحمام

يا نسل عبادة الشجاع ومن همو * مستعبدون لشدة الاضرام * ما قتلك أسباب المنية فى يدى
حتى تصير مسربلا بكلام * وترى بأنى فارس ماهاله * ضرب العمود وصرخة القمقام
كلا ولا أخشى الحتوف ولو أرى * حولى كماة كالاسود تحامى * ما أنتموا الافراش قد رأى
نارا فألقى روحه بضرام * فاثبت لطعنة من أتيت لحربه * وغدرته جهلا بحد حسام
من كف من سجدت له أسد الفلا * وتعوذ منه ذوو الاقدام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل على الديلم حملة الاسد وطاب له القتال والحرب والنزال ولم يزل يقاتل حتى أشرف على الهلاك والوبال وهو يطرحهم على الرمال وأراد أن يقتل خصمه ويسكنه عاجلا رمسه حتى يلقى الهيبة فى قلوب الرجال واذا بالملك كسرى قد أقبل فى حجابه ونوابه وهم يصيحون على الديالم ويشيرون اليهم بالصوارم وكان قد وصل اليه الخبر بما فعل عنتر بهرام فركب كسرى الحصان وسار بجانبه الموبذان الى أن أشرف على ذلك المكان ولما رأته الديالم هرعت اليه وقالت أيها الملك اقتل هذا العبد والا قتلناه بأيدينا قبل أن تصلوا اليه ثم قالوا أيها الملك السعيد أيقتل هذا العبد صاحبنا ويريد هلاكنا وفناءنا ونتركه بلا قتال فقال لهم الموبذان وحق الجمر تكذبون يا أنذال الديلم وقد تكلمتم بالمحال وما قصدكم الا قتل هذا الرجل الغريب الذى يجب أن يكرم بكل أمر عجيب لانه فعل فى حقنا فعلا ما فعله أحد من الامم ولولاه لارتفعت حرمة قيصر على الديلم وانتثت شوكتنا لما عجزتم عن الطريق وصرتم بين يديه شبيه الخدم وفى ذلك الوقت طلبتم الاقالة من حربه وقتاله يا أنذال العجم هو وان كان قتل صاحبكم فما تعدى عليكم ولا ظلم ثم انه استدعى بعنتر بن شداد اليه بصفاء السريرة والنية وقدمه بين يدى الملك كسرى فسأله عن القضية فأمره الموبذان ان يخبره بما جرى فحدثه بالحديث الذى طرا وذكر له رمى اللت الذى ضربه به مقدم الديلم بين يدى الملك فصدقه فى كلامه وامر الحجاب والمرازبة الذين حوله ان يقدموا الديلم عشرة بعد عشرة لتضرب رقابهم فعند ذلك ترجل عنتر اليه وقبل الارض بين يديه وقبل اسافل قدميه وسأله فيهم وتشفع لهم وعاد الى ورائه وقال له يا مولاى لا تفعل فان العفو عنهم منك اجمل وهو بمثلك اوفق وأمثل واعلم يا ملك الزمان انى فى هذه الايام قد عزمت على الرحيل من هذه الديار فلا أشتهى أن يذكرنى أحد بالقبيح بعد فعل الجميل للكبار والصغار بل أكون كما قال بعضهم هذه الابيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخيرهم وتركت عارا * ولا أنسى لمحسنهم جميلا

واكره أن أقيل لهم عثارا * واحتمل الملام لاجل فضل * لمولاهم تقدم لى جهارا

(قال الراوى) فتعجب الملك كسرى من حسن ادبه واستقامة حاله وكان قد غضب فزال غضبه وقبل سؤاله فيهم واطلقهم لطيب مقاله وحملوا بهرا ماوهو يشكو من شدة الطعنة الى مكانه واما الملك كسرى فانه عاد راجعا الى الايوان وعطف على البستان وكان ذلك البستان قد حوى من كل فاكهة الوان من شقائق النعمان واخذ معه عنترا وصحبته الموبذان (قال الراوى) فلما رأى عنتر ذلك البستان زال عن قلبه ما كان يعتريه من الاحزان كيف وقد رآه نزهة الاعيان وفيه من كل فاكهة زوجان فانشد عنتر وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

بستان كسرى ذو الشذى المعطار * تشدو عليه طوائف الاطيار

من كل قمرى ترنم منشدا * فيهيج الاشواق للافكار * وترى الهزار مع الفواخت ناطقا
تلهين عن ضرب من الاوتار * وتمايل الطاوس فى جنباته * يحكى عروسا فى ثياب نضار
تتعجب النظار من ألوانه * لما بدا يزهو على الاشجار * وأتت انار يح الشمال فعوضت
بصفيرها عن نغمة الاوتار * وتمايلت فيه الغصون كأنها * قوم سكارى من كؤس عقار
وشذا لناورد تضوع ريحه * عن مسك جاو أو كعود قمار * ما بين نسرين وورد مزهر
والياسمين بياضه كنهار * وبنفسج مع نرجس يتلوهما * لينوفر وشقائق الازهار
والبان فيه للنديم فكاهة * بالشم اذ يسرى شذا الاسحار * والماء من كل الجوانب دافق
يسقى الزهور بجانب الاشجار * ياعبل قد قرب الحمام فهل الى * وصلى سبيل قرة الابصار
ياعبل قد شط المزار متى اللقا * حتى أفوز بثغرك المعطار * ياعبل ان الحب علمنى اللقا
فقهرت كل غضنفر كرار * وعلمت أن الموت أمر واجب * ويحل عند نهاية الاعمار
وعلمت ان الدهر يغدر أهله * وينغص الاوقات بالاضرار * وعلمت أن الموت يأتى بغتة
* فغدوت ملتزما رضا الاقدار *

(قال الراوى) وكان فى البستان قصر عالى الاركان مشيد البنيان قد أمن صاحبه من حوادث الازمان سليم من البوائق مبنى بحجارة من المرمر الفائق مرصع بالزمرذ الاخضر وقضبان الذهب الاحمر وفى صدره قبة مثمنة مرفوعة مكونة فيها عقود من خالص الجوهر وله أربعة وعشرون بابا من النحاس الاصفر يخيل للناظر أنها ذهب أحمر لها المعان يأخذ بالبصر وحلقها من الذهب والفضة البيضاء وقد مثلت عليها صفات الطيور وفى وسط ذلك المكان سبع برك مرصعات بالدر والجوهر والزمرذ الاخضر وقطع الياقوت الاحمر ولها أنابيب من الفضة والذهب وقدام الايوان بركة كبيرة وفى وسطها طاوس رأسه من الزمرذ الاخضر وعيناه من الياقوت الاحمر ومنقاره من العقيق الاصفر يرمى من منقاره على كسرى ومن معه فتات المسك الاذفر ومدقوق العود والعنبر وماء الورد المكوفر وسقف القصر يشرق بالفضة والذهب الاحمر وهو قصر من أعجب العجب مفروشة أرضه برائق المرمر (قال الراوى) ثم انهم بسطوا فيه السماط كما أمر الملك كسرى عند ركوبه وكانوا قد وضعوا طعامات شتى ونصبوا لكسرى فى الصدر سريرا ألواحه من الذهب الاحمر وتاجه من الزمرذ الاخضر وقوائمه من الفضة البيضاء ذات اللون الازهر وكان اذا وضع فى الليل أضاء كالشمس والقمر ونصبوا حوله كراسى من العاج والابنوس والفضة والذهب فدخل الملك كسرى وحجابه ونوابه وأمر الملك كسرى للملك المنذر بالجلوس فجلس الى جانبه على كرسى عال قدام الايوان بجانب السرير وكان ذلك الكرسى كبيرا من الذهب الاحمر وكذلك فعل بعنتر ووقف قدامه حجابه وأعوانه وغلمانه وأخذ كل واحد منهم مكانه وبدأ الملك كسرى بأكل الطعام مع الجماعة وصار يقدم لعنتر من الطعام الذى بين

يديه ويشاغله بالكلام ويميل اليه ويلاعبه ويضحك عليه وقد برك عنتر للاكل على ركبتيه وصار يكبش بالخمسة ويدفع بالراحة ولا يحرك فكيه ولا يلعب بشفتيه ويجمع ويقطع ويبلع وزوره يقرقع كالمدفع وهو يأكل أكل العرب الجياع وينهب الطعام مثل السباع أو مثل الاسد اذا جاع وكسرى يقدم له صدور الدجاج ولحوم الخرفان الرضع وهو يبوس يديه ويأخذ ويدفع ويبلع ورائح الطيب من الطعام تطلع وكسرى يلقمه بيده من طعامه ويتفرج على أكله دون الجلاس ويكبر له اللقمة ويحدثه من دون الامم وهو غرقان فى تلك النعم وكسرى فى وجهه يتبسم وعنتر يأكل من تلك الاطعمة المختلفة الالوان التى هى الذمن العافية فى الابدان لانه طعام يشفى العليل وهو مع ذلك يكتال ويشيل وكلما أكل لونا من تلك الالوان يسأل كسرى عنه وهو يجيبه ويسمى له ألوانا مختلفات ويلقمه لقيمات هائلات أقل لقمة منها تشبع رجلا وبها بقيات وصار عنتر يأكل وكسرى يتعجب من أكله وأكابر العجم والفرس قد شبعوا وقاموا وعنتر لم يشبع ولم يزل جاثيا على ركبتيه والى سائر الاطعمة يحملق بعينيه حتى فرغ الطعام وشبع واكتفى وتأخر وحمد وخدم ودعا لكسرى بدوام العز والنعم ثم انهم بعد أن رفعوا أيديهم من الطعام ورفعت أوانيه دخلت عليهم أولاد السهارجة بمواطى المدام بطشوت الذهب والفضة والطاسات والاباريق الملاح والكاسات وهى ملآنة من الخمر العتيق الذى صفا وراق وصار يحاكى دموع العشاق وهو أبرد من النسيم وقد أصلحته القسوس لاجل اصلاح النفوس حتى صفا وراق فى الكئوس كأنه اللهيب يحكى وجنة الحبيب وهو أرق من النسيم وقد أقبلت الملاهى من سائر الجهات وغنوا بألحان مطربات ودارت أقداح المدام بالطاسات الى أن غيبت عقول السادات وصار وا فى سرور وأفراح وخامر عقولهم الراح الا عنترا فان ذلك النعيم كان عنده كانه أتراح لان جسده حاضر وقلبه فى غير هذه الديار وهو كثير الافتكار وشوقه الى عبلة قد طال والملك كسرى يمازحه ويسأله عن بلاده وعنتر يحكى له على ما جرى له من حب ابنة عمه عبلة ويصف له حسنها وجمالها الذى شاع عنها بين أصحابها ومالاقى بسببها وشكا اليه شدة شوقه اليها فعلم كسرى أنوشروان أن شوقه اليها شديد وعشقه لها ما عليه من مزيد فقال له يا عبسى وحق النيران انى لفى عجب من بعادك وبقائك ومن توجعك وشكواك فقال عنتر يا مولاى وحق انعامك الذى لا يحصيه الثناء ما أنا الا ميت فى صفة الاحياء ولولا خيال ابنة عمى عبلة يطرقنى لكادت نيران الاشواق أن تحرقنى فعند ذلك تعجب الملك كسرى من مقاله ورق له ورثى لحاله فقال له الملك المنذر ويحك يا عنتر أرح قلبك وخل عنك هذا الحديث وجهل جاهلية العرب واستعمل الادب فى مقام هذا الملك الكريم المنتخب وأنشدنا شيأ من أشعارك مما تزيد به الملك فرحا وطرب واغتنم أوقات النعيم واشكر الرب القديم الذى رفعك الى هذا المكان العظيم واسمع صوت هذه الغانية فان صوتها يشفى العليل لما فيه من الترخيم وأصغ لقول الشاعر حيث قال هذا البيت المفرد القويم

لا تؤخر لذة اذا أمكنت ✲ انما الدهر سريع العطب

(قال الراوى) فقال عنتر للملك المنذر ما أحسن ما تقول لو أن للفؤاد محصولا أو وصولا ثم ان عنترة حسر واستعبر وتنهد وأن وتفجر والتهبت ناره واشتعلت أسراره وتذكر بعاده عن محبوبته وأوطانه واشتغاله عنها بحوادث زمانه فأنشد وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

p. 289

فؤادى ما يسليه المدام ✲ وجسمى لا يفارقه السقام ✲ وأجفانى تبيت مقرحات
تفيض الدمع أذجن الظلام ✲ وغانية شجت قلبى بصوت ✲ يراوده النوى والمستهام
شغلت بذكر عبلة عن غناها ✲ وقالت لصاحبى هذا منام ✲ وفى أرض الحجاز لنا خيام
حلال الوصل عندهم حرام ✲ وبين قباب ذاك الحى خود ✲ رداح لا يحل لها الالمام

لها

لها من تحت برقعها عيون * مرام حشو جفنيها سقام * وبين شفافها مسك ذكى
وكافور يمازجه مدام * فما الليل اذ طلعت ظلام * ولا للصبح اذ بدت ابتسام
بلذ غرامها والوجد يحلو * ومن يعشق يذله الغرام * ألا يا عبل قد شمت الاعادى
يا بعادى وقد أمنوا وناموا * وقد لاقيت فى سفرى أمورا * تشيب من له بالمهد عام
وبعد العسر قد لاقيت يسرا * وملكا لا يحيط به الكلام * وسلطانا له كل البرايا
عبيد والزمان له غلام * بفيض ندى العطا من راحتيه * فما ندرى بحار أم غمام
وقد خلعت عليه الشمس تاجا * فلا يغشى جوانبه الظلام * جواهره النجوم وفيه بدر
منير لم يزل وهو التمام * وكل الناس جسم وهو روح * بها تحيا المفاصل والعظام
بنو نعش لمجلسه سرير * على والسموات الخيام * فدم يا أوحد الخلفاء وأبقى
* مدا الايام ما ناح الحمام *

(قال الراوى) لهذا الحديث وكان عنتر ينشد هذه الابيات و يردد ها وكسرى يميل من الطرب لانه كان فصيحا عارفا بلغة العرب ولما فرغت تلك الابيات قال وحق النار يا عبسى لو أعطيتك ملكى لكان أقل قليل فى مقابلة فعلك الجميل فان عطاءنا ينفد ومديحك لنا يبقى فتأن واطلب ما يكفيك فلعلنا على بعض فعالك نكافيك فقال عنتر يا مولاى وحق ذمة العرب انى بك قد بلغت آمالى واكتفيت من طلبى وسؤالى وحصل لى فوق آمالى ورقيت بك درج المعالى وأغنانى احسانك عن كل ملك كبير وسيد أمير بعد ما كنت طريدا فقيرا أسير ومثلك يا أوحد الزمان فى العدل والكرم ينطلق لسان العبد بالمدائح والاطراء له ويتكلم ويطلب منه ما يغنيه عن سائر الامم وأنا قد وقعت فى بحر ما له طول ولا عرض ولا أعود الا بما أفتخر به على أهل الارض لانى أعلم انى اذا عدت الى أهلى غمرتهم بفيض نعمتك وأخذت ابنة عمى بعلومهمتك وسعادتك ولا بد لى اذا عدت الى أهلى أن أعمل وليمة أفتخر بها على كل من فى الآفاق حتى يسمع بها من فى اليمن والشام والهند والعراق وقد اشتهيت أن يكون مثل هذا التاج على رأس ابنة عمى يزين مفرقها اليلة زفافها وما طلبت يا مولاى منك هذا الطلب الا لعلمى بغزارة عدلك وكرمك وان كنت قد أسأت الادب فان بحر حلمك تهرع اليه الخلائق من كل حدب (قال الراوى) يا سادة فتبسم كسرى من هذا الكلام وقال وحق النار المحرقة ذات اللهب لقد قنعت يا عبسى باليسير بلا تعب ولا نصب ثم انه كلم بعض خدامه بلغة الديلم فضوا وعادوا يحملون قبة من الديباج مغشاة بالذهب الوهاج وتلك القبة من الفضة البيضاء وعلى رأسها باز من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصفر ورجلاه من الزمرد الاخضر وذيل القبة مكلل بالدر والجوهر واللؤلؤ الخالص المدور والقبة تساوى ملك قيصر وقال كسرى يا عنتر هذه القبة تكون لابنة عمك تركب فيها اذا رحلتم من مكان الى مكان وهذا التاج تزف فيه عليك وتفتخر هى به على سائر النسوان ثم انه رفع اليه العمارية الفضة والتاج وقال بالله يا أخا العرب و يا كاشفا عنا الكرب أسألك أن تتمنى وان كان بقى فى خاطرك شئ آخر فقل لنا عليه واعذرنا فى التقصير فان الطارق علينا كثير فقبل عنتر الارض مرارا ودعا للدولة الكسروية بالدوام والاستمرار وقال له يا مولاى أنا قصير اللسان عن شكر هذا الاحسان ثم ان عنتر أنشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أصبحت يا ملك الدنيا بأجمعها * أثنى عليك بما أوليت من نعم
خولتنى منك فضلا لا أقوم به * اذ أنت أكرم من يمشى على قدم * فقت الملوك ملوك الارض قاطبة
وجود كفيك مثل الغيث منسجم * أنت الذى خضعت كل الملوك له * يوم النزال وكل العرب والعجم
تغنى وتوفى لمن والاك مرتجياله * جودا عميما يوافى نعمة النعم * فرحت عبدك بالتاج المنيف وقد

أصبحت ياذا العلا في الناس كالعلم * والعبد أصبح في وجد يكابده * من الصبابة والتبريح والسقم
أضحى بعيدا عن الاوطان حلف جوى * شوقا الى عبلة سهران لم ينم * ياعبل قد حزت ملكا من يدى ملك
كفاه تحكى لموج البحر ملتطم * فاق الملوك ببذل المال منذ نشا * معطى النوال طليق الوجه مبتسم
مولاى فامنن على الآن ياملك * بعودة نحو ارضى كامل النعم * فان قلبي مشوق نحو ارضهم
* لعل انظر ذاك الحى من اضم *

(قال الراوى) ثم انه قال ياموالاى اتم الفضل والاحسان بالسماح في العودة للاوطان فعند ذلك قال الملك كسرى للموبذان تول أنت يا أبانا أمره وانجز له طلبه وما رغب فيه وسيره الى أهله ولا تتركه يعود حتى تفتح له خزائن الاموال وياخذ منها ما يختار ثم زده اوفى مزيد وجهزه بعد ثلاثة ايام وعاهده أن يعود الينا في كل عام فأجابه الموبذان بالسمع والطاعة وامر غلمانه ان يرفعوا التاج والعمارية الى الدار التي جعلت برسمه ففعلوا ذلك فوثب منهم رجل يقال له رستم وثبة الاسد من شدة ما وجد كأنه البعير اذا شرد من شدة الغيظ والحرد وسار الى البستان وحوله جماعة من اصحابه والغلمان ودخل على كسرى من غير استئذان فقبل الارض وخدم ودعا له بدوام الملك والنعم فقال له كسرى اهلا وسهلا يا أوحد الزمان وخيار الاقوياء والشجعان ثم انه تبسم في وجهه فقال رستم ياموالاى لو كنت عندك بهذه المنزلة العالية ما كنت فعلت هذه الفعال مع عبد من عبيد البادية وجعلته لك ندما من جملة الجلاس ثم قال له ايها الملك ما الذى فعل هذا الاسود من الفعل العجيب حتى انك قربته منك هذا التقريب وغدا يمضي ويقول اخذت بسيفي من كسرى ما طلبت فلما سمع كسرى ذلك من رستم علم انه من شدة الحسد فزاد ضحكه من ذلك وقال لرستم اقعد يارستم واقض معنا اوقات السرور بقية يومك ودعون على نفسك امرك وكل الذى تحبه وتريده يكون فان هذا الرجل ما هو مثل من تعرف من الرجال لانه اوحد زمانه في الشدة والقتال وقد رفع عنا الهم بقتل البطريق وأزال ما كنا فيه من شدة الضيق ونريد ان نجعله لنا في كل شدة صاحبا ورفيق وكنتم بالامس مع البطريق في الميدان ونحن نستغيث فلا نغاث فما خرج منكم أحد وفرج همنا وكربنا وقتل البطريق وفصل حربنا وكان البطريق وحق ديني أراد ان يخذلنا ويرجع بالاموال والقماش والجواري والجواهر وأنتم صرتم بين يديه كالحريم الضرائر واليوم يارستم أنتم تشطرتم أم الشجاعة تعلمتم فقال رستم وحق النار ونورها اذا أشرق وشعاعها اذا أحرق وتفرق ما أرجع آكل لك طعاما حتى أقابض هذا العبد في الاتساع وأجاوله في الباع والذراع وتنظرني ما يسر الفؤاد والذى اعانه جماعة من العدى والاضداد والحساد فاغتاظ بذلك الملك كسرى وهو جالس وزادت به الوساوس والتفت الى عنتر وقال له أتدرى ياحامية عبس ما نحن فيه من المقال فقال لا وحق ذمة العرب لكنني أرى رجلا جسيما وسيما عظيما مثل الليث الغادر أو البيت العامر وكأنه يطلب قتال انسان فقال له كسرى صدقت فيما قلت وما أتى هذا الانسان الى هذا المكان الا ومراده أن يجرب شجاعته معك و يصارعك فقال عنتر ياموالاى أهو من أصحابك فقال نعم فقال عنتر ياملك الزمان فأنا ما أشتهي أن أوذيه وكيف تطاوعني روحي أن أدنو منه اواريه وقد رأيت من احسانك ما أنا فيه من غاية الكفاية وعلو النهاية وذا أمر لا أقدر ان افعله وهذا الذى أقوله ياملك الزمان ما هو خوفا منه ولا عجزا عنه ولكن خوفا من أن تحدث عني القبائل في كل شعب وواد وينسبوني الى الغدر والعناد ويقولون حضر عبد عند الملك العادل كسرى أنوشروان وأكل طعامه وبعد ذلك قتل رجلا من أعوانه وأصحابه ويذكرني الناس ياموالاى بالغدر والفساد فقال له كسرى ياعبسي كأنك اذا صارعته تقتله قال نعم ياموالاى لان الصراع نوع من أنواع الحرب والقراع ويحتاج الى الانصاف في الضرب والطعان واذا أبصر الرجل اللبيب حال الغلبة من خصمه

تاخر

تأخر وأما اذا كان أحمق وأنكر التقصير وكابر وحمل نفسه مالا يطيق فيغتاظ خصمه منه فيعدمه التوفيق
ويقطع عليه الطريق ويقطع رأسه بالسيف العتيق الرقيق (قال الراوى) فلما سمع الملك كسرى من
عنتر ذلك الكلام ضحك والتفت الى رستم وقال له اسمع منى ولا تصارع هذا الرجل فانه قد قال لى ما هو كذا
وكذا فلا تعارضه فانى أخاف عليك منه أن يغضب فيقتلك ويجعل عليك وها أنت بشانك اخبر فقال رستم
يا مولاى ان قتلنى فدمى له حلال وأنا وحق النار لا بد لى من مصارعته وان لم يفعل ذلك أسأت الادب فى
مجلسك وتقدمت اليه ولطمته فقتلته وبعد ذلك أنت الملك المحكم فى فقال كسرى من شدة ما أغاظه وما ناله
اخلع ثيابك وأنا أدعه يصارعك وأبيح دمك فعند ذلك فرح رستم وهمهم ودمدم وخلع ثيابه عن
كتفين هما أصلب من الحجر وصدر كأنه مرمر هذا والملك كسرى قد أقبل على عنتر وقال له يا عبسى اقبل
منى هذه المسئلة وصارع هذا الرجل الذى قد دنا غاية أجله وتعجب بنفسه وجودة عمله وان تحامق عليك
فجهل عليه وان أساء اليك فاقتله وأنت برىء من دمه لانه وحق النار ان قدر عليك قتلك فخذ حذرك منه
فعند ذلك قام عنتر وهو يقول والله يا مولاى انه يشق على هذا الحال ولكننى لا أخالف لك أمرا وتقدم الى
رستم وفى يده عود من الريحان وهو يتمايل غير مكترث بهذا الامر كأنه من الخمر نشوان وقد لعبت
بأعطافه نشوة الخمر وعيناه تتوقدان مثل الجمر وكان رستم قد تحزم وتشمر ولما نظر عنتر اليه رمى عود
الريحان من يده وشمر عن ذراعيه واداره بالله فى منطقته وقد ناله من الغيظ امر عنيد وصاح فى رستم
يا نسل الاوغاد دونك والصراع والجلاد حتى ترى فعال عنتر بن شداد (قال) وكان رستم قد انحنى الى
الارض كأنه القنطرة وهو غير مكترث بصراع عنتر لما يعرف من نفسه وما هو فيه من القوة والشدة والبراعة فى
الصراع والشجاعة (قال الاصمعى ياساده) وقد تقارب الاثنان فى الصراع واعتركا فى ذلك الاتساع ومن
شدة طمع رستم فى عنتر وحماقته هجم عليه وظن ان عنترا مثل غيره من الرجال ولما ان هجم على عنتر قبض
على قوائمه واراد ان يقلعه ويتعتعه ليهزه فوجده شجرة جوز لا تزول ولا تزول فعاد رستم يريد الخلاص منه
وقد ندم على فعاله ولم يوافقه تدبير اعماله وكيف فعل بنفسه فى مبارزته لعنتر وما أوقع نفسه فيه من
الضرر ثم اقبل عليه وعاوده ثانيا ودخل فيه بكل المعانى فأسرع عنتر الهجوم عليه من غير توانى وكان
عنتر فى ذلك الفن اصنع من ضرب الحسام الهندوانى فعند ذلك تأخر رستم عنه وهو لا يصدق بالخلاص
ولا بسلامة نفسه ثم انه هم ان يعود اليه دور ثالثا واذا بثلاثة قد برزوا من تلك الطوائف وكان هؤلاء اولاد
عم رستم وقد خافوا عليه من عنتر أن يبطش به فهجموا عليه فلم يأخذه منهم دهش ولا رعش بل بادر الى
واحد منهم ولطمه على وجهه فمال على قفاه ثم مال الى الثانى ولكمه فرماه وعاد الى الثالث ودخل فيه
ورفعه على رأسه وجلد به الارض فرض عظامه رضا واى رض وادخل طوله فى العرض واخلط أضلاعه
فى بعضها البعض فلما نظر الملك كسرى الى ذلك تعجب من عنتر وعظم لديه واقبل بكليته اليه وقال
احسنت يا اخا العرب وفارس بنى عبس المنتخب احسنت يا شير شاه ألحق هذا الكلب بابناء عمه ثم التفت
الى الطائفة التى خرج منها تلك الثلاثة وتوعدهم فماتوا من الخوف والفزع ثم ان عنترة قام الى رستم كأنه الاسد
الغشمشم وقاربه وداجمه ولازمه ومسكه من منطقته وزعق فيه فأدهشه واذله وخبله ورفعه حتى بان
بياض ابطه وصار معلقا فى الهواء على يده واراد ان يحمله الى الملك كسرى ويضعه سالما بين يديه فتخبط
رستم واراد الخلاص من يده ولطم عنترا لطمة على صماخ اذنيه فكاد ان يخلع رقبته ومن شدة ما جرى
على عنتر من لطمته ضرب به الارض فرض عظامه اقوى رض فلم يدع له طولا يعرف من عرض فمات
لوقته وساعته فلما نظر اصحابه الى ذلك الامر سلوا الخناجر وطلبوا عنترا ليقتلوه فصاح فيهم الموبذان وجميع
الغلمان واخرجوهم من البستان فخرجوا وهم يحملون رستم وقد عاد عنتر الى مكانه وقبل الارض قدام

كسرى وقال له يامولاى لقد أسأت الادب يامالك الزمان فى مثل هذا المكان ولكن اسمع ماقال عنترة بن شداد فصيح اللسان بعد الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان

قضت المنية ان يموت قتيلا * ويعود مقهورا معى مذلولا * ثبت يداك لقد علمت جهالة
وبها سلكت الى الفناء سبيلا * هل شاهدت عيناك فعلى فى الورى * والرمح يقرع فى الاكف نصولا
والخيل قد نفرت وماج صهيلها * والفارس الصنديد راح مهولا * ولهول صرخاتى ووقع مضاربى
وعروض قرعى للجبان قتيلا * ولقد خشيت على فراق زمانه * حتى غدا منه القيام طويلا
ياأيها الملك الذى هو عادل * والمجد سيمته استمع لى قيلا * واشهد على اسرافه فى فعله
حتى غدا فى دمه مجدولا * طلب الزيادة كى يعز بفعله * فتركته من بعد ذاك ذليلا
لو كان ذا اصل وطيبة مولد * تبع الصواب ولاعصى لك قيلا * لكنه قدحان وقت مماته
وأتت به الاقدار نحوى ميلا * حكم الاله بفعله فى موته * وقضى بذاك فصار بعد قتيلا
فاسلم ودم فى نعمة محروسة * طول الزمان ممجدا مقبولا

(قال الراوى) ففرح كسرى بذلك وقال له ياعبسى ان خصمك كان عليك باغيا فنعم ما فعلت به فقال يامولاى لو أردت قتله قبل رفعه من الارض لفعلت ذلك ولكن أردت ان احمله وأضعه بين يديك سالما فأساء الادب فى الفعال والخطاب فما كان له عندى سوى القتل من جواب فقال كسرى وحق النار لقد صدقت ياعبسى لانى قد زجرته فما انزجر لانه كان اجله قد حضر ثم عادوا الى ما كانوا فيه من الفرح والسرور وشرب كاسات الخمور حتى جن عليهم الظلام وحكم عليهم سلطان الكرى والمنام وتفرقت أكثر الناس فغمز الملك المنذر عنترة فقام ودعا للملك كسرى بالعز والدوام وقد انصرف وبين يديه الغلمان والخدام حتى أتى الى الدار التى جعلت برسمه فلما دخل تلقته الجوارى الروميات ومشين بين يديه الى ان جلس وجعلن يكبسن رجليه وبتن جميعا حواليه ولما أصبح الله تعالى بالسباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أتى الموبذان الى باب الدار ووقف حتى ركب عنترة وخرج اليه وخدمه وقبل ركابه فشكره الوزير على فعله وكلامه وسأله عن مبيته ومقامه * هذا وقد ركب الملك المنذر وساروا جميعا وجعل عنترة يقول للموبذان بالله يامولاى أدخلنى الى بيوت النيران حتى أبصر وقيدها وأتحدث فى دارى بما شاهدت ولاقيت من الشدائد والعجائب فقال له الموبذان وقد تبسم وتعجب ياعبسى أنا ما يمكننى أن أدخل بك بيوت النيران وأنت تستهزئ بها الان كنت تشير بالسجود لها فقال عنترة يامولاى انى لم أدخل للنيران الاعلى نية زيارتها بقلب سليم لانى أعلم انها آية من آيات الرب القديم رب زمزم والحطيم وما أنا جاهل بهذا الامر العظيم (قال) فلما سمع الموبذان ذلك الكلام من عنترة عجب منه وتحير وساربه الى أن أدخله الى المعبد الاكبر فرأى رجالا قياما وهم عراة الاجسام وفى ايديهم مقامع من حديد يقلبون بها النيران ويزمزمون بكلام اليهود وطريقة المجوس ويتلون ما يقولونه بانغام تطرب النفوس وتسلب العقل المعكوس وفى صدر المكان كبير خدام النيران وهو رجل كبير جالس على طراحة من جلود الاسود وهو يومئ ويقول بنود بنود كبود كبود ويتردد ويشير ويومئ لها بالسجود من دون رب البرية الخالق الموجود وأنا وأنتم نقول لا اله الا الله الملك الحق المعبود فلما رأى الموبذان بدأه بالسلام والتحية والاكرام فرد عليه السلام وكشف الموبذان رأسه ثم سجد للنيران ودار بها سبع مرات فرأى ذلك عنترة ففعل مثل ما فعل وقد حار عقله واندهل ففرح الموبذان وقال أفلحت ياعبسى ونجحت الآن وقد زاد قدرك علوا وما بقى وحق النار ينصر عليك عدو أبدا ولا يلم بجسمك سوء لأجل سجودك لهذه الانوار المكونة المكرمة فداوم على تعظيمها كذلك فى كل مكان تأمن من عبر الزمان وطوارق الحدثان وعثرات اللسان ويرتفع قدرك والشان فقال عنترة يامولاى ومن أين لنا

لنا نارمثل هذه أنتم تضرمونها بقرامى العود الرطيب القمارى وحطب العسجد والطيب فيظهر لها هذا النور العجيب ويفوح منها هذا النسيم الرطيب الذى يشفى العليل ونحن نضرم نارنا ببعر الجمال وقرامى حطب الغيلان ورؤس الاشجار فيعتكر لها دخان يدوخ الدماغ وتعمى به العينان فضحك الموبذان من هذا الكلام وعلم ان العرب لا يعبدون الا الاصنام ثم عادوا بعد مادار عنتر حول النار سبع مرار وقد جاش الشعر فى خاطره فباح بما فى ضمائره فأنشد وجعل يقول

قرامى العود توقد باشتعال * ووهج لهيبها فى الجو عالى * وطيب نسيمها أحيا فؤادى
اذا هبت بهار يح الشمال * ونور ضيائها بالنور يحكى * لوجه عبيلة ذات الدلال
وما طاب النسيم بها وانى * لعبلة ما اقول من المقال * ألا يا نار عبلة لا تشبى
ففى قلبى من لهيب النار صالى * وشوق زائد مما ألاقى * ودمعى قد جرى يحكى اللآلى
ونومى زال عن عينى فمن لى * برؤيا الطيف فى ظلم الليالى * وذكر عبيلة فى وسط قلبى
يهيج نار شوقى باشتعال * يطيب لى المقام بأرض قومى * فقير اليد لا أحوى عقالى
ولا أهوى الغنى فى دار بعد * ولو أن البلاد جميعها لى * ودخان العروق الخضر عندى
اذا ما فاح من بعر الجمال * ألذ شذى من العود القمارى * وأضوأ فى العيون من اللآلى
وما حب العلالى شاق قلبى * ولكن حب من سكن العلالى * أيا مولاى قد زاد اشتياقى
الى الاهلين جد لى بار تحال * وخذ دستور من ملك البرايا * مليك عادل بالمجد عالى
لانك أنت ذخرى واعتمادى * فكن لى راحما وانظر لحالى * فمالى فى الانام سوالك عون
على قصدى بجد لى بالسؤال * وعش وابقى سليمار ب ملك * يخلد ليس يفجع بالزوال

(قال الاصمعى) فلما انشد عنتر هذه الابيات ومدح فيها الموبذان الى أن مال لها طربا واهتز عجبا قال له يا أبا الفوارس لقد ملك الله أعجوبة الزمان وجوهرة هذا الوقت والاوان وقد حويت حسن الكلام وجودة الضرب بالحسام والصولة فى الحرب والصدام ثم انه خلع ما كان عليه ووهبه لعنتر ثم خرجوا من المعبد الاكبر وعادوا الى الدار التى اعدت لعنتر ودخل عنتر والملك المنذر ومضى الموبذان الى بين يدى الملك كسرى وشرح له عبادة عنتر للنيران وكيف انه سجد لها وكيف مدحه بتلك الابيات الحسان التى لا يمكن شاعرا أن يعمل مثلها فى هذا الزمان وقد ذكر فى النظم شدة شوقه الى الاهل والاوطان وطلب العودة الى ديار حتى يبل شوقه من ابنة عمه عبلة ويقر بها قراره وتنطفى ناره فقال الملك كسرى أيها الوزير لا تلمه على ذلك فان المحبة تدب فى الاجساد مثل البياض فى السواد فان دبيبها يدب فى القلوب وقد قيل فى الزمان الاول فى المعنى

وقائلة ماذا وقوفك ههنا * بعرصة دار قد برى وعك ذيبها
فقلت لها قولى الملامة واقصرى * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(قال الراوى) ثم قال الملك كسرى أنا قد رسمت له بجميع ما يحتاج اليه ولا أمن به عليه بل له المنة علينا فى قبوله وهذا عندى قليل فى مقابلة فعله الجميل وما مدحنا به من شعره ومقاله وقد وهبت له جميع ما جاء به البطريق من عند قيصر وقد أمرت صاحب بيت المال باحضار المال وصاحب بيت الكساوى باعداد الكسوة وما يتعلق به من السيوف والحراب والرماح والدروع والزرد السابغات والجواشن والكازغندات والخود الدمشقيات والخيول والخدم والحشم والغلمان والفحول المخصيات وجميع الحوائج والمهمات وآلة الحرب على أتم الحالات وقد كتبت بها أوامر الى جميع الخزان والنواب بتسليم هذا كله اليه وما بقى العتب على وقد صار العتب من هذه الساعة عليك (قال الراوى) فلما سمع الموبذان من الملك العادل

كسرى ما شرحه من جزيل النعم ووسيع العطاء والكرم قبل الارض ولثم ودعا له بدوام الملك والنعم
خرج من ساعته واستدعى بصاحب خزانة الاموال وسأله عما أعطى الملك كسرى لعنتر من المال فقال
صاحب خزانة الاموال والله يا مولاى قد تقدم أمر الملك العادل بتسليم مائة ألف دينار كسروية ذهب باسم
الملك العادل ومثلها باسم قيصر ومثلها من الفضة وألف ثوب من الديباج ومن سائر الاصناف برسم الخلع
على بنى عمه وألف ثوب منسوجة بالذهب الوهاج برسم ابنة عمه عبلة ومن سائر الحلى والحلل والاصناف كذلك
وعشر سراد قات كبار وما يحتاج اليه من بسط وفرش وغير ذلك بصناديقها وبغالها ومائة عبد وخمسين مملوكا
يلبوسها ولأمتها وسلاحها وسيوفها ورماحها وجميع آلة حربها وكفاحها ولقد أعطى الملك كسرى لعنتر
ما لم يعطه أحد من الملوك من قبله ولا من بعده ففرح الموبذان بذلك ثم أمر من ساعته لكل أحد بمارسم
الملك كسرى فأتوا بالجميع وساربه الموبذان وقال لعنتر اركب فركب وأخذ فى الوداع ثم خرج وركب الغلمان
خلفه وكان مقدم العبيد عبدا هما ما يقال له أبو الموت وهو عبد طويل عريض شجاع وركب الخمسون
مملوكا وسار الكل فى ركابه وهو فى موكب الى أن أتى الى خزائن الملك كسرى فقال له الموبذان يا عيسى قد
أمر الملك أن تعرض عليك خزائن الاموال فهما صلح لك فامدد يدك وخذ ولا تستحى فقال والله يا مولاى
ما أرانى الا قد نلت المراد وقد سر فؤادى بعطا يا هذا الملك العادل الذى ليس له بين الملوك مماثل فقال
له الموبذان لابد أن تأخذ شيأ لاجل خاطر الملك فعند ذلك مد يده وأخذ لابنة عمه بدلة جوهر مفصلة
بالياقوت الاحمر واللؤلؤ الكبار المدور وقال هذا النور عينى عبلة ولم يعلم بما أعطاه له الملك العادل كسرى
من الاموال والثياب المزركشة بالذهب والقلائد ثم قال عنتر للموبذان أنا يا مولاى قد طلبت من النار حاجة
ولم أعلم هل تقضيها لى أم لا فقال له الموبذان وما هى الحاجة يا أبا الفوارس فقال يا سيدى قد طلبت منها
العودة الى الديار لأهلى عن قريب من غير بطء ولا تغريب فقال له الموبذان يا عنتر ما النار الا قد قبلت
دعاءك وغدا تغدو تسير الى أوطانك ونحن لا نلومك اذا طلبنا قربك وأنت تطلب البعاد لانك مسلوب
الفؤاد قليل الرقاد كثير السهاد فقال والله يا مولاى بلادكم أحسن البلاد وأنتم أحسن العباد
ولكن اذا كان شوق الانسان كل ساعة يزعجه وهبوب ريح الحبيب يروعه وقلبه ليس هو معه ولا يعلم
ما يضره ولا ينفعه فكيف يتبع من لا يتبعه ثم ان عنترا أن وبكى واشتكى وأنشد وجعل يقول

هاج الغرام أدر كؤس مدامى * فعسى تغيب النفس عن آلامى * ودع العواذل يعتبوا فى عذلهم
فلقد هويت اللوم من لوامى * بدنو الحبيب فان تناءت داره * عنى فلا أصفى الى الاحلام
فكأن من قد غاب جاء مواصلى * وكأننى أومى له بسلامى * زاد البعاد وأطنب الدهر الذى
ما زال يمضنى بفرط سقامى * ولقد لقيت شدائدا وأوابدا * حتى التقيت بها وعز مقامى
وقهرت أبطال الوغا حتى غدوا * جرحى وقتلى من فعال حسامى * وأنا الذى سجدت له جن الفلا
وخلقت موتا والقضاء أمامى * ما راعنى الا الفراق وجوره * والدهر والايام من خدامى
فلأصبرن على الحبيب ولو نأى * عنى وزاد مدى الزمان غرامى

(قال الراوى) فرق له قلب الموبذان وعلم أنه شديد الهيمان فأخذه ودخل به على كسرى وكان قد جلس
ذلك اليوم فى الايوان فلما صار عنتر بين يديه خضع وخدم وباس الارض وسلم فرحب به كسرى وأدناه
وقربه وحياه وضحك فى وجهه عند ملتقاه وسأله عن ماله وأحضر الخمر وأسقاه الى أن أقبل الليل
باعتكاره ولم يتركه كسرى يخرج من عنده تلك الليلة الى الصباح ولما أشرق الفجر ولاح حدث
الملك بما ذكرنا من شوقه الى الاوطان فأذن له بالعودة وخلع عليه وعاد الممالك والغلمان والخدام بين
يديه ولما ان وصل الى مكانه ودخل الى الدار التى هى فى ذلك الوقت له قرار فتبادرت اليه الجوارى وهنوه بما

قد

قد نال عند الملك كسرى من السعد والاقبال ولكن هو في بحر الهوى غارق فتذكر الاهل والاوطان والاصدقاء والخلان فأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

جالت خيول ودادي بعد ابرامي * والشوق بين ضلوعي والحشا نامي * لامت أناس على عشقي وما علموا
بأن منزل عشقي في الهوى سامي * وعدت من فرط مابي تائها قلقا * من الصبابة خافي صار قدامي
ياعبل هل نظرة تطفي بها كبدي * من الغرام وتشفي كل أسقامي * ياعبل ماشئ يروق لناظري
من بعد بعدك أو يحيين جسامي * ياعبل قد طال الفراق فما الذي * تختار دالايام من اعدامي
ياعبل هل تدرين ماأنا واجد * من دمعة تنهل فرط غرامي * وتزايد الشوق المبرح في الحشا
وتغير الصبر الجميـــل النامي * رق لصب مغرم أحشاؤه * صارت جذاذا من عظيم هيام
انى ليحيني الوداد على اللقا * وأصد عن عذلي وعظم ملامي

(قال الراوي) فافرغ عنتر من هذه الابيات الا وقد وصلت اليه تلك البغال محملات والاموال التي رسم بها الملك كسرى مع المماليك والجواري فقال عنتر للموبذان يامولاي لمن هذه الاموال والبغال فقال لك ياعنتر يا أبا الفوارس أعطاك اياها الملك العادل كسرى وأنت عن ذلك غافل وبعد هذا تقدمت العبيد والغلمان الى بين يديه وبرزت الاحمال والاموال وشدوها على البغال وفوضوا الآلات وخباء الارتحال وحملت جميع الصناديق التي فيها الخلع والاموال والملابس الغوال (قال الراوي) وكان للملك كسرى مرزبان يقال له مهروان وكان أخا الخسروان الذي قتله عنتر وهزم جيشه حين كان في أسر الملك المنذر فلما أن رأى عنتر وقد أخذ الاموال وفوض خيام الارتحال تقدم الى بين يدي الملك كسرى وقال أيها الملك العظيم الشان الرفيع الذكر والمكان ما الذي تقول عنك ملوك الزمان اذا أنت أطلقت المال لعبد أسود حجام ليس له قدر ولا شان ولا له ذكر بين العربان وقد قتل حاجبك الخسروان وكسر جيشه وكانوا عشرين ألف عنان من الاعاجم وعباد النيران فما تقول عنك الملوك الا أنك خفت من سيفه والسنان وربما يطمع فيك قيصر ملك عبدة الصلبان وقد قتل عندك بطريقه في وسط الميدان وصار له عليك ثار فتجهز اليك عساكره وهي تحاكي قطر الامطار والرأي عندي انك تأخذ من عنتر ما أعطيته له من الاموال وتذيقه أنواع العذاب والنكال فلما سمع الملك كسرى أنوشروان هذا المقال قال ويلك يامهروان وما الذي تقوله عني ملوك الزمان اذا قالوا كسرى أنوشروان أعطى لفارس من الفرسان جزيل الاموال وأتحفه بالعطاء والافضال ورجع فيما أعطاه من الاموال وجعله عنده في الاسر والاعتقال فقال مهروان ياملك الزمان اذا كان قولك هذا المقال ولم تفعل ذلك النكال فاحضره بين يديك وقل له ياعنتر انى سمعت عنك من الملك المنذر أنك قتلت أسد اقدامه وأنت مقيد الرجلين مطلق اليدين فاذا قال لك نعم أيها الملك ان هذا الذي سمعته عني صحيح فقل له ياعبسي انى أشتهي أن أتفرج على قتالك للاسد حتى يشهد لك بذلك كل أحد وأحضر له الاسد الذي ربيته وسميته خميس فانه أسد عبوس وليث شروس ولا يستطيع أحد من جيشك أن يقابله ولا يقف قدامه ولا يقاتله فان هو قتله فيكون قد استحق منك هذه الاموال ويكون من الشجعان الابطال وما يكون له في هذا الزمان مثال وان كان الاسد يحمل عليه ويقتله فتكون أنت قد حزت أموالك وأرجعت اليك رحالك وتعذرك الملوك بهذا السبب ولا يصير عليك في ذلك لوم ولا عتب (قال الراوي) فلما سمع الملك كسرى من المرزبان هذا الكلام بقي متفكرا فرأى كلام المرزبان من الحسد فأمر الموبذان أن يرد عنترا وأمره بالمهلة في الرحيل وأمره بالحضور لي بين يدي الملك لاجل أمر قد عرض عليه فعندها أتى الموبذان الى عنتر وأمره بالمهلة في الرحيل وأن يحضر قدام الملك كسرى فقال سمعا وطاعة ثم أمر العبيد بحط الرحال عن الجمال والبغال وسار مع

الموبذان حتى انه حضر بين يديه فى الايوان ولما حضر بين يديه خضع وخدم بعد ما سلم فأجلسه كسرى فى مكانه الاول ولم يغير عليه شيأ مما فعله وقال له يا أبا الفوارس اعلم انى قد سمعت من الملك المنذر بأنك قد قتلت قدامه أسدا وأنت مقيد الرجلين مطلوق اليدين وأنا أشتهى أن أرالك تبارز قدامى أسدا قد ربيته صغيرا وهو الآن قد صار أسدا كبيرا وما أحد من الفرسان يقابله ولا يقف قدامه من شدة فعائله فقال له عنتر يا مولاى وأنت لاجل أسد أرجعتنى والى قتل كلب من كلاب البر غيبتنى وحق ذمة العرب ما ظننت انك دعوتنى الا لامر عظيم أو خطب جسيم أو جيش كبير أو جحفل غزير وبعد هذا فدونك ايها الملك وما طلبت فانى به ملىّ وبقتاله وفىّ (قال) فعند ذلك امر الملك كسرى باحضار الاسد فضت الغلمان وغابوا ساعة وعادوا واقبل عشرة وهم ماسكون بجنزير ذلك الاسد كل خمسة من جانب وهم سائرون الى ان وصلوا الى الايوان قدام الملك كسرى أنوشروان صاحب التخت والايوان الكبير العطايا والاحسان وهم يجرون اسدا كأنه الثور طويل قد جلله الوبر وهو يمشى ويتخطر ويطير من عينيه الشرر وله انياب احد من النوائب ومخاليب اشد من المصائب وهو اسد شدوق شدقم عبوس ضيغم افطس ادغم اذا همز همهم وهو اسود كالليل اذا أظلم وأعتم كأنه القضاء المبرم بشدق كأنه القليب وأنياب كأنها الكلاليب وهو كما قال فيه الشاعر اللبيب

وليث عبوس تصدع القلب وثبته * وترتعد الابطال من عظم صرخته * شدوق تراه كالقليب وعينه
كشعلة نار فى الدجا حين نظرته * وأنيابه مثل الكلاليب ان بدت * تروع قلوب الناظرين لرؤيته
اذا مارأته الخيل ولت شواردا * الى القاع تهوى من تعاظم سطوته

(قال الاصمعى) ولما أقبلت به الغلمان وقفوا به قدام الايوان وهو يهمز ويكفهر وصوته كأنه الرعد القاصف فلما رآه كسرى أشار الى عنتر وقال له باشاه تازيان أريد منك ان تبارز لى هذا الاسد الغضبان ولا تخالف قولى ياسيد الفرسان فقال سمعا وطاعة لك يا ملك الزمان ثم انه أدار اذياله فى دور منطقته وأخذ فى يده اليسرى قفته وبيده اليمنى سيفه الظامى وقد دارت فى رأسه نخوته وتذكر ابنة عمه عبلة فأنشد يقول

A309 يا ليث فاحذر أن تكون فروعا * واحمل علىّ فلست منك مروعا * واهجم علىّ فانى لا أنثنى
عن قتل مثلك لا أكون هلوعا * ان كنت تزعم ان وجهك عابس * فأنا العبوس ولا أكون شنيعا
واليوم تضحى فى الفلاة مجندلا * وتخرّ فى هذا المكان صريعا * أنا عنتر العبسىّ والبطل الذى
ذكرى غدا فوق السماك رفيعا * فلاضربنك ضربة تبقى بها * فوق التراب مبضعا تبضيعا

(قال الراوى) وهو الاصمعى المؤلف لهذا الكلام فلما نظر الملك كسرى الى عنتر وقد قال هذه الابيات علم أنه فارس لا يخاف السباع ولا يخشى صولة الشجاع فأمر الغلمان أن يطلقوا الاسد من السلاسل الى ذلك البطل الحلاحل الذى ليس له مماثل حتى يرى كيف يفعل به فعند ذلك أطلقوه من تلك الجنازير وهو فى قدر الفيل الكبير (قال الراوى) فلما رأى عنتر أنهم أطلقوه دنا منه وزعق فيه وزمجر وبين يديه قد ظهر فلما عاينه الاسد وقد أقبل اليه وصمم بسيفه الظامى عليه اجتمع حتى صار كالتليه وامتد حتى صار كالتليه وهدر وزمجر وقفز على عنتر فعندها تلقاه عنتر وفى يده حسامه الصامى الابتر وحاوله محاولة الاسد الليث الغضنفر فمع وثبة الاسد ضربه عنتر بالظامى الابتر ضربة بين عينيه فطلع الحسام من بين فخذيه فوقع على الارض قطعتين وسقط فى وسط ذلك الايوان جزءين وصار بين الحاضرين طريحا ممدد وما فى بطنه قد تبدد وصاح عند ذلك عنتر باللعرب العرباء السادات النجباء أهل الكرم والرتب وحاد عنه فصاح كسرى من عجبه أحسنت يا فارس الاقطار أنت حقيق شاه تازيان وشيرشاه يعنى ملك العرب وسبع أسود وحق النار والنور ثم انه دعاه الى بين يديه فأقبل عنتر اليه وقبل الارض قدامه فشكره كسرى

واتى

واتى عليه وخلع كل ما كان لابسه على جسده من الملبوس وأفرغه عليه ثم انه أقسم بشعاع الشمس انه لابد من قتل المرزبان مهروان ولابد من أخذ جميع ماله من الاموال والنوال والجوارى الحسان والغلمان والمال والملابس الغوال فعند ذلك ضربت رقبة المرزبان وسلبت نعمته وأمواله وخيله وجماله وعبيده وغلمانه وجواريه واخدانه ولقى سوء أعماله ومضت ليالية وأيامه وتبدد سائر أحواله (قال الراوى) ثم ان كسرى قال لعنتر يا فارس بنى عبس اعلم أن هذا المرزبان كان اشار علينا ان نقتلك ونأخذ جميع ما اعطيناك من الاموال واشار علينا بسوء الحال وشؤم الفعال ونحن قد عرفنا بالعدل والاحسان فى سائر البلدان فاشتهيت ان اجازيه بنقيض ما عليه والآن قد رجع بغيه عليه وعاد سوء تدبيره اليه وكان رزقه نعمة أنعمت بها النار عليك فخذ الآن جميع ماله وارحل الى ديارك ولا تقطع عنا زيارتك ولا مراسلة اخبارك (قال الراوى) فعند ها نهض عنتر وباس الارض قدامه ثم ان كسرى أمر أجناده بالركوب لاجل وداع عنتر وسار الملك المنذر وقد فرح بما وصل لعنتر من اموال قيصر ملك الروم وبما اعطاه الملك كسرى وباخذ اموال المرزبان مهروان وبعلو العرب على العجم وبما وصل الى عنتر من جزيل النعم وخرج الموبذان وكسرى لوداع عنتر وكل من فى المدائن من الاجناد والوزراء والحجاب وسار وامعه الى ان ابعدوا عن الديار وانتشروا فى الفلا حتى ملؤا الاقطار فعند ذلك ترجل عنتر بن شداد عن ظهر الجواد وقد نظر اليه عند ذلك الخلائق والاجناد وتقدم وقبل رجل كسرى فى الركاب وقد فرح بفعاله جميع من معه من الاصحاب وانشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

انت الملك الذى ما مثله ملك * وجوده شاع بين السهل والجبل * اغنيتنى منة بالمال ياسندى
ومن عطاك غيوث الوابل الهطل * انت الرجا لجميع القاصدين اذا * قد عم عسر مع الاقتار والمحل
اوليتنى نعما لم احص عدتها * من بعد ما كنت بين الخوف والوجل * وجدت بالمال والانعام فى سعة
من جود كفيك يا مؤلى ويا املى * انت الذى خضعت كل الملوك له * مع الجبابرة العظماء والاول
يامن غدا فى ذرى العلياء منتصبا * يعلو على قلة الجوزاء والحمل * فانعم ودم فى سرور دائما ابدا
* ما غردت ايكة فى دوحها الخطل *

(قال الراوى) لهذه السيرة فلما سمع كسرى من عنتر هذه الابيات وهذا المقال والنظام زالت عنه الاتراح وحلت بقلبه الافراح وتوفرت لديه المسرات وزالت همومه والحسرات ثم انحنى اليه واومأ عليه وأدناه اليه وقال له وحق من غرب الغرب وشرق الشرق ان عطاءنا لا ينفد ومدحك لنا لا يبقى فعند ذلك قبل عنتر يده واسافل رجليه وشكره واثنى عليه ثم ودعه كسرى وسأله ان يعود اليه كل سنة ويزوره ولا ينقطع عن بلاده فى كل عام ولا يغفل عن انفاذ كتبه والسلام عليه ثم رجع كسرى وسار عنتر طالبا الوصول الى بلاده واحبابه واهل وداده صحبة الملك المنذر وقد دارت به العبيد والخدام وفى اوائل العبيد عبد همام فناداه عنتر وقال له ما اسمك فقال يا مولاى اسمى ابو الموت وكنيتى جالب الآفات فقال له عنتر كن مقدما على العبيد وأدر بالك من بغالك ورحالك فانك عندى لا تضام فقبل يد عنتر ومضى الى خدمته وكانت المماليك بالسلاح الكامل على الخيول العربية وهم سائرون يقطعون الرباوالآكام ليالى وايام وعنتر يشاغل نفسه بالاشعار ويتذكر الطلول والديار وهو ينشد ويقول هذه الابيات ونحن وانتم نصلى على سيد السادات

من معينى على زمان عادى * ما يرى لى فى الدهر من اسعاد * عبث الدهر بى الى ان عدانى
كل سقم الم فى اجسادى * وملكت القفار فردا وحيدا * بين غيلانها بقفر المهاد
ذاك من روعة فى فؤادى * اجمت فى الحشا غليلا صادى * واقتراب الحياة منى تدانى
مذ ألم الزمان فى ابعادى * يا نسيم الحجاز بلغ سلامى * لعريب ببطن ذاك الوادى

وتلطف فى ذكر وصف هيام * وغرام ماان له من نفاد * واشتياق ولوعة وزفير
وعيون لم تكتحل برقاد * وانتزاح عن الحبيب ووجد * ووداد اكرم به من وداد
(قال الراوى) هذا والملك المنذر يشاغله بالحديث والاشعار ويحكى له على غرائب الاسمار حتى وصلوا الى الحيرة فخرج اولاد الملك المنذر الى لقائهم وخرج معهم الخاص والعام ودخل الملك المنذر المدينة فى يوم مشهود لا يعد من الاعمار والعرب قد حارت من تلك الاموال التى لا تعد ولا توصف ونظروا الى العمارية المفضضة والخدم والعبيد والاماء والبغال والجوارى والمماليك المتدرعين بزرد من بولاد القائدين الجنائب العربيات بجلالات آبريسمية كسرويات وابو الموت مقدم العبيد كأنه النمر الاذعر او الاسد الغضنفر فانبهر الناس مما رأوا ورجعوا من الخيام مع الملك المنذر الى ان دخل القصر وجلس فى دار مملكته ومحل عزه وقد أخلى لعنتر دارا واسعة رحبة وأمره بالدخول فيها فابى وقال يا ملك العرب وحياتك ما بقيت اقدر على المقام أكثر من ثلاثة أيام (قال الراوى) ثم امر عنتر غلمانه ان ينصبوا له الخيام فنصبوها وركزوا الاعلام ونصبوا له السرادق الاحمر الكبير فخرج كل من فى مدينة الحيرة وارض النعف يتفرجون على خيام عنتر وسرادقاته ثم ان الملك المنذر اصطنع وليمة عظيمة حسنة جسيمة واستدعى بعنتر اليها فمضى اليه فرآه قد نحر الفصلان والنوق السمان وذبائح الضان وروق المدام فأخذ الناس فى اللهو واللعب والفرح ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلب عنتر الرحيل فأجابه الملك المنذر الى ذلك وقد علم بما فى قلبه وأمر له بألف ناقة من النوق العصافير محملة من هدايا العراق وطرائف الآفاق ووهب له خمسين جنيبا من جنائب الملك من أفخر الخيول العتاق ومائة عبد ومائة جمل محملة صناديق ومائة جارية ومائة عبد أجلاد معودين بالجلاد فسار مع الامير بدر الدولة عنتر بن شداد مائتا عبد صنديد أسود من كل فحل أمجد معودين بالحرب والطعن والضرب والمماليك على خيولهم برماحهم وسيوفهم ودم بالسلاح الكامل
(قال الراوى) ولما أراد عنتر الرحيل قال له الملك المنذر يا أيا الفوارس خذ معك رجالا من عسكرى ولو مائة فارس يسيرون معك الى قومك حتى انهم يوصلونك اليهم ويعودون فقال عنتر يا ملك الزمان أيش هذا المقال مثلى لا يحتاج الى غفير ولو مالت على الجبال فى صور الرجال ثم انه شكره وخدمه وودعه ولم يدعه يسير من الحيرة كما سار كسرى معه بل قال يا مولاى ما أعد هذا الانعام الذى وصل الىّ الا منك ومن نعمتك وما أنا الا من بعض خدمك لانك أطلقت لما أسرت وعفوت لما قدرت وجدت بالاموال وتكرمت فلا زالت سيوفك مسلولة وأموالك للقاصدين مبذولة ثم انه قبل الارض وأخذ يشير اليه ويمدحه ويقول صلوا على طه الرسول

يا أيها الملك العظيم الاكبر * أبشر فما احد بفخرك يفخر * الجود يجمعه ثناؤك والندا
كف يفيض به وكف تخبر * هذا وكم من كربة فرجتها * زالت بحاجتها ووجهك مسفر
فيض الندى من كفه متدفق * وترى أنامله تفيض وتقطر * حسن القراع سيوفه مسلولة
كالبرق تلمع فى ظلام يعكر * لا قاصر عما يريد من العلا * والناس فيها قاصر ومقصر
جود العطا من كفه متواصل * والسحب من بعض الاماكن تمطر * أعطيت من مولاك كل فضيلة
وقهرت كل غضنفر يتقدر * قصرت مساعى الناس دون محله * والمجد حشو بنانه والخنصر
حاز المناقب والفضائل والعلا * والبأس والجود الملك المنذر

(قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر كلامه قال واعجبا من هذا الرجل كلما قلنا انا جازيناه ببعض ما أولانا رجع بفضله علينا ومقاله وغمرنا بجميل أفعاله وقد بنى لنا منزلة شريفة بمدحه ونثره ونظامه وملئت جميع الاقطار بطيب كلامه ثم ان الملك المنذر ترجل عن جواده وسلما اليه وخلع أثوابه وأفرغها عليه

وودعه وعاد الملك المنذر الى الحيرة وسار عنتر والعبيد بين يديه يسوقون الاموال والنوق والجمال والخيل والبغال وهو فرحان ببلوغ الآمال مع اقتداره على الاعداء الاندال الا أنه قد أسقمه الى علة الاشتياق واستقبل ارض الحجاز من أرض العراق وقد استنشق أرياح العلم السعدى وأرض الشربة وتلك النواحى فبكى وأن واشتكى وحن ثم انه ناح وبسره باح فجرت دموعه غدران فتمنى أن ينظر الى الاحباء والاخدان ثم لما هبت عليه الرياح من تلك النواح الفساح باح بما فى قلبه بعد أن فاض وساح وجرت دموعه على خديه فانشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

نسيم ربا أرض الشربة أحيانى ✲ وأحيا فؤادى أم نسيم من البان

وهاتيك نار أوقدت لعبيلة ✲ أم البرق من اطلال هاتيك بغشانى ✲ فيادارها لازال ربعك آنسا

باترابها مع كل أهل وجيران ✲ ترى سهرت عينان ياعبل ليلة ✲ كما سهرت من أجل بعدك أجفانى

وأشجالك فى الاسحار نوح حمائم ✲ تحن بأصوات وترجيع أشجان ✲ ترحلت عن مغناك من غير ما قلى

ولكن بنى عمى على واقصانى ✲ رمانى الى بحر المنا بافخضته ✲ بابيض ماض فى الحروب يمانى

ضربت به عنق الزمان فارجفت ✲ صروف الليالى طارق الحدثان ✲ ضربت به عنقا لحاجبهم ضحى

ولم أختشى من صاحب الايوان ✲ ولاقيت فى أرض العراق فوارسا ✲ تعداذا اشتد القتال طعان

وأجلسنى سعدى مكانا من العلى ✲ تقاصر عنه كل بدو وعربان ✲ وعدت بمال الكسروى وقيصر

ونوق وأصناف الخيول وغلمان ✲ وعند وصول الحى نبكى حواسدى ✲ كما ضحكت يوما وشيبوب ينغانى

هموطلبوا بالغدر قتلى وبادروا ✲ بان المنا بافى ذباب سنانى

(قال الراوى) وقد جد فى عنتر المسير يقطع الروابى والمناهل والقفار ويطلب المنازل والديار الى أن توسط الطريق فوصل الى أرض يقال لها ذات المناهل وكانت أرضا كثيرة العيون والجداول مخضرة الجنبات طيبة الرى وفيها الوحوش كثيرة آمنة من سالك أو عابر وكان عنتر اذا قرب من منزل يوصى العبيد بحفظ الاموال ويتقدم هو بنفسه الى المنزل يكشف الاحياء ويتبصر الاحوال فلربما يكون أحد مكمنا والعبد أبو الموت يعرف الطرقات وهو شيطان مارق ثم يقف فى المفارق حتى تصل اليه الاموال وكان يفعل هذا مخافة من العدو حتى وصل الى ذلك المكان الذى يقال له ذات المناهل كما ذكرنا فسار عنتر حكم ما جرت به العادة ليكشف المكان حتى أنه ينزل فيه الاموال واذا هو بخمسة من العبيد الذين للعرب وهم نزول فى ذلك المكان ومعهم هودج على رأسه هلال من الذهب الاحمر ومن داخله شخص يبكى ويتحسر وينادى من قلب جريح واويلاه واذلاه بعدك ياعنتر واقلة ناصرى ووحدتى فى هذا البر الاقفر قد غابت أسود الغاب وتحكمت فينا الكلاب فلا عاشت بعدك ذوو الاحساب كمثل عمارة الندل الذى سمى الوهاب باذل الحريم بعدك ياابن العم قد قدر علينا الغريم وحل بابى وأخى البلاء والتدمير بنيهم على وعلى الجسير القتيل الذاهب ذهاب ابناء السبيل ثم أنشدت تقول

أين عيناك فارس الثقلان ✲ كى ترانى فى ذلة الخذلان

مع أناس لايحفظون ذماما ✲ لا ولا يرجعون للرحمن ✲ أنت ما كنت للزمان خؤنا

غادرا فيه لم تذق لهوان ✲ موت مثلى خير له من حياة ✲ بين قوم اسافل خسوان

طول الله مدتى بعد فعل ✲ كان يحمى الديار مع نسوان ✲ فسقى الله قبره صوب غيث

هاطل سائلا مدا الازمان ✲ فلقد كان فارسا يقهر الاسد ويفنى الابطال فى الميدان

(قال الراوى) فقال لها العبيد ويحك يا لخناء لو كان فارسك الذى تزعمينه حيا لكان يهلكه طارقة الليالى وآفة الزمان وكنت ترين مايصنع به من الاهوال فاسكتى وقرى والا هلكت (قال) فلما سمع عنتر هذا الشعر

والنظام قلق قلبه وهام واخذه الوجد والغرام وتقدم وقال للعبيد يا ويلكم لمن هذه الخيام ومن هو الذى يريد النزول فى هذا المقام من العرب الكرام ومن هذه الجارية التى تبكى وتتحسر وتنادى باسم عنتر فقال له بعض العبيد ولم يرفع راسه اليه اغد يا وجه العرب ودع عنك الفضول ولا تسأل عن شئ لا يعنيك والا اصبحت مقتولا فسر واوسع فى هذه القيعان قبل ان يأتيك طارقة الزمان ويشرف عليك ويأسرك ويضيفك الى من هو مأسور معه من الفرسان الذين هم سادات عبس وعدنان فخفق فؤاد عنتر من هذا الخبر وبقى فى هم ونكد وفكر وقهر شديد وهم ان يجرد حسامه ويهوى به الى العبد الذى كلمه واذا بسجاف الهودج قد انفك وارتفع وظهر من تحته جارية تخجل الشمس والقمر اذا طلع وهى تنادى يا ابن العم أانت على قيد الحياة وفى عداد الاحياء وانا فى ايدى الاعداء وأقاسى الهم والبلاء ثم رمت روحها من الهودج الى الارض وهمت ان تقوم وتتعلق بركابه فلم تقدر وأغمى عليها من شدة نيران الجوى فتأملها عنتر فاذا هى ابنة عمه عبلة فصاح بها من عظم ما به وما اصابه من النوائب وقال واويلاه يا ابنة العم ما هذه المصائب ومن هو الذى اتى بك الى هذه البيداء ومن اين وصل اليك هؤلاء العبيد ابناء الاماء واولاد اللئام ثم انه هم ان يترجل اليها واذا بالعبيد الذين كانوا معها عادوا الى ظهور الخيل وصاحوا عليه فلما رآهم هموا ودمدم فلحقه العبيد ومدوا اليه رماحهم فدعنتر اليهم سنان رمحه واستقبل الاول منهم بطعنة فى صدره فخرجت تلمع من ظهره واعتمد الآخر بطعنة فى جانبه فقلبه والتفت الى الباقى ولما راى الثلاثة العبيد الآخر الى هذا الطعن المنكر عادوا على اعقابهم وطلبوا رؤس الروابى والشعاب وهم لا يلوون على طريق ولا يصدقون بالنجاة فرجع عنهم عنتر ولم يتبعهم وهو كأنه الاسد الهصور والليث الغضنفر لان قلبه متعلق بابنة عمه عبلة ويريد ان يسمع كلامها ويعرف ما الذى اوقعها فى هذه البرارى والقيعان وما السبب فى وصولها الى هذا المكان ﴿قال الراوى﴾ وكان لسبب هذا الامر حديث عجيب وامر مطرب غريب نحب ان نسوقه على الترتيب ونسمع من يصلى على الحبيب ﴿وذلك ان شيبوبا لما رجع سالما من بنى شيبان وجزم بأن اخاه عنتر قد سكن رمسه بين الشجعان والفرسان وكان قد كبا به الجواد ونجا هو بنفسه فى كل شعب وواد فسار وهو يندب الليل والنهار عند الغروب والشروق وطلوع الشمس حتى وصل الى ديار بنى عبس ونعا أخاه فى الاحياء وقد كشف راسه وشق لباسه فارتفع البكاء وتبادر اليه الرجال والنساء والعبيد والاماء وسألوه عما تم وجرى فأخبرهم كيف انه ترك اخاه مرميا فى اقطار الارض والفلا بعدما كان قد بلغ مناه واخذ النوق العصافير وفاز بذلك الملك الكبير وتبعته الخيل فى عدد لا يحصى له مدد وكبا به الجواد كما ذكرنا فلما سمعوا بذلك وشاع فى بنى عبس الخبر شق شداد ثيابه وبكى ورمى مضاربه وقبابه وكذلك فعلت اخوته زخمة الجواد مثل فعاله وكذلك فعل احباب عنتر ومنهم مالك بن الملك زهير والحارث اخوه واجتمع الكل عند شداد ومزقوا الثياب والجلابيب ورموا عمائمهم وتباكوا وتناحبوا وصاحوا وقالوا واذل بنى عبس بعدك يا فارس الزمان والعصر والاوان واقام شداد يرثى ولده عنتر الفارس الغضنفر وهو عليه يبكى ويتحسر ثم انه انشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

حل المصاب بنا وزاد عكوسا * لرزيه قدمت تثير البوسا * فقد الشجاع القيل عنتر يالها
من نكبة وفجيعة وعكوسا * هاقد مضى فلكم أسال مدامعا * حزنا عليه وكم اذاب نفوسا
يا سفرة فى ساعة مذمومة * ما كان اشنعها عليه عروسا * اسفى على من غاب منا فى الثرى
وغدا رهين جنادل مرموسا * بكت السماء لفقده وغيابه * دما واصبح غيثها محبوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه * والافق اظلم وانكسف شموسا * والبدر منخسف غدا فى لجة
حزنا عليه حين لاقى البوسا * خلت المواكب والمجالس من فتى * عبس وفارق ربعه المأنوسا

يا

يا آل عبس قد فقدتم فارسا * كم قد فقدنا جما وفلكا حبوسا * يردى الفوارس عند مشتبك القنا
قد كان فى حد المصاب عبوسا * قد كان ليثا فى الحروب غضنفرا * حامى العشيرة فارسا عمروسا
ويل لعبس سوف تاتى بعده * ذلا وتنهبها الليوث الشوسا * قد طال ما صان الحريم من العدا
من بعد ما ترك الديار هموسا * ارداهم بسنانه وحسامه * وسقاهم بالسمهرى كؤسا
فلا يكن عليه ماهب الصبا * بدامع تجرى وترى العيسا

(قال الاصمعى) ولما سمع ذلك الامير مالك بن الملك زهير جرى على قلبه مالم يجر على قلب احد من البشر وفاض دمعه وانحدر وكذلك الحارث ابن الملك زهير وكل منهما رثاه بقصيدة ثم ان الامير مالك ابن الملك زهير طلب مضارب ابيه وهو حافى الاقدام وزجى اليه عنتر بن شداد ودموعه منحدرة بانسجام فدق بيده على يد وانفذ خلف شيبوب واستعاد منه الحديث فاعاده له فقال لقد كانت عبلة مشومة على عنتر وعلى بنى عبس الاخر ولقد عمهم شر الادنى والاقصى ثم قال واين مالك ابو عبلة واراد ان يقابله على مافعل مع عنتر فقالوا له يامالك هو وولده غائبان عن الاحياء ومافى بيوتهما غير النساء وقد جرى عليهم من الهم والحزن والكمد مالم يجر على قلب احد وكان الذى اخبرمالكا بذلك صادقا لان عبلة لما خلا لها المكان هتكت ستر الاحتشام ونشرت ذوائبها على اكتافها كانها حنادس الظلام ولطمت بين اترابها وعجب من فعالها جميع الحضار وهتكت لاجل عنتر ابن عمها استار الحياء وجلباب الوقار وصارا لناس منها فى عجب وكان ابوها واخوها قد كثر عليهما الكلام فى الحى وصار المحبون لعنتر اذا رأوهم يلومونهم على مافعلوا ويقولون لهم انكم قصرتم فى حق عنتر حامى العشيرة ورميتموه فى بحر الهلاك والهوان وتركتم قبائل العرب تأكلنا وتتخطفنا من كل جانب ومكان وحق اللات والعزى لئن قتل وتمكنت منه العدا فلا نبقى من اعدائه فى الحى احدا ابدا وكان شداد قد اسمع أخاه مالكا غليظ الكلام أيضا وبجره وابعده ولم يعد يسلم عليه ولا يسأله من حين غاب ولده عنتر وقال له يامالك انه كان لنا ولك يد نتصول بها على حوادث الزمان فقطعتها وعدمت منها البنان ولكن سوف تعلم اذا اشتبكت القنا من يخلص ابنتك ومن يمنع عنها الشر القادم ويدفع فلما رأى مالك ذلك أراد أن يقطع الزمان فى القفار والقيعات ولا يرجع يعود الى الحلة ويقيم فى الذل والهوان فخرج هو وولده وهما بسلاحهما وقد أخذا معهما جماعة من الحى نحو خمسة عشر فارسا وسارا والاجل ان يكسبوا لهم شيأ من بعض أحياء العرب وكان الزمان هجيرا وحره شديدا فسارا يقطعون البر والفلا حتى وصلوا الى أول أراضى بنى كنانة وابلوا يوما لا يقدر أن يلقى الصاحب فيه صاحبه من شدة الهجير والحر والزفير وهبت عليهم نسائم السمائم من سائر الجنبات وتلهبت الاحجار واتسعت فى أعينهم الطرقات وأعوزهم الماء واشتد بهم الظمأ وزاد بهم العطش واعتراهم الدهش والفت الشمس حرها على الاكام وازرقت وجوههم والشفاه وأيقنوا بالتلاف والوفاه فعند ذلك قال مالك لولده عمرو ياولدى قد أضر بنا الظمأ وقد اعترانا العطش وحل بنا الدهش فحرك جوادك لانه كريم ومافى خيلنا أجود منه ومافيها أصبر منه وانزل الى هذا الوادى الذى عن يمينك فعساك أن تقع لنا فيه بمنهل وتعود الينا على عجل والا هلكنا ودنا منا الاجل فعند ما حرك عمرو جواده وهمزه ونزل به الى ذلك الوادى وسار الى أن توسطه واذا بارض متسعة ومرج حاو من كل الازهار وطيوره ناطقات وعيونه نابعات وفيه من سائر الالوان أزهار وأشجار عليها من سائر الاثمار وقد تجاوبت على أغصان الاشجار سائر الاطيار من شحرور وبلبل كما قال فيه الشاعر

انظر الى حسن لون زاهر بهج * وصوت نغمة ذاك الطائر الغنج * ما بين زهر ونوار وبينهما
فواكه قنصت فى منظر بهج * والعين والقلب يرتاحان من نظر * به يعود انقباض النفس للفرج
والطير يظهر من أصواتها نغم * وكل نوع من الاشجان فى وهج

ومن هزار وشحرور وفاختة * تلهيك شجوا عن الاتراب والدعج
والارض قد كسيت من زخرف نضر * كأنها حلل من سندس بهج
فاطرب ونزه بذا عينيك فى نظر * تريح نفسك من هم ومن حرج
وخذ نصيبا فما الاوقات دائمة * ولا الزمان بباق غير منزعج
وكن لطيفا كريما لينا فطنا * تحظى بعيش رخيص السوم مبتهج

(قال الراوى) ورأى عمرو بجانب النهر بيتا من شعر مضروبا ورواقا منصوبا ورمحا على باب المضرب مركوزا وفرسا معدودا مسرجا ملجوما فلما رأى عمرو ذلك خاف أن ينزل الى الماء فوقف ينظر الى الماء والخباء وأطال نظره واذا فى باب الخباء امرأة عجوز تامة الطول بوجه واسع كأنه دائرة الترس الواسع بشعر أبيض ثم انها صاحت بعمرو وقالت له ياويلك ما الذى أتى بك الى هذا المكان وأوقفك على مسكن الاسد الغضبان باقرنان وابن ألف قرنان فقال لها عمرو اعلمى يا أم الفرسان انى قادنى الظمأ وطلبت هذا الماء وشم الهواء فمن أى الناس أنتم وكيف اتخذتم هذا المكان مسكنا وفيه نزلتم وجعلتموه لكم وطنا فقالت له العجوز يا غلام اما نسبتنا فنحن من بنى كنانة أهل الصدق والوفاء والامانة وأما مقامنا فى هذا الموضع فان الاسود لا تسكن الا فى الدحال ونحن كذلك على هذا الحال مقيمون بين الشعاب والاوعال فبينما هى تتكلم مع عمرو وتخاطبه واذا قد خرج من داخل الخباء غلام طويل فى تقاطيع الفيل كبير الرأس شديد البأس عظيم الهيكل تلوح الشجاعة من بين عينيه وتشهد له الفروسية لا تشهد عليه وكان هذا الفارس يقال له واقد بن مسعدة الكنانى وكان غضبان على قومه وبنى عمه وقد نزل فى هذا المكان وأمه بصحبته ولما ان خرج وأبصر عمرا وهو واقف مع أمه يخاطبها وتخاطبه غضب وقدح من عينيه الشرر وزعق عليه بصوت مزعج يصدع الحجر وقال له ويلك من أى الناس تكون أنت يا من هو كأنه مجنون أخبرنى وعجل واقتصر فى الكلام قبل أن أعدمك حسك وأسكنك رمسك فعندها قال له عمرو وقد صارت عيناه مثل الجمر يا فتى تأدب فى المقال ولا تحتقر بالابطال ولا تستهون بالرجال فأنا من بنى عبس الكرام الفرسان الذين تسميهم العرب أبطال المنايا والحرب والطعان (قال الراوى) فلما سمع واقد ذلك الكلام زاد به غيظه وحمقه ونادى اسكت يا ابن ألف قرنان ويا ابن الاماء ويا ولد الزنا وحق اللات والعزى لقد انتسبت الى قوم غير كرام فانهم قد أدخلوا العبيد فى أحسابهم فأى خير لكم يذكر انزل وسلم سلاحك ونفسك قبل أن يحل بك الهوان فقال عمرو حقيق انه عاب نسبنا بذكر عنترة لما صار ابن عمى ان هذا الرجل قد صدق ولكن لابد أن أمحو عن نفسى ذلك بالحسام ثم رأى واقد قد ركب جواده بعد هذا الكلام واستلب رمحه وهزه وجذب الحسام وطلب عمرا مثل الاسد الضرغام وانقض عليه كالبلاء المبرم وخطفه من سرجه خطفة النسر القشعم وحذفه من يده الى ورائه فعند ذلك شدته العجوز بالكتاف وقوت منه السواعد والاطراف فأبطأ خبره عن أبيه وساء ظنه فيه وركض فى طلبه وبنو عبس خلفه تطرد الخيل الى أن أشرفوا على المرج المقدم ذكره فرأوا الشاب واقفا على جواده وعمرو يئن فى شداده فصاح مالك آه واولداه ثم حمل على واقد من شدة ما دهاه وواقد قد انقلبت فى أم رأسه عيناه واشتد حنقه وبلاه واستقبل مالكا استقبال الارض العطشانة أوائل المطر وصرخ فيه صرخة تفلق الحجر وطعنه بعقب الرمح فى صدره فقلبه على ظهره وغاص بعد ذلك فى الخيل فانزل بركابها الويل وما أتى آخر النهار حتى قتل خمسة وطرح على الارض سبعة مجروحين وبقى ثلاثة فسلموا نفوسهم اليه لما رأوا الموت الاحمر بين يديه فشدهم كلهم بالكتاف حتى أشرفوا على التلاف وعاد وهو مسرور الفؤاد بفعاله فتحركت عنده النخوة العربية فانشد يقول هذه الابيات

اذا ذل فى يوم الوغا كل سيد * حميت حريمى بالحسام المهند * فعال غلام يلتقى كل نكبة

ويعلم

واعـــــلم أن المرء غير مخلد * ويلبس من حر الهجير ملابسا * ويطرق تحت الخيل وجلباب سودد
سلى عبس عنى يا أمية واعلمى * فعالى بهم واثنى على طيب مولدى * سقيتهمو لما أتونا من الظما
بكاس مرير الذوق غير مبرد * وعادت سراة القوم تدمى جراحهم * وبعضهم فى البر يبحث باليد
فمن برد الماء الذى قد وردته * بواد تروح الجن فيه وتغتدى * أنا الليث الاانى غير عابس
أنا البحر الاانى غير مزبد * كنانة قومى باب كل فضيلة * وأهل المعانى والفخار الشديد
ولى همة ما نالها قط فارس * علوت بأعلى النيرين وفرقد * أتانى بنو عبس يريدون قتلتى
وقد سقتهم سوق الاسير المقيد * ولو شئت أفنيت الفوارس كلها * وأسقيتهم كأس المنية من يدى

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره رجع الى خبائه ولما كان من الغد أراد أن يحضر بنى عبس و يطالبهم بالفداء واذا قد أتاه عشرون فارسا من وجوه بنى كنانة حتى انهم يترضونه و يرجع معهم و يعطوه مهما طلب ومايريد ولما رأوا فرسان بنى عبس عنده مأسورين ازداد عندهم قدره وأجاب بنى عمه ورحل معهم وبنو عبس يساقون بين يديه فى غاية الذل والانكسار فلما وصل بهم الى الحى وقعت البشائر والتقاه قومه بالافراح وقد تباشرت العشائر لما أن رأوا معه بنى عبس وافتخروا به وضرب خيامه ومن الغد أحضر مالك بن قراد وولده عمرو وعياض بن ناشب وسائر الفرسان وطالبهم بالفداء والمال والنوق والجمال وأكثر لهم من المقال فقال عياض بن ناشب ياوجه العرب لا تطلب منا الا على قدر حالنا فانا من صعاليك العرب واكبر من فينا ما يملك الا فرسه وسيفه والسنان واعلم اننا ما خرجنا من بيوتنا فى هذه النوبة الا من الفقر والفاقة وما فينا من يملك جملا ولا ناقة فقال له ياعبسى ما انت الا حاذق فى المقال وكل فرسان العرب يجحدون ان ليس لهم نوق ولا جمال اذهى رأت الاسر والاعتقال وأنا لابد لى من ضربكم بالسياط حتى تقطعوا على ارواحكم المال والا أدعكم كذا كذا سنة فى العقال (قال) فبينما هم كذلك واذا بامرأة عجوز دخلت عليه ودنت منه وسلمت عليه ثم قالت له ياولدى ياواقد أنت ترى الشيخ العبسى قال نعم قالت له ياولدى له بنت وحياتك لم يولد مثلها فى أحياء العرب وليس لها مثيل فى هذا الزمان والرأى عندى أنك تطلبها منه وتطلقه من العقال وتحظى بوجه الهلال وبقوامها الغصن المياس وان لم تكن أوفى من هذا المقال فلمى فى البكرة وعند الزوال

(قال الراوى) فلما سمع واقد من العجوز هذا المقال والكلام هاج فؤاده وهام واشتعلت بفؤاده نار الاضطرام ولهيب الغرام لانه كان يعرف صدق العجوز لانها صديقة أمه من سنين وأعوام فتركها حتى انصرفت واستدعى بمالك أبى عبلة بين يديه وقال له اعلم ياوجه العرب من بنى عبس انى كنت معولا على ضرب رقابكم لما طلبت منكم الفداء وسمعت قول أصحابكم والآن قد سمعت من هذه العجوز مقالا وهو سبب اطلاقكم من الاسر والوثاق فقال مالك وقد فرح غاية الفرح ووكف طرفه ودمع وما الذى سمعت ياوجه العرب فقال له أريد أن تزوجنى بنتك عبلة فقد وصفتها الى هذه العجوز وانها عندى لصادقة فى المقال فقال مالك وقد فرح بخلاص نفسه بعد الاياس اعلم ياموالاى انك بهذا الامر أحق وأوجب ولكن ياولدى حديثى عجيب وحديث ابنتى غريب ثم ان مالكا ابتدأ وحدثه بحديثه من الاول الى الآخر وقال له ولا بقى يمكننى الا الحيلة وما ارى أوفق من رحيلنا الى أرضكم بالكلية وأكون تحت ظلك بكرة وعشية لانى أعلم أن الملك زهيرا وأولاده بعد عنتر ما يجاورنا ولا يطيب لنا معهم عيش ومقامنا هنا أصلح فعند ها قال واقد والله ياشيخ ان هذا كلام ما يصدقه عقل ولا يجوز على اذنى انك تخلى قومك ووطنك و بنى عمك وتقيم عندى فى بنى كنانة وأنا لا أطلق من بنى عمك أحدا حتى أرى بنتك عندى وملك يدى والا ضربت رقابكم وسرت الى بلادكم وآخذها غصبا وأملأ أرضكم خوفا ورعبا وأملكها سلبا ونهبا ثم أنشد يقول

دع عنك ذكر محال الزور والكذب * يا أندل الناس فى الاجسام والعرب

تظن ويحك أن الزور يخدعنى * لكى تنال الذى ترجوه من أرب
لاضربن رقاب القوم أجمعهم * وأجعل الخيل تشكو سرعة التعب
بطل أشوس وضرغام اذا انبسطت * يداى فى الحرب كالاطيار فى الطلب
وأشبع القوم تربا ثم أملك من * حلت بقلبى ولى ثم فى عصبى

(قال الراوى) فلما سمع ذلك مالك قال له ها أنا أحلف لك بالرب القديم وأعاهدك انى ما قلت باطلا ولا حدثتك الا بما أنا فاعل وها أنا سائر أنا وولدى وما أبطئ عليك أكثر من ثلاثة أيام أو سبعة أيام وأعود اليك بغاية المقصود وان أنا أخلفت قولى معك فاضرب رقاب بنى عمى ودعنى أنا المطالب بدمائهم وتأديبهم وتأديبهم الى أهلهم فقال له عياض بن ناشب وكان من جملة المأسورين يا مالك ما كان أشأم من هذه السفرة التى كان أولها أسرا وآخرها ضرب رقبة فقال له مالك يا ابن ناشب لا تلمنى على ما أنا قائل واعرف قدر هذا العمل لانى قد سمحت بابنتى وطاب على قلبى ترك أولاد عمى واخوتى على انى ما أترك أحدا منكم ينطلق حتى تؤتونى موثقا على يد هذا الماجد انكم تكتمون حالى ولا تحدثون بنى عبس على فعالى (قال الراوى) فقال عياض يا وجه العرب من هو القرنان الذى يقول أو يخبر بهذا الشان كيف نقول وقع بنا فارس واحد قادنا قود البغال وشدنا فى القيود والاغلال وحق ذمة العرب ان نحن خلصنا هذه النوبة من سوء الحال وعدنا الى أهلنا والعيال ورجعنا نطلب الاهل والديار فلا نعود نطلب مكسبا ولا جمال وما زالوا فى كلام وجدال حتى انفصل الحال بأن مالكا أبا عبلة يسير الى بنى عبس هو وولده عمرو ويدبرون ما يتم به الامر ويسير واقد بعده بثلاثة أيام فى جماعة من بنى عمه ويكمن فى الشعاب والآكام من أرض الشربة والعلم السعدى حتى يخرج اليه بابنته ويسلمها له فيأخذها ويعود الى قومه وقد عاهده على ذلك وصافحه وناكحه وسار من يومه يطلب ديار قومه وعياض يقول له عليك بسرعة العودة فى الحال والا هلكنا فى الشد والاعتقال فسار مالك وولده عمرو وهما يقولان لا نبطئ عليكم أكثر من مسافة الطريق عشرة أيام ثم ساروا يجدون السير حتى وصلوا الى ديار بنى عبس وعدنان وهما لا يصدقان بالنجاة ودخلوا الى ديارهم فى الليل فأبصروا الديار منقلبة بالنواح وهم يبكون على عنتر فى المساء والصباح فقال مالك لولده ما هذه الا بئس الفعال ثم قصدوا أبياتهم ونزلوا عن خيولهم ودخلوا بجانب البيت فرأوا قبرا مبنيا وابنته عبلة بجانبه تبكى وتكثر النواح والتعداد وهى لابسة السواد ودموعها على خديها منسجمة وقد قطعت خدودها وهى تنشد وتقول هذه الابيات

يا قبر فيك ثوى ابن عمى عنتر * أم لحده قد حل بين ضلوعى
لهفى عليك مجندلا فوق الثرى * تبدى أنين الواله المفجوع
قتلوه ظلما واشتفت أعداؤه * لما رأوا ذلى لهم وخضوعى
والله لا ملكت روحى غيره * يوما ولو جاؤا بألف شفيع
لا كان مالك قد أراد بعاده * عنى ولم يرثى لسيل دموعى
ولقد سعى لفراقنا بخداعه * لهفى لعنتر ساعة التوديع

(قال الراوى) فلما رأى مالك من بنته هذا الحال وسمع ذلك المقال علم ان ابنته صح عندها قتله فأظهر الرياء والمحال والبكاء والاعوال وقال لزوجته ويلك ما هذه المصائب وعلى من هذه المآتم والنوائب فقامت اليه زوجته وحولها جماعة من الاماء وهن مسلوبات الذوائب مشققات الثياب من الجوانب فقالت ويلك ان ابن أخيك عنترا قد صح موته وما بقى هنا أحد الا عدوك ويدعو عليك فعند ها زاد به البكاء ومزق ثيابه وقال وحق ذمة العرب ان الرب لدعائهم قد استجاب ونفذ فينا وجرى علينا ما لم يكن فى حساب وبعضنا قد قتل وبعضنا قد أسر ونسبونا الى الزور والمحال وما بقى لنا مقام فى هذه الديار ثم عاد الى ابنته وقبل رأسها وعينيها ولم ينكر عليها وقال لها ترفقى بحالك يا بنية ولا تفعلى هذه الفعال فقد قتلت نفسك دون بنات عمك

فاقلى

فأقلى من البكاء والاعوال فقد حملت نفسك من الهم والغم أشد أحمال لا تطيقها الجبال ولم يزل يترفق بها في الكلام والمقال ويزخرف لها حتى ردها عن البكاء وبعد ذلك قصد أبيات أخيه شداد فرآه قد سوى الاهوال فلما رآه كذلك عزاه وقال له يا أخي قد حكم الرب القديم بهذا وأنت يا أخي اليوم سيفنا القاطع ودرعنا المانع وقد نفذ فينا حكم القضاء ودارت علينا الايام ويحق لنا أن نقرح الجفون لهذه المصيبة العظمى التي عمت الاقصى والادنى والرجال والنساء ثم دنا منه ليقبل رأسه ويعزيه فالتفت شداد بوجهه عنه وقال يا مالك دع عنك هذا النفاق والله ما قتل ولدي الا أنت بإنفاذك له الى أرض العراق بمكرك ليأتيك بالمهر والصداق من الجمال والنياق وحق ذمة العرب لولا ما بيننا من الاخوة والنسب لكنت أخذت ولدك في ولدي ولو كان ما يسوى قلامة ظفره وكنت أحرق عليه كبدك كما أحرقت كبدي ولكن أبيض له من يأخذ منك ثاره ويقابلك بما فعلت حتى تعلم فيمن فرطت فلما سمع مالك من أخيه شداد هذا الكلام عرف أنه لم يبق له في بني عبس مقام وصارت له حجة يرحل بها من الديار ويسير بأدلة ليلا ونهار فرجع الى أبياته وأخبر زوجته بما لاقى في سفرته وقد أعلمها بأنه زوج ابنته وان بني عمه في الاسر والاعتقال وكيف انه ضمنهم من القتل وأوصاها بالكتمان فقالت له زوجته وحق اللات والعزى يا مالك لو علم بنو عبس بهذا الحديث ما أبقوا علينا ولا تركوا منا أحدا لاننا قد قل شاكرنا وكثر شاكينا رقاموا يتأهبون للرحيل وقد أخفى مالك أمره من أجل الرجال الذين تركهم في الاسر والاعتقال وخاف أن يعلم به عمارة فلا يمكنه من الرحيل لانه أيضا طمعان في عبلة (قال) وكان عمارة غائبا عن الحي لانه سمع بنبي غنتر فما وسعته الدنيا ونادى ما أسعده من يوم وزاد ضحكا وابتسام وأنشد يقول هذا الكلام

اليوم يوم مسرة وسداد ✻ قد نلت فيه مطالب الاسعاد

واليوم عندي ألف عيد مقبل ✻ متكامل في بهجة الاعياد ✻ من حين اقبل نبي عبد أسود

نسل اللئام وعبد سوء بادي ✻ وأنا الفتى السامي الفخار اقد علت ✻ بمناقبي الآباء مع أجداد

(قال الراوي) ثم ان عمارة لما بلغه نبي غنتر قال في نفسه هذه عبلة قد بقيت لي وأريد أن اسير واكشف الحال وما أعود حتى يفرغ عزاء بني قراد ويهدأ الحي ويعود مالك وولده عمرو واجعل أخي يتوسط في هذا الامر وأتزوج عبلة ثم ان عمارة من شدة فرحه أخذ عروة بن الورد وعشر فوارس أخر وغزا بلاد اليمن وعلم أبو عبلة بذلك فخف عنه بعض ما كان يجده من الغم وأقام ثلاثة أيام وهو ينتظر واقد بن مسعدة الكناني الذي زوجه بعبلة حتى يأتي اليه ويسير معه فبينما هو كذلك واذا هو بعبد قد دخل عليه وقال له يا مولاي قد وصل سيدي واقد وهو الآن مكمن في وادي الظباء ومعه ستون فارسا من شجعان قومه فانظر أنت الآن ما عندك من المقال فقال يا ولدي عد اليه وأخبره بأننا راحلون اليه بالظعن والعيال رحيل من لا يرجع الى الاوطان فعاد العبد اليه وأخبره وصبر مالك الى أن انسدل الظلام وهدم خيامه وحمل مضاربه على ظهور الجمال وأركب عبلة وعول على الارتحال فقالت عبلة يا اماه ما هذا الخبر وما هذا الحال فقالت لها يا بنية انه ما عاد لنا في هذه الارض مقام لان الاحبار ضجت منا لاجل فقد عنتر وقالوا ما قتله الا ابوك وهو وحياتك ما أنفذه الا ليأتي بالنوق العصافير لاجل علو منزلتك عند العرب حتى لا يقولوا زوجها العبد جبان قليل القيمة بين الفرسان والآن قد جرى ما جرى وصار اهلنا اعداء ونريد ان نبعد من بينهم مدة من الزمان فاذا انطفت النار رجعنا الى الديار والآن ان قدم عمارة يعاونه اخوه ويأخذك منا غصبا ونحن ما بقي لنا محام ولا نصير ولا حجة نحتج بها وقد عرفت انك ما تشتهيه وانا ما ارضى ان اغصبك على الزواج ولا اريد الا ما تريديه فقالت والله لم يطاوعني قلبي ان آخذ احدا من بني زياد ولا غيرهم من سائر العباد ولا يحب قلبي غير عنتر بن شداد الذي نال الفخر على جميع العباد ولا ازال عليه اتحسر الى ان اعدم السمع والبصر ثم انها بكت واشتكت وانشدت تقول

ياقلب صبرا على شوق اكابده * وكيف يهدا السقيم ماله راقى * وكيف ترقاد موع طال ماسمحت
لفقد اروع ناضى العزم غيداق * من كان فى الفضل والامجاد مرتقيا * عالى الدعائم فى عزا العلا راقى
لاءبكين عليك الدهر ماهتفت * حمائم الايك فى دوح واوراق * وكيف يصبر ذو وجد وذو حرق
* مقلب القلب فى وجد واشواق *

(قال الراوى) كل هذا ولم ينكر عليها ابوها بل انه سار من اوّل الليل ولم يلتفت اليها وصارت ارضهم بلاقع وربوعهم خالية فقال بنو عبس * الى حيث القت رحلها ام قشعم * ومن جملة القائلين الملك زهير لقد الفينا فى الفارس الاروع والقيل الصميدع لاحياه الله ولا بياه ما اكثر غدره وما اعظم حيلته وحق ذمة العرب لولا ما بيننا من النسب لكنت قابلته على فعله قبل ان يرحل (قال) وسار مالك بأهله حتى اشرف على وادى الظباء واذا بصهره قد لاقاه ومعهم اسارى بنى عبس وهم مكشوفون الرؤس حفاة فقال عباض بن ناشب كثر الله خيرك هكذا يكون عرسك فبينما هم فى الكلام واذا بعبلة قد اقبلت وخلفها الظعن فقال مالك تسلم زمام زوجتك وطيب قلبها فلعلها تألفك واعلم اننا اسرنا بجميع ما غلكه من مال ونوال وعيال ومابقى لنا معول الا عليك من دون الابطال (قال الراوى لهذا الكلام) فقالت عبلة ياويلكم من هؤلاء الاقوام ومن يقال لهذا الغلام فقال لها اخوها هذا معتق رقبتى ورقبة ابيك لاننا اسرنا واطلقنا رغبة فيك وقد زوجناك به ونريد من هذا اليوم ان نجعل ارضه لنا مسكنا ووطنا لانه صاحب المقال الصادق والامانة وهو سيد بنى كنانة (قال) فلما سمعت عبلة ذلك الكلام صارت دموعها على خديها فى انسجام وقد علمت ان اباها احتال عليها ومكر بها فخرقت ثيابها وعظم مصابها ونادت واذلاه واقلة ناصراه وابن عماه واعتراه وامصيبتاه من هؤلاء العتاة الظالمين ويلك ياعمرو ما الذى الجأكم لهذه الفعال ومن هو الذى طلب منكم الزواج حتى انكم تزوجوه ومن فعل هذا الفعل من العرب حتى انكم فعلتموه فقال لها عمرو ياعبلة اعلمى انه قد جرى السهم بما فيه فارضى بملك ولا تخالفيه فانه فارس لا يلتقى مثله فى الفرسان وليس له منافس اذا جالت الفتيان والاقران ثم انه هم ان يلوى جواده فرمت نفسها الى الارض وحثت التراب على وجهها وصارت تنادى والهفاه عليك ياعنتر فياذلى بعدك قاتل الله من قتلك ومن الى طرق المهالك أرسلك أما من مجير أما من نصير اما فى البر من غيور او رجل مذكور يخلصنى من هؤلاء الظلمة ويجعلنى له امة ثم انشدت تقول

دمع سفوح اثار السقم فى جسدى * والنار تضرم فى الاحشاء والكبد
هل من مجير يفادينى من النكد * ومن بلاء فقد اوهى الضنى جلدى * هذا كانى من الاشواق والهمى
قد خانى الدهر فى ليث الوغا الاسد * مفلق الهام والاضلاع والزرد * وهازم كل جيش فاق فى العدد
جودى عليه جفونى بالبكا ترحا * حتى ارى الدمع يروى منه كل صدى
وانت ياوحش فى البيداء كن جزعا * وانت يارمق لا تنقضى وزد
ما كان هتكى فى القيعان من صفتى * صبرا فانى لا اشكو الى احد

(قال) وكانت عبلة تقول هذه الابيات وواقد ينظر اليها والى ما قد اعطيت من الجمال والقدوالاعتدال وقد رشقته من لحاظها بنبال وكان ابوها واخوها قد سبقا له وعلما بما جرى عليها وسارا وتركاها فلما فعلت بنفسها تلك الفعال نزل اليها اخوها عمرو وعوّل على ان يضربها ويردها الى هودجها فقال له واقد وقد رق قلبه عليها وقال أنا اتلافى قلبها وازيل عنها كربها ثم انه تقدم اليها وصار يتعطف بها ويقول لها لا تفعلى يانور العين ومن هى الروح التى بين الجنبين ولا تقتلى نفسك بغير سبب وأنت سيدة بنات العرب وصاحبة الحسب والنسب فاصبرى حتى أوصلك الى الديار وأنا أجعل فى خدمتك الاماء والاحرار وأتحفك بالملابس الفاخرة والنعم الغامرة يا ابنة السادات الاخيار فأنا واقد ابن مسعرة الكنانى صاحب النسب العدنانى

وكل

وكل العرب تعرف شانى وترفع قدرى ومكانى وتخضع فرسانها الى اذا نزلت ميدانى وما فى الزمان لى مقارب ولا مدانى ﴿قال الراوى﴾ ثم اقسم عليها وقال لها بحياتى عليك ارجعى الى هودجك وأنت مكرمة ودعى عنك ذلك العبد ولد الزنا ثم دنا منها وأراد أن يقبلها بين عينيها ويردها الى هودجها واذا هى قد دفعته فى صدره فألقته على ظهره وصاحت اخسأ وتأخر يا أخس العرب ويا الرذل من دق فى البيداء وتداوطنب فلما سمع أبوها كلامها قام هو وأخوها وقد علاهم الخجل فدنوا منها ووقعا بها بالسوط على أكتافها وقالا يا لخنا أبلغ من قدرك أن تخاطبى بملك بهذا الخطاب وهو سيد جميع الاعراب ثم جرد حسامه وضربها به صفحا فقالت له ويلك يا أخى شلت أنامك وقطعت مفاصلك يا أذل العرب وأقل الرجال وأوحش الاوباش ما هذا الحال وما هذه الاحوال والفعال وأنت تدعى وتقول انك من الابطال ياويلك اضربنى بالحسام ودعنى طريحة فى الآكام والا أنتم بقيتم معيرة بين الابطال لانكم أنسقتم سوق البغال وفديتم أنفسكم من الاسر والاعتقال بجارية غربتموها عن أهلها فقابلكم الله على هذه الفعال وسلط عليكم غلبات الرجال فعند ذلك داخل عمرا الغضب به وجلدها بالسوط حتى أسال دمها ورفعها الى هودجها غصبا عنها وقال لواقد أيها السيد لا تسمع مقالها فما عليها معول لانها ان صارت فى أرضك تألفك ثم عاد الى جواده وركبه وأخذ بزمام ناقتها وساقها ثم عاد الى أسارى بنى عبس وأطلقهم وسار بالقوم وعبلة قد أقلقت البر بالصياح وقد أقلق واقدا صياحها وآلمه بكاؤها وتمكن من قلبه عشقها وزاد فى حبها وهواها وهو لا يصدق متى يصل الى حيه سالما ويدخل الى ديار قومه ويفوز منها بالمنى وينال ما يهواه وهى سائرة لا تنشف لها دمعة ولا تخمد لها لوعة بل تنادى باسم عنتر وتلتفت الى كل ناحية فى ذلك البر الاقفر وتبكى وتتحسر وتذكر ما قد نزل بها من النوائب والعبر وتتألم من هذه المصائب وتنشد وتقول هذه الابيات

ونار حزنى أطفى تلهبها ✲ بدمع عينى والاشواق تشعلها ✲ ياظهر عبس فى تجلدها
ولا حياة لها بالصبر تشغلها ✲ وكيف تخفى عليك بلوتها ✲ حتى ترق لها وتعدلها
سائرة والسياط فى يدهم ✲ يضربنها والدموع منهلها ✲ ياعز عبس فلو بقيت لها
كان على النيرين منزلها ✲ ومالها مسعد يساعدها ✲ على بلاها الا تذللها
وبلاه من نكبة بليت بها ✲ صبرى ضعيف عنها ومجلها ✲ ليت المنايا الى سائرة
بكاس حتف من قبل اسألها ✲ قد رشقت قلبى باسهمها ✲ كما رمتنى بالنكل انصلها
والهف قلبى عليك فارسها ✲ قد ذابت الروح من تعللها ✲ لو نظرتنى عيناك يا املى
كشفت عنى الخطوب أهولها ✲ منى عليك السلام ما هتفت ✲ حمائم الدوح فى تعللها
أولمع البرق فى الدجا سحرا ✲ أوهبت الريح فى تصللها

﴿قال الراوى﴾ وجد القوم فى المسير حتى امسى عليهم المساء ونزلوا على الماء وقدموا العبلة العشاء فلم تستطع بطعام لاهى ولا أمها لانها كانت حاملة همها وعلمت انها تقتل نفسها شدة بكائها على ابن عمها ✲ ولقد اخبروا عنها انها قعدت ثلاثة ايام لم تذق الطعام ولا المنام فلما كان فى اليوم الرابع وقد هفت من الجوع وتغيرت من السفر وهى تدعو على ابيها مالك واخيها عمرو وهى سائرة تقطع البيداء وتقول يارب سلط عليهم الاعداء ولا تقيهم من نوائب الرداء ولم تزل كذلك حتى تضاحى النهار واذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وطلع له عجاج وارتفع من صدر البر وفى اقل من لمح البصر ادركهم وبان لهم من تحته ثلاثون عبدا اسود فى لون الظلام مقبلين اقبال الغمام تهتز على اكتافهم رماح طوال وهم بالدروع والزرد وكانوا قد ابصروا الهودج والنياق فأطلقوا الاعنة وقوموا نحوهم الاسنة وهم ينادون وافرحتاه وفيهم عبد طويل فى تقاطيع الفيل وهو ينادى ويقول انا حادثة الليالى وطارقة الزمان ✲ قال وكان هذا العبد من زوايا اليمن من قبيلة يقال لها بنو الريان وكان

قد اهتم باقتناص بنات العرب وسكن القفار والفلوات وكان لا يعرف لا حلالا ولا حراما ولا ذماما ولا يخاف
ممن يطعن بسنان ولا من يضرب بحسام وما كان يقيم قط فى مكان اكثر من ثلاث ايام لما عليه من الدماء
والمصائب ولاجل ما قد سبى من البنات الكواعب وكان هذا العبد اذا ظفر ببنات العرب يأخذها ويبعد
بها فى البر ويتمتع بها ثلاثة ايام وبعد ذلك يسلمها للعبيد الذين معه فاذا شبعوا منها يأخذون ما يكون عليها ثم
يذبحونها ويشوونها ويأكلونها ويرحلون من تلك الارض وكانوا كلهم قد تغولوا واعتادوا على سفك الدماء
وهتك المخدرات وفسخ الذمام وارتكاب الفجور وفعل الحرام وصيد السباع من الدحال وشرب دماء
الابطال وقد تبعوه ورافقوه من جميع القيعان والقفار وكان من شره وفعله فى البنات والنسوان سموه
طارقة الزمان ولما اتفق وقوعه بعبلة فى ذلك المكان ورأى معها فرسان بنى كنانة مال فى طلبها واتبعته العبيد
ولما رأى واقد الكنانى هذا الامر صارت عيناه كالجمر وقال لمالك كن مع بنتك وولدك مع هودج زوجتك
وقل لبنتك تنظر الى فعالى من فعال ابن عمها عنتر الذى هى دائما تندبه وعليه تتحسر واعلم ان هذا العبد
الذى التقيناه هو فارس اليمن وغفير صنعاء وعدن وانى وحق العلام ما قلت الا الصدق فى الكلام لانه اشد
ممن يضرب بحسام ولى اسمع به ثلاثة اعوام واتمنى ان القاه حتى كنت اكفى العرب شره وها انا اليوم قد وقعت
به على سبيل الاتفاق ثم انه اطلق لجواده العنان وقوم اليه السنان وعلا عليهما الغبار فتلقاه العبد وهو يقول
خاب وانت مسعالك يا ولد الزنا ووقع بك من يسقيك كأس الفنا ثم صالا وجالا والتحما واصطدما والتقت
فرسان بنى كنانة والعبيد فى ذلك القفر وتلك البيد وعمل الصارم الذكر وابصر واقد من طارقة الليالى ما اذهله
واضعف منه الجنان وخاف ان يراه مالك بعين النقصان وطلب ان يتقرب الى قلب عبلة وطلب العلا
والافتخار وقد طعنه طعنة وامل ان اجله قد انقضى فخاب رجاه وانقطع ولطم العبد محمه فطيره اربع قطع
وطعن العبد واقدا فى صدره فأطلع السنان من ظهره فصار يضطرب فى عندمه فلما راى ابو عبلة هذه المصائب
التفت الى ابنته وقال لها ما أيشم وجهك على ابيك لا بارك اللات والعزى فيك ثم حمل هو وولده وارادا
ان يمنعا عن الحريم والولدان فرأى من هذا العبد الهول العظيم وصاح فيهم صيحة منكرة وقلب الرمح الى
ورائه وطعنه بعقب الرمح فألقاه على ظهره فاشرف على فناه وطلب ولده عمرا فمن شدة هيبته وعظم صرخته سلم
روحه له فأدار كنانه لما راى الموت اتاه بغتة فذل بين يديه ثم ناداه يا فتى بحق راسك ترفق بأسيرك وتسلم
الحريم والاموال فعند هاشده العبد بالكتاف ونزل الى ابيه وفعل به كذلك ورجع لجواده يطلب معونة اصحابه
وقد امن على عبلة وعلم انها حصلت له * هذا وعبلة قد شمتت بأبيها واخيها عمرو وقد بقيت عبلة حائرة ما تصنع
فقالت لها امها ويلك يا عبلة انزلى بنا يا بنية حتى نحل اباك واخاك ونسير فى هذه البيداء والبر ونخلى السودان
يقتتلون هم وبنو كنانة كيف ما اراد وا فقالت عبلة ويلك يا اماه ما هذا الكلام اين نمضى فى هذا البر الاقفر كم
جهد ما تسير الجمال قدام الخيل فى هذا البر الاقفر فاصبرى حتى نرى من ينصر ومن يخسر فنكون له انا وابى
واخى عبيد ولا نموت هكذا فى القفر والبيد * ونسلم من هؤلاء الاشرار * قال وكان قصد عبلة ان تذيق اباها
واخاها العذاب كما أذاقوها التشتت والتعب * قال فبينما هى مع امها فى الكلام واذا بأبيها مالك ينادى زوجته
ويلك يا لخناء انزلى الينا وحلينا من الاعتقال حتى نركب من هذه الخيول الشاردة ونأخذ كل منا واحدة
ونراءه ونقطع بكم البر والفلاة لعل ان نجد لنا خلاص من هذا العنا (قال) فلما سمعت منه زوجته ذلك الكلام
نزلت وفعلت ما أمرها به وكذلك عبلة نزلت حياءه من أبيها وحلت أخاها وتعلق كل واحد منهم بجواد ركبه
وأردف خلف ظهره واحدة من النسوان وساروا يقطعون عرض البر الاقفر وجد وا فى سيرهم واذا هم بعشرة
فرسان ومعهم قطعة من النوق وهم سائرون فلما رآهم مالك أقبل عليهم يطلب منهم الانصار وكان هؤلاء
الفرسان الامير شرف الدين عمارة الوهاب وعروة بن الورد والباقى من بنى عبس الاجواد وقد عادوا من

سفرتهم من أرض اليمن فرحين مسرورين وهو لا يصدق أن يصل الى الاحياء حتى ينال من عبلة الذى هو طالبه وانه لما سمع صياح مالك عرفه وقد رأى الخيل تطلبه فلما قارب بعضهم بعضا من شدة الخوف والفزع ما عرف بعضهم البعض وابصر عمارة عبلة وأمها وهم على ذلك الحال فأنكر ذلك وقال لهم ياويلكم ماشأنكم اخبرونى فانى فى عجب من هذا الاتفاق فقال له مالك بالله عليك ياعمارة جد بنا فى المسير واطلب بنا أهلك من قبل أن تقع فيهم فانا لا أحدثك حديثى حتى نفوت مما قد نا النا فقال عمارة ماخوفك وهل أعداؤك كثير حتى انك نافر هذا النفار فقال له مالك ياعمارة اسكت فقد رأيت لهم فارسا لا عنتر ولا غيره من سائر البشر وهو يلقى عشرة مثل عنتر ثم حدثهم بقصته وماجرى له فى نوبته ومالاقى فى سفرته وكيف زوجه ابنته وكل ماجرى له وجعل يصف طارقة الزمان وشدته وعمارة وعروة يشتمونه ويلومونه على فعلته فبينما هم فى الكلام اذ بان لخلفهم غبار قد سد الاقطار والصياح قد ثار والعبيد قد لحقوهم والعبد المقدم ذكره فى أوائلهم ينادى ويقول ياكلاب الى أين تمضون وخلفكم مثل طارقة الليالى وحادثة الزمان وكان طارقة الليالى لما شاهد مالك أبو عبلة وولده عمرو خاض الغبار خوفا على رجاله فسطا على بنى كنانة وأباد منهم الرجال ونزل فيهم بسيفه وسنانه وأهلك الاقران بطعناته وكانوا كما ذكرنا ستين فارسا فما تنصف النهار حتى قتل منهم هو وأصحابه خمسة وأربعين وهرب الباقون وهم مجرحون ونجوا السرعة خيلهم وعاد يطلب الهوادج فرآها خالية من الاسارى لانهم هربوا فسار خلفهم وصاح وقال للعبيد ياويلكم ان فاتتنى هذه الجارية طلعت روحى فيها فأسرعوا فانى قد رأيت وجهها أحسن من الشمس والقمر ولولا شغل قلبى بكم ما كنت أمهلتها حتى كنت قضيت منها الوطر ثم ركض بالجواد على الاثر وهو ينشد ويقول هذه الابيات

كيف يفوت الغريم مع طلب * ياأندل الناس من عجم ومن عرب * فأين من كان يحميكم ومعى
خير رجال كالانجم الشهب * حازوا المعالى والافتخار على * طوائف السابقين فى الحقب
لا يرهبوا للسيوف ان لمعت * ويشتهون الحمام كالطرب * ومن يجير الغريم من غضبى
لاهبل هنا ولست فى رجب * وسوف أرديكم على عجل * وأنال المنى مع الأرب
ثم أحظى بمن لنا وصفت * واقتنيها بسرعة الطلب

(قال الراوى) ولم يزالوا يركضون على أثر مالك والعبيد خلفه من كل شيطان مارد حتى أدركوهم ولما رآهم مالك تغير لونه وانقلب كونه وزاد بلباله وقال يابنى العم هاقد لحقتنا الخيل ومقدمهم الذى وصفت لكم صفته فعودوا بنا الى لقائهم لنموت كراما فعندها صاحت عبلة لعمارة وقالت له يابن العم أنت تعلم ان الذى كان يحامى عنا قد قتل ولو كان حيا كان يعز عليه أن يرانى هكذا والساعة ما بقى لى فى العالمين سواك فارنى اليوم شجاعتك التى تفتخر بها فلما سمع عمارة ذلك رمى روحه على الحمام ووضع على قلبه كأس العشق والغرام ونادى أى وعينيك ياابنة العم اليوم يظهر لك يامنية القلب فروسيتى حقا وتعلمى ان كل ما قيل عنى كان صدقا ثم تحزم وتشمر ونفش سباله وقال ياعبلة بانور العين سوف أريك من قتالى ما يرضيك حتى لذلك العبد أنسيك وترين قتال السادات الضراغمة الكماة من قتال أولاد الاماء ثم ان الامير عمارة أطلق رأس جواده حتى صار قدام أصحابه وعروة بجانبه وهو يقول ياابن زياد لمثل هذا اليوم تدخر الابطال الشداد فقال عمارة ويلك ياعروة ما هو شغلك خل عنك اليوم ترى من الامير عمارة ما يسرك فما تم كلامه حتى حذفه واحد من العبيد بزانة فى صدره فقلبه على ظهره وصار أعلى ما فيه رجلاه فانقض عليه العبد وأخذه أسيرا وزعق زعقة مثل الرعد حتى طلع الزبد على أشداقه وحمل على عروة بن الورد فالتقاه وجرى بينهما حرب شديد ثم انه قبض على درع عروة ولم يتركه يتمكن من طعنه وجذبه فقلعه من سرجه وباقى العبيد ملكوا فرسان بنى عبس واحتوى طارقة الزمان على مالك وولده عمرو وأوثقهم كتافا وبات فى ذلك المكان لا ماء معه وهو ظمآن

فنزل بالعبيد رفقايهم لاجل الراحة وكان قد أعوزهم الماء وقد رق النسيم وبرد الهواء وقد ردت العبيد عبلة الى هودجها وقالوا لها ياهذه من مثلك وأنت عشيقة طارقة الزمان فماردت عليهم جوابا ودموعها تنسكب انسكابا حتى أصبح الله بالصباح والرجال معه مشدودون على خيولهم بالعرض قدامه وكان قد طيب قلوبهم وقال لهم أبشروا فانا لا أريد منكم نوقا ولا جمالا لان أموال العرب كلها لى ولا أريد منكم الا أن تأتونى بنساتكم وأمهاتكم وأخواتكم وكل من كان له بنت مليحة أو أخت صبيحة يأتى بها كى أتلذذ بها ثلاثة أيام وبعد ذلك يأخذها ومن لم يجبنى منكم قطعت ظهره بالسياط فقال عمارة لعروة هل رأيت عمرك أو سمعت بهذا العبد الميشوم فقال عروة ياعمارة ما كانت عبلة الا ميشومة عليك كما كانت على من قبلك لان كل من سمى عليها فى العشاء ضربت رقبته فى الصباح ومن سمى عليها فى الصباح ضربت رقبته فى العشاء وقد رأيت كيف كان ونحن سائرون فقد كسبناه هذه النوق والجمال والانعام فمن بناه هذه المصائب ونابتنا هذه النوائب لما نظرنا الى وجوهها ومن قبل كنا راجين فلما نظرناها صار لنا ما صار فى الحين فهذا ما جرى لعروة وعمارة * ثم ان طارقة الليالى قد أرسل قدامه خمسة عبيد وأعطاهم عبلة وقال لهم اسبقونى بها الى ذات المناهل واضربوا لى هناك خيمة فانى أريد أن أتمتع بهذه الجارية المليحة القوام وأنظر ما أعمل بهؤلاء القوم اللئام (قال) فسارت العبيد بين يديه كما ذكرنا والتقاهم أبو الفوارس عنتر كما أشرنا وقتل منهم عبدين وهرب الباقون واشتغل عنترعنهم بابنة عمه عبلة وسألها عن حالها وقد غير الشقاء والفزع لونها وغشى عليها ولما أن رأت وجه ابن عمها حين أفاقت قالت يا ابن العم نحن فى اليقظة أم فى المنام ثم أنشدت تقول هذه الابيات

ذهب الاسا عنى وزال شقائى * لما التقينا بعد طول عناء * وغدا الزمان مبشرا بوجود من
أضحى فريدا قاصم الاعداء * غفلت عيون الدهر عنا ساعة * ورجعت من موتى الى الاحياء
يافارس الثقلين يا كنز الورى * ياسابق الابطال للعلياء * سعدت عيونى عندما نظرت الى
ما فيك من كرم وحسن ولاء * فابقى وعش فى ظل خير دائم * مادامت الافلاك فوق سماء

(قال الراوى) ثم انها ابتدأت وحدثته وقصت عليه القصة وما لقيت فى طريقها من الشقاء والتعذيب وأخبرته بجميع القصة كأنه كان حاضرها فلما سمع عنتر ذلك هملت دموعه من عينه وضمها الى صدره وقبلها بين عينيها وحدثها هو أيضا بما جرى له عند كسرى والمنذر وقتله حاجب كسرى خسروان وما تم له فى غيبته أيضا مع الملك كسرى وما وقع له مع الفرس والاعاجم وعباد النار وأنه عاد سالما من صروف الزمان ثم حدثها بما أتى به معه من الاموال والنوق والجمال والصناديق والعبيد والغلمان والممالك الحسان وأنهم راكبون على الخيول العربيات بأحسن الملابس والجوارى الحسان الروميات والبغال الكسروبات والجمال والجنائب القصيريات والنوق العصافيرات التى كأنها العرائس المجليات والعمارية المنقشة بالجواهر المثمنات والتاج الذى تحير فيه الصفات (قال) فلما عاينت الاميرة عبلة ذلك المال وحسن الحال قالت هل هذا كله لك أو لاحد نازل معك فى هذا المكان من الملوك الكبار وهؤلاء الممالك الذين هم على الخيول ان يكونون فقال لها الاميرعنتر كل هذه الاموال والجوارى والممالك والغلمان لك وأنت الحاكمة عليهم وهم ملك يدك قد أتاك بهم عبدك (قال الراوى) فعند ذلك رجعت روحها بعد الممات وانكشفت عنها الشدائد والكروبات فقالت لعنتر يا ابن العم بحياتى عليك خذنى وارجع بى الى ديار القوم الذين أعطوك هذا الملك والانعام الغامر والخير الوافر وخل ابى وأخى وهنا مع هؤلاء العبيد يفعل بهم الزمان ما يريد ولا نعود نرجع الى بنى عبس لانه لم يكن فى عشيرتهم خير من الامس فتبسم عنتر من مقالها وقال ابشرى بما يسرك وحياة عينيك على قلبى لابد لى أن أرغم أنف الجميع وأتركك تكونين الحاكمة فيهم على الرفيع والوضيع ثم انه أمر أصحابه بالنزول وأشار الى بعض العبيد الذى يعتمد عليه وقال له ويلك احتفظ

بهذه

بهذه فهى بنت عمى فاكرم مثواها فهى صاحبة هذه الاموال أدناها وأقصاها وقد وقعت بها مسبية مع هؤلاء العبيد وأريد أن أفرجكم على قتال أعدائها اليوم ثم سلمها اليه وتقدم يلتقى العبيد وكان طارقة الزمان سائرا على أثر أصحابه الذين أنفذهم ليضربوا له الخيام وهو وسائر فرحان وحب عبلة قد تمكن منه واذا بعبيده الثلاثة منهزمين فلما صاروا بين يديه كاد كل منهم أن يغشى عليه فقال لهم مالكم وأين الجارية وباقى أصحابكم فقالوا له ان أصحابنا صاروا نهبا للعقبان والجارية قد ملكها عبد أسود لا كالسودان وما نظن الا أنه عامر ذلك المكان لان صورته تذهل عقل الانسان وطعناته تحير الفارس البهلول وصرخاته تترك المعافى معلول ثم انهم حدثوه بما جرى فنفخ كما تنفخ الافعى ودمعهم وزمجر وطغى وتجبر وقال يا بنى الزوانى مثلى يخاف من قاص ودانى أو يخاف من جن أو شيطان وأنا اسمى طارقة الزمان ثم أطلق لجواده العنان وقوم السنان وركض واذا بعنتر قد التقاه فصاح فيه وقال له أنت قتلت أصحابى بنى حام وأخذت الجارية مليحة القوام فقال له عنتر ويلك يا ابن اللئام متى صارت عبلة لك امة يا ابن الاعايب وقد شاب منى فى هواها الذوائب وقصر دون خدرها كل ماش وراكب مما حواها من القنا والقواضب فيا ندل العرب لولا غيبتى فى طلب المهر والصداق لما راى غبار نعلها انت ولا غيرك من الرفاق فضلا عن ان يرى جمالها وتلك الاخلاق فدع عنك ما رايت يا ابن اللئام فانها اضغاث احلام ودونك وسنبر الحسام واعلم ان هذا اليوم آخر ما يكون لك من الايام يا كلب يا منحوس يا شيطان فلما سمع من عنتر ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال له ويلك من تكون من العرب والى اى القبائل تنتسب (قال) فعند ذلك صاح فيه عنتر صيحة عالية وقال له ويلك انا ابن عم هذه الجارية اسمى بعنتر بن شداد حامية بنى عبس الليوث الشداد ثم انشد يقول

تقدم يا لئيم الى المجال * وخل لما تقول من المحال * فقد وافاك ليث قسورى
صبور فى المهمات الثقال * عبوس ضيغم بطل جرىء * وليث اشوس حاز المعالى
له شرف على كل البرايا * بطعن الرمح فى يوم النزال * فدونك والقتال وكن جريئا
كما سميت طارقة الليالى * فسوف تصير فوق الترب ملقى * وتعبث باليمين وبالشمال
وسوف اريح منك العرب جمعا * مع النسوان ربات الجمال * انا البطل الذى سادا البرايا
بضرب السيف والسمر العوالى * تخر لى الفوارس يوم حربى * وتخضع لى جحاجحة الرجال
ولى مجد علا فى كل ناد * وقلب ثابت والسعد عالى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره حمل على طارقة الليالى حملة الاسد الضرغام وزعق فيه بخاويه طارقة الليالى بالكلام وانعقد عليهم الغبار وعلا بينهم الصياح وكان لهم ساعة تشيب لها النظار * هذا وقد اقبلت العبيد وتتابعت كأنهم عفاريت الجان فرات ما اذهلها وقد ناداهم يا ويلكم بالئام والذى خلق الضياء والظلام لاحلقن رؤوسكم بهذا الحسام ولاتركنكم حديثا بين الانام ثم جعل يلقاهم ويعدهم على وجه الصعيد * هذا وقد حار كل منهم وصار وايتعجبون من حربه ونزاله وقد راى كل واحد منهم شيأ ما كان على باله وأقبلت ايضا جماعة من عبيد عنتر وأتوا على الصياح فلما رأوا عنترا فى القتال حملت عبيده معه وقد التحم القتال وفى دون ساعة أفنوهم عن آخرهم والتقى أبو الفوارس بالعبد المقدم ذكره فصرخ فيه فأرعبه وطعنه بالرمح فى فؤاده فقلبه وجمع العبيد والاسلاب ونزلوا للراحة فى تلك الهاد وصار عنتر يأخذ بخاطر عبلة وهى تتبسم فى وجهه ثم حلوا ما لكا وولده عمرا والامير عمارة وعروة بن الورد ومن كان معهم ثم باتوا فى ذلك الواد وقد ذابت قلوبهم والاكباد مما رأوا مع عنتر من الاموال ثم سلم على عمه مالك وهو فرحان بذلك وقال له البشرى يا عم بالخلاص من أعدائك واعلم أن الذى لاقيته جزاء بما قدمت يداك لانك زوجتنى ابنتك

وغبرت بعد ذلك نيتك وارسلتني الى أرض العراق في طلب المهر والصداق وتركتني حتى مضيت وخنت العهد والميثاق وزوجتها بفارس بني كنانة وضيعت العهد والامانة فلقاك الله عاقبة البغي والخيانة (قال) فلما سمع مالك من عنتر ذلك الكلام تنهد وتحسر وقال ياولدي لا تعتب علي لان عذري واضح وان عرفته كنت له مسامح لانه يا ابن الاخ أتى اخوك شيبوب الى الاحياء وأخبر أنك شربت كأس الحمام وقطع رجاءنا منك والسلام فلما سمعنا منه هذا المقال سرت أنا وولدي وجماعة من الفرسان في طلب المعاش والمكسب والمال بخبرت علينا هذه الشدائد والاهوال والحمد لله الواحد الاحد على هذا الحال لانك ياولدي لولا أنك أتيتنا وخلصتنا لكنا في شدة الهلاك والعنا فقال عمارة يا با الفوارس لا تندم لان الحق عاد الى أصحابه والسيف الى قرابه والحمد لله الذي جعل خلاصنا على يدك ونحمد الرب القديم الذي اعادك الينا سالما ومعك هذه الاموال العظام ورزقك النصر على أعدائك اللئام والويل لمن يكون لك معاند او مخاصما أو مضاد فتبسم أبو الفوارس من كلامه ومقاله وشكره على فعاله مع علمه بمكره ومحاله وبعد ذلك أخذهم وسار بهم الى عبيده وعماليكه وغلمانه وخيله وبغاله ونوقه وجماله وهو قدامهم يترنم بالاشعار ويقول

ياعم لازلت في عز وفي خول ✲ ترقى لعز العلا في القول والعمل ✲ ولا برحت مدى الايام في سعة
وفي أمان وفي رزق وفي أمل ✲ فاسمع حديثي وما لاقيت من سفري ✲ وما جرى لي من الاخطار والهول
اني لقيت من الاهوال اصعبها ✲ شيأ يجل عن الاوصاف والمثل ✲ قاسيت في سفرتي هذي عناوضنى
وسرت بالارض في سهل وفي جبل ✲ حتى أتيت مليكا لا مثال له ✲ ولا شبيه له في القول والعمل
المنذر الملك المولى الذي شرفت ✲ به القبائل في سهل وفي جبل ✲ أولى الي جميلا لست أنكره
فضلا وتوجني بالحلي والحلل ✲ لما أتى بي الى كسرى وقدمني ✲ أمامه خاف من فعلي ومن عملي
وكان قد جاء بطريق اليه وقد ✲ سطا على جيشه كالجحفل الخطل ✲ تركته وهو ملقى في المجال وقد
اراد يدنى جهارا غاية الاجل ✲ تبت يداه لقد وافى فتى شرسا ✲ وعاد من طعنتي ملقى على وجل
وكان عند مليك الفرس سبع وغى ✲ ضرغام لا يلتقى في السهل والجبل
جاؤا به حين ظن الفرس يقتلني ✲ تركته بحسامي جزء منفصل ✲ وحيث كسرى رأى فعلي ومقدرتي
أسدى الي بانعام مع الخول ✲ كذلك المنذر المولى الذي سبقت ✲ أمواله بعطا يا المال مع نحل
أعطاني النوق مهرا التي سلبت ✲ مني الفؤاد وهذا غاية الامل ✲ فسرت أقطع في أرض الفلاة وقد
✲ لقيتها وختمت القول بالعمل ✲

(قال الراوي) فلما سمع عمه مالك وأصحابه هذا الكلام تعجبوا من ذلك الشعر والنظام واستمروا سائرين معه الى أن أشرفوا على الخيام فرأوا ذلك المال الباهر فحارت منهم النواظر فقال عمه مالك يا ابن الاخ لمن هذه الاموال والنعم وهذه السودان والخيم وهذه الجنائب التي عليها جلالات الابريسم فلا شك أن ههنا ملكا من ملوك الاقاليم فقال عنتر ياعماه هذه اموال عبدك وخادمك عنتر التي جلبها لابنتك من أرض العراق لانك طلبت مني ألف ناقة من النوق العصافير فأتيت بها محملة من خزائن صاحبها ومعها هذا الخير الكثير وفعلت فعلا يعجز عنه سائر الآفاق ثم نزل بهم في تلك الخيام وامر عبيده بذبح الاغنام والنوق وترويح الطعام وأخذ يقص على عمه مالك ما جرى له مع الملك المنذر والملك كسرى وما نالة من المنزلة الرفيعة وكيف أخذ المال الذي أتى به من عند قيصر ملك النصرانية بعد ما قتل الفارس الرومي الذي أتى مع المال وكيف أخذ أموال الثلاث ملوك بعد الاسر والقيود وعمارة يسمع وقد حلت به الكروب ونظر لي عبلة وقد صارت في تلك المنزلة فصار متحيرا وما فرغ عنتر من المحادثة والكلام حتى راج الطعام وقد أتت به الخدام

وكلما

وكلما تقدم خادم يخدم الامير عنترا يمنعه من ذلك ويقول اخدم أنت هؤلاء السادات الاماجيد لانهم الموالى ونحن العبيد * هذا وقد نخرست الالسن وصار والابدرون ما يقولون وكأنهم الجوا بالجام أوكأنهم فى منام ممارأوا من كثرة الاموال العظام (قال الراوى) فلما أقبل الظلام دخل عنتر على عبلة يفتقدها ويتوجع لها مما جرى عليها فقبلها بين عينيها اذ تراءت هى أيضا عليه وصارت تقبله فى وجهه وعارضيه وهو يقول لها ابشرى يا بنت العم بزوال الهم والغم وبهذه الاموال الذى تعجز عنها العرب بما فيها من الجوهر والملابس النجب وكل شئ مفتخر وهذا التاج الذى ما فرح بمثله الاوائل والاواخر وهذه الجوارى التى كأنهن الاقمار وهذه العمارية المرصعة بالجواهر الكبار فتحكمى فيهم ليلا مع نهار لانها نعمة قد ساقها الملك الجبار فقالت عبلة والله يا ابن العم ان سلامتك عندى احب الى مما ذكرت وما ارى العز الا ان حضرت فتبسم عنتر من كلامها وانشرح صدره لمقالها وشكره على صفاء وداده ثم خرج من عندها وركب الى حفظها من طوارق الازمان وكان عمه مالك قد استحيا منه وقام اليه ومعه ولده عمرو وعروة بن الورد وارادوا ان يتولوا الحرس عنه فاقسم عليهم انهم لا يفعلوا ذلك وقال لهم اعلموا ان الموالى لا تخدم العبيد لاسيما وأنتم لكم ايام ما تتم ولا تهنيتم بمنام على الصعيد لما قد جرى عليكم من هؤلاء العبيد (قال الراوى) كل هذا يجرى من عنتر فى حقهم وهو ماله عندهم قيمة ولا مقدار لان بغضه مؤسس فى قلوبهم وكانوا يتمنون انهم قتلوا على يد طارقة الليالى وسيوف الاعدا ولا كان خلاصهم على يديه من الردى وقد زاد فى قلوبهم بغضته لما أنهم نظروا رؤيته وعمارة زادت حسرته وكاد أن تنفطر مرارته الى أن أقبل الليل بظلمته فباتوا تلك الليلة يتحدثون فى قصته ويتعجبون من عظم مروءته ويحسدونه على ما أتى به فقال عمرو أخو عبلة يا ابناه أعلمك من اليوم انه ما بقى لى اقامة فى بنى عبس ولا بد لى ان أطلب بلادا لين وأقيم فيها باقى العمر والزمن الى ان يدركنى الحمام لانه لم يبق لى عين تنظر الى هذا العبد ولد الزنا الحجام ولا اراه يملك أختى عبلة بدر التمام وأنا فى حياة الدنيا لا كان ذلك أبدا الى أن أشرب شراب الردى فلما سمع منه أبوه ذلك الكلام قال له كيف يعمل الانسان أيعادى اله السماء الحاكم الديان فما ولدى كلما احتلت عليه بحيلة وأنفذته اليها يسلم منها ويأتى سالما ولاسيما فى هذه النوبة فانه رجع بهذه الاموال والغنائم التى لا يقدر عليها أحد من الملوك العظام وأنا أعلم انه اذا وصلنا الى الاحياء يصيرون له أصدقاء ولنا أعداء لانك قد رأيت ما فعلوا فى حقنا لما سمعوا أنه قتل وشرب شراب الردى فعند ذلك عمرو بكى وأن واشتكى فقال عروة بن الورد وذمة العرب يا عمرو ان وصل عنتر الى بنى عبس ومعه هذه الاموال وفرقها على الفرسان والابطال ملكها وملك عقولها وان عزل الملك زهير منها شيأ قبله ولا أحد منهم يبغضه لان هذا ليس بمال قليل ولا يقدر عليه الا كل ملك جليل ولا تقدر عليه سادات العرب ولا كل من ضرب فى البيداء وتدا ومد طنب (قال الراوى) فلما سمع عمارة ذلك الكلام بكى مما حل به من الحسد والسقام وصاح وا مصيبتاه واحسرتاه يا بنى الاعمام والله لقد انفطرت مرارتى وسأموت بحسرتى من هذا الاسود الحجام الذى قد أسعد رب الانام بعد ما كان راعى الجمال والاغنام وحق الآلهة والاصنام ان أخذ عبلة وأنا فى الحى حاضر زادت بليتى ومت بحسرتى لوقتى وساعتى فما لبثت طارقة الزمان كان ذبحنى ذبح الاغنام ولا كنت أبصرت هذا العبد ولد الزنا عاد سالم ومعه هذه الاموال والغنائم ثم انه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا ليتنى لم أنادِ بالولد * ولا أرى الدهر عضنى بيدى * حتى متى الدهر ذا يعاندنى
وقد رمانى بالحزن والكمد * قد جا حساب ما كنت أعهده * وقد أتانى ما ليس فى خلدى
وما أرى ناصرا يساعدنى * ولا غيورا يطفى لظى كبدى * مالى سوى الموت راحة ولقد
عز اصطبارى وخانتنى جلدى * هل خطير بين الورى شرس * ذو همة مثل همة الاسد

يزيل مابى من اسود عبس * قبيح فعل ندل وذى نكد

(قال الراوى) ومازالوا على ذلك الايضاح الى ان اصبح الصباح وما فيهم من نام من شدة الحسد ولا استراح وبعد ذلك اتاهم عنتر وسأل عمه فى الرحيل فقال له يا ابن الاخ انت وشأنك فعند ذلك صاح عنتر فى العبيد وامرهم بالرحيل من هذه البيداء وكانوا ثلثمائة من مماليك وغلمان وكلهم شجعان يقدمهم ابو الموت الأسد الهمام ثم ان الامير عنترا اخرج الحلى والحلل والبس عبلة سبع حلل عظام مالبس مثلها بنت من بنات العرب الكرام والبسها على راسها العصابة الجوهر والتاج الذى يبهر البصر واخرج لها الكمر الجوهر وزمها به على ذلك اللبس المفتخر واخرج لها ثلاث عقود من اللؤلؤ المدثر وفصوص الياقوت الاحمر والاصفر ومن خاص نفائس الجوهر فأشرق المكان من ذلك اللمعان فى شعاع الشمس على ذلك الجبين الازهر تحير كل من اليها نظر * هذا وان عمارة لما راى ذلك حس ان روحه قد خرجت من جنبيه وكاد ان يغشى عليه وبعد ذلك شد الامير عنتر لعبلة العمارية الفضة البيضاء على بغلين شديدين وكانت تلك العمارية مطعمة باصناف الجوهر ثم انه اركب عبلة عليها وامر العبيد بسوق الجمال والظعن وامرهم ان يترفقوا فى المسير * هذا وقد سار عمارة فى المقدمة ودموعه تجرى على خديه منسجمة وهو لا ينظر ما بين يديه من عظم ما جرى عليه وعنتر قد سلم عبلة الى ابيها وقال له تسلم يا عماه ابنتك وهذه الاموال التى سهلها الله على يدى وافعل معى ما انت اهله فدعا له عمه وشكره واظهر له خلاف ما اضمره وقال له يا ابن اخى اليوم عبلة امتك ونحن عبيدك وخدمك * قال وكان هذا الكلام من مالك مكرا وخديعة الا ان عنترا لما سمع من عمه هذا الكلام تقدم وقبل اقدامه ووعده ببلوغ مرامه وقد زاد له فى الاكرام والتبجيل ورفع المقام ثم انهم ساروا الى المساء ونزلوا على غدير سلمى فباتوا لياتهم وعنتر لهم حارس لانه من فرحته بلقاء عبلة قد هجر المنام وطاب له السهر والنظر الى وجهها فى الضياء والظلام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره الوضاح رحلوا من تلك المنزلة وقطعوا البرارى والقفار والسهول والاوعار فلما بقى بينهم وبين ارضهم ليلة واحدة طلبوا عمارة فما وجدوه فسألوا بعض العبيد عليه فما احد منهم اعطى عنه خبرا ولا علموا متى فارقهم فى البر الاقفر فقال مالك ابو عبلة للأمير عنتر ما اقول الا ان عمارة سبق الى اهلنا يبشرهم بقدومنا ويعلمهم بسلامتك وبما وصل معك من الاموال والغنائم والجوارى والغلمان والمماليك والخدام وهذه الخيل والبغال فقال عنتر يا عماه انا مالى عنده حذه المنزلة حتى يريد ان يفعلها وان كان الامر كما ذكر كان الملك زهير واولاده خرجوا الى لقائنا ونظروا ما معنا من الاموال فقال مالك يا ابن الاخ انا أمضى من ساعتى هذه الى الاطلال وابشر بسلامتك الرجال واصلح حالى مع أبيك شداد لان قلبه قد قسا على لاجل ذلك الخبر الشنيع الذى أخبر به أخوك شيبوب وما اقدر ان اصلح قلبه الا بتلك البشارة والخبر بسلامتك لانى اذا عدت من ساعتى هذه اكون عندهم عند طلوع الشمس واشرف على العساكر والعشائر والقى فى الحى البشائر وتكون أنت رحلت من هنا وقت السحر او نصف الليل ونلتقى كلنا ضحى النهار ويزول عنا العناء والاضرار وينظرك حسادك ومعك هذه الاموال وهذا الخير الكثير وما قد نلت من النوال (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عمه ذلك قال يا عمارة الامر أمرك والعبد عبدك وذمامى فى يدك افعل ما بدا لك فلا أعدمنى الله طلعتك وان شئت خذ معك عبلة ابنتك حتى انى أسير تابعا لك فقال مالك يا أبا الفوارس أنا أقول انها اذا كانت فى صحبتك يكون أحفظ لها وأنت أشفق عليها منا لاننا ما بقى لنا فيها حكم حيث انك أتيت بمهرها ثم انه غير جواده بجواد من جنائب عنتر وسار هو وولده عمر وعروة بن الورد وأم عبلة وقد ركبوا من خيول عنتر الجياد واستمروا سائرين على حالهم وأما عنتر فانه قد نزل فى مكانه وأقام الى نصف الليل ومالك ومن معه سائرون يتكلمون فى شأنه بالسوء وقد فعل معهم شيأ ما فعله أحد من جميل الفعائل هذا كله والحسد قد

قطع

قطع قلوبهم وشق صدورهم وسار واوهم حائرون فى أمورهم لا يدرون ما يفعلون فى حق عنتر ولا كيف يدبرون على هلاكه وعمر وأخو عبلة يقول ماهذا الا كيد عظيم من هذا العبد الزنيم لان عمارة ماهج على وجهه الا منه ومن أجله فلعن الله بطنا حمله فما أشأم طلعته وسوادر وبته فياليتنى أنا الآخر كنت هجمت على وجهى مع صهرى وصاحبت الوحوش باقى عمرى فان ذلك كان أحب الى من أن أنظر هذا العبد يكون صهرى وان هذا الامر كلما افتكرت فيه أحس ان مرارتى تنفطر فياليتنى أموت وأنقبر ويالليتنى كنت لا أسمع ولا أبصر ثم انه زادت به الآلام والنكد فانشد يقول

الدهر يرميني بكل مصائبي * من لوعة وصبابة وعتاب * فمن ابتلى يصبر على ما نابه
وبلاه من ذل وعظم مصاب * ان لم يكن لى من زمانى ملجأ * من هول أمر غاب فيه صوابى
فلاطلبن الموت فى كشف الذى * قد نالنى من ذلتى ومصابى * كل الامور لها احتمال فى الورى
الا الشتات وذلة الاصحاب * الموت شئ واحد فى ذوقه * والحكم فيه مخالف الاسباب

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عمر ومن شعره ونظمه قال له أبوه ياولدى لا يضيق صدرك ولا يطول فكرك لانى اذا عجزت عن أمره خنقت أخنك فى الليل وأرحت نفسى من هذا العناء والويل الذى قد هدّ منى القوى والحيل لان العرب فعلت هذه الفعال وقد قتلوا بناتهم وارتاحوا من الاعلال ومازالوا فى جد المسير حتى أصبحوا فى ديار بنى عبس عند طلوع الشمس وقصدوا أبيات بنى قراد ودخل مالك على أخيه شداد وقال قم ياأخى ولاق ولدك الذى عاديتنى عليه ومن أجله وقلت انا الذى كنت السبب فى قتله فهاهو قد وصل اليك ولدك وهو سالم ومعه أموال وغنائم ومن كثرتها قد سدت الصحرا من اموال الملك المنذر والملك كسرى فقال له شداد أحق ما تقول يامالك فقال اى وحق مالك الممالك المنجى من المهالك فعند ذلك نهض شداد وركب على ظهر الجواد وهو يقول وافرحتاه من بعد ترحناه * هذا وقد علا الضجيج والصياح فى الابيات من النساء والبنات ولم يبق فى الخيام من الحلة لا أمة ولا حرة الا وقد خرجت الى بره واعلنوا بالفرح والمسرات ودقت بالدفوف الاماء والمولدات وعلا الصياح الى أن وصل الى أبيات الملك زهير فقال للعبيد ياويلكم انظروا ماحال الناس من بنى قراد فقالوا يامالكنا البشارة بوصول عنتر بن شداد لانه قد عاد وهو سالم ومعه الاموال والغنائم قد سدت الفضاء وملأت الصحراء من أموال الملك قيصر والملك كسرى فقال الملك زهير ان هذا غاية ما يكون من العجب وهذا حديث يؤرخ ويكتب بماء الذهب وحق اللات والعزى لاخرجن الى لقائه حتى أرغم أنف أعدائه وأسر قلوب أصدقائه ثم انه نهض من ساعته وركب فى فرسان قبيلته هو ومن يعز عليه من أهله وعشيرته وتبعه أولاده وأبطاله وأجناده وكان أفرحهم بذلك اليوم ولده مالك وأخوه الحارث لانهما من خواص أصدقائه واغتم من ذلك جميع أعدائه ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد تركوا الابيات خالية ما فيها الا الشيخ ضعيف عن القيام أو صبى صغير لا يعى حوادث الايام * قال وكان عنتر قبل رحيله قد أقام على الغدير الى نصف الليل وقام وشد لعبلة العمارية الفضة على بازل من البغال وأركب ابنة عمه ورحل على أثر القوم وهو يحادث ابنة عمه ويتلذذ معها بالحديث وبالنظر الى وجهها الازهر لان أعظم ما يكون من اللذة مشاهدة الحبيب للمحبوب اذا لم يحضر واش ولا رقيب ثم انه شفى غليل فؤاده وهو يحدثها وينظر اليها هكذا الى وقت السحر فعند ذلك قال لها يابنت العم أنا أعلم أن أبالك الساعة وصل الى الاحياء وأعلم أهلنا بقدومنا ولا بد أن الملك زهيرا يخرج الى لقائنا هو وسائر أولاده وفرسانه وأجناده ولا أقدر أن أكلفهم التعب فى المسير من أجلى وأنا أقل عبيدهم والخدم ومن الرأى أن أتقدم الى قدام والتقى بهم قريبا من الديار وأخلو بالملك زهير واحدثه بحديثى وما وقع لى فى سفرى وتقدموا انتم علينا لانى قد أمنت عليكم من حوادث الزمان وهذه أرضنا ومنازل بنى عدنان ثم انه أوصى الخدم والعبيد بالحفظ والرفق على عبلة

فى المسير خوفا عليها من غبار الخيل وزعقات الابل فى هدوء الليل ثم سار والارض لم تسعه من شدة فرحه الى أن تضاحى عليه النهار واذا هو بغبار قد علا وثار وسد الاقطار وقد ظهرت من تحته فرسان بنى عبس وعلى اكتافهم القنا وبين أيديهم العبيد والاماء وهن يضربن بالمزاهر وقد أبهرن بحسنهن النواظر والملك زهير بين أيدى الجميع كأنه سد الغاب وعلى رأسه رايته العقاب وأولاده من حوله وفرسانه الانجاب فلما رآه عنتر ترجل من على جواده وقد أنساه ذكر عبلة حلاوة اللقاء ونسى ما قاسى من التعب والشقاء ولما تقاربت بنو عبس منه صاحوا بأصواتهم الملاح وضجوا بالافراح وأظهروا الاستبشار وحركت المولدات المزاهر وأزعجت الاقطار كل هذا يجرى وعنتر يقبل يد الملك زهير واقدامه فى الركاب ويدعوله بطول الدوام والبقاء وطيب الايام ثم بعد ذلك أنشد يقول

كشف الزمان لثامه عن باهر ✲ متكامل الاضواء نور زاهر
وأتى النسيم به وبرح مايرى ✲ وسرى الى العليا بنور عاطر ✲ قصر الاولى طلبوا بنا لواسينه
كالطير اذ يرمى بسهم غادر ✲ بالنصر معقود اللواء مؤيد ✲ مردى عداه بكل أسمر باتر
ياواحدا فى دهره مترفعا ✲ فى سعده الباهى الرفيع الباهر

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه تقدمت اليه أكابر بنى عبس وسلمت عليه صغيرهم وكبيرهم لاسيما صديقه مالك والحارث أولاد الملك زهير وفرح الجميع بلقائه وسلامته من أعدائه وصار الملك زهير يسأله عن طريقه وما كان سبب تعويقه واخوته جرير وشيبوب يضجان بالبكاء من حلاوة اللقاء بعد الحزن والشقاء الآن عنتر اما فرغ من حديثه مع الملك زهير حتى أقبلت عبيده تسوق النوق والاموال والصناديق فوق البغال والمماليك راكبين الخيول الغوال وبأيديهم السيوف الصقال وقد تزينوا بأفخر الملابس الحسان وشدوا أوساطهم بالمناطق الذهب والحياصات العرمرم ونلفحوا فوق رؤسهم بالاقبية الكسروية من الديباج الملون ومن ورائهم الجوار الرومیات والحبشيات والتركيات وأزعجوا الارض فى الطول والعرض وقد امتلأت النواحى بأصوات الافراح والمسرات وأقبلت بعدهم العمارية الفضة وقدامها الجنائب القيصريات والخيل الكسرويات وعليها السروج المذهبات وعلى متونها الجنائب الحسان ومن فوقها المماليك والغلمان كأنهم خرجوا من الجنان فسبحان الكريم الديان الذى من بهذه النعم على هذا الفارس العرمرم وجلب هذه الارزاق الحسان على رغم أنف أعدائه اللئام وقهر سائر الشجعان

﴿قال الراوى﴾ ولما تقارب الجميع من عنتر وقد أشهروا فى أيديهم السيوف الصقال ودار وابه يمينا وشمال ترجل عنتر من على متن جواده الابجر وشد وسطه بمنديل مذهب كان للملك قيصر مزركشة أطرافه بالذهب الاحمر وصاح فى عبيده فوقفوا وأجابوا مقاله ولم يخالفوا أمره فأمرهم أن يجوزوا بالجمال والبغال ثم انه قاد من الجنائب عشرة مالها مثال بجلالاتها ومراكبها وخمس بغال بصناديقها وأموالها الغوال وقدم الجميع للملك زهير وباس الارض قدامه وسأله فى قبولها فقبلها منه على كل حال وكان بين كل صندوق وبين جارية رومية أو حبشية أو عجمية مالها مثال وبعدها فرق على بنى عبس الاموال التى ذكرنا ان الملك كسرى كان أعطاها له برسم بنى عمه بخلاف الاموال التى خصه بها وحده وبعدها فتح صناديق الاموال وفرق منها على فقراء الحى والارامل والايتام والعبيد والخدام ولم يترك أحدا فى الحلة الا وأعطاه من الاموال واسترضاه ﴿قال الراوى﴾ كل هذا يجرى والملك زهير يتعجب من كثرة ما رأى من هذه الاموال والغنائم التى تدهش النظار فقال وحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وغار حراء لقد أفقر عنترا الملك كسرى ثم انه قال يابنى الاعمام كل من أهدا اليه عنتر من هذه الخيرات والانعام يعطيه غيره من النوق والجمال لاجل اعانته على الولائم والعرس وبلوغ الآمال فأجابوا جميعا بالسمع والطاعة وقد تهيأ لهذا الامر من تلك الساعة وأما عنتر فانه زال يفرق الاموال على بنى عبس الاقبال حتى أفنى ما معه من الخيل والنوق والجمال

والصناديق

والصناديق والبغال ولم يبق عنده الا النوق العصافير ومن الاموال شئ يسير وهو سائر بجانب الملك زهير يحادثه بجميع ما جرى له فى مدة سفرته الى حين حضر والملك زهير يتعجب من ذلك وهو يعلمه بما جرى على قلبه من الاحزان لما اتاه اخوه شيبوب ونعاه فى الاوطان وجعل عنتر يقبل يده ويثنى عليه (قال الراوى) وبعد هذا جمع كل واحد الى ابياته وتفرقت بنو عبس الى منازلهم واقبل عمر واخوه عبلة وهو قائد بزمام البغال التى عليها العمارية التى فيها اخته عبلة والاموال مع العبيد قدامه جملة (قال الراوى) ولما وصل الى فريق بنى قراد الكرام كانت العبيد ضربت لهم الخيام ومدوا الاطناب وركزوا الاعلام فعند ذلك تقدم عمرو وكشف سجاف العمارية وصاح باخته وقال لها قومى انزلى ياعبلة وافرحى بهذه الاموال والخيرات والارزاق التى اقبلت عليك بالعرض لان الرب الكريم فتح لك كنوز الارض وازل عنك الفقر والفاقة وضيق الخناق ووسع لك فى الارزاق فلم يجبه من العمارية احد لا ابيض ولا اسود فظن انها نائمة من كثرة السهر وما قاست فى البر الاقفر من التعب والضجر فصاح بأعلى صوته وقال لها قومى ياعبلة وانزلى ما هذا وقت منام فلم يجبه احد فهز العمارية بقوته وادخل رأسه فيها فلم ير فيها احدا لا ابيض ولا اسود فصاح وجلب من شدة ما وقع له من النكد وعاد على عقبه وهو ينادى بعدم اخته عبلة وهو حائر ومازال الى ان وصل الى عنتر واعلمه بفقد عبلة وكيف انه ما رآها وما وجدها فى العمارية ثم سأله عنها فقال عنتر ما رأيتها من ليلة امس لما تركتها مع خدامها واتيت لاجل السلام على بنى عبس ولكن يا ابن العم اين ذهبت فقال له لا ادرى ولا اعلم ما وقع لها من الهم والغم فعند ذلك قامت على عنتر القيامة وحس بان روحه تنسل من بين جنبيه وما بقى يدرى ما بين يديه ثم انه جمع الاماء والعبيد وسألهم عنها فما أحد أعطاه خبرا فاغتم لذلك وتحير واشتد به كربه واحترق فؤاده وكبده وصار يدق بيد على يد من شدة الغيظ والكمد ثم انه بكى وان واشتكى وانشد يقول

حتى متى أعيا باسباب البلوى ✲ واعالج الاشواق من الم النوى ✲ حتى عدمت تجلدى وتصبرى
والسمع منى ضاع وانبرت القوى ✲ فلأصبرن على النوائب كلها ✲ ولوان جسمى بالبلا ياقدتوى
ولقد حملت الهم من دون الورى ✲ ما ليس تحمله الشداد ذوو القوى

(قال الراوى) كل هذا يجرى من عنتر على عبلة ومالك ابوها قد اظهر الحزن فى الغادر والفرح فى الباطن لانه يريد هلاك ابنته لكى لا يأخذها عنتر بغير نيته وقد تبدلت افراحه بالاحزان الشداد وشمت بعنتر الاعداء والحساد وكان اكثر الشماتة من بنى زياد واما الملك زهير فانه لحقه من الغم شئ كثير وانقهر وجرى على قلبه ما لم يجر على قلب بشر وصار يتعجب من هذا الامر الخطير ثم انه ارسل بعض عبيده يتجسس اخبارها ويقتفى آثارها فسارت جماعة من العبيد وطلبوا البرارى والقفار فما وجدوا لها اخبار ورجعوا الى ديارهم خائبين والى عند الملك زهير طالبين واعلموه انهم ما وجدوا لها خبر ولا وقعوا لها على اثر فقال الملك زهير لعنتر يا ابا الفوارس طيب قلبك ولا يضيق صدرك فوحق البيت الحرام وزمزم والمقام والركن والحجر ومن طاف به من ربيعة ومضر لاقتفين آثارها وآتيك بأخبارها ولو انها خلف سد اسكندر فقال عنتر يا مولاى ان الخطأ كان منى فى الاول لانى تركتها فى العمارية عند من لا يعرف قدرها وسرت انا اللك وطلبت العجلة خوفا على قلبها من العناء والتعب حتى لا يفوتك نصب (قال الراوى) وبعد ذلك عاد عنتر الى ابياته وقد طلب بيت امه زبيبة وهو يمشى بغير اختياره لانه يعلم انها قاعدة فى انتظاره وفى قلبها من اجله نار لا تطفا ولهيب لا يخفى وهى لا تصدق ان تنظر اليه وتتمتع به بعد هذه الغيبة الطويلة فهذا ما كان من عنتر وما جرى له (واما ما كان) من عروة بن الورد واحواله فانه اجتمع بالربيع بن زياد وحدثه بحديث اخيه عمارة القواد وما فعل من الامور والعناد واخبره كيف خلصه عنتر من اسر طارقة الليالى وكيف فقدمنهم فى الظلام ولم يعلموا اين مضى ويعرفوا اين سار فقال الربيع عند ما سمع من عروة ذلك الكلام وحق الركن والحجر

والبيت العتيق المطهر ومن طاف به من جميع البشر ماقتل اخى عمارة الا هذا العبد الاغبر وانى لا اطلب ثارى الا من الملك زهير وارميهم بسببه فى العناء والضير وان هو لم لنا هذا العبد نفعل به ما نريد والا رحلنا من جواره واخذنا ثارا اخينا بأيدينا من هذا العبد العنيد ولما اصبح الصباح قام الربيع واخوته بجنبته وهوى جماعة كثيرة من اقاربه وعشيرته وساروا بهم الى أن دخل على الملك زهير فى الخيام ثم انه صاح وبكى وناح وقال وا أميراه وا أخاه ثم انه اخبر الملك زهير بما صدر من الكلام فتعجب الملك زهير من تلك الاحكام فعند ذلك قال لهم يا بنى زياد ما هذه الاحوال والعناد اتركوا الرجل من ايديكم واعلموا ان عنده شاغلا من دون الانام وبعد هذا ان اقتم عليه البينة انه هو الذى قتل اخانا فوحق الرب القديم اسلمه اليكم فقال له الربيع يا ملك واذا اقمنا عليه البينة انه هو الذى قتل اخانا وأهرق دمه ما تقول انقتله بأيدينا ويكون يا ملك الزمان عبد شداد ابن الامه عديل أخينا الامير عمارة ابن الحرة المكرمة ثم ان الربيع انشد يقول

يا ايها الملك العظيم الشان * اعطف على ذلى وفرط هوانى * ايقاس اندال العبيد بسيد
بطل كمى من بنى عدنان * ايكون عبد ماله حسب ولا * نسب ولا قدر مدى الازمان
كفؤا الحرة ماجد وبزول ما * فى قلبنا من لوعة النيران * كلا ورب البيت ما ترضى بذا
* فى قتله ألفا من السودان *

(قال الراوى) ثم ان الربيع خرج من عند الملك زهير حردان وقد علم الملك زهير ومن عنده من العربان انهم ظالمون لعنتر وانه برىء مما قالوه عنه من ذلك الكلام المجهر ودام أهل الحى يتحدثون فى أمر عبلة وقد كثر الكلام بالجملة وكل واحد يتكلم بما يجد فى نفسه من الكلام (قال الراوى) وكان السبب فى فقد عبلة هو حديث عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب وذلك أن عنترا لما فارق عبلة بالليل وأوصى عليها الخدم والعبيد وسار لملاقاة الملك زهير وبنى عبس المشاهير أخذ عبلة النوم لكثرة العناء والضير لان عنترا كان أسهرها بحديثه ولما أن فارقها نامت داخل العمارية والعبيد سائرة بالاموال والنياق والبغال وجميع الاموال سائرة بجانب العمارية يمينا وشمال فلعب النعاس بعين الامة القائدة لزمام البغال وذلك لامر قدره الله تعالى فقصرت البغال عن السير ولحق الخدم التعب والتقصير ومازالوا سائرين الى ان طلع الفجر وبان وشبعت عبلة من المنام ولما انتبهت من منامها لم تر العبيد والخدام ولا سمعت لظعن حسا ولا نجيجا فرفعت سجاف الهودج وكان الصبح بالنور قد أبلج فرأت فساح البر وهى وحدها والاماء والعبيد نيام عندها فزعقت عليهم فأيقظتهم من غشوة الكرى وقالت لهم يا ويلكم أين الظعن وباقى أصحابكم فقالوا لها يا مولاتنا لقد غلب علينا النوم وها نحن بين يديك نطلب ان ترفهى عنا التعب واللوم واعلمى أن الظعن لم يكن عنا ببعيد بل هو قد امنا قريب (قال الراوى) فلما سمعت عبلة منهم هذا الكلام طاب قلبها من الالام وقالت لهم يا ويلكم قفوا على قليلا حتى أنزل أتمشى ساعة لاجل تليين العصب الموجب وجع الركب من القعود الطويل ففعلوا ذلك ونزلت عبلة الى الارض وصارت تنظر فيها طولا وعرضا الى أن لانت أعصابها وارتاحت ومن التعب التى اعتراها ثم انها قالت للخدام سيروا أنتم قليلا قدامى وها أنا سائرة خلفكم فساق الخدام الاموال قدام عبلة فبدا لها قضاء حاجة فتمشت على غير الطريق لتزيل الضرورة فبعدت ازالتها أرادت أن تقوم وتتبع القوم واذا بفارس قد انقض عليها من صدر البر ورأى ما عليها من الحلى والحلل والتاج ولما صار عندها وعرفها نادى وافرحتاه بالذى كنت أؤمله وأتمناه واختطفها من الارض وأردفها خلفه وركض بها فى الفلاة وكان هذا الفارس هو عمارة القوادو ذلك أنه لما خلص عنتر من أسر طارقة الليالى وعاد معه الى قرب ديار بنى عبس وقد شاهد تلك الاموال والغنائم كادت روحه ان تزهق من جسده فمات كمدا وعلم انه ما بقى يقدر على المقام من شدة الوجد والاهتمام ففى تلك

الليلة

الليلة ماذاق طعم المنام بل انه خرج فى الليل من الخيام وصار يلطم على وجهه وقد اقلقه الهوى وهو حيران فصار تارة يسير يمينا وتارة يسير شمال وتارة يقتفى آثر نوقهم والجمال فعندها باح بما فى قلبه وأنشد يقول

اسير وقلبى فى الديار أسير * وارجو يسير الواصل وهو عسير * وأبكى على ذلى وقد كنت سيدا
الى صناديد الرجال تشير * ولولا صرف الدهر زادنا قص * ونال العلا عبد وذل أمير
اهيم وأشكو فى الفلا بحرقة * وبين ضلوعى للفراق زفير * وتجذبنى الاشواق يا ابنة مالك
* البك وينقاد الغرام أسير *

(قال الراوى) وكان لم يزل سائرا على هذه الوسيلة طول تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح فاخذ يتبع أثر القوم وهو يتنهد ويتحسر فبالقضاء والقدر وقع بعبلة كما ذكرنا وهى ماشية تتخطر فانقض عليها واختطفها وأردفها وراءه على الجواد وركض بها فى ذلك البر الاقفر فحين عرفته عبلة قالت له ويلك اما تستحى وانت تسبى بنت عمك فقال لها لابد ان أسبيك ولا أموت قتيل هواك فوحق ذمة العرب ما بقيت أدع عنترا يراك (قال الراوى) فلما حققت عبلة منه ذلك زادبها الانين وقالت والله لا نلت منى ما تريد وان لم أقدر على منعك قتلت روحى بيدى فقال لها ما هذا وقت خطاب ولا عتاب ثم ان عمارة القوادسار وهى خلفه طالبا أرض اليمن وديار بنى قحطان ومراده أن يستجير بالملك ملجم بن حنظلة ملك بنى طيئ ولم يزل على ذلك الى ان امسى عليه المساء ونزل على بعض المياه وبات تلك الليلة الى ان أصبح الله بالصباح وعبلة فى بكاء ونواح فركب عمارة جواده وأراد ان يردفها وراءه واذا بغبار قد علا وثار وسد الاقطار وبان من تحته فرسان وشجعان وهم ثلثمائة فارس ليوث عوابس ويقدمهم فارس كأنه عامود أو قطعة من جلمود * قال وكانت هذه الفرسان من بنى طيئ والمقدم عليهم يقال له مفرج بن همام الطائى وكان فارس عصره ونتيجة دهره فلما ان قارب عمارة ونظر عبلة وهى واقفة تبكى وعليها تلك الحلل الفاخرة قال لقومه يا بنى الاعمام أبشروا بهذه الغنيمة التى اقبلت علينا فى هذا النهار فلا شك أن هذه الجارية من بنات الملوك الكبار وقد وقع بها هذا الرجل فدونكم يا بنى العم واياه وان هو مانع عنها فاقتلوه واعدموه الحياة * قال فعند ذلك دارت به الفرسان وطلبته من كل جانب ومكان فلما نظر عمارة الى ذلك حار فى أمره ولحقه الانبهار وقال لعبلة يا بنت العم انزلى حتى انى أدفع عنك العدا وأرد عنك هؤلاء القوم لانهم يريدون أن يأخذوك منى لاجل أن تنظر كرى وفرى ولكن يا بنت العم بالله عليك اذا رأيتهم ملكونى او قتلونى فلا تنزوجى بهذا العبد الزنيم بعدى (قال الراوى) فما أتم عمارة كلامه وابرامه حتى دارت به الفرسان وطعنه فارس منهم بعقب الرمح فقلبه عن جواده وركبه وأخذه اسيرا وقاده ذليلا حقيرا وحملوه هو وعبلة وساروا بهم الى بين أيادى سيدهم مفرج بن همام (قال الراوى) فلما نظر مفرج بن همام الى عبلة وحسنها خفق فؤاده والتهب بناره فأمر بحملها وعرض عمارة على جواده فى شده واعتقاله وساروا هو واصحابه وفرسانه واجناده الى ان وصل الى ارضه وبلاده وكان كلما سار يتلطف بعبلة فى السؤال وهى ما تزداد الا بكاء وانتحابا حتى وصلت معه الى الديار * قال ولما قر قرار مفرج بن همام فى أرضه احضر عمارة وسأله من اى القبائل انت فقال له انا عمارة بن زياد من بنى عبس الاجواد واخى الربيع امير من الامراء الشداد فقال له وهذا الجارية ما تكون منك يا ابن الاوغاد فقال له هذه عبلة ابنة مالك بن قراد وابن عمها عنتر بن شداد ثم انه اخبره بالقصة من اولها الى آخرها وكيف ان مالكا انفذه الى ارض العراق فى طلب المهر والصداق وكيف ان شيبوب اتى ونعاه فى الاحياء وكيف ان مالكا وقع مع واقد بن مسعرة الكنانى وذكر له قصة طارقة الليالى وكيف قابلهم عنتر فى الطريق وخلصهم من البلاء والتعويق وبالقصة من اولها الى آخرها (قال الراوى) فلما ان سمع مفرج من عمارة هذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال له يا ابن اللئام هذا جزاء عنتر بن شداد بعد خلاصك من العبيد نسل الحرام ثم انه امر

عبيده فى الوقت والحال ان يشجوا عمارة فى اربع سكك من حديد ويضربوه الضرب الشديد ففعلوا ذلك به وداموا عليه بالضرب والعذاب فجعل عمارة يستغيث فلا يغاث فقال له مفرج افدنفسك يا ابن الاوغاد فقال له عمارة اطلب منى ايها الفارس الجواد ماشئت وما تريد فقال له اطلب منك خمسمائة ناقة وخمسة رؤس من الخيل بعددها ولا ماتها فقال له ياسيدى على كل ماطلبت على انك تنفذ عبدا من عبيدك يسير الى بنى عبس ويجتمع باخوتى ويعلمهم بما انا فيه من التعس والنكس وهم يرسلون اليك الفداء وكل ماطلبت واخبرك ان اردت ان تفدى هذه الجارية بما يسرك مما تريد فاهلها يرسلون اليك اوفى مزيد فقال له مفرج يا ابن الاوغاد فالجارية ما بقيت تبرح من يدى لانها ملكت فؤادى وكبدى واريد ان احظى بها واسلمها جميع ماعندى ففى الحال ارسل عبدا من عبيده العظام وقال له سر الى بنى عبس بهذه الرسالة واخبرهم بهذا المقال فقال عمارة للعبد اوصيك ياعبد الخير انك لا تدخل عليهم الا ان يكون ذلك بالليل وان تعلم اخى الربيع بما انا فيه من الذل والويل وقل له لا تتوان على عمارة لانه فى القيود يقاسى الاهانة ثم قال فعند ذلك سار العبد يجد المسير ولله المشيئة والتدبير الى ان وصل الى بنى عبس ووافق دخوله مع غروب الشمس وسأل عن فريق بنى زياد فعندها ارشدوه اليها العباد فسار حتى دخل على الربيع بن زياد واخبره بما جرى على اخيه عمارة القواد وعرض عليه ذلك وكان فى جواب كتبه له وهو فى عز المهالك فأخذه وقراه وفهم رموزه ومعناه فعند ذلك ارسل خلف اخوته واعلمهم بذلك الامر واستشارهم فيما يفعل فقالوا له افعل أنت ما بدا لك فكلنا تابعون لرأيك فقال لهم نكون نحن بنى زياد لامراء الاجواد ونخلص أخانا بمال أو نوال لا كان ذلك أبدا ولو سقينا شراب الردى فان ذلك عار وذل وشنار فقال اخوته ما يكون الرأى عندك فافعل ما تريد فقال لهم الرأى عندى اننا نقبض على هذا العبد ابن الاوغاد ونسير نحن نخلص أخانا بالرماح المداد من يد هؤلاء القوم الاوغاد فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فعند ذلك قبضوا على ذلك العبد ورطوه فى الخيام ونادى الربيع وقال لهم خذوا أهبتكم يا بنى الاعمام لاجل ان نخلص أخانا من الاسر والهوان لان الذى فعله عار وان علم بذلك الملك زهير يقول لنا ان اخاكم سبى ابنة عم الرجل ولج بها فى القفار وانتم اتيتم واتهمتموه انه قتله وانزل به الدمار وهذا والله فى حقنا ذل وعار لا ينمحى ابدا ولو منا على ذلك الصغار والكبار وبعد ذلك باتوا يصلحون أمرهم ويهيئون اشغالهم الى ان اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح فساروا فى مائتين فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس وكان معهم عروة بن الورد البطل الهمام وسار وا يطلبون حلة مفرج بن همام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مفرج بن همام فانه صار يتلافى قلب عبلة ويطيب خاطرها حتى تألفه فلم تزدد عليه الا قسوة وعنادا فراودها عن نفسها فأبت واغلظت عليه فى الكلام وقالت له يا ابن اللئام لن تنال منى ما تريد وانك الى وصال امك أقرب فابعد عنى وحيد لان هذا اقبح ما يكون عند بنات العرب يا سبان يا بليد وان كنت تغصبنى على نفسى فانى اقتل روحى بيدى وتبقى انت تطالب بدمى فعند ذلك اشتد به الغضب والاعتلام فضربها بالسوط على اكتافها وجنبيها حتى ابتلاها بالسقام وجلب لها الهلاك والاعدام فعند ذلك علا صراخها وصياحها وقالت يا ابن اللئام لو نظرك ابن عمى تفعل ذلك لطير منك الهمام ثم صاحت وقالت وابن عماه واحسرتاه وامصيبتاه واعتراه لما سمع منها ذلك زاد عليها بالضرب بالسوط الذى فى يده فزاد بكاؤها ونواحها فسمعت أمه ذلك النواح فأتت اليه قريب الصباح وقالت له ما لهذه الجارية فى البكاء والنواح فأخبرها بامره وأمرها وكيف انه راودها عن نفسها فأغلظت عليه فى الكلام وهددته بابن عمها ابن اللئام فلما سمعت منه أمه ذلك الكلام قالت له يا ولدى اتركها واكسر نفسها بالخدمة وقلعها الذى عليها والبسها الصوف وذلها بالشقاء لانه يا ولدى كثير من النساء من لا يجئ الا بالاهانة والمذلة والتعديد وبعد ذلك تصير لك أطوع من العبيد وتأتيك بكل

ما

ما تحب وتريد فعند ذلك استصوب رأيها وأجاب سؤالها ومقالها وخلع كل ما كان عليها من الحلى والحلل وألبسها الصوف على ذلك البدن وأظهر لها الجفاء بعد المحبة والوفاء وصارت أمه تستخدمها فى مخيض اللبن وجمع الجلة والحطب ونقل الحاجات والحشب فكانت عبلة تقطع النهار فى الخدمة والليل بالبكاء والدعاء على عمارة المحتال ويسمع ذلك وهو فى القيد والاغلال فيزيد على نفسه بكاء واعوال فهذا ما جرى له ؤلاء من الذل والانكاد (وأما ما كان) من عنتر بن شداد فانه مازال يبكى ويتحسر وفيما جرى عليه يتفكر فازدادت به الحسرات فأنشد يقول هذه الابيات

دموعى ليس يعدلها مثيل * وعينى نومها أبدا قليل * وقلبى لا يقر له قرار
ولا يسلو لما ذكر العذول * وكم أبلى البعاد الثلب دهرا * وشاقتنى المنازل والطلول
طلبت من الزمان صفاء عيش * وحسبك ماله يعطى البخيل

(قال الراوى) وكان عنتر لما فقد عبلة أرسل أخاه شيبوب يدور عليها فى الحلل ويسأل كل من رآه فى سهل أو جبل فلما كان يوم من بعض الايام قدم عليه أخوه شيبوب فوجده حزينا وهو كأنه فى بلوى أيوب وضر يعقوب فلما نظره عنتر قال له يا أخى طولت على غيبتك هات ما عندك يا شيبوب ان كنت وقعت لعبلة على خبر أو اقتفيت لها أثرا فاخبرنى بالعجل يا ابن الكرام ولا تطول على الكلام فقال له شيبوب هاهى مرمية عند مفرج بن همام فى بنى طيئ وامه تستخدمها فى الجلة والحطب وتغلظ عليها فى الكلام وقلة الادب فقال له وما سبب وصولها الى تلك البلاد يا ابن الاوغاد فقال له اخذها عمارة بن زياد فقال وكيف عرفت ذلك يا ابن الحرام فقال شيبوب فقد تلك أمك وابوك وجميع قومك ولا كنت ولا كانت عبلة يا ابن اللئام لاى شئ هذا الاستجهال فى الكلام فقال له عنتر يا اخى لا تلمنى لان عقلى ضائع ثم انه اخذ بخاطره ومسح اطرافه وسكن غيظه وقال له اخبرنى يا اخى كيف عرفت ذلك فقال له يا ابن الام انى درت فى بلاد اليمن وصنعاء وعدن وأتيت جبال بنى سلمى وبت فى كل فريق الليلة والليلتين ولما كان فى آخر ليلة بت فى حلة مفرج بن همام عند عبد يقال له سلام فأضافنى وأكرمنى بعد ما سألنى عن عرقى وحسبى ونسبى فقلت له يا ابن الخالة أنا من بنى جهينة فقال لى أكرمت يا مولد العرب فلما نامت الناس كلهم وهدأت الحركات وهجعت الكلاب بين المضارب وقع فى أذنى صوت عبلة وهى تنادى فى الليل الهادى وتندب كأنها حمامة الوادى وتقول واشوقاه الى العلم السعدى وارض الشربة واحسرتاه من بعد الوطن وفراق الاحبة يا حامية عبس من اين اتاجيئك ومن اى الجهات اتاديك وكيف السبيل فيمن يوصل خبرى اليك فما يخلصنى من هذا العذاب غيرك يا ابن العم لقد شمتت بك اعداؤك ونامت عيون حسادك وسهرت عيون اصدقائك ولقد آلمنى العذاب وقرح جفن عينى الدمع والاكتئاب يا أبا الفوارس اين كنت ايام التلاق حتى دهمتنا ايام الفراق وحكم علينا ذلك الملك الخلاق ومتى كان قدومك من ارض العراق حتى تشتتنا فى الآفاق وانا اقاسى الهم والعذاب والبكاء والانتحاب وقد آلمنى لبس الخشن من الثياب ثم انها يا ابن الام بكت واكثرت النواح وقيل انها تموت قبل الصباح فقلت للعبد الذى انا فى ضيافته يا ابن الخالة ما لهذه الجارية من دون نساء الحلة ما نامت وهى على هذه الحالة وهذا الليل قد انقضى والصبح قد اضا فقال العبد يا فتى اعلم ان هذه الجارية يقال لها عبلة ابنة مالك بن قراد العبسى ثم انه يا اخى اعاد على حديثها وكيف وقع مفرج بن همام برجل يقال له عمارة بن زياد وكيف اسره وحكى لى على ما جرى لك معه وعلى ما اتيت به معك من بلاد العراق وكيف خلصته من العبيد اللئام وكيف انك ملكت عبلة بعد ما كانت فى يد الاخصام فلاجل ذلك هج على وجهه واقتفى منها الآثار ولاجل القضاء والقدر لقيها فى الطريق واخذها وراءه على الجواد ثم اخذها منه مفرج بن همام بعد ما صار له ما صار وطلب منها ما تطلب الرجال من النساء

رهددته بك يافارس الفرسان الذى رفع قدر العبيد على الابطال الصناديد وترك لهم ذكر ايذكر فى
محافل الشجعان الاماجيد فلما سمع مفرج بن همام منه هذا الكلام كبرت نفسه عنده فنزع ما كان عليها
من الثياب والجواهر والاموال وضربها بالسياط الثقال وفعل بعمارة اقبح الفعال واوثقه بالقيود
والاغلال حتى انه يفدى نفسه بالنوق والجمال وقد انفذ لاخوته يعلمهم بما هو فيه من سوء الاحوال
ويطلب الخلاص منهم من كثرة العذاب وشدة الاعتقال وهانحن منتظرون قدوم المال حتى ننظر على
اى شئ ينفصل الحال ثم انتى يا ابن الام لما سمعت هذا الكلام واقبل الصباح بالابتسام طار من عينى
لذيذ المنام وما صدقت ان الصباح يصبح حتى انى طلعت من عندهم لاجل ان اعرفك ما جرى لهم لانى
اعلم انك من اجل غيبتى تقاسى الهم والغم وانت على لظى الجمر وانى عند عودتى يا اخى رايت بنى زياد سائرين
الى ديار القوم يطلبون خلاص اخيهم عمارة وكنت لما رايتهم تجنبت عن الطريق حتى لا يرانى عدو ولا
صديق فما التفتوا الى ولا عرفونى وهذا جملة ما عندى والسلام من حين فارقتك وسرت من عندك الى
أن اتيت اليك (قال الراوى) فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك المقال زاد به الهم والغم والخبال وغاب
عن الوجود وبقى حاضرا فى صفة مفقود من شدة حنقه على عمارة وشوقه الى عبلة لانه كان كثير المحبة لها
شديد الغيرة عليها فلما قلبه ما سمع عنها وما جرى عليها فقال لابد لى ان أكافئ بنى زياد ولا حرمنهم لذيذ
الرقاد واحسرهم على النساء والاولاد والاقاربا كون عنتر بن شداد ثم ان عنترا انفذ الى ابيها واخيها فلما
حضرا أطلعهما على ذلك المقال العجيب فأخذا فى البكاء والنحيب وقد شاع الخبر فى ابيات بنى قراد وعلا
الصياح وزاد وسار عنتر الى مضرب الملك زهير فراى ولده مالكا فأعلمه بالحال وان عبلة قد تحقق فقدها
فسار معه مالك الى ابيه ودخلا عليه واعلماه بالخبر ثم ان عنترا بعد ذلك بكى بين يديه وانتحب وقال ايها الملك
اعلم انهم اتهمونى بفقد اخيهم عمارة وانظر ما فعلوا معى بعد ما خلصت اخاهم من الاسر والهوان وجدت
عليه بالفك من سوء الارتباك (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام وراى تلك الفعال حقد
على الربيع واضمر لبنى زياد وقال انهم فعلوا كل امر شنيع هؤلاء الاوغاد لان اخاهم سبى عبلة مع انها
ابنة عمه ولحمه ودمه واخذها وهرب بها فى كل واد وكساها عار الايحى طول المدى الى يوم التناد وقد اتوا
بقبائح لم يأتها من عنتر بلا ذنب ولا اثر وان هذا ظلم زائد اكبر ثم انه قال يا ابا الفوارس دعهم فى بغيهم
وغدرهم يفعلون ما يريدون وانظر ما يجرى عليهم فقد ساقهم الله الى آجالهم برجليهم كما لا يشتهون وانا
اعلم انه لا يرجع منهم الى الحى من يخبر بخبر وهانحن ههنا مقيمون حتى نسمع اخبارهم وآخذك واسير بك
على آثارهم ونشفى فؤادنا منهم ولا نعود الا بخلاص عبلة ونقتل مفرج بن همام ونهب سائر ماله من الانعام
(قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير هذا الكلام استحى وعاد من حضرته وقد زاد به الغرام وكان
مالك قد عاد معه فقال له عنتر يا مولاى أنا ما بقيت أقدر على المقام ساعة واحدة من بعد ما سمعت بخبر ابنة
عمى عبلة ولابد لى من طلبها فى هذه الليلة تحت ستور الظلام واصطلى هذه النوبة وحدى ولا اتعب الملك
ولا أكلفه المسير الى هذا الامر اليسير لانه شئ قبيح واريد منكم كتمان هذا الامر ولا أحد به يبح فقال له
مالك يا ابا الفوارس ما اخليك تسير وحدك ولا تخرج من ههنا الا واكون معك مع من أعتمد عليه من
الفرسان من بنى عبس وعدنان ونبذل نفوسنا فى خلاص عبلة التى هى واحدة الزمان وسيدة بنات
بنى عبس وعدنان ولو تكون فى آخر مطلع الشمس وآخر العمران يا ابا الفوارس اصبر على يومين وثلاث ليال
لعل أن يخرج أبى الى الصيد والقنص ويخلو لنا الحى ونغتنم الفرص حتى لا يعيقنا أحد عن المسير ونزول
من قلوبنا نار السعير ونبلغ المرام ولا نخالف لأبى كلام فقبل عنتر مقاله ولا قدر أن يخالف سؤاله ثم
ان عنتر بات تلك الليلة بأكمل العيون ولم تغمض له جفون الى أن طلع الصباح وانهزم جيش الظلام وراح

فقال

فقال عنتر أسيرانا الى مالك أبي عبلة وأبي شداد وأشاورهما فيما أفعل من الاقامة كما أمرني مالك أو أرحل مع السلامة واذا بمالك ابن الملك زهير قد دخل عليه وقال له يا أبا الفوارس هيئ نفسك الى المسير والسفر واعلم ان أمرك قد تجهز وتيسر وأريد أن أخالف أبي وأتبع هؤلاء ولا أزال معك في مسراك ولا بقيت أفارقك حتى تبلغ قصدك ومناك فاعلم فرسان بني عبس وخذ معك عمك مالكا وولده عمرا وأبا الشداد أو عمك زهمة الجواد ولا تتركه عند النساء والاولاد فقال عنتر لمالك يا مولاي كيف نرحل ونخالف أباك وقد أمرني بالمقام حتى يرى ما فيه الصواب ويدبر ما يراه من بلوغ الاسباب فقال له مالك اعلم ان أبي ما أمرك بذلك الا شفقة منه عليك فارحل بنا في هذا اليوم لان أبي قد دعاه الشيخ بدر سيد بني فزارة فقال عنتر أنا يا مولاي زائد القلق والهيام ولا ذقت لذيذ المنام فلا عدمت همتك الشريفة التي لم تزل ترعاني في سائر الازمان ثم ان عنترا أنفذ أخاه شيبوبا الى أبيات بني قراد ليعلم أباه ومالكا أبا عبلة وولده عمرا ويخبرهم بذلك الامر والشان لانهم أصحاب رأي واجتهاد فسار اليهم شيبوب وأعلمهم بما عزل عليه أخوه عنتر فلما سمع مالك وولده عمرو ذلك أخذا أهبتهما الى المسير وأتى مالك بن الملك زهير الى عنتر وسأله فيما يفعل فأعاد عليه الحديث الذي جرى من أوله الى آخره فعند ذلك عاد مالك الى أبياته وأمر عبيده فاعلموا فرسانه وحماته وما ظهر النهار وتضاحى حتى خرجت الفرسان الى ظاهر الحي وكانوا مائتي فارس للحديد لوابس شجعان في الصدام عوابس وعليهم الزرد كاملين العدد تلتقي ورود المنايا بارواحها وتنهب الاجسام بشفار صفاحها وعنتر بين أيديهم على ظهر جواده الابجر كأنه الاسد القسور وقدامه أخوه شيبوب يسير بهم في ذلك البر الاقفر والى جانبه مالك ابن الملك زهير صاحب الوجه الازهر وكان عنتر كلما يتخايل له ان عبلة تنادي باسمه ليلا ونهارا ينادي ويقول من شدة شوقه اليها لبيك لبيك يا بنت العم ها أنا قد سمعت ندائك وسرت الى هلاك أعدائك ثم ان عنترا قال لمالك يوما من الايام بعد ان قطعوا مسافة بعيدة يا مولاي ان سفرتنا أمرها عجيب وزين لاحتوائها على أمرين تخليص حبيبتي من الذل وانقاذ عدوشين فقال مالك وما معنى هذا الكلام يا أبا الفوارس فقال لاني سائر الى أعدائي أتسبب في خلاصهم وأنا أعلم انهم لو ظفروا بي ما أبقوا علي ولكن لاجل عين تكرم ألف عين ولاجل عبلة أتحمل الضيم ثم انه بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

أحمل الضيم من بني العم جهدي * ثم أخفي عنهم غرامي ووجدي
واذا ما أردت قلت احملوني * فانا ظالم كثير التعدي

(قال الراوي) فلما سمع مالك ابن الملك زهير هذا النظام تعجب من عظم مروءته وقال له يا أبا الفوارس لا يأخذك على ذلك الامر ندم فوحق الركن والحجر أنت الظافر بأعدائك وهم اليك في كل الامور محتاجون ولسعادتك تابعون ولقولك كلهم سامعون وسوف ترى ما يجري لبني زياد مع مفرج بن همام وتعلم أن الظلم له أسباب لا تنام ثم انهم ساروا يقطعون البلاد ويطوون الارض على ظهور الخيل الجياد آناء الليل وأطراف النهار فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبلة وعمارة ومفرج بن همام الذي هم في قبضته فانه لما أنفذ العبد في طلب الفداء أقام ينتظر ما يكون من أمره ويقول اليوم ترضى عبلة وتطاوعني على ما أريد هذا وقد شاع الحديث في بني طي وتحدث به الرجال والنساء في كل حي فسمعت بذلك أم ناقد بن الجلاح الذي قتل عنتر ولده وكانت بعد قتله لبست عليه السواد فصارت لا تهدأ من البكاء والتعديد فلما سمعت بأسر عمارة بن زياد ركبت وسارت مع عبيدها تطلب أخذ الثار وكشف العار ومازالت سائرة الى أن وصلت الى الديار ودخلت على مفرج بن همام وبكت في وجهه وطالبته بأخذ الثار وكشف العار فقال لها يا خالتاه أما تارك فلا أنساه واعلمي اني ما أقنع في ثار ولدك من بني عبس بهؤلاء الرعاة ولا أرجع عنهم حتى أفنيهم وأترك ديارهم خراب وأذبح ساداتهم والشباب على قبر ولدك الفارس المهاب وأقود اليك

أسودهم عنتر قود الحمير والبقر وهذا عمارة بن زياد ما طلبت منه الفداء والمال الا خديعة ومحال لعل بعض اخوته يأتي بالفداء ويكون معه جماعة من ساداتهم فأقبض على الجميع وأدعك تتحكمين فيهم الرفيع منهم والوضيع حتى يسمع أسودهم عنتر ويأتي يطلب خلاصهم فآسره وأسلمه اليك وترى ما تقر به عينيك وتكون قد أخذنا منهم المال وبلغنا الآمال (قال) فلما سمعت أم ناقد ذلك المقال طاب قلبها بذلك السؤال وقالت ان كان ولا بد فأعطني هذا الاسير حتى أعذبه العذاب الكبير وأطعنه طعن الخطنة والشعير فقال لها افعلي ما بدا لك نجح الله أعمالك فعند ذلك وثبت أم ناقد مثل اللبوة اذا فقدت أشبالها وأخذت السوط بيدها ودخلت على عمارة البايد وهو مشبوح في أربع سكك من حديد وهو يقاسي العذاب الشديد فلما دخلت عليه قالت له ويلك يا ابن الاندال من تكون أنت من الرجال قال لها ياستاه أنا عمارة بن زياد أخو الربيع شيخ بني عبس الاجواد فقالت له اليوم آخذ ثار ولدي منك يا ابن الاوغاد ثم انها جعلت تضربه ضرب الحقود وتأكله بأسنانها مثل القرود فقال لها عمارة وهو لا يعرفها يا أم الرجال الابطال لاى شئ تفعلين معي تلك الفعال وأنا اشتريت نفسي بالنوق والجمال والمال الكثير والنوال وقد مضى الرسول يأتي به في عاجل الحال فقالت له أنت تظن أن تفدي نفسك يا ابن الاندال فوحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام لو أتيت بجميع مالك من الانعام ما خلصت من هذه الآلام ولا بد لي من ذبحك مثل الاغنام وأشرب من دمك مثل المدام فقال لها عمارة ولماذا ذلك ياستاه فقالت أما تعلم من أنا يا ابن اللئام فقال لا وحق الملك العلام * قال فعرفته العجوز بنفسها وأعلمته بحسبها ونسبها وقالت له اعلم أيضا ان العبد الذي أنقذه مفرج بن دمام يأتي بالمال والانعام كالمزور ومحال حتى يأتي قومك ونأخذهم ونقبض على الرجال (قال) فلما سمع عمارة منها ذلك الكلام أيقن بالهلاك وعلم أنه ما بقي له من الموت فكاك وأيقن بشرب كأس الحمام وندم على ما فعل وصار في حالة الاعدام وقال في نفسه هذا شئ ما كان لي في حساب ولا ظننت بأن تجري هذه الامور والاسباب فوالله ما بقيت ألتذ بطعام ولا بشرب مدام اذا لم يأت هذا الاسود الحجام في طلب عجلة بدر التمام ويخلصنا من هذا الانتقام وأنا وحق اللات والعزى ما برحت مما أنا فيه من ذلك العذاب والاذلال والانتقام ولا أزال فيه على ممر الليالي والايام ولا يقدر أحد غيره على هؤلاء اللئام وأموت أنا من دون جميع الانام (قال الراوي) فهذا ما جرى من هؤلاء وما حصل لهم من الاحكام (وأما ما كان) من أمر الربيع القرنان فانه سار وقطع البر والآكام ومعه اخوته وتمام المائتين فارس كما ذكرنا في الكلام ومازال يطوي الارض طي الى أن بقي في ديار طي فقال لمن معه اعلموا يا بني الاعمام انا حصلنا في ديار القوم وأتينا نخاص أخانا ونبرأ من العتب واللوم وما بقي في الامر الا حسن التدبير من قبل أن يعلموا بنا ويأتينا الصغير والكبير فقال له اخوته لا تترك شيأ من التدبير وافعل ما بدا لك ونحن الجميع نتبع أفعالك حتى لا يقال عنا عند سائر الرجال ان بني زياد خلصوا أخاهم بالنوق والجمال ونصير معيرة في سائر الاطلال فقال سيروا وطيبوا نفوسكم أزال الله عنكم تفريقكم فوالله ما وصلت الى هذا المكان حتى أحكمت التدبير وفعلت فعلة يعجز عنها كل فارس خطير لاجل أن نخلص أخانا من ذلك العذاب النكير ونعود كلنا سالمين في سعادة وتمكين فقالت جميع الرجال وكيف ذلك المقال فقال لهم نترل الليلة على غدير الجرعة ونحن على ذلك الايضاح الى أن يصبح الله علينا بالصباح ونتمكن في تلك الآكام ونرسل أحدنا الى مفرج بن همام يقول له أيها الامير والفارس الخطير اعلم اننا نحن من بني عبس الابطال ونحن عشرة رجال وقد أتينا لك بما طلبت من أخينا وهي النوق والجمال كما اتفق بينك وبينه من المقال فلقينا رجال من الاعداء الاندال فأخذوا جميع ما معنا من الاموال والخيل والجمال ومارضينا من أجل ذلك أن نقاتلهم خوفا من سفح الدما وأنت تعلم اننا في أرضك والحمى فقم خلص مالك لانه ما أتى الا على اسمك وقد نهب في أرضك والا عيرك الناس بذلك الى الابد ما قام قائم أو قعد

وانا

وأنا أعلم أنه اذا سمع ذلك المقال يركب في نفر قليل من الرجال لما يعلم من نفسه من الشجاعة والقوة والبراعة ونكمن له في ثلاث مكامن حتى أنه يبقى في أوساطنا وومن معه فنهجم عليهم ونقبضهم قبضا بالأكف ونسوقهم أساري وهم أذلاء حيارى ونسير الى ديارنا وحمانا حتى نفادي بهم أخانا (قال) فلما سمع اخوته ومن معه هذا التدبير فرحوا واستبشروا بعد التكدير وكان بينهم رجل ذو هيبة ووقار وسطوة ومدار يسمى أنس الجواد وهو أخو الربيع بن زياد فقال له الربيع سر يا أخي الى مفرج بن همام وأخبره بذلك الكلام وزخرف له الامور والاحكام (قال) فسار أنس من وقته وساعته وهو يجد ويتأمل في فكرته الى أن وصل الى مفرج بن همام في حلته وبدأه بالسلام فرد عليه السلام وقال له من أنت من العرب الكرام فقال له من بني عبس وعدنان وقد أتيت اليك في أمرهم فقال له مفرج قل ما بدا لك وأخبرني بحالك وأوجز السؤل وأصدقني في المقال فأعاد عليه أنس ما دبره الربيع من المحال فلما سمع مفرج ذلك الكلام صار الضياء في وجهه كالظلام ونهض واثبا على الاقدام وقد ثارت في رأسه نخوة الرجال الكرام وقال وحق الملك العلام رب زمزم والبيت الحرام لاسرت في هذا الامر الا وحدي ولا يتبعني أحد من جندي وهب انه يكون ما كان ولا صاحبت أحدا من الاخوان ولا أخذت معي مصاحب ولو أن الاعداء بعدد الكواكب أيكون مالي أتى على اسمي وتنهبه الاعادي وهو في أرضي وبلادي لا كان ذلك أبدا ولو أتى شربت كأس الردى ثم ان مفرجا أراد أن يسير في تلك الفدافد فاعترضته العجوز سلمى أم ناقد بن الجلاح وقالت له ويلك يا ابن العم ما هذا الامر الذي اعتراك وأي شئ الذي حل بك ودهاك أخبرني بما جرى من الكلام لاني رأيتك أصغيت الى الكلام من هذا الرجل ابن اللئام * قال فأعاد عليها مفرج ما سمعه من أنس وعيناه تشتعل في رأسه مثل القبس حتى صارت تحاكي النار التي في الغلس (قال) فلما سمعت من مفرج هذا الكلام صار الضياء في وجهها كالظلام وعبست وهمهمت وقالت وحق الكعبة الحرام وما عليها من الآلهة والاصنام ان جميع ما سمعته زور ومحال ولا ينطلي على هذا المقال وان سرت وقعت في الاسر والاعتقال وخلص العبسي من غير نوق ولا جمال والدليل على ذلك الابراد ان العبد الذي أرسلته اليهم ما عاد فقال لها مفرج صدقت يا خالتاه في ذلك المقال وكيف التدبير في ذلك الامر العسير فأخبريني بما عندك من المقال لانه ما فيه شك ولا محال فقالت له اقبض على ذلك الرجل المخذول الذي أتى لك في صفة رسول واجعله مع ابن عمه حتى يعلم عاقبة فعله وبعد ذلك فاركب أنت في أبطالك الامجاد وسر الى هؤلاء الاوغاد واحملوا عليهم حملة الآساد وأسروا من تأسروه والذي يمانع عن نفسه فاقتلوه وقد بلغتم الآمال وبان لكم الصدق من المحال لانك أنت معول على قبض الرجال الذين يأتونك بالفداء والمال وما هم فعلوا تلك الفعال ويقام عزك عند جميع الملوك العوال (قال) فلما سمع مفرج من العجوز ذلك الكلام رأى فيه الصواب فرجل أنسا وافلت جواده وأمر العبيد أن يوثقوا شداده وقال لهم سوقوا هذا الكلب الى المضرب الذي فيه ابن عمه واتركوه عنده في حمه وغمه الى أن نأتي بجميع أولاد عمه وننزل بهم الشدائد ونضرب رقابهم في يوم واحد ونأخذ الثار وتزيل العار ونسير بعد ذلك الى ديارهم ونجعلها خراب يزعق فيها البوم والغراب * هذا وقد فعلت العبيد بانس تلك الفعال وانزلوا به الذل والوبال ثم صاح بعد ذلك مفرج بن همام في أبطاله ورجاله وانتخب منهم مائتي فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس كلهم أقيال شجعان عرفوا بالفروسية في حومة الميدان فأخذهم وسار يقطع البر والفدفد وقد طلع على أشداقه الزبد * قال وكانت العبيد لما أخذوا أنس بن زياد أدخلوه على أخيه عمارة القواد فلما رآه وصار عنده كادت روحه أن تخرج من جسده وقال له يا أخي ما الذي أوقعك في هذا المكان وأنت في ذلك الهوان والله لقد قطعت ظهري وحيرتني في أمري وأنا كنت منتظرا لكم انكم تأتوني بالفداء وانخلص

من اسرى هذا من يد الاعداء (قال) فلما ان سمع منه انس هذا المقال قال له كل هذا من اجلك يا مذلول
السبال لاجل ما فعلت من الاعمال ثم اعاد عليه جميع ما جرى من الاعمال وما دبر الربيع من الاحتيال
وما قد جرى لمفرج والعجوز من المقال وكيف انها عرفته بالقصة وكيف قبض على من غير امهال فقال
عمارة وقد بكى وامصيبتاه من هذه النوبة المشومة والفعلة المذمومة التي انقطع فيها اثر بني زياد وقد
شمتت بنا جميع الحساد وما بلغت من عبلة مراد ولا طفيت لهيب نار الفؤاد فقال انس والله يا عمارة
هذا كله من فعلك ولا وقعنا في ذلك البلاء الا بسبب عملك لاننا نهيناك عن عبلة مرارا وانت ما تنتهي وما
فعلت الا ما تريد وتشتهي ولا سيما ان قتلنا مفرج بن همام وقتل ايضا جميع اخوتك الاجواد فانه يشمت بنا
ذلك المبدول الزناعتر بن شداد لانك اكبر اعدائه انت واخوك الربيع ويكن ذلك شؤم رأيك الشنيع
فقال عمارة لقد صدقت يا اخي في هذا المقال ولكن ما صفا لي الزمان ولا حظيت بعبلة ست البنات
والنسوان ولو كان شهرا واحدا او اقل من ذلك الزمان فقال له اخوه انس سلط الله عليك وعليها اغلبات
الزمان يا ويلك انت مجنون او مصاب ابتلاك الله يا قرنان بأشد العذاب * قال فهذا ما كان من هؤلاء
وما حل بهم من الامر الشنيع (واما ما كان) من الامير الربيع فانه لما ارسل اخاه بذلك الخطاب تفرغ
بعد ذلك لما يدبر من الاسباب وقسم من معه ثلاثة اقسام فجعلهم ميامن ومياسر وترك منهم عشرة ظاهرين
وهم على خيولهم راكبون وبرماحهم معتقلون وقال لهم اذا رأيتم مفرحا قد اقبل مع اخي انس فنادوا به
وأنتم مبادرون وقولوا له أيها السيد المفضال نحن الذين أتيناك بالمال والنوق والجمال وأردنا ان نخلص
ابن عمنا من الاعتقال فبينما نحن سائرون في تلك القفار واذا قد لاح لنا غبار وانكشف عن خمسمائة فارس
جبار فأخذوا منا النوق والجمال وها نحن قد جئنا أعلمناك حتى تخلص أموالك من أعدائك ثم سير وابين
يديه في هذه التلال والرمال حتى نخرج من المكان عليه في ساعة الحال ونأخذه قبضا باليد من
غير ضرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم فعلوا ما أمرهم به الربيع في تلك الساعة
ووقفوا في البر والآكام واذا قد أقبل عليهم مفرج بن همام ومعه من ذكرنا من الاقوام فلما ان رآه
هؤلاء الرجال تبادروا اليه في عاجل الحال واردوا ان يعلموه بما قد منا من المقال فلم يمهلهم ولا سمع منهم
خطابا ولا كلاما ولا جوابا بل انه ارسل عليهم من حسامه انواع العذاب واسقاهم كأس الشراب وفي
دون ساعة جرح منهم سبعة وانهزمت الثلاثة وتد فروا في الصحراء وساروا الى المكان واخبروهم بما قد جرى
فعند ذلك خرجت الكهنة وهم منذهلون * هذا ومفرج كان تبع المنهزمين لكشف صحة هذا الامر بتمكين
فبينما هو وقومه على ذلك الحال واذا بالكهنة خرجوا عليهم من اليمين والشمال وظهرت جميع الفرسان
من كل جانب ومكان وقد تصايحت يا آل عبس يا آل عدنان فعند ذلك ظهر الحق وبان الكتمان وعاد
السر الى اعلان ولربح الى خسران فعند ما صدق مفرج كلام العجوز وعلم ان الحق معها بيان لانها خبيرة
بأمور الزمان ومواقع الحدثان فعند ذلك جمل والتقى صدور الخيل وهو مثل الاسد الغضبان وصار
يطعن الفرسان ويجندل الابطال والشجعان وقد بلاهم بالذل والهوان * قال هذا والربيع ينادي لبني
زياد ويحرضهم للضرب والجلاد ويقول والله ما كانت الحيلة الا محكمة ما تخطر على بال أحد من العباد
ولكن ما ساعدنا الزمان ولا حوادث الايام ولا توهمنا ان هذا الشيطان ينفر علينا بهذه الفرسان ويعلم
ما دبرنا من الامر والشان واشد شيء علي أنه قبض على اخي انس وانزل به العذاب فأقر له بما دبرنا من
هذه الاسباب وفي هذه الساعة ما بقي يغيثنا الا الضرب بالسيوف والصبر على شرب كاسات الحتوف
والا شمتت بنا الاعداء والحساد ولا سيما عنتر بن شداد لانه لنا من جملة الاضداد ثم انه حمل واقتحم الغبار
وتبعته فرسانه الاخيار واعتمدوا على الضرب بالحسام البتار حتى ظهر من حوافر الخيل شرار النار

وتقطعت

وتقطعت الاوداج وقصرت الاعمار وفارت الدماء حتى صارت تجرى كماء الانهار وعلا على الجميع الغبار حتى خفى واعمى الابصار * هذا وقد بكت الارواح لما خرجت من الاجساد وطارت الجماجم من وقع السيوف الحداد وطلعت الارواح على اسنة الرماح الصفاد وكثر الحرب والجلاد وزادت بين الطائفتين الاحقاد وكثر بينهم العناد وتقدمت الرجال الاجواد وصبرت للحرب والجلاد وقد خسرت بنو زياد من ذلك الحرب والقتال والتجأت الى اساقيف الجبال وقد قتل منهم خمسون فارسا ربال وجرح اكثر من ذلك المقدار وقد هبرهم مفرج هبرا ونثر منهم خمسة وعشرا ومازالوا على ذلك الحال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالانسبال وقد ذهب النهار وافترقت الطائفتان عن الحرب والقتال وبات مفرج وهو يقول وحق اللات والعزى لقد كان الرأى مع العجوز ام ناقد سلمى ولو لا مشورتها كنا خسرنا وكانت اشتفت الاعداء منا والساعة قد بلغنا المنى ونلنا المسرة والهنا وفى غداة غد أخرج الى البراز وأنجز امرهم غاية الانجاز ونحمل عليهم اجمعين ونتركهم فى امرهم متحيرين ولا نترك منهم من يخبر بخبر وان اتى عبدهم عنتر كان الحظ الاوفر لانى اريد ان احمله الى ام ناقد واهبه لها حتى تأخذ منه بثار ولدها واصير أفتخر بذلك فى جميع القبائل واذكر بهذه الفعلة عند سائر الابطال والمحافل * قال ثم ان مفرجا اقام ينتظر الصباح حتى يروى من دمائهم البطاح واما الربيع فانه بات بليلة طويلة وقد ندم لكونه ما حمل المال لما أخذ اخاه عمارة وقد ايقن بالذل والخسارة وما راى على نفسه انه يهرب لانه خاف من معيرة العرب فأقام ينتظر العرضيات والامور المخفيات وقد اظهر لقومه الصبر والجلد واخفى عنهم الهم والكمد ومازالوا على ذلك الايضاح الى ان طلعت غرة الصباح فبرزت الطائفتان يطلبان الحرب والكفاح وقد ركبوا على الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا بالرماح * هذا وقد برز مفرج الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب الحرب والقتال والطعن والنزال وقد ايقن بانالة الظفر وزال عنه الغم والكدر وصال وجال ونادى وقال ياويلكم يا بنى زياد نحن قلنا انكم تأتونا بالمال والنوق والجمال وتفدوا اخاكم من الاسر والاعتقال فجئتم انتم بالرجال والابطال وقدمتم الى الحرب والقتال واحكمتم التدبير فى راى البال وظننتم انكم تبلغون منا الآمال فأبشروا بالذل والخبال والوبال والنكال هيا برزوا الى المجال ومحل الطعن بالعوال واعلموا ان رسولكم قد قبضناه ومعه رفقته قرناه وانتم الى هذا الامر مصيركم ولابد لى عن ذبح كبيركم وصغيركم ثم انه انشد وجعل يقول

قراع الخيل بالاسل الدقاق * وضرب الهمام بالبيض الرقاق

احب الىّ من قرع الملاهى * على كأس وابريق وساق
فظننتم يا بنى عبس بانى * اموت وعبدكم فى الارض باقى
وان خداعكم يفدى اسيرا * بقيد الذل اصبح فى وثاق
لقد حدثتمو عنا نفاقا * وهذا بعض عاقبة النفاق
ظننا الخيل تأتينا خفافا * تقاد مع الحمولة والنياق
وقد اقسمت ايمانا بأنى * أشفت شملكم عند التلاقى
وأسقى من دم الاعداء رمحى * اذا جالت على قدم وساق

(قال) فما تم مفرج شعره حتى قفز اليه أخو الربيع وكان يسمى قيس الجواد وحمل عليه وأخذ الاثنان فى الطراد والجلاد والطعن بالرماح المداد حتى عاد بياض النهار سواد وطلع القتام وزاد وتقربت الرجال الى المعمعة ومدت اعناقها وصارت متطلعة تنظر لمن يكون النصر والظفر واذا بزعقة مفرج بن دمام وقد علت من وسط القتام وقد أخذ قيسا اسيرا وقاده ذليلا حقيرا وسلمه الى عبيده فأوثقوه بالحبال وعاد مفرج يطلب الحرب والقتال فخرج اليه طالب الدارك فحمل بنى زياد الاعلم وسمهما الاقوم وفارسها الفتاك وليثها الهتاك فصدمه مفرج بن دمام صدمة الاسد الضرغام وفى يده رمح معتدل القوام بسنان كأنه لسان ثعبان متقلد بسيف ملمع الهندام جيد الاعتقال يبرى الجسم والهام وعلى رأسه بيضة عادية مشرفة بهية

ثم حمل على مفرج بن همام حملة الليث الضرغام فالتقاه الآخر كأنه الصقر اذا حام والتقى الاثنان فى وسط الميدان واخذا مع بعضهم فى الضرب والطعان وقد اوسعا همافى الارض ميدان وقد تحيرت منهما جميع الفرسان واذا بمفرج صدم طالبا الدرك صدمة العدم والهلاك وطعنه بالرمح فرماه على وجه الارض فكاد ان يرض عظامه مرض وساقه الى قومه اسيرا وقادوه ذليلا حقيرا ثم ان مفرجا عاد الى الميدان ومحل الضرب والطعان وطلب براز الشجعان فخرج اليه عروة بن الورد وهو على جواد أصيل الجد أسيل اللحد شديد القوى والحيل رابى الكفل سابل الذيل وفى يده رمح طويل سنانه يضىء كأنه قنديل وعلى رأسه بيضة عادية ملومة مجلية ثم انه صال وجال وأنشد وقال

دع الفخر فالايام تبنى وتهدم * وتنصف من غير اقتصاد وتظلم * وترفع من قد عاش فى الذل عمره
وتخفض مهموما وتعطى وتحرم * ومن كان غرا بالزمان حلت له * مشاربه عند الصفا وهى علقم
عدمت عنان الخيل اذلم أخض بها * بحار المنايا والغبار مخيم * وأضرب بالهندى حتى يملنى
ويرجع بعد القطع وهو مسلم * وأبذل دون القوم نفسا عزيزة * بسمر القنا حتى تعز وتكرم

(قال) فلما فرغ عروة من شعره ونظمه زعق وهجم على خصمه فالتقاه مفرج كأنه النمر الحردان والتقى الاثنان فى الميدان وأخذا فى المهاجمة والجولان حتى كلت منهما الارواح فى الابدان ودام الامر بينهما حتى طلع الغبار الى العنان وجرى بينهما عجائب تذهل قوى الجنان * هذا ومفرج قد سطا على عروة واستطال وهجم عليه هجمة الاسد الرئبال اذا فقد أولاده الاشبال وقبض عليه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا فعند ذلك علت على بنى عبس الضجات وطلبتهم بنو طيئ من سائر الجهات فحمل الربيع بن زياد وتبعته رفقته الاجواد واشتد بينهم القتال والجلاد (قال) وكان خبر هذه الواقعة شاع فى جميع الرجال والابطال حتى حشروهم بين الجبال وألهبوهم برمى النبال فقالت العقلاء للربيع بن زياد والله لقد حان هلاكنا بين العباد وكثر علينا الشر والعناد وقد حل بنا الردا ومابقى فينا من يبقى الى غدا فقال الربيع ما الذى نفعل فى ذلك الامر النكير وقد وقعنا فى بحار المقادير والله ما فعل بنا تلك الفعال وأوقعنا فى الخسارة الا الصقيع الرقيع أخو عمارة وما فعل باحد مثل ما فعل بنا وقد شمت بنا عنتر ولد الزنا ومابقى فى القصة من المرام الا انى أجىء غدا الى مفرج بن همام وأطلب منه لارواحنا الذمام ونقيم عنده فى الاسر والاعتقال الى أن نشترى أرواحنا منه بالمال والنوق والجمال * قال ثم انهم أقاموا ينتظرون الصباح حتى طلع ولاح وهم قد حل بهم الظما وصاروا يتمنون شربة من بارد الماء (قال) فلما أضاء النهار وبانت الانوار أرسل الربيع رسولا الى مفرج بن همام يقول له أيها البطل الضرغام والسيد الهمام اعلم ان العرب الكرام لا يفتخرون على الاعجام الا بحفظ الذمام واطعام الطعام والصدق فى الكلام والمسامحة عند الخطا والبذل فى الاكرام والعطا ونحن قد اعترفنا بذنوبنا ونريد منك الذمام على أرواحنا حتى اننا نسلم اليك نفوسنا ونعطيك ما تقر به مقل عينيك ولا تطلقنا حتى يصير الفداء بين يديك لاننا قد قل منا القوى والحيل وصار النهار فى وجوهنا مثل الليل وذلك مما حل بنا من الظما لانا كما تعلم ما عندنا شئ من الما وان كنت لا تفعل تلك الفعال فكنا من ورود الماء وانت فغنا فى الحرب والقتال وأخرج لنا مثل عددنا من الرجال ان كنت من الابطال الذين يخشون العار والذل والشنار حتى اننا نذل بين يديك المجهود ونموت تحت الرايات والبنود * قال فعند ذلك سار الرسول باهتمام الى أن وصل الى مفرج بن همام وشرح له ما قد منا من الكلام فعند ذلك زاد به الضحك والابتسام وقال له ياويلكم يا بنى زياد اللئام الاوغاد أنتم ما بقى لكم عندى ذمام بعدما كذبتم فى الكلام ولاسيما وقد الحقتم باسيادكم العبيد اللئام فوحق مسبب الاسباب ما بقى لكم خلاص من ضرب الرقاب الا ان كنتم ترمون عددكم وتترجلون

عن

عن خيولكم وتأتوا الى عندى حتى اجز نواصيكم واقطع آذانكم وأنوفكم وأمكنكم بعد ذلك من ورود الماء وتروا اكبادكم من العطش والظمأ فقال الرجل العبسى وكان اسمه جميل تأن يا مولاى على قليل ولا تطول على فى القال والقيل فها أنا قد وصلت اليك وسرت بين يديك فخذ هذه فرسى وعدتى واقطش اذنى ولحيتى ودعنى أبل من الماء كبدى واشفى غلتى (قال) فلما سمع مفرج هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام فأعطاه الذمام ومكنه من ورود الماء فشرب حتى روى من الظمأ وقال له أنت فى ذمامى دون أصحابك ولا تكون معهم والا فقد شكانك جميع أحبابك وسر الى ديارك ودع عنك الفضول والا كنت أول مقتول وأما قومك فلا بد لى من اهلاكهم وأن أجمع بهم نساءهم ان لم يرحلوا من ذلك المكان صحبة من لهم من الفرسان والا أنزلت بهم الاوابد وأصليهم فى يوم واحد ويشتفى بذلك قلوب أصحاب الذمام من كل من أكل الخبز وشرب الماء (قال) فعند ذلك عاد جميل الى الربيع بن زياد وأخبره بما كان بينه وبين مفرج من ذلك الايراد وذلك بعد ما تركه شرب حتى اكتفى وقد أمن على نفسه من الجور والجفا (قال) فلما سمعت بنو زياد ذلك المقال خافوا على نفوسهم وقد تغيرت منهم الاحوال ولحقهم من ذلك الانذهال فقال الربيع يا بنى الاعمام موتوا كراما ولا تعيشوا اللئام لان قطع الآذان وجز النواصى غاية ما يكون من الذل والهوان وعار لا يمحى طول الزمان فعند ذلك قال جميل والله يا ربيع ان سلامة الرجل هى غاية ربحه طول الزمان واذا سلمت مهجته فدعه يعيش بغير ناصية وآذان ثم انه أنوى عنانه وسار طالبا الاوطان وأما الربيع ومن معه من الرجال فانهم أخذوا أهبتهم الى الحرب والقتال وقد أيقنوا بالهلاك والوبال فبينما هم على ذلك الحال واذا بمفرج ومن معه هجموا عليهم من اليمين والشمال وقصدوهم بالرماح الطوال فما كان غير ساعة حتى أخذوا الجميع فى الحبال وصاروا فى الذل والاعتقال بعد ما هلك اكثرهم وصاروا ممددين على الرمال وفى الجملة الربيع بن زياد وقرنوا الجميع فى الاصفاد وعاد مفرج الى حلته وفرح بما ناله بين أهله وعشيرته وقد وقعت فى الحلة البشائر وخرجت الى ملتقاهم الاماء والمولدات وفى أيديهم الدفوف والمزاهر وهنوه بالسلامة والنصر وقالوا له لا زلت مؤيدا طول الزمان والدهر (قال) وكان أعظم الناس مسرة وزيادة أفراح العجوز سلمى أم ناقد بن الجلاح وقد صارت تلطم وجوه المأسورين وتعذبهم العذاب المهين وتقول وحق اللات والعزى لا بد من شرب دمائكم مثل لبن النوق وأعذبكم عذابا ما عذب به قط مخلوق ولا اقنع بسائر بنى عبس فى دم ولدى ناقد بن الجلاح ولا عذبنكم فى الغدو والرواح والمساء وعند الصباح وأنا أسأل رب البيت الحرام ان يبقى لى حياة مفرج بن همام * هذا وقد جعلوا الاسارى فى الخيمة التى فيها الامير عمارة وقد حل بهم الذل والخسارة وأيقن كل واحد منهم انه هالك وقد حكم عليهم بذلك مالك الممالك (قال الراوى) ثم ان مفرجا أرسل جماعة من عبيده الى جميع أمراء القبائل يأمرهم بالحضور الفارس منهم والراجل ليشاهدوا صلب بنى زياد وما يحصل لهم من الويل والانكاد وقد أرسل الى مجلم بن حنظلة وأخيه يزيد الملقب بشارب الدماء يبشرهم بما فعل وبما أنعم الله عليه من ذلك العمل * قال ومن شدة ما حصل له من الفرح والاهتمام أمر بذبح النوق والاغنام وأن يروّجوا الطعام ويروّقوا المدام وأخذوا فى اللهو والطرب والحديث والكلام هذا ما كان وما جرى لهم من الايراد (وأما ما كان) من أسر بنى زياد وما حل بهم من الويل والانكاد فانهم لم يزالوا يكون على ما حل بهم من الخسارة وهم الجميع يلومون ويعنفون أخاهم عمارة على ما فعل من تلك الاشارة وهو من شدة ما جرى عليه ومادهاه يتأوه وينادى واحسرتاه وامصيبتاه وقد صار جارى الدمعة وكثر عليه الهم من تلك الفجعة وصار لا يرد خطابا ولا يبدى جوابا هذا وعبلة قد حصل لها الفرح والابتهال لما رأت بنى زياد فى الاسر والاعتقال وقد خف عنها ما حل بها من الاثقال وزال عنها همها وبقيت منتظرة الفرج بقدوم ابن عمها لانها تعلم انها

ماترى الفرج الاعلى يديه وأسرا يامهامتى وقع نظرها عليه * فهذا ما كان وما حصل من الكلام (وأما ما كان) من مفرج بن همام ومن عنده من بنى الاعمام فانه صار يشرب معهم المدام وقد أكثروا من الحديث والكلام حتى سكروا وانتشوا وانجمعوا عن الكلام فأخذ مفرجا الوسواس بذكر عبلة وقد صار من أجل حبه لها فى ذله فدخل الى بيته وهو يميل من الخمار وقال لامه وحق ذمة العرب الاخيار ما بقيت أنام الليلة ولا يقر لى قرار حتى أبلغ من جارية بنى العبسية ما اختار والا قتلتها وأنزلت بها البوار بعدما أذبح بين يديها من بنى عمها خمسين فارسا أخيار وأشفى قلبى منها سريع وأول من أبدأ بهذا الذى يقال له عمارة وباخيه الربيع وأضربهما بعد ذلك الضرب الوجيع (قال الراوى) فعند ذلك خرجت أم مفرج الى المضرب الذى فيه الاماء والمولدات ونادت بعبلة فأتت الى حضرتها فى أسرع الاوقات فقالت لها اعلمى أن مولاك فى هذه الليلة طافح سكران وقد حلف وشدد فى الاقسام والايمان أنه لا يرقد الليلة ولا ينام الا وأنت حضيته فى المنام والا ذبح من بنى عمك خمسين غلام فاقبلى منى هذا الكلام وأجيبيه الى ما أراد من المدام وقد نلت ما تشتهين من الامر والشان فلعلك أن تنزلى فى قلبه وتتشفى فى بنى عمك مما نزل بهم من الآلام فعند ذلك قالت لها عبلة اسمعى يا عجوز ما أقول من الكلام فوحق من رفع هذه السماء وأجرى بقدرته الماء وعلم آدم الاسماء لو ان ابنك يقطعنى قطعا قطعا ويبضعنى بضعا بضعا وذبح جميع بنى عبس وكل من طلعت عليه الشمس ما يرانى له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة وان رأيته جد فى قتلى فأنا أقتل روحى بيدى ولا أدعه يتحكم فى مهجتى (قال) فلما سمعت أم مفرج منها ذلك الكلام وما أقسمت به من تلك الاقسام زادها الغيظ والغرام فلطمتها على وجهها وقالت للاماء خذوها الى عند سيدها يفعل بها ما يريد كما تفعل السادة بالعبيد فعند ذلك دارت بها الاماء وصرن يجذبنها وهى تضج بالبكاء وتكثر من الانين والاشتكاء وتقول يا آل عبس يا آل عدنان أما من أحد يخلصنى من قبضة هذا الشيطان ولم تزل تعلن بذلك النداد حتى سمعها أسارى بنى زياد فقالوا للموكلين بهم ياوجوه العرب الاجواد أى شئ جاء لبنت عمنا فى هذا الليل الهاد وهى تولول كأنها حمامة الواد فحدثهم بعض الرجال بما جرى وأخبرهم بما تم وما طرا وان مفرجا حلف بالكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء ان لم تطعه عبلة على ما يريد والا أهراق دماءكم على وجه الصعيد فقال عروة بن الورد هذا عمل جيد ما فيه احتجاج وأنا أسأل الله السماء أن تزيد عليه عبلة فى اللجاج وتغلظ عليه فى الخطاب حتى يضرب منا الرقاب ويريحنا مما نحن فيه من العذاب فوالله لو قبل منى ما تعرض لها لانها مشومة على كل من طلبها وما طلبها أحد الا وقد دهمه منيته وجميع من رأى وجهها ضربت رقبته (قال) فما فرغ عروة بن الورد من ذلك المقال حتى سمع صياحا قد علا وتعقع فى الجبال وصراخا قد أذهل جميع الرجال وجميع من فى الحى قد جفل والسيف يعمل فى جنباته أو فى عمل فقال عروة هذا قد جاء العمل وقد طلع من ناحية الجبل فوحق من مصيرنا كلنا اليه لا يعرفن مفرج شؤم طلعة عبلة عليه ويحل به القتل والخبل ولو أنه فارس السهل والجبل ثم انه جعل يستمع الى تلك الاصوات التى أقلقت تلك الوديان واذا هم يصيحون بالعبس يا العدنان وقد تصاعد نداء عنتر وعلا وتقعقع فى جنبات الفلا وصار السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وتغلى كغليان المرجل وصارت الرجال تتناثر من بين الاطناب ويصدم بعضها بعضا وهى طالبة الهرب والذهاب مما حصل لها من الخوف والارتياب (قال) وكان السبب فى وصول عنتر الى هذا المكان أنه لما سار كما ذكرنا من الاوطان وجرى ما قد منا من الامر والشان لم يزل سائرا وقد انكوى قلبه بالنار أقوى كى حتى انه قارب ديار بنى طى وقد أراد أن يرسل أخاه شيبوبا يكشف له أخبار من فى الحى ويعلم ما جرى للربيع واخوته مع مفرج بن همام واذا هم بفارس قد أقبل عليهم من تلك الاكام فعندما تبينه عنتر وهو فى

الصحرا

العصرا واذا به جميل العبسي الذي جرى له مع مفرج ما جرى فقال له عنتر يهنيك سلامة النفس فقال له الشيخ جميل جزاك الله خيرا يا حمية بني عبس ثم انه رمى روحه الى الارض وقد اختبط في بعضه البعض وانهد منه أساسه وحثى التراب على رأسه وصار ينادي اهله وناسه فتقدم اليه شداد ابو عنتر وقد صعب عليه ما حصل له من ذلك الضرر فأخذ بيده بعد ما حصل له من الضير وقدمه الى مالك بن زهير فسأله عن حاله وعن الامر الذي جرى له وناله فقال له أي شيء اقول لك من المقال أما تنظر الى ما حل بي من سوء الحال فقد أسرت بنو زياد وفقدت الرجال الاجواد وما بقي منهم الا نفر قليل وقد حل بهم الامر الوبيل فلو رأيت اليهم ورماح الاعداء تنهبهم من كل جانب وقد هلك الجميع وحلت بهم المصائب ثم انه أعلمهم بجميع ما حصل لهم فقال عنتر لقوا بنيهم وأوقعهم الله في شر أعمالهم ثم انه قال لمالك وجميع من معه أي شيء عندكم من الرأي الذي تريد أن نصنعه فقال مالك بن زهير الرأي عندي يا أبا الفوارس اننا نجد المسير لعلنا أن نخلص الربيع ومن معه من ذلك الامر النكير حتى يعلم انه عتيق سيفك وأمين خوفك ولا صار ينوي لك سوأ أبدا ما عشت بطول المدا فقال عنتر يا مولاي وحق مالك علي من الايادي الجميلة والنعم الجزيلة أنا أعلم أن بغضتي ما تتغير من قلب الربيع بن زياد وكذلك أخوه عمارة القواد ولو جعلت منزلتهما فوق ظهر الغمام ما فعلوا معي الا القبيح طول المدا والايام وأما قولك اننا نلحقهم وهم في القتال فاهم من الرجال الذين يصبرون على الاهوال وأنا أقول انهم الساعة في القيود والاغلال وذلك أن جميلا ذكر انه ما بقي فيهم رمق لقلة الماء وكثرة الفرسان الذين ملؤا البيداء وانا عولت على اني اباكر القوم في جنح الظلام وادوس بخيلي في وسط الخيام وأبدل الافراح بالاتراح واخلف في ديارهم البكاء والنواح واخلص ابنة عمي عبلة قبل ان يصبح الصباح (قال) ثم انه طوى الارض طي حتى انه اشرف على ديار بني طي فراى غيرانهم خامدة الوقيد وقد نامت السادات والعبيد فقال عنتر لصديقه مالك خذ أنت الميسرة واتركني انا الميمنة وهجم عليهم في رقدتهم وانظر ما أفعل بهم عند غفلتهم * قال ثم انه اخذ معه خمسين فارس ليوثا عوابس وهجم بهم بين المضارب والخيام وترك مع مالك مائة وخمسين فارسا هما هما وبذل السيف في المشايخ والشباب وجرى ما جرى من الامور والاسباب * قال وكان مفرج في انتظار عبلة حتى تأتي اليه الى ان سمع الصياح فذهب السكر من رأسه وضاقت الدنيا عليه فخرج من باب المضرب وصاح في عبيده ويلكم قدموا الى الجواد واتركوني بعدة الحرب والجلاد حتى اكشف هذه الامور والاسباب فلله القضاء والقدر ساق اسود بني عبس الى هذه الديار وزين له الشيطان تلك الاخطار فوحق ذمة العرب الكرام والبيت الحرام انهم ما أتوا الا لفراغ آجالهم وقصر اعمارهم وهلاكهم ودمارهم * قال وكانت عبلة قد سمعت صوت عنتر مثل الرعد القاصف فسكن قلبها بعد ما كان راجف ونسيت ما كانت فيه من العذاب وزال عنها الحزن والارتياب ونادت بعلو صوتها جاءك والله البلاء يا قرنان وابن ألف قرنان من الفارس الهمام والبطل الضرغام وفاتك ما كنت ترجوه من الوصال بقدوم قاطع الاوصال وانقض عليك عقاب بني عبس وخلص غزالة الوادي من بين يديك وفي هذه الليلة تنوح املك عليك (قال) فلما سمعت ام مفرج من عبلة ذلك المقال لطمتها على رأسها بخرجتها ودمعها سال وقالت لها اسكتي يا بنت العواهر لا عشت ولا بقيت أتظنين ان يبقى لك ناصر أو معين يخلصك من هذا العذاب المهين ياويلك يا بنت اللئام تدعي علينا وانت اسيرتنا والساعة ترين راس هذا الاسود الذي ترومين منه الخلاص والفرج وهو مرمي قدامك مدحرج ثم انها وثبت الى ولدها فراته قد ركب جواده وهو يميل عليه لان الخمر غيب منه رشاده فخافت عليه من نوائب الزمان ومنعته عن ذلك الامر والشان * هذا وقد صار السيف يعمل في سائر الجنبات والصياح قد زعزع جميع الفلوات وشيوب يرمي النار من جميع الجنبات حتى حرق المضارب والخيام

وصارت الدنيا مثل النهار بعدما كانت ظلام وقد شردت البنات والجمال من شدة ما حصل لها من الحريق وتلك الاهوال وداست اعناق النساء والرجال وقد صعدت فى رؤس الجبال ومازال الامر على ذلك الحال حتى قرب الصباح بالانهال وقد تخلت رجل الحى عن نسائهم والخيام وذلك خوفا من النار وضرب الحسام * هذا وشيبوب قد وصل الى الاسارى الذين هم بنو زياد وهم قد ايقنوا بالهلاك من ذلك العذاب والانكاد وكانت الرجال الموكلون بهم غافلين وكانوا من ذلك الامر خائفين وجلين والاسرى هلك منهم عشرة رجال من كثرة ما داستهم الخيل والجمال * قال وكانت العجوز سلمى قد نظرت بعينها ما نزل بهم من البلاء والويل وابصرت ذلك ام مفرج فردت ولدها وصارت فرسان الحى تركب من جياد الخيل وهم كلهم شاردون الى الجبال وذلك خوفا من الهلاك وولى مفرج ايضا وكان أول هارب يطلب لنفسه النجاة من تلك المصائب فلما ان شاهدت ام ناقد هذه الامور العظام ركبت جوادا من الخيول الشاردة وجردت فى يمينها حسام وقالت وحق الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام لاخرجت من هذه الخيام حتى ابلغ من الاسارى مرادى واشفى منهم غليل فؤادى ثم انها دعست بالجواد وجرحت جماعة من بنى زياد فصاح فيها شيبوب فأدهشها وخبلها وارعشها وفى عاجل الحال دنا من الربيع وقطع كتافه وكذلك اخوته ومن معه الجميع فصاحوا يا العبس يا العدنان فهربت ام ناقد وخافت على نفسها من الهلاك والطعان وما اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح الا وما بقى فى الحى قتيل ولا اسير الا وامره لهم يصير وكان شيبوب دائر على عبلة ليحفظها من غائلة الحرب ويداريها من الطعن والضرب فرآها تخوض فى بطون القتلى وتبكى مثل المرأة الثكلى وهى تنشد هذه الابيات

يا بنى عبس تلافوا كبدى * وخذوا نحو ابن عمى عمدى * قل صبرى واشتفى بى حاسدى 38
ولقيت الذل بعد الاسود * جسدى يضنى بارياح الصبا * كيف يقوى للعذاب السرمدى
قربونى من حما يا عنتر * ليس يحمى الظبى غير الاسد * واخبروه انتى فى حيرة
وانا من لوعتى لا اهتدى * ورد وجناتى الذى تعهده * نشفته ادمع كالبرد
وجفونى زال عنها نومها * وشكت طول العذاب السرمدى * لو لقى بعض الذى لاقيته
جلدى لا نقض صم الجلمد * غربة دائمة لا تنقضى * وبعاد وافتراق أبدى

(قال) فلما سمع شيبوب نظمها وما قالته من شعرها وندائها آلم قلبه شكواها وعرفها بنفسه وأعلن بذلك وجهر واخذها ووأصلها الى اخيه عنتر وسيفه وسنانه يقطران دما وهو يتمنى ان يرى عبلة مثل ما يشتهى الظمآن شربة من بارد الماء فلما ان نظر الى عبلة ترجل اليها وضمها الى صدره وقبلها بين عينيها وصار يقول لها أقلى يا منية القلب بكاك فلا عاش من يشناك فوالله يا بنت العم يعز على ان تلقى هذا الملقى او تنالى بؤسا وشقا وآنا فى حياة الدنيا ولكن هذه غدرات الزمان لانه دائما غدار وخوان ثم انه قال لشيبوب ادخل بعبلة بيت مفرج بن همام وكلها فى كل ما له من الحطام ولا تزل مقيما بها فى حفظ وخير حتى اسير انا الى مالك ابن الملك زهير وانظر الى ما به واشاهد احواله وما الذى تم عليه من الاعداء ونالوه * قال فدخل شيبوب بعبلة الى بيت مفرج بن همام فما وجد فيه شيخا ولا غلام فطاف فى سائر نواحيه فوجد جميع ما كان على عبلة من الحلل والجواهر والتاج الكسروى موضوعة فيه ففرح بذلك واستبشر وسلم الجميع الى عبلة صاحبة الوجه الازهر فهذا ما كان من شيبوب وعبلة وما جرى لهم من الخبر (واما ما كان) من امر أبى الفوارس عنتر فانه لم يزل سائرا يجد المسير وهو كما قد مناطالب مالك بن زهير * قال وكان مالك ورجاله قد عملوا تلك الليلة عمل السادات الكرام وابادوا الصدى تحت ستور الظلام فالتقاهم عنتر وهم يركضون بين المضارب والخيام ويهزون فى ايديهم القنا والقواضب وقد شردوا الاعداء فى البر والسباسب

ومالك

وعالك بن زهير فى اوائلهم كأنه العقاب وهو يهجم مثل الاسد اذا نزج من الغاب وهو ينشد ويقول

شكا صارمى فى غمده شدة الظما * فقلت له اصبر كى ارويك بالدما * وجردته فى الكف ابيض عاسما

فما عاد الا احمر اقد تبسما * فعل فتى باقى المذلة عيره * ولا بذكر الفحشاء الا توهما

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه اعجبه شعره ونظامه فقال له يا مولاى والله ما انت الا صادق فى مقالك وهو اقل فعالك ثم انه هناه بالسلامة واستخبره عما جرى له فى ليلته فقال له والله يا ابن العم ما كانت الا ليلة تعد بليال ثم انهم افتقدوا من معهم من الرجال فوجدوا انه فقد ثلاثة عشر من الابطال واما ارض القوم فانها اصبحت عبرة من كثرة القتلى والدماء قد صبغت الغبراء فعند ذلك قال عنتر لمالك اسمع ما اقول من المقال واعلم انه ما بقى لنا مقام فى هذه الاطلال بعد ما قضينا الاشغال وبلغنا الآمال فبينما هم يتشاورون فى أمر الرحيل من هذه البلاد واذا قد أقبل عليهم الربيع بن زياد ومن معه من آل زياد الاوغاد وأكثرهم رجالة وهم فى أشأم حالة وكان قد بقى منهم مائة وعشرون وهلك الباقون ولما رأى الربيع عنترة الربال تقدم الى بين يديه وبكى زورا ومحال وخديعة فى المقال وقال له والله ما فينا من له وجه يلقاك لاجل فعلنا القبيح الذميم ولاجل مالك علينا من الفضل والتكريم ولكن يا ابن العم الخطأ مركب فى الانسان وكل أحد يحب لنفسه الزيادة ويكره النقصان والآن قد بين الله فضلك وجمع على بنت عمك شملك وها نحن بين يديك مثل العبيد فافعل بنا ما تريد لانا بهيبتك نجينا من التلاف وبسعادتك فرج الله عنا ما كنا فيه من تلك الاوصاف (قال) فلما سمع عنتر ذلك الخطاب تنثرت دموعه مثل السحاب وعشق الربيع المرتاب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا أخلاى اعدلوا ان شئتموا * واحكموا فى عبدكم حكم الموالى * واعرضوا عنى وخونوا واغدروا

وانظروا عند الملمات فعالى * أنتم سيفى الذى أسطو به * وعليكم فى مدى الدهر اتكالى

(قال الراوى) ثم انه عاد الى عمارة بن زياد وهناه بالسلامة مما كان فيه من الانكاد وزال من قلب عنتر ما كان فيه من الاحقاد وبقيت فى قلوبهم البغضاء وبعد ذلك عاد الى المضارب يطلبون الراحة ويداوى كل أحد جراحه وعنتر يقول والله يا بنى عمى لولا الخلف الذى يجرى بيننا ما ذل عبسى أبدا والآن قد رزقتم النصر وخلصتم من غلبة الاسر وهذه دار بنى قحطان وكل من فيها يتمنون لنا القلعان من كثرة ما لهم علينا من الدماء من قديم الزمان فدونكم وأكل الزاد والرحيل من هذه البلاد فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب * قال ثم انهم ذبحوا الاغنام وروحوا لهم الطعام وقد أكلوا وشربوا بعد ذلك المرام فهذا ما جرى لهم من الامر والشان (وأما ما كان) من مفرج الكتمان فانه صار يعض كفيه من هذا الامر الذى جرى عليه وكاد أن يغشى عليه وبعد ذلك أفاق لنفسه عند اقبال النهار وسمع من نشوة الخمار فرأى بنى عبس نازلين فى الخيام وأصحابه وبنى عمه محمد بن مثل النيام * قال وكان بنو عبس أخذوا الراحة وأكلوا الطعام وخرجوا بعد ذلك من الخيام وقد عزموا على المسير باهتمام وفى تلك الساعة أقبلت بنو جذيلة الاشاوس وهم فى خمسمائة فارس وهم طالبون الفرجة على صلب بنى زياد فرأوا دار مفرج شمامة للحساد فحصل لهم من ذلك الافراح فبينما هم على ذلك الايضاح واذا قد التقاهم مفرج بن همام وهو فى بكا ونواح واعلمهم بما حل بهم من الافتضاح فبينما هو معهم فى ذلك الامر والشان واذا قد أقبلت عليهم بنو نبهان بقدمهم المهلهل بن فياض الخارنة الطارقة والمصيبة الماحقة فاشتد ظهر مفرج بن همام بهذه الامور والاحكام وانجلت عنه جميع الاحزان وقد أرسل أعلم فرسان بنى نبهان بجميع ما جرى من الاحوال فنالهم اشد منال وصعب عليهم من قتل من الرجال والابطال وقالوا فى كم كان عنتر حتى فعل بكم هذه الفعال فقال لهم والله يا بنى الاعمام ما كان الا فى دون المائتين فارس ولكن هجم علينا فى غسق الظلام

ونحن سكارى ما نعقل كلام فبلغ منا ما اختار وقتل العبيد والاحرار ورحل من هنا يطلب منازله والديار
وخلص بنى زياد وكانوا مائة وعشرين فارسا أمجاد فقال جابر أبو الاسد الرهيص واذل بنى طيئ بين العربان
وا جراه من هذا العبد الكشحان فوحق مكون الاكوان الذى خلق الانس والجان لا نزلت عن ظهر
الجواد ولا خلعت عدة الحرب والجلاد حتى أقتل عنتر بن شداد وأبلغ منه ما أختار وا كشف عن بنى طيئ
ما نزل بهم من العار ثم انه استمر على حاله وأتبعه بنو عمه وسائر رجاله وقد اجتمع بعضهم على البعض وساروا
مع مفرج بن همام وهم ألفان فارسا تمام غاطسون فى الحديد مسربلون بالزرد النضديد لا يخافون
الفوت ولا يخشون من الموت قد قوا الارض ضبابا وتقربوا حتى أدركوا عنترا ومن معه عند المغيب وكانوا
قد عزموا على الراحة والنزول فى تلك الارض والطلول * قال فعند ذلك قال مفرج لجابر أى شئ تقول يا ابن
العم فى الهجمة عليهم وأن نضرب فيهم بالصفاح ونفرغ منهم قبل ان يصبح الصباح ونهد أمن شرهم
ونرتاح فقال جابر يا هذا صواب لانهم عصابة يسيرة ونحن فرساننا كثيرة وان اختلطوا بنا ضاعوا فينا
فى جنبات الارض ويلعب السيف فينا طولا وعرض ويقتل بعضنا بعض ونكون طلبنا الزيادة فنقع
فى النقصان ونعود بالذل والحرمان وتؤدى بنا العجلة الى خسران والرأى عندى أنك تأخذ أنت ألف
فارس وتطلب بها المقدمة وتسلك عليهم طريق ديارهم وأبقى أنا فى الف فارس أخرى على آثارهم واذا أصبح
الصباح انطبقنا عليهم من الجانبين ونبذل فيهم سيوفنا أجمعين ونمحقهم محقا ونكون قد عرفنا الاعداء
من الاصدقاء فقال مفرج هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب * قال وجابر هذا هو أبو الاسد الرهيص الذى
يقتل عنتر بعد ما يجرى له معه وقائع تذكر وتكون عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تفكر ولكن ما نذكر كل
شئ الا فى مكانه بعون الله وسلطانه (قال) هذا وقد اخذ مفرج الالف فارس وسار يطلب المقدمة وكانت
بنو عبس قد سمعت الصياح وابصرت لمعان اسنة الرماح وبريق الصفاح فقالوا لعنترا ى شئ عندك
من الرأى يا أبا الفوارس أدركتنا الاعداء وملؤا علينا البيداء وأنت تعلم ما فى قلوبهم من النيران لما فعلنا
فى حقهم من قديم الزمان وما نظن الا انهم نظروا الى قلتنا فاحتقرونا ولا خطرنا لهم على بال ونراهم ما حملوا
ولا حصل عندهم اهتمام ونظن انهم يقاتلونا فى الظلام ويهجموا علينا ونحن نيام نخذوا الاهبة للقاهم
حتى نقطع أقصاهم وأدناهم فقال لهم عنتر يا بنى عمى هذا الامر ما نخاف منه ولا نط نحمل همه لانهم ان
فعلوا ذلك الامر خسروا وربحنا وانفسد حالهم وانصلحنا لان العصابة اليسيرة يسترها الظلام لا سيما اذا
اختلطت فى وسط القتام وهذا لا يفعلونه ان كان فيهم فارس مسدد ويكون فى زمانه شجاعا أوحد فقال
مالك بن زهير أراهم انقسموا قسمين وافترق الجميع فرقتين الفرقة الاولى تقدمت والاخرى تأخرت قال
عنتر نعم لانهم خافوا ان نهرب فى الليل وظلام الاعتكار ونطلب اطلالنا والديار وأنا وحق الذى أنار
الهلال وارسى بقدرته الجبال ويعلم عدد الحصا والرمال ما أترك الصباح يصبح الا وقد انفصل الحال
فقل لاصحابك يأخذوا أهبة القتال ولا يتزلوا عن ظهور الخيل حتى أريك ما أفعل بهم فى ظلام الليل فقال
الربيع على ماذا عولت يا ابن العم أعلمنا بما خطر فى بالك لان الرأى بيننا مشترك فقال له عنتر عولت أن
أترك القوم حتى يتزلوا عن ظهور الخيل وأريكم كيف أفعل بهم فى ظلام الليل ونحمل على هذه الفرقة
التى بين أيدينا ونخرضها بشدة عزمنا وعرافينا وأنا أعلم ان الصباح يقع من خلفنا ومن بين أيدينا فيقع
عند ذلك الضرب خطأ وصواب وتقطع الغلاصم والرقاب وأنا أقول كلا ما ليس فيه شئ يعاب وهو انكم
تتفرقوا وقت الحملة وقد اشتد عليكم الكرب وابذلوا مجهودكم فى ساعة الحرب وقووا الطعن والضرب
واطلبوا المقدمة وانفصحوا فى جنبات الارض وقد قتل بعضهم البعض ويعمل فيهم السيف طولا
وعرض وفى أول الحملة نادوا بأنسابكم واذا اختلطوا بكم فأقلوا خطابكم ولا تذكروا عبسا ولا عدنان ولا يمنيا

ولا

ولاقحطان حتى لاتعرف الاعداء من الاصدقاء ولا يتعقل الرفيق الرفقاء (قال) فلما سمع الربيع هذا الخطاب رآه عين الصواب فوصى جميع رجاله وأصحابه واعلمهم بما قاله عنتر من خطابه قال الامير عمارة بن الوردوالله يا ابن العم ماهذا الليل مهول ولا ينجو منه الا كل ضارم مهزول وأحسن ما يكون فيه قتل هذا الاسود المهول الذى وجهه مثل وجه الغول وماله الا من يرصده وقت حملته ويطعنه على غفلة منه ويعدمه مهجته فكان يهلك بين هذه الجحافل ولا يدرى به لا فارس ولا راجل ويقال انه قتله بنو قحطان ويروح كأنه ما كان فقال له عروة النهسى جاءك الهوخنى لاى شئ هذا الرأى الفاسد فوحق الذى خلق الخلق والبشر وأضاء بقدرته الشمس والقمر ان قتل عنتر فى هذه الليلة ما رجع منا بشر ولا من يخبر بخبر واى شئ الفائدة أن يقتل الانسان عدوه فى وسط هذه القوم الذين ما يشتهون أن يعيش من الدهر ولا يوم فبالله عليك دعنا من هذا السؤل البارد وابطل هذا المقال الفاسد حتى انا نرجع الى ديارنا والاطلال * قال ثم انهم أخذوا أهبتهم للحرب والقتال والطعن والنزال هذا والامير عنتر صابر حتى نزلت الطوائف وأمن منهم كل خائف ونام منهم الاكثر وأقبل الظلام واعتكر فقال عنتر اشيبوب كن يا اخى أنت لحفظ عبلة ومداراتها وقت الحملة ولا تبرح بها من أثرى حتى أريها فعلى وكرى وفرى * قال ثم انه أركبها جوادا أجرد وألبسها ثوبا من الزرد خوفا عليها من غائلة الحرب فى وقت وقوع الطعن والضرب ثم ان عنترا أمر ما لكا أن يصف كل رجاله ويعدل جميع أبطاله * هذا وجعل عنتر يهمهم ويدمدم دمدمة الاسد الكاسر وقد جمع المياه من على المياسر وقد اجتمع بعضهم على بعض وصاحوا صيحة واحدة تدكدكت لها جنبات الارض وهزوا الرماح وأشهروا البيض الصفاح وانطبقوا على طائفة مفرج بن همام مثل انطباق الغمام وبذلوا فيهم الرمح والحسام تحت غسق الظلام وداسوا بحوافر خيلهم فى بطون النيام وكثر الصياح والانزعاج وزاد سواد الليل الوهاج وصار القتام كالبحر اذا هاج اذا ضربته الرياح وكثرت فيه الامواج * قال وكان جابر سمع صياح الاقران وقد اندهش من كثرة ما رأى من الضرب والطعان فصاح عند ذلك فى أبطاله والشجعان وقال يا مهلهل وحق ذمة العرب لقد أجادت طائفة بنى عبس وعدنان وفعلت فعل الرجال وما هى الا خبيرة بأمور الحرب والقتال عارفة بشدائد الاهوال وان نحن حملنا معونة أصحابنا كنا خاسرين وان تركناهم أفنوهم أجمعين ونرجو امن ديارنا سالمين فقال المهلهل لاى شئ هذا الحديث يا جابر وكيف يخفى العيسى الدنانى من اليمنى القحطانى احمل أنت بالناس ودع عنك التوانى ثم انه حمل وقد سد الصياح وجملت رجاله من ورائه وقد هزوا الرماح واختلطوا جميعا تحت غيهب الظلام وعمل عند ذلك الرمح والحسام وطارت الجماجم والقمم وقام الحرب على ساق وقدم وشابت المفارق واللمم والسيف عند ذلك حكم وجار فى حكمه وظلم ووقعت المضارب صوابا وخطأ وهلكت الرجال غلطا وأنكر النسيب النسب وفاض الدم وانسكب وصار الشجاع منجبا ودمدمت سباع الحرب غضبا وقطعت الرجال بضارب انظبا (قال) وقاتل عنتر تلك الليلة قتال من كره الحياة ورمى نفسه على موته وفناه لما علم أن عبلة وراه وقد فرق المواكب والكتائب وأظهر فى هذه الليلة العجائب وانسل بعد ذلك بأصحابه من قدام الاعداء وأوسع بهم فى وسيع البيداء * قال وكان خلاصهم من الحرب فى وقت السحر وقد أحلوا بأعدائهم الويل والدبر هذا والحرب فى بنى قحطان يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل الى أن ظهر ضوء الصباح والفجر قد انفجر وعرف الخصم خصمه بحقيقة النظر وقد فقد من بنى قحطان خمسمائة فارس او اكثر وكان غالبهم هلك على يد عنتر وقتل من بنى عبس ثلاثون فارس وانطمست آثارهم وعادوا دوارس وقد جرح عمارة الفتاك وأشرف من جراحه على الهلاك وقد حل به سوء الارتباك * قال ولما انفصل الناس من بعضهم البعض وعولوا أن ينزلوا الى وجه الارض خرجت العجوز سلمى أم ناقد بن الجلاح الى مقام الحرب والكفاح

وأكثرت من البكاء والنواح ووقفت بين الفريقين وهي في مقام الجلاد وعلى جسدها ثياب السواد وقد أكثرت العويل والتعديد ونادت واذل بني طيئ الى آخر الابد من جور ذلك العبد الذي طغى وتمرد يالعرب أما فيكم من له شجاعة وحمية يأخذ لنا بالثار من هذه الطائفة الدنية ويطعمني من لحم عنتر قطعة ويسقيني من دمه جرعة ثم انها قالت وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام لئن وقع عنترفي يدي لاذبحنه واشرب من دمه لانه أخجل جسمي وأرهى جلدي ثم بكت حتى أبكت العيون وأثارت الشجون ورجعت بعد ذلك الى النفس الابية واللغوة العربية وأنشدت وجعلت تقول

يالقومي ملت لبس السواد * من زمان الصبا ولبس الحداد

كان لي فارس اذا حضر الحر * ب تطاطت له رؤس العباد * كان عزي وعمدتي في الرزايا
وعليه في الدهر كان اعتمادي * فدهاني به زنـــيم ذميم * فجرت أدمعي وهاج فؤادي
آه واحسرتاه مال عليـــه * فتردى من فوق ظهر الجواد * يتلوى تحت الغبار ويشكو
مادهاه من السيوف الحداد * فأعينوا ضني على الثار وارعوا * حرمتي واحفظوا جميع ودادي

(قال الراوي) فلما فرغت من شعرها ونظامها همت أن ترمي الى بني عبس نفسها فقفز مفرج بن همام بقوة عزم واهتمام وقد غير الجواد ولبس عدة الحرب والجلاد وصار في مقام الطراد وقال لها ارجعي يا أم الفرسان الاجواد وأنا أكفيك من البكاء والتعداد وأنا أبلغك المراد وأقود اليك عنتر بن شداد وأفني بني عبس وآل قراد وأجعلهم مثلا بين العباد لان ثارنا أعظم من ثارك وعارنا أكثر من عارك ثم انه رد دامن الميدان وجال وصال حتى هد أمرج الحصان وطلب البراز والطعان وقال ياويلكم يابني عبس الاوغاد قد جرى لنا منكم في هذين الليلتين شئ ما جرى مثله من أحد العباد وخلصتم من قبضتنا بني زياد بالمكر والعناد ودبرتم وما قصرتم لانكم طائفة قليلة ولكنكم فرسان جليلة ولاسيما وانكم في بلاد بعيدة والآن قد ظهر ضوء النهار وبانت الاقطار وفي هذه الساعة تبين منازل العلو والافتخار وما سنة العرب الا الانصاف وهو من شيم السادات الاشراف وها نحن قد أنصفناكم وما ظلمناكم فابرزوا الى مقام القراع ومحل الارتفاع فارس لفارس وشجاع لشجاع ولكن لا يبرز لي الا من له نسب كنسبي وحسب كحسبي وأم مثل أمي وأب مثل أبي حتى آخذ ثاري من السادات الاماجيد وأعود بعد ذلك الى قتال العبيد ثم انه أنشد يقول

اذا لم أقتض حقي ودبني * بضرب السيف والرمح الرديني

فلا حصنت حادثة الليالي * ولا زار الرقاد جفون عيني * فلا تم يابني الاندال فعلا
آثار الحرب بينكم وبيني * وان لم أشتفي منكم سريعا * فما أدعى كريم الوالدين
واني قد برزت وفي يميني * صقيل المتن ماضي الشفرتين * أبيد به فوارسكم جميعا
اذا عض الجبان على اليدين * وأسقي عبدكم كأس المنايا * بطعن الرمح بين العسكرين

(قال الراوي) فلما فرغ مفرج من ذلك الشعر والنظام وما قاله من ذلك الكلام الذي لا يبلغ به صاحبه مرام جال وصال وطلب الحرب والنزال فلما سمع عنتر حسن كلامه وما أبداه من شعره ونظامه قفز بالجواد حتى صار في امامه وكان عنتر في تلك الساعة عند بنت عمه عبلة وهو يسليها ويمنع عنها الخوف فسمع صياح مفرج بن همام وما قاله من الشعر والنظام فلما سمع هذا المقال تقزز اليه وهو مثل الاسد الريال وصال وجال في حومة المجال وقال له ياديوث العرب وابن الرجال الارذال ثكلتك أمك وعدمك أهلك وقومك من أنت ياويلك حتى تطلب برازا السادات وتعد نفسك من الشجعان القادات فها أنا أقتل عبيد لهؤلاء القوم الكرام وها أنا برزت الى هذا المقام حتى أتحمل عنهم التعب والملام وقد برزت اليك حتى أعجل دمارك وأخرب ديارك ياويلك ياقرنان يابن ألف قرنان أتظن أني نسيت ما فعلت بابنة عمي عبلة

سيدة

سيدة النسوان وما أنزلت بهما من الذل والهوان أوكأني قنعت بما قتلت لكم من الفرسان أو بما أهلكت من الشجعان فوحق الدائم بلا زوال القديم المتعال الذي ليس له شبيه ولا مثال وقدر الارزاق والآجال وسلخ الليل من النهار وخص الشمس بالانوار وسخر الفلك الدوار وهو الواحد القهار ما بقيت أخرج من هذه الديار حتى ما أدع ديارا ولا أناخ نار ثم انه أجابه وأنشد وجعل يقول

اذا خصمي تقاضاني بديني * قضيت الدين بالرمح الرديني * وحد السيف يرضينا جميعا
ويحكم بيننا حقا وبيني * جهلتم يا بني الاندال قدري * وقد عرفوه أهل الخافقين
وما مدت يداي بحادثات * ولا مدت الى بنان حين * فكم من فارس أبقيه ماقي
عفير الخد مخضوب اليدين * تحوم عليه أطيار المنايا * وتعرج فوقه غربان بين

(قال الراوي) ثم انهما انطبقا على بعضهما بعد ذلك المقال ومالا في حومة المجال وجرى بينهما عجائب وأهوال تحير منها صناديد الرجال وكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود مما جرى بينهما في ذلك اليوم المشهود وما زالا في كر وفر وانفساح ومستقر ومزل وجد وقرب وبعد ثم انهما التصقا وافترقا وهمهما وزعفا حتى ضاق بينهما الميدان وامتدت اليهما أعين الشجعان لينظروا ما جرى بينهما من الامر والشان فرأوا الفرق كما بين المدن والقرى او بين الثعالب وأسد الشرى * قال وكان مفرج كل ومل ومبطل قواد واضمحل فأراد ان يشير الى قومه بالحمل وناداهم أجمعين وهو يطلب منهم ناصرا ومعينا فلم يجد من خصمه احتمالا ولا انهزام بل ان عنترا انطبق عليه مثل انطباق الغمام وصرخ فيه صرخة الاسد الضرغام وضربه على رأسه بالحسام وكانت الضربة مشبعة بالتمام فوقعت على هامة شقته الى حد الحزام فوقع على الارض صريعا مجدعا وقتيلا موجعا وقد صار يختبط في دمه ويضطرب في عندمه * قال ثم ان عنترا صال وجال وطلب الحرب والقتال فهمت أن تبرز اليه الفرسان فأعاقهم جابر فارس بني نبهان وقال لهم ان حملتم خسرتم مع هذا الشيطان الذي قد تصور لنا في صورة انسان لانه قد زاد له فيكم الطمع وكذلك أنتم وقع في قلوبكم منه الخوف والفزع لاني أنا تأملت الى قتاله فعرفت جميع أحواله وعلمت من أين تنزل عليه المنيه ومن أي مقتل تصل اليه الرزية فاصبروا علي قليل وأنا أكفيكم شره وأصرم عمره الطويل ولو ابست بقتاله العار ما بقي الليل والنهار وآخذ بنت عمه عبلة واتركها مع الاماء والجواري * قال ثم ان جابرا بعد كلامه لبني نبهان وما ضمن لهم من ذلك الضمان قفز بجواده الى حومة الميدان وهو على جواد كأنه السرحان من جياد الخيل شديد القوى والحيل لونه مثل سواد الليل مليح التحجيل بين عينيه غرة كأنها قنديل قد سقي بابن اللقاح اذا جرى يسبق هبوب الرياح وعليه ثوب من الزرد لها عين كأنها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد متقلد بسيف مصقول لا يعتريه من الضرب ملول ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم انه لما نزل الى حومة المجال صال وجال وطلب الحرب والقتال والطعن والنزال وأنشد يقول

دونك للحرب واله عن طرب * وقم امثلي وهيا للهرب
وخل عنك الحروب قائمة * تبا لمن أحقوك بالنسب

(قال الراوي) فلما سمع عنتر كلامه زاد غيظه وغرامه وأجابه يقول

ان كنت عبدا أعاب في النسب * فالسيف هوى الفخار والحسب
عضبا اذا ما استبان يوم وغا * ذلت لمرعاه سادة العرب

(قال الراوي) فلما ان فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل عليه بشدة حيله واهتمامه فالتقاه جابر مثل الاسد الكاسر وانطبقا على بعضهم البعض وجالا طولا وعرض حتى تدكدكت من تحت خيلهم الارض ثم انهما بعد ذلك التصقا وافترقا والسيفين امتشقا وزاد غيظا وحنقا وابتلت الخيل من تحتهما عرقا وعلا

غبارهما وصار مسردقا وعاد النهار فى أعينهما غسقا وكان جابر محتقر العنتر قبل براز وحربه الى ان ذاق طعنه وشدة ضربه فرآه فارسا لا يصطلى وجبلا كلما تقرب منه شمخ وعلا فأظهر الصبر والجلد وأخفى الغيظ والحرد ولكن أبو الفوارس أصبر منه وأجلد * قال ومازالوا على هذا الامر والشان وهم فى حرب وطعان الى أن حصل منهم ضربتان صائبتان ولكن كان السابق بالضربة عنتر فارس عبس وعدنان لانه خبير بذلك الامر والشان فوقع السيف لجابر على صدره فخرج يلمع من سلسلة ظهره فوقع على الارض قتيل وهوى دمائه معفر جديل * قال فلما نظرت بنو نبهان الى ذلك الامر والشان صاح فيهم المهلهل فحملوا من كل جانب ومكان وصاحت جميع الاقران وتزاعقت الشجعان وتبادرت الى حومة الميدان وهجموا على عنتر مثل العقبان فلما أبصر مالك بن زهير الى ذلك الامر والشان حمل فيمن معه من بنى عبس وعدنان والتقى بهم ذلك الجمع وطاب العطاء والمنع وكثر صيال الفرسان والتفت عند ذلك الطائفتان فتزلزلت الاقطار وتزوبع الغبار وقدحت الصوارم نار وقصرت الاعمار وتهتكت الاسرار وماجت الفرسان مثل ماتموج البحار واندهش الجبان وحار وأيست الطائفتان من عودتهم الى الديار وساوا ذا لعبيد والاحرار * هذا وعنتر قصد الى قبيلة بنى نبهان وتداهلك منهم الفرسان وأباد الابطال والشجعان وفرق جمعهم بتواتر الطعان ومازال على ذلك الاهتمام الى أن بقى فى وسط الاعلام وضرب فيهم بالحسام وشتت الجمع بعد الالتئام * قال فلما رأى المهلهل الى تلك المصائب وأبصر الى تفريق الكتائب خاف على نفسه من شرب كأس النائبات فولى هاربا واخذ فى الانهزام وقد تكسكست عند ذلك جميع الاعلام وأيقن الجميع بشرب كأس الحمام فتفرقوا فى البرارى والاكام وقد صاروا فى انهزام وعنتر بمن معه وراءهم كالعقبان وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان ومازالوا على ذلك الحال الى ان أقبل الليل بالاعتكار وولى النهار بالانوار فعند ذلك رجعت بنو عبس عائدة بعد ما جمعت الخيل الشاردة والعدد المبددة وقد فرحوا بذلك الامر والشان وعنتر بين أيديهم وهو كأنه شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو مسرور بنصرته على الاعداء الانذال وقربت عليه عبلة لما رأته فعل تلك الافعال وفرحت بسلامته وثبتت فى قلبها محبته * هذا وقد تقدم عنتر اليها وضمها فى صدره وقبلها بين عينيها وصار بعد ذلك ينشد ويقول (p. 54 mid)

ان كان يا عبل ظل القسطل الحلك * أخفى فعالى عليك يوم معترك

فسائلى السيف عنى هل ضربت به * يوم الكريهة الاهامة الملك * وسائلى أبجرى هل كنت أقحمه
الاعلى موكب كالليل محتبك * ثم اسألى الرمح عنى هل طعنت به * الا المدرع بين النحر والحنك
كم ضربة لى بحد السيف قاطعة * وطعنة شكت القربوس فى الورك * لولا الذى أمسك الافلاك قدرته
* جعلت ظهر حوادى قبة الفلك *

(قال الراوى) فعند ذلك زاد فرح عبلة من مقاله وفعاله وقالت له لافض الله فاك ولا كان من يشناك واهلك الله جميع أعدائك * هذا وقد هنأته بنو عبس بالسلامة من ذلك الايراد وقد فرح له بذلك صديقه مالك وأبو شداد ثم انهم بعد ذلك استشاروا عنترا انهم ينزلوا فى هذه الساحة ليأخذوا لهم مع الخيل راحة قال نعم ماذكرتم من ذلك الخطاب وانه أمر لا يعاب ثم انهم نزلوا فى ذلك المكان وأراد عنتر أن يحرسهم خوفا من نائبات الزمان فقال عمه مالك وعروة بن الورد والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد والله يا أبا الفوارس ما يتولى الحرس الا نحن فى هذا الليل الغالس فقال لهم عنتر يا بنى عمى أنا أقسم بحق الله انه ما أحد غيرى يتولاه فخذوا لكم راحة الى نصف الليل وكذلك ترتاح الخيل ودعونا نخرج من هذه الارض التى مالنا فيها صديق ولا صاحب ولا رفيق فقال مالك بن زهير والله يا أبا الفوارس وزين المجالس ما أدعك تتكفل بهذا الامر وحدك لانك فى تلك الوقعة أتعبت نفسك وقد لقيت ما كفاك وفعلت ما لم يفعله أحد

سواك

سواك وبعد ذلك تريد أن تحرسنا وأنت على أثر تعبك فنحن بهذا الامر أحق منك فقال عنتر لا كان ذلك أبدا ولو شربت كأس الردا فقال له مالك اذا كان الامر كذلك وانت ما تفعل فأنا اكون فى ركابك من جملة أصحابك ثم انهم قاموا وركبوا الى الحرس حتى يذهب الليل وسواد الغلس هذا ما كان لهم من الامر والشان (وأما ما كان) من مالك أبى عبلة القرنان والربيع بن زياد وأخيه عمارة الكشحان فانهم الجميع كانوا يتمنون هلاك عنتر أبى الفرسان وكان اشدهم عصبية وقد ضربه عمارة بن الافرنجية وتدذاب جسده وانفطر وتحل جسمه ودمعه تحدر وهو لا يدرى ما يفعل به ولا كيف يدبر فى أمره وأمر عنتر وكانوا اذا اختلوا بأنفسهم يشتموه ويتمنون ان يد المنية تصل اليه فقال مالك ابو عبلة هذا امر ما يشفى الغليل ولا ينفع هذا المقال والقيل وأنا قد حرت فى أمرى وخانتنى جلدى وصبرى فى هذا العبد ولد الزنا الذى فتت بفعله أكبادنا وقد اخذنى من فعاله المغاص ولا بقى لى من يديه خلاص وكل ما أدبر عليه تدبيرا عاد على وبالا وتدميرا ولا يصينى منه الا التعيير ويزيد فى الفصاحة والشجاعة والقوة والبراعة فقال الامير عمارة أما شجاعته فهى عند الناس بينه وأما فصاحته فما هى عندى الا مينة ولا يلذنى ما يقوله من الكلام ولا سمعت له قانية مستقيمة تمام فقال عروة بن الورد كذبت فى هذا المقال أنت وجميع من يوافقك فى هذا السؤال وكل ما ذكرته زور ومحال ولا يرافقك عليه أحد من الرجال وأنا أقسم بحق مدون الاكوان الذى خلق الانس والجان ما فى جميع قبائل العربان من قحطان وعدنان أفصح منه لسان ولا أشجع منه فى حومة الميدان على ان هذا الكلام ما هو عن محبة فيه ولا رغبة ولا لاجل دفع مسبة ولكن الحق أحق أن يعطى وعين الشمس ما تتغطى أيا عمارة الكلب هو نت ما ذكرته وعائد من مقام الحرب حيث يقول

لولا الذى تمسك الافلاك قدرته ✿ جعلت ظهر جوادى قبة الفلك

وهذا مقال اذا أراد أحدنا أن يقول مثله فمن أين له أن يقوله أو يحوم حوله فلعن الله ديونا من ظهره رماه وبطنا وعاه ما أفصح لسانه وأقوى فى الحرب قواه (قال الراوى) لما ذا الكلام هذا وقد قال مالك أبو عبلة والله يا بنى عمى ما بقى لى عين تراه وليس لى أن أعيش فى مأواه وفى مرادى ومنيتى أن أمشى أنا وولدى وبنتى وأعيش عزيزا فى بلاد الغرباء ولا أكون ذليلا بين الاصحاب والاحباء فعند ذلك قال له الربيع بن زياد والله ما نوافقك على ذلك الايراد وأنا أشير عليك برأى تبلغ به المراد ولا تبالى بعنتر ولا بأحد من العباد فقال له مالك اخبرنى بذلك وأعلمنى بما خطر ببالك قال له لما تسل الى الاطلال وتحل لدى الامير شاس المفضال أمسك ذلك واعلمه بذلك الامر والحال وسلمه ابنتك وقد بلغت قصدك ومنيتك وقل له أيها السيد الهمام والبطل الضرغام هذه بنتى أمتك وأنا وأخوها خدمك فزوجها من تريد ولا يأخذها ذلك الاسود العنيد لان شاسا الجواد أبغض الناس عليه عنتر بن شداد من يوم كبر وانتشا وركب الخيل الجياد واذا صارت بنتك فى حماه أمنت عليها من جميع من سكن الفلاة ولا تبالى بجميع المخلوقات وتنتظر لهذا العبد العرضيات ولا تزل حتى تهلكه فى بعض الجهات (قال الراوى) وما زل القوم على ذلك الحال حتى لاح الفجر بنوره المتلال فرحلوا يطلبون الديار والاطلال وما زالوا سائرين فى التفار الى أن تضاحى النهار واذا هم بوحش قد هج فى سائر الاقطار رأوا على البعد منهم ثوران غبار وقد انعقد وملأ جنبات الفلا والخبل وصار أسود من الليل فقالوا تلك خيول بنى طى وقد أتت الينا من كل قبيلة وحى فدونكم وأخذ الاهبة للقاء الاعداء الذين ملؤا علينا البيداء وقاتلوا قتال من كره الحياة واختار الموت والفناء فقال عنتر الاسد الضرغام لا تخافوا يا بنى الاعمام من كثرة هؤلاء القوم اللئام واعلموا أن صاحب الاجل المديد ما تعمل فيه الصوارم الحديد (قال) ثم ان عنترا عاد الى ورائه بالجواد وتبعه مالك بن زهير وأبوه شداد وتبعهم عشرة من بنى قراد وأسرعوا فى المسير الى كشف الاخبار واذا به قد انكشف وانجلى وبان

للابصار واذا هو جيش جرار ملأ الروابى والقفار وقد انتشر فى البطاح وسد الفلا بأسنة الرماح ومن تحته زعاق وصياح وهمهمة رجال أو قاح ونشرت راياته وبنوده وتزاعقت أشباله واسوده وصهلت عند ذلك خيوله وتدفقت الشجعان من عرضه وطوله (قال) وكان هذا الجيش القابل من بنى طى والمقدمون عليه ملوك ذلك الحى وهم سادات بنى قحطان العظماء الملك مهلهل بن حنظلة وأخوه يزيد الملقب بشارب الدماء وكان السبب فى مجيئهم الى تلك الآكام الرسل الذين أرسلهم مفرج بن همام فأخبروهم بأسر بنى زياد ففرحوا بذلك الايراد وردوا الرسل بالخلع العظام وقالوا لهم قولوا لمفرج بن همام ان بنى عبس مالهم عندنا عهد ولا ذمام فما كان الا أيام قلائل حتى وصلت اليهم الاخبار بالكبسة التى جرت فى الديار وكيف أخلص عنتر الاسارى من الاعتقال وكيف أهلك الرجال وأباد الابطال فلما سمعوا هذا المقال أنفذوا العبيد الى جميع ظلهم والاطلال فتسارعت وأعملت الرجال فركبت عند ذلك الاقيال وقد كملت عدتهم ستة آلاف فارس وهم فى الحديد غواطس وساروا فى تلك الآكام حتى وصلوا الى حلة مفرج بن همام فأبصروا القتلى على الارض أكوام فزاد بهم الغضب وكثرت بهم الكرب فاستمروا فى سيرهم مجدين الى ثانى يوم حتى التقوا بالمنهزمين الذين انهزموا من الوقعة الثانية الكثيرة الاخطار وهم طالبون الديار منقطعون فى البرارى والقفار فلما رآهم شارب الدماء سألهم عن حالهم فحدثوه بما حل بهم من الويل والعمى وأخبروهم المهلهل بما جرى لهم من عنتر الهمام وكيف انه قتل جابرا ومفرج بن همام وكيف أباد الشجعان وأهلك الاقران فقال لهم ملوك هذه الاقطار والله لقد أبستمونا العار وتركتمونا فضيحة فى الاقطار (قال) ثم انهم نزلوا بالناس حتى وصل آخر المنهزمين وكانوا دون الالف فارس فأقاموا هناك حتى أخذوا لهم راحة وتلاحق بهم باقى القبائل وتقدصار وا ثمانية آلاف مقاتل وهم انكل بالسيوف النواصل والرماح العوامل وساروا من أول الليل وهم راكبون على ظهور الخيل ومازالوا على ذلك الحال حتى لحقوا بنى عبس كما ذكرنا فى نصف النهار وكانوا قد وصلوا الى مفرق الطرق ومرج الفصلان وهى أواخر ديار بنى قحطان (قال) فلما رأوهم صاحوا من كل ناحية ومكان وتفرقوا كرادس ومراكب وانتشروا حتى ملؤا السباسب وأبصرت بنو عبس كثرة العدد وزيادة المدد ولمعان البيض والزرد فحاروا فى أمورهم وتقطعت ظهورهم وأيقنوا بهلاكهم ودمارهم فعند ذلك قال عمارة بن زياد لمالك أبى عبلة جاءك ما كنت تؤمله يا ابن قراد واليوم يقتل عنتر بن شداد وقد فرغ أجله فى هذا البر وهذه الوهاد فقال عروة يا عمارة لا تفرح بقتل عنتر فوحق من أنار الشمس وأضاء القمر لئن قتل عنتر ما سلم منا بشر ولا من يخبر بخبر فقال مالك أبو عبلة ما فى الرأى الا انا نار در رؤس الخيل ونطلب الهرب فمن نجا بجواده سلم ومن وقع شرب كأس العطب فقال عروة بن الورد لاى شئ تسبى بنفسك فى البيداء وتذل وتهان وتملكها الاعداء فقال مالك دعهم يملكوها ويحل بها العنا ولا يأخذها هذا العبد ولد الزنا فقال الربيع بن زياد يا بنى عمى لولا ان مالك بن زهير تقدم بكشف الخبر كنا فعلنا ذلك ونجونا فى البر الاقفر قبل ان يحل بنا الهلاك والعبر ولكن نخاف من عتب الملك زهير الغضنفر أن يقول لنا تركتم ولدى فى وسط الاعداء من بغضتكم لعنتر وأنا الرأى عندى أننا نصبر على الشدائد والنوائب ونقاتل الى أن تدور بنا الاعداء من كل جانب ونصيح يا لعبس الهرب الهرب والاحل بكم الويل والعطب ونذير رؤس خيلنا ونطلب النجاء ونخلى هذا العبد يموت موت العتاء ومن تبعنا فله اسوة بنا ومن وقف يحل به الهلاك والفنا ونكون قد بذلنا المجهود مع هؤلاء القوم وقد برئنا من العتب واللوم وأنا اعلم ان عنتر لا يهرب ويخلى عبلة بل يقف حتى تضرب رقبته ونستريح نحن من هذه البلية (قال) ثم انهم بنوا أمرهم على ذلك المقال ووقفوا حتى علا الغبار فوق رؤس الرجال ونظروا الى عنتر فاذا به قد حمل وارتمى على الاعداء كأنه الجبل وتبعه أبوه شداد وصديقه مالك وكل واحد

منهم

منهم مثل الاسد الفاتك وصار الضرب والطعن بينهم متدارك وثار الغبار فوقهم مثل الليل الحالك وصارت الدماء كالسيل فى جميع المسالك وبكى السيف بعدما كان ضاحك فحمل الربيع وأصحابه بثبات ذميمة لانهم كما قد منا معوّلون على الهرب والهزيمة فبعد مقدار ساعة عادوا على الاعقاب وهم طالبون الهرب والذهاب وتبعهم من كان عازما بهذه الامور والاسباب ووقف عنتر ومن معه من الاصحاب وقد بذلوا مجهودهم فى القتال وصاروا يطعنون بأسنة الرماح الطوال ويضربون بالسيوف الصقال وبقيت عبلة حائرة فى أمرها وهى ترتعد من شدة خوفها ودمعها منهمل على خدها وهى تنادى لعنتر بأعلى صوتها المعهود وهو فى قتاله كأنه أسد من الاسود ومالك بن زهير رمى نفسه فى وسط العساكر والجنود وقاتل أصحابه مثل الاسود (قال) وكان الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وعروة بن الورد وبنو زياد نجوا من المعمعة فى خمسين من الاوغاد وأخذ جميعهم فى الهرب والباقى شكتهم رماح العرب الا أنهم ماوسعوا من المجال وحصلوا فى وسيع القفار حتى ظهر من بين أيديهم غبار وهو يدل على اتيان جيش جرار وهو مقبل على عجل والوحش منه قد نفر ووجل فقال عروة بن الورد هذا من جملة جيوش الاعداء وما أظنهم الا ملكوا علينا جميع البيداء والصواب انا نرجع عن هذا الطريق والا عدمنا السعادة والتوفيق ثم انهم ألووا رؤس خيلهم وطلبوا اليمنة وهم لا يصدقون بالنجاة واذا هم بغبار آخر طالع من وسط الفلاة فقال عروة ابن الورد ما هذا الا أمر منكر فوالله ما يسلم منا ولا بشر ولا من يوصل الى ديارنا الخبر ولابد أن تسد فى وجوهنا جميع المسالك ويصير كل منا فى هذا البرهالك من أجل عداوتنا لعنتر صاحب الوجه الاغبر ثم انهم وقفوا حتى انكشف ذلك الغبار وانجلى وبان لجميع النظار واذا من تحته خيل مثل الغزلان وعلى ظهورهم رجال مثل العقبان وهى تنادى يا لعبس يا لعدنان والجميع قد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وانتشروا فى المحاجر وطلبوا ذلك الغبار الثائر وسوق ذلك الحرب الدائر (قال) فلما نظر الى ذلك مالك بن قراد والربيع بن زياد والفرسان الهاربة من القتال والجلاد تعلقت بأذيال المطامع أرواحها وأيقنت بعد فسادها باصلاحها وأجابت بنداء قومها وحلت عند ذلك عمائمها وطلب كل جماعة جيش من المقبلين وأعلموهم بما جرى لهم من ذلك الخبر المبين وقالوا لهم أدركوا مالك بن زهير الغضنفر ومن معه وابن شداد عنتر فاهذا وقت اعلامكم بالخبر (قال) فعند ذلك حملت الشجعان وتسابقت الى ناحية الحرب والطعان واقتحم جميعهم الغبار وقد تزاعقوا كأنهم أسود القفار وأوصلوا الطعن فى صدور الفرسان وكشفوا بنى طى عن بنى عدنان (قال) وكان عنتر فى تلك الساعة قد أشرف على الهلاك وأيقن بسوء الارتباك وعلم انه ما بقى له من الموت فكاك لانه كان أثخن بالجراح وذلك من كثرة الضرب بالصفاح والطعن بأسنة الرماح (قال الراوى) ولقد أخبرت ان عنترا فى ذلك اليوم خلص عبلة من السبى ثلاث مرات وكشف الخيل عن مالك وأصحابه خمس مرات حتى اثخن بالجراح وسكر مثل شارب الراح وقد بذل المجهود فى مجاله وكان يحمل تارة عن يمينه وتارة عن شماله والابطال تترامى عليه مثل الرمال وهو يقاهر هناك الاهوال وينثر الابطال حتى أشرف على الهلاك والوبال وجعل يهيج فى المعمعة مثل ما يهيج فحول الجمال ويحمى من معه مثل ما يحمى الاسد صقور الاشبال (قال) وكان فى تلك الساعة أشرفت عليه بنو عبس الاقيال وفرجت عنه تلك الاهوال (قال) وكان الواصل مع هذه النجدة أولاد الملك زهير وهم شاس وقيس المشاهير لانا ذكرنا فيما قد منا فى هذه العبارة ان عنترا ومالكا لما سارا من الحى كان الملك زهير غائبا فى بنى فزارة وما عاد الا بعد ثلاثة أيام مضت من تلك الاشارة فلما أن علم بذلك الحال خاف على ولده مالك وعنتر من الهلاك والوبال فقال لشاس يا ولدى ان أخاك قد سار مع عنتر الى ديار بنى طى وانا أخاف من رجال ذلك الحى ولا سيما ملجم بن حنظلة وأخوه يزيد الملقب بشراب الدماء وأخاف أيضا على حامى القبيلة عنتر بن شداد وعلى الربيع ومن معه

من بني زياد والجميع منا والينا وما منهم أحد الا وهو ركن من الاركان وان فقد أحد منهم قطع ظهرنا فخذ أنت وأخوك قيس الفين فارس في الحديد غواطس والحقوا من لنا الجميع وانظروا ما جرى لهم من الامر الشنيع ففعل شاس ما أمره به أبوه من ذلك الامر والشان وانتخب هو وأخوه الفين فارسا من الشجعان وسارا من يومهم على ذلك الحال ومعهم الرجال والابطال وهم لابسون الدروع الثقال متقلدون بالسيوف الصقال معتقلون بالرماح الطوال * قال ولما تاربوا دار بني طي قال قيس لاخيه شاس اعلم يا أخي ان قد امنا بني عمنا فرقتين وهما الربيع وبنو زياد وعنتر وآل مراد ونخاف ان صرنا على الطريق الواحدة ان يكونوا هم في الطريق الآخرة فنختلف في الطريق وتعدم السعادة والتوفيق والصواب أن تسير أنت بالف فارس عن يمين وأسير أنا بالالف الآخر عن شمال يقين ونقطع ما قد امنا من المهامه والجبال ونسير على هذا الامر والحال ويكون ملتقانا مفرق الطريق ومرج الفسلان لانه أول دار بني قحطان وآخر دار بني عدنان ومن هناك يتبين لنا الحال ونسمع ما جرى لهم من الاحوال فقال شاس افعل ما بدا لك نجح الله تعالى أحوالك * قال ثم انهم انقسموا قسمين وساروا فرقتين حتى أشرفوا كما ذكرنا على الربيع بن زياد ومن معهم من الرجال الاجواد وحملوا كما وصفنا وخاضوا غبار الحرب والجلاد وكشفوا الشدة عن عنتر بن شداد وقد عملت بينهم السيوف الحداد وعاد بياض النهار من كثرة غبار الحرب يعطي الى سواد وصار الاصلاح الى فساد وامتلأت الارض ابراقا وارعاد ونفذت الدروع من الاجساد واتسع المجال على عنتر بن شداد ونفر ما بين يديه وعرف الاصلاح من الفساد فعند ذلك نزل عن جواده الابجر لانه كان من كثرة الجراح التي اصابته قصر من تحت عنتر فسلمه الى اخيه شيبوب وركب غيره من الخيول الشاردة لانها شيء كثير من عبرقلة ورجع بكر على الخيل فأنزل بركابها الذل والويل * قال وكانت الملوك واقفين تحت الاعلام في مواكب كبيرة من بني طي العظام وما فيهم من قاتل ولا ناضل الى ان ابصروا الطوائف قد تضعضعت وبنو عبس فيها طمعت فحمل في ذلك الوقت شارب الدما واعاد عند ذلك وجود القوم عدما وهو كأنه صاعقة نزلت من السما وزادت نيران الحرب تضرما وقطرت السيوف دما وحجب الغبار ما بين الارض والسما وصارت النعم نقما وملأ عنتر الارض جماجما واخلى السروج من الرجال وكانوا الهاجمي وكحل الاعين بمراود العمى حتى التقى عنتر شارب الدماء وكان ذلك في آخر النهار فصاح به صيحة دوت لها الاقطار وقال له ويلك يا قرنان هو انت الذي تقدم على الفرسان اما كفاك ما فعلت مني من سابق الزمان ثم طعنه طعنة بخناث قصيرة لكونه تعبان ولكن احرق دمه واشرف على هلاكه وعدمه فعاد راجعا الى ورائه وطلب لنفسه النجاة وخلى اخاه ملجما مشرفا على موته وفناه ولما ان رآه بنو طي هرب تبعه اخوه الآخر في الحلب فتنكست عند ذلك الاعلام والرايات وهرب جميعهم في وسيع الفلوات ونفرت خيلهم كفحول النعام الشاردات وما زالت بنو عبس الكرام تطعن في بني طي الئام حتى اقبل الظلام ونشر اجنحته على الروابي والاكام وعادت بنو عبس من خلف اعداها بعدما نالت مناها وبعد ذلك هنأ بعضهم بعضا بالسلامة وقد حصل لهم الخير والكرامة وافتقد عنتر صديقه مالكا فوجده مجروحا فصعب ذلك عليه وكبر لديه وشجعه وسلاه وقبله بين عينيه ورجع بعد ذلك الى قيس وشاس أخيه وقبل أيديهما وشكرهما على فعالهما ودعا لهما ولابيهما بالدوام ما بقيت الليالي والايام فتبسم قيس من كلامه وشكره على حسن اهتمامه وأما شاس فانه قال له أهلا وسهلا يا ابن زبيبة وذلك من تكبره وتجبره وأموره الغريبة (قال) ثم انهم نزلوا لاكل الطعام وشرب المدام وقد دار بينهم الكلام بما جرى من تلك الامور والاحكام وسأل الربيع شاسا عن سبب قدومه وكيف كانت هذه الاشارة فحدثه بما جرى على قلب أبيه لما رجع من بني فزارة وكيف أنفذه هو

واخاه

وأخاه قيسا بهذه العبارة فقال الربيع والله يامولاى ما كل هذا العبد الاسود فى هذه النوبة وقد فعل فعالا صعبة وقد اخذنا بنفسه من شر الاعداء وأنجدنا من الهلاك والفناء فقال شاس والله يا ربيع انه ما فعل هذا الا جلنا وانما لاجل محبوبته عبلة حتى خلصها مما كانت فيه من هذه الدبلة وهى التى ترميه فى كل مصيبة وتحمله كل نوبة شديدة وأنا ما أتيت فى هذه الديار والمسالك الا من أجل أخى مالك ولاجل سعادة عنتر كان أخى فى هذه النوبة معه والا كان شرب كاس الحمام وأصبح هالك وما كان خلص من هذه الديار وكان حل به الفناء والدمار وأنا أعلم أن أخى مالكا لا يزال يتعصب له ويرمى روحه فى الردى حتى يقع فى مصيبة ما يخلص منها أبدا فقال الربيع لقد صدقت يامولاى فى هذا المقال وقلت ما هو الصدق فى المقال ولولا قدومكم فى هذا الجيش الجرار ما كان تخلص منا أحد من هذه الديار (قال) فلما بلغ هذا الحديث عنتر بن شداد وكان عند صديقه مالك فما أبدى ولا أعاد لانه يعلم أن شاسا له من جملة المبغضين ولا يشتهى أن ينظره بنظر العين ومازالوا على ذلك الايناح الى أن أصبح الله بالصباح فرحل شاس فى المقدمة ومعه بنو زياد وعمرو أخو عبلة ومالك بن قراد ورحل عنتر بعد ذلك الايراد هو ومالك بن زهير وأبوه شداد ومن بقى عندهم من بنى قراد وساروا يجدون المسير طالبين الشربة والعلم لسعدى وتلك البلاد (قال) ولم يزالوا سائرين ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع وصلوا أول ديارهم وتلك الاكام فنزلوا للمبيت وأخذوا الراحة فى تلك الارض الفساحة فسار مالك أبو عبلة الى خيمة شاس وكان ولده عمرو بين يديه فدخل على شاس وسلم عليه وقبل بعد ذلك يديه وقال له يامولاى قد أوليتنى من الجميل والاحسان ما يقصر عن وصفه اللسان لانك قد خاطرت بنفسك من أجلنا وخلصتنا من وسط أعدائنا وأريد منك تمام الاحسان والانعام ان تعطينى الذمام وترجع عن ابنتى عنترا ولد الحرام ولما تصل الى حلتنا والابيات تهتم لى فى هذه الحاجات ولا تدعى أفتضح فى ابنتى وتشيع بين الورى قصتى فان هذا العبد ولد الزنا ما فعل تلك الفعال الا من يوم ألحقناه بأنسابنا العوال وقد عظم شانه وكثرت أصدقاؤه وأعوانه وشد قلبه أبوه شداد وصار يدعوه كما يدعى الاولاد ويجعله عديل ولدى عمرو وأنا والله يامولاى ما أشتهى هذا الامر وأنا قد عجزت عن مداراته ومل قلبى من مراعاته وغلبت منه باطنا وظاهرا ولا يبقى لى معين ناصرا ومد طمعه الى أن أزوجه ابنتى وتشمت الاعداء بفضيحتى أيا مولاى أى حال أشام من حالى اذا زوجت ابنتى لراعى جمالى وها أنا قد رميت روحى عليك وفوضت أمرى الى الله واليك فان كنت قادرا على نصرتى فاعلمنى واسترابنتى وان كنت ما تقدر على هذا السبب فاعلمنى حتى أرحل الى بعض أحياء العرب الذين من أصحاب الحسب والنسب وآخذ منه الذمام واعيش عنده عيشة الكرام بعيدا عن الديار وانفى عنى الهم والعار فقال شاس يا مالك طب نفسا وقر عينا فهذا شئ ما اتركه يتم عليك ابدا ولو كانت اعدا أولك عدد رمل البيدا وانا والله ما بقيت أقر ولا اهدا حتى اقتل هذا العبد ابن الامة السودا حتى لا نكون اولادا الملك زهير بن جذعة وتنسب الينا لعبيد القليلو القدر والقيمة ذلعن الله شدادا وعبده وحزبه وجنده ولابد لى من قتل هذا العبد واسقيه كاس فناه وارغم انفه وانف من والاه (قال) ثم ان شاسا طيب قلب مالك وعرفه من عنده بجميل وقد حمده مالك وشكره على هذا المقال والقيل * قال ولما قر بشاس القرار ارسل خلف عنترا لمغوار يحضر عنده فى ذلك النهار فاتى فى عاجل الحال بين يديه وقد حياه وسلم عليه فرد عليه شاس سلامه وجاوبه بعد ذلك باغلظ كلامه وقال له اعلم يا ابن زبيبة ان البغى له مصرع والبغى ما يجلب لصاحبه منتفع ومن طلب ما ليس له بحق فقد ظلم وتعدى والساعة قد كان عملك مالك عندى وشكا حاله الى من جورك عليه والتعدى وانا اعطيته ذمامى وقد صار هو وابنته من جملة الزامى واوصيك من هذا اليوم ما بقيت تعبر له دار ولا تذكر ابنته فى شعرك والنثار والا اكون انا خصمك والسلام لانك انت ابن شداد من سفاح وحرام ومن يوم الحقك شداد بالنسب

تبرأ الرجل منكم ورجع عن قرابتكم من كل سبب فكن انت ومولاك شداد فى فريق والرجل وابنه وبنته فى فريق ولا تتعرض له فى طريق وانت تعلم اننا اولاد الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وهو ملك من ملوك الزمان ولو اننا مع جلالة قدرنا نخطب ابنة أضعف ما فى الحلة ويقول لنا أنا ما أزوج بنتى لاحد فما يكون لنا من القدرة اننا نلزمه بما لا يريد وهذا الرجل قد قال انه ما يريدك ولا يشتهى ان ينظر الى صورتك وأنت عنده بمنزلة العبيد وقد رعيت جماله فى القفر والبيد فما يمكنه أن تكون لابنته بعلا وتكون هى لك أهلا فدعه يمضى الى حال سبيله و يفعل بابنته ما يريد لانك قلت ألف مرة ان نفسك أبية ونخوتك عربية لا تتحمل حسرة ولا تصبر على مضرة وتزعم انها نفس كريمة حرة فلا تذلها لاجل شهوة دنيئة ولا ترغب فيمن زهدك بالكلية (قال) فلما سمع عنتر من شاس ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام ودمعت منه عيناه وتقطعت منه أحشاه وقال يا مولاى أما قولك انى لا أذل لشهوة دنيئة فحاشا وكلا وانما العشق والهيام يزيدان الانسان جوى وغرام وهذا الرجل هو الذى أطمعنى فى ابنته حتى اتى من الهلاك مرارا خلصته وقد رمانى فى الهلاك كذا كذا مرة وقد أراد لى ألف مضرة يا شاس أين كنت نوبة بنى طى والجرش وكندة وتدأبلوكم بالويل والشدة وقد سبوا نسوانكم وقتلوا رجالكم وشبانكم وأنتم بين اطراف الجبال حائرين وهاربين ومثل خول الجمال شاردين وعمى مالك يقول لى هو وأخوه شداد قاتل وأنت منسب حرفاضل وعمى مالك يقول لى يا ابن أخى خاص ابنتى وهى لك زوجة فخاصتها مع حريم بنى عبس جميعهم من غير من عليكم ولا كلام وفى هذا اليوم أنا الاسود الجسام ولكن سوف تعرفون عاقبة هذا الملام و بعد ذلك طالبنى بالنوق العصافير فأتيت بها وهى محملة بمال كثير وفعلت فعالا تعجز عنها الفرسان المغاوير و بلغته كل ما يريد من الآمال واتيته بأموال الثلاث ملوك محملة على الجمال وأنت شاهد لى بتلك الفعال وانى الآن أخاطر بروحى مع بنته ولا سيما فى هذه النوبة فانه شاهد جميع ما فعلت بعقلته واظهرت فى الحرب فعالى وهذه جراحاتى تصدق لمقالى وانا اعلم انه ما فعل ذلك الا ايراد واكاد ذلك الكيد الا من تدبير الربيع بن زياد حتى يأخذ عبلة لاخيه عمارة القواد لانه يرغب فى ملاحته و يزهدنى لسواد جلدى وسمائى وانا وحق ذمة العرب الكرام وزمزم والمقام لئن تزوجها عمارة او ذكرها بكلام فلا أبقى اقتله ولو انه من داخل البيت الحرام وانا قد رضيت انى ما أتزوج بها انا ولا احد من الانام ولا احظى بها انا ولا احد من الناس احتراما لكلامك يا مولاى شاس والبغى كما زعمت مصرعة الرجال و يهد الاساس ثم انه قام من عنده وهو بادى الانفاس كثير الوسواس مضطرب الحواس ولم يزل سائرا وهو فى هم وضير حتى انه دخل على مالك بن زهير واخبره بما حصل له من اخيه شاس من الهم والضير واعلمه انه سبه عند ما اراد القيام وقال انه كان يريد ان يجذب على الحسام وسبنى بين الخاص والعام وجعلنى ابن شداد من حرام * قال فصعب على مالك ذلك الكلام وقال يا أبا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تغم نفسك ولا يغيرك اهتمام فأنا عالم بذلك الكلام ولكن اذا وصلنا الى ديارنا والطلال فأنا أريك ما العمل والله لارغمن انف الجميع واصنع بهم اشنع صنيع وادبر على هلاك عمارة واخيه الربيع ثم انه سكته من بكاه وطيب قلبه وتلقاه فعند ذلك دعا له الامير عنتر واثنى عليه وحمده وله شكر وقد صبر على هذا الغيظ والنكد الى ان جن عليه الليل بظلامه الاسود فعند ذلك استيقظ من النوم اخاه شيبوب الغضنفر وقال له قم سير جوادى الابجر مادام انه من التعب استراح لعله يخف عنه الم الجراح ففعل شيبوب تلك الفعال وطلع بالابجر فى البر والرمال واذا قد اقبل من ورائه عنتر الربيال وهو راكب على نجيب من نجائب مالك بن زهير المفضال وقد خرج عنتر يحرسهم على جرى الرجال حتى لحق بأخيه شيبوب الهمام وقال له يا ابن الام ابعدنا عن هؤلاء القوم اللئام واقصد بنا الى ناحية بيت الله الحرام فما بقى لى عندهم مقام فقال له شيبوب وكيف تطيب على قلبك

تلك

تلك الفعال فقال له عنترا نا اعلم يا اخى ما يصير من المقال وانا ان وصلنا الى الحى يلجأ شاس فى معاندتى واخوه مالك ما يصبر عن مساعدتى واكون انا سببا لاثارة الفتن وتشتت بنو عبس عن الوطن وانا ما اريد ان اتحمل من قبل احد منن بل اداوى مرضى بيدى فى الشدة والضيق واقيم فى بيت الله الحرام متجنبا العدو والصديق واشكو حالى الى الملك العلام وانتظر العرضيات من الليالى والايام ولا ازال هناك حتى يدركنى الحمام وتساعدنى الاقدار من عند من خلق الضياء والظلام وابلغ ما اريد على رغم اعدائى اللئام فقال له شيبوب ويلك يا ابن الام وقلبك يطاوعك على بعد عبلة وانك تجلد على هذه الفعلة والاحكام المقضية فقال له عنتر نعم اتجلد على ذلك العمل مادمت اسمع انها فى بيت امها مخبية واذا علمت ان اباها زوجها الى احد من العباد اهلكت جميع بنى عبس وزياد وبنى قراد الاوغاد ولو تعرض لهم كسرى انوشروان زلزلت على رأسه الايوان اوفيد مرملك عبدا الصليبان اهلكت جميع بطارقته مع الرهبان * قال ثم انهم بعد ذلك الكلام جدوا المسير فى البر والآكام ودموا طالبون بيت الله الحرام * هذا وقد جعل شيبوب يعدو كأنه ذكر النعام والامير عنتر قد اشتد به الغرام فجعل ينشد من الشعر ويقول

68 اذا كنت فى الاحزان يا دمع فاعتدى * واسعد عسى يطفا لهيب توقدى * ويا قلب ان لم تصطبر يوم بينهم
فمت كما موت الغريب المشرد * الى كم اردد الحادثات والتقى * صروف المنايا بالحسام المهند
واخدم اقواما تكون قلوبهم * خلاف الذى يبدونه من تردد * انا عندهم فى الحرب سيد قومهم
وفى السلم لا اسوى قلامة اظفر * عدمت دوى العشاق كيف أذانى * وهذ قوى حيلى واوهى تجلدى
سأطلب بيت الله اشكو ظلامتى * الى حكم فى حكمه غير معتدى * واصبر حتى لا أخلى لعاشق
به الصبر لا يروى لذا الهائم الصدى * وابكى دما ان كان دمعى يخوننى * واسعد ثكلات الحمام المغرد
عليك سلام الله يا بنت مالك * سلام محب موجع القلب مكمد * رحلت وتلقى فى دوالى مقيد
فأسأل رفقا بالاسير المقيد * سيذكرنى قومى اذا الخيل أقبلت * يخب بها يوم اللقا كل سيد
هناك بين الفخر يا بنت مالك * حقيقا اذا عض الجبان على اليد

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام سار يجد السير فى البر والآكام مدة سبعة أيام فى البر والفدفد ودخل عليه اليوم الثامن ولم يقع فى البرية بأحد وقد اتسعت عليه الطرقات والسباسب وما التقاه أحد من الاعارب حتى كأن الارض خلت من سكانها ونفر منها أنسها وجانها فقال له أخوه شيبوب فى آخر تلك الليالى وهم سائرون فى تلك الجبال الخوالى ما اعجب قصتنا يا أخى بين الانام لانا مسافرون فى هذه الايام وما قابلنا شيخ ولا غلام فقال عنتر ما نريد أن يلقانا أحد فى طريقنا ولا من نعيقه ولا من بعيقنا حتى يكون ذلك اهدأ وأريح لقلوبنا لاننا لا نلتقى الا بمن نطارحه شرنا عليه أو يطارحه شره علينا وأنا والله قد ضجرت من ملاقاة الحرب ومقاساة الطعن والضرب وقد ملئ قلبى من مقاساة الاضرار وأنا لا يقر لى قرار لا فى الليل ولا فى النهار ثم انه تمثل بهذه الابيات يقول ونحن وانتم نصلى على سيدنا محمد النبى الرسول

عليك نفسك واستأنس بوحدتها * تلق الرشاد اذا ما كنت منفردا * ليت السباع لنا كانت مجاورة
وليتنا ما نرى ممن نرى أحدا * ان السباع لتهدا فى مرابضها * والناس ليس بهادا شرهم أبدا

(قال الراوى) فعند ذلك تعجب شيبوب من مقاله وكيف يصبر على ناره وبلباله وعلم أن ذلك من شدة العشق والغرام والجوى والهيام فقال له يا أخى لم لا سرت الى ارض العراق فى تلك الآفاق وألفت عند كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان وتشكو اليه حالك فكان يبلغك آمالك فقال عنتر ويلك يا ابن السوداء المتنة الابطين الرطبة الاستين وهل انا لا أبلغ آمالى بيدى وأهلك جميع أعدائى بشجاعتى وتجلدى ولكنى أخاف على قلب بنت عمى عبلة أن يصيبها من ذلك دبلة لانى لو قتلت أباها أو عمرا أخاها

تكدرت مدتها بعد صفاها وكذلك لو قتلت أحدا من بني زياد ما يهون على الملك زهير ومن له من الاولاد وكان يتفرق شمل العشيرة في سائر الاقطار ولا كانت العرب تبقي منهم ديارا ولا نافخ نار ثم قال والله لا فعلت ذلك أبدا ولو شربت كأس الردى وأما مسيري الى من ذكرت من الملوك فكيف أتيت من عندهم مثل ملك كبير وأرجع اليهم وأنا فقير صعلوك والله ما فعلت تلك الفعال ولا أذل لاحد من الرجال فهذا نقص في العقل وزيادة في الجهل (قال) فبينما عنتر وشيبوب في ذلك الكلام واذا هم سمعوا منادياً ينادي في حنادس الظلام وهو يقول يا معشر العرب الكرام يا هل ترى في هذا البر من يسمع نداءنا ويخلصنا مما حل بنا واعترانا ويخلص تلك البنات الابكار من قبضة هؤلاء الاشرار واذلاه وذلة ناصراه واسوء حالاه وعدم رجالاه فعند ذلك خنس شيبوب وعنترة الربال الى ذلك المنادي الذي يقول ذلك المقال واذا بها امرأة ذات اعوال وقد زادها الهم والبلبال وهي تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

ياعين جودي واسبلي * بدمعك المنهمل * على بنات مالهم * لا ناصر ولا ولي
مهتكات في الفلا * ذوق الجمال النذل * يبكين من فرط الاسا * على ربوع المنزل
والشيخ من جراحه * في غاية التململ * وقد غدا أولاده * نهب الرماح الذبل
والبنت من أحزانها * أنفاسها كشعل * ومن لهيب نارها * تطلب قرب الاجل
ياسائرين في الدجا * تحت الظلام المسبل * لعل فيكم بطلا * لما جرى يرق لي
مجرب يوم اللقا * عند غبار القسطل * يسعدني على العدا * قبل فوات الامل
مفرج الهم اذا * خاب رجاء الامل * ويزرع الشكر من الرب القديم الازلي

(قال الراوي) فلما سمع عنتر ذلك المقال زاد به البلبال وأثر قلقه وأوقدت في قلبه نار الاشتعال فقال لاخيه شيبوب هذه امرأة مظلومة وقد قتل الاعداء أولادها وسبوا بناتها وتركوها تتلهب بحسراتها وأنا أريد من اليوم أن أعين كل من رأيته مظلوم لعل أن ينتقم ممن ظلمني خالق هذه النجوم فهو الله الواحد الحي القيوم ثم انه حرك جواده وسار الى تلك الصائحة ونادى ما حالك أيتها النائحة ومن هي بأحزان قلبها بائحة اخبريني ان كان الزمان عدا لك قد اعتدى فأنا أكون لك عليه مساعدا فقالت المرأة وقد زاد بكاها فرحا بمن أجاب نداها والله يا مولاي اعتدى علي الزمان ورماني بسهام الاحزان وتمكنت مني الاعادي وأفقدوني أولادي وسبيت بناتي وقتلت حماتي وقل معيني وجرح شيخي وقريني ولي ثلاثة أيام وثلاث ليالي وأنا في هذه الوهاد والقفر الخالي وأنا أنادي فلم يجبني رائح ولا غادي ولا اجابني أحد بجواب الا أنت أيها الفتى المهاب فبالله عليك يا وجه العرب ان كان فيك صبر وجلد تخلصنا مما نحن فيه من هذه الكرب وأنا لا أزال أحمدك وأشكرك على هذا السبب (قال الراوي) فقال عنتر لما سمع كلامها مع ما هي فيه من الشدة من أي الناس أنت يا حرة العرب فقالت له يا مولاي من بني كندة وقد أفحطت علينا أرضنا في ذلك العام ونفد جميع ما لنا من الحطام فرحل بنا ذلك الشيخ الذي لنا وارث وهو طالب ديار بني الحارث لان لنا هناك بنات متزوجة وقلنا نقيم عندها ونقضي هذا العام في جوارها فعارضنا في طريقنا شيطان من شياطين العرب يقال له الصدام بن الملهب ومعه عشرة فوارس من فتاك العرب وهم غارقون في الحديد والزرد النضيد فقتلوا الثلاثة أولاد وجرحوا شيخي الاسعد بن عباد وسبوا البنات ومن ثلاث عواتق ورمونا بتلك الآفات والبوائق وهم سائرون بنا الى جبال بني طي يفرقونا في كل قبيلة وحي فلما سمع عنتر من المحوز ذلك الكلام صار الضياء في عينه كالظلام من شدة غيرته على البنات وما فعل بهن الصدام فقال لاخيه شيبوب خذ أنت هؤلاء القوم وأنزلهم عن الجمل حتى أسير أنا وأبصر ما فعل هؤلاء الانذال ثم انه حرك جواده الابجر وتبطن في البر الاقفر وكان الفجر قد انفجر فغاب في عاجل الحال عن أخيه وغاص

في

فى البر وهو يجد فى تلك الفلاة ويتعجب من هذه الاحكام فبينما هو كذلك واذا بالفرسان مقبلة وقدامهم الصدام وهو مثل قطعة غمام غائص فى الحديد مسربل بالزرد النضيد وعلى عاتقه رمح مديد له سنان كأنه نار الوقيد يشعل مثل النار وتحته جواد نذيل العثار صبور على قطع البرارى والقفار وهو سائر قدام رفقته يترنم بهذه الاشعار ويقول صلوا على طه الرسول

انا الصدام صدام الرجال * ولى قلب أشد من الجبال * سباع البر من خوفى وشرى
تهت بين غابات الدحال * ولوان الزمان يقوم شخصا * خضبت يمينه بدم الشمال

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك المقال وأبصر الى هذه الاحوال أطلق جواده العنان وقوم بين آذانه السنان ونادى وقال أين تأخذون يا أوغاد غير انجاد وتبادرون للخطار الفساد وخلفكم عنتر بن شداد والله لقد خابت جميع آمالكم ولقيتم سوء أعمالكم ثم انه صرخ فيهم ونفر قدامهم وأنشد يقول

أنا صدام داقول المحال * وحق الله ربى ذى الجلال * وفى ذا اليوم تأنيك الرزايا
أنا مالك مع يمينك والشمال * وتمشى تحت طير البر رزقا * على الغبراء من حد النصال
أنا عنتر واسمى شاع جهرا * أبو الفرسان من حاز المعالى

(قال الراوى) فلما فرغ من مقاله وسمع الصدام جميع أقواله جلبب وصاح وقال لقومه ما أبركه من صباح وحق اللات والعزى ان هذا رزق هنى ء قد ساقه الينا الواحد القهار وأنفذه الينا فى أول النهار هيا واحد منكم يخرج اليه ويسأله عن حسبه ونسبه ويقتله ويأتينا بسلبه وان رمى سلاحه ونزل عن جواده فانه يهبه لنفسه فما تم الصدام ذلك الكلام حتى برز الى عنتر فارس كأنه الاسد الضرغام يقال له الهبعام وهو راكب على جواد يحاكى الليل فى السواد وبيده رمح الصدام معتدل القوام فلما قارب عنترا قال له ويلك ياوجه العرب انتسب لعل يخبرك النسب والاسلم جوادك والسلب قبل أن يحل بك الهلاك والعطب فوالله ما تم كلامه الا وعنتر ضربه بالحسام فطير منه الهام نحو عشرة اذرع تمام فلما نظر القوم الى تلك الفعال زعقوا زعقة ارتجت لها الجبال واطلقوا جميعهم الاعنة وتقدموا الى عنتر الاسنة وكثرت منهم الضجة والرنة وانطبقوا عليه وايقنوا انهم يوصلون الاذية اليه * هذا والصدام صار ينظر اليهم لاجل أن يحضروا عنترا بين يديه لانه احتقره وكره نفسه ان يحمل عليه فوقف ينظر اصحابه حتى يأتوا به اسيرا ويتركوه على الثرى قتيلا * هذا وقد طال بينهم الحرب والقتال والطعن والنزال وانعقد عليهم الغبار وتسرد فى النقع الموار وغابوا جميعهم عن الابصار وعنتر جعل يجول فيهم طولا وعرضا فما كان غير ساعة حتى بقى الجميع مجندلين على وجه الارض لانه قد صار يلتقطهم واحدا واحدا فى القفار واذا هم كلهم ممددون قبل ما يتعالى النهار ودمهم تسيل على التراب كأنما نزل عليهم صاعقة من صواعق العذاب أو رمى كل واحد بشهاب (قال) فلما نظر الصدام الى اصحابه على الرمال صعب عليه ذلك الحال وخاف ان ترك ثارهم عائرة الرجال فهجم على عنتر هجمة الاسد الاغلب وقال له من انت ياوجه العرب انتسب ان كان ينجيك النسب واخبرنى من تكون من الفرسان ومن اى قبائل العربان فانى وذمة العرب قد انجبنى قتالك وربك ونزالك واشتهيت أن اصاحبك لاجل فعالك وانهب من اموال العرب وأخذ خيلهم وابلهم وسبى النساء بربات الحجال اللاتى هن ذوات الحسن والجمال وتتمتع بالبنات الابكار وتحمل الينا الغنائم من سائر الاقطار واقاسمك فى هذه الغنيمة التى هى سائرة فى ساحة القفار لان فيها ثلاث جوار نهدا ابكار كأنهن الاقمار يخجلن بحسنهن شموس النهار لان الذين كانوا شركاء فيهن اهلكتهم على يديك الاقدار ولا بقى من يشاركنى فيهم فى تلك القفار (قال) فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام الفشار قال له ويلك يا ابن الانذال ابطل هذا القول المحال ودونك والحرب والقتال والطعن برؤس العوال وان كان ما ينجينى النسب انجانى هذا الحسام

المشطب وذلك الرمح المنكعب وان كنت ما تعرفني فأنا اعرفك بنفسي يا ابن الاوغاد اعلم انني انا الفارس الجواد الطويل النجاد الضارب بالسيوف الحداد الطاعن بالرماح المداد انا حامية بطن الواد انا حامية عبس وآل قراد انا عنتر بن شداد فدع عنك هذا الهذيان ودونك والضرب والطعان واقطع طمعك من الغنيمة والنسوان فقد ارسلني اليهم الرحيم الرحمن حتى اخلصهم من الاضرار وآخذ لهم بالثار واكشف عنهم العار ثم ان عنتر بعد ذلك حمل عليه حملة الليث الكرار (قال) فلما رأى الصدام الى فعاله علم ان لا بد له من قتاله وحربه ونزاله فتلقاه في حومة الميدان واخذا في الضرب والطعان فنظر عنتر الى خصمه فرآه منيع الجوانب خبيرا بحوادث المصائب صبورا في ميدان الحرب على النوائب فأخذ عنتر معه في الجولان الى ان اتعبه وضايقه وكربه وهجم عليه هجمة الليث القسور وطعنه في جانبه الايمن فنفذ الرمح من الجانب الايسر ووقع على الارض معفر فترك عنتر واراد ان يسير الى اخيه شيبوب واذا به قد اقبل مثل ريح الجنوب بعد ما نال النسا وبشرهن بازالة الهم والاسا ورجع على عقبه في البر الاقفر ومازال سائرا حتى انه التقى كما ذكرنا باخيه عنتر ورأى ما فعل من ذلك الامر والخبر فهنأه بسلامته من الاعداء وفرح بما حصل لاخيه من النصر والظفر (قال) وبعد ذلك جمعوا اسلاب القتلى واموال الخيل الشاردة في الفلاة ورجعوا الى ناحية النسوان وعنتر بذلك الامر فرحان فلما نظرت البنات اليه وثبن في عاجل الحال وصرن يقبلن يديه وهن فرحات بالنظر اليه وكل واحدة منهن كالبدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر ومنهن تبكي من شدة الفرح والسرور وتتعجب من تقلبات الايام والدهور وبقيت حائرة بما فاجأها عنتر على فعاله وبأي شيء تكافئه على ما صنع معهم من اعماله فلم تجد غير جوهرة اللسان ليكون ذلك مكافأة على ما فعل معهن من الاحسان فأشارت تمدح عنترا بهذه الابيات

٧٤

اعطاك ربك ما ترجوه من امل * وجاز ارضك صوب العارض الهطل
يا فارس الخيل يا من لا شبيه له * عند اختلاف القنا والطعن بالاسل
اعداك كل صباح منك راجفة * تخاف ارواحها من سرعة الاجل
وحاسدوك لهم في كل جارحة * قلب يقلب بين النار والشعل
وانت تزداد سعدا كلما حسدوا * وسيف حدك في الهامات والقلل
لو انصف الناس في الامثال أو صدقوا * ما كان غيرك يدعى الفارس البطل
وقد تفردت في الدنيا بلا مثل * وصرت منفردا في السهل والجبل

(قال الراوي) فلما فرغت العجوز من شعرها وانتظامه زاد عنتر الفرح واتسع صدره وانشرح وتعجب من فصاحتها كل العجب وحصل له الطرب ثم أمرهم بالاستتار وان يغطوا تلك الوجوه التي مثل الاقمار فصرن يدعون له ويقبلن يديه ويشكرنه ويثنين عليه * قال ولما استقر بعنتر المقام أتته العجوز بشيء من الطعام ووضعته بين يديه وصارت هي وبناتها يخدمن عليه وكان الشيخ قد أفاق على نفسه بعد ان كان أيقن بشرب كأس الحمام وجعل يأكل مع عنتر ويحادثه في الكلام وكان عنتر من حين فارق عبلة ما شبع طعاما ولا ملئت أجفانه بمنام فأكل ذلك النهار حياء من الشيخ والعجوز وفرح بفعل الجميل وخفف غرامه شيأ قليلا * قال ولما فرغوا من أكل الطعام قال لهم عنتر الى أين قصدكم والى اي الاماكن تطلبون حتى أسير معكم الى حيث تأمنون فقال له الشيخ يا مولاي اننا قاصدون بني الحارث لان لنا هناك ابنة متزوجة فقصدنا اننا نقيم عندها وجميع ما جرى لنا سببها فقال له عنتر يا شيخ أما من هلك فما بقي لي فيه حيلة وما بقي الى رجائه وسيلة وأما أنتم فما بقي عليكم خوف ولا باس ولكم الامان من جميع الناس وأنا أسير معكم الى قرب داركم لاجل ما أكلت من زادكم ولقلة ناصركم ومعينكم ثم انه أمرهم بالعود الى ظهور خيلهم ومطيهم

وامر

وأمر شيبوب بالرفق بهم وكان معهم ثلاثة عبيد يتولون خدمتهم وصار الشيخ يسأل عنترا عن حاله ومن أى العرب هو وهو يحدثهم بما جرى له وبما قاسى من الشدائد ومالقى من الاوابد والعاشق قلبه مولع بذكر المحبوب فصار يحدثهم بحديث عبلة ومالقى من أجلها وانه طلع من حلته حردان ويريد ان يجعل مقامه فى البيت الحرام ولا يجاور بعدها أحدا من الانام فقال الشيخ والله يا مولاى ان قصتك قد أحرقت قلبى وأكثرت همى وكربى وقد أنسيتنى ما جرى من فقد أولادى ولقد فعلت معى رمع أولادى من الجميل مالا يفعله الخل مع الخليل واعلم يا مولاى أنى ليس لى شئ أجازيك به غير هؤلاء البنات الابكار اللاتى خلصتهن من السبى فى ذلك النهار فان أردت أن تقنع باحداهن ويكون مقامك عندنا فافعل ما تحب وتختار ونكون لك عبيدا وخداما مادام الليل والنهار (قال) فقال عنتر يا شيخ وكيف لى بذلك الشان وأنا والله أشتهى أن يساعدنى الزمان وتطاوعنى يد الحدثان ولكن قيدى برجلى ثقيل وسلطان الهوى قد تركنى عليل وبحر زاخر عظيم اتيار وليس له حد ولا قرار ثم انه بكى بدموع غزار وأنشد يقول

لو كان قلبى معى ما اخترت غيركمو * ولا أردت سواكم فى الهوى بدلا * لكنه راغب فيمن يعذبه
وليس يقبل لى قولا ولا عملا * أشكو الى الله من جور بليت به * من المئام الاولى قد أحكموا الزللا
مالى سواه معين أبتغى عوضا * لانه عادل ما يبتغى بدلا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تعجب الشيخ من فصاحته وهام ثم انهم لم يزالوا سائرين يقطعون الارض والاكام حتى انهم قاربوا ديار بنى الحارث وأمنوا على أنفسهم من كل شئ حادث فعند ذلك ودعهم الامير عنتر بن شداد وطيب خاطرهم وأحسن معهم الوداد وعاد الى ناحية البيت الحرام والعجوز تقول يا مولاى خذ تلك الخيول والاسلاب التى ملكتها بحسامك القرضاب فقال عنتر لا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لا فعلت ذلك أبدا ولا آخذ على فعل الجميل جزاء وأنتم أحق بها تعينكم على فقركم ولا سيما وقد أخذ الزمان أولادكم وأفنى أبطالكم وقتل فرسانكم وأقيالكم ثم انه عاد بعد ذلك الكلام الى ناحية البيت الحرام وزمزم والمقام وهو تائه فى ميدان العشق والغرام زائد القلق قليل المنام * ويكون له معنا كلام اذا وصلنا اليه نحدثكم عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه هذا (وأما ما كان) من أولاد الملك زهير وما جرى لهم من الكلام فانه لما فارقهم عنتر بعد ذلك الخصام وكذلك بنو زياد الشام فانهم عند الصباح افتقدوا عنترا فما لقوا له خبر ولا جلية أثر فجرى على قلب مالك بن زهير ما لا يجرى على قلب بشر وكذلك شداد بن قراد الآخر وأما مالك أبو عبلة والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد فانهم فرحوا فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال شاس لعمارة ها قد أتاك الامر كما تريد وقد أصبح عنتر عنك بعيد ولا بقى لك فى عبلة معاند ولا حسود بل انك تتزوج بها وتبلغ المقصود وتنفطر من بنى قراد المرائر والكبود والرأى عندى أنك تحمل الى مالك مهرها وتدخل فى هذا الشهر بها ويكون فى ليلة جميلة وتفعل هذه النوبة الطويلة (قال) ثم ان شاسا دعا بمالك أبى عبلة اليه فحضر فى عاجل الحال الى بين يديه فأعاد ما قد منا من الكلام عليه وقال له أعط لعمارة بنتك وأخلص فى مصاهرته بيتك وأشهدنا على ذلك بين الاعراب حتى تنقطع عنها جميع الخطاب والطلاب فعند ذلك قال له مالك بن قراد والله يا مولاى ما أريد أن تكون بنتى عبلة الا امة فى بنى زياد ويكون معها منه عشرة أولاد ثم انه مد يده الى عمارة القواد وصافحه وناكحه وتم الايراد وقد اتفقوا على ذلك وصفا منهم الوداد وهدأت منهم الاسرار وسار وا بعد ذلك طالبين الديار وعروة بن الورد يقول لعمارة القواد مبارك يا أمير عمارة يا وهاب ولكن أرجو من الله ان تكون العاقبة الى خير وسلامة ولا يحدث فى عاقبتها ندامة فقال الربيع ما بقى يحصل لنا أبدا باس مادام تولى هذا الامر مولانا شاس فقال عروة بن الورد والله ما رأيت هذه

الجارية الا وقد عم شرها على جميع الناس وكل من أراد أن يتزوج بها أصبح بدنا بلا راس * قال فضحكوا جميعهم من ذلك الكلام وقد علموا انه صحيح لا شك فيه ولا ملام * هذا وقد بلغ الخبر الى مالك بن زهير فحصل عنده من ذلك هم وضير وقال وحق الملك العلام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ما تركت عمارة يتهنا ولا يوما من الايام الا اذا عدمت أنا من الدنيا ولا بقى لى فيها مقام وبعد هذا يا أمير شداد اذا وصلنا الى أطلالنا والبلاد نخذ من أخيك مالك مال ولدك عنتر ولا نتركه يتم له هذا الامر اذا وجدته جد فى زواج ابنته وأراد أن يعطيه العمارة بمكيدته وانقش أنت جميع بنايته وأنا أساعدك على ذلك الامر وأخلى أبى يأخذ مال كسرى منه وأموال قيصر وكذلك مال الملك المنذر ونأخذ منه النوق العصافير ونلعن منهم الكبير والصغير فقال شداد فوحق ذمة العرب وشهر رجب سوف يظهر ما يجرى لهم قدام أبيك المنتسب * قال ثم انهم جدوا فى المسير والكد والتشمير الى أن أشرفوا على أول أرضهم وقاربوا ديارهم وأتوا على ماء يقال له غدير الظباء ورمال كثيرة وكان الامير شاس كما ذكرنا فى أول الناس وكان يقضى نهاره فى الصيد والقنص وانتهاز الفرص لانه كان أحب اخوته الى أبيه وأبوه موصى له بالملك من بعد موته فلما أشرفوا على تلك الربوات ورأوها مخضرة الجنبات مملوءة بالزهر والنبات وهى كاملة المعانى والصفات طيورها ناطقة وأغصانها باسقة والوحوش فى جنباتها راتعة وآمنة من الهم والشقاء تسبح من له العزة والدوام والبقاء (قال) فلما نظر شاس الى تلك الارض وحسنها ورأى الى كثرة غزلانها فقال لأخيه قيس سر أنت بالناس واعلم أنه ما بقى علينا خوف ولا باس وأنا أريد أن اصطاد فى هذه الارض الى المساء وأعود الى الاحياء ثم انه أخذ له عشرة فوارس من خواصه وعدل الى ذلك الوادى فرأى الوحش فيه ساكنا وهادى فجعلت الفرسان الذين هم فى صحبته يوردون عليه الوحوش والغزلان فى حضرته ومازال على ذلك الامر والشان الى أن غاب أخوه قيس عن الاعيان ووصل الى الديار والاوطان * هذا وشاس قد تعب هو ومن معه من الفرسان من كثرة ما لقوا فى تلك الوديان لانهم اصطادوا شيأ كثيرا من الارانب والغزلان ثم هموا أن يعودوا الى الديار واذا هم بغبار قد ثار وكان اقباله من ناحية ديار بنى فزاره وهؤلاء الفرسان المقبلون على خيول مثل الطيور الطيارة وهم ينوفون عن مائة فارس نسوس عوابس تفزع منهم الجن والابالس (قال) فلما أقبلوا الى هذا المكان ورأوا شاسا ومن معه من الفرسان هجموا عليهم كأنهم العقبان وانتشروا عليهم كالغمام فقال شاس يا بنى عمى موتوا كراما ولا تعيشوا لئاما وما بقى يضيعنا غير قوائم سيوفنا وأسنة رماحنا والرأى عندى اننا ننقسم فرقتين كل خمسة منا فرقة واحدة واحملوا حملة بنية صادقة وهمة موافقة واياكم أن تميلوا الى الهرب فتصيروا بذلك معيرة عند جميع العرب من بعدنا ومن اقترب * قال فما أتم شاس سياق كلامه الا والخيل قد صارت من خلفه ومن قدامه وما كانت الا ساعة واحدة حتى انهم قتلوا العشرة فرسان وخلوهم ملقين على الارض والبطحان وأخذوا شاسا أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وشدوه على جواده بالعرض ودوه من كثرة ما فيه من الجراح لا يعلم ان كان فى سماء أو فى أرض وقد أيقن بالهلاك وسوء الارتباك ثم ان القوم سار واطالبين أرضهم وديارهم وهم لا يعرفون من هذا الاسير (قال) وكان الذى أسر شاسا ابن الملك زهير رجل يقال له ميسور بن زياد الجورى وكان السبب فى ذلك أنه كان فى هذه النوبة التى نحن فى ذكرها أتى من ديار بنى قحطان ودخل الى أرض بنى عدنان فى طلب المعاش والمكسب من بعض احياء العرب فما وقع له شئ من الحطام وكان له فى أرض بنى فزارة ثلاثة أيام يريد ما ينهبه أو فارسا يقتله ويأخذ سلبه فما وقع له ما يريد فسار الى ديار بنى عبس وعدنان فوقع بشاس بن زهير فى هذا المكان وجرى ما جرى من ذلك الامر والشان فلما سار وابه فى البر والسبب استخبر ذلك الفارس عن حسبه ونسبه لانه رآه حسن الشباب نقى الاثواب ولا سيما أنه ابن ملك مهاب فقال له ميسور من أنت ومن أى الناس

تكون

تكون ياقرنان وابن الف قرنان وتنسب الى من من العربان فقال له شاس اعلم ياقفى أنى ما أنا من أوباش العرب ولا دنى ء فى النسب أنا شاس بن زهير بن جذيمة بن الوضاح سيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وأنا قتلت جماعة من بنى عمك وأكثرت عليهم همك وغمك وقتلت أيضا أخاك وها أنا وقعت فى يدك فافعل بى ما تريد واحكم فى حكم الموالى على العبيد والا فاقتلنى وتخلص أنت من العار والذل والشنار ان كنت من الرجال الذين يخافون من ذمة العرب الاخيار وان أردت المال فعلى جميع ما تحب وتختار من النوق والجمال وان أردت القتل فافعل ما بدا لك من الاحوال فقال له ميسور والله يا ميشوم الناصية ما بقيت تنظر الى أهلك أبدا ولو أنك أتيت بكل من فى الارض عددا ولابد أن أجرعك كاسات الردى جزاء ما أعدمتنى أخى شيبان وأهلكت العشرة الذين من بنى عمى وأكثرت عليهم همى وغمى ثم انه بعد ذلك المقال سار يطلب ديار والاطلال * هذا وشاس بن زهير يتجرع غصص العذاب وأيقن بالفناء والذهاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشان (وأما ما كان) من بنى عبس وقيس بن زهير فانهم سار والى أن وصلوا الى الاطلال ونزلوا الاحمال من على ظهور الجمال وقد جعلوها على وجه الارض وصارت قلوبهم تغلى بالاحقاد وكان أعظمهم حرقة وأشدهم مشقة مالك بن الملك زهير وذلك لفقد عنتر بن شداد وما جرى له من ذلك الايراد * هذا وقد سار وا بعد ذلك الى الملك زهير وسلموا عليه وبما جرى لهم فى ديار بنى طى أعلموه فقال لهم وأين هو عنتر بن شداد وماله ما حضر بجملة من حضر من الرجال الاجواد فأخبروه بالقصة التى جرت فى سفرته وأعلموه بما جرى بين شاس وبينه بجليته وأخبروه كيف ان شاس انفرد عنهم بعشرة فوارس وطلب الصيد والقنص من دون الناس وقال انه يرجع عند المسا وهذا الذى جرى وكان ولا نعلم كيف ما حصل له من الاسا (قال) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وعلم انهم تعدوا على عنتر وظلموه وأنه ما فارقهم الا من الكلام الذى قالوه ثم ان الملك زهير نظر الى ولده مالك فوجده مجروح وقد بقى بدنا بلا روح وهو يريد أن يتكلم فلا يقدر من الغيظ الذى نزل عليه والدموع تنحدر من أماقى عينيه فقال له يا ولدى أما تدرى ما حل بى من أجلكم وما الذى أصابنى من بعدكم وانى أخشى عليكم من غدرات الزمان وحوادث الايام ان تبتلينى بفقدكم وقد أشغلت قلبى بغيبة أخيك وشقيقك وفقد حامية القبيلة عنتر صديقك الذى دائما يحمى حريمنا والاولاد ويتحمل عنا جميع المصائب التى تأتى من العباد فأبدى ما فى قلبك ولا تخفيه وأخبرنى به حتى أعلم معانيه وأكافئ من ظلم على أعماله وأضع كل شئ فى مكانه بعون الله وصاحبانه فقال مالك أى شئ أقول من المقال فلعن الله الظلم ومن يتبعه من الرجال ثم انه حدثه بما فعل عنتر مع بنى زياد وكيف انه بذل نفسه فى حقهم حتى خلصهم من القيود والاغلال وكيف انهم جازوه بعد هذا كله بالبعد والانكاد ثم ان مالكا أعلم أباه بالقضية التى جرت من أولها الى آخرها وشرح له باطنها وظاهرها حتى صار كأنه عالم بها وحاضرها (قال) فلما علم تلك العبارة التفت من وقته وساعته الى المخنث عمارة وقد صعب عليه ما جرى لنقد حامية العشيرة من كل غارة وقال له كل هذا من نيتك يا ميشوم الناصية يا من بلاه الله بأنف علة وداهية وهذا من قبيح أفعالك التى فعلتها فى الايام الماضية فقال عمارة وأنا يا ملك أى شئ لى من الذنب فوحق اللات والعزى والهبل الاعلى لقد جرى على فى هذه الكرة ما لم يجر على ابن أمة ولا حرة وقد سلمت من القتل غير مرة وأيقنت بالموت ألف كرة فقال الملك زهير يا ليتها كانت القاضية وليت المنايا اليك متدانية فوحق من دحا الارض ورفع السماء وعلم آدم الاسماء ان قتلك وما تك وعدمك من القبيلة خير من حياتك يا ويلك يا مذلول السبال يا بقية الرجال الانذال هل سمعت بأن أحدا سب ابنة عمه التى هى من لحمه ودمه وعارها من عاره فيسبها ويبعدها عن دياره وامصاره يا ويلك هل هذا جزاء عنتر فى نظير مروءته وهو قد خلصك

من الاسر عند عودته وبذل دونك نفسه وعز بمهمته وبعد ذلك تفعل معه هذه الفعال ياوغد ياديوث الرجال فلعن الله سبالك ومن المصائب لا أقالك ثم انه أمر أربعة من العبيد أن يشجوه بين أربع شعاب من حديد ففعلوا ما أمر وابه في ساعة الحال و بطحوه على الارض وأنزلوا به الوبال فقال الملك زهير للعبيد اضربوه الضرب النكير حتى يعتبر بذلك الصغير والكبير ويبقى عبرة لجميع من يراه لانه فعل فعلا ما فعله أحد سواه فعند ذلك فعلوا ما أمرهم به الملك زهير وقد صار وا يضربونه الضرب النكير حتى كاد أن يهلك وصار يستغيث فلا يغاث وجعل يصيح صياحا عاليا والدم من جسده يسيح هذا وأخوه الربيع لم يقدر أن يتكلم ولا يسأل فيه الملك زهير لانه علم بما في قلبه عليه من الاحقاد لاجل فقد عنتر بن شداد وقد زاد به على عمارة الامر المنكر وقد تعجب من ذلك جميع من حضره قال وكان الامير عروة بن الورد واقفا ينظر الى هذه الامور الشداد وهو يقول في نفسه هذا اول بركات عبلة بنت مالك بن قراد فوالله لو قبل مني لما تعرض لها لاني والله قد جربت شؤم طلعتها على كل من خطبها هذا ولم تزل العبيد تضرب عمارة بن زياد حتى غشي عليه واشرف على الهلاك والنفاد ومن كثرة ما قاسى من العذاب لوث نفسه ونزع ما عليه من الثياب فلما راى الملك زهير الى تلك الامور القباح سدا نفه بيده لما شم رائحة الغائط الذي عليه قد ناح وامر بابطال الضرب عنه لما راى ما حصل له من التلاف فعند ذلك شدت العبيد كتافه ورفعوه من قدام الملك زهير ورموه في بعض المطامير فصار يئن من شدة الآلام وقد فاضت دموعه على خدوده سجام وصار يتحسر مما نزل به من التلف وابدى اللوعة واللهف واجتمعت على صراخه جميع الامراء والخدام ولا احد منهم رق لحاله ورحمه ولا حامى عنه (قال) وبعد ذلك تقدم الامير شداد الى الملك زهير وقال له ايها السيد المفضال اريد من اخي مالك ان يرد علينا جميع ما اخذه من ولدي عنتر من الاموال ولاسيما وقد غدر به وزوج ابنته لغيره من الرجال وهو والامير شرف الدين عمارة ووقعت انا وولدي في تلك الخسارة هذا وعمارة يسمع وكبده من شدة الغيظ يتطلع فقال العاقبة لك ياشداد ان تتزوج مثل هذا الزواج الذي يعقبه ذلك العذاب واللجاج فعند ذلك تبسم الملك زهير المفضال لما سمع من عمارة ذلك المقال وكذلك ولده مالك وجميع من حضر من الرجال وبعد ذلك التفت الملك زهير الى مالك ابي عبلة وقال له وانت ياشيخ النحس والضلال كيف انك تستحسن تلك الفعال ياكلب ياديوث ياشيخ المحال فلعن الله هذا القزال ونتف ذلك السبال وكيف انك تغير نيتك وتأخذ مال ابن اخيك وتغدر به وتزوج لعمارة ابنتك وقد رميته في المهالك والقيته في اضيق المسالك لما ارسلته في طلب النوق العصافير وعلم بذلك الكبير والصغير وحازانك على قبيح فعالك بالجميل وعمل معك الخير الجزيل ولولاه كنت انت وابنتك مع اوباش الرجال وانتم متشتتون في القفر والجبال فقال له مالك يامولاي وحق نعمتك انني لا تحصى وآلائك التي لا تستقصى انني ما غدرت به ولا يحسن لمثلي الغدر وانما غلب رأيي على بصيرتي وعقلي وسلمت ابنتي لمولاي شاس وفوضت أمري له من دون الناس وقلت له انت ملكنا وابن ملكنا وتعرف فسادنا وصلاحنا وهذه ابنتي قد راج زواجها وانا سلمت اليك امرها فزوجها الى من تحب وتريد ولو كان عبدا من العبيد لانني قد مل قلبي من البعد والشتات وضجرت مما حل بي من النائبات فقال مولاي شاس حاشا ان يكون بنات السادات الاماجد يزوجن بالعبيد ولا تزوجها الا لرجل من الابطال الصناديد وهو الامير عمارة بن زياد لانه هو واخوته من مشايخ الحلة الامجاد ثم انه امرني ان ازوجه بها وقد انصلح ما انتم فيه من الفساد فقلت له يامولاي وكيف اني افعل ذلك وابن اخي قد حمل اني مهرها والقى نفسه من اجلها في المهالك وملكنا زهير شاهد علينا بذلك وكذلك اخوك الامير مالك فقال لي شاس لا تحدث بذلك الامر الشنيع فأنا اكفيك مؤنة الجميع الرفيع منهم والوضيع كرامة لعمارة واخيه الربيع ثم انه يامولاي في عاجل الحال امر باحضار ابن

اخي

انى عنترا لى بين يديه فحضر فنهاه عن ذكر بنتى عبلة بين العباد ونهاه أن يذكرها فى اشعاره والانشاد وكله كلاما شنيعا فرد من ذلك الايراد وغضب غضبا شديد ما عليه من مزيد ولما سرنا فى وسيع الفضا فارقنا بالليل ومضى وانا وحق اللات والعزى من اجله اتقلى على جرى للظا لانه كما علمت عضو من الاعضاء وسيفى الذى اجول به على الاعداء وادخره لشدتى ورخائى ولكن ما قدرت ان أرد كلام مولاى شاس ولا كان يرافقنى على ذلك احد من الناس وبعد ذلك يا مولاى فابنتى عندى وهى فى خدرها ولا فرطت ابدا فى امرها فتولها انت ايها السيد الحميد وزوجها لمن تحب وتريد واحب انها من بعض امائك وانا واخوها لك من العبيد (قال) فلما سمع الملك زهير هذا الكلام الذى تقرر قال هذه نوبة ما بقيت تنفصل الا اذا حضر عنتر وتسمع منه مقاله وتقابل الظالم على فعاله وتجازيه على اعماله وكذلك اذا حضر ولدى شاس وقد اعترف بما تلفه عنه قدام الناس والا قاتلك على فعالك واحسر عليك جميع عيالك ثم انهم لم يزالوا فى قال وقيل الى ان ادبر النهار وقارب دخول الليل فانصرف كل منهم الى منزله بغير جميل وبقى الملك زهير زائد القلق وفؤاده على ولد شاس كاد ان يحرق لانه امسى ولم يمسه المساء ولم يرجع فارتبك لذلك الناس اجمع وانا مواعلى ذلك الايضاح الى ان اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح ولم يحضر شاس ولده فقل لذلك صبره وجلده فاستدعى بجماعة من الفرسان وفرقهم فى سائر النواحى والوديان فتفرقوا جميعهم فى الجبال وعادوا عند المساء وما نالوا من المنال ولا بلغوا آمال وقالوا ما وقعنا له على خبر ولا جلية اثر وما شاهدنا فى تلك الفلوات بشر فزاد بالملك زهير الهم والغم وفى امره تحير لان شاسا اكبر اولاده وهو الموصى له بالملك من بعده (قال) فلما ايس منه قال هلك والله ولدى وتفتت عليه كبدى وانقطع خبره واندثر واهلكه بغيه على ابن عمه عنتر وحق اللات والعزى ان هلك ولدى لاضربن رقبة عمارة بن زياد واجعله معبرة بين العباد ثم انه انفذ العبيد الجواسيس الى احياء العرب واقام ينتظر ما يجرى من ذلك السبب وقد تكدر عليه عيشه وزاد همه وطيشه ونقص فى عينيه ملكه وكذلك زوجته صارت تبكى الليل والنهار وكذلك اخوته ملوا من كثرة الانتظار وفارقوا المسرات من اجل غيبته وتعجبوا جميعهم من قصته ولا بقى يقر لهم قرار وصاروا يندبون الليل والنهار قال فهذا ما كان من امر هؤلاء وما صار لهم من الاخبار (واما ما كان) من امر شاس وما حل به من الحوادث فانهم ساروا به الى ديار بنى الحارث وقد جزعوه فى الطريق الغصص وما بقى له منها مخلص وصاروا يضربونه الضرب الوجيع ويتوعدوه بالقتل والفعل الشنيع ولما وصلوا الى ديارهم وقر قرارهم قال المقدم عليهم يا بنى عمى انتم تعلمون ان هذا العبسى قتل اخى وركبنى العار والذل والشنار وانا لابد لى من قتله وانزل به الدمار حتى لا يبقى على عند العرب عار واما انتم فخذوا جواده وجميع سلبه وآلة حربه وعدته ويكون ذلك حق تعبكم فى نوبته وانا قنعت باتلاف مهجته واشفى غليل فؤادى باتلاف جثته * قال ثم انه ضرب له اربع سكك من حديد وشبحه فيها مثل بعض العبيد وقال له وحق الواحد المجيد لا بقيت اطلقك حتى اعذبك العذاب الشديد ولا بقى لك من يدى خلاص ولا ذهاب ولا تزال مربوطا مثل الكلاب واجعلك موعظة لمن حضر وغاب وصار ان دخل لطمه وان خرج صدمه وان اكل لم يطعمه وقد شدد فى عذابه وهو كل يوم يضربه على يديه وعلى رجليه وعلى اجنابه (قال) وكان حديثه قد شاع فى كل مكان واقبلت تتفرج عليه البنات والنسوان وهرعن اليه وصرن يدخلن له فى كل اوان وقد رقوا له من شدة ما هو فيه من العذاب والهوان وبعد ذلك بلغ خبره الى سيد القبيلة والمقدم عليها وكان يقال له يزيد بن مرهوب فدعا ميسورا اليه وقال له يا ابن العم اى شئ هذا الذى فعلته بأسيرك وما الذى ابديته من امورك فان الذى فعلته ما هو صواب ولا سيما وهو ابن ملك مهاب وأنا ما أمكنك من قتله ولا تنزل به الحرمان حتى انك تمضى الى الملك عبد المدان الذى هو حاكم على هذه

الديار والاوطان وتشاوره فى ذلك الامر والشان ولا تفعل شيأ من غير علمه فيحصل لك التعب ولا ينفعك بعد ذلك أحد من العرب لان قوم هذا الرجل ما يغفلون عنه ولا عن كشف خبره ولابد لابيه أن يقتفى أثره وان سمع أنه قتل فى هذا المكان يأتينا بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وجميع أجناده والفرسان ويقلعون الحى قلعا ويتركون كل من فيه صرعى وان أنقذنا الى ملكنا عبد المدان وطلبنا منه معونة على بنى عبس وعدنان يغضب علينا ويحرد ويقول أنتم قتلتم ابن الرجل ولا شاورتمونى فى شئ من ذلك الامر والشان فافعلوا أنتم ما تريدون ودبروا بأنفسكم ما تشتهون والصواب يا ابن العم أن تقل من عذاب هذا الرجل وتوليه الاحسان وترسل تشاور فى ذلك الملك عبد المدان والا انفتح علينا باب لا يسد بعد أتانا لهذه العربان (قال) فلما سمع ميسور هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه وزاد به البلبال بعد ما كان أيقن ببلوغ الآمال وقضاء الاشغال الا انه احتاج أن يفعل ما أمره به سيد القبيلة خوفا من الوبال وعزم على ذلك الحال ثم انه دخل على شاس وأطلقه مما كان فيه من رباطه وأزال عنه الباس واوصى عليه عبيده وزوجته وركب الى ما عزم عليه من وقته وساعته وسار الى الملك عبد المدان هو ومن معه من الفرسان وقد منع عن شاس ما هو فيه من ذلك العذاب والهوان وتفرقت عنه جميع الفرسان والنسوان فلما خلا شاس بنفسه قال لزوجة ميسور وقد زاد عليه الحرج يا هل ترى يكون لى من ذلك الضيق مخرج فقالت له لا والله يا وجه العرب الا ان كان فى الاجل تأخير ويحدث لك امر قد جرت به المقادير أو ترزق يد اعالية ما تكون على بال تخلصك مما انت فيه من العذاب والوبال او تفدى نفسك بما تقدر عليه من المال لانه يا وجه العرب المال للعقول ميال ويستميل قلوب النساء والرجال وتقضى به جميع الحوائج والاشغال كما قال من رتب هذا المقال

اشتر النفس بما يفنى فليس العز غالى ✲ والفتى من جعل الامـ ـوال اثمان الرجال

(قال الراوى) فلما فرغت زوجة ميسور من شعرها قال لها شاس والله يا وجه العرب انا لى من المال اليد الباسطة والايسار ولكن من يوصل خبرى لاهلى على بعد الديار فقالت له لك رب لا ينساك وهو كريم ستار (قال) وما فرغ شاس من كلامه مع زوجة ميسور واتم المقال الا وقد دخل عليه جماعة من النساء الاحرار وهن يسحبن اذيال الجمال ويتمايلن كتمايل الاغصان اذا لعبت بها ريح الشمال الا انهن لابسات السواد وهن ازهى من اهلة الاعياد كما قيل فيهن

سود العيون كما الغزلان تنظرهم ✲ كأنهم من جنان الخلد قد نزحوا

وبين ايديهم امرأة كبيرة كانها ناقة فعند ذلك سلمت على زوجة ميسور وقالت لها يا بنت العم من هو هذا الاسير الذى سمعنا بخبره وقد هبناه عند نظره فقالت لها بعد أن سلمت عليها هذا ابن الملك زهير ملك بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان (قال) فلما سمعت امرأة ذلك الكلام أقبلت على شاس كانها البدر التمام وقالت له أصحيح انت ابن الملك زهير يا غلام فقال لها نعم يا خالتاه فقالت وانتم عشرة اخوة ذكور من ام واحدة وأب واحد قال نعم يا وجه العرب قالت له لله در امك ما أنجبها هكذا سمعنا عنها وأى الاولاد انت يا فتى فقال لها انا الاكبر فقالت له وكيف وصل اليك هؤلاء القوم وقد رأوا عليك الشجاعة لائحة بين عينيك فقال لها يا وجه العرب أتونى وانا تعبان من الصيد والقنص وكان معى عشرة من الرجال وقد حل بهم مثل ما قد حل بى فقتلوهم وأخذونى وأنا كاتر بن فى الاعتقال بعد ما قتلت منهم عشرة من رجالهم الابطال فقالت العجوز لله يسهل لك الفرج ويجعل لك من هذا الضيق مخرج لانكم قوم موصوفون بالشجاعة وفصاحة اللسان ولكن ما فيكم أحد فى الفصاحة مثل ما فى بنى قحطان فقال لها شاس وقد شق عليه كلامها ومن فيكم أنتم من بنى قحطان فصيح اللسان حتى انك تعايرين به بنى عبس وعدنان فقالت فينا امرؤ القيس

ابن

ابن حجر الكندى الذى قصيدته معلقة على البيت الحرام وقد سجدلها كل فارس وهمام وكل من يدعى النثر والنظام وله أيضا أيها الغلام ماهو أفصح من المعلقة فى الكلام وأبلغ معانى عند ذوى الاحتشام ولاسيما قصيدته التى من جملتها هذه الابيات

خليلى مرابى على أم جندب * لنقضى لبانات الفؤاد المعذب

ألا تريانى كلما جئت دارها * وجدت بها طيبا اذا لم تطيب

فقال شاس لما سمع هذا الكلام نحن لنا عبد نجيب لا يرام وقد أدخلناه فى أنسابنا وكان ذلك عزيزا علينا وهو يقول من الشعر والانشاد مالا يقدر عليه أحد من العباد ولو أننا نعرف قدره ونساعده على علو الشان لكان افتخر على سائر العربان فى فصاحة اللسان وهو فى الشجاعة والبراعة أوحد هذا الزمان فقالت له العجوز وقد أظهرت التعجب من مقاله أما حفظت شيأ من كلامه ومقاله قال بلى ياستاه فقالت هيا انشدنى اياه حتى اقيسه على ماسواه فعندها انشد شاس بعض قصائد عنتر التى منها هذه الابيات

سقام الفتى كيما تعاد ومالها * سوى نفرة العينين سقما العائد * منعمة الاطراف خودا كأنها

هلال على غصن من البان مائد * من البيض ما تلقاك الا مصانة * وتمشى هوينا بين تلك الولائد

كأن الثريا حين لاحت عشية * على نحرها منظومة بالقلائد * حوى كل شئ فى الملاحة حسنها

* وليس ترى منها عيونا لحاسد *

(قال الراوى) فلما فرغ شاس من ذلك الشعر والنظام تمايلت الجوارى طربا وتبسمن من سماع ذلك الشعر عجبا فقالت العجوز لا يكون هذا الاشعر عنتر بن شداد الذى يحب عبلة بنت مالك بن قراد والليل قد امسى وصارت الليلة غلسا وسيأتى تمام هذا الكلام فى اول الجزء الرابع وفى ليلة غد تسمعون يا اخوانى ماجرى فى بقيسة هذا الكلام واصلى واسلم على بدر التمام

تم

الجزء الرابع من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة المجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٦ هجريه)

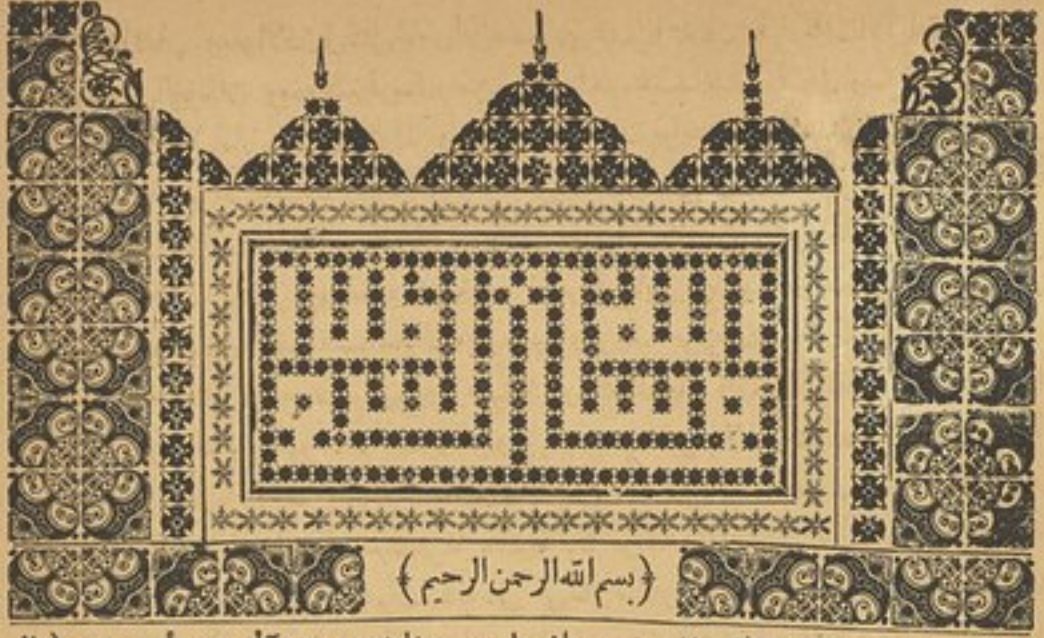

{بسم الله الرحمن الرحيم}

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين {قال الراوى} فلما فرغ شاس من ذلك الشعر والنظام تمايلت الجوارى طربا وتبسمن من سماع ذلك عجبا فقالت العجوز لا يكون هذا الا شعر عنتر بن شداد الذى يحب عبلة بنت مالك بن قراد فقال لها هو اياه وأراك عارفة به ياستاه فقالت له هو الذى يزيل عنك ما نزل بك من الشده لانى سمعت بحديثه وأنا عند قومى بنى كنده وهل ترى هو الى الآن ما تزوج بعبله ولا زالت عنه تلك الذبله فقال شاس لا والله ياحرة العرب وأنا كنت السبب وأنا الذى منعته عن بلوغ الارب ولاجل ذلك وقعت فى العطب وأنا عاهدت الله عهدا انى اذا سلمت من هذه النوبة أكون له عبدا على طول المدى ولا أفارق صحبته أبدا فقالت العجوز قاتل الله الباغى فما أسرع مجازاته ولكن يا أمير مادمت على هذه النية فلا تيأس من الفرج ولو كنت فى بحر من اللجج ثم ان العجوز خرجت من عنده وقد طيبت نفسه وأطفأت نيران كبده وأقام يعلل نفسه بعلل الى أن ولى النهار وأمسى المساء وقد أخذ فى البكاء والتعداد وأيقن فى نفسه بالهلاك والنفاد وظن أنه قد انقطعت عنه حبال الرجاء * قال وكانت هذه العجوز التى جرى لها مع شاس ما جرى من القيل والقال هى المرأة الكندية التى خلصها عنتر هى وبناتها وزوجها من الاسر والاعتقال والجوارى اللاتى أتوا مع بناتها وهم على ذلك الحال من لبس السواد وقد ذكرنا ما تم عليهم وعلى أبيهم من الايراد وكيف خلصهم عنتر بن شداد وكيف قتل الرجال الذين أسروهم وأخذ خيولهم وأموالهم وذكرنا أخبارهم التى جرت لهم حتى انه أوصلهم الى ديارهم الى هؤلاء القوم الذى نحن فى ذكرهم * قال ولما علمت العجوز بحديث شاس وحققت معرفته عادت من عنده وفى قلبها النار التى لا تطفا واللهيب الذى لا يخفى لانها سمعت من شاس كل ما حدثها به عنتر فى الطريق وحققت ذلك غاية التحقيق فدخلت الى مضربها ودعت بزوجها من وقتها وساعتها فلما أتى عندها وحضر أعلمته بذلك الخبر وقالت له هاقد وجدنا جميلا نكافئ به عنتر لان هذا الرجل اذا تخلص على أيدينا أعان عنترا على زواجه بعبلة وكشف عنه ذلك الهم والغم فقال لها الاشعث ويلك يابنت العم وكيف التدبير فى ذلك الامر الخطير فقالت له الرأى انك تركب ناقتك وتسير من وقتك وساعتك وتطلب مكة المشرفه وتعلم بذلك عنتر ابن شداد وهو يدبر بفعله ما أراد فقال لها الاشعث لقد أصبت بذلك الرأى الذى أشرت ثم انه ركب على ناقته وتوجه الى مكة من وقته وساعته وصارت العجوز خائفة أن يعود مبسورا وهو فرحان من عند

الملك

الملك عبد المدان ومعه الاذن فى قتل شاس ابن سيد بنى عبس وعدنان فما كانت الا أيام قلائل حتى قدم ميسور الى الاوطان ومعه عشر فرسان من خواص الملك عبد المدان لانه لما وصل اليه وفى قتل شاس شاوره فقال له ارجع الى ديارك واقتله وخذ منه ثارك واكشف عنك عارك واذا قدمت بين الاشرار فارسل من عندك رسولا يعلمنى بما تم من الاخبار حتى انى آتى اليك ولا أخلى منهم ديارا ولا نافخ نار وأسير الى ديارهم أسبى نساءهم واقتل أولادهم وانهب أموالهم واماءهم فعاد عند ذلك ميسور وقد حصل له الفرح والسرور ومعه هذه العشرة فرسان يريدون الفرجة على قتل شاس ابن سيد بنى عبس وعدنان لانه ما فيهم أحد الا له عليه دم وثار من قديم الزمان * قال ثم ان ميسور لما نزل فى أبياته واستقر به القرار أمر بذبح النوق والاغنام وترويح الطعام وان يروقوا المدام فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا هو وجميع أهله وناسه ومن اجتمع عنده من جلاسه * قال ومن شدة فرحه دعا بموهوب سيد العشيرة ابن يزيد وقد شرب معه بعد ما شبع السادات والعبيد وغمر منهم القريب والبعيد وقدم شاسا الى بين يديه وصار يشرب ويقلب فضلة الكأس عليه ويهدده بالقتل وايصال الاذية اليه هذا وشاس يبكى وينتهد من شدة الهوان لانه على كل حال ملك وابن ملك من ملوك الزمان وكلما رآه ميسور على تلك الحالة يقول له ابك دما فوحق اللات والعزى ما بقيت تجد لك مساغا فيه مخرجا لانك ما كنت رحمت أخى شيبان لما أن ضربته بحد السنان لكن وحق علام الغيوب لاتركت الصباح يصبح عليك الا وأنت مصلوب والاموات تصير لهم مجاور حتى يعتبر بك كل بادى وحاضر * قال وكانت فى تلك الساعة المرأة الكندية حاضره ولذلك معانيه وناظره فلما علمت بذلك الحال أيقنت لشاس بدنو الآجال وكانت واقفة تسمع وقلبها يتقطع ولكن ما بيدها شئ عنه تدفع وقد صارت عيونها تدمع وقلبها يتحسر وهى تقول آه على حضور أبى الفوارس عنتر حتى انه كان يظهر فى هؤلاء القوم العبر وقد دام الامر على ذلك المرام الى أن أقبل الليل بالظلام وعملت فى رؤسهم نشوة المدام وتفرق أكثرهم بين المضارب والخيام وذهب موهوب سيد القبيلة يريد المنام وكذلك ميسور بعد ما امتلأ من المدام وانقلب هو ومن معه من الانام وقد نام جميع من فى الخيمة وكذلك العبيد وبقى شاس فريدا وحيدا وقد قاسى فى تلك الليلة شيأ ما عليه من مزيد وتجرع غصص العذاب الشديد وزاد فى النوح والتعديد لانه أيقن عند الصباح بشرب كأس التلاف وانه انخزم أمره ولا بقى فيه خلاف فظل يرقب النجوم السائره ودموعه على خدوده منحدره ثم انه تحسر حسرات زائدات وجعل يتسلى بهذه الابيات

ترى فى نجوم الليل هل من مخبر * غريبا على أوطانه يتحسر * وعند ضياء الصبح تنهبه العدا
ببيض حداد بل يقاد ويقهر * فيا نسمات الريح بالله عرجى * على العلم السعدى عسى من يخبر
يخبر قيسا والربيع ومالكا * بحالى فلى عهد مع القوم يذكر * لعلى أرى منهم معينا وناصرا
يخلصنى ان كان قتلى يؤخر * ظلمت بجهلى لابن عمى فقادنى * الى الظلم جبارا على الظلم أقدر
فان كان لى عمر غسلت بأدمعى * أسافل رجليه ولا أتكبر * ترى يابنى الاعمام أسمع فى الدجا
منادى ينادى أو بشيرا يخبر * بأن غبار القوم قد ثار نقعه * عجاجا ومن تحت العجاجة عنتر
وتصبح أرض القوم ترجف خيفة * بهيبته والجو أغتم أغبر
علالة قلبى لا تصح وانما * أعلل قلبى بالمحال وأصبر

ثم ان شاسا لما فرغ من ذلك الشعر والنظام وقد تبدل عليه الظلام وهو ينتظر الفرج من العرضيات وتلك الامور المقضيات واذا بشخص قد أقبل اليه وهو يجبو على يديه ورجليه وهو فى مشيه على اليدين والرجلين كأنه أبو الحصين ولم يزل الى أن وصل الى عند شاس وعليه لباس السواد وهو

يقول ابشر ياشاس بالخلاص من ضيق الاقفاص ولا يبقى عليك فزع ولا مخاف مادمت مضمرا على تلك الاوصاف ثم انه دنا اليه وحل القيد من رجليه وخلص الكتاف من يديه وسار قدامه وقال له اتبعني ياعبسي الى ذلك البيت فقد سلمت من القتل ونجوت (نال) وكان شاس غائبا من الدنيا وهو يظن أنه فى منام أو أضغاث أحلام ولكنه قد شد دنفسه وشجعها من حلاوة الروح وقام وقد مشى على الاقدام وصار يتبع ذلك الشخص الذى خلصه وقد ستره غيهب الظلام ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى أطراف الخيام فدخلوا الى بيت واسع الفضاء وقد أدخلته العجوز فيه وأجلسته فى صدر الخيام * قال ولما ان قر قراره وخمدت ناره تأمل الى من فعل هذه الفعال وأذابها المرأة الكندية أم البنات الابكار التى دخلت عليه فى اليوم الماضى وناشدته الاشعار فقال لها ياحرة العرب جوزيت من الخير ولا أصابك هم ولا ضير فوحق الملك المجيد لقد فعلت فعل السادات الاماجيد وتقصر عن مثله الاحرار والعبيد وما كنت أريد الا العودة الى أهلى قريبا لأجازيك على فعالك وما عملت من أعمالك ولو عملت معك ما عملت ما أقدر أن اكافئك على مثل تلك الفعال لان الروح أفضل من المال فقالت العجوز ياشاس مابقى عليك من أحد باس وقد زال عنك الخوف والوسواس والجميل الذى تعمله معى اعمله مع ابن عمك عنتر ابن الامير شداد وساعده على بلوغ المراد واجتهد معه على زواج عبلة بنت مالك بن قراد حتى يزول عنه ذلك العناد وهذا عهد الله منى اليك اذا حصل لك ما تقر به مقل عينيك وخلصت مما أنت فيه ووصلت اليه تقبل عنى صدره ويديه وتحمل منى السلام اليه وتجازيه من الجميل بكل ما تقدر عليه لاننا نحن فى انعامه وعتقاء سيفه وسنانه وله علينا جميل واحسان يعجز عن وصفه اللسان * قال ثم انها أعلمته بما فعل معهم عنتر وأخبرته بما جرى لهم من العبر وكيف نجاهم من الهلاك وخلصهم من الاسر والارتباك وكيف انه صان الحريم وهم البنات الابكار من الانهتاك وأخبرته أيضا ان زوجها سار الى مكة المشرفة فى طلب عنتر بن شداد يعلمه بذلك الايراد ويأمره بالسرعة والحضور حتى انه يخلصك مما أنت فيه ولما رأيت هذا الشيطان حين عاد من عند الملك عبد المدان وقد عول على قتلك بين الفرسان فعلت تلك الفعال وخلصتك من الاسر والاعتقال وجسرت نفسى على ذلك السبب وقلت لعلى أبلغ من خلاصك الارب والذى أعلمك به من الامر والشان ان هذا ميسور وأخوه شيبان الذى أنت قتلته وأنزلت به الهوان أولاد عمى من بنى المحارث وأولاد خالى من بنى كنده وها أنا قد اخترتك عليهم وخلصتك مما كنت فيه من تلك الشدة * قال هذا كله يجرى وشاس يسمع وعينه من شدة الفرح تدمع وقلبه مما فعل فى حق عنتر يتقطع ويقول فى نفسه هذه فعال عنتر معى ومع سائر الناس وهو ابن الامه فكيف تفعل أنت بضده ياشاس وأنت ابن حرة مكرمه وأنت صاحب حسب ونسب عند جميع سادات العرب فوحق من أمر الغيث فانهمل وسكب وعن عيون خلقه قد احتجب انى كافى ولدتنى أمى ولادة جديدة وعنتر كان لها سبب * قال ومن بعد ما فرغ شاس من كلامه وذلك الملام قدمت له العجوز شيأ من الطعام وطيبت قلبه بحسن الكلام حتى انه شبع من الزاد وقد صارت العجوز تحسن معه الوداد ثم انها بعد ذلك ألبسته من ثياب النساء الكبار وأجلسته مع بناتها الابكار وذلك خوفا عليه من الانكار ليلا ينظر اليه أحد فى ضوء النهار ومازال كذلك حتى انشق ذيل الدجا وطلع الصباح مبتلجا وانتبه ميسور من شرب المدام وأيقظ سائر ندمائه من المنام ودعا بالمولدات والاماء وأمرهم بدق الدفوف والمزاهر فأقبلت جميع الاكابر والاصاغر وجلسوا جميعهم فى ذلك المكان وأخذوا فى الفرح والسرور وصارت الكاسات عليهم تدور ورقصت الاماء والمولدات وصفت لهم الاوقات فتذكر ميسور لشاس فأمر باحضاره بين جميع الناس فعند ذلك انتبهت العبيد

الموكلون

الموكلون بشاس وقد طلبوه فلم يجدوه فصاحوا بالويل والثبور وعظائم الامور ودخلوا فى عاجل الحال على سيدهم ميسور وقالوا له أيها السيد المنصور هرب من بيننا العبسى المأسور ولم نجد له أخبار ولا علمنا أين هو سار * قال فلما سمع ميسور بذلك الاخبار ثارت من رأسه نشأت الخمار وأظلمت الدنيا عليه وتقلبت فى وجهه مقل عينيه وكاد من الغيظ ان يغشى عليه وقال وحق اللات والعزى لئن كان هرب ونجا فى البيدا لابد أن أجرعكم كاسات الردى ثم انه ركب فى عاجل الحال وأمر ان تركب جميع الابطال والرجال وأمرهم أن يتفرقوا فى سائر الاطلال بعدما أعلمهم بشائر الاحوال فغابوا يفتشون بطول ذلك النهار وعادوا الجميع بغير أخبار وقالوا ما وجدنا له خبر ولا وقعنا له على أثر فلطم ميسور على راسه حتى تمزقت جميع أضراسه وخافت منه جميع جلاسه وقد كثر همه ووسواسه وقال والله راح دم أخى هدر وندم على حصول ذلك الأمر المنكر وقال بقى عاره علينا طول الدهر فعند ذلك قال له رجل من جملة الفرسان الذين أتوا معه من عند الملك عبد المدان وكان شيطانا فى صورة انسان خبيرا بتصاريف الزمان وكان يقال له الشريد بن هامان قال له اعلم أيها الملك ان غريمك ما خرج من الحى ولا برح من البيوت وهو الى الآن فى بعض المضارب وان لم تسمع منى فات الامر من يدك والصواب انك تستأذن الموهوب سيد العشيرة وتفتش المضارب والخيام لعل ان تنال المرام ويكون معك نساء يدخلن الابيات ويكشفن براقع النساء والبنات وقد نلت ما تختار وتذكرنى بهذا الفعل فى سائر الاقطار (قال) فلما سمع ميسور ذلك الكلام استحسن هذا الرأى واستصوبه وأرسل استأذن موهوبا على ما عزم ان يفعله وقد رأوا ان يفعلوا هذا الايضاح الى ان طلعت الشمس وعمت على البطاح وأضاء الكريم بنوره ولاح فوقع فى الخيام التفتيش بعلم سيد القبيلة وقد دارت الرجال بأطراف الحلة وملكوا جميع الخيام وفعلوا ذلك بالعقود والقيام وقال الشريد لميسور فتش أنت جميع الابيات ودع النساء يفتشن النساء والبنات وكذلك العبيد والاماء وأنا آخذ أصحابى وأملك رؤس الربوات فعند ذلك شرعوا فى التفتيش من أول الخيام ولم يدعوا أحدا الا وفتشوه من القعود والقيام وكذلك النساء والاماء والعبيد والمولدات وأما الشريد فانه أمسك أطراف الحلة لمن يخرج من الابيات وقال لا تدعوا أحدا الا وتفتشوه ولا تتركوا حرة ولا أمة ولا كريمة ولا محترمة حتى تبقى لنا هذه المكرمة لانى أخاف ان يبلغ القوم الذين هو عندهم هذه الفعال فيخرجونه من بين الرجال ويمنون به بين التلال والرمال و يفوت مقصودنا ولا نبلغ الآمال فقال ميسور للشريد افعل ما بدا لك وتم أعمالك لعلك أن تبلغ آمالك ثم انهم صاروا يفتشون فى سائر الابيات وقد ظهر بذلك اشاعات فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما فعلوا من تلك الآرادات

﴿وأما ما كان﴾ من العجوز أم البنات الكنديات فانها لما رأت تلك الاشارات التهب قلبها بالنيران الموقودات وكثر همها وهانت عليها المخاطرات فخافت عند ذلك من خيبة الامال ودخلت على شاس وأعلمته بذلك الحال وبما قد فعلوه من تلك الاحوال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع شاس منها ذلك المقال رجفت أعضاءه وأيقن بموته وفناءه وقال لها يا عجوزة العرب كيف يكون التدبير فى هذا الامر الخطير فقالت له طب قلبا يا وجه العرب ولا تخف من ذلك السبب وطمئن خاطرك وانظر منى العجب وأنا أبذل فى خلاصك المجهود ولو أن فى طلبك قوم عاد وثمود ولكن لا يمكن اتكالك الا على الملك المعبود فهو الذى يبلغك المقصود * قال ثم انها صورت فى نفسها العمل وتمت مسرعة وقدمت بين يديها مرجلا من المراجل الكبار وملأته من الماء ووضعته على النار وألقت فيه حشايش لا يعرفها الا الحكماء الكبار وأوقدت تحته مقدار ساعة من النهار ثم انها أقبلت على شاس وأخذته وأتت به الى عند المرجل وأجلسته بين يديها وهو مطيع لها فى كل ما تفعل ولا يسألها عن ذلك العمل ثم ان العجوز

جردته من ثيابه وجعلت تصب عليه من ذلك الدواء الذى فى المرجل ثم انها قلبته عليه من فوق رأسه الى أسفل وهى تقول له ادلك نفسك يا فتى ومربه على سائر جسدك ففعل شاس مثل ما أمرته وصبرت عليه قليلا ورجعت صبت على جثته ما بقى فى المرجل وأمرته أن يدلك به نفسه مثل الاوّل فصار كأنه عبد ابن أمة زنجية اسود اللون كليلة حالكه وصبرت عليه قليلا حتى نشف فى الهواء ثم انها دهنته بدهان فصار جلده يلمع مثل الآبنوس غالى الاثمان وألبسته ثياب العبيد الرعيان وناولته العصا فى يده وأوصت عبيدها عليه وأمرتهم ان يسوقوا أموالها الى المرعى فساقوها وشاش فى جملتهم يسعى وصار لا يعرفه انسان وهو سائر يسوق مع العبيد النوق والفصلان وصارت العجوز توصيه على المواشى والاموال وما زالت معهم على تلك الاحوال حتى صاروا فى الفضاء ونظر اليها الرجال الذين خرجوا الى ماذكرنا وتبادروا اليها فى مقدمهم الشريد بن هامان فلما رأتهم عدلوا الى نحوها فى القيعان ابتدرتهم بالكلام وقالت لله درك أيها السيد الهمام والبطل الضرغام فوحق زمزم والمقام والمشاعر العظام لقد فعلت فعالا ما سبقك بمثلها أحد من الانام وأنا أرجو من الهبل الاعلى أن ينولنى ما فى نفسى ويوقع فى يدى هذا الرجل العبسى حتى أشفى منه غليل صدرى وأبرد نار قلبى لانه ما أفقدنى أولادى الا العبسيون ولا سيما هذا القرنان الذى أجفنى فى ابن عمى شيبان وأحل بنا النوائب والاحزان (قال) ثم انها لما فرغت من هذا الهذيان استمرت سائرة خلف العبيد والغلمان ولا يتعرض لها أحد من تلك الفرسان بل ان الشريد قال لها سيظهر الغريم ويبان وتركها وعاد وصارت هى فى أمان ومازالت سائرة مع العبيد الى أن وصلت المرعى وهى تحفظ شاسا وله ترعى وقد أبعدت به عن الحلة ثم انها قالت له يا أميران مكان الخطر قد فتناه ومحل الامان دخلناه فسر فى البر والآكام واقصد بيت الله الحرام وتوكل على الملك العلام واذا اجتمعت بعنتر فأقرئه منى السلام وقل له ان المرأة الكندية لك شاكرة أيها البطل الهمام فلما سمع منها ذلك الكلام ودعها وسار فى البر والآكام مدة ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع لحقه التعب والعناء والنصب فسار الى أن أمسى عليه المسا وقد هانت عليه نفسه مما قاسى من الاسا لانه ما جرى له بذلك عادة لاسيما وهو ملك وابن ملك من مسلوك الزمان وما هو معتاد على المشى والشقاء مدا الزمان فعند ذلك جلس على الارض من شدة التعب وقد أيقن فى نفسه انه فصلت منه الركب وافتكر فى وحدته وما هو فيه من حالته من بعد ما كان فيه من التقدم على الاعارب وصار وحيدا فريدا فى البر والسباسب فعدل عن الطريق وأراد أن يأخذ من الليل هجعة ويسير فوضع رأسه على الارض ونام كأنه قتيل الكلام ومازال نائما الى أن مضى أكثر الظلام فقام من المنام ساعيا على الاقدام وسار يجد المسير فى الآكام حتى ورمت منه الاقدام مما لحقه من التعب والآلام وظن فى نفسه انه خلص من المصائب ونجا من جميع النوائب فبينما هو على تلك الاحوال واذا بعشرة فرسان قد اعترضوه فى الطريق ومسكوا عليه رأس المضيق وقد خرج اليه منهم فارس طويل القامة عظيم الهامة فلما ان قرب منه نظر الى وجهه بعد ما وضع سنان الرمح على نحره ونادى وقال يا للعرب بلغت والله الارب يا بنى الاعمام هذا العبد السلال الذى كل ليلة يدور حول أبياتنا ويدرج بين الخيام وهو الذى أتى البارحة وسرق فرسى وأحرمنى عليها المنام (قال الراوى) وكان هؤلاء القوم من بنى الريان ولهم مقدم يقال حسان وكان سبب ملتقاهم بشاس فى هذا المكان تفتيشهم على ذلك العبد السلال الذى قد اعتاد على سرقة خيلهم وهو شيطان من شياطين العربان وكان دائما يسل فى خيلهم الحسان وكان قبل هذه الليلة سل فرس هذا الفارس المقدم ذكره وكان له حبائب وأصحاب فأخذ منهم هؤلاء التسعة وطلع بهم فى تلك الجبال لعله ان يقع بالسلال الى أن رأوا شاسا وهو بتلك الصفة فظنوا انه هو لانهم ما كان

لهم

لهم معرفة بالسلال بخبرى ماذكرنا من المقال (قال) ثم ان ذلك الفارس تقدم الى شاس وجعل فى رقبته حبلا طويلا وجعل يسحبه ويجره وهو يقول له ويلك ياعبد السوء والله لاعذبنك العذاب الاليم وبلك ياعبد بازنيم أماقنعت بما أخذت النار حتى انك راجع الى حيناتريد أن تأخذ شيأ آخر فوالله لاذبحنك كما تنحر الابل والا ان أردت السلامة من المهالك فقل لى أين ذهبت بفرسى البيضاء التى أخذتها فى الظلام الحالك وثمنها على بالدين وجئت أنت أخذتها وأحرمتنى منها (قال) فلما سمع شاس ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقد كره الحياه وأيقن بالوفاه وقال والله ياوجه العرب ماانا سلال ولا حرامى ولا محتال فلا تقتلنى تندم ويفوتك الخبر والنعم واعلم انى أنا شاس ابن الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وقد حصل لى هذا الذل والهوان ولاقيت من الشدائد مالم يلقه قط انسان وهذا الذى أنا فيه كان سبب خلاصى مما كنت فيه من الهوان ثم انه حدثهم بقصته وأخبرهم بما جرى له من أوله الى آخره وقال فى آخر الكلام وها أنا صرت معكم فى هذه البيداء ومابقى ينجينى منكم الا الفداء وأبذل لكم ماتريدون من الاموال وأتخلص من هذه الاحوال (قال الراوى) فاتم شاس مقاله من ذلك الكلام حتى تقدم اليه منهم غلام معتدل الطول والقوام وسل فى يده الحسام وقال ياللعرب الكرام قد بلغت المرام ثم انه ضرب شاسا بالسيف صفحا فكاد أن يقضى عليه وزوده بين كتفيه وما زال يضربه حتى غشى عليه فقال له بنو عمه أخبرنا الأى شئ فعلت هذه الفعال فقال لهم ياابنى عمى هذا الذى أبوه قتل أبى وتركنى ربيت يتيما والآن سهل الله لى أخذ الثار وكشف العار وها أنا قريب من ديارى فخذوا جميع ماتملكه يدى ودعونى أشفى منه غليل صدرى ويكون لكم المنة على ياابنى عمى (قال) فبينما هم على ذلك المرام وشاس بينهم وقد أيقن بشرب كأس الحمام واذا بالوحوش من صدر البرقد جفلت ومن خلفها رجل راكض على قدميه مقبل كأنه القضاء اذا انقلت وبعد ساعة ظهر من ورائه فارس كانه قلة من القلل أوقطعة فصلت من جبل أوقضاء الله اذا نزل وهو بالحديد مسربل وتحته جواد أدهم اذا صهل وهمهم كاد ان يتكلم وهو يتدفق من تحت الفارس كانه الشهاب القابس والى جانب الفارس رجل آخر راكب على مطيه تسبق الرياح الغربية *قال فلما نظر القوم هذا الرجل وهو مقبل مثل اقبال الغمام ونظروا رجليه لاتكاد أن تصل الى الارض وهى تضرب شحمة أذنيه فصار جميعهم ينظرون اليه متحيرين من أمره وقالوا ماهذا من البشر وماهو الا من عفاريت بنى منقر لانه يسبق ريح الهبوب فتأمله شاس واذا به شيبوب والفارس الذى وراءه الامير عنتر أسد الحروب فلما عرفهما صاح صيحة منكرة وكاد قلبه أن ينشق من الفرح واتسع صدره وانشرح ونادى وقال ياشيبوب أدركنى وانجدنى أنا شاس بن زهير وقد تناهى بى الامر الى هذا الحد النكير ولولا انى أراكم لانفطرت مرارتى ومت بحسرتى من هؤلاء الاندال أوباش الرجال *قال فلما سمع شيبوب ذلك النداء والمقال صاح فى القوم ورماهم بالنبال وقال لهم ويلكم ياابنى اللئام الارجاس خلوا عن مولاى الامير شاس من قبل ان يدور عليكم ملك الموت بأعظم كأس ويقطع منكم الانفاس ولا يبقى منكم ذنبا ولا راس ثم ان شيبوبا نادى فى عاجل الحال أخاه عنترة الفارس الريال وقال له ياابن الام الحقنى فقد فزت بالظفر وقرب الله عليك الطريق وأراحك من العناء والتعويق *(قال) وكان السبب فى مجىء عنتر الى هذا المكان الشيخ أبو البنات الذى أنقذته العجوز كما قدمنا فى العبارات فانه قد سار على ناقته وجد المسير من وقته وساعته ومازال سائرا بجد المسير الى ان وصل الى مكة المشرفة والبيت الحرام وقطع هذه المسافة فى ستة أيام ولما صار فى مكة أخذ أخبار عنتر من بعض الاقوام فأرشدوه اليه لان عنترا كان يعرفه سائر الانام ثم لما وصل الى ذلك المقام صار يتسلى بأخيه شيبوب فى

الضساء والظلام وبالصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص ولازال منتظرا العرضيات حتى استوفى هذه الامور المقضيات الى أن وصل ذلك الشيخ اليه وصار بين يديه وأعلمه بقصة شاس وماتم عليه انه قد أتى وتركه فى حالة العدم وقال له ان لم تدركه شرب كأس النقم فقال شيبوب * الى حيث ألقت رحلها أم قشعم * وقال لانه لم يكن لاخى عدو غيره ولا ضد سواه فلا فرج الله عنه ماهو فيه وبما فعل بجازيه فقال عنتر لا تقل هذا المقال ياشيبوب وكن قريب المرجوع حتى تصير عند الناس محبوب واعلم انه لا ينال العلاء الا من ليس عنده حقد ولا ظلم ولا اعتداء فان الظلم ياأخى عاقبته الندم ولا تؤمن عواقبه بين الامم فدعنى أتحمل عن قومى المصائب ولا أشمت بهم الاعداء ولا الحبائب عسى أن يفرج عنى الطالب الغالب ثم انه أنشد يقول صلوا على طه الرسول

لاتحمل الحقد ياشيبوب واتركه * فلا ينال العلا فى الناس من حقدا
والبغى شؤم فلا تأمن عواقبه * واعلم بأن لا يفادى يومه بغدا
دعنى أحمل نفسى كل نائبة * فان سلمت والامت مجتهدا
ألقى جميع العدا فى كل معركة * أموت موت كريم قد لقى رشدا
اعفو عن الاهل لا أبغى لهم بدلا * وأخدم القوم حتى أعدم الجلدا

(قال الراوى) ثم ان عنتر لما فرغ من ذلك الشعر والنظام أكرم الشيخ غاية الاكرام وشكره على ما فعل من ذلك الاهتمام وأقام باقى يومه وليلته حتى ان ذلك الشيخ استراح وقام عنتر وركب معه عند الصباح بعد ما لبس آلة الحرب والكفاح وقال للشيخ قم ياكريم النسب ودعنا نسير الى خلاص الامير شاس المنتسب من قبل أن يتم عليه الويل والنصب فقال الشيخ ان هذا الامر قد وجب وقد لحقه من حسن مروءته العجب وساروا يجدون المسير فى المهامه والقفار ويصلون بسير الليل سير النهار الى أن لحقوا شاسا وهو على ذلك الحال وقد أشرف على الهلاك والوبال وقد وقع مع بنى الربان فى ذلك المكان فلما ان رآهم شيبوب رماهم بالنبال فحالوا عليه بالرماح العوال والسيوف الصقال وقصدوه من اليمين والشمال فصاح فى أخيه عنتر الفارس الربيال فهمز عند ذلك الحصان وقوم بين أذنيه السنان وحمل عليهم حملة الاسد الضيغم بعد ما هدهم ودمدم وبربر وهدر وصرخ بصوته المجهر وهجم عليهم كأنه الاسد الغضور ولما رأوا ما حل بهم من الضرر من فعل شيبوب وأخيه عنتر ضاق فى أعينهم البر الاقفر لان شيبوب رمى منهم ثلاثة بالنبال وقتل عنتر منهم ستة وأسرع فيهم النكال ولم يسلم من تلك العشرة غير فارس واحد لانه كان تحته حجرة أسبق من ريح الشمال فصاح فيها وأطلق لها العنان وطلب أهله وسلم من القتل والهوان وقد اشتغل عنتر عنه بشاس لما رآه فى ذلك الخذلان وقد حل يديه من كتافه وفك ذلك الحبل من أطرافه وفى عاجل الحال انكب عليه وصار يقبل صدره ويديه ويهنيه بالسلامة مما هو فيه وشاس من حيائه مطاطئ الراس عادم الحواس من شدة حيائه من عنتر الاسد الرباس ولم يدر أهوى أرض أم فى سماء فقال له عنتر يامولاى أى شئ هذا الحال ومالك هكذا مشغول البال والله ماخلقت الرجال الا لملاقاة الاهوال ولا لاحد حيلة فيما قضاه وقدره الملك المتعال * قال فلما سمع شاس من عنتر تلك الاقوال قال له والله ياأبا الفوارس ما أنا حامل هم هذه الاهوال وما أنا متفكر الا فيما صنعت انت معى من الجميل وكيف تفضلت على غاية التفضيل وأنا اقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام ان قتلى أهون من وقوفى بين يديك فى هذا المقام وانا أقسم بمن له البقاء والدوام وهو ذو الجلال والاكرام ان لم تمكنى مما أريد لاقتلن نفسى وأشرب كأس الحمام فقال له عنتر وما اراد تك قل لى حتى انى أتبع أقوالك وأبلغك المرام فقال له شاس اعلم ياأبا الفوارس انى أريد ان أقبل يديك واقدامك حتى أوفى

بعهدى

بعهدى الذى عاهدت عليه الملك العلام ثم ان شاسا انكب على اقدام عنتر وجعل يقبلها وعنتر يقسم عليه بمن خلق الضياء والظلام وينهاه عن تلك الاعمال العظام * هذا وشاس يقول انى لم أجد لجميلك مكافأة ولم يزل يقبل أقدامه ويديه الى ان شفى غليل قلبه وجواه وقرت بذلك مقل عينيه وبعد ذلك رفع راسه وقد اطمأنت بذلك انفاسه * هذا وشيبوب يقول له يامولاى نحن مانريدك تقبل يديه ولا تبوس قدميه بل نريد ساعة وصولنا الى الحله أن تسعى فى زفاف عبلة بنت عمه عليه حتى تقر بذلك عيناه فقال شاس لا كلام فى ذلك اذا وصلت الحى وأنا سالم كان لنا تدبير آخر يشتهر بين العالم * قال ثم انه ابتدأ يحدثهم بما فعلت معه العجوز الكندية أم البنات زوجة الشيخ الذى سار الى عنتر واعلمه بشاس وأخبره كيف انها أحسنت معه الوداد وهذا كله يقوله شاس وعنتر يتعجب من تلك الفعال وكيف حصلت له هذه الاهوال ثم انه بعد ذلك عدل به الى الغدير وبادر الى نفسه بالتشمير وقلعه ثيابه وأزال ما عليه من ذلك السواد وجعل يحمحمه ويعرك بدنه ويقلبه ويضمه الى صدره (قال) ولما فرغ من ذلك الشان أخرج له بدلة أخرى وأفرغها عليه وأتى له شيبوب بجواد من الخيول الشاردة فى ذلك المكان التى قتل عنتر فرسانها وأنزل بهم الهوان وأتاه بعد ذلك بعدة كامله وآلة حرب شامله وأقبل عنتر على الاشعث بن عباد الذى كان أخبره بخبر شاس ابن الاجواد وقال له خذ أنت هذه الخيول والاسلاب تعينك على وقتك وعد من ههنا الى أهلك وعشيرتك بخزاك الله عنا كل خير ولا لقيت هما ولا ضير فشكره الاشعث على ذلك وأثنى عليه ثم انه من وقته وساعته سار طالبا ديار وحلته وقد بلغ أمنيته وزالت من قلبه حسرته وكملت له مسرته * هذا وعنتر وشاس سارا طالبين بنى عبس وعدنان وهما فرحان بما حصل لهما من ذلك الامر والشان وقد صار عنتر يحدث شاسا بما جرى له وأعلمه بسائر أحواله وكذلك شاس أعلمه بجميع أحواله * هذا وهما سائران فى البر والفدفد وشيبوب بين أيديهم كأنه الثعبان الارقط أو الذئب الامعط وهو ينسف الارض نسفا ويعسفها عسفا ويهمز همزات الغزلان وهو كأنه النمر الحردان * قال ولم يزالا سائرين يقطعان الارض والوديان قدر ساعتين من الزمان واذا هما بغبار من ورائهما قد ثار وسد جميع الاقطار * قال وكان ذلك الغبار غبار بنى الزيان وقد تبعوهم من خلفهم مع مقدمهم حسان وكان السبب فى وصولهم الى ذلك المكان الفارس الذى سلم من العشرة فرسان لانه لما نجا على حجرته سار الى أن وصل الى عشيرته واعلمهم بما جرى على أصحابه من الامر والشان فصاح عند ذلك المقدم حسان وثار كأنه النمر الحردان أو الاسد الغضبان ونادى الخيل يا ارباب الخيل فأتاه بنوعمه كأنهم السيل وقالوا له ما الذى حل بك من الذل والويل فاخبرهم بما حل ببنى عمهم من الاضرار وكيف أنهم هلكوا فى القفار فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفاح وركبوا على الجرد الملاح وساروا يجدون السير فى الصحصحان الى أن لحقوا عنترا فى ذلك المكان وكانوا ألفا ومائتى عنان فعند ذلك صاح حسان وقال يا بنى عمى دونكم وهذا القرنان فتسابقت عند ذلك اليه الشجعان وتصايحت الفرسان فرحا بادراك الطلب وتلاحقوا بعنتر وشاس وجاؤهما من كل حدب وضاق عليهما البر والسبب وعلا الغبار وطنب فتأمل شاس وحل به العطب وقال كم أهرب من الموت وهو لى فى الطلب وكم اتخلص من الاسر ولم أدرك الارب وكم أحذر فلم ينفعنى الحذر ولكن اذا نزل القضاء عمى البصر ثم ان شاسا تنهد وتحسر فتبسم عنتر من ذلك الفعل المنكر وقال له يامولاى لاى شئ هذا الحال وكيف تخاف من هؤلاء الاذال أبشر بالسلامه واترك ما أنت فيه من الندامه واعلم يامولاى ان كل من لحقنا من الناس لا يكونون أكثر من ألف ومائتى فارس أرجاس وحق من يعلم عدد الانفاس لابد لى من ضرب رقابهم وأعجل لهم الانتقام ولا أدعهم يرجع منهم شيخ ولا غلام الا من كان فى أجله تأخير ويوسع فى البر والآكام فلا يأخذنك رعب ولا يرجف

قلبك واحمل لعبدك سرك وانظر منه مايسرك ثم انه أنشد يقول صلوا على طه الرسول

أمولاى لاتستشعر الخوف والرعبا * فدونك عبدا أسودا جانب الهربا
وحقك لو كانوا ألوفا لقيتهم * وبددتهم شرقا وفرقتهم غربا
أنا صورة الموت التى من تصورت * له فارق الاموال والام والابا
أنا عنتر العبسى فارس قومه * اذا برز الفرسان يوم الوغى حربا
تطيع سيوف الهند كفى لانى * اذا اشتد يوم الروع أشبعتهم ضربا
وسمر القنا عند العدا تشتكى الظما * وعندى تروى حين أغشى الورى شربا
وعما أقوم السيف يثقل عاتقى * اذا كنت قد حاولت مرتكبا صعبا
الا يابنى عبس أنا اليوم منكمو * وفخرى منسوب الى ذلك الابا
ما حيكموحتى أموت ومن يمت * كريما فلا لوم عليه ولا عتبا

ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام ووصف فرسيته على الحقائق استقبل الخيل بطعن أشد من الصواعق وجواده يندفق من تحته مثل السيل وانصب عنتر على الفرسان انصباب الويل وكالهم بالكيل * هذا والفرسان كلما رأته تشرد من بين يديه فى جنبات الارض وعنتر يمدد هم طولا وعرضا وشيبوب يرمى خلفه بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال * هذا وقد علا عليهم الغبار حتى غشى منهم الابصار وعقد مثل الدخان وحارت العقول والاذهان وصارت الموالى بين يديه مثل الغلمان وذهلت منهم العقول ورأوا الهول المهول ووقع عنتر بالمقدم حسان بن صفوان سيد بنى الريان وهو يصيح فى الفرسان وينعى الابطال والشجعان ويقول لهم ياويلكم ماهذه المحنة التى طرقتكم والامور التى دهمتكم والمصائب التى عمتكم من فارس واحد فحصرتم وغلبتم وهو قد أهلككم وفرق شملكم وبددكم ياويلكم اقصدوه بالرماح من كل جانب واحملوه على رؤس الاسنة والقواضب والاصرتم معيرة عند جميع الاعارب ياويلكم ما أنتم فرسان ولا قلوبكم قلوب شجعان أذلكم الله بين العربان وندبتكم النوادب وأتتكم المصائب ياويلكم خابت منكم المقاصد وخرجت من رؤسكم نخوة الاقران وأرى فارسا واحدا قد أفناكم أقصاكم وأدناكم وكائنى به وقد خرج من أرضكم سالما وتابسون العار عند كل قاعد وقائم دائما فبينما هو يقول ذلك المقال واذا هو بعنتر وقد طبق عليه مثل الاسد الريال وكان عرف انه مقدم تلك الفرسان فزعق عليه زعقة ارتجت لها القيعان وجميع الفلوات والجبال فلقه من تلك الزعقة الجبال والانذهال ثم ان عنترا مال عليه مثل الاسد وضايقه مضايقة الغيظ والحرد وطعنه بين شدقيه فأخرج نصف الرمح من بين كتفيه وجذب الرمح منه فوقع الى الارض وصار يختبط بدمه طولا وعرضا وكان تحته جواد من الخيل العتاق يصلح ليوم السباق ويوافق البرق فى اللحاق فقال لاخيه شيبوب امسك هذا الجواد الى مولاى شاس ابن الاجواد وسلمه اليه وبشره بالسلامة والنصر وليقل الخوف والغيظ ويتمثل بالفخر وكان جواد شاس قتل وفرغت مدته لان فارسا من فرسان بنى الريان كان قد ضرب شاسا بسيفه الهندوانى فجاءت الضربة على عنق جواده فبرته وأراد ان يثنى على شاس حين وقع الى الارض والصحصحين فضربه عنتر بحسامه فقسمه هو وجواده نصفين وأخرج شاسا بعيدا عن المعمعة الى ان قتل عنتر سيد بنى الريان فأمره كما ذكرنا ان يسلم لشاس الحصان فأخذه شيبوب وخرج من المعمعة وانطبقت على عنتر الفرسان وقصدوه من كل جانب ومكان ودارت به عن اليمين والشمال وتطابقت عليه فى حومة المجال * هذا وعنتر قد زعق فيهم وصاح وبرى بسيفه عوامل الرماح وجود الضرب بالبيض الصفاح الى ان أجرى دماءهم على الرباوالبطاح واشتد الصياح * هذا كله

يجرى

يجرى وشاس ينظر الى فعاله ويتعجب من أعماله ومازال كذلك حتى وصل اليه شيوب بذلك الجواد
المفتخر وقال له يامولاى نهنيك بالنصر والظفر ثم انه سلم اليه الجواد وآلة الحرب والجلاد فهدأت منه
الحواس وقال لشيوب لاعدمتك من دون الناس (قال) ولما رأى نفسه راكبا على ظهر الجواد وذكرنا
فيما تقدم من المقال انه كان فارسا بيال فما رأى على نفسه أن يقعد عن الحرب والقتال فحمل حملة
الاسد الاغلب وقد قوى قلبه بذلك الجواد المنتسب واقتحم الغبار والقسطل وبرى بحسامه القلل
وأوقعها الى الارض مثل الحنظل وأما عنتر فانه يضرب بشجاعته المثل وتبطل عند فروسيته جميع الحيل
فأقام على ساق وقدم وأعاد وجود القوم الى عدم وحكم عليهم بذلك منشئ جميع الأمم ومازالوا على
ذلك المرام حتى أقبل الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام وعاد عنتر من الميدان بعد ما قتل سيد بنى
الريان وأجرى دماء فرسانه كالغدران ومن كان فى أجله تأخير تشتت فى السهل والجبل وخاب
رجاؤهم والامل والبلاء عليهم قد نزل فساروا وهم يقولون ما أشد قوتك وما أنفذ طعنتك وما أقوى
ضربتك * هذا وقد التقى عنتر بشاس فحمده وأثنى عليه وقبل صدره ويديه وقال له يامولاى والله
ما كان هنا أمر يحتاج الى تعبك وعناك فعبدك الكفاية لمن عاداك ولكل من يطلب أذاك فلو طال
عليهم النهار ما تركت منهم ديارا ولا نافخ نار ولا من يوصل الى قومهم الاخبار فشكره شاس على
فعاله وزاد تبسمه من مقاله ثم انهم عولوا على النزول فى تلك الارض والاطلول حتى يأخذوا لهم راحة مع
الخيول مما حصل لهم من ذلك التعب وما جرى عليهم من الويل والنصب ويسيرون فى غداة غد
ويأمنوا من الويل والعطب فقال لهم شيوب اسمعوا منى يا بنى الاجواد ولا تنزلوا فى هذه الارض
والمهاد فانا أخبر بها من جميع العباد وما فيها منهل ولا ماء الا وأنا أعرفه وأصفه واعلموا ان أمامنا شعبا
مضيقا ونخاف من فرسان بنى الريان الذين انهزمونا اذا طلبوا دارهم والاوطان ان يجمعوا
علينا من القبائل جميع الفرسان ويمسكوا علينا الطرق والوديان ولاسيما ان مكوا علينا رأس
المضيق فيحصل لنا من جهتهم النكال والتعويق فالرأى عندى أن تتبعونى وتجدون المسير حتى أقطع
بكم بلاد اليمن واعدل بكم الى زبيد وعدن واكمنكم فى جبالها ونقطع الليل فى شعابها ونسير بعد ذلك
حتى نخرج من أرض الدماية وبنى غيلم ومن هناك نركب على الطريق الاعظم ونسير بعد ذلك
فى جبال خشاخش والتناصب وتلك الوديان ومن هناك الى أرض بنى عبس وعدنان ونكون قد
أرحنا نفوسنا من العتب واللوم ولا نهلك أرواحنا بقتال هؤلاء القوم (قال) فلما سمع عنتر من أخيه
شيوب ذلك الخطاب رآه عين الصواب فقال له يا ابن الام افعل ما بدا لك نجح الله أفعالك فسر أمامنا
ونحن نسير خلفك ونمتثل أمرك وكانت الخيل معهم كثيرة فصاروا يتنقلون عليها خوفا على خيلهم
الجياد من أن يتعبوها فلربما انهم يحتاجونها * هذا وشيوب قد جد السير بهم وعنتر وشاس يتحدثان
بما جرى لهما ومازالا على تلك الحال وهم سائرون فى البر والاطلال مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس
جازوا بنى الريان ولاح لهم وجه الامان ومازال شيوب يقطع بهم البر على غير الطريق حتى نزلوا
على ديار قضاعة ورأس المضيق وكان ذلك فى سابع يوم من مدة السير حتى أركبهم الطريق الكبير
وعنتر يتعجب من شيوب ومن معرفته بتلك البلاد وخبرته بتلك الارض والوهاد وسيره كأنه ذكر النعام
يشق الارض والاكام وهم سائرون خلفه على الآثار يقطعون تلك البرارى والقفار فلما كان فى
الليلة الثامنة نزلوا على مياه بنى غيلم وتلك الديار فأقاموا فيها للراحة حتى قر بهم القرار وقدموا بين
أيديهم شيأ يأكلونه من الزاد والطعام فلما اكتفوا طلبت العين حظها من المنام وكانوا فى الليالى التى
مضت كثيرين السهر والسهاد خوفا من أن يأتى من الرجال الاوغاد فعند ذلك نام الامير عنتر الى وقت

السهر فلحقه عند ذلك الضجر وزادت به الفكر فاستوى جالسا وقد انذعر وفاض دمعه على خده وانحدر وتنهد وتحسر لانه رأى عبلة فى المنام فزاد به الوجد والهيام وقد طار من عينيه النعاس فتجاذب الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

زار الخيال خيال عبلة فى الكرى * لمتيم نشوان من ألم السرى
فنهضت أشكو ما لقيت من الهوى * والدمع من عينى قد بل الثرى
فضممتها حتى أقبل ثغرها * فتبسمت مسكا يخالط عنبرا
وكشفت برقعها فأشرق وجهها * حتى أعاد الليل صبحا مسفرا
ثم انثنت فعجبت كيف تبسمت * فبدا محياها فاق بدرا مقمرا
عربية يهتز لين قوامها * فتخاله العشاق رمحا أسمرا
أعجوبة بصوارم وذوابل * بيض ودون خيامها أسد الشرى
ياعبل حبك فى عظامى مع دمى * لما جرت روحى بجثمانى جرى
والشوق أضمر فى الفؤاد وفى الحشا * وأنا المعنى فيك من دون الورى
يارب سلم من غرام قاتلى * دوما يزيد به غراما آخرا
ياشاس لولا أن سلطان الهوى * ماضى العزيمة ما تملك عنترا

(قال الراوى) وكان شاس ذلك الوقت كأنه قد استيقظ من المنام فألم قلبه ذلك الكلام وجرح فؤاده من شكواه وتعجب مما أنشده وأبداه فقام اليه وسأله عن حاله فاعلمه عنتر بما رآه فوعده شاس بما يريده ويتمناه وقال له طب نفسا وقر عينا فما بقى هناك ضير ولا يحصل الا كل خير فوحق الكعبة الغراء وموجد الاشياء بلا امتراء لآخذن لك عبلة ان لم يرض أبوها قهرا ثم انه جعل يسليه ويطمن قلبه ويخفف همه وكربه فقال وما زالا على مثل ذلك الكلام حتى ولى الظلام وأقبل الصبح بالابتسام وطلعت الشمس على رؤس الروابى والآكام فركبا وسارا يعسفان فى البر تمام العشرة أيام وبعد ذلك وقعا فى أرض يقال لها ذات الاعلام وكان وصولهم الى ذلك الوادى عند ما ولى الظلام فبينما هم سائرون فى تلك الآكام واذا قد ظهر من بين أيديهم ستة هوادج على ستة جمال وعلى رأس كل هودج هلال وعلى الهودج ثياب من الديباج مصفحة بصفائح الذهب الوهاج وعليها شراريف من الحرير الابريسم الاصفر والاحمر والاخضر محبوكة أطرافه بالقصب المفقر يأخذ ضياء لونه بالبصر وحولهم جملة من العبيد الاجواد وكل واحد منهم كأنه طود من الاطواد وكلهم بالدرق والحراب النافذات والعمائم الكوفيات ومتقلدون بالسيوف المشرفيات وقد ملؤا الوادى بالصياح والضجات وهم يلعبون فى تلك الفلوات ومن خلفهم جملة من الجوارى والمولدات وعليهن حلل ملونات وقد داروا بتلك الهوادج السائرات وتقدم على الجميع فارس فى الحديد غاطس وهو طويل من الرجال عريض الاكتاف والاوصال مضيق اللثام كثير الاحتشام مليح القوام صلب العظام له وجه كأنه البدر التمام اذا ظهر من تحت الغمام وعلى جسده درع علمه معهد وفوقه ثوب ديباج معربد وعلى رأسه بيضة عادية لامعة تتوقد متقلد بسيف عريض مهند محلى بالذهب المنضد وعلى كتفه رمح طويل مكعب وعلى رأسه سنان يتلهب كأنه حمة عقرب أو قبس على مرقب أو النار ذات اللهب يعمل فى الصحيح والمريض كما تعمل النار فى الحطب وتحته جواد كأنه سلهب كثير الخبب طويل الذنب قليل التعب يدرك اذا طلب ينجى صاحبه من العطب اذا أراد الهرب تربية ملوك العرب أصحاب الحسب والنسب أهل المعالى والرتب وعليه سرج مذهب وذلك الفارس سائر قدام الهوادج والجمال

غير

غير مكترث بلقاء الابطال فقال شاس لعنتر وقد أعجبته تلك الهوادج والاحمال وذلك الفارس الموصوف بالجمال ان هذا الفارس لا يخلو من احدى الحالتين فاما أن يكون عالي النسب أو مقدما من مقدمين العرب حتى انه سائر وحده في هذا البر والسبسب وما ذلك منه الا احتقارا بالفرسان أو ثقة من نفسه بلقاء الرجال والشجعان والصواب أن يتقدم أخوك شيبوب اليه ويسأله عن أحواله ويأمره بترك ظعائنه وأمواله ويسمع ما يبديه من مقاله فلما سمع عنتر من شاس ذلك الكلام وما تكلم به في حق ذلك الغلام قال له يا مولاي ابشر بما يسرك وادفع ما يهمك ويضرك ولو انه من ابطال البيداء أو من بني معد بن عدنان لابد ان أذله بين يديك في هذا المكان ثم قال لأخيه شيبوب ويلك يا ابن الام تقدم الى هذا الغلام وأنذره وحذره من شرب كأس الحمام وقل له أن يفوز بنفسه قبل ان يحل به الانتقام فعند ذلك انطلق شيبوب قدميه كالريح وطلب البر الفسيح فهذا ما كان من شيبوب وكلامه (وأما ما كان) من الغلام وأحواله فانه لما نظر الى شاس وعنتر أنكر سيرهم في ذلك البر الاقفر وذلك المهمه الاغبر ورأى شيبوبا قد انفرد من دونهما في طلبه وعلم انه قد أتى في سببه حتى يعرفه وينظر في نسبه قال لبعض عبيده انطلق الى هذا الرجل القادم علينا واعلمه من أنا وخوفه لعل أن يحل به العنا ولا تتركه يدنو الى الهلاك والفنا واستخبره ان كانت أصحابه من فقراء العرب فدعهم يدنوا حتى أنعم عليهم وأعطي كل واحد ما طلب وأخلع عليهم بعض الملبوس وأزيل عنهم الفقر والبوس وان كانوا من أهل الشر والطمع فردهم والاحل بهم سوء المصرع وقل لهم يعودون ولا يتعرضون للهلاك وسوء الارتباك وقطع الاجل والموت المعجل (قال) فلما سمع العبد من مولاه ذلك الكلام أجابه الى ما طلب من المرام وانطلق مثل المحبوب وغدا على قدميه حتى انه التقى مع شيبوب وصاح به الى أين أيها الساعي الى حتفه برجليه الطامع فيما لا يصل اليه فقال له شيبوب ما أتيت الا لأخذ ما حوته يد صاحبك من الاموال والنوق والجمال فارجع اليه وقل له يسلم ما في يديه من قبل أن يتمكن الحسام من وريديه وترى سهام المنية واصلة اليه وغربان الفلاحة ناعقة عليه فلما سمع العبد من شيبوب ما ابداه اليه انقلبت في أم رأسه مقل عينيه وقال له يا عبد الحرام وابن الاءمة وتربية اللئام وحق البيت الحرام لتداسأت الادب في الكلام وتكلمت بكلام الجهل والمحال أتدري من هو هذا الفارس المقبل عليك هذا الذي تضرب به الامثال وترتعد من ذكره صنايد الرجال والابطال هذا صاحب الجود والافضال فقال له شيبوب وقد تعجب من ذلك الكلام ويلك يا ولد الحرام لمن ينسب هذا الغلام الذي وصفته بهذه الصفات وفضلته على جميع المخلوقات ومن يقال له من الفرسان والى أين أنتم سائرون بهذه الاموال والنسوان فأخبرني بالصحيح ودع عنك الزور والتوبيخ فقال له العبد أما نسب صاحبي فانه رفيع وجنابه منيع وجماله بديع واسمه روضة بن منيع وأما سيرنا فهو الى بني عبس الاجواد لنخطب عبلة بنت مالك بن قراد ونحارب قومها في المجال ونتظران كانت كما قيل فيها من الحسن والجمال يأخذها من أبيها على أي حال وكان هذا الفارس المقدم ذكره من قبيلة يقال لها بنو سعد وقد حوى الشجاعة والكرم والحسن والجمال واشتمل على أكمل الخصال وأبوه مات وهو طفل صغير وترك له من الاموال شيأ كثيرا فربي فيه الى ان بلغ مبلغ الرجال وضيع أكثر أمواله على الرجال والابطال حتى انهم علموه خدائع الحرب والقتال واشتد قواه على ملاقاة الابطال وكان اذا غزا مع بني عمه الاحياء والحلل يقتل كل فارس بطل ويرجع بالمال الكثير بالغا الامل ويريد بنو عمه اعطاءه شطر المال فيقول لهم يا بني عمي لا آخذ لنفسي منها عقال فاني غني عن هذه الاحوال وربما يزيدهم من ماله وكان لا يخل على من قصده ولا يرد من أتى له ولا زال معهم على تلك الاحوال حتى احتوى على عقولهم بالاحسان

والنوال ومن شدة محبتهم له ورغبتهم فيه أرادوا أن يجعلوه مقدما عليهم ويعطوه الامارة عليهم مثل ما كان أبوه مقدما على العشيره لما رأوا فيه من الصلاح والبصيره لانه لما مات أبوه تركه كما ذكرنا طفلا صغيرا فأخذ عمه الامارة ولما كبر روضة وبلغ مبلغ الرجال وصار يعد من الابطال الثقال تحدث معه بنو عمه فى منصب ابيه وذكروا له ما كان عليه من الحال فقال لهم يا بنى عمى ان الامارة لها شروط تؤدى الى حمل الاثقال وأنا قصدى مصادمة الرجال فى حومة المجال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام انى أشتهى ان أقع بمن يقهرنى فى حومة الميدان وانا انفق عليه مالى وأصاحبه طول الزمان (قال الراوى) لهذا الايقاع انه كان لروضة ابن عم يقال له الاسبوع بن دراع وكان فارسا شجاعا وقرما مناعا وكان ببغض روضة بغضة شديده وذلك من أمور عديده أحدها انه كان يخاف ان يموت أبوه وترجع الامارة اليه ولا ينال ما هو عازم عليه والثانى انه كلما رأى روضة علا قدره وارتفع ذكره وزاد نهيه وأمره يحسده ويتمنى هلاكه وعطبه وكانا اذا حضرا على الطعام والشراب لا تسمع روضة يذكر الا الطعان والضراب فيقول له يا روضة لم تطلب شيأ ما له نهايه وتريد أمرا لا تريد به غايه أرأيت أحدا بلغ فى زمانه النهايه ثم انه صار يحدثه بحديث فرسان العرب اصحاب الحسب والنسب ويكثر له من ذلك الايراد حتى وصل الى حديث عنتر بن شداد وكيف انه حضر قدام الملك كسرى أنوشروان وكيف قتل بطريق قيصر ملك عبدة الصلبان وكيف عاد من عنده بكثير من الاموال الحسان والمماليك والجوارى والغلمان وأخبره بما قاله فى حق عبلة من الشعر والنظام وما وصف فيها من الحسن والجمال الفتان * هذا وروضة يسمع ذلك المقال وقلبه كاد ان يتقطع وقد علم مراده وعرف وتحقق انه يريد بذلك ابعاده لاجل أن يقتل ويبلغ هو رشاده ومازال الامر كذلك حتى تواترت الاخبار وتناشدت فرسان بنو سعد بما قاله عنتر فى حق عبلة من الاشعار وتحدثوا فيما ظهر من عنتر من قوة الجنان وثباته فى موقف الضرب والطعان وفصاحة اللسان وما أعطى من الشجاعة فى حومة الميدان فقال روضة فى نفسه هذا هو أوحد العصر والاوان والذى يبارزه ويقهره تذل له الفرسان وتحمل اليه الخفارة من جميع العربان ولا شك ان بنت عمه عبلة بديعة فى الحسن والجمال والا لما شاع لها هذا الاسم على ألسنة النساء والرجال وقد أعطانى الله الشجاعة والفصاحة وكثيرا من المال وأريد ان أجتهد فى بلوغ الآمال ولا ادع أحدا من العرب يذكر بفضله الا أنا وأنال العز وبلوغ المنا ثم انه حدثته نفسه ان يسير الى بنى عبس وعدنان ويبارز جميع الشجعان وبعد ذلك يخطب عبلة من أبيها ويملك جمالها ويحتويها ويقول لابن عمه هذا غاية الشرف الذى كنت تعايرنى به بين الفرسان * قال ولما تصور ذلك فى نفسه دخل فى عاجل الحال الى أمه وشاورها فى أمره وقال لها يا أماه ادعى لى لعلى ابلغ بدعائك الآمال فقالت له أمه افعل ما بدا لك نجح الله اعمالك ولا تترك أحدا يضاهى فعالك لان نسبك رفيع وجمالك بديع وحيلك شديد منيع ورأيك موفق سديد وحملك ما عليه مزيد فلما سمع روضة كلام أمه قوى على ذلك قلبه واطمأن فى عزمه وأخذ معه هدايا واموال وعول على الارتحال * قال وكان له خمسة اخوات بنات مخدرات مخبئات وهن كالنجوم الزاهرات والظباء النافرات فأخذهن معه حتى اذا تزوج بعبلة وعاد الى حلته تكون بينهن فأظهر لقومه انه سائر الى أخواله بنى كنانه اصحاب الوفاء والامانه وقد أكثر من الاموال وأمر العبيدان يشدوا الهوادج فوق الجمال ورفع أمه وأخواته اليهم فى عاجل الحال وسار يطلب ديار بنى عبس وعدنان وبين ايديه الاماء والعبيد والغلمان ومازال سائرا الى أن التقى بشاس وعنتر وشيبوب فى ذلك المكان وجرى لشيبوب كما ذكرنا مع عبده فى بداية الكلام ما جرى فتعجب شيبوب من ذلك الحال وعاد الى أخيه عنتر وهو متبسم وأعلمه بذلك المقال فقال عنتر وما يقال لهذا

الفارس بين الفرسان والى أين سائر بهذه الخيرات الحسان فاخبره شيبوب بالخبر وأعلمه بالامر الذى جرى وتدبر فقال عنتر باللعرب وحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء ان هذه قصة لابد أن تكتب وتكون عبرة للورى فقال شاس صدقت يا أبا الفوارس وان لكل منية سببا وسبب منية هذا الغلام الطمع وهو الذى قاده الى الهلاك وسوء المصرع فوالله انى ما رأيت أحسن من ركبته ولا ازين من طلعته فقال عنتر عجبه بنفسه هو الذى ساقه الى منيته ورمسه وأتى به الى حتى أعدمه حسه ثم انه افتقد جواده الابجر بعدما اعتقل برمحه الاسمر وتقلد بسيفه الظامى الابتر ونزل الى حومة الميدان ونادى دونك ياغلام وحرب من جئت له طالبا ولبنت عمه خاطبا وفى وصالها راغبا حتى ترى بعينك ما سمعت عنه من العجائب * قال فلما سمع الغلام من الامير عنتر ذلك الكلام تبسم وسار اليه وفى عاجل الحال تقدم بين يديه وكان تقدمه تقدم المجب بنفسه المحتقر بابناء جنسه الذى لا يخاف ولا يكترث بمن يسكنه فى رمسه ولما صار قدام عنتر وهو لا يخاف ولا يذعر أقدم اليه وبقى بين يديه فرأى الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه * هذا وروضة قال لعنتر أيها الفارس والقرم المداعس من تكون من فرسان عدنان والى من تعرف فى حومة الميدان فانى أرى الشجاعة لائحة عليك والنجابة تشهد لك لا عليك فقال له عنتر لما سمع كلامه ياويلك ما اعمى بصيرتك بين الفرسان وما أقل خبرتك بمعرفة الشجعان واعلم اننى انا الطويل النجاد الرفيع العماد أنا صاحب الثبات والاقدام أنا صاحب الحرب يوم الطراد انا حية بطن الواد انا حامية عبس الاجواد انا عنتر بن شداد انا ابن عم تلك العروس التى جئت من أرضك فى طلبها وتريد انك تخطبها أنا بعل العبسية التى انت تعشقها * قال فلما سمع الغلام من عنتر ذلك الكلام تبسم تبسم العجب ونادى وقال باللعرب من هذا الامر الذى يجب ان يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب ثم انه عاد من قدام عنتر الى نحو الهودج الذى فيه والدته ونادى يا أماه اعلمى اننى بدعائك قد بلغت الارب وتيسر على يدى المسالك ونلت الطلب واعلمى ان هذا الفارس الذى ترينه هو عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد وقد بلغت من مقابلته المراد وهو الذى كان يصفه لى ابن عمى الاسبوع ومن أجله هجرت الاطلال والربوع أين عيناه حتى ينظر ما يجرى من النصر والظفر وما ألقى من الحظ فى هذا البر الاقفر فان هذا يا اماه ما نلته الا ببركة دعاك حتى تنظرى ما تقر به عيناك * قال فما أتم الكلام وما ابداه من المرام حتى ارتفع سجاف الهودج واشرفت أمه برأسها وابدت له حواسها وكان لها وجه مدور وعيون كعيون الغزال الاحور وقالت له ياولدى بارك الله فيك وبلغك جميع امانيك فاذا كان هذا عنتر فلأى شئ عدت من قدامه بلا فائدة ولا مقصود حتى اشمت بعودتك الحسود اما أنت له طالب وفى زواج بنت عمه راغب فعد اليه وسر بين يديه وافعل كما فعل أبوك من تشييد المناصب والمناقب فلأى شئ أتيت تبشرنى ارجع على خصمك فى عاجل الحال ولا تعد من قدامه الا بالانفصال وبلوغ الآمال * قال فلما سمع روضة من أمه ذلك الكلام وما أبدته اليه من ذلك العتب والملام ثارت فى رأسه النخوة العربيه والحمية الجاهليه ورجع الى عنتر بغير العزيمة الاولية وأطلق لجواده العنان وقوم بين آذانه السنان وقد جرد السيف فى يده واظهر من الفروسية ما عنده وأوسع قدام عنتر فى الميدان وجال وصال حتى هد أشعث الحصان وفعل كما تفعل الشجعان اذا التقت مع الاقران وأنشد وجعل يقول صلوا على النبى الرسول

لما درى بى زمانى لان جانبه * وذل وانصرفت عنى نوائبه * ومن يعاندنى عميت مفرقه
بمرهف الحد لا تنبو مضاربه * أنا الذى سجدت سمر الرماح له * وسابقتنى الى جيش احاربه
أنا الهمام الذى شاعت فعائله * كم جحفل فرقت منى مواكبه * وكم قتيل تركت الطير عاكفة

على دماه ووحش البرطالبه * ياعبل مجدك عال فابشرى بفتى * يفنى الزمان ولا تفنى مناقبه
ياعبل عبدك قد حانت منيته * على يدى وقد قامت نوادبه * فليهن قلب أبيك اليوم يا أملى
وبرقد الليل ماسارت كواكبه * ياطامعا فى هلاكى عد بلا طمع * ولا ترد كأس حتف أنت شاربه

(قال الراوى) فلما سمع عنتر مقاله وخطابه ونظر دلاله واعجابه قال له قاتلك الله وقتلك ما أجهلك وما أشد أملك فلعن الله بطنا حملك وكلبا نسلك ثم انه صار ينظر اليه وقد قامت فى رأسه مقل عينيه وصار فى هذه العجائب ومالاقى من أجل عبلة يتفكر من المصائب فأشار الى روضة وأجابه على شعره يقول

كم يبعد الحظ من ارجو أقاربه * ويبعث الدهر شيطانا احاربه
فياله من زمان كلما انصرفت * صروفه فتكت فينا نوائبه
دهرى يرى الندر من احدى طبائعه * فكيف يهنا بعيش من يصاحبه
جربته وأنا غر فهذبنى * من بعد ما شيبت رأسى تجاربه
وكيف اخشى من الايام نائبة * والدهر اهون ما عندى نوائبه
كم ليلة بت فى البيداء منفردا * والليل للغرب قد مالت كواكبه
سيفى أنيسى ورمحى كلما نهمت * أسد الدحال له قد مال جانبه
وكم غدير تركت الماء فيه دما * عند الصباح وراح الوحش طالبه
ياطامعا فى هلاكى عد بلا طمع * لا تدن من كأس حتف أنت شاربه

(قال الراوى) ثم ان عنترة لما فرغ من ذلك الكلام والشعر والنظام حتى صدمه الغلام وطلبه مثل الاسد الهجام فاستقبله عنتر أحسن استقبال وأخذ معه فى معاناة الحرب والنزال فعند ذلك وقع بينهما الضرب وزاد بينهما الكرب فذاق عنتر من الغلام طعنا أمر من الصبر وضربا أشد من حرارات الجمر فاحترز عنتر لنفسه من حلول المصايب لانه رآه يلعب برمحه كما يلعب بقلمه الكاتب فقال عنتر فى نفسه هذه نائبة من جملة النوائب وأعجوبة أغرب من جميع الغرائب وقد كمل هذا الغلام فى الفصاحة والشجاعة والسماحة والرجاحة ثم انه أخذ معه فى الجولان تحت الغبار حتى قرب نصف النهار ثم وقف وأظهر الكسل والفشل فلما رأى روضة ذلك ظن انه اختبل فقوم سنان رمحه الى صدره وعليه حمل وقال له انزل ياعبد السوء عن ظهر الجواد وترجل من قبل أن تشرب شراب الاجل * هذا وعنتر قد وقف حتى قاربه وصار معه وناشبه لما رأى طمعه فيه فرمى الرمح من يده وسل سيفه من غمده وضرب رمح روضة فبراه من تحت السنان وأمهله حتى صار الحصان مع الحصان وصاح فيه صيحة الاسد الغضبان ولطمه على صدره بيده فرماه على وجه الارض وكاد أن يرض عظامه رض فالحق أن يثور واذا بثيوب عليه قد انقض وجلس على صدره وكتفه وجعل فى رقبته حبلا طويل وأنزل به الويل والتنكيل وساقه الى أخيه حقيرا ذليل فأوقفه على سوء فعاله وقبح مقاله وهم أن يضرب عنقه ويأخذ جميع ما معه واذا بأمه وأخوته قد رموا أنفسهم من الهوادج الى وجه الارض عن الجمال وصرن يمزقن خدودهن على الحصى والرمال وكشفن الرؤس وأرخين الشعور ورمين البراقع عن وجوه مثل البدور وأقبلن على عنتر وأجرين الدموع وأيقن بالذل والخضوع وصاحوا يافارس الزمان ووحيد الفرسان ارحم بكاءنا وذلنا وغربتنا وقلة رجالنا ان أردت أن تقتل أحدا فاقتلنا قبله ولا ترنا فقده فانه بقية ما أبقى لنا الزمان من الرجال والفرسان ثم ان الاخت الواحدة تقدمت الى عنتر وجعلت تقبل قدميه وأنشدت تقول هذه الابيات

يافارس الخيل حقا مثل ما ذكروا * سامح ففى قلبنا النيران تستعر
هذا الغلام الذى فى الاسر فهو أخى * من بعده ليس لى روح فتنفطر

اطلقه

أطلقه واعف وسامح واكتسب كرما * منا فانا اليـــك اليوم نعتبر
أنت الهمام وكل القوم خاضعة * الى علاك ونار الحرب تستعر
فارحمه واطلقه يا مولاى مكرمة * فهو الرجاء لنا والسمع والبصر

(قال) فعند ذلك تعجب عنتر من فصاحتها واذا قد تقدمت أختها اليه وقبلت يديه وقدميه وأشارت تمدحه بهذه الابيات

يا فارس الخيل دمعى فاض من بصرى * فارحم أضعفى فانى قل مصطبرى
أطلق فديتك هذا الطفل وارث لنا * فنحن نفديه بالاموال والدرر
ان كان لونك هذا أسودا لحما * فان فعلك يحكى بهجة القمر
خدعـــنى نسوة قد قل ناصرهم * وليس نرجو سوى الرحمن منتصر
الله يعطيـــك ما ترجوه من أمل * بحرمة البيت والاركان والحجر

(قال) ثم تقدمت الاخت الثالثة وقد زادت بها الحسرات وأشارت الى عنتر تمدحه بهذه الابيات

يا فارس الخيـل والابطال فى السبق * والخيل تصهل والفرسان فى قلق
قد فقت فى المجد كل الخلق قاطبة * شـذا أتاتك مثـل العنبر العبق
نخـــذ مديحى وجاز بنى بمكرمة * وارحم بنات حيارى صرن فى حرق
أطلق فديتك هـذا الطفل وارث لنا * فانه السمـــع وهو النور للحدق

(قال) ثم تقدمت الاخت الرابعة وهى كأنها الشمس الطالعة وتعلقت بركاب عنتر وأشارت اليه تقول

ليس لى صبر ولا جلد * وبرانى الشوق والكمد * والجوى والشوق فى كبدى
فارحمونى قد وهى الكبد * لست أنسى يوم بان ولا * نار قلـــبى حين تتقد
يا اخلائى خذوا بيدى * انـنى قد خانتنى الجلد * فاكحلوا طرفى برؤيته
فعسى أن يذهب الرمد * تلفت روحى لفقدهمو * ومضى ذا العيش والرغد
أيها الليث الذى خضعت * عنده الابطال والخود * جد علينا بالخلاص فقد
صارت الاحشاء تتوقد * أنت ذو فضل وذو كرم * وبهذا الناس قد شهدوا

(قال) ثم تقدمت الاخت الخامسة وكانت أصغرهن سنا وأوفرهن عقلا وأجلهن وجها وأشارت الى عنتر تقول

يا فارس الخيـل سامح وارحم الغربا * وردعنا أمورا توجب الخربا
هـذا الغلام الذى فى الاسر فهو أخى * فارحـم صباه ولا تشمت به العربا
ان كان قـد جاء مغرورا ومعتديا * فان حلمك يطفى الحقد والغضبا
أنـت الذى أزمـة الابطال فى يده * من ذا له همة يلقاك منتـــدبا
أنت الهمام الذى جلت مناقبه * وقـلأ الارض من خبراتها ذهبا
ان كان لونك هذا أسودا فلقد * حزت الشجاعة والاحسان والادبا
ولو تفاخر أهـــل الارض كلهمو * كانوا جميعا لك الاتباع وكنت أبا

(قال) ثم تقدمت العجوز أم البنات ودموعها جاريات الى أن وصلت الى عنتر وأشارت تنشد الاشعار وتقول

يا فارس الخيل يوم الطعن بالسمر * وفالق الهام بالهنـــدية البتر
يا من اذا قلت فيه القول تشهد لى * كل البرية من عرب ومن حضر
ان كنت تطلب يا مولاى قتلته * فارحم لذلى فانى زادنى كبرى
فقد هتكت لوجه طال ما حجبت * عنه الفوارس بالخطية السمر
حاشاك مفجعة فى فارس نخرت * به البرية من ســـعد الى مضر

ومالنا ناصر نرجـــوه برحمنا * لانا حرم نأبى مـــن الضرر
وقد تفطر قلبى خيفة وغدا * دمعى يسيل على خدى كالمطرى
أطلق فديتك شخصا قل ناصره * عند المضيق أياسمى و يابصرى
لازال سيفك من أعدائك مغمدة * ونور سعدك فوق الشمس والقمر

(قال) ولما فرغت العجوز من شعرها وسمع كلامها وما قالته البنات من ذلك الشعر والفصاحات وكيف أنهم مدحوه بهذه الابيات استحى منهن وكان شديد الغيرة على النساء فقال لاخيه شيبوب و يلك أطلقه فقد أكرمته لاجل أمه وأخواته ثم انه أمر البنات بالاستتار وان يرجعن الى الهوادج والجمال فعند ذلك رجعن الى ورائهن وقد فرحن بخلاص أخيهن * هذا وشيبوب قد فعل ما أمره به أخوه وأطلق روضة من أسره وبلاه بحمد النساء مسعاه وأما شاس فانه كان ينظر ذلك و يرى وهو يقول هذا لا يفعله أحد من سائر الورى وقد استحسن مروءة عنتر بحمده أيضا وشكر وقال لقد وضع الصنيعة فى مكانها وأودعها عند من يعرف قدرها * هذا وروضة قد تقدم الى عنتر وقبل يديه وشكره وأثنى عليه واعتذر له من فعله اليه وقال له اعلم يا أبا الفوارس ان الزمان يعلم الانسان كل يوم عقلا جديدا وأنا كنت من جهلى سائرا أخطب بنت عمك قبل معرفتى بك والآن قد اتضح البرهان و بان الصبح لمن له عينان وقد عرفت انى كنت جاهلا بالفرسان وقد عولت على انى أعود الى الاوطان وأبث مكارمك فى كل مكان وأريد أن أعرض عليك أمرا من الامور وأرجو أن لا تردنى فيما أقول وأن تبلغنى المأمول فقال عنتر وما الذى تريد فقال له يا أبا الفوارس أشتهى أن تقبل منى الهدية التى كنت أتيت بها على اسم عبلة فأنت أحق بها وأولى فمن على بقبولها ثم انه عمد الى بعض الجمال وأخرج من الحقيبة ثلاثة ثياب ملوّنات فى كل ثوب عقد من الجوهر يساوى ثلاث بدر وسلم الجميع الى عنتر وباس الارض واعتذر فقال عنتر يا روضة وذمة العرب لقد صار لك على الفضل والاحسان وما بقيت أقدر ان أجازيك طول الزمان ثم انه قبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وودعه ورجع كل منهما الى داره ومنازله وأطلاله وعنتر يقول لشاس يا مولاى أما ترى ما صار لعبلة من الاخبار وقد شاعت فى سائر النواحى والاقطار وما قاسيت من أجلها من الشدائد والاخطار وما بلغت منها الغرض ولا شفيت منها المرض فقال له شاس أبشر يا أبا الفوارس بذهاب الاوجاع وقرب الاجتماع ونيل المراد وقلة العناد لانه قد ذهب عنك العنا وحصل لك المنا فلا تعرف اجتماعك بعبلة الا منى أنا فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه ثم سارا وذلك اليوم وتلك الليلة الى أن أصبح الصباح فأشرفوا على ديار بنى عبس عند طلوع الشمس فقال شاس لعنتر يا أبا الفوارس الصواب انا نرسل أخاك شيبوبا يعلم قومنا بقدومنا ويخبرهم برجوعنا حتى يركب أبى الى لقائنا فى سائر اخوتى وجميع أهلى وعشيرتى وربما نثروا عليك من الاموال اذا علموا أن خلاصى على يديك يازين الرجال وتقر بذلك عيناك ويعلو قدرك على حسادك وأعدائك فقال له عنتر يا مولاى افعل ما تشتهى وتريد لانك أنت المولى ونحن العبيد فلا زال طالعك سعيد ونجمك فى علو يزيد ثم انه أمر أخاه شيبوبا أن يسير الى الديار و يبشرهم بتلك الاخبار فسار شيبوب وألقى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح فما كانت الا ساعة حتى أشرف على الديار ونظرته العبيد والاحرار فوقع فى الناس الهرج والمرج وانقلب الحى لقدومه وارتج وأقبلوا الى شيبوب من كل ناحية وفج وهو لا يقبل عليهم ولا يلتفت اليهم بل يقول دعونى حتى أصل الى الملك زهير وأبشره بخلاص ولده شاس من الاسر والضير

(قال) وكان الملك زهير قد لحقه على فقد ولده الهم العظيم وحرم على نفسه اللذات والنعيم وحزن عليه الغائب والمقيم لانه كان كما قدمنا لما فقده أرسل الجواسيس فى طلبه فعادوا كلهم بلا خبر فانذهل الملك زهير

لذلك

لذلك وتحير وامتزج صفو عيشه بالكدر وأقام حزينا عليه وعلى عنتر وقد جرى على قلب ولده مالك مالم يجر على قلب بشر وكان اذا خلا يبكي على أخيه وعلى عنتر (قال) وكان الربيع بن زياد سأل الملك في أخيه عمارة القواد وتردد اليه مرار حتى انه خلصه مما هو فيه من الاضرار * هذا وعمارة يقول لولا فقد شاس والا كنت بلغت من عبلة الغرض وزال عني الوسواس وما بقيت أقدر ان أتكلم في حقها ولا أطلبها مادام قلب الملك غير مستريح ومازال الامر كذلك على هذا الحال الذي تدبر حتى قدم شيوب يبشرهم بقدوم شاس وعنتر ثم انه جعل يغدو بين الناس ويقول ياقوم ذهب العناء والباس فقد وصل أخي عنتر ومولاي شاس (قال) فلما سمع الملك زهير بوصول شيوب أستدعى به اليه وأحضره بين يديه وسأله عن حاله وهل هو صادق في مقاله وقال له أحق هذا ياشيوب قال نعم وحق علام الغيوب لقد وصل ولدك سالما بعد ما أشرف على موته وفناه فسيروا أنتم الجميع الى لقاه واشكروا الرب القديم على بقاه ثم انه أعاد عليه جميع ما جرى له ولعنتر وأعلمه بجلية الخبر فطار قلبه من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح وركب من وقته وساعته وقد زال عنه كدره وجميع حسرته وأنعم على شيوب بجبته وعمامته وسار وهو يقول وحق الكعبة الغراء وأبي قبيس وحراء كل من خرج من غير نثار قابلته بما لا يختار وكسفته بين العبيد والاحرار وأدبت به الكبار والصغار ياويلكم قد عاد ملك بني عبس جديدا وزال الهم والتنكيد وقرت قلوب السادات والعبيد وكذلك عاد عنتر بن شداد الذي صان حريمنا والاولاد وبنى لنا من المجد بيتا رفيع العماد ولولا اني أخشى على هيبة الملك ان تحط عند العباد لكنت خرجت اليهما أمشي على الاقدام لاجل ملاقاة هذه الرجال بلا عناد (قال) هذا وقد وقع الخبر في الخيام والمضارب وانقلب الحي من كل جانب وخرجت البنات المخدرات والنساء المخبآت وضجت أبيات بني قراد وفرحت بذلك النساء والاولاد ووقعت الحدة في بيوت بني زياد * هذا وقد ركب مالك أبو عبلة وأخوه الامير شداد وكذلك زخمة الجواد وأما عمارة القواد فقد زادت به البلايا والامراض وقال لامرحبا بالقادمين ولا أهلا ولا سهلا بالواردين وقد عاد العبد الزنيم وهو سالم فلا سلمه الله من العظائم ولا كان يوم أسمع فيه خبره ولا أحد من القبيلة يذكره وما قنع الملك زهير بعودته الى الديار حتى يأمرنا أننا ننثر عليه النثار وامصيبتاه وادهوتاه ثم انه ركب بعد ذلك مع اخوته وقد زادت بقدوم عنتر نيران حسرته واشتدت عليه بليات مصيبته وجرت دموعه من مقلته وخاف من الملك زهير أن يعاقبه على خلاف ما به أشار وخرجت المولدات وأزعجن بصياحهن الاقطار وما أبعد القوم عن الديار حتى أقبل شاس وعنتر القمهار وصح الخبر واتضح البرهان وفرح جميعهم بذلك الامر والشان وكان أول من تقدم اليهما مالك بن زهير وقد أيقن بالفرح بعد الضير ثم انه جعل يصيح من قلب قريح والدمع من كثرة فرحه على خده يسيح ويقول ياقوم هنوني بهذا اليوم الذي زال فيه تعويقي وحسن توفيقي وردّ فيه أخي وصديقي ثم انه أعتنق أخاه شاسا وفرح به واستبشر ثم تركه وعاد الى عنتر وهو يقول لا أعاد الله يا أبا الفوارس على بني عبس فقدك فما أمر وأصعب علينا بعدك * هذا وعنتر يقبل صدره ويديه ويشكره ويثني عليه وبعد ذلك ازدحمت الناس على شاس ونثرت عليه الدراهم من الاكياس ووقع الفرح والاستبشار بين العبيد والاحرار وفرحت بقدوم عنتر الكبار والصغار واشتعل في قلوب بني زياد لهيب النار وحلت بهم الحيرة والانذهال وكان عمارة كما ذكر نار كب ومعه كيس ملآن من الذهب وقلبه ملآن من الهم والترح ولما قارب عنترا أظهر السرور والفرح وامتثل أمر الملك زهير وفي قلبه أعظم الهم والضير وأوصى العبيد أن يكونوا بين يديه ويجعلوا بالهم اليه وقال لهم اذا رأيتموني نثرت ذلك المال فاسبقوا أنتم اليه وخذوه واحتفظوا عليه فامتثلوا أمره وأجابوه ولما أن التقت الناس بشاس وسلموا عليه تقدم

عمارة اليه وهناه بالسلامة وقبل صدره ويديه ثم انه بعد ذلك أقبل على عنتر وقد زادت به الوساوس والفكر وقال له هنيت يا أبا الفوارس بالسلامه وحرسك الله من الندامه ثم انه نثر ما فى كمه من الذهب على رأس شاس وعنتر بالسواء فتلقى ذلك القيم شيبوب كله من الهواء ووثب كأنه النمر اذا انذعر ونثر حجره فنزل فيه الجميع مثل المطر ومانزل منها الى الارض درهم لا أصغر ولا أكبر وحار من فعله كل صعلوك وأمير ممن حضر ثم انه صاح لله درك ياوهاب مثلك من يبذل المال على الاصحاب فقال عمارة وقد زادت به الحراره جزيت ياشيبوب كل خير وكفيت كل هم وضير وأنتما اللذان تستحقان الاموال والارواح لانكما جددتما علينا بعد ومكما الافراح وتركتم فى قلوب الاعادى الاتراح وقد بنى أخوك لهذه القبيلة حصنا رفيعا ومجدا منيعا ولاسيما هذه المره التى كان فيها خلاص مولاى شاس من المضره وقد أزال عنه ما كان فيه من البأس والفكره وكان عمارة يقول ذلك نفاقا وبغضه لعنتر لا يطفئ له جمره وجعل يقول فى نفسه مهما فعلناه مع هؤلاء العبيد فنحن به خاسرون وهم الرابحون ثم بعد ذلك تقدم مالك أبو عبلة الى شاس وعانقه وهناه بسلامته وباس صدره ويده فحول شاس وجهه عن مالك وقال له دع عنك هذا المحال ياشيخ السوء والضلال فان كنت فرحا بخلاصى كما ذكرت فى المقال فزف ابنتك عبلة على ابن أخيك عنتر فى هذه الايام والا وحياة رأس أبى زهير علوت رأسك بهذا الحسام وفضحتك بين جميع الانام فعند ذلك تبسم مالك تبسم الخجل وخفق فؤاده من شدة الوجل وقال لشاس يامولاى لا تفعل ولا تدخل فى قلبك أدنى الخلل أيها الامير لم يبق لعنتر فى قلبى من البغضاء قليل ولا كثير ولا ما يحتمل وانقلبت تلك البغضة والعناد بمحبة ووداد ومذ فارقناه ما تلذذنا بزاد ولا تهنينا برقاد ولا أحد رفع لنا عماد ولا حسبنا ناسا بين الصعاليك والاجناد الا بقدوم ابن أخى الامير عنتر بن شداد واعلم أيها الملك ان ابنتى له أمة وأنا له من بعض العبيد وأنت على ذلك شهيد وان أراد زفافها فى هذه الليلة زففتها اليه وأنا وابنى وابنتى بين يديه ومن تكون هذه الفعال فعاله وهذه الاعمال أعماله كيف انى لا أحبه وبنتى لا تصفوله فأشهد على اليوم انى غلامه وابنتى له أمة وعمر وخادمه ويامولاى مازادنى فى محبته الا لما علمت أن كل من فى القبيلة يتمنى أن يكون زوج ابنته مما ظهر من شجاعته لان بنى عبس يامولاى لهما ركنان يحميانها من طوارق الحدثان فالركن الواحد أبوك الملك زهير دامت سعادته وحفظ من جميع أعدائه هو وذريته وعشيرته وأما الركن الآخر فهو ابن أخى عنتر الذى هو حامينا من كل بؤس وضرر ومن كل انسان ومن كل شيطان ثم لما فرغ من كلامه سعى نحو أبى الفوارس عنتر وقبل قدميه وشكره وأثنى عليه وكان ذلك من خبثه ومحاله ومكره وضلاله فلما نظر الامير عنتر الى فعاله انطلى عليه خبثه ومحاله فنزل عن ظهر جواده اليه وقبل وجهه وعارضيه وقال له ياعماه لا تحملنى مالا أطيق فأنا عبدك وراعى غنمك وملك صديق فورب السماء الذى سير السحاب وأجرى الماء وعلم آدم الاسماء لو قطعتنى ارباربا ما اذرت فيك الاحبا فقال مالك أنت صادق ياأبا الفوارس ويازين المجالس وأنت سفينا الصقيل ورمحنا الطويل وما فعلت معك هذه الفعال الا لتنال المنازل العوال وتبلغ هذه الرتبة والاجلال ولتنال ابنتى هذه المنزلة الفاخره وتضاهى بنات الملوك الاكاسره ثم انهم عادوا الى ظهور الخيل وقد حصل لهم الخير والنيل وصفت القلوب من الاحقاد وبقى فى قلوب الحساد نار الايقاد * هذا والامير شداد لم تسعه الدنيا وزينتها أم عنتر حصل لها الاستبشار والفرح الاكبر وهى تغدو بين يدى عنتر الاسد الربال وتزغرت وتقول ياولدى أتمنى لو تكون معى ترعى النوق والجمال لكان أحسن لى من هذا الحال وهذه السعادة والاقبال ولا تقاسى هذه الاهوال الثقال * هذا وعنتر يتبسم من قولها ويضحك على فعلها ولما صارا الجميع فى الخيام أمر الملك زهير بنحر النوق والاغنام

والاغنام والتجمل فى ترويج الطعام وترويق المدام وعمل وليمة عظيمة لها عند الناس قدر وقيمه ماعمل مثلها فى جميع الانام على مدا السنين والاعوام وفرح الملك زهير بولده شاس بعد الفراق والبعاد وفرح بسلامة عنتر أبوه شداد ولم يبق فى بنى عبس كبير ولا صغير الا وعزمه الملك زهير ليأكل من ذلك الخير ودامت الناس على هذه الاحوال ثلاثة أيام وثلاث ليال والقدور تفور والكاسات تدور وهم فى غاية الغبطة والحبور وما فيها ليلة تمضى وينصرف عنتر من حضرة الملك زهير الا بالجميل والخلع والخير الكثير والاماء والعبيد وشئ ما عليه من مزيد وكل ذلك يسوقه الى بيت عمه مالك بن قراد وهو يطلب بذلك رضاه من دون كل العباد * فلما كان فى الليلة الرابعة كانت الدعوة عند شاس فقام على قدميه عند انصراف الناس وحط يده فى يد عنتر وقال اعلموا يا من فى هذه الوليمة قد حضر أننا فى غداة غد نريد أن نشرع ونهتم فى عرس ابن عمنا عنتر وتهيئة أمره الذى له زمان متعسر فمن أراد ان يجازيه على جميله فليفعل لانه ما فى هذه القبيلة الا من حمى حريمه وصان عياله وقتل غريمه ولا تقولوا يا بنى العم ان شاسا ما تكلم بهذا الكلام الا من غلبة شرب المدام فأنا أقسم بمن ركب الارواح فى الاجسام وتعالى عن الاغراض والاوهام انى أنا عتيق سيفه ورمحه المدام وانه قد غمرنى بالاحسان والاكرام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أترك شيأ مخبأ ولا مدخورا الا وأقدمه بين يديه فورا ولا أمن به عليه بل هو له المنة على وقد أوصل احسانه الىّ وأريد أن ابذل روحى ومالى فى هواه ولا أتخذلى من الدنيا خلا سواه (قال الراوى) فلما سمع اخوته مقاله أجابوه على سؤاله وفعلوا مثل فعاله فعند ذلك قال لهم عنتر بعد ما خدم وباس الارض وتقدم وقال يا موالى ان هذا شئ لا يسرنى واعلموا أن هذا يضرنى وعار على أن تكون أموال العرب كلها فى قبضتى وأتلف أموال سادتى وعشيرتى وأضيعها فى وليمتى ولكن الصواب أن تصبروا على عشرة أيام حتى أسير الى بنى قحطان وأسوق جميع نوقها والفصلان وأعود بما يكفى وليمتى شهرا من الزمان ولا أخلى الولائم تنقضى حتى تفرغ أيام الربيع ويشبع منها الرفيع والوضيع وتفرح جميع الرجال والنساء والخلان ليكون يوما ما عمل مثله فى سائر الازمان فقال مالك بن زهير والله يا أبا الفوارس ما بقينا ندعك تفرط فى نفسك وتتبع يومك بأمسك حتى نعمل الولائم وينقضى عمل عرسك وتدخل على زوجتك وتتم فرحتك وأين ما سرت بعد ذلك نكون فى صحبتك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لاننا نعلم انك تخلف علينا أضعاف ما تخسر وتسوق الينا قدر أموالنا وأكثر واذا رجعنا الى الانصاف كانت اموال بنى عبس لك من غير خلاف لانك خلصتها من الاعداء بسيفك والسنان ورددت عنا شياطين العربان * قال فلما سمع عنتر ذلك المقال بقى فى قلبه منه اثر وحصل له الحياء ولا امكنه ان يخالف من حضر ودعا الاولاد الملك زهير وشرب معهم المدام حتى انقضت الوليمة على التمام وعاد بعد ذلك مع أبيه وعمومته وقد خلع عليه شاس خلعة تصلح لحضرته وتفرقت الناس الى المضارب والخيام وكل منهم قد هان عليه بذل ما فى يده من الحطام وان ينفق على عنتر جميع ما يملكه من المال حتى أنه يبلغ الآمال * قال وأما عمارة القواد وأخوه الربيع بن زياد فانهم قد ذابت منهم الاكباد وأضرمت فى قلوبهم نار الايقاد ومن شدة ما حل بالامير عماره من الذل والخساره انطرح على الارض والمهاد وصار يهدس بعبلة الليل والنهار ولا يأخذه هدو ولا قرار وكان اذا دخل أخوه الربيع ليفتقده يشكو له ما عنده من حب عبلة وما يجده ويسأله فى معاونته والا خرجت روحه من جثته وتلفت من أجل هواها مهجته فيقول الربيع والله يا رقيع مالى قدرة على عنتر وأنصاره ولا أقدر ان أفعل به شيأ نكيرا الان كان فى الباطن بحسن التدبير وان فعلنا شيأ جهارا حل بنا التدبير ولكن لك على انى لا أتخلى عنه واجتهد فى هلاكه بشئ لا بد منه وأحرص فى انقضاء أجله ولا أدعه يبلغ ما يريد من أمله * قال ولما كان

عند الصباح ركب الملك زهير فى جميع أولاده كما جرت به العاده وأوسعوا فى البطاح لانه كان كل يوم يركب فى بنى عبس وعدنان ويشرف بهم على المناهل والغدران ويفتقد الاموال والعبيد والغلمان * قال ولما صار الملك زهير ومن معه خارج الخيام واتسعوا فى الفلاة والآكام هو ومن معه من الفرسان الشجعان افتقدوا الامير عنترا فما وجدوه فقالوا ربما أن يكون أسرف فى شرب العقار فاعقبه من ذلك تكاسل وخمار * قال ثم انهم ساروا الى أن حمى عليهم الحر وأوهج ذلك البر فعاد الملك زهير الى المضارب والخيام وتفرقت الناس لاجل الراحة واكل الطعام وفى قلب شاس واخيه مالك على غياب عنترنار الاضطرام فانفذوا بعض العبيد لينظر الاخبار فغاب العبد ساعة وعاد مسرعا على الآثار وقال يا مولاى ماله فى القبيلة أخبار وانى قد سألت عنه من عمه مالك أبى عبلة فذكر لى انه لما عاد من الرابية هو وأبوه وأعمامه بالجمله فارقهم ودخل بيت أمه زبيبة والسكر طافح منه ومن تلك الساعة ما ظهر له خبر ولما أصبح الصباح طلبناه فما وجدناه ولاجل ذلك لم يركب هو وأبوه قال العبد ثم انى سألت من أمه زبيبة فقالت انه أتى الى عندى ولكن ما غمضت له أجفان بل انه صبر حتى نام كل من فى الحى وخمدت النيران وقام ركب جواده وسار فى البر والوديان ومعه أخوه شيبوب المصان فقلت له الى أين أنت سائر فى هذا الظلام الغاكر فلم يخبرنى بشئ من ذلك الامر والشان ولا علمت أين مضى والسلام فلما سمع شاس من عبده ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وقال قاتل الله مالك بن قراد من دون الانام ومن المصائب لا أقاله ما أكثر مكره ومحاله فلا بلغه الله ما يريد من أعماله * هذا وقد قال له أخوه مالك ما تقول أنت يا أخى فى ذلك فقال شاس وما الذى أقول فى ذلك الامر المنكر فربما ان مالكا أظهر لنا خلاف ما أضمر وقد مكر بابن أخيه عنتر وأركبه مراكب الخطر وأنفذه الى بعض الاقطار وطلب بذلك بعده عن الديار فقال مالك ما أظن الامر كذلك وما مضى الا ليأتى بما يتقوى به على الوليمه لانى رأيت منه أن نفسه قد صارت عظيمه وانه لا يحتاج الى أحد غيره واذا أتى بشئ يضعه فى عرسه لانه ذكر لنا مرارا وذلك بحضرة جميع الامراء وقال ان أموال العرب جميعها فى حكمه ان شاء أخذها وان شاء عفا عنها برسمه فقال شاس أما أنا فالذى أعرفه أن عمه لا يخفى على محاله ومكره واحتياله والصواب أننا نعلم أبانا بقصته ونطلعه على حاله وقضيته حتى أنه يدبر هذا الامر بمعرفته (قال الاصمعى) عفا الله عنه وعن جميع المسلمين هذا وقد شاع ذلك الخبر فى الحله وتحدث به الناس جمله وقد سمعت به سائر المحبين والمبغضين والحساد واشتفت بذلك قلوب بنى زياد وقد قام عمارة من مرضه وسأل أخاه الربيع عن ذلك الايراد فقال له اعلم يا أمير عماره انى أنا السبب فى هذه العباره وقد ألقيت عنترا بتدبيرى فى المهالك وانه قد صار يا أخى هالك وعمرك ما بقيت تنظره ولا تراه الا ان كان رب السماء يحفظه ويرعاه * قال وكان السبب فيما جرى وتدبر من ذلك الامر المنكر أن مالكا أبا عبله من يوم رأى عنترا وقد قدم مع شاس ورأى أهل الحله قد مالت اليه ضاقت منه الانفاس لانه رأى الناس قد صارت معه ويحبونه وهم كلهم يميلون اليه ويعجلونه فما أمكنه أن يخالف أمر الملك زهير وأولاده وقد التزم بأمر عنتر واحسن معه وداده وقد اظهر له الفرح والسرور حتى انه صار بعد المذمة مشكور وقال لابنته عبله خذى من بعض الحلل وتزينى بالنفاصيل التى قد أتى بها ابن عمك عنتر وتقلدى بهذه القلائد والعقود الجوهر ولا بقيت من هذا اليوم تعصى له أمرا لانا عزمنا أننا نزفك عليه فى هذا الشهر ونعجز أمرك فى هذه الايام وقد انبرمت الامور والاحكام وان الامر قد بلغ منتهاه وصار لنا بذلك عز وجاه فعند ذلك فعلت عبلة ما أمرها به ابوها فعل السامع المطيع ولم تعص له امرا لان فى قلبها لابن عمها المكان الرفيع فعند ذلك تزينت وتبهرجت كتبهرج الاراضى فى ايام الربيع وكانت فى نفسها مستغنية عن البنائق والعقود لانها

كانت

كانت ولدت فى طالع مسعود ونظر اليها عند ولادتها كواكب السعود والبسها خالقها من الجمال خلعة البهاء والكمال فهى غنية بحسن صورتها عن الملبوس الفاخر والحلل والجواهر وهى بارعة فى الحسن والجمال والقد والاعتدال و يقطف الورد من خدودها بأكف الحياء والخجل وتريد ان تقوم فيعقدها ما اعطاها الله تعالى من ثقل الكفل ولها كلام احلى من العسل وشعرها مثل الليل اذا انسدل * قال فصارت كلما دخل عليها ابن عمها عنتر تقوم اليه وتتبسم فى وجهه كلما حضر وتلاعبه بنية صادقه لانها تحبه وامقه وفى زواجه بها واثقه وكانت تفعل ذلك وقلبها صافى من الكدر لانه ما فى قلبها مثل ما فى قلب ابيها من الشر والضرر وكانت كلما فعلت معه تلك الافعال الملاح تزيده من حبها وغنج عيونها افراح فما يرجع من عندها الا وهو يتمايل سكرا و يشكو قلقا وفكرا الى ان كانت ليلة من بعض الليالى وهى الليلة التى عاد فيها من عند شاس ابن الكرام وقد سمع منه ومن أخيه مالك ذلك الكلام الذى قالوه بحضرة بنى الاعمام فبقى فى قلبه اثر مما لحقه من الوجد والغرام وقد عاد مع ابيه واعمامه ودخل الى مضرب عبلة وقد زاد عشقه وقوة غرامه فقامت اليه واستقبلته ورحبت به غاية الترحيب وانشئت فى وجهه مثل ما يفعل المحبوب مع الحبيب * قال ولما ان قر به القرار امر مالك ابنته ان تأتيهم بالخمر والعقار وتمدها بين ايديهم يمينا ويسار وتصب لهم فى الطاسات وتديرها عليهم من الاباريق والكاسات فأحضرت عبلة جميع ما امرها به ابوها وكان ذلك بحضرة اعمامها وعمر واخيها ثم انها تقدمت واسقتهم من رائق مدامها وقد سكر الجميع مما نظروا من بديع جمالها ومازالوا على ذلك الحال الى ان اخذت الخمرة مأخذها فعند ذلك انصرف أعمامها ولم يبق الا عنتر وأبوها وأمها وعمرو شقيقها فعند ذلك شرعوا يتحدثون فى أمر عرسها ومتى يكون على عنتر زفافها فقال مالك أبو عبلة يا أبا الفوارس وزيازين المجالس لقد بلغت بك المنزلة العالية ولا بقيت أكتم عنك سرا ولا علانيه وصار دمى بدمك ممزوج وما بقى حاجز يمنعك عن الدخول والخروج لكن يا ابن أخى وحق من يعلم عدد الانفاس لقد حصل لى غيظ من كلام الامير شاس وقوله نعمل الوليمة من أموالنا ونتحرفيها من نوقنا وجمالنا وأنا ما أريد هذه الحنه ولا أشتهى أن يكون لاحد علينا فضل ولا منه وأنا أنحر من مالى ومال اخوتى ما يكفى وليمتنا وزيادة وأفرح بك و يابنتى وتزول عنى كربتى ولا نريد منهم معينا ولا نصير فى مثل هذا الامر الخطير وان احتجنا شيأ ذبحنا من الفصلان والنوق العصافير ولا نترك لاحد علينا ملام ولا أحد يتكلم فى عرضنا بكلام مع اننى أعلم انهم ان فعلوا شيأ من ذلك أنك تجازيهم باعظم منه على فعالهم ولكن تسمع العرب انك عملت عرسك شحاته من أموالهم ولولاهم ما قدرت على شئ من ذلك وهذا شئ لا أريده فى حقك ولا فى حق ابنتى * قال فلما سمع عنتر من عمه هذا الكلام التفت اليه وقال له ياعماه أتظن أن كلام أولاد الملك زهير دخل فى آذانى أو خطر على بالى لا وحق الملك المتعال الذى ارسى شوامخ الجبال ويعلم وزنها كم مثقال وحياة عينيك العزيزة لآتينك بأموال تعجز عنها صناديد الرجال لان أموال العربان كلها فى قبضة يدى وتحت حكمى آخذ منها ما أريد واترك ما عنه أحيد ولكن قلبى يحدثنى بأنك ما تدوم على قولك بما سبق منك من المكر والغدر قبل الآن وانا من ذلك الامر حيران ولكن عند الصباح نذبر ذلك الشان وترى ما يسرك بمعونة الملك الديان * قال ولما دار بينهم ذلك الكلام قالت عبلة لما كانت جالسة الى جانب ابيها ومن الناحية الاخرى عمر واخوها يا ابن العم وذمة العرب الكرام لا دخلت عليك حتى تقضى لى حاجتى وتبلغنى منك ارادتى فقال عنتر وما الذى تريدين يا بنت العم اعلمينى به حتى افرج عن قلبك كل هم وغم فقالت له عبلة اعلم انى اريد منك شيأ هو عليك يسير وانا اعلم انه امر غير عسير والا لو علمت انه يشق عليك ما كنت اخبرتك به وحق بارئ النسم فأريد منك ان تفعل معى كما فعل خالد

ابن محارب الاسد الكاسر مع ابنة عمه الجيدة ابنة زاهر فقال لهما أبوها بمكره ودهاه ماهذا الهذيان يا ابنة الشيطان ومن أوصل اليك حديث العربان ومن أخبرك بفعال الابطال والشجعان فقالت له انني سمعت هذا الحديث من النسوان لما أتوني يهنونني بقدوم ابن عمي عنترة الفرسان فقال عنتر وقد تبسم 128
وما الذي سمعت يا قرة العين والروح التي هي بين الجنبين فعند ذلك قالت له عبلة ماهو الا انه لما حضرت النسوان عندي للهنا وبلوغ المنا جرى بينهن ذكر الولائم والاعراس وما يجتمع فيهما من الناس فقالت احداهن ما احد عمل وليمة واقتخر بها على الاباعد والاقارب الا فارس بني زبيد خالد بن محارب فانه لما زفت عليه بنت عمه الجيدة ابنة زاهر نحر في عرسها لما زفت عليه ألف ناقة وجمل وعشرين سبعا ولبوة وقد اصطادها بيده من الآجام ودعا في الوليمة فرسان بني زبيد وبني خثعم ومراد وأقامت الوليمة سبعة أيام وقد غمرهم بالطعام والمدام وما فيهم أحد قدامه شئ من لحم الجزور الا وقدامه هبرة من لحم السباع اما مشوي واما مسلوق وجميع الذي نحره في الوليمة من الجمال والنوق كلها من أموال خثعم بن مالك الملقب بلاعب الاسنة وردادا لاعنه فارس بني عامر ولما ان زفت الجيدة على ابن عمها كان القائد بزمامها ليلة عرسها أميمة بنت معاوية بن النزال صاحب أرض اليمن وتلك الاطلال والدمن
﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر من عبلة ذلك الكلام صار الضياء في وجهه كالظلام وصعب عليه ذلك الكلام وقال هذا الامر الذي ترونه صعب المرام وحق الملك الكلام الذي خلق جميع الانام لاجعل القائد بزمام ناقتك ليلة عرسك اذا كان جملك دائرا الا الجيداء ابنة زاهر بكمال عقلها ورأس خالد ابن عمها معلق في حلقها حتى لا يبقى أحد يضاهيك ولا يفتخر عليك فقال أبوها بمكره ودهاه بالله يا أبا الفوارس لا تطاوعها على مقالها ولا تحرك ساكنا بحال من الاحوال حتى يريد الله بما يريد وينجز لك أمرك ويتم عرسك وينشرح صدرك ويرضى خاطرك لاني كما تعلم ما بقي لي طاقة بالملك زهير ولا بأولاده واذا غبت أنت ساعة من الزمان يطالبوني بك لان كلا منهم يزعم أنه يحسن معك وداده ثم قال ثم ان مالكا من خبثه ومكره حط على عنتر بالمدام وأسقاه فوق طاقته حتى انقضى أكثر الظلام ورقد كل من في الحي ونام ومازالوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الصباح فقام عنتر وعزم على الرواح ومضى الى بيت أمه زبيبة فما قر له قرار ولا حصل له اصطبار لان كلام بنت عمه أطلق في فؤاده لهب النار فعند ذلك أيقظ أخاه شيبوب الغضنفر وأمره أن يشد له على جواده الابجر ويقدمه بين يديه ففعل شيبوب كما أمره أخوه عنتر وما خالفه فيما به أمر وهو لا يعلم ما قصده ولا الى أين هو سائر فعند ركب الامير عنتر على ظهر جواده الابجر وسارا وتبطنا في ذلك البر الاقفر والمهمه الاغبر قال ولما تمادى بهم المسير وصاروا بعيدا من الخيام طار من رأس عنتر المدام فقال لاخيه شيبوب يا أبا رياح انا ما أقصدك الا في المهمات الملاح اقصد بنا جبال طويلع ومنازل بني زبيد وتلك الاماكن والبيد ولا تطلب الا أقرب الطرقات ولو أنها تكون أصعب الفلوات فقال شيبوب يا ابن الام فما الذي تجدد من الاحوال المشكلات حتى خرجت من الحي في مثل هذه الاوقات وفعلت هذه الفعال أخبرني بتلك الاحوال حتى أعرف ما الذي خطر لك في البال فقال له أتعرف خالد بن محارب وزوجته الجيداء ابنة زاهر قال شيبوب وما الذي تريد منهم ولاي شئ أنت اليهم سائر فوالله يا أخي انك بروحك في هذا الامر مخاطر اعلم ان الجيداء امرأة ذات بأس شديد وأمر عنيد وشجاعة ابن عمها وفروسيته ما عليها مزيد وعجزت عنهم جميع الابطال وخافتهم جميع الاقيال ولا أحد نال منهم منال وقد ضربت بشجاعتهم الامثال اما تعلم يا أخي ان خالد بن محارب هو الاسد الواثب وهو الذي أذل الفرسان وأخذ الغفارة من سائر الودبان فما الذي أنت تريد اخبرني بهذا الامر والشان فعند ذلك حدثه عنتر بالقصة من أولها الى آخرها وقال له ان بنت عمي عبلة طلبت مني الجيداء ابنة زاهر تقود

بزمامها

بزمامها الليلة زفافها اذا كان جلها داثر وأنا ضمنت لها جميع ما طلبت لان النساء من بنات عمها دخلوا عليها وتحدثوا معها وجرى من القصة ما قد جرى وأنا ضمنت لها ذلك الضمان وها أنا سائر الى قضاء حاجتها وأريد ان أهجم على حي بني زبيد وآخذ الجيداء لتفعل بها ما تريد فاني وعدتها ان لا يكون القائد لزمام ناقتها الا هي بين الاماء والعبيد فقال له شيبوب يا أخي وهل تأتي بها وهي طائفة أو تأخذها غصبا مسبية فقال له عنتر بل مسبية وأسوقها بين يدي غصبا وأنهبها نهبا فقال شيبوب انك تريد أن تكون من هذا الامر الذميم على خطر عظيم وان صاحب الخطر لا يأمن القضاء والقدر لانك تريد أن تأخذ الجيداء التي أذلت جميع الفرسان وخافتها جميع الاقران ودخل تحت طاعتها جميع الشجعان وهي لبوة الاسد الرئبال الذي قهر الابطال في حومة النجال وان من دونها رجالا وأي رجال وهم ليوث الغاب غلاظ الرقاب يذلون الابطال الانجاب بكل حسام قرضاب وتخافهم جميع ملوك العرب والسادات من ذوي الرتب وفيهم يقول الشاعر المنتخب

قوم تعالوا من الاجداد والاصل * من دونهم ضرب حد البيض والاسل
كم من كمي طويل الباع شد * فيهم يلاقي العدا في ساعة الاجل
لا يحزنون اذا ما الحرب نازلهم * لا يسأموا البذل في خصب وفي محل
أسود غاب تحامي دون اجمتها * ويبذلون العطا للضيف في النزل

(قال) ثم ان شيبوب قال يا ابن الام أتريدان تسير اليهم فاهذا الاطمع عظيم وجنون جسيم فياليته يا أخي ارجع عن هذا الحال واسمع مني ولا تعلل نفسك بالمحال فقال عنتر دأبك يا ابن الام أن تكثر الهذيان وتردني عن اغراضي باذليل ياجبان فقال شيبوب الله ينتقم من عمك القرنان فانه والله يريد قتلك ويرميك في المهالك والا فمن أين لعبلة معرفة بذلك ومادبرها على تلك الاحوال الا عمك مالك المحتال وقد زخرف لها هذه الامور حتى انه يرميك في المحذور ويبتليك بالطرد والبعاد ويزوجها لمن أراد من العباد وربما يكون هذا تدبير الربيع بن زياد حتى انه يزوجها لاخيه عمارة القواد وأنا ما أقول هذا المقال الا شفقة عليك مني وحق ذي الجلال لاني عارف بما أنت قادم عليه من الاحوال (قال الراوي) لهذا المقال فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك المقال قال له لا تطل الفضول في ذلك يا ابن الاندال ولا تكثر القيل والقال فأنا لا بد لي من المسير وأتوكل على اللطيف الخبير فوالله لا تأخرت عن هذا الامر أبدا ولو شربت كأس الردى ولا أخلي محبوبة قلبي عبلة تنظرني بعين النقص على طول المدا ولا أكون عندها قليل الجهد عند ملاقاة العدا * قال ثم ان عنترا بعد ذلك سار هو وأخوه شيبوب وسلما أمرهما الى علام الغيوب وتطعوا فيافي الفلا وتستروا بأذيال الدجا * قال وكانت هذه الحيلة من مالك بن قراد والربيع بن زياد وقد دبراها على هلاك عنتر بن شداد ومالك هو الذي علم ابنته عبلة أن تقول لابن عمها هذا المقال وقد أظهر لها ان ذلك شرف لقدره بمكره والمحال فأخذته عبلة من أبيها بقبول وجرى ما جرى من ذلك الامر المهول وقد أبعد عنتر عن الديار والطلول ولما ان تمادى به المسير أنشد وجعل يقول صلوا على سيدنا النبي محمد الرسول

أجوب هذا الفلا والليل معتكر * واقطع البيد والرمضاء تستعر
وليس لي مؤنس غير الحسام وان * صال الاعادي غداة الروع يبتدر
اليكموا سباع البر عن رجل * اذا مضى سيفه لا ينفع الحذر
أو رافقيني ترى قتلا يا مطرحة * والطير عاكفة تغدو وتبتكر
ما خالد بعد ما قد سرت اطلبه * بخالد ولا الجيداء تقتصر

ولا دیارهم بالاهل آنسة * الا القليل ويأوى سوحها النفر
ياعبل يهنيك ما يأتيك من نعم * وما يصير على أعدائك من قدروا
يامن رمت مهجتى من لحظ مقلتها * باسهم قاتلات رميها عسر
نعيم وصلك جنات مزخرفة * ونار هجرك لا تبقى ولا تذر
سقاك ياعلم السعدى غادية * من السحاب ويروى ربعك المطر
كم من ليال قضيناها مؤانسة * مضيئة بالصفا ما شانها كدر
مع فتية تنقل الاقداح بينهم * مدامة مزجت راووقها عطر
ان عشت فهى التى مادمت أشكرها * أومت فهى ليال كلها العمر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تبطن فى البرارى والاكام فما أصبح عليه الصباح الا وهو فى بلاد بعيدة وهو طالب ان يأتى بالجيداء بنت زاهر فهذا ما كان من عنتر ومسيره * وأما ما كان من أمر خالد بن محارب فان تفسير ذكره ومنشئه هو وابنة عمه الجيداء وما كان سبب حدثهم بين العرب العرباء الذى شاع شرقا وغربا هو ما قاله الاصمعى لقد سألت من مشايخ العرب عن خالد بن محارب وابنة عمه الجيدا وما صار لهم من الشان وكيف نشؤا بين العربان وبماذا نالوا هذه المنزلة العليا السامية الزائدة السامية فأردت ان أعرف مبتدا أمرهم وكيف كان بدأ حدثهم من صغرهم حتى يأتى الحديث على صحته والترتيب لكى يتعجب منه كل عاقل لبيب فعندها حققت ذلك وأردت كشف هذا الامر حتى تنشرح من سماعه الصدور ويعرف السامع مبتدأ هذه الامور وذلك ان خالد بن محارب لم يكن له فى هذا الزمان مقايس لا فى الشجاعة ولا فى البراعة ولا سائر الامور النفائس وكان من أكبر بيت فى بنى زبيد وكان أبوه محارب بن جياش يقرب الى معد يكرب فارس بنى زبيد أبى سيدنا عمر وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معد يكرب هذا فارس الحرب وأشد من كل فارس فى الشرق والغرب وكانت تنعقد عليه العشائر ويقوى العساكر ويهدم الدساكر ويغزو الامصار والبلاد الى ان ذلت له رقاب العباد وصار يوصف بين المحافل ويذكر فى سائر القبائل وكان الى شجاعته الغاية والى براعته النهاية وكانت خلقته عظيمة هائلة جسيمة كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد وكان اذا جلس ساوى فى جلوسه الانسان القائم وكان مع هذا كله يشهد لخالد بن محارب بالفروسية ويقول انا ما تعلمت هذه الفروسية الا من ابن عمى خالد بن محارب وكان ولده عمرو رضى الله تعالى عنه بعد اسلامه اذا جلس فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له أصحابه ياعمرو من علمك هذه الفروسية فيقول هذه توارثناها من ابن عمنا خالد بن محارب (قال الراوى) وكان لخالد عم اسمه زاهر بن جياش وكان كالاسد الهواش وكان هماما بطاش لا يهاب الرجال ولا يكترث بالابطال وكان حديث هؤلاء الاخوين حديثا عجيبا ينبغى أن يؤرخ ويكتب ولو بماء الذهب حتى يتعجب منه كل من له عقل وأدب لان محاربا وزاهرا كانا أخوين وفارسين بطلين * ومما وقع من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق ان اليوم الذى ولد فيه خالد ولدت فيه الجيداء ابنة زاهر وكان أبوها لم يرزق غيرها وكان قال لامها من قبل أن تضعها ان جاءتا ولد ذكر فاهلا به وسهلا وان جاءت ابنة فقولى انار زقنا ولدا ذكرا حتى لا يقول أخى أنتم رزقتم بنتا وشمت بنا فخرى ذلك واتفق ما ذكرناه وأشاعوا بذلك الخبر جهرا * هذا وقد أظهر بعدها الفرح والسرور وأركز على باب بيته علما وأوقف الى جانبه حصانا وعلق فيه سيفا وعمل وليمة عظيمة أعظم من الوليمة التى عملها أخوه وجمع فيها سائر خلفائه فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وقال جميع الناس يا أمير زاهر ان أخاك محارب قد سمى ولده خالدا فما الذى سميت أنت به ولدك فقال لهم سميته جودر فقالوا له اسم حسن وهو بين الاسماء موقر (قال الراوى)

الراوى) هذا وقد رزقها الله تعالى من أمها وأبيها من المحبة الحظ الاوفر وما علم أحد انها بنت بل انها ذكر (قال الاصمعى) وانى سمعت عن هؤلاء الاخوين انهما كانا من الجبابرة العتاه الذين هم من بقايا بنى حمير وكان فى بنى زبيد بطن يقال لهم بنو منبه بن سعد وهم بطن من زبيد الكبرى وكان بنو زبيد بطنين زبيد الكبرى وزبيد الصغرى وكان زاهر وأخوه محارب من زبيد الكبرى وكانوا من أكبر بيت فى القبيلتين وكان بين زاهر وأخيه محارب بغضة عظيمة وعداوة قديمة وهما اخوان من أم واحدة وأب واحد بحيث ان الواحد منهما لا يشتهى ان يرى الآخر وكانا يتظاهران بين الناس بالمحبة وفى الباطن بينهما العداوة والبغضة (قال الاصمعى) ولما كان فى بعض الايام خرج محارب على أخيه زاهر بالكلاز وتجبر عليه واستخف به وكان محارب هو الكبير وهو شيخ الحلة ولما استخف محارب بأخيه زاهر تغلب عليه وقهره وأراد قتله فردته الناس عنه وقالوا له أيها الامير ما هذا البغى والغضب على أخيك وهو عضو من اعضائك وانه من أمك وأبيك أترجو أن يعود جياش حيا من المقابر ويأتى من أمك بأخ آخر فقال لهم تعسا ونكسا لهذا الذميم والشيطان الرجيم * هذا وقد فصلوا بينهم بعد المباغضة ولما انفصلوا دخل زاهر على زوجته وأعاد عليها ما قد جرى بينهم فقالت له زوجته ولم ترض لنفسك بالذل والهوان وأنت سيد من سادات العربان فقال لها زاهر وكيف الامر وأى شئ أعمل وقد أذلنى من لا أقدر عليه ولا أمد يدى بسوء اليه لانه نجيبى فى الاحشاء ورضيعى فى دار الدنيا فقالت له زوجته ارحل من حوله ومن جواره وابعد فى البر عن دياره وكن كما كان من تقدم من العرب وقالت هذه الابيات

ونفسك فزيها ان صاب ضيم * وخل الدار تنعى من بناها
ونفسك لم تجد نفسا سواها * وما غلظت رقاب الاسد حتى
ولا ترسل رسولك فى مهم * بأنفسها تولت ما عناها
فما للنفس ناحتها سواها * ومن كانت منيته بأرض
فليس يموت فى أرض سواها * وان جار واعليك الاهل فارحل
فأرض الله واسعة فلاها

(قال الراوى) ثم ان زاهر لما سمع من زوجته ذلك الشعر وانتظام قال لها ولذلك استشرتك حتى لا يبقى على عتب ولا ملام ثم انه رحل من جوار أخيه وسار من قبيلته واستهم فى ذلك من وقته وساعته ومازال سائرا الى ان نزل على قوم يقال لهم بنو سعد ومن هذه القبيلة عبد الله بن أنس ساعى رسول الله صلى الله عليه وسلم * هذا ولما صار عند القوم فرحوا به واكرموه وعن حاله سألوه فعند ذلك حدثهم زاهر بحديث أخيه محارب وما حصل بينهم من الاهوال والعجائب فقالوا له لا يضق صدرك فالدار دارك ونحن فيها من جملة جوارك (قال الراوى) فعند ذلك أقام زاهر عند هؤلاء القوم جملة أيام وقد طاب له عندهم المقام وتمادت به الشهور والايام الى أن كبرت البنت والغلام وكان زاهر سمى ابنته الجيداء فى الباطن وجوذر فى الظاهر وصار يركب هو وايا ها ويعلمها الفروسية والكر والفر فى النهار والليل ويذكر للناس انها ذكر هذا وقد علمها الطعن والضرب بالبيض الصقال ولما ان تفرست ورآها أبوها ماهرة فى ذلك الحال ونفسها تطالبها بالاشتغال احضر اليها رجلا عارفا من مشايخ العرب فعلمها الخط والشعر والادب وقد نطقت وناظرت فأسكتت وقهرت وصارت فريدة أهل زمانها فى الخطاب وسرعة الجواب فلما ان صار لها من العمر خمس عشرة سنة نظر اليها أبوها نظرا عظيمة المخبر مليحة المنظر كأنها ذلفة قمر فصار ينفرد بها فى العصرا لما ان رآها شديدة البأس فى كل ما ترى وصار يركبها الخيل ويخوض بها البر والقفار بالليل والنهار فدامت على ركوبها وكان ذلك غاية مطلوبها (قال الراوى) عفا الله عنه ولم يزل أبوها كذلك الى ان كملت فيها الشجاعة والبراعة وصار لها تحت يدها من يذعن لها بالسمع والطاعة لانها صارت تحضر فى الميدان ومقامات الفرسان ولا ينادونها الا بالامير جودر لانها كانت لا تظهر شعرها بل تخفيه فيقول الرجال هنيئا

لمن له هذا الهمام الذكر فوالله ما ولدت النسوان مثله آخر ولا له في الملك مناظر (قال الراوى) لهذا الخبر بعد الصلاة والسلام على خير ربيعة ومضر هذا وان الجيداء لم تزل على ذلك الحال والشان مدا الدهر والازمان وهى على ما هى عليه من ذلك الامر والشان الى ان كان فى بعض الايام مرض أبوها مرضا شديدا أشرف منه على الهلاك فلما علم بحلول أجله وأيس من نفسه وعلم أنه قرب من الدنيا مرتحله أحضر أم الجيداء اليه فلما أتت وجلست بين يديه قال لها يا بنت العم بالله عليك لا تتزوجى بأحد بعدى فتقع الفرقة بينك وبين ابنتك الجيداء واكتفى أمرها ولا تنكشفى لاحد سرها وان تغير عليكم أهل هذا الحى فعودوا الى حى أخى محارب فربما يكون لكم بخلاف ما كان يفعل معى من الواجب واحفظى ما فى أيديكم من المال فانه يزين النساء والرجال واعلمى أن قيمة الرجل ما حاز من المال الكثير والرجل الفقير بين الناس حقير وأكرموا الناس يكرموكم وقد عرفتم كيف عشت فيكم (قال الراوى) ثم انه بعد الوصية أقام أياما قليلة وهو مريض ولكن فتح الله عليه بالعافية وعافاه ومما كان فيه قد شفاه وسارت ابنته الجيداء تشن الغارات وتغالب الاقران بالفروسية فى كل مكان * هذا وقد ظهر اسمها وعظم رسمها وكان اذا أراد أحد أن يغير على القوم الذين هى عندهم يقولون له الحذر ثم الحذر ان تقرب قبيلة جودر (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر الجيداء ومنشئها * وأما ما كان من خالد ابن عمها وقصته التى قدمناها فان أباه كما ذكرنا كانت له خيول وجنائب وأبيات ومضارب يأوى فيها الضيفان وميدان تقصد اليه الفرسان من كل جانب ومكان وفى كل صباح تأتى اليه الشجعان ويقيمون سوق الحرب والطعان ويعودون بعد ذلك الى الحلة ويأكلون الطعام ويشربون الرائق من المدام * هذا وخالد نشأ بينهم الى أن كبر فى السن والمقام وصار له من العمر خمس عشرة سنة تمام وقد صارت شجاعته فى كل يوم تزيد حتى أقرت له الفرسان الصناديد بالنصر والتأييد (قال الراوى) هذا وقد سمع خالد بحديث ابنة عمه الجيداء المسمى بجودر وما فيها من الشجاعة والبراعة وذكرها الذى قد ظهر واشتهر فاشتهى أن يمضى اليها وينظر الى فعالها فى الميدان ويجرب طعناتها وضرباتها فى الجولان مع الفرسان فلم يقدر على ذلك الشان لاجل خاطر أبيه لما يعلم من العداوة التى كانت واقعة بينهم مع اختلاف الزمان ومازال كذلك الى أن مات أبوه وملك مكانه واحتوى على أمواله وأخذ سلطانه وصار يفعل مثل فعال أبيه فى كل احواله ويعمل فى قومه مثل أعماله يقرى الضيفان ويؤمن الخائف والفزعان ويكسو العريان ويركب فى الابطال الى الميدان ويحكم بين الفرسان بالزيادة والنقصان وصارت هذه آدابه بين الفرسان (قال الراوى) فلما ان قوى عزمه وصارت القبيلة له وتحت أمره ونهيه هابته الفرسان وخافته جميع الشجعان فعند ذلك عزل من أمواله وذخائره هدية سنيه وجوادا من خيار الخيول العربيه ثم انه أخذ فى صحبته أمه وسار من حلته قاصدا زيارة عمه ولم يزل يجد المسير فى الفيافى والقفار ويقطع القهارى والاوعار حتى قدم على عمه فى تلك الديار ففرح به فرحة عظيمة وكذلك جميع من فى الحلة من الكبار والصغار وأنزله فى منزلة من الديار لانه كان يسمع بأخباره المتواترة من السفار الواردة عليه والحطار (قال المؤلف رحمه الله) ثم ان عمه أكرمه وعظمه ورفع قدره * هذا وقد أبصر خالد ابنة عمه المسمى بجودر فاعتنقها وباسها وضمها الى صدره وهو يظن أنها غلام ذكر لما قد بان له منها وظهر لانه رأى لها خلقة بهيه وبنية مرضيه وهى مضيقة اللثام فقدم لها ما معه من الهدية والانعام فأخذته منه وقد أكرمته غاية الاكرام * هذا وقد أقام خالد عند القوم عشرة أيام وهو فى كل يوم يخرج الى الميدان ويطاعن الفرسان والشجعان ويعلم من لهم من الاقران (قال الراوى) لهذا الديوان فلما ان رأت ابنة عمه منه ذلك الحال وعاينت الى ما أعطاه الله من الحسن والجمال وعلو قدره على الفرسان والابطال تعلق قلبها به وبمحبته قد هامت وبقيت ليالى من غرامها ما نامت

بل انها هجرت المنام وصارت تكثر عنده من القعود والقيام وكل ذلك مما حصل فى قلبها من نيران الهوى والغرام وقد ملك حبه قلبها وابها واستولى سلطان الهوى على فؤادها فلما قل صبرها شكت الى أمها حالها وقد استحيت من ذلك الكلام ولكن حكم عليها بذلك الهوى والعشق والهيام وقالت لامها ان عاد ابن عمى الى ديار وحق الواحد الاحد وما أنا فى محبته مت من الكمد وبشمت بما حل بى كل أحد فرق قلب أمها لها وما عاتبتها على فعلها ولا لامتها على ما بدا من قولها بل انها تبسمت من قولها لانها علمت ان العذل لا ينفع فيها وقالت لها يا ابنتى لا تضيقى صدرك ولا تشغلى سرك ولا تكابدى صبرك لانك ما فعلت أمرا قبيح ولا عملت شيأ الا المليح ولا أحببت الا ابن عمك لانه من لحمك ودمك وهو وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أحسن شئ يحب بين الانام وانه مليح الوجه حسن القوام والكلام وهو لا يصلح الا لك ولا تصلحين الا اليه والسلام لانك تضاهينه فى حسنه وجماله وبهائه وكماله فاصبرى فاذا كان فى غد امغد وأتت أمه اتى زيارتنا أطلعناها على حالتنا وقصتنا وزوجناك به ورجعنا كلنا الى قومنا وحلتنا (قال نجد بن هشام) فصبرت الى ان كان من الغد وأتى الوقت الذى تأتى فيه أم خالد الى زيارتها فدعت بابنتها وقدمتها الى بين يديها وكشفت رأسها وخلعت أثوابها وجعلت تسرح رأسها وتغسل اعكانها وتمشط شعرها وتقلبه وتطرحه على اكتافها (قال الراوى) لهذا الديوان فبينما هم على ذلك الامر والشان واذا بام خالد قد دخلت عليهم من باب الدرب فرأت ما هم فيه فلما ان نظرت الى ذلك انبهرت واندهشت من ذلك الجمال والحسن والكمال فانسلب عقلها وحار لبها فعند ذلك قالت ويلك يا بنت العم أما هذا ولدك جودر فقالت لها الا بل هى ابنتى الجيداء وجه القمر ثم انها حدثتها بجلية الخبر وقد قصت عليها ما كان من ذلك الامر المنكر وما جرى لها من بعلها حيث انه رباها وكتم أمرها خوفا من عاقبتها فلما ان سمعت أم خالد ذلك تعجبت كل العجب وقالت والله ما فى بنات العرب أجمل من هذه الصورة ولا أغرب فما اسمها يا بنت العم سلمها الله تعالى من الردا فقالت لها يا بنت العم اسمها الجيدا وانى ما فعلت بها هذه الفعال الا لاجل ان أعرض عليك ما كساها الله من الحسن والجمال والقد والاعتدال وأورد تلك المحاسن عليك لتنظرى حالها مع ولدك فى الزواج وترجعى الى ديارنا وأوطاننا من غير احتجاج فقالت لها أم خالد السمع والطاعه وان أراد الله يكون الامر فى هذه الساعه وقد سعد ولدى بهذه البضاعه فيا فوز من تكون له قرينه لانها الدرة اليتيمه واللؤلؤة المكنونه والحسرة المصونه (قال الراوى) ثم ان أم خالد قامت فى عاجل الحال وسارت من عند أم الجيداء حتى بقيت عند ابنها خالد ابن محارب وأعلمته بما أبصرت وبما شاهدت وعاينت وقد تحسرت وتنهدت وقالت لولدها وحق من يعلم السر والعلانيه لم يكن أحسن منها فى حاضر ولا باديه فبادر يا ولدى الى أبيها واخطبها منه لعله أن ينعم لك بها ويجمع بين جمالك وجمالها فانها ما تصلح الا لك ولا تصلح الا لها (قال المؤلف) فلما ان سمع خالد بن محارب من أمه هذا الخبر أطرق الى الارض رأسه ساعة وفى نفسه تفكر كيف ان أمه قابلته بذلك القول عن ابن عمه جودر فقال لها يا أماه وحق الركن والحجر وذمة العرب من ربيعة ومضر ما كان فى نيتى أن أرجع وأفارقها لو كانت كما زعموا انها ذكر والآن ما بقى لى فى محبتها من حاجه بعد ما ظهر لى انها امرأة فلا تكثرى على اللجاجه لانها ذات ضلع أعرج ولسان منجلج وجنان أهوج وانها الى غيرى فى ذلك أحوج لانى ما أشتغل الا بملاقاة الابطال واستناص الاقيال وكسب الثناء وبذل المال وطلب المنازل العوال فهو عندى أفضل من مضاجعة النساء ذات الجمال وبعد ما بلغنى عنها هذا الكلام ما بقيت أقيم عند هؤلاء القوم ولا أسمع لهم كلام ولا بد لى من الرحيل والسلام (قال نجد بن هشام) فلما ان سمعت أمه منه هذا الكلام عذلته فيما ذكر من ذلك الكلام والسلام فتركها وقام من عندها ثم انه قام

وركب من وقته وساعته على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وودع عمه وعول على المسير وسرعة الجد والتشمير فقال له عمه زاهر يابني ماهذه العجلة والارتحال ولم تقم عندنا برهة من الزمان حتى اننا نشبع منك بالنظر ونقضي من معاشرتك الوطر فقال له خالد ياعماه ما أقدر أن أقيم أكثر من هذه الايام لان بيوتنا خالية ومافيها أحد من الرجال الكرام والطارق علينا كثير والوافد الينا غزير (قال الراوي) ثم ان خالدا ودع عمه بعد ذلك وقد ودعت أمه أم الجيداء وأقرأتها السلام وأخبرتها بما حصل بينها وبين ابنها من الكلام وأعلمتها بما نطق به ابنها من الملام ثم انها ركبت ناقتها وسارت مع ولدها طالبة أهلها وعشيرتها (قال الاصمعي) فلما ان رأت الجيداء الى تلك الفعال من ابن عمها وانه ما قبلها ولا التفت اليها ولا حن عليها هانت نفسها عندها وقد تلهبت نيران وجدها وهجرت رقادها وزاد تنهيدها وقل زادها حيث انها لم تبلغ مرادها وبقيت من ذلك حائرة في أمرها وقد اشتغل سرها ولم تزل على ذلك الحال الى ان كان في يوم من بعض الايام وقد طلب أبوها الكسب والغارة في البراري والآكام وقد سار هو ومن يلوذ به وأوسع في البر وكان له بالعادة أن يأخذها معه كما ذكرنا قبل هذا الكلام فنظر اليها عند مسيره فرآها قليلة النشاط والاقتدار فاعرض عليها المسير بل انه سار وتركها عند أمها في الديار وقد ظن أنها تشكو من وجع في جسمها فتركها لاجل ذلك وسار ثم انه لما أبعد عنها في سفرته وأمنت هي على نفسها من غيبته وقدرت أنها لروحها مالكه وأحوالها متداركه ولم تر أنها تصبر على ذلك قالت لامها ياأماه أأموت وهذا ابن عمي ابن الزانية في دار الدنيا لا كان ذلك أبدا ولا تشمت بي الاعدا فوحق من خلق الخلق من تراب لاجزعن ابن عمي غصص العذاب ولاذيقنه مرارة الهجر والاكتئاب ان أسعدني الزمان ووافقني على ما أريد من الفعال المقادير والاسباب (قال الراوي) ثم انها بعد ذلك ركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها وأظهرت لامها أنها طالبة الصيد والتنص حتى أنها تشتغل عما هي فيه من تجرع كأسات الغصص وسارت وقد أضمرت في قلبها خلاف ما أظهرت لامها ولم تزل سائرة الى أن وصلت الى حلة ابن عمها ثم انها تنكرت ونزلت في أبيات ضيافته وأرادت المقام وهي في زي أهل الحجاز متعممة مضببة اللثام وهي بذلك اللباس فخدمها الخدام راكرمها عبيده غاية الاكرام وقد فعلوا معها مثل ما يفعلون في حق الفرسان فلما ان كان من الغد حضرت الى الميدان فبلبلت عقول الشجعان ممن كان حاضرا في ذلك المكان وسمحوا لانفسهم بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الصقال وقد تزلزل الميدان وتعبت الخيل في المجال * هذا وقد أبصر منها ابن عمها الاهوال من غير معرفة له بها وهي على ذلك الحال ومازالوا كذلك حتى تنصف النهار وكان قد برز اليها ابن عمها فرأى منها فروسية ما عليها عيار فعادوا بعد ذلك من الميدان وقد تحيرت من فعالها الفرسان وليس فيهم من رجح على صاحبه ولا قدر عليه في طعنه ومضاربه * هذا وقد افترقوا عن بعضهم البعض وقد عظمت الجيداء في أعين الناس وحيرت جميع الفرسان الاتراس وقد أسكنت في قلوبهم الرعب والوسواس وكان ذلك مما يعرفون من شجاعة خالد وما كان تبين لهم من براعته على طول الابد (قال الراوي) هذا وقد أوصى خالد بها العبيد وقال لهم أكرموا هذا البطل الصنديد وزيدوا في قراه كل المزيد لانه فارس شديد وبطل عنيد وله الفروسية التي ما عليها مزيد ثم ان خالدا عاد الى أبيات وفي قلبه منها ألم كبير وحر أشد من نيران السعير * هذا وقد أقامت الجيداء في ضيافة خالد ابن عمها ثلاثة أيام وهو في كل يوم يأمر بالزيادة في اكرامها بما يقدر عليه من الانعام وهي في كل يوم تخرج الى الميدان ثم انها تطاعنه ويطاعنها بين الفرسان ولم يزالوا على ذلك الحال في كل يوم الى آخر النهار حين تولي الشمس بالاصفرار وتعود الجيداء وهي زائدة النشاط كثيرة الانبساط وهي مع ذلك لا تعرفه بنفسها وهو أيضا يكرمها ولا يعرفها وما تسمه

نفسه

نفسه أن يسألها عن حالها لما ينتظر من شجاعتها وبراعتها * هذا ولم يزالوا كذلك على ما هم عليه الى أن كان في اليوم الرابع فركب على ما جرت به العادة هو ومن معه من أكابر القوم وعبر على أبيات ضيافته بمن صحبه من الفرسان فرأى الجيداء قد ركبت وطلبت الميدان فسلم عليها فردت عليه السلام وحيته بأحسن التحية والاكرام فقال لها خالد يا أخا العرب اعلم أني أريد أن أسألك عن حالك وأي شيء معك الادب يحق من البسك ثياب الجمال ورزقك الصبر والجلد عند لقاء الفرسان في الحرب والقتال أخبرني من تكون أنت من الابطال والى من تنسب من الملوك والفرسان أصحاب المنازل العوال لانك قد أشغلت خاطري وبلبلت سرائري وحيرتني في امري (قال الراوي) فلما ان سمعت الجيداء من خالد ذلك المقال ونظرت الى ما صار فيه من ذلك الحال تبسمت عن ثغر ملآن بالدر المنظوم وقد كشفت عن وجه أحسن من القمر بين النجوم وقالت له يا خالد اعلم اني انا من جملة البنات ربات الجمال وما انا من الفرسان ولا من الاقران بل انا بنت عمك الجيداء التي أعرضت روحها لك بعد ان طال المدا فخلت عنها ولا أردتها وقد فوضت أمرها اليك فقلت أنا عندي ملاقاة الابطال ومعالجة الاقبال احب الي من معانقة النسوان ربات الحجال واني الى هاهنا قد جئت لاعرفك قدر المجال واجرعك كؤوس الوبال وأعرفك ان كل ما جئت فيه مزور ومحال (قال نجد) ثم انها ردت على وجهها النقاب بعد ما فرغت من ذلك الكلام وحركت عنان جوادها ورجعت الى ناحية بلادها وقومت بين اذان حصانها سنانها وقد بلغت بذلك ما املته من شانها * هذا وقد صار ابن عمها في امر ذي خلل وقد سارت وتركته حيران في امره لا يدري ما يفعل ولا يطيق دفع ما به نزل ونسي ما كان عليه من الفروسية وملاقاة الشجعان * هذا وقد انقلبت بغتة النسوان بمحبة وعشق وهيام وأخذه الزمع والرجفان وقد جرت دموعه على خديه وحس بأن الدنيا قد انطبقت عليه وسار لا يعرف ما بين يديه وقد غشي عليه (قال الاصمعي) ولما ان أفاق من غشيته ورأى نفسه انه قد تغير نظام حالته عاد راجعا الى حلته ودخل الى بيته وأعلم والدته وقد جرت دمعته واخبرها بما تم عليه من نوبته فقالت له امه لما سمعت ذلك المقال يا ولدي انك تستحق أكثر من ذلك الحال ويجب لها انها تفعل في حقك اكثر من تلك الفعال لانه قد قيل في الامثال من لم يسمع لمن هو أكبر منه خصوصا امه كثر همه وغمه فقال لها يا اماه انا اخطأت بما بدا مني من المقال واريد منك اصلاح الحال والامت من الشوق والبلبال فطيبت امه قلبه ووعدته بقضاء الاشغال ثم انها تجهزت من وقتها واساعتها وركبت على ظهر ناقتها وسارت وهي تقطع القيعان والفضا وخلفت ولدها على جمر الغضى (قال الراوي) وكانت الجيداء وصلت الى الاحياء واخبرت امها بما جرى بينها وبين خالد ابن عمها فاستعظمت أعمالها وبعد يومين وصلت ام خالد ودخلت على ام الجيداء بعد ان قطعت الفدافد واخبرتها بما حل بولدها وانها عليه قد زادت انكادها وطلبت من ام الجيداء الاتصال بينتها ورقت لها وطلبت خطبتها من أبيها اذا تدم من سفرته وكان الامير زاهر ابو الجيداء طالت غيبته فعند ذلك احضرت ام الجيداء ابنتها واخبرتها بخبر ابن عمها وعرفتها بما قدمت فيه ام خالد وتالت لابنتها يا بنتي بلغيه منك المنا فقالت الجيداء لا وحق من اوسع البيدا لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كؤوس الردا ولا كان ابنك لي بعلا ولا كنت له اهلا وانما فعلت تلك الفعال الا لاجل أني شفيت غليلي واطفأت نار قلبي وهان علي المطلوب وانفرجت عني الهموم والكروب وأنا في الاصل ما تعذبت عليه ولا اوصلت شرى اليه بل انا رغبت فيه وطلبت زواجه وقربه فما رضي بذلك فخلفته يقاسي الهم وحده وما بقي لي حاجة بقربه (قال الراوي) فلما ان سمعت ام الامير خالد من الجيداء هذا المقال ارتجعت في الحال خائبة مما املته ولم تزل سائرة الى ان وصلت الى حيها فدخلت على ابنها خالد واخبرته بما سمعت من الجيداء

فتجددت احزانه وتحدر دمعه وراته امه وهو على نيران الحريق كثير الوجد والقلق فقالت له يا ولدى مابقى لك من همك فرج ولا من هذا الضيق مخرج الا ان كنت تجمع فرسان العرب وكل من يريدك وبينك وبينه صداقة أو نسب وترصد عمك حتى يرجع من غارته ويقدم من سفرته وسرانت ومن معك اليه واخطب منه ابنته الجيداء وان انكرها عنك واخفاها منك فأطلعه على امرها واصدقه فى المقال وعرفه بما جرى لك ولها بين الفرسان والابطال وما فعلت معك فى الميدان بين الفرسان والشجعان وقد اتضح الحال وانقضت جميع الاشغال فقبل خالد ما قالته أمه وخمدت نيرانه وحرقته لما سمع ذلك المقال الذى نالته والتدبير الذى دبرته وصبر الامير خالد حتى بلغه الخبر أن عمه الامير زاهر قد رجع من سفرته وعاد الى أرضه وحلته فعند ذلك جمع الامير خالد أكابر عربه الامجاد ومشايخ القبيلة الاجواد وهم من بنى خثعم وزبيد ومراد وكانت هذه الثلاث قبائل كلها فى أرض واحدة ولكنهم على المناهل مبددة وهم أولاد عم لبعضهم البعض وكلهم نازلون فى تلك الارض (قال الراوى) ولما اجتمعوا اليه وحضروا بين يديه أخبرهم الامير خالد بقصته وسألهم فى معونته فتعجبوا مما جرى له فى نوبته فقال معد يكرب الزبيدى وهو قد تعجب كل العجب وكان من جملة رجال خالد فى الحرب وكان يشاكله فى الطعن والضرب وقال والله يا خالد ان هذا الحديث أعجب من كل العجب ولا سمع بمثله فى العجم ولا فى العرب لاننا كنا نسمع ان لعمك ولدا ذكر واسمه جودر والآن قد انكشف الامر وظهر وبان المكتوم واشتهر وانت أحق بابنة عمك من سائر البشر ومن الصواب أننا نسير اليه ونرده الى عشيرته ولا نتركه يغرب ابنته ويضيع حرمته ثم انهم ساروا اليه وكانوا مائة فارس اكابر ومعهم عشرة من مشايخ العشائر الذين هم من اقران الامير زاهر أبى الجيداء ومحارب أبو خالد ممن كان تربى معهم فى زمن الصبا وكان الامير خالد أخذ معه هدية سنيه مليحة بهيه أحسن من الهدية الاوليه ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البر والفدفد حتى قدموا على الامير زاهر عم الامير خالد فتعجب عمه زاهر من سرعة عودته ورأى مشايخ العشيرة فى صحبته فحار الامير زاهر فى قصته لانه ما كان يعلم بحال ابنته وظن ان القوم أتوا يترضونه والى عشيرته يردونه فتلقاهم أحسن ملتقى بالتعظيم والاكرام ونحر لهم النوق والاغنام وروح لهم الطعام وقدم لهم المدام وأقاموا فى ضيافته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع نهض الامير خالد على قدميه وقد شكر عمه واثنى عليه وخطب منه ابنته الجيداء وطلب منه العوده الى أرضه ودياره فأنكر عمه الامير زاهر ذلك وقال انى ليس لى ابنة أبدا الا ان كان ولدى جودر وقد عرف به كل من غاب وحضر (قال الراوى) فلما سمع الامير خالد من عمه ذلك الكلام شرع يحكى له أمر قصته وما جرى له من ابنته فطرق رأسه فى الارض متحيرا وصار متفكرا فى أمره متغيرا وبعد ذلك رفع رأسه وقال يا بنى الاعمام وحق البيت الحرام والركن والمقام ما ظننت بأن هذا الكلام يظهر ولا يعرفه أحد من البشر ولكن مابقى الا زواجها لابن عمها لانه من جميع الناس أحق بها ان شاءت او أبت ثم انه اعطاه يده على ذلك وزوجه بها وشهدت عليهم بذلك الفرسان وقد قطع المهر خمسمائة ناقة حمر الوبر وخمسمائة جمل محملة من ظرائف اليمن وقد شهد الناس على ذلك واستقر المهر على هذا الامر فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بنى سعد الذين كان نازلا عندهم الامير زاهر فانهم صاروا يتعجبون من ذلك الامر لانهم ما كانوا يظنون ان للامير زاهر الا ولدا ذكرا كما أنهم سابقا بالخبر فعند ذلك حاروا لما بان أمرها واشتهر سرها وأما الامير زاهر فقد استأذن فى ذلك ابنته فاستحيت أن ترد كلمته وعلمت ان أباها ما بقى يتركها بلا زواج بعد ان قالت له يا أبتاه انا ما أدخل على ابن عمى حتى يحضر لى الف جمل ليلة عرسى وألف ناقة فوائك وتكون كلها من أموال ملاعب الاسنة هشيم بن مالك فارس بنى عامر فخرج الامير زاهر وأعلم ابن أخيه

بذلك الخطاب فسمع وأجاب ورضى بتلك الاسباب ومازال المشايخ بالامير زاهر وأصحابه حتى رحل معهم بأموالهم وجميع متاعهم (قال الراوى) ولما حلوا فى الاوطان تجهز الامير خالد الى الغزو وأخذ معه الف فارس مثل الاسود العوابس وقصد بهم الى ديار بنى عامر ولما وصل اليهم قتل ابطالهم وجرح أقيالهم وأخذ من جمال ملاعب الاسنة ماسد البيداء وعاد وهو منصور على الاعداء مؤيدا بعد ما التقى بملاعب الاسنه وسطا عليه سطوة الجبابرة الذين لا يبالون بالعواقب وجرحه فى ثلاثة مواضع وعاد بأمواله ونوقه وجماله راجع وأخذ اكثر مما طلبت الجميداء منه وقد زال ما به من همه وغمه وبلغ قصده ومراده ولما وصلوا الى الحى خرج الى ملتقاه الكبار والصغار وما قر له قرار حتى طالب عمه بالزفاف فأعلم ابنته فجاءت الى خالد وقالت له يا ابن العم ان أردتنى لك أهلا وأنت تكون لى بعلا فانا أريد منك حرة من حرائر العرب ممن كان لهم حسب ونسب وتكون مكرمة من بنات أهل الرتب ذات عقل وأدب ويكون ابوها من الفرسان المشهوره أصحاب الغارات المذكوره حتى تقود بزمام جملى ليلة زفافى وجلوتى لأفتخر بذلك على بنات عشيرتى ويكون لى بذلك فخر على بنات العرب الاحرار (قال الراوى) فعند ذلك أجابها بالسمع والطاعه وكان ذلك من غير شناعه ثم انه تجهز من يومه وأخذ الف فارس من قومه ولم يزل يقطع الاودية والجبال حتى نزل على حلة معاوية بن النزال سيد هذه الاطلال فغار على حلته وقتل الابطال وسبى أميمة ابنته ورجع عاجلا الى حلته واستقر فى المنازل وافتخر على أهل سائر القبائل (قال) ولما حل فى الاحياء وهب الى الايتام والأرامل وأقام الفرح الكامل ودعا كل من كان له من الاصدقاء والعشائر وجمع فى عرسه الثلاث قبائل الخاص والعام واصطفت المولدات بالدفوف والمزاهر ووقعت البشائر فى الحلل والعشائر ولما قر بالامير خالد القرار دعا من له من الاهل والخلان والمعارف من جميع الآفاق وكل من له من الرفاق ونحر لهم الجمال والنياق وشاور عمه فى الزفاف فقال له ما بقى فى الامر خلاف فأعلم الامير زاهر بذلك زوجته وأمرها بأن تجهز ابنته فأرسلت الجميداء الى ابن عمها تقول له يا ابن العم أريد منك أن تصيد لى عشرين سبعا ولبوة من الجبال والدحال وتذبحهم وتصنعهم فى جملة الطعام ليكون لك بهذا افتخار على الخاص والعام وافتخر انا بك على سائر بنات العربان فلما سمع الامير خالد هذا الكلام أجاب بالسمع والطاعة ونهض من وقته وساعته وترك القوم مشتغلين بأكل الطعام وشرب المدام وصار يهجم على الدحال والآجام ويأخذ الاسود اقتناصا ويعود بها الى الخيام ويجلبها فى مكان حتى صاد خمسة عشر سبعا ولبوة وبقى عليه خمسة فعلمت ابنة عمه بذلك فغيرت زيها وخرجت للبر والآكام وركبت جوادا يسبق طير النعام وكان قد بقى لزفافها ثلاثة أيام ثم انها كمنت لخالد فى بعض الدحال التى يتصيد منها السباع والاشبال ولم تزل له فى الانتظار حتى أتى خالد لتلك القفار فعند ذلك خرجت الجميداء عليه وصوبت سنان رمحها اليه وغيرت صوتها وصاحت عليه وقالت انزل يا ابن اللخناء عن جوادك والا وضعت هذا الرمح فى فؤادك وأسقيتك كأس العطب وجعلتك مثلا بين العرب فعند ذلك حمل عليها خالد فلقته الجميداء وهجموا على بعضهم فى تلك الآفاق وهم على الخيول العتاق وتطاعنوا بالرماح الدقاق وتضاربوا بالسيوف الرقاق وجرى بينهم فى الحرب ما يحير عقول الحذاق فرأى خالد انه عن وليمته انعاق وان خصمه فارس لا يطاق فقال له يالك من شيطان وأسد غضبان ما أشد بأسك وما اقوى رأسك قطع الله عقبك ودق صلبك كما عوقنى عن مرادى وكدرت على عيشى وبلك اخبرنى من أنت لا كنت يا شيطان يا ابن الف شيطان فلا عمرت بك اوطان (قال الراوى) فلما سمعت الجميداء كلام ابن عمها كشفت عن وجهها لثامها وقالت له يا خالد من يكون مثلك يهجم على السباع فى الآجام ويتكلم بمثل هذا الكلام ويقوم مع طفلة

هذا المقام فما هذه صفة فارس همام فقال خالد وقد استحيا من بنت عمه لما سمع هذا الكلام وصار من الحياء كأنه ألجم بلجام وقال والله يا ابنة العم ما قدر أحد ان يثبت قدامي في الميدان الا أنت يا سيدة النسوان ومع ذلك فاي شئ الذي أوجب لك من خدرك هل أردت ان تعرفي قدري وتعايريني بذلك عند الخلوة والاجتماع فقالت الجيداء لا وحق ذمة العرب ما خرجت الا لاعينك على صيد السباع فتعجب خالد من ذلك الابقاع وتبسم من كلامها وتعجب من شدة بأسها ثم انهم دخلوا الى غابة كثيرة السباع فاصطادت الجيداء سبعا ولبوتين وفعلت ما يعجز عنه أهل المشرقين والمغربين ورجعت سلمتهم لخالد فهنأها بالسلامة وبلوغ المقاصد وقد زادت محبتهم لبعضهم بعض وسادوا على أهل الارض في طولها والعرض (قال الراوي) ولما سلمت الجيداء لخالد السباع قالت له أيها البطل الشجاع والقرم المناع لا تعد بعد هذا اليوم تخرج من الحي الا بعد زفافي عليك فأجابها بالسمع والطاعه ثم انها فارقته من تلك الساعه ودخلت الى بيت أمها وخدرها ولا أحد يعلم بحالها (قال) ولما أتى خالد ونظرت الفرسان الى فعاله زادت هيبته وارتفعت رتبته وعلت على جميع العربان كلمته ولما كان من الغد عمل خالد الولائم وذبح ألف ناقة وجمل وعشرين سبعا ولبوة وافتخر بهم في السهل والجبل وعزم العزائم وأشبع كل قاعد وقائم وحركت المولدات الدفوف والمزاهر واجتمعت القبائل والعشائر وخرجت البنات الابكار ورقصت جميع الجواري وظهر الاستبشار فلم يزالوا الى ان أمسى المساء وأظلم الليل بالاعتكار وزفت الجيداء على الامير خالد وكملت له جميع المحامد ونال الفخر بين الرجال وكان له سعد واقبال وضربت بهم الامثال وتحدث بأمرهم الابطال وما مضى عليهم غير ذلك العام حتى مات أبو الجيداء وشرب كاس الحمام وارتفع قدر الامير خالد والجيداء بين الانام وعلا ذكرهم في سائر البقاع وخافتهم الملوك وكل فارس شجاع وصارت تحمل اليهم الهدايا وخلافها من البلاد وفزع من هيبتهم كل جبار وارتاع وأمنت بهم كل البقاع وتحدث بحديثهم كل أحد وشاع ذكرهم في البر والفدفد وقصدتهم الشعراء والقصاد من كل مقصد * فهذا ما كان من خالد والجيداء (قال الراوي) وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه كما قدمنا سار قاصدا أرض بني زبيد وتلك الديار وشيبوب بين يديه يقطع القفار وعنتر يسلي نفسه بنشيد الاشعار ومازال سائرا يجد المدى الى ان قطع الارض والبيدا وتمكن في بعض الاودية وأرسل أخاه شيبوبا عند المساء حتى يأتيه بالاخبار فسار شيبوب المكنى بأبي رياح يكشف الاخبار ويبين الفساد من الصلاح فمضى الى الاطلال والديار وتحدث مع العبيد والاحرار وفهم منهم جميع الاخبار وصبر الى وقت الصباح وعاد الى أخيه مثل هبوب الرياح ومازال يقطع البطاح حتى صار قدام عنتر البطل الجراح وصار يقول أبشر يا ابن الام فسعادتك غلبت على كل شئ فقال عنتر وكيف ذلك يا أخي فقال شيبوب ان خالد بن مجارب عن الاوطان غائب في جميع فرسانه وتلك العشائر وما في الحي مقلف اكثر من مائة فارس مع الجيداء ابنته زاهر فقال عنتر وبلك يا شيبوب فبهذا أنال المطلوب ومع ذلك ما سألت اين سار خالد بن مجارب فقال شيبوب نعم يا ابن الام سألت عنه بعض العبيد فقال لي انه سار بعشرة آلاف فارس وطلب بهم الى حي بني عامر ومعه معد يكرب الزبيدي وقيس بن المكوشح المرادي وقد ترك خالد بنت عمه الجيداء في الحي مع مائة فارس لحماية الحريم والاولاد والجيداء يا أخي من كثرة شوقها الى خالد بن عمها لا تنام الليل بل انها تركب كل ليلة في عشرين فارس من الابطال الاشاوس وتفتقد المذاهب والطرقات وتعسف في البر والفلوات وما تعود الا عند الصباح خوفا منها على الحلة والنسوان أن يطرقهم بعض شياطين العربان أو نحوهم نوائب الزمان (قال الراوي) فلما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب انجلت عن قلبه الهموم والكروب وقال عنتر وحق علام الغيوب يا بني قد بلغت

المطلوب

المطلوب وفى هذه الليلة آخذ الجيدا وتصير فى يدى صيدا ولكن أريد منك يا ابن الام اذا وقعت بها ورأيتنى حملت عليها فسر أنت وامسك لى رأس الطريق على من معها من الفرسان حتى لا تهرب ويهرب معها انسان ويعود الى الحى ويقيم علينا الصياح فاذا جاز لك منهم فارس فبادر بضربه بنبلة فى فؤاده فاقتله أو افعل ماذكر بجواده وان فاتك أحد من تلك الابطال ومضى الى الحى ونفر علينا الرجال قطعت عينك بعد الشمال لانك انت يا اخى لى مساعد ومعين فقال شيوب اى وأبيك سوف ترى ما تقر به مقل عينيك ثم انهم لم يزالوا فى ذلك الكمين والى جهة ديار بنى زبيد ناظرين حتى مضى النهار بالانوار وأقبل الليل بالاعتكار فاذا بركض خيل الجماعة قد قلب الشرق والغرب وملأ الارض السفلى والجيداء قدامهم كالغمامة السودا وهى كأنها قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهى تمدح نفسها وتنشد وتقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

غبار الخيل فى البيداء صنعى * وطعن صدورها فى الحرب شغلى * وصيد الاسد فى الغابات نفر
وتعظيم لغيرى لا لمثلى * لانى كل يوم فى فلاها * أروع ليوثها بفراق شبل
وما التأنيث عيب فى فتاة * تلاقى فى الكريهة ألف بطل * فمن يسطو علىّ اذا رآنى
أخوض الليل فى وعر وسهل * وقد شهدت رماح الخط انى * أزيد أنا على من كان قبلى
حويت الفخر دون الناس وحدى * باقدامى وأقوالى وفعلى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر شعرها ونظمها وفهم كلامها قال لاخيه شيوب هذا وقتك يا ابن السوداء خذ أنت على القوم جانب البيداء حتى أهجم انا على الجيدا وآخذها وتصير فى يدى صيدا فعند ذلك أطلق شيوب قدميه وسعى على الارض برجليه فحاز الفرسان كلهم وسار من جانب أرضهم وامسك عليهم الطريق فى مكان مضيق * هذا وعنتر قد أطلق العنان وقوم السنان حتى تارب الفرسان وزعق زعقة الاسد الغضبان وحمل على الجيداء ومد الى نحوها السنان وكانت لما سمعت صوته ونظرت صورته سارت اليه على حسن زعقته فطلبها عنتر ودهمها وفاجأها ثم انه طعن جوادها فقتله فوقعت من أعلاه فتركها عنتر مشغولة بنفسها فى تلك الفلاه وقد سل سيفه المضىء فى سواد الليل وأنزل بقومها الذل والويل ومال عليهم كل الميل وفى دون ساعة أنزل بهم الوساوس وقتل منهم اثنى عشر فارس وعوّلت الثمانية الاخرى على الهرب فتلقاهم شيوب بنبال العطب وناداهم الى اين يا اندال العرب ثم انه ضرب الاول فشك النبلة فى فؤاده وضرب الثانى فشكها فى فخذه مع جنب جواده والثالث أعدمه أهله وأولاده والرابع قطع عنه مراده وترك عنتر على الاربعة الأخر فقتلهم فى مثل لمح البصر وترك رؤسهم تتطاير ما انفلت من القوم نفر (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء وما تم عليهم من الردا * وأما ما كان من الجيدا فانها لما وقعت الى الارض غشى عليها ساعة زمانية فلما أفاقت نظرت يمينا وشمالا فما رأت حولها أحدا من الرجال فعند ذلك جردت حسامها وهرولت طالبة الهرب وهى من هول الوقعة مدهشة ولا تعرف من فعل بها هذه القضيه * قال فما بعدت فى البر حتى نظرت خيل أصحابها وهى خالية من ركابها فعلمت بأنه حصل لقومها سبب من الاسباب فضنت وركبت بعض الخيل وأطلقت العنان تطلب الحمى فى سواد الليل ولم تزل سائرة فى الليل المعتكر حتى انها وقعت ثانى مرة بعنتر لانه كما ذكرنا كان عنتر وشيوب قد أمسكا الطريق وكان عنتر فى ذلك الوقت يحدث أخاه شيوب بسبب الجيداء ويقول له أدركها قبل أن تهرب وتوسع فى البيداء وتركب من بعض الخيول الشارده ونعود معها فى القتال والمعانده (قال الراوى) وكانت الجيداء سمعت من عنتر هذا الكلام فحققت انه هو الذى فعل معها هذه الافعال وأهلك من معها من الابطال فعند ذلك زعقت عليه وقالت له هيهات هيهات والندم على ما فات يا كلب

العرب والباديه وأخس الرجال الطاغيه قد خاب والله أملك من الجيدا وقد عادت اليك تسقيك
كأس الردا وتجعلك فى هذا البر ممددا ولولا هجمتك على حين غفلة بانسل الاوغاد وطعنتك للجواد
لكان طال عليك ان ترانى ممددة على المهاد ولكن هذا كله بقضاء رب العباد ثم انها أظهرت له العزم
وقوة الجلد وصرخت له صرخة الاسد وقد هجمت على عنتر فى الظلام وطلبته بالحسام وتصادما أشد
صدام وقد اشتد وزاد بينهما القتال وتزلزلت الارض بالزلزال وقد تحللت منهما الاوصال وخذلت
المناكب والاكتاف وأيقن كل واحد بالتلاف هذا كله يجرى وشيبوب يرقب الفلاه وهو حافظ أخاه
ومن ناحية الحلة يرعاه ويدور حوله من كل جانب ويرقب البر فى ظلمة الغياهب خوفا عليه ان تدركه
الخيل على حين غفله وتأتى اليه الفرسان من الحله * هذا والجيداء قد كلت من الكفاح وقد خففت من
الصياح وأثخنت بالجراح مما كان حل بها من تلك الوقعه وهى بحالة الفجعه ولكنها صارت تظهر
الصبر والجلد وتخفى العجز والكمد وتريد ان تقتل ولا تسلم نفسها من شدة عزيمتها وقوة همتها
الى أن أشرق ضوء الصباح وكان عنتر يريد أسرها وذلها وقهرها وبعد ذلك هجم عليها هجمة الاسود
الكواسر حتى حل الركاب بالركاب وقبض على أطواق درعها وعصر بيده على خناقها فكادت ان
تطلع أحداقها ثم انه رجلها عن ظهر الجواد ونال منها المراد ثم انه ضربها بالسيف صفحا على راسها
فكادت ان تخمد أنفاسها وأيقنت بالتلاف وقد أداربيها للكتاف وشد منها الاطراف وما فرغ
الحرب والكفاح حتى انفجر ضوء الصباح فعند ذلك قال له أخوه شيبوب اعزم بنا يا ابن الام على
المسير قبل ان يتعالى النهار ودعنا نبعد فى البر والقفار فقال عنتر وكيف هذا العمل نرجع وما
معنا ناقة ولا جمل ونترك أموال هذه الحله ونجعل لنا سفرة ثانية لعرس عبله ولكن اصبر حتى
نسرح الاموال ونأخذ منها حاجتنا ونعود ونكون قد بلغنا المقصود ثم انه صبر حتى انبسطت الشمس
فى الصحراء وخرجت المواشى تسعى طالبة المرعى فدخل فيها عنتر بعد ان أبعدت عن الاحياء وساق
منها ثلاثة آلاف ناقة وجمل برعاتها وترك الضرب فى اقفية العبيد حماتها وأمر أخاه شيبوب ان يسوقها
ويرعاها ووقف عنتر حامية لها يرد من يتبع أثرها (قال الراوى) وكان قد انهزم باقى العبيد وعادوا
الى الحى وألقوا فيه الصياح ونادوا بالويل والاتراح وقالوا أموالكم ساقها فارس وراجل فعند ذلك
ركبت الفرسان على ظهور الخيل الصواهل وقالوا للعبيد أين الجيداء لبوة البيداء فقالوا أما الجيداء
فقد ساقها فارس اسود أغبر كأنه الموت اذا تصور بعد ما قتل الفرسان وأباد جميع الشجعان وقتل
جماعة من العبيد الرعيان بحسام هندوان وهو واقف ينتظر من يسير اليه يحاربه ويقاتله ونقول انه
ربما كان قتل الجيداء وتركها طريحة فى البيداء فقال لهم فارس بنى زبيد الاكابر وكان يقال له
الامير جابر يا ولد الزنا ونسل الاندال فما هذا الحديث وأى شئ هذا المقال ومن يقدر يقاوم الجيداء
فوحق ذمة العرب الاماجد لو وقعت الجيداء بجيش متزايد لما تركت أن يصل البنا منهم واحد وما هى
الا قد أوسعت فى البرية تطلب الصيد والقنص وتريد ان تنتهب الفرص ولكن من الصواب انا نتركب
ونكفيها هذا الامر ونطفئ هذا الشر ثم انهم أطلقوا الاعنه وقوموا الاسنه متتابعين لبعضهم البعض
وساروا فى تلك الارض طولا وعرض وهم طالبون لعنتر أسد العرين ومازالوا سائرين حتى أشرفوا
عليه فى البر منقطعين من عشرة وعشرين فرأوا عنترا وهو واقف بجواده مشتملا بآلة حربه وجلاده
متكئا على رمحه يحدق اليهم بالنظر ويشتاق لحربهم كما تشتاق الارض الى أوائل المطر (قال الراوى)
ولما وصلوا اليه صاحوا عليه وقالوا له من أنت أيها الساعى الى هلاكه برجليه والقائد بزمام المنية
اليه فلم يرد عليهم جواب ولا أبدى لهم خطاب بل قلع رمحه من التراب وتلقى به صدورهم وأجرى

الدماء

الدماء من نحورهم وكان الكل كما ذكرنا ثمانين فارسا صنديد ومعهم طائفة من العبيد ولكن أين الثريا من الثرى وأين المدن من القرى وأين الثعالب من أسد الشرى لان عنترا الاسد الرئبال كان وحده يلقى ألوفا وصفوف ويسقيهم كأس الحتوف ويجندل الابطال ويفرقهم يمينا وشمال ولا يبالى بهم فى القتال فكيف يثبت بين يديه ثمانون فارس قشعم ومالهم رئيس ولا مقدم فمال عليهم أبو الفوارس عنتر فى ذلك المهمه فما تعالى النهار حتى مدد أكثرهم على الرمال وأنزل بهم الويل والبوار وولى الباقون من هيبته وطلبوا الفرار فتركهم وعاد على أثر أخيه شيبوب خوفا عليه والدماء تسيل من منكبيه فبينما هو كذلك وهو يقطع الارض والقفار واذا بغبار من قدامه قد ثار وقد جميع الاقطار وعلا كأنه البحر العجاج وارتفع فى الجو وماج وكثرت فيه الامواج فقال عنتر فى نفسه جاءت عساكر القوم واليوم يبطل العتب واللوم (قال الراوى) ثم ان عنترا أطلق العنان وقوم السنان حتى يكشف الخبر واذا بأخيه شيبوب راجع على الاثر حتى بقى بين يدى أخيه عنتر فلما رآه عنتر زعق عليه وقال له ويلك ياشيبوب ما هذا الحال ومالك تركت الجيداء والمال وأتيت الى نحوى هاربا يا ابن الاندال فقال شيبوب يا ابن الام أشغلنى عنهم هذا الغبار الذى من امامنا قد ثار واعلم ان الرعيان الذين كانوا معى لما رأوا هذا الغبار طلبونى وحملوا علىّ وأرادا ان يقتلونى وصاروا يقولون أين تذهبون يا نسل الكواذب وقد أتتكم فرساننا الاناجب ومعهم الامير خالد بن محارب ودارت بى العبيد من كل جانب وتقدموا الىّ وأرادوا القبض علىّ فتباعدت عنهم وصرت بالنبال ارميهم حتى قتلت منهم ثلاثه وقد انزلت بهم الشماته ولكن خفت ان اشتغل بالباقين فنهلك اجمعين لان هذا الغبار يدل على عسكر جرار وأنت فى هذه البلاد فارس واحد فقال عنتر ويلك يا ابن الملعونة أتيت من فزعك من الحرب والقتال وتركت الجيداء والاموال وهربت الى نحوى يا ابن الاندال فوحق رب البشر لا رينك اليوم حر بايحير الفكر (قال الراوى) ثم ان عنتر أطلق عنان جواده الابجر وقوم فى يده الرديني الاسمر حتى أشرف على المال وعاين النوق والجمال فنظر العبيد قد حملوا أميرتهم الجيداء وهم متفرقون فى أقطار البيداء وهم ينادون يا آل زبيد يا آل مراد أدركونا وخلصونا من هؤلاء الاوغاد (قال) وهذا الجيداء على ظهر الجواد وقد عظم عليها الامر وزاد وهى لا تأمر ولا تنهى لانها خالية من السلاح موثقة بالجراح فلما نظر عنتر اليها والى ذلك الخبر صاح على العبيد وقال لهم يا أولاد اللئام مالكم أنتم بكثرة الكلام اتركوا الفضول وسوقوا هذه الجمال والخيول والا تركت كلا منكم مقتول ثم انه طعن عبدا من العبيد فأطلع أمعاه وزعق فيهم وطعن ثانيا فأعدمه الحياه والثالث على الارض رماه والرابع ألحقه برفقاه والخامس غرقه فى دماه والسادس أورثه الفناء فلما رأى العبيد الى ذلك الحال أعجلوا وساقوا المال وهم ينادون الامان الامان ياسيد الفرسان من سيفك والسنان وأما الجيداء فانها لما رأت تلك الفعال هربت وساقت الجواد الى نحو هذا الغبار تطلب منه معونة وأنصار فتبعها عنتر الاسد الفرار والبطل الكرار وعول على ان يخوض ذلك الغبار والعسكر الجرار الذى هو مثل البحر العباب وهو كأنه العقاب * هذا والجيداء قد قربت من ذلك الغبار ودنت منهم يا أخيار واذا بذلك العسكر فرسان وأى فرسان وهم ينادون بفصاحة اللسان يا لعبس يا لعدنان دونك يا أبا الفوارس خصمك فمن أجل اعانتك أتينا الى هذا المكان (قال الراوى) وكان هذا الجيش والفرسان من بنى عبس وعدنان والمقدم عليهم الملك زهير وأولاده وفرسانه وأجناده وكان السبب فى مجيئهم الامير شاس وأخاه مالك لانهم لما افتقدوا عنترا فما وجدوه كما ذكرنا فى مبدا الكلام تنغص عيشهم لفقد عنتر وتنكدوا وتكدر وسألوا أباعبلة مالكا فما أعطاهم خبر فضاقت صدورهم غاية الضيق ووجدوا فى قلوبهم لفراق عنتر نارا الحريق

فدخلوا على أبيهم الملك زهير واخبروه بما جرى فضاق صدر الملك زهير لذلك غاية الضيق واحترق على عنتر وغيابه بتحقيق (قال الراوى) ثم ان الملك زهير اطلب شداد أباعنتر وسأله عنه فما أنبأه بخبر بل انه قال له يا مولاى اعلم ان ولدى عنتر ما عاد يطلعنى على خبر ولا جلبة أثر وانما تملكه اخى مالك دونى لاجل محبته الى عبلة ابنته وانا اعلم انه لا يزل يحتال عليه حتى يهلكه وقد تحيرت فى امرى وسلبت ولدى فقال الملك زهير وحق ذمة العرب لئن قتل عنتر أوتم عليه من الامور أمر لاصلبن مالكا وولده عمرو وأشوبهم فوق الجمر ولكن يا أمير شداد مرادى منك انك تكشف عن خبر ولدك أنت بنفسك حتى نعلم أين سار ونسير كنا خلفه ونقتفى منه الآثار ونجده بالعساكر والابطال ولا يشتفى فيه أبو عبلة والربيع ابناء الانذال فعند ذلك أجاب الامير شداد بالسمع والطاعة وارتجع من عند الملك زهير ورصد أخاه مالكا حتى خلت منه الديار فعند ذلك أنفذ زبيبة أم عنتر الى عبلة تكشف لهم الخبر فسارت زبيبة وسألت عبلة عن ولدها عنتر فأعادت عبلة عليها الخبر وأخبرتها كيف سار فى طلب الجيداء والنوق والجمال لاجل الوليمة (قال الراوى) وما كانت عبلة تتكتم شيأ عن زبيبة من الاسرار ولا جلية الاخبار فلما سمعت زبيبة من عبلة ذلك الكلام السداد رجعت الى مولاها الامير شداد وأعلمته بما جرى من الحديث والايراد فقام من وقته وساعته ودخل على الملك زهير وقد أنبأه بالامر الذى قد تم على عنتر وما عليه مالك دبر ثم قال وقد أعلمتنا عبلة أنه قد سار فى طلب الجيداء بنت زاهر وابن عمها خالد بن محارب الاسد الكاسر فان عبلة يا ملك قد طلبت منه ان الجيداء تقود بزمام ناقتها ليلة زفافها وجلوتها وقد حلف لها عنتر أنه يأتى بالجيداء بتمام خلقتها ورأس خالد بن محارب معلقة فى رأس ناقتها وينهب بنى خثعم وزبيد ومرادو يأتى بأموالهم ويجعله فى عرسها ووليمتها وأنا أقسم بحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء وحق شهر رجب وذمة العرب أنا أعلم وأتحقق ان كل ذلك من تدبير الربيع بن زياد ومكر أخى مالك بن قراد فقال الملك زهير قاتل الله أخاك مالك لانه قد رمى عنترا فى هذه المهالك لما كشف عنا النوائب والتنكيد فقاتل الله أخاك مالك كما رماه فى بنى زبيد فقال شاس بن زهير وحق ذمة العرب لافصل هذا الامر غيرى ولابد أن أسير فى طلب عنتر وأساعده بكل ما عليه أقدر وآخذ معى رجالا لا يفوتها الفوت ولا تخاف من الموت وان رأيته قتل فى مقام الحرب أو جندل اخذت ثاره وكشفت عنه عاره وقتلت قاتله وانزلت به ذله محقه وأجازى عمه بما يستحقه واصلب ابنه عمرا الى جانبه وان كان عنتر سالما من الاذى كنت له الفدا فقال الملك زهير أتسير وحدك يا ولدى فقال شاس نعم أسير فى بعض رجالى الذين هم أهل الهمة ودولتى وأبطالى فقال الملك زهير وأنا اسير معك بكل من هنا من عسكرى وجندى ونسير كلنا فى طلب عنتر الذى يصبر من أجلنا على الشدائد والضرر (قال الراوى) ثم ان الملك زهيرا أمر عبيده ان تعلم بالركوب الفرسان وأن يأخذوا أهبتهم بالمسير الى ديار بنى زبيد الشجعان ففعلت العبيد ما قال وأعلموا الفرسان والابطال فتجهزوا وهيئوا مالهم من الاشغال ولما كان من الغد ركب الملك زهير وركبت أولاده واعتدت فرسانه وأجناده ونشرت على رأسه راية الحرب وملأ بنو عبس الشرق والغرب وتأهبوا للطعن والضرب وهم غائصون فى الحديد والزرد النضيد (قال الراوى) وهو الاصمعى وكان بنو عبس أربعة آلاف فارس ما بين مدرع ولابس فأخذ الملك زهير منهم فى هذه الركبة ثلاثة آلاف من الاقيال وترك فى الحى ألف فارس من الابطال لحفظ المال والعيال وترك عندهم ورقة وقواه بمن بقى معه (قال) ولما هم الملك زهير بالمسير تقدم اليه مالك ابو عبلة وقال له أيها الملك ما هذا الانزعاج وهذه الهمه والى أين عزمت هذه العزمه فقال له الملك زهير انى سائر الى هذه العقدة التى عقدتها حتى نحلها ونكرم حرمتك ونجلها وهذا كله من اجلك يا كلب يا شيخ الضلال

يا مشؤم

يلمشؤم الناصية والخصال الى كم تكذب فى المقال وتشهد على نفسك بنفسك بالزور والمحال وتحمل عنترا من النوائب أحوال واحمالا لاتحملها الجبال وترميه فى المصائب والاهوال ثم انه اخبره بالحال فقال مالك أبو عبلة أيها السيد المفضال هذا الامر ما كان منى ولا سمعت به الا فى هذه الايام وعزمت من أجل ذلك أن أضرب رقبة ابنتى بالحسام لان النسوان لعين بعقلها حتى قالت ذلك المقال وأحوجت ابن عمها عنترا ان يفعل تلك الفعال ورمته الى المصايب والاهوال فقال الامير شاس وحق ذمة العرب الكرام لقد كذبت يا مالك فى هذا الكلام وان ابنتك عبلة لاتهتدى الى ذلك المرام وأنا اقسم بالله العظيم وزمزم والحطيم ولاهبة والدى وخاطر عنتر لضربت رقبتك بهذا الحسام الذكر ولكن وحق البيت العتيق والركن الوثيق لئن تبعتنا فى طريق لأذيقنك كؤس الحمام لانك عدو وما انت صديق ثم ان الامير شاس رفع يده وصفع مالكا بالسوط على اكتافه حتى الهب قلبه واشرف على اتلافه وكذلك الملك زهير ردّ الربيع بن زياد وما ترك معه منهم بشر لعلمه أنهم يبغضون عنتر وقال الملك زهير لبنى زياد أقيموا أنتم عند ولدى ورقة فى الحى من اجل حفظ المال والحريم والاولاد لاننا لا نأمن على الحلة من الاعداء والحساد (قال الراوى) وبعد ذلك سار الملك زهير بمن معه يقطعون الارض والبيد طالبين ديار بنى زبيد وارتجع الربيع واخوه عمارة ومالك أبو عبلة ابن قراد وعادوا الى الاحياء وتلك البلاد وفى قلوبهم الحرارة والاحقاد ولكن أكثرهم ابو عبلة مالك بن قراد فانه رجع وهو ضيق الانفاس لاجل ما جرى عليه وما قاسى من الامير شاس وكيف بهدله وهتك حرمته بين الناس فصار مالك أبو عبلة يقول للربيع بن زياد والله يا ابن العم ما بقى لى فى هذه الديار قعود ولا بد لى من الرحيل الى بلاد الشام وأعبد الاصنام مع الازلام ولا اكون عند أقوام أهان عندهم واضام وكل هذا الذى جرى من العناد والحنا من أجل هذا العبد عنتر ابن الزنا فقال عمارة بن زياد ابن الاندال وحق الكعبة الغراء وابى قبيس وحراء ان صنعنا بجلود الجمال عند اقل الرجال احسن من تلك الفعال فقال الربيع والله يا اخى ان الملك زهير ما فعل معنا تلك الفعال الا لاجل عنتر ابن الاندال ولكن نحن نرحل عنه وعن حيه ونبعد فى البر الاقفر ونترك ارض الشربة وتلك البلدان ونسكن لاجل الملك زهير وعنتر فى بعض الوديان وننظر كيف يندم الملك زهير وعنتر اذا زلت به القدم واصبح غارقا فى بحر العدم قال جهينة الخبر اليقين ثم ان الربيع وعمارة وطائفة بنى زياد وعمرا أخا عبلة وأباه مالك بن قراد جعوا أيهم على الرحيل من ارض الشربة والعناد وان يسيروا وينزلوا فى بعض البلاد ثم انهم فى الوقت والحال هدوا خيامهم وقوى على الرحيل اهتمامهم وأمروا عبيدهم ان يشدوا الرحال ويسوقوا الجمال فاركبوا الحريم والعيال على الهوادج العوال وساقت العبيد بين أيديهم الاموال (قال الراوى) وما أمسى المساء الا والقوم على ظاهر الخيام وقد رحل معهم سبعمائة بيت من الحلة بأموالهم وحريمهم وعيالهم لان الربيع كانت كلمته مسموعه وهو شيخ من مشايخ بنى عبس واخوته سبعة من الامراء يقارنون الملك زهير فى النسب لا فى الفضل والأدب وكان لهم الشورة فى العرب وقد رحل مالك بن قراد بعبلة ابنته وأمواله ونعمته وكل من يلوذ به وفى صحبته ورحل معهم الامير عروة بن الورد برجاله المائة فارس الذين هم من بنى عبس الاشاوس وهم فرسان بنى عبس وصناديدها وأبطالها وأماجيدها لانهم كانوا فرسانا عظام وهم الذين كان يتقوى بهم الملك زهير على بلوغ المرام ولكن كان ذلك من قبل أن يظهر عنتر البطل الضرغام فلما ظهر عنتر ما بقى لهم ذكر يذكر ولا شجاعة تؤثر ثم ان النكل تبعوا رأى الربيع بن زياد وهو قد سار ذلك اليوم وقد تبعه الاجناد (قال الراوى) فلما سار وافى البر الاقفر والمهمه الاغبر أخذ الربيع فى المشوره هو وكل من عنده مخبره فقال مالك أبو عبلة ما لنا أطيب من

د بار بني عامر وننزل على الامير خالد بن جعفر وغشم بن مالك الملقب بلاعب الاسنه ورداد الأعنه
ونكون في جوارهم لان القوم كثيرون في العدد زائدون في المدد مثل موج البحر اذا ازبد ونقيم عندهم
في غزالي الأبد فقال الربيع المرتاب هذا الرأي ماهو صواب ولا هو الامعاب عند جميع الاعراب
والرأي الصواب أننا ما ننزل على أحد من العشائر لابني كلاب ولا عامر ولا غيرهم من الاكابر لاننا
سبعمائة بيت يخرج منهم سبعمائة فارس من الابطال القناعس وهيبتنا عظيمه وسطوتنا جسيمه فالمراد
أننا ننزل على بعض الاحياء والمناهل ونقيم في تلك الارض والفلاة حتى نسمع خبر عنتر ومايتم له مع الجبداء
من العبر ومايكون له مع الامير خالد بن محارب ونعلم ان كان سالما أم عاطب فان كان يسلم ويعود الى
أرض بني عبس ويقدم فقبائل العرب بين أيدينا كثيرة فعند ذلك نرحل لأي قبيلة أردنا ونقيم عندهم
ونكون قد بلغنا المنا وان كان عنتر قد قتل وشرب كؤس المصائب وصار لروحه ذاهب فأنا أعلم أن الملك
زهير لابد أن يركب بقومه ويجيء الينا ويصالحنا بعد أن يقبل أيادينا وارجلينا حتى نعود الى أوطاننا
وحمانا ويبقى دائما يتلقانا ويطلب رضانا لاجل أن نعاونه ونحفظ مراعيه وموضعه وأكثر ظني ان عنترا
مابقي يسلم بل انه يقتل ويعدم فقال عمارة الصقيع بشرت بالخير ياأخي يا ربيع فوحق ذمة العرب
ان أصابت عنترا مصيبة أو بلى ببليه لادفعن نصف مالي الى الكعبة العليه وكل من بشرني بموته وهبته
ناقة رباعيه (قال الراوي) فلما سمع القوم ذلك الكلام جعوا رأيهم على ماقال الربيع من الرأي
السديد والتدبير الحميد ثم انهم ساروا مجدين حتى انهم وصلوا الى منزلة بين جبلين تسميهما العرب ذات
الخليفين وكان وادياً مليح ومكاناً طيباً فسيح فنزلوا هناك ونزل الربيع ومن معه فيه وسرحوا جمالهم
وخيولهم في نواحيه وأقاموا على ذلك المنوال وقد أمنوا من غدرات الزمان والايام والليال وقرت بهم القرار
وفرحوا ببعدهم عن الديار (قال الراوي) فهذا ما جرى لهؤلاء من الامور والاحوال وأما ما كان من
الملك زهير ومن معه من الرجال فانه لم يزل سائراً بمن معه من الرجال والابطال في ذلك الجيش الجرار حتى
اشرف على عنتر هو والجبداء وشيبوب وهو في تلك البيداء والقفار والجبداء كما ذكرنا قد هربت
قدامه وطلبت الغبار تطلب منه حمية وانصار فلمارات العسكر وهم مقبلون من ناحية بني عبس وذلك
البر الاقفر علمت وتحققت انهم نجدة لعنتر فعند ذلك سلمت روحها اليه وطلبت منه الذمام بأنه لا يقتلها
ولا يسقيها كأس الحمام فأعطاها الذمام على نفسها ولكن اوثق كافها وقوى شدادها وبعد ذلك سعى
الى خدمة الملك زهير وأولاده وقدس بقدومهم قلبه وفؤاده وقبل الارض قدامهم وبادر الى اكرامهم
وقال له أيها الملك السعيد ماسبب تعبك وانزعاجك فلا أعدمني الله همتك وبارك الرب القديم فيك
ورعى مروءتك وسلمت أنت وذريتك فقال الملك زهير سبب قدومنا ياهذا الفارس الغضنفر والبطل
الممارس القسور مسيرك الى هذه الديار وحدك ومامعك أحد من جندك وأيضا فمثلك لا يفرط فيه
ولا يضيع حقه ولو انك كنت قبل مسيرك أعلمتنا وعلى هذه الاحوال أطلعتنا ما كنا أحوجناك الى هذا
الحال ولا تركناك تفعل تلك الافعال وكنا أبطلنا على عملك حيلته وتدبيره وعملنا نحن برأي غيره
وأوصلنا المسرة اليك وزفينا تعب عملك عليك وكان من الواجب يا أبا الفوارس أن تشاورنا وعلى
أحوالك وفعالك تطلعنا ولا تشغل بنيتك خاطرنا فقال عنتر أيها الملك وحق نعمتك التي ما أجد لها
مكافاه ولا أقدر لها على مجازاه انني ما ألقي روحي للامور الثقال الا لاجل ان لا أترك لعمي على ملاما
ولا مقال لان قيدي في رجلي ثقيل شديد ولا أقدر أن أفعل الا مايريد وكل أحد يلقى بغيه قريبا كان
أو بعيد فان ابنته طلبت مني أمرا هينا مافيه تنكيد وها أنا قد قضيته بهمتي ونلت ما أريد وأخذت
الجبداء على رغم الاعداء والحساد وشفيت الغليل والفؤاد ثم انه عاد الى شاس ومالك وخدمهما

وشكرهما

وشكرهما على ذلك ثم عاد الى أبيه شداد وقبل يد عمه زخمة الجواد فعند ذلك هنوه بالسلامه وحدثوه بحديث عمه مالك وكيف أعقبه ذلك الفعل ندامه وبعد ذلك سألوه عن حاله وما لاقى فى أرض بنى زبيد وما جرى له فى ذلك القفر والبيد فقال لهم يا موالى ما كانت الاسفرة محمودة العاقبة بسعادتكم وسعادة الملك زهير والاصل انى لما أتيت الى هذه الديار ورأيتم اخالية من الفرسان والاجناد فعلت ما فعلت وبلغت المراد وملكت الجيداء التى هى غاية الآمال ولو كان معى خمسون فارسا كنت سقت أموال الثلاث قبائل والآن قد تيسر الامر بقدومكم وما ضاع تعبكم وسوف تجازون خيرا فى يومكم فانزلوا بنا حتى نستريح ويستريح مولاى الملك زهير جزاه الرب القديم كل خير ونسير ونحن الى هذه القبائل ونسوق سائر أموالهم ونأتى بنوقهم وجمالهم لان مقدمهم خالد بن محارب سار هو وفرسانه الى بنى عامر واتكل بعد مسيره على الجيداء ابنة زاهر وما علم انها تقع فى مخالب الاسد الكاسر الذى له كل يوم فى الحرب رحيات دوائر تتلاطم بشفار السيوف البواتر (قال الراوى) فعند ذلك نزل الملك زهير وقد ضربت له الخيام واركزت له الاعلام وسارت خيله وأجناده وغابوا تلك الليلة وعادوا ومعهم أموال ونساق قد سدت الآفاق وعبيد قد ملأت الصحراء لا تكاد ان تساق وكان الملك زهير أوصاهم ان لا يسبوا الحريم ولا البنات وأن لا يسوقوا العبيد ولا ينبشوا الاموات كما أمره عنتر صاحب العزمات فلما رأى الملك زهير الى ذلك المال وكثرة الايثار لحقه من ذلك الفرح والاستبشار وقال والله ما عنتر الا رجل مسعود وما يقاومه أحد الا مات وهو مكمود (قال الراوى) ثم انهم أقاموا فى ذلك المكان ثلاثة أيام وهم ينحرون الثور والاغنام وفى اليوم الرابع رحلوا يطلبون الديار والى جانب الملك زهير عنتر يحادثه ويناشده الاشعار * هذا والجيداء معهم فى الهودج على بعض الجمال وزمام البعير فى يد عنتر وأولاد الملك زهير مستبشرون بتلك الفعال ومازالوا سائرين على هذا الحال حتى بقى بينهم وبين أرضهم مقدار يومين أو ثلاث ليال فأشرفوا على مرجع واسع وقفر شاسع وهو كثير الغدران والمنابع يصلح للحرب والقتال والطعن والنزال فقال الملك زهير هذا المكان يصلح للاكل والشرب فى جانبه مع الندماء والخلان فقال عنتر لا والله يا ملك الزمان ما يصلح لاكل ولا لشرب ولا لصيد غزلان هذا ما يصلح الا للحرب والطعان وملاقاة الفرسان لان من حب شيأ أكثر من ذكراه ولا يعشق الا اياه لانه قد هان عندى هذا الحال وبقى عندى مثل شرب الماء الزلال ثم أنشد وقال هذه الابيات صلوا على سيدا السادات

أسمعانى تحمحم الصافنات * فمحالى بموقف السادات * وبخورى من العجاج وطيبى
بحدوق الدروع والمرهفات * وأنا عنتر الفوارس حقا * عزماتى تدرى لدى الكائنات
انما غيتى حسامى ورمحى * ثم خوض العجاج بالهمات * وأكيد الشجاع من غير ضرب
اى ولا أنثنى عن المعضلات * لا يغرنك لبس شهم حديدا * ثم من تحتها قلوب البنات
فوحق الحطيم والبيت جمعا * وبحج الحجاج فى عرفات * وبحق المقام والركن جمعا
وصفاء ومروة الخيرات * وبحق الذى أمات وأحيا * خالق الخلق غافر الزلات
لست أنبو من موقف الحرب حتى * يعزلوا الى الاكفان قبل الممات * وأبيدن كل ليث كمى
عند خوض العجاج فى الحملات * ثم أفرى لكل ندل نظام * مرهف الحد كامل فى الصفات
وهناك الفخار يا بنت عمى * قد عينى من عذل كل الوشاة * ما نخار الفتى بكاسات خمر
دائرات فى مجلس السادات * انما الفخر فى الثبات لحرب * يوم جذب الصوارم المرهفات
ذاك يوم اذا افتخرت لقومى * كان فعلى موافقا لصفاتى * كل من قال ان جدى فلان

وأبى سيد من السادات * ذاك بين الانام شخص ذليل * وجبان لا يلتقى المعضلات
أنا نجمى أبى وجدى حسامى * وخليلى مهرى وعزمى ثباتى * انى عنتر وقومى عبس
وأبى الشهم صاحب الوقعات * همتى همة الليوث واعلى * ثم لا أنثنى عن المكرمات
لولا أترك الحروب دواما * واعتمادى على مفيض الهبات

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من عنتر هذه الابيات انذهل من كلامه ونثره نظامه وقال لله درك يا فارس الخيل وشديد العزم والحيل ثم انهم نزلوا فى ذلك المكان ساعة من ساعات الزمان وبعد ذلك ركبوا وساروا يقطعون الارض والقفار فبينما هم كذلك واذا هم بغبار قد ثار وعلا حتى سد الاقطار والارض قد تدكدكت وتكدرت أنوارها وتعلقت وبانت أسنة رماح ولمعات سلاح واذا تحت الغبار نداء وصياح وبكاء ونواح قد أقلق الارض والبطاح فقال الملك زهير يا أبا الفوارس ما هذا الامر فقد أتى الحرب كما قد طلبت من المحارب ولا شك أن هذا جيش خالد بن محارب والسبى الذى معهم لا شك أنه من بنى عامر وما بقى لنا غير الصبر والضرب بالسيوف البواتر والهجوم على هذه الاسود الكوامر التى قد أهلكت فرسان بنى عامر وبنى كلاب وبنى مراد وفيهم ملاعب الأسنة غشم بن مالك والاحوص ابن جعفر والربيع بن عقيل ومن لهم من الفرسان الاجواد وما بقى لنا غير أننا نشد منازل الافتخار ما توالى الليل والنهار (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام تبسم وقال أيها الملك الهمام والبطل الضرغام لا يضيق صدرك ولا يهتم فكرك فكأنك بالفرسان بين يديك تساق وهم فى الذل والوثاق فقال له أولاد الملك زهير ومن حوله من الابطال ونحن ما فينا من يتأخر عن القتال ولو مالت علينا الجبال فى صور الرجال (قال) ثم انهم ردوا الخيل الى ناحية الغبار وقد كتفوا العبيد الغرباء الذين سبوهم من تلك الديار ووكلوا بهم عشرة من الرجال الاخيار حتى لا يشغلوا قلوبهم وقت الحرب والقتال ثم انهم صفوا الرجال يمينا وشمال وقد تقدم عنتر بين الفرسان لينتظر الضرب والطعان وقد تأهب سائر الشجعان (قال نجد) وكان هذا الجيش الذى أقبل من بنى زبيد والمقدم عليهم خالد بن محارب الاسد الواثب وهو فى خلق كثير وجمع غزير والسبب فى ذلك انه كان طلب دار بنى عامر وهو فى خمسة آلاف فارس من بنى مراد وخثعم وزبيد وكلهم أبطال صناديد مسربلون بالحديد متقمصون بالزرد النضيد يقدمهم خالد بن محارب الزبيدى وقيس بن مكوشح المرادى ومعد يكرب فارس الخيل وخائض الليل ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين الى أن وصلوا الى دار بنى عامر وكلاب فوجدوهم قد سمعوا بأخبارهم وقد ومهم عليهم فتحصنوا فى الشعاب وكل هذا من تدبير ملاعب الاسنة غشم بن مالك لانه كان قد وقع فى قلبه أمر متدارك من خالد بن محارب وذلك من النوبة التى كان جرحه فيها خالد وأخذ من أمواله فجعل ملاعب الاسنة عليه العيون والارصاد من بعض رجاله وكان أيضا يرسل العبيد جواسيس الى أرضه وبلاده يقتفوا ما كان لهم من الاخبار وجعل يحذر منهم الليل والنهار فلما ان طرق خالد فى هذه النوبة ديارهم بهذه القبائل رآهم محترزين لانفسهم فما نال منهم نائل وما أمكنه المقام مع من معه من تلك الجحافل بل انه استشار فيما يفعل رجلا شيخا من الكبار وكان كثير المعرفة ورأيه كله مسدد يقال له الليث بن معد فقال له يا خالد ان أردت انك تبطل هذا المذبان وتطلب الخيرات الحسان فعليك ببنى عبس وعدنان فانك ان قصدتهما فقد أغنيت قومك مدا الازمان لانهم أكثر العرب مالا وأحسنهم حالا (قال الراوى) فلما سمع خالد منه ذلك الكلام رجع من تلك الارض التى بها ملاعب الاسنة حتى وصل الى ذات الخليفين وهو الموضع الذى نزل فيه الربيع بن زياد وعمارة القواد وعروة ابن الورد ورجاله الاجواد فلما قاربوا ذلك المكان تعجب خالد من ذلك الامر والشان وقال لمعد يكرب

يا

يا ابن العم هذا الموضع طرقته جملة مرار فما كنت أرى فيه ديارا ولا نافخ نار وأنا أشتهي وأريد أن أعرف من سكنه الآن من السكان ومن الذين هم نازلون في هذا المكان من فرسان الانام (قال نجد) فبينما خالد ومعديكرب في الكلام واذا بنو عبس قد ركبت والخيل طلبت وهي تريد القتال والحرب والنزال وهم تنادون يا لعبس يا لعدنان وفي أوائلهم الربيع بن زياد ومالك بن قراد وعمارة القواد وعروة بن الورد ومن معهم من الرجال الاجواد (قال الراوي) فلما سمع خالد بن محارب ذلك النداء زعق على الفرسان والشجعان فحملت على بني عبس وعدنان فتلاقى كل من الطائفتين ووقع بينهم الضرب والطعان وبنو عبس قد بذلوا المجهود وكاخوامكاخة الاسود وجددوا القتال والطعان والنزال ووقع بينهم طعن يقرب الآجال الا أن العدد عليهم كثير والجمع غزير وما زالوا على ذلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال ودخل الليل الغالس حتى هلك من بني عبس مائة فارس وقد أخذوا الباقي في الاسر والاعتقال ونهبوا الاموال وسبوا العيال وقد علا منهم البكاء والانين والاشتكاء وقد كثر منهم النحيب والتناد خصوصا تعداد عبلة ابنة مالك بن قراد لانها قد بان لها في ذلك الوقت والحال ان جميع ما فعله أبوها كله محال وما فعل تلك الفعال الا ومراده هلاك عنتر وايقاعه في الوبال وقد وقعت في أشراك النكال (قال الراوي) ومن حين نزل القوم في ذلك المكان ما شبعت عبلة بطعام ولا التذت بمنام وذلك انها لما سمعت ان أباها أراد أن يزوجها بعمارة ابن الاوغاد صارت تكثر من البكاء والتعداد فلما حصلت هذه الواقعة وقد أسر أبوها وعمروا خوها والربيع بن زياد وعمارة القواد فوجدت بذلك راحة عظيمة مدة كونهم سائرين في البر الاقفر وجعلت لا تذكر احدا من أهلها طول السفر فازداد غيظهم عليها وكان خالد قد نظر اليها لما أركبوها على الجمل وقد قلعوا الخيام والمضارب فرآها أعظم النساء حرقة وأكثرهن مشقة فسأل خالد بعض الرجال المأسورين عن أحوالها وقال لهم من تكون هذه النائحة فاخبره عن ذلك بعض المأسورين وكان ذلك الرجل لعنتر من المبغضين فأخبر خالدا عن حاله وأن عنترا قد سار في طلب الجيداء ليأتيها بها تخدمها لليلة عرسها ثم ان ذلك الرجل قال ومن أجلها وقعنا في هذه المصايب وكان السبب يا مولاي في تلك النوائب ان الملك زهير جرد علينا وعلى أبيها مالك وسار على أثر ابن عمها عنتر فزعا عليه من بأسك أنت وفرسانك فاختلفت العشيرة لاجل ذلك وسار بنا هذا الرجل الربيع الى هنا فوقعت أنت بنا وهذا ما جرى لنا ثم انه أخبره بالقصة من أولها الى آخرها حتى كأنه كان حاضرها وناظرها (قال الراوي) فلما سمع خالد من الرجل العبسي ذلك الكلام قامت عيناه في أم رأسه ولم يكد يعرف ما بين يديه فقال لذلك الرجل يا ويلك وهل الملك زهير هذه الساعة في ديارنا فقال له نعم وأخبرك أيضا ان أموال بني عبس سائبة في الديار وما فيها غير ورقة بن الملك زهير في ثلاثمائة لاغير والجميع من الشباب (قال الراوي) فلما سمع خالد من الرجل ذلك الكلام تعجب ونادى باللعرب وحق من في علم غيبه قد احتجب ان هذا الحديث يجب أن يؤرخ ويكتب لما فيه من العجب ثم انه تقرب الى عبلة وقال لها يا لحناء كل هذا من تحت رأسك ثم انه لطمها على رأسها وعلى وجهها وقال لها والله ما تركتك الا خادمة لبنت عمي كما تركت غيرك وأفرج بذلك غمي وهمي فلما سمعت عبلة ذلك القول ورأت نفسها قد أهينت قالت واويلاه هكذا تفعل بالحرائر يا خالد والله يا ولد الزنا لو أن عنترا رآك لقطع يمينك وأطال تعذيبك ولكن ستعلم اذا جمعتك المقادير أنت واياه في الميدان ففي ذلك الوقت ترى ما يحل بك من الهوان وأما قولك انك تجعلني خادمة لبنت عمك فسوف ترى من تخدم صاحبتها وترى ذلك رؤية عيان (قال) ولما رأت نفسها في الاهانة صارت تبكي وتنتحب وتعدد كما جرت عادة النساء بالشعر والندب وهي تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

الدهر للشخص دلاوب يدوربه * ومانجافيه انسان من الوصب * والدهر فيه حلاوات تسر بها
وبعد ذاك مرارة من العطب * وماصفا لامرئ يوما بشربه * الاوجر عه الاحزان للحرب
فليت شعرى ترى أحبابنا علموا * بمادها نامن الكربات والنوب * ياليت عنترة الفرسان ينظرنى
وما أقاسيه من هم ومن وصب * فكان يكشف مابى ثم ينجدنى * بصارم كضرام النار ذى لهب
حتى ترى عبلة للخيل شاردة * يردى فوارسها بالسمر والقضب
لابد من ساعة ترجى فوائدها * والصبر عند البلا من خير مكتسب

(قال الراوى) ولما فرغت عبلة من شعرها وسمع خالد ما نطقت به من نظمها قال لها يا خناء ان جمعنا الله أنا واياه بلغت المنا من هذا العبد ولد الزنا وأقطع راسه وأخمد انفاسه وأعلقها فى رقبة بعيرك وازيد فى همك وتعيرك وأما أنت فقد وقعت فى يدى فآخذك واجعلك من قسمى وتكونين خادمة للجيداء ابنة عمى كما جعلت سواك لها خادمة ولابد ان تنظرى ذلك بالعيان اذا حل بك همك وغمك فقالت له عبلة يا خالد اعلم ان ابن عمى ما مضى الا فى هذه الحاجة التى قلتها وستبصر من مناتكون خادمة للاخرى واى رأس تعلق فى بعيرها (قال) فلما سمع خالد مقالها عرض عنها ثم انه اقبل على ابن عمه معد يكرب وقال له يا ابن العم اعلم ان الملك زهير قد سار الى ديارنا وما فى حلته الا ولده ورقة فى نفر قليل والجميع لايدفعون عن انفسهم فسر انت اليهم ببعض هذا الجيش الى ديار بنى عبس واسب كل من فيها وانزل بهم النعس والنكس ولاتدع احدا من السادات ولا من العبيد والحفنى حين اسيرا نا الى الملك زهير وافصل هذه النوبة واقوده هو ومن معه قود البعير واتركه فى أبياتى يطحن الحنطة والشعير وان قاتلنى قطعت راسه بهذا الحسام فقبل معد يكرب مقاله وأخذ معه ألف فارس همام وسار يقطع الفيافى ويجد السير ولا يأخذه هدو ولا قرار مما فى قلبه من شعل النار لاجل ما سمع من تلك الاخبار وقد جد فى سيره الليل والنهار (قال الراوى) فهذا ما كان من معد يكرب وأما ما كان من أمر خالد بن محارب وخبره فانه بعد سفر معد يكرب سار طالبا الملك زهير وكلما تذكر قول مالك لابن أخيه عنتر ما أزف ابتنى عليك الاوالجيداء قائدة بزمامها بتقدم الى مالك ويصفعه بالسوط على اكتافه وأجنابه وكذلك ولده عمرو وهما موثقان باكتافهما وعمارة يرى ذلك الامر المذموم ويحسب لهم كل أمر مشؤوم وكان الربيع قد جرح ثلاث جراحات فى ظهره وهو مشغول بنفسه عن غيره لانه قاتل قتالا عظيما حتى انه يقوم بناصر من تبعه ويكون أمره معهم مستقيما وما سلم نفسه حتى انه أشرف على التلاف وكذلك عروة بن الورد تخضب بدمائه وقد نوى فى نفسه انه فى بقية عمره ما بقى يتبع بنى زياد وكان كلما سمع صياح مالك بن قراد وخالد بن محارب يزيد عليه بالضرب والتهديد يقول هذا جزاء من يزوج ابنته كل يوم بزوج جديد فيكفيه ما حل به من العذاب الشديد ولم يزل خالد يضرب مالكا بأعبله حتى أنزل جلده وشفى غله وبعد ذلك سار يطلب أرضه ودياره خوفا على بنت عمه الجيدا ئلا يعتريها عنتر ويذيقها أسباب الردا وسار يقطع عرض البيدا وكلما طال عليه المدا يتسلى بانشاد الاشعار وهو سائر فى البرارى والقفار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

جلبت الخيل شعثا كالسعالى * عليها المدرعون من الرجال * عليها كل جبار عنيد
شديد البطش فى يوم القتال * فدست بها بلاد بنى كلاب * وعامر ثم أرض بنى هلال
فولوا عنى اقبالى وفروا * فرار الوحش من أسد الذحال * وباتوا فى الظلام يرون شخصى
ويستخفون منى فى الجبال * وعبس قد أتيناهم نهارا * رددناهم باطراف العوالى
أسرت سراتهم وتركت منهم * على الخلجان أجسادا بوالى * فكم من كاعب خود أراحت

تسيل

تسيل الدمع من عين الغزال * تنادى من جواها يا لعبس * أجيرونى وعبس فى خبال
وقد أخبرت ان زهير أسرى * البنا فى العبيد وفى الموالى * وساقته المنية نحو أرضى
نساؤهم وتفوق على الرجال * فان كان الذى أخبرت حقا * فقد باع الحقيقة بالمحال
وسوف يبين فى يوم التلاقى * من المغبون فى كسب المعالى * بكفى تضحك البيض المواضى
وتبكى بالدما سمر العوالى * ملأت مسامع الابطال خوفا * فضل الناس فى قيل وقال
وبات الخصم عند سماع ذكرى * يرى فى النوم طيفا من خيالى * فان طال الزمان وعدت يوما
أخذت هجين عبس فى الجبال * ولولا الخوف والعدوان حقا * من الله المهيمن ذى الجلال
لقلت أنا بان الارض جمعا * تقلبها يمينى أو شمالى

(قال الراوى) فلما فرغ خالد من هذا النظام سار يقطع البرارى والاكام ومازال يجد السير حتى التقى بفرسان بنى عبس كما ذكرنا وضجت الطائفتان عند الملتقى حتى اهتزت الجبال قلقا وهربت الوحوش من الخوف فرقا وكان أشدهم صياحا وأعظمهم نواحا طائفة بنى عبس المسبية لانها كانت أشرفت على الهلاك والافتضاح فسمعت أبطال بنى عبس ذلك فعلا منهم الصياح وقالوا والله ان هذه الاصوات أصوات عبسية وما هى عادية فقال عنتر صدقتم يا بنى الاعمام فهذا صوت عبلة وسبا يا العبسيات وضجيج البنات والمولدات فقال الملك زهير لعنتر أنفذ لنا شيبوب يكشف الخبر فقال عنتر تقدم يا أبا رياح الى هؤلاء القوم واسألهم عن أحوالهم ومن أين يكون هذا السبى الذى وصل اليهم فعند ذلك انطلق شيبوب كأنه الريح الهبوب فأبصر خالدا نفراده عن قومه فقال لبنى عمه ان الملك زهيرا أنفذ رجلا من أصحابه يطلب منى الذمام والامان ويسألنى فى ترك الحريم والنسوان وأنا وحق ذمة العرب ما أسمع منه كلاما ولا أجيبه الى ما يريد ولا بد لى من قلع أثر هذه القبيلة قريبا وبعيد وكل من أسرته منهم جعلته لى من جملة العبيد ولكن قلبى مشغول على ابنة عمى الجيداء لانى ما سمعت لها خبر ولا جلية أثر ولا أدرى كيف تمكن عنتر من الاموال والعيال وهى حاضرة فى الاطلال وما أقول الا انها كانت مشغولة بصيد السباع فى الدحال ثم انه قال لبعض فرسانه تقدم الى هذا الرجل واسمع منه ما يقول فانى أرى الشر بين عينيه يلوح وهو كأنه الذئب الجروح واسأله عن الجيداء ان كان عندهم منها خبر فانى خائف عليها من غدرات الزمان وأخشى أن تكون أسيرة أو قتيلة لان هؤلاء ما أخذوا هذه الاموال والنعم الا وبنت عمى الجيداء فى حالة العدم واحرص على نفسك لا يعدمنك هذا العبسى روحك ويسكنك رمسك ويرمى رأسك وتبقى أسيرا وقتيلا وتصير عندهم رهينا وأنا أعلمك ايضا هذا بالذى خطر ببالى وهو انى سأضرب رقاب الاسارى وبعد ذلك ألتقى ببنى عبس وأبليهم بالنعس والنكس وأقرضهم اشد قرض وأتركهم مطروحين على وجه الارض (قال الراوى) فلما سمع الرجل الزبيدى ذلك الكلام خرج وسار الى أن التقى مع شيبوب فى نصف الطريق وقد بدأه بالكلام وقال له من أين أنت أيها الساعى الى الهلاك بنفسه الطالب لفراق الفه القائد بزمام عدم التوفيق حتى قطع الطريق قل ما بدا لك وأخبرنى بحالك قبل أن أقطع أوصالك فقال شيبوب انزل عن حصانك والزم عنانك وامسك لسانك والا أعدمك أهلك وخلانك وتأدب فى كلامك يا وجه بنى زبيد فما لك حاجة بهذا التهديد لان هذا الفعل لا بد لنا منه وهو بين أيدينا ولا بد أن نصل اليكم ونصلوا الينا أوضح لى من أنتم من الناس ومن أين هذا السبى الذى معكم ومن هو المقدم عليكم بأفصح خطاب وأسرع بردا الجواب فقال له الفارس الزبيدى يا نسل الاندال اعلم أننا بنو زبيد الابطال والمقدم علينا الفارس الغالب والبطل المضارب المشهور بالامير خالد بن محارب فقال شيبوب الصنديد أهلا ومرحبا بكم يا بنى زبيد لكم والله

مع أعظم البشارات وما أتيت اليكم الا مبشرا ومحذرا ومستخبرا فقال الزبيدى ياولد الزنا بماذا أتيت تبشرنا ومن أى شئ تحذرنا وعن ماذا تستخبرنا فقال له شيبوب والله يا ابن الاندال ان لم تحسن المقال وتكن مؤدبا فى السؤال والا سقيتك كؤس الوبال بفرد نبلة من هذه النبال ويلك اسمع أما بشارتى فبأننا غزونا حللكم وأطلالكم وخربنا داركم ونهبنا عبيدكم وأموالكم ولكن عفونا عن نسائكم وعيالكم وصغاركم وأطفالكم وأما تحذيرى فمن هؤلاء الابطال العبسة والفرسان العدنانيه الذين رماحهم أنفذ من رسل المنية والحمام وسيوفهم أقطع من حوادث الليالى والايام وأما استخبارى عن هذا السبى والحريم الذين معكم من أين وصل اليكم وقد كنتم فى ديار بنى عامر وكلاب وها أنا قد أوضحت لك الخطاب وأسألك عن رد الجواب فقال الزبيدى أما استخبارك عن السبى الذى أتانا بلا تعب فهو انصاف من الزمان لسيدنا خالد بن محارب مالك رقاب العربان وسيد سادات بنى قحطان وأوحد العصر والاوان ثم انه حدثه بما اتفق لهم من الاحوال وكيف تحصنت بنو عامر فى الجبال وكيف أشار عليهم ذلك الرجل القرنان بأن يغيروا على ديار بنى عبس وعدنان وكيف وقع الاتفاق بين الربيع بن زياد ومالك بن قراد وهم نازلون بأرض ذات الخليجين وكيف أسروهم وسبوا النسوان وعبلة معهم وكيف ان خالد أنفذ معد يكرب الزبيدى الى دياركم ومعه ألف فارس وحلف أنه ما عاد يبقى على وجه الارض عبسيا تطلع عليه الشمس وبعد ذلك أريد أن أسألك عن الجيداء ابنة زاهر هل هى معكم فى هذه العساكر قال شيبوب اعلم بأنها معنا أسيره وفى بدنها جراحات كثيرة فقال الزبيدى ويلك ومن أسرها فى المجال قال شيبوب أسرها الاسد الريال الذى لا يبالى بلقاء الفرسان والابطال ولا يخاف من الشجعان وهو الحامى لنا فى كل مكان ومن تخضع له فى الحرب الابطال والفرسان وهو الذى يكشف عنا الشدائد ويضرم نار حرب الاوابد فارس الجلاد وسيد الابطال الشداد وحية بطن الواد الاسمر عنتر ابن شداد وما طرق دياركم الا وحده ومعه أخوه شيبوب يخدمه حتى انه يجعل الجيداء خادمة لبنت عمه ثم ان شيبوبا أعلمه بما جرى من الاخبار فى تلك الارض والديار (قال الراوى) فلما سمع الرجل الزبيدى من شيبوب هذا الكلام حلت به السقام ورجع طالبا أصحابه وقد ساق جواده وارتجع شيبوب الى بنى عبس يخبرهم وقد زاد ارتيابه وعاد كل منهم طالبا قومه وأصحابه يحكى لهم بما تم على قومه من ذلك الكرب فكان السابق شيبوبا وهو باكى العين حزين القلب حتى بقى قدام بنى عبس وهو بحالة التعس والنكس وهو يصيح الجمل الجمل الدار الدار لاخذ الثار وكشف العار فقد دهيتم يا بنى عبس الاجواد فى الحريم والنساء والاولاد فاطلبوا الحرب والجلاد ثم انه تقدم بين أيادى الملك زهير وأولاده وعنتر وأجناده وأنشد وقال صلوا على من ضمن الغزال

دهيتم يا بنى عبس فثوروا * فان ربوعكم أضحت خلاء * تجر العاصفات بها ذيولا
فلا تلقى بها الا ثراء * وفيها الغول يعوى ثم يسرى * بترحال وابرام ضياء
وما تخشى بها من سهم رام * وقد تركوا بلاقعها خلاء * وساقوا المال والاولاد جمعا
وابلوا من عتوهم النساء * أباحوا أهلكم قتلا ونهبا * وقد هتكوا بجورهم الاماء
زبيد قد دهوكم فى رجال * كأسد الغاب لا تخشى اللقاء * وقد نهبوا الديار وقد أتوكم
وبعد الاهل قد طلبت فناء * بارماح مقومة عوالى * واشطان تسوق لها البلاء
فلو عاينتم النسوان حقا * أسيرات يكابدن العناء * وهاهم فى الفلا لهم ضجيج
وقد أكثرن للذل البكاء * فدونكموا خذ الثار منهم * أزيلوا عنكمو هذا البلاء
أعنتر لو رأيت عبيل تبكى * وتعلن من مصيبتها النداء * وقد دار النساء بها حيارى
واكثرن

وأكثرن البكاء والاشتكاء * فلو عاينتها والدمع يجرى * يسيل الثوب منها والرداء
وعبسلة بينهم كالشمس تجلى * محاسنها كبدر قد أضاء * فدونكم القتال وكاخوهم
وعانوهم صباحا ومساء * دهاكم ذا العدو كما فعلتم * فواحدة بواحدة جزاء

(قال الراوى) ثم ان شيبوبا أعاد عليهم جميع ماوصل اليهم فلما سمع بنو عبس وعدنان ما أخبرهم به شيبوب صاحوا وبكوا وأنوا واشتكوا ودقوا على صدورهم وندبوا عظم أمورهم وأما عنترفانه كاد أن يقع من على ظهر جواده الابحر ولكنه فرح بما قدتم على بنى زياد وعمه مالك بن قراد وعلم أن بغيهم هو الذى رماهم وان الزمان بسهمه الصائب قد أرداهم وفاجاهم الا انه صعب عليه سبى عبلة وحقق انها من أجلها كانت هذه الغلة وقد غدر به عمه ومكر بخل به القضاء والقدر ولكن لاجل عبلة يكون المصطبر وأجمل الصبر ولو كان به الخطر (قال الاصمعى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الفارس الزبيدى فانه لما وصل الى أهله وناسه شق أثوابه وحثا التراب على راسه وصار يدعو بالويل والثبور وعظائم الامور * قال ولما وصل الى قدام الامير خالد بن محارب وأبطال بنى زبيد سألوه عن خاله وما سمع من الفارس الذى كان أمامه فجعل يخبرهم بما جرى على قومهم بالشعر وهو يقول

الا يا آل مذحج قد دهيتم * وعبس قد أتوكم بالعوالى * على خيل مضمرة كرام
تطير بهم وتحمل كالشعال * وساقوا المال جمعا لم يخلوا * برسم الدار الا كل بالى
وليس بها سوى الارياح تسعى * وآثار الطلول مع الرمال * واهلوها ينادوا هل مجير
لمن أرمى بطارقة الليالى * سبوا أهليكمو ياقوم جهرا * وقد تركوا النساء بسوء حال
فهل من راحم يرثى لقوم * أصيبوا فى النساء وفى الرجال * فثوروا آل مذحج واستديروا
فانى صادق فى ذا المقال * فهل عيش بطيب وهل رقاد * وقد أضحت منازلكم خوالى
أخالد لو رأت عيناك جيدا * وأدمعها تحادر كاللآلى * تنادى يا ابن عمى ما ترانى
أتاد مع الاعادى فى الجبال * فبادر أيها الضرغام واسقى * حدود البيض منهم والنصال
فان الموت اطيب من حياة * تنال بها المذمة فى الرجال

(قال الراوى) فلما سمع خالد وبنو زبيد تلك الابيات زادت بهم البليات وثارت فى رؤسهم النخوات وعاد خالد وهو غائب عن الموجودات وخرجت من مناخيره الدما وحل به الويل والعمى لما سمع من الرجل هذا المقال مما حل بقومه وبنت عمه من تلك الافعال فأمر بنى زبيد بالتأهب للحرب والقتال فعند ذلك ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول واعتقلوا بالرماح الذبول وقد هدروا كما تهدر السباع فى الآجام وسلت السيوف فى ايديهم وتقدم كل فارس همام وتأخر الجبان وعول على الانهزام * هذا ونساء بنى عبس صائحات وزعقت الاماء والمولدات وتصارخت الصبيان والبنات * هذا وقد فعلت بنو عبس مثل ما فعلوا وعولوا على خلاص الاموال والنوق والجمال والاماء والعبيد والعيال ثم انهم طلبوا الكفاح ولم يتركوا ما لهم وعيالهم للعرب تباح وطلعت القساطل وهربت الوحوش من عظم الزلازل فعند ذلك التقت الطائفتان وتقابلت الفئتان فالتفت الملك زهير لعنتر وقال له يا با الفوارس ما هذا اليوم عبوس اغبر مما يصير فيه من الهم والفكر فقال له عنتر وعز حياتك يا مولاى ان الآجال لا تنقص ولا تزيد وانا لمثل هذا كنت أشتهى وأريد واذا كان أجل الانسان مديد ما تقطع فيه السيوف الحديد ويا سيدى ما نفع سيف اتقلد به عاتقى ولا اضرب به عدوى اورمح اطعن به ولا أقتل به الرجال اوحصان أركبه ولا احمل به على الابطال وهؤلاء القوم يا مولاى أخذوا أموالنا وسبوا عيالنا وأنا أعلم انها عارية عندهم وسترد لنا ولابد ان أستردها منهم بضرب السيف وطعن السنان ولو أن معهم كسرى أنوشروان أو

قيصر ملك عبدة الصلبان وما خلت أحدا منهم ينفذ من هذا المكان ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

اذا قنع الفتى بلذيذ عيش * وكان له سجاف كالبنات * ولم يهجم على الاسد الضوارى
ولم يطعن صدور الصافنات * ولم يقرا السيوف اذا أتوه * ويحمى قومه بالمرهفات
ولم يكسب بضرب السيف مجدا * ولم يك سائلا فى النائبات * ويحمى حومة الجيران جهدا
ويروى الرمح من دم كل عاتى * فقل للناعيات اذا نعوه * ألا أقصرن باذا الناعيات
ولا تندبن الا ليث غاب * هماما فى الحروب الثائرات * دعونى فى الحروب اذا ألاقى
جميع الحاسدين من العداة * واضرب بالحسام اذا تدانت * رجال الحرب تصرخ بالكمات
لعمرى ما الغنى فى كسب مال * ولا يدعى الغنى من السراة * بلى من كان يقرى الضيف يوما
ويطعن بالرماح الذابلات * ويهجم فى الحروب ولا يبالى * ويضرب بالسيوف القاطعات
فهذا الذكر باق ليس يفنى * مدا الايام من ماض وآتى * ويذكر فى المجامع كل وقت
على طول الحياة الى الممات * وانى سوف أحمى اليوم جهدى * لقومى من خطوب هائلات
وأطلق مالنا منهم بعزم * يهد قوى الجبال الراسيات * ولم اترك عبيلة فى حماهم
تنادى عنترا فانظر صفاتى * واطلق سبينا منهم بسيف * بقد البيض من فوق الكمات

وانى عنتر قد شاع ذكرى * بضرب السيف ثم المكرمات
وصلى الله ربى كل وقت * على طه المشفع فى العصاة

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من عنتر ذلك الكلام قال له لا فض فوك ولا عاش من يحفوك فهذا ما كان من بنى عبس وأحوالهم (وأما ما كان) من بنى زبيد وما جرى لهم فان خالد ما نظر الى بنى عبس وقد غاصوا فى الحديد وتدرعوا بالزرد النضيد هنالك صرخ فى بنى زبيد وقال لهم دونكم يا بنى عمى والقتال والطعن والنزال وكونوا ثابتين ولا تعطوا الاهمال وأى شخص منكم وقع بعبسى فانه يقتله وكل من كسب شيأ فهو له ثم انه أكب رأسه فى قربوس سرجه وحمل وفعلت بنو زبيد مثل ما فعل فهنالك تلقتهم بنو عبس وقد غاصوا فى الحديد والزرد النضيد والتقى الجيشان واصطدم العسكران وفى عاجل الحال اتصل بينهم القتال وعملت النصال وطعنت الرجال بالرماح الطوال وفى دون ساعة صار الغبار ضبابا والقتال عجابا واختلطت المواكب اختلاط البحر اذا كان عبابا وعلا النجيج حتى صمت الاسماع وما بقى أحد يرد جوابا وهاجت الوحوش فى الاقطار وملأت الارض والقفار ووقعت ضربات السيوف خطأ وصوابا وقطعت جماجم ورقابا ونهبت الارواح وسلبت النفوس استلابا وأمطرت السماء عليهم عجائب وعذابا وعجلت لهم مصائب الايام عقابا وشابت الرجال بعدما كانت شبابا وسقاهم كأس الموت من المنايا شرابا وحكم عليهم القضاء والقدر فما اخطأ بل أصابا (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى حرب وقتال وطعن ونزال يهتز له الراسيات العوال وترعد من زلزلته تلك الارض والجبال وبقى الجميع فى أسوا حال وأقبح بال وتراكم أهوال * هذا والشباب شابت والخيل فى الدماء خاضت والرقاب طارت والسيوف جارت والرماح فى الاجساد غارت والدنيا أظلمت والغبار خيم والقيامة قامت والرجال الى الحرب هامت وأجساد القتلى فى الدماء عامت * هذا وعنترة هائج فى المعمعه وكل من لقيه ضعضعه حتى خافت منه جميع الابطال وتجنبته الرجال وهو هائج كالموج فى الجمال ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وما أمسى المساء حتى قتل عنتر منهم ثلاثمائة فارس من فرسان بنى زبيد ومراد ومددهم على الارض والمهاد وكان

قتاله

قتاله فى ذلك اليوم فى الناحية التى فيها عبله لاجل ما فى قلبه من الدبله وقد ظن بذلك انه يصل الى خلاصها فما وصل ولا قدر فى ذلك اليوم على ذلك العمل لان من دونها رجالا وأى رجال برماح طوال وسيوف صقال فما نال من خلاصها منال ولا أشفى غليل الفؤاد ولا بلغ المراد وأما خالد بن محارب فانه كان أشد وأقوى مضارب أدهش بفعاله النواظر وحير الخواطر وكان قتال خالد كما كان قتال عنتر من ناحية السبى ليخلص ابنة عمه الجيداء من أسر الاعداء وكان يقول فى نفسه انه اذا حمل لا يقدر أن يقف قدامه بطل ويظن ان أهل الارض كلهم فى قبضته والجبال تهتز من هيبته فرأى فرسان بنى عبس خلاف ما كان فى نفسه وما كان يقتل فارسا من بنى عبس حتى كان يتعب معه ويرى منه ما يروعه وعند المساء وقع خالد فى الموكب الكبير الذى فيه الملك زهير ففرقه ومزقه وسطا عليه واحرقه وجرح الامير شاس بن الملك زهير وأخاه مالك وجرع الفرسان كأس المهالك فنظر الملك زهير الى هذه الاقدار تخل به الاضرار من جهة أولاده الاخيار ورأى من خالد ما حير النظار فخاف منه ان يفرق الابطال وينزل بهم الدمار ولم يأخذه على ذلك قرار ولم يجد له اصطبار فحمل على خالد بن محارب حملة مثل النار وطلبه تحت الغبار لان الملك زهير كان بطلا مغوارا وفارسا جبارا لا يسطلى له بنار ومازال معه حتى تصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار وهجمت على غياهب الدجا جيوش الاعتكار فعند ذلك عاد الجيشان عن القتال وافترقت يمينا وشمال والدم قد جرى وسال وقد امتلأت بالقتلى عرصات المجال ﴿قال الراوى﴾ ولما استقر بهم القرار حدث الملك زهير لعنتر بما شاهد ونظر من الاخبار وأخبره بخبر خالد بن محارب وما كان له معه من الاحوال والعجائب وكيف جرح الامير شاسا وما لكا أخاه فصعب على عنتر ذلك الحال فقال وحق مالك الممالك لابد ان أسقى خالدا كؤس المهالك وما أشغلنى عنه الا طلبى خلاص عبلة ابنة مالك لاننى قد اشتغل قلبى بها عن القتال والا فما كان طال عليه المطال ولا امكنه ان يفعل تلك الفعال وفى غد اغدو أول ما أبرز الى القتال أدعوه الى المجال وأجعله يوم الانفصال واذا قتلته أو أسرته قدام الابطال تفرق جيشه ووقع فيه الانخذال وخلصنا جميع الاسارى من الذل والاعتقال وبلغنا غاية الآمال على انهم كانوا يقولون ما ثبت قدامهم ساعة واحدة اذا رموا الحرب والمعانده لاسيما خالد بن محارب الذى بانت له الاهوال والعجائب فقال الملك زهير أنا ما خوفى يا أبا الفوارس من ذلك السبب لانى أعلم اننا لابد أن نكسرهم وننزل بهم العطب ونبددهم ولو كانوا أضعافهم فى العدد ولكن قلبى خائف من معديكرب الزبيدى وسيره الى حلتنا بمن معه من العرب وما فيها سوى ولدى ورقة وهو فى نفر قليل من الفرسان فربما تسبى النساء والعيال وان لم ننصر غدا فى الحرب والقتال والاحل بنا الوبال ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم بعد ذلك أكلوا الطعام وأخذوا الراحة حتى اعتكر الظلام وبعد ذلك ركب عنتر بعض الجنائب وخرج يحرس قومه من النوائب وبعد ذلك شق عليه كلام الملك زهير وخوفه على الحله وهو يعلم أن كل ذلك من أجله وما بلغ مراده فشكا حاله الى أخيه شيبوب وقد أوسعوا فى البحرا وقد حكى له كل ما جرى وقال له والله يا شيبوب أنا ما أسير الا وحدى فى قضاء حوائجى وأرمى روحى فى البلاء حتى لا يكون لأحد على منة أبدا وبعد ذلك فما أسلم من هذه الاشياء فوالله لقد فعلت اليوم من الافعال ما تعجز عنه صناديد الرجال ولا بلغت به آمال ولا خلصت عبلة من الاسر والاعتقال وأنا أعلم انها فى غاية الذل والوبال لاجل الاسر وبعد الوطن ومما على قلبها من اجل أبيها من الحزن لان هذه الامور ما كانت تريدها ولا تشتهيها وقد أهمنى والله ما هى فيه وما جرى عليها فقال شيبوب والله لقد صدقت يا أخى لانى اليوم لما رأيتها ما عرفتها لاجل ما هى فيه وما جرى عليها من الشقاء والاضرار وهى تنادى باسمك الليل والنهار فقال عنتر ويلك يا شيبوب وهل رأيتها فى هذا اليوم فقال

شيبوب نعم وحق بارئ النسم فقال عنتر وكيف قدرت عليها حتى وصلت اليها فقال شيبوب لما رأيت الحرب بينكما قد اتصل والقتال قد عمل وكل أحد بنفسه اشتغل أوسعت أنا في البر والبيد وأتيت من جانب الجيش الذي لبني زبيد فرأيت الربيع بن زياد واخوته وهم في القيود والاغلال وعمك مالك وولده عمرو وعروة بن الورد ورجاله وهم في الصنك والاذلال والبنات صارخات باكيات وعبلة بينهم تسيل على خدودها سواكب العبرات وتشير الى نحو ك بالبنان وهي تنادي يا عبس يا عدنان أما فيكم من يسمع صراخي ويبلغ ابن عمي ما أنا فيه من السبي والشكوى لعله يجعل خلاصي من هذا البلا ورأيت من حولهم مائة فارس موكلين بهم من بني خثعم وهم كلما انتشروا في البر والاكم يجمعونهم مثل الغنم فوالله يا ابن الام لما رأيت ذلك زاد غمي ولعنت عمك مالك فانه اصل تلك المهالك وادبرت من حولهم يمينا وشمالا وأنا أرمي الموكلين بالنبال غير ما جرحت من الخيل وكانوا كلما طلبوني أوسعت قدامهم مثل ريح الشمال وكلما عادوا الى الحريم والمال أعود اليهم مثل الغزال وأناوشهم في القتال وأرميهم بالنبال حتى انفصل القتال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر من شيبوب هذا الكلام حلت به الآلام واعتراه السقام وسالت دموعه من عينيه وهانت المنية عليه وضاقت آفاقه ودعا على عمه بكثرة محاقه ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من عنتر وأخيه وأما ما كان من العساكر فانها باتت في هموم واتراح الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك همت العسكران يطلبوا الحرب والكفاح وحضر الجد وذهب المزاح وقد اصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وبنو عبس في مقابلة عسكر خالد ابن محارب فانتظر الملك زهير لعنتر أن يخرج الى الميدان فما رأى له خبر ولا جلية أثر فقلق لذلك وتحير وشاع ذلك الخبر في جميع العسكر فقل عزم الفرسان وانكسر وقالوا اليوم يفتك فينا خالد بن محارب ويشتت المواكب ويفرق الكتائب وتظهر العجائب فياترى أين عنتر عنا غائب * هذا وقد عول الملك زهير على أن يبرز الى الميدان ومقام الحرب والطعان ويلتقي بنفسه الكرب ويباشر الطعن والضرب واذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وقد زاد علوا وارتفاع حتى ملأ جميع البقاع ولم يكن الا ساعة على ذلك العمل حتى انكشف الغبار وظهر كالشمس بالنهار وانجلى وضربته الرياح فبان بعد ما ارتفع عن خيل سائرة على عجل ومعها رجال أسرع من الاجل فاحدقت بها الطائفتان بالنظر والمقل واذا هم ألف بطل وهم مقبلون كالغيث اذا هطل وما فيهم الا من هو بالحديد مسربل وللحرب احتفل وفي أوائلهم فارس مثل الجبل أو كالقضاء اذا نزل ورجلاه تخط الارض من عزم الطول والعرض ومعهم رجال مأسورون وهم على النجب مصعدون وخيول الاسارى مجنوبة وهم بها محتاطون وقد أقلقوا البر والمهاد وهم ينادون يا لزبيد يا لمراد نحن الفرسان الجياد ﴿قال الراوي﴾ وكان ذلك الفارس الذي هو عظيم الخلقة وجميل الصورة والهيئة معد يكرب الذي أرسله خالد بن محارب من أرض ذات الخليعين في هذه الالف فارس الشجعان العوابس وأمره بنهب بني عبس وعدنان فوجدها خالية من الفرسان وما فيها سوى الامير ورقة ابن الملك زهير وعنده ثلاثمائة بطل من الابطال فقال معد يكرب لاصحابه يا بني عمي لا تسوقوا سوى الخيل والمال واقتلوا من قدرتم عليه من الرجال وقلوا من سوق الجمال وسبي النساء والعيال ليكون حظنا أعجل لبلوغ الآمال وسيروا بنا من هذه الارض والاطلال لاننا في قلة من الرجال وهذه ديار بني عبس وعدنان ولا نأمن أن يكون أحدا كمن لنا في هذا المكان وربما يصل الخبر الى بني فزارة فيأتوا الينا لانهم أصحاب نخوة وشطاره فنقع بعد الربح في الخساره وتأتينا الخيل من كل جانب ومكان ويكون طلبنا الزيادة يوقع في النقصان ثم انه بعد ذلك الكلام هجم على الحي عند اقبال النهار وساق الخيل والامهار وأخذوا ما قدروا عليه من

المال

المال مع البنات الابكار وأخذوا قطعة من النوق العصافير التى اذا جرت كادت أن تطير وساق الجميع بنوزبيد وسار وا يقطعون الارض والبيد * هذا وقد وقع الصوت فى بنى عبس الابطال بأن الاعداء نهبوا الخيل والجمال فركب الامير ورقة فيمن عنده من الفرسان والاقيال وتبع القوم على الاثر فأدركوهم فى البر الاقفر وقد بان الضوء وظهر وطلع الصباح وأسفر (قال الراوى) فلما نظر معديكرب اليهم رجع طالبا بنى عبس بمن معه وحمل بتسعمائة فارس من الابطال فطال عليهم معديكرب واستطال وما أتى آخر النهار حتى ملك من بنى عبس مائة فارس كرار وقد أسر الامير ورقة وجرح خمسين وقتل ثلاثين وانهزم من بقى وقد ولوا هاربين وللنجاة طالبين وقد حل بهم الاسى والغبون وتيقنوا شرب كأس المنون وأما معديكرب فانه لما قتل من قتل وأسر من أسر أخذ الاسارى وعاد على أثره حتى وصل الى الغنيمة التى تركها مع بنى عمه ثم انه ضم المال للمال وساق الخيل وشد الرحال وسار فى ظلام الليل ولم يزل سائرا وهو لا يقر ولا يهدا وهو يقطع الفيافى والبيدا حتى أشرف على قومه فى ذلك الوقت كما ذكرنا والجمعان قد اصطفا كما قدمنا ونظر الملك زهير الى ذلك فضاقت عليه المسالك وقال هذا الذى كنت منه خائف وقلبى عليه راجف ولا بقى الا الموت بشفار الصفاح والطعن بأسنة الرماح * هذا ومعديكرب قد وصل الى بنى زبيد وهو فى عزم شديد ففرحوا بقدومه من سفرته وهنوه بالسلامة فطلب خالدا فما رآه فى عشيرته فسألهم عن سبب غيبته فقالوا له أما خالد فما عندنا منه خبر من حين انفصل الحرب لاننا لما رجعنا من القتال أقسم انه لا ينزل عن جواده الى الخيام ولا رضى ان يستطعم بطعام من غيظه على الاعداء وشغل قلبه على ابنة عمه الجيداء فحلف أنه لا ينام على وساد ولا يأكل شيأ من الزاد حتى يقتل عنتر بن شداد ويطفئ بقتله نار الفؤاد ويبدد سائر عشيرته ويخلص الاسارى وابنة عمه من قبضته لانه سمع أنها اثخنت بالجراح والعقد منها قد راح ثم انه يا مولاى غير جواده وركب جوادا سواه وأخذ معه عبده دامس أبا السلال وخرج من الخيام على عادته والى الآن ما عاد ولا بان له خبر ولا ظهر له أثر فقال معديكرب والله ما سار فى الليل الا لاجل أن يمسك على بنى عبس الطريق حتى لا ينفلت منهم أحد وفى هذا الساعة تروننه وقد ظهر من ورائه الاعداء لانى أعرف همته وشجاعته فاحملوا أنتم حملة واحدة وقد بلغتم المراد وأهلكتم الاعداء والحساد وربما قتلتم عنتر بن شداد فى حملتكم بعزائمكم الشداد فقالوا له أيها السيد هذا كنا عليه معولين ولكن صرنا خائفين من عنتر ابن الاوغاد لانه بالامس قتل فينا وقتل الابطال وفرق المواكب يمينا وشمال وكان سيدنا خالد أراد ان يحمله ويكفينا شره فأصبح وقد فقدناه وما طلع له خبر ولا عثرنا له على أثر فقال معديكرب فها أنا أقوم مقامه وأكون مكانه وأكفيكم شر عنتر وأسقيه كأس حمامه وأجعل هذا اليوم آخر أيامه ثم انه صاح فى الرجال الذين وصلوا معه وحمل وحملت بعده الصفوف وتتابعت الالوف وعلا منها الصياح وهزت فى سواعدها الرماح ومدتها لقبض الارواح وقد صاحت أشد صياح * هذا وبنو عبس التقت الاسنة بالصدور وقد هانت عليهم الامور ونزل عليهم البلاء والمقدور وكرهوا الحياة عند نزول النوائب وعظم المصائب وطاب لهم الموت عند فقد الحبائب وقد زلزلت الارض بالزلزال وجد الموت فى جميع الابطال وجرى الدماء كالسيل السيال * هذا وطويل الحياة قد صار هازل وبان الكسلان من البازل وعثرت بالجماجم حوافر الخيل الصواهل وما ارتفع النهار حتى تضعضعت بنو عبس وعمل فيهم الحسام الفاصل وصار الملك زهير يدافع عن نفسه ويقاتل وحوله أولاده وطائفة من الشجعان والقبائل وبان لهم من الموت امارات ودلائل وصارت الاولاد يتامى والنساء أرامل وترك بنو عبس الاموال التى كانت فى أيديهم من شدة الهول الهائل واتسعوا فى القفار وصار الملك زهير ينادى ولا يسمعون ويصيح فيهم فلا يرجعون لان طعم الموت مر لا يصبر عليه عبد

ولاح وعلى الحقيقة بانت المهالك وضاقت المسالك ودارت بهم المواكب وعمل السيف من كل جانب وانسدت فى وجوههم المذاهب وعوّل الملك زهير فى ذلك اليوم على ان يترجل الى الارض ويقاتل عن نفسه الى ان يقبض فبينما هو كذلك واذا بالصياح من خلف الاعداء قد بان ولاح وظهر كوكب كبير أورى من ألف فارس من كل بطل مداعس ورجال صناديد أحرار وعبيد والكل ينادون بطلاقة لسان يا لعبس يا لعدنان وعنترفيهم كأنه الاسد اذا عدم أكله أو ليث غاب شبله وشيبوب فى جوانبه يصيح ياويلكم يا بنى زبيد جاءكم البلاء من كل جانب فاقطعوا الآمال الكواذب واطلبوا الهرب من أقرب الطرقات والمذاهب من قبل أن تمطر عليكم سحائب المصائب وتصبح أرواحكم ذواهب وتنزل بكم المعاطب وان كنتم تسمعون من نصح الناصح وخطاب المخاطب فهذه رأس سيدكم خالد بن محارب (قال الراوى) ثم ان شيبوب رفع يده برمح طويل وهزه فى يده هزا جميل وعلى رأس السنان رأس كأنها رأس شيطان وبعد ذلك حمل عنتر على الفرسان وأوصل الى بنى زبيد الضرب والطعان وطلع من بعده موكب كبير كله نسوان وخدم وغلمان واماء ومولدات قد رفعوا كلهم الاصوات * هذا وقد جعل عنتر يطعن طعنات نافذات وينثر بنى زبيد من على ظهور الصافنات وقد عاشت أرواح بنى عبس بعد الممات ونادى الملك زهير يا بنى عمى فى مثل هذه الاوقات يكون الثبات والصبر على الشدائد النازلات فابشروا بالنصر والجمع بعد الشتات واعلموا بان هذا فارسكم عنتر قد وصل وخالد بن محارب قد قتل ورأسه اليكم قد حمل (قال الراوى) وأعجب ما جرى وما سمعنا من الكلام العجيب والقصة والحديث الغريب اننا كنا ذكرنا ان عنترا تولى حرس القوم كما قد وصفنا وجرى بينه وبين أخيه شيبوب حديث عبلة كما قدمنا وسمع عنترا نهارا وليلا ونهارا تنادى به وباسمه وتذكره فى أشعارها ولا يغيب عن احساسها فغاب رشد عنتر وقال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام أوسع وجد بنا فى البر الاقفر فى هذا الليل المعتكر واقصد بنا مكان السبا بالعلنا نقدر لهم على فرج قبل الصباح لانى من وقت ما وقعت عينى على عبلة ما سمعت لها خبرا ولا اطلعت لها على أثر (قال الراوى) فلما سمع أبو هاذلك فعل ما أمره عنتر وسار بين يديه وولج فى البر الاقفر حتى أبعدوا عن العسكر وطلب شيبوب جيش بنى زبيد وهو كأنه الثعبان الاغبر وقد ذكرنا ما جرى على خالد بن محارب لما سمع حديث الجيدا وقد أخبرنا انه عند انفصال الحرب غير جواده وتولى حرس بنى عمه ولم يأخذ معه غير عبده دامس أبا السلال قال وكان هذا العبد دامس من أعز الناس اليه وأحظاهم لديه لانه مقوم بأمثاله فى القبائل وحادثه من النوازل لانه ساعى محتال لص سلال واذا جرى يسبق الغزال واذا ركب جوادا يبلبل عقول الابطال واذا سار فى ذى جاسوس تكلم بكل لسان فهو كامل المعانى فى هذا الميدان وكان فى ذلك اليوم غير زيه وسار الى بنى عبس واختلط بهم وأتى للجيداء وتحدث معها فشكت اليه حالها وأخبرته انها كانت حاملا من خالد وقد رمت ما فى بطنها وقد قاست مصائب وشدائد ونظر العبد دامس الى جراحها وهى بالغه فصعب عليه ذلك وأراد ان يدبر على خلاصها فى النهار فما قدر على الاستتار فعاد العبد دامس وفى قلبه لهيب النار فصبر حتى انفصل القتال وعاد خالد من المجال فعند ذلك أخبره دامس بهذا الحديث وما جرى له مع الجيداء من المقال وقال له يا مولاى انى لا أقدر الليلة ان أخلصها الا اذا كنت أنت خلفى وهى لترعانى وتردعنى من يتبعنى ويلقانى (قال الراوى) فلما سمع منه ذلك الكلام خرج وقد فرح بقوله وتبعه لما يعرف من جسارته ومروءته وكان حديث الجيدا قد قطع قلبه وسلب خاطره ولبه وأشعل نيران قلبه فلما خرجا الى البر أوسعا وأولجا وقد انسلا تحت الدجا وعرجا نحو قوم بنى عبس وخالد يقول لعبده ويلك يا دامس ما كنت أريد الليلة الا أن أوقع بعنتر بن شداد حتى أشرب

من

من دمه كما أشرب الماء القراح لاجل ما فعل بابنة عمى الجيداء من الفعال القباح ولكنه ردى الحسب والنسب وما هو ولد حلال فلاجل ذلك فعل معها تلك الفعال (قال الراوى) فما تم خالد هذا المقال حتى ظهر له من بين يديه شبح وخيال وهو مقبل اليه ومائل عليه وكان هذا الشبح الذى لخالد قد ظهر فى هذا الليل المعتكر هو أبو الفوارس الامير عنتر وقد زعق عليه وقال له ويلك من أنت يا ندل الرجال ومن أى العرب والى أين أنت سائر فى هدو الليل العاكر (قال نجد) فلما سمع العبد امس كلام عنتر أقبل على سيده خالد وقال له يا مولاى هاقد قضى الرب القديم حاجتك وبلغك ما تريد من أملك وارادتك لانه ساق عنترا اليك وحيدا فريدا فدونك واياه (قال الراوى) فعند ذلك صاح خالد فى عنتر وقال له يا ولد الزنا أنا سائر اليك أفنى عمرك وأعرفك قدرك وآخذ روحك من بين جنبيك وان كنت مالك قدر ولا شان ولكن هذا حكم الزمان ثم انه انحط على عنتر بضرب كأنه الحمام فاستقبل شيبوب العبد امس والتقى كل أحد بصاحبه وأقبل عليه يخادعه ويحاربه فكانوا اذا تحاربوا وتقاربوا يتضاربون بالخناجر تحت غسق الظلام وهم على الحس والكلام هذا ولم يزل عنتر وخالد فى العراك والصدام وطعن يسبق رسيل الحمام وقتال تتعوذ منه الجن تحت الغموم وتنبهت له فى الفلك النجوم ولهم همهمة ودمدمه وضجة مؤلمه وكانت ليلة مظلمه سوداء معتمه بجرى لهذين الفارسين كل عجب عجيب وظهر لهم كل أمر غريب حتى ارتفعت أذيال الدجا وبداضوء الصباح وتقصفت فى أيديهم الرماح وملوا من الحرب والكفاح وسلوا بواتر الصفاح وطلب الاثنان نهب الارواح ورأى عنتر من خالد شجاعة وبراعه ونظر منه صناعة وأى صناعه ونظر خالد من عنتر أعظم مما رأى لانه رأى من عنتر شيأ ما كان له فى حساب فعند ذلك زادت نيرانه وقوى التهابه وجد خالد مع عنتر فى الضراب وبان له الخطا من الصواب وكذلك شيبوب والعبد امس قد كلا وملا وتعبا واضمحلا وتبعت سيقانهم من الوثبات وقد فرغت نبال الاثنين من الكنان وعادوا الى القتال بالخناجر وتباعدا وتقاربا وتلاصقا وافترقا ورفع كل واحد منهما يده بخنجره وعول ان يضرب صاحبه واذا بصرخة هائله وقائل يقول يا عبس يا عدنان لا شفيتم أبدا أنا متيم عبلة وحبيبها على طول المدا (قال الراوى) وكان الصائح الامير عنتر بن شداد لانه رأى خصمه قد كل وظهر منه التقصير فعرف منه ذلك معرفة خبير فعند ذلك هجم عليه عنتر هجمة الليث الغضور وضربه بالسيف الظامى الابتر فطير رأسه مع زرد المغفر فنظر العبد الى ذلك فاذعر وعوّل على الهزيمة والهرب فادركه شيبوب مثل السلهب وضربه عاجلا يخجر بين صدريه أخرجه يلمع من بين كتفيه وبعد ذلك رفعه وجلد به الارض ورض عظامه رض وأخلط طوله فى العرض وجلس على صدره ونحره من أذنه الى أذنه وعاد الى أخيه عنتر وهنأه بالسلامه وسأله عن حاله وما جرى له فقال له عنتر ويلك يا شيبوب لماذا لم تحضر قتالى مع هذا الشيطان الذى كانه من مردة الجان فقال شيبوب فما الذى فعلته أنت من الامر الزائد وما أنت الا قتلت واحد وأنا قتلت واحد فقال عنتر وحياة عيون عبله انى ما لقيت أفرس من خالد بن محارب ولا أصبر منه على الشدائد (قال الراوى) ثم ان عنترا ركب جواد خالد بن محارب لان الجواد الذى كان تحته قصر عن المآرب وأما أخوه شيبوب فانه أخذ رأس خالد وعاد الى خلاص عبلة طالب فما رأى حولهم أكثر من مائة فارس أندال فحمل عنتر عليهم وفرقهم يمينا وشمال وصاح شيبوب على العبيد فحملت موالبها وانطلقت جميع النساء والرجال وركبوا على الخيول العوال ورجعوا يطلبون الحرب والقتال بعد ما شكروا عنترا على هذا الحال فوجدوا بنى عبس قد انكسرت وبنى زبيد قد انتصرت (قال الراوى) فلما نظر عنتر الى هذا الحال زعق على الابطال وفرقهم يمينا وشمال فسمع الملك زهير صوت عنتر بن شداد فانصلحت أحوالهم بعد الفساد

وصار شيبوب يجرى بين تلك الخيول الجياد وهو يصيح ويقول يا بنى زبيد عمن تقاتلون وهذه رأس فارسكم خالد بن محارب وقد قتله الاسد الواثب وفارس الطراد الامير عنتر بن شداد نسل الاطايب الاجواد ثم ان شيبوب اصار يغدو بين الخيل يمنا وشمال عمان ورأس خالد بن محارب على رأس السنان وهو يلوح به الى قومه وعشيرته لاجل الخذلان ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر بنو زبيد الى رأس خالد وهى على السنان علموا انه شرب كأس الهوان فعند ذلك رموا ما كانوا أخذوه من الغنائم وأخذوا فى الهزيمة والهرب والندائم فتبعهم بنو عبس الى آخر النهار ورجعوا عنهم وهم فى غاية ونهاية من الاستبشار بعد ما أمروا عبيدهم ان يجمعوا جميع الاسلاب والنهاب * هذا وقد رجع عنتر يطلب الملك زهير وهو تحت راية العقاب فترجل على جواده وسعى اليه وقبل رجله فى الركاب وأنشد يقول

185 لقد وجدنا زبيدا غير صابرة * يوم القتال وخيل الموت تستبق
اذ أدبروا وعلمنا فى ظهورهمو * ما تعمل النار فى الحلفا فتحترق
وخالد فوقه الاطيار عاكفة * على ثراه ومافى جسمه رمق
للحرب نحن خلقنا والفخار لنا * على الاولى فيما مضى خلقوا
وألتقى الطعن تحت النقع مبتسما * والخيل عابسة قد بلها العرق
لو سابقتنى المنايا وهى طالبة * قبض النفوس اغتبالا كنت استبق
ولى جواد لدى الهيجاء ذو ثقة * لو سابق الطير يوما ليس يلتحق
ولى حسام اذا ما سل فى ملل * يفرى لهام لعدى فريا ويمتشق
أنا الهزبر اذا خيل العدا اختلفت * يوم الهياج وظل الدم يندفق
ما خفت فى وقعة الهيجاء وجه فتى * الا وكنت لهام منه اخترق

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامير عنتر من شعره شكره الملك زهير على مقاله وفعاله وجميل أعماله لحدثه عنتر بما جرى له مع خالد بن محارب من القتال والعجائب وكيف كان شيبوب مع عبده دامس تحت الظلام العابس فتعجب الملك زهير من ذلك وقال والله يا ابن العم ما كنا الا أشرفنا على المهالك وهذا كله من عملك مالك ولكن من أجلك نتحمل ذلك فدعا له عنتر بطول البقاء وقال والله يا ملك هذا تفضلا منك على عبدك الذى ما يساوى تراب أقدامك ولا يقدر على بعض أنعامك ﴿قال الراوى﴾ وكان فرسه الابجر قد استراح ونزلت الناس للرواح وأمسى المساء فعند ذلك أمر عنتر باحضار الجبداء فما رأى لهما خبر ولا أحد وقع لهما على أثر وسأل عن عمه مالك وولده عمرو فقالوا له والله ما عندنا منهم خبر فقلق عنتر لذلك وتحير وحس أن ظهره قد انقطع ووكف طرفه ودمع وأخبر الملك زهير بذلك الخبر فجرى على قلبه مالم يجر على قلب بشر وقال والله لقد تركنا هذا الرجل مثلا يضرب فى قبائل العرب ويتعجب منه وأمر مستغرب ثم سأل عمن كان بقى فى المنزل وقت الحملة الكبرى ممن لا حمل ولا قاتل ولا جرى فقالوا والله يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان ما تخلف عن القتال الا الربيع وأخوه عمارة وعروة بن الورد وما أحد منهم لساحة الحرب ورد لانهم كانوا مثخنين بالجراح وما فيهم من يقدر على النهوض والرواح بل حولهم النساء يعدون عليهم فى المساء والصباح ومعهم جماعة كثيرون من الصغار والكبار وهم يبكون جميعا أبرارو فجار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك زهير هذا الكلام أنفذ فى الوقت والحال خلف الربيع بن زياد فحضر وحوله جماعة من العبيد وهم يسندونه لانه موثق بالجراح فلما صار قدام الملك زهير قال له لم قصرت يا ربيع فيما به أوصيناك لاجرم ان الله على ذلك جزاك لانا تركناك تحفظ الاحياء والحلل فرحلت عنها وتركتها نهبا للاعداء والملل وتبعت غرض أخيك عماره وأوقعت

بنا

بنا انحساره فقال الربيع وقد أظهر الانين وتماوت أيها الملك ان لمتني فانك تكون قد ظلمتني وان عتبت على فما تكون قد أنصفتني لانك عند رحيلك من الديار أردتني ووضعت قدري وأهنتني وفي قصة عنتر وعمه مالك أشركتني وأنا لا أعاتبك على ذلك لانك ما علمت حقيقة الامر والحال ولا علمت الصدق من المحال وبعد رحيلك قد عوّل أبو عبلة على الرحيل الى بلاد الشام وأن يسير من عندنا لتلك الارض والاكام وقال انه يريد أن يقيم هناك ويعبد الصلبان ويترك الاوثان والاصنام فخفت أنا عليه يا ملك الزمان ومن سيره لاجل ما سمعت من الاقسام لا أقامه الله بعد ذلك الكلام فرحلت معه ونزلت في أرض ذات الخليفين وطيبت قلبه بالكلام وقلت له يا ابن العم ما أدعك تبعد أكثر من ذلك فأقم ههنا حتى يعود الملك زهير من سفرته ويعود ابن أخيك عنترا اليك ويكون قد قضى جميع حاجته ويرسل خلفك الملك زهير أحدا من أولاده وتعود الى أرضك ولا تأخذ على خاطرك من شاس ولا تغضب واعلم أن الملوك ما زالت على رعيتهم ترضى وتغضب ثم اننا يا ملك الزمان أقمنا في ذلك المنزل يومين وفي الثالث طلعت علينا بنو زبيد وجرى ما جرى وتجرعنا العذاب الشديد وساقونا سوق العبيد حتى خلصنا على يد حمايتنا الفارس الشديد فقال الملك زهير والله ان قولك كله زور ومحال ولكن عندي عن رد الجواب اشتغال وهذا ما هو وقت قيل ولا قال ولكن أخبرنا عن مالك بن قراد وما كان من حالته وأي مكان طلب هو وابنته فقال الربيع وحق اللات والعزى يا ملك ما عندي منه خبر ولم أعلم جلية له أثر من وقت ان حلتنا من العبيد الكتاف لانني كنت أشرفت على التلاف وكنت مطروحا على وجه الارض لا أعرف الطول من العرض وبعد ذلك يا ملك وحق مالك الممالك لا أعرف له مكانا لانني كنت هالك فقال الملك زهير لابد ان أقابل مالكا على ذلك الفعل المتدارك وأريه من يكون الى الشر سالك فقال عروة بن الورد لما سمع هذا الكلام يا ملك ما في العرب من له بنت وقال اني لا أزوجها الا لأبا عبله حتى يلحقه كل هذا الهم والمذله فقال شاس اسكت أنت يا عروة ولا تتكلم بهذا الحديث الباطل فانك تتكلم بكلام ماله برهان ولا دلائل وكثير من العرب قد فعل مثل هذه الفعال وقطع الاياس من الاعمال الا مالكا هذا القرنان الذي كل يوم يزوج ابنته بشيطان ويسوق الينا النكد والخسران والحرب والطعان وأنت تعلم أنه زوج ابنته لعنتر وقبض المهر غير مرة وهو مال كثير ومن جملتها النوق العصافير وكم رمى ابن أخيه في كل بليه وفي الآخر فعل تلك الفعال الرديه ﴿قال الراوي﴾ ثم انهم أقاموا في ذلك المنزل الى الصباح وقد خف عن كل واحد التعب واستراح الا عنتر بن شداد فانه بطول تلك الليلة ما نام ولا ذاق شرابا ولا طعام بل بات عند الملك زهير وأولاده مالك وشاس وهو يتجرع ويتقلقل مما حل به من الوسواس وقد اشتد به الشوق والغرام وأخذه الوجد والهيام وما فيهم من يسليه ويشاغله بالكلام ويقول له شاس مالك بحياتنا عليك يا أبا الفوارس لا تشمت بنا الاعداء والحساد ولا سيما بنو زياد والرأي أن تصبر صبر الرجال الاجواد حتى تسمع خبر عمك نزل على أي عرب من الاوغاد ونسير اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ✻ قال وكان عنتر اذا خلا بنفسه بكى وزادت به الاشواق ويأخذه الوجد والاحتراق فيئن من نار الفراق ثم ينشد هذه الابيات صلوا على سيد السادات

اذا كان دمعي شاهدا كيف أجحد ✻ وناراشتياقي في الحشا تتوقد ١٥٩
ومن أين يخفى ما أقاسي من الهوى ✻ وثوب سقامي كل يوم يجدد
أقابل أشواقي بصبر تجلدي ✻ وشوقي شديد واصطباري مبدد
الى الله أشكو جور عمي وظلمه ✻ اذا ما أرى خلا على الصبر يسعد
خليلي أمسى حب عبلة قاتلي ✻ وبأسي شديد والحسام مجرد

حرام على النوم يا ابنة مالك * ومن فرشه جمر الغضا كيف يرقد
سأندب حتى يعلم الطير انني * حزين ورثى لى الحمام المغرد
وألثم أرضا كنت فيها مقيمة * لعل لهيبى من جوى النار يبرد
رحلت وقلبى يا ابنة العم تائه * على أثر الاظعان للركب ينشد
فرفقا لضعفى ان ودك دائم * وعهدك باق مثل ما كنت أعهد
بنا تشمت الاعداء يا بنت مالك * وجسمى تفانى والرقاد مشرد

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات قام على سماع صوته أولاد الملك زهير وصاروا يحادثونه ويسلونه ويعدونه وينيل المراد يمنونه وعن ذكر عبلة يشغلونه بذكر ما تحدث به الليالى والايام وأى شئ يكون ويحصل فى الانام ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من عنتر وأولاد الملك زهير ليس لهم معنا كلام * وأما ما كان من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد فانه كان هذا الامر عندهم عيدا من الاعياد لاجل حسدهم وشماتتهم بعنتر بن شداد واعدام عبلة بنت مالك بن قراد * هذا ولم يزالوا فى بسط وانشراح الى ان أصبح الله بالصباح فرحل القوم من ذلك المكان طالبين المنازل والاوطان ولم يزالوا سائرين الى أن أمسى المساء فنزلوا على بعض الغدران ﴿ذكر﴾ الناقل لهذا الديوان انهم لما نزلوا على الارض والكثبان وجلسوا فى المضارب والخيام بالعيان أجلس الملك زهير الامير عنتر على اليمين لما سبق له من شدة التفرس والتمكين واحبه الملك لما رأى ما بان منه فى الحرب والطعان ولما أتى بأموال الملك كسرى أنوشروان ورأى اقتداره على الفرسان فقربه اليه وصار يجلسه على اليمين عوضا عن بنى زياد لانهم كانوا فى سابق الازمان لا يجلسون الا عن يمين الملك زهير الى ان ظهر عنتر و بانت نجابته فأخر الملك زهير بنى زياد وقدم عنتر بن شداد فلما كان فى هذا النهار الذى نحن فى ذكره نزلوا فى موضع ومكان وجلس الملك زهير على عادته فى هذا المكان فتعرض عمارة لعنتر عند النزول لما رآه فى حالة العدم وقال له وقد أظهر له الشماتة وتبسم ما حالك يا أسود الجلد أراك قد بان عليك ظلام الغرام والهم والسقام وركن صبرك قد انهزم وركن جلدك قد تهدم ومازلت بلجاجك حتى أحرمتنى وأحرمت نفسك فلما سمع عنتر هذا الكلام من عمارة القواد زادت همومه والاحزان وعظمت عليه المشقة والاشجان وزادت نيرانه اشتعال والتفت الى عمارة بن زياد وقال له ويلك مالك تواجهنى بهذا الكلام يا ابن زياد أنت ما تتكلم الا من هملك والانكاد وان كنت تعيرنى بالسواد الظاهر الذى خلقه رب السرائر القادر القاهر فان كان لونى اسود حائل فان مرادك أن تكون كل أنثى فى بيتك وبيت اخوتك منى حامل لان العرب تشهد لى فى جميع القبائل بانى أبذل لقاصدى العطاء وأجلى غياهب الظلماء وأخفى السراء والضراء وأما قولك انى حرمت الاجتماع بابنة عمى فوحق ذمة العرب لا آخذنها رغما عن أنفك وأنف الاعداء ولو كانت فى آخر السند الاقصى أو صعدت الى السماء وان كنت تعارضنى فى محبوبتى عبلة ذات الدلال فدونك وحومة الحرب والجدال أنت واخوتك وجميع من لك من الابطال وأنا لا ألقاكم وحياة هذا الملك المفضال الا بالعصا التى كنت بها أرعى الجمال فى البرارى والتلال وكل من قهرمنا صاحبه كانت له ذات الدلال ثم انه أنشد وقال

يهددنى عمارة وهو دونى * ضعيف لا يقوله قرار * وسيفى صارم عضب صقيل
اذا ما اهتز طار له شرار * واسمر من رماح الخط لدن * يحاكى سنه فى الليل نار
واضرب ضرب ذى كبد قريح * اذا ولى الضبا وأتى الغبار
سيظهر من الى الاذلال يدنو * ومن يغدو تعفره القفار

﴿قال

(قال الراوى) ثم انه هم ان يركب جواده ويبرز الى الميدان فعند ذلك زادت بالملك زهير الهموم والاحزان فالتفت الى عمارة القرنان وناداه ويلك يا عمارة يا ابن زياد أما كفاك ما فيه عنتر بن شداد حتى تزيده هما على الذى هو فيه وأنت لا تقدر عليه ولا تصل يدك اليه وأيضا هو قد تفضل عليك وخلصك من القتل شفقة عليك وما أنت من رجاله ولا تعد من أشكاله حتى انك بهذا الكلام تخاطبه وأنت ما تبلغ مراتبه (قال الراوى) ثم تكلم شاس ومالك وكل المحبين لعنتر وأعانوا الملك زهير على عمارة بن زياد (قال الراوى) كل هذا يجرى بين الملك زهير وعمارة وعنتر وهم ويدمدم وأراد أن يشهر حسامه المخدم واذا بالربيع قام على الاقدام لما رأى النوبة مشكلة ورأى الجميع قد تحاملوا على عمارة فى الكلام له من دون الجميع وقال له ويلك يا مذلول السبال هذا جزاء ابن عمنا الذى فدانا بنفسه وخلصنا مما كنا فيه مع بنى زبيد ولولاه ما تخلصنا من هذه الارض والبيد ثم انه بعد كلامه التفت الى عنتر بن شداد ومسح أطرافه بلين الكلام وقال له العفو منك أليق يا فارس الزمان ولا عليك من كلام أخى عمارة المرقوع فنحن كلنا عتقاء سيفك وأمناء خوفك ولا يصعب ذلك عليك فكلنا بين يديك (قال الراوى) فعند ذلك لان جنب عنتر لما سمع ذلك الكلام لانه مع كونه أسود كان صافى النية والفؤاد * قال فعندها أصلح بينهم الملك زهير وصار يقول لهم يا بنى الاعمام لا تجعلوا نامشا لا فى قبائل العربان ونحن فى أرض ما لنا فيها صاحب ولا أهالى ولا اخوان والرأى انكم تأخذون الراحة فى المنام حتى يرحل الظلام ونطلب ديارنا والاوطان * قال ثم بعد هذا الكلام باتوا على أحسن حال حتى أقبل النهار بالابتهال وقاموا وشدوا على الاصايل من الخيل وحملوا ما معهم من المال على ظهور الجمال وساروا قاصدين أرضهم وتلك التلال * هذا وأولاد الملك زهير يسلون عنتر بطيب الكلام وحسن الخطاب حتى انهم وصلوا الى أرضهم وتلك الهضاب والتقوا مع المقيمين وفرحوا بلقاء القادمين * هذا وقد سار كل أحد الى منزله المعهود مقامه وضرب مضاربه وخيامه (قال الراوى) وأما عنتر بن شداد فانه لما استقر فى منازله التقى منازل عبلة خالية فزادت بلابله وجرت دموعه على وجنته وتنهد وزادت نيران بلوته فعندها أشار بنى منازلها وتلك الكثبان وجعل يخاطبها بهذه الاوزان وهى أول قصيدته الميمية التى انشأها فى البيت الحرام وأنشد وقال

١٩١ هل غادر الشعراء من متردم * فى حسن عبلة واصفا متكلم * قل لى فدتك هل مررت بخدرها
أم هل عرفت الدار بعد توهم * اعياك رسم الدار جزت بسوحها * حتى يكلمك الاصم الاعجمى
يا دار عبلة بالجواء تكلمى * وعمى صباحا دار عبلة واسلمى * دار منعمة تغضيض طرفها
طوع العنا لى لذيذة المتنسم * أوقفت فيها ناقتى فكأنها * فدن لاقضى حاجة المتلوم
وأقول لما ان عرفت ديارها * والعين تذرف بالدموع السجم * حييت من طلل تقادم عهده
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم * وتحل عبلة بالجواء وأهلها * فى الحزن والظمآن كالمتبسم
حلت بأرض الزائرين فأصبحت * عسرا على طلابها ابنة مخرم * كيف المزار وقد ترتع أهلها
بعنيزتين وأهلنا بالضيلم * ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات أمر عبيده بنصب المضارب والخيام وان يسرحوا الاموال فى البر والآكام ففعلت العبيد ما أمرهم به فى الوقت والحين وأما عنتر فانه بقى قاعدا حزين واذا بأولاد الملك زهير عليه مقبلين وقد عجبوا من مقالته وطربوا من فصاحته لانهم قد بلغهم ما أنشده من الشعر والنظام فعلموا ان هذا من شدة الغرام فأتوا يسلونه بالكلام فلما جاؤا عنده فى الخيام قالوا له والله يا أبا الفوارس ما أحد سبقك بهذا المقال فى هذا الزمان وأنت وحق الكعبة الغراء وأبى قيس وحواء فصيح بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومن يكون هذا المقال مقاله وتلك الاعمال أعماله كيف يذل

للهوى ويخضع للصبابة والجوى فأزل هذا الهم عن قلبك واشرح خاطرك وصدرك فان عملك هو الخاسر
فى تدبيره وأين ما مضى فالبسك غاية مصيره فقال عنتر والله ما دخل الهوى قلبى باختيارى ولا بارادتى
حتى أزيله بقوتى ثم أن واشتكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ياعاذلى كف العنا * قد زاد شوقى والكمد * لم يبق لى صبر على * حث الركاب ولا جلد
ودلال عبلة قد برى * عظمى وأوهى للجسد * وماجفانى ذا الضنا * والهم عندى والنكد
يادار يكفيك الذى * بى تفعلين من الكمد * ورميتنى فى حبها * أحرقت قلبى والكبد
أبعدت عبلة بالجفا * منى وهجران وصد * فالله يجمع شملنا * من فضله فهو الصمد

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت أولاد الملك زهير ومن حوله من السادات
وشكروه على هذه المقالات هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك زهير فانه لما قر به القرار
اصطنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة شكرا على عود اولاده له سالمين ثم انه أرسل خلف عنتر يحضر عنده
ليسليه من همه وغمه فأتى هو ومن كان عنده وجلس كل أحد فى مجلسه فعند ذلك أخبروا أباهم بما قال
عنتر وما أنشد وما نثر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام التفت الى أخيه أسيد وقال له
أريدك يا أخى أن تتفرغ لنا وتكتب جميع ما يقوله أبو الفوارس عنتر من المقال وما يفعل من الفعال
حتى نباهى به سائر القبائل ونفتخر به على جميع الشعراء الاوائل وبعد ذلك نأخذ فى أكل الطعام وشرب
المدام وكانت الاماء عندهم تضرب بالدفوف والمزاهر فبينما هم فى أهنأ ما يكون واذا هم بحذيفة بن بدر قد
أقبل يهنى الملك زهيرا بالعودة والسلامة فتلقاه القوم بالاحترام وأجلسوه بين الكرام ثم قدموا قدامه هو
وأصحابه الطعام وبعد ذلك أسقوهم صافى المدام ثم جعلوا يتحادثون بما جرى لهم فى ديار خالد بن
محارب وما جرى لهم معه من الامور والعجائب وكيف ان عنترا أسكنه اللحائد وصار ملقى على الارض
والفدافد فشكر الجميع لعنتر بن شداد لاجل ما فعله من السداد ﴿قال الراوى﴾ هذا وقد جعل حذيفة
يقول للملك زهير لا تعتب على فيما جرى من أمر معدى كرب الزبيدى ولا تلمنى فيما حصل لانى كنت
موهنا من الجوع المتقدم ذكره والا لما كنت أنا قعدت عنه حتى تلعب الخيل برأسى فى السباسب وما
أنا فى هذا الكلام كاذب وحق رب المشارق والمغارب ﴿قال الراوى﴾ فشكره الملك زهير على ذلك
الاهتمام وقال له ما كان الا خير يا ابن الكرام ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن انقضى
النهار وأرادوا الانصراف فالتفت حذيفة الى الملك زهير وقال له غدا تحضر عندنا أنت وابن عمنا عنتر
حتى نتهنى برؤيته ونسليه عن همه وبلوته الى أن نسمع بخبر عمه مالك وعبلة ابنته ونسير اليه ونخلصها
من بين يديه حتى تقر بذلك مقل عينه فشكره القوم على ذلك ووعدوه بمسيرهم اليه غدا غدا بالنهار
﴿قال الراوى﴾ ثم انه ودعهم وسار ﴿وأما ما كان من الملك زهير وعنتر بن شداد فانهم باتوا على ما هم
عليه من ذلك المراد حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند هار كبوا الخيول الجرد
القداح وتقلدوا بالسلاح وقد سار الملك زهير وعنتر بن شداد وتوجهوا طالبين بنى فزارة الاجواد ﴿هذا
ولم يزالوا سائرين حتى قدموا على المضارب والابيات فطلع الى لقائهم جميع الامراء والسادات ودخلوا
بهم الى المضارب والخيام فوجدوا الاوانى والجفان قد صفت وفيها الطعام من كل لون فاخر
وصنف باهر فجلسوا وأكلوا الى أن شبعوا ورفعت الزبادى وغسلوا الايادى وقدموا آنية المدام فنهلوا
وطربوا ﴿هذا والاماء تضرب بالدفوف والمزاهر وهم فى قصور وغرف وفى أهنأ ما يكون من الحالات
والظرف ﴿قال الراوى﴾ هذا كله يجرى بينهم من الهناء والمسرة وعنتر بن شداد غائب فى دنيا أخرى
وهو لا يلتفت الى ما هم فيه بل هو مشغول بحب عبلة وما حصل لها من الذبلة ﴿قال الراوى﴾ فعندها

التفت

التفت الامير حذيفة اليه فوجده ساهيا وعما هو فيه لا يبدى لاحد كلام ولا يتكلم مع شيخ ولا غلام ولا يشرب بينهم شراب الا وهو غائب عن منادمة الاصحاب فقال له يا أبا الفوارس أى شئ هذه الحالات المهمات لم لا تصرف عنك هذه الاوهام وتقلل من ذكر عبلة والهيام حتى يقل عنك هذا الوجد والغرام فبالله عليك يا ابن العم تشرب هذا القدح الشراب وأزح عنك الهموم والاوصاب وأسمعنا شيأ من أشعارك الحسان لعل أن تنصرف عنا آفات الزمان وكل منا ينشرح منه الخاطر وتقر منه العينان ولعل الزمان ينصرنا على عمك مالك القرنان ونريك ما يسر به الجنان (قال الراوى) فعند ذلك تنهد وتحسر وأن واشتكى وقال

فؤادى لا يسليه مدامى * وعينى دمعها فى الخد دامى * على زمن تقضى فى مصاب
وعين الدهر ليست فى منام * بكل خريدة خود أراحت * كان جبينها در التمام
بقد كالقضيب وحسن طرف * وألحاظ أحد من الحسام * وألفاظ كان الشهد فيها
وقد مزجت حقيقا بالمدام * وقلبى ذو جوى والدهر صافى * لنا والعيش فى خصب اغتنام
وأيام التشبب والتصابى * لذيذات برائحة الخدام * ألا يا عبل لو أبصرت ما قد
جرى لى كنت تبكى بالسجام * وأجريت المدامع مثل بحر * وسالت مثل سيل من غمام
فسبر القضاء وحكم رب * له بطش شديد فى الانام
عليك أيا عبيلة طول دهر * سلام فى سلام فى سلام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طرب لها جميع السادات وقالوا له لا فض الله فاك ولا كان من يشنأك وأراح الله سرك وبلغك الله مناك كما أرحت قلوبنا يا ابن السادات * هذا ولم يزالوا على شرب الراح وهم فى هناء وأفراح وهدو وانشراح حتى أستوا عنتر اشيأ من المدام فاستراح (قال الراوى) وبعد ذلك التفت عنتر الى شيبوب وقال له ما وقوفك يا ابن الارغاد سروا كشف خبر محبوبة قلبى والفؤاد فأنا مالى غيرك يا ليث الطراد سروا كشف خبر ابنة عمى وائتنى بما يسر قلبى والفؤاد حتى ينكمد جميع الاعادى والحساد فقال له شيبوب حبا وكرامة ها أنا سائر من تلك الساعة ولا آتيك الا بما يشفيك من الاعراض والامراض (قال الراوى) ثم انه تحزم وتشمر وألقى رجليه للريح وطلب البر الفسيح وأما عنترفانه قام على أقدامه وسار وتمشى الى ناحية الغدير ليريق الماء وأراد بذلك أن يفرج ما به مما جرى عليه فبينما هو كذلك واذا هو بسرب حمام قد تساقط عن يمينه وشماله ونزلوا على أغصان الاشجار الباسقات وصاروا يغردون بأصوات حسان فلما رآهم عنتر زاد به العشق والغرام فانشد وقال

يا طائر البان قد هيجت أشجانى * وزدتنى حزنا يا طائر البان
ان كنت تندب الفا قد فجعت به * فقد شجاك الذى يا طير أشجانى
زدنى من النوح والتعديد من حرق * حتى ترى عجبا من فيض أجفانى
وأبكى على فقد الف قد فجعت به * واحذر على الروح من تنفاس نيرانى
ولا تفارق لذا حتى أموت جوى * قتيل شوق وابعاد وهجران
وطر لعلك فى أرض الحجاز ترى * ركبا على عالج من سفح نعمان
يسرى بحادية تنهل أدمعها * شوقا الى وطن يأوى وجيران
يا ذا الغراب الذى نادى بفرقتنا * دهاك رب السما فى فلكه الدانى
وبات ينظر فرخا حين تخطفه * كواسر من شواهين وعقبان
ما زال ينعق حتى سار ركبهم * تمشتنا فى الفيافى سير عجلان

ناشدتك الله ياطير الاراك اذا * رأيت حقا حمول القوم فانعانى
وقد تركناه مطروحا وقد فنيت * دموعه وهو يبكى بالدم القانى
ويسأل الريح من أى الجهات أتت * عنكم سؤال سليب العقل حيران

(قال الراوى) ومازال على ذلك الحال حتى برد ما بقلبه من النيران والاشتعال واذا بأولاد الملك زهير قد أتوا على حسن ترنمه وعلو صوته فأرادوا أن يدخلوه معهم فقال يا موالى وحق ذمة العرب ما أسير من ههنا الا الى العلم السعدى فرجعوا وأخبروا أباهم بذلك فاستأذن أولاده بالعودة وعادوا طالبين الديار والاوطان وامر الملك زهير عمه أسيد أن يكتب القصائد التى قالها عنتر فى بنى فزارة ثم ان الملك زهيرا عمل وليمة ودعا عنترا اليها فقال له يا مولاى حضور الولائم على حرام ومادامت عبلة غائبة فلا أتهنا بشراب ولا بطعام (قال الراوى) فبينما الملك زهير مع عنتر فى الخطاب اذ قدم عليه نجاب من الكوفة ومعه كتاب من عند الملك النعمان فأخذ الملك زهير الكتاب وتأمله فاذا به يخبر بموت الملك المنذر * قال وكان الملك المنذر قد توفى وبلغ خبره الى الملك كسرى انوشروان فأرسل الى ولده النعمان كتابا ومع الكتاب جواد وخلعة وولاه موضع أبيه وهو يخبره فى الكتاب انك تكاتب العرب وتنظر من يطيعك ومن يخالفك واعلمنى بهم ولا تخل أحدا من قبائل العرب حتى تنفذ لهم الكتب (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة الى النعمان فرح وصار فى العز وعلو المقام وترك ما كان به من الحزن والآلام وانفذ الكتب الى جميع العربان ومن جملتهم بنو عبس وعدنان فأجاب الملك زهير بالسمع والطاعة وردا الجواب بأحسن خطاب * قال وأما الملك كسرى فانه دعا بالوزير عمرو بن نفيلة العدوى وقال له سر أنت بنفسك الى الملك النعمان ودبر قواعد مملكته فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وسار من وقته وساعته الى أن وصل الى الحيرة ودخل على الملك النعمان فقام له ناهضا على الاقدام وأدناه وجعله من أجل ندماه وعظم قدره ومثواه * قال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عنتر بن شداد فانه بقى فى انتظار أخيه شيبوب مدة أربعين يوما فزاد به القلق واعتراه الارق وأراد أن يركب ويسير فى طلبه واذا به قد قدم عليه وهو كأنه ذكر النعام وكان الليل قد أرخى ستور الظلام فلما رآه عنتر لم يكد يعرفه من شعث السفر وغيبته فى البر الاقفر فلما حقق فيه النظر قال له ويلك يا أخى ياشيبوب قتلتنى بطول هذه الغيبة فعسى أن يكون معك من بنت عمى خبر ووقعت لها على جلية أثر فقال شيبوب ائتنى قبل كل شئ بما آكله من الطعام لانى جائع يا ابن الكرام فأتوا له بكثير من الطعام فأكل حتى اكتفى وشرب المدام حتى ارتوى وبعد ذلك قال له عنتر أخبرنى عن عبلة فقال شيبوب اعلم يا ابن الام بان عمك الكذاب الخوان قد استجار ببنى شيبان وبالملك قيس بن مسعود وولده بسطام وقد استجار منك وشكا اليه حاله وحدثه بما جرى له والرجل قد أجاره وخلاه فى دياره وزوج عبلة لولده الامير بسطام واختار هناك المقام (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قلق قلبه وهام ولم يترك شيبوبا يتم الكلام حتى حس ان روحه تنسل من بين العظام من شدة الوجد والغرام فقال له عنتر ويلك وهل دخل بها ذلك الكلب الخوان قال لا يا ابن الكرام ثم قال شيبوب اسمع بقية الكلام والقصة وأزل عن قلبك الهم والغصة اعلم انى لما فارقتك سرت الى ديار بنى قحطان ودرت فى حلل كثيرة من حلل العربان حتى سمعت بان عمك اللئيم القرنان نزل على بنى شيبان فرأيت من الصواب أنى أسير اليهم وآتيك بالخبر اليقين وقد أخفيت حالى عن المشاهدة بالعيان ثم انى سرت الى القوم وقد أخفيت حالى وضيقت لثامى وغيرت زيى وهندامى فرأيت الملك قيس بن مسعود قد ركب وهو طالب الصيد والقنص واغتنام اللهوى والفرص وعمك أبو عبلة الى جانبه هو وولده عمرو وهم أقرب الناس اليه من أهله وأحبابه وقد خلع عليهم وأحسن اليهم فلما

رأيت

رأيت أنا ذلك حققت الخبر عند المشاهدة بالنظر وأخفيت روحي وسرت على مهلي ورصدت مضرب عبلة حين تخلى من أمها وأبيها ومن عمر وأخيها فعند ذلك هجمت عليها فرأيتها تبكي من شدة الشوق والبلبال الى نحو الديار والاطلال وقد تغير منها ذلك الحسن والجمال فلما نظرتني زادها البكاء والكدر وقالت ويلك ياشيبوب وأين أخوك عنتر فقلت لها في بني عبس يقاسي الويل والسهر وقد جرى عليه من أجلك ما لا يجرى على بشر وأما أنا فقد سلكت البر الاقفر حتى أعود اليه منك بالخبر فقالت عبلة والله اني كنت خائفة عليه من نوائب الدهر والعبر وما كان عندي من أرسله اليه حتى أعلمه بما أنا فيه لان أبي زوجني بسطام ابن الملك قيس وجعل عليه مهري قتل ابن عمي عنتر والقوم أمرهم قد قيس ومابقي الا أن ينصبوا لاخيك عنتر أشراك الموت والضرر فارجع ياشيبوب أنت الساعة واعلمه بالخبر وقل له يكون من أمره على حذر وعرفه عني اني ان رأيت رأسه أتى بها بسطام وشرع أبي في عرسي قتلت نفسي ثم انها يا أخي ودعتني وقد زاد بكاها وقالت لي ياشيبوب بحق من خلق النطفة وأنشاها احفظ مني هذه الابيات ولا تنساها ثم انها اشارت الى تقول صلوا على النبي الرسول

١٩ أيا ابن العم قد زاد انتحاحي * وذبت لفرط وجدي وانتزاحي * فلو اني أطير لطرت شوقا
الى تلك الديار مع الرياح * ولكن حول أبياتي رجال * تهز اكفها سمر الرماح
وقد أصبحت شبه الطير لكن * يد الايام قد قصت جناحي * وزوجني أبي ظلما وغدرا
وموتي دون هتكي وافتضاحي * لحا الله كيف يبيع مثلي * رخيصا للعدا بيع السماح
ويرغب في غريب أجنبي * ويزهد فيك يا ليث البطاح * وحقك لا نقضت العهد يوما
ولو قطعت بالبيض الصفاح * فدبر ما ترى فيه صلاحا * فانك أنت أخبر بالصلاح
وسل أرياح نجد عن سلامي * اذا جاءت وهبت في الصباح

(قال الراوي) ثم انه قال يا أخي وأنا ما أتيت في مثل هذا الوقت الا حتى لا يدري بي أحد لا أبيض ولا أسود فان شئت أن تظهر هذا الحديث وان شئت أن تكتمه فقال عنتر وقد غاب رشده والله ياشيبوب ان كتمانه أصوب ومعاناته بروحي أوجب فوحق ذمة العرب وشهر رجب لاجعلن بسطاما وسائر بني شيبان أحدوثة للانام وأجازي عمي على تلك الفعال بما يستحقه من الاعمال لانه قد بالغ في عداوتي وطلب مهر ابنته اتلافي مهجتي ولكن ياشيبوب في أي القوم هم نازلون قال له في الدهنا وأرض العنيزتين وماهم الا في نفر قليل من الفرسان لانهم متفرقون في سائر الوديان على المروج والغدران ولكن هيبة الملك قيس بن مسعود وولده بسطام سيد بني شيبان تحرسهم من طوارق الحدثان (قال الراوي) وكان السبب في مسير أبي عبلة الى ذلك المكان وكيف استجار بالملك قيس بن مسعود وولده بسطام سيبا غريبا وأمرا مطربا عجيبا نحب أن نسوقه على الترتيب بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار الحبيب * وذلك ان مالكا أبا عبلة لما خلصه عنتر من قبضة خالد بن محارب ورجع يطلب خدمة الملك زهير كما ذكرنا رخلى لابي عبلة المكان من الرجال والنسوان فقال مالك للربيع بن زياد ما أعظم سعادة هذا العبد الاسود الذي طغى وتمرد وكلما رميناه في بلاء يسلم ويعود ونحن نقع في يد الاعداء ويحوجنا الدهر اليه ويكون خلاصنا على يديه فوالله ان القتل أهون علينا من هذه المصايب فياليتني هلكت في وسط المواكب ولا يكون خلاصي على يد هذا العبد الحقير وأنا أعلم أنه ما بقي لي خلاص ولا بد ان يأخذ ابنتي مني اقتناص فقال له الربيع يا ابن العم لا تبلغه أنت المنى وتلبس العار مادمت في هذه الدنيا فقال له مالك أشر علي وكيف ذلك دبرني عسى أن تخلص ابنتي من يد هذا العبد الذي فتت مهجتي فقال الربيع اعلم ان القوم في هذه الساعة في الحرب والكفاح والناس مشغولون

بضرب الصفاح وطعن الرماح فاركب أنت وعبلة زوجتك ومن يتعلق بك من أهلك وعشيرتك واركبوا من هذه النجب والمهار واقطعوا البر والقفار واطلبوا أرض بني شيبان فأنا اعلم ان الحرب لا ينفصل بين الطائفتين الا وقد سرت أنت في أبعد مكان واذا نزلت على الملك قيس بن مسعود فاشك اليه حالك فهو الذي يبلغك آمالك لانه سيد مطاع وله ولد يسمى بسطام تفزع منه الجن التي في سائر الاكام فاقم هناك تحت ظله ولا يركبك العار الاكبر ولا يأخذ ابنتك أقل البشر عنتر (قال الراوي) فلما سمع مالك ذلك الجواب رآه عين الصواب فركب هو وولده عمرو ومن تلك النجب التي أتى بها معديكرب وأخذ زوجته وابنته ومن يتعلق به من قرابته وقد أخذ من الجواهر والحبوب شيأ كثيرا من ماله ومال غيره مما قدرت عليه عبيده ثم انه أمر العبيد والرجال أن يسوقوا الخيل والجمال ثم انهم ساروا من أول النهار وغاصوا في البراري والقفار الى أن وصلوا الى حلة بني شيبان ودخل أبو عبلة على تلك الخيام فالتقتهم العبيد والخدام وسألوهم عن أحوالهم وما هم طالبون من أمورهم فعند ذلك أخبرهم مالك انه طالب الملك قيس بن مسعود الكريم الآباء والجدود فقالت له العبيد على الرحب والسعة والكرامة غير ان الملك في الصيد والقنص وقد قرب وقت قدومه وها هنا من يقوم مقامه انزل يا ابن الاجواد فقد حصلت في ذمامه * قال فنزل الامير مالك هو وولده وكل من معه من عبيده وجنده ثم ان العبيد أدخلوا عبلة وأمها عند حريم الملك وبناته وأجلسوا مالكا وولده وأخذوا خيولهم سيروها وبعد ذلك على المداود ربطوها وقعدوا في انتظار الملك حتى يقدم من صفائه ومسرته بمن معه من أهله وعشيرته (قال الراوي) فما استقر بهم القرار حتى أقبل الملك قيس من البراري والقفار ومن خلفه سائر الامراء والشجعان وهم لابسون الابراد اليمنيه متقلدون بالسيوف الهنديه ومن تحتهم الخيول العربيه وهم في حمية وأي حميه صلوا يا حاضرون على سيدنا محمد خير البريه (قال) ولما أقبل الملك على قومه تلقاه عبيده وأخذوا ما معه من الصيد الذي حصله وجلس الملك في محله ودارت به فرسانه وأجناده فعندها قام الامير مالك على حيله وولده عمرو يتبعه وتقدم وقبل من الملك يده وقد أذلته الغربه وبعده عن الاحبه فعند ذلك ترحب به الملك قيس وأكرمه وبجله وعظمه وأخذ في الحديث معه وجعل يسأله عن حالته وما السبب الذي أتى به الى هذه الديار وأبعده عن حلته فعندها حكى له مالك بن قراد عن حكايته وعن عنتر ابن أخيه وعبلة ابنته وكيف ان عنترا أراد ان يأخذها غصبا عنه وعن قرابته وفي آخر الكلام قال له يا ملك الزمان ولما أعياني منه الامر قصدت الى جنابك العظيم مستجيرا من هذا اللئيم وها أنا في جيرتك والذمام أيها الملك الهمام (قال الراوي) فعند ذلك تعجب الملك قيس وأخذه الطرب من قصة ذلك الرجل من دون العرب وقال له يا شيخ أما كان في حلتك من يرجع هذا العبد عنك وعن ابنتك (قال الراوي) فقال مالك أبو عبلة أنا أعلمك يا ملك الزمان ان هذا العبد ولد حرام وقد تفرس ما بين الشجعان ولا قدر أحد أن يرد له عنان وكل من تحرش به أسكنه في الارض والكثبان وها أنا حكيت لك حكايتي وقصصت عليك قصتي وقد استخرتك عن أهلي وقرابتي فأجبر خاطري وأكرم شيبتي (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس هذا الكلام علم أنه على فضله لا يلام فعند ذلك قال له مرحبا بك من قادم علينا قدوم خير كفيت على الرحب والسعة والكرامة كل ضير وقد أجرتك من كل العربان ولو كان خصمك الملك النعمان أو كسرى أنوشروان فعند ذلك قبل مالك يديه وشكره واثنى عليه (قال الراوي) فهناك على الحقيقة طابت لمالك أبي عبلة المعيشة وصار الملك قيس لا يفعل أمرا الا بحضوره ومشورته لما رأى فيه من تدبيره وخبرته ونسي مالك أرضه وداره وسائر قرابته ولم تخطر أرض الشربة على مهجته (قال الراوي) وكان بسطام بن الملك قيس قد انتشأ في بني شيبان وربى مع النسوان وصار يحب الجلوس معهن والحديث بينهن

حتى

حتى كبر وصار فى عداد الرجال ولكنه ضعيف الحال فحارت أباه جميع العربان وقالوا ان الملك قيس سيد بنى شيبان أتى له ولد طنجير جبان فاغتاظ الملك قيس من سماع هذا الكلام وخاف من شماتة العربان فدخل على زوجته وجد فى يده الحسام ودمدم دمدمة الاسد الضرغام فعندها خافت منه زوجته لما رأت أن هذه الحالة حالته فقالت له ما حالك يا ابن الكرام فقال لها لا بد لى من قتلك وأسيل فى هذه الساعة دمك ان لم تمكنينى من قتل ولدك من أجل الكلام الذى سمعته من العربان حيث يقولون ان الملك قيس له ولد جبان ويحب الجلوس مع البنات والنسوان وأنا بالحنفاء كلما أهم بقتله تمنعينى عنه وتقولين ولدى لا يهون على قتله ولا أرضى له بالاعدام وأنا قد انفقعت مرارتى من كثرة الكلام وقصدى ان تمكنينى من قتله حتى يطمأن قلبى من جهته فقالت له ان قتله على رؤس الاشهاد ما هو بصواب وان كان مرادك ذلك فانا أغيبه عن عينك وأرسله الى اخواله السادات فهم يأخذوه عندهم ويغزو معهم فى الغزوات الى أن يتفرس ويصير من الفرسان أو انه يموت ولا يعلم به انسان ولا تفعل أنت شيأ يلومك عليه ملوك الزمان (قال الراوى) ولم تزل به زوجته حتى انها عما يرى هجعته وطلع من عندها كان الذى كان به من الغضب ما كان ثم انها اهتمت فى ذلك الشان وأرسلت ولدها الى اخوتها بنى تميم الشجعان فعندها ذلك استقبلوه وفى أرضهم أنزلوه وأكرموه وبجلوه ثم انهم صاروا يأخذونه معهم فى الغزوات ويقدمونه قدام السادات جملة أيام وليال حتى انتقل من حال الى حال وصار يهجم على السباع ويصطادها من كل البقاع ويهجمها من الغابات فى الوديان حتى انتهت عزيمته وسموه أبا اليقظان (قال) وفى بعض الايام طلع الملك قيس الى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فعند ذلك اشتاقت زوجته الى ولدها فأرسلت الى اخوتها أن يرسلوا لها ولدها فى غيبة بعلها فعند ذلك أرسلوه اليها فتلقته وقبلته بين عينيه وفى جبهته وقالت له يا ولدى أما آن لك ان تخلع ثياب النسوان وتلبس لباس الشجعان وتتقدم أصحاب الحرب والطعان فعند ذلك قال لها نعم يا أماه وقد سميت أبا اليقظان وأنا أسأل الرب الكريم الحنان ان يطرق أرضكم عند الصباح فرسان تطلب الحرب والطعان لكى تنظرى ما يقع منى معهم فى الميدان وأنا قد آليت على نفسى انى ما اضاجع النسوان وما بقيت أجالس الا الابطال والفرسان فقالت له أمه يا ولدى دعنا من هذا القيل والقال فاننا ما نريد حربا ولا قتال ولا طعنا ولا نزال ثم انها باتت تلك الليلة وهى فرحانة بولدها وقرت به عينها (قال نجد) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح طلعت عليهم نواصى الخيل وهى مثل قطعة من سيل يقدمها فارس فى الحديد غاطس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من الجبل أو قضاء الله اذا تحول ونزل وكان ذلك الفارس يسمى شهاب اليربوعى الحجر الجلمد الذى ناره فى الحرب لا تخمد كما اشتهى الامير بسطام وكان معه خمسمائة فارس فى الحديد غواطس أبطال قناعس فنهبوا الاموال وساقوا الخيل والجمال (قال) وكان الملك قيس بن مسعود عند مسيره الى بنى تميم ترك فى الحى ابن عم له يقال له الامير غالب بن جهير وعنده سبعون فارسا من بنى شيبان * قال فلما سمع غالب صياح الفرسان ركبت معه الابطال الذين عنده وصاروا يتبعون آثار النوق والجمال فعاد اليه شهاب اليربوعى ومن حوله من الفوارس واستقبل بهم فرسان بنى شيبان وتلقوهم بضرب السنان والسيف اليمان والتقى بغالب بن جهير فأورثه البلاء والويل والذل والصغير ثم ان شهاب اليربوعى قوم السنان وضايق غالبا ولاصقه وسدد عليه طرائقه وطعنه فى صدره فأخرج السنان يلمع من ظهره وحمل على الخيل وأنزل بركابها الذل والويل وهجم بعد ذلك على البيوت والنسوان ومن حوله فرسان بنى يربوع الشجعان فعند ذلك زعقت البنات والنسوان ووقع البكاء فى الصبيان وكان الامير بسطام

أرادان يركب من حيث أقبلت الاعداء فما مكنته أمه من ذلك وخافت عليه من شرب كأس المهالك وصارت متعلقة بأذياله والامير بسطام مستحى من ذلك ومازال على ذلك الحال وهو كلما أرادان يركب على القوم تمنعه أمه حتى رأى الخيل وهى بين الاطناب والنساء قد زادبهم البكاء والانتحاب فزاد به الحرب وأخذته نخوة العرب ووثب على ظهر جواده وثبة الاسد ولم يلبس على جسده زرد لان النخوة قد غيرت أوصافه والشجاعة لعبت بأعطافه فأخذ الرمح وحمل وطلب الاعداء بقلب أقوى من الجبل وانصب على أعدائه انصباب السيل وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

وما بنى فى العلا بيت من الكرم * الا بطعن القنا والضرب فى القمم
نخل ذكر سليمى والرباب اذا * دارت رحا الحرب فى داج من الظلم
ان لم أمت وسيوف الهند مشهرة * فلا سعيت على ساق ولا قدم
ولا ركبت جوادا يوم معركة * ولا هزمت جيوش العرب والعجم
ولا نصرت على خصم أحار به * ولا خلوت من الانكاد والالم
ولا بلغت المنى ممن أمله * ولا مشيت الى اللذات والنعم
ولا رجوت بباعى مقصدا أبدا * وكان دمعى برى فيضا بمزج دم

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بسطام من ذلك الشعر والنظام زعق على الخيل ونزل عليها نزول السيل وأبلاهم بالذل والويل ونثرهم بالرمح والحسام حتى أخرجهم من المضارب والخيام فعند ذلك عاشت أرواح بنى شيبان وصاحت البنات والصبيان وطلع الغبار الى العنان ونظر شهاب اليربوعى فعال بسطام فزادت أهواله وعظم بلباله فانقض على بسطام وأرادان يطعنه فسبقه بسطام وطعنه فى جنبه فقلبه وعن مركوبه كركبه فصار يخوض فى دمه ويضطرب فى عندمه وقد أشرف على الهلاك والعطب واندق ضلعه وحلت به النوب وعاد الى فرسانه عودة الاسد ففرقهم تفريق البهائم الرتع وشتت شملهم بعد ما اجتمع فولوا هاربين والى النجاة طالبين ولم يزل بسطام تابعا الآثار حتى أبعدهم عن الديار بالقوة والاقتدار ثم انه عاد الى الاحياء وهو رجاله الاخيار (قال الراوى) وأما بنو يربوع فانهم رجعوا وأخذوا سيدهم شهاب لانهم وجدوا فيه الروح فحملوه وقصدوا عرض البرارى والقفار والسهول والاوعار وأما بسطام فانه رجع وهو مؤيد منصور وأمه لم تسعها الدنيا من شدة الفرح والسرور وأنزلته عن جواده من بعد أن بلغ من الاعداء غاية مراده وكان بسطام أخذ جواد شهاب وكان جوادا مخبور يقال له ذات النسور وبعد أيام وصل أبوه وهو فرحان بغنيمته من ديار بنى تميم فزادت أفراحه وزالت اتراحه فأحضر بسطاما وأحسن اليه وقربه منه وخلع عليه وقال الحمد لله رب العالمين الذى أخرج لى ولدى هذا المخرج ونقله مما كان فيه من ذلك المنهج (قال الراوى) ومن ذلك اليوم صار الامير بسطام حامية بنى شيبان وخافت من شره جميع العربان واتفق ان الملك المنذر كما وصفنا مات وشرب كأس الحمام وتولى بعده ولده النعمان وأطاعته القبائل من سائر العربان فسمع النعمان بشجاعة الامير بسطام وانه قوى العزم عظيم الشان فأنفذ اليه الخلع والهدايا وأمران يحضر الى ميدانه لان النعمان كان يحب الفرسان ويقرب الشجعان الى ساحته ويعطيهم الانعام فلما ان وصلت رسالة الملك النعمان الى عند الملك قيس الهمام جهز ولده بسطام وسار الى أن قدم على الملك النعمان فأكرمه غاية الاكرام وقد أحسن ضيافته ثلاثة أيام وبعد ذلك أرادان يطلب بسطاما الى الميدان فأحضروه فى جملة الفرسان وامره بالنزول الى الابطال والشجعان فجال بسطام مع الاقران وقد اظهر من فعاله ما حير به الفرسان ولم يبق بطل الا وأبطل عليه مجاله ولا فارس الا وافترسه وقطع أوصاله فلما نظر الملك النعمان الى أفعاله غمره

بجوده

بجوده وافضاله وتركه حاميا لبلاده وأوطانه وماعاد الى أبيه الاوقد خلع النعمان عليه والجنائب تقاد بين يديه فخرج بنوشيبان مع ملكهم ولاقوا الامير بسطام وقد فرح أبوه به وبرؤيته وكان مالك أبو عبلة قد أتى الى ديارهم فى غيبته فلما ان خرج قيس الى لقاء ولده فى ذلك اليوم كان مالك وولده عمرو فى جملة الناس وهم الى جانبه فلما ان سلم الملك قيس على بسطام تقدم مالك وولده اليه وسلموا بأفصح السلام عليه وتكاموا معه بأحسن كلام فتعجب بسطام من فصاحتهم وقد أنكر زيهم لقلة معرفته بهم فلما ان حصل وجلس فى مضارب أبيه واجتمع حوله سائر أهله وذويه سألهم عن مالك وولده فقالوا له أيها الامير اعلم ان هؤلاء القوم من العبسيين وقد نزلوا على أبيك مستجيرين من عبد قد نشأ عندهم وقد قهرهم بشجاعته واحتاج ملكهم الى سيفه وحمايته ثم انهم حدثوه بكل ما كان وقد وصفوا له ابنته عبلة وما فيها من الحسن والجمال وما حازت من الملاحة والكمال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع بسطام منهم هذا الكلام هام بها على الصفة واشتغل خاطره بها من غير نظر ولا معرفة فلما كان عند المساء خلا بأمه وقال لها يا أماه هل رأيت هذه الجارية العبسية فقالت له أمه وحق خالق البرية هى والله أحسن من الشمس والقمر ولا يوجد مثلها فى هذا الدهر واعلم ان الذى وصفها لك ما أنصفها ولا يعرفها لانه ما حقق رؤيتها واعلم أنها فى الحسن غريبة وخلقتها خلقة عجيبة وهى تفتن بنات الترك والعجم وتبقى بنات الملوك عندها خدم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع بسطام من أمه ذلك الكلام قلق بحبها وزاد به الهيام وقد اشتد به الوجد والغرام فقال لها يا أماه وحق الكعبة الحرام ما كان فى نيتى ان أضاجع امرأة مدا الزمان والآن قد وقع فى قلبى من هذه الجارية نيران وقد اشتد على لهيبها واشتهيت ان أنظرها من قبل ان أخطبها ولكن يا أماه اذا كان فى غداة غد ورحب أبوها للسلام على أبى فادعى أمها الى عندك وأكرمى مثواها ثم استوحشى لها وأكثرى معها الحديث وطاولیها فى الكلام حتى ألتف أنا فى كساء وأنتى الى أبياتهم فى زى سائلة من بعض النساء لعلى أنظرها بعينى حتى يتم لى ما أريد ثم ان بسطاما صبر الى ان كان من الغد ورحب أبوها فى أبطال بنى شيبان ودارت به الشجعان والفرسان فعندها تخلف بسطام عن الركوب وقد أظهر لابيه وقومه أنه متعوب فتركوه فى الابيات وساروا ✻ قال فلما ان خلت المضارب من الرجال أنفذت أم بسطام خلف أم عبلة فأتت اليها فنهضت اليها قائمة وسلمت عليها وقد أجلستها بين يديها وطاولتها فى الحديث والكلام فهنالك خلع بسطام ما كان عليه من ثياب الملك والاحتشام وقد تزيا بزى امرأة فقيرة رثيثة الحال وقد التف فى عباءة وسار يطلب أبيات مالك وقد زين له الهوى ذلك المحال وتلك الاعمال وقد كانت عبلة لما خلا لها المكان تذكرت المنازل والاوطان وقعدت وخلعت البرقع عن وجهها وجعلت تبحث فى الارض بيديها وتشغل نفسها بكلام يجلب لها البكاء كما جرت بذلك عادة النساء فبينما هى كذلك واذا ببسطام قد أتى ووقف على باب الخبا ونادى بعبلة وقال لها ياحرة العرب وأخرهم فى الحسب والنسب بحق رب يبلغك أملك ومرادك ويشفى قلبك ويغسل عنك همك ويزيل غمك ويدفع كربك روى لوعتى وردى جوعتى وهدى سرى بشئ أمسك به رمق الفؤاد لانى امرأة ضعيفة الحال قليلة الرجال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت عبلة منه ذلك المقال رثيت فى عاجل الحال وهى تسحب اذيال الجمال وأتت ومعها قطعة طرموس وشئ من التمر وقالت لها خذى ياخالة واعذرينا فى هذا المقدار لاننا قوم غرباء ولا لنا هنا أقرباء وادعى لنا بجمع الشمل بالخلان والعودة لى الديار والاوطان ✻ هذا وبسطام لما أن رآها وسمع منها ذلك المقال غاب عن الدنيا من لذة كلامها وظرفها وتلاطم أمواج أردافها وجمال وجهها ثم انه أخذ منها الزاد وعاد بلا قلب ولا فؤاد ولما وصل الى أبياتها يعنى أبيات أمه رمى عن اكتافه عباءته فقالت له أمه ياوادى ما الذى رأيت فقال لها يا اماه لا تسألى عن

حالى ولا على ماجرى لى واعلمى انك ماعدت اليك الا وأنا ما املك شيأ من عقلى ولا بقى لى سمع ولا ناظر
ولا اقول انى عندك حاضر لما قد رأيت من صنعة رب السماء التى قد صورها من ماء والآن ما بقى
لى نجاة من اشراك الغرام وقد زادت بى الغصص و بقيت مثل الطير فى القفص وان لم تساعدينى على
ما نزل بى من البلا والاهجمت على وجهى فى اقطار الفلا (قال الراوى) فلما سمعت أمه منه هذا المقال
ورأت ما حل به من تلك الاحوال قالت له يابنى طب نفسا وقر عينا واعلم انك اليوم ملك بنى شيبان
وفارس العصر والأوان وأنا انى اخاطب اباك فى هذا المعنى وابلغك كل ما تشتهى وتتمنى ثم انها
صبرت الى ان عاد أبوه من الركوب واكل الطعام مع الفرسان ودخل بعد ذلك الى الابيات وقد أراد
الراحة فى المنام فأقبلت اليه وجلست بين يديه وقد أعادت كل ما جرى لولدها عليه فقال لها والله
يا ابنة العم انها ما تصلح الا له ولا يقارب جمالها الا جماله وسوف أدعو اباها فيجىء عندى واتحدث معه
فان هو بها انعم حكمته فى جميع ما املكه من النعم واعطيته كل ما يريد وازيل عنه النقم واعطيه ما يريد
من المال والخيل والجمال (قال الراوى) ثم ان الملك قيس بن مسعود ارسل خلف أبى عبلة مالك وولده
عمرو فلما اقبلا ودخلا عليه قام الملك قيس اليهما وقد رحب بهما غاية الترحيب ثم انه اجلسهما بين يديه
وقال لمالك يا وجه العرب و يا صاحب الحسب والنسب اعلم أنه بعد مسيرك من عندى قد بدا لى أمر وانا
اقول ان لك فيه الافراح ان وافقتنى على هذا الاصلاح فقال مالك لما سمع ذلك الكلام وما هو ايها الملك
الهمام والليث الضرغام فقال له الملك قيس اعلم انى أريد منك ان تزوج ابنتك لولدى بسطام الذى
هو سيد بنى شيبان وحامى بلاد الملك النعمان وفارس العصر والزمان واطلب من المهر ما تشاء من المال
والنوق والجمال حتى انى أسوق كل ما تطلبه اليك وتكون بعد ذلك منتك علينا ولا منة لنا عليك
(قال الراوى) فلما سمع مالك ابو عبلة من الملك قيس بن مسعود ذلك الخطاب فرح واستبشر واجاب
وقال والله يا مولاى ما انتم الا غاية فى الشرف والخير المذكور واكون انا المسعود من دون جميع الجنود
ولكن يا سيد العرب انت تعلم ما تم لى من السبب وانى ما أتيت اليك الا وانا بك مستجير من ذلك العبد الحقير
لانه يا مولاى قد شيب مفرقى وكدر عيشتى وأكثر قلقى * قال فلما سمع بسطام من مالك ذلك الكلام
انفرجت كربته وزالت شدته فعند ذلك انبسط مع مالك فى الكلام وقال له أنا أبلغك المرام واضمن
لك هذا المقدار واطفئ ما بقلبك من لهيب النار واعطيك بعد ذلك اموالا تسد الفضا وتملأ المستوى
فعند ذلك زوجه مالك ابنته عبلة وقد اعطاه يده على ذلك وانفرجت عن قلبه تلك الدبلة ثم ان مالكا
اقسم قدام بنى شيبان ان رأى رأس عنتر وصورته سلم اليه ابنته ثم انفصل الحال وتمت الأمور والاشغال
(قال الراوى) فلما خلا الملك قيس بولده بسطام قال يا ولدى أى شئ هذا الكلام والله يا ولدى ان ترك
هذا الامر خير من الجد فيه لانك ان سرت الى بنى عبس وحدك ما آمن عليك وان سرت مع عسكرك
وجندك يقول جميع العربان ان بنى شيبان ما قضت حاجتها الا بكثرة الفرسان فقال بسطام وحق من
أرسى الجبال وقدر الارزاق والآجال لا أسير الى عنتر الا وأنا وحيد فريد ولا فعلن فعلا تعجز عنه
الصناديد لان زوجتى عبلة فى قلبها من هذا العبد دبلة هى واخوها وأمها وأبوها وفى قلوبهم
أمر عظيم من هذا العبد الزنيم واذا علموا أنى سرت الى بنى عبس وحدى وقهرتهم بساعدى وزندى
وعدت ورأس عنتر معى وارتفع عندهم قدرى وأريد منك أن تكتم عنى هذه القضيه ولا تطلع عليها
أحدا من البريه وان سألك عنى انسان فقل انه مضى يشرف على بلاد الملك النعمان ثم ان بسطاما بعد
ذلك الامر والشان ركب فوق جواده وتقلد بعدة جلاده وسار يقطع الربا والآكام ومازال سائرا
بالجد والاهتمام وهو ينظر الى الخيام حتى انجلى غسق الظلام فهنالك ثبت عقله وفتح عينيه ونظر

بعين

بعين خبرته الى ما بين يديه فرأى قائد الهوى قد أعدمه التوفيق والقوى وساربه العشق على غير طريق الاستوا لانه أراد أن يطلب وادى ديقار فسار الى أرض الدمايت وقد أصبح فى أرض واسعة الجنبات دارسة الطرقات موحشة الفلوات فوقف عند ذلك بسطام وقد نظر يمينا وشمالا وتأمل الى تلك الروابى والتلال فبينما هو على ذلك الحال واذا بغبار قد ثار وارتفع قدر ساعة من النهار وانكشف عن سبعين فارسا صناديد مسربلين بالحديد والزرد النضيد وقدامهم فارس مثل البرج المشيد (قال) فلما نظر بسطام الى ذلك حرك الجواد واعتد للحرب والجلاد فعند ذلك تقدم الفارس المقدم ذكره وقال له يا فتى من تكون من العربان انتسب لعله يعجبك النسب فقال له بسطام يا غلام ان لم يعجبنى النسب أنجانى رمحى وحسامى المشطب ياويلك أنا بسطام بن الملك قيس بن مسعود سيد بنى شيبان وحامى بلاد الملك النعمان فأنت من تكون من العربان ومن يقال لك من الفرسان تأخر وتكلم بما عندك من الكلام (قال الراوى) فلما سمع الغلام من بسطام ذلك الكلام ضحك ضحك العجب وقد هز الرمح فى يده فرح وطرب وحط يده على الحسام وقال ان هذا الاتفاق فيجب عليه شكر الملك الخلاق فقال له بسطام وكيف ذلك ياغلام هل لك عندى دين تستوفيه أودم تقتضيه فقال له الفارس لا والله يا أبا اليقظان مالى عندك لادم ولادين ولكن بعد ما رأيتك ما بقيت أقدر ان أعود الا برأسك لاننى أنا يقال لى طرفة بن نافع وقد خطبت سعدى ابنة شهاب اليربوعى الذى قتلته أنت يوم غار عليكم وقد قالت لى أمها ما أزوجها الا لمن يأخذ لى بثارها ويأتينى برأس بسطام قاتل أبيها وبعد ذلك يأخذها بلا مهر معدود ولا صداق محدود وهذه طريقى من عند قومى اليك حتى اننى آخذ راسك من بين كتفيك على أننى وذمة العرب ما أبقى عليك ولا أترك أحدا من بنى عمى يدنو اليك حتى ينفصل الحال فخذ الآن حذرك ودبر امرك للحرب والقتال والطعن والنزال (قال الراوى) فلما سمع بسطام ذلك الكلام قال له والله يا طرفة لقد ساقك الطمع الى سوء المصرع واليوم ترى أنت وقومك فعالى وسوء المصنع وتنظر أسدا ليس لك منه خلاص الا ان تذل وتخضع وما اريد منك فى هذا المكان الا الانصاف وان ابيت ذلك ولا تعمل بالانصاف فاحمل أنت وقومك اجمع لانكم عندى مثل الغنم اذا وقع بها الاسد الادرع فقال له طرفة وهل لك ان تتكلم بهذا الكلام فى مثل هذا المقام لكن قل لى ما الذى تريد من الانصاف يا بسطام فقال له تمهل على حتى أنزل من على ظهر جوادى وارمحه قليلا واعود على ظهره وبعد ذلك دونك والقتال فقال له طرفة افعل ما بدا لك فعند ذلك عاد طرفة الى عند قومه وأخبرهم بما كان بينه وبين بسطام ففرحوا بقضاء حاجته * هذا وقد نزل بسطام عن جواده وحل عنه الحزام واراحه من اللعام وحط عنه سرجه وسيره حتى راث وبال وأخذ الراحة للحال لانه كان قد سار من أول الليل الى ذلك الوقت وما أخذ الراحة أسرجه وألجمه وعاد بسطام الى ظهره وجعل ينشد هذه الابيات

أنصف الدهر وبالحق حكم * ولعمرى بالقومى ما ظلم * سرت أبغى دم من لاضامنى
فأتانى من تقاضانى بدم * قصتى تعجب من يسمعها * ثم تبقى مثلا بين الامم
يا بنى شيبان قلبى ضائع * فانشدوه بين أطناب الخيم * أسرته طيبة فى طرفها
صائد يصطاد آساد الاجم * شبه شمس طلعت وقت الضحى * أو هلال بان فى جنح الظلم

(قال الراوى) ثم ان بسطاما بعد ما فرغ من شعره انقض على الخيل وقد نزل عليها نزول السيل فى ظلام الليل فأهلك حماتها وبذل دماء سداتها ثم انه عاد الى طرفة خصمه وتلقاه برمحه وجسمه وقد صاح به وخيله وطعنه بالرمح فى خاصرته فقتله ثم انه عاد الى باقى الخيل وكان القوم من بنى مضر فلما أبصروا من بسطام ذلك الامر المنكر هجموا على وجوههم فى البر الاقفر والمهمه الاغبر ومازال بسطام وراءهم حتى

أهلك جماعة من رفقائهم ثم انه عاد عنهم بعد القتال وهو بهم مثل الاسد الرئبال وبعد ذلك سار وجعل يجد فى قطع واسع القفار حتى انه بقى فى ديار بنى صعصعة ومن هناك استقام على الطريق ولم يزل يجد المسير ويقطع الصحراء حتى أشرف على ديار بنى مرة فبينما بسطام سائر فى ذلك الطريق اذ تلقاه فارس أسود على حصان أجرد وبين يديه رجل يسعى وهو يقطع الارض قطعا وكان ذلك الفارس عنتر بن شداد الاسد الغضنفر والثانى شيبوب الهمام القسور (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو أن شيبوبا لما وصل الى عنتر وقد حدثه بالخبر واعلمه أن عمه زوج عبلة لبسطام وطلب فى مهرها راسه فاشتكى من الغيبة أضراسه وقد صعب ذلك عليه واحمرت من الغيظ أماقى عينيه وأخفى الخبر عن أهل الحى ولم يطلع عليه أحدا لا أبيض ولا أسود وأوصى أمه زبيبة بكتمان سره وقال لها اذا أتى أحد من أولاد الملك زهير يطلبنى أو يسأل عنى فقولى له انه قد مضى يكشف اخبار أخيه شيبوب لانه قد طالت غيبته ثم انه خرج من الاحياء بعد ما نامت جميع أهل الحلة وسار يقطع القفار وقال لاخيه اقصد بناد يا بنى شيبان حتى انى أريك ما أفعل بمن من الهوان ولم يزل يجد السير فى جنح الظلام حتى انه التقى ببسطام وقد عرف كل منهما صاحبه بالصفة والحيله (قال) وكان بسطام أخذ صفات عنتر من عمه مالك وعنتر أخذ صفات بسطام من شيبوب الا انهما أرادا أن يذهبا الشك باليقين فناداه عنتر الى أين يا أبا اليقظان فقال له بسطام والله يا ابن شداد أنا سائر الى حضرتك اقطع راسك واخمد أنفاسك وأعود أتزوج بعبلة زوجتك فقال له عنتر وقد زاد قلقه والله من بعد هذا اليوم ما عدت ترى خيامها ولا بد ان تندب عليك أمك وتموت بحسرتها وغرامها فخذ حذرك وتأهب للموت فانه قد حضرلك فى هذه الساعة ثم ان عنترا التفت الى أخيه شيبوب وأوصاه أن لا يعينه عليه وتأهب له بسطام وهو يقول له والله يا عبد السوء ما قتالك الا غاية العار ثم انه جال وصال وحمله الهوى على الاخطار وأنشد وقال

حادثات الدهر تأتى بالبدع * ترفع العبد وللحر تضع * خل عنك الحرب بالون الدجا
واتبع الحق وزل عنك الطمع * ماركوب الخيل نوتا فى الفلا * كنت ترعاها اذا الصبح طلع
لا تقل انك تحظى بالمنا * والعبيد السود مثلك لى تبع * لولا عبلة من بعض الاما
تكثر الاطماع فيها والولع * انما عبلة ما فيها اغبا * من سناها البدر اذا البدر طلع
فاسل عنها قد حواها فارس * سيفه لو ضرب الصخر قطع * يلتقى الابطال فى يوم الوغا
بجنان لا يخاف الطعن جزع * يا بنى شيبان قد نلت المنا * وانجلى هم فؤادى واندفع
وغدا أخبركم عن عنتر * أنه يشرب للموت جرع

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من بسطام ذلك الشعر والنظام علم أنه معجب بنفسه وعاشق وقد زين له الشيطان طريق المحال فأجابه على عروض شعره وقال

يا أبا اليقظان اغراك الطمع * سوف تلقى اسدا لا يندفع * رمتنى تطلب منى غفلة
مثل ذئب جاثم يخشى الفزع * يا أبا اليقظان كم صيدنجا * خالى البال وصياد وقع
ان تكن تشكو تباريح الهوى * فأنا أشفيك من هذا الوجع * بحسام كلما جردته
سجد الموت له ثم ركع * وانا الاسود والعبد الذى * يصدم الخيل اذا النقع ارتفع
نسبتى سيفى ورمحى وهما * يؤنسانى كلما اشتد الفزع * وجميع الخلق شخص واحد
واله الخلق يرفع ويضع * يا بنى شيبان عمى ظالم * وعليكم ظلمه اليوم وقع
ساق بسطاما الى قتلته * عالقا منه باذيال الطمع
ها انا اقتله فى ارضكم * واجازيه على ما قد صنع

(قال

(قال الراوى) ثم انهما بعد ذلك الشعر والنظام حمل كل منهما على صاحبه وجعل يطاعنه ويضاربه وقصدا بالاسنة مقاتلة الاشباح واوسعا فى البر والبطاح ودام بينهما الامر حتى سكرا بغير راح ولا خمر وذقوا حرارة الجمر وأمسى عليهم المسا وهم فى لعل وعسى الا ان بسطاما قد كل وملّ وضعف رسم قواه واضمحل وندم غاية الندم على ما كان عليه قد عزم وعلم أن الفرسان تتفاضل وأن عنترا لا يقابل وعلم أنه ما بقى له خلاص من ضيق الاقفاص فطلب منه الاقالة الى الصباح ويرجعون للحرب والكفاح فأجابه على ذلك الايضاح وقد علم انه ماله من يده براح وقال له انزل حيث شئت من البطاح فقد اطلقت لك السراح من هذا الوقت الى حين يطلع الصباح (قال الراوى) فعندها طلب بسطام أعلا الروابى ونزل عن الجواد وهو لا يصدق أن يتم الهوى من كرب الجلاد وقد سلا عبلة بذلك الحال وبان له الصدق من المحال ونزل أيضا عنتر عن جواده الابجر وهو تعبان مكروب وقعد مع أخيه شيبوب وأتى له بشئ من المأكول والمشروب فقال شيبوب لأخيه عنتر واى شئ غرضك يا اخى بالمطاولة مع هذا الشيطان وهو قد أتى يطلب قتلك من ابعد مكان وانا وحق مكوّن الاكوان قد هممت بقتله مرارا وهممت أن أقتل جواده ولكن خفت من مخالفتك وانا لا يهون على تعبك فقال له عنتر دعه يا شيبوب فى هذا الليل يموت بحسرته وبعض على انامله وعند الصباح آخذه عند حملته لانه فى قبضتى وهذه الفعلة ما كانت فى ارادتى ولو اردت قتله كنت قتلته من أوّل النهار ولا أمسى عليه المساء الا وهو ممدد فى الصحراء وأنا اريد ان احمله معى الى بنى شيبان وأذيق كل من فيها الذل والهوان ولا أبقى منهم انسان لانه وحق ذمة العرب فارس لا يشبه الفرسان ولقد قربت من قتاله وأنا تعبان ثم انه أمر أخاه شيبوبا أن يتولى أمره الى الصباح فقال شيبوب على الرأس والعين يا ابن الام ثم انه صبر الى هجمة الظلماء حتى عرف أن بسطاما أراد أن ينام فسار شيبوب الى عنده قبل أن يغرق فى نومه وجاء من ناحية رجليه ورقد وحبا على بطنه ورمى بسطاما بحجر من يده فرفع بسطام رأسه من الارض فلما رآه شيبوب رفع رأسه التصق بالارض حتى صار لا يفرق منها فظن بسطام ان الذى حصل له منام فرجع برأسه الى الارض فما لحق ان يستقر عليها الا وشيبوب قد عنه فى كعبه فقام بسطام على حيله فرجع شيبوب أسرع من البرق الى خلفه فلما رآه بسطام ظن انه شيطان من عمار ذلك المكان فقال أعوذ برب البيت الحرام ومازالوا على ذلك الحال الى ان أضاء الفجر بالابتهال فتركه شيبوب ومضى الى أخيه عنتر وأيقظه من المنام وحكى له على ما جرى له مع بسطام ومازالوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح فتحذر بسطام من على الرابية وقد جرد فى يده الحسام ولكن أيقن بورود الحمام وكان مما جرى عليه فى تلك الليلة يتعجب كيف قاده العشق والغرام الى المهالك وسوء الارتباك وندم على مخالفته لابيه وكيف انه قد سار على حالة الوحدة فلما قارب بسطام الى عنتر أشار بنشدو يقول هذه الابيات

العشق فيه هلاك النفس بالاسل ✲ والضرب بالبيض والعسالة الذبل
ما كان ظنى بأنى ألتقى أسدا ✲ لا كالاسود عظيم القول والعمل
حتى غدوت وعندى من مخافته ✲ ما بت فيه على خوف من الوجل
صبرا على كل ما ألقاه من سقم ✲ ومن غرام ومن بعدى عن الحلل
يا نفس لا تجزعى ان الحمام له ✲ وقت وان طالت الايام للاجل
فيه الحروب فطب نفسا وكن فرحا ✲ وخوّف النفس بالاغلال والوجل

(قال الراوى) فلما فرغ بسطام من كلامه أجابه عنتر يقول صلوا على طه الرسول

من لا ربى فى اللقا والضرب فى العلل ✲ يبيت من هيبة الفرسان فى وجل

كم وقعة لى وبيض الهند مشهرة * وطعنتى تنقص اللذات مع اجل
وضربتى تترك الابطال صاغرة * وغمد سيفى ورود الموت فى القلل
وصرخة منى هزمت جيش اله عدد * والخيل جمعا مع الانعام والابل
أين الذى يبتغى أخذ العروس وقد * أضحى وفى القلب نار الحرب كالشعل
ما يبلغ القصد منها غير عنترة * فدونك الحرب ان الحرب للبطل

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره اخذا فى معاناة الحرب والطراد وجالا على بعضهما البعض وجالا بخيلهما طولا وعرضا حتى زاغت منهما الابصار وتحيرت الافكار وزاد عليه عنتر الدرهم قنطار فبينما هما على ذلك الحال واذا بغبار قد ثار من ناحية بنى عبس وبان من تحته مائة فارس على خيول كأنها الاطيار الا أنهم لما قربوا من الحرب حققوا النظر الى عنتر وبسطام فنادوا كلهم يا لعبس يا لعدنان فهم بسطام أن ينفلت من يد عنتر ويطلع الى رؤس الروابى والتلال واذا بغبار آخر قد طلع وامتد فى تلك الاقطار وانكشف بعد ساعة من النهار وكلهم بالسيوف الصقال مشتاقون الى الحرب والقتال وهم ثلثمائة فارس ربيال (قال الراوى) وكانت تلك القبائل التى أقبلت كلها طالبة قتل عنتر وماله منهم صديق ولا رفيق ولكن الله يسر له أسباب السعادة والتوفيق وكان السبب فى تلك القبائل التى أقبلت من خلف عنتر وكانت مائة فارس شداد يقدمهم الامير شرف الدين عمارة القواد وعروة بن الورد والباقى من بنى زياد هو أن مالكا أبا عبلة لما جرى له ما جرى فى بنى شيبان وقد سار بسطام ليأتى برأس عنتر أرسل مالك الى عمارة يعلمه بالخبر ويقول له قد رأيت من الكرم شيأ كثيرا وأنا خائف ان لا يصل نسبى ببنى شيبان وأن نحرم من تلك الاوطان وأشتهى من احسانكم ان تعاونوا بسطاما على قتله لعله يشرب كأس المهالك فاعلم عمارة الربيع وقال له دبرنى يا أخى يا ربيع فقال له من الرأى انا نترك عليه العيون والارصاد ونتبعه فى مائة فارس شداد ونأخذ خبره ونساعد بسطاما عليه ونقتله ثم ان عمارة لما فرغ هو وأخوه من ذلك المقال دعوا بعروة بن الورد وأطلعوه على ذلك الحال وصاروا راصدين عنترا حتى انهم راوه غاب عن الحى فعلموا أنه ما غاب الا وقد سمع بذكر عبلة ثم انهم استعدوا وساروا وأوسعوا فى البر وقال عمارة لعروة نحن خيلنا جياد ورماحنا مداد وسواعدنا شداد واذا نحن رأيناه وقع فى المصيبة رجعنا عنه وتركناه ولم يزالوا على ذلك الحال حتى أدركوه كما ذكرنا عند الصباح وهو مع بسطام فى الحرب والكفاح وكان اليوم الذى التقى فيه عنتر بسطاما كان هو اليوم الذى خرج فيه عمارة وعروة ومن معهم من الحى * وأما الغبار الذى ظهر من ناحية بنى شيبان فقد ذكرنا أنه انكشف عن ثلثمائة عنان والسبب فى ذلك أن الملك قيس بن مسعود افتكر فى أمر ولده فصار يدبر فكره ويحسب ألف حساب ودخل الى أمه وهى تبكى وتقول كيف ان بسطاما قد سار لعنتر وحده فما كان منه الا أنه جهز هذه الثلاثمائة فارس وقدم عليهم ابن عمه وهو يقال له نجاد وكان مذكورا يوم الحرب والجلاد وأوصاه على الاجتهاد فقال له يا مولاى أنا ما أحتاج الى وصيه لانك تعلم أننى أخبر أهل زمانى بالامور والتدبير والفروسيه ثم انه تجهز وسار على الطريق الواضحة حتى أشرف على بسطام وعنتر فلم تكن الا ساعة حتى عرف كل أحد أصدقاءه من أعداه وأبصر عنتر هذه الامور فعرف بواطنها وعلم أن الكل ما فيهم صديق بل أتوا يريدون سفك دماه فلما صح عنده ذلك الامر لاصق بسطاما * قال وكان بسطام قوى قلبه وأراد أن يطلق رأس الجواد فما مكنه عنتر بن شداد بل أدركه وزعق فيه وطعنه بعقب الرمح فألقاه على وجه الارض وقال لاخيه شيبوب شد كافه حتى ننظر ما يجرى بيننا وبين القادمين فنظر نجاد الى هذا الحال فقال لمن معه يا ويلكم أخذ هذا الاسود ابن ملكنا بسطاما وشده فى الاعتقال وانى أقول انه ما قدر عليه الا من خوفه من هذه

الفرقة

الفرقة العبسيه التى لحقت بصاحبها حتى تعينه على هذه القضيه كما لحقنا نحن صاحبنا فدونكم واياهم
ارفعوهم على أسنة الرماح وأنا أمزق جسد هذا الاسود وأطلق لمولانا السراح لانى أقول ان هذا الفارس
هو عنتر الذى قد سار بسطام يأتى برأسه ثم انه حمل يطلب عنترا فى خمسين فارسا وحملت بقية الثلثمائة فارس
على عمارة ورفقته مثل الاسود القناعس وقد قلوا فى أعينهم وداروا بهم وتفرقوا كراديس ومواكب
فعند ذلك لزم بنو عبس القتال خوفا من المهالك * فانظر أيها السامع الى هذه الاشياء التى تحير العقول
فان عمارة قد أتى يقاتل عنترا فصار معينا له بغير علمه واختياره واحتاج أن يقاتل معه ويخلص نفسه
فزعا من العطب ولو أمكنه الهروب من ذلك لهرب ولكن ما قدر على ذلك لان الاعداء قد أحدقت
بهم من سائر الجهات والمسالك فقاتل وبذل المجهود وتزاعقت عليهم الفرسان مثل الاسود وتواثبت
الشجعان مثل الفهود واقشعرت الجلود وقدحت حوافر الخيل النار فى الجلمود وخيم الغبار على رأسهم
حتى بقى مثل الرواق الممدود وفاضت الدموع على الخدود وقدت الصوارم الهامات والقدود
وخفقت الرايات والبنود وتلهبت فى الاحشاء نارا لحقود وعادت وجوه الابطال سود من كثرة الغبار
الممدود ومما جرى عليها من نقض المواثيق والعهود وشربت الاوديه من أدمية الفرسان والكبود
وخسرت بنو زياد فى ذلك اليوم المشهود ورأت مقام عنتر فى ذلك الوقت محمود وأيقن عمارة أنه هالك من
بين أهله ومفقود وكاد أن يموت من الحسد وعاد متغصا ومكمود ثم انه افتقد أصحابه فوجدهم قد فقد
منهم خمسون فارسا والباقون أشرفوا على الهلاك فعندها قال عمارة النجاء النجاء ثم انه ألوى عنان جواده
وولاهاربا فتبعه عروة ومن بقى من رجاله وهم لا يصدقون بالنجاة ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت بنو
شيبان الى هروب بنى عبس من قدامهم تبعوهم ولجوا خلفهم فى وسيع البرارى والقيعان وأرجفوا
بصياحهم تلك البرارى والبطحان * فهذا ما جرى لهؤلاء من الامور المناحس وأما ما كان من أمر أبى
الفوارس فانه التقى تلك الخمسين فارس وحمل عليهم وروعهم وحمل أيضا مقدمهم نجاد وتكبكبت
الفرسان من على ظهور الخيل الجياد وقد قتل منهم قتلى عظيمة وطعن فيهم طعنا يسبق لمح البصر ومال
عليهم عنتر وهو كأنه البحر اذا زخر واستقبل نجادا وطعنه بالرمح المكعوب الاسمر فحكم فى صميم فؤاده
فنكسه عن جواده وبعده أهلك ثلاثين فارسا أمجاد كانوا معدين للجلاد فنظر الباقى منه طعنا مثل شعل
النار لا يبقى ولا يذر فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وهم يقولون لعن الله أباك ما أنفذ طعانك ﴿قال
الراوى﴾ هذا وبسطام قد حار ولحقه الانبهار وكان شيبوب عنده موكلا عليه ليحفظه حين عاد أخوه
من خلف بنى شيبان ثم ان عنترة أمره اخاه شيبوب ان يشد له على ظهر جواده بعد ان استراح وعاد اليه
نشاطه ثم ركب وتبع أثر القوم الذين وراء بنى عبس واذا هم راجعون يخبون بالخيل فى وسيع البر
ومعهم أسلاب من قتلوا وخيولهم ﴿قال الراوى﴾ وقد كنا ذكرنا أن عروة وعمارة هربوا لما قتل
منهم خمسون فارسا وانهزم الباقى من عمارة وعروة وعاد بنو شيبان من ورائهم يطلبون مقدمهم نجاد
لاقاهم عنتر بن شداد حين ناداهم يا أوغاد غير أمجاد وحرمة البيت الحرام وزمزم والمقام لولا ما بينى
وبين بنى عبس من العناد ما حصل من هذا الامر شئ ولا كاد ثم انه حمل عليهم ونكس فرسانهم
الاجواد * قال وكان بنو شيبان قد عادوا تعبانين من الجلاد وفيهم جماعة مجرحون الاجساد وفى دون
ساعة عملت بينهم السيوف الحداد وتقاتلوا وتناصلوا حين علموا أن عنترا قتل مقدمهم وأبصروا الرجال
الذين كانت معهم ممددين على المهاد فقال بعضهم لبعض يا ويلكم ما أسر عنتر بسطاما وقتل مقدمنا
نجادا الا وهو مصيبة طارقه ومحنة ماحقه وسنان رمحه يسبق الآجال السابقه اطلبوا بنا الاهل والديار
والاحل بنا الدمار وما يبقى منا ديار ولا نافخ نار ولا من يؤدى الاخبار ثم انهم أداروا رؤس خيولهم

وأطلقوا لها الاعنة وولوا وهم بالنجاة لا يصدقون فتبعهم عنتر وما عاد عنهم حتى ملأ الارض من قتلاهم وأراحها من دماهم ورجع وهو يخب بالجواد وسنان رمحه يقطر من دماء الابطال الشداد حتى وصل الى أخيه شيبوب وهو كأنه الاسد الوثوب فعند ذلك قال شيبوب ما الذى عوّلت يا ابن الام على ان تفعله فقال أسير الى بنى شيبان وأعرفهم شؤم طلعة عمى القرنان واملأ ديارهم خوفا ورعبا وأشتتهم بعدا وقربا ولا أعود حتى آخذ عبلة من بينهم غصبا لانى أعلم أن المنهزمين اذا وصلوا الى قيس بن مسعود يعرّفونه بما رأوا من سيفى ويخبرونه أن ولده بسطاما فى قبضتى فعند ذلك يجمع القبائل التى بنى شيبان ويسير الى ديارنا والاوطان حتى انه يخلص ولده بسطام فحينئذ تبقى الاحياء خالية والاموال سائبة فأبلغ منها ما أريد وآخذ عبلة وأنهب الاموال والعبيد واقتل من تخلف من الرجال الصناديد وان ظفرت بعمى مالك تركته مثلا فى سائر الاقطار فقال بسطام وهو فى الشد والوثاق والوحشة والفراق ما يحتاج يا أبا الفوارس أن تكلف نفسك ما لا تطيق واتركنى لك محبا وصديق على مدا الايام وأنا وذمة العرب أبلغك ما تختار ولا أدع عملك برحل من أرضنا والديار حتى يزف عبلة عليك وأكون أنا وقومى لبلة الزفاف بين يديك فعند ذلك قال عنتر يا أبا القنطار وهل أنا عاجز عن قضاء حاجتى حتى أستعين بغيرى على ملمتى فوحق من أغسق الدجا وجعل الشمس سراجا مبتهجا لاجعلن لى فى دياركم فعالا تتحدث بها الامم على تارعة الطريق ما بقى الزمان وسوف أترك دياركم قفراء خراب يزعق بها البوم والغراب وأعلق رأسك فى رقبة عمى حتى انه يتوب عن فعاله ولا يرجع يتغرب عن دياره واطلاله ثم انه قال يا شيبوب سر فى عرض البر ولا تركب على طريق حتى لا يرانا عدو ولا صديق ففعل شيبوب ما أمره به أخوه ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون القفار والسهول الاوعار فجاش الشعر فى خاطر عنتر فأنشد يقول هذه الابيات

لله در عمى كم كذا يتغرب * فرارا ومن اجلى بعبلة يهرب
وأرسل بسطاما الى بعزمه * ليأخذ رأسى وهو كالليث أغلب
ولما تلاقينا أتانا بنجدة * يرومون قتلى مع نجاد واعجبوا
وزوّجه عمى بعقد ومهد * وكان له دون الخلائق يرغب
خلت عليهم جولة عنترية * فجندلتهم فوق الثرى يتكبكبوا
وألبستهم ثوبا من الدم أحمرا * تنوشهم وحوش الفلاة وتسلب
وبسطام قد أضحى بكفى مفلفلا * أسيرا ولم يبلغ لما كان يطلب
سأطلب حقى منك يا عم عنوة * لتحلف لى ما عشت لا تتغرب
والا فلقت الرأس منك مهانة * لانك غدار تقول وتكذب
أنا عنتر المعروف فى حومة الوغا * وانى لليث فى الحروب مجرب
ولى همة فوق السماك محلها * تسير بها الركبان شرقا وتغرب

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى بنى شيبان فعدل بهم شيبوب عن الطريق الواضح ودخل الى واد عميق حتى أصبح الصباح وهم مكمنون فيه فعند ذلك قال عنتر يا شيبوب اتركنى ههنا واطلب طريق القوم واطلع على أحوالهم وعد الى بالخبر اليقين فمضى شيبوب وغاب ساعة ورجع وهو منزعج الحواس فقال له عنتر ما حالك حتى عدت على عجل وعقلك قد اندهل فقال يا أخى انى أشرفت على حلل القوم فرأيت الدنيا منقلبة لفقد بسطام وأصوات النساء عاليات بالنوح والآهات على من فقد من الرجال والسادات والخيل تركض من كل جانب وتعود الى المضارب فخفت على نفسى من النوائب

فوقفت

فوقفت على بعد من الخيام وقد خشيت على نفسى أن يعرفنى عمك مالك وولده عمرو فيوقعانى فى المهالك ولما هممت أن أعود اليك سمعت راعيا يقول لعبد آخر يا ابن الخالة ترح الليلة بغنمك عاجلا فان أهلنا غدا راحلون الى دارة جلجل (قال الراوى) وهذا المنزل ذكره امرؤ القيس فى قصيدته التى فى البيت الحرام حيث قال * ولا سيما يوم بدارة جلجل * ثم ان عنترا قال ياشيبوب قل وأوجز فى مقالك فقال يا ابن الام ولما سمعت برحيل القوم فرحت بذلك وعلمت أنه لابد لعمك أن يسير مع القوم فتخرج أنت عليهم وقت رحيلهم على الاظعان فتأخذ بزمام ناقة عبلة وتسلمها الى وأنت خلفى ولا تخف من القوم ان كثرت أو قلت فتبسم عنتر من مقاله وقال وحياتك ياشيبوب لابد أن أرد عنك الخيل وأفرقها ولو كانت مثل السيل واتركها تنظر اليك من بعيد ومن قريب كما تنظر الغنم الى وجه الذيب (قال الراوى) فلما سمع بسطام ذلك المقال تحير ووقع به الانذهال ونسى الفروسية وقد تعجب كيف ان فارسا وراجلا يحدثان أنفسهما انهما يهجمان على قبيلة ويبلغان أغراضهما منها وهى حجرة العرب فى زمن الجاهلية وبعد ذلك أقام عنتر وشيبوب مكانهما حتى قرب الصباح وخرجا فى آخر الليل يتعثران فى الصخور والاحجار وهما ينتظران أحدا يأخذون منه الاخبار فبينما هم كذلك واذا هم بأغنام سائرات وهى الى الاحياء قاصدات وخلفها عبد واحد وهو يسعى وقد شبك على أكتافه العصا وهو يبكى بكاء المرأة الثكلى ويقول وا أسفاه عليك يا بسطام كيف غدرت بك الليالى والايام وسلمتك الى عبد لا قدر له ولا شان ولعب الهوى فى مهجتك فلا بارك الله الرب القديم فى عبلة ولا فى أباها ولا رعا الله ساعة فيها رأيناها ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول

دعنا فيك يا بدر الكمال * و يا ليث الوغا يوم النزال * ويا حامى الحريم بكل أرض
اذا ولت صناديد الرجال * لقد عدمت بنو شيبان شهما * له ضرب يهد قوى الجبال
وذلت بعدما كانت سباعا * تذل لذكرها أسد الدحال * أتاه من بنى عدنان عبد
قريب العهد من رعى الجمال * ولولا الغدر فى الايام طبعا * لما نصر العبيد على الموالى
ألا يا عبل لا لقيت خيرا * ولا وقيت حادثة الليالى * ولا زالت ديار أبيك قفرا
خرابا من أهاليها خوالى * أتانا زائرا فى يوم نحس * وكان فعاله شر الفعال

لحاه الله من شيخ وضيع * صقيع الذقن منتوف السبال
فقير ما نيا من طيب عيش * وخلى جمعنا فى سوء حال

(قال الراوى) ثم ساق العبد الاغنام وقد سمع عنتر منه تلك الابيات فزاد غيظا واهتمام على ذلك العبد ابن اللئام وقال لشيبوب ائتنى به حتى أقاتله على مقاله وأسأله عن الحى وابطاله فانقض عليه شيبوب وأمسكه من خناقه وأتى به الى أخيه ومكن الخضر من نحره وقال له ويلك يا عبد السوء ما يقال لسيدك بين العربان وأنت عبد من العبيد الفرسان فقال يا مولاى أنا من عبيد الملك قيس سيد بنى شيبان والحاكم على من له من العربان فعندها قال له عنتر لا بأس عليك أنتم غدارا حلون من ذلك المنزل الى غيره فقال العبد نعم يا مولاى نرحل لوجوه عديدة أحدها أننا خائفون من بنى تميم والثانى لاجل سيدى بسطام فانه قد أمرونا أن نرحل الى منزل أوسع من هذا الموضع وأكثر مرعى ونجمع حلفاءنا وبنى عمنا ونسير الى خلاص الامير بسطام حاميتنا فقال له عنتر ومن أسره من الفرسان وهو واحد العصر والزمان فقال العبد يا مولاى والله ما أسره الا عبد لا قدر له ولا شان ولا يعد من الفرسان ولا له حسب ولا نسب لان الايام تأتى بكل عجيب فقال عنتر صدقت يا ابن الخالة ولكن لكل شئ سبب قل لى من اسره وما سببه فعند ذلك حدثه العبد بحديث عبلة وما جرى لها مع بسطام وكيف طلب أبوها منه رأس عنتر فى مهرها

فضبي يأتي بهرها وهي راس عنتر عبدها فأسره عنتر في الطريق ثم ان العبد قال وانت من تكون ياوجه العرب واي شئ الذي اتى بك الى هذا البر والسبب فقال له عنتر يا ابن الخالة أنا عبد من بني حنيفة ومولاي غضب علي وقد اتيت الى بسطام اسأله ان يسأل مولاي في وها انت قد قطعت ظهري لما ذكرت لي اسره وذكرت انك تحبه فقال العبد يا ابن الخالة ان له علي فضلا وامتنان ولو كنت اتيت اليه وهو سالم وحاضر في الاوطان كان مولاي بسطام اشتراك من مولاك ولو طلب في ثمنك عشرين ناقة فتبسم عنتر لما سمع هذا المقال وساقه قدامه حتى وصل به الى المغارة التي فيها بسطام وقال للعبد انظر الى هذا الاسير وانظر ان كان يشبه مولاك حتى اننا نجود عليك به يا ابن الخالة من أجل رؤياك (قال الراوي) فلما نظر العبد الى بسطام انعجم لسانه عن الكلام وسقط الى الارض وقد ضعفت ركبتاه عن القيام وقد علم ان الذي بكلمه هو فارس الانام عنتر بن شداد فعند ذلك خفق منه الفؤاد واحس بالهلاك والنفاد فأقبل بعد ذلك على عنتر يتلقاه ثم انه تقدم اليه وقبل يديه واسافل قدميه وقال له العفو يا فارس الانام لان العفو عند المقدرة من شيم الكرام ولا تفعل مع هذا الاسد تلك الفعال واعلم ان هذا سيدي بسطام وهو لا يستحق الاسر والانتقام فأطلقه يا مولاي ولا تقطع شجرة الكرام من بين الانام ثم ان العبد بكى من قلب قريح وفؤاد جريح وجعل يقبل أقدامه ويصيح فبادره شيبوب وسدفه وأدار كأفه خوفا من عاقبة أمره وائتلافه ثم خرج شيبوب طالبا الى بني شيبان حتى انه يستعلم الخبر وينظر رحيلهم ويعود الى أخيه عنتر فما غاب الا شيأ يسيرا وعاد على الاثر وهو يقطع الفلاة الى ان وصل الى عند اخيه عنتر والدمع من اماق عينيه يتحدر فلما رآه عنتر على هذا المثال قال له مالي أراك هكذا متغير الاحوال فقال له سبقتنا الاعداء يا ابن الام الى بلوغ المراد وضاع تدبيرنا والاجتهاد فقال له اخوه عنتر وكيف تلك الاهوال الشداد فقال شيبوب الذي أعلمك به يا ابن الام انني لما سرت من عندك وغدوت في البر والبطاح وصلت الى حي بني شيبان عند الصباح فرأيت القوم في المسير وركوب الطريق وما بقي لهم عائق يعيق فلما حققت الخبر عولت على ان اعود اليك حتى اعلمك بالخبر وتأخذ لنفسك الحذر وانا اظن اني قد بلغت المضارب واذا بالبر قد امتلأ بالمواكب والكتائب وغبار قد سد المغارب والمشارق وكل الجوانب وخيل غائره وفرسان جائله وهم ينادون يا لتميم ابشروا بالويل العظيم وفي اوائل الخيل فارس عظيم على جواد جسيم كأنه الليل البهيم وقد مال الى بني شيبان واهلك جميع الشجعان وقلع البيوت بما فيها من البنات والنسوان ونظرت عبلة في أوائل المسبيات وهي تنادي وتصيح يا العبس يا العدنان أين الفارس الغيور أين من يستر الحريم واويلاه واقلة ناصراه واشوقاه اليك يا أبا الفوارس يا من كنت لنا حافظا وحارس فلو كنت حاضرا ونظرت عيناك ما لاقيت من بعدك فلا أذاقني الله فقدك وسمعتها يا أخي تعدد كما جرت به عادة النسوان والبنات وحفظت ما قالته من الابيات وهو قولها

عين ابكي على هزبر الرجال * سيد الدراعين والابطال
لو يكن حاضرا حماني منهم * لو يكونوا عدد الحصى والرمال
يا قومي فهل غيور كريم * يحامي عن البنات الغوالي
كل يوم في غربة وهجاج * وعناء وذلة وضلال
لا رعاك الاله من شيخ سوء * فاعل الاثم مضمر للمحال
أنت ندل على الحقيقة لا عشت سليما من حادثات الليالي

(قال الراوي) ثم ان شيبوب قال لما سمعت منها تلك الابيات وقفت بالبعد منهم أنظر ما يكون من الكائنات واذا بأبيها سمع نداها فحمل يطلب خلاصها من أعداها فانقض عليه هذا الفارس المقدم ذكره

ذكره فوالله لقد رأيته يا ابن الام خطفه من سرجه وحذفه الى ورائه فتلقته منه العبيد وكتفوه وأرادوا قتله فأراد ولده عمرو أن يحامي عنه ويزعم أنه يخلصه منهم فطعنه الفارس بعقب الرمح في صدره فألقاه على الارض فانقض عليه بعض العبيد وأوجعه بالضرب وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وبعد ذلك سمعت الفارس يقول لقد بلغت المنى والمراد وحويت بغيتي فؤادي والحبور ونلت المنى والسرور واني يا أخي لما رأيت هذه المصايب انسدت في وجهي جميع المذاهب وعدت اليك كما ترى وأنا خائب (قال الراوي) فلما سمع عنتر ذلك المقال فاض دمعه على خده وانحدر وتنغص عيشه وتكدر وقال يا عم لا سقاك الله غيثا ولا قطر الندا ولا تخلصت من أيدي العدا كما أبليت نفسك بهذا البلا وهتكت بنتك في الملا وأحوجتها الى ان تنادي بذلك الندا وتخضع للحقير والذليل ثم ان عنترا هم ان يركب الجواد ويخرج من ذلك الواد فسمع بسطاما وهو يصيح عليه وينادي ويقول واذلاه من شماتة العداه فظن عنتر أن ندامته وبكاءه من أجل محبة عبله وما جرى عليها من تلك العمله فعدل الى الغارة وقال له ويلك يا بسطام وهل من اجل سبي عبلة أصابك هذا الانتحاب فقال له لا وحق مسبب الاسباب الذي خلق آدم من تراب ما بقي لبنت عمك في قلبي من المحبة لا قليل ولا كثير ولا تأسفت على ما أنت اليه تشير وانما بكائي على هتك حريمي وعاقني عن مجازاة غريمي لان لي أختا اسمها بدور وأنا عليها غيور وقد خطبها مني جماعة من آل قحطان وغيرهم من الفرسان فما سمحت بها لاحد من العربان وكان من جملة خطابها هذا الذي أغار عليها وهو يقال له قنعب بن غياث فرددته عن طلبه خائبا وكرهت أن يكون لها بعلا وان تكون له أهلا لاني سمعت انه بخيل الطبع على كل من عنده وانه يأكل وحده ويحرم عبده فمضى وهو غضبان وصار يهدد بني شيبان ويقول لابد أن أجمع عليهم العربان ولا شك أن هيبتي كانت تحمي بني شيبان وتحترمني العربان لاجل الملك النعمان الى أن جرى لي معك ما جرى ولكني أنت بشجاعتك من دون الورى وأظنه قد سمع بقصتي واغتنم الفرصة في غيبتي وغزا قومي وقبيلتي وسباحريمي وتحكم في أختي وشقيقتي التي أغار عليها من نظر مقلتي (قال الراوي) ثم ان بسطاما لما فرغ من كلامه زاد بكاه وقلقه وشكواه وقال يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب مكن مني حسامك والا أعطني ذمامك واعلم أني قبل اليوم كنت من أهل الاعتدا وها أنا قد اعترفت بالظلم والخطا وان قتلتني في هذه النوبة فلا أحد يلومك على فعالك لاني أنا بالظلم معتدي وها قد ردني الله عما كنت عليه عازم واصبحت من اجل ذلك نادم وأنت تعلم أن الكلمة المسموعه يعلو صاحبها درجة رفيعه وأن العرب الكرام ما يفتخرون الا بالعطا والتجاوز عن الخطا وأنت تعلم أن هذه القضية لك فيها نشب لاجل بنت عمك ذات الحسب والنسب لان أخاها وأباها مع اندال العرب وهي تنادي ما لها مجير وتشتكي بالذل والتعثير وما لها من نصير والذين يريدون حلها منهم ناس كثير وأنت في هذه الديار فريد وحيد فاجعلني يا أبا الفوارس لك معين ومساعدا وقرين حتى اني أبذل روحي لاطراف القنا لعل أن تبلغ المنا ولا تحسبني ممن يضيع معه الاحسان فاتخذني لك أخا وصاحبا مدا الازمان ثم أنشد يقول

٢١٩ يا فارس الخيل يا شمسي و يا قمري * و يا عمادي و يا عوني على الضرر
أسرتني وخيول الحرب جائلة * والبيض والسمر بين الخوف والحذر
وقد أتيت اليك الآن معتذرا * كي تقبل العذر من جان ومعتذر
فان قتلت فحق أنت فاعله * وان عفوت فسمي انت مع بصري
يا من اذا سل في الهيجاء صارمه * كان القضاء له عونا مع القدر

والله لوأن أهل الارض قاطبة * يحاربوك غدوا فى روع منذعر
أنت الذى أضحت الابطال صاغرة * من عزم سيفك بين الخوف والحذر
فامنن على باطلاق أسر به * فأنت كهف العلا ذخرا لمدخر
لازلت ترقى المعالى دائما أبدا * ومن يعاديك يغدو غير منتصر
لازلت مادامت الدنيا وزينتها * ماضى العزيمة تعلو رتبة القمر

﴿قال الراوى﴾ ومافرغ بسطام من كلامه حتى فاضت عيناعنتر بالدموع لانه كان حليما قريب الرجوع فرق قلبه لذل بسطام وما أبدى من الخضوع وعلم أن فؤاده من الغيرة على الحريم موجوع فحله من الكتاف والوثاق من بعدما أخذ عليه العهد والميثاق وسلم له جواده وآلة حربه وجلاده فأقبل شيبوب على أخيه عنتر وقال له وهذا العبد ولد الزنا أما نقتله وننزل به العبر والموت الاحمر ونسقيه كأس الانتقام لاجل ما اسمعنا من غليظ الكلام فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة تطلق السادات الاماجيد ونقتل أقل العبيد ولاسيما بيننا وبينه نسبة السواد وهوما فعل شيأ بيننا نبنى عليه العناد وانما أظهر التأسف والبكاء على مولاه الذى كان يكرمه فى كل وقت ويرعاه فأطلقه من شداده فقد أكرمناه لاجل سواده ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع بسطام ذلك الكلام تبسم وأظهر الابتسام وقال يا أبا الفوارس ما أنصفك فى الفعال والكلام ثم انه أطلق العبد من شداده وركب عنتر فى الحال على ظهر جواده وخرج من الوادى الذى كان مكث فيه وشيبوب يسعى بين يديه وبسطام بجانبه وهوقد فرح بعنتر صاحبه ومازالا يركضان حتى أشرفا على ديار بنى شيبان فابصروا الديار خالية من الرجال والاطلال مقفرة العرصات والقتلى مطروحون فى سائر الجهات فبكى بسطام وتناثرت من أجفانه العبرات ﴿قال الراوى﴾ وكان قنعب قد هجم على القوم فى ثلاثة آلاف فارس وفعل بهم ما فعل من المناحس وأسر قيسا أبا بسطام ووضع فى الباقين السيوف فقتل خمسمائة فارس من الشجعان وأسر مائتين من الاقران والباقون هجموا فى البرارى والقيعان فلما ان أتى عنتر وبسطام ونظروا ذلك الامر والشان انفذ بسطام عبده يجمع الرجال من البرارى والآكام فلم تكن الاساعة من النهار حتى اجتمعوا من سائر الاقطار وفرحوا بسلامة بسطام لما علموا بحقيقة الاخبار وقالوا والله يا بسطام ما بلغ العدو منا الآمال الا لما علم بغيبتك عن الاطلال ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك حدثهم بسطام بما اتفق له مع عنتر وكيف أسره وكيف من عليه بالاطلاق فعند ذلك عظم عنتر فى أعينهم وقويت به قلوبهم ثم انهم ساروا على أثر بنى تميم وفى قلب عنتر من أسر عبلة أمر عظيم ومازالوا سائرين فى هجج وتغريب حتى أشرفوا على الاعداء عند المغيب ورأوا قنعب بن غياث قد نزل الى المبيت وقومه يضربون المضارب والخيام والسبايا على ظهور الجمال قيام ولهم ضجيج وبكاء قد أقلق جنبات البيداء فقال بسطام لعنتر وقد أهاله ما نظر أى شئ تقول يا أبا الفوارس فى أنا نقعد الى غداة غد فقال عنتر لا وحق من أمر البحر فزخر وأشار الى الصبح فأسفر لانزلت عن ظهر الجواد حتى انى أخلص الحريم والاولاد ﴿قال الراوى﴾ ثم حمل عنتر وحمل أيضا بسطام وجعل عنتر ينادى ويقول أبشروا يا بنى الاندال بالفناء والزوال هذا وقنعب ابن غياث قد أبصر جانب جيشه قد تفرق وعددهم قد تمزق فصاح فيمن معه وزعق وحمل وركب مع أهله * هذا وقد عمل القتال ودام النزال ووصل عنتر الى الحريم والعيال ووصل بعده بسطام وقد فعل فعل الكرام وكذلك الفرسان الذين معه من بنى شيبان لانه ما وصل بهم عنتر الى الاموال والنسوان حتى قتل منهم خمسين انسان وبعد ذلك حازوا اموالهم واجتمعوا بنسائهم وعيالهم فعند ذلك قال عنتر لبسطام امض الى أبيك وحله وعجل له الفكاك وأطلق جميع من كان معه من قومك ورفقاك وخل

عمى وولده على حالهم فى الاعتقال حتى ينفصل بيننا الحال لانى أعرف عمى وخبثه ومحاله وهوان أطلقته هرب ونرجع معه الى التعب ثم ان عنترا أنفذ أخاه شيبوبا الى عبلة حتى يطيب قلبها وينفس كربها ثم أقام وهو يحفظ المضايق من طارق وسارق * قال وكان عمه قد سمع حسه فقال له ولده عمرو هذه والله صيحات الاسود الزئيم والليلة يفنى بنى تميم ونرجع معه الى المنهاج القديم وما أدرى كيف كان مجيئه مع هذا الاتفاق حتى أتانا عند ضيق الخناق فياليتنى سقتنى الاعداء من الموت أمر الكؤس ولا كنت رأيت هذا الاسود المنحوس (قال الراوى) هذا وبسطام قد وصل الى أبيه وخلصه وحدثه بما جرى له مع عنتر من حين غاب الى حين حضر فتعجب الملك قيس من ذلك غاية العجب وأخذه الفرح والطرب وقال والله ياولدى ان هذا الانسان لم يوجد مثله فى هذا الزمان ولا بقينا نقدر نكافئه على فعاله ولا نجازيه على جميل أحواله ومن الصواب أننا نغدا نعينه على ملاقاة الاعدا ثم انه أمر بحمل الرجال الذين كانوا معه فى الاعتقال كما أمره عنتر وأما شيبوب فانه وصل الى عبلة وطيب قلبها وحدثها بما فعل أخوه عنتر مع بنى شيبان لاجلها ثم انه أنزلها عند الملك قيس مع حريمه ونسائه فأكرموها غاية الاكرام وقالوا لها ياعبلة وهل يكون لك مثل هذا الاسد الماهر الذى لم يوجد مثله فى هذا الزمان وتهربى منه من مكان الى مكان فقالت لهن والله ياستات ما أنا هاربة منه ولا مرادى أن أغيب عنه ساعة واحدة لانى ما أرى العز والامان الا مادمت معه فى قرار ومكان ولكن أبى هو الذى يبغضه ويبعدنى عنه ويطرده وكل ذلك من شدة حسده له وقد رماه فى ألف مصيبه وهو يرجع منها بالنصر والهيبه (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح أخذت بنو تميم تطلب الحرب والكفاح وظهر الملك قيس والرجال الذين كانوا معه فى الاسر والاعتقال وكان قد أعلمهم بالحديث الذى جرى بين بسطام وعنتر وحدثهم بجميع ما سمعه من الخبر فأتوا اليه بقلوب منشرحه ومافيهم الا من سعى اليه وقبل يده * هذا وعنتر قد ترجل للفرسان واعتنق الشجعان وخدم الملك قيس بن مسعود سيد بنى شيبان وقال له يامولاى ما كنت محتاجا الى هذا التعب فأنا كنت أبلغك الارب فقال الملك قيس ياولدى وحق ذمة العرب مافى بنى شيبان اليوم من أحد لا من أبيض ولا من أسود الا وهو عتيق سيفك وأمين خوفك فشكره عنتر على مقاله وأثنى عليه وعلى رجاله * قال وبعد ذلك أقبل عنتر على بسطام وقال له ياأمير ابدأ بالعدا قبل أن يبدؤا بك واحمل عليهم وطيب قلبك ثم انه عاد الى ظهر جواده الابجر وهو مثل الاسد الهصور فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من قنعب فانه من حين ما جرى على قومه هذا المجرى ورأى عدد رجاله قد تمزق وجمع جيشه قد انمحق أخذه الوسواس والقلق وصاح على عبد من عبيده وأمره أن يقدم له جواده وأراد أن يركب لانه قد زاد به على بنى شيبان الغضب واذا بخاله قد أقبل وكان يقال له الاخطل فقال له ياولدى تمهل ولا تعجل وتجنب الخطأ والذلل فهذا بسطام بن الملك قيس قد وصل وعلى قومك قد حمل وقد أتى معه رجال قناعس قتالهم قتال بخلاف الاول وقد قتلوا منا قريبا من مائتى بطل وقد داسوا الرجال وعبروا عند الحريم والاموال فاصبر حتى يصبح الصباح ويتجلى الظلام ونبصر من قد صحبه من الفرسان العظام ونتدبر أمرنا على قدر ما نقدر ولا نخالط القوم فى الليل فنخسر ويحل بنا العنا ونقتل بعضنا بالسيوف وبالقنا وتبلغ الاعداء منا غاية المنى (قال الراوى) فعند ذلك قال قنعب ياخالاه وهل أنا أفزع من بسطام أو من غيره أو أخاف من خوض الظلام حتى تخوفنى وتردنى عن ضرب الحسام أما رأيت فعلى قبل هذه الايام وهجومى على السباع فى الآجام فقال خاله بلى والله ياولدى صحيح انى قد رأيت أفعالك وشاهدت أعمالك ولكنى خائف عليك من شرب كأس الحمام من فارس قد رأيته فى هذه الساعة مع بسطام وهو أسود كلون الظلام على جواد من

الخيل يحكى ظلام الليل وهو يحمل على الفرسان حملات الاسد وينثر الجماعم نثر البرد ويضرب ضربات ماتلتقى ويطعن طعنات ماالهابنا وأنا ياولدى قبل مجيئى معك فى هذه السريه أوصتنى أمك عليك بوصيه وقالت لى بالله عليك لاتفرط فى هذا الولد واحفظه فى هذه المرة من شرب كأس الحمام والنكد ولاتتركه يقاتل عبدا أسود لانى رأيت له منام وأنا فزعانة عليه من شرب كأس الحمام فى هذه الايام فقلت لها وما الذى رأيتيه لولدك من الرؤيا وهو فارس الزمان وماسار قط فى مكان الاوعاد وهو فرحان فقالت لى أنا رأيته كأنه اصطاد صيدا وهو به فرحان مسرور وهو يقول هذا هديه لمحبوبة قلبى بدور ورأيت بعد ذلك كان عقابا أسود انقض عليه وأخذ صيده من بين يديه فأراد ولدى أن يمنعه فأخذ رأسه من بين كتفيه وقد صار مثل الأكرة فى مخلبيه ورأيته طائرا الى مكان بعيد وأنا من خلفه أكثر النوح والتعديد فعند ذلك صرت الى كاهن العرب وقصصت عليه هذه الرؤيا فقال لى لاتدعى ولدك يقاتل أخس العبيد ولايقف معهم فى الفيافى والبيد ولايحارب السودان فيكون معهم خسران وهى قد أوصتنى بذلك الشان وأن هذا المنام بعضه قد تفسر فانه قد أخذ صيدك من يدك لانهم قد تحكموا فى السبى والاموال وأنا والله ياولدى خائف عليك من هذا الحال (قال الراوى) فلما سمع قنعب ذلك من خاله تبسم من مقاله وقال له ياخالاه اصبر وأنا أريك ما أفعل ببسطام وهذا الاسود العنيد حتى تعلم ان فروسيتى ماعليها من مزيد ثم ان قنعبا أمر الخيل ان تمسك الطرقات من كل جانب لئلا يأخذوا السبى ويبعدوا فى السباسب (قال الاصمعى) ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح فعندها جعل بنو تميم كما ذكرنا وبنو رباح يطلبون الحرب والكفاح وصفت صفوفها وعبت ألوفها وتحدر عنتر على ظهر جواده الابجر فرأى بنى تميم تريد الحملة فسبقهم عليها وحمل على ميمنتها واستقبلهم بالنظر وضرب فيهم ضربا يوافق القضاء والقدر لايبقى ولايذر فقال الملك قيس لولده بسطام ياولدى البدرة لمن بدر فاحمل وساعد اخاك عنتر فأطاعه وحمل فى الحال على الاثر (قال الراوى) لهذا الخبر وكان قنعب بن غياث قائما فى ذلك الوقت يلبس درعه وهو مدل بشجاعة باسه وقوة مراسه وقد عول بزعمه وعدم عقله أنه يبارز عنترا وبسطاما سواء ويرى خاله همته وفعاله لاجل المنام الذى رأته أمه وقد أسرع فى لبس عدة جلاده وتمم آلة حرابه وركب فى عاجل الحال على ظهر جواده وقد هدر وزمجر وحرك جواده الى مقدمة العسكر حتى يكف عنهم شر بسطام وعنتر فبينما هو كذلك واذا بعنتر عن يمينه قد ظهر وهو مثل الاسد اذا هدر وزمجر وكان فى حملته قد قتل خمسة وعشرين فارسا فى لمح البصر وكانت تلك الفرسان من بنى تميم ورجع بعد ذلك الى بنى شيبان من خوفه على الحريم فصدمه فى عودته قنعب وقد اشتد به الحنق والغضب ثم قال ويلك ياعبد السوء ماسمعت بفعالى ولا بلغك صفة حربى ونزالى حتى انك تأتى من أقصى الوادى تريد بزعمك خلاص غنيمتى من يدى قال عنتر أما الغنيمة من أول الليل فقد خلصتها وبشدة عزمى قد حزتها وباتت من البارحة تحت أمانى وقد أخذتها وكنت لها محاميا ومدافعا ثم ان عنترا بعد هذا الكلام جاش الشعر فى خاطره فأنشد وقال

جدع الانوف وقطع الروس سيمتنا * والطعن بالسمر فى اللبات والحدق
يسطو بهمته لا بالسيوف اذا * كان الكمى غداة الروع والحرق
اذا تراءت بروق البيض لامعة * والقوم من دونها يرمون بالدرق
وارتجت الارض تدوى من صوارمها * كأنها الرعد لما شيب بالبرق
والخيل جائلة لما تصادمنا * مثل الصواعق اذ تهوى من الافق

كم جاهل ذاهل بهوى لمصرعة * سمع بمهجته اذ خط فى الطرق

(قال الراوى) فلما سمع قنعب من عنتر ذلك الشعر والنظام زاده الوجد والغرام الى معاناة الحرب والصدام وكان ذلك سببا لشربه كأس الحمام فعنده اجابه على شعره يقول

سل صاحبى السيف عنى فى تقلبه * هل هالنى بطل اوخفت من بطل
أوراعنى شرس فى يوم معركة * يطير منها فؤاد الفارس الرجل
فاليوم القيك فى البيداء منجدلا * والدمع منك على الخدين منهمل
والطير تمشى عليك الآن عاكفة * والوحش ناهلة كالشارب الثمل
والنادبات تنادى لا مجيب لها * وليس للسائحات اليوم من مثل
وما قتالك لى فخرا اسر به * وانما خلق الانسان من عجل

(قال الراوى) فلما فرغ قنعب من شعره والنظام اطبق كل واحد منهم على صاحبه واخذ يطاعنه ويضاربه واصطدما والتحما ودمهما ودمدما وغاباعن الارض والسما وصارا النهار فى أعينهم مظلما وقد زادت الطائفتان عليهم مللا وحنقا واضطربت الارواح قلقا وتبدل النعيم بالشقا وكرها طول الحياة والبقا وتقدم خال قنعب فى جماعة من بنى تميم وقال لهم يابنى عمى خذوا الاهبة للحرب فى هذا النهار العظيم فقبلوا منه المقال وتأهبوا للحرب والقتال واشتد الهول وكثر الزلزال وتصايحت نسوان بنى شيبان من خوف السبى والهوان وجرت دموع عبلة من الاجفان وجعلت تنادى بالويل والاحزان خوفا على ابن عمها عنتر من الهلاك وفزعا من السبى والانتهاك وصارت تنادى واغربتاه واقلة ناصراه بعدك يافارس عدنان واذلاه ان أتتك نوائب الزمان فسمع أبوها وأخوها نداءها وهم فى الاعتقال فقالوا وحق ذمة العرب ما جعنا بينكم مادامت الايام والليال (قال الراوى) لهذا الكلام وقد دام بين قنعب وبين عنتر القتال وأبصرت الفرسان منهما الاهوال * قال وكان بسطام قد حمل على الميسره كما حمل عنتر على الميمنه وطلبا الحرب والكفاح فانطبق على بسطام مقدم بنى رباح الا انهما ما طال بينهما المطال حتى طعنه بسطام وتركه ممددا على الرمال وعاد الى ناحية عنتر فى الحال وهو خائف عليه ان يصاب وقد غاب عن الصواب وصارت الفرسان تعترضه وهو يردها على الاعقاب الى أن وصل الى عند عنتر وعرف حقيقة الخبر فوقف ينظر الى الغبار ساعة من النهار واذا بصيحة قد زلزلت الاقطار وامتدت اليها الاعناق وشخصت الابصار وقائل يقول يالعبس الاخبار واذا به عنتر قد ظهر من تحت الغبار وفى يده رأس قنعب وهى كأنها رأس شيطان من الشياطين الكبار والدماء تقطر من وريديه وجميع الخلق تنتظر اليه وهو يترنم ويقول صلوا على طه الرسول

اذا لم أروى صارمى من دم العدا * ويصبح من أجزائه الدم يقطر
فلا كحلت أجفان عينى من الكرى * ولا جاءنى من طيف عبلة مخبر
أنا الموت الا أننى غير صابر * على أنفس الابطال والموت يصبر
اذا ما نادى الحرب نادى أجبته * وخيل المنايا بالجماجم تعثر
سل المشرفى الصارم العضب فى يدى * يخبرك عنى أننى أنا عنتر
اذا مار آنى الموت ذل لهيبتى * وأصبح باع العضب عنى يخبر
أنا قابض الارواح بالسيف والقنا * أنا البطل المقدام ليث غضنفر
اذا ما لقيت الليث عمت رأسه * بسيف على شرب الدما يتجوهر
انا الاسد الحامى حمى من يلوذ بى * وفعلى له فضل يجل ويذكر

سوادى بياض حين تبدو فعائلى * وجدى علا والجد بالمجد يفخر
فبالرافع السبع الطباق بأمره * ومن يعلم الاسرار جل المصور
يمينا بأنى لا أمل من اللقا * الى ان احاذى للعدو وأظهر
ندائى ندا الهيجاء والحرب دائما * وخوضى المنايا والغبارا لمكدر
قهرت تميما ثم جندلت ليثهم * وعدت وسيفى من دما القوم يقطر
بنى عبس سودوا بالمعالى وفاخروا * بعبد له فوق السماكين منبر

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره ونظر خال قنعب اليه صريعا ونظر ما قد جرى عليه ونابه قال وحق الاله القديم هذا المنام الذى رأته امه وحسبت حسابه ثم انه فى عاجل الحال خرق أثوابه واعلى بكاءه واكثر انتحابه وصاح وحمل وتبعته قومه الشجعان وحملت ايضا معه بنو شيبان وحمل فى أوائلهم بسطام وطلع على رؤس الطائفتين الغبار والقتام وتنكست الرايات والاعلام وصبرت الكرام وفرت اللئام وعمل الرمح والحسام وقل الكلام وتعثرت الاقدام وعظم الحر وزاد الشر وضاق الصدر وقل الصبر وعضت الخيل على لجمها وتقطع من شدة الجولان عزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها * هذا وقد اسود الجو وعدم النحو وتمكنت الصوارم من الهام والجماجم وطارت العمائم وتقطعت من الخيل القوائم ودام الضرب بالصارم ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنتر قد حمى الطعن والاطفال كما تحمى الاسود الاشبال حتى كلت منه المناكب والاوصال لما سمع رنين النصال وقد افتخر وصال وصار يضرب فى هامات الرجال وتصادمت جميع الابطال وكثر الركض والزلزال * هذا وقد طعن جواد بسطام فوقع وقاتل وهو راجل حتى كل وتضعضع وقتل أكثر فرسان بنى شيبان وصاحت الحريم والنسوان وتطايقت على عنتر الفرسان وصاح فيهم الاخطل بن جعدان وهو يقول ياويلكم يا بنى تميم اشفوا فؤادى من هذا الاسود الزنيم وفوزوا بالمال والحريم ﴿قال الراوى﴾ هذا كله يجرى وعنتر صابر لوقع المصايب وشيوب يدور حول جواده وهو لرمحه ناصب ويضرب بنباله الصدور والتراق والنحور والملك قيس بن مسعود ينادى واولداه واواحداه هل أرى فى بنى شيبان من يعين ولدى بسطاما على مادهاه واقله ناصراه * هذا والخلائق مجموعة على عنتر من كل جانب وهو صابر لوقع المضارب وقد ضاق به الخناق وجمعت عليه المواكب من سائر الآفاق ونهبوه بأسنة الرماح الدقاق وزاد فى وجهه الابراق من السيوف الرقاق فذكر تعبه من جهة عبلة فى ذلك الموقف المر المذاق وشبه السيوف بثغرها فى الايماض والابراق فأنشد يقول صلوا لى طه الرسول

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

﴿قال الراوى﴾ فبينما هو على ذلك الحال واذا بأربعين فارسا قد مت من بين تلك الرمال لكنهم أبطال مامنهم الا كل فارس ريبال وهم معتدون للحرب والقتال وحملت على بنى تميم فردتهم على الاعقاب واقترستهم اقتراس أسود الغاب ودار وا بعنتر من كل ناحية ومكان وقالوا له حماك الله يا فارس الزمان أبشر بالنصر على الاعدا وكن آمنا من جميع الردا فنحن بنو عمك خاصة وعشيرتك وأعداؤك قد ساقونا لنصرتك ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك تأملهم عنتر واذا هم من بنى عبس الاطايب والمقدم عليهم عباض بن ناشب ﴿قال أبو عبيدة﴾ وكان هؤلاء من بنى عمه وعشيرته وما جاؤا لمعونته بل جاؤا لقتلته وأخذ مهجته واقتراب منيته وكان السبب فى ذلك الاتفاق الحلو المذاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق أن عمارة بن زياد لما عاد مكسورا وحصل له ذلك الابعاد وعاد الى بنى عبس وقد فنيت

رجاله

رجاله وكذلك عروة بن الورد كان قد جرى له مثل ما جرى له وفنيت من الاخر أبطاله وهربوا وكل منهم لا يصدق بالنجاة بل بحلول الموت وفناه فدخل عمارة على أخيه الربيع بن زياد الكثير المكر الكيد وأخبره بما تم عليهم من ذلك الامر الشنيع وكيف انهم لحقوا بعنتر وبسطام في ذلك البر الوسيع وأرادوا بذلك هلاكه وكيف كان فكاكه فقال الربيع هذا الامر ما كان لنا في حساب ولا خطر لنا على الالباب وانى ما دبرت الا أحسن التدبير ولكن ما أقدر ان أرد المقادير ومالي حيلة في قطع أجل من يريد الله بقاه والذي اسعده مولاه ما أقدر أنا على اشقاه ولكن دعه يا عمارة عن بالك وانتظر له الفرصات وتبصر ما تأتي به الامور المقضيات (قال الراوي) فلما سمع عمارة ذلك الكلام من أخيه خرج من عنده وقد زاد به غرامه ووجده ثم انه من كثرة ما أصابه دعا بعياض بن ناشب وكان من بني عبس الاطايب وله في هذا الديوان حديث وشان وهو الذي لاقى عنترا نوبة ان خرج من أبيه غضبان واشترى بالغنيمة الحصان فخدمه عمارة بما بقي من بني شيبان وتمم عليه من أجل عنتر من الخذلان وطلب منه المعونة عليه وأن يسير خلفه بمن معه من الفرسان وقال له يا ابن العم عسى أن يكون أجله قد اقترب وقد حضر على يديك ويصل لك من الهدية ما تقر به مقل عينيك ثم انه أعلمه انه في بني شيبان وانه لما عاد هار باتركه في ذلك المكان وكان عياض من جملة المبغضين لعنتر من أجل ما ذكرنا لكم من الخبر فأجابه الى ما أراد من المقال طمعا منه في المال وبلوغ الآمال وسار في أربعين فارس من بني عبس الاشاوس وهم كلهم شجعان واقتفى أثر عنتر حتى وصل الى ديار بني شيبان ومن هناك أخذ أخبار بني تميم ففرح بما جرى على عنتر من ذلك الامر العظيم فقال لاصحابه لعلنا نلحقه وهو مشتغل بالحرب ونشفي ما في قلوبنا منه من الكرب (قال الراوي) ثم انه أجهد نفسه هو ومن معه في المسير على الاثر حتى أشرف في الوقت الذي ذكرناه على عنتر وأبصره وهو في صدور الخيل وهو يقاتل عن النسوان والحريم وقد فعل فعل الرجل الكريم وقد دار به ذلك الموكب العظيم وهو ينادي باسم بني عبس ويسقي الابطال كأس التعس والنكس (قال الراوي) فلما رأى ذلك الامر وذلك العناد انقلب بعد البغضة الى المحبة والوداد وقال والله يا بني عمي ان الكلب خير منا ان لم نعن هذا الفارس في مثل هذه الاوقات لانه غريب وحيد في هذه الفلوات وقد طاب على قلبه القتل وعدم اللذات وهو لا يولي ويترك البنات المخدرات حتى يحصل أربه ويتمم أعماله فوالله العظيم لاعينن هذا الرجل المظلوم حتى يبلغ آماله (قال الراوي) ثم انه حمل وقد أطاعته الرجال وأجابت مقاله وكشفوا عن عنتر الغمة فاتسع عليه المجال وتمكن في ذلك الوقت من الاعداء بقتاله ولم يزل يطعن في الصدور ويضرب الاعناق والنحور حتى ولت بنو تميم الادبار حين كثر فيهم القتال وركنوا الى الهرب والفرار وتبعتها بنو رباح وأوسعت في البطاح وهي لا تصدق بنجاة الارواح وعاد عنتر وبسطام وهما يتعجبان مما صار من ذلك الامر والشان وعياض بن ناشب يحدثهم بما بذل له عمارة من المال وكيف انه لما وصل الى ههنا ورآهم على ما هم عليه قلبته المشيئة من حال الى حال (قال الاصمعي) المصنف لهذا المقال ثم ان عياض بن ناشب حلف لعنتر انه ما عاد يسير من مكان الا وهو في صحبته وفي كل حال يكون من بعض رجاله ورفقته فشكره على ذلك عنتر ووعده هو ورجاله بالمال الاوفر ولم يزالوا سائرين وهم في سيرهم مجدين حتى وصلوا الى الظعن والحريمات فتلقتهم النساء والبنات والسادات وجعلوا يشكرون عنترا ويثنون عليه بما فعل من تلك الهمات وبعد ذلك رحلوا وساروا وطالبين بني شيبان بعد ما جمعوا الاسلاب واجتهدوا في المسير الى لقاء الاحباب ووصلوا الى أرضهم وذلك المقام وضربوا المضارب والخيام وسرحت الخيل والجمال والدواب والاغنام وضرب الملك قيس وولده بسطام لعنتر بيتا عاليا الى جانب أبياته وأنزل فيه عبلة

وأمر والدته باكرامها ثم ان الملك قيس أخذ فى اصطناع الطعام وتصفيف آنية المدام وصنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمه وأفاض عليهم الشراب والمدام وأخذوا فى الحديث والكلام ليلا ونهارا ثلاثة أيام (قال الراوى) وفى اليوم الرابع قال عنتر لعمه مالك بعدما كان حله وخلصه من المهالك اعلم ياعم أن أيام الوليمة قد انقضت وفرغت وقد ثقلنا على القوم ذوى الافضال فاعزم بنا على الرحيل الى ديارنا والاطلال حتى يجتمع شملنا بالاحباب والقرائب والجيران والعيال فقال له عمه بخبثه ومكره ودهاه أعلم يا ابن أخى أنه مابقى لى وجه فى الرجوع الى بنى عبس الان جاءنى أحد من أولاد الملك زهير ويترضانى لكى أعود أنا واياه والافانى متى مادخلت معك الى الديار مايبقى لى عند بنى عبس مقدار ولا يكون لى منزلة عند بنى زياد وكان يشتنى فى الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وجميع المبغضين والحساد والرأى عندى انك ياولدى تمضى الى الديار أنت وهذا الامير عياض بن ناشب وتحكى لاخى شداد ماجرى لنا فى هذه البلاد من الاخبار وتأمره أن يدخل على الملك زهير الهمام حتى يرسل بعض أولاده الى الملك قيس وولده بسطام وأجىء فى صحبة أولاد الملك زهير وأكون معهم فى غاية الاكرام وان كنت ياولدى ماتصغى لقولى فخذ بنت عمك عبلة فى صحبتك ودعنى أنا وولدى عمرا ومن يلوذ بى عند الامير بسطام ويكون نظره علينا الى حين عودتك واشهدوا على ياحضر انى أزوجه ابنتى عن يقين وهذه يدى لك قدام هؤلاء السادات الحاضرين (قال الراوى) فلما سمع عنتر من عمه ذلك الكلام أجابه الى ماطلب من المرام وأشهد عليه الملك قيس وولده بسطام وقال عنتر لبسطام أريدك ياأخى ان تكون وكيلا عليه وعلى ابنته عبلة لعله أن يصدق فيما قال وتزول هذه الدبلة وتحسن منه الاحوال فقبل منه ذلك وطابت منه النفس وودعه عنتر وسار طالبا ديار بنى عبس وجعل يجد المسير ليلا ونهارا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ظهر عن يمينهم غبار وبان من تحته ألف فارس كرار وهم ينادون ياضباب الاخبار (قالت رواة هذه السيرة العجيبة) وكان هؤلاء القوم من بنى ضباب والمقدم عليهم ومالك رقابهم الملك عمرو بن شهاب وكان قد سار فى هذه الالف فارس قاصدا بنى عدنان وبنى عامر من دون العربان فوقع بهم عنتر على سبيل الاتفاق وهذا مما يكتب وسطر فى الاوراق فلما وقعت العين على العين ونظروا لبعضهم كل من الفريقين ونظر الملك عمرو أتى عنتر وهو سائر فى البر الاقفر فنادى يابنى الاعمام سألتكم بحق ذمة العرب الكرام الا ماشفيتم قلبى من هذه النرذمة اللئيمه وأنزلتم بهم الذل والحيره فانهم من بنى عدنان فدونكم واياهم لتقع لكم الهيبة فى كل مكان لاننى من حيث وصلت الى هذا المكان وهذه الديار لابد لى أن أقلع منهم الآثار وأفعل شيأ أذكر به فى سائر الاقطار فعند ذلك تقدم منهم مائة فارس وطلبوا بحملتهم عنترا أبا الفوارس (قال الراوى) فلما نظر عنتر الى هذه المصايب التفت الى عياض بن ناشب وقال له يا ابن العم سألتك بحق الكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء أن لا يقاتل معى هؤلاء المائة فارس منكم احد وانظروا الى ما أنزل بهم من النكد بل احموا أنتم ظهرى وتفرجوا على كرى وفرى ثم انه استقبل المائة فارس بوجه مثل وجه الاسد العابس وقلب قوى وجنان جرى واستقبل أوائلها بزحمه السمهرى وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ولا ارعوى فى الحرب عمن أريده * ولى قوة فى الحالتين صبور
همام ومقدام وليث كريهة * وقسورة حامى الذمام جسور
اذا ماغدا نحو الحروب مصمما * عنوف على أعدائه وكشور
يقد لهامات الفوارس فى الوغا * ويترك من عاداه وهو عفير
نعم واذا ما ينزل الضيف عنده * تراه عليه يحتمى ويغير

انا

انا من بنى عبس كرام اعزة * بسطوتهم أودى العداء واجور

(قال الراوى) وكان قد تقدم منهم فارس لسرعة جواده وقد مد بين اذنيه سنانه وأرخى عنانه فاخلاه عنتر يصل اليه حتى استجاده بطعنة فى صدره فأرداه وأخرج السنان يلمع من ثغرقفاه وهجم على الثانى وطعنه فى نحره فأخرج السنان يلمع من ظهره واعترض الثالث وضربه بالسيف على هامه فأوقع راسه امامه والرابع كان لاصحابه توابع والخامس بقى على الارض خانس والسادس والسابع والثامن بقوا على الارض رميم ثم انه صرخ فى المائة فارس ودار فى اطرافها وجمعها على بعضها وقد ثار عليهم الغبار حتى غشى منهم الابصار ساعة من النهار واذا بعنتر قد قتل من المائة ثلاثين وهرب من بين يديه السبعين فأردفهم الملك عمرو بمائة اخرى مع تلك المائة الاولى فحملوا على عنتر جميع وطلع عليهم الغبار واعتكر * هذا وعياض بن ناشب وأصحابه فى مواضعهم وهم يتعجبون منه ومن فعاله * هذا وعنتر قد استقبل الفرسان وطعن فيهم بالسنان الى أن طلع الغبار الى العنان ولم يعرف منهم صاحب الزيادة والنقصان ولم يزالوا على ذلك الحال والغبار الى أن تنصف النهار وانكشف بعد ذلك الغبار وبان الفريقان للنظار واذا بعنتر يجول على الفرسان وقد قتل منهم تمام السبعين فارسا أعيان وهربت الباقون وقد تفرقوا فى البرارى والقيعان فعند ذلك زاد بالملك عمرو الغيظ والغرام وخرج بنفسه من تحت الاعلام وأشار على قومه بالحملة فانطبقت على عنتر من كل جانب ومكان فاستقبلها بقوة قلب وجنان وضرب فيهم بالسنان (قال الراوى) فلما رأت بنو عمه ما نابه حمل عياض بن ناشب وأصحابه فعند ذلك زاد الامر وكثر الشر وتصادمت الابطال بالابطال والتقت الاقيال بالاقيال وبطل القيل والقال وتعبت من شدة الكد الخيل وزاد الحرب والويل وقدحت الحوافر النار وزاد النقع المثار وتزوبع عليهم الغبار ووقع السيف خطأ وصواب وعدمت الاهل والاصحاب فكم من فارس حار ودم قد فار وجواد قد غار وقرم قد تزلزل وفارس تململ * هذا وقد هطلت الدماء وحجب الغبار بين الارض والسماء (قال الراوى) لهذا الكلام فبينما عنتر فى وسط المعمعة والضباب واذا هو قد التقى بعمرو سيد بنى الضباب وهو يقمع الابطال ويردها الى حومة الميدان والمجال فلما عاينه عنتر علم انه مقدم القوم فقال لا عتب فى هذا الزمان ولا لوم ثم انه طلبه من دون الفرسان وحمل عليه من دون الابطال والشجعان وأخذ معه فى الحرب والطعان الى أن جرى بينهم ما شيب رؤس الولدان وانعقد عليهم الغبار وحجبهم عن أعين النظار ورأى عنتر خصمه فارسا ثقيل العيار فأخذ معه فى الجد والكد والاستظهار حتى حارت منهم الافكار واستجاده بضربة من سيفه البتار واذا برأسه عن بدنه قد ثار فوقع على الارض يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه ومن بعده وقع القضاء والقدر فى بنى الضباب لما فقدوا الاهل والاصحاب وطلبوا رؤس الروابى والهضاب وهم يبكون على ملكهم بنجعة وانتحاب (قال الراوى) هذا وعنتر وأصحابه من خلفهم يضربون فى أقفيتهم بالحسام الى أن أظلم الظلام وولى النهار بالضياء والابتسام ورجع عنتر وأصحابه ونزلوا فى ذلك المكان لاجل الراحة والمنام ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأمر عنتر أخاه شيبوب بجمع الخيل والسلاح والاسلاب التى تركها هؤلاء الاوتاح وقال لعياض بن ناشب هذه لكم دون كل أحد ولا يشاركم فيها مشارك لا أبيض ولا اسود وهى أكثر مما وعدكم به عمارة بن زياد وقد وقع الصلح بيننا وبينكم والوداد فضحك عياض بن ناشب من ذلك القول الابهر وقد فرح بذلك واستبشر وقال والله يا أبا الفوارس لا عدت أفارقك لا فى سفر ولا فى حضر ان أنت قبلتنى لك صاحبا للمعاونة والسمر (قال الراوى) وبعد ذلك رحلوا وساروا طالبين الديار وعنتر بين أيديهم يترنم بالاشعار صلوا على كامل الانوار صلى الله عليه وسلم

ما ان تأخر في الهوى لي مقصد * فيه السلامة بعد طول مجال * الا وكنت امامه في معقب
فيه الرجال تقاتلوا برجال * واذا المبارز ثار يوم كريهة * جندلته بهند فصال
ناديت عمرا في الوغا عمر واصطبر * فأنا الذي أرميك وسط مجال * فضربته في الحرب ضربة قاتل
فغداقتيلا ذا دم هطال * وأنا الذي لحم الفوارس مأكلي * أبدا وتجمعي في السما متلالي

(قال الراوي) ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا للديار فأنفذ عنتر أخاه شيبوبا يبشر بقدومه فعند ذلك سار شيبوب الى أن وصل الى الحلة وأعلم أباه شداد وعمه زخمة الجواد بقدوم أخيه عنتر وشاع في الحلة الخبر ففرح أهله وأقاربه واغتم من كان يحسده ويبغضه وكان ذلك اليوم عند الملك زهير من أبرك الايام لانهم كانوا من بعده حرموا شرب المدام ومعاشرة الكرام وما كان ظنهم فيه الا أنه قد هلك واندثر من اجل انه انقطع منه ومن عمه الخبر (قال الراوي) ولما أن سمعوا بقدومه ركبت الخيل للقاه وركب الملك زهير أيضا من فرحته برؤياه وقد خرج في موكب عظيم وخلق جسيم والتقاه قريبا من الديار وهو على غاية من الفرح والاستبشار (قال الراوي) ولما تقارب بعضهم من بعض ترجل عنتر في عاجل الحال على وجه الارض ومشى الى عند الملك زهير وخدم ودعا للملك زهير ولاولاده بدوام العز والنعم وأشار اليه بهذه الابيات ينشدو يقول صلوا على طه الرسول صلى الله عليه وسلم

أراك من النوائب في أمان * وجارك والمجاور في مكان * وأنت أحق من مدت اليه
يد السؤال في نيل الاماني * علوت على الاعادي كل يوم * وأعطيت المنى بعد التداني
بجودك عاد غصن البان رطبا * وقد كملت لنا كل المعاني * وأضحى الشعر غالي السعر جدا
وكان يباع في سوق الهوان * كريم الكف محمود السجايا * شجاع القلب مطلوق اللسان
اذا اسود الفضا أبصرت منه * مضى العزم منصان الجنان * شديد البأس ذو رأي سديد
قوي العزم في الحرب العوان * مليك قد حوى فضلا ومجدا * جميل الوجه مخضوب السنان

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه طرب الملك زهير غاية الطرب وجميع من معه من العرب وفرح الملك زهير من ذلك الكلام وشكره وزاد له في الاكرام وأمره بركوب جواده وأخذه الى جانبه وجعل يسأله عن حاله وعن خبره من حين سفرته الى حين دعوته فحدثه بما جرى من عمه مالك في بني شيبان من العجائب وما تم لهم مع بسطام من الغرائب وما فعل في بني تميم وما سقاهم من النوائب حتى انهم وصلوا الى الخيام والمضارب وكان كل من لا يقدر من بني عبس على حديثه ولا يصل اليه يأتي لعياض بن ناشب والى جماعته ويسألهم عما جرى عليه فيحكون له ما جرى من أول الكلام الى آخره الى أن وصلوا الى قول عمه مالك ما أرجع حتى يأتي خلفي أحد من أولاد الملك يترضاني ويرفع زهير قدري ومكاني فلما علم الملك زهير بذلك الحال قال يا بني عمي اعلموا ان الرجل قد ندم على فعاله وذاق طعم الغربة لانها أذلته ولو أمكنه العود لكان عاد ولكنه خاف من شماتة الاعداء والحساد وانه والله قد نظر موضع النظر والرأي عندي اننا نبلغه ما أراد ولكن حتى نقضي مع ابن عمنا عنتر الوطر ولو انه شهر من الزمان او أكثر (قال الاصمعي) المصنف لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام ثم انهم ساروا حتى نزلوا في الابيات وعملوا الولائم والدعوات وصاح الحي من جميع الجهات وحصلت لهم الافراح والمسرات وكان كل من في الحلة فرح الا أبيات بني زياد ومن يوافقهم من الاعداء والحساد وقد وقع عليهم من قدوم عنتر البلاء والمصاب حتى كان كل واحد منهم فقد الاهل والاحباب وقد عتب عمارة على عياض بن ناشب وقال له ويلك يا عياض انا أرسلتك تقضي حاجتي وتقتل عنترا عدوي وتكشف ظلامتي فأراك قد انقلبت بنبك وصرت من حزبه أنت ورفقتك فقال له عياض والله يا عمارة

وحق

وحق الملك الفتاح ان عنترا يستاهل أن يفدى بالاموال والارواح لاجل مافيه من المروءة والكرم والسماح ثم انه لوى وجهه عنه وتركه فى كفاح (قال الراوى) وبقى الامر كذلك يومان وهم فى سرور وأمان واتفق الامر على ان بعض أولاد الملك زهير يسير مع عنتر بن شداد ويترضى مالك بن قراد وفى اليوم الثالث ابطلوا شرب المدام وأخذوا فى الاستعداد والاهتمام وقد زاد بعنتر الوجد والغرام وقد عزموا على المسير الى الملك قيس بن مسعود وولده بسطام فبينما هم على ذلك الحال وقد عزموا على المسير والترحال واذا هم بعبد اسود يهيم بين تلك البرارى والتلال وهو مقبل من ناحية ارض بنى شيبان وقد نفر الوحوش من الوديان فلما وصل الى الحلة وقضى المراد تقدم وسأل عن ابيات عنتر وبنى قراد ليستدل بذلك عليه وصار يقول ياوجوه العرب أرشدونى اليه فلما ان صار واقفا قدامه وبين يديه قال له يامولاى ان مولاى بسطام يسلم عليك وايضا مولاى الملك قيس والده يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك لاتؤاخذه بعتب ولاملام فان عمك وولده عمرا قد فعلوا فعل اللئام لانهم بعد مسيرك من عندنا ما أقاموا فى الحلة اكثر من ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع طلبناه فما وجدناه ولا علمنا اين توجه لما فقدناه ولا كيف سلك فى البر الاقفر ولا كيف تحايل حتى أخذ عياله وخيله وجماله ولا اقدر ان أصف لك ما جرى علينا من ذلك وما حل علينا وبنا من اجل ابنة عمك مالك لا جزاه الله خيرا واورثه المهالك وان سيدى بسطام يقول لك يا أبا الفوارس لاتحزن ساكنا حتى نسير اليك ونعلمك انه نزل فى اى مكان (قال الراوى) فلما سمع عنتر ما قاله ذلك العبد من الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام وحس ان مفاصله قد تفصلت وان روحه من جثته قد طلعت وان رسل المنايا اليه قد أرسلت وخاف من شماتة الاعداء والحساد فأخفى الكمد واظهر الصبر والجلد ومضى الى الملك زهير ليعلمه بما كان من الخبر وذلك الامر المنكر فوجده قد خرج لوداع اولاده فى ذلك البر الاقفر وهم فى ظاهر الحى لانتظار عنتر فبينما هم كذلك وهم فى انتظاره واذا به قد وصل اليهم واعلم الملك زهيرا بالامر الذى قد جرى فاغتمت الاصدقاء وفرحت الاعداء (قال الراوى) فعند ذلك قال عروة بن الورد وقد اظهر النصيحة لعنتر ويلك يا أبا الفوارس أقل من هذا الامر فكم جهدت فى طلب من لايطلبك وتريد من لايريدك وترغب فيمن لافيك يرغب فاسمع منى وأرح نفسك من هذه الشدائد ولا تقع على موالك وتقطع وداده الذى فيه ربيت بينهم وبين حريمهم وأولادهم فما جزاؤهم منك ان تشتتهم عن الاوطان وتقطع ما بينك وبينهم بهذا الشان فقال له عنتر والله ياعروة انك تتكلم بلسان ناصح من قلب غائب فكيف ترى سوف أزيل هذه الحوادث بالسيف القاضب حتى أبلغ المنى وأعيش منعما على رغم انوف العدا وأملك ابنة عمى حتما ولو كان الموت لى خصما فالويل كل الويل لمن يريد لى ظلما ويعاندنى فيمن أهوى ثم انه أنشد يقول صلوا على النبى الرسول

أثنى على كما علمت فانى * سمح مخالطتى اذا لم أظلم * واذا ظلمت فان ظلمى باسل
مر مذاقته كطعم العلقم * واذا شربت فانى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يثلم
انى صعوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

(قال الاصمعى وأبو عبيدة) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجب الملك زهير من حسن ألفاظه وعذوبة كلامه واهتز على سرجه طربا وقال عجبا وقال يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فما بقى لعمك خصم الا أنا وسوف ترى ما أفعل فى حقه وأجازيه على فعله بما يستحقه حتى انك تبلغ المنى وتنال ما تتمنى ثم انهم ساروا الى الخيام وعمارة يشكر عروة على ما قاله من الكلام الذى صدر منه فى ذلك المقام فقال له عروة والله ياعمارة انه كان فى هذه النوبة رابع فلعن الله الكذب لانه أشد القبائح والله لقد ذكر فى شعره وفصاحته ما لا يقدر عليه أحد غيره (قال الراوى) وبعد ذلك نزلوا فى المضارب

والخيام للتلذذ وشرب المدام وكان كلام عروة بن الورد شق على عنتر فى هذه النوبة فعزم على اهلاكه وقال لاخيه شيبوب أما تنظر الى فعل عروة معى مرة بعد مره وكرة بعد كره ويلك ياأخى اجعل بالك معه فاذا طلع من الحى اعلمنى به حتى أطلع خلفه واشفى فؤادى منه فقال شيبوب السمع والطاعه ﴿قال الراوى﴾ وكان مما وقع من الاتفاق الذى تسمى انه كان لعروة اخت اسمها سلمى وكانت متزوجة فى بنى غطفان وكان عروة يحبها ولها وكان اكثر الاوقات يزورها واذا سمع خاطره بشئ من الشعر يعرض بها فيه ويذكرها ومن جملة ما قال فيها هذان البيتان

كفى ملامك ياسلمى ولا تلمى * اخاك فى البذل والاحسان والكرم
لا تعذلينى اذا ما سرت مكتسبا * فان عزمى به جارى لمحترم

واتفق انه زار أخته سلمى فى بعض الايام فعلم شيبوب به هنالك فأخبر اخاه عنترا بذلك فطلع عنتر خلفه يريد له الهلاك وسوء الارتباك واكمن له فى شعب جبل هنالك حتى يعود من زيارة أخته وينزل به منية عدمه واذا قدر بعد ذلك على شئ فى حق بنى زياد فعله وأقام مكمنا فى ذلك الشعب والمغار وقعد لعروة فى الانتظار وهو من أجله على مقالى النار ﴿قال الراوى﴾ وكان عروة لما سار الى بنى غطفان وزار أخته رآها غضبانة على بعلها وهى عنده فى الذل والهوان لانه كان جرى بينها وبينه خصومة وكلام ﴿قال الراوى﴾ فلما رأته أخته بكت فى وجهه وشكت حالها اليه وقالت له ياأخى بحرمة الاحشاء التى بيننا ان توصلنى الى ديار قومى واجعلنى من بعض رجالك الذين تأوى اليهم والسعاليك الذين تنفق مالك عليهم ودعنى أعيش عندك عزيزه ولا أكون فى غير وطنى ذليله ثم انها أسرفت فى البكاء والنحيب فتحركت عنده النخوة العربيه والحمية الجاهليه فعند ذلك ركب فى عاجل الحال جواده وأركبها فى هودجها وأخذ فى يده زمام جملها وسار يطلب دياره وحلته وأمصاره ﴿قال الراوى﴾ ومازال سائرا حتى وصل الى الجبل الذى كمن فيه عنتر وقد أتاه الامر بما يشتهيه وهم أن يجوزه ويدخل فى نواحيه وفى الغيب عجب وأمور الدهر نوب ومن القضاء والقدر السابق أنه بينما عروة كذلك واذا بعشرة فرسان قد اعترضته على خيول سوابق وبأيديهم سيوف خوارق وبين أيديهم فارس طويل فى تقاطيع الفيل وجواده قد أقلق الارض بالصهيل ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى ذلك الفارس الناقة والهودج صاح ما أبركه من صباح حصل لى فيه السرور والانشراح ونادى لعروة وقال له ويلك من تكون أنت من العربان والى من تنسب من التبعان أخبرنا قبل أن تشرب كأس الهوان ويحل بك الويل والخذلان فقال لهم عروة الويل لكم ياكلاب العرب كيف تعرضتم لفارس كريم النسب عظيم القدر رفيع الحسب ياويلكم أنا عروة بن الورد العبسى أنا الذى أفدى صعاليك العرب بمالى ونفسى أنا صاحب الغارات المذكوره والمقامات المشهوره فاغدوا عن طريقكم والا عدمتم توفيقكم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الفارس المقدم ذكره من عروة ذلك الكلام أبدى الفرح والابتسام وقال له مرحبا بك ياأبا الابيض هل أنت تعرفنى فان لى عندك غرض فقال له عروة ليس لى بك معرفة ياوجه العرب فأخبرنى بماذا عولت حتى داخلك من كلامى الفرح والطرب فقال له ذلك الفارس أنا قيس ابن جعدان فارس الوقت والزمان وأنت ياعروة قتلت أخى وكنت أنا غائبا فى بعض غزوات العربان ولما فرغوا مما دار بينهم من الكلام أخذوا فى معاناة الحرب والصدام وحملا على بعضهما البعض وجالا طولا وعرض حتى ارتجت من تحت خيلهما الارض وجال عروة معه وصال وركب الاثنان طريق الاهوال ﴿قال الراوى﴾ كل هذا يجرى وعنتر يسمع ويرى ويتعجب من هذا الامر العجيب الذى جرى فما كانت الا ساعة من الزمان حتى أتعب قيس عروة بن الورد فى ساحة الميدان وضايقه وشد

عليه

عليه طريقه وهجم عليه وطعنه بعقب الرمح فى صدره فألقاه على ظهره فتقدم اليه بعض العبيد الفرسان وأوثقه بالكتاف وشد منه الى واعد والاطراف وتقدم ذلك الفارس الى الناقة وأخذ زمامها وابركها ورفع سجاف الهودج فرأى سلمى أخت عروة فقال لها من طريق ما أبركها وسفرة ما كان اجودها ثم قال لاصحابه اضربوا لى هنا خيمة حتى أنزل فيها وأتملى بجمال تلك المليحة وأسبيها وأعود بعد ذلك آخذ ثارى من أخيها (قال الراوى) كل هذا يجرى وصاحب الامر يدبر الامر والاحكام بما يريد وهو الملك العلام حتى يتصافى عروة مع عنتر ويصير له حبيبا وصاحبا على مدى الايام فعندها صاحت أخت عروة واسبياه وامصيبتاه واقلة ناصراه وافضيحتاه واقلة رجالاه واضعف حالاه بالعبس بالعدنان أما من مجير أما من نصير يخلصنا من هذا البلاء والهوان ويستر وجهى ويريح الشكر والثناء على مدا الازمان (قال الراوى) لهذا الديوان فلما سمع عنتر من سلمى ذلك الكلام والنداء وكان لها ولاخيها من جملة الأعداء أزال الله من قلبه الحقد والردا وحركته النخوة العربيه والحمية الجاهليه على ستر الحريم فطلع من جانب الوادى ولا بقى فى قلبه لها غل ولا أسى وتقدم الى الخيل وانصب عليهم انصباب السيل ونادى فى عاجل الحال لبيك يا ابنة العم أبشرى بالخلاص من الاعدا وزوال الهم والغم والردا فقد استجاب الله منك الندا وقد بعثنى الى حماك حتى أخلصك من أعداك ثم انه تقدم الى الخيل وحمل كأنه الغيث اذا هطل وصار يرتجز ويقول شعرا

أيا ولد الزنا تسبى لسلمى * وعنترة لها مثل الرقيب وفى يمناه بتار نقيل
ورأس سنانه فارى القلوب * وتأمر عروة من آل عبس * وما تخشى لاسباب الخطوب
ولولا أخته سلمى تنادى * وادمعها تفيض من النحيب * لما ذهبت حقود كنت فيها
ولا هزيت معتدل الكعوب * فطلى وانظرى قيسا اذاما * ثوى فى الارض من كف نجيب
ويرجع عروة من بعد لومى * اذا نادية اولى مجيب
وان آخذته بنى زياد * فما كانت عبيلة من نصيبى

(قال الراوى) فلما سمع مقدم القوم ذلك الشعر من عنتر صرخ فى وجهه وحمل عليه وأراد ان يحول معه فلم يمهله دون ان ضربه بالسيف الظامى على وريديه فأطاح رأسه من بين كتفيه وأطبق على بقية الخيل مثل المجنون فقتل منهم ستة وانهزمت الباقون وتشتتوا فى أقطار الفلوات ومافيهم من يصدق بالنجاة وبعد ذلك عاد عنتر الى عروة وحله من عقاله وقد حن عليه ورثى لحاله فعند ذلك نزلت سلمى من هودجها وتقدمت اليه وهى فرحانة بخلاص اخيها وخلاصها وصارت تقبل يديه ورجليه وصاحت لله درك من فارس ناصر فلا أخلى الله منك كرام العشائر وأشارت اليه بهذه الابيات

جزاك الله عنا كل خير * ولا تأتيك نائبة الزمان * كما خلصتنا من قوم سوء
وبدلت المخافة بالامان * رأوك فودعوا الارواح لما * هززت مضارب السيف اليمانى
وعدت وفوق رمحك من دماهم * تتابع سيل قطرات السنان * وقد جندلت سيدهم بسيف
صقيل المتن ضرب الهندوان * فأنت الليث حامى آل عبس * وسيدهم الى قاص ودانى
فلا زالت عداك بكل أرض * محيرة على طول الزمان * ولا زالت سيوفك مشهرات
على أعداك فى الحرب العوان * وأنت تزيد مجدا مع علو * الى برج السها والفرقدان

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من أخت عروة ذلك الشعر والنظام صار غيظه رضا وعاد الى عروة وهو عنه معرضا وقال له يا عروة ما برح جرح قلبى من كلامك ولا خرجت من الحى حتى أسقيك كأس حمامك وانما الزمان أتى بشئ ما كان فى الحساب ورأيتك فى هذه الحالة فنسيت ما كنت أضمرت لك

من العذاب وذلك لما رأيت بكاء أختك سلمى والانتحاب وصعب على هتك الحريم فسترتها بعد الحجاب
وفعلت هذه الفعال وخلصتها من أيدى الاعداء الاذال واما أنت فاريدك ان تخبرنى بالصحيح قبل ان
اتركك فى هذا البر طريح وابصر من يقدر أن يخلصك من يدى ويكون لك مقتدى فقال عروة يا ابا
الفوارس ويازين المجالس يخلصنى منك طيبة اصلك وحسن لينك وجميل فعلك وانى اريد منك فى هذه
النوبة ان تصطفينى لك صديق واكون لك عونا بالنفس والمال عند كل شدة وضيق وانك ان رجعت
نظرت منى قبيح فما أكون ولد حلال ولا نسبى صحيح وتكون أمى فعلت فى حلى القبيح * هذا وأخته
سلمى قد تقدمت ثانيا اليه وصارت تسأله فيه وتقبل يديه ورجليه وتقول يا حامية عبس بحق رب بيلغك
آمالك ويعطيك سؤالك الا ما اصطفيته ومن حسامك خلصته ثم انها لم تزل به وهى تسأله وتتذلل اليه
حتى حل قيده من رجليه كما كان أطلق يديه فقال عروة جزاك الله كل خير وقام اليه واعتنقه
وقبل صدره وعنقه وحلف له انه ما عاد يخونه فى أمر من الامور ولا يكون الا صديقا له مدى الايام والشهور
(قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك جمعوا أسلاب القتلى وحازوا الخيل التى كانت مبددة فى جنبات الفلا
وصار واراجعين الى الديار يطلبون أرض بنى عبس الاخيار فبينما هم كذلك سائرون اذا قد اعترضهم
اعرابى وهو يهيم بين تلك الرمال والروابى والوحش يهرب من بين يديه وهو قاصد الى أرض الشربة
والعلم السعدى فلما رآه عنتر قال وحق ذمة العرب ما أتى هذا الاعرابى الا لامر وسبب وأقول انه من بنى
شيبان وقد أتى من عند أخى بسطام يعلمنا بما كان من الامر والشان وانه قد جاء الينا يخبرنا بان عمى
قد ظهر خبره و يلك يا شيبوب أسرع واقتفى أثره وائتنا به حتى اننا نسمع خبره فعند ذلك انطلق شيبوب
خلف ذلك الاعرابى على قدميه فى ذلك البر الاتفر وهو مثل الريح الهبوب وألقى قدميه للريح فى ذلك
البر الفسيح وهو كأنه النجم اذا زرق حتى لحق ذلك الاعرابى وقال له ما بالك حائدا عن الطريق وايش
أنت طالب ومن اين أنت وارد أخبرنى بكلام الصدق فقال الاعرابى اعلم يا وجه العرب انى من بنى
شيبان سائر الى عنتر بن شداد لاعلمه بان خبر عمه قد ظهر فى بنى كندة لان العبيد الذين مضوا
وساروا فى أثره عادوا وقد أعلموا بذلك وقد أرسلنى اليه سيدى بسطام حتى يبيض وجهه معه فبينما هو
مع شيبوب فى الكلام اذا بعنتر أقبل عليهم فاعاد عليه القصة التى أتى فيها من أولها الى آخرها وقال له فى
آخر الكلام وان سيدى بسطاما قد أمرنى ان اسير اليك وهو يقول لك ان أردت ان يأتى اليك بطائفة
من بنى شيبان الى ههنا وان أردت ان يلحقك الى بنى كندة لانه مستحى منك كيف أوصيته فى عمك
ومن عنده هرب (قال الاصمعى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له اعلم يا وجه العرب ان قوله انه
مستحى منى فأنا أعذره لانى أعرف غدر عمى ومكره وخبثه وما يديره وأما قوله انه يسير الى خدمتى فانى
لا احب ان يكلف نفسه بشئ من ذلك وهو لا يستحق فضلى عليه وقل له انى قادر على أخذ حقى بيدى
ومعونة القدرة وسوف يبلغه ما أفعل فى بنى كندة وما أنزل بهم من البلاء والشدة (قال الراوى) ثم انه
ودع الاعرابى وسيره الى أهله وقد اشتد به الغيظ والغضب فقال له عروة بن الورد يا أبا الفوارس اما
ترضانى ان أكون من بعض خدامك وآخذ رجالى واسير فى ركابك فقال له عنتر سر يا أبا الابيض واثنى
برجالك ولا تعلم أحدا بأحوالك ولكن كيف آمن لك عند القتال وأنا ما جربتك فى حال من الاحوال
فقال عروة لا تقتل هذا المقال فوحق من رفع هذه القبة الخضراء وانبت النبات والمرعى وأخرج من
الارض نسمة تسعى لو قدرت اليوم ان اجعل قلبى لك ترسا تلقى به أسنة الاعدا لفعلت ذلك ولم أجد لك
مكافأة أبدا (قال الراوى) ثم ان عروة ودعه وساق جمل أخته وسار الى الديار ولم يخطر كلامه لعنتر على
بال بل أنه سار يطلب بنى كنده وقد هانت عليه تلك الشدة فأنشد يقول

باى

بأى لسان لى العواذل لاموا * وقد علموا أنى سهرت ونام وا * وما ظهرت لى فى المحبة ساعة
ولو انهم ذاقوا الغرام لهاموا * وانى على حبى لعبلة دائم * وهل يرتجى لى فى هواك سلام
وأرقب منك الوصل يا عبل ليلة * وقد مر عام للصدود وعام * وانى على العشاق ضربة لازب
وما هى الا المكرمات ترام * منى ما صحا السكران من نشأة الكرا * له حجة من عرفها وسهام
ويخجل منها القوم ان هى اقبلت * وناحت لها عند المرور حمام

(قال الاصمعى) ولما فرغ عنتر من شعره والنظام سار هو وأخوه شيبوب يقطعون الروابى والآكام فقال له شيبوب الى اين أنت قاصد يا ابن الكرام قال له اقصد يا بنى كندة اللئام حتى أريك ما افعل بهم من الانتقام فساروا وتوكلوا على الملك العلام (قال الراوى) وكان عنتر قد وجد راحة عظيمة لاجل الملك زهير وأولاده حتى لا يعلموا بحاله فيحملوا بعض أثقاله وكان قد تذكر العودة الى الديار لاجل ابنة عمه عبلة لانه كان كلما انفرد الى اطلالها تزايد بلباله وعظم اشتغاله واشتدت أحواله ولعبت به أمواج الاحزان اذا سمع صياح العربان فصار يتسلى بنشيد الاوزان وجعل يترنم ويقول هذه الابيات

خلت الديار من البدور الطلع * يا مقلتى جودى لذا بالادمع
وابكى على من كان فيها نازلا * وارثى لاحزانى فما قلبى معى
قلبى ترى والله فى آثارهم * تبعا لها تبك البدور المع
وبقيت مسلوب الفؤاد من الضنا * حيران لا قلبى ولا سمعى معى
قصدى لعبلة لا أريد لغيرها * فلعلها يوما ترق لمدمعى

(قال الراوى) هذا وشيبوب قد طلب أرض بنى كندة وأخوه عنتر سائر على اثره وقد أراد الانفراد والوحدة وقد زادت الى عبلة أشواقه وزفيرا حزانه وسالت دموعه بغير اختياره على اجفانه وهو يقول اقسمت بالملك الجواد ان مسيرى على حالة الانفراد أحب الى من الفرسان والاجناد ثم انه جاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا طائرا بالرقتين تجانى * رحلت به ايدى النوى فحكانى * ووقفت به والشوق يكتب أسطرا
بمداد دمع فى رسوم مقان * أسائله عن عبلة فأجابنى * فأهاج ما عندى من الهيمان
ينوح على الف له واذا بكى * بكاه بنوح لا ينطق لسان * نادانى من فرط الهوى فأجبته
بزفير قلب دائم الخفقان * الا يا غراب البين لو كنت صاحبى * قطعنا بلاد الله بالطيران
عسى ان نرى من نحو عبلة مخبرا * بأية ارض او بأى مكان * لقد هتفت فى جنح ليل حمامة
لتشكو بشجوها صروف زمان * فقلت لها لو كنت مثلى حزينة * بكيت بدمع زائد الهمعان
ولو كنت فى دوح تميل غصونه * لما خضبت رجلاك أحمر قانى * أيا عبل لو ان الخيال يزورنى
ولو كل شهر مرة لكفانى * وان غبت عن عينى أيا بنت مالك * فشخصك باق فى رسيس جفانى
غدا تصبح الاعداء بين بيوتهم * تعض من الشجعان كل بنان * فلا تحسبوا أن الجيوش تردنى
اذا جلت فى الهيجا لكم بحصانى * دع الموت يأتينى على أى صورة * اذا ليس يدرى صورتى وطعانى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات ساروا يجدوا السير فى البر الآكام وشيبوب يغدو ومثل ذكر النعام الى أن وصلوا الى مياه بنى عطبول وعزلوا هناك على النزول واذا بغبرة من خلفهم قد ظهرت وبجماجة قد ارتفعت ومن تحتها فرسان على خيول تمشى على مجل والغبار على رأسهم قد تقسطل ومن تحتهم فرسان على خيول ضمر فوقف عنتر ينظر اليهم وتأهب للحملة على لقائهم واذا تلك الغبرة قد انجلت عن مائة فارس شبوس عوابس فى الحديد غواطس وبين أيديهم فارس شديد كأنه برج مشيد

فتبينهم عنتر فرآهم من بني عبس وعدنان والمقدم عليهم عروة بن الورد سيد الاقران وسبب قدومه الى عنتر في ذلك المكان أنه يريد معونته جزاء بما فعل معه ومع أخته لانه لما فارقه اوصل أخته الى الديار والاطلال وبعد ذلك جمع من له من الرجال والابطال الذين كان يعتمد عليهم في الشدائد والاهوال وقال لهم يا بني عمي اعلموا انه كان أبغض الخلق الي عنتر بن شداد والآن هو عندي أعز من روحي التي بين جنبي مما جرى من شفقته علي وما كنت فيه انا وأختي من المهالك بعد ما قبحت عليه ألف مره وعملت معه مالا يعمله ابن أمة ولا حره فتعجب أصحابه من مقاله وقالوا له أخبرنا ما الذي في حقك فعله حتى نجازيه بما يستحقه ونكون نحن وأنت من بعض اصحابه واعوانه واين ما سار سرنا معه ونكون في ركابه ومن خدماه وتحت كنفه وحماه لانه والله ما رفع ذكر هذه القبيلة الا هو فقال لهم عروة والله يا بني عمي انه رجل مسعود وعدوه مقهور وكيف ما سار عاد بالفرح والسرور وما فارقته الا وهو سائر الى بني كنده وقد عول أن يغنيهم وحده ويخلص بنت عمه عبلة مما هي فيه من تلك الشده وقد حدثته نفسه أن يخرب ديارهم ويقلع آثارهم لاجل ما فعلوا مع عمه مالك ومن يكون فيه هذه الفروسية والشجاعة التي لا ترام لا يجوز أن يتخلى عنه بنو الاعمام (قال الراوي) ولم يزل عروة يصف لرجاله كرم عنتر وشدة شجاعته حتى أجابوه كلهم الى ما يريد من نصرته واتفقوا أن يكونوا لعنتر من جملة العبيد ومن يومهم تأهبوا للمسير وخرجوا من الحي على ذلك التدبير فعلم عمارة بذلك الحال وان عروة سائر من الحي بمن معه من الرجال فخرج اليه واعترضه وأبدى له التذلل والسؤال وقال له الى أين يا أبا الابيض عولت على المسير فأنا كنت لك في الانتظار حتى تدبر على قتل هذا العبد السوء ونخفي منه الآثار لانه فقد من منذ ثلاثة أيام وأنا اقسم باجل الاقسام ان عاونتني أنت ورجالك أعطيتك المال والانعام فقال له يا عمارة ان كان عنتر غاب فهو قد سار الى بنت عمه عبلة ان كان سمع لها خبر وها أنا سائر الى بلاد اليمن فان لقيته بذلت معه المجهود واقلع منه الاثر فقال عمارة واحسرتاه على صحة هذا الحديث والكلام فوحق ذمة العرب ان بشرتني بهلاكه قاسمتك في نعمتي وأعطيتك اكثر اموالي وأفضلك على أهلي واخوتي وأهب نصف مالي للكعبة الغراء وحق أبي قبيس وحراء فقال عروة ابشر بما تريد ثم ان عروة فارق عمارة وسار بجد المسير في ذلك البر والهجير وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أسير الى نحو الهمام المجدد * أساعده بالقول والفعل باليد
وأنجده حتى يخلص عبلة * واضرب أعداه بحد مهند
يخلصها من أسر عبس لتفقوا أثره * فهو لنا يوم الكريهة منجد
وخلصني من بعد أسري وذلتي * واطلقني من بعد ما كنت مصفد
وصان حريمي فعل ليث صميدع * وأفنى العدا من بعد ما كنت في اليد
فوالله ما صاحبت في الناس غيره * واهوى هواه او أموت فاغتدي

(قال الراوي) ولم يزل عروة ورجاله سائرين الى أن التقوا بالامير عنتر وأخيه شيبوب وهو قدامه كأنه ريح الهبوب فلما ان وقعت العين على العين والعين تعرف من يليها ان كان من حزبها او من أعاديها ودنا بعضهم من بعض قال له عنتر يا أبا الابيض أنا ما فعلت معك شيأ تستاهل عليه ذلك حتى أتعبت نفسك أنت ورجالك فقال له عروة يا أبا الفوارس ويا زين المجالس والله ما بقينا نفارقك ولا نسير الا في ركابك ثم انه أقبل عليه وله شكر فحمدهم عنتر على ذلك الجميل الاوفر ووعده هو ورجاله بكل خير وسار واوقد اتسعت عليهم الطريق وبقيت الجبال كنيران الحريق فقال عنتر لشيبوب سر وا كشف لنا الاخبار وانظر تلك الارض والقفار وعد لنا على الآثار فقال شيبوب السمع والطاعة ثم ان شيبوبا

انطلق

أطلق قدميه للريح وطلب البر الفسيح وسار يقطع القفار فغاب عنهم قليلا وعاد اليهم وقال اعلم يا أبا الفوارس و يا بطل الزمان اننا على ارض بني غيلان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الكلام التفت الى عروة وقال له يا أبا الابيض انزل انت ورجالك فى هذا المكان حتى اسير انا واخى فى هذه الاكام والتلال ونكشف ما بين ايدينا ونعود بالماء فى عاجل الحال فقال عروة انا اولى بهذه الخدمة فقال عنتر لا وحق الحميد المجيد لا تكون الموالى تخدم العبيد ولا ترد وني عن فعالى لانى انا عبد وانتم الموالى فشكره عروة واعتذر اليه من هذا الكلام ونزلوا كما امرهم عنتر فى هذا المكان واخذ عنترا خاه شيبوب وتبطن فى فى تلك القفار وساروا يجدون المسير الى نصف النهار فما وقعوا بأحد فى تلك الديار فقال عنتر يا شيبوب أنا كنت أعهد فى هذه الارض غديرا فسر بنا اليه حتى نقبل عليه فأجابه شيبوب الى ذلك وساروا يجدون السير فى الدكادك وما ساروا غير يسير حتى أشرفوا على وادى أخضر نضير أشجاره مورقة باسقه وأنهاره دافقه وأطياره ناطقه تسبح من له العزة والبقاء والغزلان على حافته متسابقه وفيه من كل شئ اثنان مثل القطا والسمان والفاخت والكروان والهزار على رؤس الاغصان والزهر فى أرضه ألوان مثل الورد والرمان والياسمين والاقحوان والقرنفل والزعفران وشقائق النعمان والاغصان تدلت عروقها مما عليها من الاثمار كأنها قناديل للنظار مثل تفاح تلهب وخوخ معجب وعنب مكعب وتين مكتب ونارنج مجنب وأترج مشعب والماء يتكوثر والطواويس تجلى وتتبختر وذلك الوادى كأنه جنة من الجنان خلقة الواحد الديان المهيمن الرحمن كما قال فيه فصيح اللسان

وادترنم طيره بغديره * يشتاقه الولهان فى الاسحار
فكأنه الفردوس فى نفحاته * ظل وفاكهة وماء جارى

(قال الراوى) فلما أن رأى عنتر الى ذلك الماء الجرار أراد أن يستظل تحت تلك الاشجار واذا به يسمع صوت أنين من كبد حزين وقائلا يقول لعنك الله يا مالك ولا أنالك من طرق المهالك فما أكثر دهاك ومكرك ومحالك فلما سمع عنتر ذلك الكلام وقف يسمع وكاد قلبه أن يتقطع واذا هو بصوت أقوى من الاول وأوسع وهو يتأوه ويتكمد ويتوجع وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا أم روى كبدى * بالماء من كرب الظما * وابكى على انى
صب حزين هيما * وكان دمعى منجدى * واليوم قد صار دما
ويل خصمى سهمه * ولا أرى لى راحما * حمامة الوادى امتنى
وساعدى المتيما * وارعى ليالى سلفت * ونحن فى وادى الحمى
نقيم كل ليلة * على الفراق مأتما * بحرمة العهد الذى
حفظت فيه الذمما * ان سألتك عبلة * قولى لها قد عدما
واليوم يقضى نحبه * شوقا الى ذاك الحمى * يا عبل ما خلى الهوى
فى رسم جسمى من دما * والعزم منى قد وها * والصبر منى انصرما
لما رأيت عبلة * مسبية سبى الاما * لكن بهذا قد قضى
بحكمه رب السما * صبرا على ما حل بى * حتى أرى لى راحما

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام والشعر والنظام ارتعدت منه الاقدام وكاد أن يغشى عليه وتام وعرق الغضب نفر من بين عينيه ثم انه التفت الى أخيه شيبوب وقال له ويلك يا ابن الام اما ترى ما نحن فيه هذا منام أو اضغاث احلام أو فى العرب من اسمها عبلة أخرى فما أظن هذا الامر قد جرى فربما يكون القضاء والقدر ساقنى الى عمى مالك حتى أخلصه من المهالك فوحق ما انعم الله

به على من النعم والايادى لقد اقلق قلبى صوت هذا المنادى ولابد لى ان أكشف خبر هذا (قال الراوى) ثم انه أتى الى الغدير بجواده وسار فى تلك المهاد فرأى فيه جارية شديدة السواد كأنها الليل اذا اعتكر وقد امها غلام أسمر يشابهها فى اللون والنظر وهو تارة يحرك يديه وتارة يغمض عينيه فتقدم اليها عنتر وهو على جواده الابجر حتى وقف على رأسها وبقى قدامها وقال لها يا مولدة العرب الكرام من أى الناس انتم حياكم الملك العلام وما حال هذا الغلام فقير الحال بالى الاوصال لايسمع مقالا ولا يلتفت يمينا ولا شمالا فقالت له والله يا وجه العرب ما كانت هذه الحالة حالته ولا هذه الصفة صفته وما كان الا فارسا من الفرسان المذكوره وبطلا عند الابطال المشهوره وانما غدرت به الايام وترادفت عليه الاعوام وعاداه الزمان وابتلى بالذل والهوان وله يا فتى قصة عجيبه مطربة غريبه لان هذا يقال له عنتر بن شداد وأنا أمه واسمى زبيبه وامورنا يا فتى عجيبه وأنا أبين لك بعضها وأشرح لك ابرامها ونقضها وذلك أن أباه سباني من بعض الاحياء وراقنى فى الصحراء فعلقت منه بهذا الولد باذن الفرد الصمد ولما انتهى الحمل وضعته فى ابياته وربيته حتى كبر وانصلحت جميع حالاته ثم أرحته الى المرعى وصرت أناوياه للجمال نرعى فصار يركب الخيل ويخوض بها النهار والليل حتى رزق القوى والحيل وأتته السعاده باذن صاحب المشيئة والاراده فكبرت نفسه عن الرعيه وصار يغزو قبائل العرب القصيه والدنيه ومازال كذلك حتى نزل عليه القضاء والقدر فعشق بنت عمه عبلة ابنة مالك وصار يقاسى من أجلها المهالك فلما ان أصابه ذلك ألحق روحه بالحسب والنسب لعل أن ينال منها الارب وأراد أن يتقرب الى قلب أبيها بكل سبب وأعطاه كثيرا من الاموال وخلصه من المصايب والاهوال حتى زوجه بها زورا ومحال فصار يغير على قبائل العرب ويرجع بالاموال والذهب حتى انصلح من دخوله عليها الحال فغدر به عمه وصار يهرب بها من مكان الى مكان الى أن وقع به صاحب الوقت والاوان والحرب والطعان ومهلك جميع الفرسان اليقظان بن جياش صاحب الوقائع والهواش فأخذها منه بعد ما قتله وهو ساكن فى هذا الوادى وقد أشمت بنا الاعادى بفعل ولدى بهيم فى القفار وعرف ان عمه قتله هذا الجبار ولما سباها حمله الهوى والهيمان حتى قصد الى هذا المكان وأنا الا أقدر ان أرده الى المنازل والاوطان وجعلت أنهاه وهو لا يسمع وأرده وهو لا يرجع وقد انبطح على هذا الغدير وقد أهلك روحه من قلة الاكل والشرب والحسرة والزفير وله ثلاث ليال فى هذا المقام وهو لم يستطع بطعام ولم يلتذ بمنام ولم يقدر على القعود ولا على القيام ولا على الدخول الى هذا البطل الهمام ومابقى يقدر ان يرجع الى المنازل والخيام ولا بقى فيه رمق يسمع الكلام (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الامة ذلك الكلام تعجب غاية العجب من هذا الحديث الذى يكتب بماء الذهب وقال والله يا مولدة العرب الكرام ان كل الاعمام لايحبون ابن أخيهم بين الانام فقالت له نعم يا وجه العرب أما سمعت قول الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول صلى الله عليه وسلم

العم غم فلا تأمن اليه اذا ✻ جار الزمان وكن عنه بمنعزل ✻ شيخ لئيم خبيث لاخلاق له
والزور سمته والنطق بالزلل ✻ شيخ يقول ولم ينصف بمنطقه ✻ زورا ومينا بلا قول ولا عمل

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال لشيبوب والله لقد صدقت فى مقالها وقد تعجبت من أم هذا الغلام وأمرها وغبت والله عن الدنيا ونسيت عشق ابنة عمى عبلة ويلك يا شيبوب انظر انظرما كأنها الا أمنا زبيبه وأنا والله قد دهشت من هذه المصيبه ولكن اسألها يا أخى لعل لها ولدا آخر اسمه شيبوب أو جرير فسألها شيبوب عن ذلك الكلام فقالت لا وحق الملك العلام ✻ قال وكانت قصة هذا الغلام مثل قصة عنتر البطل الهمام ولكن عنتر كان أكثر سعدا واقدام وقد سبقت له المشيئة من

الملك

الملك العلام وليس السعيد عند ولادته وانما السعيد من سعد فى بطن أمه اللهم اجعلنى واخوانى الحاضرين من المسعودين وشفع فينا جميعا سيد المرسلين (قال الراوى) ثم ان عنترا لما سمع من الامة ذلك الكلام آلم قلبه شكواها وعزم على قضاء دعواها وقال لها يا مولدة العرب وفى هذه الساعة أين الفارس الذى سبى ابنة عم هذا الغلام وفعل فى حقكم هذه الفعال فقالت له يا مولاى انه فى هذا الوادى مقيم ونحن ههنا من خوفنا منه قاعدون لانه ان ظهر من هذا الوادى وعلم بنا قتلنا وشرب دماءنا وأكل لحمنا وأحل بنا العنا فعندها ألوى الامير عنتر عنان جواده الابجر وطلب فم ذلك الوادى وهو على ملاقاة ذلك الفارس يتحسر * قال وكان هذا الفارس جبارا من جبابرة العرب وفتاكها وكان طبعه سفك الدماء وهتك الحرائر المخدرات وخطف النسوان والبنات وماله همة الا مال ينهبه أو شئ يكسبه أو فرج حرام يركبه أو زق خمر يشربه أو فارس يقتله ويأخذ سلبه وهو الذى كان السبب فى خلو هذه الارض وشتت منها أهلها طولا وعرضا حتى هجموا الى رؤس الجبال خوفا على حريمهم والعيال لانه كان يرسل البحائر الى سائر الحلل القريبة ويعظيهم المال الجزيل حتى يأتوه بأخبار البنات الموصوفات واذا أتاه خبر ابنة صبيحة أو امرأة مليحة فيشن عليها الغارة حتى يأخذها مسبية من وسط الابيات وينزل بأهلها البليات ويأتى بها الى هذا الوادى ويتمتع بها الى أن يسمع بغيرها فيذبحها وينزل بها الدمار ويشوى لحمها على النار وبعد ذلك يأكله وكان هذا الفعل دائما يفعله وكان الذى جرأه على أكل لحم الآدميين وتلك الفعال أكله للحم الاشبال * قال ولما أن علم ان العرب كلها طالبته اتخذ هذا الوادى حمى وجعل سكنه فيه دائما لانه كثير الغابات وفيه كثير من السباع واللبوات والافاعى والحيات فداوم بالاكل على السباع واللبوات حتى قطعهم وقتل أكثرهم ونهب أسرهم وكان قد اختار له عشرة من أولادها الاشبال ورباها كما يربى الراعى البقر والجمال وصار يطعمها من يديه ويربيها حتى استوت استواء كثيرا وبقى كل واحد منها قدر الثور الكبير لانها ربيت شبعانة ريانة من لحم الضأن والغزلان وأيضا كان يطعمها من لحم البنات والنسوان وكان الاسد منهم اذا لطم البعير قتله واذا أراد أكله أكله وكان ذلك الجبار اذا قعد درات به الاشبال وبقى حوله من كل جانب واذا نام تحرسه من النوائب واذا غاب فى بعض المواضع تحرسه حتى لا يطمع فيه طامع الى أن سمته العرب أبا الاشبال وخافت من شدة بأسه جميع الابطال * قال ولما أن وقعت هذه الجارية فى يده ودخل بها الى هذا الوادى اشمت بها جميع الاعادى وقد أحل بها الاسا وصار يطلب منها ما تطلب الرجال من النسا وهى تمتنع وتشمخ عليه ولا تسلم فى نفسها اليه وهو يمالطها ويطول روحه عليها مثل ما تفعل الاحباب بالاحباب لانه يعلم أن خلاصها من بين يديه بعيد وصعب شديد الى أن أتى عنتر الى ذلك الوادى وهو طالب أن يدركه فلم يجد له مسلكا من الاشجار ليسلكه فشم الجواد رائحة الاسود فتأنى ونشر بناصيته فعلم منه ذلك عنتر فأثنى رجله وترجل وسل سيفه الظامى الابتر والى ذلك الوادى دخل وقال لاخيه شيبوب خذ أنت الجواد واطلع به الى الجارية والغلام حتى أفصل أنا هذا الامر وأبلغ المرام فقال له شيبوب والله يا أخى أنا فى هذه النوبة ما أفارقك وان سرت سرت أنا خلفك وأراقبك ثم ان شيبوبا ربط الجواد فى بعض الاشجار الطوال وعاد يطلب أثر أخيه حتى يعلم حقيقة الحال (قال الراوى) فلما دخل عنتر الى ذلك المكان رأى قدامه مكانا واسع فيه ماء ومنابع وخيام منصوبة وبيوت مضروبة وفرس ملجم ورمح عالى مقوم وسيف معلق وأبو الاشبال جالس قدام ذلك البيت وبين يديه حمار وحش وهو يحمى النار ويلقع من لحمه ويشوى عليها والى جانبه زق خمر كأنه الناقة العشار والجارية قدامه تبكى بدموع غزار وكلما لج عليها تهم أن تلقى روحها فى النار وهى تقول له الى كم هذا الجور يا ابن الانذال والله لو أنك

تقتلنى وتشوى لحمى وتاكله أنت وهذه الاشبال لما خنت ابن عمى عنتر بن شداد ولو شربت كأس الردى والعناد وافعل بى ما تختار وألقنى فى النار ولا ألبث شهاب العار والله انك الى وصال أمك أقرب لان ذلك أقبح ما يكون عند بنات العرب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع أبو الاشبال منها ذلك الكلام قام اليها وعول على أن يهلكها فصاحت وتالت واحرباه واقلة ناصراه أين عيناك ياعنتر لترى ما جرى على من الهتيكة والافتضاح فى تلك الرباو البطاح فتخيل لعنتر أنها بنت عمه عبله وقد وقعت فى هذه البلية والدبله فغاب عنتر عن الوجود وما بقى يعرف ما بين يديه وقد قام عرق الغضب بين عينيه وقامت شعرات شاربيه فصرخ صرخة دوت لها الجبال وتفرقت منها الاشبال وهى تدمدم مثل رغاء الجمال فاستقبلها عنتر بسيفه الظامى المصقول وضرب فيها عرضا وطول وتبعه شيوب بضرب النبال وصار يقصد بها الاشبال يمينا وشمال وقد أقلق الوادى بالزعاق حتى سد الآفاق فلما سمع أبو الاشبال هذه الضجة اشتغل عن الجاريه وزاد به الخبال فصاحت الجاريه فيه الى كم هذا البغى والعناد والجور والفساد فقد أتاك من يردك عن هذا العناد فقال لها يالخناء الساعة ترينه بين أنياب السباع وهو ملقح فى هذه البقاع ﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه السباع معتادة اذا ظفرت بشئ تأتى به اليه فلما سمع هذه الضجة خرج ينظر الاشبال فرأى أنه قد بقى منها ثلاثة والسبعة قد قتلها عنتر وقد استقبل الثامن بالظامى الابتر بضربة بين عينيه فطلع السيف يلمع من بين فخذيه فلما ان نظر أبو الاشبال الى هذه الضربه أيقن بحلول النكبه وزعق على الاسدين اللذين بقيا بين يدى عنتر أدخلهما الى الغابة خوفا عليهما لئلا يفعل بهما مثل ما فعل برفقائهما ثم انه بعد ذلك تقدم الى عنتر وقال له ويلك ياعبد السوء ما بقى لك من يدى مفر لانى ما أظنك الا جاهلا بخبرى وما اطلعت على شئ من أمرى ثم انه حمل عليه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

أنا أبو الاشبال ليث الوادى * والبطل المعروف بالفساد * لحم البنات مأكلى وزادى
والدم يروى بعضه فؤادى * كم قد تركت حرة تنادى * وما ترى من العذاب فادى
غرى أنى قاتل الاولاد * وأهتك النسا بكل وادى * وآكل الحرام بالانكاد
وأقتل السفار مع وراد * مالى جميل طول عمرى بادى * الا فنا الشعراء والقصاد
وان فعلى اعظم الفساد * وليس لى فضل سوى العناد
وقد قتلت اليوم فى أولادى * وساقك المولى بغير زاد

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع منه عنتر ذلك الشعر والنظام الذى يورث الحرب والخصام اجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

ان كنت تبغى الشر مع فساد * فالخير طبعى والصلاح زادى * وصارمى نار بلا زناد
يقدح فى الارواح والاجساد * وقد قتلت فى سباع الوادى * فمالك الساعة من نفاد
لانى ليث وسبع الوادى * قتال أهل البغى والفساد * حامى الحريمات مع الاولاد
وقاتل الحساد والاضداد * وأكرم الضيوف مع وراد * وأكرم الشعراء مع قصاد
وليس عندى الميل للفساد * ولم أمل يوما عن الطراد
حتى تذوق الطعن فى الجلاد * لكى أخلى منك هذا الوادى

﴿قال الراوى﴾ ثم انهما حملا على بعضهما البعض ودكدكا جنبات الارض وزاد بينهما الزعاق حتى ارتجت الآفاق وكانا فى القتال سوا وقد ضاق بهم الاستوا وكل منهم أظهر عجائبه وأبدى طعنه ومضاربه وما منهم من استظهر على صاحبه بل انهما افترقا ليأخذا لهما راحة من الكرب والشقا لان كل

واحد

واحد لقى من صاحبه عرباشديد ماعليه من مزيد فعندها أنشد أبو الاشبال وقال صلوا على باهى الجمال
قف واستمع يا ابن اللئام مقالى * فالقول منى تابع لفعالى * فلسوف تصبح ثاويا فوق الثرى
وتخر منى لا بحد نصال * أفما علمت بأننى البطل الذى * ضربت بى الامثالى فى الاحلال
كم ذا قتلت وكم أسرت مدرعا * ولكم هتكت لستر ذات جمال * قتل النساء مع البنات شجاعة
قتل النسا فخر لذى الاهوال * كم ذا قتلت غلام غدر فى الفلا * وسبيت ربة خدر ذات جمال
أهوى الفساد وفعله بين الورى * أهوى الزناء وكل ذا أهوالى * فاقرب لتعلم أننى فى حربه
قرن كمى صائب الاقوال * فلسوف تبقى ثاويا تحت الثرى * من سطوة المتفرس الريبال
انى أنا ليث الحروب ومن سمى * بين الورى يدعى أبا الاشبال

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الشعر والنظام عرف معناه واذرقت عيناه وبقى عبرة لمن يراه وقال واعجباه من هؤلاء القوم العتاة البغاه الذين يتباهون بالزنا والفساد ويفتخرون به بين العباد ثم انه أجابه بقول صلوا على طه الرسول

هاقد برزت اليك غير مقصر * بين الورى لما طلبت قتالى * فانظر ترى بالصدق ماقد قلته
لى يا كذوب القول والافعال * وترى سبيل الموت بين مهندى * متقربا بالاسمر العسال
أنا عنتر العبسى سيد قومه * مفنى الالوف ومهلك الابطال * شهدت لى الابطال انى واحد
بين الورى بفضائلى وخصالى * هاقد أتيت كما طلبت فخذ فى * نيل العلا واصبر على الاهوال
المجد مجدى راقيا فوق العلا * متشعشعا متلعلعا متلالى

(قال الراوى) لهذا الكلام ثم انهما حملا على بعضهما البعض وصرخا صرختين ارتجت من عظمهما الارض * هذا وقد انطبقا كأنهما جبلان واقترقا كأنهما بحران وأخذا مع بعضهما فى الصدام والالتزام والمهاجمة والمخاصمة والملاكمة والاقدام فلما طال بينهما المطال وخشى أبا الاشبال الفشل والملال وحل به مما رأى من عنتر الانذهال قال له ويلك يا ابن اللئام والله انى قد لاقيت الابطال ومارست الاقيال فما لاقيت أعظم منك صبرا على الاهوال فهل لك فى الصراع على هذه الارض والبقاع فقال له عنتر اى وأبيك انى فى الحرب منصف وفى العطاء والبذل مخلف ثم انه لقح السيف من يده وخلع الرمح عن جسده وكذلك فعل خصمه وعادوا الى الصراع والملاكمة بالزند والباع وصاح كل واحد منهما على صاحبه وكان ذلك أعلى مما كان فيه من المحاربة فاغتاظ عنتر من طول مقامه معه فى الصراع فدخل فيه ومكن منه الباع والذراع ورفعه على باعه وساعده حتى بان سواد ابطه وجلد به الارض فرض عظامه اقوى رض وأدخل طوله فى العرض ثم أخذ حسامه وضربه به على راسه فنزل الى حد أضراسه فنادت الجارية لاشلت يداك ولا كان من يشناك ولاسبيت حريمك ونصرك الله على غريمك (قال الراوى) وكان شيوب قد رمى بالنبال السبعين اللذين بقيا من أبى الاشبال وطرحهما على الارض فى عاجل الحال ودخل على الجارية فخلها من الاعتقال وبشرها بابن عمها عنتر وأخبرها انهم وجدوه فى الآفاق فاكثرت له من الشكر والثناء والادعية الرقاق وقامت وصارت تقبل قدميه وأنشدت تقول

لله درك من فتى طعان * يوم اللقاء ومكافح الاقران
يا قاهر الفرسان يا ليث الشرى * بك قد غدا خوف الضنى بامان
يا فالق الهامات يا تاج العلا * يا ملجأ القصاد من عدنان
أصبحت تجعل غمد سيفك دائما * يحلو لملوك الشم من قحطان

يامن يجود على الزمان اذا غدا * فى جوره بتضاعف الاحسان
ما ان ذكرتك فى الوغا الا غدت * تثنى عليك جوارحى ولسانى
فاسلم ودم فى طيب عيش دائما * ما لاح برق بالحجاز يمانى

(قال الراوى) ففرح عنتر بفعل المعروف واغاثة الملهوف وأمر أخاه شيبوبا ان يجمع ما فى الوادى من الحطام من مواش وقماش وأغنام وأخرجه فى ذلك البر والاكرام فوجد الامة تعلل ولدها بالملام وتخبره بما جرى وهو كأنه فى منام فلما أن رأت عبلة قد ظهرت ومن خلفها عنتر وقد ركب على ظهر جواده الابجر كاد قلبها أن يطير من الفرح ثم انها فى عاجل الحال قامت اليه وقبلته بين عينيه وقبلت يديه ورجليه وجعلت تمرغ وجهها على قدميه فترجل عنتر عند ذلك وجلس عند رأس الغلام وقال لابنة عمه كلميه ورشى على وجهه من ماء الغدير وأقيميه وقد ذهب عنه جميع اللهيب الذى هو فيه لانى أعرف مرض العشاق انه لا يبرأ الا برائحة الحبيب فانه هو الدواء والطبيب * قال فدنت الجارية من ابن عمها وضمته الى صدرها وكلمته بنفسها فقعد على حيله من غير أن يقعده أحد ولما أن قعد الغلام أمر عنتر أخاه شيبوبا ان يقدم له شيأ من الطعام لانه كان لا يفارقه فى سفر ولا فى حضر ولا فى مقام وصار عنتر يأكل ويطعمه وابنة عمه تحادثه وتلقمه فعند ذلك زال عنه ما كان يجده من وجعه وصار يقبل صدر عنتر ويديه وأشار بمدحه يقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول

الا عل قلبى أن يذوب غراما * مع مقلة ألقت اليك سقاما
ان كنت سيفا كنت سيف مرهفا * او كنت قوسا كنت انت سهاما
احييتنى يا فارس الخيل الذى * ابدت له ايدى الزمان مراما
فلاشكرنك جهد ما أنا قادر * يا منجى من جوده انعاما

(قال الراوى) فلما سمع عنتر ما أبداه الغلام من الشعر والنظام علم عنتر فى نفسه انه اجل العشاق وما يقدر أحد مثله أن يصبر على ذلك الصبر المر المذاق فقال ما أظن أحدا يكون أصبر منى وربما تبقى الناس تتحدث بهذا عنى وأما الغلام فانه لما شم الهوى عاد اليه الحيل والقوى فقال لعنتر يا مولاى أشتهى ان تأخذنى لك غلام وأكون بين يديك اخدمك على ممر الشهور والاعوام فقال له عنتر رح يا اخى الى حلتك وادخل على زوجتك بين اهلك وعشيرتك واستقر فى ديارك والاوطان فى طول عمرك والازمان ولكن يا اخى بحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا عدت تتسمى بهذا الاسم على طول الايام لانى اخاف عليك ان يقتلك العربان ويسقوك كأس الهوان ثم انه سماه عطاف وامر اخاه شيبوبا ان يقطع له قطعة من النوق والجمال من الغنيمة التى كانت لابى الاشبال وودعه وسار يقطع البرارى والقفار وعنتر فى حيرة من تلك الامور والاسباب وهذا الحديث الذى يحير عقول أولى الالباب (ثم) انهما أخذا فى السير طالبين عروة بن الورد واذا هما بغبار قد ثار وظهر من بين الروابى والقفار الى أن تقرب منهما ظهروبان من تحته ثلاثون فارسا أجلاد ومعهم غنيمة قد غنموها من تلك البلاد فقال شيبوب لاخيه عنتر هذه غنيمة قد ساقها الينا رب العباد حتى نعود بها الى أصحابنا ونحن بالغنى المراد فقال له عنتر لا يا أخى لا تتسبب بهذا السبب ربما يكون معها قوم من صعاليك العرب وقد تعبوا عليها غاية التعب وقد قتل منهم جماعة حتى ملكوها وما عاد رايقع لهم غنيمة مثلها يغنموها ثم انه عدل عن الطريق من غير أن يريد لهم تعويق فلما نظرت الفرسان الى عنتر وهو قد مال عن الطريق ظنوا أنه خائف منهم فعند ذلك تصدوا اليه ومال فارس منهم عليه وقال له ويلك انزل عن جوادك وسلم نفسك من قبل أن تسكن رمسك قال عنتر لعن الله لحاك ومن المصايب لانجاك امضوا الى حال سبيلكم والا عدمتم

توفيقكم

توفيقكم فانى ماتركت هذه الغنيمة الاشفقة منى عليكم فلما سمعوا قوله صاحوا عليه وتبادروا اليه ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى عنتر منهم ذلك وهم يصيحون عليه ويتبادرون اليه ويطلبون منه الحرب والقتال قال لهم وذمة العرب الكرام وربى الباقى على الدوام لابد أن أبدل ضحككم بكاء وأنينا واشتكاء ثم حمل عليهم وطعن الاول الذى كان يكلمه فقتله والثانى جندله والثالث رمله والرابع على الثرى عفره ولم يزل يقتل فيهم الى أن أهلك منهم سبعة فعند ذلك تصايحوا عليه وتبادروا كلهم اليه وهم ينادون الثار الثار قبل أن يحل بكم البوار * هذا وعنتر ينكس فارسا بعد فارس ويجندل كل بطل مداعس وهو يجعل حتفهم حتى أفنى أكثر من نصفهم فلما رأوا ذلك الهول العظيم قالوا أسئل الله أنا ملك يا عبد يا زنيم ما أشد قتالك وما أقوى نزالك فلما سمع عنتر منهم ذلك الكلام أبدى التحمل والابتسام وصاح يا أوغاد غير امجاد ألم تعلموا أنى عنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع القوم بذكر عنتر تطايروا فى البر الاقفر وولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار فأمر عنتر أخاه شيبوبا أن يجمع النوق والجمال التى كان راكبا عليها هؤلاء الرجال وأضافوها الى ما معهم من غنيمة أبى الاشبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا عبل قد طال شوقى واحترقت فؤا * أرجو سوالك لنا خلاص من الناس
وصرت أرجو اليك نظرة وبها * يخلو فؤادى من هم ووسواس
وقد لقيت أبا الاشبال فى وهج * من السباع وسبع أحمر قاسى
جعلت فيهم وقد جندلتهم عجلا * بهمتى وباقدامى وأشراسى
وقام عمدا أبو الاشبال مبتدرا * نحوى بخنجر له رمحى ومقياسى
وقد لقيت كمثلى عنترا وكذا * خلصت عبلته من شدة الباس
وعارضتنى خيول تبتغى سلبى * من كل ليث صبور باسل قاسى
فقلت لا تقربونى انتى بطل * حذرتكم من هز برليث اخياس
نخالفونى فصاروا وسط بلقعة * صرعى وتندبهم فى القاع أعراسى
وانتى ارتجى من خالقى فرجا * يرتاح قلبى به يا نور مقياسى

﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنترا سار هو وشيبوب بعد ما جمعوا سلاب القتلى وما تخلف من الحطام الى أن وصلوا الى عروة ورجاله الكرام ولما أشرفوا عليهم توثبوا اليهم والتقوهم من كل جانب ومكان واعتنق عروة عنترا وهنأه بالسلامة وسأله عن قصته وما جرى له من ذلك الحال فحدثه بجميع ما جرى له فى الوادى مع ابى الاشبال وقصة الجارية وابن عمها عنتر وامه زبيبة فوقع لعروة الانذهال وكثر تعجبه هو ومن معه من الرجال وقال يا أبا الفوارس هذا الحديث ما جرى مثله بين العبيد والموالى ولا فى القرون الخوالى ممن تقدم وتأخر وهذه سعادة ما نالها احد ولم يزل سعدك يتبعك الى الابد فشكره عنتر وأثنى عليه على ما أبداه من المقال واعطى لرجاله اوفى قسم من المال ونزل هو واخوه لنأخذ لهم راحة مما قاسوا من التعب والشده وأرسلوا المال مع عشر فوارس مشتده ومن الغد ساروا يطلبون حى بنى كنده وعنتر بين أيديهم راكب على جواده الابجر وعروة الى جانبه كأنه الاسد الغضور وكان عنتر كلما طال عليه المطال والسفر يتذكر عبلة ويتحسر فقال له عروة أيها الليث الهمام والبطل الضرغام لو أنك أقللت من ذكر عبلة والكلام تخف عن قلبك الوجد والغرام فقال له عنتر كن عاقلا يا أبا الابيض وذر الملام فهل رأيت أحدا يفارق روحه التى بين جنبيه أو ينظر بغير عينيه ثم زاد به الوجد والغرام وأقلقه الهوى والهيام فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يقولون لى أسلو عبيلة يافتى * فقلت وما السلوى فداك عجيب

أتأمر انسانا بفارق روحه * ويصلح جسم ليس فيه قلوب * وكيف أطيق الصبر عنها وحبها
بقلبي وفي احشائي زاد لهيب * وماذر قرن الشمس الا ذكرتها * واذكرها للشوق حين تغيب
ولولا منى فيها نصوح ومشفق * لقلت اكففا عني فلست اصوب * وأعظم من هذا الموت صبابة
ودائي منكم قد جفاه طبيب * أباعبل رق في الهوى لمتيم * نحيل عليل بالوصال يطيب

(قال الراوي) فلما ان سمع عروة هذه الابيات عرف انه ما فرق هواه هوى وانما ذلك من تباريح الجوى فسكت عنه ولم يعذله وساروا يجدون المسير والرواح في تلك البراري والبطاح مدة ثلاثة أيام فزاد بعنتر الوجد والغرام فبكى وان واشتكى وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

قلبي سقيم تائه بهيامي * من جور دهر جار في الاحكام
فلقد أمر على الهوى فلطالما * ارضيه حتى هد منه عظامي
ولكم شكوت حوادث الدهر الذي * جلت مصائبه عن الاحكام
مع معشر القوم الذين تساوموا * قبح الفعال على مدا الايام
كم قد رميت من الزمان بنكبة * ودهيت منه بمحنة وغرام
ولكم جرى لي في الحروب وقائع * تدهى وتذهل عقل كل همام
في كل يوم لي حروب لم تزل * تجري وعظم وقائع وصدام
وتقارب وتحارب وتباعد * مكتوبة للعرب والاعجام
ياعبل كم لاقيت فيك هزاهزا * مثبوتة عند الفتى الضرغام
ولكم قتلت باسمري ومهندي * من فارس ومدرع مقدام
ولكم سريت بعصبة عبسية * شوس ضراغمة أجل كرام
من كل ليث في الكريهة باسل * متغطرف متغشرم ضرغام
فسلوا بالاشبال حين تركته * في البر رزق قشاعم وهوام
وتركته في البر غير موسد * بسنان رمحي ثم حد حسامي
هذا هو الفضل الذي ما ناله * أحد من الاعراب والاعجام

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام تعجب منه هؤلاء الرجال الكرام وساروا يطلبون البر والاكرام فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الامور والاحكام * وأما ما كان من مالك أبي عبلة وما فعل من فعل اللئام فانه لما هرب من ديار بني شيبان من عند الامير بسطام سار يطلب له مجيرا ونصيرا من العربان فسار وقد أوسع في البر وتلك القفار وهو يجوب البراري والجبال ومازال سائرا وهو يجوز الحلل والقبائل والعشائر فكان كل قبيلة نزل فيها طلب من أميرها الذمام من عنتر بن شداد فلم يجره أحد من العباد خوفا من عنتر بن شداد لان خبره قد شاع في جميع العباد وتسامعت به جميع أهل البلاد وما أجاره منهم أحد فزاد به الشر والنكد وزادت به الشدة ولم يزل سائرا حتى وصل الى حي بني كندة وكانوا هم حجرة العرب من بعدهم ومن قرب ولما أن وصل الى الحي نزل على أبيات الملك عمرو المقصور وقد ظن أنه ينزل عليه يكون منصور ثم انه شد أذياله أطنابه وفعل ولده عمرو مثل فعاله ثم انهم طلبوا منهم الذمام من تقلبات الدهر وحوادث الايام فما كان الملك حاضرا في ذلك الوقت بل انه كان في الصيد والقنص فأقام مالك وولده الى ان عاد الملك عمرو الى بلده وكان قدومه عند المسا وكان الليل قد اكتسى غلسا فتفقد مالكا وولده عمرو فسأل عنهما فأخبروه بذلك الامر وقد حدثوه باحوالهما وما جرى لهما وما زالوا يحدثونه بشئ كان وشئ لا يكون الى أن أعطاهم الذمام من جميع من

فى الاكام وجميع من طلعت عليه الشمس من الجن والانس ثم خلط أمواله بأموالهم وجماله بجمالهم وأضافهم ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع أحضرهم بين يديه وتحدثوا هم واياه وقال لمالك من أى البلاد ومن أى العرب أنتم وما الذى جرى لكم مع قومكم من السبب فأخبره مالك أنه من بنى عبس وعدنان وأخبره بما جرى له مع ابن أخيه عنتر من الامر والشان وماتم له معه من اول الكلام الى آخره فقال له ياشيخ لم لا استجرت ببنى عمك لانهم امنع العرب جوار وأعزهم انصار فقال له مالك ياسيدى ان ابن أخى جبار وبطل مغوار وما يقدر عليه أحد ممن سكن القفار فما وسعنى الا أننى أخذت ابنتى وأتيت بها الى هذه الديار واستجرت بكم لانكم نعم الجوار فلما ان سمع الملك عمرو ذلك الكلام علم أنه شديد الغيرة والاهتمام فأمر أن يضرب له بيت فى جانب أبياته وحكمه فى مراعيه وامائه واقام آمنا على نفسه من التعب وظن أنه بنزوله عليه قد بلغ الارب الى ان كان يوم من بعض الايام خرج مالك وولده عمرو من مضاربهم قاصدين الى الملك عمرو فرأوا الحى قد انقلب بناسه وهو يموج بسكانه ويرتج بقطانه وقد ركبت فرسانه وصاحت شجعانه وهرعت نسوانه وخرجت الى الحى اماؤه وظهرت مولداته فسأل مالك عن ذلك الامر فقيل له ان ابن أخت الملك عمرو قد أتى الى زيارته والتحدث معه ومسامرته وهو فارس الآفاق ويسمى بالامير مسحل بن طراق الطويل الركاب العالى الجناب الكامل بالفخار الملقب فى الحرب بالعقاب والناس قد خرجت الى لقاه مبادرين الى لقياه فسار مالك وولده وقد عجب من احتفال الناس على شأن فرد انسان وسطوته بين هؤلاء الشجعان فعند ذلك وقع له هيبة عظيمة فى قلوبهم من قبل أن يروه ومازالا يركضان حتى لقيا الملك عمرا وسلما عليه وسارا مع الناس بين يديه وهما يرقبان الطريق حتى يتحققا ذلك الامر غاية التحقيق واذا بمسحل قد أقبل وبان غباره وتقسطل وبعد ساعة انجلى وانقشع وبان للابصار وطلع واذا قد بان من تحته فارس طويل القامه عريض الهامه وبين يديه سبعمائة فارس كالاسود العوابس ومائتان عبدا ماشية فى ركابه يردون عنه من يغشاه وهم بالثياب الملونه والعمائم الخزرجية المكونه والحراب الحبشيه والسيوف الهنديه وهوله هيبة عظيمة تحير البصر وهو يظن فى نفسه انه أقوى من كسرى وقيصر أو الجندلى بن أبى كركر فتحير مالك أبو عبلة لما عاينه بالنظر لانه رأى غلاما كأنه البدر اذا بدر وهو كأنه الرمح الطويل وله أعضاء كأنها أعضاء الفيل عريض الاكتاف غليظ الاطراف عليه حلة ثمينه مرصعة بالذهب عسجديه وعلى رأسه عمامة ريحانيه أطرافها مذهبة بهية وفاضلها على كتفه مرخيه وهو يخط الارض بابهاميه من طول قامته وقد اتعب الجواد من ثقل جثته وركائب جواده من ذهب يكاد البرق من ضيائها يشتعل باللهب وهو فى تلك الزينة البهيه يعجب كل من رآه من البريه وهو يختال فى مشيته كأنه العروس وتشتاق الى رؤيته النفوس الى ان دنا من الاقوام فازدحمت عليه الناس لاجل السلام فصاروا جميعهم يقبلون يديه وازدحموا كلهم حواليه ولما ان رأى مالك وولده عمرو هذه الاحوال تقدموا فى جملة الابطال وقد اتبعوا سنة القوم حتى لا يقع عليهم عتب ولا لوم ودنوا من مسحل وسلموا عليه وصار الاثنان يقبلون يديه فأخذهم مسحل الى جانبه كأنهم من أهله واقاربه وقال لمالك ياشيخ شرفت بك الديار وطاب لك المزار ونارت بك الاقطار فقال له مالك والله ياسيدى ما عرفت لى قدرا ولا قيمة الا عندكم ولا عادت لى روحى الا لما نزلت فى حيكم وبقيت فى جواركم فلا زالت أرضكم حمى ولا برح عدوكم نادما (قال الراوى) ومازالوا كذلك حتى فرغت الناس من السلام وعادوا وهم راجعون الى المنازل والخيام وعملوا الولائم والدعوات فرحا بقدوم مسحل بن طراق وقد اختلط الخواص بالعوام ودارت عليهم أقداح المدام ودار بينهم الحديث والكلام فقال الملك عمرو لمسحل ياولدى أى شئ الذى أقدمك

علينا فى هذه الايام وماهى أيام مجيئك للسلام * قال وكان بالعادة أنه لا يأتى الا من العام للعام وقدومه هذا ليس له اربعة اشهر تمام فقال مسحل الذى اعلمك به ياخالاه ان سبب قدومى فى هذه الايام رغبتى فى خطبة ابنة هذا الشيخ العبسى لانها قد أشغلت قلبى ونفسى وأبذل له ما يريد من المال والنوق والجمال لانها وصفت بين يدى فى ديارى والاطلال وأخبرونى بما هى فيه من الحسن والجمال وقد التهب بوصفها فؤادى وطال من أجلها سهادى وان قدومى فى هذه النوبة من أجلها وأريد منك المعاونة على أهلها فقال له خاله وقد تعجب وأخذه من ذلك الطرب والله ياولدى لقد وفقت بخطبتها غاية التوفيق وما أشار عليك بها الا كل صديق والبارحة كنت أناوزوجتى فى حديثها وقالت لى كنت أريد من رب السماء أن يكون لى ولد ذكر حتى انه يحظى بذلك الوجه الاقمر فقال له مسحل ياخالاه كنت أشتهى أن أنظرها قبل ان أخطبها حتى لا يقع لى ندم عند الاجتماع بها فقال له ياولدى أنت لا تقدر أن تنظرها وهى محجوبة فى خدرها بين أبيها وأخيها وأمها فلا يراها الا امرأة مثلها فقال له مسحل ياخالاه أنا أفعل ذلك ان ساعدتنى زوجتك بحسن التدبير فقال له خاله أخبرنى كيف تريد أن تفعل مالا يكون فيه شئ من الخطأ والزلل وقد زين لك الهوى بئس العمل وتبقى تلومنا الناس على ما تفعل فقال له مسحل هذا أمر ما علمنا فيه ملام لانى أعلم ان غدا تأتى نسوان الحى ءتهنى زوجتك بقدومى الى حضرتك ويطالبنها بالهدية فأكون أنا قاعدا الى جانبها مبرقعا ببرقع فى ثياب النسوان فلا بد لعبلة وأمها من مجيئهما مع جملة النساء والبنات للهنا فأنظرها بينهن وقد تم الشغل وبلغت المنى فقال له خاله ومن أين لنا امرأة فى طولك وهيئتك حتى تخفى عليهن حالتك فقال له مسحل اعلم أن ابنتك ناجية تقاربنى فى الخلقة والتقدير وما بينى وبينها فى التفاوت الا شئ يسير فألبس جميع ثيابها وأجلس الى جانب أمها فقال له افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك لانك نور العين والروح التى بين الجنبين (قال الراوى) فعند ذلك قام مسحل ودخل على امرأة خاله وقد أعاد عليها جميع ما جرى ومادبر من احتياله فأجابته الى ما قال من سؤاله ثم البسته ثياب ابنتها ناجية وأقعدته الى جانبها بين الاخدان وبعد ذلك قدمت عليها الاجل السلام النسوان من كل جانب ومكان وجاءت أيضا عبلة وأمها وجلست مع النسوان والبنات المخدرات فأخذتها زوجة الملك من يدها وأجلستها الى جانبها وقد تعجبت من ذلك الحسن والجمال والقد والاعتدال وضحكت قدامها وكشفت البرقع عن وجهها وقبلت فمها وأجلستها بين مسحل وبينها وقد تبلبلت منها تلك الخدود وتغزلت تلك العيون السود وصارت تلاعبها والمكان أضاء من نور وجهها وتفاح خدها وتقول هنيأ لمن تمتع بذلك الجمال وحاز ذلك الحسن والكمال * هذا ومسحل قد رأى القمر قد بزغ من تحت الغمام وهو خلقة الملك العلام ورأى وجها كأنه قمر فى ليلة أربعة عشر وقد أبهره قدها ونور وجهها وقد بهتت النسوان اليها وصرن يتعجبن من بهجتها وأما مسحل فانه بهت ناظره وتاه خاطره وتبلبلت سرائره وهم أن يصيح من شدة ما جرى عليه من الهوى والغرام فخرس لسانه عن الكلام لانه رأى قمرا لا كالاقمار وشمسا تشبه شمس النهار بل انها أبهى وأكثر أنوار فزاد فى قلبه لهيب النار وذل بعد العز والوقار والهيبة والافتخار وما صدق متى ينصرف من النسوان ويخلو منهن ذلك المكان حتى قام وعقله قد غاب وخلع ما كان عليه من الثياب وقد لبس احسن ملبوسه وقد تحركت فيه حركات عكوسه وخرج الى خاله وقد تغيرت سائر أحواله فوجد عنده جماعة من الناس يسلمون عليه وهم يتعادثون بين يديه وهم من أصحابه الامراء ومن جملتهم مالك أبو عبلة وبجانبه ولده عمرو وفى قلبهم نيران الجمر فلما أقبل الامير مسحل قام له كل من فى المجلس الا مالكا وولده فان الملك عمرا منعهم عن القيام وقال لمالك أنت صاحب الاجلال والاكرام ويحق لك أن تكرم يا ابن الكرام لانك أنت عندنا نور العين والروح التى بين الجنبين فعظمت نفس مالك عنده لما

مع

سمع هذا الكلام وعلا شأنه بين الجلوس والقيام وبعد ما جلست الناس واستقر بهم المقام أقبل مسحل على مالك وعظمه وأعلى قدره وبجله وقال له ياعم أنت أولى بالكرامة والنعم لانك أنت المولى ونحن الخدم فعندها التفت مالك الى ولده عمرو وقد حلت به الفكر وزاد به الامر والعبر وقال انظر ياولدى ما أحسن تردد هذا الغلام وما أحلى ملتقاه فى هذا المقام وما أعلى شأنه بين الجلوس والقيام ومثل هذا يصلح أن يكون زوجا لاختك وان خطبها يكون من سعدك وبختك فانه والله فارس تقر بفروسيته جميع الابطال وهو صاحب بلاد وأقطاع وأموال وله اليد العالية والمنزلة السامية عند سادات العرب وأصحاب الحسب والنسب وكنت أشتهى أن يخطب ابنتى ويكون بعلا لكريمتى (قال الراوى) وأما الامير مسحل فانه اشتغل قلبه وتغيرت أحواله فما خفى ذلك الامر على خاله وقد علم بتغير أحواله فعند ذلك قال لخاله ياخالاه أنى أريد منك انك تخطب لى ابنة هذا الامير وان تزوجنى بها والا مت كمدا وحل بى التدمير فعند ذلك التفت الملك عمر والى مالك أبى عبلة وقال له ياوجه العرب الاجواد ان ابن أختى قد وقع فى قلبه محبة وداد من عهد ما وصل الى هذه البلاد وعلم أنك من آل عبس الاجواد والبارحة كان معى فى هذا الحديث والكلام وقال لى والله ياخالى انى أشتهى من هذا الامير وولده أن يسيرا معى الى بلادى والاطلال وأحكمهما فى جميع المال ويدبران مملكتى وأشاركهما فى نعمتى لانه ياأمير مالك هو اليوم فارس الآفاق وتحمل اليه الغفارة من أرض اليمن وأرض العراق وهذه البلاد التى هو فيها ملكها بسيفه لانها أرض واسعه وغدرانها تابعه وعربانها كثيرة تحت أمره ونهيه ويحملون له حق الرعية لاجل أن يعطيهم الامان ولابد ان أريك طرفا من شجاعته وجزأ من براعته فانه اذا لطم بكفه رقبة بعير شارد صرعه واذا ضم فخذه على جواد شديد قطعه وانى لما وصفت له صفتك وجميع ما تم لك من قصتك قال لى ياخالاه هذا يدل على همته وكثرة مروءته ونخوته وأنا أريد أن تخطب لى ابنته حتى أتزوجها وبصير بينى وبينه صلة ونسب ولا يكون لاحد عليه مشاحنة وأسلم اليه جميع ما تحتويه يدى وانه ياوجه العرب كفؤ لابنتك ومعادل فى الصباحة والملاحة لكريمتك وأريد منك ياكريم الحسب والنسب أن تقبل منى هذا السؤال وتجيبه الى ما طلب من المقال حتى ترى ما يفعل فى حقك من الاكرام وما يدفع اليك من الاموال وما تصير فيه أنت من المنزلة وبلوغ الآمال فقال جميع من حضر من السادات الذين من بنى كندة والله ياملك لقد نظر موضع النظر لانه تصلح هذه الشمس الا لهذا القمر (قال الراوى) فلما سمع مالك ابو عبلة هذا الكلام ظن أنه قد بلغ من عنتر المرام وقال فى نفسه هذا الذى كنت أطلبه وأتمناه لانى استرحت من عبد شداد وعناه ثم انه قال أيها الملك الكريم والقيل العظيم وحق اللات والعزى ان هذا الحديث قد خطر فى بالى من حيث ما رأيته ولكن احتقرت روحى لاننا نحن ها هنا مقلون من المال بعيدون عن الديار وها قد بلغنى الله ما كنت أرتجيه من أمنيتى وما فضحنى فى ابنتى فافعل أيها الملك ما تريد فابنتى للامير مسحل أمة وأنا وأخوها من جملة العبيد وهذه يدى لك بالوفاء وصدق القول والصفاء وخلوص النية من الحقد والجفاء ثم انه حط يده فى يد الامير مسحل بن طراق ووقع بينهما الاتفاق وفرحت بذلك العشائر ووقعت فى بنى كندة البشائر وجددوا الولائم والدعوات واغتنموا الطرب والهوى واللذات وكان أكثر الافراح فى بيت الملك عمرو لاجل كثرة الخيرات وشدة ضجيج المولدات بما فعل مسحل بن طراق من نحر النياق المسمنات وما خلع من الخلع الملونات على الفرسان والسادات ولم يحص ما وهب من الخيرات والخيول العربيات والجمالى البجاويات (قال) ولما أن كان عند المساء عملت بينهم الكاسات ولعبت بعقولهم الطاسات فطلب أبو عبلة وولده الانصراف من بين الرفاق فخلع عليهم الامير مسحل بن طراق وأعطاهم أفضل

العطيات وقادلهم الجنائب المزينات ومشت بين أيديهم العبيد والاماء والبنات (قال الراوى) وما وصل الى أبياته الا وهو فى رتبة الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار وكانت عبلة قد سمعت عنهم تلك الاخبار فنزلت دموعها على وجنتها غزار وامتنعت عن الطعام والشراب ولازمت البكاء والانتحاب فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير مسحل فانه اختلى بخاله فى آخر المجلس وجعل يستشيره فيما يفعل من الامر والشان وما يدبر من العرس والمهرجان فاتفق الامر بينهم أنه يسير الى أرضه وينفذ لهم المهر وهو ألف ناقة من النوق الملاح محملة من ظرائف اليمن وأربعة آلاف رأس من الغنم الغالية الثمن وخمسين رأسا من الخيول المسومة السوابق بدروعها والرماح الخوارق ومائة من السيوف البوارق وألف ثوب من الديباج ومائتى أوقية من الذهب الوهاج ومائة أمة وأربع عقود من الجوهر وخمسين نوعا من المسك الاذفر ومائة طبلة من الكافور والعنبر وصار مسحل يوسع فى المهر على قدر حاله وذلك لكثرة ماله وشدة عشقه وبلباله واتفق بينهم الامر على هذا وأمثاله وبات تلك الليلة وقد اشعل فى قلبه لهيبه وناره ومابقى يقر قراره فلما كان عند الصباح رحل بمن معه من العساكر طالبا ديار عبلة الى أن وصل اليها وزادت أفراحه وجهز المهر وأرسله مع خمسين فارسا من قومه وأجل لهم أياما معلومة فساروا بالمهر طالبين ديار بنى كنده وقد زالت عنهم الشدة حتى وصلوا الى الملك عمرو المقسور وقد بلغوا بوصولهم سالمين الفرح والسرور فلما أبصرت بنو كنده الى هذه الاموال انبهرت منهم الاحداق وقالوا عمرنا ما رأينا مثل هذا المهر لاحد انساق ولا قاد أحد مثله فى سائر الآفاق وقالت البنات والنسوان وحق ذمة العرب الكرام ما أبصرنا قط جارية مثل ما أبصرنا هذه العبسية ولكنها تستاهل أوفى من ذلك وانها والله ما هى غالية بزوال الممالك لما فيها من الحسن والجمال والبهاء والكمال (قال الراوى) ولما قبض أبوها المهر أخذ فى تجهيز الامر حتى بقى من الاجل الذى أجله لهم مسحل ثلاثة أيام ويعودوا الى بلادهم والاكام (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام وفى تلك الايام وصل عنتر بن شداد وأشرف على بنى كنده وتلك البلاد وكان وصوله فى الليل ففرق رجال عروة فى أحاقيف الرمال وبطون الاوديه الخوال وقد أكمن فى تلك الاماكن والتلول يريد لابنة عمه عبلة وصول ويريد أن يبلغ منها المأمول فقال لعروة بن الورد ها نحن قد وصلنا الى هذه الاطلال والديار وقد اشتهينا أن نعلم الاخبار ونعلم ما تم لعبلة من الاسرار فانها لا تخلو من زوج جديد ولو طلبها من أبيها أقل العبيد فقال عروة والله يا أبا الفوارس انى قد جربت واختبرت ناصيتها على الفرسان القناعس والشجعان الاشاوس فوجدتها وحق ذمة العرب وشهر رجب لا يخطبها الا من منيته قد حانت وآجاله قد تقاربت وقد رأيت ذلك بعينى جملة مرار سوى ما بلغنى من الاخبار فتبسم عنتر من ذلك وقال له أنا فى خاطرى يا أبا الابيض أن أدخل الى تلك الديار والاطلال والآثار وأنظر الى أبيات بنى كنده وأحضر الى عندهم فى هذا الحين ولا أعود الا بالخبر اليقين فقال له عروة افعل ما بدا لك نجح الله أفعالك فقال له شيبوب يا ابن الام أنا أحق بالدخول الى هذه الديار وأجىء لك بجميع الاخبار فقال له عنتر أخاف عليك من عمى أن يعرفك فانه ان عرفك أتلفك فقال له شيبوب أنا ما أدعه يعرفنى ولو خالطته فى كلامه ثم ان شيبو باوثب فى عاجل الحال الى رحله وأخرج منه ثيابا نسوانيه تصلح الى هذه القضيه فلبسها وتبرقع ببرقع وسخ عتيق يصلح لهذه الاشياء وعلق فى عنقه عقودا من الجزع الملون وجلاجل نحاس وخرزا وسلاسل وأجراس وأخذ على كتفه قربة من الماء وقد صار فى زى الاماء فبقى عنتر باهتا اليه وقد لحقه من ذلك التحير وقال له ما هذه الفعال والله ما كائنك الا أم أبى شداد فقال له شيبوب وهذه ثيابها لانها محبوبتى وأنا محبوبها وبينى وبينها محبة

ووداد ومن محبتى فيها أخرتها عى لاشم رائحتها فيها ثم انه سار من عند أخيه عنتر وتبطن فى ذلك البر الاقفر ولم يزل يقطع الربى والبطاح حتى وصل الى الحى عند الصباح ثم دخل بين المضارب وتحدث مع القوم وما اخشى عتبا ولا لوم * قال وكان الملك عمرو راكبا مع فرسانه والاقران وأبعد عن الحى فى تلك البرارى والقيعان وبقيت الاطلال خالية من الفرسان فعند ذلك تقدم الى الابيات التى هى عاليات وهى أبيات الملك عمرو وحبس نفسه على ذلك الامر وصار يتقطع بردفه ويهز عطفيه ويغمز من براه بطرفه ويلوح على صدره بكفه حتى وصل الى مضرب العروس ورأى الناس فى انتهاب المسرات والبنات يرقصن مع المولدات وهن يضربن المزاهر والدفوف ويصفقن بالايادى والكفوف ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر شيبوب اليهن تقدم حتى بقى بينهن فصارت اماء الحى يقلن هذه من المدعيات والمدعيات يقلن هذه من اماء الحى فضاع بين الفريقين فسأل شيبوب من بعض الجوارى أى وقت يكون الزفاف فأخبرته جارية بجميع الحالات وما فيهن من المسرات فلما سمع شيبوب تلك المقالات بقى حائرا بين المضارب والخيام وهو فى قلق عظيم وبقى حائرا فى نفسه ومراده ان يعرف مكان عبلة هى فى أى المضارب وبقى فى قلق عظيم لاجل ذلك فبينما هو متفكر فى معرفة ذلك المكان اذ لاحت منه التفاتة فنظر الى خيمة من الابرسيم وفيها عمودان من الذهب الاحمر وهما مرصعان بقطع من الياقوت والزمرد الاخضر والقطع الجوهر والشموع توقد فيها وقد صار المكان من النور مثل النار ذات الشرر فعرف أنه مضرب العروس العبسيه التى لاجلها كانت هذه القضيه ولكن بقى حائرا فى شأن من يوصل خبره اليها ومالقى له سبيلا على الهجوم عليها فعند ذلك صاح وأظهر الطرب والانبهار ودار دورة اللولب الدوار ورقص حتى انه حير جميع النظار وأذهل من أعطافه البنات الابكار فبينما هو على ذلك الرقص واذا ببعض المولدات قد قعدت من شدة التعب ومما حصل لها من النصب وكان فى يدها مزهر مليح فبادر اليها شيبوب كأنه القضاء المصبوب وصاح فيها وأخذ المزهر من يدها وقال لها وحياة سيدى مسعل لقد قطعت علينا الطرب وقطعت لذتنا بين نساء العرب ثم انه تقدم بين المولدات وضرب على ذلك المزهر حتى حير جميع النساء والبنات فاستقبل ذلك المضرب الذى علم أن فيه عبلة لانه وجد النساء جميعهن يدخلن فيه فضرب بذلك المزهر ولعلع بصوته الابهر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا طيبة قناص صيدك قد أتى * فلتشرى بالنصر من سيف الفتى * ولتفرحى بالقرب يا كل المنا
ولا تقولى ما أتى بل قد أتى * فلتفهمى ما قلته من قصتى * الى متى هذا النوا الى متى
قد حلت الافراح فى حيكمو * فى دائم الاوقات صيفا وشتا

﴿قال الراوى﴾ وأعجب ما جرى فى هذه السيرة العجيبه والامور المطربة الغريبه ان عبلة كانت تسمع الغناء من داخل المضرب فلما أن سمعت ذلك الصوت عرفته وفهمت المطلوب فبقيت حائرة كيف انها تجاوب شيبوب وهى بين تلك النساء والمولدات فحنت كما تحن النياق وكثر منها الوجد والاشتياق فأنشدت تقول هذه الابيات صلوا على سيد السيدات

أيها السائل ما بين الحمى * قد أتى يرقص ما بين الخدم * بشر القناص والسبع الذى
رابض ما بين كثبان الاكم * هاغزال الحى ما بين الظبا * ترتجى الافراح من فرط السقم
هذه أوقات أفراحى بكم * كى يزول الهم عنى والنقم * وسرورى قربكم يا سادتى
وبعادى قد أتانى منه غم * هذه الخيل لساداتى أتت * فاسمحوا بالقرب انى فى عدم

﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمع شيبوب من عبلة ذلك الشعر والنظام عرفها معرفة تمام فعند ذلك أظهر التعب وجلس كأنه يأخذ له راحة الى جانب المضرب وتفرقت من حوله الجوار والبنات الابكار

واذا بعبلة قد طلعت من باب الخيام فنظرت الى شيبوب وهو جالس فى زى الامة فقال وحق خالق البرية ورافع السموات العليه ان هذه الامة ما أظنها كنديه وان فاتنى حذرى ماهى الا عبسة شداديه (قال الراوى) فلما سمع شيبوب هذا المقال خفق فؤاده من شدة الفرح والبلبال ثم انه التفت الى التى تخاطبه بهذا الكلام وهى التى تذكر مولاه شداد فاذا هى عبلة ابنة مالك بن قراد وهى وحدها فى الخباء فاقبل عليها لما أن هدأ من الرقص والانزعاج وهنأها بذلك الزواج وكان ذلك مع الحذر ان يكون أحد قريبا منهم ويطلع على هذا الخبر وقال لها وحق من علا فاقتدر وخلق الاشباح والصور لقد شبهت ونظرت موضع النظر فلمن شبهت بين العباد قالت بانة مولدة عمى شداد فقال لها ما أنا بانة مولدة عمك شداد بل أنا شيبوب أخو عنتر الفارس الجواد ثم انه كشف عن وجهه اللثام فعرفته معرفة تمام فقامت اليه وكاد قلبها أن يتقطر وفاض دمعها وانحدر وقالت ويلك ياشيبوب وأين أخوك عنتر فقال لها قريب فى هذه البيداء ومعه عروة بن الورد وانه قد صار صديقه وصار من اليوم رفيقه ومعه أصحابه المائة فارس من فرسان بنى عبس الاشاوس ولكنه فى هم عظيم لاجل معرفة أخبارك وقد أنفذنى الى هنا أقتفى سائر آثارك فعندها حدثته عبلة بحديث مسحل بن طراق وكيف تزوج بها وحصل بينهما الاتفاق ثم قالت وأنا وحق من أنار الشمس بالاشراق الواحد الخلاق ان زفونى على مسحل لاقتلن روحى وأسكنن ضريحى وأموت فى تلك الآفاق ويكون هذا بينى وبينكم سبب الفراق ولو كان أبى وأخى يقطعونى قطعا ما أكون لهم مطيعه ولا لمسحل ضجيعه ولكن ياشيبوب عد اليه وسلم عليه وأخبره بما سمعت من هذا الامر والشان ولا تمكنه من الهجوم على ذلك المكان لانهم فرسان كثيرة لا تحصى بعدد الرمل والحصى ولكن يرتقبون وقت الزفاف لما ينقضى الامر ولا يبقى خلاف فاذا رآنى مع الظعن فذلك الوقت يخرج وبهجم عليهم ويقتل كل من معى وتقود أنت بزمام ناقتى ومحملى ومن تبع أثرى فانه يلقاه ويسقيه كأس فناه واوصيه ان لقى أبى ان يقتله ولا يرثى له لانى قد أبغضته من أفعاله الرديه ومقالاته الكاذبة التى هى له محويه ثم انها قالت ياشيبوب بحق من خلق النطفة وأنشاها احفظ منى هذه الابيات ولا تنساها وبلغها الاخيك عنتر وانشده اياها ثم انها أنشدت تقول صلوا على طه الرسول

صبرى وصبرك قد فنى وتجلدى * وظننت تأتينى المنية فى غد * مما أقاسى من عظيم تلهبى
حتى وعيشك ضل عنى عوّدى * يالائمى فى حفظ عهد مودتى * أين الكريم اخو الوفا ذو السودد
ماطاب عيشى بعدبعدك ساعة * ياطاعن الفرسان منه باليد * ماقر جفنى هجعة فلربما
لاينقضى حزنى وفرط تجلدى * بلغ حديثى للهزبر مقاله * فلعل تبرا منه نارتوقد
لاتبق ان ظفرت يداك بمالك * ياقاهر الفرسان ياذا السودد

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الشعر والنظام وفهم معنى هذا الكلام خرج من الاطلال يجوب البرارى والجبال * قال وكان عنتر حين فارقه أخوه شيبوب وهو فى نار لا تطفا ولهيب لا يخفى وما زال فى انتظاره الى أن انتصف عليه النهار واذا بشيبوب قد قدم عليه وصار بين يديه فوجده فى ضر أيوب وحزن يعقوب فلما ان نظره عنتر قام اليه وسأله عن حاله وهمه ومصابه وأشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

أبرد غليل جواى بالاشعار * فلقد جرى دمعى كما الامطار * روح بها روحى وخبر عنهمو
قلبا غدا فى ضيقة الاحصار * كرر حديثك عنهمو ياقادما * من دارهم اكرم بها من دار
بلغ بلغت الخير ان لاقيتهم * وعرفت منهم يا اخى آثارى * ام نلت منهم لحظة او نظرة

تشفى

يشفى بها قلبي وتبرد ناري * قسما بمن جعلت فؤادي والها * ونأت عن الاسماع والابصار
لاحلت عن ذاك الوداد وعهده * لوان في سقمي يكون بواري * ماهب ريح من حماك عشية
الاوأهدت طيب الاخبار * مني على بهجعة فلعلني * احظى بنيل الطيف في الاسحار

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من اشعاره وسمع شيبوب حسن اوزانه اجابه على عروض شعره بقول صلوا على طه الرسول

مهلا اخي وقيت للاضرار * وبقيت في حرز من الاشرار * لازلت محفوظ الجناب مؤيدا
مادارت الافلاك بالاقمار * قسما لقد عانيت كل شدائد * حتى اتيت بسائر الاخبار
ولقيت قد قرب الزفاف لعبلة * فاصبر تنل بالصبر كل فخار * ولقد رايت عبيلة في حسرة
تبكي بدمع فائض مدرار * ان كنت ذا عزم فجد لخصمها * سيفا يقد الدرع مع اطمار
واعد له رمحا كعوبا املدا * يوم الكريهة قاصم الاعمار

(قال الراوي) ثم ان شيبوب لما فرغ من شعره قص على اخيه القصة التي سمعها من عبلة وما قالت وما انشدت من الاشعار واعلمه بما في قلبها من لهيب النار وقد انتجز أمر الزفاف ومضوا بها الى بعلها وما بقي بينهم خلاف (قال الراوي) فلما ان سمع عنتر من اخيه شيبوب ذلك الكلام صار يسمع وقلبه يتقطع وعينه تدمع على ما في حقه عمه صنع ثم انه استوفى الكلام ثاني مرة من اخيه شيبوب وقال في آخر الكلام وحق الكعبة البرام وزمزم والمقام لابد ان اجمع مالك في ولده عمرو لان الاثنين منكران للجميل غير شاكرين لنعمتي وما فيهم الا من يطلب قتلي ثم ان عنترا انشد يقول صلوا على طه الرسول

أرسلت جاريتي وقلت لها اذهبي * وتجسسي اخبار عبلة واعلمي * قالت رايت من الاعادي فترة
والشاة ممكنة لمن هو مرتمي * ياشاة ما قنصت لمن حلت له * حرمت عليه وليتها لم تحرم
وبيت عمي غير شاكر نعمتي * والكفر مخبثة لنفس المرغم

(قال الراوي) ثم انهم لما دار بينهم الكلام وتناشدوا ما قد أنشدوا من الشعر والنظام أخذوا يتشاورون فيما يفعلون من المرام فقال عنتر لشيبوب أعما أحب وأجود الهجوم على بني كندة وتخليص بنت عم عبلة أو المقام في تلك الرباوالآكام فقال له شيبوب يا ابن الام ان المقام هنا أصوب وانتظارها في هذا المحل أوجب لان القوم في جمع عظيم وخطب جسيم من فرسان العرب وها أنا قد أعلمتك بالسبب لاني قد حذرتهم برايي وفرزتهم بمعرفتي فوجدتهم يزيدون عن سبعة آلاف فارس وهم ابطال قناعس ما فيهم الا كل مدرع ولابس غير الرجال والعبيد وكلهم شجعان صناديد فاذا دخلنا وعقدنا الصياح يحملوا علينا بسائر السلاح ويضربوا فينا بشفار الصفاح لانناهنا كما تعلم مائة فارس ونحن في قلة وفي أرض غريبة ولاسيما ان أدركنا مسحل بن طراق الذي هو فارس الآفاق فقال عروة وحق علام الغيوب لقد صدقت في هذا الكلام ياشيبوب لاني انا الآخر سمعت عن هذا الرجل مسحل امورا كثيرة وسمعت انه فارس خطير وانه غار على بني عامر وجرح ملاعب الاسنه وردادا عنه غشم بن مالك وقتل ابطاله ونهب امواله والصواب يا ابا الفوارس اننا نقيم حتى تخرج عبلة للزفاف وينجز الامر بلا خلاف فهنالك نحمل عليهم ونأخذها ونعود وكل من لمقنا نبذ لنا فيه المجهود (قال) فأقام عنتر في ذلك المكان وفي قلبه على بنت عمه النيران ومازالوا على مثل ذلك المقال والكلام حتى مضى عليهم ثلاثة ايام وما ظهر لهم خبر ولا أتى منهم بشر فقال عنتر لشيبوب ويلك يا ابن السوداء لقد حملتني من الامر مالا اطيق وأشمت بي العدو والصديق لاني خائف أن يكون القوم خرجوا من المكان وساروا بها على غير طريق واتسعوا في البر والآفاق وتكون عبلة عند مسحل بن طراق ويحظى منها بالضم والعناق وينال منها ما طلب

ويبلغ مايريده من الارب ونحن هنا فى الانتظار ومانعلم بما جرى من الاخبار واناوحق الملك الغفار خالق
الليل والنهار الواحد القهار لارمين روحى فى هذه الديار ولو كان اهلها فى عدد رمل القفار وافعل بهم
فعلا يذكر مدى الاعمار حتى ابقى طريحا فى وسط البيداء وتدوس على خيول الاعداء فقال شيبوب
ربما يكون شغل شاغل عاقهم وعن الزفاف اشغلهم (قال) وكان لعاقتهم سبب وامر مطرب عجيب
وذلك ان عبلة من حين زوجها ابوها لمسحل ماوقعت عينه عليها ولا رآها ضحكت بل انها كانت مشتغلة
بالنحيب والبكاء والانين والاشتكاء وهو يسمع منها ذلك ولا ينكر عليها لانه يعلم بما وصل من الاضرار
اليها حتى اتى شيبوب واعلمها بزوال الكروب وشرح بذلك صدرها وزال عنها حزنها فصارت تأكل
وتشرب وتلتذ وتطرب وتلبس من الحلل التى جاء بها بعلها فأبصر أبوها ذلك فأنكر أمرها وفعلها وبقى
يحسب ألف حساب ولكنه لم يقع من أمرها على سبب من الاسباب (قال) فلما أشكل عليه الامر
شكا حاله الى ولده عمرو وقال له أنا أنكرت على أختك فى هذه الايام لما أن رأيت انبساطها بعد ذلك
الغرام وأقول انها قد سمعت عن ابن عمها خبر والا فما كانت تفعل هذا الفعل المنكر وأنا وحق اللات
والعزى خائف أن يعارضها وقت الزفاف والرواح فى الطريق وكنا والله نعدم السعادة والتوفيق
ويأخذها ويحل بنا التعويق ويبلغ منا مناه وينال من اخذها مايتمناه وكل من مانع عنها أورثه قتله
وفناه وأنا قد وهبت له دمى لما كان بينى وبينه ما كان وأشهدت على وعليه كبار بنى شيبان وأنا والله
خائف أن يقع بنا ويحل بنا الفنا فقال له ولده عمرو لا تحدث نفسك بهذا الأمر من أين يقدر عنتران يأتى
الى هذه البلاد وان أتى فما يكون معه عساكر ولا أجناد وان عاونه أولاد الملك زهير وسار وامعه فى عسكر
جرار افنتهم عربان هذه الديار لانها ما فيها لبنى عبس صديق ولا خل ولا رفيق وبعد هذا ان كان قلبك
فزعان وخائفا أن يتفق هذا الاتفاق فأنفذ خلف الامير مسحل بن طراق وأعلمه بما خطر لك من الانعواق
حتى انه يأتى الى ههنا جهار ويسير بزوجته كما يحب ويختار وان جرى عليها امر من الامور العظام فما
يكون فى ذلك علينا ملام وأنت أخبر بهذه الامور والسلام (قال الراوى) فلما ان سمع ابو عبلة من
ولده ذلك الكلام أنفذ رسولا الى مسحل يعرفه بذلك الامر فلا يكون عليك ملام ويقول له اعلم أيها السيد
الجليل انى نكبت مع ابن أخى مرارا كثيرة غير قليل وانا الى الآن قلبى فزعان لانى أعلم انه هجوم
على الامور الخطره وله قلب على لقاء الامور المنكره وأن أمر زوجتك قد راج ومابقى فى ارسالها احتجاج
ولكن انا ما أقدر أن أبعثها مع أحد خوفا أن يحدث علينا حادث من الامور الحوادث والصواب أنك تأتى
وتأخذها فى جماعة من رجالك وابطالك وتمضى بها الى أرضك وأطلالك (قال) فلما ان وصل الخبر مع
الرسول الى مسحل تبسم عجبا واهتز طربا وقال ان هذا الرجل العبسى طائر القلب زائد الفكر مما هو
فيه من خوفه من ابن أخيه عنتر ولكن ما فى الامر الا المسير كما أراد اليه واتبع رأيه واعطف عليه ولا
أخالف مقاله وانجز أحواله وان كانت اللات والعزى ساقت هذا العبد الى هذه البلاد كنت أفرج
عليه مالك بن قراد وأريه فيه مايسره وامنع عنه مايضره وأريه فيه ما أصنع ان كان قد غر ذلك العبد
الطمع (قال الراوى) ولما ان فرغ مسحل من ذلك الكلام امر قومه بالاهتمام وان يكون ذلك بعد ثلاثة
ايام ثم انه جهز نفسه وركب فى رابع يوم فى سبعمائة فارس من فرسانه العوابس لابسين الحديد والزرد
النضيد راكبين على الخيول المجفه وبايديهم السيوف المرهفة وعلى ظهورهم الدرق المكلفه وعلى
اكتافهم الرماح المثقفه وقد تزينوا للزفاف باطيب الملبوس حتى يتفاخروا قدام العروس قال ومازال
مسحل سائرا برجاله وابطاله حتى قدم على خاله فلما علم خاله بقدومه ركب الى لقاه فى جماعة كثيرة
من قومه وفى الجملة مالك وولده عمرو وجميع فرسانه الاخيار وقد التقوه على بعد من الديار فعند ذلك

تقدموا

تقدموا اليه وسلموا عليه ثم انهم لما فرغوا من السلام أخذوا يتحادثون فى الكلام واخبر مسحل حاله بالكتاب الذى وصل اليه من عند مالك أبى عبلة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عمرو المقصود ذلك ضحك وقد تعجب وأخذه من فزع مالك الطرب فالتفت اليه وقال له ياوجه العرب سمعت انك ارسلت الى ابن اخى كتاب من خوفك من ذلك العبد المرتاب فقال مالك نعم أيها السيد الامجد لانى اعرف من ابن أخى مالا يعرفه احد وخفت أن يأتى و يفعل شيأ يلحقنا منه النكد وما فعلت هذه الاسباب الا ورأيتها عين الصواب فاحتجت أننى أعلمك أيها الملك المهاب وأنا الى الآن ما أنا طيب القلب بهذه الحساب فقال الملك عمرو ياوجه العرب طيب خاطرك من هذا السبب فان ابنتك الآن ما يقدر عليها كسرى ولا قيصر ولا الجندلى ابن كركر ولا ملوك بنى الاصفر فافرح يا أمير بهذا الفارس الذى أذل رقاب الشجعان وأكل عقارات الملوك والفرسان ثم انهم عادوا راجعين الى الخيام ونزلوا واستقر بهم المقام وأكلوا الطعام وشربوا المدام وأتت اليهم العبيد بالنوق والجمال وشدوا عليها الهوادج والاحمال ونشرت عليها الثياب الديباج الملونات ورفعوا عبلة على هودج من المحامل وهو جمل عظيم كامل وزينوها باصناف الحرير الفاخر وألبسوها الخلع المذهبات والعقود واللآلى المثمنات ودارت بها العبيد والاماء والبنات كما جرت بذلك العادات ﴿قال الراوى﴾ وكانت عبلة ما تحتاج الى زينة من دون البنات لان جمالها عجيب وكمالها غريب والغصن من قوامها تعلم الميل والاعجاب والسحر من جفونها يلعب بعقول أولى الالباب (قال) فلما أن تمت الامور وبقيت عبلة على ذلك الحال أظهر الفرح والابتهال وطلعت امها قدامها فى هودج ثانى وبنو كندة يتعجبون من ذلك الحسن تلك والمعانى وطلعت معهم جماعة من بنات بنى كندة فى الهوادج المزينات والحلل الفاخرات المزركشات وساروا فى الرباوالسباسب وبين أيديهم الخيل والجنائب والعبيد قدامهم يلعبون بالسيوف وجميع البنات اليهم تشوف والبرقد ارتج من أسنة الرماح ولمعان الصفاح وتقدم بين أيديهم مسحل بن طراق والفرسان من حواليه قد أكثروا الصياح والزعاق وفى أيديهم الصوارم القاطعة وعلى رؤسهم الخود اللامعة ﴿قال الراوى﴾ كل هذه الامور تجرى ومالك أبو عبلة وأخوها عمرو أفرح الخلق بين العباد ويقولون فى أنفسهم انهم تخلصوا من عنتر بن شداد وانزاحت عنهم جميع الانكاد وعبلة فى هودجها وقد أظهرت الفرح والاستبشار وصارت تكشف عجاف الهودج وتلتفت فى البر والقفار وتنظر يمينا ويسار (قال) وكان هودجها الى جانب هودج أمها فبان لها منها المحال فقالت لها لما أبصرت منها الفرح بعدالهم والترح ويلك ياعبلة أنا لا كنت أقول انه فى ذلك اليوم تنشف لك دمعه ولا تردلك لوعه وأراك اليوم فرحانة مستبشرة بخلاف العاده فأى شئ هو السبب فى ذلك فلعل أن يكون من أجل هذه السعادة فقالت لها يا أماه أنا أقول لك ان الموجب لهذا الشأن هو انى أيست من الرجوع الى الاوطان وقد رأيت هذا الفارس البهلول الذى قد زوجتمونى به ورغبتم فى ماله وقد سلب عقلى بحسنه وجماله وقده واعتداله وظرفه وقوته وعذوبة منطقه وكلامه وحق اللات والعزى يا أماه انه اليوم أحب الى من كل أحد سواه ولا سيما وقد أقالنى من ذلك العبد الاسود لانه فارس العرب وصاحب الحسب والنسب وانه عالى المقدار وأحسن من البدر اذا استنار وحياة رأس أبى وأخى لو قدرت الساعة على عنتر لاكلت من لحمه وشربت من دمه لانى ضجرت مما أقاسى من أجله ومن كثرة هذيانه وشقشقة لسانه وأغضب أبى وأخى من شأنه واعاير بسواده وقلة أعوانه ففرحت أمها بذلك المقال وانطلى عليها ذلك المحال فأعلمت أخاها وأباها بذلك السؤال فزادوا بذلك فرحا وسرورا وابتهال * هذا وقد قالت لها أمها ياعبلة من يكون اليوم مثلك وقد صرت صاحبة هذه الارض والحاكمة فى طولها والعرض ثم انهم ساروا بعد ما دار بينهم الكلام وزالوا سائرين

الى أن قاربوا المكان الذى كمن فيه عنتر فسمع عنتر صياحهم ففرح واستبشر وركب جواده واعتدل فى الحال هو وأصحابه (قال) وكان عنتر مراده أن يجرب عروة هو ورجاله فقال له يا أبا الابيض هاهى عبلة ابنة عمى قد أقبلت والى هنا قد وصلت وأنا أعلم أنها ما تأتى الا والخيل خلفها تحميها ومسهل بن طراق وراها يطلب رضاها وأنت أحب اليك أن تلقى الخيل أنت ورجالك حتى آخذ عبلة وأسلمها الاخى شيبوب وآتى اليك وأعمل مثل أعمالك أو تقود أنت بزمام ناقتها وتحفظها حتى أرد أنا الخيل عنك وعنها فقال له عروة لا والله يا أبا الفوارس دعنى أنا أحفظ عبلة وأنت ترد الخيل عنا ونحن نتولى أمرها فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم لما ان رد عليه عروة بهذا الخطاب فى ذلك المقام وقال له اى وأبيك أيها الفارس الهمام أنا لكاسها شارب ولها مخاطب ومحارب فتسلم أنت وأصحابك زمام ناقة عبلة اذا قربت من هؤلاء القوم اللئام حتى ارى لك ما أفعل فى ذلك اليوم مما تقر به عينك فى هذا البر والاكام وأرد عنكم الخيل من اول حمله وافرق جميعهم جمله وسير وأبها الى هذا الوادى حتى أشفى من هؤلاء الاوغاد فؤادى ولا يكن فيكم من يحمل لا قليل ولا كثير الا ان رأيتم فرسان بنى كنده قد حملوا على جميعا وطلبوا لى التدمير هذا ما كان من هؤلاء * وأما ما كان من عبلة فانها صارت تكشف محاف الهودج وتلتفت يمينا وشمال وتتفرج على الابطال فقالت لها أمها يا عبلة ان تلفتك فى هذا البر الاقفر ما هو الا ان عندك خبرا من ابن عمك عنتر فقالت لها من أين يعلم بى عنتر صاحب الوجه الاغبر وأنا مخبية لا يرانى بشر ولم يدخل على انثى ولا ذكر وانما يا أماه تلفتى هكذا فى البر الاقفر لاطلب الفرجة فى هذه الارض والمحجر لانها أرض عزيزة وهى كثيرة الرياض والاشجار كثيرة النبات والاثمار فقالت لها أمها تكذبين بالخناء فى هذا الامر المنكر وحق اللات والعزى ما هذا التلفت وهذا الفرح الا لخبر أتاك من عند ابن عمك عنتر وما زالوا على مثل ذلك الكلام الى ان سمعوا من بين أيديهم صياح قد أقلق الربا والبطاح فسكتوا واذا هم يسمعون قائلا يقول يا أوغاد غير أمجاد جاء لكم عنتر بن شداد واذا به قد خرج من بطن الوادى خروج الجان وقد طلب عبلة وقاربها وصار قدامها وضرب العبد الذى هو قائد زمامها فاطاح رأسه على الثرى وضرب آخر فأنزل به العبر ودمه جرى والثالث أورثه الخبل والرابع كان لهم تابع وطعن الخامس فقلبه والسادس والسابع والثامن صيرا الجميع سواكن وصاح يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر ابن شداد حبيب عبلة ابنة مالك بن قراد فلما علموا أنه عنتر هجموا من بين يديه فى البر الاقفر من هول ما رأوا ومع ما سمعوا عنه من الخبر فلما سمعه عمه مالك حلت به العبر وقد دارت به دواعى حسرته وانقطع كلام زوجته وقد وقفت العبيد عن قتاله لما رأوا من حربه ونزاله فعند ذلك ترنم فى سرجه ترنم السادات وعجب بفعاله التى جرت له بها عادات وارتجز وأنشد يقول صلوا على سيدنا محمد النبى الرسول

اليوم يوم به الهيجاء تضطرم * بمرهفات بها الاعمار تنصرم
يوم تحار به الابطال من فزع * من هول ما شاهدوا كم سال فيه دم
اذا الكماة تساقت من منيتها * كأس المحاق وقد كلت به الهمم
من غير ضحك ولا لهو ولا لعب * أبدى مضاربه والنقع مرتكم
هناك حقا ترانى فى معامعها * ابرى الرؤس ببيض حدها وضم
واترك القرم ملقى فى صحاصحها * بابيض الحد قد زادت به النقم
من ضرب هام ومن قطع برى زردا * يظل من قسطل الهيجاء يرتسم

(قال الاصمعى وأبو عبيدة) المصنفان لهذا الكلام ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام زعق فى عمه مالك أبى عبلة وحمل عليه حملة وأى حمله وكان فى قلبه منه ألف دبلة وقال له لعنك الله بين الرجال ولا

اقالك

افالك من المنايا والاهوال أبشر بالهلاك وسوء الارتباك فقد أتاك الليث المشابك والقرم المماحك فلما سمع ذلك عمه مالك انقطع قلبه وزاد رعبه وأخذه الزمع ووكف طرفه ودمع فهمز جواده وولى يطلب مسهل بن طراق حتى انه يعلمه بما وقع من شؤم هذا الاتفاق فعند ذلك تسلم عنتر زمام ناقة عبلة وانفرج عن قلبه ما كان قد اعتراه من هذه الدبلة وقال لها السلام عليك يا منية القلب ومزيلة الكرب وحبيبة الصب فقالت له عبلة وأنت حييت بالسلام ياذا البطل الهمام ياصاحب القلب القوى والفؤاد الجرى والعنان الذى لا يلتوى وصاحب الحسام الجوهرى والرمح الكعوب السمهرى فقال لها عنتر لا تسألى يا ابنة العم عما جرى لى بعدك من الهم والغم ياصاحبة الوجه المليح والقد الرجيح ثم انه لما فرج عن قلبه تلك الكربه أشار بنشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا عبل يا ابنة مالك بن قراد * غدر وا وحبك فى صميم فؤادى
ولسوف ألقاهم بطعن خارق * بالرمح حتى تشتفى أكبادى
ولاضربن بالسيف وسط رقابهم * ولاطعنن بالرمح صدر اعادى
ولاصرمن أعمارهم وديارهم * ولارتعن الوحش فى الاجساد
أنا عنتر ذو نجدة وحمية * من نسل ليث الحرب ذى الامجاد
أنعم به فى الحرب فارس قومه * يدعى لدى الهيجاء باشدادى

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة من عنتر هذا الكلام ورأت منه الاهتمام قالت له بلسان عذب مليح يداوى القلب الجريح يا ابن العم أنعم الله صباحك وازال همك وانزاحك ثم انها اجابته تقول صلوا على طه الرسول

فاليك عنترة الفوارس كل ما * أنا فيه من أمرى بغير مرادى
والله انى لم أحل عن ودكم * لو كان منى بشتفى حسادى
فاعدد اليهم لاعدمتك دائما * ضربا وطعنا مهلك الاضداد
يا نسل عمى عنترا بالبتنا * اسقى عداك السم أنقع صادى
يا ابن عمى دام ركنى عاليا * مادمت تحمينى من الاوغاد
أشبعهم حربا وضربا دائما * طعنا يشق علائق الاكباد
حتى تعود وأنت قد فقت الورى * نهرا واقبالا وكيدا عادى
يعطيك ربى كل يوم قوة * حتى تعود بنيل كل مراد

(قال الراوى) فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام قالت لها يا لخناء أما قلت انه ليس عندك خبر منه فانى عرفت هذا منك لما رأيتك تتلفتين فى البر الاقفر وحصل لك الفرح وزال عنك الضرر (قال الراوى) فهذا ما كان من عبلة وأمها وأما ما كان من العبيد فانهم لما عادوا الى مسهل بن طراق وأعلموه بشؤم هذا الاتفاق احمرت منه الاماق واشتدت من غيظه الاشداق فحرك جواده هو وقومه الى نحو عنتر على الخيول السباق وهو ينادى الى أين تفوتنى ياعبد السوء وأنا فارس العرب والعجم واليمن والعراق وخلفى فرسان تطعن بالرماح الدقاق ومازال يكد بالجواد حتى لحق بعنتر بن شداد وكان التحاقه به عند باب المضيق وقد أطلقت فى قلبه نيران الحريق وكان عنتر قد سلم عبلة الى أخيه شيبوب فغدا بها كأنه الريح الهبوب وكان عنتر قال له ادخل بها الى الوادى حتى أشفى من هؤلاء الاوغاد فؤادى ثم انه عاد راجعا واستقبل وجوه الخيل ونزل عليها نزول السيل وقصد ركابها بالحرب والويل ونظر الى مقدمها مسهل وهو فى المقدمة وهو فارس طويل فى تقاطيع الفيل وهو يهز رمحه على كتفه وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أيسبى زوجتى راعى النياق * ويرشقنى بسهم من فراق
وعلك ظبية أسرت فؤادى * بسحر الجفن مع تلك الاماق
حرمت وصالها ان لم اقاتل * على خيل مضمرة عتاق
واسقى عبدها كأس المنايا * بعسال من السمر الدقاق
وأترك فى ديار هموعو يلا * تردده النساء بالاتفاق
أنا البطل الذى قد شاع ذكرى * بأرض الروم من أرض العراق

(قال الراوى) لهذا الكلام صلواعلى بدر التمام فلما سمع عنتر منه ذلك الشعر والنظام حمل عليه حملة الغضب وعبس فى وجهه وقطب وأجابه على عروض شعره يقول صلواعلى طه الرسول

أمسحل دون وصلك والتلاقى * طعانا بالمثقفة الدقاق
وضربة فيصل من بدليث * كريم الجد فاق على الرقاق
ودون عبيلة ضرب المواضى * وطعن منه تنفجر الاماق
أنا الاسد الذى خبرت عنه * وذكرى شاع كل الافاق
اذا طعن الفوارس هام خصم * فطعنى فى النحور وفى الاماق
اذا افتخر الجبان بفضل مال * ففخرى بالمضمرة العتاق
الا ان المنية رمحى رأس * ومامن طعنتى بالرمح واق
الا ان الفخار على وقف * فلا بعدى لمن برقى التراقى
الا انى سبقت لكل فخر * وقد أعيا أكابرهم لحاقى
ألا فاخبر لكندة ماتراه * طريحا من فناء مع محاق
وأوصيهم بما تختار منهم * فمالك رجعة من ذا التلاقى

(قال الراوى) فلما سمع مسحل شعر عنتر استعظم كلامه عليه واستهوله لديه فأجابه يقول

من يفتديك الآن بالاطلاق * من سطوتى ياأرذل العشاق
ياقاتلا بالسيف منه لنفسه * ماكان اغناها عن الاشواق
ياساعيا يبغى خراب ديارة * مهلا رويدا لاتنال لحاقى
قد أوثقتك يد المنايا وثقة * لاتستطيع بها الى الاطلاق
سل مجمع البحرين عما أودعت * فيهم يداى فما لهم من راقى
واسأل قلوب الثاكلات رجالهم * ماقد لقوا من شدة الاحراق
ماهز كفى صارما فى معرك * الاوذلت لى ذرى الاعناق

(قال الراوى) فلما فرغ مسحل من كلامه فما أمهله عنتر أن يتم جملة نظامه دون أن حمل عليه حملة بطل همام وأخذ معه فى الطعان والاصدام والانطباق والالتزام فالتقاه مسحل بن طراق وقد أكثر من الصياح والزعاق وأخذ معه فى الانطباق والافتراق وتضاربا على القاع بالسيوف الرقاق الى ان طارت عليهم طيور الاجل وحمى الحرواشتعل واشتد الكرب والوجل وثار الغبار وتقسطل وأبصر مسحل بن طراق من عنتر ما أطرش منه السمع وأعمى منه البصر واندهل عقله وتحير ولكنه أظهر الصبر والجلد قدام عنتر بعد ما كان منه تقهقر وتأخر وأخفى عند ذلك الكمد وزاد عليهم ما الغبار وانعقد ورأى عنتر أن الخيل أدركته من جناب البر والفدفد فهاجم خصمه مهاجمة الأسد وطعنه طعنة الحنق والحرد فاخرقت الطعنة ما عليه من الزرد ومزقت أحشاءه والكبد وخرج ما فى أحشائه وتبدد وانقلب الى

الارض

الارض فصار مثل الجذع الممدد وصار يختبط فى دمه ويضطرب فى عندمه ويلعب بيديه ورجليه وداست سوابق الخيل عليه وبعد ذلك انطبق عنتر على الخيل وتلقاها بضارب الحرب والويل وكانوا قد هابوه وصاروا يرقبوه بالاحداق لما رأوا منه تلك الطعنة التى طعنها المسحل بن طراق الذى كان فارس الآفاق ووقع فى قلوبهم منه الفزع وزادبهم الهلع والجزع وقاتلوه على قدر جهدهم حتى أيسوا من الوصول اليه وأبصروا المنايا تحمل من خلفه ومن بين يديه فأوسعوا من قدامه وصاروا يتهاربون من حواليه بعد ما قتل منهم جماعة من أصحابهم وتفرق الباقون على أعقابهم وكان أبو عبلة وأخوها لما وقعوا فى تلك الامور التى عاينوها قد أخذوا فى هزيمتهم مما قاسوه من الشدة حتى أشرفوا على حى بنى كندة ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور وصاحوا عن صوت واحد يا للعرب دهمتكم الفرسان بالحرب والاجل منكم قد اقترب * والى هنا وصل أدهم اليراع فى سرد هذه الاخبار التى تلتذ بها المسامع الى نهاية هذا

الجزء الرابع

الجزء الخامس من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة المجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله

٣

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٦ هجريه)

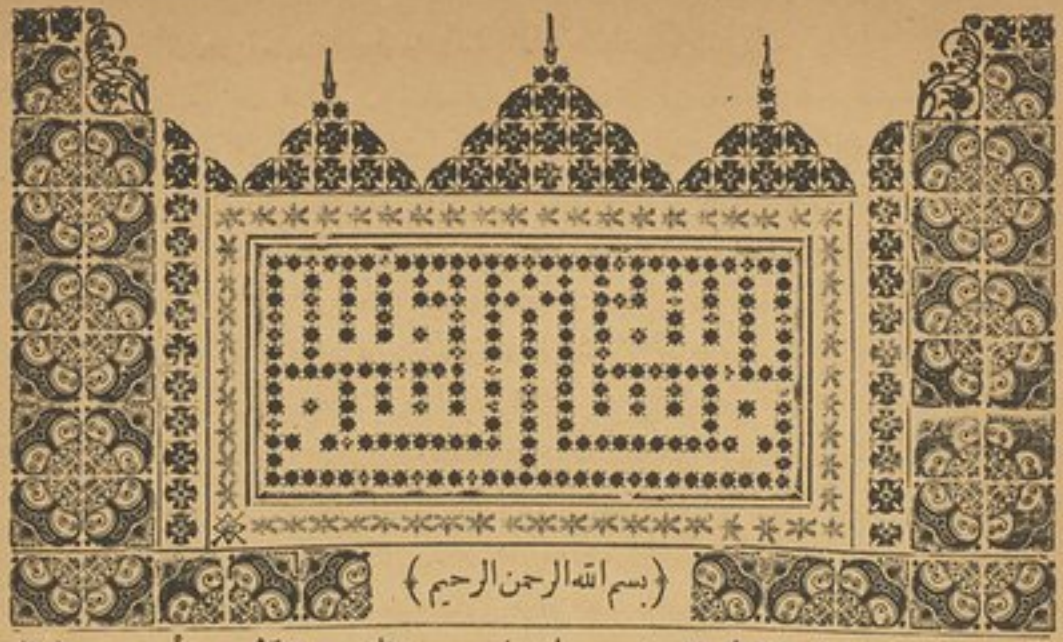

{بسم الله الرحمن الرحيم}

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين {قال الراوى} وهو الاصمعى رحمه الله تعالى ولم يزل مالك وولده عمرو آخذين فى الهزيمة مما نظرا من الشدة حتى اشرفا على حى بنى كندة ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور ثم صاحا عن صوت واحد يا للعرب دهمتكم الفرسان والاجل منكم قد اقترب فعند ذلك تقدمت اليهم الشجعان وجميع الليوث والاقران وركب الملك عمرو المقصور وهو مما سمع مدهوش ومقهور وسأل عن ذلك الخبر فاخبروه بما فعل عنتر وقالوا له ادرك ابن اختك بمن عندك من الفرسان قبل ان تغتاله صروف الزمان ويملك ويدمره هذا القرنان وكان الذى أخبره بذلك مالك القرنان ابن الف قرنان فقال الملك عمرو ويلك ياشيخ لا تقل هذا المقال فانى لا أخشى على الامير مسحل من هذا المهان لان هذا الغراب الابقع ما دخل أرضنا وبقى منها يرجع ولا يبصر ولا يسمع وأنا أعلم وأتحقق أنه ما بقى له فى الحياة مطمع واليوم الوحوش فى لحمه ترتع وانما انت تقول هذا المقال لاجل ما حل بك من الاوجال ثم انه بعد ذلك الكلام سار يجد بجواده وقد تبعته فرسانه وسائر أجناده وسار واحتى يكشفوا الخبر واذ فقت المواكب من خلفه مثل البحر اذا زخر فبينما هو قاصد الى مسحل يقتفى منه الآثار واذا بالخيل التى كانت معه قد التقت به وهى مبددة فى القفار وهم ينادون وأسفاه عليك يا أمير مسحل يا ابن طراق وقد أكثروا عليه الصياح والزعاق فعند ذلك وقف الملك عمرو وسأل المنهزمين عن ذلك الامير فتقدم اليه بعض الفرسان وأعلمه بما جرى على مسحل من القتل والهوان فكاد أن يغشى عليه ولا بقى يعرف ما بين يديه وبقى على حاله وقد ضاقت عليه المسالك وهو يقول ما كان أشأم وجهك علينا يا عبلة يا ابنة مالك ثم انه صاح فى الفرسان وأعلم الشجعان بما جرى وكان فأطلقوا الاعنة وقرموا الاسنة وقد علت منهم الضجة والرنة وطلعوا رؤس الروابى والتلال وقد أكثروا من البكاء والاعوال وساروا وهم مثل السحاب السيال {قال الراوى} وكان عنتر لما فعل تلك الفعال التى صارت اليه وقف بعد هروب الابطال من بين يديه على مصرع مسحل بن طراق بعد ما جمع الاسلاب والخيول العتاق وسيرها قدامها وصار لهم محامى وكان عنتر عند وقوفه على مصرع مسحل بن طراق رأى فيه الروح وهى تتردد للساق وهو ممدد على الحصى والجندل فلم يأخذه على خروج روحه مهل بل ضربه بسيفه الظامى فجعله قطعتين وصار على الارض فلقتين وكان هذا مسحل اول قتيل قتله عنتر قتلتين ثم انه صار ينظر اليه وبقى يتعجب مما جرى عليه فقدح خاطره بشئ من الشعر يقتضى هذه

القضية

القضية وهى أيضا من قصيدته الميمية وقد أشار بقول صلوا على طه الرسول

وخليل غانية تركت مجندلا * تكبو فريسته كشبه الارقم * سبقت يداى له بعاجل طعنة
ورشاش نافذه كلون العندم * فشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع تنوشه * يقضمن منه رأسه مع معصم * كم سائقات قد قتلت رجالها
بالرمح منتهبا كشبه الضيغم * ولقيت شخصا بالقداح قد انتشى * هناك رايات مهين المكرم
لما رآنى قد نزلت بداره * أبدى نواجزه بغير تبسم * فطعنته بالرمح ثم علوته
بمهند صافى الحديد مسمم * عهدى به ذاك النهار كأنه * رأس البنات تزينت بمنظم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام نظر بعينه الى ذلك البر والاكام واذا به قد ملئ برجال مثل قصب الآجام وغبار قد ثار كأنه قطع الغمام والجيوش من تحته قد تلاحقت والابطال اليه تسابقت والصوارم فى أيديهم قد برقت وأسنة الرماح المشهرية على أكتافهم قد أشرقت والفرسان من أربع جنبات الارض تبددت والكل ينادون وحق ذمة العرب الكرام لا تركناك يا عبد السوء ترجع من هذا المقام (قال الراوى) فلما أبصر عنتر الى بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح والجميع ينادون باسمه ويصيحون عليه وكل منهم يتسابق اليه نهض عند ذلك من الغيظ والحرد حتى كاد أن يطير ما عليه من اللباس والزرد وبقى لا يدرى لمن يخاطب ولا لمن يحارب ولا لمن يدافع ويجاوب فلما زاد به الامر والغرام تذكر الشعر والنظام وهو أيضا من القصيدة الميمية يقتضى ما أحاط به من تلك العساكر الكندية فترنم وجعل يقول صلوا على طه الرسول

لما رأيت الخيل أقبل جمعهم * يتبادرون مهمهم ومدمدم * يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر فى لبان الادهم * يدعون عنتر والسيوف كأنها * برق تلألأ فى سحاب مظلم
يدعون عنتر والنبال كأنها * طير الجراد على كثيب أعظم * يدعون عنتر والدروع كأنها
حدق الضفادع فى غدير ملجم * افنيتهم جمعا بهمة أبجرى * وبصبره حتى تمرمل بالدم
فازور من وقع القنا فزجرته * فشكا الىّ بعبرة وتحمحم * لو كان يدرى ما المخاطبة اشتكى
أو كان ينطق مال نحو تكلم * والخيل عابسة الوجوه كأنها * تسقى فوارسها نقيع العلقم
ان يلتقونى بالاسنة لم أحل * عنها ولكن لا اضيق بمقدم * فى حومة الموت التى قد تشتكى
* غمراته الابطال لست بمحجم *

(قال الراوى) لهذا الكلام ثم ان عنتر لما فرغ من ذلك الشعر والنظام وقد رأى ما أقبل عليه من العساكر فى ذلك البر والاكام تلقى تلك الجيوش القابلة بقلب لو قابل الصخر الاصم لابدى الثبات وصار يرى بسيفه الرماح الردينيات ويسوق الرجال بضربات مستوفيات وهو يسابق المنايا بسوابق الطعنات النافذات وكلما تكاثرت عليه الفرسان وضاق بين يديه الميدان يصرخ فى وجوه القوم فيردها ويرجع تنقهقر الى ورائها فيصدها وهو يطعن فى صدور الخيل طعنات متضاعفة لا يقدر على مثلها أرباب الصناعة حتى قل من ساعده الخيل وصار النهار فى وجهه مثل الليل وهو مع ذلك قد بلى بالحرب والويل ولما تكاثرت عليه الخيل صار ان ضرب رأس اشقه وان طعن ضلع ادقه فعند ذلك زعق عمرو المقصور فى رجاله وصار يقوى سائر شجعانه وأبطاله فصارت ترمى نفسها على عنتر وهو نازل فيهم كأنه حصاد الشجر وهو مع ذلك صابر صبر الكرام وقد جعل يلقع الرؤس كقطار الغمام وقد اختار لنفسه الهلاك والعطب ولم يطلب الهزيمة والهرب وقد سد بوجهه كل مذهب (قال الراوى) فبينما هو فى ضيق الخناق وقد أظلمت فى عينه الآفاق واذا بعروة بن الورد قد أتى بمن معه من الرفاق وهم يكثرون من الصياح

والزعاق والكل قد كشفوا رؤسهم وأكبوها فى قرابيس سروجهم وقد طاب الموت على نفوسهم وقد صاح الجميع بأعلى أصواتهم بالعبس بالعدنان وحملوا لمعونة عنتر مثل العقبان وقد طعنوا فى صدور الفرسان * قال وكان السبب فى قدومهم الى ذلك المكان أن شيبوب لما وصل اليهم ومعه عبلة حين خلصها عنتر من العبيد أخذ عشرة من رجال عروة برسمها وحفظها ثم قال شيبوب لعروة هيا الحق الى أخى عنتر فانه قد تكاثرت عليه العسكر وقد كنا ذكرنا ان عنتر قد قال لعروة ورجاله لا يحمل منكم أحد معى حتى تروا الاعداء قد أحاطت بى وتروا منهم الضرر لى فهنالك احملوا عليهم حملة الحنق ولا يكن فيكم من يتأخر ولا يفترق (قال) ولما جرى لعنتر ما جرى من الامر والشان وأحاطت به جميع الفرسان وقد حل به ذلك الامر المنكر صار فى انتظار القوم كما ذكر فاذا بعروة قد أقبل وغباره قد تقسطل فرأوا فرسان بنى كندة قد دارت بعنتر وطمعت فيه لوحدته فى ذلك البر الاقفر * هذا وقد قال عروة لرجاله احملوا الآن يا بنى عمى حملة ناصحة بقلب واهتمام ولا يكن فيكم من يحدث نفسه بالانهزام ولو شرب كاس الحمام لان هذه أول نوبة قاتلنا فيها مع عنتر البطال الهمام وما صاحبناه الا لاجل ان ننال النصر والظفر مادمنا فى قيد الحياة وكان قصد عروة بذلك الا راد أن يريهم وقعات عنتر بن شداد ويعلمهم الثبات فى الحرب والجلاد وكان الامر كما ذكر لانهم لما رأوا حملاته على الابطال وثباته فى المجال صارت قلوبهم مثل الجبال وصار كل واحد منهم يلقى ألفا من الرجال وكان فى ذلك الوقت لحملتهم طنة ورنة وشدة وقد استظهروا على بنى كندة فلحقهم الوهم العظيم لانهم ظنوا أنهم جيش جسيم فلما ان رأوا الى ذلك الحال تأخروا عن عنتر وقد اتسع له المجال وتمكن تلك الساعة من الحرب والطعان ومال عليهم تارة بالسيف اليمان وتارة بالرمح المران وطلع الغبار الى العنان واعتكر واعبت الخيل بجماجم الرجال كالاكر * هذا وقد تقلقلت الاحشا وعادت الخيل الدهم برشا وسكر الشجاع من عظم الحرب وانتشا وولى الجبان حائرا مندهشا وسمع عنتر تلك الساعة صياح عمه مالك فى بنى كندة وهو يقول لهم من غير مهله اقتلوا هذا العبد ولد الزنا وافرغوا منه الاجل كما قتل سيدكم مسحل لانه فى الحرب قد اشتغل ولا تهابوا هؤلاء الفرسان الذين قد أتوا الى نصرته فكلهم مائة فارس فاقتلوهم لان آجالهم قد ساقتهم الى هذه الديار لاجل فنائهم وفراغ الاعمار (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه قصده حتى وصل اليه وقتل من كان من الرجال حواليه وهم أن يضربه بالسيف ليجعل منيته فخشى عند ذلك عاقبته فتقرب اليه ومسكه من خناقه حتى كاد أن يطير أحداقه ورماه الى الارض فكاد ان يجعل له التلاف فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والاطراف فحمل ولده عمرو على عنتر فضرب شيبوب جواده بنبلة فرماه وأدركه قبل ان يقوم وأجاد منه الكتاف وقد قوى منه الاطراف وأقرن كتافه بكتاف أبيه وأشمت بهم الاعادى وطلب بالاثنين بطن الوادى * هذا وقد شاع الخبر فى بنى كندة بما حصل له من تلك الشدة فتتابعت فرسانها فى الفدفد وقد اكثر على بنى عبس العدد وزاد المدد وصبرت رجال عروة وأظهرت الجلد وحماها عنتر كما يحمى الاشبال الاسد وما أمسى المساء حتى أعدم من جمعهم أبطال وجرح منهم أقيال فالتجؤا الى جبل هناك على رأس الشعاب وقد ملوا من الطعان والضراب وزادت بهم المواكب وسدوا عليهم الطرقات والمذاهب ونزل الملك عمرو على فم المضيق وفى قلبه من عنتر نيران الحريق وحوله من الفرسان سبعة آلاف ومافيهم الا من حل به التلاف وكل منهم يصف عنترا وقتاله ويذكر ما لاقى من أعماله والملك عمرو يقول والله ان الجن تفزع من قتاله ولا يقدرون أن يدنوا منه خوفا من أعماله ونحن كنا نلوم عمه اذا سمعنا أقواله وما علمنا ان أهله أخبر بأحواله وانه والله ان خرج من أرضنا سالما عاريتنا به العرب من جميع الجهات ونصير معيرة على السنة النساء والرجال والبنات فقالت سادات بنى كندة وحق البيت الحرام لا بد من تقطيع جسده بحد الحسام ولو هلك منا ألف فارس

همام ثم انهم باتوا وفى قلوبهم من الحقد شئ عظيم وكذلك ملكهم على فقد مسحل حزن المقيم واما
رجال عروة فانهم لما جرى لهم ما جرى ورأوا غالبهم مجرحين على الثرى لاموا بعضهم بعضا وقالوا ما أحسد
عمل بنفسه مثل ما عملنا نحن بأنفسنا فمن قلة عقولنا اتينا فى مائة فارس همام تلقى بنى كندة وهم فى سبعة
آلاف من فرسان لخين وما حسبنا حساب ما يأتى من المصائب والمحن واما عنتر فانه رجل عاشق وفى
بحر الهوى غارق ولو كان فى رؤوسنا عقل ما كنا تبعناه ولكن مقدمنا عروة هو الذى اطمعنا فى الحال
ووعدنا بنهب الاموال حتى ألقانا فى الهلاك والوبال (قال) وكان القوم يتحدثون سرا بينهم وعنتر ملقى بالله
معهم وما خفى عليه حالهم فقال لعروة يا أبا الابيض اعلم ان رجالك قد واقعهم الندم وأيسوا من السلامة
وأيقنوا بالعدم والرأى عندى أن تأخذهم وتنجو بهم فى هدوء الليل وأنا أرد عنكم من يتبعكم من الخيل
حتى تبعدوا فى تلك السباسب وأنا أعود الى تلك المواكب والكتائب التى أحدقت بنا من كل جانب حتى
أكسرها وأنهب اموالها او تخطفنى على رؤس رماحها ونصالها فقال عروة لا والله يا ابا الفوارس ما فينا
من يفارقك الا اذا اعبت الخيل بر ؤسنا وصرنا مثلا وعبر ومن ندم من رجالى هو وشأنه اخبر واذا وقع
الحرب ان شاء يتقدم وان شاء يتأخر ثم انهم اكلوا من الزاد ما سد رمق الفؤاد وامر عنتر لعروة ان يتعاهد
عمه بشئ من الطعام هو وولده ويطيب قلوبهم بالكلام وقد قام هو الى عبلة يبل شوقه منها بالنظر ويسألها
عن حالها وما جرى لها فى الغربة والسفر فقالت له والله يا ابا الفوارس ما اظن أنه لاقت جويرية مثل
ما لاقيت ولا قاست مثل ما قاسيت ثم انها حدثته بما كانت تقاسى من كثرة الاشجان فقال لها وقد تألم
قلبه لاجلها وحياة عينيك يا ابنة العم لو علمت ان قلبك يسلم من الهم والغم ما كنت تركت اباك يشم نسيم
الهواء وانما انا انتظر فى عواقب الامور ولو انى قتلت اباك او عمرا أخاك كنت لبست عليهم ثياب الاحزان
والسواد وتواظبين على البكاء والتعداد وشمتت بك الاعداء والحساد ويقولون عبلة على شأن شهوة نفسها
لاجل عبد اسود كان يهواها قتلت اباها واخاها فقالت يا ابن العم قد بلغت هذه الرتبة العلية ولم يرفع عنك
اسم العبودية فقال لها والله انى لا انكر ذلك فى حبك لانى عبد هواك واسير عيناك ثم انه ضمها الى صدره
وقبلها بين عينيها وفى ثغرها فقبلته الاخرى فى فمه ونحره وضمته الى صدرها وقد زال عنها ضرها وصارت
تحلف له انها تحبه اكثر مما يحبها وانها تريد قربه اكثر مما يريد قربها ومازالت تلاطفه بالكلام حتى زال
عنه التعب والسقام وقد حدثته نفسه انه يلقى كل من فى الدنيا ثم انه قام وركب ظهر جواده بعد ما اعتد
بعدة جلاده وخرج من المضيق وشيبوب فى ركابه لانه له اخ وشفيق وركب عروة ورجاله وطلعوا وراءه
الى خارج الطريق ولم يزالوا كذلك الى ان اشرفوا على بنى كندة وقلب عنتر على رجال عروة وما قاسوا
من الشدة وهو يقول والله يا ابا الابيض فابى يحدثنى بقتل هؤلاء القوم وانجاز امرهم قبل ان يصبح الصباح
لانهم اذا سمعوا فى الليل الصياح ضرب بعضهم بعضا بالصفاح وهج اكثرهم فى البر والبطاح فقال عروة
يا ابا الفوارس ما هذا صواب لاننا ان تلناهم فى النهار واخذنا معهم فى الضرب والطعان وعلموا ان عددنا هذا
المقدار واذا خالطناهم فى ظلام الليل ثبتوا لنا ويكون هذا الامر علينا وبيل وربما سارت فرقة منهم وراءنا
ووضعت السيف فى المجروحين الذين خلفنا وربما اخذت عبلة ولا ندرى الى أى المواضع اخذت ونرجع
نتعب فى خلاصها وتكون هذه الفعلة من ايدينا فعلناها مثل ما سلفت * قال ثم انهم اقاموا على ذلك الحال
الى ان مضى من الليل الاكثر وبقى القليل لوقت السحر واذا بنى كندة قد خمدت نارها وركبت جموعها
وعادت طالبة ديارها وكأنهم ما لهم اثر وقد تزلزلت الارض من شدة الركض فعلم عنتر بهذا الحال فظن
انهم قاموا يطلبون الحرب والقتال فقام وقامت معه رجال عروة الاخيار وتأهبوا جميعا للحرب والقتال فعند
ذلك راوا الخيل طالبة بلادها فقال عنتر لاخيه شيبوب مالى ارى هؤلاء القوم عادوا على اعقابهم فلا شك

ان خبرا مشؤما قد اتاهم من ناحية بلادهم و يلك قل لمن معنا من الرجال يدركوهم لاجل نهب الاموال
فقال شيبوب لاتهجم على امر لا تعرف له سبب والصواب انك تصبر حتى اسير واكشف لك الخبر واقتفي
منهم الاثر لاني خائف ان تكون حيلة عملوها علينا حتى نتقدم اليهم فيرموا علينا ويتملكوا من حرمنا
وطعاننا ثم انه اطلق رجليه للريح وطلب البر الفسيح وجعل يقتفي آثار القوم لينظر ما كان من امرهم
وصار اخوه منتظرا له حتى طلعت الشمس واقبل النهار وهو على مقالى النار لاجل معرفة الاخبار واذا به
قد طلع من بين الروابي والآكام كانه ذكر النعام حتى اقبل عليه وقال له والله لقد كان الرأى معك في
اتباع آثارهم ولكن خفت عليك ان تكون حيلة او حال من الاحوال وقد تعلق قلبي بالمحال * قال وكان
السبب في رحيلهم ذلك انه قد اتاهم خبر ان بسطاما قد طرق ديارهم * وقلع آثارهم * ونهب اموالهم * وسبى
حريمهم * فلما سمع الملك عمرو بهذا الخبر رجع على عقبه هو ومن معه من الرجال على الاثر * هذا وشيبوب
قد تبع آثارهم الى ان لحقهم * وسأل عن احوالهم * حتى عرف اخبارهم * ورجع على الآثار واعلم اخاه
عنترا بتلك الاخبار * قال فبينما هو يكلم اخاه بهذا الكلام واراد عنتر ان يتبعه الى الديار * واذا هو بغبار قد
علا وثار * وبعد ساعة انكشف للابصار وظهر من تحته فرسان * كانهم العقبان * على خيول كانها الغزلان
والكل ينادون يا لعبس يا لعدنان (قال) وكان هذا الجيش القادم به من بني عبس وعدنان * والمقدم عليهم
اربعة من اولاد الملك زهير الاعيان وهم شاس ومالك والحارث وورقة وصحبتهم شداد واخوه زخمة الجواد
وهم في الف فارس من كل ليث مداعس كانه الاسد العابس وهم مثل عياض بن ناشب وغالب بن واثب
وسهل بن ناهب وعامر بن الجلاح والاكمل بن الصياح ومهلهل بن الوشاح وهلال بن فلاح ومن
يجري مجراهم من الفرسان الاوقاح * الذين كان الملك زهير يسطو بهم في الحرب والكفاح * وكان يتقوى
بهم على قبائل العربان لان ما في هؤلاء من يلتقي الالف فارس في الميدان (قال) وكان السبب في مجيئهم
الى هذا المكان * سلمى اخت عروة بن الورد الفارس المصان * وذلك لما رحل برجاله خلف عنتر واقتفى
منه الاثر وخلاها في ابيات بني قراد واوصاها انها تكتم ذلك الايراد عن النساء والرجال والاولاد كما امره
عنتر بن شداد ففعلت تلك الفعال الى ان رأت احراق النساء والرجال لفقد عنتر فخافت على اخيها من
شرب كاس الوبال فاعلمت الامير شداد بهذا الخبر وان اخاها صار من رجال ولده عنتر وقد سار معه برجاله الى
بني كندة لاجل خلاص عبلة وابيها وعمر واخيها وقد اعلمته أن اخاها صار خير صديق عند كل شدة وضيق
واعلمته كيف خلصها من الهوان وكيف انها رجعت بعد ذلك الى الاوطان وكيف التقاهم الضباب في البر
والآكام واخبر عنترا انه من عند الامير بسطام وان عمه قد ظهر خبره في بني كندة فتوجه الى تلك الديار
وتبعه اخو عروة في البر والقفار فلما سمع شداد من سلمى هذا الكلام قام من وقته وساعته ودخل على الملك
زهير الهمام واخبره بذلك الخبر فتنهد وتحسر وما هان عليه فقد الامير عنتر فالتفت الى اولاده الاربعة
المقدم ذكرهم وقال لهم انا خائف على حامية القبيلة من بني كندة ومن الملك عمرو المقصور لان له ابن اخت
يقال له مسحل بن طراق شرس الاخلاق وفارس مر المذاق والمشاع عنه انه فارس الآفاق فأسرعوا الى
مساعدته وبنجدته واذا اجتمعتم به سلموا عليه واخبروه اني مريض والا كنت سرت اليه فعند ذلك فرحت
اولاده بمسيرهم خلف عنتر ثم انهم اختاروا من بني عبس الفرسان الذين ذكرناهم وركبوا من وقتهم
وساعتهم وجدوا المسير في تلك القفار وشاس في اوائل اخوته وهو سائر ينشد الاشعار ويقول

سيروا سيروا وارفلوا للقتال * ان الكريم له لذو اجمال

حثوا الصوافن يا بني عبس فقد * حزتم كمالا فوق كل كمال * هزوا الصوارم والذوابل شرعوا
من كل رمح اسمر كهلال * او كل ذي متن صقيل مرهف * قد زانه للضرب ضوء صقال

يا

يا آل عبس بادروا اعداكمو * حتى تروا من ذابل ونصال * وترون عنترسالما فى صحة
قد حاز عبلة واحتوى للمال * من مبلغ أسد الحروب فانه * من خير خل صادق الاقوال
فيه المحبة والوداد وخير من * أعطى نخارا فى مدا الاحوال

(قال الراوى) فلما فرغ شاس من أشعاره سار وا يقطعون الارض فى طولها والعرض حتى أشرفوا على بنى كندة والتقوا بعنتر كما ذكرنا وقد خلص مما كان فيه من تلك الشدة فسعى الى أولاد الملك زهير ورفع صوته بالدعاء لهم كما وصفنا فقال له شاس يا أبا الفوارس نحن عاتبون عليك فى أفعالك لانك تسافر فى قضاء اشغالك ولا تطلعنا على أحوالك فلو قضى عليك فى بعض الكرات انقطعت فلك النساء والبنات وحرمت علينا المسرات فقال له عنتر يا مولاى انى ما أفعل هذه الفعال الا لاجل أنى لا أشمت بكم الاعداء الاندال ويقولون على كلا ما الارذال ان سادات بنى عبس تسير مع عبدها حتى تعينه على سلطان الهوى والعشق والجوى فقال له أبوه ويلك ياولدى وأنت من شان هوالك ترمى نفسك للبلاء حتى بقيت العرب كلها أعدالك فقال عنتر نعم يا مولاى لان الانسان اذا بلى بظالم لا يحفظ العهود والمواثيق فيذل نفسه دون بلوغ المقصود ويقتل روحه ويموت وهو مكمود فقال شداد وحق ذمة العرب ياولدى لو تركت أنت عملك حتى يذوق طعم الغربة ويعرف مرارة فقد الاحبة لكان يرجع اليك ذليلا مهان وكنت تبلغ منه ما تريد من غير ضرب ولا طعان فقال عنتر يا مولاى كيف أخلى يخرج من يدى ويقتلنى بحسرتى وكمدى ثم انه حدثهم بما فعل فى بنى كندة من النفاق وكيف انه زوج ابنته لمسحل بن طراق وما عمل فى عرب تلك الآفاق وما لاقى من تحت رأس فاعل هذه الفعلة من الشقاق وكيف فعل فعلا يسطر فى الاوراق فتعجب القوم جميعهم من فعاله وما عمل من أعماله (قال) ثم انهم بعد ذلك سألوه عن عمه مالك وما كان من أعماله وأحواله وأيضا عن جموع بنى كندة الاندال فقال لهم أما عمى وولده فانهم عندى فى الاعتقال وأما بنو كندة فانهم رحلوا من قدامى الى ديارهم يطلبون خلاص حريمهم والعيال من قبضة بسطام وبنى شيبان لانه لما سمع بجيئهم الى ناحيتهم عليهم وأسر من أسر وقتل من قتل وأنا كنت سائرا اليه فكان قدومكم الى فى هذه الساعة هو الذى أعاقنى عن نجدته (قال) فلما سمعوا مقاله زاد تعجبهم من عظم سعادته ثم انهم ساروا الى محل الوقعة فرأوا ما لا كأبا عبلة وولده عمرا وهم قد أشرفوا على التلاف مما هم فيه من شدة الكتاف فقال لهم شاس وقد أشفى غليله من مالك وقال له بالئيم عشيرته ما أخبث ساعة نزلت فيها الى دار الدنيا ويلك أما تستحى على نفسك وقد صرت مثلا فى سائر الاحيا وأحدوثة لكل من سمع ووعا ولكن هذا المقام الذى أنت فيه انت أحق به وأولى لكن الجاهل الذى هو مثلك هكذا لا يفرق بين النعيم والعذاب ولا يعرف الخطأ من الصواب فماله غير المقت جواب فوحق ذمة العرب لقد فرحت لكم بهذا الشد والكتاف حتى تعرفوا قدر الامير عنتر بلا خلاف فقال مالك أبو عبلة وقد اشتد عليه هذا الخطاب وقد علم ان أولاد الملك زهير ومن معهم من الاصحاب ما أتوا الا عصبية لعنتر بن شداد فقال لهم يا وجوه العرب ومن هم متوجون بأنواع الفضل والادب أنا ما أسلم ابنتى لهذا العبد ولى لسان ينطق وجارحة تخفق الا أن تقتلونى وتسقونى شراب المنية وتأخذوها من يدى غصبا مسيبة حتى يكون عذرى عند الناس واضح وعرضى سالما من الفضائح فقال له شداد وذمة العرب ما أدعك تأخذ مال ولدى وتنكر كل خيره وتزوج ابنتك بغيره لان حكمنا نحن أشد وأقوى من حكمك وانما هذه الجارية نردها الى أهلها وأرضها ولا تزال فى أبياتها مع جواريها حتى تطلب هى الزواج لنفسها فتزوجها من تريد ونعمل نحن عرسها كما تحب وتختار فقال لهم عنتر اشهدوا على يا ساداتى الحاضرين أن عمى اذا رجع الى داره ونزل فيها وقر قراره وستر ابنته من الفضائح وأراحها من التشتت بين كل غاد ورائح فانى ما أطالبه بها أبدا ولا أقيم فى الحى على طول

المدا بل أجعل مقامى عند أختى فى بنى غطفان وأهجر لاجل الاهل والاوطان وانتظر الفرج من الرحيم
الرحمن ولكن ما أدعه يزوجها لغيرى وأنا فى دار الدنيا فان فعل فأنا أقاتله على فعاله وأعجل من الدنيا ارتحاله
فقال له شاس لما سمع ذلك الكلام هو ومالك بن الملك زهير يا مالك لا تكن قليل الخير أتريد أكثر من هذا
القول من ابن أخيك فهاهو قد استخارك على نفسه وبروحه يفديك فقال مالك يا مولاى الشرط والحكم
الذى له تريد لا يكون الاقدام أبيك السعيد فقال عنتر وحق من أمر البرق فانبسط وأمر الغيث فنزل
وهبط انى موافقك على هذا الشرط الذى تقول عليه واتفق الامر على ذلك وشهد به أولاد الملك زهير
وهم شاس والحارث وورقة ومالك ونزل شداد وحل كتاف أخيه وولده واتفقوا على هذا الشان * هذا وقد
زادت بعنتر الاشجان فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

صبرا وان كان صبرى فى الهوى عدما * وأذرف الدمع حتى قيل صار دما * يارا حلون وفى قلبى لهم سكن
لكن عندى اليهم عزة وظما * كم ذا أذوق ضنى من سوء فعلكمو * جودوا يصح روض الحسن مبتسما
يامانحى كل يوم نكبة عجزت * عن حمل أثقالها فرسانها العظما * وأصبح العم يجفونى ويبغضنى
وفى بحار الفنا يبغى لى العدما * أما خشيت بأن أعلو لك فى غضب * بأبيض مرهف يغتال محترما
ان جئت خيرا فانى لا أفوز به * وما بنيت من المعروف قد هدما * لاحلت عنكم ملالا فى محبتكم
لانكم فى الهوى أبقيتم السقما * انى صبور على ذل تعاهدنى * اذ لا أذل وعزى فى السماء سما

(قال) ولما أنشد عنتر هذا الشعر والنظام عزم على المسير الى مساعدة الامير بسطام وقال لاولاد الملك
زهير وأنتم يا سادات ان أردتم أن تريحوا أنفسكم من القتال فاقيموا الى أن نعود وأنا عبدكم على طول المدا
فى كل حال فقال له شاس لا وحق الملك المتعال الذى خلق الجبال ويعلم وزنها كم مثقال ما نسير الا معك
ولا جئنا الا لمعونتك وأينما سرت نتبعك ثم انهم ساروا بالالف فارس الذين وصلت معهم وعنتر سائرين
أولاد الملك زهير وهم مالك وشاس وقد صار عندهم أعز من جميع الناس بخيال الشعر فى خاطره فأنشد
يقول صلوا على طه الرسول

هموا تنالوا العلا يا جيرة الهمم * ولا تميلوا الى عجز ولا سأم
وخالطوا العز فى الدنيا ولا تردوا * موارد الذل من خوف من العدم * ليس التقى لهوان المرء يورثه
زهدا يقى لذة المأكول بالسقم * يا طالب المجد قم واسهر لتدركه * فطالب المجد لم يرقد ولم ينم
وانهض وشمر ولا تركن الى كسل * وجرد العزم مثل الصارم الخدم * ياشاس يا سيد الشجعان كلهم
أنت الرجاء لنا من سائر الامم * يا سيدا لم يزل يعلو بهمته * حتى بدا لعيون الناس كالعلم
ابخل بعرضك من شئ يدنسه * فالبخل بالعرض معدود من الكرم * والبس من الصبر درعا لا تزال به
من النوائب فى حصن وفى حرم * وسرح الخيل فى الهيجاء منتقما * يوم الهياج وأفنى كل منتقم
واعقد سماء عجاج من حواقرها * وأمطر الارض من تلك السما بدم

وأبذل الناس بالبأس الشديد الى * أن يصبحوا فى امتثال الامر كالعدم * وأسمع الصم وقع المرهفات كما
تسمى مرارتها فى الرجع كالندم * ياشاس كن كأبيك الآن فى همم * حث المطا يا وبادر فى دجا الظلم
القائد الخيل لا تثنى عزيمته * عن الرجال ولا يدعى سوى اللحم * سرى بها منه وضاح الجبين اذا
دعا هواها بنور القلب والقسم * اذا التجأت اليه عند نائبة * كأنه منك أدنى من يد لفم
كم موقف لك فى يوم الحروب جرت * نار أضاءت بقدح البيض فى الظلم * صبرتهم خير ما صار وا به مثلا
كما يحدث عن عاد وعن ارم * ولو مددت الى زهر النجوم يدا * تساقطت روس اعدانا عن القمم
وسالمتك المنايا مع تسلطها * فأمنتك لعظم الناس لم تحم * ورافقتك سيوف الهند ناصحة
اذا ألمت سيوف الهند باللمم * وأنت فقت لكل الخلق قاطبة * وحزت فخرا على الاعراب والعجم

(قال

(قال الراوى) فلما سمع شاس من عنتر ذلك الشعر والنظام قال والله يا أبا الفوارس ما تركت لشاعر كلاما ولا أبقيت له نظاما فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بسطام فانه لما رجع اليه الاعرابى وأخبره بما قال عنتر من الكلام وأخبره كيف انه عزم على أن يسير الى بنى كندة لينزل بهم البلاء والشدة ولا يأخذ معه أحدا من العرب فقال بسطام والله لاقعدت على ذلك السبب ثم انه انتخب من بنى شيبان ألف فارس وكانوا من الفرسان العوابس والجميع أنجاد شداد معدودون ليوم الطراد وسار يقطع الجبال والوهاد الى أن وصل الى أرض بنى كندة وكان وصوله اليها وقت زفاف عبلة وكان قد بقى لهم يوم واحد ويسيرون بها الى بعلها فأرسل بسطام عبدا من عبيده يكشف له الخبر فسار العبد وعاد اليه وأخبره أن عبلة سارت الى ناحية بعلها فكاد قلبه أن يتفطر وذلك لاجل انقطاع خبر عنتر فعند ذلك قال لرجاله تأهبوا للحرب والقتال حتى أريكم الليلة ما أفعل ببنى كندة ونجعلها عليهم أشأم الاعراس ومازال سائرا الى أن اشرف على المضارب وقارب بها فسمع فى البيوت البكاء والعويل فقال لمن معه من بنى شيبان لقد رابنى هؤلاء العربان وأنا أقول ان صدق حذرى فان عنترا خرج عليهم فى الطريق وأعدمهم التوفيق وأخذ العروس وربما انه يكون قتل مصعلا وان فرسان بنى كندة قد سار واخلفه وتركوا الاموال والعيال وما خطرنا لهم على بال ثم انه هجم على الحى كما ذكرنا وقتل من كان تخلف من الرجال وساق جميع الاموال وعاد وهو يقول الساعة تتفرق الرجال عن عنتر اذا سمعوا بهذا الخبر وذلك يكون ان كان حسابى قد صدق وأمر عنتر قد اتفق * قال وكان الحساب الذى حسبه بسطام هو الصحيح وقد وصل الى بنى كندة ما فعله بسطام فى حيهم وقت السحر فرجعوا عائدين على الاثر وقد تفرقوا عن عنتر وجعلوا يقتفون من بسطام الاثر فلحقوا به ودار واحوالیه من كل جانب فعند ها التقاهم بسطام ومن معه من فرسان بنى شيبان وفعل بسطام فعل اولاد الحلال وردعن قومه المواكب والرجال وكانت بنو كندة قد فاقت بكثرتها على بنى شيبان وعادر بحهم الى خسران * قال وفى ذلك الوقت أشرف عنتر بمن معه من الفرسان وقد رأى ما حل ببنى شيبان فقال والله من هذا كنت خائفا على أبى اليقظان ثم انه حمل فى بنى عبس الشجعان الذين ما فيهم مقصر ولا جبان وكان قد وقع لعنتر فى قلوب بنى كندة هيبة عظيمة وشان وعند حملته اقشعرت منهم الابدان ونظرت عدد فرسانه قد زاد عما كان وهو بين أيديهم كأنه الاسد الغضبان وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

لله درك يا أبا اليقظان * من ضيغم شرس على الاقران * صبرا أتاك معمد لاسافى
قهم الملوك وقاتل الشجعان * يا آل كندة قد أتاكم فارس * قهار الكماة بصارم وسنان
ماسل سيفا مرهفا فى معرك * الا طاكالاسد فى القيعان * ان الملوك تحاف شدة سطوتى
أوما ترى كل الورى تخشانى * أنا فالق الهمات فى طلب العلا * أنا هازم الابطال والاقران
الفخر فخرى والزمان امدنى * والوقت وقتى والعلا مكانى

(قال الراوى) ولما نظرت بنو كندة الى صورة عنتر وهى كالنار التى لا تبقى ولا تذر فعند ذلك اجتمع العقلاء منهم وأتوا الى الملك عمرو المقصور وقالوا له الذى نعرفه من هذا الشطان أنه ما دخل وراءنا الى هذا المكان الا وقد أتت معه جميع بنى عبس وعدنان فقال لهم الملك عمرو الرأى عندى أنكم تقاتلون وأنتم متأخرون ولا تجعلوها كسرة حقيقة فيبيدكم ويهتك الطريقة ويقلع منكم الاثر وفى دون ساعة شاع فى بنى كندة هذا الخبر وصارت تقاتل وتتأخر فعلم عنتر منهم ذلك الحال فأوصل الطعن الى صدور الرجال وصارت الهزيمة حقا وتبددت بنو كندة غربا وشرقا * قال والتقى عنتر ببسطام وقال له والله لقد تفضلت علينا فى الاوائل والاواخر وما بقينا نقدر على مكافأتك أبدا لانك أنت جدت بروحك وجعلتها الارواحنا فدا فقال بسطام والله يا أبا الفوارس ما خدمتك الا نادرا على ممر الشهور والايام فعند ذلك شكره عنتر وأثنى

عليه وحدثه أن عمه عليه غضبان ثم انه قال وقد عولت على أن أجعل مقامى فى بنى غطفان فقال بسطام لاوحق مكون الاكوان لاخليتك من يدى ولاتركت مقامك الاعندى لاجل مالك على من الاحسان لانى أولى بخدمتك دون الانام فلعن الله عملك ما أعمى بصيرته من دون العربان فقال مالك بن زهير نحن ماتخلى ابن عمنا يخرج من أبدينا لان فراقه يشق علينا حتى يرضى عمه مالك وتفصل عقدته ويدخل على عبلة زوجته فقال شداد اعلم يامولاى يامالك أن اقامة ولدى عند الامير بسطام أصوب وأصلح على مدا الايام لان أرضه من أرضنا قريبة وماهى عنا بعيدة حتى يريد الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام وأنا آخذ عبلة بنت اخى عندى حتى يتصلح حال ولدى ويزول همه وغمه فرضى الجميع بذلك المقال وقد انفصل الامر على ذلك الحال ومازالوا على ذلك الايضاح الى ان اصبح الله بالصباح وعزم الامير بسطام على الرواح وارادان يقسم الغنيمة على بنى عبس الشجعان ويساوى بين جميع الرجال فحلفوا انهم لايأخذون منها ولا عقال بل قالوا هذه الغنيمة لابن عمنا عنتر يأكلها مدة اقامته عندك ياامير بسطام ثم انهم تودعوا من بعضهم بعض وعولوا على ان يفترقوا من تلك الارض فعند ذلك بكى الامير شداد على فراق ولده عنتر وفاض دمعه وانحدر وانشد يقول صلوا على طه الرسول

احسنت ظنك للايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر * وسالمتك الليالى فاغتررت بها
وعند صفو الليالى يحدث الكدر * وكم على الارض من خضراء يابسة * وليس يرجم الا ماله ثمر
وفى السماء نجوم لاعداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

(قال الراوى) ثم انه سار كل منهم الى فريق وجعلوا يجدون المسير فى الوديان وقد سار عنتر مع الامير بسطام وجعل بسطام يحدث عنترا ويشاغله عن ذكر عبلة ويذكر له اخبار المتقدمين واحوال العشاق ومالقوا من الهجر والفراق فقال عنتر والله ياأخى يابسطام ماأظن أن أحدا لاقى مثل مالاقيت ولاقاسى مثل ماقاسيت ولم يزالوا سائرين الى ان تنصف النهار فعندها وقف عنتر عن المسير ونكس راسه الى الارض وبهت ساعة من النهار وتنهد وتحسر وجرت دموعه تتحدر وانشد يقول صلوا على طه الرسول

الا ان وجدى ظاعن ومقيم * وهوى عبيلة فى الفؤاد جسيم * وورود خديها وبهجة قدها
بدر منير مشرق وبهيم * وقوامها ألف وعطفة صدغها * نون ومبسمها المشهد مسيم
والمسك نكهتها ومبسم ثغرها * الند والكافور والمشموم * عجبا لقلب كيف يتعبه الهوى
فكأنه حذر الحمام خصيم * صبرا اذا عطفت رياح صدودها * فعسى يهب من الحبيب نسيم
استغفر الله العظيم من الخطا * رب كريم راحم ورحيم * ثم الصلاة على النبى خير الورى
* من جاء منه الخير والتكريم *

(قال الراوى) فعند ذلك قال له بسطام مابالك ياأبا الفوارس وباز بن المجالس فكأنك لما جال فى قلبك حب عبلة تغيرت احوالك فقال عنتر والله ياأخى أما ماذكرت من عبلة فصحيح وان هواها فى قلبى مقيم وانا أنا حسبت حسابا وأنا خائف منه فقال بسطام ما الذى خطر ببالك حتى تغيرت أحوالك فقال عنتر اعلم أننى خائف من بنى كندة أن يعلموا بحالنا وان كل فرقة مناصارت فى طريق فيسير لهم الملك عمرو المقصور هو ومن معه من قومه ورجاله لملك أحدا من بنى عبس المشاهير وانى خائف على اولاد الملك زهير ان يملك احد منهم وتقع بنا الخسارة ويشمت بنا الربيع واخوه عمارة فقال بسطام والله لقد نظرت موضع النظر ولكن كيف يكون الحال فى هذه الامور والاحوال فقال عنتر الصواب انك تأمر فرسانك ان يسيروا بهذه الاموال الى ديارهم والاطلال ونتبعهم انا وانت وعشرة من الرجال ولانزال نقتفى من بنى عمنا الآثار حتى نبعد عن هذه الديار ونعود فى عرض البرارى والقفار الى ارضكم كما نحب ونختار فعند ذلك امر بسطام قومه بالمسير الى

الديار

الديار مع الغنيمة والاموال بعدما انتخب منهم عشرة ابطال وعاد عنتر وبسطام وشيبوب بين ايديهم يغدو كأنه ذكر النعام حتى ابعدهم فى القفار فما اصبحوا الا وقد قطعوا الوادى الذى كانوا مقيمين فيه اولا وتأملوا الطرقات فما بان لهم غير حوافر الخيل راجعة فقال بسطام اعلم يا ابا الفوارس انه ما عند بنى كندة شغل شاغل من اتباع اعدائهم فقال له عنتر ليس فى الاحتراس من باس ولا بذمه احد من الناس ولعلنا نقيم اليوم هاهنا ونرحل وقت السحر فهذا ما كان من هؤلاء الفتيان (واما ما كان) من بنى عبس وعدنان فانهم لما بعدوا عن عنتر ضاقت صدورا ولاد الملك زهير لفراقه وكان شاس عول على ان يقتل مالكا باعجلة من شدة ما جرى على قلبه من الهم والدبلة فرجع عن ذلك وعاوده عقله ثم انه سبق الجيش فى البر الاقفر وقد تبعه نصف العسكر ووافقه على ذلك شدادا بو عنتر وبقى مالك بن زهير فى خمسمائة فارس لا غير يفعل بترفق بعجلة ويداديها لانه كان اطول روحا من أخيه شاس وأكثر مداراة للناس فأشرف على أرض يقال لها أرض بنى الريان مليحة الجنبات كثيرة الغدران روائحها عابقة وغدرانها دافقة وغزلانها رامقة آمنة من الطوارق السارحة فى المغارب والمشارق بفضل الملك الخالق وكان قد قل من القوم الزاد لبعد المسالك فشكوا من الجوع الى الامير مالك فقال لهم دونكم وصيد الغزلان من هذه الدحال التى هى قريبة من تلك الغدران ولا ترجعوا الا بما يكفيكم أنتم ومن معكم من الاخوان فأجابوه الى ذلك الامر والشان وركبوا خيولهم وتفرقوا فى جميع الوديان وكذلك الامير مالك وافق على هذا الامر وركب فرسا من خيل أبيه العوال وطلب مهب الشمال وصار يطعن الوحش ويمددها على الرمال فبينما هو على تلك الاحوال واذا قد ظهر بين يديه ذكر من النعام وقد غدا من زرعه يهيم بين الروابى والآكام * هذا والامير مالك قد أخذه عليه الحنق وتبعه وهو مثل السهم اذا مرق وقد طاب له ان تهلك فرسه ولا تفوته فريسته ومازال يهيم فى تلك الآكام حتى فاته ذكر النعام فوقع مالك على صيده نار الاضرام فبينما هو كذلك اذ لاح له بدوى قائم وناقته بارکه وخلفه جارية تحمل البدر اذا قابل طلعتها من لين قامتها وفى يدها مقود فرس ذلك البدوى وهى قائمة وراءه والدمع يسيل من أجفانها وتتلهف من عظم روعتها وفراتها (قال) لما نظرت الى مالك ابن الملك زهير وهو يلتفت يمينا وشمالا أشارت اليه بيدها شبه المستجيرة وصارت تطلب منه نصرة لما هى فيه من الحيرة فعلم مالك مرادها ولكنه ما أجابها بل قال ربما انها زوجته أو أخته أو قريبته وقد ضربها وضغط عليها فأطلقت الجارية مقود الفرس من يدها وتوجهت به فى وجه الفرس فشرد فى البر فصرخت الجارية بالبدوى يا وجه العرب الحق الفرس فانه شرد فعندها ترك البدوى الناقة وتبع الفرس بعدما لطم الجارية على وجهها فكاد ان يطير مقل عينيها (قال) ولما بعد البدوى فى البر وثبت الجارية الى مالك وقبلت يده وقالت له انجزنى يا صاحب الوجه الضاحك والطلعة البهية وخلصنى من هذه القضية فقال لها مالك أنت ما تكونين منه يا حرة العرب هل أنت زوجته أو أخته او هو من بعض اقاربك واهلك واحبائك فقالت له لا والله يا مولاى ما هو من اهلى ولا من اقاربى بل هو غريب اجنبى وقد قتل بعلى وابن عمى ومن كان اعز الناس عندى والسبب فى ذلك اننا كنا راجعين من وليمة وطالبين قومنا واوطاننا فالتقانا هذا الشيطان فأهانا هذا الهوان وان كنت ما تعرفنى فأنا اعرفك بنفسى أنا الملقبة بالرعد القاصف فى البرية وقد اخذنى من ابن عمى مسيبة بعد ان قتله وانزل به الرزية وانا مستجيرة بك يا مولاى أن تخلصنى من هذه البلية ثم انها زادها الامر فبكت وانتحبت واشتكت واشارت تقول صلوا على طه الرسول

صن حرة غدرت بها الايام * يا فارسا خضعت له الاقوام * يا ذا المكارم والايادى والعلا
فعليك من دون الانام سلام * يا ذا البها والجود يا رحب الفنا * يا ملجأ المهموم يا مفرغام

احسن الى وكن مجيرى يا قتى * يا منجزى يا منقذى وهمام * انى رجوت الخير فيك فراسة
ان الجميـــل اذا اليك يقام * يا من يراعى للحريم بحمية * انت الذى لا يعتريك سقام

(قال الراوى) فعند ذلك اخذت مالكا الحمية والنخوة الجاهلية لاجل ما عاين من جمالها ما سمع من شعرها لانه على كل حال ملك وابن مالك همام من بنى عبس الكرام الذين تسميهم العربان فرسان المنايا والحمام بين الانام لاجل ثباتهم على ضرب الحسام فقال لها مالك ابشرى يا حرة العرب بالسلامة من بعد الندامة وسوف اخلصك من هذا الاعرابى واتركه مجندل فى الروابى (قال الراوى) فبينما هو معها فى الكلام واذا بالبدوى قد عاد وهو راكب على الجواد فراى مالكا وهو قائم والجارية تشكو اليه فقامت فى راسه مثل عينيه فعند ذلك اخذ الرمح وعاد الى مالك وهو يقول ويلك يا ندل العرب من اين لك حتى تخاطب جوارى الفرسان واى شئ الذى اتى بك الى هذا المكان يا ندل يا خوان هيا اخلع ما عليك من السلب قبل ان اسقيك شراب العطب وسلم الى نفسك قبل ان اسكنك رمسك وان كنت ما تعرفنى فانا اعرفك بنفسى ثم انه انشد وجعل يقول

يا جاهلا يا كانه الشجعان * مهلا ستبقى رمة القيعان
يا ابن الزناء أما سمعت بحملتى * وبصولتى وبشدتى ومكانى * من اى قوم انت لا اسقوا الندى
فاشرب كؤس الموت فى الميدان * اليوم آخر حد عمرك ان فى * كفى كعوبا منقفا بسنان
أوما علمت بانى أسد الفلا * أوما ترى كل الورى تخشانى * أوما علمت بأن دهرى صارم
فى راحتى للغائظين لشانى * اوما علمت بأن مجدى بازخ * حتى علا شرفا على كيوان
والأسد تخشانى وتعرف همتى * وأنا الصبور اذا الزمان دهانى

(قال الراوى) فلما فرغ فياض من شعره ونظامه وسمع مالك كلامه وأبصر جملته واقدامه علم انه فارس شجاع وقرن مناع فاجابه يقول

اسمع كلامى يا خا العربان * يا من سعى فى حتفه وهوان
تكلك امك سوف تلقى ضيغما * متعودا صبرا على الفرسان * كم من شجاع قد تركت مجندلا
قد كان مثلك قائل الهذيان * يا ابن اللئام أما خشيت عقوبة الـ * ـأصنام أو رب السما الديان
أوما تخاف الموت يا كلب الورى * يا أندل الفرسان والشجعان * حتى غدوت معارضا لحرائر الـ
ـأعراب والانجاد والفرسان * ما كنت من رجل ردى اصله * ولقيت بغيك وسط ذى القيعان
اليوم أسقيك المنون حقيقة * أشرف فان الموت حولك دانى * لم تركب الخطب الذى حاولته
كلا ولا تسمو اليـــه يدان * فأنا الذى سجدت له جن الفلا * خوفا ومجدى فى العلا أعلانى
من ذا الذى يبغيك منى فى الورى * وانا كريم الاصل من عدنان

(قال الراوى) ثم انه حمل عليه وصاح فيه واستجاده بطعنة فزاغ عنها ذلك البدوى فراحت خائبة من بعد ما كانت صائبة وكان هذا البدوى أشد من مالك فى المعاركة والشبالك فصاح فى وجهه وهجم عليه ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه ورمى الرمح من كفه وقبض خناقه ونزه وفى درجه ومرجه فاقتلعه من بحر سرجه ثم انه اخذه اسيرا وقاده ذليلا حقيرا وقد اعجبه جمال صورته وحسن لباسه وعدته فعلم انه ابن ملك جليل القدر عالى الذكر فقال له يا غلام من انت ومن اى العرب تكون اصدقنى قبل ان اسقيك كاس المنون فقال له مالك اعلم يا وجه العرب انى ما انا من اراذل الرجال وما انا قليل المال انا مالك ابن الملك زهير صاحب الكرم والخير فقال البدوى بخ بخ انت والله طلبتى ويلك تقضى حاجتى وابلغ بك امنيتى ثم انه شد كنافه وعارضه فوق جواده وقال له يا وجه العرب ما بقيت تبرح من يدى حتى تسلم الى اسودكم عنتر حتى انى آخذ ناصيته وانحره نحر البقر والافعلت بك اشأم الفعال واقتلك فى هذه الرمال فقال له مالك وما السبب الموجب لذلك واى شئ لك على عنتر من الدين حتى تطلب فناه فهل انت من اعداه فقال

البدوى

بدوى اعلم ياوجه العرب انى خطبت جارية من ديارنا والاطلال وبذلت لابيها ما تملك يدى من المال
وكل ما طلب من النوق والجمال فقال ابوها يا فتى انى ما ازوج ابنتى الا لمن يأتينى براس عنتر ويأخذ ثارى
ويكشف عنى عارى لانه هو الذى قتل ولدى وفتت عليه كبدى واوهى منى جلدى فقلت له ياعماه عند
من يكون ثارك فقال لى أما قلت لك عندا سود من بنى عبس اسمه عنتر لانه غار على اطلالنا وقتل ولدى ونهب
مالى وما تملكه يدى وتركنى الى الآن بأسوا حال وحلفت انى ما ازوج ابنتى الا لمن يأتينى براس عنتر ويأخذ
لاخيها منه بالثار ويكشف عنا العار فلما سمعت منه ذلك الكلام وانا قال ضمنت له قتل اسودكم ابن الاندال
واعود برأسه اليه رابلغه منه الآمال وما خرجت من المنازل والاطلال حتى انه اعطانى يده على هذا الحال
وسرت اطلب دياركم والاطلال فوقعت بهذه الجارية وهى سائر مع ابن عمها فقتلته سرعة وملكتها وبعد
ذلك وقعت انت فى يدى وبك ابلغ غاية قصدى فلما سمع مالك منه هذا الكلام تعلق بأصناف المحال
وباذيال الطمع وطلب الخلاص منه بالخداع فقال للبدوى ياوجه العرب اشكر اللات والعزى التى قربت
عليك الطريق والسفر واراحتك من ركوب البر والقفر لان عنترا هنا فى ارض الرباب ومامعه اكثر من
خمس فوارس من الاهل والاصحاب وانا من جملتهم وقد فارقتهم من اجل الصيد لانه قد لاح لى ظليم عظيم
فطاردته الى هذا المكان وما وقعت بى انت الا وانا تعبان وجوادى قصر عن الجولان ونصرت على وبلغت
المراد وقد بلغت الفرصة وهانت عليك القصة فسر الى غرضك ان كنت كما زعمت عن نفسك انك فارس نجيب
لتظفر بحاجتك من قريب فعندها صاح البدوى وقال يالعرب واخذه الفرح والطرب وقال لمالك
وحق ذمة العرب ان كنت صادقا فى هذا الكلام فسوف اطلقك واحسن جزاءك لانى منى وقعت عينى
على عبدكم عنترة انى آخذه اسير ولو كان فى الف فارس تركتهم بين جديل وعفير وهذا الامر ينبغى ان يكون
من اعمال غد لان هذا اليوم قد فات وانقضى والصواب انى آخذ الراحة فى بقية هذا اليوم واصبح اسودكم
فى صباح غد مع باقى القوم لانه مادام فقدك ما يبرح من هذه الارض ورجما سار فى طلبك ويأتى هذه
الديار بسببك واذا سلك هذه الطريق اعدمته السعادة والترفيق ثم ان البدوى نزل عن الجواد وامر
الجارية ان تسيره وقدم بين ايديهم شيأ من الزاد وصار يأكل ويطعم مالكا ويسأله عن سبب مجيئه الى هذه
الديار ومالك يحدثه بزخارف الكلام والمحال ويخبره بخبر مالك ابى عبلة كيف هرب بابنته الى بنى
كندة وان عنترة أتى وراءه فى خمس فوارس من بنى قراد وقد سرق عبلة وعاد وكنت أنا معه على سبيل
المعونة والاسعاد فقل ما معنا من الزاد فنزلنا نتصيد فى هذه المهاد لعلنا نقع بشئ نسد به رمق الفؤاد
* قال ومازال مالك يحدثه بالاقل ويخفى عنه الاكثر حتى دخل الليل واعتكر ومالت الى الغرب كواكبه
وازدحمت فى الجو مواكبه واضطجع البدوى ونام وتعبت الجارية من المشى والقيام وكانت قد زادت بأسر
مالك هموما لانها كانت السبب فيه فأنساها حزن نفسها * قال ولما علمت أن البدوى قد نام اتت الى
مالك وحلت كافه وقبلت رأسه وقالت له يافتى اطلب أنت لنفسك النجاة ودعنى أنا وهذا الشيطان المريد
يفعل بى ما يشاء ويريد فقال لها مالك لا وحق ذمة العرب لا فعلت ذلك السبب ولا تركت هذا الجبار يتحكم
فيك لانه اذا فقدنى يعلم انه من فعالك ثم انه وثب واخذ سيفه وأراد أن يهجم على البدوى وهو نائم واذا بجواده
صهل فانتبه البدوى وأبصر خيال مالك فقام كأنه من بعض العمار وسل حسامه وطلبه وكان مالك قد ملك
الحسام فتقاتلا تحت غسق الظلام وصاح كل منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه ودام بينهما الضرب
بالصفاح حتى طلع الصباح وتعب مالك وأثخن بالجراح ورأى نفسه أنه هالك فسلم نفسه للبدوى فلما
ملكه أعاده الى الشد والكتاف وربطه على حجرته بالخلاف وصار يقول له يا ابن الاندال كل ما حدثتنى به زور
ومحال ولا بد ان أضرب رقبتك مادام انك خداع محتال ثم انه عاد الى الجارية وعلم انها خامرت عليه بخلدها

بالسوط وشدها على الناقة وركب جواده وسار وظن أنه حاز المجد والفخار فأنشد وقال

سلوا عن فعالى والدماء تسيل * بأعلى القنا والصافنات تجول * وتشهد لى البيض الرقاق لدى الوغا
بأنى على الهامات سوف اصول * اذا قيل هذا اليوم يوم كريهة * أخوض لظى نيرانه فيزول
ويركض مهرى فوق أجساد فتية * له من دماهم غرة وحجول * فلا تطلبوا غيرى اذا النار اضرمت
* فمثلى اذا اشتد الهياج قليل *

(قال) ثم انه طلع من المستوى والشمس قد أشرقت على الاطلال والربا وتعالى نورها وأضاء فرأى عند ذلك رجلا يسعى فى الفضاء وقد أطلق قدميه خلف غزالة يريد أن يصيدها وهى قدامه تجرى كأنها الريح تطلب اتساع البر الفسيح وهو وراءها كأنه الشهاب اذا انقض من السماء فى دجا الظلماء حتى لحقها بسرعة جريه وامسكها من قرنيها والبدوى ناظر اليه واليها وقد تعجب من جريه وشدة عصبه فبينما هو ينظر اليه واذا قد طلع من ورائه عشر فوارس غائصون فى الحديد والزرد النضيد وتحتهم خيول تقطع بهم البر والبيد وبين أيديهم فارس كأنه برج مشيد وبجانبه فارس آخر يقاربه فى الهيبة والشجاعة والجميع الى الرجل طالبون والى نحوه قاصدون (قال) فلما نظر الاعرابى الى حسن لباسهم وهيبتهم وقف ينظر اليهم وهم قد مالوا الى الهودج فرأوا مالكا وهو مشدود على جواده فأعنوا الخيل ووقفوا وتقدم الفارس المقدم ذكره وأراد أن يسأل الاعرابى عن حاله فصاح فيه البدوى صيحة منكرة وقد احتقره وقال له ويلك من أنت من فرسان العرب فانتسب ان كان ينجيك النسب قبل ان يحل بك الويل والعطب فعند ذلك زاد بالفارس الغضب ووالى عليه الضرب وصرخ فيه صرخة كاد عقله بها ان يذهب وقال له ويلك ما أعمى قلبك عن اصحاب الرتب ويلك أنا الفارس المنتخب والهمام المهذب ودافع النوب أنا فارس الجلاد وحية بطن الواد الضارب بالسيوف الحداد مفرج الكروب الشداد الكريم الآباء والاجداد عنتر بن شداد وأنت من تكون من العرب الاوغاد ومن هو هذا الاسير الذى معك مشدود على ظهر الجواد ومن هذه النائحة الاخرى التى تنادى وهى تطلب الخلاص من الكريم الفتاح وقد أقلقت البر بالصياح فقال فياض وقد اجتمع على جواده طربا وصاح به أهلا وسهلا بحامية عبس ومرحبا بأسود الشمائل وأبيض الخصائل وفارس القبائل البك وحياتك أتيت قاصدا الى نحوك وأرجع ثم انه اخبره بقصته وأن مهرزوجته اتلاف مهجته وجز ناصيته فقال له عنتر هذه قصتك قد عرفتها وما يكون هذا الفارس الذى معه مشدود فى الوثاق فقال له هذا مولاك وابن مولاك الذى قد ألحقك بالنسب وأدخلك معه فى الحسب مالك بن زهير فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينيه كالظلام فبينما هو كذلك واذا قد لحق به بسطام وسأله عن تطويل الكلام فأخبره بما سمع من البدوى من المقال وبجميع ما جرى من القيل والقال فقال بسطام لله درك يا أبا الفوارس ما أخبرك بعواقب الايام والدهور والله لقد حسبت هذا الحساب وطلع كل ما ذكرته من الامور عين الصواب (قال) وكان عنتر لما رجع من خوفه على بنى عبس أن يلحقهم لاحق أبصر القوم مشتغلين بمصابهم عن غيرهم فأقام باقى نهاره ويومه وليلته مختفيا الى الصباح وقال لاخيه شيبوب جد بنا فى عرض البر والبطاح حتى لا نبرح نقابل قومنا حتى يخرجوا من أرض بنى الريان وبعد ذلك نعرج على مغرق السودان ونطلب بعد ذلك أرض بنى شيبان ففعل شيبوب ما أمره اخوه وتبعه بسطام ورفقاه وعلم أن ذلك من كثرة عشقه لعبلة والحب الذى حواه ففعل هذه الفعال حتى لا يزال قريبا منها ويتنسم الاخبار لان العشاق من العرب المقدمين جرت لهم بذلك عادات وذكروها فى ذكرهم والمقالات لانهم كانوا اذا هب النسيم من ناحية الحبيب يداوى مرض قلوبهم بمنزلة الطبيب (قال) ولما زاد على عنتر الشوق ونيران الفراق وقاده الهوى بزمام الانعواق انشد يقول صلوا على طه الرسول

اذا ريح الصبا هبت قليلا * شفت بهبوبها قلبا عليلا * وجاءتنى تخبر أن قومى
ومن أهواه قد جدوا الرحيلا * وماحنوا على من خلفوه * بأرض الغير مطروحا ذليلا
يسيروراءهم وبهيم شوقا * اليهم كلما شدوا الحمولا * ألا ياعبلة ان خان عهدى
أبوك وكان لايرعى الجميلا * جلت الضيم والهجران وحدى * على ضعفى وخالفت العذولا
ألفت السقم حتى صار جسمى * اذا فقد الضنا أمسى عليلا * وعادانى غراب البين حتى
كأنى قد قتلت له قتيلا * وفى الوادى على الاغصان طير * ينوح ونوحه يشفى الغليلا
يبكى فأعانه هتان عينى * وناح فزاد اعوالى عويلا * وبات بئر مهموم الفؤاد
لفقد خليله الليل الطويلا * فقلت له جرحت صميم قلبى * وأبدى توحل الداء الدخيلا
وما ابقيت فى جفنى دموعا * بها أبكى المنازل والطلولا * ولا أبقى لى الهجران صبرا
ولا جسما أعيش به نحيلا * فلو انى كشفت الدرع عنى * لبان وراءه رسمى عليلا
وفى الرسم العليل حسام نفس * يعادل حره السيف الصقيلا * ألفت نوائب الايام حتى
* رأيت كثيرها عندى قليلا *

(قال الراوى) فطرب بسطام وأطرق برأسه عند سماع هذا الكلام وقال له يا أبا الفوارس وحق الباقى على الدوام انك فصيح اللسان فى النثر والنظام وفارس الحرب والصدام ثم انهم ساروا يقطعون الاودية والقفار حتى انهم جازوا أرض بنى الريان وتلك الاكام والتقوا بالفارس فياض المقدم ذكره وجرى من القصة ماجرى وسمع جميع حديثه وله درى وعلم أنه جاء يطلبه ورأى مالك بن زهير مشدودا على حجرته وهو يتشرق بعبرته فاسودت الدنيا فى عينيه وتجهز للحملة عليه فقال له بسطام دعنى يا أبا الفوارس لهذا القرنان فقال له عنتر اعلم يا أخى أنه ما يشفى فؤادى غير ذلك الحسام ولا فيكم من يحمل عليه ولا يشغل خاطره لديه لئلا يقال انهم ما وصلوا اليه الا بالمكائرة ثم انه عاد الى قتال فياض وأخذ معه فى الانبساط والانقباض والمجال والاعتراض ولمعت سيوفهم فى الغبار مثل البرق فى الايماض وكان لهم عند ضرب السيف استيقاظ وما أحد منهم أبدى ألفاظ * هذا وشيبوب أتعب الغزال واصطادها وقد رأى أخاه فى القتال فعاد الى نحو الناقة والهودج واليهم عرج وتأمل المأسور عند ما قرب منه فاذا هو مالك بن زهير وهو يتأوه من ألم الجراح والحيرة والافتضاح فصرخ شيبوب واحرباه يامولاى من فعل بك هذه الفعال من أوباش الرجال الاندال ثم انه دنا منه وحل عقد شداده وأعاده الى جواده وجعل يقبل يديه ويسأله عما جرى عليه ومالك يحدثه بما وقع له مع فياض من الانبساط والانقباض فقال له شيبوب اطلب أنت مقام القتال حتى أشتفى بمصرع هذا الشيم بن الاندال ومازال شيبوب يحرضه حتى أشرف على المعمعة والميدان وأبصر فياضا وعنترا وهما يتقاتلان وقد جرى بينهما حرب تعجز عنه الفرسان المتقدمون الا أن عنترا حمل على فياض وأخذ معه فى الجد والاعتراض ثم انه قام فى ركابه وضربه بسيفه البتار واذا برأسه قد طار وخرج عنتر من تحت الغبار وهو يهمهم مثل الاسد الهدار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول
فتيا الحصى وهو يعث باليد * وقد مال كالبرج الرفيع المشيد * تهنيك بالكأس الذى قد شربته
ومت عفيرا الخد غير مهمد * بسيف اذا جردته طال حده * وأدمى وأفنى حده كل سيد
أنا عنتر كشاف كل كريهة * مبيد الاعادى بالحسام المهند * وبى تفخر الابطال فى كل معرك
وتخضع لى الشجعان فى كل مشهد * فان نظروا فعلى يخرون معشرا * تراهم لنا من راكعين وسجد
سموت على كل الانام بصارمى * ورمحى وسيفى فى الوغا وتجلدى

(قال الراوى) وبعد ذلك دنا من مالك واعتنقه وبجله وقبله وهو يقول والله يامولاى يعز على ما جرى عليك

وماوصل من الشر اليك فلا كان يوم يصل اليك فيه الزمان بالغدر والنقصان وأنا راكب على ظهر الحصان فشكره مالك على ذلك الامر والشان وقال له والله انك لنعم الرفيق وأجل صديق وشفيق فلعن الله من أبعدعنا طلعتك ولج فى ابعادك وأحرمنا النظر الى رؤيتك ثم ان مالكا حدثه بما جرى بينه وبين شاس لاجله وقال له ان شاسا جرد على عمه وقد سار فى أول الجيش ومعه أبرك شداد وعلك زخمة الجواد واخبره أيضا أنه قل عليهم الزاد وقد طلبوا أرض الرباب وحدثه ما جرى له مع الجارية وفياض من الامور والاسباب * هذا وبسطام وجماعته تقدموا الى مالك وسلموا عليه وهنوه بالسلامة من الذى جرى عليه * هذا وقد قال عنتر لمالك الرأى عندى يامولاى أنك تعود ابنى عبس من وقتك وساعتك ولا تذكر لهم ما جرى عليك وكأنى لا رأيتنى ولا رأيتك بل تقول لهم انى كنت فى الصيد والقنص واشتغلت باللهو والفرص فأمدى على المساء واقبل الظلام ووقعت أبيات من العرب الكرام فأضافونى واكرمونى غاية الاكرام حتى لا تحط منزلتك عند قومك وعشيرتك ولا يلومك أحد على تلك الفعال ثم لا يقول عمى مالك انى ما قدرت أن أصبر على فراق ابنته عبلة وانى مازلت أسير فى عرض البر من شدة الاشتياق ومن نيران الفراق وكثرة الاحتراق لانى أناوحق منى وزمزم والمقام والبيت الحرام ما فعلت هذه الفعال الا خوفا عليكم من مثل هذا الحال ثم انه أطلق الجارية التى استجارت بمالك ففرح مالك ببياض عرضه واعطاها جوادا فياض وسلبه واعطاها ايضا النافة وقال لها سيرى بلا عاقة فانك فى ذمامى من كل انس وجان ومن جميع العربان فوحق من مخلوقاته فى حرزه وامانه لو عارضك الملك كسرى لهدمت على رأسه ايوانه واهلكت اجناده وفرسانه فعند ذلك قبلت الجارية رجليه فى الركاب واشارت تمدحه بهذه الابيات

وقيت كل بخائع الاعوام * وبقيت محروسا مدا الايام * وغدوت ذارأى مصاب سيدى
وعلوت مبتهجا على الاقوام * ياعمدتى من كل خطب فادح * اصبحت من همى اريد الحامى
لازلت فى درج المعالى راقيا * ومسلما من صرف كل حسام * وبقيت فردا لا ترى لك ثانيا
* بين الانام ومدة الاحكام *

(قال) هذا وبسطام قد صار متفكرا فى كلام عنتر وعلم انه قادر على ما قاله من الخبر واما الامير مالك فانه عاد على الاثر يطلب ارض بنى الريان وعنتر خلفه خوفا عليه ان يصاب من بعض العربان ولم يزالوا سائرين حتى اشرفوا على تلك المعالم الرسوم وهم الامير عنتر ان يعود فرأى الطير يحوم والوحوش تعوى فى أقطار الفلا وهى ترعى فى جثث القتلى فقال عنتر لمالك والله يامولاى ان هذا البئس الفعال وهو امر يدل على الهلاك والوبال وما أخاف الا على سادات بنى عبس أن يكونوا أصيبوا بعدلا باعظم المصائب والمحاق ويكون اتفق لهم مثل هذا الاتفاق فقال مالك والله لقد صدقت يا أبا الفوارس فيما قلت من هذا المقال لانى أعرف ان لجاج عمك لا يؤدى الى خير ولا بد أن يحل بهم الهم والضير لانه رجل نحس ولولا ذلك ما كان ارتضى ببعدك وركن الى الغير وهو لا يصغى الى قول الناصح ولا زال فعله خاسرا غير رابح وأنا كنت أشتهى من رب السماء وخالق النور والظلماء أن يكون مالك قد لاقى بغيه وضيره ولا يعلم كيده وشره على غيره ثم تقدم الى وسط المرج فوجد القتلى مطروحين فى سائر الجنبات والدم قد صبغ النهر والنبات والرماح محطمة والاجساد مكومة فصاح عنتر واحرباه قد صح الخبر ووقع على أصحابنا حكم القضاء والقدر وما أظن انى أعود أجتمع ببعلة ولا أقع لها على خبر ولا جلية أثر ثم انهم باتوا فى ذلك المكان وصاروا يقلبون القتلى ويقولون هذا فلان وهذا فلان الى أن سمعوا صوت رجل قد أشرف على التلاف والفوت واذا به أبو عبلة مالك وهو يئن من شدة الجراح هالك وهو على الارض مطروح وقد صار جسدا بلا روح واختلط دمه بالتراب وحام عليه الطير والغراب والوحوش والذياب فعند ذلك نادى شيبوب وقال ويلك يا أخى

ان

أن تمضى وتخلى عملك مالكا مخضبا بدماه وقد لاقى بغيه ومكره ودهاه (قال) فلما سمع عنتر ذلك المقال تقدم هو ومن معه من الرجال وقد أبصر أباعبلة على ذلك الحال فشدوا جراحه ورشوا على وجهه الماء ففتح عيناه من شدة ما جرى عليه ودهاه من ذلك الذى حل به من الضير فابصر عنترا ومالك بن زهير فدبت فيه الروح وصارت فى جسمه وعاد اليه عقله وفهمه فقال له عنتر يا عماه من هذا كنت أخشى عليك وكنت أتقرب لك فى كل شئ وألجأ اليك وأنت تركب معى طريق اللجاج فما أوقعك فى هذا العذاب والهجاج فقال له عمه بصوت خفى بالله عليك يا ابن أخى قد مضى ما مضى وما بقيت وذمة العرب أفارقك أبدا ولا أشمت بك أحدا من الاعدا وقد صفا لك قلبى وتخلص لك ودى وعرفت أننى كنت لك ظالما وعليك معتدى وعلمت انى أخطأت معك فى طول الزمان فارحمنى واحملنى الى بنى عبس وعدنان حتى أكون لك عبدا فى كل وقت وأوان وما بقيت أعود اسمع فيك كلام انسان فقال عنتر حبا وكرامة أبشر يا عماه بالخير والسلامة ولكن أريد منك أن تخبرنى بحقيقة الحال وأن تصدقنى فى المقال من فعل بكم هذه الفعال وأين ولدك عمرو وابنتك عبلة وبقية الرجال فقال له يا ابن أخى الكل فى قبضة انس بن مدركة الخثعمى وكنا نحن فى اشد ما يكون من التعب الشديد من كثرة المسير وقد أشرفنا على الهلاك والتدمير لان مالك بن زهير قد أخذ معه أكثر الفرسان وأرباب الخيول وقد تفرقوا فى البر عرضا وطولا وطلبوا الصيد والقنص فى البرارى والرحاب واذا قد خرج علينا أنس بن مدركة من بين التلال والهضاب ففرق حولنا الخيل من كل جانب ودارت بنا المواكب والكتائب وفتكوا فينا بالسيوف القواضب فقتل من رجالنا عشرين فى الصحرا وساق الباقين معه أسرى ومازالت القتلى تتلقح اثنين اثنين وقد حل بنا الويل والبين وقد عملت الرماح فى الاجساد حتى وقعت على الارض والمهاد ولولا نظرى اليكم فى هذه الاوقات ما كنت الامن جملة الاموات وكنت لحقت بمن مضى وفات (قال) وكان هذا الفارس الذى أنزل بنى عبس الوسواس رجلا لا يقاس برجال وبطلا لا كالابطال وهو لا يفر من الغارات ولا يمل من الغزوات ولا يفعل الا فعل العصاة البغاة وكان اذا عول على المسير من مكان الى مكان تتبعه الفرسان وتسير معه الشجعان لاجل ما يعرفون منه من الشجاعة والبراعة وثبات الجنان لانه ما سار قط الى مكان الا وعاد مؤيدا منصورا والاموال تساق الى بين يديه فرحا مسرورا وكان فى هذه النوبة قد خرج من الاطلال ومعه ألف فارس من صناديد الرجال كلهم غارقون فى الحديد والزرد النضيد كأنهم سباع الاجم ومافيهم من يبالى بالموت اذا هجم وقد أبعد بهم فى سيرته واهلك العربان فى غارته ونادى أهلها بهمته وقوته وقد وصل الى أرض يقال لها البلقا ومياه النقا وعاد وبين يديه الاموال والعبيد والجمال وهو شئ لا يعد ولا يحصى ولم يزل يجد المسير ويسرع فى الجد والتشمير حتى وصل الى أرض بنى الريان وأبصر الى بنى عبس وعدنان وهى متفرقة على المروج والغدران وبعضهم يصيد الوحوش من الوديان وكان أنس هو المقدم على قومه وقد انفرد فى البر والقيعان لانه كان قد طرح نوائب الزمان واحتقر بسائر الفرسان وصار يحب الانفراد عن الاهل والاخوان آناء الليل وأطراف النهار ويرمى نفسه فى الاخطار الكبار (قال) ولما رأى انس بنى عبس عرفهم بعددهم ولباسهم والرايات لان العرب كان يعرف بعضهم بعضا بالخيول والقامات فلما تبين له معرفتهم وحقق نسبتهم صبر حتى تلاحقت به الشجعان ودارت ببنى عبس من كل جانب ومكان * هذا وقد قال لهم أنس اعلموا يا بنى عمى ان هذه النوبة يبقى ذكرها طول الزمان وتذكرها الرجال بالعز والافتخار وكل من اكتسب شيأ فهو له حلال ان كان من الاسرى أو من النوق والجمال لانكم قد ظفرتم بهذه الطائفة العبسية التى اسمها بين العرب كبير وكل من ملك منها أسيرا أخذ منه مالا كثير فدونكم أنتم واياهم واغتنموا منهم الفرصة واسقوهم أشأم غصة فهاهم بين أيديكم فى الصيد والقنص فاسقوهم

الغصص ثم انه فرق الالف فارس الذين معه ثلاث فرق وقد صاح فيهم وزعق فحملت خلفه تلك المواكب ودارت ببني عبس من كل جانب وركبت فرسان بني عبس عند مادهمتهم الخيل وقد أيقنت بالضر والويل وحملت بجملتها وقد أظهرت همتها ومروءتها وفروسيتها واختلطت فرسان بني عبس بفرسان بني خثعم وأدركها أنس بن مدركة بسطوته وثبت رجاله بشجاعته فأخذ من بني عبس ثلثمائة أسير من بعد أن أهلك منهم خلقا كثير وكان من جملة الاسرى عروة بن الورد لانه قد وقع به في المعمعة فقاتله ساعة واحدة فوجده في طبقة عالية من القوة والشجاعة فسلم اليه نفسه في تلك الساعة من شدة الخوف والفزع وقد خاف من القتل والهلع لان الفرسان المنتخبة من أهل العقل لا تقوم موضع الغلبة لشرف منزلتها والمرتبة (قال الراوى) ولم يزل الحرب يعمل الى أن مالت الشمس من قبة الفلك وقد ظفر من ظفر وهلك من هلك ولما انقضى القتال أخذ كما ذكرنا ثلثمائة أسير وقتل الباقين ودمرهم غاية التدمير واما الذين كانوا في الصيد والقنص فان اكثرهم هربوا وطلبوا الخلاص من الموت المعجل لان أحدهم كان يرى الغبار وينظر أصحابه وقد وقعوا في بحر ماله قرار فدبر وبطلب الاهل والديار (قال) ولما نظر أنس بن مدركة ما قد حصل بين يديه وما وصل من الاموال اليه زاد سروره وحمد عواقب أموره فأقام في تلك الارض الى أن انقطع أثر القوم وما بقى عتب ولا لوم وارتحل يطلب الاهل والديار وهو يقطع البرارى والقفار وقد شد فرسان بني عبس على خيولهم عرضا والعبيد ساقهم قدامه مع جملة الجمال وهم يجدون المسير في البرارى والقفار وأما عبلة فانها لما نظرت الى ذلك الحال صارت تكثر من الويل والبلبال وقد زاد بها الحزن وصارت تندب الاهل والوطن وهم سائرون تحت ظلام الدجا وقد علمت أنها ما بقى لها من ذلك ملجأ ولا ملتجا فصارت تشفى قلبها بالنوح والتعداد حتى أقلقت تلك الرباوالمهاد وكانت قد شاهدت ما جرى على قومها من الاهوال فسارت بناقتها في أول الجمال لانها قد ألفت السبى والاسر في البرارى والقفار وقد صار لها بذلك عادة وقد بقى لها على ذلك جلاده وكانت قد رأت أباها لما أثخن بالجراح وكيف شكته عوامل الرماح فسارت قدام العبيد وهى في بكاء وعديد وصارت تندب الاطلال والربوع وتبكى بقلب موجوع وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

يارب زمزم ومنى * قد مل قلبي الحزنا * وبعد من أهواهم * أنحل منى البدنا
ومابقى لى جسد * يحمل اثواب الضنا * فقد فقدت والدا * كان شفوقا محسنا
مازال فى لجاجه * حتى سقى كاس الفنا * وحكمت فيه العدا * حد السيوف والقنا
وها أنا من بعده * فى الاسر أشكو المحنا * والدهر قد عاندنى * وصار ذا لى دينا
ما كان فى دهرى من * يذمه الا أنا * حامى عبس هل ترى * علمت ما حل بنا
من حين ما فارقتنا * زال الامانى والمنا * وأصبحت فرساننا * نهبا بأطراف القنا
ونحن فى أسر العدا * دوما نقاسى الحزنا * فقربنا لك راحة * وبعدنا عنك عنا
ياحامى عبس اذا * تسأل عنا الدمنا * وتقتفى آثارنا * عاجل كما عودتنا
وان سمعت فى الدجا * نوح الحمام المقتنى * فاعلم يقينا أنه * يبكى علينا أولنا

(قال الراوى) ومازالت عبلة فى بكاء وصياح الى أن بدت غرة الصباح ونزل أنس بن مدركة يطلب الراحة والمقام وقد أمر من معه بترويح الطعام فحضرت العبيد النوق والاغنام ونصبوا الخام والخيام وروقوا بعد ذلك المدام لانه ما كان يفارقه مدا الايام ان كان في رحيل أو في مقام فأكل وشرب مع سادات بني خثعم وهو فرحان بما قد حوى من الاموال والانعام وقد أمرهم أن يطعموا جميع الاسارى من الرجال والنساء فأكل الجميع جملة الا الاميرة عبلة فانها لم تأكل طعاما ولم ترد على احد كلاما ومازال أنس

على

على ذلك المرام حتى مضى من النهار أكثره وبقى أيسره (قال) وكان بنو عمها الجميع قد ذكروا له ما سمعوا من فصاحة عنتر وما قال فى حق عبلة وما نظم وما نثر وما ذكروا له تلك الأخبار وأطنبوا له فى حسنها وجمالها وقد وصفوا له قدها واعتدالها قال لهم يا بنى عمى أنا أوصيكم ألف مرة بأنكم لا تصفوا لى أمة ولا حرة ولا تحدثونى الا بحديث الطعان والضرب بشفار الصفاح فانه أحب الى من وصف الخود الملاح ثم انه شرب مع أصحابه الى آخر النهار وهجع ساعة من الليل ورحل يطلب الديار وما زالوا يجدون المسير ويقطعون الفيافى والقفار على ظهر الخيل والجمال حتى طلعت الشمس على الروابى والتلال فعند ذلك أمرهم بالنزول على مياه بنى هلال * قال وكانت عبلة ما هدأت فى هذا الليل الطويل ولا قرت من البكاء والعويل والندب والويل والتنكيل لانها كانت أيست من أبيها وابن عمها وأخيها (قال الراوى) ولما ان سمع أنس بن مدركة بكاها واعوالها سأل من بعض بنى عمه عن امرها واحوالها وقال لهم يا بنى عمى ما بال هذه الجارية التى كانت البارحة تنادى فى الليل وجنح الظلام الهادى وتندب كأنها حمامة الوادى فقالوا له هذه الجارية العبسية التى وصفنا لك جمالها وحسنها ودلالها لاننا ما رأينا اقرح قلب منها ولا اكثر من حسرتها ولها يومان وليلتان ما اكلت من الزاد ولا هدأت من النوح والبكاء والتعداد ولا شك انه قد قتل لها من يعز عليها من اهلها وأقاربها او بعض والديها فقال لهم يا بنى عمى احضروها الى حتى انى اكشف عن حالها واطيب قلبها واسكن اعوالها فعندها مضوا اليها واحضروها بين يديه واوصلوها اليه وكشفوا البرقع عن وجهها فنظر الى طلعتها ورأى دموعها تسيل من طرف كحيل وقد لعقول الرجال يميل فخفق فؤاده من شدة البلبال وخيل له انها رشقت فؤاده من جفونها بنبال (قال الراوى) وكان أنس متكئا فجلس على حيله وقد تغيرت احواله وزاد عشقه وبلباله وقال لها ويلك يا جارية أقلى من ذلك البكاء والاعوال واخبرينى من قتل لك من الرجال فقالت له بعد ما سترت وجهها بكفها ونظرت الى الارض بطرفها اعلم يا مولاى ان ابى قد قتل فى هذه الوقعة فكانت بسببه هذه الفجعة وتجرعت من الغصص الف جرعة وذبت من التشتت والتعثير وما قاسيت من الهم والزفير ثم انها القت نفسها الى الارض وقد اختبطت فى بعضها وعلاندا ها وزفيرها وعويلها فقلق انس من شكواها وقد تعلق قلبه بهواها وقد استمه تباريح الهوى ومابقى يجد لدائه دوى وقد هد منه الحيل والقوى ثم انه فى عاجل الحال قال لمن حوله من الرجال ويلكم والله انى قد تاه منى الخاطر هيا احضروا الى اولاد عمها العبسيين فى هذا الوقت والحين حتى اخطبها منهم واتزوج بها الان مثلها وشكلها لا يؤخذ سفاحا واجعل مهرها اطلاق بنى عمها من الوثاق واذا لم يفعلوا ذلك قتلتهم واورثتهم المهالك واهرقت دماءهم على الصعيد والدكادك لان هذه الجارية حبها قد أشغفنى وتملك منى قلبى وكنت قبل ذلك اذا رأيت عاشقا اعذله والومه واستقل عقله واستجهله حتى ذقت العشق فى هذه الساعة وبان لى فى هذه الجارية الطماعة وعلمت انى كنت فى نوع من الجهل والتكبر الزائد وقلة العقل فاستروا يا ويلكم من الرجال وجهها واحضروا بين يدى بنى عمها ففى عاجل الحال احضروهم الى بين يديه فأعاد عليهم الكلام الذى تقدم فقالوا له ان هذه الجارية مات ابوها وامرها الآن مسلم الى اخيها ونحن له بمنزلة التبع ولا نخالفه فى جميع ما يصنع وها هو هنا مكتوف بين الرجال فى الشد والاعتقال فقال عروة وكان بجانب عمرو انى يا عمرو أشير عليك برأى وهو فيه الصواب وجيد لنا ولجميع العرب والاحباب والاصحاب ونبلغ به غاية الارب فقال عمرو وما هو الرأى يا ابن الابيض فقال عروة ان اردت ان تضرب رقبة انس بن مدركة وتورثه الدمار والهلكة فزوجه بأختك عبلة فلعل الله ان يرسل له عنتر يصرم عمره ويخمد حسه ويكفينا شره لانى يا عمرو قد اختبرت اعراسها وعرفت بأس ناصيتها وما يأتى من قياسها فرأيت كل من تعرض لها غير عنتر أصبح مطمورا فى الحفر وأنت زوجه بها فلعل الله أن يأتيه بعنتر يصرم عمره ويكفينا شره فقال

عمرو ويلك ياعروة عنترا اليوم فى بنى شيبان وقد سبق منا التقصير فى حقه وكان لاننا مازلنا نبغى عليه ونوصل الاذية اليه حتى عاد بغينا علينا وانقلعنا الى آخر الزمان وأحاط بنا البلاء والهوان وأنا وحق ذمة العرب من هذا الامر حيران ان انعمت بزواجها الى هذا القرنان أخاف من عنتران يأتى الينا ويلحقنى بأبى ولو كنت فى جر كسرى صاحب الايوان وان لم أنعم له بذلك أسقانى كأس المهالك فقال له عروة اقبل منى انت ما أشير به عليك وزوجه بها ودع عنك الهوان ولكن اشرط عليه أنه لا يدخل عليها فى ذلك المكان حتى يصل الى أرضه والاوطان واعلمه أنها متزوجة بابن عمها وأطلعه على هذه الاسباب كلها وأنا أعلم ان وجه عبلة عليه عبوس وشر وبؤس ولا يمسى عليه المساء الا وهو مطعوس ولا تختم معه ومع قومه الا بقطع الرؤس * هذا وأنس قد أنطأ عليه من عمر والجواب واشتعلت فى قلبه نار الالتهاب وكل الحاضرين يشيرون على عمرو وهو باهت فقال له أنس ياوجه بنى عبس مالى أراك ساكتا أما ترضانى ان أكون لاختك بعلا وهى لى أهلا فقال له عمرو يامولاى وحق ذمة العرب أنت الرضا وفوق الرضا ولكن أيها السيد هذه الجارية كان أبوها قد زوجها لابن عمها فيما مضى وقبض منه مهرها ما لا جزيلا وكان قد أتى به اليه من عند كسرى أنوشروان وانما غره بذلك الفعل الذميم وزين له الشيطان جحود الاحسان والجميل الجسيم وصار يهرب بها من مكان الى مكان الى أن قرب أجله وحان وأنا يامولاى من ذلك الامر حيران وفزعان ان أنا زوجتك بها ورجعت الى الاوطان فيأتى ابن عمها ويقتلنى ويجرعنى كأس الهوان ولو حمانى كل من فى بنى عبس وعدنان لانه آفة الزمان وطارقة الحدثان فقال أنس وقد صعب عليه هذا الكلام وقد اغتاظ من وصفه لعنتر بين يديه وقال له ويلك من يقال لهذا الفارس الذى وصفته فى حضرتى بهذه الصفات وحدثت عنه بذلك الخبر وهذه المقالات لانك قليل الخبرة بالفرسان والسادات فقال له عمرو ايها السيد الواثب الفارس الذى قتل خالد بن محارب وانزل على قومه البلاء والمصائب وخضع لسيفه كل ماش وراكب فقال انس لمن تعنى بهذا المقال اوجز ياوجه العرب فى السؤال وبين لى اسمه من الرجال فقال عمرو هو الاسد الضيغم وصاحب المهر الادهم والسيف المخدم الذى اذل بشجاعته فرسان العرب والعجم فقال انس لقد حيرتنى فى وصف هذا الفارس والقرم المداعس وما بينت لى اسمه ولا كشفت لى رسمه فقال يامولاى هو البطل الجواد وفارس الحرب والجلاد المسمى بعنتر بن شداد فعندها رفع انس راسه للقوم الحضار وقال هل فيكم احد سمع بهذا الرجل الجبار الذى قد رعنى بذكره هذا الغلام واوقد فى قلبى نار الاضرام (قال الراوى) لهذه الامور والاحكام فلما سمع الحاضرون هذا الكلام قال له شيخ منهم وكان قد مر عليه سنون واعوام انا سمعت به وبحديثه من مدة ايام وما حدثنى بفعاله الا رجل صادق فى الكلام واخبرنى انه فارس جيد الشيم قهر بحسابه العرب والعجم والفرس والديلم وخضعت له ملوك العرب واصحاب المنازل والرتب وما زوجه عمه بابنته الا خوفا منه ورهب وانه رماه فى الف داهية ومصيبة وعاد منها ببلوغ الآمال والارب ولما اعتراه الحياء صار يهرب بها من مكان الى مكان وقد زوجها عشرين مرة للفرسان ولا ظهر لها أمر ولا بيان واقر بها هذه المرة حيث زوجها المسحل بن طراق فأتى اليه بمائة فارس ممن له من الرفاق وقتله وتركه ملقى على الارض كأنه الفتيق وقد تخلى عنه الصاحب والرفيق وكان من طلب أن يتزوجها كانت سببا لمنيته بلا تعويق ولو كان معه عدة آلاف محققهم بسيفه تمحيق والذى يهرب منه يكون مجرحا وجاوحا وثيق والذى يلحقه يمزق كبده تمزيق وانا يا امير وحق ذمة العرب خائف عليك من تقربك لهذه الجارية وشؤم طلعتها فبالله عليك لا تتعرض لها الانى تأملت الى كعبها فرأيت فيه تدوير فعلمت بسبب تعرضك لها انه ما يبقى منا كبير ولا صغير (قال) فلما سمع انس هذا الكلام وما اعاده ذلك الشيخ من الملام زاد به العشق والغرام وتعلق قلبه بذكر عنتر وهام وقال يابنى عمى وحق زمزم والمقام والبيت

الحرام

الحرام انني من حين نشأت ماذقت طعم العشق والغرام ولادخل فى قلبى محبة ولاهيام على طول المدا
والازمان الالهذه الجارية لاجل ماعاينت من حسنها وجمالها الا انني قد أنساني هذا الشيخ عشقها وغرامها
بماوصف لى من فروسية ابن عمها لانى كما تعرفوني أحب ملاقاة الفرسان ومجاولة الاقران والصواب
عندى أن تبقى هؤلاء الاسرى على هذه الحالة فى الاسر تحت يدى وهذه الجارية الاخرى الى أن يأتى ابن
عمها ويسعى فى خلاصها هو ومن معه من رفقاه وأنا أريكم كيف افعل به عند ملتقاه ثم أمر باكرام عبلة
والقيام بواجب حقها وقد اشغل قلبه محبتها وعشقها وقال فى نفسه اذا كانت هذه الحالة حالتها وهى بذلك
الشقاء والحزن وقد البسها الله ثياب الجمال والحسن فكيف بها اذا شبعت من الزاد صباحا ومساء وأبصرت
حكمها نافذا فى الرجال والنساء ثم انهم رحلوا وساروا من هذا المكان وهم يقطعون المهامة والوديان
الى نصف النهار واذا قد طلع من خلفهم غبار وقد علا وثار وبعد ساعة تقطع ومار وانكشف عن فرسان
مسرعة وغبائر مرتفعة فقال أنس لقومه يابنى عمى ائتونى بخبر هذه الغبرة الطالعة والفرسان المتتابعة
وابصروا ان كان تحتها مال ننهبه أوشئ نكسبه ونأخذ سلبه * قال فعندها خرج من بنى خثعم مائة فارس
وهم على خيولهم كانهم الابالس (قال الراوى) وكانت هذه الغبرة التى ظهرت من البر والاكام غبرة أبى
الفوارس عنتر والامير بسطام ومن خلفهم العشرة فوارس الذين هم من بنى شيبان وكان السبب فى قدومهم
الى هذا المكان ان عنترا لما أشرف على المعمعة ورأى عمه مالك وهو من الجراح هالك سأله عن حاله
وشد جراحه وجعل عنده الامير مالك بن الملك زهير وأخوه شيبوب يحفظهم من كل هم وضير ثم قال لبسطام
هيا سرينا نجد قومنا والا تفتنا الفرص والمنى وان كنت تعزم على المسير الى أبيك فسر من هاهنا لاننا والله
قد أتعبناك معنا فقال بسطام يا أبا الفوارس أى شئ هذا الكلام فوحق الله المتعال الباقى على الدوام
الذى ركب الارواح فى الاجسام وحلل الحلال وحرم الحرام ان خدمتك على واجبة وقد أوجبتها على
نفسى مثل الحج الى بيت الله الحرام فأنا والله لا أفارقك حتى تنقضى قصتك وتزول عنك غصتك
وتدخل على زوجتك وبعد ذلك أرجع أنا وأهلى الى الحلل فقال له عنتر لا عدمتك من بطل همام وليث
عند الشدائد مقدام وأنا يا أخى أقول ان قصتى قد هانت وانتهى منها العسير ومابقى الا اليسير ثم انهم
ركبوا وساروا على الخيل وأشرفوا على القوم كما ذكرنا وهم معولون على الرحيل فهنالك تأهبوا للحرب
والجلاد فرأى بسطام الى الخيل قد تفرقت وعليها الفرسان قد ظهرت فقال لعنتر بحق ذمة العرب اتركنى
للقاء هذه المائة فارس القادمة علينا فتبسم عنتر من كلامه وقال له افعل ماتريد أيها البطل الهمام والاسد
الضرغام لانك قد اقسمت على بأجل الاقسام فعندها اطلق بسطام عنان فرسه ذات النسور واشغل
المائة فارس وكان المقدم عليهم ابن عم انس بن مدركة وهو امير يقال له مبادر بن غيلم وهو لتجمله قد
استقبل واستغنم (قال) فعندها استقبله بسطام فى الاول وسمعه وهو يقول يا ويلكم اخبرونا من اى العرب
انتم ومن اين اقبلتم من هذه السباسب من قبل ما اختلس نفوسكم واطير بهذا الحسام رؤسكم وكان مبادر قد
رأى بسطاما قد انفرد وهو طالبه فظن انه قد اتى يسأله عن خبره فوقف يسمع مايرد عليه من الجواب واستمر
على حاله فانقض عليه بسطام مثل العقاب وطعنه فى صدره فأخرج السنان يلمع من ظهره فلما ابصر بنو
عمه الى هذه الطعنة بادروا اليه كأنهم الاسود وهم ينادون واحرباه عليك يا امير مبادر واذل بنى خثعم بعدك
والعشائر ثم انطبقوا على بسطام وقد كثر منهم الكلام وصاح بعضهم فى بعض ويلكم دونكم وهذا
الشيطان خذوه اسيرا واحملوه بين يدى اميركم وابن عمكم حتى يأخذ منه بالثار وخلوا باقى رفقاه حتى
نسوقهم وراه ثم انقسموا قسمين لما سمعوا هذا الخطاب وعلموا انه راى صواب وطلب عنتر منهم سبعين
وبقى قدام بسطام ثلاثون * هذا وعنتر قد استقبل السبعين بعد ما قال لبنى شيبان اثبتوا انتم مكانكم حتى

أشفى فؤادى من هؤلاء القادمين ثم انه التقاهم بصدر جواده الابجر كما تلتقى الارض العطشانة اوائل المطر وصار ان ضرب اهلك وان طعن دمر وان قاربته الابطال نثرها مثل اوراق الشجر واذا زعق فى الخيل رجفت قوائمها واذا ازدحمت عليه الرجال طير جماجمها (قال) وكان انس قد علم بقتل عمه مبادر فتقدم الى الغبائر ينظر الى بنى خثعم وهو لسيفه شاهر وجعل ينظر لاصحابه وامل انهم يأتون بهم حتى يشفى منهم فؤاده ويأخذ لابن عمه منهم بالثار واذا بالسبعين الذين كانوا قدام عنتر قد خرج منهم خمسة وهم يضربون اكفال الخيل وينادون بالعناء والويل فقال لهم انس بن مدركة ويلكم ما حالكم لعن الله من الحاكم اذلكم فقالوا له والله يا انس ما اصاب احدا مثل ما اصابنا هلكت والله اصحابنا ولوانا وقعنا لضربت رقابنا فقال لهم وقد اندهش واعتراه الخوف والرعش وهذا كله جرى عليكم من عشر فوارس فقالوا له لا تنكر علينا ما اصابنا وما جرى لنا فان الذى فعل بنا هذه الفعال فارس واحد وهو اذا ضرب قتل وان جال حصانه نقول الغيث قد هطل وما يوجد مثله فى هذا الزمان وما كأنه الا مارد من مردة الجان لانه كان يخطف الفارس منا من بحر سرجه ويضرب به الآخر فيقتل الاثنين فبينما هو معهم فى الكلام واذا بثلاثة من الذين كانوا قدام بسطام منهم اثنان مجروحان والآخر سالم وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم انس بن مدركة وقد انقطع قلبه وزاد رعبه يا ويلكم اى شئ هذه المصائب التى قد تمت على المشايخ منكم والشباب فقالوا له يا مولانا لا تزد علينا فى الخطاب ولا تكثر علينا الكلام والعتاب فقد رأينا فارسا مثل العقاب ما رأينا مثله فى سائر الاعراب ولو كان معنا رأى وتدبير كنا تركناه ورجعنا مع الخيل التى سارت لاصحابه ورفقاه فقال واحد من الذين كانوا قدام عنتر والله لو كنتم رحلتم لرفيقه لكنتم رأيتم خيرا كثيرا والله والله وحق ذمة العرب يا مدامير ما كان يرجع منكم لا قليل ولا كثير وكان يصيبكم مثل ما اصابنا من البلاء والتعثير فعند ذلك تخيل انس بن مدركة من كيد الغيظ وقال هذا شئ لا يصدقه عقل فى احد ومالى الا قول هذا الشيخ الذى قد حل به الخوف وزاد انذهاله الذى قد وصف لى افعال عنتر واحواله وذكر لى انه لقى بنى كندة فى مائة فارس وقتل مسحل بن طراق وهيج عربه فى سائر الآفاق فمن هذه الساعة لا صار احد منكم يذكر له حسبا ولا نسبا فقال له اصحابه أيها السيد لا تحرد علينا ولا تغضب فان هذا الفارس الذى وقعنا قدامه فى البلاء وأحل بنا العطب ما هو مثل من لاقينا من فرسان العرب وما هو الا جبل من الجبال أو عامود من الاعمدة الثقال وقد سمعناه وهو ينادى ويقول يا ويلكم يا أوغاد غير أنجاد أنا عنتر بن شداد ورأيناه يا أمير يخطف الفارس من على ظهر الجواد ويرفعه من سرجه ويضرب به الارض فيخلط طوله فى العرض (قال) فلما سمع أنس بن مدركة من قومه هذا الكلام قال لهم انكم كثيرا ما تصفون هذا الفارس الذى كنا فى حديثه بالامس وقد وصف لنا هذا الشيخ صفته وقد آليت على نفسى اذا لم أقتله ما دخلت لى زوجته وما هو الا قداتى فى طلبها ولو كنت علمت بذلك ما كنت انفذتكم اليه وكان الامر قد انفصل ولكن ما علمت حقيقة الحال وانفذتكم بغير علم فأحل بكم الويال ونزل عليكم الخبال بجيوش الظلام وفى غداة غد لا يكون الا ما يريده الملك العلام ثم ان أنسا عاد الى المكان الذى كان فيه ونزل وقلبه يغلى على عنتر كغليان المرجل وكان قد عزم ان يبدل سيفه فى الاسرى ويشفى قلبه منهم مما قد حل عليه وجرى فقال له العقلاء من قومه الصواب ان تصبر الى غد أو بعد حتى ننظر أمرنا مع هذا الفارس كيف يكون فاستصوب رأيهم وقد زادت به الغبون (قال) وكانت الاسارى قد علموا بقدوم عنتر فقال عروة بن الورد لعمرو أخى عبلة كيف رأيت مشورتى عليك يا عمرو فانظر ما جرى على قوم هذا القرنان من المجرى وغدا فى باكر النهار يصبحه عنتر أشأم صباح ويفرخده ويلعن اباه وجده وهذا ما جرى له وانت ما عقدت عقدة النكاح فلو كان جرى ذلك ما كان يصبح عليه الصباح (قال) فهذا ما كان منهم وما جرى لهم من الخبر (وأما ما كان)

من

من احوال ابى الفوارس عنتر وبسطام وأصحابه الكرام فانه لما عاد من الحرب والصدام نظر بسطام القتلى بين يدى عنتر على الارض مفروشة ودماؤهم على الثرى مطروحة فتعجب من ذلك وضحك وقال واعجباه يا أبا الفوارس كلما اردنا أن نحمل عنك الاثقال ونخفف عنك الاهوال كنت انت الى المكرمات أسبق فلازلت ابد الدهر مسعودا موفق فشكره عنتر واثنى عليه وبشره بالنصر والظفر وبما تقر به مقل عينيه فقال له بسطام اى شئ قولك يا اخى فى الهجوم عليهم تحت الظلام ونمكن منهم الحسام فقال عنتر ليس هذا صوابا لانهم قد أبصرونا فى النهار وعلموا اننا فى قلة وهذا الامر الذى تقول عليه ما يتفق الا لمن يشارف العدا ليلا ويهجم عليهم بالجملة ويصيحون عليهم ولا يختلطون بهم بل يلزمون جوانبهم ويتركونهم يقتل بعضهم بعضا * قال ثم انهم ما زالوا على ذلك الايضاح الى ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وانا وانتم نصلى على صفوة الكريم الفتاح وانكشف ذيل الدجا وتنفس الصبح مبتلجا فصاح انس بن مدركة فى بنى خثعم وغاص فى الحديد وتسربل بالزرد النضيد وركب جواده وبقى عليه كأنه البرج المشيد وتحدر الى الميدان يطلب ثارا بن عمه مبادرا من عنتر وبنى شيبان فعند ذلك قال الامير بسطام بالله عليك يا أبا الفوارس دعنى أبرز للقاء هذا ابن اللئام المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه فقال عنتر لا يا أخى بل أنا له حتى يشتفى منه قلبى لانى أرى الشجاعة لائحة من بين عينيه والفروسية تشهد على عطفيه والصواب انى انجزامره واصرم عمره واذا رأته بنو خثعم وهو من سيفى قتيل تقطع قلوبهم ويحل بهم كربهم ثم انه نزل الى الميدان وقصد نحو انس وعيناه تشعل فى رأسه مثل القبس * هذا وأنس يلتفت الى اعطافه ويميز اطرافه ويجر رمحه خلف ظهره وهو سائر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

رماحى ضرب جمجمة وصدرى * وكأسى صارمى لا كأس خمر * وشربى من دم الابطال صرفا
على النغمات من بيض وسمر * وقد أصبحت نشوانا بصرف * أحس على حشاى لهيب جمر
انا انس بن مدركة المسمى * مبيد الدراعين بغير نكر * ولى قلب قوى فى طلابى
لقا الابطال اعلم ثم ادرى * ولبسى فى المعامع من حديد * وسيفى حده للعظم يفرى
وهذا اليوم اترك عبد عبس * جديلا فى الثراء لنهش نسر * واحظى بالفخار على البرايا
* بقتلته ويعلوا الآن ذكرى *

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه وشعره ونظامه تعجب من عظم حيله وكثرة تجبه وقلة عقله فصاح فيه ويلك يا ابن الف قرنان أما سمعت ما قد جرى على غيرك من الفرسان عند ذكر عبلة سيدة النسوان وأتيت تطلبها حتى تحرق بنارها فقال له أنس يا عبد السوء وابن اللئام أنا قد سمعت بحديثك قبل هذه الايام وعلمت انك عبد راعى الجمال والاغنام وقتلت لك جماعة من أوباش الرجال ولا وقع لك فارس يقهرك يا ابن الاندال ولكن اليوم ساقك القضاء والحين حتى أعجل فناك واغمد سيفى فى اعلاك ثم انه حمل عليه واشار برمحه اليه * هذا وعنتر قد زاد تعجبه من مقاله وأوسع معه فى محاله وأجابه على شعره يقول صلوا على طه الرسول

اذا لعب الغرام بكل حر * حمدت تجلدى وشكرت صبرى * وفضلت البعاد على التدانى
واخفيت الهوى وكتمت سرى * ولا أبقى لعذالى مقالا * ولا أشفى العدو بهتك سترى
عركت نوائب الايام حتى * عرفت خيارها من قبل شر * وذل الدهر لى لما رآنى
ألاقى كل نائبة بصدرى * وما عاب الزمان سوادلونى * ولا حط الزمان رفيع قدرى
ولولا لون جلدى ما تدانى * بياض الصبح عند سماع ذكرى * اذا ذكر الفخار بأرض قوم
فضرب السيف فى الهيجاء فخرى * وقوم آخرون سعوا وعادوا * حيارى ما اقتفوا أثر الورى

علوت الى العلا وسموت حتى * رأيت الشمس تحتى وهى تجرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام حمل الاثنان على بعضهما حتى ارتجت من ركض خيولهم الارض وأخذا فى الضراب والطعان والمقاومة فى الميدان واختلف بينهما الضرب بالسيف اليمان وصار الغبار فوقهما مثل الدخان وكانا تارة يفترقان وتارة يقتربان حتى تعلقت بهما الاسنة وامتدت اليهما أعناق الرجال وحامت عليهما طيور الآجال واختلفت فيهما الاقوال وتغير لسان الصدق بلسان المحال ومالت فرسان بنى خثعم من فزعها على صاحبها لانه كان حاميها ودافع مصائبها وتأهب بسطام وبنو شيبان الى لقاء الابطال وهو يقول لهم يا بنى عمى انصحوا اليوم فى القتال لانه ان تم اليوم على عنتر أمر من الامور فما فينا من يرجع الى أهله بل يكون هنا مقبور (قال الراوى) وأما عبلة فصارت تنادى من وسط الاسارى يا على صوتها المعهود يا ابن العم لا أعدمنى الله شخصك ولا جرت دمعة لفقدك فاجتهد فى اهلاك خصمك وأظهر فيه قوتك وعزمك وخلص جارية قد ساءت أحوالها وقتلت رجالها وعاندها زمانها وجفتها أوطانها (قال الراوى) فلما سمع عنتر حسها على بعد صاح فى خصمه وعاركه وصادمه وأتعبه وأكربه وتعلق باذيال درعه وجذبه وخلع رجله من الركاب ونخس جواده الذى تحته فكاد أن يخسف جنبه فخرج الجواد من تحته مثل البرق اذا برق وبقى أنس فى يد عنتر معلقا مثل الثوب الخلق فلما رأت بنو خثعم ما حل بصاحبهم حملوا على عنتر وهانت عليهم نفوسهم وطلبوا خلاص فارسهم من يد عنتر فعندها حمل بسطام فى العشر فوارس الذين معه من بنى شيبان وزعق فيهم زعقة الاسد الغضبان وطعن فى صدور الفرسان وبدد الاقران والشجعان وجعل ينادى يا أبا الفوارس احفظ أنت أسيرك أو اقتله وأنزل به العدم وأنا أكفيك مؤنة بنى خثعم وأسقى أبطالهم كؤس النقم (قال الراوى) وكان عنتر قد تمكن من خصمه وأراد أن يكتفه فعالج معه أنس بطاقة جهده وأراد الخلاص من يده فضربه عنتر بالحسام على كتفه فخرحه جرحا بالغا وأشغله بروحه ولما صار مجروح تركه على الثرى مطروح وحمل على الخيل التى مع بسطام وقد طلع الغبار والقتام وصارت الجماجم تحت الاقدام وبطل العتب والملام وقل الخطاب والكلام وبليت بنو خثعم بالبلاء الذى لا يرام لانهما لاقت فوارس فى الحرب مالها احجام وأرادت الفرار من طعن أحر من النار (قال الراوى) وكان فى فرسان ذلك الزمان من يلتقى الالف والالفين من أقوى الشجعان ويكون عليهم رابحا غير خسران فكان الامير بسطام من الابطال المعروفة فى ذلك الزمان الا أن عنترا كان فاق على أهل زمانه وكان فريد عصره وأوانه لانه رزق وقت ولادته طالعا سعيد وعطايا من الملك المجيد وقد ذكرت رواة الاخبار أنه كان خافه الله الملك الجبار وجعله نقمة على جبابرة العرب حتى مهد الارض قدام النبى المنتخب سيد العجم والعرب صلى الله عليه وسلم لانه كان فى زمان الفترة وأوان المشيئة فدمر الاقيال وأهلك الابطال من فرسان الجاهلية حتى طلعت فى أثره الشمس المضيئة شمس سيدنا محمد خير البرية وتمهدت الاقطار القصية والدنية وخمدت لهيبته النار الحمية لما بدت أنواره البهية (قال) وبمعجزاته تنكست الاصنام العلية ببيان دعوته الحقيقية بسيف الامام الكرار والاسد الفرار أبى السادة الابرار الضارب بذى الفقار القاطع رؤوس الكفار وسبيع بن الحارث الملقب بذى الجدار وعمرو بن ود العامرى رأس الجبابرة الكبار وما يخفى عليكم أيها السادات الحضار الاخبار ما قيل فى الباقين وكانوا بين يديه مثل الذئاب قدام الاسد الهدار (وعدنا الى ترتيب الكلام) ولما نظرت بنو خثعم الى ضرب فارق أمر من الصواعق وطعن يسبق مصائب الايام الطوارق انحلت منهم العزائم ونزلت عليهم البوائق وهانت عليهم الاموال التى صحبتهم والغنائم فتفرقوا فى جنبات الارض مثل البهائم وتبع بعضهم البعض وتفرقوا فى جنبات تلك الارض ومازال عنتر وراءهم فى التبع حتى انهم أبعدوا فى

تلك

تلك الارض والبقع وقد قتل منهم ثلثمائة وقتل من بنى شيبان ثلاث رجال وعادوا من خلفهم طالبين الاموال وعبلة وأمها قد أطلقتا عروة وجميع الرجال وخلصوهم من الاسر والاعتقال وساروا كلهم الى لقاء عنتر ولهم جلبة وصياح من شدة ما حصل لهم من السرور والافراح * هذا وعنتر ماله همة الا عبلة والسؤال عنها ولم يزل حتى تقرب منها فلما تقرب منها ضمها الى صدره وقبلها بين عينيها فقبلته الاخرى فى فمه ونحره وبلا من بعضهما الاشواق وتشاكيا ألم الفراق وقال لها يا ابنة العم أنظنين أنى لا أرعى أخبارك وأينما سرت أقتفى آثارك وأخلصك من العدا ولو كان أبوك من أهل الظلم والاعتدا فلما سمعت عبلة بذكر أبيها بكت عليه وقالت له يا ابن العم ان أبى قد قتل وقد لقى بغيه بين يديه واشتفى منه جميع حاسديه وتركنى من بعده حزينة ولفقده بينه فوالله لا خلعت عنى ثياب السواد ولا لباس الحداد ولا فرحت فى مواسم ولا فى أعياد فلما سمع عنتر من عبلة ذلك الكلام قال هذا الحساب الذى كنت أحسبه واحتسبه وأخشى عواقبه * هذا وقد قال لها يا منية القلب وحبيبة الصب أقلى من بكاك واسكتى عن شكواك فما أبوك الا طيب وهو فى عافية وخير وهو فى ألف سلام من الهم والضير وقد تركته عند مولاى مالك بن زهير ثم انه حدثها بجميع حديثه وكيف لقيه وهو مطروح مخضب بالدماء مجروح وما فعل فى حقه حتى زالت عنه الكروب وأعلمها انه قد ترك عنده أخاه شيبوب فزال همها وغمها واستبشرت بذلك هى وأمها ثم ان عنترا أنفذ من وقته وساعته من يأتى بأنس بن مدركة الى حضرته فسار عمرو أخو عبلة وعروة بن الورد وجماعة من بنى عمه الى مكان الوقعة الاولى وطلبوه فما وجدوه ولا رأوا له خبرا ولا أثرا بل انهم رأوا آثار دمه على وجه الارض مع الثرى (قال الراوى) وكان عنتر لما رماه على الرمال واشتغل بالحرب والقتال اغتنم هو الفرصة وركب جوادا من الخيل الشاردة وطلب وسيع البيداء وهو لا يصدق بالنجاء وأما عمرو وعروة فانهم فتشوا عليه فما وجدوه فرجعوا الى عنتر وأخبروه أنهم ما رأوا له أثرا فقال عنتر أنا الذى فرطت فى أمره وليتنى عوض ما جرحته كنت قتلته وكنت أمنت من غائلته فقال عروة لا تندم يا ابن العم على ما فات واحسب انك أخذت هذه الاموال فداءه لانه أفقر حلل العرب وقاسى عليها كل ملمة وتعب وها قد ساقها الله اليك بلا نصب وهذا كله لابنة عمك الدرة اللائحة لانك ما تدخل عليها وتخلى لبدوى فى البر سارحة ولا رائحة فتبسم عنتر من كلامه وقال لهم سوقوا هذه الاموال والغنائم والاسلاب وعودوا بنا الى أرض الرباب الى عند عمى مالك وابن الملك زهير لانى قاسى فى قهر وأنا خائف عليهم خوفا كثيرا من اجل سبب من الاسباب فعندها ساقت بنو عبس الاموال وعنتر بين يديها كأنه الاسد الريال وبسطام بجانبه على جواده ذات النسور وعنتر قدامهم ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا من بعد سكرته فؤادى * وعاد لمقلتى طيب الرقاد * وأصبح من يعاندنى ذليلا
أسير الهم لا يفديه فادى * يرى فى نومه فتكات سيفى * فيشكو ما يحن الى الوساد
ألا يا عبل لو عاينت فعلى * لبان لك الضلال من الرشاد * فان أبصرت فعلى فاشكرينى
ولا يلحقك عار من سوادى * والا فاذكرى طعنى وضربى * اذا ما لج قومك فى تعادى
طرقت ديار كندة وهى تدوى * دوى الرعد من ركض الجياد * ففرقت الفوارس فى رباها
بطعن مثل أفواه المزاد * وخثعم قد تركناها بكورا * صباحا قبل ما نادى المنادى
وخاصت السبايا من شجاع * شديد ثابت يوم الجلاد * غدوا لما رأوا من حد سيفى
دبيب الموت فى الارواح بادى * انا ابن زبيبة وعلو مجدى * يفوق على الحواضر والبوادى
ولى مجد علا فوق الثريا * وسعدى فاق فى السبع الشداد

(قال الراوى) فلما سمع بسطام هذا الكلام والشعر والنظام من عنتر البطل الهمام قال له يا حامية

عبس لقد كملت المعانى والفصاحة والشجاعة والبراعة والفروسية والرجاحة ثم انهم جدوا فى المسير حتى أمسى المساء واخذوا الراحة للصباح فرحلوا بعد ما ولى الظلام وجدوا فى المسير حتى اشرفوا على ارض الرباب وتلك الروابى والهضاب وابصر شيوب غبارهم فانحدر اليهم مثل العقاب الى ان التقى بهم ففرح بسلامتهم وهنأهم بالسلامة من الهلاك والندامة وقد رأى معهم الاموال والخيرات والنوال فسألهم عن أحوالهم وماتم لهم وماجرى عليهم فاعلموه بقصتهم وماتم لهم فى غيبتهم * هذا وقد سأله عنتر عن عمه مالك لانه قد تركه هالك فقال يا ابن الام ما هو الا قد انصلح وطاب وصار يقوم ويقعد ويأكل الطعام ويشرب الشراب وكذلك صديقك مالك فان جرحه ما عاقه عن الركوب فى البيدا ففرح عنتر بسلامتهم من الاذى والردا ثم انهم سار وا الى وسط المرج وقد التقى بعضهم ببعض ودارت فرسان بنى عبس بمالك ابن زهير وهنوه بسلامته مما كان فيه من الهم والضير وأما مالك أبو عبلة فانه التفت الى ولده عمرو وقال له والله يا ولدى ما بقى لى لسان يصف لعنتر مما له على من الجميل والاحسان والفضل والامتنان وان أضمرت له شرا بعد هذا اليوم ما أكون الا خوانا ذليلا مهان ثم انه تقدم الى عنتر وقبل يديه وشكره وأثنى عليه وجعل يمدحه بهذه الابيات

514 انظر الىّ قدمى قد غداهامى * وجود حلمك عالى المرتقى سامى
وأنت عنترة الفرسان من وهج * يوم الحروب فكم أهلكت أخصامى
لله درّك اذ ثار القتام ضحى * وأصبح السيف مجرا من الهام
أبا الفوارس يا ابن الاخ قد ظفرت * منك العفاف بطلق الوجه بسام
أوجدتنى بعد ما قد كنت فى عدم * بدلت نقمتى الحرابا نعامى
أحييتنى بعد موت كنت ذائقه * من الجراح ومن ضرو آلام
لاشكرنك فى سرى وفى علنى * بين الانام وفى أهلى وأقوامى
لازلت فى كرم بالخير فى نعم * وأنخصم فى ندم من ضربة الظامى

(قال الراوى) فلما فرغ مالك من ذلك المقال اثنى عليه جميع الرجال وقد قال له الامير بسطام اعلم يا امير ان من عادى ذلك الاسد العادى ماله عقل ولا رشاد فقال عنتر يا بسطام وحق من خلق النهار وخصه بالضياء والنور ويعلم ما توسوس به الصدور لو ملكت جميع ما فى اقطار الدنيا من الاموال ما كنت الا عبدا لهذا الامير المفضال ان طردنى اكرمته وان ابعدنى قربته وبالغت فى خدمته وان هذا المدح الذى مدحنى به هو اولى به منى ومازال على مثل ذلك المقال حتى شكره جميع الرجال وقد تعجبوا جميعهم من مروءته واثنوا على مقالته وقد باتوا فى ذلك المكان واصبحوا راحلين يطلبون الديار والاوطان * هذا وعنتر قد اقتطع من الغنيمة قطعة جيدة ووهبها للامير بسطام وقال له اعلم يا اخى انك غمرتنا بجودك والاحسان فخذ هذه قسمك واطلب ديارك ورسمك فقال بسطام كيف اسير الى ديارى وانت ما انقضى شغلك ولا دخلت على بنت عمك فقال عنتر يا اخى وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب وحق الملك الديان لا دخلت بها حتى تحضر انت وسائر بنى شيبان ان مكنتنى من ذلك الزمان ودام عمى على ذلك الحال ما اقر أفاتحه فى ذلك القيل والقال حتى انه يعود الى الصحة والسلامة وتذهب عنه هذه الكرب والندامة واذا انتجز الامر وذهبت العوائق انفذت خلفك حتى تحضر انت وجميع الاصدقاء من الخلائق ثم انهم ودع بعضهم بعضا وسار كل منهم فى ناحية من الارض وجد عنتر فى المسير فى تلك الوديان حتى وصل الى ارض ديار بنى عبس وعدنان فعند ذلك قال له مالك بن زهير يا ابا الفوارس الراى اننا ننفذ اخاك شيبوبا يعلم قومنا بقدومنا حتى يخرج الينا وسائر بنى عبس الى لقائنا لانى اعلم ان اخى شاس قد وصل واعلم انى بما جرى لنا مع الاعداء

الارجاس

الارجاس واخبره ان عملك لزم معك اللجاج بشؤمه ومكايدته واعلمه أنك مضيت مع بسطام الى حلته وانا اعلم ان عمارة واخوته يفرحون بهذا الكلام ويطمعون فى اخذ عبلة والسلام واذا وصل شيبوب واخبره بقدومنا تتبدل افراحهم بالاتراح ويحصل لهم الضيق بعد الانشراح فعلم عنتر ان قوله صواب وانه اتى براى لايعاب فاعلم اخاه شيبوب بذلك فطار كأنه عقاب ﴿قال الراوى﴾ وكان الحساب الذى حسبه مالك صحيح ومافيه زور ولا تلويح لان اخاه شاس لما فارقه وهو فى نصف الجيش وقد جد يطلب الحلة غيظا من مالك ابى عبلة فسار حتى وصل الى الديار ودخل على ابيه المفضال واعلمه بما جرى من هذه الشدة ومافعل عنتر فى بنى كندة وكيف قتل مسحل بن طراق وشتت شمل قومه فى الآفاق وكيف اخذ عمه مالكا وولده عمرا فى الوثاق وكيف قال مالك انه مايسلم ابنته اليه الا ان يقتل وتؤخذ مسيبة بعد حياة عينيه وكيف شرط عنتر على نفسه انه لايطلبها منه ولا يزوجها بغيره ولا يقيم فى بنى عبس الا بأمره وقص شاس على ابيه ماجرى لاخيه مالك فى ارض الرباب من الامور والاسباب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك زهير من ولده ذلك الكلام زاد همه وكثر غمه وقال وحق باسط المهاد ورافع السبع الشداد لازال مالك بن قراد ملازم اللجاج والعناد حتى يفرق شمل العشيرة ويشمت بنا الاعداء والحساد ولابد ان تصل اذيته الى سائر العباد ثم اقام الملك زهير ينتظر ولده مالكا ثلاثة ايام فما بان له خبر ولا جلية اثر فساء ظنه فيه وحرم على نفسه لذيذ المنام وقال لشاس ولده ربما يكون قد جرى لاخيك امر من الامور وانت كاتم عنى خبره فقال شاس ابشر يا ابتاه بالخير والسلامة فوالله ما فارقته الا وهو على غاية من الكرامة وانا اقول ان تأخره ما هو الا لسبب ور بما يكون مالك ابو عبلة اخذ ابنته وهرب فقال الملك زهير والله انك قد اسأت التدبير وفرطت فى امر اخيك كثير فبينما هم فى مثل هذا القيل واذا بالمنهزمين قد وصلوا اليه وتمثلوا بين يديه واعلموه بما جرى عليهم من انس بن مدركة فى ارض الرباب واعلموه ايضا بما حصل لهم من الامور والاسباب واخبروه ان ولده مالك فارقهم فى طلب الصيد والقنص ولم يدروا ما تم عليهم من الغصص فزاد بالملك زهير الوسواس وحرد على ولده شاس وقال له نادى الفرسان وأنذر جميع الشجعان حتى نسير الى ارض الرباب وننظر آخر هذا المصاب لئلا يتم عليه سبب من الاسباب ﴿قال الراوى﴾ وكان عمارة بن زياد حاضرا عند ذلك ففرح بهذا الخبر لانه سمع بغضب عنتر فقال لاخيه الربيع انى قد تمكنت من عبلة الآن ونلت ما كنت اريده من سابق الزمان لان هذا الاسود مابقى يعود من بنى شيبان فقال الربيع يا عمارة ما انت الا رجل كثير الاطماع ولا تزال فى هذا اللجاج حتى ترمينا فى كثرة المصائب والنزاع * هذا وبنو عبس قد امرهم شاس ان يتأهبوا للمسير كما امره عند ذلك كبيرهم والصغير والعبد منهم والامير فعند ذلك تتابعت منهم الفرسان وغاصت فى الحديد والزرد جميع الشجعان وركبت وعلى المسير عولت فبينما هم كذلك واذا قد اقبل شيبوب وهو مثل الريح الهبوب فنظر الحى وهو فى انزعاج وهوج وارتجاج فقال ما الخبر واى شئ جرى وتدبر ثم سار الى محور اية الملك زهير وقد نظرته الرجال وطلبته الخيل وقالوا له ويلك يا ابن السوداء اى شئ معك من الخبر فقال وصل مولاى مالك واخى عنتر فلما سمعوا ذلك منه فرحوا واستبشروا وسارواحتى اشرفوا على بعضهم فى اواخر النهار فالتقت الجميع عند الصباح وقد زالت عن قلوبهم الاتراح واعتنق الملك زهير ولده وقد هدأت نيران كبده لانه كان يحبه اكثر من اخوته وعاد الى عنتر فرآه قد ترجل لخدمته وقد تقدم اليه وباس رجله فى الركاب فشكره الملك زهير وقال له يا ابا الفوارس قد هجرت الخلان والاصحاب وقطعت الزمان فى الشقاء والحرمان وهانت عليك الامور بعدك عن الاوطان لخدته مالك بما جرى له من العبر وكيف ان عنترا فنى بنى خثعم بسيفه الظامى الابتر واخذ غنائمهم والبدر وكيف قد خلص الاسارى من الضرر والقصة التى جرت لهم فى وادى الرباب وما جرى من الامور والاسباب

وبعدها نزل الجميع فى هذا المكان وفرحت الاخوان بالاخوان (قال الراوى) ولما اقبل النهار رحلوا طالبين الديار وحصل لهم الفرح والاستبشار الا انه مانزل عنتر حتى فرق من الغنيمة الاكثر واغنى عروة ورجاله وقسم الباقى على ابيه واعمامه وسارت عبلة الى بيتها وفرحت بها اهلها واحبتها وكان لها جارية اسمها رابعة كأنها الشمس الطالعة وتلك الجارية سمرة حبشية وكانت تحبها عبلة محبة زائدة من دون امائها لانها كانت اخذتها عبلة من قسمها لما فرق الغنائم ابن عمها وكانت اجتمعت بها عند انس بن مدركة مسبية فوجدتها فصيحة اللسان كاملة المعانى والعرفان فتسلت بها عبلة مما قاست فى بلاد الغربة وصارت عندها اعز من اهلها والاحبة وقد حبها الامير عنتر لاجل محبة عبلة (قال الراوى) ولما اجتمع الجميع بأرض الشربة واجتمع الاحباب بمن لهم من الاحبة وقد فرحت الاخوان بلقاء الاصحاب وطاب لهم الطعام والشراب وصار عنتر كل يوم يتردد بالدخول والخروج والنظر الى وجه عبلة والنزهة على الغدران والمروج (قال الراوى) واما عمارة بن زياد فانه وقع على فراش الاسا وزاد عليه الهم والعنا ولما طال عليه الحال جاءته امه وقالت له ياولدى اخبرنى عن حالك واى شئ الذى غير كل احوالك عسى اجدلى سبيلا على دفع اعلالك فقال لها ياأماه مرضى وسقمى وذلى ومابى من العبر سلامة هذا العبد واذلالى عنتر لانه قد عاد وهو سالم ومعه هذه الاموال والغنائم وعمه قد ذل له ذل العبيد واحبه بعد العناد الشديد وقد عوّل عند خروج سقمه الذى هو فيه انه يزف عبلة عليه وانا اموت بحسرتها وان هذا الامر عظيم يترك المعافى سقيم كيف اكون انا عمارة بن زياد واخوتى ستة اجلاد ولا نقدر كلنا على عنتر بن شداد (قال) فلما سمعت امه سياق مقاله بكت على احواله وقالت له لو كان لى وصول بعبلة كنت اوصلها اليك ولو كانت روحى التى بين جنبى نخلعتها عليك وان عنترا ياولدى مابقى يعادى لكثرة احبابه وقد عظم شانه وغالب فرسان العشيرة صارت اعوانه فقال عمارة ياأماه ائتينى بأخى الربيع لعل يكون لى على يديه فرج سريع فعند ذلك سارت وماغابت الا شيأ يسيرا وجاءت ومعها الربيع وهو معها يسير فشكا اليه عمارة مايجده وشرح له كل قصته وماجرى من بليته فعندها بكى الربيع ونتف لحيته وقال له ياويلك أى شئ أفعل فى عنتر ياويلك اترك عنك هذا اللجاج فما بقيت أقدر لك على انفراج ولا أزيل عنك هذه الكربة ولا أقدر أعاند رب السماء الذى بلغه هذه المنزلة والرتبة لان كل القبائل اليوم معه وتسمع قوله وتتبعه وانا فى قلبى منه اشد مما فى قلبك له ولكن انا احمل منك واجلد واصبر على هذه الامور المقضيات وها انا صابر له حتى انتظر الفرصات ونقدر على هلاكه بأى الحالات فقال عمارة كيف اصبر ياأخى على هذه الامور واعانيها وعنتر كل يوم يصابح عبلة ويماسيها ويتلذذ منها بالكلام والاجتماع ليلا ونهار ولو كانت قتلت هذه للخناء فى بعض المهمات التى وقعت فيها كنت استرحت من هذه الامور ولا عانيها وسرت انا وعنتر باسوا والآن ياأخى بقلبى من اجلها علة ما لها دوى فقال له الربيع ان كان قصدك قتل عبلة انا اعمل لك على هلاكها وفنائها وانا اعلم انها اذا هلكت هلك عنتر وراءها ثم انه قام من وقته وساعته ودخل مضربه وبات يتفكر فى خداعه ومصائبه حتى انجلى الليل وغابت جميع كواكبه (قال الراوى) ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح جمع عبيده واماءه واجتمع بهم سرا بينهم وقال لهم هل فيكم من له خلطة بعبيد بنى قراد واما ئهم حتى كنت ابلغه منهم المراد فقال له بعض العبيد انا يامولاى تحبنى فائقة امة عبلة محبة صادقة وتموت فى هواى وتطلب رضاى وانا ما التفت اليها الاجل مابينك وبين بنى قراد من البغضاء والعناد وخوفا على نفسى من عنتر بن شداد فقال له الربيع لاتخف من احد من العباد مادام مولاك يحفظك من الاعداء والحساد ومن اليوم أظهر لهذه الجارية المودة والمحبة وان أطاعتك هاتها الى أبياتنا واخل بها فى حينا حتى أقول لك ما تفعل ويظهر لك بعد العمل فأجابه العبد بالسمع والطاعة وسار

من

من هذه الساعة بعد ما أعلمه أنها تحبه محبة عظيمة وقال له انها قد قالت لى ألف مرة خذنى واهرب بى الى بعض أحياء العرب حتى آتيك بشئ كثير من الفضة والذهب وآخذ جميع مال مولاتى عبلة وأعيش به أنا وإياك عيشة الهنا فما رضيت أنا بذلك خوفا منك ومن عنتر ان يسقينى كأس المهالك (قال) فلما سمع الربيع ذلك الخبر فرح منها واستبشر وعلم ان الامر قد تيسر فقال له سر وها تها الى أبياتنا وأنا أبلغك المنا وان أردت اشتريتها لك بالكلية وأعتقك من رق العبودية فعند ذلك سار العبد الى أبيات بنى قراد واجتمع بالجارية وأشار عليها بالمسير الى أبيات بنى زياد فأجابته الى ذلك لكى تبلغ منه المراد ومازال الاسائرين الجميع الى أن أقبلا الى بين يدى الربيع فلما رآها الربيع فى أبياته انطفت نيران زفراته (قال) وكان الربيع نصب لها خيمة لطيفة الابريسم وحط عندهم الطعام وأكثر لهم من الشراب والمدام وأمر العبدان يخلو بها فكان الامر كما ذكرنا واجتمع العبد بفائقة وكان لهم ساعة من النهار رائقة فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا والتصق زيد بعمرو وتم الحال وقضى الامر وكان عندهم هذا اليوم من غاية الافراح ومازالوا كذلك من المساء الى الصباح وأحضرهما الربيع بين يديه وقد قرت بذلك التعريض مقل عينيه وأشار بالخطاب الى الجارية وقال لقد قدمرنا اليوم فى اكرامك يا فائقه ولكن الايام بيننا متتابعة ولابد أن أشتريك من مولاك وأقر بذلك عينك وأزوجك بهذا عبدى وانه عندى أعز من ولدى لما له على من الخدمة فقالت له الجارية يا مولاى أنا أمتك وأمة عبدك وانى مطيعة له ولك فى جميع أمرك ولو قال لى اقتلى نفسك لفعلت ذلك بغير انكار وأطيعه فى كل ما يحب ويختار ففرح الربيع بقولها وقد أعجبه مقالها وعلم فى نفسه أن حيلته تمت وما بقى كلام وقد بلغ من عنتر وعبلة المرام (قال الراوى) وكان للربيع المحتال الخوان صديق من بنى شيبان يقال له مفرج بن هلال ولما ان دبر الربيع ما دبر من النقض والابرام أرسل الى صديقه هذا مفرج يقول له ارسل لى من عندك عشرة فوارس يكونون شدادا أعيان حتى أرسل لك معهم وديعة تعز علينا وانها لا تقاوم بأموال وكان رسوله عبدا من عبيده الانجاد فسار وسلك البر والمهاد الى أن وصل الى مفرج ابن هلال وأعلمه بذلك المقال فأجابه الى ذلك الشان وأرسل معه عشرة فرسان مع ابن عم له يقال له سنان وقال لهم سيروا أنتم الجميع مع هذا العبد الى صاحبى الربيع ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فأجابوه بالسمع والطاعة وسار وامع ذلك العبد فى تلك الساعة ومازالوا يجدون المسير فى ذلك البر والهجير الى أن وصلوا الى منازل بنى عبس وكان ذلك عند غروب الشمس فأنزلهم العبد فى مكان خالى من الرجال وسار الى مولاه يعلمه بذلك الحال فأدخلهم الربيع الى أبياته ليلا وأكرمهم غاية الاكرام وقدم لهم الطعام والشراب والمدام وأكرمهم هكذا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال سنان للربيع أين الحاجة التى دعوتنا اليها فقال سوف أطلعكم عليها ثم انه خرج من عندهم وأحضر عبده الاصلى وأمره بحضور الجارية فائقة فسار العبد وأحضرها وقد كانت له موافقة وما بقيت بين يدى الربيع صنع معهما من الاكرام فى ذلك اليوم أحسن صنيع وقال لها بعد ذلك انى أريد منك يا فائقة ان تقضى لى حاجة ولا أريد منك سواها وأنا أضمن لك عتق رقبتك وأبلغ نفسك مناها ثم تقدم اليها وقبل رأسها وبكى بين يديها وأقسم عليها بحياة معشوقها أن تقضى له حاجته التى لها دعاها وقال لها لا تخالفينى فيها فقالت له يا مولاى قل على عليها وأعلمنى بحاجتك التى تريدها حتى ابلغك اياها ولو كان فيها اتلاف مهجتى وهلاكى ومنيتى فقال لها اعلمى ان أخى عمارة قد أشرف على الهلاك وسوء الارتباك ولا بقى له من الموت فكاك وكل يوم أدخل عليه وأقول له ماذا تريد فيقول لى ما أريد الا نظرة من وجه عبلة ابنة مالك حتى أتمتع بها قبل خروج روحى من بدنى ووقوعى فى المهالك فقالت له الجارية يا مولاى هذا هين على أمتك غير عسير ولابد ان أخلى أخاك يتمتع بها قليلا وكثير فقال لها وما عولت ان تفعلى من التدبير فقالت له اعلم ان مولاى عنترا يقيم كل ليلة

فى أبيات مالك بن زهير ولا يأتى من عنده الا فى ثلث الليل الاخير وأنا أقول لمولاتى عبلة ان ابن عمك عنتر يقول لك الليلة اطلعى للغدير حتى نتكلم معك بما نجد من الكلام اليسير فاذا طلعنا من الابيات وسرنا الى الغدير فيكون أخوك عمارة تزيارنى العبيد ويأتى الينا وقد بلغ ما يريد (قال الراوى) فلما سمع الربيع كلامها تبسم وقال ان الامر قد احتكم ثم أظهر الفرح والطرب وأخرج لها من عنده دملج ذهب وقال لها خذى هذا حلاوتك فامتنعت الجارية من ذلك وقالت له يا مولاى ما هنا أمر يوجب لهذا الشان وان كان هذا من بعض انعامك والاحسان فاتركه لى عندك على سبيل الوديعة لانى أخاف أن يسألنى مولاى عنه وما أدرى ما أقول له ثم انها انصرفت من عنده وعاد الربيع الى فرسان بنى شيبان وأعلمهم أن الجارية قد انتجز شغلها وقال لعبده خذهم واكمن بهم فى جانب من الغدير واذا رأيت عبلة قد وصلت فأرينيها فقال سنان وما ذنب هذه الجارية يا ربيع فقال انها زانية وفى فعلها خائنة وأريد أن تأخذوها معكم الى الديار حتى أجىء اليكم وأخفى منها الآثار لانى أردت قتلها فى بلاد بعيدة لينكتم حالها عن أهلها وما يحتاج أن أصف لكم ما فيها من الحسن والجمال والقد والاعتدال والملابس الغوال فعندها صار سنان وأصحابه للغدير وما أكمنوا فيه الاشيأ يسير واذا بعبلة قد أقبلت هى ومن معها وكان السبب لمجيئها الامة فائقة لانها لما عادت من عند الربيع دخلت على مولاتها وقالت لها اعلمى أن مولاى عنتر قال لى اطلعى ببنت عمى الليلة الى الغدير حتى أتكلم معها قدر شئ يسير فلما سمعت عبلة هذا الكلام صدقت وسارت معها رابعة المتقدم ذكرها وقد كانت لا تفارقها فى سيرها ومقامها فلما وصلت الى الغدير وأرادت الراحة من ألم المسير واذا بالعشرة فوارس قد طلعوا عليها وصاح فيها سنان فأرعبها وجذبها من يدها ورفعها وأردفها وراءه وشئ يسير ونزل بعض الفرسان وكتف رابعة وفائقة وطرحهم على جانب الغدير وسار سنان ومن معه بعبلة حتى وصلوا الى ديارهم فهذا ما كان من عبلة وما جرى من ذلك الامر النكير (وأما ما كان) من عنتر الاسد الشرير فانه ما زال عند مالك بن زهير كما جرت له بذلك العادة الى ثلث الليل الاخير وسار وأخوه شيبوب فى ركابه الى أن وصل الى أبياته وأراد أن يفرج ما به من الزفير بالنظر الى عبلة ووجهها المنير فما لقى لها فى أبياتها خبر ولا وقع لها على أثر وفى عاجل الحال شاع الخبر بفقد عبلة من الحلة وسمع بذلك الصغير والكبير وان عنترا كان فى تلك الليلة مخمورا فانتبه وقد غاب عنه الفرح والسرور وهو يقول ويلكم ما الذى جرى عليها وأين غدت من أبياتها ومضاربها وفارقت أهلها وحبائبها فقال أبوها ما أدرى ما الذى جرى عليها وما فعل الزمان بها وما كأنها الا طارت من خدرها وانهتك بين الرجال سترها وما أدرى ما أصابها ومن اخذها من خلف حجابها ثم انهم تحركوا على ظهور الخيل وطلبوا الغدير وعادت الخيل من كل جانب تسير ولما وصلوا الى جهة الغدير والبنات رأوا رابعة وفائقة مكتفات فعلا صياحهم ونزلوا لخلوهم من كافهم وسألوهم عن أحوالهم وما الامر الذى اوجب اتلافهم ومن أخرجهم الى هذا الغدير وقالوا أين مولاتكم عبلة وأى شئ هذا الفعل النكير فقالت لهم رابعة أما مولاتى عبلة فقد اخذها ركاب الخيل وساروا بها من أول الليل وطلبوا بها البر والهجير وأما نحن فقد كتفونا كما ترون ورمونا على جانب الغدير فقالوا لهم ومن هو الذى أزعجكم وأتى بكم الى ههنا حتى قل عنكم الهنا وقاسيتم ذلك العنا فقالت رابعة يا مولاى ما أزعجنا وأتى بنا الى هذا المكان وأخرجنا من أبياتنا بغير مراد نا حتى ذقنا ذلك الهوان الا هذه الجارية فائقة بنت الشيطان لانها قالت لمولاتى عبلة اطلعى الليلة على الغدير بوعد من ابن عمك عنتر حتى يتحدث معك على ما فى قلبه من القهر فلما سمع شداد هذا المقال صاح فى فائقة وقال لها ويلك يا بنت الاندال ومن قال لك على هذا المقال فقالت له يا مولاى خذلى من مولاى عنتر الذمام وأنا أعلمه بما صدر من الاحكام فأخذها شداد الى قدام عنتر وأعطاها الذمام فقالت له اعلم يا مولاى ان جميع ما جرى لمولاتى عبلة ولنا من الآلام كان سببه

الربيع

الربيع بن الهمام ثم انها أعلمته بما دبر الربيع من الكلام وكيف أمر عبده أن يأتى بها الى أبياته والخيام وكيف أعطاها الدملج الذهب وأبت أن تأخذه وكيف أمرها ان تطلع مولاتها عبلة الى الغدير حتى يراها أخوه عمارة الطنبير ليطفئ بنظرها ما بقلبه من الزفير ثم انها أخبرته بما تقدم من الاحكام والاعادة ما فيها افادة والسلام فقال عنتر يا لخناء وانت على شأن هوالك وغرضك تطلعى بمولاتك وتوقيعها فى الهلاك وسوء الارتباك ولكن وحق ذمة العرب الكرام لولا ما صدر لك منى من الذمام لحلقت رأسك بهذا الحسام ولكن قتلك ما يشفى لى غليل وأنا أعلم ان هذا آخر العهد بينى وبين ابنة عمى عبلة ولولا هيبة الملك زهير نسل الاجواد لبذلت سيفى هذا فى بنى زياد وأجعلهم أحدوثة بين العباد فبينما هم فى هذا الكلام واذا برسول الملك زهير قد وصل اليهم وأعلن بالسلام عليهم وكان الخبر قد وصل اليه بما جرى لعبلة من السبى والانتهاك وسوء الارتباك ولما وصل العبد اليهم قال لهم يا موالى أجيبوا ملك العرب زهير بن جذيمة صاحب الافعال الحميدة العميمة فتوا ثبت فرسان بنى قراد وسارت الى عند الملك زهير وجلسوا على قدر مراتبهم بعد ما أعلنوا بالسلام عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم يا بنى العم ما الخبر وأى شئ الذى تم لابنتكم من الهم والضرر فقال مالك أبو عبلة يا ملك أى شئ الذى نقوله من الهم ولا نكاد فما لنا خصم فى ابنتنا الا الربيع بن زياد فهو الذى فعل معنا هذا الفعل والكيد (قال الراوى) وكان فى تلك الساعة الربيع حاضرا بمجلس الملك زهير فلما سمع فى حقه هذا المقال اظهر الخديعة والمحال وقال يا بنى الاعمام من قال لكم على هذا الكلام وفعل فى ابنتكم تلك الفعال والهم والنكال فقال مالك قالت لنا جاريتنا التى اعطيتها الدملج الذهب من يدك وبلغت من بنتنا مرادك وغاية مقصدك فقال الربيع يا بنى الاعمام لا تسمعوا فى كلام امة ذميمة لانها تعلم ما فى قلوبكم من الاحقاد القديمة فوحق اللات والعزى ما عندى علم بهم ولا الاحوال ولا ينبغى لى ان اسبى ابنة عمى التى هى من لحمى ودمى وعارها يلزمنى ولكن انتم معذورون وان شاء الرب القديم ما اعاتبكم بهذه الاقوال حتى تظهر ابنتكم وبين الحق من المحال فقال الملك زهير يا بنى عمى الصواب ان يرحل الربيع الى بنى فزارة ويترك هذه الديار حتى يجتمع عنتر بابنة عمه ويبلغ ما يختار * هذا وعنتر قد سكر من غير مدام وقد ارسل جماعة من العبيد تكشف له الاخبار وبقى منكس الراس بادى الحواس ودموعه تجرى على خديه كأنها الانهار وهو فى اسوا حال ولم يرد على احد مقالا ولا كلام وترك الاكل والشراب ثلاثة ايام ولا عاد يخرج من الخيام وصارت اولاد الملك زهير حيارى من شانه وكذا سائر اخوانه واعوانه وما طاب لهم عيش هنى لاجل همه وغمه وهم يشاغلوه بالكلام ويقولون له والله يا ابا الفوارس انه ما جرى على ابى عبلة واخيها وامها مثل ما جرى على قلبك قال صدقتم يا موالى لانهم ما يريدون حياتها من اجلى (قال الراوى) ولما زاده الامر دعا بأخيه شيبوب فحضر بين يديه وهو من اجله مكروب ولما نظر الى عنتر ورأى اليه ودمعه مسكوب كاد قلبه من أجله يذوب فقال له عنتر ادركنى يا اخى قبل ان اذوق الحمام وانهض واقطع البر والآكام لعلك لا ترجع الا بخبرها عسى انك تطفئ ما بقلبى من لهيب فراقها ثم انه انشد وقال

شيبوب ويحك ما ترق لحالى * فقدى لعبلة زاد فى بلبالى * اصبحت مسلوب الفؤاد مولها
ابكى بدمع زائد هطال * فلاهجرن النوم بعد فراقها * ولاكثرن الوجد مع بلبالى
حتى يرق لى الحمام اذا بدا * حزنى ويسعدنى على اعوالى * ولاجلها ما عدت اركب ابجرا
ابدا لاجل مسرة الاقوال * اترى يعود الشمل يجمع بيننا * حتى نسر بغاية الآمال
يا ليل هل بعد الفراق تجمع * ام فى الكرى احظى بطيف خيال * يا ليل هل من مسعف او مخبر
عنك ويسمع قصتى وسؤالى * اما يبشرنى بحسن سلامة * اوان يعذبنى بعظم نكال

هـــذى فعال بنى زياد انهـم * اهـــل النفاق بقية الانذال
فلسوف ابلغ منهمو كل المنى * بالسيف بل أفرى قوى الاوصال
شيبوب اخى انهض سريع ولا تقف * واكشف خبر عبلة مع الاحوال
مالى سواك بسير يكشف كربتى * فى مهمه الاوعار والاجبال
واقصد الى حلل القبائل واقتفى * اخبار عبلة كاشف الاحوال
واقصد الى ارض العراق عساك ان * تلقى بها حالا لوجدى غير حال
لاطاب لى عيش هنى بعدها * حتى تبشرنى بحسن مقال

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب كلام اخيه عنتر ونثره ونظمه سار من وقته وساعته يكشف اخبار عبلة بنت الكرام وسنذكر ما به يتم له الكلام (واما ما كان) من الربيع بن زياد فانه امتثل قول الملك زهير ورحل من ارض بنى عبس عند طلوع الشمس ورحل معه اربعمائة بيت ممن يغرض له ويوافقه على عداوة عنتر بن شداد وخاف الربيع من بنى قراد لانه راى قلوبهم عليه ملآنة احقاد ومازال سائرا يقطع البر والمهاد حتى وصل الى بنى فزارة الطائفة الغدارة فالتقى به حذيفة بن بدر واخوته جل ويزيد وحنظلة وقد كانوا يألفونه لما يعلمون منه انه معادى عنتر بن شداد (قال الراوى) وكانت بنو فزارة تكره عنترا لما وجدوا وما ظهر منه من تشييد المناقب وكيف جعل فرسان بنى عبس فى أعلا المراتب وكانت عرب هذا الزمان يحسد بعضهم بعضا على علو المنزلة (قال) واما وصل الربيع الى حيهم استقبلوه واكرموه اكراما زائد الوصف وبقى عندهم أحسن من القبض والصرف وبعد ما سألوه عن بنى عبس وعدنان ولاى شئ رحلوا من الاوطان فأخبرهم بما جرى لعبلة من الضيعان وكيف اتهمه بها بنو قراد وكاد السيف أن يقع بينهم والعناد وكيف امره الملك زهير برحيله الى ها هنا وترك العناد فترحبوا به واكرموه غاية الاكرام واقام الربيع عندهم مدة عشرة من الايام وقال فى نفسه ربما ان سعد هذا العبد ولد الزنا يغلب سعدى ويسير أخوه شيبوب فى طلب عبلة بنت مالك وبلتقيها فى بنى شيبان ويعود الى أخيه يخبره بها ويسير فى طلبها ويخلصها مما هى فيه من الهوان وتقول له بما صدر منى من الامر والشان وابقى عنده فى غاية النقصان والرأى انى أسير اليها وأأمر مفرجا بقتلها واقسم بينى وبينه اموالها وما كان عليها من الجواهر والمرجان (قال الراوى) ولما خطر بباله هم الخاطر اخذ الآن من حذيفة واخوته ثم اعلمهم انه سائر الى الملك النعمان يهنيه بالملك الذى صار فيه ويأخذ منه الاحسان لانا اخبرناكم انه تولى الملك بعد ابيه (قال الراوى) ولما استأذنهم فى السفر أجابوه الى ما طلب فصار ولم يأخذ معه غير عبده سالم ولم يزل سائرا يقطع الفيافى والوديان حتى وصل الى حلة بنى شيبان ودخل على مفرج بن هلال فاستقبله احسن استقبال واكرمه غاية الاكرام ولما قر به القرار واستبه الدار سأل مفرج عن عبلة وما كان منها فقال هى عنده مقيمة فأمره بحضورها فحضرت ولكن بغير ملابسها وكان الربيع متنكرا حتى لا تعرفه عبلة فقال الربيع لمفرج واين الاموال والحلى والحلل الغوال فقال مفرج وحق الملك المتعال ما رايت مما ذكرت لى عليها شيأ من النوال وان هذه ما يقدر عليه ملك من ملوك الزمان ولا يقدر على ما تقول من هذا المقال نخل يا ربيع عنك هذا الخيال فهذه امراة ضعيفة من اين لها هذه الاموال والجواهر واللآل فقال الربيع ايها الامير يكون على علمك ان هذه الجارية ما هى من بنات العرب لجهال هذه عبلة ابنة مالك بن قراد وابن عمها عنتر بن شداد الذى عند ذكره تشيب الاطفال فى المهاد وسائر الملوك تتقى شره وتعطى له الغفارة والاموال وان هذه الاموال التى قلت لك عليها والحلى والجواهر الحسان قد أخذها عنتر من عند كسرى أنوشروان والملك قيصر ملك عبدة الصلبان ومن عند الملك المنذر اما مضى فى طلب مهرها فيما تقدم من سابق الزمان ثم انه قص عليه الخبر واطلعه على

باطن

باطن الامر (قال) فلما سمع مفرج هذا الكلام انذعر وكثر خوفه والفكر وقال يا ربيع انت صديقي من سنين واعوام وبيني وبينك صداقة لا تنقضها الليالي والايام فكيف طاب على قلبك ان تخصني بذلك العنقود الحامض والبلاء اللازب من دون الانام فوحق ما يظهر من الحرارة والانوار لو علمت أن هذه الجارية على هذا الحال ما كنت أنفذت اليك أحدا من الرجال ولا كنت أدخلتها الى أبياتي ولو أن في يدها موتي وحياتي وانما لما قدم بها ابن عمي سنان الى ههنا فسألته عنها قال لي ان هذه الجارية زعم أهلها أنها أفسدت مع بعض العبيد ويريد مولاها أن يقتلها بهذا السبب في مكان بعيد بعدان يعذبها العذاب الشديد حتى لا يأتي من أجلها تنكيد فاحفظها له حتى يأتي اليها يفعل بها ما يريد فظننت أن هذا الحديث حق وصدق فتركتها عندي بين النسوان وهي في ثياب الذل والهوان واني الى الآن ما رأيتها ولا وقعت عيني عليها ولا شاهدتها فبالله عليك يا ربيع خذها واكفني شرها وخلصني من أمرها ولا تجلب لي هما وغما بأمرها وبيها فما أنا من رجال عنتر ابن عمها ولا أنا أقوى من كسرى ولا من قيصر لاني ما أنا قليل العقل حتى عادى عنترا الاني قد سمعت جميع أفعاله وسائر أقواله وكيف أذل من اجلها بني زبيد وشتتهم في القفر والبيد وقتل خالد بن محارب وأقام في حيهم البكاء والنوادب وشتت بني كندة في سائر الآفاق بعد ما قتل مسحل بن طراق واذل بني خثعم في سائر الآفاق فتبسم الربيع من مقاله وقال له أيها السيد العظيم أتخاف من ذلك العبد الزنيم وهو في الاصل لئيم ولا أب له كريم وأنت ملك من ملوك الاقاليم وخلفك مثل الملك النعمان وهو ملك سائر العربان وان جرى عليك أمر من الامور فهو يعينك على هذا الشيطان ولكن احضر لي ابن عمك سنان حتى أسأله عن الاموال والجواهر الغوال فأرسل مفرج خلفه في الحال فلما حضر سلم وأعان بالسلام على من حضر فترحب به الربيع وأجلسه الى جانبه ولما ان استقر به القرار سأله الربيع عن الاموال التي كانت على عبلة والملابس الغوال فأجاب ولم يقدر على انكار وقال الجميع عندي وقام وأحضر الاموال الجميع قدام مفرج والربيع وما عدم منها الا عقد جوهر مثل قص الاظفار يساوي ألف دينار فعلم الربيع انه برطل به الرجال الذين كانوا معه وأوصاهم بكتمان الحال (قال) هذا ومفرج لما نظر الى هذه الاموال أخذته الحيرة والانذهال وقال والله لقد صدقت يا ربيع لان هذا المال شئ كثير لا يقدر عليه الا ملك كبير ولكن اعلمني كيف يكون التدبير في هذا الامر النكير فقال له الربيع هذا نقسمه قسمين تأخذ أنت نصفه وأنا نصفه ونقتل هذه الجارية ونواريها في التراب وتدتمت هذه الامور والاسباب فقال مفرج لقد قلت الصواب ونطقت بالامر الذي لا يعاب ثم ان مفرجا شال رأسه من وقته وساعته الى عبد من عبيده وكان رباه من الصغر وأطلعه على خزائن أمواله والدرر وكان يدخره للشدائد ويطلعه على سائر الاوابد وكان يقال له بشارة بن منيع وكان له في سائر الامور مطيع وقال له اعلم يا بشارة اني أريد منك الليلة اذا جن الظلام ان تأخذ هذه الجارية العبسية وتخرج بها من الخيام وتقتلها وتخفيها تحت الرمال واحذر من أن يشعر بها أحد من الانام فأجابه العبد بالسمع والطاعة وسار الى ما أمره به مولاه من تلك الساعة وأما مفرج والربيع فأخذوا في شرب الراح والطرب والانشراح * هذا والربيع يقول أنا ما بقيت أعود الى الاوطان حتى اني أسير الى الملك النعمان وأسلم عليه ويبقى لي بذلك حجة أحتج بها اذا عدت الى الاوطان ولا يقال عني اني غبت هذه الغيبة لمثل هذا الامر والشان فقال مفرج ان كان قصدك ذلك فسر بصحبتي لاني سائر اليه وأتركه يبذل لك الاحسان ومازالوا على ذلك الكلام حتى انسدل الظلام فأتى اليهم بشارة بن منيع واستأذن في قتل عبلة مولاه والربيع فقال له سر الى ما أمرتك به * هذا والربيع صاح عليه وأتاه بسكين ماضية وقال له اذبحها بها واجعلها معك تذكرني بها طول الدهر والسنين فأخذ بشارة السكين وخرج من عندهم وركب جواده وسار حتى وصل الى مضرب الجواري فأخذ عبلة وأردفها خلفه وسار بها وهي لا تدري ما يفعل

بها ولا ما يجرى عليها وهى تبكى وتسيل العبرات وتلتفت الى اليمين وشمال ترتجى مجيرا وناصرا أو معينا يخلصها من تلك الاهوال (قال الراوى) ولما أبعد بها بشارة عن المضارب والخيام وسار فى وسط السباسب والآكام قالت له ويلك ياعبد الاجواد والسادة الاكابر الى أين أنت غادى وسائر فى جنح هذا الظلام العاكر فقال لها اعلمى يا ابنة الاجواد أننى ماض بك الى الهلاك والنفاد لان مولاى قد أمرنى بقتلك واخفائك من الزمان وردمك فى الرماد وأنا ما أقدر أن أخالفه فيما أمرنى به من الفعال لانه مالك رقى وسيدى على كل حال وهو سيد بنى شيبان وأميرها ومشيرها وحاكم على صغيرها وكبيرها وغنيها وفقيرها (قال الراوى) فلما سمعت عبلة من بشارة هذا المقال اشتد بها الخوف والبكاء والاعوال وصارت تدق بيدها على صدرها وهى تنادى فى الليل الهادى وتقول يا عبس يا عدنان وتنادى باسم عنتر فى تلك الوديان فلما رأى العبد فعلها وذلك الصياح والزعيق عدل بها عن ذلك الطريق وتجنب المهاد وأنزلها من على ظهر الجواد ورماها على وجهها وبرك على ظهرها وسل سكين الربيع وعول على أن يذبحها سريع (قال الراوى) ومن ألطاف الله وفعله الرفيق ان يخرج الفرج من قلب الضيق فبينما بشارة معول على ما قد عزم عليه من ذبح عبلة واذا هى صاحت يا لمازنيين انجدونى من شر هذه الفعلة واذا بشخص قد أقبل مثل ذكر النعام وفى يده قوس وسهام وضرب بشارة بذلة فحكمت فى كتفه فخرحته برحا بالغا فاهرق دمه واشغله بنفسه واشرف على فقدحه وأما ذلك الشخص فانه عدل الى عبلة وهناها بالسلامة والخلاص من العدم والندامة وقال لها لا تفزعى فقد زالت الكروب وقد نالت القصد والمطلوب فانا عبدك وخادمك شيبوب (قال الراوى) لهذا الخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر نحرر بيعة ومضر الذى أنشق له القمر فلما عرفته زال عنها الفزع والكدر وقالت له ويلك يا شيبوب وأين أخوك عنتر فقال لها ياستاه تركته فى بنى عبس يقاسى من فقدك الآلام وقد أرسلنى فى طلبك من كثرة ما وجد من الغرام فسرت أجوب خلف السباسب والآكام ولى خمسون يوما وأنا أدور عليك فى الحل وأسأل عنك ممن أراه فى السهل والجبل حتى وقعت بك فى هذا المكان على سبيل الاتفاق وقد سيرنى اليك الملك الخلاق الكريم الرزاق مقدر الآجال والارزاق وكنت قد أيست منك وعولت على الرجوع فسمعت أن الربيع بن زياد فى هذه الربوع والاطلال وأنه قد أتى الى مفرج بن هلال وكنت أعلم أنه صديق له من قديم الزمان فقلت لابد أن أكشف خبره وأعلم ما سببه وأى شئ الذى أتى به الى هذه الارض واقتفى أثره فاختفيت وأتيت الى هنا لاحتى لا يرانى لاهو ولا غيره فوقعت بك ههنا وخلصتك من هذا البلاء والعنا فقالت له عبلة وكيف يكون العمل فقال أقوم وأتمم موت هذا العبد الغدار وأسير بك الى أرضنا والديار فى طرقات لا تهتدى اليها الجن من تحت القرار فقالت عبلة والله ان هذا الامل بعيد لان البريين أيدينا صعب شديد وأقول انى ما بقيت أرى الديار والاطلال الا الان كان معنا عنترة الرجال واشوقاه اليه والى محبوبتى رابعة واقلة ناصراه من هذه المصائب الشائعة فقال شيبوب أما رابعة فقد أشرفت على الهلاك مما كانت تبكى فى النهار وفى ظلام الاحلاك فقالت له عبلة لعن الله الربيع بن زياد ولا تهنا طول عمره بزاد ولا ملئت أجفانه برقاد كما أكثر سهادى وشتتنى عن بلادى فقال شيبوب أبشرى بقرب الاجتماع والعودة الى الاحباب والاتباع ثم انه بعد ذلك سار الى بشارة ليتمم موته فرآه قد أفاق على نفسه وهو قاعد يسمع ما جرى بين شيبوب وعبلة من الكلام الا ان الجرح منعه عن القيام فلما أبصر بشارة الى شيبوب وقد أقبل اليه خاف أن يقضى عليه فقال له باقتى بحق الرب القديم وما أنزل فى صحف سيدنا ابراهيم أسألك أن تجيرنى وتمسك يدك عنى حتى أقول لك ما خطر ببالى وأشير عليك برأى لك فيه الصلاح وهو انك لا تركب بهذه الجارية مركب الخطر ولا يخلو حالك من حالتين اما ان يلقاك من يعيقك فى الطريق ويكون عليك غير شفيق والثانى ان هذه

الجارية

الجارية لا تقدر أن تمضي معك ولا لها قدرة على سلوك البر والطريق بل تبلى نفسك بما لا تطيق ولا تكون أكمت عدوا ولا افرحت صديق فقال شيبوب وما الذى خطر ببالك أعلمني فان كان فيه الصلاح فعلته وان كان غير ذلك أهملته حتى أدبر نفسي بما يكون فيه الصلاح وأسير من ههنا قبل أن يصبح الصباح فقال له اعلم يا ابن الخالة أنى كنت أهوى أمة سمراء اسمها رابعة وهى كأنها الشمس الطالعة وكنت ربيت معها فى هذا الحمى ونحن روحان حللنا بدن واحد ولما تحكم فى قلبي هواها ولم أطق أن أسلاها اغتالني فيها الزمان ورماني بالويل والحرمان وعدمت من عندنا فى هذا العام وتركتني بعدها كثير الهيام لا ألتذ بطعام ولا أملأ جفوني بمنام بل أتنسم أخبارها من سائر الاقطار وأسأل عنها الخطار والسفار فما سمعت لها بخبر ولا وقعت لها على أثر الا فى هذه الساعة منك ومن مولاتك عبلة وهى تسألك عنها وكنت قد أشرفت على الموت من ألم الجراح حتى سمعت بذكرها فنسيت ما أنا فيه وبدا عندى الصلاح وعادت الى الروح فى جسدى عند ذكرها بالسماع وقلت عسى الايام تجمعني بها بعد بعدها واريد منك يا وجه العرب ان تخبرني بحقيقة الحال وتصدقني فى المقال ان كانت هذه الجارية نشأت عندكم وربيت فى أرضكم أو من العدو وقد وصلت اليكم حتى انى لاموت بحسرتها واخرج من دار الدنيا بسببها وما رأيتها فقال له شيبوب هذه ما ربيت فى حينا ولا بين امائنا وانما اخذها اخي من جملة السبي والاموال التي اخذها من انس بن مدركة بعد ما كاده فى الجبال واقتى رجاله والابطال ثم انه حدثه بالحديث من اوله الى آخره واطلعه على باطنه وظاهره وكيف خاص عبلة من بنى كندة وما وقع لهم من سيف اخيه من البلاء والشدة وكيف اجبتها عبلة لمارات فيها من اللعب والمزاح والحسن والجمال والسماح ثم انه اعطى له فيها مارات كثيرة وقال له يا ابن الخالة اما هى فكحلاء العيون بحاجب مقرون كأنه خطوط على خده اشامة وفى وجهها علامة بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ومن جملة اوصافها ان لها اربع ذوائب على اكتافها فقال له بشارة بسبك هذه صفة محبوبتي التى طيرت النوم من مقلتي واشعلت النار فى مهجتي وانا احمد الرب القديم رب زمزم والحطيم الذى اوقعها عندكم وانا صرت من هذا اليوم عبدكم وخادمكم وقد صح عندى انها محبوبتي بعينها والدليل على ذلك انه كان هنا عبد يحبها مثل محبتي فأخذها من حيها وهرب وسلك بها البر والسبسب فسمعت ان انس بن مدركة التقى بها فأخذها منه وقتله وقد صح عندى هذا الخبر وبان الامر واشتهر وعلى الحقيقة يا فتى قد طاب قلبي لما سمعت منك هذا الكلام وقد اشتهيت قبل موتي ان ارجع والتقى بها واكون عندكم فى المقام وأنا قادر ان اسير معكم فى هذه الساعة لكن نخاف ان تلحقنا الخيل فى الطريق وتعدمنا السعادة والتوفيق وتردنا الى صاحبكم الربيع فنهلك نحن الجميع والراى عندى ان تعود انت الى صاحبكم عنتر وتخبره بهذا الخبر وتعودوا الى ههنا ويكون معكم خيل تعيننا على شغلنا وتحفظنا من اعدائنا اذا نفروا وراءنا وانا اعود من وقتي هذا واحفظ عبلة واتركها عندك الى حتى واوصيها بحفظها وكتمان امرها وادخل على مولاى مفرج والربيع واقول لهم قد قضيت الشغل الذى امرتوني به واخفيت هذه الجارية بين احاقيف الرمال وهذا دمها على اثوابي شاهد لصدق مقالي وقد تركت لهما الوحش البر والهوام واقعدا لكم فى الانتظار حتى تأتى انت واخوك الى هذه الديار وتخلصوها من الشدائد والاهوال (قال الراوى) فلما سمع شيبوب من بشارة هذا الكلام قال له يا ابن الخالة وكيف اصدقك فى هذا المرام وانا تركت دمك يسيح على أثوابك فقال بشارة لا تفعل يا ابن الخالة ولا تقل هذا المقال فوحق من رفع السماء انى ما حدثتك الا حديثا صادقا ان قلبي عندكم وجسمي منكوى من اجل رابعة محبوبتي وانت فيما فعلت معي معذور وليتنا ما كنا عارفنا بأمر من الامور (قال الراوى) فلما سمع كلامه زال عنه الخيال وبان له الصدق من المحال وعلم انه لا يقدر ان يسلك بعبلة فى هذا البر

الاقفر اذالم يكن معه اخوه عنتر فعندها تقدم شيبوب وشد جراح العبد وودعه بعدما اوصاه على عبلة وعاد على الاثر وسلك البر الاقفر وبشارة يقول يا ابن الخالة لاتطل الغيبة فربما يفسد راينا ونهلك ثم اخذ عبلة وسار الى منزله والديار وقد نزلت محبتها فى قلبه لاجل محبوبته رابعة وقد أبغض المقام من أجلها بين أهله وأخفى سره وكتم وجده وأوصى على عبلة أمه وعاد الى مفرج والربيع وكانا فى أعظم مسرة وقد لعبت بهما نشوة الخمرة وكانا له فى الانتظار ﴿قال الراوى﴾ ولما دخل عليهم بشارة قالوا له ما فعلت بعبلة من الاكدار فقال يا موالى فعلت ما أمرتونى به فى الحال وما عدت اليكم حتى تركت عليها كثبانا من الرمال وهذا دمها شاهد لى بصدق المقال (قال) فلما سمع الربيع ذلك المقال فرح وقام وخلع على العبد جميع ثيابه وأعطاه مكينة الجنب والمنديل وقال والله انك تستاهل الاموال والبدر فلله درك ودر من ربالك فلقد قرت بفعالك العيون فقال مفرج هذا عندى أعز من ولدى ولولا ذلك لما فضلته على أهلى وجندى وملكته خزائن أموالى وأمنته على حريمى وعيالى فقال الربيع هذا أمر قد انقضى ومضى وما بقيت أقيم عندك الا هذا اليوم فى هذه الاوطان ومن الغد أسير الى الملك النعمان حتى لا يبقى على عتب ولا ملام فقال له مفرج وأنا أسير معك اليه لاجل السلام عليه ﴿قال الراوى﴾ فلما كان من الغد ركب الربيع ومفرج وسار والى الملك النعمان بعدما أوصى مفرج عبده بشارة على حريمه وعياله وخزائن أمواله فهذا ما كان منهم وما جرى لهم من الايراد (وأما ما كان) من شيبوب البطل الجواد فانه جد فى المسير لليل والنهار الى ان وصل وشارف الديار ﴿قال الراوى﴾ وكان أخوه عنتر دائم الاحزان والبكاء والهم والاشتكاء الى ان عادت العبيد الذين كان أنفذهم الملك زهير خلف عبلة وقد عادوا خائبين مما كانوا له طالبين وقد زادت بعنتر الفكر وقد آلمه الهوى وأضر به السهر وقلة النوم والهجوع وشدة الكروب وبقى متعلق القلب بوصول أخيه شيبوب وكانت الناس قد ضجرت من بكائه والتردد اليه وتكدرت اوقات الملك زهير عليه وكذلك أولاده وقد كان عنتر ضرب له مضرباً على العلم السعدى وانفرد بعيداً عن الناس لا يعيد ولا يبدى وصار لا يقبل عذل عذال وخاف من شماتة الانذال وفى تلك الايام قدم عليه اخوه شيبوب فوجده فى حزن يعقوب وضر أيوب فقال له ويلك يا ابن الام قتلتنى بطول هذه الغيبة هل وقعت لعبلة على خبر واقتفيت منها الاثر أم رجعت بالخيبة بعد طول هذه الغيبة وبعدها صار يحث أخاه شيبوباً بالكلام ويستخبر منه بالشعر والنظام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ويلك ياشيبوب خبرنى بعجل * فلعل الهم عن قلبى يزل * ويلك اخبرنى سريعاً عاجلا
ليزول الغم عنى والوجل * ان أنل من عبلة يوماً أمل * قبل موتى ان أتانى لم أنل
ويلك يا ابن الام كم من غربة * كم غرام كم صدود كم وجل * يا ابنة العم الى كم ذا الجفا
خيم الوجد بقلبى ونزل * زعموا انى عنها لم أسل * لا ومن خاطبه فوق الجبل
أنكرت عيناى بعدكم الكرا * قد عصيت اللوم فيكم والعذل * فلأبكينك بدمع ودم
ولأرثينك بسهم وجبل * فيك قد أصبحت مضنى ناحلا * فيك قد صرت حديثا ومثل
لاجوزن الفيافى اقتفى * أثر الاحباب أو يأتى الاجل * راكباً للعيس أقفو خلفها
فى جميع الارض لا نال الامل * وأثيرن عجاجا ناقعا * بظباة الهند مع سمر الاسل
ثم أخلى الارض من سكانها * وكذا جن البرارى والجبل * لا علت بعدك رجلى أبجرى
لا ولا أملت فى الدنيا أمل * لا ولا جردت سيفى لا ولا * قبضت يمناى اطراف الاسل
قد هجرت الكاس والطاس معا * ولذيذ العيش عنى قد رحل * قد تركت اللهو واللذات أو
يأتنى شيبوب بالبشرى عجل * يا ابن أمى بين الشرح وقل * فؤادى فيه نار تشتعل

قد

قد فنى جسمى وقلت حيلتى * بعدما كنت شديد المحتمل * عبل لو عاينت ما قد حل بى
من هموم وغموم ووجل * وغرام دائم لا ينقضى * وبكاء ونحيب وعول
قلت للقلب ترى يجمعنا * بعد ذاك البعد ربع وطلل * قل صبرى من هموم أقبلت
بفراق وبعاد وملل * على آل زياد وهو * حير ونى وأنا فيهم مثل
أمنوا مصرف الليالى والعدا * عتبوا الايام والدنيا دول * أوّلا يدرون أنى بطل
صلت فى الهيجا على كل بطل * وأنا يا عبلة فعلى أبيض * ومحلى قد رقى فوق زحل
ان تواريت عن الثار وعن * أخذه ممن تعدى فى العمل * فالعنوا عنترة فهو الذى
ضيع الثار بابداء المهل * يا ترى فى أى أرض نزلت * عبلة أم أى ربع أم طلل
ويك يا شيبوب صبرى قد فنى * ورقادى مانى كيف العمل * ليس لى غيرك خل مسعف
يكشف الاخبار من غير مهل * فاشرح الامر الذى لاقيته * وابده لا تخف شيأ قد حصل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وما أبداه من نظمه وفكره أجابه شيبوب بقول هذه الابيات

أبا الفوارس زال الهم والفكر * وأقبل السعد يا ابن الام والظفر * أبشر بعبلة حقا فهى سالمة
لم تلق بؤسا وما قد مسها ضرر * واسمع حديثى وما لاقيت فى سفرى * واعجب فمن ذكره قد تعجب البشر
قد طفت كل ديار العرب اجمعها * والوعر والسهل كى يبدو لى الخبر * فكم قطعت فلاة وهى مقفرة
وكم سعيت وشأنى كله خطر * أغدو بلا تعب ما مسنى ضرر * أفنى الصحارى مع مثل الذئب منفردا
وخضت فى فلوات الارض مختلسا * والصخر يقدح والرمضاء تستعر * حتى بلغت الى أحياء قد ظهرت
الى زبيد ولم يسمع لها خبر * وقد سريت الى أرض العراق وقد * شاهدت فى برها ما سهله وعر
سعيت كالنمر فى داج أسير وقد * أخفيت مشيى فلا يدرى به البصر * والليل أسحم لا شئ يلوح سوى
علو الجبال ومن عينى بدا الشرر * جعلت امشى قليلا بان لى شبح * بدل انهما شخصان قد ظهروا
وواحد منهما كالطود منفرد * يروم قتل الذى فى الارض يقدر * زعقت فيه وقد بادرته عجلا
بضربة قلت لا تبقى ولا تذر * لما رآنى الذى قد رام يقتله * نادى الىّ اجبنى انت ام بشر
بالله من أنت يا هذا فقلت له * انى أراك اعتراك الخوف والحذر

وقلت من آل عبس طاب عنصرهم * قوم على عرب الآفاق قد ظهروا * قالت عبيلة يا شيبوب يا أملى
قلت ابشرى زال عنك الهم والكدر * فأخبرينى بهذا العبد قال أنا * بشارة وحديثى سوف يشتهر
لى بنت عم وهى تدعى برابعة * محبوبتى سبيت اضنى بها الكدر * فقلت رابعة عندى لها خبر
فى بيت عنترة ما مسها ضرر * قد اصطفاها أخى من سبى مدركة * ما سامها الضيم بل ما كدها أثر
لما درى ان تبشيرى برابعة * تساقط الدمع من عينيه ينحدر * فقام عمدا الى نحوى وصالحنى
وقال لى أيما تبغى وتنتظر * دع بنت عمك عندى سوف أحفظها * من أجل رابعة ما مسها ضرر
أحطها فى سواد العين يا أملى * والقلب يلحظها والسمع والبصر * فانهض وسر عاجلا من قبل يدركنا
مفرج انه فى الصبح ينحدر * وقد أتيتك بالاخبار عن ثقة * مما رأيت وصح القول والخبر

(قال الراوى) ثم انه اخبره بما تم له مع عبلة والعبد بشارة فلما سمع عنتر هذا الكلام فرح بانكشاف خبر عبلة ثم انه استعاد الحديث ثانيا من اخيه لحلاوته وفى الوقت والساعة انفذ خلف رابعة واخبرها بهذا الحديث فطاب قلبها وفرحت وقالت له يا مولاى ما دامت مولاتى عبلة عند محبوبى بشارة فقد امنت عليها من كل احد لانى أنا أعلم أنى عند مثل روحه التى بين جنبيه فقاتل الله الربيع بن زياد ولا هناه بطيب الرقاد (قال الراوى) وما زال الراوى حديث وكلام حتى أتى ذيل الصباح وانكشف الظلام باذن العزيز الفتاح

فأنفذ عنتر لعروة بن الورد فلما حضر أخبره بخبر عبلة وانها ظهرت فى بنى شيبان فقال له عروة يا أبا الفوارس وما فى نيتك أن تفعل بعد سماع هذه الاخبار فقال له أريد ان أؤثر فى بنى زياد اثرا وافنى بنى شيبان ولا اخلى لهم ذكرا بين العربان فقال عروة يا أبا الفوارس افعل ما بدا لك وما يعود نفعه عليك والصواب انك الآن تكتم خبر عبلة وتخفى أمرك شيئا ما باخوفا ان يمضى أحد الى بنى شيبان ويعلم مفرجا والربيع بالامر الذى قد كان ويأخذ عبلة من العبد الذى هى عنده ويلعنوا أباه وجده فلما سمع عنتر من عروة كلامه علم انه صواب ثم انه أقبل عليه وقال له اعلم يا ابن العم انى أرى من الرأى أن أركب أنا وأنت فى عشر فوارس ونحضر عند الملك زهير ونسلم عليه ونؤانسه بدل اليوم عشرة واجعل ذلك على سبيل المهلة وبعدها أسير فى طلب عبلة واذا سألونى عن حالى أقول لهم قد طالت على الايام والليالى وقد علمت ان ابنة عمى قد عدمت لاجل ما عليها من الاموال واللآلى وأنا أعلم ان الحزن الطويل لا يرد من صار تحت الثرى جديل وأخى شيبوب قد أبطأ على خبره وانى أريد ان اقتفى أثره بنفسى وأطوف البلدان والحلل والغدران والسهل والجبل وأكسب شيأ من الاموال وأعود لان الطارق علينا كثير واسمنا فى الناس كبير (قال الراوى) فلما سمع عروة من عنتر ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم ان عروة أنفذ فى عاجل الحال الى من له من الرجال وأعلمهم أنه عازم مع عنتر على السفر بعد شئ يسير وبعد ذلك ركب عنتر وعروة ورجاله وأتى الى الملك زهير ليعرض عليه أقواله وحادثه وأعاد عليه التدبير من ذلك القول المحال ففرح الملك زهير بهذا المقال وقال لاولاده اركبوا مع ابن عمكم الى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فركبوا وساروا بصحبته ولما كان آخر النهار عادوا ومعهم من الصيد شئ كثير وبات عنتر تلك الليلة وقد أظهر لاعمامه السلو عن عبلة وأقام مدة ثلاثة أيام فلما علم أن قلوب أهل الحى اطمانت عليه ودع الملك زهير وأصحابه وأظهر انه يريد الغزو فى بلاد اليمن ثم انه ركب هو ورجاله وعروة فلما اتسع عليهم البر والآفاق ردوا رؤس الخيل الى بلاد العراق * هذا وشيبوب مختفى عند أمه زبيبة الى أن أقبل الليل فخرج عليهم مثل انحدار السيل وساروا بعد ما ركبوا وتبطنوا فى تلك البرارى والقفار * هذا ما كان من أمر هؤلاء الاجواد وما حصل لهم من الايراد (وأما ما كان) من أمر مفرج بن هلال والربيع بن زياد فانهم لما أمروا العبد بشارة بقتل عبلة واخفائها تحت الرمال وتقاسموا ما كان عليها من الاموال كان تدبير الملك المتعال أحسن وأجل من تدبير الربيع بن الانذال ورحلوا بعد ها طالبين الملك النعمان وما ترك مفرج فى الحلة غير فرسان قلائل مع ابن عمه مالك بن حسان وأوصى بشارة بنسائه وعياله وسلم اليه مفاتيح خزائن أمواله وجدوا فى المسير حتى أشرفوا على أرض الحيرة والنجف وهموا أن يدخلوا اليها واذا بالنعمان خارج فى موكب عظيم مع الغلمان الذين كلهم مردان (قال الراوى) وكان الملك النعمان قد استن له سنة فى ذلك الزمان ما فعلها قبله أحد من ملوك العربان وذلك أنه جعل له فى كل سنة يومين يوم نعيم ومسره ويوم بؤس ومضره وقد شاع ذلك فى سائر الاقاليم والبلدان فأما يوم البؤس فكان يلبس كل شئ عليه أحمر وسيفه فى يمينه مشهر وتحته جواد أدهم مهلوب الذنب وحوله ألف عبد أشد من جبابرة العرب والجميع بدروع الزرد ومعهم السيوف والرماح والعمد وكل من وقعوا به فى ذلك اليوم قتلوه وعلى الثرى جندلوه ويهرى بقوادمه على الصعيد قريبا كان أو بعيد ولا يدخلون البلد الا اذا أمسى المساء والجميع مخضبون بالدماء وأما يوم النعيم فانه كان يظهر وهو راكب على جواد أشقر وملبوسه كله أخضر وعلى رأسه تاج بفصوص الجوهر وبين يديه ألف غلام كلهم مردان وعلى رؤسهم شبك اللؤلؤ والمرجان وفى أيديهم أطباق من الفضة ملآنة من الدنانير الكسروية ومعهم الخلع الرومية وكل من وقعوا به فى الطريق عدوا كان أو صديق يرمون من تلك الخلع عليه ويصبون عليه من تلك الدنانير غنيا كان أو فقير

صعلوكا أو أمير واذا عبر نصف النهار عاد الملك الى مجلس العقار ويقضى نهاره بالفرح والاستبشار (قال الاصمعى) واني قد سألت عن السبب الموجب لذلك الامر فقيل لى يا أصمعى كان الاصل فى ذلك أن النعمان كان له مغنية وندمان قد اتخذهم لنفسه دون كل انسان وقد كشفهم على أسراره دون أهله وأنصاره وما كان له صبر عنهم ولا قدر ساعة فاتفق فى بعض الايام وهو فى مجلس شرابه أنه مازال يشرب مع أصحابه الى أن جاء وقت المساء وانصرفت الخلائق من مجلسه ولم يبق عنده غير المغنية والنديمين ومازال يشرب حتى أخذت الخمرة مأخذها وعملت معه فى الراس وأقبل عليه الليل وأتى له النعاس فعند ذلك نام وجلت عظمة من لا يغفل ولا ينام وكان نومه مقدار ساعة زمانية فتخيل له من السكران النديمين يلعبان مع المغنية فقام من المنام وقد جذب فى يده الحسام وقتل النديمين والمغنية الجميع وعاد الى مرقده سريع ومازال على ذلك الايضاح الى أن طلع الصباح وانتبه من المنام وقد أفاق من نشوة المدام فوجد الارض مخضبة بالدماء والنديمين والمغنية بين يديه مقتولين وقد نفذ فيهم امر رب العالمين فانزعج من ذلك الحال وقال لارباب دولته من فعل بهؤلاء هذه الفعال فقالوا له أنت يا ملك الزمان وأخبروه بما جرى منه من الامر والشان وكيف قتلهم وهو سكران فحصل له من ذلك غم عظيم وأصابه خطر جسيم وبعد ذلك أمر بدفنهم بعد تجهيزهم ثم انه مما أصابه من الهم والضرر جعل جميع ما عليه من الملبوس أحمر وأخذ فى يمينه سيفا مشهر وركب جوادا أدهم مهلوب الذنب وحوله ألف من العبيد السودان وكلهم بتلك الالوان والجميع بصدور الزرد والسيوف والرماح والعمد وخرجوا الى البر والفدفد وأمرهم ان كل من وقعوا به يقتلوه وعلى الثرى يجندلوه وجعل هذا اليوم يوم البؤس والندم والعكوس وقد أمر المنادى ان ينادى فى البلدان أن يأخذ الناس الحذر من ذلك اليوم الكدر (قال الراوى) وقد صارت هذه عادة مستمرة على الدوام وقد علم بها الخاص والعام وأما يوم النعيم فكان له سبب عظيم وهو أن الملك النعمان ركب فى يوم من ذات الايام وقد أوسع فى البر والاكام يريد الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فى تلك البرارى والوديان ومعه جماعة من الفرسان فحصلت من الملك النعمان التفاتة فرأى غلاما من الغزلان فاخذ خلفه فى ذلك المكان ولم يتبعه من جماعته انسان فلما رأى الفحل النعام أن النعمان شارع له فى الطلب أخذ هو فى الهرب والملك النعمان ورآه فى البر والسبسب وقد أراد أن يهلك حرته حذرا أن يفوت فروسيته ومازال كذلك الى أن أقبل عليه الظلام فتاه منه الذكر النعام فأراد الملك النعمان الرجوع فضل عن الطريق وقد عدم السعادة والتوفيق ومازال يسير فى البر يمينا وشمال فما ازداد الا خيبة وضلال فبينما هو سائر بلا رفيق وقد حصل له فى صدره الضيق واذا هو قد رأى بين يديه بيتا من شعر منصوب وهو على راية عالية مضروب فتقرب اليه حتى صار ذلك البيت بين يديه واذا هو برجل بدوى جالس على بابه وقدامه قدر فيه من لحم الفصلان وهو قاعد يصلح له طعام فابتدأه الملك النعمان بالسلام فرد عليه البدوى بالتحية والاكرام وقام وتلقاه وضحك فى وجهه عند ملقاه وقد انزله عن جواده وزاد فى اكرامه ووداده وقدم له ما راج من الطعام واكرمه غاية الاكرام الى تمام ثلاثة ايام وبعد ذلك سأل البدوى من الملك النعمان وقال له ما سبب انفرادك فى تلك الوديان فأخبره الملك النعمان بما جرى له من الامر والشان واعلمه انه ملك جميع العربان ففرح البدوى وقال له ابشر يا ملك الزمان بعودتك الى الاوطان ثم انهم ركبوا وساروا يجدون المسير فى الوديان وهم على تلك الوتيرة حتى انهم اشرفوا على مدينة الحيرة فوجدا هل دولته قد لبسوا ثياب الاحزان وهم يظنون انه هلك فى الوديان وقد قطعوا منه الاياس فلما رأوه فرح برؤيته العام والخاص وكان هذا اليوم عندهم فرحا وامان برجوعه سالما الى الاوطان * هذا والملك النعمان قد انعم على ذلك البدوى واعطاه عطاء كثير حتى انه صار غنيا بعد ما كان فقير وجعل الملك النعمان هذا اليوم يوم النعيم

والمسرة وصارت عندهم عادة مسرة (قال الراوى) ومما وقع من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق انه اتفق دخول مفرج والربيع فى ذلك اليوم البديع فتجارت اليهم الى الغلمان وخلعوا عليهم من تلك الخلع الحسان ونثروا عليهم من الدنانير التى فى الاكياس حتى نزلوا عن خيولهم وترجلوا على الارض والقيعان وقبلوا الارض قدام الملك النعمان وتقدم اليه الربيع وانشد وقال

ادام الله ايام التهانى * بطول بقاك يا ملك الزمان * ولا زالت سيوفك مشهرات
على اعدائك فى الحرب العوان * وقطر يديك يحيى كل ارض * ويروى الناس من قاص ودان
ولولا نور وجهك ما اهتدينا * الى آثارها تيك المغانى

(قال الراوى) فلما فرغ الربيع بن زياد من شعره اعجب الملك النعمان وطرب لنظمه ونثره وسأل مفرجا عنه وقال له من اى العرب هذا الانسان فقال له هو من بنى عبس وعدنان يقال له الربيع بن زياد وهو صاحب رايهم السداد فقال الملك النعمان ان هذا الامر عجيب كيف زارنا الآن من بنى عبس انسان وقد كان ابى تعصب لعبدهم عنتر وطرح عنهم الخراج وما قصر فما عاد واذكرونا ولا تعنوا الينا ولا سألونا ومن تكبر ملكهم زهير ما التفت الينا (قال الراوى) وكان فى قلب النعمان من هذا امر كبير لانه كان بلغه طرف من حديث المتجردة بنت زهير وذكر والده ما هى عليه من الحسن والجمال والقد والاعتدال فاشتغل بها خاطره وهامت بها سرائره ولكن من عزة نفسه صار يقول قوم ماذكرونى وهم من بعض رعيتى فكيف ابدؤهم بالاحسان من اجل شهوة من شهوات الانسان والله لا فعلت ذلك ابدا ولو شربت كأس الردى ومازال على هذا المرام الى ان قدم الربيع عليه فى تلك الايام وجرى ما جرى من ذلك الامر والشان وسمع من مفرج انه شيخ من مشايخ بنى عبس وعدنان وانه من الامراء المشاهير فقال فى نفسه هذا يكون الواسطة بينى وبين الملك زهير ثم انهم دخلوا القصر لاجل الضيافة وامر غلمانه ان يزيدوا لهم فى الاكرام وجعل يباسطهم فى الكلام حتى راج الطعام واتت به الخدام فاكلوا حتى اكتفوا من هذا الانعام وبعد ذلك قدموا لهم آنية المدام ومازال فى اكرامهم مدة ثلاثة ايام فلما كان فى رابع الايام دخل بهم الى قصر المملكة وكان بصحبته وزراؤه ورؤساء مملكته وخواص دولته وجميع الامراء الاجواد وبالجملة مفرج بن هلال والربيع بن زياد فنظروا الى منازل ضاحكة باصحابها قد امطرت عليها من وابل الاقبال سحائبها وفتحت كواكب السعادة ابوابها فتعجب الربيع من هذا الملك العظيم ونظر الى ترصيع وترخيم واسرة متقابلة بعضها البعض وهى من الفضة والذهب ومياهها تتدفق * هذا وطيورها تزعق والسماطات قد وضعت فى اوانى من من الذهب باصناف من معادن رصعت وقد امتدت آنية المدام من الخمر العتيق من كاسات وطاسات وأباريق وقد رصعت بالذهب الاحمر وانوارها من اللمعان تبهر ونظر الربيع قدام هذا القصر الى بستان فيه من كل فاكهة زوجان كأنه صيغ من الجواهر الحسان بباب مقنطر كأنه ايوان ومن دخل هذا البستان يرى فيه الفواكه مختلفة الالوان فالرمان حامض وحلو والمشمش لوزى وحموى وموز خراسان وتفاح سكرى وفاطمى ودامان والتين قد فرق بين ابيضه واسوده بسياج من البان والنارنج كمشاعل النيران والاترج باعلى مكان والليمون كبنادق فضة طليت بالذهب المنصان * هذا والاطيار تفرد على سائر الاغصان فالهزار يصيح بطيب الالحان والقمرى ينادى بصوته يا رحيم يا رحمن والبلبل قد بلبل الاشجان والشحرور بفصاحته كأنه راهب فصيح اللسان والمطوق يغرد فتجاوبه أم حسان والزهر فى الروض قد تخالفت منه الالوان فالاحمر من الورد كأنه مداهن ياقوت أو بهرمان والياسمين كأنه لجين قد صنع منه صلبان والزنبق يتمايل فى الخضرة كأنه سكران والنرجس كقباب بيض يحملها من الزمرد قضبان والبنفسج كأكر علقت فيه النيران ومقابل الآس الملزام المنثور

وشقائق

وشقائق النعمان والنمام قد نم برائحته واستغفر مما جناه الريحان وبكى الغمام فنثر نفر الاقحوان والنسرين قد تتع على اشجاره وناظر الخدود وعيون السوسان والنهر قد صار فى خرير والطير فى صفير والربع فى هدير لاعتدال الزمان كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات الحسان

الدوح زاه والرياض زواهر * والطير غنى والنسيم عاطر * وقد اتى وقت الربيع زائرا
فانهض اليه فهو زاه زاهر * اما ترى الطل عليه هاطلا * كانه اللؤلؤ والجواهر
والغيم باك والغدير ضاحك * والطير ساع راقص ودائر * والغصن فيه راكع وساجد
وباسط اوراقه وناثر * وغرد الشحرور فى غصونه * كخاطب مرقاته المنابر
وابدت الارض لنا زخارفا * من كل صنف فيه لون باهر * يسر عين الناظرا نبهاجه
لله فى صنعته سرائر * وراق فى الازهار لون بنفسج * وترجس فالكل صاف ناضر
وقد صفا لون الشقيق ساطعا * باهى من الحمرة زاه زاهر * وابيض لون للجين ناصعا
وعرفه مع النسيم سائر * والنخل فى اكمامها وزهوها * كانها عرائس بواهر
ونور النارنج فى غصونه * كانه فى غصنه مجامر * والتين اضحى ذا بلا وناعسا
عليه عصفور القلوب طائر * فاغنم فالاجتماع فيه نزهة * فالعمر ولى والممات حاضر

(قال الراوى) فلما راى الربيع الى ذلك المكان تعجب ولقه الطرب والهيمان هذا وقد جلس النعمان على سرير ملكه واجلس الربيع ومفرجا الى جانبه وشرعوا فى اكل الطعام وشرب المدام وبعدها شرع النعمان يحدث الربيع بما يجده من امر المحبة والهيمان فقال الربيع وقد انفتح له باب لهلاك عنتر اسمع يا ملك الزمان فوالله ما هى الا من الحور الحسان وان الذى وصفها لك ما انصفها وهى احسن بنات العربان الا أن اباها عرق لا يلين ويقول فى نفسه انه ماله فى هذا الزمان قرين وانه من تجبره من مدة اعوام اراد ان يبنى فى ارضه بيتا مثل البيت الحرام وهو اليوم قد زاد عما كان لانه الحق هذا العبد المسمى عنترا بالنسب وقد ادب به سائر العرب وانا لما رايت الذل قد حل بعز رحلت من جواره ونزلت على بنى فزارة ولو كنت انت ارسلت اليه رسولا او خاطبا فما كان عاد اليك الا خائبا (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان هذا الكلام صعب عليه وصار الضياء فى وجهه كالظلام وقال له ما هذا الكلام الهذيان فوحق بيت النيران لو كنت بعثت من عندى حاجبا وعاد الى كما ذكرت خائبا ما كنت تركت من بنى عبس لا ماشيا ولا راكبا وأنت الآن ذكرتنى بشئ كنت مشتغلا عنه ومن حين صار الامر كذلك لابد لى منه فعند ذلك قال الربيع وقد امتلأ قلبه بالفرح واتسع صدره وانشرح اعلم أيها الملك أن قلبى قد انطوى لك على صحة الوداد وقد صرت من حزبك والاجناد ثم انه شرع يحدث النعمان بجميع ما فعله والسكر قد غيب عقله وأخبره بما دبر فى حق عبلة وكيف أنفذها الى مفرج وكيف أمر بهلاكها وأخبره انهم قتلوها وتقاسموا أموالها وقال فى آخر كلامه ايها الملك انى ما فعلت هذه الفعال رغبة منى فى مال بل لأجل هلاك عنتر ابن الاندال لانه اذا فقدها مات حسرة واغتيال وأما المال الذى حصل لى فانه يصلح لمثلى واذا قبلته منى كان أصلح لامرك وارجح ثم انه صاح فى غلامه سالم وأمره باحضار تلك الجواهر التى اخذها من عبلة فخرج الغلام فى الحال وغاب قليلا وعاد ومعه المال فقال الربيع بمكره ودهاه ودخوله على مادبره وابداه انى اريد ايها الملك من احسانك أن تمن على بقبوله (قال) فلما نظر الملك النعمان الى تاج الملك كسرى والعصابة والبدنة والاكليل انذهل وتعجب من ذلك المال الجزيل وزاد تعجبه من تدبير الربيع واحضر ايضا مفرج ما كان قد اخذه فصار بين يديه الجميع فعند ذلك قال النعمان للربيع ان هذا الفعل عندمثلى لا يضيع وانى اريد منك ان تكون سببا لاتصالى الى المجردة وان كنت تعجز عن ذلك فأنا آخذها غصبا واترك اباها يسحب بين يدى صبا

فقال الربيع يامولاى الامر يأتى بدون هذا والصواب ان تمهل على حتى اعود الى الديار واتحدث مع الملك زهير واصف له مارايت من مالك وما انت فيه من الخير فان هو اجاب بالسمع والطاعة كان المقصود فى هذه البضاعة وان هو قال لا كان الهوان به اولى ومازالوا على ذلك الايضاح الى ان طلع الفجر ولاح فخلع النعمان على مفرج بن هلال وسيره الى كسرى لقضاء بعض الاشغال واقام الربيع بعده ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع امر له الملك النعمان بخمسمائة ناقة من النوق العصافير الحسان وأعطاه بصحبتها عشرة بغال تحمل صناديق الاموال وفيها ثياب خز كوفية واهدى اليه خمسين نجيبا من الخيول العربية واكثر له من العبيد والاماء وسيره سيرا الملوك العظماء ثم انه توجه للمسير والجد والتشمير وهو لا تسعه البرارى الخوال من كثرة ما معه من تلك الاموال (قال الراوى) ومازال كذلك حتى نزل على ركب من بنى مالك وبقى بينه وبين ارض بنى فزارة يوم كامل فانزل تلك الاحمال عن البغال والجمال ثم انه ارسل عبده سالما يعلم أخوته بما جاء معه من الاموال حتى يخرجوا الى لقائه فى جماعة من الرجال فهذا ما كان من الربيع وما جرى له (واما ما كان) من عنتر واحواله فانه لم يزل سائرا بما معه من الفرسان الفوارس حتى اشرفوا على ركاب بنى مالك فرأوا الربيع ومن معه نازلين هنالك فارسل عنتر فارسا من رجال عروة بن الورد وقال له يا ابن العم سر انت واكشف لنا خبر هذا الركب الذى قد امنا فى البر الاقفر وعد الينا على عجل فسار الفارس يركض بجواده الى ان قارب الربيع وعبيده فلما رأوه قاموا اليه وعن حاله سألوه فاخبرهم بزخار يف محاله وقال لهم انى قد ضل لى خمس نياق وبعير فطلعت وراءها اسير حتى اردها الى مرعاها فسرت حتى التقيت بكم فى هذا البر والهجير وانتم من تكونون من العرب حياكم الله يا اجواد فقالوا له نحن عن عبيد الربيع بن زياد وهذه الاموال امواله والرجال رجاله فسر اليه يا هذا وهو يعوض لك ما ذهب منك من خيره ونواله فقال لا بد من عبورى عليه ودخولى بين يديه ثم انه سار قهم فى الحديث حتى اشتغلوا عنه وعاد على اثره يخبر بما رآه عنتر بن شداد ولما وصل اليه اعلمه بالذى هو نازل فى تلك الارض والمهاد وهو الربيع بن زياد (قال) فلما سمع عنتر هذا الكلام حصل له الفرح واتسع صدره وانشرح والتفت الى عروة وقال له يا ابا الابيض الرأى اننا نكبسهم ونهجم عليهم فى غفلتهم فى ذلك الليل ونذيقهم العذاب الشديد والويل فقال عروة افعل ما بدا لك فكلنا تابعون أفعالك فقام عنتر ولم يأخذه عن ذلك توانى بعد ان اوصى اصحابه ان احدا لا يصيح لا عبسى ولا عدنانى ولا يكنى نفسه الا تميمى وقحطانى ثم انهم بعد ذلك المقال صاحوا حتى زلزلوا الارض بالزلزال فقام القاعد واستيقظ الراقد * هذا وقد بذلوا فى العبيد السيوف واسقوهم كؤس الحتوف وجعلوهم كالقطن المندوف وهم يصيحون يا تميم يا قحطان حتى ارتج منهم هذا المكان فتنبه الربيع ونادى وهو كثير الافتكار وهم ان يجود بحسامه الحاد النصال ويحركه فى جميع الرجال فدارت به عشرة منهم فى عاجل الحال وصاحوا عليه صيحات عاليات وضربوه ضربات خفيفات غير قاتلات وذلك كان بمشورة الى الفوارس عنتر قبل هذه الغارات ومازالوا معه الى ان صرع فارتخت قوته وعلى الارض وقع فاجادوا كتافه وشدوا يديه مع رجليه وعصبوا عمامته عينيه وفى دون ساعة افنوا باقى العبيد وتركوهم ممددين على وجه الصعيد وبعدها تشاوروا فيما يفعلون وأى شئ يدبرون فقال عنتر ان الخبر اذا وصل الى الحيرة وشاعت عنا هذه الاخبار فانى أخاف أن اكون مظلوما فيما مضى ظالما فقال شيبوب انا ادبر بمفرقى ما احب واختار فاما هذه النوق والجمال فانا نرسلها الى أرضنا مع عشرة من الرجال ونوصيهم أنهم لا يدخلون الحلة بالنهار بل انهم ياخذون بها فى عرض البر والوديان ويفرقونها على الرعيان كل مائة جملة ولا يخبر أحد بهذه العملة واما هذه الصناديق التى فيها الاموال فادفنوها فى احاقيف الجبال فاذا سرنا الى عبلة وخلصناها

ونالت

ونالت من خلاصها منا ها عدنا الى هذه الاموال واخذناها وفى مضاربنا ادخلناها (قال) ثم انهم لما دار بينهم هذا المقال انفذوا النوق والجمال مع عشرة من الرجال وأما صناديق القماش والاموال فدفنوها فى احاقيف الرمال * هذا وقد قال عنترة بحق الله النعمان اى شئ رأى فى الربيع من حلاوة اللسان حتى يعطيه هذه الاموال والخيل والجمال فقال له عروة لا تذم الرجل يا أبا الفوارس على فعل الاحسان واعلم أنه رزق ساقه اليك الرب القديم الرحمن ثم انهم حملوا أثقالهم على بعض الجمال وساروا طالبين أرض العراق وقد زاد بعنترا لى عبلة الاشتياق بحيث يتسلى بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ياشوق صبرى ضعيف أذوهى جلدى * فلا تزدنى عـــلى مانى من الكمد
وياسقامى تباعـــدلا تلم فما * أبقيت غـــير رسوم الصبر والجلد
كم ليـــلة بت أشكو طولها وله * والبين يضرم نار الشوق فى كبدى
وكلما طار طـــير فى الدجا حزنا * أمسكت من أسفى طى الحشى بيدى
ياطائر البان غنى كيف شئت فقد * أمنت مـــن نائبات الدهر والنكد
وقد وجـــدت حبيبا كنت تألفه * وقد فقـــدت حبيبا غاب عن بلدى
فاذكر ليالى مضت بالوصل مشرقة * وأنت تهتف فوق الغصن بالنشد
ياصاحبى لا تخف فى يوم معركة * اذا رأيت بريق البيض والزرد
أنى الالســـنة والابطال جائلة * ومت كريما ولا تخضع الى أحد
وخلنى أشـــتفى ممن يعاندنى * مادمت أملك بعض الروح فى جسدى
اذلم أخـــلى طيور الجو حائمة * فلا شفيت ولا أروى الثرى كبدى

(قال) وبعد ذلك ساروا يقطعون الارض والمنازل ويتجنبون الاحياء والمناهل الى أن بقى بينهم وبين بنى شيبان ليلة واحدة فعندها أنزلهم شيبوب فى برية مقفرة لكى يختفوا عن السالك والعابر ولا يكون أحد لامرهم خابر ثم ان شيبوب اخلع ثيابه التى يلبسها فى اقامته ولبس ثياب حيلته وهو ثوب خام قصير الاكمام وتزيا بزى أهل الشام وسار حتى أشرف على الديار ووصل فى مكان الزعيان وكان قد أظلم الظلام وجعل يدير عينيه بين الخيام وأراد أن يسأل عن بشارة بن منيع لانه ما كان يعرف صفته ولا أبيانه لما ذكرنا من انه ما اجتمع به سابقا الا ليلا فبينما هو فى حيرة وضيق اذا هو بفارس قد اعترضه فى الطريق وهو يلتفت فى أقطار البر يمينا وشمالا شبه الواله الحيران وهو يبكى بكاء الاحزان وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ريح الحجاز تنفسى عن حاجرى * واقرى ســـلامى للحبب الهاجر
فلعل رابعـــة تردســـلامها * وتجود عطفا بالخيال السائر
ياعبل ان كان ابن عمك قد غدا * ورماك خوفا من رجال عشائر
وسلاك عنـــترة ومل فانى * أخفيك من خوف العدا فى ناظرى
أوكان شيبوب اصيب بنكبة * وسواه بطـــن مقابر وحفائر
فالامر للـــرب العظـــيم فانه * فى خلقـــه يقضى قضاء القادر

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الانشاد والمقال أخذه الانذهال وعلم انه بشارة بن منيع ففرح بتسهيل الامر بيع وأجابه على شعره يقول صلوا على طه الرسول

والله ما طـــرق الزمان لعنـــتر * أيضا ولا شيبوب ذاك الماهر
ولقـــد أتاك بهمة عبســـية * والخيل تتبعه بكل مبادر
من كل أغلب فى الكريهة ماجد * صعب العزيمة كالهزبر الجاسر

يغشى وجوه الخيل فى يوم الوغا * ويجز فى هام العدا بالبائر
بطل اذا عاينته فى سرجه * فتراه كالاسد الجسور الكامر
من نسل سادات غدت أفعالهم * بين الورى مثل الربيع الزاهر

(قال الراوى) فلما فرغ شيبوب من هذا النظام تقدم الى بشارة وبدأه بالسلام وقال له والله ما طرقت شيبوب نوائب الزمان بل انه اتاك بعترة الفرسان ومعه مائة فارس أعيان تلقى جن سليمان ثم انه تقدم اليه وعرفه بنفسه (قال الراوى) فلما نظره بشارة فرح برؤياه واعلمه بغيبة مولاه وقال لشيبوب انى قد عوّلت على أن آخذ اموال سيدى وما تملكه يداه واسير مع الجماعة الى محبوبتى رابعة ولكن قبل كل حساب تمكث ههنا من غير قيل ولا قال حتى تأخذ عبلة زين الدلال وتوصلها الى اخيك فى عاجل الحال فلما اتصل بها اليه تسلم لنا عليه وتقبل يديه ثم خذهم وسر بهم الى جبال الردم وانزلهم فى تلك الآكام وانا آتى اليكم سريعا لانى قد خطر لى خاطر وبه تكمل البشائر وذلك انى اسير واجمع ما لمولاى من الاموال واحمله على ظهور الجمال وآتيكم فى عاجل الحال فى نفر قليل من الرجال فعند ما تعاينونى وقد اشرفت عليكم شنوا على الغارة واقطعوا جميع ما معى من العبيد واهربقوا دماءهم على الصعيد ولا تدعوا منهم قريبا ولا بعيدا وسيروا بنا فى امان من غير الزمان فاجابه شيبوب الى ما قال بالسمع والطاعة ورجع بشارة من تلك الساعة الى ان وصل الى الديار فوجد عبلة له فى الانتظار (قال) وكانت عبلة قد ملت من طول مدتها وبشارة يعدها بتفريج كربتها وكان كل ليلة يأتيها عند الظلام ويسليها بالحديث والكلام الى ان كانت تلك الليلة التى اشتغل فيها بشارة مع شيبوب فتغير عليها الميعاد فصارت عبلة قاعدة فى نواح وتعداد فبينما هى على ذلك الايراد واذا قد دخل عليها بشارة فى تلك الساعة فوجدها تذرف بالدموع وتذكر الاطلال والربوع وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

فى الدمع والاشواق تقوى ولا تفنى * وانحانى شوقى الى الاهل والمغنى
انوح ومالى من يفرج كربتى * ولا من يقاسمنى الهموم ولا الحزنا
فيا من رحلتم بالفؤاد ترفقوا * ولا تشمتوا الاعدا بابعادكم عنا
وان جزتمو فى سيركم رمل عالج * فردوا فؤادى وارحموا جسدى المضنى
وقولوا لقد حاز الحجاز عبيلة * تقاسى نزاع الموت شوقا الى المغنى
علمتم جلائى وانقطاعى وغربتى * وما فيكمو من سار نحوى ولا حنا
بنى العم ما عودتمونى مللا له * ولا كان ظنى فيكمو تخلفوا الظنا
عهودى نقضتم واطرحتم مودتى * وخلفتمونى فى بلاد العدا رهنا
اموت اشتياقا كل يوم وليلة * ويقتلنى نوح الحمام اذا غنى
واهلكنى نوحى وهمى وغربتى * دواما وابكى عند ذكركم حزنا
فيا ليت شعرى هل يجينى بشارة * يبشرنى كى ما يزول العنا عنا
وانظر وجه الفارس البطل الذى * يزول به حزنى ويغنينى الامنا

(قال الراوى) فلما سمع بشارة من عبلة هذه الابيات دخل عليها وهو يقول لها نعم يا مولاتى ها هو بشارة قد أتاك ومعه بشارة يستأهل عليها كل ما ملكت يداك لانها من احكم البشارات وأوفق السعادات ثم انه اعلمها بوصول شيبوب وعنتر وقص عليها القصة والخبر فقالت له احسن الله بشارتك ثم جمع شملك على محبوبتك * هذا وقد قال لها بشارة قومى فى هذه الساعة بنفسك حتى اجمع بينك وبين ابن عمك وادبر شيأ اخلص به نفسى ثم ان بشارة قام الى صندوق حوائجه وانحفها بثياب ملابسه والبسها زى الرجال وعممها

وعممها ولفها واركبها على جواد حتى بقيت مثل الفارس الهمام وخرج بها من الخيام واوصلها الى شيبوب في تلك الاكام وقال له سر بها على الفور واوصلها الى اخيك الفارس المذكور ومابقى الا وصولنا اليكم وقدومنا عليكم فقام شيبوب الى عبلة وهنأها بالسلامة وبعدها سار بها طالبا اخاه عنتر وهو يجد في ذلك البر الاقفر ومازال الى ان وصل اليه وكان عنتر قد اخذه القلق عليه واراد ان يسير خلفه خوفا عليه واذا به اقبل وعبلة خلفه كأنها غزال عطشان فلما ابصرها قام لها كالوالد السكران واعتنقها وقبلها في فمها وبالسلامة هنأها واشار اليها بقول صلوا على طه الرسول

لولم يكن قلبي بحبك مبتلى * مابات طرفي في الظلام مبتلا

وقد اطلعت على الغرام تولها * وعصيت من وجدي عليك العذلا * انظر ترى ربع الاحبة ماحلا
ياهاجري والعيش بعدك ماحلا * انت الذي اورثت اسباب الهوى * وتركتني بعد المحبة مهملا
وجعلت مابين التواصل قطرة * وجعلت دمع العين غيثا مرسلا * ماضر لو حييتني بتحية
أوجئتني بالوصل منك تفضلا * ياسائلي عن حالتي في حبها * ونحول جسمي والضنى يكفي البلا

(قال الراوي) ثم انهما لما التقيا بعد هذا الشعر والنظام قعدا يتحادثان ويتعايدان ماحل بهما من الغرام فهذا ما كان منهما وما جرى من أمرهما (وأما ما كان) من بشارة بن منيع فانه أقام ليلته وهو يدبر في قصته الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقام وسار الى مالك بن حسان وهو الذي تركه مفرج ابن هلال يحفظ الحلة والمال والحريم والعيال ولما دخل عليه قبل يديه وقال له يامولاي قد وصل الي من عند مولاي كتاب يذكر فيه أنه قد جرى له عند الملك كسرى أمور وأسباب لانه سيره الى أرض خراسان وهو ومن معه من بني شيبان وولى عليهم مرزبان ومن معه بالدبالم والاعجام وساروا الجميع ليفتحوا بلدا عصت عليه من اقليم اصفهان وقد أخبر مولاي أنهم لما وصلوا اجتمع عليهم خلق كثير منها ومن غيرها وانهم لما أشرفوا على العطب عوّل مولاي مفرج على الهرب وانه أمرني في هذا الكتاب أني أحمل جميع ما كان في خزائنه من ذخائر وأموال على مائتي جمل من الجمال واحصن الجميع في جبال الردم وتلك الوديان حتى ينصلح حاله مع الملك كسرى أنوشروان ثم انه عرض عليه كتابا وفيه شرح جميع الاسباب ولما أن قراه عرف مضمونه ومعناه (قال) وكان بشارة صنع من ذكاوة عقله هذه الامور والاحكام في غسق الظلام لانه كتب هذا الكتاب ودبر هذه الامور والاسباب وقال له مالك يابشارة ان مولاك ماذكر في الكتاب أحدا من النساء والعيال والبنات والاطفال فقال يامولاي لانه يعلم ان الملك كسرى اذا أغار على الحريم والعيال والبنات والاطفال يخلصوا اذا توسط لهم الملك النعمان ذو القدر والشان وأما الاموال والصناديق والجواهر الغوال فانه اذا أخذها ما يرجع منها عقال قال صدقت في هذا المقال احترس على أموال مولاك قبل أن تذهلنا طنا جبر الاعجام فعند ها خرج بشارة من عنده وجمع عبيد مولاه واختار منهم خمسين عبدا وأنفذهم الى المراعي فأتوه بمائتي جمل من الجمال الاقوياء ودخل الى المخازن بالعبيد وأخرج منها ما يريد وأخذ ما كان فيها من الصناديق والاموال والثياب الغوال ومانرك فيها الا مالا ينفع مثل عامود خيمة مكسور أو بيت مقطع مدسور (قال) وعند المساء تجهزت الاشغال وشالوا الاحمال على ظهور الجمال وركب وأخذ أمه معه وسار من أول الليل وأمر العبيد بسوق الجمال والخيل ومازالوا سائرين وفي السير مجدين الى ضحى النهار وعولوا على النزول واذا بخيل بني عبس قد خرجت اليهم عند طلوع الشمس وهي تنادي الغنيمة الغنيمة (قال الراوي) فلما سمع بشارة هذا الكلام ورأى فرسان بني عبس وعنتر فرح بذلك واستبشر وأخذ بجواده اليهم وسلم على عنتر وقد عرفه بطول قامته وذلك خوفا على نفسه ان يجرح غلط ويفرط فيه الفرط * هذا ولما بقي قدام عنتر سلم عليه وقبل يديه وقال له يامولاي انزل السيف في هؤلاء

العبيد أولاد الاندال وتسلم منى تلك الاموال واجمع بينى وبين محبوبتى رابعة التى تقارب الشمس وأنوارها الطالعة ثم انه أشار بمدحه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

سما بك المجد واستعلت بك الرتب * وقصرت عن علاك العجم والعرب
حزت الشجاعة لما نلت غايتها * فما يفوتك من ألقابها لقب
مال الرجال لجمع المال واجتهدوا * ولم يكن لك فى غير العلا رغب
فلا تخف رهبا فى المأثورات فقد * أعطيت من كل خير فوق ما يجب
سماحة لا ينال الرمح غايتها * جودا ويعطى عطايا دونها السحب
تسمو بذكرك فى انحائها الخطب * عززت دار بنى عبس وجانبها * فلم تلم بها الاحداث والنوب
يا من اذا ما علا نور هيبته * أيقنت أن سناه ليس يحتجب * فامنن على رهب لى الست رابعة
وعدها سيدى من بعض ما تهب * انى لها عاشق والله يا أملى * وان عشقى لها مع ودها عجب

(قال الراوى) ثم ان بشارة بعد هذا الكلام تقدم اليه وسلم عليه وهنأه بلقاء المحبوب وكذلك سقاء أخيه شيبوب (قال) فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم وقال له ابشر أيها البطل المكرم بطيب الجود والاحسان وعظم المروءة والامكان ثم انه أمر الفرسان فى عاجل الحال أن تضع السيف فى العبيد وأن عدوهم على الصعيد فداروا بهم من كل جانب ومكان ونهبوهم بالسيف والسنان وأخذوا الجمال والاحمال بما عليها من صناديق الاموال وعادوا طالبين ديار بنى عبس وعدنان وما زالوا سائرين يقطعون الهضاب والتلال * هذا وبشارة فرحان باجتماعه بمحبوبته رابعة وقد زالت عنه همومه وحسرته الشائعة وعنتر يعده بخيام ومضارب وقباب زمناصب وخيل وجنائب وهو فرحان باجتماعه بعبلة زينة الاعيان وهو سائر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

بين العقيق وذات الجزع والعلم * من ليس شوقى لها حاديا بمنكتم * وفى أوانس ذاك الحى ذات سنا
سقيمة الطرف أضنت بى الى العدم * فتانة اللحظ ما أحلى لواحظها * فى موقف البيت شجوا ها أراق دمى
مالت الى بورد الخد وابتسمت * عن واضح فى بريق الثغر مبتسم * فى ليلة لم يدع ليل العفاف بها
قلبا ولم أعتذر منها الى كرم * خلعت فى حبها عذرا لغرامها * الى الوشاة وقد ماتوا بغيظهم

(قال الراوى) هذا ولم يزالوا سائرين الى أن قاربوا المنازل والاطلال ففرح شيبوب بالبغال والجمال وتوجهوا الى التلال والرمال التى دفنوا فيها صناديق الاموال فأخرجوها وأعادوها الى ظهور الجمال وقد ذكرنا أن هذه الاموال هى التى كانوا أخذوها من ربيع كما تقدم وكيف عاد وجوده فى حالة العدم ثم انهم خلطوا المال بالمال وساروا حتى أشرفوا على الاطلال وعلمت بقدوم عنتر جميع الابطال فانقلب الحى الى قدومه وهم يتعجبون مما أتى معه من الغنائم والمال وكان قد خرج أكثر الناس الى لقائه وفى أوائلهم أولاد الملك زهير فنظروا الى تلك الاحمال والاموال فتعجبوا منها وقالوا والله لقد أفقر عنتر الملوك من أهل اليمن وأهل تلك الارض وأحل بهم البلاء والمحن * هذا وعنتر لما نظر الى فرسان بنى عبس قد أقبلوا ترجل اليهم لاجل السلام عليهم وقال لعبلة بنت مالك اطلبى أنت عرض البر واقصدى أبياتك والمضارب لتحظى باجتماع الاهل والاقارب وسيرى الى بيت أبيك وأهلك وذويك فسارت عبلة الى أهلها وأما عنتر فانه ترجل لاولاد الملك زهير كما تقدم وسعى حتى وصل اليهم وسلم عليهم وعلى فرسانهم وأجنادهم فسلموا عليه وهنؤه بالسلامة وسألوه عن سفرته وما جرى له فى غيبته فقال لهم حديثى عجيب وأمرى غريب وما هذا وقت شرحه وما يصح الا بين يدى أبيكم الملك زهير (قال) وكان مالك أبو عبلة قد عوفى من جراحه وبدا صلاحه وطلع ذلك اليوم فى جملة الفرسان الى لقاء عنتر وقد نظر الى تلك

الاموال

الاموال والغنائم التى مع عنتر وهو بها قادم فزاغ منه البصر وتأسف وتحسر والتفت الى ولده عمرو وقال له ياولدى لو كانت أختك باقية كانت هذه الاموال الى مضاربنا واصلة وبعدها تقدم الى عنتر وسلم عليه وقال له ياأبا الفوارس هل وقعت لابنة عمك على خبر أواقتفيت لها أثر بعد طول هذه الغيبة فقال عنتر يامولاى زوجتى عند أمها بين أهلها وقومها فتبسم مالك وظن أن كلامه مزاح * هذا ومازال السائرين حتى عبروا على أذيال الخيل فتلقتهم الاماء بالدفوف والمزاهر وخرجت اليهم المولدات والحرائر وجميع النساء والبنات يطلبون من عنتر الهبات كما جرت لهم به العادات اذا قدم عليهم من الغزوات وما كان فى الكل أشد فرحا من بشارة بن منيع لانه رأى محبوبته رابعة وهى فى جملة المولدات والحرائر طالعة فترجل اليها وضمها الى صدره وجعل يبكى ويشكو اليها ما قاساه من فرقها والبعاد ومازال كذلك حتى استقر بأهل الحى القرار وخلع عنتر على العبيد والاحرار وفى عاجل الحال أمر بنصب الخيام والسرادقات فرفعت القباب وامتدت الاطناب وقال عنتر لبشارة هذه الخيام خيامك وأنا فيها نزيلك وجارك وخادمك وكل ماوصل معك من أموال مولاك فهو لك وأموالى وما تملك يدى فهو بين يديك (قال) فلما سمع بشارة هذه الاقوال من عنتر شكر دوأثنى عليه ونزل هو ومحبوبته رابعة فى الخيام وأما مالك أبو عبلة فانه سار الى منازله والابيات فرأى ابنته عبلة هنالك وفى خدمتها الاماء والمولدات وحولها نساء أعمامها السادات وهى تحدثهن بقصتها فحار عقله لما أبصرها وغاب عن الدنيا لما نظرها وقال لها ويلك ياابنتى وهل أنت فى عداد الاحياء فوالله لقد ذكرلى ابن عمك هذا الكلام فظننت انه مزاح ثم انه دنا منها وقبلها بين عينيها وجلس يسمع حديثها والذى جرى عليها * قال وأما عنتر فانه لما استقر به النزول وحط عن الجمال الحمول انفذ الملك زهير خلفه رسول وهو يقول له أجب الملك زهيرا صاحب السلف المشهور لانه قد أصبح اليوم مخمور وما عقل على نفسه الا تلك الساعة وقد حدثه أولاده بقصتك وما جرى لك فى سفرتك وما حصل لك من أوله الى آخره وقد اشتاق الى طلعتك فأجابه بالسمع والطاعه وسار اليه من تلك الساعة ومازال سائرا حتى دخل على الملك زهير فقام الملك زهير له وتلقاه وأجلسه وحياه وقال له أهلا وسهلا ومرحبا بحامية عبس وقادح زنادها فوالله لقد بعدت وكنت أنت الراجح فى انفادها فقال عنتر لا والله ياموالاى ما أبعدت عنها بل لاجلها كانت سفرتى حتى خلصتها من بلاها ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

ياأيها الملك المحمود شيمته * ياابن الافاضل فى الاخلاق والشيم * انظر بعينيك واسمع قول معتذر
واجعل سماعك فى لفظى وفى كلمى * لا يرهب العزم ان ضاقت مذاهبه * ولا يعد اذا استولى على النعم
ان اخر الدهر حظى عن يدى أملى * او اخر السعد مجدى عن علا همم * انا مددت الى نحو اللئام يدا
ولا سعت بى الى أبياتهم قدمى * خوفا على السيد الممنوع جانبه * من أن يضام واشفاقا على الحرم
لى همة بك ألقى الحادثات بها * وما عرفتك الا حافظ الذمم * تخذ بحقى وانصرنى على رجل
ندل لئيم خبيث غير محتشم * فأنت أفضل كل الناس اجمعهم * وأنت أقدر من عرب ومن عجم

(قال الراوى) ثم ان عنترا أعلم الملك زهير بما دبر الربيع بن زياد على عبلة بنت مالك بن قراد وكيف أرسل الى مفرج بن هلال وطلب منه عشرة رجال وكيف عمل الحيلة على عبلة حتى أخرجها الى العزيز وكيف سباها وكان ذلك بحكم الملك القدير وكيف انه تقاسم مع مفرج اموالها وكيف اراد قتلها واتلاف حالها وبعدها قص عليه قصة العبد بشارة والاموال التى وصلت معه من أرض بنى شيبان وان خلاص عبلة على يديه من القتل كان فتعجب الملك زهير هو وأولاده من ذلك الكلام وما منهم من أحد الا وخفق فؤاده من هذه الاحكام وقالوا والله لو كتب هذا الحديث على بعض الصخور لذابت ولو سمعت به الاطفال التى فى المهد لشابت والساعة ياأبا الفوارس عبلة فى أبياتها عند أهلها وأمائها فقال ياملك الزمان ولكن راح المال

الذى كان عليها والجواهر والآل وأنا عازم على خلاصه من الربيع بن زياد ومفرج بن هلال ولو مالت علينا الجبال فى صورة الرجال فلابد من تخليص حقى من بنى شيبان الاندال فقال الملك زهير والله ماتزال أنت والربيع بن زياد فى اللجاج والنكال حتى تقع علينا بالا بالا بنسد وترمى العشيرة بسهم لا يرتد وكان من الرأى الصواب أنك لما علمت بخبر عيلة أنها فى بنى شيبان كنت أعلمتنى بهذه الامور والاسباب حتى كنت أنفذت لهم نجاب وأخلص لك مالها منهم بكل الاسباب ولا كنت سرت أنت وأخذت مال مفرج بن هلال وهو فى سفر الملك العادل كسرى أنوشروان والملك النعمان وتركت لنا مع العالم فتنة لاتنقضى طول الزمان فقال له عنتر يامولاى لو أعلمتك أن عيلة فى قيد الحياة وشاع خبرها على الافواه كان الربيع بن زياد المقطوع الذراع يسبقنا الى قتلها قبل خلاصها بالمكر والخداع طمعا فى أخذ مالها وما كان عليها من المتاع وكان بنكتم عنى حالها ولم أعلم بما جرى لها والآن قد ثبتت عليه حجة بظهورها ولا بقى يقدر على انكارها بعد اشتهار أمرها وأما ماقلت عن بنى شيبان فانى سوف أريك ما أفعل بهم من الذل والهوان ولا أزال كذلك حتى أخلص أموالها بالحرب والطعان فقال الملك زهير قاتل الله الربيع ما أخبثه وما أذله من دون الرجال لانه أخذ بنت عمه التى يلزمه عارها وغربها عن ديارها وسلمها الى قوم غير أبناء جنسها الاجرم أن الله الكريم قابله على فعاله فى نفسه وماله فقال عنتر وكيف ذلك يامولاى فحدثه الملك زهير بحديث الربيع لما كبس على ركاب بن مالك واوقعه فى الاهوال والمهالك وكيف جرح واخذت امواله وساءت بين الرجال احواله وصار مرميا فى الفلاة مهالك لولا اخوته سارواليه وحملوه والا كانت الوحوش اكلوه وهو الى الآن مريض من الم الجراح ويتجرع بالماء القراح فعند هادق عنتر يدا على يد واظهر التعجب والاسف وقال يامولاى هذا عاقبة العناد والتلاف (قال) وكان الربيع بن زياد لما جرحه عنتر واخذ امواله وقتل عبيده واقياله وتركه متفانى الفلاة بعد ماعصب عيناه كما ذكرنا ارسل عبده سالم الى اخوته يعلمهم بقدومه من سفرته حتى انهم يخرجون الى لقاه ويستبشرون بالاموال التى جاءت واياه واقام هو باقى النهار ولاحسب حساب طوارق الاسحار الا ان عبده ما وصل الى بنى فزاره وتلك البطاح حتى اصبح الصباح ودخل على اخوة الربيع واعلمهم بقدوم اخيهم الجميع ففرحت الرجال منهم والصبيان وخرجوا للقاء الغياب وركبوا فى جماعة من الرجال وساروا والعبد قدامهم على ذلك الحال حتى مضى النهار الى ان مضوا الى الوادى المذكور وتلك القفار فصار أوالل ربيع آثار فقالوا للعبد اين فارقت مولاك فقال فى هذه القفار والدكادك على غدران ركب بن مالك وقد قال انه عند الفجر يقدم علينا وهذا وقت ملتقاه بنا الا ان يكون تعبان واقام فى ذلك المكان لاجل الانس والامان فقال عمارة هذا هو الصحيح وحق مالك الممالك ان هذه الارض صعبة المسالك ثم انهم ساروا فى سيرهم المتدارك حتى اشرفوا على ركاب بنى مالك واذا هم يرون القتلى مطروحين هنالك والوحوش اليهم متبادرة والطيور عليهم حائمة وطائرة والدماء من اجسادهم فائرة فقال عمارة واخيبتاه هذه والله بئس الفعال مات اخونا وانقبر وقد حملت به العبر ثم انهم تقدموا وهم تابعون وطء الجمال واثروا فراخيل العوال حتى التقوا بالربيع وهو على ذلك الحال فلما نظروه عرفوه وقالوا والله هذا اخونا فيا ترى من به اخبرنا ثم انهم نزلوا اليه وحلوا الكتاف من يديه وفكوا العصابة التى كانت على عينيه وشدوا جراحه وكلموه فأفاق من غشيته لما راى حوله اخوته وايقن بالسلامة عندها فسألوه عن حالته فحكى لهم جميع ما جرى له فى سفرته من عهد ما كان عند الملك النعمان الى ان اقبل الى هذا المكان واخبرهم بالخبر الذى جرى عليه وبانه اخذت امواله وما كان بين يديه وقال عمارة واأسفاه يا اخى ليتنى كنت حاضرا عندك ولكن ما سمعت من احد ولا ادريه فقال والله ان كانوا تابعين اثرى من ارض العراق اوانهم التقوا بى فى هذا المكان على وجه الاتفاق فقال له

عمارة

عمارة يا اخى ما علينا من ذلك فما كان من امر عبلة بنت مالك فقال الربيع قتلت وسقيت كأس المهالك فقال عمارة واحسرتاه عليك يا ابنة مالك فما كنت الا تمنى ساعة من ساعات وصالك فقال الربيع اتركنا من هذا بانك وشقشقة لسانك ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى الخيام وطرح الربيع على الوسائد ونام من كثرة الجراح والآلام وفى ثانى الايام اقبل عليه يزيد بن عمرو فى اكابر بنى فزارة واخوته واولاده وسلموا عليه واستخبروه عن حالته فأعاد عليهم ما تقدم من قصته فقال حذيفة بن بدر يا ربيع وحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام لو كنت اعرف هذا العدو الذى فعل بك تلك الفعال لاقلعن آثارهم واخربن ديارهم ولو يكونوا بعدد المطر او ورق الشجر ولكن يا ابن العم سلامة الانسان من العدم اوفى من الف غنيمة واعظم (قال) واما الملك زهير فانه لما بلغه الخبر من الربيع انه اتى مجروحا من سفرته أتى له فى سائر اخوته ورؤساء عشيرته وسلم عليه وسأله عما جرى له فأخبره بقصته واعلمه ايضا بخبر المتجردة وكيف ان النعمان طلب ان تكون له أهلا ويكون لها بعلا ثم قالوا ونحن يا ملك الزمان ما نجد لها كفأ غير الملك النعمان وبمصاهرته تهابنا سائر العربان (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من الربيع هذا الكلام عبس وغضب وقال انا ما عندى بنت تصلح للزواج وان كانت عندى فلا أغربها عن وطنها واهلها وتعيش وحيدة فريدة مالها من يردها وانا راكب على ظهر الحصان وخلفى اربعة آلاف عنان وابنتى بعد ذلك تضام وتهان ثم انه قام وركب الجواد وهو متألم القلب والفؤاد من هذا الكلام الذى سمعه من الربيع بن زياد (قال الراوى) وفى هذه الايام وصل عنتر بن شداد بهذه الاموال التى وصفناها وشاع خبرها فى الاحياء وسمع بها كل من فى الحلة حتى وصل خبرها الى بنى فزارة وسمع به الربيع واخوته فعند ذلك تعجبوا من اظهار عبلة بعد العدم وقال عمارة لاخيه الربيع انت اعلمتنا يا اخى انك قتلت عبلة وها هى قد ظهرت وسرت قلوب اهلها الجميع فقال الربيع والله ما ادرى ما هذا السبب وفى الغيب عجب وانا قد تحيرت وقد اخذنى العجب وسعد هذا الشيطان قد غلب وانا اقسم بحق البيت والاركان انى ما سرت من بنى شيبان الى خدمة الملك النعمان الا وعبلة تحت الرمل والكثبان وبعينى رأيت الدم على أثواب العبد الذى قتلها لا أن يكون قد كذب وخان لما أمرناه بقتلها والهوان ثم انه سأل بعض العبيد الذين جاؤا يخبرون عن خلاص عبلة كيف كان ومن أى أرض ظهر وبان ومن كان السبب فى خلاصها من ذلك الهوان فقالت العبيد والله يا مولانا ما استوعبنا الحديث على صحته ولكن رأينا عنترا لما عاد من أرض العراق ومعه أموال وغنائم قد سدت الآفاق ومن كثرتها يسوقونها وهى لا تنساق وهى خيل وبغال وجمال ونياق ورأينا بجانبه عبدا أسود طويل القامة مليح الزى والمنظر وهو مدور الوجه مليح نظيف اللباس كامل الآداب مسفر اللثام مليح القوام واننا سألنا عن اسمه لما أعجبنا حسنه البديع فقيل لنا اسمه بشارة بن منيع وقد ذكر لنا الذى سألناه عن اسمه فقال لنا هذا العبد هو السبب فى خلاص عبلة من المهالك والوبال وقد أخذ أموال مولاه مفرج بن هلال واتى يريد المقام فى هذه الاطلال وذلك لاجل مولدة اسمها رابعة قد ظهرت عند عنتر بن شداد وهى تخجل الشمس الطالعة ومن أجل فعل هذه الفعلة نجى من الهلاك عبلة بنت مالك عبلة (قال) فلما سمع الربيع هذه القصة زادت فى قلبه النيران والغصة فجمع سائر اخوته وقال لهم اعلموا انه قد جرى من الاسباب ما لم يكن فى حساب ولا بقى غير معاداة ذلك العبد الشرير واذا لم نحسن فى هلاكه التدبير هلكنا ولا يبقى منا الا صغير ولا كبير وقلبى يحدثنى بأنه هو الذى التقى بى فى ركاب بنى مالك واخذ اموالى واورثنى المهالك وعاد هذا العبد ولد الزنا بعد الخسارة رابح وتخطت المقادير والاسباب وجهه الكالح ولا بد أن نخوج الملك زهيرا الى معاداتنا وربما أنه كان على عبلة من الملابس والجواهر يتم منا وينتهى الامر الى القتال وان جحدنا هذه الاعمال وانكرناها هذه الفعال وحلفنا انه ما عندنا من عبلة علم ولا خبر شهد علينا هذا العبد ولد الزنا الآخر الذى هو بشارة الذى قد خان مولاه وتبع

غرضه وهواه وكان من الصواب قتل فائقة ورابعة على الغدير قبل ماندبر على عبلة ذلك التدبير ولكن
ما علمنا ان الامر مدبر لاجل سعادة هذا العبد اللئيم الاغبر * قال هذا والربيع لما زاد عليه الحال فاض من
عينيه دمع سيال وقال والله ان ضيع الملك زهير حقي ولا راعى جانبي وهتك حرمتي لاقلعن اثره من ارض
الشرية والعلم السعدى واجعل لي وله حديثا يذكر من بعدى واول ما اوقع بينه وبين الملك النعمان الذى هو
ملك العربان واحوجه ان يركب عليه بملوك العرب ويقوده هو واولاده فى حبال الذل والهوان لانه لما اتى
يفتقدنى مما حصل لى من الهوان والعطب اشرت عليه بزواج ابنته الى ملك العرب وقلت له انك بمصاهرته
ترتفع قدرك عند اهل الرتب وتبقى من اخر الملوك اهل الحسب والنسب لان الملك النعمان قد بلغه ما فى
ابنتك من الحسن والجمال فأراد ان يكون بينه وبينك حبل الاتصال وانا الذى وصفت له جلالة قدرها وما
يكون من امرها وهو عازم على ارسال النجاب وبه تبلغ كل ماتروم من الاسباب فلما سمع منى هذا
الخطاب غضب ولا رد على جواب بل قال لى حتى اشاور اخوتى الانجاب وانا قد صح عندى ان عنترا هو
الذى جرحنى وقتل عبيدى واخذ اموالى وفضحنى واذا رايت الامر قد اشكل على وارسل لى زهير
يطالبنى بهذا العمل ويتهمنى بما كان على عبلة من الجواهر والحلل ويحمينى فى راس عنتر وينتقوى على
عداوتى من دون سائر البشر لاجهدن نفسى فى قلع آثاره وخراب ديار ولا اترك منهم رفيعا ولا وضيع
واصنع بهم اقبح ضيع ثم انه أقام ينتظر ما يكون واخوته اليه يتوجعون والى قلبه يطيبون فهذا ما كان
من الربيع واخيه عمارة وما جرى لهم من تلك العبارة التى تؤدى الى الذل والخسارة لهم ولمن يلوذ بهم
من بنى فزارة ﴿واما ما كان﴾ من عنتر والملك زهير فانه لما فرغ من كلامه لعنتر عن الربيع وما فعل من
الفعل الشنيع كتم عنتر ما عنده وقد اظهر التأسف والتعجب وقال ايها الملك الذى عمنا جوده وجزيل افضاله
لاجرم أن الله جازاه على قبيح فعاله وانى اريد منك ان ترسل اليه فى عاجل الحال وتطالبه بما كان على
عبلة من المال فاذا اقر واعترف بخطاه وقال خذ منى ما تهواه واعتذر الينا قبلنا عذره وسامحناه وان جحد
ذلك وانكر اقمنا عليه البينة وعلى قبيح فعله جازيناه فقال الملك زهير اما هذا الامر فلا بد منه على كل حال ولا بد
ان نرسل اليه ونسمع منه كلامه وبيان الصدق من المحال وبعدها قام عنتر الى أبياته وفرح الملك زهير
بخلاص عبلة وكذلك سائر اولاده وحماته الا ولده قيس فانه اغتم باطنا بما سمع على صهره الربيع وصار
يفكر فى ذلك الامر المريع وقد باتت القبيلة تضج فى مثل هذا الكلام واما بشارة بن منيع فكانت
عنده هذه الايام اعياد باجتماعه بحبوبته غاية المراد وقد اشتغل بها عن الجميع وشكر الزمان الذى
جمعه بها بعد الاياس سريع ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر بن شداد قد شرع فى وليمة تامة عظيمة لها بين
الرجال قدر وقيمة واكرم فيها سائر الناس وجميع الاصحاب وصارت الافراح فى فريق بنى قراد ومرت
عليهم أيام كأنها اعياد وهم فى لعب واكل وشرب ولهو وطرب وفرح وبسط واكل طعام وشرب مدام
وقد زفوا رابعة على بشارة بعد ما البسوها من الحلى والحلل * هذا وجميع الناس اليها تتشوف وسارت الاماء
تضرب قدامها بالدفوف والمولدات بالمزاهر حولها صفوف والعبيد يلعبون وينقلبون تحت السيوف
وما اقبل الليل الا والجارية عند بشارة فى الدلال وتملى بحسنها والجمال وتمتع منها بالوصال وكان الامير
عنتر قد فرض لهن صيام ومضارب وسرادقات واعلام واماء وخدام وجمال وانعام وجنائب وسبى ومتاع
واموال ومواهب وكان شيأ كثيرا يكل عن وصفه اللسان وصار بشارة عند عنتر فى اعلى مكان وقد خفت
عنه الكروب باتصاله بعد الاياس بالمحبوب * قال ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره
ولاح قال عنتر لعمه مالك قم الآن باعماه انت وولدك عمرو ثم ادخلا على الملك زهير وحدثاه على ما انتم
عليه من الامر ولا تزالا به حتى ينفذ الى الربيع بن زياد ويخاطبه وبما كان على عبلة من الاموال

يطالبه

يطالبه لانى انما قصدى ان اثير حربا عوان واشفى ما بقلبى من الاضغان فقال مالك السمع والطاعة سيكون ذلك فى هذه الساعة ثم انه قام واخذ معه ولده عمرا واخوته شداد وزخمة الجواد وبعض اولاد عمه من بنى قراد وسار والى الملك زهير بقوة قلب واجتهاد (قال الراوى) ولما وصلوا اليه سلموا وبعد السلام تكلموا وقالوا يا ملك الزمان ابنى الربيع ابنتنا ويهتك ستورها فى بنى شيبان وبأخذ ما كان عليها من الجواهر الحسان الغالية الاثمان فانفذ اليه حتى ينفذ لنا حقنا والا تركنا ينفصل من عنترة الفرسان (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير هذا الكلام خاف من وقوع الفتنة وارتكاب الآثام فدعا بولده قيس وقال له ياولدى اعلم ان الربيع صهرك قد صير فى قلوب هذه الرجال دبله وقد سبى ابنتهم عبلة وقد اتهمه سادات بنى قراد هذه التهمة وبعض البينة أثبتت عليه واريد لك ان تمضى هذه الساعة وتأمره أن يدفع لهذا الرجل جميع أمواله قبل أن أتركهم يقابلوه على فعاله فعند ها ركب قيس فى خمس فوارس من بنى عبس الاشاوس وسار وجد المسير وفى قلبه من هذا الامر حرارة حتى اشرف على حى بنى فزارة فارسل عبدا من عبيده يعلم الربيع بقدومه عليه فسار العبد حتى صار بين يديه وأعلمه بقدوم مولاه عليه فقام الربيع فى عاجل الحال وركب فى سائر اخوته ومن يلوذ به من عشيرته وركب حذيفة ابن بدر راكبا به وقرنوا خيلهم وركضوا بها مسرعين فى جنبات الارض وجدوا حتى التقوا بقيس بن الملك زهير وسلموا عليه ورحبوا به غاية الترحيب وقال له حذيفة فيما اذا أتيت يا ابن العم أزال الله عنك الهم والغم أتيت قاصدا الصيد والقنص أم أتيتنا زائرا حتى نغتنم معك أوقات الفرص فقال قيس لا والله يا ابن العم وحق الرب الكريم المتعال ما أتيت فى وجه من هذه الاوجه ولا أتيت الا لأروم هذا الرجل الذى ترك اهله وعشيرته وشفى برحيله عن حيه جميع أعدائه وحسدته وترك الضير فى اوطانه وعترته ثم انهم ساروا الى أن وصلوا الى الابيات وهم يتحدثون مع بعضهم جميع السادات * قال ولما استقر بقيس المقام أخذ يقص على الربيع ما جرى من هذه الاحوال وأخبره انه ما أتى الا ليطالبه بما كان على عبلة من الاموال فأظهر الربيع العجب من هذا المقال وعاد الى مكره وخبثه والمحال والتفت الى حذيفة بن بدر مسرعا فى المقال وقال له يا أمير هل رأيت فى المصائب مثل مصيبتى أو أحدا جرى عليه من أعدائه مثل ما جرى لى من أهلى وعشيرتى فانه ذهب منى أموال ما يقدر على مثلها الا الملك النعمان ولا توجد الا فى خزائن كسرى أنو شروان وصرت مرميا مطروحا عادم الروح فى الوديان وأقول متى يدركنى اخوتى وبنو عمى الاعيان والا كان الوحش أكلنى وشرب دمى وفى آخر الامر أطالب بالظلم والعدران وأصير من أهل النميمة والنقصان ويصدقون فى كلام عبد لا قدر له ولا شان وأنا وحق من خلق من النطفة كل انسان واغدق على عباده الرزق بالجود والاحسان ما رأيت لعبلة وجها ولا صورة ولا اخذت من عليها جواهرا وسائر الناس تعلم أنى مظلوم وكنت أعذل أخى عمارة والومه وأكثر له من النهى والتذكار من أجل تعرضه لعبلة ليلا ونهار ويعلم الله انى ما فرحت بغيبتها عن الاوطان بل اصابنى من اجلها هم عظيم وأحزان أكثر مما أصاب بنى عمها وأصابها هى وأهلها وربما يكون قد اتفق لها من بنى شيبان جائز طريق وسباها من اطراف الحلة ومن سعدها وطول عمرها أنفذ ها ربها من أعاديها بالجملة لانى سمعت انها عادت الى بنى عبس وعدنان واجتمع شملها بأهلها والخيران لكن ياولدى خل أحدا من أهلها يسألها ان كانت ليلة سبيت رأتنى أو لما كانت فى بنى شيبان نظرتنى فيكون قد حق القول على أن أطالب بأموالها وان كانت هى ما أخبرتكم بما كان من أمرها والحال ولا صدقت فى المقال فاطلبوا اما لها من بنى شيبان ومن سيدهم مفرج بن هلال الذين كانت عندهم فى الاسر والاعتقال واعلم ياولدى اذا كان الامر كما ذكرت فان القوم لا يتركون أموالهم لعنترة ولا يقعدون عن عبدهم بشارة ولا عن امتهم رابعة ولا بد لهم ان يشنوا عليكم الغارة

ولابد ان تأتى اليكم فرسانهم مسرعة متتابعة وغبائرها طالعة وربما أعانهم الملك النعمان بأبطال بنى لخم وجذام وما عنده من الفرسان ولابد أن يندم أبوك غاية الندم اذا رأى بعينه الهلاك والعدم (قال الراوى) فلما سمع قيس ابن الملك زهير هذا المقال اشكل عليه معرفة الحق من المحال وقال انا والله قد بان لى باطل هذا القول من صدقه وأنا أعلم أن عنترا معتدى وطالب مالا يستحقه وقد فتح علينا بابا لا نقدر على غلقه فقال حذيفة بتجربه واقترائه ياقيس فاذا كنتم بهذا تعلمون فلم لا تقتلون هذا العبد الملعون أو تنفوه هو ومن يلوذ به من بنى قراد الجميع وتدعون قبائل العرب يفعلون به أقبح صنيع فقال قيس والله يا ابن العم اننا لا يمنعنا عن هذه الفعال الا مخافتنا على العشيرة أن يتفرق شملها ويحل بها العدم ويطالبنا كل من له علينا دم لانه كما تعلم المرء بين أهله يعز ويكرم وأنا خائف من هذا الامر أنه على هذا الحال ينتهى ويبلغ العدو منا ما يريد ويشتهى (قال) فلما فرغ قيس من هذا المقال ركب وسار طالبا الاطلال الى ان وصل الى أرضه وأوطانه وكان قد وصل ذلك النهار عند طلوع الشمس فوجد أباه وأعمامه وسائر اخوته وبنى عبس الكل مجتمعين عند غدير ذات الارصاد والكاسات عليهم تدور وهم فى غاية الفرح والسرور والقينات تضرب لهم على العيدان وسائر المولدات يضربن بالكفوف والمزاهر والدفوف والعبيد الكل يتقلبون تحت السيوف فلما رآهم قيس مال اليهم واعلن بالسلام عليهم (قال) وكان السبب فى ذلك الفرح والمهرجان انه بعد رواح قيس بن الملك زهير الى بنى فزارة أقبل على الملك زهير ضيوف من أكابر بنى غطفان على سبيل الزيارة ومعهم هدية سنية ومن ضمنها خيول عربية فأكرمهم الملك زهير غاية الاكرام ونحر لهم النوق والاغنام فبينما هم على ما هم فيه من العز المنيع والجناب الرفيع اذا أقبل الملك قيس من عند صهره الربيع (قال) وكانت الخمرة قد لعبت بعقول الجميع ولما أقبل عليهم قيس قاموا اليه وبجلوه وسلموا عليه ثم انه جلس بين يدى أبيه وابتدأ وقص عليه القصة وما قال له الربيع بن زياد من المقال وكيف حكم على نفسه قدام بنى فزارة الاقيال وكان عنتر ذلك الوقت جالسا بجانب الملك زهير وبجانبه فرسان بنى قراد المشاهير فلما سمعوا ذلك الكلام صار الضياء فى أعينهم ظلام فعند ها زاد الغيظ بالاميرشاس وقال ان هذا الكلام ما يعبر عقل ناس لان شيبوبا رأى الربيع فى بنى شيبان عند مفرج بن هلال الكشحان وهذا بشارة ثابت عليه المقال كيف انه أمره بقتل عبلة ودفنها فى الرمال وكيف تقاسم هو ومفرج ما كان عليها من الاموال وبعدها يجحد هذا الكلام ويأتى بزخاريف المحال وتكلم مالك بن زهير بمثل ذلك وصار محبو عنتر يقدحون أفكارهم بمثل هذا الخبر وجعل الشر يعمل فى أجسادهم والصور فقال الملك زهير أقصروا عن هذا الكلام ولا تجعلوه بينكم يطول واسألوا عبلة حتى اننا نفهم ما تقول فقال مالك انا امضى واسأل ابنتى عن هذا الحال وآتيكم بصدق المقال ثم انه قام وسار الى ابياته ودخل على عبلة ابنته وسألها عن هذه الاحوال فقالت له يا ابت لعن الله الكذاب انى ما رأيت الربيع ليلة سبانى الفرسان ولا رأيته فى أرض بنى شيبان لا هو ولا من يلوذ به من الاقران (قال الراوى) فلما سمع أبوها منها ذلك الكلام والمقال عاد الى الملك زهير وأعلمه بالحال وبما قالت عبلة من المقال والكلام فقال الملك زهير الآن ما بقى على الربيع ملام لانه ما وقع منه هذا الحكم وقد صدقت عليه عبلة فى الكلام فعند ها قام العبد بشارة وقد كان واقفا بحضرة الملك زهير يسمع الخطاب فقام الى ابياته وأحضر الجبة والعمامة والسكين بين يدى الملك زهير وقال يا مولاى اجمع بينى وبين هذا الرجل الكذاب حتى اخجله قدام هذه السادات الانجاب وأقيم الحجة عليه لانه أعطانى هذه الاشياء ليلة ما امرنى بذبح عبلة وهو عند مولاى مفرج بن هلال وتقاسما ما كان عليها من الاموال (قال الراوى) فلما سمع قيس تلك المسبة فى صهره الربيع من ذلك العبد بشارة بن منبع زاد غضبه وحصل له اغتمام فوثب عند ذلك قائما على الاقدام وركب جواده واخذ معه بعض الخدام وقال وحق

الكعبة

الكعبة الحرام لا اكلت طعاما ولا شربت مدام حتى افصل هذا الاحكام ثم انه سار حتى وصل الى حي بني فزارة وهو يقول ما بقيت ارجع حتى أبين هذه العبارة وكان قد ركب لما عالى النهار فما وصل اليهم حتى اقبل الليل بالاعتكار (قال) فلما رأى الربيع عودته على الآثار اندهش عند ذلك وحار وقام وتلقاه وسأله عن حالته وما سبب سرعة عودته فأخبره قيس بما كان من قصته وما جرى من العبد بشارة بن منيع وكيف احضر الجبة والعمامة والسكين والمنديل سريع قدام ابيه واكابر بني عبس الجميع فعندها اظهر الربيع الفرح وصفق على يديه وقال والله ان هذا الامر الذي جرى لي ما جرى لاحد مثله من سائر الامم لانه وحق ذمة العرب والرب القديم الذي اذا طلب غلب ان هذه الاموال بعض اموالي التي اخذت مني على ركاب بني مالك والآن قد صح عندي ان عنترا هو الذي اخذ مالي وكتفني واساء حالي وقتل عبيدي واقيالي ولقد اخبرني بعض الرجال بما اتى مع عنتر من صنادق الاموال والنياق والجمال والخيل والبغال وكنت اردت ان أسير الى أبيك الملك زهير واطالبه بأموالي ولكن الذي منعني من ذلك عقلي وحالي وخفت من وقوع الفتن والاهوال والآن قد هتك الله ستر هذا العبد ولد الزنا وتربية الامة اللخنا لانه هو الذي علم بشارة ان يقول هذا المقال ويفعل هذه الفعال والآن ما بقيت اقصر عن طلب حقي واظهار هذه الاحوال ولا على ما اخذ لي عنتر من الاموال وان كان ابوك ما ينصفني ولا يحفظ حق القرابة ويعنفني عدت الى الملك النعمان واشكو اليه ساحل بي من الذل والهوان هذا افعله ان كان ابوك يترك الانصاف ولا يراعيني ولا يخشى من الاسراف وان كان يستعز بسيف عنتر ويترك سادات قومه هدر ركبت معه سرك الخطر واجعلها عداوة اصلية على طول الزمان ما دارت الشمس والقمر (قال الراوي) فلما سمع قيس هذا الكلام خف عن قلبه ما كان يجده من الآلام وقال وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام ما صار يجتمع شمل بني عبس ما دام فيها هذا العبد الاسود ابن اللئام (قال الراوي) وما قال الربيع هذا المقال الا لاجل الخداع وخبثا منه واستدفاع ثم انهم لم يزالوا في حديث عنتر الى ان مضى الليل بظلماه واقبل النهار بضياه وركب قيس جواده وسار طالبا ارض بني عبس وتلك الديار والربيع سائر في ركابه وهو يوصيه ويقول له ياولدي اذا رأيت الامر اشتد وتعسر فأرسل خلفي حتى احضر وأتحاكم انا واياه قدام ابيك الملك زهير واضرب العبد بشارة الضرب الوجيع حتى يقر ويحكي لنا بالصحيح على ما اتفق عليه الجميع وأنظر كيف وصلت اليه الجبة والعمامة والسكين وتعرف السادات من بني عبس عن يقين اني مظلوم معهم ومسكين فسار قيس وهو متفكر في هذا الامر الذي لا يؤول الى خير ولا صلاح وكان قد سار عند الغلس فوصل الى بني عبس عند الصباح * قال ولما اشرف على غدير ذات الارصاد رأى اباه قد باكر الى شرب الراح هو ومن معه في ذلك المكان الفياح فمال قيس اليهم وسلم عليهم وتقدم الى ابيه وجلس بين يديه وقص جميع ما سمعه من الربيع عليه فاندهل الملك زهير من ذلك الخطاب وقال وحق مسبب الاسباب الذي خلق آدم من تراب ان هذه القصة تحار منها عقول ذوي الالباب وانا قد غاب عني الصواب بين هؤلاء القوم الذين لا يعلم الصادق منهم ولا الكذاب ولكن من الراي ياولدي ان تكتم هذا الامر لان عندنا هؤلاء الضيوف حتى انهم ينصرفوا من غير تشنيع واجمع بين بشارة والربيع وأنظر بينهم بما أراه واستوثق بينهم بالايمان الجميع واستوهب للمظلوم حقه من الظالم ثم انهم أتموا افراحهم في ذلك المكان وخدموا القوم الى ان امسى المساء واقبلت جيوش الظلام وتفرقت هؤلاء الاقوام الى كل مكان ولما كان عند الصباح خلع الملك زهير على ضيوفه وقادين ايديهم الجنائب واعطاهم شيأ كثيرا من المواهب وانصرفوا وهم له شاكرون ولانعامه ذاكرون (قال) ولما خلا باله انفذ خلف عنتر واعمامه وكانت قلوبهم على مقالي النار لاجل سماع ما يأتي عنهم من الاخبار وأمرهم ان يحضر وا بشارة بن منيع فلما اتاهم الرسول حضروا الى بين يديه الا بشارة

فانه لم يحضر فتقدم عنتر وخدم وسلم فى ذلك المحضر فقال لهم الملك زهير ان العبد بشارة احضروه حتى يسير معنا الى بنى فزارة وأتولى انا والشيخ بدر انفصال هذه النوبة ولا يتفرق شمل القبيلة ويشمت بنا الاعداء والحساد فقال عنتر يا ملك اى شئ عندك من اخبار الربيع وما جاء به مولاى قيس فقال له الملك زهير ذكر لى انك انت الذى اخذت ماله وكان من جملته هذه الجبة والعمامة والسكين والمنديل وانك علمت بشارة أن يقول هذا المقال ويناظره ويشهد عليه بالمحال وقد عوّل على ان يسير الى النعمان ويشكوك اليه أنت ومن كان معك من الفرسان ويقول ايضا لبنى شيبان ويعلمهم ان اموالهم وعبدهم عندك فى هذا المكان وان هذه القصة اذا لم تتلافاها والا انفتح علينا منها باب لا ينسد وطلبتنا الاعداء من كل مكان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك ازداد حقه على الربيع وارسل خلف بشارة بن منيع فما وجده فأرسل اليه ثانيا وسأل رابعة عنه فقالت والله ما عندى منه خبر من مدة يومين وانا اقول انه عندك وظننت انه غلب عليه السكر بجهة من عندكم فقال عنتر وحق من خلق الانام انه بالامس كان جالسا معى على سفرة المدام ورايته عند المساء زاد عليه السكر فوثب قائما على الاقدام فظننت انه سائر الى المنام وهذا آخر عهدى منه والسلام (قال) فلما ان طلبوا بشارة فما وجدوه قال الملك زهير بان والله الصدق من المحال وقد تبين لى ان هذا العبد كذاب وقد خاب من المناظرة والعذاب وهذا دليل ان لكم فى هذا الامر نشب وقد ظلمتم الربيع وهو امير من امراء العرب ثم ان الملك زهير عاد الى سرادقه وقد كاد الغيظ ان يخنقه وعاد بنو قراد الى منازلهم وقد وقع بهم الخجل وزاد بعنتر الغيظ والوجل وتوقدت فى قلبه النار وقال وحق من اوسع القفار وفجر الانهار واظهر من الارض فاكهة وازهار لاخلصت حتى الابا السيف البتار وان احيانى الملك الديان رحلت من تلك الديار والاوطان واستعد لمفرج بن هلال ولبنى شيبان وللملك النعمان وجميع العربان ولو احتمى لهم كسرى انوشروان او قيصر ملك عبدة الصلبان وكل من وقع فى يدى من بنى زياد الحقه بمن مضى من قوم ثمود وعاد وكذلك قال ابوه شداد وعمه زخمة الجواد ومالك بن قراد وقالوا والله ما نرحل الا ونرحل كلنا معك وانما سرت تبعنا ولا نقيم فى مكان نذل فيه ونهان ولكن يا ولدى لا تحرك ساكنا حتى ينكشف خبر بشارة بن منيع وننظر آخر قصتنا مع الربيع فقال عنتر انا اقول ان فاتنى حذرى فغيبة بشارة فى أرض بنى فزارة وان الربيع عمل عليه وسرقه فى الليل حتى لا يجادله ويشهد عليه وربما يكون عجل تلافه وأنا لا بد لى أن أسعى فى كشف خبره واظهار أمره وبعد ذلك أجازيهم على فعالهم * هذا وقد انقلب الحى بهذا الخبر وما وقعوا لهذا العبد على أثر وقد ركب عروة بن الورد فى جماعة من رجاله الابطال وقصدوا المكان الذى كانوا فيه هم والملك زهير ومن كان معهم من الاقيال وهم يفتشون على بشارة واستمروا على هذا الامر حتى قاربوا بنى فزارة فعادوا وما وقعوا له على خبر ولا جلية أثر * قال وأما أمه فانها مما حل بها انهتكت عليه وكادت أن تهلك لغيبته عنها وكذلك أصحاب محبوبته رابعة فكانوا يجتمعون ويبكون ويفعلون من التعديد شيأ مكروها فتنغص من ذلك الامر الامير عنتر وزادت به الفكر والحير وجلس مقدار ثلاثة أيام لا يأكل طعاما ولا يشرب مداما وقد حلت به المشقة والعنا والملال والضنى وكان فى ليله يقول لعروة بن الورد يا أبا الابيض أريد ان أسير الى أرض بنى فزارة وأقيس على منازل ابن زياد وأخيه عمارة وأخلص هذا الرجل الغريب من الوثاق الذى احسن الينا واختار جوارنا وترك ارض العراق فقال له عروة يا أبا الفوارس ربما يكون الربيع قد قتله وأخفى أثره فيضيع تعبنا ولا يظهر لنا خبره ونفعل هذا الامر ولا نحظى بطائل ويصير الحق علينا بهذه الفعائل ويبقى يصدق فينا الملك زهير قول كل قائل (قال الراوى) ولما كان فى الليلة الرابعة هجم على عنتر عبد أسود أغبر وكان المكان خاليا بالامر المقدر وما فيه أحد من البشر ثم انه قبل يد الامير عنتر وقال له يا أبا الفوارس الحق جارك ونزيلك بشارة وخلصه من قبضة الربيع

فى

فى أرض بنى فزارة واقم به البينة على الربيع قبل ان يذهب حقك ويضيع ويلقى أنا الآخر مرادى واجمع بينى وبين من يهواه فؤادى فلما سمع عنتر من العبد هذا الكلام فرح واستبشر وقال ويلك يا عبد الخير كيف وصل جارنا الى أرض بنى فزارة ومن هو الذى أوقع بشارة فى قبضة الربيع وأخيه عمارة فقال له العبد يا مولاى الحديث عجيب والتدبير الذى دبره غريب ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك أن الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد لما جرى لهم مع قيس بن زهير ما جرى فى أرض بنى فزارة وسمع منه حديث جبته وعما منه وما فعل مع العبد بشارة وكيف قال انه يرافقه على تلك الاسباب ودفع قيس بذلك الجواب واحتج بما ذكرناه من ذلك الخطاب وبعد مضى قيس من عنده من بنى فزارة قال لاخوته كيف رأيتم كلامى لقيس بعد هذه البينة التى أتى بها من عند العبد بشارة فقالوا وحق اللات والعزى ما يقدر أحد غيرك على هذا الفعال ولا يقول شيأ مما قلته أنت من ذلك المقال لانك غطيت بياض الحق بسواد المحال وقد اتضحت لك الحجة فى طلب ما أخذ لك من الاموال وما بقى من الامر الا أننا نسير الى عند الملك النعمان ونسأله ان يأخذ لك ثارك ويرسل خلفه ويطالبه بمالك الذى عدم لك وذكرت أنه ما أنفذه الا لذلك العبد الكشحان وتوقع بينه وبين عنتر فتنة عظيمة حتى تبقى تتحدث بها العربان فى كل ناحية ومكان وتحوجه الى أن يأخذ مالك منه ويذله ويرميه بالخذلان وينفيه من هذه الارض والاوطان الى آخر قبائل العربان ﴿قال فعند ذلك قال الربيع ان هذا الامر ما يتم لنا بامكان الا ان كان بعدم هذا العبد بشارة الذى أخذ برطيلنا فى بنى شيبان وأتى الينا واقعنا وبعادينا فى هذا المكان لاننا اذا أهلكناه وصار من الهالكين صار الناس كلهم لنا مساعدين ويقولون بأجمعهم لولا أنه كان كذاب ما كان تباعد عن هذا الامر وولى هربا وغاب ويخرج الملك زهير عن عصبته لعنتر ويبقى يترك الاقل ويتبع الاكثر (قال) ثم انه فى تلك الساعة السريعة دعا بعبد من عبيده يقال له مسروق بن ربيعة وكان ما دار فى دخوله الحلل وسل الخيل والهجوم على المضارب انهار والليل فقال له الربيع بعد ما حضر قدامه وصار يسمع ما يقول له من كلامه ويلك يا مسروق أنت دائما تدعى الشطارة وللآن ما قضيت لنا حاجة تحسن بها العبارة وأنا أريد فى هذه النوبة أن أجرب فعالك وأبصر أعمالك فان قضيت لى هذه الحاجة وعدت وأنت سالم فابشر بما نالك منى من الغنائم وذلك انى أعتقك من رق العبودية وأزوجك بجارية عربية واتركك صاحب خيام ومضارب وخيل وجنائب وتكون عندى بمنزلة الاخ والقرائب (قال) فعند ذلك قال العبد وما هى الحاجة يا مولاى اطلب منى الآن ما يعجز عنه كل شيطان حتى ترى منى ما لا ترى من انسان فلما سمع الربيع من العبد ذلك القول انشرح صدره واستراح أمره وقال له أريد أن تأخذ معك من شئت من العبيد وتقصد أرض بنى عبس وتكمن فيما حولهم من تلك الارض والبيد ولا تزال أنت ومن معك الجميع مختفين حتى تقعوا ببشارة بن منيع فتقتله أو تأسره وتحمل به البوار وتأتى به اما فى الليل واما فى النهار وقد بلغنا بذلك كل ما نحب ونختار (ياسادات) فقال العبد مسروق يا مولاى وحق نعمتك العميمة ان هذه أهون الاشياء على عبدك وليس لهذا الامر قيمة لانى رأيت الى هذا العبد ونظرت الى مضاربه والاطلال وأبصرت الى ما معه من الاموال التى لا يستحق منها عقال وانى يا مولاى فى هذه الايام كنت معولا على قتله لاجل الحسد الذى وقع فى قلبى من أجله وطلبت أن ذلك فتوافق المراد وانما الحسد بعد ذلك زاد ﴿قال الراوى﴾ ثم انه فى عاجل الحال دعا بأربع عبيد أقوياء أبطال يعرفهم بالمكر والخديعة من أيام وليال وكانوا قد مشوا معه مرارا فى اللصوصية وأكل غير الحال فحدثهم بالامر الذى ندبه مولاه اليه وعرفهم واستعان بهم عليه فانتدبوا لمعونته واستعدوا بالخناجر وتأهبوا فى ذلك الامر تأهب المخاطر وفى دون ساعة سار والى ديار بنى عبس طالبين والى ما اعتدوا اليه متأهبين ﴿قال الراوى﴾ وكان العبد مسروق قد سمع بحديث الوليمة وما اجتمع فيها من

الابطال الذين لهم قدر وقيمة التى صنعها لهم زهير على غدير ذات الارصاد فصار فى ذلك اليوم يطلب فرصة يسر بها قلوب بنى زياد ويشوش بها قلوب بنى قراد وعنتر بن شداد (قال الراوى) ثم انه لما قارب الديار أخفى العبيد الذين معه فى وادى النوق وقعد واله فى الانتظار مستخفين بين مافى الوادى من كبار الاحجار وبقى العبد على حالته حتى وصل الى الوليمة وكان فى آخر النهار وقد آلت الشمس الى الاصفرار فرأى القوم على غير الاستواء من السكر وشرب العقار ولهم ضجة وجلبة قد أزعجت الاقطار ومافيهم من يعلم أهو فى الليل أو فى النهار فقال مسروق فى نفسه هذا وقت انتهاز الفرص وبلوغ المنا واغتنام المدح والثنا ثم انه وقف مع جملة العبيد الذين لبنى عبس وعدنان فرأى العبد بشارة الى جانب عنتر فى جملة الفرسان وهو يود لو جعله داخل مقلته ويغمض عليه الاجفان وسمعه وهو يقول له وحق من يعلم مافى القلوب وهو الله الذى لا اله الا هو علام الغيوب انك اليوم عندى عديل أخى شيبوب وانى لا أقدر على مكافأتك لا بمال ولا بنوال وكذلك عمه مالك وولده عمرو يقولون له هذا المقال ومافيهم الا من شكره وخدمه وكلما شرب مابين يديه يناولونه ويكرمونه حتى امتلأ وطفح من شدة السكر والفرح ومابقى يعقل على روحه ولا على من يمدح (قال الراوى) فلما رآه العبد مسروق عرفه وأقام يرصده الى أن قرب الصباح فوثب بشارة على قدميه وهو يميل من الراح ومشى وأوسع فى البطاح الى أن أبعد فى البر فجلس لقضاء الحاجة فغلب عليه السكر فمنعه عن القيام وكان الليل ناشرا أجنحة الظلام فانقض عليه العبد مسروق كانقضاض الباز على أضعف الحمام وفى عاجل الحال لفه فى كساه ودخل تحته وحمله على قفاه وسار به الى وادى النوق وصاح فى رفقاه فعرفوه وسألوه على حاله فأخبرهم بما جرى له وبما دبر من أعماله وقال لهم عاونونى على هذا العبد ولد الزنا والا فاقتلوه ودعونا من حمله والعنا ونقطع رأسه ونكون قد بلغنا غاية المنا وقد نال موالينا بنو زياد كل منهم ماتمنى فقالوا والله ما نحمله الا بالحياة ولو هلك أكثرنا (قال) ولما دار بينهم ما اتفقوا عليه من المرام خافوا ان يذهب الليل وينكشف النهار بعد انجلاء الظلام فعند ذلك تعاونوا على حمل بشارة وصاروا يحملونه تارة ويستريحون تارة حتى انهم وصلوا به الى حى بنى فزارة وكان قد انفجر الصباح ودخلوا به على الربيع ودم فى انشراح فلما رآه الربيع حصل له الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله ما قصرت يا مسروق حيث أتيت به فى الحياة حتى انى أشتفى بعذابه قبل ان يصل الى مولاه وأنفذه اليه بعد ذلك وأستريح من عتبه وعناه (قال) ثم ان الربيع المرتاب أمر هؤلاء العبيد الانجاب أن يصنعوا له تحت الارض سرداب ففى عاجل الحال حفروا قطعة من الارض وساووها عليه طولا وعرض وأمر العبيد بكتافه وان يقيد وا رجليه ففعلوا به كذلك وغلوا الى عنقه يديه وأنزلوه فى ذلك السرداب بعد ما سقفوا عليه بالاخشاب وكتموا فوقها بالتراب وجعلوا لها موضعا على قدر الباب وجعلوا من فوقها اجلال الخيل ورحال الجمال والاقتاب وأوصى به موادة من بعض المولدات يقال لها تمامه وقال لها تعهدى هذا العبد ولد الزنا كل يوم بشربة من الماء وقليل من الزاد حتى يتفرغ بالنا ونوصله الى مولاه فقالت الجارية السمع والطاعة يا مولاى (قال) ثم انها تولت أمره من تلك الساعة وهى لجميع أمر مولاها مطاوعة ثم انها صارت فى كل يوم تتفقده كما أمرها مولاها وتفعل معه الامور التى بها مولاها وصارت تحرسه فى النهار وفى الظلام الى أن كان يوم من بعض الايام فنزلت اليه عند الصباح وكانت الشمس قد انتشرت على الروابى والبطاح وكان قد خرج الربيع هو واخوته الى المراح (قال) ولما غاب فيمن معه من الاصحاب نزلت تمامه فى ذلك الوقت الى السرداب فنظرت الى العبد بشارة وهو مكتوف اليدين وكان لابسا خلعة من ثياب عنتر وكان أكحل أسمر فتمكن حبه من قلبها وقد سلب بحسنه لبها فقالت له يا غلام ما الذى اوقعك فى هذا المقام فقال لها بشارة وقد خلا منه السكر والمدام فى أى موضع أنا يا بنت الكرام قالت له كأنك كنت غائبا عن الوجود لما وقعت فى الاغلال والقيود فقال

اى والله كنت سكران لا أعرف طريقا ولا مكان فأين أنا يا مولدة العرب ومن هو الذى أوقعنى فى المذلة والعطب فقالت له يا ويلك أنت فى أبيات بنى زياد الذين طبعهم الغدر والكيد فنادى بشارة واويلاه والله لقد وقعت فى البلاء والعناد واجر باه يا مولدة العرب من عظم هذه النكبة وادبار هذه النازلة الصعبة لقد هلكت وأحاطت بى الرزية وحق الكعبة (قال) ثم انه بعد ذلك أفاق من نفسه وعرف ما قد جرى عليه فتناثرت الدموع من أماق عينه وعرف انه قد تغير بأمسه وأيقن بحلول رمسه وأبصرت الجارية ما قد نزل عليه فصارت تسليه عن همومه وتخضع له وتتذلل بين يديه وانه من عظم ما أصابه غشى عليه ثم انه أفاق من غشيته والنار تلتهب فى مهجته فزاد فى البكاء وأظهر الانين والاشتكاء وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

هى الآن روحى قد أصيب حميمها * فأمست عيونى تستهل دموعها * اذا قلت حسبى من تحمل بلوة
تفرد عنى بالامور عليمها * رعى الله عهدا من خليل ألفته * تولت بنا الدنيا وزال نعيمها
رزينا وفى الاحياء هناك حبائب * اليهن فى الاعراض بدر يسومها * وليس مقامى بعد ما صرت ههنا
مقاما وروحى قد تناهى حميمها * سأسلو لذى الدنيا ولو رأق حسنها * وطابت معانيها وراق نسيمها
وأبكى على روحى بكاء حمامة * وان عز ماء العين كنت غريمها

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية ذلك الشعر والنظام ضاق صدرها وعز صبرها وزاد بها الهيام وقالت له من أين أنت يا غلام وأى شئ بينك وبين هؤلاء اللئام فقال لها يا مولدة العرب وتربية خيار الفرسان أنا بشارة بن منيع عبد مفرج بن هلال سيد بنى شيبان وأنا الذى خلصت عبلة من يد الربيع بن زياد وردد تها على ابن عمها عنتر بن شداد بعد ما أمرت بقتلها وأن أنزل بها الفناء وألقيها فى البؤس والعناء (قال الراوى) ثم انه حدثها بفعاله وما قد تم له من أعماله فقالت له ثمامة والله انك كثير المروءة زائد الكرم صاحب عزيمة ونخوة بادى الشيم غيور على العيال والحرم وانا أقول ان الصنيعة ما تضيع فى أمثالك مادام هذا المقال مقالك فأى شئ قولك فيمن يخلصك مما أنت فيه من هذه المهالك ويصطنعك مثل ما اصطنعت أنت عبلة ابنة مالك فقال بشارة والله يا جارية الخير كنت اصبر لك ما عشت بطول الدهر غلام وأقبل أيادى والاقدام مادام الضياء والظلام فقالت له يا غلام اريد أن تحلف لى بالملك العلام وبحق البيت الحرام والمشاعر العظام أنك تكون لى محبوبا بطول الدوام مادامت الليالى والايام وتبقى تزيل عنى جميع همى وتكون تقاسمنى فى فرحى وغمى ثم انها أنت وبكت وأرخت الدموع وشكت وتنفست من فؤاد موجوع وأنشدت وجعلت تقول صلوا على طه الرسول

أقول للقلب والاشواق تنهبه * هذا الحساب الذى قد كنت أحسبه * ما أنت أول مغلوب على جلد
ما يعرف الحب الا من يجربه * ما أنت بين أمور وهى مشكلة * تضييع الحزم فيها ثم تغلبه
قلبى هوى لغلام شبه قمر * يسير فى فلك والشمس تحجبه * يا مرحبا بحقوق العائدين به
فأطيب الماء فى الافواه أعذبه * أرفق بقلب كئيب فيك مكتئب * وارحم تتابع اشواق تغلبه

(قال الراوى) فلما سمع بشارة منها ذلك الشعر والنظام قال لها افعلى ما تريدين من المرام فانى مطيع لك فى كل ما تأمرين به يا ابنة الكرام فعند ذلك حلفته الجارية وقد صارت الامور بينهم جارية ثم انها نهضت من وقتها وساعتها ومدت يدها اليه وحلت يديه ورجليه ونفست كربه من تلك القيود والاغلال وتم بينها وبينه ما كان من الاحوال وطلعت بعد ذلك من عنده وقد سلبت بحسنها عقله ورشده (قال الراوى) ثم انهم داموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وهم مواظبون على أكل الطعام وشرب المدام هذا والربيع كل يوم يأتى ويوصى الجارية على بشارة بن منيع وهى تقول له يا مولاى طب نفسا وقر عينا ولا يلحقك هم ولا شين فانى لم أغفل عنه لحظة واحدة ولا تسأل عما أفعل فى حقه من الامور الزائدة (قال

الراوى) فلما كان فى اليوم الرابع طلب بشارة لنفسه الخلاص مما هو فيه من ضيق الاقفاص وذلك العذاب الشديد ويعود الى بنى عبس وتقر عيناه من ذلك التنكيد فقالت له امهل على حتى أدبر كما أشتهى وأريد ثم انها دعت بأخ لها يقال له جمعة وكان هذا العبد يعشق جارية فى بنى عبس وكانت مليحة الطلعة وهى يقال لها وردة بنت لمعة ولكن ما كان يقدر أن يراها بالنظر خوفا من حامية عبس الامير عنتر وكان يأتى كل قليل الى اخته ويبكى على حاله ويظهر تأسفه وكثرة بلباله وهى تقول له يا أخى كيف لى براحة أوصلها اليك فوالله انى باكية من ذلك عليك فلما كان فى ذلك اليوم دعت به كما وصفنا وقالت له يا ابن امى وابى اخبرك بما قد حل بى اى شئ قولك فيمن يجمع شملك بمحبوبتك وردة حتى تحظى بها على طول الزمان والمدا فقال لها العبد وكيف لى بذلك يا أختاه أبديه الى بحق مالك الممالك حتى اقضيه ولو وقعت فى جميع المهالك فقالت ابشر فقد نلت المنا وأتتك المسرة والهنا ان انت فعلت ما اقول لك من الامور اتتك السعادة وتنال بذلك الحظ الموفور قال لها العبد قولى لى وحدثينى به فانى الى قولك مطيع لان من عمل خيرا وزرعه مع اهله لا يضيع فقالت له اريدك تمضى الى حلة بنى عبس وتقصد ابيات بنى بنى قراد وتجعل عزمك الى مضرب عنتر بن شداد الذى هو حاميتهم وفارس بنى قراد ولا تدخل اليه الا فى الليل ويكون المضرب خاليا من العبيد وفرسان الخيل فاذا فعلت ذلك تكون قد سلمت من الهلاك والويل وقل له بعد ان تسلم عليه وتقبل يديه قد اتيتك ببشارة تسر بها قلبك ويخف بسماعها همك وكربك ولكن ما اقول لها لك حتى تضمن لى عتق رقبتى وتجمع شملى بمحبوبتى فاذا ضمن لك ذلك وأمنت على نفسك من المهالك فقل له الحق جارك ونزيلك بشارة بن منيع فانه قد وقع فى قبضة مولاى الربيع وقد تركه فى سرداب بين الخيام والاطناب ووضع على بابه رجالات الجمال والاقتاب وقد وكل به أختى تمامة التى هو مؤتمنها على جميع ماله ولولاها كان بشارة هلك وتلفت احواله وهى تقول لك الحقه وخلصه مما حل به قبل أن يهلكه الربيع وبكاس المنية يسقيه لانه ان علم بحاله الربيع أهلكنا واياه نحن الجميع ثم تقول له وأريد منك يا أبا الفوارس ان تعطينى محبوبتى وتعتق من رق العبودية رقبتى (قال الراوى) فلما سمع أخوها منها ذلك الكلام خفق فؤاده من شدة الجوى والغرام وقال لها يا أختاه وهل بشارة فى هذه الساعة تحت قبضتك وأنت حاكمة عليه وهو فى حوزتك فقالت له نعم قد وقعت رحمته فى قلبى وقد أزال همى وكربى وذلك لاجل اصطناعه لعبلة وما فعل معها من الجميل ومن اجلها رمى نفسه فى الويل والتنكيل بعد ما أمره الربيع ومفرج بقتلها وكيف عفا عنها ومن القتل فكها وأعلمته بما جرى من الامر والشان وكيف أخذه العبيد وهو سكران وكيف حملوه على اكتافهم حتى اوقعوه فى ذلك المكان وأعلمته بالقصة من أولها الى آخرها وأعلمته بباطنها وظاهرها وأمرته بعد ذلك بالمسير فسار كأنه الطير وخرج من مضارب بنى فزارة وقد وعدته أخته أن يحسن فى مضيه العبارة ثم انه طلب حلل بنى عبس وهو يتقلب الطريق وجعل يسير فى عرض البر بلا رفيق الى ان وصل الى ابيات بنى قراد وقصد أبيات الامير عنتر بن شداد وكانت قد جضت الشمس للغروب فانقض من بين المضارب كأنه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وفى عاجل الحال قصد مضرب عنتر وهو يتقلقد بين الاطناب لا يعثر ولا يتقنطر فوجده فى المضرب وحده وما عنده أحد من العبيد ولا من جنده وهو يتفكر فى أمر بشارة وكيف فقد من بنى عبس وتمت عليه تلك العبارة فعند ذلك هجم العبد عليه وحياه وسلم وقبل الارض بين يديه وتكلم وقال له يا حامية عبس الحق نزيلك بشارة وخلصه من قبضة الربيع وعمارة واعلمه بما ذكرنا من تلك العبارة ثم قال له وانا اطلب منك حق بشارتى وان تجمع بينى وبين محبوبتى واطلقنى من رق العبودية واجعلنى من بعض غلمانك المسمية وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

اتيتك

اتيتك امشي والغرام عظيم * لتجبر قلبي فهو منه سقيم
رجوتك عونا والجوى مد باعه * وانت لكل النائبات رحيم

(قال الراوي) فلما سمع عنتر من العبد هذه الابيات طرب لها غاية الطرب وقال له ابشر يا ابن الحلالة ببلوغ الارب (قال الراوي) ومما وقع من العبارة ان هذه الجارية كانت لرجل كامل العقل والشطارة وهو من رجال عروة بن الورد يقال له زرارة وكان هذا الرجل من دون اصحابه فقيرا عديم ولكنه كان رجلا كريم ما قصده احد الا واعاده بالخير العظيم ففي عاجل الحال ارسل عنتر اليه فحضر الى بين يديه وطلب منه الامة في تلك الساعة فأجاب الرجل بالسمع والطاعة فلم يكن الا شيء يسير وأحضرها اليه ومعها هدية زائدة وهي قطعة من النوق والجمال وقد ساقها له وقدمها بين يديه وسأله القبول فأبى عنتر ذلك وكان من عادته انه لا يخيب من الرجال مأمولهم ولكنه رد على ذلك الرجل الجمال والنوق لكونه فقيرا صعلوكا واخذ تلك الامة في الحال واخلف عليه جملة من المال ووهبها الى العبد جمعة وبلغه منها الآمال ثم انه امر العبد ان يضرب له مضربا بين خيامه ومضاربه وصار عنده مثل اهله وقرائبه ونقل له كل ما يحتاجه من اكله ومشاربه ثم ان عنترا بعد ذلك استعلم منه عن خبر بشارة واخذ صفة السرداب وعرفه اين هو من ابيات الربيع المرتاب فقال له العبد يا مولاي انا اخبرك بجلية الحال وذلك انه حفر له سردابا على قدره وانزله فيه بحالة الاذلال وطرح عليه الاقتاب ورحالات الجمال ولولا خوف اختي تمامة من الربيع ان يقول لها انت خامرت علي واطلقت من قبضتي بشارة بن منيع لكانت اطلقته لحال سبيله وبردت ما به من نار غليله (قال الراوي) فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام قال له يا عبد الخير وصل جميلك ووجب لك علينا الاكرام ونحن نريد ان نقيم الحجة عليه ونخرج ذلك العبد من بين يديه لان الملك زهيرا شهد لهم بهذا الحال وقال لنا أنتم اخفيتم بشارة وقلتم هذا المقال وقال لولا انه في قوله كذاب ما كان فزع من مواقفة الربيع ولا غاب ثم ان عنترا ارسل في تلك الساعة خلف ابيه واعمامه وخواص بني قراد واعلمهم ان بشارة قد ظهر عند الربيع بن زياد ثم انه حدثهم بما جرى وكان وقال وحق الملك الديان الرحيم الرحمن الذي لا يشغله شان عن شان ان لم ينصفني الملك زهير من الربيع بن زياد لاعرفنه اينا اقدر على الشر والعناد وآخذ حقي بالسيوف الحداد والرماح المداد فقال له اعمامه وهم بين يديه مجتمعون والله يا ابا الفوارس لنرحل نحن معك وانما سرت نتبعك ولم يزالوا على ذلك الرواح الى ان أصبح الله بالصباح فركبوا وساروا الى مضارب الملك زهير فلما ان وقفوا بين يديه سلموا جميعهم عليه وترجلت بنو قراد وفي اوائلهم عنتر بن شداد ولما سلموا وهم بذلك الزي والملبوس امرهم الملك زهير بالجلوس وصار يفضل بعدان كان عبوس فعند ها قال له مالك ابو عبلة ايها الملك الكريم والسيد العظيم انني طلبت منك في ذلك اليوم المعونة على خلاص مال ابنتي فتغافلت عني وعن قضاء حاجتي وفي خبر العبد بشارة كذبتنا وصدقت الربيع علينا والآن بشارة قد ظهر له خبر وقد جرى عليه من الذل والاسى ما لم يجر على بشر ونريد منك ان تعاوننا على من انزل به العذاب والضرر وتسعى له معنا في الخلاص ونأخذ له ممن ظلمه القصاص ونطلقه من القيود والاغلال قبل ان يحل به الذل والنكال فقال الملك زهير واين كان العبد بشارة ومن الذي كان قد اوقعه في تلك الخسارة ومن كان سببا لهذه الاشارة حتى ننتقم منه ونفصل هذه العبارة لاني اراها نوبة مشكلة عظيمة الامر والشان ولابد ان تقع الفتنة بسببها بين العربان فعند ذلك قام عنتر من بين الجميع وقال للملك زهير يا مولاي بشارة قد ظهر عند من يريد ان يوافقه على فعله وهو الربيع وهو الذي احتال عليه وصنع به هذا الامر الوضيع وان لم نبادر اليه وندركه والا عجل عليه وأهلكه فقال الملك زهير لعنتر عساك ان تسير الى بني فزارة وتلقى بيننا وبينهم الشر والخسارة لاجل هذا العبد بشارة فقال له لا وحياتك يا مولاي لا حركت ساكنا بين العبيد والموالي حتى يأتي منهم

من يريد قتالى ولكن يامالك الزمان اذا كنت تريد الانصاف وتتبع سنة من مضى من السادات الاشراف
فأنفذ معنا من تثق به وتعتمد فى كلام الصدق عليه حتى يشهد لنا او علينا بالذى يقع بينهم وبيننا ويشاهد
مايجرى بعينه ويبصر مايفعل صهركم الربيع فى خلاص بشارة بن منيع فعند ذلك قام شاس ومالك
أولاد الملك زهير وكانوا كما قدمنا يحبون عنترا ويريدون له الخير وقالوا لابيهم ياأبتاه نحن نسير مع هؤلاء القوم
الى بنى فزارة ونبصر مايكون من خلاص هذا العبد بشارة ولانعود من عندهم حتى اننا نفصل هذه
العبارة ولعل ان يزول من بينهم هذا الشر ويكون ذلك بحضور الشيخ بدر بن عمرو فقال لهم الملك زهير افعلوا
مابدا لكم بارك الله فيكم وعليكم واحسن لكم الوداد واشهدوا على المعتدى حتى اقابله على مابدا منه من الشر
والعناد فعند ذلك قام أولاد الملك زهير قيام الآساد وركب الاثنان فى خمسة فوارس أجلاد وركب عروة
ابن الورد وأخذ معه عشرة رجال كانوا من خيار الابطال وعزموا على المسير لقضاء تلك الاشغال ولما
صاروا فى أطراف البيوت والاطلال قال عنتر لعروة بن الورد يا ابن العم هيا وأنفذ الينا بقية رجالك المسمية
وقل لهم يركبوا المهارة ويلحقونا على أرض بنى فزارة ويكمنوا لنا فى وادى المعمورية فربما نحتاج اليهم
فى مسئلة ضرورية لانى أعرف حذيفة بن بدر وحماقته ومافيه من البغى والغدر الذى هو طبعه مدا الدهر ولا
سيما وعنده الربيع بن زياد وأنت تعلم ماهو فيه من الشر والعناد ففعل عروة ما أمره به عنتر وقد استصوب
رأيه شاس ومالك منه نفر وخاف أن يحدث من ذلك ضرر (قال الراوى) ثم انهم توجهوا سائرين والى بنى
فزارة مسرعين ولخلاص بشارة قاصدين ولما أشرفوا على الخيام والاطلال ركبت الى لقائهم جماعة من
بنى فزارة الاقيال وفى أوائلهم الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وبين أيديهم حذيفة بن بدر الموصوف
بالمكر والغدر فلما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم كلا الطائفتين وقال الربيع للأمير عنتر أهلا
وسهلا بك ومن معك حضرت لعلك أتيت الى حينا مستحيا نادم أو أنت مقيم على لجاجك الدائم فقال عنتر
يا ابن الاوغاد انما يستحى من يفعل مع بنى عمه غير الواجب وينسى حوادث الدهر وما يتولد من المصائب
ويستحسن سبى بنات العرب ويرميهم بالنوائب هذا الذى يدعى بين الفرسان باللئيم الخائب فقال له
الربيع صدقت وحق ذمة العرب الاشراف ولو كان عندك ياعنتر شئ من الانصاف كنت رددت على مالى
الذى أخذته منى وظهر وقد طلع له من عندك صحة الخبر والا فأحضر لنا العبد بشارة حتى يبين لنا هذا الامر
المنكر الذى قاله عنى انى برطلته بالجبة والعمامة والسكين حتى انى أحدده قدام هؤلاء السادات الحاضرين
حتى انه يحدثهم بالصحيح من غير كذب ولا تلويح (قال الراوى) وما كان الربيع يقول هذا الكلام الا
وقايه واستدفاع لانه ما كان عنده خبر أن عنترا هو الذى جرحه وأخذ ماله لما كان نازلا فى تلك البقاع (قال
الراوى) ولما طلب من عنتر احضار بشارة وقد جعل هذا الكلام نصب عينه بين هؤلاء الامارة قال عنتر
لاولاد الملك زهير ولحذيفة بن بدر يا موالى اشهدوا على وعليه وابصروا من أين يظهر هذا الرجل الذى طلبه
منى وأخفاه وهربه واتهمنى فى دعواه ثم انه خب بالجواد بين مضارب بنى زياد وما فى الجميع الا من بقى
واقفا باهتا ومرتاب حتى وقف عنتر وأخوه شيبوب على جانب باب السرداب وفى عاجل الحال قال عنتر
لاخيه شيبوب يا ويلك ارفع هذه الرحالات والاقتاب وانزل الى هذا السرداب واصعد بهذا الرجل الغريب
وأزل عنه ماهو فيه من ذلك العذاب الذى اتهموه به بالزور وقد أشاعوا عنه انه كذاب حتى انه يحدث
أولاد الملك زهير بما جرى عليه من الهم والمصاب ففعل شيبوب ما أمره به أخوه وتقدم الى ذلك المكان
ووقف عليه وزعق على بشارة ونشله مجهر وأطلعه وأزال عنه ذلك الضرر هذا والربيع قد انذهل وخاف
من مرارة الموافقة والخجل فالتفت عند ذلك الى حذيفة بن بدر وقال له يا أمير اعلم ان هؤلاء ما أتوا لاجل أن
يوافقونا بل ما أتوا الا ليقاتلونا ويتعدوا علينا ويظلمونا ونحن يامالك نازلون فى جواركم ومقيمون فى حيكم

وديارك

وديارکم وعارنا من عارکم وهذا يامالك وقت نصرة الجار وطلب منازل العلو والافتخار (قال الراوى) وكان الربيع من مندمائزل على بنى فزارة وهو جاعل بين عينيه هذه الاشارة وحسب هذا الحساب وعلم ان هذا الامر لا ينتهى الا بالحراب والضراب فصار كلما حضر مع حذيفة على الطعام والشراب يحط على بنى عبس بالتوبيخ ويحرضهم أن ينزل بهم المصاب ويذم الملك زهيرا كيف ألحق عنترا بالنسب حتى صار يعد من سادات العرب (قال الراوى) وكان حذيفة اذا سمع من الربيع هذا المقال يغتاظ من ذكر عنتر ويلحقه الضجر ويقول من عجبه وتحيره وقلة عقله اذا أردت يا ربيع هلاك عنتر وهلاك من يتعصب له من بنى عبس الاخرفاتق أنت الفتنة بين الجميع حتى يثور الحرب بيننا وبينهم وأنا أملك لك بنى عبس وبنى قرادا لجميع الرفيع منهم والوضيع لان بنى عبس ليس لى فيهم صديق ولا رفيق ولا خل ولا شفيق (قال الراوى) وكان الربيع يفرح بمقاله ويشكره على فعاله ويصفه بالفروسية ويفضله على بنى عبس بالكلية وهكذا قالت أهل العقول ومن لهم فى ترتيب الكلام معقول

ترى البازان شار الغراب بشورة * أصابته من شور الغراب الفضائح

(قال الراوى) ولما جرى هذا الكلام وجرى لعنتر وللربيع ما جرى صار الربيع يحرض حذيفة ويغيه بالمقال ويقول له يافارس الزمان ونتيجة هذا العصر والاوان أين قولك ووعدك الذى وعدت به عبدك وما زال الربيع يمثل هذا الكلام حتى غضب حذيفة وصار الضياء فى وجهه كالظلام ولما أن تمكن منه الغضب على عنتر وقطب وكان حذيفة ما فى ذلك الزمان أجهل منه فى جاهلية العرب فأراد أن يورد بنى عبس وعنتر موارد العطب فزعق فى رجاله وأبطاله وتأهب للحرب والضرب * هذا بعد ما لبس عدة حربه واحتفل وبالحديد تسربل وركب على متن فرسه وكانت من أصول الخيل الجياد وقد حسده عليها جميع عرب الوهاد وكان اسمها طيفورة وهى مثل الغزالة المذعورة ونادى حذيفة فى عبيده ورجاله وصاح فى أبطاله وأقياله ففى دون ساعة لمعت أسنة الرماح وبرقت العدد فى سائر البطاح وركض حذيفة يطلب القتال وصاح وزعق الربيع فى رجاله الاوباح وقال لهم دونكم وهذا العبد الاسود الذى قد تعدى طوره وتمرد فعند ذلك دارت بعنتر الرجال من الاحرار والعبيد والفرسان الصناديد واحتاطوا به من كل مكان وانصبت عليه الفرسان ورماه العبيد بالحجاره وشنوا عليه الغارة وأشرف عليهم الغبار حتى طبق الاقطار (قال الراوى) وكان شيبوب فى تلك الساعة أخرج بشارة من السرداب وأطلقه من الوثاق والعذاب فقال له أخوه عنتر عند ما عاين ذلك وأبصر ياويلك امض به ياشيبوب الى وادى المعمورية الى أن أفصل أنا هذه القضية وأنفذ الى رجال عروة المسمية حتى انهم يعينونى ويجدونى على هذه الطائفة الفزارية (قال الراوى) وكان عنتر قد حسب هذا الحساب وعلم ما يأتى من هذه الامور والاسباب ولو لم يكن دبر هذا التدبير لحل به الويل والتدمير وانه لما عاين هذا الامر المنكر وبان له الغدر وقد اشتهر فما عاد ولا تأخر ولا أحد من أعمامه تقهقر بل صاح وتصدر ووقف فى وجوه الاعداء وزجر (قال الراوى) ولما عاينت أعمامه هذا الويل الذى اعتراه حملوا من قدامه ووراه وتصايحوا على العبيد الانذال ومالوا عليهم يمينا وشمال وما وصل عنتر الى أطراف البيوت والاطلال حتى قتل من بنى فزارة عشرة رجال وبعدها قال لاولاد الملك زهير انجوا أنتم بأموالى بأنفسكم حتى انى اردا الخيل عنى وعنكم فقال شاس لا وحق ذمة العرب لا حدثنا أنفسنا بالهزيمة والهرب ولا تركناك وحدك فى مقام العطب بل نأخذ الى ناحية حلتنا بالمسير وكل من لحقنا من بنى فزارة وزياد انزلنا به التدمير وتركناه على الارض قتيلا عفير الا أنهم ما بعدوا الا شيأ يسير حتى لحقتهم الفرسان ودنت منهم الشجعان واكثروا عليهم الصياح وقد جاءتهم الخيل من وسيع البطاح وفى اوائلهم الربيع بن زياد واخوته كأنهم الآساد وبجانبه حذيفة بن بدر فى طائفة من بنى فزارة وجميع

اخوته وبنى عمه الامارة وأقاموا على عنتر الغارة وجعلوها عداوة أصلية وعزموا على قتله هو وأصحابه بالكلية وصار الربيع يقول لحذيفة اعلم يا أبا حجار أنى دبرت هذا التدبير على عبد مفرج الغدار الذى ظهرت ثبانى عنده وأتيت به الى هذه الديار ولما احتلت عليه وصار فى قبضتى هددته بالقتل فأقر من هيبتى وقال انه هو الذى كبسك وأنت فى بنى مالك وتلك الرمال وأخذ حوائجك وما كان معه من تلك الاموال وقد علمنى ان أقول هذا المقال فعند ذلك قال حذيفة وحق ذمة العرب الاخيار اليوم آخذ لك من هؤلاء القوم بالثار وأكشف عنك العار ولا اترك من بنى قراد ديارا ولا نافخ نار ﴿قال الراوى﴾ ولما ان جرت هذه الاحوال ركب الشيخ بدر بن عمرو سيد بنى فزارة والحاكم على فرسانها والرجال وأتى فى مشايخ الحلة وكبار تلك الابطال لاجل هذه الفتنة التى ثارت ولاجل القتال وصار يصيح على ولده حذيفة وهو لا يرتدع ولا يسمع من أبيه المقال لاهو ولا من معه من الشباب الجهال بل زين لهم الحسد وجه المحال وكان أكثرهم يبغض عنتر الاجل ما ظهر منه من الفروسية فى القتال وكانوا قد نفروا فى الغين وستمائة فارس وطلبوا عنترا ومن معه مثل الابالس فتلقتهم بنو عبس مثل الاسود العوابس * هذا وحذيفة بن بدر فى أوائل الابطال وهو يهز رمحه العسال وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أنذل عبد بنى قراد جارى * وأنا على ظهر الجواد الجارى * كلا وحق الواقفين على منى
والطائفين بكعبة الجبار * يا آل بدر بادروا أعداكمو * بالمرهفات وبالقنا الخطار
حتى نبيد بنى قراد ويشتفى * قلب الربيع بعنتر الغدار * تبا لقوم الحقوا ساداتهم
بعبيدهم وتسربلوا بالعار * طلبوا حمايته لذل منهمو * والذل يزرى بالهزبر الضارى
وبنو فزارة للجمال عليهمو * حلل تبطنها العلا بفخار * قوم اذا ركبوا الجياد تصرمت
فى كل ارض قسطل من نار * واذا هم ولاقوا العدا فتراهمو * بعزيمة كالمرهف البتار

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الربيع بن زياد من حذيفة ذلك الشعر والنظام من مدحه لنفسه ومذمته لبنى عبس الكرام ازداد طغيانا ومكرا وخبثا وصار يركض بجواده والى جانبه حذيفة بن بدر وهو يحرض على المكر والغدر وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

لله درك يا ابا حجار * ياضيغما يوم الكريهة ضارى * بادرتنى لما رأيت مذلتى
ونصرتنى لما نأى انصارى * ياواحدا فى عصره بفعاله * ياذا العلا يا فارس الاقطار
يامن اذا سل الحسام بكفه * سل النفوس بحده البتار * يامن يصيد الاسد فى غاباتها
صيد العقاب لاضعف الأطيار * لوان اهل الارض حولك جحفلا * لفتيتهم بعزيمة ونخار
من اين هذا العبد حتى انه * يغشى ديارك او يلم بدارى * فاطعن برمحك يا أمير فؤاده
* حتى يقر من الزمان قرارى *

﴿قال الراوى﴾ وبعد هذا الكلام اطلقت بنو فزارة رؤوس الخيل السبق ولاحقت بهم الجيوش وما منهم الا من صاح وزعق ولا احد منهم عن رفيقه افترق وصاروا يقولون لبنى عبس يا ويلكم اطلبوا لانفسكم النجاة والا حل بكم الفناء ودعونا نحن نقتل هذا العبد ولد الزنا وأى شئ يكون قدره هذا العبد الآخر يشارة بن منيع حتى تفعلوا من أجله هذا الفعل فى حق الامير الربيع ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا المقال ورأى الخيل قد طلبته من اليمين والشمال زادت نيرانه اشتعال وقال لاولاد الملك زهير يا موالى انتم ما معكم سلاح فلا تتعرضوا للقتال ولا للكفاح بل قفوا وتفرجوا على ما يجرى بينى وبين هؤلاء القوم الكلاب وانظروا ما يقع فى رؤسهم من الضرب بالسيف القرضاب ﴿قال﴾ ثم ان ابا الفوارس عنتر عاد اليهم عودة الاسد الغضور وهو يثب على الخيل بقلب اقوى من الحجر وهو يطعن برمحه الاسمر ويضرب بسيفه الظامى

الابتر

الابتر وهو ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

انتم وفى الحرب بهم رتع * وانا الليث اذا الحرب وقع * انتم مثل سراب لامع
وانا وبل سحاب قد همع * أنتم نبت هشيم فى الفلا * وانا الريح اذا البرا تسع
جرتم لما عدلنا فيكمو * وكثير العدل فيكم ما نفع * لا تظنوا جمعكم ينفعكم
* انما الجمع اذا اقل نفع *

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل فى وجوه الخيل السبق وصاح على الفرسان وزعق وترك أدميتهم مثل العلق وطلع عليهم الغبار وتسردق وقد ضرب فيهم ضربا يقصر الاعمار من شدة الحنق وكان قد اشتد به الحرد وأخذه من فعل الربيع الكمد فصار ان طعن الفارس شك أضلاعه مع الزرد وان ضرب عنقا طيره عن الجسد * هذا وحذيفة يطلبه تحت الغبار الذى انعقد وهو راكب على ظهر حجرته طيفوره حتى قرب منه فعرفه بعظم تلك الصوره ورأى ما أهاله من طعناته المذكوره وضرباته المشهورة وصرخاته التى تترك النفوس مذعورة (قال) فلما عاينه حذيفة انقض عليه انقضاض النسوره وأراد أن يجعله امعه وقعة مذكورة فدرج نحوه وجال ولعب برمحه العسال وكان حذيفة يدل برمحه على الابطال الجياد وكان اذا أراد أن يطعن به أحدا من الفرسان يحملوه له الى الميدان ثلاثة من الغلمان (قال الراوى) فلما بقى حذيفة فى وسط بنى قراد طعن الامير زخمة الجواد بعقب ذلك الرمح فرماه عن ظهر الجواد وتركه ممددا فى الفلاة على الارض والمهاد وقد أشرف على الفناء والنفاد فلما رأى عنتر منه ذلك الحال وعلم انه قد صال على رجاله واستطال زعق فيه وفاجأه وانقض عليه انقضاض العقاب وساواه وأخذ الاثنان فى الكفاح ونادى المنادى بينهم لا براح وكانوا كأنهم بحران انطلق كل واحد منهما على الآخر وصاح * هذا والربيع قد زعق فى بنى فزارة وصاح ونادى أنجدوا ملككم والا حلت به من هذا العبد الاسواء والامور القباح وحمل فى سائر اخوته وقد اشتدت حميته وهو يقول دونكم وهذا العبد الذى قد قربت منيته وان لم تقتلوه والا صال علينا وعليكم بصولته فعندها صال حذيفة على عنتر بسرعة حجرته وطعنه طعنة واصلة بحيلته وقوته ففى أسرع ما يكون أبطل عنتر طعنته وسل سيفه الظامى وهم أن يضرب رقبته فاستتر حذيفة من ضربته فضرب عنتر رأس حجرته فوقع حذيفة من عليها على رأسه وقته وكاد ان يهلك ويعدم مهجته وقد انوهن من ثقل الحديد الذى كان أحرز به جثته ثم انه ما تأثر من الوقعة حتى أشرف على البوار فصاح به عنتر صيحة الاسد الهدار وقال له قم يا أبا بحار واطلب أهلك وناسك ولا تعد الى مثلها يا أندل العربان والا أطرت بهذا الحسام راسك * قال فدارت بحذيفة القرنان جماعة من بنى فزارة الشجعان وقد حملوه وعادوا به الى ناحية الديار والاوطان وقد وقعت هيبة عنتر فى قلوب الفرسان ولولا الربيع القرنان وأخوه عمارة الكشحان كانت بنو فزارة قد انهزموا وعلى الهرب من قدام عنتر عولوا وانما هو أحماهم بالكلام وخوفهم من العار والمذمة عند كل العربان فرجعوا فى عاجل الحال وقاتلوا أشد قتال وأعانتهم العبيد بالحجارة والعمد الثقال (يا سادة) واتصل الطعن واختلف وطلع الغبار وانعكف وكثرت الاحزان والاسف وطعن الربيع فارسا من بنى عبس فطبق قلبه وضرب آخر فكر كبه وطعن آخر فكاد أن يجعل عطبه * هذا ومالك أبو عبلة وأبوه شداد ومالك بن زهير واخوه شاس كانوا كما ذكرنا مختفين من الدثار واللباس فما قدروا أن يباشروا حربا ولا كفاح لاجل خلو أجسادهم من السلاح لانهم ما أتوا لاجل قتال ولا حرب ولا نزال وانما أتوا لاجل الشهادة على ما يجرى من الاحوال فلما رأوا الفتنة قد تكاثرت والرجال الى عنتر ومن معه قد تبادرت خافوا ذلك الوقت على عنتر وعلموا أنه مظلوم من دون البشر فحركوا خيولهم الى ناحية حلالهم وديارهم وجدوا فى البر الاقفر ليعلموا أباهم بالخبر فلما جازوا الى وادى اليعمورية أنفذوا رجال

عروة المسمية ليعاونوا عنترا على تلك القضية (قال) وكان شيبوب قد وصل الى هناك سريع ومعه بشارة بن منبع فتركه وعاد الى ذلك العبد سريع ثم انه انطلق قدام الابطال والفرسان وهو يهمز همزات الغزلان (بأساده) فلما اشرفوا على مكان المعمعة وجدوا لضربات السيوف قعقعة ونظروا الى الحرب وقد قامت على ساق وشراب المنية قد صفا وراق وقد علا من بنى فزارة الصياح والزعاق حتى اقلق الآفاق والغبار قد بنى على رؤس القوم رواق * هذا وعنتر قد ضاق عليه المجال وصار يطعن الصدور ويقطع الاوصال فلما نظرت رجال عروة الذين اقبلوا الى ذلك الحال حملوا المعونة على عنتر من اليمين والشمال وكان الربيع واخوته قد ضايقوا عنترا غاية الضيق الى أن ابصروا رجال عروة وقد اقبلوا مثل نيران الحريق فزادوا فى وقيد الحرب وقد اكثروا من الطعن والضرب فلم يروا لهم فى ذلك أرب مما حل بهم من البأس والحرب فعندها اختار الربيع ورفقاه الهرب والنجاة من العطب لما رأوا الموت منهم على يد عنتر قد اقترب وقد علموا أن عنتر بعد هذه الكائنة ما عاد يغلب ولا يقهر فعندها طلب عنتر الربيع فى عاجل الحال وصال عليه واستطال لما اتسع عليه المجال وأنشد وقال صلوا على من سلمت عليه الغزال

أطمعت يا ابن زياد فى لوحدتى * وأتيت تشفى قلبك المكمودا
وأنا ورمحى والحسام وأبجرى * جيش يعد اذا أتيت وحيدا
من يلقنى يوم النزال يلاقنى * من خوفه بحرا يسد لبيدا
فوحق مكة والحطيم وزمزم * والله موسى الخالق المعبودا
لابد أن تبقى جديلا هالكا * من سيفى الظامى وأنت فقيدا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك الانشاد انطبق على الربيع بن زياد وزعق فيه بين الصفين وأدار سنان الرمح الى ورائه وطعنه بعقبه فدق له ضلعين فصاح وانخرع ومن على ظهر جواده وقع وكاد من شدة الوقعة أن يشرب الموت جرع (قال الراوى) ففى عاجل الحال ترجل له عروة بن الورد عن جواده وأوثق كتافه وقوى شداده فعند ذلك صاح عمارة فى ذلك البر والمحجر ورمى روحه فى عاجل الحال على عنتر وهو يقول له ويلك يا عبد السوء هكذا تفعل بموالينا فلعن الله بطنار مالك وبيتا آواك وهم أن يطعن عنتر واذا به من على جواده وقع وتقنطر من غير أن يعلم به بشر والسبب فى ذلك ان شيبوب لما رأى ذلك الامر الذى تقرر ضرب جواده بنبلة فى صدره فقلبه وعن مركوبه كركبه فالحق أن يثور الاوهو على صدره وقد تملك من شداده ونحره وشده كتاف وقوى منه الاطراف وبعد ذلك وقع فى بنى فزارة الهلاك والتلاف ولما علموا أنه ما بقى لهم اصطبار صاح بعضهم على بعض ياويلكم الفرار الفرار قبل أن يحل بكم البوار من هذا العبد الجبار * هذا وقد سالت دماهم شبه الانهار وما بقى يقر لهم بين يديه قرار ووقع الفنا فى بنى فزارة وأظهر فيهم عنتر قوته واقتداره * هذا وقد رأى عنتر الى جمل بن بدر فأدركه وزعق فيه فكاد أن يهلكه وهم أن يطعنه فولى هاربا والى النجاة طالبا وقد فر مثل البرق اذا برق مما حل به من الخوف والقلق وبعد ذلك هربت بعده الفرسان وذلت جميع الشجعان وعمل الطعن فى ظهورهم وقد حار وافى أمورهم (قال الراوى) وكان الشيخ بدر بن عمرو سيد بنى فزارة لما سمع بالمعمعة وما وقع من تحت رأس الربيع فى حق العبد بشارة ركب وطلبهم فالتقى بولده حذيفة وهو عائد بش من ألم الوقعة وقد حلت به المصيبة والفجعة فقال له ويلك يا عبد الشوم أما قلت لك لا تتعرض لهذا البطل الغشوم ولا تعاد بنى قراد ولا تسمع من كلام الربيع بن زياد لانه يكره عنتر بن شداد وهو له من جملة الحساد وأنا أعلم وأتيقن ان الربيع ظالم ومعتدى فى المقال قائل الزور والمحال فى سائر الفعال ولقد والله ألبستنا العار الى أبد الابد ما قام قائم وقعد بقتالك لهذا العبد الاسود والبطل الازبد ولقد والله راعانى وانه حفظ عنك الضربة بسيفه الهندوانى ثم انه لم يزل سائرا الى أن وصل الى عند عنتر فرآه قد أحل ببنى فزارة وبنى زياد الضرر فتقدم

عند

عند ذلك اليه وسلم بعد ذلك عليه ومنعه عن ضرب الحسام وقال له أطلب منك العفو يا فارس البيت الحرام وانا سمعت عنك انك تحب العدل والانصاف وتكره الجور والاسراف وأراك اليوم فعلت بالخلاف ووضعت السيف فى رجالنا وأهلكت قرائبنا وبنى عمنا ومارعيت جانبنا ولكن عذرك واضح وأنت لعلو قدرك مسامح والظلم يوقع صاحبه فى المنية ويجلب له الويل والرزية والآن قد بلغت منا منالك وظفرك الله بحسادك وأعدائك فارجع الآن الى قومك وأقربائك وانفصلوا من بعضكم كيف شئتم ودبروا لأنفسكم ماحويتم ثم انه زعق على بنى فزارة وقدر دهم عن المجال فسمعوا مقاله ورجعوا الى الاطلال وهم لايصدقون بالسلامة من قدام ذلك البطل الرئبال وأما عنتر فانه استحى ورجع عن القتال لما ان رآه ذل على كبر سنه فأبطل الحرب وعاد راجعا على عقبه ثم انه أمر شيبوبا أن يشد الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد على خيولهما بالعرض ويوسع بهما فى جنبات تلك الارض وعادوا طالبين الديار وهم على غاية الفرح والاستبشار وبنو زياد على غاية من الاضرار ﴿قال الراوى﴾ فلما ان عبروا على المراعى وشيبوب بين أيديهم كأنه من بعض الافاعى قال عنتر لعروة بن الورد يا أبا البيض قل لرجالك الاجواد يسوقوا أموال بنى زياد ورعاتهم بين أيدينا حتى نفرقهم فى مراعينا ونحكم كل أحد فيهم بما أشتهى الى أن يرد الربيع على ابنة عمى مالها الذى أخذه من عليها فقال عروة يا أبا الفوارس هذا امر مايتم لنا مادمنا تحت طاعة الملك زهير ولا ينتج لنا منه خير وانه مايرضى لنا بذلك ولابد أن يعتب علينا لاجل فعالك ببنى فزارة وماوقعوا فيه من المهالك ويقول لك ألقيت الفتنة بين القبيلتين وحذيفة مايقعد عنك لانك كسرت له ضلعين وأنت تعلم انه كثير اللجاج معجب بنفسه ومدل بكبره على أبناء جنسه وكذلك قيس بن زهير تصبح عداوته لك فى هذه النوبة لاتتوارى اذا رأى جميع الربيع واخوته أسارى وهذا أمر مايتم لك ان لم تهجر بنى عبس بلا تطويل وتعول بنا على الرحيل وتنزل على بعض المناهل والجبال وتأخذ حذرك ممن عاداك من العبيد والموال ولا يكون عليك لا قاضى ولا حاكم الا رمحك الاملود وسيفك الصارم فقال عنتر يا أبا الابيض وكأنى بعد هذه الفعال مابقيت أقيم عند هؤلاء فى الاطلال فوحق الرب القديم الاله موسى الكليم والخليل ابراهيم لارحلن عن هذه الاوطان ولاقلعن آثار بنى فزارة وبنى شيبان ولاخذن حتى من هذا الربيع القرنان ولوانه فى حجر الملك النعمان أو كسرى انوشروان ﴿قال الراوى﴾ ومازالوا على مثل تلك القضية حتى انهم وصلوا الى وادى اليعمورية وبشار مقيم هناك منتظر مايكون من تمام هذه الامور المقضية فلما رآهم مقبلين فرح فرحا زائدا لما رآهم سالمين ثم انه تقدم الى عند عنتر وهنأه بالسلامة من حوادث الزمان ونظر درعه ملطخا بدم الفرسان وهو مثل الاسد الغضبان ورأى الربيع واخوته مشدودين على خيولهم بالعرض وهم يسوقونهم من أرض بنى فزارة حتى وصلوا بهم الى تلك الارض فعندها تقدم الى الربيع ووبخه على مافعل وقال له هذا عاقبة الظلم والبغى وماقدمته يداك من العمل ثم انه أقبل على عنتر وقال له يامولاى ان أولاد الملك زهير ما لكا وأخاه شاسا قد سار والى ابيهم يخبروه بما صار اليك من الشر والوسواس ويعلموه بما قاسيتموه فى أرض بنى فزارة وماجرى لك مع الربيع واخيه عمارة وما شاهدوا من فعالك بسبب هذه العبارة وكيف ظفرت بالجميع وهم معك فى قيود الذل أسارى وأنا أعلم أنه يسير فى جمع كثير من الفرسان ويسير المنزعج العجلان وربما يلتقيك فى الطريق ويأمرك باطلاق بنى زياد من الاسر والضيق لاجل قلب قيس ولده لان الربيع كما تعلم صهره وعضده ويخاف أيضا أن يحل به من ذلك عطب وتكون قد خاطرت بنفسك وما بلغت الغرض ولاشفيت مما كنت تؤمله المرض وأنا يامولاى اشتهيت ان أسير بهم مع أبيك وأعمامك فى عرض البر حتى نصل بهم الى الابيات التى اماملك وندور بهم بين أبياتنا والمضارب حتى تتفرج عليهم النسوان والبنات الكواعب وتراهم وتشمت بهم مولاتى عبلة

وامها ونساء عمومتها ومن تريده ويريدها من نساء الحلة وبعد ذلك اذا اصلح بينك وبينهم الملك زهير ووجوه القبيلة فتكون قد بلغت ما كنت تؤمله من عذابهم ونلت الوسيلة الى عقابهم فعند ذلك قال عنتر افعل ما بدا لك نجح الله اعمالك وافعل ما تريد من الامر والشان فأنا ما بقيت اصطلح معهم مدا الازمان فعند ذلك تسلم بشارة الربيع وأخاه عمارة وهم مشدودون على خيولهم بالعرض وقد سار بهم فى فسيح تلك الارض وهم قد اكثر وامن الصياح والعياط وهو كلما صاحوا يقنعهم بالسياط ثم انه انفذ بصحبتهم اعمامه وابا شداد ليكون اشفى بعذابهم يعنى بنى زياد وهم معهم فى الكتاف والشداد وقد سار وابهم الى نحو ابيات بنى قراد وبقى عنتر على حاله وهو مع عروة بن الورد ورجاله وهو سائر سير الامان لا مزعج ولا خائف ولا فزعان الى ان قربوا من الديار والاوطان واذا قد ثار من بين ايديهم غبار وبعد ساعة تقطع ومار وظهر من تحته فرسان بنى عبس الاخيار وهم تابعون الملك زهير على الآثار وهم متفرقون فى سائر الاقطار والجميع اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم طالبون ارض بنى فزارة لينظروا ما حل بهم من الذل والخسارة وبين ايديهم الملك زهير ومن خلفه جميع اولاده واخوته المشاهير وجميع اخياره الامراء والرايات على رؤسهم مشتبكة والفرسان بعضهم ببعض محتبكة ولهم بالصياح ضجة ودبكة والحديد على اجسادهم يلمع واسنة رماحهم كأنها الكواكب الطلع (قال) وكان السبب فى قدومهم شاس واخاه مالكا اولاد الملك زهير لانهم لما رأوا بنى فزارة وقد فعلوا بعنتر تلك العبارة علموا ان امرهم ما يؤول الى خير فأطلقوا رؤس خيلهم كما امرهم عنتر وعادوا الى بنى عبس يرودون الخبر فلما وصلوا الى الابيات طرحوا الصائح بما صار لبنى فزارة ولعنتر من الكائنات ودخلا الى ابيهما واعلماه بالخبر وتالاله الحق عنتر والاشرب كأس الوبال فانا قد تركناه فى عشرة رجال وجميع فرسان بنى فزارة قد دارت به تطلب الحرب والقتال (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير هذا الكلام ايقن لعنتر بشرب كأس الحمام وعسر ذلك الامر عليه حتى ما بقى يعرف ما بين يديه وقال والله لقد علمت ان نوبة عنتر ما تنفصل على جميل الا ان يصير احدهما قتيل ثم سألهم كيف كانت القصة وذلك الامر المريع فأخبروه بظهور بشارة بن منيع من وسط ابيات الربيع وكيف اخرجه من السرداب من تحت الرحالات والاقتاب وكيف قد خلصه من أليم العذاب فعند هاز داد بالملك زهير الغضب واعتراه الويل والصخب ثم انه ركب بعض الجنائب وخرج من بين البيوت والمضارب وانقلب الحى بالضجيج من كل جانب وتجاوبت خلفه الفرسان وتتابعت من ورائه الشجعان وضجت ابيات بنى قراد ولطمت النساء لفقد عنتر بن شداد ونادت امه زبيبة واولداه واقلة ناصراه ودقت على صدرها بيدها من خوفها على ولدها وحارت فى امرها وكذلك عبلة خرجت وهى منشورة الشعر والذوائب وأجرت من عيونها الدموع السواكب وعظم بكاؤها وانتحابها وسمع مالك بن زهير صياحها بين اترابها وايضا نسوان بنى قراد جعلن يبكين على عنتر بن شداد فمال اليهن وصاح عليهن وقال لهن اقللن من هذا البكاء والشور فما عنتر الا منصور وعدوه مقهور ثم عاد على اثر الفرسان لينظر ما يكون من ذلك الامر والشان وما تخلف فى الحى الا قيس بن الملك زهير لانه قال انا ما اسير وانظر ما يحل بصهرى من الذل والضير ولا سيما ان كان عنتر قد نصر عليه وخلص بشارة من يديه وأنا اعلم انه ما يقعد عن اذيته يوصلها اليه (قال الراوى) ومازالت الخيل تتجارى فى البر والوديان حتى تلاحقت بعنتر فى ذلك المكان وكان فى اوائلهم شاس واخوه الحارث وهما يتسابقان الاثنان فلما راوا عنترا عائدا وهو مستبشر فرحان هنؤه بالسلامة وسألوه عما كان له من ذلك الشان فحدثهم بأمر الربيع واخوته وفعاله بحذيفة وكيف طير راس حجرته وكيف قتل منهم جماعة من الفرسان وفرق الشجعان وعفا عن نهب الاموال وسبى النسوان (قال الراوى) وبعد ذلك اقبل الملك زهير اليه فترجل عنتر له وقبل يده وقدميه فهنأه بالسلامة من بنى زياد بالنصر والظفر ونيل المراد

وقال

وقال له والله يا ابن شداد لقد سررت بعودتك وخلاصك من يد الاعداء والاضداد لان السلامة هي غاية المراد ولاسيما اذا قهرت الاعداء والاضداد ولكنك قد تلطخت بدم ما بقي يمحى ابدا وتطالب به صباحا ومساء مادامت الرجال مع النساء وتفنى هذه القبائل ولا يبقى لا فارس ولا راجل (قال الراوي) لهذا الايراد صلوا على سيدنا محمد خير العباد فقال عنتر يا ملك وكيف كنت أعمل هل كنت أسلم روحي لهم يقتلوني ويكأس الحمام يسقوني وكان الربيع واخوته يتضرون بعظامي وتتقطع من الدنيا أيامي والله يا مولاي ما عملت الا على قدر ما رأيت ولا ظلمت يا ملك ولا تعديت ثم انه جعل يقص عليه قصته وهو سائر الى جانبه بين اهله واخوته وهم راجعون حتى أشرفوا على الاحياء فقال له الملك زهير وأين الربيع واخوته فأخبرني عنه وعن قصته فقد ذكرت انهم معك مأسورون وهم على ظهور خيولهم مشدودون فقال عنتر يا ملك أنا اخبرك بما كان من القصة وذلك ان عمي مالكا أخذهم وأبي شداد ومضى بهم من وادي اليعمورية بعد ما اطمأنت خواطرهم من جهتي وفرحوا بسلامتي وسار بهم الى الابيات في عرض البر وقال عمي اريد ان يكون هؤلاء عندي وفي حلتي رهائن في الاسر على المال الذي كان على ابنتي فقال الملك زهير وقد زاد به الغضب واعتراه الصخب والله ما قصرت فيما دبرت من الاعمال ولكن كان الواجب عليك انك لا تفعل هذه الفعال الا اذا رأيتني قد مت واندثرت ورميت بالنكال ولا كنت فعلت بهم هذه الفعال بعد قتالك معهم والنزال ولا كنت تفعل هذا الامر وانا راكب على حصاني وتركت العرب يستضعفون شأني (قال الراوي) فبينما هم في ذلك الكلام وقد صاروا في اطراف الخيام واذا بالصياح قد علا في ابيات بني قراد وصراخ النسوان قد انعقد وزاد فنظروا الى ذلك الجانب واذا بالخيل والرجال خارجة من بين المضارب وقد تفرقت في القيعان والسباسب وفي اثرها فارس امجد وهو خالي من الحديد والزرد وعلى جسده ثوب حرير مغمد وهو يصيح على الفرسان صياح الاسد الغضبان والرجال متفرقة من بين يديه ومافيهم من يقدر أن يتقدم اليه (قال الراوي) وكانت الرجال الهاربة اعمام عنتر واباه شداد ومعه جماعة من بني قراد والفارس الذي وراءهم قيس بن الملك زهير وهو يضرب في اعقابهم وقد حل بهم البلاء والضير (قال الراوي) وكان السبب في هذه الاحكام ان بشارة بن منيع لما فارق عنترا وقد سار به مارة واخيه الربيع وعدل بهم مع ابي عنتر وأعمامه وهو يسوقهم وهم مربوطون على خيولهم قدامه ووصل بهم الى الحلة وهم في الوثاق الشديد فاشهرهم بين ابيات بني قراد وصاريدورهم بين المضارب والخيام ويسمعهم غليظ الكلام ويضربهم بسوط كان في يده على الاكتاف والضلوع والخواصر وينادي عليهم ويقول هذا جزاء من يسبي البنات الحرائر ويهتكهم في القبائل والعشائر ويفعل الفعلات الكبائر ولم يزل يفعل بهم كذلك وهو دائر بهم في سائر الاقطار حتى صار قدامهم ومن خلفهم جميع من في القبائل من البنات والنسوان والاماء والعبيد وكذلك الغلمان وكان ذلك اليوم أصعب الايام على بني زياد وبالاتفاق اتت طريقهم على ابيات مالك بن قراد فنظر عمار والربيع الى عبلة وهي واقفة في باب خباها والانوار طالعة من جبينها لضياها وهي كأنها الشمس الضاحية في السماء الصاحية وكانت قد غيرت اثوابها وابتهجت لفرحتها واعجابها وهي تزهو بين اترابها واصحابها فلما نظرت اليهم صارت تقول وهم يسمعون خطابها هذا والله قليل في حقكم يا بني زياد لانك يا ربيع ما ابقيت مجهودا في عداوة بني قراد مع علمك بان خلفهم مثل عنتر بن شداد ويلك يا قرنان اخذت مالي وعملت على قتلي ونكالي وعدت انكرت الجميع لاشك ان الله قد جازاك بما فعلته سريع ورمالي في هذا الامر الشنيع (قال الراوي) فلما رآها عمارة وهي تلتفت لفتات الغزال وتميل بين اترابها بالغنج والدلال وسمع منها ذلك المقال كان على قلبه احلى من الماء الزلال فتحسر وتنهد على ما حل به من الهم والنكال وقال بالله عليك يا ابنة مالك مني على بساعة من ساعات وصالك ودعيني اكون تحت الارض ميتا

وهالك ولاتهنى ولد الزنا بجمالك فقال له اخوه الربيع اسكت سكت حسك وسكنت عن قريب رمسك فما اوقعنا فى هذه البلية الا عشقك لهذه الصبية ولم تزل بلجاجك حتى تملك ونشرب كأس المنيات وتقطع آثارنا من اوطاننا والابيات (قال الراوى) وكان قيس قد تخلف فى الحى كما ذكرنا ولم يركب مع أبيه كما شرحنا فبلغه الخبر من وقته وساعته بما جرى على الربيع واخوته وكيف اشهرهم بنو قراد والعبد بشارة بين الخيام وهم فى العذاب والآلام فعظمت مصيبته واشتدت نخوته فركب من وقته على ظهر الجواد وقصد أبيات بنى قراد وعنتر بن شداد وفى يده السيف مشهور مجرد وهو يهمهم همهمة الاسد الى أن أشرف عليهم ورأى الربيع وهو فى ذلك الحال الشنيع ورأى الى ما يفعل به بشارة بن منيع فأخذه الغيظ والحرد وزاد به النكد فلما أبصره الربيع بكى وأن واشتكى وصاح وقال واحرباه يا بنى الاعمام من جور أولاد الزنا والعبيد اللئام واويلاه على ضياع العز والاكرام صرنا نذل ونضرب ونهان وقد حل بنا الذل والهوان أيا ملك أين حرمة القرابة النجباء أين نخوة الرجال والاقرباء (قال الراوى) ولم يزل الربيع يلجاجه حتى زاد بقيس البلا واسودت فى عينيه أقطار الفلا فأطبق فى عاجل الحال على العبد بشارة بن منيع وضربه بالسيف فغرقه فى كتفه ولولا طول الاجل كان أورده حتفه فتركه على الارض ملقى وقد ظن أنه يكون للطير والوحوش رزقا وصاح فى اعمام عنتر فتنافروا من بين يديه حرمة لعلو نسبه وكرامة لابيه لا خوفا منه ولا كرامة اليه فلما رأى أنهم بعدوا عنه نزل عن ظهر جحرته وتقدم الى عند الربيع وحله هو واخوته وقال لهم اطلبوا أنتم خيامنا والاطلال حتى اشفى فؤادى من هؤلاء الاندال واعود اليكم فى عاجل الحال ثم انه ركض بالجواد فى اثر بنى زياد وجعل يطردهم فى ذلك الفلا وقد تفرقوا من بين يديه فى ذلك الملا واذا بالملك زهير قد أقبل بجيشه فعدلوا اليه حتى انهم صاروا بين يديه فصاح الملك زهير فى ولده قيس وقال له ما هذه الفعال والجهل بعدما كنت فيه من الحياء والعقل فلما سمع قيس كلام أبيه وقف ورجع عن الامر الذى كان فيه وقال يا أبتاه وأى عقل يبقى للانسان اذا نظر سادات قومه بين يديه تذل وتهان وتحكم فيهم العبيد والسودان ثم انه تقدم اليه حتى وقف بين يديه وقص عليه قصة الربيع وما فعل فيه وفى اخيه بشارة بن منيع ثم قال بعد ذلك وحق من خلق العباد ورفع السبع الشداد لاعدت اقيم فى هذه البلاد حتى تتركنى أشفى قلبى من بنى قراد واقتل ولد الزنا عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من ولده هذا الكلام دهش وحار وقد لحقه الانبهار وعرف أن السيف يقع فى العشيرة كلها ويتفرق جميع شملها اذا لم يفرق بين بنى زياد وبين بنى قراد والا فنيت ذراريهم والاولاد فعند ذلك التفت الى عنتر وكلمه بين ذلك المحضر وقال له يا أبا الفوارس ارحل بقومك من هذه الديار ولا تتركنا احدوثة بين الناس بطول الليل والنهار لان هؤلاء القوم عنك ما يقعدون وأنت ما تصبر على الضيم ولو سقيت كأس المنون وهذا اللجاج ما يؤدى الى خير ولا يهون فابعدوا عنا وافعلوا كيف ما تشتهون (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام قال له السمع والطاعة ها أنا أرحل يا ملك بقومى من هذه الساعة وان قدرت خلصت أنا جميع مالى أو أموت دون بلوغ آمالى ثم انه تنهد من فؤاد موجوع وقلب مصدوع وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

أخذتكم وحصنا حصينا لتمنعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها * وقد كنت ارجوكم لنا خير موقف
على عين خذلان اليمين شمالها * فان رمتموا أن تحفظون مودتى * والا فكونوا لا علينا ولا لها
قفوا موقف العذال عنى بمعزل * وخلوا العدا ترمى على نبالها * فكم من عداة قد حفظت ذمامها
وكم من رجال قد اردت اعتزالها * ولا أختشى ذلا وبعدا ووحدة * اذا الحرب شبت خيلها ورجالها
هى النفس اما أن تعيش عزيزة * وعما قليل يعتريها زوالها

(قال

(قال الراوى) فعند ذلك تقدم اليه قيس وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الامة اللئيمة نحنا فأنت لما وجدت عبلة فى بنى شيبان اتيت تطلب بما كان عليم امن عبس وعدنان كنت أنت طلبت مالك من القوم الذين وجدتها عندهم وكان حقك الوقوف عند ذلك فقال له عنتر يامولاى هذه اخلاقك فلا تحمى مزاجك ولا تطير على بصاقك فأنا كما قال ابوك اذا بعدت عنك وسكنت البرارى الخوالى وصرت متصرفا فى جميع أحوالى فسوف يصل اليكم خبرى وفعالى وتسمعون كيف أخلص أموالى واما قولك انى ولد زنا وتربية خنا فهذا الكلام ما يقدر ان يقوله أحد غيرك من الانام الا وكنت أطير منه الهام بهذا الحسام وأدنيت منه الحمام ثم انه أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

سأرحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل * ولو ان العطا يامنك مصر
وداخل كل مصر ألف نيل * تركت لك العطا يامنك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
سأنشد فى صفاتك بيت شعر * نظير الدر فى عدم المثيل * اذا حل الثقيل بأرض قوم
* فما للساكنين سوى الرحيل *

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من كلامه قال لابيه وأعمامه انصبوا خيامكم وشدوا رحالكم وارحلوا من أرض الملك زهير حتى يستريح قلبه منا ويبلغ جميع ما يتمنى ففعلوا ما أمرهم من المرام وانفصلوا من الجيش يطلبون الخيام * هذا وعنتر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أأردى ورمحى ناصرى وحسامى * وأظلم والهندى عقد زمامى * ولى بأس منسوج الذراعين أعضب
يحاول عن امثاله ويحامى * وانى عزيز الجار فى كل موطن * وأكرم نفسى ان يهان مقامى
هجرت البيوت المشرفات وشاقنى * بريق المواضى تحت ظل قتام * وقد خيرونى كأس خمر فلم أرد
سوى لوعة فى الحب اصل غرامى * سأرحل عنكم لا أريد سواكم * وأقصدكم فى جنح كل ظلام
وأطلب أعدائى بكل صميدع * وكل هزبر فى اللقا وهمام * منعت القوى ان لم أقد نار قابس
تشب على الاعدا بكل ضرام * وتطرق أيدى الرؤس كأنها * بيارق هبات الضيا بظلام
أنا من يرون الموت حتما على الورى * وكم من رؤس فارقت بصدامى * اذا شرعوها للطعان حسبتها
كواكب تهديها بدور تمام * يهزوار ماحا فى يديهم كأنهم * سقوها من الهيجاء صرف مدام
وبرق سيوف كالسحاب بحالة * وقطر رعود فى سواد ظلام * فان ينكروا حلمى فأسمى بصاحبى
وضرب سيوف الهند دون خيامى * فسيفى ورمحى مابين كلاهما * اذا اشتملوا فى موقفى ومقامى
وان ينكروا بأسى فانى فتى العلا * واضرب اعدائى بحد حسامى * ومن كان ندلا أوجبانا تركته
وللملا الطاغى سللت حسامى * فياقوم غنوا بالصهيل فانه * سماعى واهراق الدماء مدامى
وحطوا الى الرمضاء رحلى فانها * مقيلى وخفقان البنود خيامى * ولا تذكروا لى طيب عيش فانما
بلوغ الامانى تحت ظل قتامى * وفى العز تلقى عيش كل مؤمل * على الحد لا فى مشربى وطعامى
فمالى بأن أرضى بذل وصارمى * يجارى على الاعناق غير كهامى * لى سابق كالبرق عند انتضائه
فأقرب شئ منه قصد مرامى * هو الابجر المعروف فى كل موقف * له غرة بيضاء وحسن قوام
يجيب اشارات الضمير بأسه * ويغنيك عن صوت له ولجام * قحمت به بحر المنايا فخضته
* وعدت به والنقع تحت قتامى *

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات وقد قاربوا الابيات واذا بالصياح فيها قد ارتفع والنهب فى أطراف البيوت قد وقع فحركوا الخيل ليكشفوا ما الخبر وقد التهب الغيظ فى قلب عنتر وصار يقول اظهروا والله العداوة لنا ولقومنا وقد طمعوا فينا لذلنا ثم انه قصد الى ناحية الخيام وفعل أصحابه وأبطاله كذلك

وكل منهم فى يده حسام وفعل فرسان بنى قراد مثل تلك الفعله وعوّلوا على أنهم يلقون السيوف فى الطلبه لاجل قيس وتخليصه لصهره الربيع من الشداد ورکضه فى طلب أعمام عنتر وابيه شداد ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى هذا الصياح بنى زياد اهل كل بدعة وفساد لانهم كانوا لما أطلقهم قيس من الاعتقال والشداد تطلبوا أبيات بنى قراد وعنتر بن شداد فدخل عمارة الى أبيات مالك بن قراد وقد ظن انه ينال من عباة غفلة أو قيلة أو مراد فتبعه أخوه الربيع يريد عدة أوصافنا يركبها ويطلب معونة قيس على هذه الفعلة التى قد طلبها فنظر الى الصناديق التى أخذها منه عنتر ليلة كبسه فى ركابا بنى مالك وجميع التحف التى أتحفه بها الملك النعمان فوجدها منشورة هنالك فعرف الجميع فنادى أيذهب حقى ويضيع ثم قال والله هذا هو المال الذى أخذه منى عنتر وجرحنى وقد سلمت من هذا العبد السوء والا كان قتلنى ﴿قال الراوى﴾ وكان قيس لما سار يخلص بنى زياد تبعته جماعة من العبيد الاجلاد وكلهم بالسيوف الحداد والرماح المداد فقال لهم الربيع الكلاد ياويلكم هذا مالى الذى أخذ منى فى ركابا مالك وتلك الوهاد الذى أتيت به من عند النعمان فها أنا قد وجدته عند عنتر فى هذا المكان وقد أخذه منى وأنا عائد من بنى شيبان فاحملوه الى بيت مولاكم الملك قيس ولكم فيه القسم الاوفر وانهضوا يابنى الزوانى من قبل أن يأتيكم عنتر ﴿قال الراوى﴾ فلما دخلت العبيد تصايحت النسوان بالويل والثبور وعظائم الامور فدخل عنتر يطلب الصياح وينظر ماذا تجدد من تلك الامور القباح فعند ذلك رأى الملك زهير الامور قد عظمت ونار الفتنة قد اشتعلت وكان أول ما أسبل الليل رواقه وقد اسود الظلام بأغساقه صاح فى أولاده وقال ما يطفئ هذه النار الا أنتم فأزيلوا ما بهامن الاحقاد وامضوا وفرقوا بين عنتر وبين بنى زياد ودعوا القوم يرحلوا عنا بسلام والا بات السيف يعمل بينهم فى هذا الظلام فعند ذلك قال قيس أنا أرد بنى زياد فقال شاس ومالك ونحن نرد عنترا وبنى قراد * هذا وقيس صار يركض بالجواد حتى وصل الى أبيات بنى قراد وكذلك فعل شاس ومالك وذلك خوفا على عنتر من شرب كأس المهالك ورد واعنتر بعد ما كان عوّل على قتل الربيع وبنى زياد واخوته الجميع فقال شاس والله يا أبا الفوارس ان فراقك عندى مثل فراق الارواح من الاجساد ولكن يا ابن العم وحق خالق العباد ما يقدر أحد ان يرد القضاء والقدر الى يوم المعاد وان الامر قد بلغ الى المنتهى وما كنا نعلم أنه الى هذا الحال يصير المنتهى * فلا تضيق صدرك ولا تهتم على ما يصير من أمرك فان ابنة عمك ترحل معك وأصحابك أينما سرت تتبعك وأنا أعلم وكل من فى الحلة من الرجال ان أبى يندب على هذه الفعال وان هذا المال الذى راح منك فهو يعود اليك بعد ما تدخل النساء والرجال عليك وتقبل يديك وأسافل قدميك فعند ها لان جانب عنتر وعاد وهو مثل الاسد القسور وهو يقول أنا الذى أخذت مال الربيع وجرحته وها هو عاد اليه بعد ما كنت أخذته ومالى قد صار عنده وهو أخبر كيف أخلصه منه ولو احتمى له النعمان ثم أمر العبيد أن يشدوا الهوادج على الجمال ففعلوا ذلك وحملوا الاهل والعيال * هذا وقد نادى عروة بن الورد فى رجاله فشدوا رحاله فما مضى عليهم قدر ساعة من الليل حتى صارت النساء على ظهور الجمال والرجال على ظهور الخيل ﴿قال الراوى﴾ وكان قيس بن زهير قد رد الربيع وجميع اخوته بعد ما أخذوا المال من بيت عنتر وعمومته * قال وسار بنو قراد وقد قدموا بين أيديهم الحريم والاولاد فصارت أهلة الهوادج تلمع مثل الكواكب الطلع وعنتر سائر وعينه تتوقد كأنها البرق اذا لمع وقال لهم يابنى الاعمام اطلبوا بنا أرض العراق وتلك البقاع حتى أقول لكم عند الصباح ما أصنع فعند ها تقدم شيبوب امام الخيل وهو يتدفق على الارض مثل السيل وساروا الى أن كان نصف الليل فانعزل عنتر وعروة بن الورد فى خمسين فارسا وهم الجميع بين يديه خوفا من أمر يتم عليهم وعليه ثم قال عنتر لابيه شداد ولعمه مالك تقدموا أنتم بين ايدينا بالحريم والاموال الى ركابا يابنى مالك حتى انى اسير من هاهنا الى ارض بنى فزارة واسوق من

هنالك

هنالك اموال الربيع واخيه عمارة ومثل ما عملوا معنا نعمل معهم ونحل بهم الخسارة والحقكم الى هنالك
وكل من ردنى عن ذلك احللت به المهالك فقال شيبوب وحق رب الارباب ومالك الرقاب ان هذا هو
الصواب وبهذا أردت ان اشير عليك وحق مسير السحاب لخشيت ان لا تطاوعنى على ذلك الحال لاجل
ما فى قلبك من الاشغال فقال عنتر والله يا ابن الام ما يشفى غليل قلبى الا الضرب بالحسام والطعن بالرمح
المعتدل القوام وان قلبى لمتعلق ببلاد الحجاز والعراق لاقيمن الحرب هنالك على قدم وساق ولآخذن مالى
ومالهم بالمهندة الرقاق ثم انه اوصاهم بحفظ الحريم والاعراض خوفا عليهم من أحد يأتى من العباد ومازال
مقيما بعدهم الى ان اصبح الصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وسار قاصدا ارض بنى فزارة بعد ما راح واستراح
ومازال يرخى العنان للجواد حتى اشرف على المراعى وعرف عليها اموال بنى زياد هو وعروة ومن معهم من
الرجال وساقوا ما كان هنالك من المال والجمال وقد اوقعوا فى أقفية العبيد ضربا صار مثل فتوق الاعدال
فساقوهم بين ايديهم وهم لا يصدقون بالنجاة مما حل بهم من الوبال * هذا وقد قال عنتر لعروة بن الورد
انفذ هذه الاموال وهذه الخيل والجمال مع ثلاثين فارسا نسوقها على عجل وأقف انا وانت فى عشرين فارسا
نحميها ممن يلحقنا من غير مهل ففعل عروة ما أمره به عنتر وتقدمت الاموال والغنائم بعد هذا الخبر وساروا
هؤلاء الرجال على الاثر * هذا وقد وصل الصائح الى بنى زياد باخذ الاموال فركبت منهم الابطال وركبت
معهم جماعة من بنى فزارة الاقيال ومعهم جمال بن بدر مقدم تلك الابطال. واما اخوه حذيفة فانه ما قدر
ان يركب من الوقعة الاولى كما ذكرنا لان عنترا ضرب راس جرته طيفورة بالعجلة فتأخر عن الركوب لانه
ما له قدرة عليه وأرسل أخاه فى هذه النوبة ليساعد الربيع فى رد اموالهم اليه وتجارت خلفهم الفرسان فى
ستمائة فارس ما منهم الا كل ليث ممارس وهم فى الحديد غواطس ويقدمهم اخوه ربيع الاربعة والخيل
خلفهم متتابعة كأنها العيون النابعة حتى لحقت بعنتر وعروة ومن بقى معهم من الابطال وهم متأخرون
لحماية ما اخذوا من الاموال (قال) هذا وقلب عنتر يغلى على الحرب والقتال فلما رآهم عنتر رجع اليهم ونزل
هو ورجاله عليهم كنزول السيل السيال وما مضى من النهار الا ساعة يسيرة حتى قتل منهم جماعة كثيرة
وقد قاتل عروة فى ذلك اليوم قتال الرجال الاجواد وهلك من بنى فزارة عدة من الرجال المعروفين بالجلاد
هذا وقد صار عنتر الاسد الغشمشم يضرب المفارق والقمم ويقول يا ويلكم يا اذال الامم نحن قد أخذنا
اموالا عوض مالنا فلاى شئ جئتم وراءنا أبشروا يا اخس العرب بتعجيل آجالكم وخيبة آمالكم (قال
الراوى) وكان بدر رجلا عاقلا عارفا بمصائب الدهر وما يأتى من النوازل فقال لرجاله وأبطاله لما
عاين وأبصر عنترا وفعاله اعلموا يا بنى الاعمام ان عنترا هذا بطل همام وما يتعرض له الا كل من أراد
أن يشرب كأس الحمام وبينه وبين بنى زياد عداوة لا تنفصل وأى من دخل بينهم عطب أو قتل وأنا والله
لو كنت علمت أن عنترا هو الذى أخذ الاموال ما كنت تعرضت له بحال من الاحوال لانه ما يفزع من
الموت ولا يخشى من الفوت ولو مالت عليه الجبال فى صور الرجال أفناهم ولم يخطر واله على بال
والصواب عندى اننا نعود ولا نتعرض له بقتال والا أهلك أكثرنا وحل بنا الوبال فقال أكثرهم هذا هو
الصواب والامر الذى لا يعاب فعند ذلك ألوى جمال عنان جواده وأعاد قومه وأجناده وتركوا قدام
عنتر بنى زياد وولوا خوفا من القتل والعناد * هذا وعنتر قد تمكن كما اراد وساق كما اشتهى فرسان بنى زياد
وعاد وقد قتل أكثر من ثلاثين فارسا وقد لحقهم على تلك المهاد فلما رأوا ما حل بهم من ذلك الحال رجعوا
عن الحرب والقتال وولوا الادبار وركنوا الى الفرار وألوا واعتصموا الى ناحية الديار وعاد عنتر وعروة
حتى لحقوا بالاموال وضموا المال على المال وفرحت بسلامتهم الابطال والعيال ثم لم يزالوا سائرين كذلك
الى أن وصلوا الى ركايا بنى مالك لان الظعن كان سبقهم ونزل هنالك * هذا وعنتر قد أعجب بنفسه

واستحسن ما فعله بين أبناء جنسه فعندها جاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى ضمائره فأنشد يقول

صلوا على طه الرسول ... لا تقتض الدين الا بالقنا الذبل * ولا تحكم سوى الهندى فى القلل
ولا تعاشر لقوم ذل جارهمو ... وخلهم فى جوار الذل وارتحل

ولا تفر اذا ما خضت معركة * فما يزيد فرار قط فى الاجل * يا عبل أنت سواد العين فاحتكمى
فى القلب مع مهجتى يا غاية الامل * وان ترحل عبس عنك لا تقمى * بدار ذل ولا تصغى الى العذل

لان ارضهمو من بعد رحلتنا * تبقى بلا ناصر يدعى ولا رجل
سلى فزارة عن فعلى وقد نفرت * فى حفل حفل كالعارض الهطل
تهز سمر القنا حقدا على اذا * رأت بريق حسامى زائد الشعل
يخبرك بدر بن عمرو انى رجل * القى الفوارس لا اخشى من الاجل
قاتلت فرسانهم حتى غدوا هربا * والطعن فى اثرهم بالسيف والاسل
وعادتى ايجرى يمشى فتزلقه * جماجم أصبحت كالحنظل الخطل
وقد اسرت سراة الكل مقتدرا * وعدت من طربى كالشارب الثمل
يا دهر ان رمت قلبى بالفراق فما * ابكى لفرقة أحباب ولا طلل
بل من فراق التى فى طرفها حور * اهاج بى فرط وجد منه مع علل
امسى على وجل خوف البعاد كما * تمسى الاعادى من خوفى على وجل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من انشاده وكلامه ولحق بعد ذلك بقومه واعمامه تلقته فرسان بنى قراد وفرحوا بما فعل بنى زياد وبما قد أتى معه من تلك الاموال التى ملأت تلك الوهاد وهنوه بالسلامة مما كان فيه من ذلك الحرب والجلاد ثم انهم نزلوا فى ذلك المقام وتلك الاطلال وتشاوروا فى أى مكان ينزلون فيه من تلك الجبال حتى يتحصنوا فيه بما معهم من المال والعيال والاماء والعبيد والنوق والجمال فقال عنتر لعروة ولاعمامه ولمن معه من الرفاق لابد لنا من المسير الى أرض العراق والنزول على بعض الغدران القريبة من تلك الآفاق ولما نستقر ونستريح أنتصب لقلع آثار بنى شيبان ولا أدع منهم لا شيوخا ولا شبان فقال شداد يا ولدى أوما تفزع من الملك النعمان فقال عنتر لا وحق مكون الأكوان وملون الالوان وخالق الانس والجان لا أخاف منه ولا من كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ولا من قيصر ملك عبدة الصلبان فقال شيبوب يا ابن الام ان أردت أن تفعل هذه الفعال وتشاقق الملوك الثقال فسر بنا من هاهنا حتى أنزل بك فى جبال الردم ووادى الرمال لانه اذا كان فى بابها عشرة رجال حموا أنفسهم ممن يأتى اليهم يطلب حربا أو قتال وبعد ما تتحصن فيه فعاد من تشاء من العساكر والابطال اذا كنت تأمن على الحريم والعيال وعلى من معك من الاموال فقال شداد يا ولدى وحق رب الارباب ان هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب لانى سمعت صفة هذا المكان انه يحمى الخلائق ويكون ساكنه فى أمان من كل الطوارق والحدثان ثم انهم اتفقوا على نزولهم فى ذلك المكان وعند ذلك استراحوا حتى مضى من الليل النصف الاول وبعد ذلك أفاقوا وكل منهم على الرحيل قد عول وقد رحلوا وساروا طالبين الوادى الذى قد ذكرنا والجبال التى وصفنا (قال) وهذه الجبال كانت مما يلى العراق فى أطراف بلاد الحجاز وتلك الآفاق وهى عالية سامية يظن الناظر انها بالسحاب متلاقية ورؤسها قد ارتفعت بالعلو الى آخر الدنيا حتى كادت الشمس ان تحرقها بالنور والضيا وفى جنباتها كهوف ومغاير وأشجار وغابات كثيرة الالوان وشئ كثير من شجر أم غيلان وهى أرض ملآنة بالحيات والآفاعى وساكنوها الوحوش والسباع وما لذلك المكان غير طريق واحد وان رأته السفار وجازته يروه متباعد وله عطفات ولفتات

تأخذ

تأخذ الانسان من رؤيتهم الحيرة والانبهات وهو مثل الحصن الحصين المصان اذ حل فيه الخائف أمن على نفسه وعلى ماله وعياله من نوائب الزمان ويستريح قلبه من شياطين العربان واذا وقع في فمه عشرة من الفرسان أحرموا أهل الارض أن صل اليه ولو كانوا عسكرا شجعان ولا عليه من جنباته طريق ولا يملك أحد أن يصل اليه بتسليق الا من ذلك الشعب المضيق وبينه وبين أرض بني شيبان سبعة أيام على التحقيق (قال الراوي) فلما سمع عنتر وصف ذلك المكان من ذلك الحضار سار مع رجاله يجدون المسير في ذلك القفار وقد هجروا المنازل والاهل والديار وبتوا لمعاداة القوم الاشرار وتقدم عنتر امام القوم وقد زاد على قومه العتب واللوم فجاش الشعر في خاطره فباح بما استكن في ضميره وقد تذكر كلام الملك زهير وذلك الشان وقوله له ارحل من الديار والاوطان فأنشد هذه الابيات الحسان

اصانة نفسي بدءها الرأي والود * فأكثر هذا الناس ليس لهم عهد
أريد من الايام ما لم يضرها * فهل يرفعن عني نوائبها الجهد
وما هذه الدنيا لنا بطبيعة * وليس لخلق من مودتها بد
تكون الموالي والعبيد لعاجز * ويخدم فيها نفسه البطل الفرد
وكل من قريب لي بعيد مودة * وكل صديق بين أضلعه جهد
فذلة قلب لا يقل غليله * وذو الصدق لا ينجيه عن خله وعد
يكلفني أن أطلب العز باطنا * وأنى العلا اذ لم يساعدني الجد
ويسعدني في الحرب رمحي وصارمي * وسابقة زحف وذو منعة لهد
فيالك من قلب معنى من الضنى * ويالك من دمع على الخد يمتد
وان تظهر الايام كل عظيمة * فما بين اضلاعي وقلبي لها ود
وليس الفتى من عاق عن حمل سيفه * أساري وخلاه عن الطلب المجد
اذا كان لا يمضي الحسام بنفسه * فليس اليه الطرف ان بان يمتد
وحرلى من دون الانام عصابة * تودها يخفى وأضغانها تبدو
وليس لعبس غير صحبة فتية * ظواعن لا يعنيهم الحسن والسعد
اذا طلبوا يوما الى العز شمروا * وان ندبوا يوما الى غارة جدوا
وكم لي في الآكام والبر سفرة * يصاحبني فيها المهند والغمد
اذا طلب الاعداء أثرى بنكبة * نجوت وقد غطى على أثري الجهد
ولو شاء رمحي سد كل كتيبة * ويطلعني للغارة الضمر الجرد
ألا ليت شعري هل أنال من المنى * وتاتاني الاعدا بمكرمة تبدو
جوادا اذا سد المحافر وجهه * يروح الى طعن القبائل أو يبدو
خفيت على اثر الفريدة في العلا * اذا هاجت الرمضاء واختطر الطرد
وتعجبني من آل عبس عصابة * لهم شرف بين القبائل ممتد
لهم قوة الآساد في كل موطن * كأن دم الاعداء في فمهم شهد

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام تعجبت الفرسان من قدح فكرته وشرف همته وقال له عروة بن الورد لا رد الله من قلاك ولا كان من يشناك فما تركت لشاعر مقال ولا خلت لفارس فعال ولا يصعب هذا الامر عليك فها نحن بين يديك ولا نبخل بأنفسنا عليك وانهم لم يزالوا سائرين يقطعون ذلك البر وقفره حتى انهم وصلوا الى المنزل المقدم ذكره وانزلوا الحريم من على ظهور الجمال وتركوها

فى ذلك الجبر والتلال ودخل عنتر الى الشعب هو وأعمامه وعروة ورجاله الابطال فرأوا الوحوش تسعى فى جانبه وأسده تتلاعب مع ثعالبه فقال عنتر لما رأى تلك الآثار ان هذا المكان لا يسكن الا اذا كنا نطلق فى جانبه النار فقال أعمامه هذا والله هو الصواب والرأى الذى لا يعاب ثم انهم أمروا العبيد باطلاق النار فى تلك الاحطاب فهيج الوحش جميعه لما حس بذلك الالتهاب ودامت النار تعمل فى الوادى خمسة أيام وتضرم حتى بقى الوادى كأنه من أودية جهنم وقد احترق جميع ما كان فيه من الوحش الذى كان فيه وكان شيأ كثيرا لا يحصيه الا الله خالق كل شئ ومنشيه وفى اليوم السادس خمدت تلك النيران بعد الاشتعال ودخل بنو قراد الى الوادى وقد انصرفت تلك الاحوال واستراحت قلوبهم عن مقاساة الاعداء والاضداد وأمر عنتر من معه من تلك العبيد الاجواد ان يضربوا السرادقات والخيام ويمدوا الاطناب والاوتاد وان يدخلوا بالحريم والعيال والاولاد * هذا وقد امتثلت العبيد ما أمرهم به من ذلك المقال ومهدوا الارض من اليمين والشمال وما جاء آخر النهار حتى امتدت الاطناب ورفعوا القباب وقد أدخلوا الحريم والعيال وضجت لاصواتهم تلك الجبال واستأنست تلك الديار بالسكان والنزال ﴿قال الراوى﴾ وبعد أيام قال عنتر لابيه شداد يا أبى انى أريد أن أسير الى بنى شيبان الاوغاد وأجازيهم على ما فعلوا مع ابنة عمى هم والربيع بن زياد وأسبى حريمهم والاولاد فقال أبوه ياولدى نحن فى قلة من الرجال وقد صرنا فى أرض غريبة الديار والاطلال فان تباعدنا عن الحريم نخاف من عليهم من طوارق الايام والليال فقال عنتر هذا شئ ما أخاف منه والكثرة ما ترد نى عنه لان أعداءنا الذين بين أيدينا أنا طالبهم وأما هم فلم يطلبونا فقال له أبوه وأنت ياولدى فى كم من الفرسان تريد أن تسير فقال له فى مائة من الفرسان المشاهير فقال له ياولدى ما هذا صواب لان بنى شيبان خلق كثير وعندهم من خلفهم جم غزير والصواب انك تسير من هاهنا فى مائة وخمسين فارسا من أعز من هنا من الرجال وتترك الباقى هنا لحفظ الاموال والعيال واذا فعلت ذلك تكون على خطر من هذه الاعمال (ياسادة يا كرام) ففعل عنتر مثل ما أمره به أبوه وقد سار بين يدى الرجال وهو يذكر ما قاساه من أهل قبيلته وناسه وأقرباه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

مدت الى النائبات باعها * وحار بتنى فرأت ماراعها * ياحادثات الدهر قرى واهجمى
فهمتى قد كشفت قناعها * ولا تعادى رجلا قد جربت * فعاله الابطال فى قراعها
ماداس فى دار العدا جواده * الا وأروى بالدما بقاعها * ويل لشيبان اذا صحتها
ومدت الحرب اليهم باعها * وارتفع النقع العوان فى الفلا * وأظهرت بيض الظبا شعاعها
وخاض رحى فى حشاه امعانا * وشك فى حديده اضلاعها * وأصبحت نساؤها نوادبا
على رجال تشتكى نزاعها * ياعبل عندى من هوالك لوعة * أحس فى طى الحشى أوجاعها
ياعبل كم نزعق غربان النيا * ومل قلبى فى الدجا سماعها * فارقت أطلالا وفيها عصبة
قد قطعت من صحبتى أطماعها * وعن قليل ينقار وا اذا دهت * خيل المنايا قلعت أقراعها

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامير عنتر من تلك الابيات مال الامير عروة منها طربا واهتز من سماعها عجبا وقد شكره جميعهم على فصاحته وشجاعته وسار وا طالبين ديار بنى شيبان وقد قل الموت فى أعينهم وهان هذا وعنتر سائر وفى قلبه نار الحريق وقد تحمل من الغيظ ما لا يطيق وهو لا يفكر فى الفرسان ولا فى ازدحام الشجعان فهذا ما كان لهم من الاحوال ﴿وأما ما كان﴾ من مفرج بن هلال الذى هم سائرون الى ديارهم والاطلال فانه لما عاد من عند الملك كسرى أنوشروان وهو فرحان جذلان ومعه أموال ورجال وخلع حسان وشئ كثير لا تأكله النيران وعند عودته دخل على الملك النعمان وأقام فى ضيافته ثلاثة أيام وأعلمه بما جرى له فى بلاد خراسان وكيف كان قتالهم مع من هناك من الفرسان وبعد ذلك سار

من

من عنده وهو طالب داره والاوطان وكان قد اشترى معه ثلاثمائة حمل مدام من الخمر العقار وهو خمر العراق الذى صفا وراق وصار أصفى من دموع العشاق وانه لما وصل الى أرضه والاوطان وعلم به ابن عمه مالك بن حسان فرح بقدومه الفرح التام وخرج الى ملتقاه هو ومن عنده من الفرسان وهم المائة فارس الذين كان تركهم مفرج لما سار الى كسرى انوشروان وسار والى أن التقوا به من أبعد مكان وهنوه بالسلامة هو ومن معه من الفرسان وبعد ذلك الامر والشان التفت مفرج الى ابن عمه مالك بن حسان وقال له أين عبدى بشارة ورفقته وماله لم يطلع الى لقائى مثل عادته فقال مالك يا ابن العم اعلم أن بشارة رجع الى خساسة أصله وعمل عملا ما سبقه اليه أحد من قبله فقال مفرج ما الذى فعل يا ابن العم من الفعال أخبرنى بصدق الاقوال فقال له مالك اعلم أنه ما أقام بعد مسيرك الا عشرين يوما وأظهر لى أنه وصل اليه من عندك كتاب وانك قد أرسلت له بحجاب وانك تقول له خذ ما تحت يدك من الاموال والذخائر العوال وامض بها الى جبال الردم ووادى الرمال وتحصن بها هناك أنت ومن معك من العبيد الاقيال فانى قد تحملت من خدمة كسرى ما لا أطيق ولا بد أن اهرب من بين يديه ان وجدت الى الهرب طريق ثم أخذ جميع ما فى خزائنك من الاموال والذخائر الغوال ومضى بها الى جبال الردم ووادى الرمال بعد ما حملها على ظهور الجمال ثم سار وما سمعنا بعد ذلك له اخبار ولا وقعنا له على آثار الان كان فى هذه الايام قدم علينا من عند الربيع بن زياد قاصد من القصاد واخبرنا انه مقيم فى بنى عبس عند عنتر بن شداد وقد ربته عمه عبلة عليه وسلم جميع الاموال اليه وصار يتردد اليه مساء وصباحا وفى الغدو والآصال وقد اجتمع برابعة محبوبته وقد استراح واطمأنت مهجته وانى يا ابن العم كنت معولا فى هذه الايام على المسير الى الملك النعمان واخبره بما جرى وكان فوصلت أنت الينا فى هذه الايام فافعل ما تريد يا ابن الكرام

(قال الراوى) فلما سمع مفرج من مالك ذلك الامر صارت عيناه مثل لظى الجمر وقد سكر من غير شرب خمر ودق بيده على يد من شدة الغيظ والحرد وقال له ويلك يا مالك نحن قد قتلنا عبلة من زمان فكيف ظهرت فى بنى عبس وعدنان فقال مالك ما أدرى كيف كان هذا الامر والشان وأنا متفكر من وقت ما وصل الى هذا الكلام فقال ابن عبد العزى سنان وكان فارس بنى شيبان وحاميتها من طوارق الحدثان أنا أقول بعين الفراسة يا أمير مفرج ان عبدك ما قتل عبلة لما امرته بقتلها وذلك الشان وانه كذب عليك بالمحال والبهتان ودبر برأيه حتى خلالله المكان واخذ اموالك وسار بها الى عبد بنى عبس وعدنان لانه ابن زنا مثله وارادان يعيش تحت حمايته وظله لانه قد وجد محبوبته عنده فقال له مفرج وقد قاسى الامور على معاناتها وقال كان يفعل ذلك اذا مت انا ودرجت فى الاكفان والا فما دمت انا راكبا على ظهر الوهلان ومالكا سيفى والسنان وحولى خمسة آلاف من بنى شيبان وخلفى مثل الملك النعمان وكسرى انوشروان فما ينهب لى مال ولا يعتدى على جار ولا ينهتك لى عيال فقال له سنان ومالك بن حسان الراى عندنا انك تنفذ الى حلفائك الذين تعتمد عليهم فى شدتك ورخائك وسر بنا الى بنى عبس حتى نقلع آثارهم ونخرب ديارهم ونخلى منهم اطلالهم ونقتل عبيدهم ونسترد مالك من عندهم فقال له مفرج ما هذا صواب الا بعدان اسير الى الملك النعمان واعلمه بما جرى وكان واستأذنه فى المسير الى بنى عبس وعدنان لانه يريد ان يصاهر الملك زهير فى هذه الايام ويتزوج ابنته المتجردة لاجل ما فيها من الحسن والجمال الفتان وهو راغب فيها وطالب قربها ووصالها وان نحن سرنا بغير اذنه اليهم ووقع بيننا القتال يعتب علينا ويغضب من اجل هذه الفعال والراى عندى اننا نسير اليه ونعلمه بحالنا فربما أنه يرسل الى زهير ويخلص لنا اموالنا ويأمرنا بالمسير الى غرضنا ونرحل عن قعدتنا من عنده ونقتل زهيرا وعبده وجميع فرسانه وجنده ونهلك الرفيع منهم والوضيع ولا ندع

اموالنا عند هؤلاء الاقوام تضيع ولا بد لى من قتل عبدى بشارة بن منيع فقال له سنان افعل ما بدا لك وسر بنا اينما شئت حتى تبلغ آمالك وبعد ذلك انصرف كل منهم الى منازله واطلاله وجدد العهد بين اهله وعياله (قال الراوى) ومن شدة ما جرى على مفرج ما اقام فى الحلة اكثر من يومين وفى اليوم الثالث سار الى الملك النعمان وفى قلبه من عبده بشارة لهيب النيران وقد سارت من خلفه جميع بنى شيبان ومازالوا يقطعون الارض والكثبان الى ان وصلوا الى الحيرة واستأذنوا بالدخول على الملك النعمان فأذن لهم بذلك الامر والشان فدخل مفرج وقلبه فزعان وهو فى حالة الذل والهوان الى ان بقى بين يديه فنظره الملك النعمان ودموعه تجرى من آماق عينيه غدران فقبل الارض قدامه وهو مثل المجنون الذى ضاعت افهامه فقال له الملك النعمان ما بالك وما الذى اعتراك ونالك فتقدم الى بين يديه واعلمه بما جرى عليه من عبده بشارة بن منيع وما وقع منه فى حقه من الامر الشنيع وكيف اخذ امواله وما تملكه كلها بيديه وسار به الى عند عنتر بن شداد بعد ان رد حيلة عليه (قال) فلما سمع الملك النعمان من مفرج هذا الكلام صارا لضياء فى وجهه كالظلام وقال لمفرج أما اخبرتنى انت والربيع بأنكم قتلتموها واوردتموها المهالك وقد اقررتم على انفسكم فى حضرتى واعلمتونى بذلك الا براد انت والربيع بن زياد فقال مفرج يا مولاى هكذا كان ولكن ما فينا من رأى عبلة عند قتلها ودفنها فى الرمال والكثبان وانما امرت انا عبدى بشارة ان يخرج بها الى البر والتلال ويقتلها ويسقيها كأس الوبال فأخذها من عندنا وخرج بها وقد فعل ما اراد واشتهى وقد اتى الينا وهو مغرق بالدماء وكان ذلك منه محال وقد لطخ به أثوابه لاجل صدق المقال وما علمت بذلك كيف كان الحال وهذا ما جرى والسلام وقد اخبرتك ايها الملك الهمام (قال) فلما سمع الملك النعمان من مفرج هذا الكلام قال له لا تضيق صدرك من هذه الاحوال ولا يصعب عليك ذلك الحال واعلم ان مالك كله يعود اليك والرجل الذى اخذه ينساق بين يديك لانى فى هذه الايام اردت ان انفذ الى الملك زهير ملكهم واخطب منه ابنته المتجردة وكنت منتظرا لما يأتى به الربيع من الامور العائدة والا فقد تأكدت القصة بهذا الامر الذى قد اعتراك ولا بقيت اتهاون عن انفاذى اليهم فى طلب الجميع الرفيع منهم والوضيع ثم انه كتب من وقته وساعته كتابا الى الملك زهير وهو يحذره وينذره ويقول له فى اوله اعلم يا زهير ان التقدم على العشائر لا يكون الا بحسن التدبير وانا قد بلغنى عن عبدكم عنتر انه قد خرج من رق العبودية واستكبر وانت قد صرت تجيزله الذمام ولا تناديه الا مثل بنى الاعمام والصواب انك تتبع سنة ملوك العرب وتخشى العواقب والنوب وتحسن معنا الادب وتأمر عبدك ان يرد اموال مفرج اليه حتى تقربه مقل عينيه وكذلك عبده بشارة ويحسن معنا جميله ووده والا جازيناه على قبح فعله وسلكنا به مسالك عمله وبعد ذلك اطلب انت منى مهر ابنتك مهما شئت من الاموال والخيل والنوق والجمال والجواهر الغوال واحذر ان ترد هذا الرسول القادم عليك بالجواب الا بخطاب تبين فيه الراى الصواب والا اصبحت على روحك نادما ودارك خرابا يزعق فيها البوم والغراب ثم ان الملك النعمان ختم الكتاب وسلمه الى نجاب وقال له خذ هذا الكتاب وسر به الى ديار بنى عبس الانجاب ولا تعطه الا فى يد الملك زهير وأتنى منه برد الجواب وبعد ذلك سر الى الربيع بن زياد واستخبر منه عما جرى من الا براد فأجابه النجاب بالسمع والطاعة وسار به يجد المسير من تلك الساعة ومازال سائرا يقطع القفار آناء الليل واطراف النهار واما الملك النعمان فانه قد اقام ينتظر جواب الرسول وما يأتى به من الكلام واعاق مفرج عنده فى تلك الايام حتى يبصر ما يتم له من الامر والشان واما النجاب فانه مازال سائرا الى ان وصل الى ديار بنى عبس وعدنان وكان وصوله اليهم بعد رحيل عنتر من عندهم بيومين فدخل النجاب على الملك زهير وقبل يديه وسلم كتاب النعمان اليه فأخذه الملك زهير وقراه وعرف رموزه ومعناه والتفت الى النجاب فى عاجل الحال وقال

له

له اسمع ياوجه العرب ما أقول من المقال اما ماذكره مولاك عن عنترفاهو عندى حتى انى آمر عليه وانهى ونحن سمعنا انه سلك الآفاق ومراده أن يقيم فى ارض العراق وانه ماسار من عندنا حتى انه القى الفتن بيننا وبين جيراننا وانها والله فتنة عظيمة ومحنة جسيمة وقد نجت منها اهل الآفاق وحصل والله من اجلها تعب وشقاق والذى اعلمه انه لو قام عندنا يوما آخر او يومين لكان افنى القبيلتين بشجاعته واهلك الفريقين ببراعته وانا اعلم انه بعد قليل من الزمان يكون مجاورا للملك النعمان فى داره ومنازل بنى شيبان فدعه يأخذ خبره ويفعل به ما يريد من الامر والشان واما انا فلا اتعرض له فى امر من الامور ولو احل الملك به العدم والثبور واما قوله ازوجه ابنتى فأنا ما عندى بنت تصلح للزواج ولو كان عندى ايضا بنت كما ذكر صاحبك ماغربتها عن ارضها ووطنها ولا اسلمها لمن يتحكم فيها ليلا ونهارا من الازواج وانا راكب على ظهر الحصان وحولى اربعة آلاف من بنى عبس وعدنان وانت بعد ذلك يا اخا العرب فما تحتاج الى كتاب وما عندى غير هذا الجواب جواب ثم ان الملك زهير امر للنجاب بخلعة مطرزة الاكمام وان يحمل الى دار الضيافة ثلاثة ايام ويرجع الى مولاه بسلام فأبى النجاب هذا الكلام وخرج من عنده حردان وسار طالبا ارض الحيرة الى الملك النعمان ومن غيظه من الملك زهير ما سار الى الربيع بن زياد فى ارض بنى فزارة كما امره مولاه ولا مر عليه (قال الراوى) وكان الربيع فى تلك الايام فى ارض بنى فزارة لانه لما خلصه قيس من العبد بشارة وجرى ماجرى من هاتيك العبارة دخل الربيع واخوه عمارة الى ابيات بنى قراد لاجل عملة ست العذارة ورأى صناديق الاموال التى اخذها عنتر منه فى ركاب بنى مالك وامر العبيد بحملها الى ابيات قيس كما تقدم هنالك واتى اليه عنتر على حس الصياح وجرى ماجرى من تلك الامور القباح (قال الراوى) لهذا المقال وكان شيوب قد اخذ ما فى الصناديق من الاموال والاقمشة الغوال وملأها حجارة ورمال ومن زبل الغنم وبعر الجمال قبل ان يظهر هذا الامر والحال (قال الراوى) ولما اقبلت اولاد الملك زهير وهم شاس ومالك ووصلوا وفرقوا ما بين بنى قراد وبنى زياد أمر الربيع بحمل الصناديق فى عاجل الحال فتقدمت العبيد وحملتها الى خيام الملك قيس وجرى لهم ماجرى وأصبح عنتر راحلا بأصحابه من عندهم وكان الربيع مجروحا من وخز الاسنة والحسام فقعد يداوى روحه مدة ايام (قال الراوى) ولما ان خفت جراحه وبدا اصلاحه أمر بفتح الصناديق ففتحت فى عاجل الحال فوجدها على هذا المثال فلطم على وجهه وراسه حتى كادت أن تقع أضراسه واخذه الانذهال وندم على هذه الفعال فبينما هو جالس فى ثانى الايام واذا بعبد من عبيده قد اقبل عليه واعلمه بأمواله التى كانت فى بنى فزارة وانها قد ساقها عنتر عن بكرة ابيها بعد ان شن على اخوته الغارة وجرح منهم اثنين وقتل من بنى عمهم ثلاثين (قال الراوى) فلما ان سمع الربيع هذا الكلام وثب قائما على الاقدام واخذ اخاه عمارة وسار طالبا ديار بنى فزارة وسيقع له معنا كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى بكثير من الصلاة عليه (واما ما كان) من نجاب الملك النعمان فانه لما بلغه عنه انه فى بنى فزارة فما عوّل عليه ولا سار اليه بل طلب ارض الحيرة وهو فى هموم وحيرة ودخل على الملك النعمان واخبره بما جرى وكان فلما سمع منه هذا الكلام صار الضباء فى وجهه كالظلام وزادت به الغصص والآلام وقال وحق ذمة العرب الكرام وحرمة البيت الحرام لابد أن اقتل رجاله واذل ابطاله وانهب امواله واسبى عياله واما عبد شداد فلابد ان يظهر خبره فى الاماكن من البلاد وانه لابد له من عندى فرسانا واجناد وادعهم يقطعوا منه الآثار ويخربوا منازله والديار ثم انه بعد ذلك دعا بأخيه الاسود فحضر بين يديه وكان اسمه يزيد ويلقب بالاسود لانه كان سفاكا للدماء عظيم الخلقة واسع الجثة فلما حضر بين يدى اخيه اعاد عليه ما كان من امر الملك زهير وكيف رد رسوله النجاب بغير فائدة ولا جواب فلما ان سمع الملك الاسود هذا الحديث تبسم تبسم الغيظ والحرد وقال له انت الذى تهين نفسك وتطمع العرب فى قدرك

والا لوانك بذلت السيوف فى اعدائك خفت من هيبتك اصدقائك لان الملك يحتاج الى هيبة وناموس وان لم يفعل ذلك الفعل دائما فهو موكوس ومعكوس والصواب انك تنفذ الى زهير من يخرب داره ويحمل بواره ويهلك اولاده واعوانه أو يأتى بالكل الى بين يديك تحكم فيهم بما تريد (قال الراوى) فلما ان سمع الملك النعمان من اخيه الاسود هذا الكلام اشتد به الغيظ والحرد والاستلام ثم انه قال لاخيه الاسود كن أنت وكيلا عنى فى هذا الأمر الشديد وافعل ما تشتهى وتريد فقال الاسود ان هذا الامر كذلك فأنا أسير واقطع الارض والدكادك (قال) هذا والملك النعمان قد جهز الاسود بعد ثلاثة أيام وقد سيره فى عشرين ألف عنان فرسانا وشجعان من بنى لخم وجذام وشيبان الشجعان وكانوا رجالا أعيان وسار بهم الملك الاسود فى البر والوديان كأنه النمر وذبن كنعان وهو طالب أرض بنى عبس وعدنان وبعد مسيره تخلف الملك النعمان فى مدينة الحيرة وتفرغ قلبه وأرسل العبيد الى سائر الحلل لاجل ان يكشفوا أخبار عنتر ومن اين يظهر وفى أى أرض ينزل أو من أى طريق يعبر ويعودوا اليه بجلية الخبر فسارت العبيد تقطع البر الاقفر والمهمه الاغبر وأما النعمان فانه صار كل يوم يركب ومن حوله جماعة من فرسان العرب وبجانبه مفرج بن هلال وهم يسيرون على ظهور خيولهم العوال الى ان يشرفوا على المواشى والمال وهم يسلون بعضهم بالقيل والقال ومازالوا على مثل ذلك الحال مدة أيام وقد اوسعوا فى البرارى والاكام الى أن تنصف النهار وعولوا على العودة الى الديار واذا هم بغبار من بين أيديهم قد ثار وتكدرت منه البرارى والقفار وبعد ساعة انكشف وبان من تحته فرسان كأنهم العقبان على خيول كأنها العزلان لما نها هارب والى النجاة طالبه فوقف الملك النعمان وأرسل من يكشف خبر هذه الفرسان ويطلعه على هذا الامر والشان (قال) فلما ان وصلت الخيل الى الملك النعمان ورأته عيان تبدل خوفهم بأمان وأمنت من طوارق الحدثان فعند ذلك تبين لهم مفرج بن هلال واذا هم من فرسانه الاقيال فقال لهم يا ويلكم ما الذى دهاكم ومن بشره رماكم فقالوا له والله يا ابن العم ما دهينا الا من عنتر بن شداد وقد أتى الينا بعد مسيرك من عندنا من تلك البلاد وقد كبسنا بخيله تحت الظلام وكانت أهل الحى سكارى نيام فقاتل فينا بالحسام وقد فضحنا بين الانام وترك نساءنا أرامل وأولادنا أيتام وأخذ ما أخذ وسار وطلب البرارى والقفار (قال) فلما ان سمع مفرج من قومه هذا الكلام لطم على وجهه وراسه حتى تنعتعت جميع أضراسه وقال لهم يا ويلكم وفى كم كان هذا الشيطان حتى فعل بكم هذا الامر والشان فقالوا له ما رأيناه الا فى نفر قليل ولكن فيهم كل فارس جليل وقد أبلونا بالذل والويل (قال) ومازالت الفرسان تأتى اليه من البر والفدفد حتى انقطع منهم المدد مع آخر النهار وقد صح ان عنترا سبى كل من فى الحلة من النساء والعيال وسار على طريق جبال الردم وتلك الرمال فقال لهم الملك النعمان وحق بيوت النيران لاطلبنه ولو صعد الى السماء والفرقدان ثم انه طيب قلب مفرج بن هلال وفى قلبه نار الاشتعال من سماع هذا المقال وعادوا الى الحيرة وهم فى اندهال وقد باتوا فى هم واتراح الى أن أصبح الصباح واضاء الكريم بنوره ولاح فجمع مفرج المنهزمين والذين كانوا معه مقيمين فوجدهم خمسة آلاف انسان فأخذ الاذن من الملك النعمان بالمسير الى داره والاوطان ليبصر ما جرى عليه من الذل والهوان فأذن له فى ذلك الامر والشان فسار يجد المسير فى البرارى والقفار وقلبه طائر على قومه من سماع هذه الاخبار ولم يزل سائرا حتى اشرف على الديار فرآها قفراء خراب والنساء يندبن على من قتل لهم من الرجال والاحباب فلما ان رأى مفرج الى تلك الاحوال تزايد به البلبال وقد جرت على خديه دموعه وزادت لوعته ولهوعه وحسرته وولوعه وقد تأسف على هذه الفعال وأما رجاله فما منهم الا من سار الى أبياته وافتقد حريمه وعياله ثم عبيده وأمواله فرأى داره قد نهبت وعياله قد سبيت فزاد به الحزن والجوى وصار على غير استوى وأما مفرج

فانه

فانه كان بجرعة الشكلى وقد قيل فى بعض الامثال انه ما جرب النار الامن بها اصطلى وصار نادما على ما ناله من خراب ديارة ونهب أمواله وسبى حريمه وعياله ومن قعوده عن مجازاة غريمه زادت به المصايب لما ان سمع ندب النوادب (قال الراوى) ومن شدة ما جرى عليه من الهموم والآلام ما أقام فى الحلة غير ثلاثة أيام وركب بعدها وسار وأخذ معه جميع فرسانه الاخيار وسلك بهم البرارى والتلال بهذا العسكر الجرار وهو طالب جبال الرمم وتلك الرمال هو ومن معه من الرجال فهذا ما كان من هؤلاء من الاحوال (وأما ما كان) من عنتر البطل الريال فانه لما سار الى ديار مفرج كما تقدم فى المقال ومن خلفه مائة وخمسون فارس ريال ومازال يقطع الارض والرمال والتلال والكثبان حتى أشرف على حلة بنى شيبان وكان وصوله اليها عند الصباح فأكمن هناك فى بعض الاماكن الفساح ونزل فيها الى أن استراح وأنفذ أخاه شيبوبا يكشف له الخبر عن اهل الحلة وينظر ان كان مفرج هناك أم لا (قال) فعند ذلك سار شيبوب وهو كالريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وما غاب أكثر من ساعة وعاد وهو مسرع على الاثر وقال لاخيه عنتر يا ابن الام ان سعدك قد غلب على رأى أعداك وما فى الحلة من يردك عن مسعاك لانه ليس هناك أكثر من ألف فارس والكل راقدون فى حجور النساء النواعس فقال له عنتر وكيف ذلك أبدى لى ما ذكرته بحق مالك المما لك فقال شيبوب لان مفرج بن هلال سيد بنى شيبان لما عاد من عند الملك كسرى أنوشروان وهو فرحان وعليه خلع من العظام الحسان ومعه ثلاثمائة حمل شراب من الخمر الرائق الوهاج يشبه فى انصبابه فى قطع الزجاج سبائك الذهب عند الارهاج وكان قد عول أن يشربها هو وبنو عمه وفرسان عشيرته وأبطال قومه وقراباته فرأى ما أخذه بشارة من المال والجمال والنياق الحسان وحدثه بذلك ابن عمه مالك بن حسان لان الربيع أرسل اليه وأخبره بأن عبلة قد عادت اليك وان عبده بشارة وماله قد صار بين يديك بجرى عليه ما لم يجر على بشر وعاد راجعا الى الملك النعمان على الاثر ليشاوره فى أمر المسير الى بنى عبس وعدنان ويرميهم منه بطوارق الحدثان ونوائب الدهر والزمان ويأخذ منك ثاره ويخرب ديارك كما خربت ديار من شدة ما جرى عليه من تأسفه عليك ولاجل ماله وعبده اللذان وصلا اليك وقال لبنى عمه اشربوا أنتم هذا الشراب ثم أقلوا من اللوم والعتاب ولا يسألنى أحد عن جواب فانى ما بقيت أشرب خمرا ولا أقطع من الاحكام أمرا حتى أقتل عبدى بشارة وأطفئ بقتل عنتر الآخر ما بقلبى من الحرارة وان القوم يا ابن الام من حيث سار مفرج من عندهم ما فيهم من أفاق من السكر وصحا وما فيهم الا من لم يزل مغتبقا ومصطبحا وهم غافلون عن نزول النوائب راقدون فى حجور النساء والبنات الكواعب وانى قد رأيت من الرأى الصواب والامر الذى ما فيه شئ يعاب انكم ترحلون من هذا المكان وتخوضوا أرض بنى شيبان وتدخلوها تحت أستار الظلام واذا أنتم قاربتم الخيام تتفرقوا ثلاث فرق كل فرقة خمسون فارس وتكونوا أيقاظا ولا تكونوا نواعس وتدوسوا القوم تحت سنابك الخيل وتحلوا بهم الذل والويل وقد نلتم ما تريدون وبلغتم ما تؤملون وتشتهون فقال عنتر يا ابن السوداء وحق ذمة العرب الكرام لقد أشرت وما قصرت فيما به دبرت من هذا المرام فقال شيبوب والله يا ابن الام انى ما تكلمت الا على قدر ما نظرت من الاحكام فعند ذلك ركب عنتر وركبت من خلفه الرجال وقد عرفوا حقيقة الامر والحال وصاروا فى عرض البر وبين أيديهم شيبوب كأنه الاسد الريال لا تعبا له ركب ولا بلم به تعب ولا نصب ولم يزالوا يقطعون القفار حتى أقبل الظلام بسواد الاعتكار فلاحت لهم نيران بنى شيبان وقد نظروها من أبعد مكان وكان الليل قد غسق على الخافقين وانطبق فعند ذلك افترقوا ثلاث فرق وزعقوا من كل جانب ودخلوا بين الخيام والمضارب وبذلوا فى الرجال حدود القواضب وفى دون ساعة تكدرت الدنيا ونزلت على القوم المصائب وقد انعقد عليهم الغبار من كل جانب

وعلا الصياح من المشارق والمغارب وثارت الرجال من المراقد وخفقت قلوب الابكار النواهد وقامت السكارى وهم حيارى مما حل بهم من الشدائد وظنت الفرسان أنها تصيح أسارى وتحل بهم الاوابد وزاد سواد الليل اعتكارا ودجا وتقطعت منهم حبال الاسباب والرجا ولم يجد الانسان له مهربا ولا ملتجا وطلبت الفرسان من هول المعمعة فرجا وناحت الحمائم على الاجساد المطروحة بالشجا وأقام ملك الموت للارواح حجا ومازال السيف يعمل حتى ولى الليل مندرجا وأقبل الصباح بنوره مضيئا متبلجا وأصبحت فرسان بنى عبس وجوههم مضيئة والنصر لهم متوجا وقد كسوا من الدماء ثوبا أحمر مدبجا وكانت ليلة عظيمة من بين الليالى نال فيها عنتر كل الفخار وأصبح متحكما فى أرض بنى شيبان وقد ملك الاموال والعيال والنسوان ووصل الى بيوت الامراء الكبار مثل مفرج بن هلال الفارس الكرار وابن عبد العزى سنان ومالك بن حسان وسبى نساء بنى شيبان وساق عنتر البنات والصبيان وأخذ الجمال والاموال وقد سبى لمفرج ثلاث نساء وأربع بنات من خيار العيال ومن نساء اخوته وبنى عمه أربعين امرأة من النساء الموصوفات بالجمال واكتسبت بنو قراد ورجال عروة من النوق والخيل والجمال ما سد أقطار البر والرمال وعادوا بعد ذلك بما معهم راجعين ليطلبوا جبال الردم ووادى الرمال وتركوا دار الاعداء فضائح وفى جنباتها شئ كثير من النوادب والنوائح ومازالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى بقى بينهم وبين الجبلين ومن فيهما من القوم مسافة قريبة دون يوم وكانوا قد أصلحوا فى أرض موحشة الجوانب والدكادك قليلة الخاطر فيها والسالك فعند عنتر عينه فرأى بين يديه غبرة عظيمة عالية وعجاجة مرتفعة نامية وهى على بعد منه فاستيقظ بعد ما كان ناعس وقال لعروة أترى ما أرى قال لا وحياتك يا أبا الفوارس فقال له مد نظرك الى بين يديك وحقق فى عرض البر بعينيك (قال) فعند عروة نظره وقد حقق فى البر واذا بالغبار والقتام قد ارتفع وكلما قرب زاد له سوادا على وطلع فقال عروة يا أبا الفوارس رأيت غبارا قائما الديك وأقول انها غنيمة ساقها الله تعالى اليك فقال عنتر على كل حال ارفقوا بالليل حتى ان الخيل تستريح وتعينكم على ما تريدون من المنى والنيل فعند ذلك ترجلت الفرسان عن صهواتها وقد افتقدت حزمها وأرخت أعنتها وألجمتها وعادت بعد ذلك الى صهواتها بعد ما أخذت أهبتها وسلت صفاحها وقومت بين آذان خيولها أسنة رماحها هذا وقد وكل عنتر بالمال الذى معه أربعين فارس وتقدم الباقون مثل الليوث العوابس وهم مائة وعشرة فوارس ما فيهم الا كل مدرع ولابس ومازالوا يتحدثون فى أمر ذلك الغبار حتى قرب وصار فى وسط القفار فسمعوا من تحته صيحات عاليات وضجات مرتفعات وأمورا تدل على صياح نسوان ودموع جاريات والكل ينادون يا آل عبس يا آل عدنان أما من رجل كريم يغار على البنات والصبيان أما من فارس جسيم يخلص النساء من ذلك الهوان (قال الراوى) فلما سمع عنتر تلك الاصوات والاشارات أخذته الحمية والانفة واسود البر فى عينيه من سائر الجهات وقال لعروة دهينا والله يا فارس البدو والحضر ووقع بالحريم ما كنا نخشى ونحذر فيا ليت شعرى من الذى من العرب أصابنا بهذه المصائب وتجرأ علينا ونحن أسود الغاب الغوالب ومن الذى فعل بحريمنا هذه الفعال ونحن غياب فى قضاء الاشغال (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الشر والعناد هو الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وذلك انهم لما أتوا الى بنى فزارة وفاتهم الربح ووقع بهم الخسارة حين أخرج عنتر من عندهم العسد بشارة وجرى ما جرى من تلك العبارة وبلغ الربيع وعمارة بنى الاندال ان أبا الفوارس عنترا غار على مالهم من الاموال وتبعته بنو فزارة بالرجال والابطال فما قدروا أن يلحقوا منه ولا عقال وعادوا عنه بخيبة الآمال فعند ذلك دخل على حذيفة بن بدر وصار بين يديه وهو مما جرى له يدق على صدره وقال له يا أبا جحار يا فارس الاقطار كيف غفلت فى هذه النوبة عنا وتخليت عن حمايتنا ونحن

فى جوارك مقيمون وفى ديارك آمنون فقال له لم أكن عن الوقعة مكسور لما ضرب عنتر رأس حربتى
طيفور لما كنت سكت عن هذه الامور ولوان الدماء من الافواه تفور وتخرمن رقاب الرجال كالنهور على
انثنى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ماعلمت ان عنترا هو الذى أغار علينا وبالاذى قد وصل الينا والا
ما كنت قعدت عن حربه وقراعه ولو بلغت روحى التراقى كنت لقيته وقصرت باعه وانما قلت لنفسى بعض
العرب الطماعة قد عبروا بأطراف بلادنا وأطلالنا وحدثتهم أنفسهم بأخذ بعض أموالنا فركب أخى
وحمل معه بعض اخوانه وجماعة من الابطال وقلت انه يقضى الاشغال ويبلغنا الآمال ويرد الخيل
والجمال وجميع النياق العوال فعادوا عما أملوه بالذل والخيبة وأضاعوا ما كان لهم من الحرمة والهيبة وأنا
وحق اللات والعزى سكران من هذا الامر أكثر من سكر شارب الخمر وان لم ألحق عنترا وأذله والا حل بى
المرض الشديد ومت كمدا كمد فقال الربيع والله يا ابن العم ما بقى يمكننا المقام بعد ما فعل معنا هذا العبد
ولد الزنا هذه الفعال وأحل بنا الآلام والنكال ثم انهم تأهبوا من يومهم وليلتهم فى ألف وسبعمائة فارس
ما فيهم الا كل بطل مداعس وليث ممارس والكل فى الحديد غواطس وساروا على أثر عنتر قاصدين
الجبال بعد ما نهاهم الشيخ بدر بن عمرو عن هذه الاعمال فما ارتدعوا وما قبلوا له مقال بل قال لهم حذيفة
لا تسمعوا من أبى كلام لانه كبر وخرف وقل منه المقام وكيف نكون نحن ملوكا أولاد ملوك ونرضى بالذل من
عبد راعى جمال وهو فقير صعلوك ﴿قال الراوى﴾ ولما سار وا فى ذلك البر وأوسعوا فى ذلك القفر قال حمل
لاخيه حذيفة والربيع بن زياد انا قد نشأنا فى هذا الامر لما داة عنتر بن شداد بغير رضا أبينا بدر بن عمرو
وطلبنا بهذه الفعال الكياد وقد عصينا مشايخ العشيرة وأصحاب الكلام ونخاف أن يتم علينا أمر
مشكل فتشمت بنا بنو الاعمام ولا يبقى لاحد منا فى الحى مقام والرأى عندى ما أقول لكم من الكلام
وهو انا نستظهر عليه بعض فرسان العرب وهو الامير ظالم بن الحارث الفارس المنخب ونبالا ستظهار من
٥٥ بأس ولا يذمه أحد من الناس ٭ قال وكان حمل قال لاخيه هذا المقال لاجل ما وقع لعنتر فى قلبه من الهيبة
وقت القتال لما وقع لهم ما وقع فى تلك النوبة من العناد والعطب وأيضا قد وافقه الربيع بن زياد على ما طلب
وظنوا ان هذا الفارس الذى ذكره حمل ينصرهم على عنتر ويبلغهم منه الارب لان هذا الفارس الذى هو
ظالم بن الحارث كان فارس بنى مرة وذبيان وكان شديد القوة أعجوبة من عجائب الزمان وكان من قوته
وشجاعته يفتخر على سائر العرب من بعد منها ومن قرب ٭ قال وكان الذى يعينه على ذلك الهجوم وتلك
الاخطار الهائلات سيف كان ورثه من جدوده يسمى ذا الحيات وكان فى ذلك الزمان معدوم الصفات لانه
كان اذا أشهره فى يمينه فى البر الاقفر فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه بالنظر ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا السيف
من قديم الزمان عمل لملك يقال له الاقرن بن هامان وكان ملكا جبارا وبطلا مغوارا لا يصطلى له بنار ولا
يعدى له على جار وكان من تجبره وتكبره خصه الله فى رأسه بحيتين وكانا يأكلانه الليل والنهار حتى قاسى
منهما الذل والهوان وقد أعيا دواؤهما الاطباء والحكماء وأهل العرفان فلما ان رأى فى نفسه العبر وقد زاد
عليه الضرر نادى فى جميع مملكته ان كل من أزال عنه هذه المرض زوجه بابنته وأشركه فى نعمته وجعله
وزير دولته ﴿قال الراوى﴾ فلما كان بعد مدة من الايام أقبل اليه حكيم من حكماء ذلك الزمان وعمل له
هذه القطعة السلاح وكانت من صاعقة ورسم عليها بماء الحكمة حيتين وجعلها معلقة على رأسه فى الايوان
فسكن ما به من الضربان ومكث هذا الملك مدة من الزمان وشرب شراب الحمام ثم تداولته الملوك
والحكام وملكه التبع حسان الذى بنى القصر بالشام وهو أول من علق القصائد على البيت الحرام
وكان يفتخر بهذا السيف على سائر ملوك الزمان لانه كان أعجوبة فى ذلك الاوان وكان اذا ضرب به الحديد
انصدع واذا أومأ به على الصخر انقطع ﴿قال الراوى﴾ وكان ظالم له جد يقال له الضحاك وكان من أهل

الخسارة والعراك وكان من بعض جلساء هذا الملك الفقاك وكان دائما يرسله فى سائر المهمات العظيمات ويستعين به على الملوك والسادات فلما عرف انه شجاع وقرن مناع أتحفه بهذا السيف الذى نحن فى ذكره (قال الراوى) لهذا المقال ومازال السيف فى خزائن الملوك الثقال الى ان ملكه ظالم بن الحارث الريال واحتوى عليه من دون الرجال وكان عنده أعظم من روحه ومن شدة محبته فيه لا ينام الا وهو تحت راسه وقد افتخر به على جميع أهله وناسه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهار وكان دائما يذكره فى الاشعار ومن جملة ما قال فيه من الاوزان هذان البيتان الحسان

٤٩ ألاقى كل نائبة بنفسى * ولا أخشى الحمام اذا أتانى

وكيف أخاف من جور الليالى * وذو الحميات يقطع بالسنان

(قال الراوى) فلما ذكر حمل بن بدر هذا الرجل وجعله نصب عينيه وأشار عليهم بالقصد اليه عاونه الربيع ابن زياد على ما قاله وفيه ابتدع فاحتاج حذيفة أن يكون لهم تبع وتاهبوا الى المسير من تلك الليلة وأوسعوا فى العهراء وساروا حتى وصلوا الى حى بنى مرة النجباء ونزلوا عليهم عند اقبال الظلام فاستقبلهم ظالم وأكرمهم غاية الاكرام وأكثر لهم من الطعام والمدام * هذا ولما ان طاب لهم المقام تقدم الى ظالم الربيع بن زياد وحدثه بحديث عنتر بن شداد وما فعل معهم من الهم والعناد ثم انه قص عليه جميع قصته والامر الذى كان السبب فى تشتيته من حلته وأعلمه بجميع ما جرى منه عليه وسألوه المعونة بكل ما تصل يده اليه فعند ذلك تبسم عجبا واهتز من شدة ما نزل عليه من الغيظ طربا وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وما تحلف به العرب من الايمان العظام لقد استحقت بنو عبس المذمة بين العرب لانها جعلت لهذا العبد الراعى بين الفرسان قدرا وشان لان كل ما جرى عليكم من المذمة الذميمة فهو من مقدمكم زهير بن جذيمة لانه هو الذى ألحقه بالنسب وجعل له بين سادات العرب علقة ونسب وأنا وحق البيت الحرام وزمزم ومنى ما أنا حامل هم مسيرى معكم ولا ينالنى من ذلك مشقة ولا عنا ولو أن خصمكم الملك النعمان أو كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان وما أنا متأسف الا على سيفى ذى الحميات كيف يتلطخ بدم العبيد وقد تعود منى بشرب دماء السادات والابطال الصناديد أصحاب الغارات (قال) ثم انه أضافهم عنده ثلاثة أيام وهو يقدم لهم الطعام والمدام وفى رابع الايام تجهز وسار معهم فى خمسمائة فارس صناديد من فرسان بنى مرة الاقوياء الاماجيد وهم راكبون على ظهور الخيل الجياد وكان قد جربهم فى الوقايع فى الحرب والجلاد وقد تعودوا بخوض المعامع وشرب دماء الاساد وحضر بهم كثيرا من الغارات الكبار وكم كسر بهم من محفل جرار وقاتل بهم كل فارس كرار وكل ضيغم مغوار (ياسادة يا كرام) صلوا على البدر التمام وبعد ذلك جدوا فى المسير وسرعة الكد والتشمير على آثار عنتر بن شداد ومن معه من فرسان بنى قراد الاجواد وقد صاروا يأخذون أخباره ويقتفون فى المسير آثاره وكل من لقوه سألوه عن عنتر بن شداد وما صار له من الحال حتى سمعوا أنه نزل فى جبال الردم ووادى الرمال واحتمى بها هو ومن معه من الابطال وقد حصن من داخلها الحريم والعيال فقال ظالم لعن الله طلعته والسبال هو ومن معه من الرجال أيظن ان تلك الجبال تحميه منى أو أن ذلك الوادى يمنعه عنى فوحق ذمة العرب السادات لاسقينه كأس العطب والآفات ولاروين من دمه سيفى ذا الحميات (قال) ثم انهم قصدوا ذلك المكان وهم على علم ويقين وبرهان وبين أيديهم دليل عارف أمين يقال له سعد بن شرين وكان هذا الرجل قد ربى بأرض الحجاز وأما أبوه فكان من فرسان العجم والاهواز * هذا وعمارة لا تسعه الدنيا من شدة فرحه وقد زاد به شغفه ومرحه وأيقن انه قد تكامل سعده لانه زعم ان عنترا يقتل فى هذه النوبة ويفعل بعد ذلك غاية جهده وانه ان عدم تكون له عبلة من بعده (قال الراوى) فلما قربوا من الوادى والجبلين وبقى بينهم وبينها دون اليومين

التقاهم

التقاهم عبد من عبيد الربيع بن زياد وهو هائم فى البرارى والوهاد وكان هذا العبد هارب وهو للنجاة طالب ولما عرفوه هنوه بالسلامة وسألوه كيف كان خلاصه مما كان فيه من تلك الملامة واستخبروه عن أمر عنتر وما قد فعل وما قد دبر فقال لهم العبد يا موالى ان عنترا قد سار الى بنى شيبان فى مائة وخمسين فارسا أقران وما فى الجبال غير مائتين فارس من الشجعان لحفظ الحريم والنسوان ولولا غيبة عنتر وشيبوب لما كنت تمكنت من الهروب (قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك الكلام فرحوا وزالت عنهم الاوهام وقالوا لحذيفة ها قد أتاك الامر كما تريد وقد هان علينا وعليك كل صعب شديد فقال ظالم يا وجوه العرب الاقيال وأى شئ يكون حتى اننا لمغنا الآمال اذا لم يقع عنتر ويقتل مع الابطال فوحق البيت الحرام وزمزم ومنى لقد ضاع تعبنا وساء منقلبنا بنجاة هذا العبد الزنيم من العذاب الاليم فقال له حذيفة أيها السيد الكريم وكأننا نقنع بما نجد دمن سبى الحريم ونرجع الى الاوطان ونترك عنترا من آفات الزمان سليم ولا نهلكه ونهلك من معه من كل شيطان رجيم فقال الربيع بن زياد أنا عندى الرأى الذى تستحسنه الرجال الاجواد وهو اننا نأخذ ما وجدنا فى الجبال من الجمال والنساء والاولاد ونأخذ ما قدرنا عليه من الاموال ولا ندع لهم مما ملكته أيديهم ولا عقال وبعد ذلك نتبع عنترا ونقصده أينما كان واذا قلعنا منه الاثر وأحللنا به الهوان وتركناه مرميا فى القيعان سرنا على ظهور خيلنا الى الملك النعمان وأحوجناه أن ينفذ أخاه الاسود الى زهير ومن معه من بنى عبس وعدنان ويسوقهم الى بين يدى الملك النعمان ويزوجه زهير بابنته غصبا راضيا كان أو غضبان ونزوج عبلة لاخى عمارة ونرجع الى الديار والاوطان ويكون قد انصلح الامر والشان وهانت علينا الدهور والازمان فقال عمارة الصمدع الرفيع لقد صدقت فى هذا الكلام يا ربيع لانى أعلم وأتحقق ان عبلة ما خلقت الا لى ولا يصلح أن يكون جمالها لغيرى وانها من رزقى وأنا من رزقها ولا يصلح جمالى الا لجمالها (قال) ثم انهم جدوا فى المسير ذلك اليوم وظالم ابن الحارث فى أوائل القوم وهو يتمايل بين الفرسان عجبا ويهتز بين الابطال طربا وهو ينشد ويقول بعد الصلاة على طه الرسول ... أتعرك يا هند أبدى ابتساما * أم البرق سل علينا حساما

وهذا قوامك أم غصن بان * تثنى لنا حين حاكى القواما * ألا تنظرى يا ابنة العامرى
صباحا جلا من ثناها الظلاما * اذا زرت بالخيل ربع الزنيم * عبيدا لعبس ونسلا حراما
وان كنت جاهلة فاسألى * بنى عبس لما سللت الحساما * ونكست فى الشعب فرسانهم
بسيف برى لحمهم والعظاما * وأشفيت قلب حذيفه وجل * وقلب الربيع وكانوا الكراما

(قال الراوى) لهذا الكلام ثم انه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام جدوا فى المسير واستعملوا السرعة والتشمير حتى انهم أشرفوا على جبال الردم ووادى الرمال وذلك الفدفد وبان غبار خيلهم لبنى عبس مثل الظلام الاسود وأبصرت العبيد الذين خلاهم عنتر عند الحريم والعيال الى ذلك الغبار المقبل فتصايحت وصجت من على رؤس الجبال ونزلت وأخبرت الفرسان المختلفة فى عاجل الحال قال فعند ذلك ركب شداد أبو عنتر واخوته السادات الشجعان والمائة وخمسون من الفرسان الذين قد مناذكرهم فى هذا الديوان وانقلب الوادى بضجيج الاماء والنسوان وعلا صياح العبيد والشباب الجهال وخرجت الرجال المعدودون للحرب والقتال وقد غاصوا فى الحديد والزرد النضيد * هذا وقد بانت خيل بنى فزارة للابصار وقد ظهرت لاعين النظار وقد تقسمت مواكب وسرب وصاحت صياحا عاليا حتى أزعجت البر والسبسب وانطبقت على بنى عبس انطباق ظلام الغيهب وفى أوائلهم ظالم بن الحارث وهو يهدر هدير الاسود الضاريات وقد اشتهر سيفه ذو الحيات المنعوت بالصفات وفى دون ساعة تقارب القوم من القوم وظهرت منهم الاحقاد وتنادوا باسم الآباء والاجداد واختلطوا فى القفار والمهاد وأخذوا فى الحرب والجلاد وعملت السيوف

الحداد وشمتت الحساد وكثر العدد على بنى قراد وجرح زخمة الجواد عم عنتر وأبوه شداد بعد ما قاتلوا على باب المضيق قتال الرجال الاجواد الذين يخافون المذمة من سائر العباد (قال) فلما عظم الامر على الرجال وزاد سكنوا رؤس الشعاب وأجادوا الطعان والضراب وعسر قتالهم على الاعداء ومن معهم من الحلفاء والاصحاب لانهم فرسان بنى عبس الانجاب فلما أبصر ظالم بن الحارث جودة حفظهم للمكان ترجل عن جواده وترجلت خلفه الفرسان ودخلوا جميعهم فى مضيق الجبال ولم يزالوا كذلك وهم على ذلك الحال والقتال بينهم يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى قتل ظالم بن الحارث نسل الاباس من فرسان بنى عبس سبعة فوارس وادخل الباقى الى داخل الوادى بقوته قهرا وصار الامر كلما طال ازداد شرا ورأى حذيفة والربيع فعل ظالم واجتهاده واشتهار أمره وترجله عن جواده وقد ترجل معه جماعة من رجاله فترجل حذيفة والربيع وفعلوا مثل فعاله * هذا والحارث قد دخل قدامهم وحده والدم يقطر من سيفه حتى لطخ زنده فدخلوا فى أثره الفرسان وقد ملكوا الشعب والمكان (قال) فلما أبصرت النساء هذه المصائب كشفت الرؤس والذوائب وما فيهن الا من أيقنت بالسبى وحلول النوائب وما تنصف النهار حتى دخل جيش بنى مرة وباقى جيش بنى فزارة وقد انقادت فرسان بنى قراد أسارى وهم فى حبال الذل حيارى وقد ملك الاعداء الحريم والاموال وساقوا النوق والجمال وقد أخرجوا الكل فى الصحراء والرمال ووقع بشارة بن منيع فى يد القرنان الربيع وضربه الضرب الوجيع وقال والله لاهونت عليك بالقتل يا ابن الانذال ولابد أن أحملك الى مولاك مفرج بن هلال حتى يعذبك بأشد العذاب والنكال فقال له بشارة لعن الله بطنا حملك يا ابن الاوغاد ان قصرت فيما تقول يا ابن زياد فلو كان حاضرا هنا عنتر بن شداد لطال عليك يا قرنان ان تبلغ منا مراد وما كان منكم أحد يقدر أن يدنو الى ذلك الموضع ولو أن معكم قوم ثمود وعاد ولكن القضاء والقدر ما للعبد منهما مهرب ولا مفر (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا يا حاضرون على البدر التمام وكان الربيع وحذيفة وعمارة قد صاروا الى اللاثة بأمرون بعقوبة مالك أبى عبلة ويظهرن له الشماتة ويقولون له ويلك تركت أهلك وعشيرتك وذويك وأكابر قبيلتك والمكان الذى بأويك وسمعت رأى هذا العبد الاسود الذى قد طغى على الرجال وتمرد وهذا العبد جرىء على ملك بكراته ولابد له أن يفرقكم فى بحور نكباته فقال شداد يا عمارة لا تسب ولدى اذا هو غاب وجرت على أهله فى غيبته هذه الاسباب وهذا شئ لا يدوم على هذا الامر واذا حضر لا ينتصف من زيد الاعمرو وعنتر لابد له أن يحضرها هنا فى عاجل الحال ويعرف كل واحد منكم قدره بين الرجال لانى أعلم منه وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها ذرة ومثقال وقدر الارزاق والآجال لو أن أعداه عدد الرمال ما رجع عنهم فى الحرب والقتال فقال عمارة يا شداد لا كلام لنا حتى يخلص مما هو فيه من الوبال وينجو من هذا القتال والنزال ويرجع من أرض بنى شيبان سالم وترى ما يحل به من هذا الجبار ظالم (قال الراوى) وبعد ما فرغوا مما دار بينهم من ذلك المقال أحاطوا على جميع ما تركه عنتر من الاموال والنوق والجمال وجميع ما كان يملكه عنتر الذى يعجز عن وصفه كل حى واشتغل عمارة بعبلة عن كل شى ثم انهم سار وا مجدين بأجمعهم وهم يقطعون البرارى والقفار والاودية والسهول والاغوار ويزعمون انهم يقتفون من عنتر الطريق وهم على ما هم عليه من الجد مثل شعل الحريق وقد قدموا بين أيديهم الحريم والعيال والنوق والجمال والاموال وتأخر ظالم بن الحارث فى فرسان بنى مرة ومن معه من أبطاله وهو يهتز فى سرجه معجبا بفعاله مفتخرا باعماله ثم انه لما زاد به الاعجاب باح بالشعر خاطره بين تلك السادات الانجاب فعند ذلك ترنم وأنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أيا هند قرى بأنى كريم * وشهم جسيم أحب الكراما * فمن يلك فى الحرب مثلى اذا ما

تعرضت للحرب زادت ضراما * وكل العداة يهابون فعلى * وعندى الحلال يساوى الحراما
وفى طول عمرى أثير العجاج * وأعمل فى الحرب سيفى الحساما * ومالى عديل اذا الحرب ثارت
أقد الرقاب وأفرى العظاما * فان كنت ياهند لى تجهلين * سلى عبس لما سللت الحساما
ونكست فى الشعب فرسانهم * بسيف برى لحمهم والعظاما * وسقت حريمهم بعد عز
وصار العيال حيارى يتامى * وقد قيل ان لهم ليث حرب * يعد بألف اذا الحرب قاما
ومن أين تحمى العبيد اللئام * حريم الكرام وترعى الذماما * وعندى له ان أتى سالما
حساما يقد رقابا وهاما * يفرق عنى خطوب الزمان * ويسعفنى اذ ألاقى القتاما
وأى نهار يكون اذا ما * قتلت بسيفى عبيدا لئاما

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام سار مع قومه يقطعون البر والآكام فلما كان من الغد بعد مسيرهم فى تلك القفار كان ملتقاهم بعنتر بن شداد الفارس الكرار ومن معه من الرجال الاخيار وكان ذلك فى اليوم الرابع ضحوة النهار وهم سائرون على هذا الترتيب مثل شعل النار (قال) وكان عمارة ابن زياد قد سار فى المقدمة مع السبى والحريم والاولاد وحوله جماعة من بنى شيبان وبنى فزارة الاوغاد وهو يترفق بمالك بن قراد ويطيب قلبه ويدور حواليه ويطالب أن يفوز من عبلة بنظرة ولو بعدم احدى عينيه * هذا وعبلة تعرف منه ذلك فلا تلتفت اليه ولا تحن عليه بل انها تبكى وتندب ابن عمها عنتر وعمارة يبكى لبكائها ويتحسر وجعلت عبلة تنادى باسم ابن عمها وعيناها لذلك تدمع وقلب عمارة لاجل بكائها يكاد أن يتقطع (قال) وكانت عبيد الربيع بن زياد الذين ساقهم عنتر بن شداد يصيحون على عبيد بنى قراد وهم يسوقون الحريم والاولاد الى أن وقعت العين على العين وأيقنوا عند ذلك بحلول البين وضجت عبيد عنتر لقدومه بالصياح وسمع عنتر أصوات النساء الناديات بالنواح فقال لعروة بن الورد ولمن معه من الرجال الاوقاح دهينا يا بنى العم فى المال والعيال والحريم والاطفال * هذا وقد اشتد به الغيظ والخبال ومن بقى يعرف يمينه من الشمال فحرك جواده وحمل على بنى زياد الذين كانوا مع السبى والاولاد وزعق زعقة اهتزت لها الجبال والاوهاد وطعن أول فارس فى فؤاده فنكسه عن جواده وضرب آخر على جبينه فوقع يختبط فى دمه وقد انقطع قلبه وثالث فعن جواده كركبه (قال) فلما عاينت الفرسان هذا البلاء والمصاب غاب عنهم الصواب لما علموا أنه عنتر الفارس المهاب فعادوا راجعين على الاعقاب وعمارة فى أوائلهم وقد أيقن بشرب كأس الذهاب وهو ينادى هو ومن معه البدار البدار وأخذ فى الهزيمة والفرار وهو لا يصدق بنجاته من العطب والبوار وقد عدم رأيه وصوابه وقد أتلف سرجه وثيابه (قال الراوى) لهذا الديوان وماج الركب وارتفع ضجيج النسوان وطلع الغبار الى العنان وعادت عبيد بنى قراد على بنى زياد ووقعوا فيهم بالعصى والحجارة وبالسيوف الحداد وصاروا يقولون لهم ياويلكم جاءكم الموت الذى ما له من نفاد وهو أبو الفوارس عنتر بن شداد واليوم يقابلكم على فعالكم بالحريم والاولاد (قال) وفى دون ساعة انحلت من الرجال عزائمهم وما كانوا فيه من الجلاد وتقدم عنتر فى عاجل الحال بحسن الوداد الى عند ابنة عمه عبلة بنت مالك بن قراد وسلم عليها وسألها عن فعل بها هذا الفعال ورماها بالعناد والنكال فقالت له يا ابن العم ما فعل بى هذه الفعال الا بنو زياد الاندال وبنو فزارة وبنو مرة شرار الرجال ولولا فارسهم ظالم ابن الحارث ابن الاندال ما قدم أحد منهم الى الجبال وفعل هذه الفعال فكر عليهم يا ابن العم جزاء لذلك ولا تدع أحدا منهم يعود سالما من المهالك فقال لها عنتر هذا قريب فمن أبصر منهم وجهك يا ابنة مالك فقالت كلهم يا ابن العم الا عمارة بن زياد فلم أمكنه من ذلك فقال لها عنتر البطل الضرغام فكلهم يا ابنة العم أذبحهم ذبح الاغنام * قال فبينما هو معها فى الكلام والمقال واذا بامه زبيبة تنادى به من على بعض

الجمال وقالت له ويلك ياولد الزنا وتربية الحنا أنت ماتمشى رجلاك الا موضع هواك ولا تلتفت الى من لها عليك استحقاق وتخلصها مما هى فيه من الشد والوثاق * قال فتبسم عنتر من كلامها وقد عمد اليها هو ومن معه من الرفاق وهو يقول لعن الله وجهك ولعن أيضا وجوههم معك فأى شئ أرادوا يا عجوز النحس بسببك والوثاق حتى انهم أتعبوا الجمل الذى حملك من دون الجمال والنياق ثم انه تقدم اليها وحلها من كافها وناقها وأمر شيبوب أن يحمل أعمامه ومن معها من أصحابها ورفاقها ثم ان عنترا تقدم هو وعروة ابن الورد فى مائة فارس أقيال يطلبوا لقاء الخيل والابطال وتركوا الباقى لحفظ الحريم والعيال * قال وكان عمارة قد وصل الى أخيه الربيع وحذيفة وظالم والجميع واستقبل الجيش وهو ينادى بذلك النداء وصياحه وصياح أصحابه قد أقلق العبداء فقال له الربيع بعد ما قفز اليه وسأل منه عما حل من ذلك الامر عليه ويلك ياأخى ما حالكم وأى شئ الذى نالكم فقال له عمارة والله يا ابن الام قد ظهر عنتر وأحل بنا البؤس والضرر ثم أعلمهم بالحال وكيف ان عنترا خلص جميع العيال وفك الاسارى من الاعتقال وكذلك النساء ربات المحارم ولولا اشتغاله بعملة ما عاد أحد منا سالم فقال الربيع اليوم يعود عنتر وهو نادم وسوف تراه وهو طريح من سيف الامير ظالم ثم ان الربيع صاح فى الرجال وأخذ الاهبة للحرب والقتال * هذا وظالم قد علم بمجىء عنتر ففرح بذلك واستبشر ثم أطلق لجواده العنان وركض وركضت من خلفه الفرسان واشتد صياحهم حتى طبق القيعان * هذا وقد انقسموا ثلاث فرق وكل منهم صاح وزعق وعلى عنتر وبنى عبس كل منهم انطبق * قال هذا وظالم وبنو مرة أخذوا الميمنة والربيع وبنو زياد فى الميسرة ولهم غدير وزمجره وهم سائرون فى ذلك البر والبلقع فبينما هم كذلك واذا هم بعنتر من تحت الغبار قد طلع وهو كأنه الاسد الاروع وأصحابه وراءه فى التبع وهو قدامهم كأنه أسد من الآساد ينادى ويقول ويلكم يا أوغاد غير أمجاد أين تذهبون ومن خلفكم عنتر بن شداد وما كفاكم ما فعلتم من الفعال وهجمتم علينا عن الاطلال حتى انكم أتيتم خلفنا الى هذه الجبال وما الذى تريدون منا يا بنى الاندال وقد استنجدتم ببنى مرة الارذال وأتيتم فى غيبتى وسبيتم العيال مع النساء ربات الحجال وظننتم انكم أمنتم من غدرات الايام والليال ثم انه صاح فيهم وعليهم حمل وتبعه أصحابه وفعلوا مثل ما فعل وارتفع النقع وثار القسطل هذا * وقد اختلطت الطائفتان فى بعضهم البعض وركض خيولهم قد زلزل أقطار الارض وهاجوا فى طولها والعرض * هذا وقد عملت بينهم السيوف وقطعت الايدى والكفوف * هذا والجبان قد طلب الهرب فما وجد له طريق وحمل الشجاع نفسه ما لا يطيق ووقعت ضربات عنتر على أجسادهم كأنها نيران الحريق ومزق شملهم بحسامه اشد تمزيق وفرقهم كل فرقة فى طريق ومن كثرة ما أصابه من الغم والضيق ما بقى يسأل عن عدو ولا صديق (قال) ومازال معهم فى حرب وقتال الى أن قربت الشمس الى الزوال واذا به قد التقى بحذيفة بن بدر وظالم ابن الاندال وهما جائلان فى وسط المعمعة ولهم هدير وقعقعة وقد جدا الاثنان فى طلبه وتحالفا على قتله وعطبه (قال) فلما ان وقعت العين على العين كان حذيفة لعنتر من ظالم أسبق فتلقاه وهو عليه أشد وأحنق وطعنه حذيفة طعنة الحرد والقلق وقال له خذها يا ابن الامة وأنا حذيفة بن بدر بن عمرو فلما تحقق عنترا ن الطعنة واصلة اليه سوحها بحسن معرفته وصناعته وصاح به فاروع مهجته وقلب سنان الرمح الى وادى ظهره وطعنه بعقبه فى صدره فألقاه على قفاه وكاد أن يعدمه الحياه ومال الى ظالم بن الحارث وأراد أن يفعل به كما فعل بحذيفة فضرب ظالم برمحه فانبره منه وانكسر وأراد أن يثنى عليه بسيفه ذى الحيات فصاح به عنتر فأرعوه وحذفه بما بقى فى يده من الرمح فى صدره فخبله وأصاب زنده فعطله ووقع السيف من يده فهجم عليه عنتر ومسكه من جلابيب درعه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وزعق على شيبوب فتقدم اليه وتسلمه منه وشده شدا وثيقا وأنزل به الهم

والضيق

والضيق * وأما عنتر فانه عاد يكر على الرجال وقد هانت عنده الابطال وقلت فى عينه جميع الاقيال واتسع عليه المجال * هذا والربيع لما رأى الى ذلك الحال خاف على نفسه من الوبال فلم يكن له سبب الا الهرب والهزيمة وكان ذلك له أوفى غنيمة فتبعه بنوعمه وقد حملوا هممه وغمه وأما أخوه عمارة فانه أراد الهرب فكان عنتر وراءه فى الطلب فصاح به وفاجأه وطعنه بعقب الرمح فرماه وقد حلت به الخسارة فتركه لاخيه شيبوب يجيده كاف ويقوى منه السواعد والاطراف ففعل مثل ما أمره أخوه وأما عنتر فانه تبع المنهزمين فى البرارى والبطاح هو وقومه الاوقاح وقد أكثر وا من خلفهم الصياح فضاقت فى عيون أعدائهم الاماكن الفساح وتخيل لهم أن البر كله رماح فقتل من كان عمره قصير ونجا من كان فى أجله تأخير وما زال عنتر وأصحابه وراءهم فى الاكام حتى دخل عليهم الليل بالادلهام وعاد عنتر وهو كأنه غط فى بحر من الدما وصار جواده أحمر بعد ما كان أدهما وهو يتمايل على مرجه عجبا ويهتز فى البر طربا وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول الذى شدت اليه الحمول

قف بالديار ونادى فى بيداها * فعسى الديار تجيب من ناداها * دار لعبلة لاح برق ضيائها
فى ناظرى فهمت من معناها * دار يفوح المسك من عرصاتها * والعود والند الذكى شذاها
دار لعبلة شط عنك مزارها * ونأت بقينا ما أراك تراها * ياصاحبى قف بالمطايا ساعة
فى دار عبلة سائلا معناها * بل كيف تسأل دمنة عادية * نسف الجنوب ترابها وثراها
هى عبلة هاج الفؤاد بذكرها * واشتاق يوما طيب عطر شذاها * ياعبل ان كان المنية صورة
فأنا المنية لمهاودماها * ياعبل لا تبكى على بحرقة * قد طال ما بكت الرجال نساها
ياعبل ان شاب مفارق لمتى * فالحرب تشهد انى لفتاها * قسما بوجهك ياعبيلة انى
من أجل دمعك لا أجيب نداها * سأبيدهم جمعا بحد مهندى * وأبيح لحمهم لوحش فلاها
وأبيد كل صميدع متغشم * شرس المراس ولا أخاف لظاها * أنا عنتر العبسى فارس قومه
أحمى حماها كى تدور رحاها * فوحق مكة والحطيم وزمزم * والمعشرين ومن سعى بصفاها
لابد ان أخلى بعزمى أرضها * سكنا لوحش البر ثم ظباها * وأبيد جمع القوم فى وسط الفلا
* ويقدر محمى نحرها وكلاها *

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات ارتاحت لها السادات والفرسان فى الغارات وقالوا جميعا لافض فاك ولا كان من يشنأك وأطال الرب القديم بقاك ثم انهم جمعوا الاموال والرجال وهم فرحون بذلك الحال وساروا يجدون المسير والترحال فلما أصبح الصباح الاوهم على باب الجبل فدخل بسبى بنى شيبان وبنى فزارة ومرة وذبيان وجميع من معهم من الحريم والصبيان وكانت الاسارى مكتفين مع العبيد والغلمان (قال) وكان أعظم القوم فرحا ومسرة بشارة بن منيع لما انه خلص من قبضة عمارة وأخيه الربيع وهو يشكر عنتر ويثنى عليه لاجل ما فعله معهم من ذلك الصنيع * هذا والعبيد قد تقدمت بين أيديهم ورفعوا الخيام وأعلوا القباب ومدوا الاطناب وأقاموا فى الجبال ثلاثة أيام فى أكل طعام وشرب مدام وفى اليوم الرابع طلعت عليهم غبرة بنى شيبان وقد طبقت جميع الوديان وفى مقدمة الرجال والابطال مفرج بن هلال وقد ملأت عساكره جميع المجال وانتشرت فى البر يمينا وشمال (قال الراوى) فلما رأت بنو عبس الى ذلك الحال ركبت جميع الرجال والابطال وفى أوائلهم عنتر بن شداد وعروة بن الورد ورجاله الاجواد وبنو عبس وآل قراد ومالك أبو عبلة والامير شداد وأخوهم زخمة الجواد (قال) ولما تأهبت الفرسان وخرجت من الجبال الى وسيع القيعان ووقف الجميع فى وجوه بنى شيبان وعنتر بين أيديهم كأنه الاسد الغضبان فأخرج عنتر جميع الفرسان وقعد فى ثلاثين فارسا أعيان (قال) فلما

رآهم مفرج بن هلال التفت الى من معه من الابطال وقال لهم ألا تنظرون الى هذا العبد ولد الزنا كيف قد غلب جهله على قلة عقله واحتقرنا ويريد بهذه الثلاثين فارسا أن يلتقينا كلنا ونحن فى خمسة آلاف فارس من كل قرم مداعس فلعن الله سبالة ان كانت هذه فعاله ولكن الجهل ماهو الا عند الذى أحوجنا الى قتاله فقال له ابن عبد العزى سنان يا ابن العم لا تعجب من فعل هذا العبد الكشحان ولكن العجب مما يظهر لك من قتاله فى الميدان لان هذا العبد قد استقتل وما بقى يبالى بالموت ان أدبر أو أقبل (قال) وكان الربيع بن زياد فى جملة الرجال وهو واقف بازاء مفرج بن هلال وقد كان انهزم مع المنهزمين الذين ساروا فى البرهاربين الى ناحية أرض العراق وكانوا جميعهم خمسين فارسا رفاق ولم يزالوا فى هزيمتهم الى أن أصبح الله بالصباح فالتقوا بنى شيبان فى تلك البطاح (قال) فعند ذلك سألهم مفرج بن هلال عما جرى لهم مع عنتر من الاحوال فبكى الربيع من شدة ما ناله من الخسارة وحدثه بما فعل عنتر فى بنى مرة وبنى فزارة وكيف أسر حذيفة بن بدر وظالم بن الحارث وأخاه عمارة فلما سمع القوم منه هذا المقال تعجبوا من فعل عنتر وأخذهم الانذهال وأما مفرج بن هلال فانه قال له طب نفسا وقر عينا فسيزول عنك ما قد اعتراك وأنا فى هذه المرة أبلغك من عنتر منالك فها نحن اليه سائرون وعلى قتله معولون نأخذ روحه من بين جنبيه وننهب جميع ماله من الاموال ونسبى جميع النساء والعيال ثم ان مفرجا حدثه بحديث الملك النعمان وكيف أرسل أخاه الاسود الى بنى عبس وعدنان ومعه عشرون ألفا من العربان ففرح الربيع لما سمع هذا الخبر وعاد معهم على الاثر وقال ان فى هذه النوبة يقتل عنتر ويقبر ولا يبقى له ذكر يذكر ثم انهم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على الجبال كما ذكرنا فى المقال وركبت كما ذكرنا فرسان بنى قراد وقدامهم عنتر بن شداد وقال لمفرج ما قال من المقال وردّ عليه سنان بن عبد العزى المقال * هذا وقد قال لهم الربيع بن زياد وحق ذمة العرب الاجواد ان عنترا ما خرج اليكم فى ذلك العدد الا وفى نيته ان يلقاكم أنتم الجميع ويفرقكم فى البر والفدفد فعندها قال ابن عبد العزى سنان بادر أنت يا أمير مفرج الى ذلك العبد الكشحان فعندها قدموا الى عنتر أسنة الرماح ودار وابه فى ألف فارس أو فاح وكان عنتر معه ثلاثون فارسا ربيال فانحط عليهم انحطاط السيل السيال وجال فيهم شرقا وغربا وأشبعهم طعنا وضربا * هذا وقد أضرمت نيران الحرب وزاد البلاء والكرب وكان أى فريق صاح فيه مزقه وأى موكب من المواكب نزل فيه فرقه وهبر الابطال ومحق الاقيال وأخوه شيبوب بجانب جواده يحميه بالنبال ويشكها فى لبات الاقيال فما تتعدى الحشا والاوصال وأما الامير شداد واخوته مالك وزخمة الجواد وجميع آل بنى قراد فانهم جالدوا أشد جلاد وقاتلوا عن الحريم والاولاد (قال) وما كانت الا ساعة من النهار حتى عادت الخيل جافلة من تحت الغبار وقد قتل من فرسان بنى شيبان مائتا فارس من الاقوياء والشجعان وجرح أصنافهم فى حومة الميدان فقال مفرج بن هلال وحق ذمة العرب الابطال انا ما أتينا الا لقد من معنا من الابطال ولقد بلينا من هذا العبد بشئ ما كان يخطر لنا على بال لان هؤلاء الثلاثين فارسا قد نكلوا بألف من الرجال غاية النكال والقوم أربعمائة فارس أو يزيدون على هذا الحساب وقد أمدوا بعشرين ألف فارس من الاقوياء الانجاب ثم ان مفرجا عاد وشجع قلبه وصاح فى بنى شيبان الاوفاح بحرّت جميعها الصفاح وهزت عوامل الرماح وحملوا وفى من ثلاثة آلاف وهان عليهم شرب كأس التلاف فعند ذلك التقاهم بنو عبس وعدنان ووقع بينهم الضرب والطعان بعوامل الرماح والاشطان فبينما عنتر يكر على الابطال والفرسان واذا هو قد التقى بابن عبد العزى سنان وهو يحرض بنى شيبان على الضرب والطعان ومعهم الامير عروة بن الورد أسير ومن حوله خلق كثير وكان السبب فى ذلك الامر والشان أن ابن عبد العزى سنان قد رأى عروة ورجاله يحطمون فى بنى شيبان وقد فرقوهم

[فى قاع الصمصام فقطف عروة وقد زاد عليه حنقه وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه ومد اليه عند ذلك
ساعده وخطفه من سرجه خطفة الجبار العنيد ورماه على وجه الارض والصعيد فتسلمه بعض فرسان بنى
شيبان *هذا وسنان يجول فى حومة الميدان واذا هو قد التقى به عنترة الفرسان فزعق عليه ابن عبد
العزى سنان وقال له ويلك ياولد الزنا ما بقى لك من يدى خلاص ولا فرار لانى أنا المسمى بقاصم الاعمار
ثم انه مد السنان اليه وأراد أن يقضى عليه فضرب عنتر رمحه بسيفه فبراه وأمهله حتى قاربه وحاذاه وكفحه
بالحسام كفحا وضربه به على صدره صفحا فرماه على الربى والاحقاف فادركه شيبوب وشده كتاف
فنظرت فرسان بنى شيبان الى ذلك الامر والشان فتركت عروة بن الورد وولت طالبة مفرج بن هلال
وهم لا يصدقون بنجاة أعمارهم من يد ذلك الفارس الريال *هذا وقد تدفقت أمواج المواكب وعلا
الصياح من كل جانب وطنب الغبار على المشارق والمغارب وصاح عنترة فى شجعان بنى عبس فتراجعت
وهزت بأيديها القواضب ودام الضرب حتى قطر الدم من اللحى والشوارب وانسدت أقطار البر فى وجه
الجبان الهارب وضاقت عليه جميع المذاهب فلله در عنتر وما فعل فى ذلك اليوم على باب الشعب من
العجائب لانه حقا فارسها الاوحد وليثها الامجد وكذلك فرسانه وأعوانه وكان عروة بن الورد قد عاد الى
ظهر الجواد وشفى فؤاده من فرسان بنى شيبان كما أراد ومازال السيف يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل
والحسام يقطع والدماء تهمع والرجال عن خيولها تهوى وتقع حتى ذهب النهار بضيائه وارتفع وعاد
كل فريق عن الآخر ورجع *هذا وقد نزلت بنو عبس على باب المضيق تحفظ المكان من الدخول فيه
والتسليق وأمر عنتر أخاه شيبوب أن يوصل سنان بن عبد العزى الى الوادى ويشده مع المأسورين من
بنى شيبان ونزلت أيضا بنو شيبان وقد ضاق بهم المكان لاجل أسر بن عبد العزى سنان ومن قتل لهم
من الفرسان وكانوا مائتين فارس تمام وجرح أضعافهم يا اخوان وأما مفرج بن هلال فما كان له الا أن
قال للربيع بن زياد والله يا ربيع ما هذه الا نوبة صعبة ما كانت لنا فى حساب وما علمنا بحصول مثل هذه
الاسباب وان جرى علينا غدا ما جرى علينا فى هذا اليوم الاغبر أفنانا هذا العبد الاكثر
الذى لا يخاف من أحد من البشر وأنى قد أمسيت من هذا الامر سكران بغير خمر لانى ان خرجت الى هذا
العبد ولد الزنا صرت معيرة فى سائر الاقاليم ويقال ان مفرج بن هلال سيد بنى شيبان بارز عبدا زنيم
وان لم أخرج اليه وأنجز أمره لا ننال ما نريد من خلاص الحريم ويشتفى منا كل حاسد وغريم فقال له
الربيع بن زياد وهو بزعمه يقول ان رأيه سداد أنا الذى أرى الامر الصواب والرأى الذى لا يعاب
وهو انكم كلكم تلبسون صدور الزرد وتترجلوا عن خيولكم وتزحفوا على ذلك العبد الاسود بالسيوف
والعدد ولا يتأخر منكم أحد ولا تزالوا تضربوا فى أعداكم بالسيف الرقيق حتى تحشروهم فى وسط المضيق
وتدخلوا خلفهم الوادى وأنتم كشعلة نار الحريق فتبلغوا منهم الآمال وتخلصوا منهم الحريم والعيال
فلما سمع مفرج من الربيع هذا المقال قال له هذا رأيك البطال انك تأمرنا اننا نزحف كلنا ونخلى عنتر
يقاتل فى أطرافنا فوالله ما كان أحد منا يعود وما كان يجىء علينا آخر النهار ويبقى منا دياز ولا من
ينفخ النار ولا يبقى أحد منا سالم ونكون عندهم أو فى غنائم (قال الراوى) ثم انهم لم يزالوا على ذلك الرواح
حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلى على زين الملاح فثارت بنو شيبان
تطلب الحرب والكفاح فكان أول من برز الى المجال ومحل الضرب والقتال مفرج بن هلال ثم انه صال
وجال وواجهه بالمقال وقال يا عبد السوء ما البراز معك الا غاية العار والذل والشنار ولكن قد تلجئ
الضرورات الى هذه الآثار وهذا طبع الليالى والايام تضع الكرام وترفع اللئام (قال الراوى) فلما سمع
عنتر هذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام فضرب الابجر بالمهماز فخرج به الى حومة الميدان وقال

له دونك ياقرنان وابن الف قرنان ثم انه طبق عليه كأنه الاسد الكاسر فتلقاه لاخر كأنه النمر الكاسر وهجموا على بعضهم كأنهم البحور الزواخر فأراد مفرج أن يحول معه كما تحول الفرسان فى حومة الميدان فما أمهله عنتر أن يقلب السنان الى وراه ولا بلغه من ذلك مناه بل انه أدار سنان رمحه الى وادى ظهره وطعنه بعقبه فى صدره فرماه على الارض والاحقاف فحالحق أن يثور حتى أنقض عليه شيوب مثل الغيداق وأوثقه كاف وقوى منه السواعد والاطراف وساقه قدامه أسير بحالة الذل والتقصير (قال) فلما ان رأت بنو شيبان الى ماحل بسيدها من الهوان حملت جميعها وهزت الصفاح وطلبت الحرب والكفاح فما لحقت أن تصف صفوفها ولا تؤلف ألوفها حتى قدم عنتر رجاله ورتب أبطاله وأقباله وقفز بالابجر الى الميدان ومنعهم عن الضرب والطعان ثم انه طلب براز الشجعان وترنح فى سرجه كأنه الاسد الغضبان وأنشد هذه الابيات الحسان صياح الخيل فى كرى وفرى * ولاساقى يطوف بكأس خمر

أحب الىّ من قرع الغوانى * على كاس وابريق وزهر * مدامى ماتبقى من خمارى
بأطراف القنا والخيل تجرى * أنا العبد الذى خبرت عنه * ألاقى فى الكريهة ألف حر
خلقت من الحديد أشد قلبا * فكيف أخاف من بيض وسمر * ألاقى للاسود ولا أبالى
وأعلو للسماك وفوق نسر * اذا جاء الشجاع الى لقائى * يفر مهابة منى ويسرى
ظننتم يابنى شيبان ظنا * فأخلف ظنكم جلدى وصبرى * سلوا عنى الربيع وقد أتانى
يجر الخيل فى سادات بدر * أسرت سراتهم ورجعت عنهم * وقد فرقتهم فى كل قفر
وها أنا قد برزت اليوم أشفى * فؤادى منكمو وغليل صدرى * وآخذ مال عبلة بالمواضى
* ويعرف صاحب الايوان قدرى *

(قال الراوى) فلما أبصر الربيع بن زياد هذه الفعال وسمع هذا المقال ورأى ما فعل عنتر فى حق مفرج من الفعال لحقه من ذلك الانبهار والانذهال فقال لمالك بن حسان يا أمير ترحل وافعل مثل ماقلت لكم من الاول والا فما نبلغ من هذا العبد أمل فعند ذلك ثنى رجله مالك بن حسان وترجل من على ظهر الحصان وفعلت مثل فعاله جميع بنى شيبان (قال) ولما ان ترجلوا على السباسب قال لهم الربيع بن زياد دونكم واياهم وازحفوا عليهم من كل جانب وضيقوا عليهم جميع الجوانب وقطعوهم بالقواضب (قال) ولما نظر عنتر الى بنى شيبان وقد ترجلوا وطلبوا باب المضيق قال لهم لعن الله من لا يفرقكم تفريق ومن يخلى منكم أحدا يهتدى الى طريق ثم انه التفت الى عروة بن الورد وقال له يا أبا الابيض احمل أنت على بنى شيبان فى مائة فارس من فرساننا الاعيان حتى أسوق بين أيديكم الذين ترجلوا ثم طلبونى بقلة عقولهم وما علموا بأن الذى أشار عليهم بهذه المشورة طالب هلاكهم ودمارهم وأنا أريد أن أسير من خلف ظهورهم وأملك خيولهم وأحيرهم فى أمورهم (قال) ثم انه أمر أباه شداد أن يحفظ باب الجبل هو وجميع الفرسان والعبيد وحمل عنتر مثل الاسد الشديد وتبعه عروة بن الورد فيمن معه من الرجال الاماجيد وهم الجميع مسربلون بالحديد والزرد النضيد وحملوا على أعدائهم كالسيل وأبلوهم بالهم والويل وطعنوا الرجال والخيل وعاد ضوء النهار مثل الليل وكان عنتر اذا طعن الراجل أعدمه الحياه واذا طعن الفارس يتركه عبرة لمن يراه (قال) ثم انه لم يزل على هذا الحال هو ومن معه من الابطال حتى أهلكوا جمعا كثيرا من بنى شيبان وصاروا من وراء ظهورهم فى القيعان وصارت خيولهم جائلة فى الصيحان فقال عنتر لمن معه من الفرسان دوروا بهذه الخيل من كل جانب ومكان وأديروا رؤسها الى أصحابها وصيحوا من خلفهم وهى تلعب برؤس ركابهم (قال) فلما سمع عروة ذلك المقال أخذه الفرح والاستبشار وقال لله درك يا أبا الفوارس ما أخبرك بالحروب وخوض الغبار ثم انهم تفرقوا على الخيل

من

من كل جانب وجمعوها من البر والسباسب وصاحوا عليهم صياحا عم المشارق والمغارب فانطبقت قدامهم وطلع لها قتام الى عنان السماء حتى تبدل الضياء بالظلماء وداست الخيل على الرجال وحارثتها محارثة الايام والليال وكان بنو شيبان قد ازدحموا حول الشعب والمضيق فتفرقوا غاية التفريق لما رأوا البلاء قد أتاهم وحار شيخهم وفتاهم وتمددت الاجساد على بسيط الارض والمهاد وداستهم الخيل بحوافرها الشداد وضجت بنو عبس الاجواد من داخل الشعب والوهاد وقضى الله أمر بني شيبان على يد عنتر بن شداد * قال وكان الذي سلم منهم وأنجاه الله في مدته ركض بين الخيل الجياد وهج على وجهه في البر والوديان وكان من جملة من سلم منهم مالك بن حسان فانه لما رأى الخيل أقبلت وماجت من كل جانب ومكان علم أنه لم يبق أحد من بني شيبان فطلب عرض البر والتلال وتبعه من سلم من الرجال وكانوا أوفى من ألف فارس وقد هجموا على وجوههم في الجبال (قال) فلما خرجوا من تحت الغبار ولاح لهم وجه الامان والاستظهار اذا هم بالربيع بن زياد واقف في ذلك المكان ينظر ما دبروا من الامر والشان فعلم انه رأى فساد فأكل كفه من غيظه من عنتر بن شداد (قال) فبينما هو واقف على ذلك الامر والشان واذا قد أقبل عليه مالك بن حسان فلما نظره صاح على بني شيبان وقال لهم ياويلكم اعلموا ان كل ما نحن فيه من الذل والهوان وهلاك الرجال وسبي البنات والنسوان من هذا الربيع القرنان ولولاه ما كنا عرفنا عنتر بن شداد ولا عبلة بنت مالك بن قراد فدونكم وإياه حتى نجازيه على فعاله ونصفع قذاله وننتق سباله ثم انه طلبه حتى قاربه وكان الربيع في جانبه فتقدم اليه وهناه بالسلامة فما هو الا أن قدم اليه وقاربه حتى طعنه بعقب الرمح في جانبه فنكسه عن مركوبه * هذا وقد حملت أيضا بنو شيبان وقتلوا عشرين فارسا من بني زياد وقد هج باقيهم في البر والوهاد فما زالوا في هزيمتهم الى ناحية أوطانهم والبلاد (قال) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشان وما حل بهم من الاحوال وأما ما كان من عنتر الفارس الربال فانه لما عمل ما عمل مع الرجال وقع له في قلوب الاعداء هيبة واجلال (قال) ولما انكسرت بنو شيبان وقد حل بهم الذل والهوان وبردت من بينهم نيران الحروب وهدأت الكروب أمر عنتر بني عبس أن تفتح للخيل طريق حتى يعبروا الى رأس الشعب والمضيق وقال هذه تكون لنا عدة من غير الزمان وطوارق الحدثان وتنفعنا اذا أتى الى حربنا الملك النعمان وبعد ذلك قال لهم عنتر يا بني عمي اتبعوا المنهزمين من بني شيبان فمائة فارس من فرساننا الاعيان فطلبوهم وقد جدوا خلفهم وعنتر سائر امامهم (قال) ولم يزالوا خلفهم سائرين الى أن أمسى المساء ثم عاد عنتر ومن معه من الابطال طالبين الجبال فرأوا الربيع في طريقهم وهو ملقى بين القتلى على الرمال وهو مخضب بالدماء وغرقان وهو بئن من شدة ما حل به من البلاء والهوان من ذلك الجرح الذي جرحه له مالك ابن حسان لما انهزم من عنترة الربال كما قدمنا في المقال (قال) فعندها وقف عنتر فوق راسه وقد فرحت جميع حواسه وقال لعروة هذا هو الربيع بن زياد الذي كان هو السبب في هذه الامور والفساد انزل اليه وشده كتاف وقو منه السواعد والاطراف فان الله قد أوقعه فيما قدمت يداه وردكيده عليه وأرداه ولا يدلي ان أقرنه الى مفرج بن هلال وحذيفة ابن الانذال فعند ذلك نزل اليه عروة وشده كتاف وأوثق منه الاطراف وأراد ان يشده على ظهر جواده ففتح عينيه فرأى عنترا واقفا على رأسه وهو راكب على جواده متكئ على رمحه وهو مثل الاسد الضاري فصاح الربيع الصنيعة يا أبا الفوارس يا ابن العم فيكفيني ما أنا فيه من الهم والغم فحرمة النسب الذي بيني وبينك أن تسدجرحي ولا تشدني كتاف لاني مشرف على التلاف وأنا قد ندمت على ما بدا مني من قبيح الفعال وان رجعت الى مثلها فما أنا ولد حلال (قال) فلما سمع عنتر منه ذلك المقال تبسم ضاحكا من ذلك المحال وقال له والله يا ربيع يا من هو في فعله صقيع اننا

ما نقدر على مجازاتك ولا مكافأتك لانك لا تزال تحفظ لنا النسب وترعى لنا فيما نعمله معك من الوداد العجب
وانت اهل للاحسان يا قرنان يا ابن ألف قرنان والله ما نقدر على قبيح الاوتفعله فى حق وتريدان
ينقطع من الدنيا رزقى ولا تنادينى يا ابن العم الا اذا وقعت فى مصيبة عظيمة وأمور ذميمة فقال له الربيع
والله يا امير انت صادق فى هذا المقال فسامحنا مما مضى ولا تعاملنا الا بالرضا واننى من هذه النوبة اصفى لك
الوداد وان عدت الى قبيح فما اكون من ظهر الامير زياد فقال عنتر اقصر عن هذا المحال يا ابن الاوغاد
وكل هذا زور ومحال وما انا جاهل بهذا المقال ثم انه امر عروة ان يشده على ظهر جواده بعد أن شد كتافه
وقوى شداده * هذا وقد جمع أصحابه الاسلاب والاموال وعادوا راجعين الى الجبال (قال) ولما صاروا
داخل الوادى وأمنوا من كيد الاعادى علا منهم الصياح وكثرت عندهم الافراح وأمن كل منهم على
نفسه واستراح فقال عنتر لاخيه شيبوب احبس جميع الاسارى فى بعض المغاير وتوكل بهم أنت واخوك
جرير حتى ينفصل الامر العسير فعند ذلك عاد شيبوب مع أخيه جرير ومعهم بشارة بن منيع وقد ساقوا
بين أيديهم الاسارى الجميع وقد فعلوا بهم أقبح صنيع مثل ما امرهم عنتر بن شداد ووكلوا بهم جماعة
من العبيد الشداد وقد نزل عنتر فى أبياته وقد خلى منه البال على أحسن احوال وأهنى عيش بين الرجال
وباتوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فقال شداد لعنتر يا ولدى
أى شئ فى نيتك ان تفعل بهذه الاسارى اعلمنى بما عندك من الاشارة فقال له عنتر وما عسى ان أفعل
بهم من الفعال غير صلبهم على قرون الجبال وفيهم من غن عليه بالعتق من الاعتقال فمنهم ظالم بن
الحارث فارس بنى مرة أجزنا صيته واصفع قفته وأما ابن عبد العزى سنان ومفرج بن هلال القرنان
وجميع من معه من بنى شيبان فانى أصلبهم على الجبال وأحل بهم الهوان وأما حذيفة بن بدر والربيع بن
زياد وأخوه عمارة القواد فانى أتركهم عندى فى الاعتقال حتى أبصر على أى شئ ينفصل الحال (قال)
ثم ان عنتر وثب قائما على الاقدام ويده فى يد بشارة بن منيع الى أن وقف على باب الكهف الذى فيه
الاسارى الجميع وقال لاخيه شيبوب احمل هذا القرنان مفرج بن هلال وأخرجه الى قرن من قرون
الجبال وعلقه فيها بالحبال وصف هؤلاء عن جانبه من اليمين والشمال وأما حذيفة وعمارة والربيع
فأوقع بهم الارتباك ولا تدع لهم من الموت فكاك فانى ما بقيت أبقى على أحد يعاندنى الا وأوقع به الهلاك
(قال) فلما سمعوا منه هذا الكلام أيقنوا بشرب كاس الحمام فعند ها قال الربيع بن زياد وقد أيقن بالبلاء
والنفاد لاصبحك الله بخير يا ولد الزنا وتربية الامة اللخنا ونسل الحرام وولد اللئام ولا رزقت بعيش هنى
كما صبحتنا بهذا الوجه العبوس فى هذا الصباح المنحوس لانك قد جئت تبشرنا بهذه البشارة الردية فلا
بشرك الله بخير يا ابن الامة البذية فقال مفرج والله يا ربيع ما بقى عنتر يترك منا بعد هذا الكلام لا صبيا
ولا رضيع ويهلكنا من أجل هذا الكلام الشنيع والرأى عندى اننا نرق له فى الخطاب عسى اننا نتخلص
من هذا العذاب * هذا وقد نظروا اليه فرأوا عينيه مثل لظى الجمر وهو يتمايل على رجاله ويتلجلج فى
مقاله من نشأة الخمر وأما عمارة فانه مات فى جلده ولوث نفسه وخرس لسانه وانهدت أركانه (قال) وأما
مفرج بن هلال فانه مما حل به من الوبال قال يا أبا الفوارس لاى شئ تفعل بنا هذه الفعال ونحن فى اسرك
والاعتقال انظر يا أبا الفوارس ما بين يديك ولا يلعب العجب بعطفيك واقرأ عاقبة البغى والعدوان ولا
تنتقم منا هذا الانتقام لانك اخذت أموالنا وسبيت عيالنا وبقت اولادنا ولم يعرف لنا ذنب نستحق عليه
هذا العذاب والصلب فقال له عنتر واذا فعلت معكم هذه الفعال او اكثر منها من يمنعنى عن هذا الحال
فقال مفرج ما احد يمنعك عن ذلك ولكن الله يحن قلبك علينا لانك الآن لنا مالك وليردك عن ذلك كرم
أصلك وطيبة لبنك واعمل عملا صالحا وقابل القبيح بالمليح (قال) فلما سمع عنتر من مفرج هذا المقال ورأى

ذلك

ذلك التخضع والاذلال قال له والله ان سبى بنت عمى عبلة ماهو على هين واخذ اموالها هو الظلم البين فوالله لابدان افنى بنى شيبان واقتل المشايخ منهم والشبان واذبح الجميع ذبح الخرفان وانهب الاموال واسبى الحريم والعيال أوتعيدوا ماأخذتم لبنت عمى عبلة من الجواهر والمال فقال مفرج وهو على ماوقع به ندمان اسمع ياحامية عبس وعدنان وفزارة وذبيان والله ان هذه المصيبة ماكان لنا فيها جنية وما نحن فيها وحدنا ولا تعرضنا لك تعمدا منا وانما ابن عمك الربيع استقضانا حاجة نخرب بها ديارنا وقلع آثارنا ومالك الذى اخذناه من بنت عمك قد وصل الى النعمان على يد الربيع القرنان وها هو قد صار فى قبضتك فافعل به ماتريد لانه قد صار أقل من عبد من العبيد واعلم انه قد اعطى الملك النعمان العصابة والاموال الحسان وانت قادر على خلاص ذلك من الملك النعمان فدبر ماتريد من الامر والشان واقلع من مخه الاذان فما انت عاجز عنه ياحامية عبس وعدنان واجعلنا نحن عتقاء سيفك والسنان واتخذنا لك من هذا اليوم اصدقاء وغلمان واعلم أن الملك النعمان قد أرسل اخاه الاسود الى قومك بنى عبس وعدنان فى عشرين الف عنان وكلهم معودون بالحرب والطعان وقد أكد عليه فى الوصية والمقال انه لايعود الا ومعه الملك زهير فى حالة الاذلال وجميع اولاده ورجاله موثوقون فى الحبال بعد سبى النساء وذبح الاطفال وكل ذلك لاجل المتجردة صاحبة الجمال لانه سمع ما فيها من الحسن والكمال وقد خطبها الملك النعمان منه فرد رسوله وهو خائب ولارضى أن يزوجها له ولا أنا له ماهو له طالب (قال) فلما أن سمع عنتر من مفرج هذا الكلام قال له متى كان هذا الابرام فقال له يا أبا الفوارس فى هذه الايام ولابد أن يحصل للملك زهير منه آلام ويصير الملك الاسود ديارهم خراب يزعق فيها البوم والغراب ويأتى بهم من غير ارتياب وان بلغ الملك النعمان اننا صلبنا فى هذه الجبال فعل فى ساداتكم أبشع من هذه الفعال ويصلبهم على منصة الحيرة ويبليهم بالعذاب والنكال وانت بعد ذلك أخبر بجميع الاحوال وقد قالت العقلاء وأولوا الالباب من لم يحسب الحساب يكن القتل له جواب (قال) فلما ان سمع عنتر من مفرج ذلك الخطاب زاد به الاكتئاب وغاب عنه الصواب وقد حسب لهم ألف حساب وقال لمفرج يا ويلك وكم للاسود من مدد سار الى ديارنا بالرجال فقال له مفرج يافارس الانام ان مسيره الى ديارهم من قبل مسيرنا اليكم بخمسة أيام فقال عنتر عند ما سمع ذلك الكلام واذل بنى عبس من دون العربان ولكن والله لاقلعن اثر الملك النعمان واصيرنه مهيجا فى القيعان واحرمنه ان ينام على مخدة الاطمئنان (قال) ثم انه تركهم على حالهم فى الاعتقال بعد ما جز نواصيهم وخلاهم فى اسواحال وعاد عنهم فى عاجل الحال وهو يقول لعروة والله يا ابا الابيض ما أنا للملك زهير وأولاده ردىء الفعال حتى انه يفعل فى حقى هذه الافعال ولكننى ما الحقد عليهم ولا أنسى جميلهم ولا أؤاخذهم بسوء أعمالهم واتبع رضاهم ولا أغضب عليهم ولابد لى ان أبذل روحى فى هواهم وأنصرهم على أعدائهم ومازالوا فى ذلك الايراد حتى وصلوا الى بنى قراد واخبر أعمامه ما لكا وزهمة الجواد وأباه الامير شداد بن قراد بمسير الاسود أخى الملك النعمان الى ديار بنى عبس وعدنان بعشرين ألف عنان وأنا أعلم ان الاسود أخا النعمان آفة من آفات الزمان وانه جبار شيطان أمكر من ملوك الجان وأنا والله خائف على الملك زهير وعلى اولاده وعلى جميع حماته وأجناده ولابد والله عن مسيرنا الى نصرته وأنقذه مما حل به من بليته فقال أبوه شداد يا ولدى نحن بقينا هاهنا ثلاثمائة فارس من الفرسان وبقى غيرنا مثل الملك النعمان وكيف نسير الى لقاء عشرين ألف عنان ونترك هنا أموالنا ونساءنا والولدان فقال عنتر يا أبتاه اعلم أن الحريم ما بقى عليهن باس ولا يقربهن أحد من الناس مادام وا متحصنين فى هذه الجبال ونحن لابد ان نترك عندهم من يحفظهم من الرجال (قال) ثم انه ان دعا بأخيه شيبوب وقال له يا أبا رياح اننا ما نقصدك الا فى الملمات الملاح أخبرنى كم هنا من طريق يسلك الى بنى عبس وعدنان

من غير تعويق فقال شيبوب هنا ثلاثة مفارق والكل يجتمعوا بطريق واحد على وادى الرخم وغدران بنى الاجزم فقال عنتر كم يوما نقعد ونحن نجد ونجدى الى ان نصل الى الشربة والعلم السعدى فقال يا أخى خمسة وعشرين يوما أو قريبا من ذلك فقال عنتر وأى الطرق أقرب المسالك فقال له هذه الطريق والذكادك تجمعنا على وادى الرخم فى ثلاثة أيام وما للمسافر عبور الا من عليها وهى من هنا قريبة الاكام (قال) فلما سمع عنتر من أخيه هذا الكلام أمر شيبوب ان ينادى فى جميع الرجال أن يأخذوا الاهبة للحرب والقتال فعند ذلك استعدوا من يومهم وجهزوا اشغالهم وعزموا على المسير والجد والتشمير وهم فى مائتين وخمسين فارس من كل مدرع ولابس وهم فى الحديد غواطس وترك عند الحريم خمسين فارس وقدم عليهم عمه مالكا أباعبلة أبلاه الله بألف علة وذله وكذلك ولده عمرو واوصاهم ان يحترسوا على امورهم ويحتفظوا على الاسارى غاية الاحتفاظ ثم ان عنتر ركب على ظهر جواده الابجر وتقلد بسيفه الصامى الابتر وغاص فى الحديد وسار فى مقدمة الابطال الصناديد وقال ان هذه سفرة تكون علينا مباركة ان شاء الملك الديان وعلى جميع من معنا من الفرسان ونهلك فيها اهل الشر والعدوان ونسوق الاسود مأسورا فى حبال الذل والهوان ثم انه سار وبجانبه ابوه شداد وعمه زخمة الجواد وصديقه عروة بن الورد فارس الجلاد واستقبل عنتر الطريق وهو طائر العقل والفؤاد على الملك زهير ومن له من الاولاد (قال) ولما بطن البر الاقفر تذكر ارض الشربة والعلم السعدى فخاش الشعر فى خاطره وأحب انه له يبدى فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لا يحمل الحقد من تعلو له الرتب * ولا ينال العلا من طبعه الغضب * ولا ينال المنى قط ابن زانية
ولا شحيح ولا من حشه العتب * ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم * اذا جفوه ولا يغضب اذا غضبوا
قد كنت فيما مضى ارعى جمالهمو * واليوم احمى حماهم كلما نكبوا * لله در بنى عبس وما نسلت
من الشجاعة مالم تنسل العرب * عبد لهم يترك الابطال صاغرة * تحت الغبار حيارى ما لها حسب
اذا يعاب سوادى فهو لى شرف * يوم الفخار اذا ما فاتنى النسب * ان لم اخلصهم من كل نائبة
فلا سلمت ولا خطتنى النوب * ان كنت تعلم يا نعمان ان يدى * قصيرة عنك فالايام تنقلب
ان الافاعى ولو لانت ملامسها * تبدى انقلابا وفى انيابها العطب * واليوم تعلم يا نعمان اى فتى
يلقى اخاك الذى قد غره الكذب * ومن يخوض غبار النقع مبتسما * وينثنى وسنان الرمح مختضب
ان سل صارمه عمت مضاربه * واشرق الجو وانشقت له الحجب * والخيل تشهد انى قد اكف لها
والطعن مثل شرار النار يلتهب * لى النفوس وللطير اللحوم وللو * حش العظام وللخيالة السلب
لا شك ان بطون الطير مقبرة * فيها لمن جندلت ارماحنا نوب * فاسأل ديار الاعادى كم بنيت بها
بيتا من النقع لم يمدد له طنب * وسائل القوم عن فعلى وعن عملى * فالمال يفاز والارواح تنسلب
لا انعدالله من قوم غطارفة * انس اذا نزلوا جن اذا ركبوا * أسود غاب ولكن لا نياب لها
الا الاسنة والهندية القضب * تعدو بهم اعوجيات مضمرة * مثل السراحين فى اعناقها كبب

لا زلت ألقى صدور الخيل فى ملا * بالطعن حتى يقوم السرج والكتب
فالعمى لو كنت فى أجفانهم نظروا * والخرس لو كنت فى افواههم خطبوا
والخيل يوم جلاد الفرس تشهد لى * بالطعن والضرب والاقلام والكتب
نجمى يلوح على اعلام راتبهم * فوق السماك وفوق الشمس محتجب
انا ابن شداد من اعلا مفاخرهم * شدادها والذى يسمو به الادب
مالى على الارض من قرن يقاومنى * فى حومة الحرب والاهوال تنسكب

هذا

هذا مقالى وحالى فى مفاخرتى * وفخر شداد فخرى اذبه الحسب

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها جميع السادات وقد تعجبوا من هذه الكلمات وصاروا يقطعون فى مسيرهم الارض والفلوات وعنتر يحدث نفسه انه يقطع عساكر الملك النعمان بمن معه من الفرسان ثم انهم لم يزالوا سائرين يقطعون البر والاكام حتى انهم وصلوا الى وادى الرخم وكان ذلك الوادى لعرب يقال لهم بنو الاجزم وكان بينه وبين جبال الردم سبعة ايام فأوصلهم شيبوب فى ثلاثة ايام وكان هذا منزلا قديما من منازل العربان وكل من يقصد بلاد العراق لابد له من العبور من هذا المكان لاجل ما يلاقى فى طريقه من المخاوف لانه برموحش قليل الماء وكل من عبر فيه هلك من العطش والظما ثم قال شيبوب لاخيه عنتر لو كان معنا يا اخى من الفرسان عدد كثير يقوم مقامهم لكنا منعناهم عن ورود الماء وغلبناهم على الطريق حتى يهلكوا من العطش والظما ولا سيما ان كان الملك الاسود قد ملك قومنا واقاربنا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من اخيه ذلك الكلام قال ان كان ولابد فانزل بنا فى هذه الاكام ونتوكل على الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام فوحق من بسط الارض ورفع السماء لاتركت احدا يقبل لسانه من هذا الماء ثم ان عنتر نزل على ذلك الغدير وهو يودانه الى لقاء بنى عبس بطير واختلفت رجاله فى البر والتلال وانتشروا يمينا وشمال وقعدوا ينتظرون القادم عليهم يومين بليلتين فما احد لهم ظهر ولا رأوا من يخبرهم بخبر فقلق لذلك عنتر وتحير وخاف على من تركهم فى جبال الرمل من الويل والضرر فشكا حاله الى اخيه شيبوب واعلمه بما عنده من الكروب وقال له يا ابن الام كيف الحيلة والطريق عنا بعيدة وبيننا وبين القوم مقدار احد عشر يوما فقال له شيبوب يا اخى انا اكشف لكم الاخبار وآتيكم بجلية الاثار ثم انه تحزم وترسم واعتدوا شتد وسار من وقته وساعته وخاض البر الاقفر فما كان الا زمن يسير حتى انه غاب عن النظر فكانت مدة غيبته يومين بليلتين وصار الجميع عليه خائفين وقلق عنتر عليه بالاكثر وخاف أن يحصل له امر يكون فيه ضرر فبينما هم فى قيل وقال واذا به قد اقبل من بين هذه الجبال وهو اشعث اغبر فى ايشم حال مما قاساه من المسير والترحال فعندها تقدم اليه عنتر وقال له يا ابن الام ما الخبر واى شئ الذى جرى وتدبر فقال له يا اخى قد جاء اليك القوم وبطل عنك العتب واللوم وغدا يشرف عليك الملك الاسود ومعه عساكر قد ملأت البر والفدفد وفرسان ما لكثرتهم عدد فقال له عنتر ويلك يا ابن السوداء اخبرنى ما الذى حل ببنى عبس فقال له شيبوب حل بهم يا أخى التعس والنكس وقد قلع الاسود آثارهم وخرب بجنوده ديارهم لانه لما وصل اليهم صبحهم صباحا ميشوم وترك ديارهم مسكنا للغربان والبوم وترك عيالهم ونساءهم مباحة لجميع الاعارب واحاطت بهم الرزايا من كل جانب واحل بهم المصائب لانه فرق جميع من كان معه من الابطال ورتبهم حوله يمينا وشمال وقاتلهم اول يوم حتى اوصلهم الى الخيام وفى اليوم الثانى اتته بنو فزارة وبنو مرة اللئام لان الخبر كان وصل اليهم مع المنهزمين واسرت ساداتهم ونزل بهم العذاب المهين وانك قتلت من ابطالهم خلقا كثيرا وانزلت بهم العذاب النكير فما صدقوا ان يسمعوا بمجيء الملك الاسود حتى انهم اجتمعوا وساروا فى البر والفدفد وقد نزل بهم النكد مما كثر من العدد وبنو عبس يظهرون الصبر والجلد ومازالوا صابرين على ما به الله أبلاهم الى ان ضعف حيلهم وقواهم * هذا وقد سطا الملك الاسود على ملكنا زهير وضايقه فى الميدان الى ان اخذه اسيرا واخذ اولاده من بعده وأحل بهم الويل والتكدير وما امسى المساء الا وجميع اخوته وطائفته كذلك وقد حل بهم الذل وانسدت فى وجوههم المسالك وعاد الاسود بعد ما بلغ منهم المنى وحصل له التيسير ومعه أوفى من الفين اسير بحالة الذل والتقصير وقد وعدنى بدر ومرة أن يخلص من يدك اسراهم ويبلغهم مناهم واخبره ان اخاه النعمان ارسله لك يحل بك الذل والهوان واذا وجدك ينزل بك الحرمان وانه تابعك يكشف

اخبارك وايما وجدك يقطع آثارك وقد صح عنده انك فى جبال الردم ووادى الرمال وها هو غدا يشرف عليك بجميع من معه من الرجال وهذا الكلام كله سمعته من صديقك مالك بن زهير ولا تسأل عما هو فيه من الهم والاسى والضير وذلك انى لما سرت من عندكم بقيت يوما وليلة وأنا اهيم فى البر الاقفر فلم ار للقوم اثر ولا جلية خبر فقصدت ان اسير الى ارضنا ولا ارجع الا ببلوغ المنا فلما كان فى اليوم الثانى وانا سائر فى القفار رأيت سوادهم قد سد جميع الاقطار وانتشر يمينا ويسار فأوسعت انا فى الفلا لما ان حققتهم وصرت من وراء ظهورهم وصبرت حتى أمسى المسا وقد حل بهم يا اخى الضر والاسى وتبعتهم حتى نزلوا على غدران الظبا فاختلطت بالسواد الاعظم الذى فيه السبايا واردت ان اسألهم عما جرى فسمعت صوت مالك بن زهير وهو ينتحب ويبكى مثل المرأة الثكلى وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أتانا الخوف من بعد الامان * ونحنا عن معاداة الزمان * وذقنا الذل لما غاب عنا
مثير عجاجة الحرب العوان * هلكنا بعده بغيا وأضحى * جواد البغى مقطوع العنان
اغثنا يا همام بنى قراد * بحد حسامك العضب اليمانى * ولا تشمت بنا قوما لئاما
سبوا نسواننا سبى الزوانى * فأنت غياثنا فى كل حرب * اذا صاحت بنا خيل الرهان
وقد عودتنا عزا ومجدا * ونحن الآن فى ذل الهوان * ولو شاهدتنا فى ذل سوء
ونحن مع الاعادى فى هوان * تساق نساؤنا من كل عذرا * تشير الى جنابك بالبنان
وتجرى الدمع من طرف كحيل * على خد كلون الارجوان * تنادى من شجاها بالعبس
أجيرونى فخزنى قد دهانى * على قوم غدوا فى الارض صرعى * ينوح عليهم طير المغانى

(قال الراوى) وكان شيبوب ينشد هذه الابيات وعنتر تهل من أجفانه العبرات لان مالكا كان عنده اعز من روحه التى بين جنبيه لاجل ما عمل معه من الكرامات وقد قدمنا لكم تلك الاشارات (قال الراوى) ثم ان شيبوب قال يا اخى فلما سمعت مالكا عرفته بنفسى وسلمت عليه وسألته عما جرى يا اخى والدموع تقدر من عينيه * هذا ولما رآنى وقد حقق معرفتى فرح واستبشر لما رأى صورتى وقد أعلمنى بهذه الاخبار وما حل بهم من الاضرار وقد أعلمته أيضا بما جرى لك من الاخبار وانك قاعد لهم فى الانتظار وفى قلبك من اجلهم وهيج النار واخبرته بما فعلت ببنى شيبان وكيف انك أسرت مفرج بن هلال الكشحان وابن عمه بن عبد العزى سنان وكيف أهلكت فرسانهم والشجعان واخذت أموالهم والنسوان وأعلمته أيضا بما قد حل ببنى زياد وحذيفة وظالم نسل الاوغاد وان الجميع عندك فى الاصفاد (قال) ثم ان شيبوب لما ان سمع منى هذا المقال وعلم بذلك الشان خف كربه وانجلى عنه بعض ما يجده من الهموم والاحزان وقد أخبر أباه بذلك الامر والشان وقد حدثه بشجاعتك واقتدارك على جميع الاقران والشجعان فلما ان سمع الملك زهير من ولده ذلك المقال كاد ينفتت كبده قهرا على فراقك يا زين الرجال وقال نحن الذين عملنا بأرواحنا وأنفسنا ما لا تفعله الاعدا بنا أبعدتنا حامينا عن أرضنا بغير ذنب ولا ضرر وقربنا أهل الخداع والمكر فلاجل ذلك تم علينا هذا الامر ودهانا الزمان الذى من طبعه الغدر والهوان ولكن كان الذى كان وكلما عاش الانسان تعلم وهذبته الايام (قال) ثم ان شيبوب قال ومازلت معهم حتى وصلوا الى عيون الظبا وعرف الاسود ما قدامه من اتساع الربى فأمر العبيد أن يكثروا من الماء خوفا من العطش والظمأ فسرت معهم الى وقت السحر وقد مضى الليل والفجر انفجر وقد عدت اليك وأعلمتك بما جرى وتدبر فقال عنتر وقد هدر وزمجر لما ان سمع من أخيه شيبوب هذا الخبر وأى شئ بقى هنا من التدبير بعد هذا الامر العسير اذا رأينا هذا العسكر الكثير غير منعهم من ورود الماء وأن نوقع فيهم الحرب ونهريق منهم الدماء ونبذل نفوسنا فى خلاص الحريم ونتوكل على رب زمزم والحطيم وسوف ترى ما أفعل

بهم فى ذلك المكان واترك دماءهم تسيل كالغدران وافرقهم فى هذه البرارى والقيعان والنار فى استأمهم وأم ملكهم النعمان فعند ذلك قال شيبوب وقد تبسم وكان تبسمه فى محله اعلم يا أخى ان الامر أقرب من هذا كله لانى أدبر عليهم أحسن تدبير أقول انه يرجع عليهم وبالا وتدمير فقال عنتر أخبرنى بما فعلت وما هو الامر الذى اتقنت ودبرت فقال له شيبوب اعلم انى لما سرت من عندك أكشف الخبر وأنظر ما جرى وتدبر ووصلت اليهم وجرى ما جرى بالامر الذى تم وطرا وأردت أن أجىء من عندهم باسير فقلت فى نفسى والله ما أرجع الا ان كنت أفعل بهم أمرا نكيرا ولابد أن أفعل معهم شيأ أشفى به غليل صدرى فعند ذلك سللت منطقتى من على وسطى وسرت وكان الليل قد أسبل على الخافقين أجنحة الظلام وقصدت الى روايا الماء وأنا مثل أسد ضرغام وبقيت أجىء الى الروايا واحدا واحدا وأبدد ماءها وصرت ابذل واحدة بعد واحدة وقد علمت ان هذا لنا أكبر الفائدة وما فارقتهم حتى اتيت على الجميع وصنعت بهم أبشع صنيع وقد علمت انهم اذا أصبحوا لم يجدوا معهم فى الماء ما يبلون به رمق الفؤاد وقد سرت أجد السير فى الوهاد وقد قطعت فى المسير شيأ كثير لا يقطعه غيرى اذا جد فى المسير الا فى يومين بلياليهما على الجمال ومداراة الحريم والعيال والرأى عندى يا ابن الام أن تأخذ أصحابك وتوسع بهم فى ذلك البر وتلك الوديان وتكمنوا هناك فى ذلك المكان ولا تزالوا هنالك كامنين حتى تروهم الى الماء متسابقين فتخرج عليهم وكل أحد فى دهشته وتسوق الملك فى دهشته ويكون قد انقضى ذلك الشغل وفرغت نوبته (قال) فما أتم شيبوب ذلك الخطاب حتى قال الامير شداد ان هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب لانهم اذا وصلوا الى هذا المكان ما يبقى منهم انسان يلتفت الى انسان ويصيرون كلهم يتزاحمون على الماء وذلك من شدة العطش والظما لا سيما ويكون قد اشتد الحر وارهج عليهم البر (قال الراوى) فلما ان سمع عنتر ذلك الخبر فرح واستبشر وأيقن بالنصر والظفر الاكبر وقد أمر أن يأخذوا أهبتهم فتجهزوا من وقتهم وساعتهم وركبوا على صهوات خيولهم وتزودوا من الماء وذلك من خوف العطش والظما وكان ذلك وقت المسا وقلب عنتر على الملك الاسود وجماعته قد قسا وهو يقول لعل وعسى وقد سار بهم شيبوب فى عرض الفلا الى مكان يعلم انه يخفيهم من الاعداء حتى أنزلهم فى عرض تلك البيداء * هذا وقد أقاموا فى ذلك المكان وهم صابرون تحت مشيئة الرحيم الرحمن فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشان (وأما ما كان) من أمر الاسود أخى الملك النعمان فانه قد سار باقى ليلته وجعل يجد السير هو وجميع رفقته فما نزل حتى تضاحى النهار وحميت الصخور والاحجار فأكل كثيرا من الزاد وكان من لحم وحوش الوهاد فعند ذلك لحقه العطش والظما فطلب من عبيده الماء فعند ذلك نظر بعضهم الى بعض وقد تمنى كل واحد منهم ان تبتلعه الارض وما فيهم من تكلم بكلمة واحدة ولا فتح فمه خوفا من تلك الامور الزائدة فقال لهم الملك الاسود يا ويلكم ما حالكم وما الذى حل بكم ودهاكم ولاى شئ سكتم عن الكلام أخبرونى بذلك يا بنى اللئام فقالوا له والله يا ملك العرب ما أصبح قطرة من الماء فى الرويات والقرب والجميع مبذولات تاشفات وما فيها ما يبل اللهفات (قال الراوى) فلما ان سمع الاسود هذا المقال قال لهم يا ويلكم ومن فعل تلك الفعال فقالوا له ما معنا علم بتلك الاحوال وحق الملك المتعال الذى خلق الانسان من صلصال وقدر الارزاق والآجال فقال الملك الاسود وحق النور والنار ما فعل بنا هذا الفعال الا من أرادهلاكنا والدمار على اننا قد توسطنا فى ذلك البر الاقفر والمهمه الاغبر والماء من الجانبين بعيد وقد تعجبت والله من هذا الامر البعيد فقال له شيخ من مشايخ بنى لخم وجذام وكان عارفا بأمور الليالى والايام يا ملك الزمان مضى ما مضى واعلم ان الانسان لا يقدر أن يدفع القضا واعلم ان ما بقى فى الرأى الآن تنفذ النجابة بين أيدينا يملؤا الرويات من المنهل ويعودوا بها على عجل والا هلكنا من العطش والظما وحل بنا الويل والعمى

وأن لم تفعل تلك الفعال والاهلكنا كلنا وحل بنا الوبال وأنا اقول ان بعض عبيد بنى عبس قد عمل معنا هذه العملة وقد أراد هلاكنا جملة مجازاة لما فعلنا معهم من الرأى وكما تعلم انهم لنا أشد الاعداء اذا وصل الينا الماء فلا تسق بنى عبس قطرة واحدة ودعهم تحل بهم المكيدة الزائدة حتى يعلموا ان مكرهم قد عاد عليهم وكيدهم رد اليهم وقد قال بعض من قال ان المكر السيئ لا يحيط الا بأهله والاذى راجع لمن اهتم بفعله واعلم ان اللات والعزى قد خذلتهم ونصرتنا عليهم وأذلتهم فعند ذلك قال الملك الاسود والله لقد صدقت فيما به نطقت ولقد أصبت فى ذلك الرأى وحق ذمة العرب وان لم نفعل ذلك والاحل بنا العطب ثم ان الملك الاسود بعد ذلك الكلام والاشارات عين ماتى نجاب بالقرب والمزادات وأمرهم بقطع البرارى والفلوات وأن يملؤها ويسرعوا بالرجعات فعند ذلك تقربوا بين يديه وامتثلوا ما قال لهم عليه وساروا من ساعتهم يجدون المسير فى ذلك البر والهجير والملك الاسود قد سار فى أثرهم وقد حل به الظمأ مثل ما حل بهم وعقله من رأسه قد غاب وما بقى يعرف الخطأ من الصواب وكان قد ملأ جوفه من لحم الوحش وقد بدأ يعمل معه الظمأ والعطش ومازال كذلك الى أن أمسى المسا وقد صار يعالل نفسه بالعلل وعسى وهو يظن ان الماء يصل اليه وتقربه مقل عينيه وذلك من شدة العطش ومن كثرة ما لحقه من الدهش وقد زاد على عسكره الحال وكل منهم أخذه الانذهال وما بقى أحد منهم يقدر على الحركة وقد حلت بهم النائبات المهلكة ونشفت حلوقهم من الظما وحل بهم العمى (قال الراوى) فلما ان علم الاسود منهم ذلك الحال نزل بهم فى بعض الجبال وقد ظن ان الماء يصل اليه فى ذلك المكان وجعل يتعلل بذلك الشان فما أتى اليه بشر ولا ظفر للنجابين بخبر فقال الملك الاسود أظن ان أصحابنا حصل لهم ضرر وقد حل بهم الويل والعبر والا فما كانوا انقطعوا ذلك الانقطاع ولا سيما وهم يعلمون ما حل بنا من الاوجاع ومازالوا على ذلك الايضاح الى أن انفجر الفجر وبان الصباح فصارت الفرسان تضرب الفرس والفرس حتى انهم يغيبون عن نظر العين وترجع بعد ذلك خائبة مما كانت له طالبه وقد أيقنوا بحلول كل نائبة وحلت بهم المصيبة الزائدة فقال الملك الاسود وقد قاسى كل هم وضير أظن والله انه لم يجر على أصحابنا خير ولو كنا علمنا انهم لا يقدمون وفى مثل تلك الاكام ينقطعون كنا قطعنا ذلك الوادى لبلا ولا صبرنا حتى أحاط بنا ذلك البلا (قال) ثم انه قتل الناس وهج ذلك الخر وقد تلهبت جنبات الفلا والبر وكادوا أن يأكل بعضهم البعض وضاق عليهم وسيع الارض وذلك الطول والعرض ولمعت فى وجوههم الهضاب ولاح لهم لائح الويل والعذاب واشتد بالقوم الظما واشتاقت أرواحهم الى شربة من الماء المبرد بالهوا وساروا وقد قل منهم الحيل والقوى وكانوا كلما قطعوا من الارض ميل كثر منهم القال والقيل وهم يقولون الساعة تصل بنا أصحابنا بالنجب والقرب ولم يعلموا بما جرى عليهم من الامر والسبب (قال) فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان (وأما ما كان) من أصحابهم وما حل بهم من الهوان فانهم لما وصلوا الى الماء والغدير وجدوا عنده العذاب النكير وهو أبو الفوارس عنتر وقد نصب لهم حبال القضا والقدر لانه لما تركه أخوه شيبوب فى ذلك المكان الذى وصفناه واختفى هو ومن معه من الفرسان كما ذكرناه وقعد لهم شيبوب ديدبان يرتقب كل من يأتى من الوديان ومازال على ذلك الحال الى أن تنصف الليل وقد غاب نجم سهيل وقد هم أن يهجع واذا هو بالنجابة قد أقبلت وهم فى ذلك الحال الاشنع والجميع مقبلون من تلك البرارى المقفرة ولهم هدير وزمجرة فلما رأى شيبوب الى تلك الاقوام وثب قائما على الاقدام وقد طار من عينيه المنام ونفر عنه النعاس وأخذه القلق والوسواس فعند ذلك حبا على يديه ورجليه وهو يرقب اليهم بعينه ومازال تابعا آثارهم حتى انه قارب القوم وكشف أخبارهم فرآهم مقبلين من البر والسبسب وهم يتساقطون على الماء كتساقط القطا والطير على الحب فلما رآهم

سابقوا

سابقوا الى الغدير مثل الريح العاصف عادا الى أخيه مثل البرق الخاطف وأعلمه بجلية الخبر فقام أبو الفوارس عنتر وقد قامت معه الرجال على الاثر وفى دون ساعة دارت الرجال بالغدير حتى ملؤا الاقطار وصاحوا بهم فى قتام الاعتكار فأول ما عمل شيبوب من الخبث والمكر ان ساق النجب هو وعشرة فوارس واتسع بهم فى البر وقد كان أصحابهم لما وصلوا الى الماء قلعوا ما كان عليهم من العدد والسلاح ثم انهم وضعوها عند النجب فى تلك البطاح فلما سمع القوم صياح عنتر ومن معه من الرجال حل بهم الويل والانذهال فرجعوا الى ناحية النجب ليأخذوا عددهم ويفتقدوا نجبهم فما وجدوها فحاروا فى أمورهم لما رؤا نفوسهم بلا عدد ولا سلاح وقد عمل فيهم الطعن من سائر النواح وكان كل من مانع عن نفسه قتلوه وكل من سلم اليهم نفسه قبضوه ﴿قال الراوى﴾ وما جاء وقت السحر حتى قبضوا على الاسرى وقتلوا الاكثر وقد قلعوا منهم الاثر وما تركوا منهم أحدا يخبر بخبر وقد أخذوا منهم ثلاثين أسير وتركوا الباقين مطروحين على جانب الغدير ثم انهم عادوا الى موضعهم الذى كانوا فيه كامنين فرحين ومستبشرين وكان ذلك الوقت قد طلع الصباح وأشرقت الشمس على الرابا والبطاح فعند ذلك قدموا الاسرى بين يدى عنتر وهم بحالة الذل والضرر فسألهم عن الملك الاسود ومن معه وجميع عسكره الذى جمعه وقال لهم تركتموه فى أى الاماكن من البطاح فقالت له الاسارى غدا ٥ غد يكون هو ومن معه عندكم فى وقت الصباح ان جدوا فى مسيرهم والرواح وان كانوا يتكاون علينا حتى نعود اليهم بالماء هلكوا جميعهم من العطش والظما فقال عنتر لاخيه شيبوب لما سمع ذلك المقال والله ما بنا الا أصحابنا الذين فى الاسر والاعتقال ولا سيما النساء والاطفال يهلكوا عطشا فى تلك الجبال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع شيبوب من أخيه عنتر ذلك المقال قال له يا ابن الام لا يضيق صدرك من هذه الاحوال ولا تشغل بهذا الامر سرك يا فارس الابطال فأنا يا أخى قد انفتح لى باب من الابواب أقول انه غاية الصواب وذلك ان جيش الاعداء اذا اشتد عليهم حر البيداء وحلت بهم الهموم الزائدة يشتغل كل واحد منهم عن صاحبه ولا يسأل عن رفقاه ولا عن حبائبه ويطلب كل أحد منهم ان يصل الى الماء وذلك من شدة العطش والظمأ ويتفرقون جميعهم فى جنبات البيدا ولا يسأل أحد عن أحد أبدا ويشتغلون عن الاسارى والسبايا فآخذ أنا هذه القرب والروايا وأحملها على ظهور هذه النجب والمطايا وأسير بها فى عرض البر الاقفر والمهمه الاغبر ويكون معى خمسون فارسا غضنفر ولا أبين لاصحابنا ولا أظهر الا ان رأيت جيش الملك الاسود قد تبدد فى البر الاقفر وسار وخلاهم من خلف ظهره وكل أحد منهم اشتغل بهمه وقهره لانى أعلم انه اذا اشتد عليه العطش حل به وبمن معه الويل والدهش ولا يبقى عند الاسارى الا العبيد ويكون الاسود ومن معه قد هلكوا فى الارض والبيد فاذا رأيت أنا ذلك الحال اسير بأصحابى فى آثارهم وفى بعض المكامن أخفيهم ثم أسير أنا وأدخل عليهم حتى يسيروا ونسير جميعا على آثارهم وأنظر من انقطع من السبى والعيال وبعد ذلك أفعل على قدر ما أرى من الحيل والمحال وأسقى جميع بنى عبس من الماء الزلال ولابد أن أطلق كل من رأيته وان قدرت على أمر فعلته وان ظهر على أحد من الاعداء أطلقت عليهم الفرسان الذين هى فى البيداء وأدعهم يهبر ونهم بالسيوف القواطع حتى لا يبقى منهم لا ناطق ولا سامع وان أصبح ذلك لنا فقد بلغنا المنا ونصرنا على الاعدا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر من أخيه شيبوب ذلك المقال قال له وحق ذمة العرب الانجاب لقد أشرت يا أخى بالصواب ورأيك ما فيه شئ يعاب وان كان الامر على هذا الحساب فخذ معك عروة بن الورد وخمسين من رجاله الانجاب لتكون فى أمرك مستريح وافعل اذا وصلت هذه الفعل المليح ﴿قال﴾ فعند ذلك دبر شيبوب أمره فى عاجل الحال وفعل ما به قد اشار على الرجال ثم انه ملأ الراويات والقرب وحملها وسار هو ومن معه يعتسف ذلك البر والسبسب وقعد عنتر هو ومن معه من الفرسان

فى انتظار من يقدم عليهم من عساكر الاسود أخى الملك النعمان ﴿قال الراوى﴾ هذا وشيبوب مازال سائرا بمن معه من الرجال الى أن أتى عليه آخر النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار فبينما هو على ذلك الحال واذا قد طلع عليه من صدر البر غبار قد ملأ جميع القفار ثم انه انجلى وبان للابصار وقد ظهر من تحته مهارى تقطع الفلا والقفار وعلى ظهورها الرجال تسير سيرا حثيثا الى ناحية الماء النزلال وركابها على ظهورها لا تعتنى باحد ولا تلتفت الى أبيض ولا أسود ولا تنتظر يمينا ولا شمال مما قد جرى عليها من الوبال وذلك من شدة العطش والظما ومما قد اعتراهم من الويل والعمى ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك ان الملك الاسود لما أرسل النجابة فى طلب الماء الى ذلك البر والهضاب وغابوا ذلك الغياب قال والله لابد ان أصحابنا قد وقعوا فى مصيبة والا فما كانوا غابوا هذه الغيبة وهم يعلمون انشاها لكون من العطش والظمأ والا يكونوا قد ضلوا عن الطريق وعدموا السعادة والتوفيق والصواب اننا نجو بأنفسنا وان لم نفعل ذلك والا هلكنا عن آخرنا ثم انه من شدة ما قد جرى عليه من كثرة أحزانه قام وركب هو ومن معه من اخوانه وسار واطالبين مياه بنى الاجرم وقد تركوا باقى الناس مبددين فى البر والاكم (قال) ومازالوا سائرين وهم فى سيرهم مجدين الى أن أن وصلوا الى عراض شيبوب وقد كمن هو فى عطف من عطوف الدروب وما أحد منهم فطن به ومازالوا يجدون المسير الى أن وصلوا الى الغدير فلما ان رأوا ذلك الماء الساكب رموا أرواحهم عليه من كل جانب وقد تساقطوا عليه من شدة ما قاسوا من ذلك البلا فوجدوا جميع أصحابهم ملقحين على جنباته قتلى خمار واعند ذلك فى أمورهم وتحيروا فى نفوسهم وخافوا من ذلك وانذهلوا وعزموا على أن يشربوا ويرحلوا ويوسعوا فى البرارى والجبال خوفا على انفسهم من الوبال الذى جرى على أصحابهم الاقيال ثم انهم جعلوا يتساقطون على الماء كأنهم الغربان وذلك مما حل بهم من الهوان (قال) فحالحق القوم أن يشربوا من هذا الماء المباح حتى أدركهم عنتر ورفقته فى تلك البطاح وجعلوا يطعنون فيهم بأعقاب الرماح وقد أدركهم الهم والاتراح وما أظلم عليهم الظلام حتى أهلك عنتر منهم ثلاثين فارسا همام وأسر سبعين أسير وقد قادهم فى حبال الذل والتكدير وفى جملتهم الملك الاسود أخو الملك النعمان وباقيهم كانوا خواص الفرسان لان عنتر لما نظر الاسود انقض عليه انقضاض الباشق على أفراخ الحمام وقد أخذه أسير وقاده ذليلا حقير وكتفه وسلمه الى أخيه جرير فأخذه منه وساقه بين يديه فى المهاد وسلمه الى الامير شداد بن قراد فعند ذلك أقرنه بحمل بن بدر وعادوا وهم فى فرح بالنصر والظفر ﴿قال الراوى﴾ وقد راق المكان من الحرب والقتال بعدما أخذوا السبعين فارسا والاسود المفضال وقد وضعوا جميع الاسارى فى القيود والاغلال والباشات الثقال وقد أخذوا لهم راحة فى تلك الاكام وهم منتظرون بقية الاقوام فبينما هم على ذلك الحال واذا بالجيش قد تتابع تتابع السيل السال وكان أكثرهم راكبا على الجمال لان الخيل قد وقع أكثرها فى الفلا من شدة العطش والظمأ فلما ان وصلوا الى الغدير تراموا عليه كأنهم موتى لانهم ما وصلوا الى الماء وفيهم رمق وذلك من شدة القلق فنزل عليهم عنتر وأصحابه نزول السيل وأبلوهم بالذل والويل وقد صاروا يضربون بالسيوف فى أعناق الرجال ويطعنون بالرماح فى صدور الاقيال ويضربون مقادم الخيل والجمال * هذا وقد صار الرجال يتساقطون على الرمال والفرسان تقع فلا تقوم والرجال فى الدماء تعوم وقد صار الانسان لا يهوش ولا ينوش وصارت جثثهم رزقا للطير والوحوش وقد غابوا جميعهم عن الوجود من تلك الاحوال وما بقى أحد منهم يعرف يمينه من الشمال وكانت تلك الليلة كثيرة الاهوال (قال) ومازال السيف يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل وهم على ذلك الايضاح الى أن مضى الليل وقارب الصباح وقد كلت منا كب الرجال من كثرة ضرب الصفاح * هذا وقد علم بنو ظلم ان الماء قد ملك ورأوا غالبهم قد هلك فقاتلوا قتال من استقتل واشتد الطعن بالاسل * هذا

وقد

وقد كثر على بنى عبس العدد وتزايد المدد ولكنهم أظهروا الجلد وأخفوا الكمد ومازالوا كذلك الى أن طلع الفجر الأول ومابقى فى القوم من يحسن قولا ولا عمل من شدة ماحل بهم من الوجل ولما كان عند الصباح أشرفت عليهم غبائر من قبل الاعداء وقد زاد منهم الصياح وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان أنشروا بالثام بالويل وشرب كأس الحمام وصاروا يضجون بالفرح والاستبشار بخلاصهم من الاعتقال وباطلاقهم من الوثاق والاضرار (قال الراوى) وكان خلاصهم من الكروب على يد القيم شيبوب لانه لما سار الملك الاسود ومن معه من الطوائف كان شيبوب سائرا بالمال فى عرض البر كما قدمنا ومازالوا حتى عبر جيش بنى نخم من ورائهم وهم متتابعون والى وادى الرخم طالبون وقد تركوا السبايا من ورائهم وما فيهم من التفت بعد رواح الملك الاسود بل طلب كل واحد لنفسه النجاة وأوسعوا فى ذلك البر والفلاة وذلك من شدة الحر والهجير وقد حل بهم من العطش التدمير فعند ذلك وصل شيبوب الى بنى عبس والكل موثوقون بالكتاف وقد أشرفوا على التلاف فخلصهم شيبوب من الحبال وأعلمهم بما جرى من الاحوال وقد سبى النسوان والبنات وجميع الرجال والسادات وكذلك الملك زهير واولاده الجميع وأعلمهم بما فعل أخوه عنتر بالاعداء من الامر الشنيع (قال) فلما أن سمع الملك زهير من شيبوب ذلك الكلام أخذه الضحك والابتسام وتعجب من هذه الامور والاحكام وقال والله انه من يوم ولد وهو رجل مسعود من الواحد العلام وكل من عاداه خرب بيته وزادت به الآلام *هذا وقد فرحت بنو عبس بالخلاص وقد ضجوا الجميع لعنتر بالدعاء والابتهال وقالوا والله ما لابن عمنا مثيل فى جميع الاحوال فقال صديقه مالك ابن الملك زهير والله ان ابن عمنا عنتر ما له مثيل ولا يفرط فى هذا الرجل عاقل ولا نبيل ولا من هو فطن ولا من هو فضيل (قال) ثم انه بعد ذلك الكلام والمقال صاح الملك زهير على بنى عبس الاقيال وقال لهم ياويلكم اركبوا من هذه الخيول الشاردة وخذوا من هذه العدد التى على هذه الجمال واطلبوا معونة من أحياكم بعد الممات وصان حريمكم والبنات فعند ذلك تصايحت جميع الرجال وقد فعلوا ما أمرهم به الملك زهير الريال وقد سمعوا منه ذلك المقال وكانوا أوفى من ألفين من الابطال واستدوا جميعهم بالعدد ولبسوا الخود والزرد وركبوا من تلك الخيول الحسان وصاروا يركضون فى تلك الوديان ومازالوا على ذلك الحال الى أن ولى الليل وأقبل النهار بالابتهال وأشرفوا على مكان المعمعة والقتال كما قدمنا فى المقال وقد نظروا الى عنتر وجميع الفرسان وقد دارت بهم الاعداء من كل جانب ومكان فحملوا على الاعداء حملة الحنق وقد طعنوا فيهم طعن من اشتد به الغيظ والحرق ففاض الدم وانهرق وزاد البلاء واندفق وسال من الرجال العرق والجرح من شدة المحال اغرق وكان الشجاع فيهم من ركض بالجواد ومرق ومن شدة عسفه فى الربا والبر احترق ومابقى له من التعب رمق (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل حتى مابقى من الاعداء الا من خلى القتال وولى وقد أخذوا بعض من بقى أسرى وتركوا الباقين على الارض قتلى ملقين على التراب فى الفلا لان القوم كانوا عشرين ألف فارس أسر منهم سبعة آلاف وقتل مثلهم وتلقحوا على الاحقاف والباقون هجموا على وجوههم فى الفلاه وهم لا يصدقون بالنجاة (قال) ولما أن طلع النهار وأشرقت الشمس بالانوار التقى عنتر بنى عمه المشاهير وهم بنو عبس والملك زهير *هذا والامير عنتر لما رأى الملك زهير ترجل له من على جواده الابجر وكذلك فعل الملك زهير وقد تعانقا من شدة فرح التلاق وتباكيا من ألم الفراق وبعد ذلك ركب الملك زهير ومسك عنتر له الركاب وقد عضده لما ركب وباس رجله فى الركاب فأراد الملك زهير ان يترجل على الرمال ويقبله فأقسم عليه عنتر انه لا يفعل هذه الفعال وقال له يا مولاى يعز على ما جرى عليكم من الاسر والاعتقال والذى قد جرى من عساكر العراق الانذال فقبل الملك زهير رأسه وبين عينيه وشكره واثنى عليه وقال له والله يا ابا الفوارس

وبازين المجالس انناقد فعلنامعك القبيح وابعدنالك فى البر الفسيح وبعد بعدك عناقد جوزينا على فعالنا وماعرفنا قدرك الالما فقدناك فلله درك ودر أبيك وقومك وأقربائك (قال الراوى) وبعد ذلك صفت القلوب من جميع بنى عبس الاجواد على فارسهم وحاميهم عنتر بن شداد * هذا وقد جمعت نوعبس القتلى وسيوفهم وخيلهم وعددهم ورحالهم ونزلوا فى ذلك المكان لطلب الراحة ومحادثة الاخوان وهم فرحون بالنصر والظفر على اعدائهم أهل الطغيان (قال) ومازالوا فى لعب وانشراح الى أن أصبح الله بالصباح ووصل اليهم شيبوب بالحريم وقد فرح بذلك النصر العظيم واقاموا ذلك اليوم كله على ذلك الغدير وهم مستبشرون بما حصل لهم من ذلك الخير الكثير * هذا والنساء قد اتت الى عنتر وصرن يقبلن يديه ويشكرنه ويثنين عليه (قال) ومازالوا على ذلك الحال وهم فى فرح وابتهال الى ان ولى الليل واضاء النهار واشرقت الشمس بنورها المتلالى ورحلوا طالبين الاهل والعيال الذين تركوهم فى جبال الردم ووادى الرمال * هذا وعنتر بجانب الملك زهير واولاده وهو يأنس بوداده ويعلمهم بما جرى له مع بنى شيبان وبنى زياد والربيع القرنفان واخيه عمارة الكشحان وما فعلوا فى حقه من العناد وكيف اوقعهم فى سوء بعيهم رب العباد (قال) وكانوا قد شدوا الاسارى على خيولهم بالعرض ولم يدروا ان كانوا فى سماء او فى ارض * هذا والملك زهير لا يشبع من حديث ابى الفوارس عنتر مدة كونهم سائرين فى البر الاقفر وقد صار ينظر الى الملك الاسود والى جمل بن بدر وهما فى جملة الاسرى وقد صاروا يرقون للملك زهير خوفا من عنتر ان يبطش بهم وهو لا يلتفت اليهم ولا يعتنى بهم ويعرض عنهم ويريهم انهم لا قيمة ولا مقدار ولا يعاتبهم على ما فعلوه معه من ذلك الاضرار (قال) ومازالوا سائرين على مثل هذا الحال والملك زهير يقول للامير عنتر الفارس الربال اعلم انه ما بقى لنا احد نعتمد عليه من سائر العربان لانه قد صار لنا اعداء مثل بنى فزارة وبنى مرة وشيبان وما بقى الملك النعمان يقعد عن عداوتنا لاجل ما فعلنا فى اخيه وفى عسكره من ذلك الامر والشان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك المقال تبسم ضاحكا ثم قال له طب نفسا وقر عينا من هذه الفعال فوحق ذمة العرب الكرام لواتى كل من فى الارض من ترك وعرب واعجام ما عاد يصل اليك منهم هم ولا غم مدى الايام ولا بد ان اترك النعمان فى أسرك والملك كسرى يرتعد من ذكرك (قال) ومازالوا فى قيل وقال وهم يتحدثون فى مثل تلك الاحوال الى ان اشرفوا على الجبال التى تركوا فيها العيال والخيل والجمال واذا بمكانهم خالى الجنبات موحش العرصات ليس فيه ديار ولا نافخ نار وما بقى الا مسكنا للبوم والغربان وقد انذهلت من رؤيته جميع الفرسان واما الامير عنتر فانه قد تحير مما شاهد وابصر وكذلك جميع من معه من الاصحاب انذهلوا على فقد من لهم من الاحباب * هذا وشيبوب قد مد نظره وهو يتعجب من ذلك الحال واذا هو ببشارة بن منيع مصلوب على بعض قرون الجبال والطير حائم عليه وقد اكلت الحدأ من عينيه فعند ذلك صرخ شيبوب من شدة ما جرى من الحزن عليه ثم انه زعق واحر باه عليك يا بشارة يا ابن منيع والله لقد اشتفت الاعداء منك وحزن عليك اهلنا الجميع ثم انه دق يده على صدره وقد اتقصم من ذلك الامر فقر ظهره فلما ان سمع عنتر منه ذلك المقال قال له ويلك ما بالك يا اخى تفعل هذه الفعال فقال له انظر يا اخى الى بشارة بن منيع هاهو مصلوب على الجبال فنظر عنتر بعينه فوجده على ذلك الحال وهو معلق فى الحبال فتأسف عليه وقال والله لا بد ان افعل مع من فعل به هذه الفعلة مثل ذلك الحال ثم ان بكى من شدة البلبال وانشد يقول صلوا على طه الرسول رات عينى لوادى الرمل خالى * فأجريت المدامع كاللآلى

وقفت به أسائل عن فتاة * وعن اترابها ذات الجمال * وكيف يجيبنى قفر محيل

خراب ليس يعقل ما سؤالى * اذا صاح الغراب به شجانى * واجرى ادمعى سحبا عوالى

غراب البين مالك كل يوم * تنادى عن يمين مع شمال * وتخبرنى بأصناف الرزايا

وبالهجران

وبالهجران من بعد الوصال * كأنى قد ذبحت بحد سيفى * فراخك اونصبت لهم حبالى
بحق ابيك داوى جرح قلبى * وأطفئ نار سرى بالمقال * وأخبرنى عبيلة أين حلت
وما فعلت بها ايدى الرجال * فقلبى هائم فى كل ارض * يقبل اثر اخفاف الجمال
وجسمى فى جبال الردم ملقى * خيال البرتجى طيف الخيال * وفى الوادى على الاغصان طير
ينوح ونوحه فى الجو عالى * فقال اذا وقد ابدى نحيبا * دع الشكوى فمالك مثل حالى
انا دمعى يفيض وانت باكى * بلا دمع فذا كبكا محال * لعمرالله الفراق ولا رعاه
فكم قد شك قلبى بالنبال * أقاتل كل جبار عنيد * ويقتلنى الفراق بلا محال
وصلى الله ربى كل وقت * على المختار صفوة ذى الجلال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات بكت جميع الامراء والسادات ولم يعلموا من فعل فى حقهم هذه الفعال ولا من تجرأ على مثل هذه الاشغال وقد قلق عنتر واخذه الانذهال من هذه الامور والاحوال (قال الاصمعى) وكان السبب فى ذلك الاضرار انه لما غاب عنتر وترك الحريم والاولاد فى الجبال ما حسب حساب الاشرار وكان ترك عمه مالكا أبا عبلة الغدار وترك معه عشرين فارسا من بنى عبس وهم خيار العشيرة لاجل ان يحفظوا المال والعيال وسار بعد ذلك وقد اوصاه على الاسراء والاطفال ففى يوم من بعض الايام دخل مالك ابو عبلة على الاسارى ليطلع عليهم ويوبخهم بالكلام ويعاتب مفرج بن هلال هو والربيع ابن الانذال ويطالبهم بما كان على عبلة من المال فقال له الربيع ويلك يا مالك اما تستحى من هذا المقال وانت تعلم ما انت فيه من الذل والعار لاجل متابعتكم لهذا الاسود الغدار وانت مع ذلك تطلب الحماية بسيفه وانتم تعلمون ان اهل الارض كلهم صاروا اعداءه ويلك يا مالك هل انت عدمت عقلك حتى تظن ان ذلك العبد يسلم من الهلاك والعدم فهذا شئ لا يكون ولا يجرى بين الامم أتريدون بنى قراد وانتم فى مائتين فارس ان تقاوموا العرب والعجم وهذا شئ ما يفعله الا من عقله قد عدم ويلك يا ابن العم انت تريد ان تزوج ابنتك لمن كان بالامس راعى جمالك وخادم بغالك وحق ذمة العرب ما بقى عنتر يرجع من قتال الملك الاسود ويلك يا مالك دع عنك هذا المقال وهذه الفعال واغتنم الفرصة من قبل أن يحل بكم الوبال * الى هنا وصل القلم فى سرد هذه الاخبار التى فى استماعها يتنافس المتنافس الى نهاية هذا الجزء الخامس وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم

الجزء السادس من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٦ هجريه)

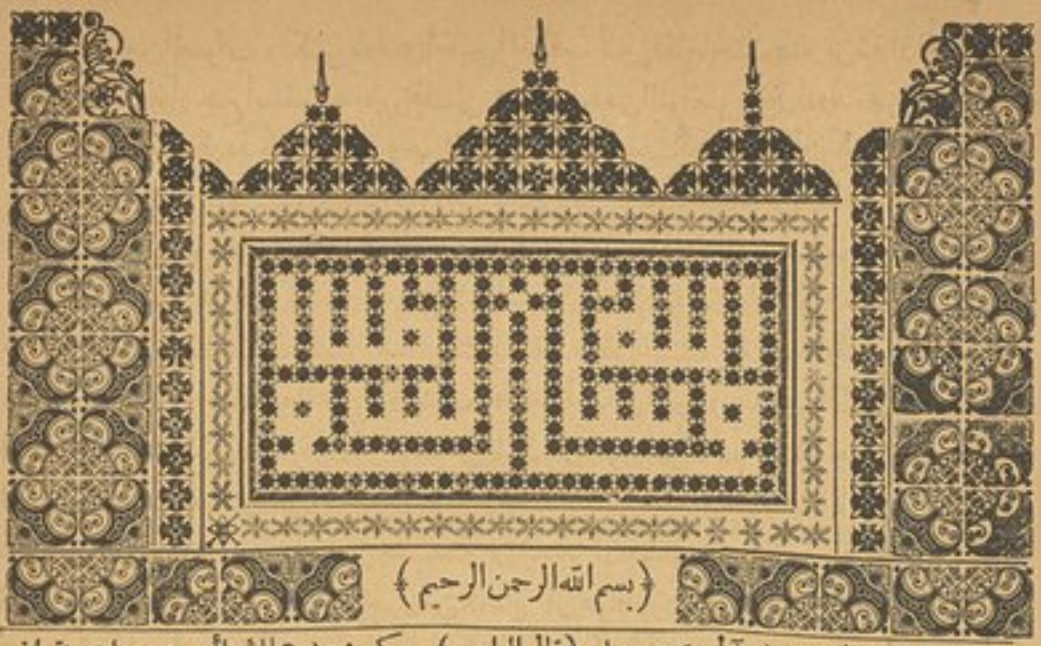

{بسم الله الرحمن الرحيم}

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم {قال الراوى} ويكون على علمك يا أمير عمرو ان عنترا فى هذه النوبة ما بقى يرجع ولو عضدته جميع الامم عن قتال الاسود وسوف تنظر ما تجدد ويلك يا عمرو دع أباك الامير مالك يغتنم الفرصه والا هلكتم كلكم وشربتم من الموت أعظم غصه وتسبى حريمكم ومالكم وعيالكم ويحل بكم دماركم وفناؤكم وتبقوا مثلا بين الامم وما بقى أحد من الاسارى الا وتكلم وما زال الربيع يترجم حتى أخذت عمرا الحميه مع ما كان فى قلبه من بغضة عنتر فقال وكيف يكون العمل يا ربيع فقال له بادر الى مفرج بن هلال وأنا آخذ لكم منه الذمام والامان على أموالكم وعيالكم والنسوان ونتفق كلنا ونسير الى الملك النعمان ولا نزال عنده حتى يصل أخوه الملك الاسود وننظر ما يجرى ويتجدد من الملك زهير وما حل به من الاسر والضير فان كان الملك الاسود قد ظفر به وأسره توسطنا مع الملك بنو بته وزوجناه بالمتجردة ابنته ويبطل بينهم الارتياب ونزوج عبلة بعمارة الوهاب ونعود كلنا الى أهلنا وتلتقى الاحباب بالاحباب ونكون قد نلنا الفخر بمصاهرة الملك النعمان لانه اذا صار لنا معه علقة ونسب تهابنا بمصاهرته العرب فلما أن تكلم الربيع بهذا المقال قال له عمرو يا ربيع أريدك أن تصفح عما أبديته من المقال فان ظفر عنتر بالملك الاسود وسلم وأتى الى هنا وعلم بما جرى وتجدد فانه يقلع آثارنا الى الابد ولا يدع منا أحدا يلتفت الى أحد فقال له عمارة وهو فيما هو فيه من ذلة الاسر والشدائد ويلك يا عمرو ما هذا الاجنون زائد أيسير عنتر بمائة وخمسين فارسا غير أعيان ويريدون أن يلقوا عشرين ألف عنان ومعهم مثل الملك الاسود وعليهم هيبة أخيه النعمان وحق اللات والعزى ان هذا شئ قط ما جرى فى الازمان ولا يسمع بمثله انسان فى سائر البلدان وان كان فى أجله تأخير فما ينقلت أكثر من أربع فوارس مدامير ويبقى الزنيم مهجحا فى القيعان ولا يأوبه أحد من العربان ويعود علينا ويسألنا أن نسأل فيه الملك النعمان حتى اننا نعيده الى الاوطان ويبقى أذل مما كان فاترك عنك يا عمرو هذا الفزع وعدم التدبير واقبل من رأى أخى الربيع ما به عليك يشير فلما تكلم عمارة الصقيع بهذا المقال قال له مفرج بن هلال وأنا الآخر اشهدوا على يا من ههنا من الرجال انكم ان فعلتم ذلك رددنا عليكم ما أخذناه من على عبلة من المال ونكون لكم عدة ما بقيت الليال فلما سمع عمرو منهم ذلك المقال انطلى عليه ما زخرفوه من المحال فعاد الى أبيه مالك وأخبره بتلك الاقوال فخاف من ذلك الامر قلبه وزاد فزعه ورعبه وقال لولده يا ولدى لقد حسب الربيع حساب فيه

انواع

أنواع كثيرة من الصواب ولكنني ياولدى أخشى العواقب لانني قط ماخنت عنتر بن شداد الا وأصابني أنواع المصائب وأرجع أستغيث به حتى يخلصني مما أقع فيه من النوائب فقال له ولده عمرو والله يا أبتاه ان ما قلته كذلك الا في هذه النوبة فانك وحق اللات والعزى ما بقيت أبدا تراه الا أن يكون هاربا مشتتا في الفلاه فدعنا يا أبتاه نبادر الى هذا الامر الذى ساقه القضا ونجعل لنا عند الملك النعمان اليد البيضا قبل أن نلقاه ونبقى نطلب رضاه وهو لا يرضى وان لم تقبل مني هذا الامر السديد نجوت بنفسي وأدعك تفعل بنفسك ما تريد فقال له أبوه اصبر علي ياولدى حتى أحكم التدبير ولا أفعل فعلا أنا به غير خبير فقال له ولده يا أبت ذلك البك فها أنا مساعدك فيما تقربه مقل عينيك فقال له ياولدى اذا دخل الليل وطلع نجم سهيل ودنا ما نؤمله من الاوصاف فادخل أنت الى القوم وحلهم من الكتاف وسلم اليهم العدد ودعهم يجيؤن ويسوقون كل ما هنا من المال ونكون نحن معهم في الاعتقال حتى نصل الى النعمان ونعلمه بما قد دبرنا من الاحتيال فاذا سمع منا ذلك فهو يطلقنا ويجود علينا بالافضال ونكون نحن بهذه الفعلة بلغنا المراد وأمنا من عتب عنتر بن شداد ان هو سلم من هذه الرزية وعاد لانى أعلم ان نسوان أبيه وأعمامه يحدثنه بما يتم ويجرى من العمل ان هو عاد وكان له تأخير في الاجل فقال له ولده عمرو هذا هو الصواب وقد أتيت بأمر لا يعاب (قال الراوى) ثم ان عمرا صبر مثل ما أمره أبوه حتى أظلم الظلام ودخل الى القوم وأطلقهم مما هم فيه من الشدو العذاب وأخبرهم بما دبر أبوه فرآه الفرسان من الصواب ثم انه سلم اليهم السيوف الصقال وقد ذكرنا فيما تقدم انهم كلهم أبطال وقد سمعتم ما قاسى عنتر منهم من الاهوال حتى انه أخذهم وأنزلهم في القتال ثم انهم لما ملكوا في أيديهم العدد ناروا وكل واحد منهم ما يصدق بخلاصه مما كان فيه من العذاب وكان مالك بن قراد يأخذ العشرين فارسا الذين أمره عليهم عنتر قبل الرواح ويبيت بهم في فم المضيق ويحفظ المكان الى الصباح وكان في تلك الليلة قد أعلم من يعز عليه بما دبره من ذلك الايراد وأوصاهم أن لا يقاتلوا الا ان ذلك كله كيد لعنتر بن شداد ولما خرج مفرج بن هلال وخرجت معه من فم الوادى الابطال قتلوا من قاتل من أجناد عروة وغيرهم من الرجال وقد قبضوا على مالك أبي عبلة وولده عمرو وأصحابه كما وقع الاتفاق والمقال وما أصبح الصباح الا والقوم ما لكون الوادى بما فيه وقد تحكموا في أطرافه ونواحيه ثم ان مفرجا لما قتل الرجال الذى كانوا مستخفين في الوادى والرمال ما كان له شغل الا قتل بشارة بن منيع وصلبه على قرن الجبال وذلك مما كان له في قلبه من الدحال وفي الحال استخلص مفرج من كان له من العيال وكذلك حريم بني شيبان وأخذ ما كان هنالك لبني عبس من النسوان وأهان عبلة غاية الهوان وكان فعل كل هذه الكياد مما في قلبه من عنتر بن شداد ثم بعد ذلك ساق أمواله وأموال أعداه وسار طالبا ديار النعمان وهو لا يصدق بالنجاه وانهم لما استقاموا على الطريق بقي عمارة بن زياد يدور حول عبلة ويسلبها كلما رأى نحيبها وبكاها وصار يكرمها كلما نظر مفرجا يهينها ويحل بها الاذلال ويعدها بخلاصها وخلاص قومها من الاعتقال وهي لا تلتفت اليه ولا تعول عليه ولما كان من الغد نحو النهار طلع من بين أيديهم غبار وارتفع وتزوبع ونار وزاد الظلام والقتار فتبادروا نحوه ليكشفوا ما تحته من الاخبار فبعد برهة انكشف ذلك السواد وبان من تحته جيش كبير زائد المدد والعدد وهو يموج بالحديد والزرد النضيد وقدام الخيل فارس مثل الاسد وهو عظيم الهيكل طويل القد كأنه برج مشيد وهو غارق في ثياب الزرد وركائبه تخط في الارض من طول خذيه والشجاعة تشهد له لا عليه فلما بان ذلك الفارس وتحقق الحال تغيرت أحوال مفرج بن هلال فعند ذلك نادى وأعلن بالمقال وقال واحرباه يا وجوه العرب هذا والله معد يكرب فارس الخيل والجلاد وان الفرار من بين يديه خير من الاسر والاضرار لانه في هذا الجيش

الكبير ونحن فى قلة وان قابلناه حل بنا الوبال والتدمير ثم ان مفرج بن هلال أطلق لجواده العنان والتفت الى ابن عمه سنان وقال له اتبعنى يا ابن العم واترك المال والعيال فانه يخلصهم النعمان من غير قتال فعند ذلك تبعه مالك بن حسان وسنان بن العزى والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وهو يقول لاخيه الربيع ويتكلم بكلام شنيع ويلك يا أخى تهرب وتخلى عبلة بعد ما حصلت فى أيدينا وترضى لنا بالعار ولا تقاتل قدامها ساعة من النهار فقال له الربيع ويلك يا مذلول الشارب اطلب لنفسك النجاة والاتموت موت الفجأة فانها هى التى أرمتنا فى هذه المحنه وأحلت بنا هذه النكبه فاهرب والاقتلت قتل الكلاب وحل بك الذل والانتكاب لان هذا معد يكرب الزبيدى وله عند عنتر ثار من عهد خالد بن محارب لما سبى بنت عمه الجيداء وأى من وقع فى يده منا ذبحه ذبح الجديان فعند ذلك هرب عمارة وتبعه وقلبه ملتهب على عبلة بالنار هذا ما جرى لمفرج بن هلال والربيع وعمارة (وأما ما كان) من ظالم بن الحارث الذى كان أتى نجدة بنى فزارة فانه لما رأى فعال هؤلاء القوم وهروبهم من بين يديه تعجب وقال أبلاكم الله بالعطب بين العرب لانكم لا تحمون الحريم ولا تدفعون الغريم ثم ان ظالما بعد كلامه فارقهم وطلب داره وكان هذا الفارس الذى هربوا منه ولم يقدروا على أذيته يوصلوها اليه فارس اجبار يعادل بقامته عاليات الاشجار واذا وقف فى الحرب يظهر على خصمه غاية الاظهار وثبات الشجاعة عنده اذا انعطف واذا ضم فخذيه على الجواد الجارى وقف واذا لطم خصمه أسقاه كأس التلف واذا لكم جنب الجاموس انخسف وما سمته العرب معد يكرب الا لطول قامته وعظم هامته لانه كان اذا ركب الجواد العالى يخط فى الارض بإبهامه (قال الراوى) وما كان له همة الا ركوب الخيل العالية العتاق والطعن بالرماح الرقاق وضرب الاعناق بالسيوف الرقاق وكان يكبس على الحلل والقبائل ويقطع الطرقات على القوافل وليس لملك عليه وسيله ولا لبطل عليه حيله لانه شتت القبائل وأخذ عشرها ومراعيها وقد حملت اليه الاموال من سائر البلاد (قال) ومما نقلته الرواة من الاخبار أنه ما خرج فى هذا الجيش الجرار وسار فى هذه الاقطار الا فى طلب عنتر ليأخذ منه بالثار لما سمع انه نازل فى جبال الروم ووادى الرمال وتلك السباسب ليأخذ منه ثار خالد بن محارب الذى قتله عنتر وأحل به النوائب لما ذكر له عمه مالك الجيداء بنت زاهر وقد ذكرنا لكم هذا الكلام أيها السادة الكرام لان الجيداء لما تخلصت عادت الى ديارها وواظبت الاحزان ليلها ونهارها وبقيت تندب ابن عمها خالد وترثيه بالاشعار لما حل بها من تلك المصائب (قال الراوى) وقد وصفنا فيما تقدم ما فى الجيداء من الفصاحة والقوة والبراعه وقد ذكرنا أن عنترا ما قدر عليها لما مضى اليها فى تلك البلاد الا بعد جهد جهيد وأمر قوى شديد وكانت الجيداء من شدة نيرانها قد لبست السواد وضربت لها بيتا من الشعر على قارعة الطريق وواظبت البكاء والتعداد وقد أقلقت بكائها من كان بعيدا عنها أو جارها (قال الراوى) وكان معد يكرب اذا جلس على الشراب من كثرة صراخها والانتحاب يأخذه الاعجاب فينفذ اليها ويعاتبها على ذلك الامر المهول ويقول لها أما آن لهذا الحزن أن يزول فتقول له الجيداء لا وحق من لا يزول ولا يحول لا يزال حزنى يطول الا ان أدرك بابن عمى المقتول فيقول لها معد يكرب والله انها أقبح القبائح والاكماد كيف يسير مثلى الى قتال عبد من عبيد بنى قراد واجعل دمه عديل دم خالد بن محارب ويحل بنا العار فى المشارق والمغارب وحق اللات والعزى انى اذا قتلت عوضا عن خالد بن محارب الملك زهير بن خزيمة كنت أنا الخاسر فى هذه الغنيمة (قال الراوى) ثم ان معد يكرب لما اتفق معها على ذلك الوداد جعل العيون والارصاد على عنتر بن شداد وبنى قراد وسار يأخذ أخبارهم وعول على ذلك الشان حتى يسمع بحديث عنتر وما فعل مع بنى شيبان وقد بلغه أنه نازل فى جبال الردم فضبان (قال الراوى) فلما تحقق ذلك الخبر

دعا بالجيداء بين يديه واذا هى من لبس السواد كالغراب الاسحم وقد أسقمها البكاء والانتحاب وقد حلت بها النقم فقال لها يا بنت العم أبشرى بقتل عنتر بن شداد وسائر بنى قراد وسبى حريمهم والاولاد فقالت له الجيداء والله يا ابن العم ما أرضى بهذا ولا أقنع الا أن أرى ديار بنى عبس خرابا ولكن اذا شربت دم عنتر شفيت غليل قلبى والفؤاد ونقصت نار قلبى من الازياد فأخبرنى أى شئ الذى جرى من الامور لأكون على قاتل بعلى كالاسد الغيور فعند ذلك أخبرها بما وصل اليه من خبر عنتر وقال لها انه والله يا جيدا قد قام النعمان وكسرت طائفة بنى شيبان وقد فعل هذا كله وهو فى مائتى فارس من أنذال العربان فقالت له الجيداء يا ابن العم دع عنك الاغترار ولا تحتقر لا بالعبيد ولا بالاحرار لان السعادة اذا نزلت من السماء تركت أقل العبيد محكما فاقبل منى وبادر هذه الفرصه واغتنم من عنتر هذه الفرصه ودعنا نأخذ منهم بالثار ونكشف عن قلوبنا هذا العار قبل أن يسبقنا الى هلاكه الملك النعمان ونبقى نحن علينا العار ما بقى الوقت والزمان (قال الراوى) فلما سمع معديكرب من الجيداء هذا المقال ما أمكنه المخالفة فى حال من الاحوال فعند ذلك أمر بنى زبيد بالاستعداد ولبس الحديد وركوب الخيل الجياد والمهار الشداد واختار منهم خمسة آلاف فارس من الفوارس الاجواد وقد عوّل وعزم على المسير من يومه الى جبال الردم ووادى الرمال هو ومن قد صحبه من قومه الفرسان الابطال وقال للجيداء أقيمى أنت هاهنا حتى أسير أنا الى بنى عبس وأقطع منهم الاكباد والنفس وآتيك بعنتر بن شداد وأبلغك غاية المنا والمراد فقالت له الجيداء وحق اللات والعزى لا سرت الا بنفسى حتى انتى أقابلهم على فعالهم ولا بد لى أن أسقى سنانى من دمائهم وأذبح شيوخهم وشبانهم وفتيانهم وأسبى نسوانهم وأسوق عبيدهم واماءهم وأنهب نوقهم وجمالهم ثم انها لما فرغت من ذلك التهديد خلعت عنها لباس السواد ولبست عدة الجلاد وسارت فى أوائل الخيل وهى مقروحة الفؤاد من عنتر بن شداد ثم انها أنشدت تقول صلوا على طه الرسول

فنى عمرى وحزنى غير فانى * وقل تجلدى ووهى جنانى * وفيض الدمع قرح جفن عينى
ونوحى بعد خالد قد جفانى * فوا أسفا على من كان يحمى * حمانا بالحسام الهندوانى
دهانا فيه عبد بنى قراد * وساعده القضا والموت دانى * ولولا أن صرف الدهر غدر
لما أعطى الفخار بنو الزمانى * أثيروا يا بنى الاعمام حربا * على أطلال عبس والمغانى
وسوقوا من نساهم كل عذرا * باطراف القنا سوق الهوان * فما يطفى لهيبى غير طعن
بثير عجاج ذى الحرب العوان * وضرب من ضيا البيض القوانى * يعض له الشجاع على البنان

(قال الناقل) لهذا المقال بعد الصلاة والسلام على من سمت عليه الغزال وبعد ذلك سارت بنو زبيد وقد قويت عزيمتهم على لقاء بنى عبس بالابيات وما زالوا يقطعون القفار فى البر والفلوات حتى قاربوا وادى الرمل وتلك الربوات والتقوا بجيش مفرج بن هلال وهو سائر بالحريم والاموال وهو فرحان بالخلاص من الاعتقال هو ومن معه من الرجال وهرب كما ذكرنا من بنى زبيد فارسها عمرو بن معديكرب وطلب النجاه وكذلك أصحابه ورفقاه وقد دار بنو زبيد بالمال وقد فرحوا بوقوع هبته فقال معديكرب للجيداء انظرى يا بنت العم الى هؤلاء الابطال وما حل بهم من الهرب والانفلال ولكن الذئب اذا شم رائحة الاسد الريال يجرى على وجهه ويطلب البرارى الخوال وان هذا يا بنت العم مال ما فيه تعب وهو أول بلوغ الارب ثم ان معديكرب نظر الى مالك وولده عمرو وجماعة بنى قراد وهم مشدودون على الخيول فى الرباط والشداد فتأملهم معديكرب فعرفهم فعند ذلك صاح وصرخ من شدة الفرح ونادى يا للعرب يا بنى عمى ما أسعدها من طريق ثم سألهم عن حالهم وما حل بهم وما نالهم وقال لهم يا ويلكم كيف وقعتم فى يد مفرج بن هلال ونحن قد وصل الينا الخبر أنه عند عبدكم عنتر فى الاعتقال وانه

قد كسر بني شيبان وقد احتوى على أموالهم وأولادهم والنسوان ونحن نرى مفرجا سائرا بالجميع ومانرى القصة الا عميت علينا وما رأينا أحدا من رجالكم غير أولاد زياد وهم عمارة والربيع الكياد وهذه قصة عجيبة ما وقعنا لها على باطن وهذا أمر ما يمكن فيه تهاون (قال الراوى) فلما تكلم معديكرب بهذا الكلام قال له مالك والله باقتى ما كنا الا عزازا كرام وكل هذه المصايب والاموال كنا نحن السبب فيها وفى أصلها وتلك الفعال ولكن تركنا الحق واتبعنا المحال وحق الملك المتعال انا ما كنا الا أعز الخلق والرجال ثم انه حدث معديكرب بحديث عنتر وفعاله معهم وما كان من أمرهم وأخبره كيف رجع عنهم وخلاهم فى أمان من غير الزمان وانه قد سار الى الاسود أخى النعمان وقد أخبر واعنه أنه فى عشرين ألف عنان وكيف خلصوا مفرج بن هلال والقصة التى جرت من أولها الى آخرها (قال الراوى) فلما سمع معديكرب هذا الكلام قال لعنك الله يا مالك على تلك الفعال وحق الملك المتعال لقد جازيتم عنترا بايشم الجزاء ياويلكم يابنى قراد أما علمتم ان عنتر بن شداد هو الذى ترك لكم ذكرا يذكر ما طلعت الشمس والقمر ولولاه لاندثرت دياركم فوالله لقد جازيتم الرجل بيئس الجزاء ولكن ما جرت هذه العجائب الا بسعادة الجيداء حتى تأخذ بثار ابن عمها خالد بن محارب (قال نجد) ثم ان معديكرب أمر جماعته ان يبطحوه على الارض فبطحوه بعد ان تواثب اليه العبيد وأمر عبدين جليدين أن ينزلا بالضرب عليه فعند ذلك شحوه فى أربع سكك حديد وأتت له الجيداء بذكرى ثورين فنزل بهما عليه العبدان وما زالا يضربانه حتى أوقعا لحمه عن عظمه وضربوه ضربا وجيع وقد أهانوه وأهانوا بنى قراد الجميع وبعد ذلك قال معديكرب للجيداء يابنت العم اعلمى ان مالكا هو الذى أنفذ عنترا الى ديارك حتى سباك وقتل ابن عمك خالدا وأراد هذا الشيخ السوء أن يجعلك خادمة لابنته فاشفى قلبك منه ومن ولده الى أن تصل الينا الاخبار وتبرد قلوبنا بتلك الفعال والآثار لان الذى كنا اليه سائرين قتال الملك الاسود ولكن يابنت العم نرجع الى ديارنا الى أن تصل الينا الاخبار واذا سمعنا أن بنى عبس أتت مع الاسود وان عنترا معه مأسور مقيد صرت أنا الى الملك النعمان واستوهبه منه وأحضره الى بين يديك وتفعلين به كل ما تريدين وتقر بذلك مقل عينيك (قال الراوى) فلما دار بينهم الكلام طلبوا منازلهم اجمعين ثم عادوا راجعين وكان ذلك يجرى لبنى زبيد فى مسيرهم والجيداء تعذب مالكا وولده عمر اوهم يقاسون منها الهم والبأس وهم عراة مكشفون الرأس وهم يأكلون كفوفهم ندامة على ما فعلوه من ذلك الامر (قال الراوى) فهذا ما جرى للجيداء ومعديكرب وأما ما كان من أمر المنهزمين من بنى عبس وشيبان فانهم وصلوا الى النعمان ولطموا على خدودهم وقد زادت أهوالهم وقد شكوا اليه أحوالهم وأخبروه أن مقدمهم مفرج بن هلال ومن كان معه من الرجال قد وقعوا فى الاعتقال (قال الراوى) فلما سمع النعمان ذلك المقال نادى ياويلكم وفى كم التقاكم هذا الشيطان حتى فعل بكم تلك الفعال وأنتم قد سرتم فى عشرين ألف عنان فقالوا له أيها الملك المداعس قد القنا نا فى دون المائتين فارس ثم انهم أخبروه بما كان منهم وما تم عليهم وما كان من الاحوال فقال وحق النار والنور ان هذا حديث يقطع الظهور ولكن اذا لم أدبر على قتل عنتر والا صار له علينا يد وصار لنا معه شغل شاغل ثم ان النعمان أمر أن ينزلوا هؤلاء المنهزمين فى أعز مكان ويزيدوا لهم فى الاكرام الى أن يصل أخى الملك الاسود بملك بنى عبس وأموالهم والنسوان وأنفذه بعد ذلك الى هذا العبد ولد الزنا اللوغد اللئيم يسوقه بين يدى سوق العبيد حتى أعذبه العذاب الشديد وبعد ذلك أضرب رقبته وأرميه للكلاب فى القفر والبيد (قال الراوى) وبعد ذلك بأيام وصل مفرج بن هلال بعد ان خلص من القيود والاغلال وكذلك وصل أيضا سنان بن عبد العزى والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وما فيهم من كان يظن فى نفسه انه نجا ولا رأى

لعينه

لعينه فرجا ثم انهم دخلوا على الملك النعمان وهم على حالهم فى ثياب الذل والاحزان وما فيهم الا من أسال دمعه وبكى وأن واشتكى وشرح قصته فزاد بالنعمان الغيظ والغضب وتأوه واحاطت به الكرب وفى عاجل الحال أمرهم بالجلوس ووعدهم بكشف البؤس ثم استعاد الحديث على جليته من مفرج فشرح له ما صار وما جرى وأن هروبهم كان من معد يكرب وكيف تركوا الحريم والعيال والاموال فعند ذلك تعجب النعمان من تلك الاحوال وقال والله يحق لهذا الحديث أن يكتب ويؤرخ بماء الذهب لما فيه من العجب ولما زاد بالنعمان الغيظ والحرد قال يا مفرج وفى كم سار عنتر الى أخى الاسود فقال والله يا سيدى انه سار فى دون المائتين فارس ولكنهم أبطال عوابس وقد زين لهم الشيطان وجه المحال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك النعمان ذلك المقال أخذته الرعدة والرجفان والدهشة والانذهال وقال والله ان هذا الشيطان لا يفزع من الموت ولا يخطر له على بال فعند ذلك تقدم الربيع ابن زياد الذى طبعه الفساد من دون بنى عبس و باس الارض وخدم وترجم وقال أيها الملك المطاع أدام الله عليك الانعام اعلم انه ما جسر هذا العبد على ركوب الاهوال الا عشقه لعبلة بنت مالك بن قراد وهى التى ترميه فى الامور الشداد وعشقه لها أورثه الجنون ومحبته لها هوّنت عليه شرب كأس المنون فعند ذلك قال عمارة المفروش الذقن الصقيع الرقيع وحق اللات والعزى لقد صدقت فى الكلام يا ربيع لان عبلة تورث الجنون مما أعطيت من الحسن والجمال البديع والقد والكمال والحسن الرفيع فعند ذلك عرف الربيع معنى كلام عمارة وقد علم ان ذلك من كثرة عشقه لها وغرامه فهذا ما جرى بين الربيع وعماره وقد علاهم مما حل بهم الذل والخساره ﴿وأما الملك النعمان ومن حوله من الرجال والاقران فانهم أوقعتهم قلوبهم على مفرج بن هلال وعلى فرسان بنى شيبان وما ذهب لهم من الاموال والحريم والنسوان بخجل يطيب قلب مفرج بن هلال وبعده برد أمواله والحريم من غريمه وجعل يقول لمن حوله من الامراء والاصحاب والحجاب والله يا وجوه العرب الانجاب ما بقى لنا وجه نطلب منه الفرج وبلوغ الآمال الا بقدوم أخى الاسود ومن معه من الابطال فانه ان أتى بجميع ما نريد ومعه أعداؤنا أسرى مربوطين فى السلاسل والاغلال بلا غنامنهم الآمال وان كسر عنترا بالمائتين فارس الذين حدثتمونى عنهم سلمنا نحن الملك اليه وننظر لنا بلادا نهرب اليها ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك النعمان ما قال هذا المقال الا من شدة الغيظ الذى نزل عليه من تلك الاحوال وما جرى عليه من الهم والوبال ﴿قال الراوى﴾ وما جرى فى أيام الجاهلية من القيل والقال ومن غارات بعضهم على بعض ورحيلهم ونزولهم فى اتساع تلك الارض أنه بعد أيام قلائل وصلت الى الحيرة طائفة من بنى جذام ولخم الذين انهزموا من قدام عنتر بن شداد فى وادى الرخم وهم فى حالة الندم مما قد اعتراهم من الجوع والعطش والعدم ومنهم من يلتفت الى وراه ولا يعلم ما دهاه على رفقاه وقد أتعب أكثرهم النجب والمهارى وهى التى تمشى بهم فى هذه البرارى ﴿قال الراوى﴾ ومما اتفق من هذا الامر الذى هو نجيب وغير سقيم أن النعمان كان فى ذلك اليوم قد ركب فى موكب عظيم من أرباب دولته وأكابر مملكته وقد خرج من مدينته وجعل يسير الى مقاطع أرض النجف لعل أن يجد بذلك سرورا وتحف فلما نظر الى ذلك ورأى غبار المنهزمين تأتى الى أن ظهر من تحته فرسان وهم منهزمون وقد ترامو ابين يديه ونعوا أخاه الملك الاسود اليه فلما نظرهم الملك النعمان اشتد به الحرد وقد انبجم لسانه عن الخطاب وقال لهم ما حالكم وما الذى دهاكم هل ظفر بكم عنتر بن شداد فقالوا اى وأبيك ظفر بنا وبأخيك الملك الاسود وما نعلم ما جرى بعدنا عليه من النكد فقال لهم النعمان يا أولاد الاندال نحن سمعنا ان عنترا سار اليكم فى مائتى فارس من الابطال وانتم كنتم

فى عشرين الف عنان اقبال فكيف ظفر بكم وفعل بكم هذه الفعال وكان معكم اخى الاسود الذى اذا غضب ما يبقى على احد ومثله فى التدبير لا يوجد فقالوا وحق نعمتك التى بها علينا انعمت قد كنا فى عشرين الف فارس كما ذكرت وزادت فينا طائفة اخرى مقدار خمسة آلاف من بنى مره وكنا وقعنا فى الخسران لاننا سرنا مع اخيك الى بنى عبس وعدنان واحطنا بهم من كل مكان وانجزنا امرهم وانزلنا بهم الهوان واسرنا زهير املكهم واولاده واجناده واخذنا نساءهم واولادهم والعيال ونهبنا مالهم من الاموال وعدنا راجعين والى عيون الغضب معولين وفرحنا ونحن مستبشرون وسرنا وقد اكثرنا من المال وقد جدنا المسير ومازلنا سائرين الى ان ضجينا من التعب وما فينا الا من اكل الزاد والطعام وامتلأ فلما عطشنا قنا الى راوبات الماء فرايناها ناشفة فأيقنا يا مولاى بالهلاك والبلاء وقد زادنا الظمأ وحل بنا الانبهار وصارت الارض كأنها شعلة نار فلما رآنا اخوك الملك الاسود وقد اشرفنا على العطب اشار علينا ارباب دولته أن ننفذ بين يديه النجاب بالقرب فعندها امر بذلك الشان فسارت قدامنا مائة فارس على النجب والمهارى من مقدمين العربان وساروا حتى انهم يجيؤن بالماء ويريحون الناس مما نالهم من الظما وشدة الباس فكان عنتر يا ملك الزمان مالك الغدير وقاعد النا فى الانتظار وقد اصطاد أصحابنا الكبير والصغير وقد عمل يا ملك عنتر اشياء ما احد عملها فى دار الدنيا ثم انهم أعادوا عليه القصة من اولها الى آخرها وشرحوا له باطنها وظاهرها وقالوا ايها الملك قد سمعنا ان اصل بلانا كله من اخيه شيبوب لانه اتانا فى الليل وأراق الماء وتركنا فى حالة العدم والويل فعند ذلك قال لهم الملك النعمان وهو يعض على أصابعه وقد عظمت فجائعه هل منكم من يعرف أخى أعاطب أم سالم فقالوا له والله يا ملك الزمان ما معنا خبر منه فاردد النعمان كلاما لان لسانه انعجم عن الجواب ومازال كذلك الى آخر النهار حتى وصلت آخر المنهزمين وانقطع مدد الواصلين فأخبروه أن أخاه الملك الاسود سالم من القتل وقد أسره عنتر هو وخمسة آلاف فارس أجواد من بنى لخم وجذام وعلى بن بدر والباقى قد أهلكهم عنتر بالسيف يا ملك الزمان (قال الراوى) ثم انه كان الربيع بن زياد حاضرا ذلك المقال فكاد الغيظ أن يخنقه من فعال عنتر فعند ذلك أدار وجهه الى الملك النعمان وقال أيها الملك لا تأخذك فكرة من هذا العبد ولد الزنا الشيطان وأنت أمرك نافذ فى كل مكان اكتب الى سائر القبائل وهى تأتيك واقلع بها آثار بنى عبس فقال النعمان والله يا ربيع أنت الذى فتحت علينا بشؤمك بابا لا ينسد وأحوجتنا الى اخراق الهيبة مع هذا وضيعت حرمة الملك والسلطنة الى هذا الحد ولقد كنا والله نحن ما بيننا وبين هذا الرجل معاملة ولا مشاكلة وان هذا يا ربيع باب أشأم الابواب وما أنت بعدها لنا من الاصحاب ولا من الاحباب ولقد رميتنا مع هذا الكلب ابن الكلاب فيا ليتك ما كنت جئتنا ولا رايناك وكنت قد استنجدت بغيرنا من قبائل العربان على هذا الشيطان ابن الف قرنان لاننا كنا منه فى امان لا نلتفت اليه ولا يلتفت الينا فأتيتنا ورميتنا فى شره وابليتنا بذكره حتى وصلنا معه الى خرق الحجاب وكثرة الالتزام ثم ان الملك النعمان بعد ذلك الكلام تنهد وتحسر وقد ابدى الاسلام وسكت ساعة من الزمان ثم كتب كتابا الى معديكرب يخبره بما كان من الاحكام ويعلمه بكسرة الملك الاسود وبنى لخم وجذام ثم انه امره بالقدوم اليه بجميع ما تحويه يده من الفرسان ويقول له اطلق الحريم التى لبنى شيبان وردّ على مفرج بن هلال جميع ماله من الاموال لانه قد نهبه عنتر مرتين وما ترك له حالا من الاحوال فالله تعالى يلقيه على الرجال وانا اردّ عليك اكثر مما أخذت من اموال وجمال ثم انه بعد ذلك اوصاه فى آخر الكتاب بالحفظ على عبلة ومن معها ثم قال له وانا اسألك لا تفرط فى احد منهم وانا اعطيك اضعاف ما ذكرت اذا اصبح هذا العبد هالكا واريد منك أن

تأتى

تأتى على عجل ولا يأخذك تهاون ولا كسل (قال الراوى) ولما فرغ النعمان من ذلك الكتاب دعا بنجاب وسلم اليه ذلك الكتاب وقال له خذ هذا واوصله الى معديكرب واثنى منه بالجواب فأخذه النجاب وسار الى ان اوصله الى معديكرب فأخذه منه وقراه فتعجب ثم قال لله در هذا العبد الذى قد اخذ العروسة وحازها على كل الامم فوالله ليكونن له حديث شائع فى المشارق والمغارب ويظهر منه شئ كثير من العجائب لان هذا ما جرى لاحد قبله ولا بعده وان هذا العجب واى عجب وانه يحير العجم والعرب وأنا ما كنت منقطعا عنه الا خيفة من العار لانه كان فى الاول راعى جمال وكان برازه ذلا وشنار واليوم عاد برازه فخار لانه أهلك جبابرة كثيرة وقد قاوم مثل الملك النعمان وكل من قهره فى الميدان نال الفخر العظيم وعلو الشان (قال الراوى) لهذا الكلام ثم ان معديكرب بعد ذلك الكلام أرسل خلف الجيداء فحضرت فشاورها فيما يعمل من العمل ثم حدثها بحديث النعمان وقال لها أنت تسيرين ومعك سائر بنى شيبان الى عند الملك النعمان وأنا أسير الى لقاء عنتر بن شداد فى ثلاثة آلاف فارس شداد وآتى به هو والملك زهير وأسوقهم الى عند الملك النعمان فى الذل والهوان واذا أنا فعلت هذه الفعال لا يرجع النعمان يخالف لى مقال فقالت الجيداء أنا ما أقدر أن أسير الى النعمان الا ومعى سائر بنى قراد حتى لا أخاف عليهم العذاب والانكاد فقال معديكرب وهكذا أوصانى الملك النعمان فى الكتاب ثم ان الجيداء تهيأت ومن الغد سافرت فى مائة فارس من قومها وساقت بنى قراد قدامها وسارت طائفة العراق وكان من جملة الاسارى جرير وقد قاسى من العذاب أمرا نكير وما قدر على خلاصه الا ذلك اليوم لانه التقى فرصة فأخذ فى عرض البر وطلب جبال الردم وأما معديكرب فانه بعد رحيل الجيداء أخذ ياسادات يا أخيار صلوا على صاحب الانوار ثلاثة آلاف فارس يضرب بهم المثل وسار بهم من غير مهل * وأما عنتر فان اخاه جريرا وصل اليه وأخبره بما كان من الاحوال فلما سمع عنتر هذا الاثر قام الى الملك زهير وأعلمه بالخبر وكان الملك زهير لما وصل الى الجبال ورأى الاماكن خوال أخبر عنترا فى عاجل الحال وعلم انه يبقى مصير الاجل هذه الاحوال فقال يا ملك ما أسفى الا على بنت عمى لانى أعلم ان عمى اذا وصل الى النعمان يزوج عبلة بعمارة فقال له شيبوب والله يا أخى كل ما جرى هو من عملك مالك ومازال عنتر كذلك الى ان وصل اليه جرير وأخبره بالخبر وهو فى بكاء ونواح وأخبره كيف سارت اليه بنو زبيد وما لقيت عبلة من العذاب الشديد فقال الملك زهير وعلى ماذا عولت يا أبا الفوارس قال يا ملك على أن ألقى معديكرب بنفسى واصطلى نار الحرب وأقاتله بالطعن والضرب واذا وقع فى يدى طلبت منه عبلة وأعمامى والا ضربت رقبته أمامى وسرت الى الملك النعمان وخلصتهم منه بالسيف فقال له الملك زهير افعل يا أبا الفوارس ما تريد فانا لك سامعون ومطيعون ثم ان عنترا أخذ أهبته للقاء فقال الملك زهير لقومه يا بنى عمى اعلموا ان هذا الفارس القادم علينا هو فارس هذا الزمان فقال عنتر يا ملك كن أنت مطمئن القلب من جهة هذا الفارس أنت وقومك فانى لكم حارس ثم ان عنترا خرج من باب المضيق ليحرس قومه فى ظلام الليل وفى ثانى ليلة فعل كذلك وعند الصباح خرج بنو عبس فما وجدوه فقلق الملك زهير وتحير حيث لم يجدوه وقال ما أظنه الا سار وحده وان مسيره الى بنى زبيد ومعديكرب مجازفة ومن الصواب أن نعينه على ما يلقاه ثم قال لولده مالك خذ معك ثلثمائة فارس وسر الى معونة عنتر فقال شداد والله يا ملك ان كان عنتر قد فعل هذه الفعال فما هو الا خطأ والصواب انا نساعده كما قلت فقال الملك زهير والله يا أمير شداد ان هذا الامر ما فيه شك ولا عناد ولا سار ولدك الا لبنى زبيد فافعل أنت يا مالك ما قلت لك من الفعل الحميد فامتثل من والده ذلك الرأى السداد وتوجه سائرا بالفرسان وفى صحبته شداد وأخوه زخمة الجواد (قال نجد) فهذا الذى جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من عنتر بن شداد رئيس الفرسان فانه

كان قد اغتاظ من وصف الملك زهير لمعديكرب صاحب المواقف المشهورة فى العرب فقام اليه وحده وبذل نفسه معه ولومات فى بلوغ قصده (قال الراوى) وكان معديكرب الآخر قد سار فى بنى زبيد مع رجاله كما ذكرنا واستمر فى مسيره حتى قدم على وادى الرمل وبقى بينه وبين الجبال يوم واحد فأحضر قومه للمشورة وقال يا بنى عمى أنا خائف أن تكون قد وصلت أخبارنا لبنى عبس فيخافون منى ويتحصنون فى الجبال ويشرعون فى القتال ويدركهم الملك النعمان ولا نبلغ الآمال والصواب أن أسبقكم أنا الى الجبال وأهجم على بنى عبس على غفلة وألقى فيهم القتال فما تصلون أنتم الا وقد انقضت الاشغال فقالوا نعم ما أشرت فأخذ من قومه خمسين فارسا وسار من أول الليل ومازال حتى عبر نصف الليل فسمع قدام رجلا يسير فى الظلام وهو مجنب الطريق فقال معديكرب لبعض رجاله الكرام انظر من هذا الذى هو سائر فتقدم الزبيدى وقال له من أنت والى أين قاصد فقال يا مولاى أنا من بنى زبيد وقد أنفذنى مولاى الى بنى عبس لكى أشرف له على أخبار عنتر بن شداد وها أنا قد عدت اليه ومن طرف من الخبر فقال له الزبيدى تكذب يا ولد الزنا فها نحن بنو زبيد سائرون الى بنى عبس ثم مد يده ليطعنه فضربه شيبوب بنبلة فى صدره فرقت تلمع من ظهره فلما وقع الى الارض زعق معديكرب وقال واحرباه قتل والله صاحبنا دونكم وهذا الرجل أعدموه قواه (قال نجد) فعندها طلبه أربع فوارس فلما رآهم طلبوه ضرب آخر بنبلة فرماه وأوسع فى الفلاه فما لحقوا له غبار ولا وقعوا له على آثار وما غاب الا ساعة وعاد وخلفه فارس كأنه طود أو بعير حل من قود وهو ينادى يا أوغاد غير انجاد أنا عنتر بن شداد ثم انه انصب على الخيل انصباب السيل وكالهم بالسنان أو فى كيل فقتل منهم اثنين فى طعنة ورمى الثالث من غير مهله والرابع رماه شيبوب بنبلة فى فؤاده فنكسه عن جواده والذى سلم عاد الى معديكرب وهو ينادى بالويل والحرب فلما سمع معديكرب بالحال أخذه الوجد والبلبال ثم حمل على عنتر والتقاه وهو كأنه البحر اذا زخر وتقاتلا حتى جرت بينهما العبر وجرى الدم من أجسادهما على التراب ومازالا يتطاعنا الى ان بدا مفرق الصباح (قال الراوى) لهذه الاخبار صلوا على كامل الانوار فنزلا على وجه الارض وتعاركا عراكا قويا فمل معديكرب واضمحل فنظر عنتر اليه فرأى دموعه تجرى على خديه فطمع فيه ورفعه على يده وضرب به الارض فكاد أن يخلط طوله فى العرض ومن شدة الوقعة حصل له الوهن وتقايا ما شرب من أمه من اللبن وشده كتاف وركب عنتر جواده بعد ما شده على جواده بالعرض حتى آل الى التلاف وكذلك فعل شيبوب بأسيره الذى رماه بالنبلة ثم قال عنتر عدينا يا أخى الى الجبال حتى نبصر على أى شئ ينفصل الحال لان معديكرب اما أن يطلق عبلة ومن معها والا رميت رقبته ورقبة الاسود معه وأخلص أنا قومى بالحسام فلما سمع معديكرب من عنتر ما قال تال يا أبا الفوارس ما يحتاج الى هذا التهديد والمقال فعبلة تأتيك وكل ما معها من الاموال وجميع أصحابك يخلصون من الاعتقال وأنا أيضا أرد قومى عنك وأكون لك عبدا من دون الرجال وأتخذك لى صديقا على ممر الايام والليال وربما أتوسط لك فى الصلح مع الملك النعمان ويأتيك منه الامان قبل أن يسير اليك بكل العربان فلما سمع عنتر من معديكرب هذا عرفه أنه الهذيان وقال له اسمع يا معديكرب اعلم ان هذا الذى تقوله كذب وبهتان وما أنت أهدى منى اليه حتى تناله يا قرنان وسوف يبلغك ما أصنع أنا بالنعمان لانى ما عاديته وبذلت سيفى فى الفرسان الا حتى أرفع عنى اسم العبودية ومرادى ان أعمل سلطان وأعمل على صلبك أنت وكل من عادانى يا قرنان (قال الراوى) فلما سمع معديكرب جوابه انقطع عن خطابه وعلم انه جبار مكين وعرق لا يلين وما سار عنتر غير قليل فى البيداء حتى سمع حس صهيل خيل بنى زبيد قد طبقت البيداء وكانوا سائرين على عجل لانهم يريدون أن يلحقوا صاحبهم معديكرب من غير مهل

فلما

فلما سمع عنتر حس الخيل ورآهم قال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام تقدم أنت بأسراك الى قدام حتى أرد أنا هذا الجيش الذى هو مثل الغمام تأملوا يا ذوى الافهام ولم يرض عنتر ان يقول لاخيه أرسل لى نجدة من بنى عبس حتى نلقى بها هؤلاء الفوارس الذين رماحهم قد سدت مناقس الشمس ثم ان شيبوبا سار بعد يكرب والفارس الآخر وعنتر قد واجه القوم وصاح فيهم صياحا منكرا فخاوبته الفرسان بصياح يحير الافكار لانهم رأوا القتلى الذين كانوا مع معد يكرب فخارت منهم الابصار وقد طعموا فيه لوحدته فتجاروا اليه الخيل وقالوا له يا ابن الاندال أخبرنا من فعل باصحابنا هذه الفعال فعاد اليهم من غير كلام وخاض فيهم تحت القتام وترك رؤسهم تحت الاقدام ومازال يقاتل ويمارس حتى رمى منهم الى الارض مائة فارس فلما رأوا ذلك أيقنوا بالعطب وصاحوا على بعضهم سدوا عليه الطرقات والاثنتكم فى الفلوات فحملوا من كل جانب وضيقوا عليه السباسب فبينما هو كذلك واذا بغبرة بنى عبس قد ظهرت وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان وشيبوب قدام الخيل كأنه ثعبان وكان قد التقاهم فى الطريق وعرفهم انه ترك أخاه فى غاية الضيق فساروا الى أن رأوه فى هذا الامر المنكر وهذه الانكاد وحملوا على الاعداء كأنهم الآساد فلما رأى بنو زبيد هذه الاهوال تفرقوا فى جنبات البيد وقد تبعتهم بنو عبس الاماجيد وعادوا وقد بلغوا النصر والتأييد وكسبوا المال والانعام والتقى مالك بن زهير بعنتر فعانقه وجدد معه الوداد فشكره عنتر وأثنى عليه وقال والله يا أبا الفوارس لو لقيناقد امنا لاجلك المهالك لما كافأناك على فعالك معنا فشكره عنتر على ذلك الكلام ودخلوا الجبال وهم كلهم فرحون بهذه الاحوال ولما خلى قلب عنتر أضمر معد يكرب وقال له اكتب الآن كتابا الى النعمان وافد نفسك بعبلة ومن معها من النسوان وجميع مالها من الاموال والا أسقيك كأس الوبال فعندها كتب معد يكرب الى النعمان كتابا يخبره فيه بما كان (قال الراوى) لهذا الديوان صلوا على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وكان الذى فى الكتاب من معد يكرب للنعمان يقول الذى نعلم به الملك على العربان العزيز الشان أن الزمان يتقلب ويأتى بكل عجب ثم سأله أن يمن عليه بالمال ويخلصه من الاسر والوبال ثم كتب أيضا الى الجيداء يقول الذى نعلم به بنت العم أن الدهر يأتى بكل عجب ولم يزل بأهله يتقلب والزمان غدار والعاقل لا يأمن اليه لا فى الليل ولا فى النهار ومن قال ان مامثله فى جميع الابطال فقد أخطأ فى المقال وقد كنت جاهل ولا أناس بعاقل لانى وقعت فى يد فارس لا يبالى بالموت ثم ان معد يكرب شرح للجيداء فى الكتاب كل ما عليه من الاسباب ثم أوصاها أن تحسن لنسوان بنى قراد وان تكرم عبلة كل الاكرام وأخاها عمرا وأباها مالك وتعتذر اليهم فيما فعلت معهم من العذاب وقال لها لا تدعى لهم من المال ولا عقال فأكون طول عمرى عند عنتر فى الاعتقال ثم سير الكتاب مع نجاب من بنى عمه من جملة المأسورين وأوصاه بسرعة العودة فقال السمع والطاعة وسار حتى وصل المغيرة فرأى القبائل حولها كالجراد والملك النعمان يخلع على الفرسان الشداد وكانت الجيداء قد وصلت اليه وحدثته بالحديث ومسير معد يكرب اليه فقال النعمان للفرسان والجيداء وحق النار ما كان مسير معد يكرب الى هذا البلد صوابا واذا هم برسول معد يكرب قد وصل وأخبر النعمان بحديث عنتر والذى جرى من الامر والشان فاشتغل قلب الملك النعمان وهام وعاد فى بحر الافتكار والاوهام وجمع وجوه قبيلته وقرأ عليهم الكتاب فلما سمعوا ما فيه من الخطاب غابت عقولهم والالباب وتاهوا جميعا عن الصواب ثم سكت الجميع عن رد الجواب فازداد النعمان غضبا وامتلأ عجبا وقال أنا لا أبدى ان أسير الا اليه بنفسى ومعى هذه القبائل ولا أترك من بنى عبس لا فارسا ولا راجل فقال له وزيره عمر بن نفيلة العدوى أيها الملك العزيز الشان القوى السلطان اذا أنت فعلت ذلك لم تبلغ مراد لانك اذا سرت

بهذا الجمع العباب ورأى أنه ماله طاقة على لقاء هذه المواكب والاعراب اخرج أخاك ومن معه من الاحباب و يقول لك ارحل عنى بهذه الامم والاضربت رقبة أخيك ومن معه من الانذال الذين هم فى الاعتقال فهل يطيب على قلبك ان تبيع دم أخيك ومعه خمسة آلاف فارس من عشيرتك بدم عبد لاقدر له ولاقيمة ولاشان فقال النعمان لاوحق النيران ولكن كيف يكون العمل والتدبير فدبرنا برأيك أيها العزيز والاب الكبير فقال يامالك قبل كل شئ اهتم فى خلاص الاسارى وافعل بعد ذلك ماتشاء والرأى عندى ان نرد الجواب لعنتر فى كتاب وتقول له ان أردت أن تفدى عبلة فاطلق أخى الاسود وجميع من عندك من الاسارى وأنا أطلق لك عبلة ومن معها وان أبيت أنفذت لك رأس عبلة وأصلب كل من عندى واعلم يامالك الزمان انك اذا طلبت من عنتر كل من فى الارض بعبلة أرسلهم اليك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع النعمان ذلك راه عين الصواب وأمر أن يكتب لعنتر كتاب وان ينفذه من ساعته مع نجاب ففعل الوزير تلك الاسباب وأنفذه مع نجاب وأقام ينتظر الجواب وسار الرسول حتى وصل الى جبال الردم فمنعه العبيد والابطال الذين رتبهم عنتر يحفظون باب الجبال ثم دخل بعض العبيد الى عنتر واعلمه بالحال ﴿قال الراوى﴾ فأذن للرسول بالدخول بعد ما أقعد الملك زهير على سرير ملكه ودارت به الفرسان من أقاربه وأهله ووقف عنتر بحجبه فعند ها دخل الرسول وسلم بقوة جنان ورمى الكتاب الى زهير فقرأه وأعاده على عنتر والحاضرين فقال عنتر أنا أطلق الجميع لكن على شرط أن ترد على عبلة ذات الجمال وما كان عليها من المال ولا يضيع من مالها عقال والا أكون محاربه طول الايام والليال فلما سمع الرسول هذا الخطاب عاد من وقته ودخل على الملك النعمان وأعلمه بما جرى وكان وما الذى قال عنتر فارس الزمان فلما سمع النعمان كلام الرسول قال له وما قال الملك زهير فقال ياسيدى ومن هو زهير من الناس عند هذا الاسود الجحجام والله لازهير ولاغيره يقدر ان يرد له جواب كلام ولا تظنوا اليوم ان ملك بنى عبس غير عنتر بن شداد فقال النعمان أذل الله رقبته وأرغم أنف قبيلته ما أقل نخوته ولا بد لى ان أذل رقبته ﴿قال الراوى﴾ ثم اطلع وزيره على ذلك الحال وقال أيها الاب الكبير ماذا يكون الحال فقال له رد عليه عبلة وخلص أخاك ومن معه وبعد ذلك دبر على هلاكه ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك أحضر النعمان مال عبلة بالتمام ولم يفقد منه عقال حتى التاج والكم والعصابة والاكليل وسلمهم لها وأمر باطلاق بنى قرادكلهم من الاعتقال وقال لمالك ياشيخ تسلم ابنتك وهاهى مالها عليها وهؤلاء قومك سيروا عنا فعند ها قال مالك أبو عبلة للربيع بن زياد بالله يار بيع اتركونى هنا عندكم فى الاسر والعذاب الاكبر ولا أكون كل يوم أصبح وأمسى بوجه ذلك العبد الاغبر فقال عمارة والله يامالك كنا كذلك ولا يلذ لنا عيش حتى نراه هالك فقال الربيع والله ياعمارة هذه الحسرة بها غوت وكلنا كذلك حتى يدركه الفوت ثم انهم سار وامع الاموال والعيال حتى وصلوا الى الجبال ﴿قال الراوى﴾ لهذه الاقوال وخرج عنتر والملك زهير الى لقائهم وفرحت الاحباب بالاحباب وهنأ بعضهم البعض وسلم على عمه وهنأه بالسلامة فدعا له مالك وشكره على ذلك ثم قال والله يا ابن الاخ كل الذى جرى علينا من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد لان الربيع قد لعب بعقل بعض العبيد فحملهم من الكلف والحديد وعادوا علينا تحت الظلام وجرى علينا مالم يجر مثله على أحد من الانام فعند ها تبسم عنتر وأظهر الحلم والجلد وقال صدقت ياعم لان أخى جويرا أخبرنى بذلك وسلامتك هى أحسن واسد ثم انه اقبل على ابنة عمه عبلة وسلم عليها وقبلها بين عينيها وسألها عن حالها وما لها فقالت يا ابن العم ماذهب منه حسبة واحدة بهيبتك ياسيد الابطال ولاجسر النعمان ان يأخذ منى شيأ يساوى عقال فقال عنتر وحياة عينك لو أخذ لك شيأ يساوى حبة لضربت رقبة أخيه الاسود ثم أمر عنتر باطلاق الاسارى بعد ما عراهم من الثياب الملاح

وأخرجهم

وأخرجهم من الوادى حفاة عراة بأسواحال فقال الاسود يا أبا الفوارس أما تخاف من غدرات الزمان اذا سيرتنا هكذا حفاة عراة لاشئ تركبه ولازادنا كله (قال الراوى) لهذا الديوان فقال عنتر أنا اعلم انكم تسيرون من هنا وتجمعون العربان وتعودون الى قتالى بكل من سكن القيعان وأنا أحق بخيلكم ألقاكم بها وأقاتلكم عليها اذا أتيتم الينا وأما المأكل والمشرب فقدامكم كثير لانكم تأكلون من نبات الارض وتشربون من غدرانها وامانحن فقوم محصورون فى هذا المكان على انى وحق ذمة العرب ما أردت اطلاقكم بل اردت ان أضرب رقابكم واقل ما كانت العرب تقول عنى انى عبد ولدزنا وهذا تقولوه أنتم وغيركم ولوانى أطلقتكم ألف مرة وأحسنت اليكم ألف كرة وكان الصواب قتلكم وراحة قلبى منكم وما على اكثر من اللوم فسيروا من قدامى بلامهل واخرجوا من وجهى بالعجل ودعوا النعمان يأتى الى فى أهل السهل والجبل فقال الملك الاسود لا يا أبا الفوارس لاتفعل بحق ذمة العرب فانى لا أقدر ان امشى ولا فرسخ طريق فلاتشمت بى العدو والصديق فان لم تمن على بشئ يحملنى والا فاجذب حسامك واقتلنى ومن هذه الحياة المنكدة ارحنى والا فارحمنى بفضلك وارجع الى طيبة أصلك فقال عنتر لشيبوب يا ابن الام تصدق على هذا الفقير بما يركبه وأخرجه من وجهى والا العجل عطبه (قال الراوى) وما فعل عنتر تلك الفعال بخلا منه بالمال وانما اراد ان يريه انه ليس للنعمان عنده قدر ولا قيمه * هذا وشيبوب قد دخل الى الجبال وعاد بشيطنته وغباوته ونكادته وخرج وهو يقول خذ هذا العطاء واهرب لئلا يقتلك اخى عنتر فنظر الملك الاسود عبدا وقد امه جمل اعور بادى النابين مهدول الشفتين أعرج من يديه المقدمتين مخنف الجانبين لعابه ومخاطه يجرى على شفتيه كالمزرابين وخلفه ذلك العبد الذى جاء به شيبوب وهو عبد اصلع الرأس معرقص الحاجبين وله من خلف ومن قدام حدبتين يغزل من رجله الشمال وكله عيب وشين والعبد سائر وراء ذلك الجمل وهو يضرب اجنابه بالعصا وكلما ضربه ضربة يتأخر الى وراء والعبد يحدى ويقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

أنا الغلام الاغبر * والشر منى يكثر * والخيل منى تنفر * لان خلى اعور
فمن بنا يصبح * فانه يدمـــــر * وأى جيش قد رأى * خيالنا ينكسر
فى يومه أو فى غـــــده * وفى ثلاث يقبر

(قال الاصمعى) هذا والعبد يلعلع وكلما وقف الجمل ضربه على أجنابه بعصاه الى عند الملك الاسود وقد أتى شيبوب ومعه ناقة ضعيفة جرباء عوراء لايزال لعابها على خطامها بعنق رقيق مرخية الاذان بارزة الاسنان مكوية على اجنابها قوراء زرية الحال نظرها يفرق الكلاب تحيد عن الطريق وتقصد الروابى والمضيق رغاؤها مزعج وصياحها مدهش لاتصلح لحاجة ولاتسوى دجاجة وما أتى بها شيبوب الا لاشمة وشيطنة ولجاجة وقال له شيبوب هذه الناقة اركبها وهذا العبد يخدمك واحملوا زادكم على هذا الجمل وعد الى ديارك والا العجل أخى بوارك (قال الراوى) فلما نظر الاسود الى ذلك الجمل والناقة هانت نفسه عليه وهان ملكه عنده وحلف لا يركب الناقة ولا يتبعه هذا العبد ولو مات فى الطريق فقال له شيبوب اغد بها هذا الثلاثة أخى او يعلم انك رددت عطاءه فينلف مهجتك (قال الراوى) فخرج الاسود الى الجبال وهو كثير الحسرات وسار يقطع البر والفلوات ثم ان عنترا بعد ذلك دعا بعد يكرب فخز ناصيته وأطلقه وقال له أنا ما فعلت بك هذه الفعال الا لاجل ما فعلت الجيداء بينت عمى عبلة وتركتها عندها فى الاعتقال فعند ذلك خرج معد يكرب وهو فى اسواحال وسار الجميع وهم يذمون الزمان والاسود يقول وحق النار ان ضرب الرقاب خير لنا من هذه الاسباب وما زالوا كذلك ليلا ونهارا حتى وصلوا الحيرة ورآهم العربان الذين اجتمعوا فى ذلك المكان ونظروا اليهم وهم عرايا بسوء حال فأخذهم

من ذلك الانذهال ووصل الخبر الى النعمان فجرى عليه مالم يجر على انسان وخرج للقاء أخيه فرآهم النعمان وهم عراة حفاة مكشفون الرؤس بأسوا حال فأخذه الانذهال وأفاض على أخيه من الخلع والاثواب واستعاد منه ما جرى من الحال فخدنه بما جرى له فى الاعتقال فزاد به الغيظ وقد حلف وشدد فى الايمان انه لا يبقى من بنى عبس لا صغيرا ولا كبيرا ولا أى انسان (قال الراوى) وكان النعمان قد قال هذا المقال من شدة غيظه الذى قد ملأ فؤاده ولما ان تكلم بهذا الكلام تقدم اليه حجاب بن عامر وباس الارض بين يديه وقال أيها الملك أدام الله عزك ومجدك أى شئ هذا المقال الذى يعود علينا وبال كيف تسير بنفسك الى عبد أسود وانت عندك من ينوب عنك وانا أسير اليه فى مائة فارس واصرم لك عمره وآتيك برأسه ورؤس قومه وأسوق اليك نساءهم وبناتهم سوق الاماء وأبلغك منهم غاية المنا وأنا الضامن ذلك الضمان وانا صاحى غير سكران وسأريك ما تعجز عنه ملوك الزمان وجبابرة الفرسان فقال النعمان لا وحق بيوت النيران لا قبلت ذلك ولا أسير الا بنفسى وكل من فعل شيأ قدامى شكرته وأفضت عليه انعامى وأكرمته لانى أعلم ان الملك كسرى قد سمع طرفا من هذه القصة وربما ينقل امرة العرب يسرى فهيؤا أنتم أشغالكم فى هذه الخمسة أيام حتى نسير اليه فى تمام (قال الراوى) فعندها تصرفت الابطال وأخذت فى اصلاح الحال وبعد ذلك رجع حجاب وهو يقول لسادات قومه من بنى كندة يا وجوه العرب لقد دخل قلب النعمان من هذا العبد فزع عظيم ولولا خوفى من معصيته والخروج عن طاعته لكنت سرت وحدى وقضيت هذه الاشغال (قال الراوى) وكان الملك كسرى قد جعل له على النعمان عيونا من خواصه وأصحابه من أجل نقل الاخبار وكلما جرى أمر من الامور أطلعوه عليه وكان عنترة أول ما نزل بجبال الردم ووادى الرمل سبى بنى شيبان وفعل بهم تلك الفعال وأسر مفرج بن هلال فانفذوا الى كسرى وأعلموه بذلك الحال ولما ظفر عنتر بالملك الاسود والحديث الذى تقدم كتبوا بذلك بطائق وأرسلوها اليه فلما سمع كسرى بتواتر تلك الاخبار عظم عليه وقال كسرى فهذا العبد الاسود ذلك المشؤم الانكد قد فعل فى النوبة الاولى ما فعل لما أتى يطلب مهر بنت عمه عبلة ووقع فى أسر المنذر أبى النعمان وقتل حاجبى الخسروان وقتل جماعة من الفرسان الذين فى أرض خراسان وقبلت فيه سؤال الوزير الموبذان وجازيناه بالاحسان لاجل قتله للبرموط الذى قدم علينا من انطاكية وأعطيناه التاج والعصابة وحكمناه فى بيوت الاموال وأعدناه الى قومه بنعمه لا يقدر عليها الا ملك من ملوك الزمان ثم قلنا انه يكون لدولتنا من الانصار فعاد العبد اللئيم الى خساسة أصله وغره الطمع غاية الاغترار لاجل عدلنا ونظرنا اليه بعين الاحتقار والآن ما بقى فى الامر الا قتله وهلاك قومه والا طمعت فينا العربان ولا بد لى ان أنفذ بعض حجابى فى طائفة من الفرس الشجعان لاجل اقامة الهيبة والاعظمت النوبة ثم أمر وزيره فخرج اليه من يومه فى خمسة آلاف من عساكر خراسان وقدم عليهم حاجب جليل المقدار يقال له وردشان وكان رجلا حبارا خبيرا بالحرب والكفاح وقال له الموبذان يا وردشان لا تتكل على قتال العرب ولا بتدبير النعمان بل كن أنت فى المقدمة واحذر أن تجعل الذكر الا للعجم حتى تنال من الملك النعم فقال الحاجب أيها الاب المعظم وحق النار اذا اضرمت لاعدت الاحتى اهدم البيت وأهد حجارة الحرم وأهجم العرب من أرض الحجاز الى الروابى والاكم وأذبح الابطال ذبح الغنم ولا أدع فى الارض من يسجد لصنم وصار يجد السير الى أرض النجف ورأى من قد اجتمع حول الحيرة من العرب وكان النعمان قد عول ذلك اليوم على الرحيل الى قتال عنتر وقد عرض العرب فرآها ثلاثين ألفا الا ان بنى فزارة وصلت اليه مع الشيخ بدر بن عمرو وسائر اخوته وحذيفة وباقى بنى زياد ومن يتعلق بهم الا ان الملك النعمان لما علم بقدوم حاجب كسرى ركب الى لقاه وعظم قدره عند ملتقاه وقال أيها

السيد

السيد ما الذى أزعج قلب ملك الزمان حتى حرك للسير مثلك ياحاجب وردشان (قال الراوى) لهذا الديوان فقال له وردشان يانعمان تواترت الاخبار بعجزك عن قتال عبد أسود كشحان فأنفذنى الى كشف الضر عنك وعن العربان وأسوق اليه هذا العبد الاسود المهان فقال النعمان وقد صعب عليه ذلك الامر والشان اعلم أيها الحاجب وحق النار والمعبد الاكبر لقد كذب الذى قال هذا المقال وذكرنى بالعجز عند الملك العادل وانما جمعت هذه القبائل وكنت أنا اليه سائر (قال الراوى) فضحك الحاجب وقال يامالك العرب هذا من عجزك تسير بثلاثين ألف فارس وتخلى هذا العبد لك مقايس (قال الراوى) فسكت النعمان ثم أمرهم ذلك الحاجب بالمسير وسار فى المقدمة ولم يلتفت الى أحد من العرب ورحل بعده جار فى بنى كندة (قال أبو عبيدة) ياأخيار صلوا على النبى المختار وقد انضافت اليهم بنو فزارة وتتابعت بعدهم قبائل العربان وقد اسودت الدنيا من كثرة الغبار وكان عنتر قد أنفذ أخاه جويرا حين أطلق الملك الاسود وبنى لخم ومعديكرب وقال له يا جوير لا تعد الا ان تراهم رحلوا الينا فسار جوير وهو فى زى العبيد وما برح حتى وصل وردشان وجرى من الحديث ما تقدم ذكره ورحل مع القوم أول يوم وفى اليوم الثانى فارقهم وصار يقطع البر والقفار حتى وصل الى جبال الردم ودخل على أخيه وهو يرعد من هول ما رأى وحدث أخاه عنترا بالذى جرى فتبسم عنتر اوقال له اسكت ياجوير ولا تعظم القصة فوحق ذمة العرب لا تركت أحدا منهم على طريق ولو كانوا فى عدد رمل العقيق ثم انه أخذ معه أباه شداد وعمه زخمة الجواد وعروة بن الورد ودخل على الملك زهير وأخبره بما سمع فشاور زهير عنترا فى أمر القتال فقال عنتر يامالك أى شئ نتشاور فيه فما لنا مشورة الا الضرب بالسيوف الصقال ونحمى هذه الجبال حتى تلعب برؤسنا الخيل ثم قال عنتر أعلم يامالك الزمان ان الامر أعظم من هذا وأقرب وأنت وأولادك لا تباشروا قتال ولا حرب ولا تزال حتى تروا الاعداء تهوى أجسادى على رؤس الرماح العوال وأنا قد رأيت من الرأى ان آخذ معى ألف فارس وأسير الى لقاء هذا الجيش العرمرم فقال شيبوب ياأخى أنا أسير معكم بشرط أن تسمع منى ما أقول فقال عنتر ياأخى قل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك فقال شيبوب نسير فى هذه الالف فارس وأنا أسير بكم الى وادى السيل الذى لا بد للقوم من العبور فيه وأخفيكم فى جنباته حتى اذا وصلت العساكر وازدحمت فى جنباته فاخرجوا وازعقوا عليهم وقد حلوا فى ضيق المكان وتبدل خوفهم بعد الامان وربما عادوا على الاعقاب وداس بعضهم بعضا فى طلب الهرب والذهاب فقال عنتر والله لقد أشرت بغاية الصواب وأحسنت فى هذا الحساب ثم قال فعند ها انتخب عنتر الرجال وكان قد اجتمع عنده فى الجبال ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس ولما انتخب عنتر الابطال أوصاهم بحفظ الحريم والعيال وسار من يومه فى ألف فارس كلهم شجعان (قال الراوى) وكان وادى السيل هذا أقرب الى جبال الردم من الحيرة بيوم وسبق عنتر وكمن فيه برجاله وأبطاله وطلع شيبوب الى أعلا الجبال وقعد لهم ديدبان يرصد الاخبار وهو مختف بين الصخور الكبار ويتأمل الاقطار يمينا وشمال وكانوا قد سبقوا النعمان بنصف نهار وأخذوا راحة حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وعند المساء طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار (قال الراوى) فعند ها صاح شيبوب وقال تأهب يا بن الام للحرب والقتال فها قد أتاك العسكر والابطال وكان النعمان سائرا فى آخر العسكر وهو متذلل بنفسه منكسر القلب من كلام الحاجب الذى لكسرى ثم انه لما قارب الوادى نزل بالعربان قريبا منه خوفا من زحمة المضيق واستترت الاعجام سائرة وهى نازلة الى الوادى متقاطرة وفى المقدمة وردشان وكان هذا الحاجب من شدة عجبه بنفسه قد صار فى المقدمة وقد عقد سبالة خلف أذنه وهو حنق القلب على العرب يقول انه يهلكهم ويحل بهم العطب وهو لا يصدق انه يرى عنتر وكذلك جار بن عامر الآخر وقد تبعته بنو فزارة وأيضا بنو زياد وكلهم يبغضون عنتر بن

شداد الا انهم مادخلوا شعاب الوادى حتى أقبل الظلام واتفق انها كانت ليلة مظلمة سوداء معتمة فعادت
عليهم الرياح وقامت الرماح فى وجوههم من اليمين والشمال وتكدرت الروابى والتلال واختلطت
فرسان العجم بالعرب وازدحموا وعمت الكرب ﴿قال الراوى﴾ لهذه الاخبار فعندها صرخ عنتر فى أصحابه
فارتجت الجنبات وأجابته بنوعبس بتلك الاصوات ومافيهم الامن ضرب فارسا فرماه * هذا وعنتر
ينادى أين تأخذون ياكلاب ياأوغاد غير انجاد هاانا عنتر بن شداد فارتاعت لهول صرخته الاجساد
وارتعدت الاعضاء من زعقاته الشداد وقد تغيرت الالوان من هيبته وظنت العجم أن الوادى عليهم قد
انطبق وعاينوا ملك الموت فى المكان الذى خرج منه عنتر وزعق فوقع بالجيش الرجفان وكادت روحه
ان تتعلق وكادت الرجال أن تقع فزعا وفرقا وأخذهم السيف فى ظلام الغسق ولم تعرف الاصدقاء من
الاعداء وسالت الدماء من وادى السيل وتلك الجنائب وفاضت فيضان السحائب والخلق مزدحمة والدم
شبه السيل اذاهمى ومابقى يعرف الانسان روحه فى الارض أم فى السما ونادى جحار فى بنى كندة ياويلكم
دونكم والموضع الذى نزلنا منه والارحنا غلط وفرط فينا الفرط ولقد كان الصواب مع النعمان ثم عاد فى
طائفة بنى كندة وترك الباقين بالاعاجم مختلطة وكان عنتر قد فعل تلك الفعلة وقتل من قتل وطلب
رأس الوادى والجبل وانسل باصحابه من المعمعة وخرج بالجمل ومعه عروة البطل ﴿قال المؤلف﴾ لهذا القيل
والقال وكانت أيضا معه جماعة من بنى قراد وصار كل من وصل الى باب المضيق وطلب النجاة صاحوا فيه
وأخذوه أسيرا وان كان هو مستيقظا تركه غفيرا فبينما هو كذلك واذا بجحار بن عامر قد طلع والسيف فى يمينه
يلمع وجواده من تحته يتعثر وقد ظن انه نجا ورأى من الموت فرجا فالحق ان يشم الهواء حتى ضرب شيبوب
جواده بنبلة فوقعت فى نحره ووقع جحار من على ظهره فهم أن يثور فأدركه شيبوب وأخذه أسيرا وشده
بالكتاف وطلعت من بعده بنوزياد الارغاد فأخذ منهم عنتر ثلاثين من بنى بدر ونجا الربيع وعمارة عند
اشتغاله ببنى فزارة وما كان عنتر عرف منهم أحدا والا فما كان الربيع نجا ولا عمارة رأى له فرجا ولم يزل
القتال يعمل الى نصف الليل ولعبت بجماجم القتلى حوافر الخيل وباتت الاعاجم خاسره بين طوائف
العرب وهى مثل البحار الزاخره وطلع وردشان من المضيق وحوله جماعة من فرسان خراسان وهو يهز
فى يمينه العامود ويهدر هدير الاسود وكان قتل خمس فوارس من بنى عبس وجماعة كثيرين من بنى
كندة فأبصر أصحابه وقد وقع فيهم الفناء فأخذ خواصه ونجا وما هو الا أن ظهر من تلك الشعاب حتى
انقض عنتر عليه مثل العقاب وعارضه ولم يعرفه بل طعنه فى جانبه الايمن فقلبه وعجل عطبه فرأت أصحابه
ما أصابه فهزوا الحراب الى نحو بنى قراد فجرحوا عشرة أبطال وقد قتلوا ثلاثة ودفعوا الخيل وهجموا على
وجوههم وتتابعت بعدهم المنهزمون وقد انجلى عنهم وبان الضوء وجعلوا يطلعون من باب الجبل
وهم كتائب وكراديس وطلائب وعنتر واقف على رأس المضيق وكل من وصل اليه زعق فيه
فينذهل فيرمى عنه العدة وينهزم ويختبل وشيبوب يرمى فيهم بالنبال والرجال تطعن فيهم بالرماح
الطوال والارواح تهرب من الاجساد والدموع تجرى على مفارقة الحريم والاولاد حتى ان الهارب
اذا رأى شجاعا قال هذا عنتر بن شداد ولما انجلى الصباح قل العدد وانقطع المدد وعاد عنتر ورجاله الى
الوادى فرآه يسيل بالدما وقد أقلقه أنين القتلى ومافيه الا رجل مجروح أو جسد بلا روح فقال عنتر
لاصحابه خذوا أنتم هذه الاموال والرجال وسوقوا الاسارى فى الجبال ﴿قال الراوى﴾ المؤلف لهذه
الاقوال وكانت هذه الليلة تعد بليال وتحسب بسنين طوال وكان عنتر فيها خلا من الفحول الثقال
ورجاله قد أشغوا الغليل ورموا الفرسان بالويل والنكال وكانوا قد أسروا من الفرس ثلاثمائة فارس
من عرب وعجم فشدوا الجميع مع حذيفة بن بدر ثم عادوا وهم طالبون جبال الردم ووادى الرمال وساروا

وعنتر فى المقدمة والجيش بين يديه وخلفه والى جانبه عروة وعنتر متفكر فيما يقدم عليه فى وادى السيل مع هؤلاء الجيوش والعشائر وقد أخرج يده من جلباب درعه وأشار الى عروة يخاطبه بالشعر ويقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

حى ياعروة وادى السيل حى * حيه مادمت يا ابن العم حيا * كم غلام شاب فى ليلته
رأسه من بعد ما كان صبيا * كم شجاع قد رأى ما هاله * وتمنى أن يرى الصبح مضيا
فسقاه الموت كأسا علقما * من حسامى ثم ناداه عتيا * يالها من ليلة قضيتها
برجال يبصرون الموت غيا * من بنى عبس اذا ما عبسوا * أهبطت أنسابهم سعدا وطيا
ولهم خيل اذا ما ركضت * عاد صوت الرعد للركض خفيا * سائلى ياعبل عنى واسمعى
خبرا يشفى الداء الدويا * لناسقت من أعدائى لما ان أتوا * يطلبونى كل جبار عتيا
ومزجت الماء بالسيف دما * بحرى كالسيل فى الوادى طريا * خبروا النعمان انى أسد
مخلبى رمح تسامى سمهريا * من دما الابطال شربى كلما * شربت فرسانهم كأس الحميا
عندى الانصاف فى يوم اللقا * واذا خان العدا كنت الوفيا * لا أبالى باستلامى للقضا
لاولا اندب بينالى دهيا * أشبع الاطيار من أجسادهم * بقنانى ثم رمحى السمهريا
وأنا من خير عبس منصبا * وبهم أفخر كهلا وصبيا

(قال الراوى) لهذا النظام بعد ألف ألف صلاة على المظلل بالغمام هذا الذى جرى لبنى عبس وعدنان وأما ما كان من الملك النعمان وما جرى له من الامر والشان فانه كان قد نزل بالقرب من الوادى الذى ذكرناه وهو حاسب مثل هذا الحساب فوصل اليه أول المنهزمين فى الليل وهم يدعون بالثبور والويل وأخبروه بما فعل عنتر وانه قد قطع منهم الاثر فعند ذلك هاجت العسكر وعول أكثرهم على الهرب والذهاب هذا وقد ركب النعمان وقال للعرب ياويلكم تقدموا الى رأس الوادى ولا تتركوا أحدا من المنهزمين يختلط بنا فى هذا الليل الهادى والاوقع فينا السيف فتقدمت فرسان بنى لخم وصارت تستقبل المنهزمين من العجم وتردها الى الفضاء وأما العرب فانهم ركبت واعتدت واقامت تنتظر المدد الى ان أصبح الصباح وعرف كل خصمه بحقيقة النظر وحدثوا النعمان بما فعل عنتر فاشتغل قلبه غاية الاشتغال وتعجب من تلك الفعال وأقبل أخوه الاسود ومعد يكرب فى آخر العسكر وسارت بعض القبائل تقطع ذلك البر كما قطعت ذلك الوادى الاقفر الذى فعل فيه خلاصه عنتر ومازالوا سائرين الى ان أشرفوا على جبال الردم ضحوة النهار وكان عنتر وصل اليها قبل انشقاق الفجر وشد الاسارى وقال لاخيه نادى فى العسكر ان يأخذوا الاهبة والعبيد يستعدون بالحجارة الكبار فعند ذلك نادى بوريق الابطال وأعلمهم بذلك المقال وأخبرهم بالحال فاعتدوا للقتال وتأهبوا للقاء الابطال (قال المؤلف) لهذه الاقوال صلوا على من سلمت عليه الغزال وقد ركبوا الخيل الجياد وطلعت العبيد لحفظ جوانب المضيق بالقسى والنبال وقد حملوا معهم الحجارة والصخور الكبار وخرج الملك زهير وأولاده وتقدم موكب بنى قراد وفى أوائلهم عنتر بن شداد الذكى الفؤاد وما فرغ من هذا الترتيب حتى أشرف عليهم النعمان وعلى رأسه علم ذهب من اعلام كسرى أنو شروان ولما قارب النزول دقت الطبول واهتزت الارض عرضا وطول وازدحمت البيارق السود والاعلام والبنود والبازات الذهب السلطانيه ودقت الكاسات الكسرويه ومدت سرادقات النعمان مقابل باب الوادى وعلت قبابه ونزل مفرج بن هلال وطائفة من بنى شيبان عن يمينه مع الربيع بن زياد وبنى فزارة ونزل معد يكرب فى بنى زبيد ومراد عن يساره ولما هدأت الطوائف أبصرت بنو عبس قلة عددهم فقلوا فى أعينهم ونظروا عنترا بين أيديهم وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو واقف بميزا العسكر

القادم فلما رأته بنو كندة زادت أحقادهم وقد تقدموا اليه وتبعهم بنو شيبان أصحاب الضرب والطعان وطلبوه من الاجانب وأخذوا معه فى الطعان والطراد من كل جانب (قال المؤلف) لهذا الايراد بعد الصلاة والسلام على خير العباد ولما طلع ذلك الغبار وانعقد وكثر على ابطال عروة العدد أدركهم عنتر بالمائة فارس الاخرى فتصادمت الخيل الجياد وصارا الصلاح الى فساد * هذا وعنتر يسير من خلف رجاله ويجر رمحه من وراء ظهره وينظر ميامنهم ومياسرهم وهو كلما رأى جانبا منهم تضعضع وكثر عليه العدد حمل عليه كالجمل اذا شرد والاسد القوى اليد ثم قال لابد أن أمحو هذا الاسم ولم يزل ينشر الرجال بطعناته وضرباته والمواكب تتعجب من قتاله واهتمامه ونقماته حتى عبر نصف النهار وتضعضعت فرسان بنى كندة ووقع بهم الانبهار وطلب أكثرهم الهرب والفرار وقد كسرها عنتر بهيبته وعروة بهمته وهو فى مائتين فارس وكان اخصامهم فى ألفين فارس ثم عاد وقد قتل من رجاله عشرون وقتل من الاعداء سبعمائة بطل وعند عودتهم تلقاهم عنتر وهنأهم بالسلامة وصار يشجعهم ويقول والله يابنى عمى ما تعلولكم المنازل الا بالصبر على النوازل ومن لم يصبر على النوائب لم ينل أعلى المراتب وطمع فيه الغرباء والاقارب فقال عروة بن الورد والله يا أبا الفوارس ما نصرنا هذا اليوم الا بهيبتك وحسن فعالك وقتالك وعلو همتك ولا تمت لنا هذه الفعال الا بكونك خلف ظهرنا فشكره عنتر وأما الملك النعمان فانه نزل فى السرادقات وهو متعجب بمسير تلك القبائل الى فارس واحد * قال ولما جرى فى القضية ما جرى وأخبر النعمان أكابر دولته بفعال عنتر وأصحابه وكيف كسر بنى كندة فى مائتين فارس قال هذا الرجل قد جعل الحرب دأبه والضرب والطعن شربه ثم أخذ الراحة الى ثانى يوم ثم أمر النقباء بترتيب الصفوف * ثم ان عنترا هم ان يبتدر النعمان بحملته ويدهمه بصولته ويبلغ منه قصده ومنيته ويأسره فى الميدان بحملته واذا بالجيداء بنت زاهر قد أقبلت فى طائفة من بنى زبيد وهى مقبلة كالبرج المشيد مسربلة بالحديد وفى يدها قناة خطية وعليها لباس بالسواد وهى مقروحة الفؤاد بعلامة الحزن على ابن عمها وبعلها خالد ابن محارب الذى قتله عنتر (قال المؤلف) ثم ان الجيداء لما صارت بين الصفوف ورمقها الطائفتان صرخت وولولت وبكت وتحسرت وبدمع عينها تشرقت وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول

يا قومى قد قرح الدمع خدى * وجفانى الرقاد من عظم وجدى
ولباس السواد قد هد حيلى * وبرى ذا السقام عظمى وجلدى
كان لى فارس سقاه المنايا * عبد عبس بجوره والتعدى
بدرتم هوى الى الارض لما * رشقته الحمام من كف عبد
وتركنى من بعد كثرة جندى * ورجالى أكابد الهم وحدى
يا قتيلا بكت عليه البواكى * فى جبال الفلا وفى أرض نجد
وبكاء الحمام لما توالى * وشكا من مقامه فى الغمد
كان مثل القضيب قدا ولكن * قده صرف دهره شوم قد
يا قومى من يكشف العار عنى * ويراعى من بعد خالد عهدى

(قال الراوى) فوالله ما وصلت الجيداء الى تلك الابيات حتى صاحت عن بكرة أبيها بالاصوات بالثارات خالد وحملت بنو زياد وقد أطلقت الاعنة وقومت الاسنة وصار لهم ضجة ورنة وقد جردوا السيوف وهم يهجمون فلما رأى الملك زهير ذلك الحال عاد فى باقى الابطال وقد حمل بنفسه يطلب القتال وقد عملت الرماح الطوال وطارت رقاب الرجال ووقعت الرؤس من الاعناق وقام الحرب على قدم وساق ووقع بهم الخوف والعدم وكلما سمعوا بأن عنترا دهمهم طلبوه بالقنا والقواضب ودار وا به من كل جانب وقد

كشفوا

كشفوا رؤسهم وزمجروا بالحملة عليه وقد خففوا ملبوسهم وكانوا سبعة آلاف بطل همام وليث قمقام ويتبعهم ألفا فارس من بني لخم وجذام وأيضا جماعة من العربان من فرسان الملك النعمان وبين أيديهم معد يكرب يدمدم كما يدمدم الاسد الضرغام (قال الراوى) ولما نظر عنترا لى حملتهم علم أنهم لا يريدون غيره لاجل ما فى قلوبهم من الاحقاد والكياد فالتقاهم بنفسه وأخذ معه عروة بن الورد ورجاله وثلاثمائة فارس من أبطال بنى عبس واستقبل رماحهم استقبالا كما تستقبل الارض العطشانة قطر الغمام وصار يسحبها على رواق درقته بصناعته وكان الذى يدهمه أو يناجيه من الانام يبرى أعلاه بالحسام وهو يفترسهم بهمته افتراس الاسود للاغنام وقد ملأ الصحراء من قتلاهم والآكام وله صوت ودمدمة كأنها دمدمة الرعد فى الغمام ولم يزل على ذلك الحال وتلك الاحكام الى ان كسر كل هؤلاء وبدد منهم جماعة من الفرسان وملأ بقتلاهم الميدان (قال الراوى) وابصر الجيداء وهى تحرض الرجال وتعلن بنداها الابطال فطلبها عنتر وقاربها وزعق فيها فأرعبها وطعنها بعقب الرمح فقلبها وكسر لها ثلاث مواضع من جانبها (قال الراوى) فلما رأى ذلك معد يكرب نادى عنترا شلت يداك يا ابن الامة اللخناء أتظن ان الايام لك كل يوم بالسعادة تدوم فأبشر فهذا اليوم عليك مشؤم ثم حمل وأراد أن يطعن عنترا فما أمهله أبو الفوارس وقال له خذ حذرك ثم طعنه طعنة الحنق وضربه بالسيف فقطع حديده ووثاق زرده ووصلت الضربة الى جسده فأجرت دمه وأشرف على عدمه ومن حلاوة الروح سار فى الآكام طالبا الحمام وحمل عنتر بعد ذلك على بنى زبيد فما كان لهم بحربه طاقة فولوا وتقهقروا وخرج عنترا لى وراء رجاله ووقف يرعاهم ويحفظ بنى عبس وصار الملك زهير خائفا عليهم من حملة الملك النعمان وكثرة المواكب الذين معه من قبائل العربان وأما النعمان فانه اندهل وأخذه الفكر فيما شاهد من عنتر ومن بنى عبس الاخر (قال الراوى) وكان النعمان قد أراد أن يرسل الى زهير يطلب منه الصلح من غير حرب ولا نزال فما أمكنه الوزير عمرو من ذلك بل قال له أيها الملك القوم فى هذه الساعة قد بحوا علينا وزاد طمعهم فينا وان طلبت منهم سلما يا بوا ويقولوا لولا خوفهم منا ما سألونا ولا طلبوا منا الصلح والصواب يا ملك انك تذلهم بكثرة الخلائق وتأمرهم أن يدوروا بهم من المغارب والمشارق ويفنوا أكثرهم بالسيوف البوارق وتلقى هيبتك فى قلوبهم حتى يجيبوك الى ما تريد (قال الراوى) لهذه الاخبار فصير النعمان وفى قلبه نار الوقود فلما رأى فعل عنتر ببنى زياد زاده الهيمان والتنكيد وعول ان يأمر بالحملة الى سائر العربان واذا بأخيه قد حمل بباقى الفرسان وهى العشرون ألف فارس الذين معه ودار وا بعروة ورجاله وانقضوا عليهم مثل انقضاض العقاب وزاد الصياح من كل جانب ومكان وطلع الغبار وقد تقنطرت فيه من أعلى السروج الفرسان وتضاربوا باليمان وتطاعنوا بالسنان فأبصر عنتر ذلك فأمر أباه شداد وعمه زخمة الجواد أن يحملوا بالالف فارس ثم انه تبعهم وزعق فيهم وقال يا بنى عمى لا تفزعوا من كثرة العدد فها أنا وراكم أحفظ أقصاكم وأدناكم وأنا أنظركم وأرعاكم فمزقوا أعداكم بضارب السيوف وفرقوا هذه الالوف ولا تخافوا من الحتوف فعند ذلك حملوا بقلوب قوية ونيات صحيحة وخيول مستريحه وصاحوا ببنى لخم ففرقوهم عن عروة ورجاله تفريق الغنم وصاح عنتر ثانيا فولى الجبان وانهزم وقام الحرب على ساق وقدم وصاح سبع المنايا وهجم وزعق وتقدم ووقع الجبان فى العدم ثم ان عنترا أبصر النعمان فقال عنتر وا تأخيراه عن القتال فعلم النعمان انه يخبى نفسه لساعة الاهوال فزعق وصاح فى العشرة آلاف الذين عن يساره وأمرهم بالحملة مع مفرج بن هلال فحملت ومعها الربيع بن زياد واقتحمت العجاج والسواد وتصادمت الخيل الجياد ومالت الابطال الشداد وهم الملك زهير أن يحمل فى باقى بنى عبس فلم يمكنه عنتر بل قال يا ملك أنت وأولادك احموا ظهرى بفم المضيق ولا تحملوا حتى ترى النعمان حمل ثم حمل عنتر فى ألف آخر

وأكب راسه فى قربوس سرجه ودمدم بين آذان الابجر فخرج من تحته كالبرق الخاطف اذا غشى البصر ثم انه الهب الحرب واحماها وتلقى الابطال بالضرب وأجرى دماها وأغمد سيفه الظامى فى قعها وكلاها وضرب بسيفه الرماح فبراها وأطعم الوحش من لحوم القتلى وأقراها * هذا وبنو عبس قد جاوبته بنداها ونادى بعضها بعضا بأسماها وأقرنت شدائدها ورخاها وقد عظم مصابها وبلاها وغيبت المعمعة جميع الفرسان بضياها وأورثت الرجال بلاها (قال الراوى) لهذه السيرة وقد كشفت المنية عن أنيابها وأيقنت النفوس بذهابها وزادت نار الحرب وقوة التهابها ودارت أيدى القضاء على مشايخها وشبابها ونفذت الاسنة فى قلوبها وألبابها وعلقت النائبات فى لحوم الابطال أنيابها وقطعت السيوف من الرجال رقابها واحتجبت الشمس وكان الغمام حجابها (قال أبو عبيدة عفا الله عنه) وطارت الجماجم من أعالى رقابها وشاب من الفرسان شبابها وكانت الحرب مثل جهنم وعنتر بوابها والفرسان أحطابها وكانت جاجم الفرسان نعالا لدوابها وكان الملك زهير كلما أبصر بنى عبس تقهقرت بسعفها بمائة بعد مائة حتى بقى هو وأولاده وأجناده حوله فى ثلثمائة فارس كأنهم الاسود القناعس ورأى الربيع ذلك فزاد به الاستبشار وخرج فرحان من تحت الغبار وقال للنعمان يا ملك الزمان أما ترى الى بنى عبس قد ضاعت بين هذه الخلائق ولولا أسودهم عنترما كان بقى منهم أحد وهذا الملك زهير واقف فى باب الشعب وأولاده بين يديه فلم لا تأمر بعض القبائل بالحملة عليه وتضع السيف فيمن حواليه وربما أسرتهم وهجمت الوادى وسبت العيال وأخذت النساء والاموال وقد انفصل الحال فقال النعمان بالله عليك يا ربيع دع هذا الهذيان واصبر حتى تنظر على أى شئ ينفصل الحال وهذا أمر والله طويل ولابد ان يتحدث به جيل بعد جيل ويعايرنا بفعله كل قبيل لان هذه الاربعين ألف فارس لا يفزعها شئ وما بلغت منها غرضى فوحق النار ان أصحابنا هم الخاسرون وان بنى عبس هم الرابحون والصواب يا ربيع أننا نلزم الناموس والا لعبوا بنا فى القيام والجلوس وحل بنا كل شين وبوس ونقع فى البلاء والنحوس لان مضيق القوم محفوظ بالرجال ولهم على أحاقيف هذه الجبال عبيد مثل زبل الجمال وعندهم الحجارة الثقال وأكثرهم بالقسى والنبال وما يقبل عليهم الا من زال عنه الاقبال (قال الراوى) لهذه الاقوال بعد ألف صلاة على المظلل بالغمام سيد أهل الكمال فقال الربيع وقد واقعه الخجل والله يا ملك لولا هذا العبد ولد الزنا كنا بلغنا الامل وها أنت تسمع صوته قد أقلق الارض شرقا وغربا وهو لا يعمل طعنا ولا ضربا ولو كان بين يديه رجال تعرف شيأ من الحرب كان انفصل الكلام فقال النعمان وحق النار وما فيها من الانوار لئن لم يقتل هذا العبد لا ينتج حينا ولا يفلح أبدا (قال الراوى) ولم يزل القتال يزداد ويكثر العناد الى ان ولى النهار فنادوا بالانفصال وقد ملوا من الاصطدام وطلب كل فريق منهم مضاربه والخيام والتقى الملك زهير بأولاده وهم سالمون غانمون ومن ورائه سائرون وعنتر وراءهم مثل شقيقة الارجوان وأكمام درعه تنقط من دماء الفرسان وجواده منقع بالدما وبياض رجليه صار أدهما من رؤس القتلى الذين صاروا رمما وهو ينشد ويقول بعد ألف صلاة ترضى نبينا محمدا الرسول غاية المسؤل والمأمول ورضى الله تعالى عن ابن عمه زوج البتول وأشار لهذه الابيات التى تطرب العقول

يا عبل قرى بوادى الرمل آمنة * من العدا واذا أحرقت لا تخفى
فدون بيتك أسد فى أناملها * بيض تقد أعالى البيض والجحف
لله در بنى عبس لقد بلغوا * كل الفخار ونالوا غاية الشرف
خافوا من الحرب حتى أبصروا فرسى * تحت الجحاجة يهوى بى الى التلف
ثم اقتفوا أثرى من بعد ما علموا * ان المنية سهم غير منحرف

خضت الغبار ومهرى أسود حلك * وعدت وهو خضيب من دم الجيف
مازلت أنصف خصمى وهو يظلمنى * حتى غدا من حسامى غير منتصف
اذا يعاب سوادى لو جهلت به * فالدر يستره ثوب من الصدف
وماشرفت بقومى بل هم شرفوا * بما بلغت من العلياء والشرف
وقد سلكت من العلياء منزلة * بدر الدجا لو علاها عاد وهو خفى
والارض ملكى وسكان الفلا خدمى * وفوق ظهر السها والمشترى شرفى
لولاك ياعبل ماذل الهوى عنقى * ولادعوت دعا يعقوب وأسفى
عسى تجودى بوصل منك ياأملى * يحيى الفؤاد من الآلام والتلف

(قال الراوى) لهذا النظام فلما سمعه الملك زهير هنأه بالسلامة وقال له لله درك ودر أبيك وباركت اللات والعزى فيك فما أفصح كلامك وما أمضى حسامك ثم افتقد بنى عبس فوجدهم قد فقد منهم مائة فارس فقال وحق الفرد الصمد لولاك ماكان اليوم رجع منهم أحد لانى رأيت العرب قد شالت عليهم مثل الزبد ولكن بهيبتك انتصروا وبسيفك تخلصوا فشكره عنتر على ذلك الحال والكلام ونزل الناس لاكل الطعام وأخذوا الراحة وهم محترسون لانفسهم ايقاظ لارواحهم وأما الملك النعمان فانه نزل بعد ما أنفذ أخاه الاسود للقبائل والفرسان وحسبوا من قتل فكانوا أربعة آلاف وسبعمائة فارس وأكثرهم من بنى زبيد لانهم تقدموا قدام المحافل فقال النعمان وحق النار والنور ان دامت علينا هذه الامور فما يبقى منا من يخبر بخبر من فعال هذا العبد عنتر وهذه مصيبة ما رأى غيرنا شكلها ولا وجد مثلها ان لم تدركنا القبائل والا أصبح عزنا زائل فقال الوزير أيها الملك الامجد وحياتك ما أهلك الناس الا هذا الاسود لانه قد طمع فى الحرب وعلم انه ليس له مقاوم ولو كان هنا فارس مثله يلقاه لكان لعب السيف فى أصحابه ورفقاه والا فما دمنا هكذا ما نبلغ المقصود ولو اننا بعدد قوم عاد وثمود لان عنترا ما حمل على موكب الا ومزقه ولا فريق الا وأهلكه فقال النعمان أيها الوزير وحق النار وشمس النهار لوانى كنت أعلم انى ألتقى هذا الملتقى فى هذه البيدا ما كنت بت فى هذا المكان أبدا وقد كنت حسبت انى أصل الى هذا المكان فى الحال وأحضرهم فى الجبال وبعد ذلك أعتقهم وأطلب منهم المتجردة بنت الملك زهير وأتصل بهم لانهم فرسان وأى فرسان أشجع منهم فى هذا الزمان لاسيما عبدهم الاسود الذى ناره فى الحرب ما تخمد لانى اذا كنت أنا ملك العرب وخلفى مثل هذه الطائفة العبسيه هابتنى جميع الملوك القصية والدنيه ووقعت لى الهيبة فى قلوب العجم وصرت عند كسرى معززا مكرم ولكن كيف الوصول الى هذه الحالات والمراتب العاليات وانى وحق النار هانت عندى نفسى وصغر ملكى فى عينى وزادت محبة هؤلاء القوم فى قلبى وان لم أتصل بهم والا مت بغير أجلى (قال الراوى) ثم نزل فى مرادقه وكاد الغيظ أن يخنقه وهو متفكر فى هذا الامر العسير وزاد الحرس من الطائفتين والجد والتشمير وأوقدت بنو عبس النيران على الجبال فصارت كأنها مواكب من نار ذات لهب متلال وما زال الامر كذلك حتى طلع الصباح وركبت عساكر النعمان على نتايات باردات هامدات لان أكثرهم قد أتى للنهب وما ظن انه يلقى من قتال بنى عبس هذا الملتقى ولما أبصروا منهم تلك الفعال أيسوا من نهب المال وفترت نياتهم عن القتال وصاح عنتر فى بنى عبس فتبادروا مثل السباع الهوامل وقد حدثوا أنفسهم بكسر تلك القبائل وفى تلك الساعة وصل الى النعمان نجدة من اليمن عشرون ألف فارس وهم طوائف مختلفة وفيهم طائفة يعبدون القمر يقال لهم بنو الاشتر وأيضا حامى بلاد اليمن الى حد سواحل البحر وصاحب أرض الطلع وهو الذى ضربت به الامثال وتعوذت منه صناديد الرجال لان

هذا الفارس كان يقاتل فارسا وراجل وكانت تفزع منه الملوك الافاضل (قال الراوى) وكان لطيف الخلقة رقيق الشارب شديد يقاتل بالعمد والمزاريق واذا عدا على قدميه قبض وحش الفلا بيديه الاثنان خلقته وحشة المنظر وكان قصيرا أسمر غميق السواد زائد الخبل والنجب قليل المثال فى قبائل العرب وكان الملك النعمان ينفذ له الهدايا على طول الزمان ويتحفه بالخيول والاموال ويرجو منه النصر على كل الشدائد والاهوال ثم انه لما قدم فى ذلك اليوم أكرمه النعمان وأحسن اليه والى رفقاه وترحب به عند ملتقاه وقال له النعمان ياغاسق وحق النار ما أتيت الا فى وقت الحاجة اليك ثم أخبره بما هو فيه من الاخبار فعندها تبسم غاسق من كلام النعمان وتقدم وباس الارض وقال أيها الملك أدام الله عزك ونشر بالعز والعدل فضلك لو كنت أنت صبرت حتى وصلت أنا اليك ما كنت أحوجتك الى هذه القبائل بل كنت أنا سرت وحدى الى هذه الطائفة وبلغت منها المنى ولكن ما كان أيها الملك الا هكذا وأنا وحق الملك المتعال ما أقود اليك الا عنتر بن شداد ولا أترك من أصحابه من يخبر بخبر ولا أخرج للعرب الا عارى الجسد من الحديد والزرد حتى تنظر هذه القبائل فعلى وتشهد انى ما فى زمانى مثلى (قال الراوى) وبعد كلام غاسق التفت فرأى الصفوف قد تعدلت فعند ذلك ترجل غاسق عن جواده ورمى الرمح من يده وزعق ببعض عبيده فأتى اليه وباس يديه فقال له ائتنى بحسامى والحربة فعندها ناوله حساما عريضا ثقيلا وحربتين دقاقا أسنة مثل لهيب النار ولما صارا الجميع بين يديه خلع غاسق الاثواب التى عليه ولبس ثوبا قصير الاكمام وضيق اللثام وأخذ بيده اليمنى حربته وحسامه والدرقة بشماله وكانت درقة واسعة الصفات قوية الرواق لا يخرقها حربة ولا مزراق ولما كملت عدته برز الى الميدان وسعى على قدميه وجال كما تجول على الخيول الجياد الفرسان وقد حير الشجعان فبهتت اليه العيون من كل مكان ولما قارب بنى عبس صاح ونادى بأعلى صوته وقال يا بنى عدنان ويا فرسان هذا الزمان اطلبوا فرسانكم وأبطالكم وشجعانكم الى هذا الميدان ان شئتم رجاله وان شئتم أبطال الخياله حتى أريكم من فعالى ما يدل على طول الزمان والليالى فها أنا عارى الجسد خالى من الحديد والزرد وقليل السلاح والعدد وقد خرجت الى الميدان هدفا للسيوف الفواصل وأسنة الرماح الذوابل على ان الاجل اذا حضر وكان مقدرا لا ترده الدروع ولا الخراب فابرزوا ان أردتم أفرادا والا أزواجا ثم صال وجال وقال أنا لا أتكبر على أحد حرا كان أو عبدا والخلق عندى كلهم سواء ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات وصاحب المعجزات

انما يلبس الحديد جبان * جاهل فى حوادث الاعوام * وابن عشرين لا تزيد سنوه
بغرار لو ظل فوق غمام * والمنايا ان لم تفاجئك صبحا * فارتقبها عند اختلاط الظلام
أنا حتف النفوس ساقى المنايا * باهتمامى فى يقظتى والمنام
من رآنى فقد رأى الموت حقا * من خيال يلوح تحت القتام

(قال أبو عبيدة) هذا ما جرى من غاسق مقدم بنى الاشتر وأما ما كان من بنى عبس وعنتر فانهم صاروا متنظرين اليه وكان الملك زهير قد حمل هما عظيما من قدوم هذه النجدة الى النعمان وقد علم ان قبائل العرب اليه متتابعة فعند ذلك اشتغل قلب الملك زهير لذلك فعلم عنتر منه خوفه من المهالك فقال له يا ملك الزمان لا يهم قلبك كثرة الاعداء فنحن ان زاد علينا الامر وكان كثير الاخطار دخلنا الشعب ومسكنا رأس المضيق وطاولنا الاعداء بالحصار ولو انهم فى عدد رمل العقيق ولا نصالح النعمان الا على ما تريد وان لم يفعل النعمان ذلك فأنا آخذ معى عشرة فوارس وأقطع بهم عرض البر واختلط بقبائل العرب واذا أصبح الصباح درنا حول النعمان ومن معه وحملنا عليهم وقتلناهم وصلنا على الجميع وقد

فرقناهم

فرقناهم لانه يامولاى هذا الملك اذا قتلناه تفرقت هذه الطوائف الى بلادهم ورجما نهب بعضهم بعضا وطلبوا دارهم فبينما عنتر مع الملك زهير فى هذا المقال وأمثاله واذا ببعض فرسان بنى عبس قد انقض على غاشق وطلبه مثل البرق البارق ومد اليه رمحا طويلا خارق ولما رآه غاشق ثبت اليه حتى قاربه وضرب رمحه بسيفه فبرى فى الحال مضاربه وهزا حدى الحربتين اللتين فى يده وضربه بها فولى فوقعت فى ظهره فرقت تلمع من صدره فلما رأت الفرسان ذلك علمت أنه بطل شديد فبرز اليه ثان من بنى قراد يقال له زياد محال وصال فما تركه غاشق يجول بين الرجال وضربه بالسيف فقده نصفين وصار فى الحال دلوين ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى عنتر ذلك الحال تغيرت منه الاحوال وتكدر عيشه أسفا على الرجال فقال عنتر ان برزت الى هذا الشيطان وأنا فارس فما أكون أنصفت بين الشجعان وان برزت اليه راجلا ورأى الغلبة خلانى وعداعلى قدميه فما أقدر أن ألحقه ولا أصل اليه فعندها قال الامير ناصر الدولة شيبوب يا ابن الام أنا أخرج اليه وأضاربه بالنبال وأوسع معه فى المجال وأبصر أينا اقوى عصب وأسرع جريانا عند الطلب فقال عنتر والله ياشيبوب ما أنت من رجاله ولا تقدر عليه فى ميدانه لان أحواله شاهدة عليه والغلبة لائحة عليه وان أنت خرجت اليه فلا آمن عليك من حربه ﴿قال الراوى﴾ فبينما عنتر وشيبوب فى الكلام واذا بعروة قفز الى غاشق وناداه ويلك يا ابن الاندال لقد لعب العجب بعطفيك حتى احتقرت بالرجال وخرجت راجلا تطلب القتال وها أنا اريك عاقبة البغى والضلال ثم انه طلبه وصال وجال وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

الجهل والعجب يعيب الانام * فدعه يامطرود يا ابن اللئام * ما كل من قال انا سيد
يصدقوه الناس عند الكلام * فالارض حبلى وهى ولادة * تأتيك بالاولاد فى كل عام
وقد فتكت اليوم فى سادة * كانوا رجالا عند ضرب الحسام
وسوف يأتوك بنو سادة * بطعنة تسقيك كأس الحمام

﴿قال الراوى﴾ لهذا الحديث الغريب فلما سمع غاشق كلام عروة ورأى هجومه عليه طلبه وهو يقول ياعبسى وحق الليل اذا انسدل والظلام اذا اكتحل ماقلت الاقول الشجاعة والبطل ولكن أين من الناس من يقول ويفعل ويصبر عند ملاقاة الرجال فى السهل والجبل تحت غبار القسطل فما فرغ من كلامه حتى أطبق عليه غاشق وزعق به زعقة الاسد وقد تقدم اليه وقاربه وهز الحربة التى كانت معه وضربه بها فجاءت فى جنب جواده فقلبه فعاد اليه وأدركه قبل ان يثور وأدار كفه وسلمه لعبيده فأخذوه وساقوه ذليلا حقيرا وكان خلفه ثلاث عبيد لا تزال قريبة منه فى المجال وكلما طلب شيأ من آلة الحرب ناولوه واذا أسر أسيرا أخذوه منه وتناولوه ثم ان غاشقا لما سلم عروة الى عبيده قال لبعضهم ائتنى بجوادى ورمحى حتى أنجز أمر هؤلاء القوم اللئام قبل أن يذهب الظلام فعندها أتوه بجواد من تربية العرب كثير الادب مليح اليقظة ذيال الذنب له غرة مثل الكوكب يلحق اذا طلب ولا ينجو منه من أراد الهرب وناولوه رمحا قصيرا غليظا مكعب كأنه جة عقرب أو قبس على مرقب فعندها ركب غاشق الجواد مثل الشيطان واستلب الرمح منهم الحاد السنان وحمل وقد قبض فى مقبضة الترس حربة ماضية من الحراب الخراشة وقفز وهو يطلب بنى عبس وقد قلوا فى عينه وهانوا عنده وقد حدثته نفسه انه يكسرهم وحده ويأخذ بذلك الشرف على أهل الحضر والبوادى وحمل وهو بين الصفين بادى وكانت حملته على الميمنة ولما حمل فيها صار يلعب بالرمح ويقصد به النحور ويطعن فى الجوانب والصدور حتى قتل خمسين فارسا وبطل من جملة الفرسان والعرب من غير مهل فعندها تشوشت العساكر وهاجت الاكاسر وقد بهتت الخلائق وماجت بنو عبس لما رأت هذه البرائق ثم التفتت

تطلب عنتر واذا به قد قفز بجواده الابجر الى الميدان وموقف الطعان ورأى غاسقا وقد فعل هذه الفعال فعند هاز ادت نيرانه اشتعال ولما قارب غاسقا سمع الصياح منه عالى ورأى الخيل تتبادر الى نحوه مثل السعالى وهو يردها بصيحاته وقد أسر وهو معه أسير وجعل يقوده بحبل كالبعير وفى الحال سلمه الى عبيده وهو حقير وقال لهم اطلبوا بهذا الى الملك النعمان حتى أرد أنا عنكم الفرسان فهذا الذى جرى لهذا الفارس هو أما عنتر فانه لما صدم الميدان ورأته الفرسان ورأى غاسقا ومعه ذلك الاسير طلبه عنتر واذا هو بالمأسور أبوه شداد فعند ذلك زعق زعقة عظيمة اهتزت لها الجبال الشداد وحمل على العبيد وطعن أحدهم فى ظهره فطلع الرمح من صدره وأراد أن يخلص أباه فأدركه غاسق وفاجاه وصاح فيه وناداه وفى الحال انطبق الاثنان انطباق الجبال وقد لعبوا بالرمحين حتى حيروا الفريقين وتلاعبوا على ظهرى الجوادين فما سمعت الآذان ولا رأت العينان مثل ما جرى بين هؤلاء الفارسين فهذا ما كان من هذين البطلين (وأما ما كان) من النعمان فانه زاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وتيقن انه يأخذ بنى عبس وعنتر مع جملة من أسر فعند ذلك دنا النعمان ينظر من تحت الغبار وقد انكشفت عنه الاعلام وتقدم الى الضباب لاجل أن يرى ما يكون بين عنتر وهذا الغلام وعندها تقدمت من ورائه بنو فزارة والفرسان والابطال وأكثروا القيل والقال وقد صرخ الملك زهير فى بنى عبس وغطفان وبنى عمه من آل عدنان وما صرخ زهير فى قومه وحمل بنفسه يطلب الحرب والقتال الا الان فعال غاسق قد قطعت ظهره واحتار فى أمره وتقطعت منه الاكباد وقال لمن معه من الاولاد والعساكر والاجناد كونوا على أهبة أمركم واذا قضى الله على عنتر بقضائه ورأيتم طوائف النعمان عليكم قد حملت فالتقوهم بصدوركم ولا تموتوا الا وأنتم كرام لاننا ان قصرنا عن ضرب الحسام سبيت نساؤنا والعيال وخربت ديارنا والاطلال وتفرقت سبايانا الى سائر البلاد والجبال فما فرغ الملك زهير من هذا المقال والكلام حتى جردت بنو عبس كل حسام صمصام وأشهرت صفاحها وهزت رماحها وعلا صياحها وقد وطنت الرجال أرواحها فعند ذلك بلغ الخبر الى حريمهم والعيال فأقلقوا بصياحهم الجبال خوفا على الاطفال وأرخوا الذوائب على الاكتاف وخافت القبيلة كل الخوف وقد رفعت النساء كلها ألسنتها بالدعاء الى عنتر وقد أشارت عليه بأصابعها نحو السماء ولطمت خدودها حتى تخضبت بالدماء فزعا من السبى بعد الحماء وكذلك سمية زوجة شداد زادها البكاء والتعداد وقد أدار عنتر وخصمه الجلاد (قال الراوى) لهذا الخبر والايراد بعد ألف صلاة على سيدنا محمد سيد العباد وطلع الغبار حتى عاد النهار سواد ورأى كل واحد من صاحبه ما رأى وقد حار الفريقان مما جرى ودام الامر كذلك حتى انقضى أكثر النهار وصار غاسق ذا بلا زائل وبعد ذلك عاد عنتر وقد استظهر على خصمه وقد لاحت له عليه المقاتل وعفا عنه لان عنترا كان مراده أسره حتى يفدى به أباه وعروة وقد عرف منه غاسق ذلك لانه كان من الفرسان المذكورة فعند ذلك نادى به غاسق بعد ما أشرف على التلف وقال يا وجه العرب بحق معبودك من تكون من الفرسان فانى ما رأيت مثلك ولا أقوى من صلبك وقد سمعت ان لبنى عبس فارسا من أهل الحرب والجلاد يقال له عنتر بن شداد وأنا من أجله أتيت الى هذه البلاد أطلب معه الحرب والجلاد وقد دخلت فى عسكر النعمان وقلت ان قتلت عبد العبسيين افتخرت بقتله على فرسان الزمان وما خرجت هذا اليوم راجلا الا لاجل أن ينظر طرفا من شجاعتى وقوتى وبراعتى ولاجل أن تقع فى قلبه هيبتى ويطيع الملك النعمان على ما يريد فى أى شئ سواء كان قريبا أم بعيد والآن قد رأيت منك ما أضعف جنانى وهدمنا كبى وبل مضاربى فبحق ما تعتقده من الاديان والعباد هل أنت عنتر بن شداد أو ذاك دونك فى الجلاد فلما تكلم غاسق

بهذا

بهذا الكلام وأمثاله تبسم عنتر من مقاله وقال باهذا هو أنا عنتر بن شداد الذى سمعت بذكره وصفته من
كل جالس وقائم من العباد ولولاك ياشيطان خرجت الى راجلا ما كنت أبقيتك الى الآن سالما وقد فعلت
ما فعلت وأسرت من أصحابى ما أسرت وها أنت قد وقعت فما بقى لك من يدى خلاص على انى أقاتلك
وأناضلك حتى انى أثخنك بالجراح وآخذك أسيرا من وسط هذا الفلا والبيد الفساح حتى تكون لمن
أسرتهم فداء وان وقعت فى يدى مرة أخرى قتلتك وأكون قد أخذت ثارمن معنا والآن ان أردت
السلامة من الجراح فسلم نفسك وأرح روحك من الكفاح والاوحق ذمة العرب طعنتك فى بعض
المقاتل وأعجل اتلافك وأضربك بهذا الحسام أقطع به أطرافك فلما تكلم عنتر بهذا الكلام قال
له غاشق وقد أظهر الذل والخضوع اعلم ياحامية عبس انى قد سمعت عنك انك منصف عند الحرب
ولكنى أرى كلامك هذا فى غاية التعدى لوجوه عديدة أحدها انك خرجت الى وأنا تعبان وقد قاتلت
فارسا وراجلا ولقيت ما لقيت من الفرسان والوجه الثانى انك تأمرنى ان أسلم روحى لك من غير قتال
ولاحرب ولانزال وهذا أمر لو فعلته لعابرنى به الاخلاء والاصحاب والمشايخ والشباب وكانوا يقولون
لعنه الله ولعن أمثاله أى شئ جرى له حتى انه سلم روحه من غير قتال ولكن ياوجه العرب أريد أن تفعل
معى ما نذكر به طول الابد فقال عنتر وما هو الذى تريد فقال هو انك تعلم اننا خالبان من الزرد والحديد
والقصد انك تطاعننى وأطاعنك بلا اسنة قدام هؤلاء الخلائق والابطال فأجابه عنتر الى ما قال فقلع غاشق
من رمحه السنان ورأى عنتر فعاله فخاف من العار وأراد أن يذكر بالانصاف فى سائر الاقطار فعند
ذلك مد يده الى رأس الرمح وعول على قلع السنان (قال الراوى) فعندها استغنم غاشق الغفلة وصاح
فى عنتر وزعق زعقة من عدم صبره وجلده وهزا لحربة التى كانت فى يده وزجها اليه وطلب بها صدره
فخرجت الحربة من يده كأنها شهاب أوشعلة نار قد انفتح لها باب وكان عنتر لما سمع صيحته نظر اليه
فرأى الحربة قد قاربته فمال عنها واستبدرقته وعلم عنتر ان خصمه قد غدره فماشعر بنفسه حتى وقعت
الحربة فى كتفه ففجرت دمه وعبرت مثل السهم ولم تخطئ الوهم (قال الراوى) فعندها أحس عنتر ان
السماء قد انطبقت على الارض من شدة الغيظ والم الجرح الذى وصل اليه الا ان عنترا ما اشتغل بها بل
أخذ الرمح مثل البرق وصاح بين آذان الحصان فخرج من تحته مثل السهم اذا مرق وكان غاشق لما
فعل تلك الفعال وقف ينظر عنترا اذا مال لاجل أن يأخذه أسيرا فرآه قد ثبت جنانه وعاد طالبه بخمار
غاشق من قوة اهتمامه وشدة عزيمته وهمته وفى الحال عول على الهرب وانسد فى وجهه كل مذهب ثم
أدركه عنتر من بين يديه مثل السلهب وطعنه فى جنبه فاعتدل الرمح فيه وتصلب فمال الى الارض يتخبط
فى دمه طولا وعرضا وعاد عنتر وقد اشتد به الالم ودخل بين الجبلين وقد انهد خلفه جيش بنى عبس
وجميع الامم واتبعه شاس ابن الملك زهير وأخوه مالك وقد صعب عليهم ذلك (قال الراوى) وكان
الملك زهير على الدخول قد عول بين تلك الجبلين الشواهق فرأى عرب اليمن وبنى الاشتر قد حملوا وهم
يطلبون آثار فارسهم غاشق فعندها خرج الربيع بن زياد فى تلك الخلائق وصار يقول ياويلكم دونكم
الآن وبنى عبس فقد قتل عبدها ومن كان يحميها وها هى قد انهزمت وانكسرت تطلب الشعاب
خوفا من السبى والسيف لا يقيها وبعد كلام الربيع وقع النفير فى سائر فرسان قبائل العرب فعند
ذلك انطبقت الخلائق على بنى عبس انطباق الغمام الدافق وقد حمل الاسود أخو النعمان وحمل معه
معد يكرب الزبيدى وعلا الصياح حتى كادت الجبال أن تنقلب ورأى الملك زهير الى هذا الحال فعاد
بباقى الابطال وهو يطلب القتال وعملت فى صدور الطائفتين النصال وتقطعت المطارق والاوصال
وطارت الرؤس عن الرقاب والاعناق وقامت نار الحرب على قدم وساق ووقع فى بنى عبس المحاق

وعملت السيوف الرقاق والرماح الدقاق وطعنت الاسنة فى المقل والاحداق وودعت الارواح الاجساد توديع الفراق وزاد القتام عليهم حتى أظلمت الآفاق وتولت قومهم قواطع الآجال والارزاق ودارت على العسكرين كاسات المحاق وصار القتال عند باب المضيق وتكاثرت قبائل العرب على بنى عبس من كل جانب وطريق وانحصروا فى الشعب والمضيق * هذا والحرب يعمل بينهم كأنه نار الحريق وصار الحرب بالحراب والمزاريق وحققت الحقائق وجرى الدم كما يجرى البحر الدافق فعندها أيقنت بنو عبس بالهلاك وسوء الارتباك وقائل الملك زهير لما وقعت هذه الوقعة ورأى هذه العساكر المتدفقة وقد أخذوا عنترا ودخلوا به الى الشعب والحمى وقلعوا الحربة من كتفه ونشفوا الدما ووضعوا عليه شيأ من الحشائش النافعة وجعلوا ينظرون ما يكون من تلك الجريمة الواقعة فسمع عنترا الصياح لما هد أمابه من داخل الجبلين ورأى بنى عبس عادت راجعة ضعفاء عن القتال فعلم انه ان غفل عنها نالت العدا منها أمكن منال فعندها عاد عنترا الى ظهر جواده الابجر وهو فى اغبر حال من الجرح المنكر وقد تألم له وتغير وخطف ريحه الاسمر وطلب باب المضيق وهو لا يعرف العدو من الصديق * هذا والمنية قد هانت عليه ومن كثرة الغضب الذى حل به أسودت الدنيا فى عينيه وكان أولاد الملك زهير قد منعوه من ذلك فلم يقبل منهم الاعتذار وخرج كأنه شعلة نار فرأى الملك زهيرا وعشيرته فى ضيق الخناق وقد ضاقت بهم الآفاق فعند ذلك زعق عنتر وحمل فى جيش النعمان فلحقهم الرجفان من عظم زعقته وولت الخيل راجعة من شدة همته وتأخرت الفرسان حال رؤيته وتغيرت وجوهها عند حملته وفى عاجل الحال ردت اليه الخيل على أعقابها ورمت من على ظهورها راكبها مما حل بها من طعنها وضرابها ورأت من عنتر طعنا يسابق الاجل وهو يتهدر كأنه الشجاع البطل ولم يزل عنتر كذلك يقاتل ويمانع ويدافع عن نفسه وعن قومه وهو يحميهم ويضرب فى المقاتل حتى أن سواد الليل على الخافقين انسدل وقد زال طمع العربان وما كانوا أملوه من الامل ولما ان رآهم عنتر كذلك رجع هو وقومه الى الخيام وقد عمل فى ذلك اليوم عملا منكر وقاتل قتالا تعجز عنه الجبابرة الاول من البشر وقد عادت بنو عبس رابحه بعدما كانت خاسره لان عزيمتهم للحرب بغياب عنتر كانت فاتره الا ان عنترا من ألم الجراح فى شدة شديدة ولكن له عزيمة على الحرب جليده ولما عاد عنترا من الجولان تلقاه الملك زهير مع أولاده وبعض خلانه وأجناده وقد عبس فى عنتر لاجل فعاله وما يبدى من أعماله وقال له يا أبا الفوارس ان حياة هذه القبيلة مقرونة بحياتك وسعادتها موافقة لسعاداتك وهذا بعدما اعتنقه وهناه بسلامته وقد فرح الملك زهير بما أولاه الرب القديم من عنايته ثم قال يا حامية عبس لو رأت عيناك ما جرى علينا أمس ولولا أغثتنا لكانت العرب نهبتنا لانا وقعنا فى بحر عجاج وسارت الفرسان تتنافر أفرادا وأزواج مما جرى عليها من العرب فقد طمعت فينا الغيبتك فالحمد لله على سلامتك ولولا خروجك لنا آخر النهار لما كانت العرب أبقت مناد يارا ولا نافخ نار ولكن ما يجبنا منك أن تلقى روحك للعطب والبوار وأنت بهذا الجرح الوثيق الذى كأنه نار الحريق فقال عنتر أيها الملك الجليل وحق أياديك التى لا تحصى ان عبدك لا يبالى بالجراح لانها عندى ألذ من شرب الراح وسوف تنظر ما أفعل بهذه العساكر عند الصباح ان شاء الملك الفتاح وسوف أقتل النعمان وأحرق عساكره وأملأ من قتلاهم الميدان وقد انقضى الامر وهان وان ساعدنى الرب القديم الكريم وأسرت النعمان بن الاوغاد فانا أفدى به صديقى عروة بن شداد وانى لولا ما وقع لى مع هذا القرنان وما أبداه لى من زخاريف المقال والهذيان وتذلله لى فى الكلام لما كان قدر على هذه الفعال وما كنت تركته يرفل فى حلة عجبه أى ارفال وما جرحنى الا بالخديعة والمحال ولا كان يقدر هذا القرنان أن يصل الى بحربته هنالك ولولا خديعته ما كان ذلك ثم ان عنترا نزل عن جواده وفى قلبه

وفؤاده

وفؤاده من أسر عمه وأبيه شداد لهيب النار التي لا تطفأ لها أنوار * هذا وقد نزلت العشيرة وهي متألمة لجرح عنتر ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من بني عبس وأما ما كان من النعمان ومن معه من العساكر والفرسان فانه نزل وهو بالنصر فرحان وصار يتعجب من صبر بني عبس قدام هؤلاء العربان ولما ان استقر به الجلوس دخل عليه سادات اليمن وشكوا اليه قتل غاسق وما نزل به من البوائق وكذلك أخوه الاسود وبنو فزارة شكوا له مما دار عليهم من سوء الدوائر وكذلك معديكرب وبنت عمه الجيد ابنت زاهر وما فيهم الا من أشار عليه بقتل عروة وشداد وطلبوا بذلك أخذ الثار وجعلوا يشكون اليه ما في قلوبهم من لهيب النار وقال أخوه الملك الاسود أيها الملك المهاب ان الذي أراه من الصواب انك ترضي قلوب هؤلاء السادات الذين اتوا الى خدمتك بقتل هؤلاء وتنزل بهم البلاء المبين وتبادر غدا اعداءك بنيات صحاح وتسلبوا منهم الارواح ويكون غدا يوم الانفصال وقد بلغت الآمال واذا انت ظفرت ببني عبس الاذلال فاصلبهم كلهم على هذه الجبال وفرق على هؤلاء القبائل المجتمعة من لهم من العيال حتى تقع لك الهيبة في القلوب ويخضع لك كل غني وصعلوك ولا سيما اذا احضرت رأس هذا الاسود بين يدي كسرى وايضا راس ملكهم زهير وان لم تفعل ذلك اتهمك كسرى بهلاك وردشان حاجبه وبما يقول لك انت الذي عملت على اصحابي وسلطت عليهم العرب حتى سقوهم كأس العطب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع النعمان ذلك الكلام قال لمن معه من الفرسان الكرام ياقوم وحق البيت المعظم وحرارة الجمر اذا اضرم اني ما انا متأسف على مثل هذا القبيلة كيف تعدم ولولا أرسها المخدع وانجرح لما كانت خسرت ولا تأخرت ولا حل بها بؤس ولا ترح على انه قد خرج آخر النهار لما طال على قومه المطال وفعل على ما به من الآلام تلك الفعال فقال اخوه الاسود وقد اغضبه ذلك وكادت نفسه تزهق اي شئ مرادك تأمر العربان بالتفريق والانفصال وترحل عنهم بعد ما فعل بنا هذه الفعال وما قاسيت أنا من الاسر والاذلال وحق النور والنار ما كان يبقى لنا عند العرب قيمة ولا مقدار ولا ترجع تطيع لك أمرا ولا تسمع لك مقال ولا يبقى ينتظم لك عند الملوك حال من الاحوال ولا تقول انك رحلت عن بني عبس شفقة وهم يقولون خوفا واذلال فقال بقية الدولة صدق والله يا ملك أخوك في هذا المقال فقال النعمان وهكذا تريد ان نعمل ولكن اصبروا الى غدا حتى أسير الى بني عبس رسول واسمع من ملكهم ما يقول ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعوا من النعمان كلامه انكسر عزمهم وطلب كل واحد منهم مقامه ولما خرجوا من عند النعمان طلبوا خيمة الاسود فلما رآهم ترحب بهم ولما جلس كل منهم في مقامه داروا بينهم الحديث فقال ملوك العرب للاسود أما تنظر ما فعل أخوك وهذا أمر ما نصبر عليه أبدا فقال الاسود يا وجوه العرب لا كلام حتى ننظر ما يفعل أخي من الاحكام فان صالح بني عبس اللئام فأنا أكاتب كسرى وأطلعه على هذه الاحوال الجسام وأقول انه ما أرسل الى عنتر وأمر بقتل العجم الا أخي النعمان وهو الذي عمل على الحاجب وردشان ولا أزال ارفع شاني وأحط شانه حتى ان الملك كسرى يعزله وأتولى أنا مكانه واذا صرت ملك العرب ارسل اليكم حتى تجتمعوا وأكاتب العرب واقطع أثر أخي وأثر بني عبس وأقيم ناموس الملك كما أحب (قال) فلما سمع العرب مقاله طابت خواطرهم فهذا ما كان من امر هؤلاء ﴿وأما ما كان﴾ من النعمان فانه لما خلا له المكان أحضر وزيره عمرو بن نفيلة وكان من حكماء الزمان وقد ذكرنا انه عاش من العمر أربعمائة عام وكان أكثر مقامه في البيت الحرام وكان يكثر من ذكر محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو من جملة من بشر بظهوره وكان النعمان يرفع قدره ويقبل رأيه ولما ان خلا له المكان شكا اليه حاله من جهة المتجردة بنت زهير واستشاره في أمر بني عبس وقال يا بني عمي اني ما يهون علي اتلاف هذه القبيلة التي فعلت هذه الفعال وقد وقع في قلبي لها مجد واجلال وأنا أريد

منهم القرب والاتصال وان لم اتصل بهم والا اعترانى الجنون والانذهال لان مثل هذه القبيلة لا يهمل أمرها ولا يخمد ذكرها وانى ما أحضرتك فى هذا الوقت الا لتشير علىّ فلما سمع الوزير كلام النعمان فرح بذلك الشان وأتاه الامر كما أراد لانه كان يحب بنى عبس وعنتر بن شداد فقال ياولدى ارسل القوم ووافقهم وقوّ قلبك بمصاهرتهم فانهم أبطال واقبل وصيتى فيهم واكرم فرسان بنى عبس وعدنان وأبطال البيت الحرام وراعهم فى هذه الايام اكراما للرجل الذى يظهر بين زمزم والمقام العزيز فى الكلام فكأنك به وقد قام بأمر خالق الضياء والظلام وقد خمدت بيوت النيران ويدعو العرب بشريعته الواضحة البرهان الشديدة الاركان والرأى عندى انك ياولدى تتلافى قلوب هذه الطائفة وتملك رقابهم وتظفر بالاحسان فمنهم نبى آخر الزمان وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العظيم الشان عليه الصلاة والسلام من الرحيم الرحمن ويخرج منهم هذا الانسان وهم يكونون له أعوان (قال الراوى) لهذا الديوان بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان فلما سمع النعمان ذلك المقال وافق ما بقلبه من الغرام والبلبال فقال يا أبت كن أنت الرسول اليهم فلعله ينصلح بك الحال واشكرك ما بقيت الايام والليال وعسى يزوّجنى الملك زهير بابنته ذات الحسن والجمال وأنا أمهرها بما طلب من الاموال وأنا أخبرك ان فارسهم جرح وعجز عن القتال وأنا خائف من هذه الطوائف أن تفنيهم اذا طال عليهم المطال فقال الوزير السمع والطاعة ياولدى أنا أسير فى هذا الامر والشان وأعود اليك بما يسرك وأجعلهم لك أطوع من العبيد ولكن يامالك من الرأى ان تحسن الى عروة وأبى عنتر شداد وتطلقهم وتنعم عليهم وتطلب منهم انهم يتوسطون لك فى هذا الامر والنوبة لينصلح بهم الشان فلما كان عند الصباح أحضر الملك النعمان شدادا أبا عنتر وعروة الفارس القسور وخلع على الاثنين خلعا ملكيه من ملابس الملوك الكسرويه وقال لهم ياوجوه العرب من بنى عبس وحق النار ما أؤاخذكم بسوء فعالكم ولا أقابلكم على أعمالكم لان بينى فيكم جميلة ومنزلتكم عندى جليلة وأريدكم أن تسيروا مع وزيرى عمرو بن نفيلة وتساعدوه فى خطبة بنت ملككم زهير ولا تعودوا الا بالصلاح والزواج والنكاح والاوحق خالق المساء والصباح أمرت جميع الطوائف بقتلكم وآمرهم ان يجردوا السيوف ويمحوا آثاركم ولولا رغبتى فيكم لكنت فعلت هذه الفعال من اول يوم وابطلت هذا العتب واللوم واعلموا ان كسرى ما بقى يقعد عنكم بعد ما قتلتم حاجبه وردشان وكسرتم جيشه الذى اتى من خراسان ولا بد له من قلع آثاركم اذا لم يكن خلفكم مثلى يمانع عنكم بلين الكلام واذا اشتد الامر بينكم يضرب فيكم بالحسام فاذا انتم قائلون فى هذا الكلام (قال الراوى) فلما سمع شداد هذا الكلام التجم بلجام وقام شداد فقبل يده وقال يامالك من لم يعرف اليوم الاحسان فما هو بانسان وانت قد قدرت وعفوت والآن لا بد لنا من الاجتهاد فى هذا الامر ولو طارت رؤسنا ونكون لك من جملة الخدام وما تكلم شداد بهذا الكلام الا لما فى قلبه وقع من الخوف والفزع لانه كان هو وعروة أيقنوا بالهلاك وظنوا انه ما بقى لهم من الموت فكاك لاجل ما فعل ولده عنتر بالابطال فما صدق انه يسمع من الملك النعمان هذا المقال حتى انعم واجاب وواعده هو وعروة بالاصلاح فعندها جاءت لهم الخيل والجنائب الجياد الغوال وساروا هم والوزير الى ان وصلوا الى الجبال ورآهم عنتر عيانا فترجل عند ذلك واومأ لهم بالسلام وهنأهم بالسلامة وقبل يدى الوزير فقبله الوزير فى راسه وسار فى ركابه الى عند الملك زهير فترجل عن جواده فقام له الملك زهير واحسن ملتقاه وجبر قلبه وتلقاه ثم جلسوا فقال الوزير للملك زهير ايها الملك المكرم اعلم انى اتيت من عند الملك النعمان بما يسرك ولك فيه الخير ان انت اجبتنى الى ما اقول وان انت ابيت فانك تصير مشردا فى القيعان اعلم ايها الملك العظيم الشان انه لا بد لابنتك من زوج وهى لا تلقى لها مثل الملك

النعمان ولا اوفى ولا اعلى منه شان فلما سمع الملك زهير كلام الوزير اجاب وكذلك اشار عليه عنتر بذلك هو وارباب دولته والاصحاب فأنعم الملك زهير بها واجاب فقال الوزير ايها الملك انى قد اتيتك خاطبا وفى ابنتك راغبا فقال الملك زهير قد اجبت النعمان الى ما طلب من المرام وانا له من بعض الخدام (قال الراوى) فعندها فرح الوزير بقضاء حاجة الملك على يده فأوصل الى الملك زهير ما كان اتى معه من الخلع وقد وقعت البشائر ودقت الكاسات وزمرت البوقات واجتمع زهير والنعمان وانصلح الامر والشان ومن غيظ الاسود خطب من بنى فزارة بنت بدر وهم كانوا فيه ارغب * هذا وقد انصلح الحال وأصلح النعمان بين بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وأصلح أيضا بين عنتر بن شداد والربيع بن زياد واستمال قلوب الابطال والسادات من الرجال وأصلح بين القبائل وفى قلوبهم على بنى عبس نار الحقود والدحائل والغيظ فى قلوبهم مثل المشاعل (قال) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سائر القبائل ومن الهجم وعسكر خراسان الذين كسروا فى وادى السيل بعد قتل وردشان فانهم وصلوا الى المدائن وهم يدعون بالثبور وعظائم الامور فلما علم الملك كسرى بذلك أحضرهم الى بين يديه وسألهم عما جرى فأخبروه بالكبسة التى كبسهم اياها عنتر بوادى السيل وفتكه فيهم فى ظلام الليل وكيف قتل وردشان وما جرى وكان فلما سمع ذلك الكلام قام وقعد وأرغى وأزبد وقال لهم ما الذى كان من النعمان فأخبروه انه ما دخل معهم الوادى ولا ترك العربان تقاتل معهم ولا نصح فى القتال الا أخوه الاسود فلما سمع ذلك تماغيظه وقال وحق النار والنور وتربة جدى سابور لا سيرن الى قتال العرب غيرى حتى امحق شأفتهم واستأصل دولتهم ثم انه أمر النقباء ان تنادى فى عساكر كسرى وفرسان خراسان ان يأخذوا الاهبة للقتال من أجل العربان فتقدم اليه الوزير الموبذان وقال له أدام الله أيام الملك العادل من هم شلوخ العرب من القبائل حتى تسير اليهم وتعتنى بقتالهم ولكن اصبر أيها الملك حتى تصل اليك الاخبار بما فعل النعمان مع هذه الفرقة فان كان يستقيم منهم فاهو الا على السداد وان كان لا يفعل ذلك وصاحبهم وعفا عنهم فيكون قد استحق غضب الملك * قال فلما سمع كسرى ذلك الكلام صبر بالرغم عنه ولم تكن الأيام يسيرة حتى أتت اليه الاخبار بما صار لبنى عبس مع الملك النعمان وكيف صالحهم بعدان جمع عليهم سائر العربان وقد أرسل الاسود الى الملك كسرى يعلمه بما جرى ويقول له الذى نعلم به الملك العادل أدام الله بقاه ان أخى النعمان الذى أوليته مملكتك نافق عليك واستخار بنى عبس بعدان كانوا ذلوا وجرح عبدهم عنتر وقد صالحهم وتبع شهوة دنيه وفى الدولة الكسروية وكل ذلك من أجل بنت الملك زهير حتى تزوجها وأخذهم له أنصارا وأصهارا وقد أطلعتك على هذه الاخبار والسلام عليك من النار (قال الراوى) لهذا القول المجموع ان كسرى كان ملكا عادلا طيب الاصل قريب المرجوع فلما سمع بهذه الاخبار قام وفى قلبه لهيب النار واتفق انه كان لما جبه وردشان الذى قتله عنتر فى وادى السيل لما كان مع النعمان أخ يقال له زردخال وكان شجاعا ربيال وهو بطل من الابطال ومقدم على عساكر كثيرة وأجناد وله اقطاع واسعة وبلاد وانه لما سمع بقتل أخيه حزن حزنا عظيما وأصابه لفقده مرض دائم جسيم ومما أصابه أنه قطع شعره وحار فى أمره وقال وحق بيوت النار ما أخذت ثار أخى الا من النعمان ومازال مديما للاحزان وهو مكمد الى ان وصلت كتب الملك الاسود وهو يخبرهم بما كان ووصلت كتب أخرى من العيون التى كانت على النعمان وفى تلك الكتب شرح القصة وما كان من المبتدا الى المنتهى ولما ان قرئت الكتب على كسرى بقى من الغيظ لا يسمع ولا يرى ثم قال وكأننا ما فعلنا هذه الفعال وأهلكنا العساكر والاقيال الا لاجل حاجة النعمان ابن الاندال واذا كان الامر كذلك فما هو تحت يدى بل انه ملك مثلنا والا فما كان فعل هذه الفعال بغير أمرنا ولكن نحن الذين بسطنا اليه بساط عدلنا فأمن

غضبنا ومابقى من الصواب الاانه يهان ويؤدب والاطمعت فينا شلوخ العرب ﴿قال الراوى﴾ ثم انه من وقته وساعته دعا بولده خداوند الى حضرته لانه أكبر أولاده وهو الموصى له بالملك من بعده وكان أشد أولاده بأسا وأقواهم رأسا فلما حضر بين يديه قص قصة النعمان عليه ثم قال له ياولدى وبعد ذلك فالملك يريد سياسة وناموسا ولا يبقى صاحبه بين الملوك موكوسا وأنا أريد ياولدى ان تركب من هنا فى جيوشك وتتوجه الى الحيرة وساعة أن تصل الى النعمان تضع السيف فيمن أحتمى له من العربان ولا ترجع الى هذه المقام حتى تنتقم من بنى عبس غاية الانتقام وتعلق على البيت الحرام رؤس هؤلاء الاقوام وتفعل تلك الفعال بجميع من يحتمى لهم من الرجال وتسبى نساءهم وأولادهم حتى يتعظ من سواهم وأما الاسود أخو النعمان فأوله الجميل والاحسان واخلع عليه خلع القبول والرضوان ووله مملكة العربان لان الكتب التى وصلت الى عندنا أخبرتنا انه ناصح لدولتنا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع خداوند من أبيه ذلك المقال نهض فى ساعة الحال وبادر الى قضاء تلك الاشغال ثم أقبل على أبيه وقال له كم آخذ معى من الفرسان فقال له سبعين ألف عنان لان العرب كثيرة فى أرض الحجاز وكلهم فرسان الحرب والبراز وربما يداخلهم الطمع فى عساكر الاعجام ويحامون بالكثرة عن البيت الحرام فلما سمع خداوند من أبيه ذلك المقال أخذه القلق والانذهال وقال وحق النار وما يظهر فيها من الاشتعال انى أقدر ان أهيج العرب الى رؤس الجبال بعشرة آلاف فارس من الرجال وأفرقهم فى البرارى والقفار ولا أبقى منهم ديارا ولا نافخ نار ولكن ما أفعل الا ما تحب وتختار ثم انه خرج من عند أبيه وقد اهتم فى الامر الذى أنفذه فيه وأمر أخاه وردشان أن ينتخب له الابطال ففعل ذلك وفرغ منه فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع سار وهو فرحان وقد تقدم فى مقدمة العسكر وهو مؤمل ان يأخذ ثار أخيه ❊ هذا والجيش قد تتابع وهو مثل الغمام وخداوند بن كسرى سائر تحت الاعلام وهو يحلف بأعظم الاقسام لاعدت ولا رجعت من هذه السفره حتى أنزل بنى عبس الذل والحسره واجعل لى فى تلك البلاد خبرا مذكور وافعل بالعرب كما فعل بهم جدى سابور والا فما تصفو لنا معهم أمور ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من عباد الصلبان وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما أتى الى مدينة الحيره أقام بها أفراحا كثيره ولما ان استقر به الامر وأنست به الديار أخذ يدبر فى تجهيز المهر حتى انه برسله للملك زهير واشتغل بذلك عن نوائب الدهر ومع ذلك هو لا يشتغل بسبب من الاسباب ولا يلاحظ أن يأتيه من عند كسرى جواب فلم تكن الا أيام قلائل حتى أشرف عليه جيش الديالم فلما نظر النعمان تلك العساكر التى ملأت السهول والجبال ركب فيمن عنده من خواص دولته من الرجال وسار يلتقى تلك العساكر التى كأنها البحار الزواخر ولم يزل سائر حتى وصل الى تلك العساكر ولما ان قاربهم سأل أحدهم فأخبره انه ابن الملك كسرى مقدم تلك المحافل فلما سمع النعمان ذلك الكلام سار فيمن معه وهو طالب الاعلام ولم يزل سائر ابين تلك العساكر الى ان التقى بابن الملك كسرى ولما وقعت عينه عليه ترجل فتقدم اليه الحاجب وردخال أخو وردشان وقبض عليه وقدمه بين يديه فباس النعمان الارض وأشار بالدعاء فقال له خداوند يانعمان كأنك قد غرتك مملكتك حتى انك فعلت ما فعلت بارادتك وان أبى ما أمرنى الا نضرب رقبتك وسلب نعمتك بسوء تدبيرك وقلة معرفتك ولكن أنا ما أعجل عليك حتى تفرغ الخدمة التى نحن فيها وبعد ذلك أحملك اليه وأقدمك بين يديه واذا صرت قدامه مثل بعض العبيد يفعل فيك ذلك الوقت ما يشتهى ويريد فلما سمع النعمان ذلك المقال أخذته الحيرة والانذهال فندم على ما فعل من تلك الفعال ثم سكت عن رد الجواب وعلم ان ذلك الوقت لا يفيد فيه الكلام والخطاب ❊ هذا وقد خافت حواشيه وجميع ناسه لما فعل به ذلك قدام أكابره وجلاسه ثم انهم لما قبضوا عليه قبضوا جماعة من خواصه ولما فعلوا بهم ما فعلوا أيقن

كل منهم بقلة خلاصه ثم انهم وضعوا فى أرجلهم القيود والاصفاد وجعلوا الكل فى السجن وعليهم العيون والارصاد ثم ان خداوند دعا بعد ذلك بالاسود فحضر الى بين يديه وقد تجرد ثم انه فى عاجل الحال رق اليه فوضع على رأسه التاج وأمر بالخلع فخلعت عليه وفرح الاسود بذلك الحال وأيقن بقبول السعادة والاقبال ثم ان خداوند اقبل بعد ذلك الحال وقال له اعلم ان الملك العادل كسرى أنوشروان قد عرف نصحك ومخامرة أخيك النعمان وانه جعلك مكانه ملكا على جميع العربان وقد أمرنا أن نسير من هذا المكان ونغشى بنى عبس وعدنان وننزل بهم الذل والهوان ومن عصى عليك من القبائل سرنا بعد ذلك اليه بهذه المحافل ونستزل به الفناء النازل وقد مضى أثره من الديار والمنازل فلما سمع الاسود من خداوند ذلك المقال والاخبار قبل الارض بين يديه مرار وقال وحق النور والنار وما تعبد من اللهب والشرار لقد أنكرت على أخى النعمان غاية الانكار لانه رق للاعداء وعنهم عفا وعاملهم على قبيح أعمالهم بالجميل والوفا بعدما كانوا قد استوجبوا الذل والصغير وكان ذلك من أجل ابنة ملكهم زهير لانه سمع بصفاتها من بعض الناس فأخذه من حبها القلق والوسواس فلما سمع خداوند من الاسود ذلك المقال تعجب غاية العجب من تلك الاحوال وقال انه قد مضى حكم النعمان وولى وانقضى وما وقع الا بحر عمته وان الملك العادل قد رضيك لدولته واستخارك نائبا على رعيته فاكتب أنت الساعة الى قبائل العرب واعلمهم بما تجدد من هذا الامر والسبب حتى تبصر من يطيعك ومن يكون اليك قادم ومن يخالفك ويعصى على دولة الاعاجم فمن أطاع أحسنا اليه ومن عصى سرنا اليه بهذه العساكر وقدمنا اليه وأخذنا روحه من بين جنبيه وأخربنا أرضه واطلاله ونهبنا أمواله وسبينا عياله (قال الراوى) فلما سمع الاسود ذلك الكلام دعا الدولة الاكاسرة بالدوام وقال يا مولاى مادمت أنت وأبوك خلفى فكل الارض وأهلها فى كفى ولا أكلفك بالمسير الى هذه الطائفة التى قد بغت على أنفسها ولا تتعب بل انى أبعث دماءهم الى سائر العرب ولا أدع لهم لا رأسا ولا ذنب ولا من يركب على قتب فلما سمع خداوند ذلك الكلام قال له لا بد لى من المسير اليهم فى هذه الايام واطلب هذه الطائفة العبسية واصلب ساداتهم على البيت الحرام ولا أدع منهم فى هذه السفرة لا شيخا ولا غلام حتى تهابنى جميع العرب وتخشى جانبى ويعلموا بأن جميع الاقطار تحت قبضتى فعند ذلك كتب الاسود كتبا كثيرة بهذا السبب وأنفذها مع النجاب الى سائر قبائل العرب وهو يعلمهم بوصول الملك اليه ويأمرهم بالقدوم عليه والحضور بين يديه ثم انه أرسل فى جملتهم الى معد يكرب والى حجار وهو يطلعهم على جلية الاخبار ووعدهم أنه سائر الى بنى عبس ليأخذ منهم بالثار ثم انه بعد ذلك خلع ورهب وفرق الفضة والذهب واستمال قلوب الناس اليه وقبض على كل من كان من دولة أخيه ثم انه ذبح الذبائح وأولم الولائم ومد السماطات الى الاعاجم والدالم وقد فرح بما تم من ذلك الامر وتولى بنفسه خدمة خداوند بن كسرى فهذا ما استتم لهؤلاء من الاخبار (وأما ما كان) من حجار بن عامر فانه لما أطلقه عنتر وسار طالبا الى أهله والديار وكانت نفسه قد هانت عنده وزاد همه وكثر وجده وصار يسهر الليل والنهار وقد أخذه القلق والافكار ورأت روحه العبر من كثرة حنقه على عنتر وكذلك جرى على معد يكرب وقد حل به الضجر والويل والحرب ولم يبق له اسم يذكر بين العرب وقد هجته ومدحت عنتر سائر الفرسان بما تم عليه من ذلك الامر والشان وما بقى يركب مع أحد من الشجعان ولا يحضر ضربا ولا طعان حتى يأخذ من عنتر ثاره ويطفئ ناره ويكشف عاره * هذا والفرسان قد سارت تأتى اليه وتتوجع له فيما جرى عليه وقدمت عليه الفرسان من كل جانب ومكان ومن جملة من أتى اليه زائرا وقدم عليه من الشوام مبادرا دريد بن الصمة الجشمى الذى عمر من العمر الى ذلك الزمان أربعمائة وخمسين عام ولحق نبينا محمدا سيد الانام عليه وعلى آله

وأصحابه أفضل الصلاة والسلام وكان مع العمر الطويل صعب القتال شديد الاوصال صبورا على الطعن والنزال ولاجل هذا سمته العرب رجاء الحرب فقدم على معد يكرب ومعه صهره سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار وكان سبيع هذا زوج ابنة دريد وهو من جملة جبابرة الجاهلية ومن أفضل من ذكر بالفروسية وقد أرخ فى غير هذا الحديث ما جرى له مع الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه من القتال والعجائب حتى قتله الامام وانه لما قدم على معد يكرب مع دريد أكرم مثواهم ونحر لهم النوق وأقاموا عنده يومين وفى اليوم الثالث مزح دريد مع معد يكرب وأكثر له من المذمة وأشار اليه بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

لقد ذل يا معدى من أنت ناصره * وخاب رجاء واستبيحت حرائره
أما يستحى من يدعى منزل العلا * يقاتله عبد زنيم وباسره
نغل اليمانيات لا تحملنها * ولا تذكر الفخر الذى أنت ذاكره
فما كل من سل الحسام بكفه * يشيع له ذكر وتخشى بوادره
ومافى سنان الرمح موت وانما * يعلمه قبض النفوس معاشره
فمت كمدا أو عش بذل وحسرة * ولا تشتكى ليلا اذا أنت ساهره
فان كنت ذا عزم ونفس حمية * فسر نحو شيطان الحجاز وبادره
ولا تخش من عبس سوى عنتر الوغا * فما فيهم مو ليث سواه تحاذره
فان خفت فاطلب من سبيع معونة * ترى أسدا فى الحرب تدمى أظافره
اذا سل سيفا أخرق الارض حده * وسل به الارواح والموت ناصره

(قال الراوى) فلما سمع معد يكرب من دريد هذا المقال تغيرت منه الاحوال وقل منه الصبر والجلد ومات من الغيظ والكمد ومابقى يملك شيأ من العقل وتمنى الموت والقتل ولكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد وجعل يعتذر لدريد ويقص عليه الخبر ويحدثه بما فعل عنتر وكيف أباد الفرسان وقهر الشجعان وكيف انه أسر حجارا وقتل وردشان فعند ذلك تبسم ذو الخمار سبيع بن الحارث واليه أشار وقال له أنت يا معد يكرب لم تقل هذا المقال الا من أجل ما حل بك من العبر ومما وقع فى قلبك من رعب عنتر أذلت اللات والعزى رقبة من يذل لعنتر وبعد فهذا الامر قد فات ومابقى ينفع فيه غير الصمات وان أردت أن تمحو عنك العار وتأخذ ثارك من هذا العبد الغدار فشد عزمك وأزل همك وغمك وسر كيف شئت حتى أسير معك وأبلغك أربك وأريك ما أفعل بعنتر وتنظر وتبصر من يكسب منا ومن يخسر ثم انهم بعد ذلك الكلام أقاموا عنده خمسة أيام وهو يزيدهم فى الاكرام ثم انهم ودعوه وساروا طالبين الاوطان * هذا ومعد يكرب قد طاب قلبه بوعد دريد وذى الخمار وأمل فى نفسه خلاص الثار وكشف العار ثم انه كتب كتابا الى حجار بن عامر وأعلمه بما وعده صهره ذو الخمار وبشره بأخذ الثار وكشف العار وجعل يستشيره فيه بما يفعل من الفعال فلما وصل الكتاب الى حجار وقرأه وعلم بصحة الاخبار أرسل لمعد يكرب وأكد معه الايمان وتحالفوا على قلع بنى عبس من دون العربان ولم يزالوا على ذلك الحال وهم ينتظرون بلوغ الآمال الى أن وصل اليهم الخبر بما تجدد وعلموا ان مملكة العرب قد صارت للملك الاسود ففرحوا بذلك الشان وزاد سرورهم بالقبض على الملك النعمان ثم انهم رحلوا طالبين ديار بنى عبس وعدنان وكان أول من سار ابن عامر حجار لاجل الاتفاق الذى كان بينه وبين معد يكرب وكان معه سبعة آلاف من بنى كندة وهم الذين كان يرجوهم لكل شدة وما فيهم الا من هو على صهوة الجواد منغمس فى عدة الحرب والجلاد وسار يطلب أرض بنى عبس وقلبه يغلى بالشر والاحقاد وقد أمل أن

يسبق

يسبق الملك الاسود وجيوش كسرى ويفوز بالذكر والفخر دون الورى ﴿قال الراوى﴾ وكان بنو عبس قد عادوا الى أرضهم ونزلوا فى ديارهم وقر قرارهم وهم فى فرح بمصاهرة الملك النعمان وبما قد بلغوا من العز وعلو الشان وعنتر وعروة لا يفتران من ابتكار شرب الدنان واللعب والطرب مع الاخوان حتى خمتت جراحاته التى جرحها له غاسق فارس اليمن وما بقى عليه خوف ولا وهن وكان كلما جرى ذكر عبلة بينهما يثير عروة على عنتر أن يطلبها من عمه مالك وهو يأبى ذلك ويقول يا أبا الابيض أنا ما أدخل على بنت عمى حتى تدخل مولاتى المتجردة على الملك النعمان وتنفصل ولائم الملوك الكرام وسادات العربان وأدبر أنا بعد ذلك أمرى بأى وجه كان *هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من خداوند بن كسرى فانه بعد ما قبض على الملك النعمان كان أول من علم بذلك الشان بنو عبس الشجعان لان الوزير عمرو بن نفيلة العدوى كتب اليهم كتاب وأخبرهم بما جرى من الاسباب ولما ان وصل اليهم الخبر بهذه الفعال وسمع كل منهم ذلك المقال أخذهم الانذهال وضاقت صدورهم واحتاروا فى أمورهم وبقوا بين المصدقين والمكذبين ومازالوا حتى وصلت من عند الاسود كتب الى فزارة وسمع بنو عبس بان أرض بنى فزارة انقلبت بالافراح وواظبوا على شرب الراح فى المساء والصباح وزالت عنهم الهموم والاتراح وفرحوا بوصول الكتاب وخلع حذيفة بن بدر على النجاب ثم ان حذيفة صنع لاصحابه الولائم والدعوات وتعلقت به الأمماء والمولدات وقال سوف نأخذ من أعدائنا ما فاتنا بعد ان صار صهرنا الاسود حاكم جميع العربان وقد قبض الملك العادل على صهر بنى عبس وفى هذه الايام يقلع آثارهم ويسبى صغارهم ويقتل كبارهم ﴿قال الراوى﴾ وكان بالاتفاق العجيب ان هذه الكتب لما وصلت الى بنى فزارة كان الربيع بن زياد نازلا عندهم هو واخوته فاجتمع بحذيفة بن بدر ووجوه عشيرته فقال لهم يا بنى عمى كونوا أنتم من اليوم على أهبة واستعدوا للطعن والضرب وأى قبيلة أتت الى بنى عبس من اى الجهات حتى يعينوهم فامسكوا عليهم الطرق والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب واكبسوا عليهم قبل ان تأتيهم الاعاجم والاعارب وافنوهم وتملكوا انتم ارضهم ومراعيهم وكان قد وصل اليهم كتاب الملك الاسود وهو يأمرهم بذلك وان يضيقوا عليهم المسالك ويقول لحذيفة يا اميران رايت بنى عبس وقد خافوا من الفرس ورحلوا فاكتب الى واعلمنى بذلك وفى اى مكان ينزلون فلما سمع بنو عبس بهذا الشان وصح عندهم بأن ابن كسرى قبض على الملك النعمان وبلغهم ان بنى فزارة مداومون الافراح مساء وصباح فعند ذلك أحضر الملك زهير بنى عبس بين يديه واخبرهم بما اتى من الاخبار اليه وقال لهم اعلموا ان الوزير عمرو بن نفيلة قد ذكر فى كتابه الذى انفذه الينا بأن خداوند بن كسرى سائر الينا فى عساكر العرب والعجم وكذلك الاسود وقد اتفقوا على احراق دمائنا ونهب اموالنا وسبى عيالنا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينه كالظلام وقال له ايها الملك الهمام نحن الذين ضيعنا السداد برحيلنا الى وادى الرمال وكان الاحسن لو صبرنا حتى نسمع ما يجرى على صهرنا وبعد ذلك كنا ندبر امورنا ولكن ما بقى ينجينا من الاهوال ويحمى حريمنا والعيال الا الضرب بالسيوف الصقال والطعن بالرماح العوال والراى ايها الملك ان ترحل بنا من غير مطال وتطلب بنا مكانا نحصن فيه الحريم والعيال وبعد ذلك نتجرد الى لقاء العرب والعجم ونثر منهم القمم واريك انا ما أفعل بهذا الملك الجديد وكيف ابدل صفو عيشه بتنكيد واترك بنى فزارة بعد الافراح يتقلبون فى هموم واتراح واقيم فى ديارهم النواح مساء وصباح ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع زهير هذا المقال من عنتر فرح به واستبشر وصفا عيشه بعد ما كان تكدر لانه يعلم انه فارس غضنفر وهو على ما يقول يقدر ثم انه قال يا ابا الفوارس اذا كان الامر على هذا المنوال فقل لاخيك شيبوب يعلم الرجال بما نحن فيه وما نحن معولون عليه من الارتحال حتى نسير اذا

مضى الليل بالظلام ونتحصن فى جبال اجا وسلما لانها جبال حصينة للانام واى طائفة نزلت بها كانت من اعدائها آمنة ونقيم هنالك فى تلك الجبال حتى ننظر على اى شئ ينفصل الحال لان هذه الجبال مثل جبال الردم واصعب ملتقى واعلى منها ذروة ومرتقى فعند ذلك امر عنتر شيبوبا ان يعلم الرجال ويأمرهم بأخذ الاهبة والارتحال ففعل شيبوب ما امره به أخوه عنتر وصبر حتى اظلم الظلام واعتكر ورحلوا بالمال والعيال وقصدوا نحو تلك الجبال العوال وتركوا منازلهم خوال ثم ان عنترا أرسل عبدين من العبيد الكثيرة الشطاره وقدامرهم بالمسير الى بنى فزارة وقال لهم كونوا فى ديارهم ولا تعودوا الينا حتى تعلموا جميع أخبارهم لانهم محدثون لنا فى الطلب وهم أشد لنا اعداوة من جميع العرب فعندها سارت العبيد من غير مطال وبعدها سار بنو عبس طالبين نحو الجبال فلما وصلوا اليها نزلوا ونصبوا الخيام طولا وعرض وقد أنسوا بتلك الارض ولما استقر بهم القرار أحضر الامير عنتر أخاه جويرا القهار وقال ما اريدك الا أن تسير من ساعتك هذه الى مدينة الحيره وتنتظر هذه العساكر الكثيره وتختلط بمن قد جمعه الاسود من العرب والعجم وتستخبرهم يكون عدد تلك الامم واذا رأيته قد سار الى نحونا فانك تسبقه وتقطع الفلاة وتأتى لتعلمنا حتى اننا نتأهب الى لقائه فلما سمع جرير من عنتر ذلك المقال أجابه بالسمع والطاعة ثم انه تجهز وسار من ذلك الوقت والساعة ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من بنى عبس أصحاب الشجاعة والشطاره وأما ما كان من طائفة بنى فزارة فانهم لما سمعوا برحيل بنى عبس من الاطلال ومسيرهم الى أجا وسلما ونحصينهم فى الجبال صعب عليهم ذلك المقال وقالوا لقد فاتنا منهم الغنائم والاموال وما بلغنا مما كنا نرتجيه منهم الآمال ثم ان الربيع بن زياد من عظم ما حل به من الهم والنكد اجتمع هو وحذيفة بن بدر وكتبوا كتابا الى الملك الاسود لاجل أن يعلموه بما جرى من أمر بنى عبس وتجدد وقالوا له اعلم أيها الملك اننا كنا لقدومك منتظرين وكذلك القبائل الذين كتبت لهم كانوا لك مرتقبين ونحن نقول عسى أن يصل أحد منهم قبل ان يدرى بنو عبس فنعينهم عليهم ونبدهمهم ونقتل شبانهم ورجالهم ونذهب أموالهم فعلموا بمسير خداوندا الى نحوهم وعرفوا انه جمع كل عدوهم فرحلوا الى جبال أجا وسلما وحصنوا فيها أموالهم ونساءهم ونحن اذا رأينا أحدا من القبائل أتى الينا سرنا نحن ايضا وقصدناهم واعناهم عليهم وجمعنا عليهم العرب من سائر السباسب ونساعدهم بالقنا والقواضب وانا نهنيك بما وصل اليك من الاكرام وأكبر لهنا اذا حصل لك النصر على أعدائك ولا سيما اذا أحاطت يدك على زهير ملك بنى عبس وعبدهم عنتر ثم انه بعد ذلك طوى الكتاب وارسله الى مدينة الحيرة مع نجاب ﴿قال نجد﴾ وبعد ارسال الرسل وصل اليهم الامير جحار ومعه ابطال بنى كندة وهم معدودون من اصحاب الشجاعة والشدة فتلقاهم بنو فزارة وقد ايقنوا انهم يحلوا ببنى عبس الخسارة فلما قدموا عليهم اكرموا مثواهم ولما استقر بهم الجلوس سئل جحار عن بنى عبس وما تم لهم فأخبروه انهم تحصنوا فى الجبال وتركوا ديارهم خوال فلما سمع ذلك جحار زادت به الآلام وعض على كفيه وصعب ذلك الامر عليه ثم أقبل على الربيع وجعل يمالقه فى الكلام ويقول يا أمير لا تتأسف على رحيل الاعداء فسوف نسير خلفهم ونجدونتبعهم ونحصرهم فى الجبال وننزل بهم الذل والوبال ونقيم على حصارهم حتى يأتينا الملك الاسود لانا قد أرسلنا اليه نجاب يعلمه بهذه الامور والاسباب لكن ما بقى فى الراى الا اننا نجمع عليهم حلفاءنا واصدقاءنا واصحابنا الذى نعتمد عليهم فى شدتنا ورخائنا وما نسير من هذه الديار حتى يبلغنا جميع الاخبار ونسمع عن خداوندا انه قد دهمهم فى جيوش العرب والعجم ونعلم بأنه قد انزل بهم البؤس والنقم فاذا وصلت الينا هذه الاخبار سرنا وكشفنا عنا العار وطلبنا منازل العز والافتخار وينتقم بعضنا من بعض لاننا فينا كفاية ان نلقى اهل الارض ﴿قال الناقل﴾ فلما سمع جحار من الربيع ذلك المقال اجابه اليه واتفقوا انهم

يسيرون

يسيرون هم الجميع ثم قال له حتى يصل الينا معدى يكرب ونجتمع ونجد كلنا لهم فى الطلب ويأتى ايضا دريد مع ذى الخمار لانهم لا يأتون الا فى جيش جرار وبهم نبلغ ما نختار لانى ما رحلت من الديار حتى اتانى كتابه واخبرنى انه واصل الينا بمن معه من اصحابه فلما سمع الربيع وبنو فزارة ذلك الكلام وجدوه راى الصواب ثم بعد ذلك الكلام انزلوا عنترا ومن معه فى الخيام واكرموه غاية الاكرام واكثروا له من الطعام والمدام واقاموا بعد ذلك فى انتظار معدى يكرب ومن يصل اليهم من شجعان العربان وقد ايقنوا ان ليس يبقى من بنى عبس آثار وانهم يقلعون من عنتر ومن معه الآثار ﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه الامور والاحوال كلها تجرى والعبدان اللذان أرسلهما عنترا الى بنى فزارة يسمعان ويريان فلما ان علموا بما جرى من تلك الاحوال عادوا مسرعين الى الجبال ولما وصلوا أعلموا عنترا بجميع ما سمعوا من تلك الاحوال وقصوا عليه جميع الاخبار وما اتفق عليه الربيع وحجار وشرحوا له أخبار بنى فزاره وما سمعوه عن دريد من تلك العباره فلما سمع عنتر مقالهم اشتد غضبه على الاعداء كلهم ثم نهض من ساعته الى عند الملك زهير وأولاده وأخبرهم بذلك المقال فلما سمع الملك زهير من عنتر هذه الاخبار قال له والله يا أبا الفوارس ما أرى انه ظهر لنا مع بنى فزارة فى الصلح آثار لان الغدر لباسهم والبغى أساسهم وانما تقع الخساره ان شاء الرب القديم فى رؤسهم لانهم قوم لئام منا حبس فما عندك من الرأى يا أبا الفوارس ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام قال له الرأى عندى يا ملك اننا نخلى هنا ولدك قيسا لحفظ المال والعيال ويكون معه ألف فارس ليوث عوابس ونسير نحن فى هذه المكان الى من قصدنا من العربان ونكبس أعداءنا بمن معنا من الفرسان وننزل بهم الذل والهوان ولا نبقى منهم انسان فلما سمع زهير ذلك الكلام رآه صوابا ثم تأهبوا للمسير وساروا فى ثلاثة آلاف فارس غضنفر كل فارس منهم يلقى المائة وأكثر وتركوا قيس ومعه باقى الرجال وأوصوه بحفظ المال والعيال وأمرهم هو باليقظة والاحتراز وأن يكونوا على حذر من شياطين الحجاز وبعدها رحل الملك زهير وجد فى قطع البر الاقفر وبجانبه بدر الدولة أبو الفوارس الامير عنتر وكذلك أبوه شداد وعروة بن الورد ورجاله الاجواد والكل على الخيل الجياد بالرماح المداد والسيوف الحداد ولما بعدوا عن الابيات ودخلوا فى البرارى المقفرات قال عنتر لاخيه شيبوب خذ بنا على أقرب الطرقات واقصد بنا البرارى المقفرات حتى لا يلقانا لا أبيض ولا اسود فقال لهم شيبوب سيروا خلفى وانظروا العجب وجدوا لاعدائكم فى الطلب فعندها جدوا فى قطع القفار وأوصلوا سير الليل بالنهار وساروا يقطعون الفلا الى ان بقى بينهم وبين بنى فزارة مقدار فرسخين فعندها أقبل عليهم شيبوب وقال لهم انزلوا هنا وأريحوا خيولكم من التعب والعنا حتى انى أسير وأكشف خبر أعداكم وأعود اليكم بما فيه رضاكم ثم انه مضى وكأنه بعض الجن الطياره وعرف الربح من الخساره ثم انه عاد على عقبه راجع وقد بقى من الليل الربع الرابع فلما وصل الى أخيه أعلمه ان الاعداء قد برزوا من الحلل وقد ملؤا جميع السهل والجبل وقد اجتهد بنو فزارة وبنو كنده وأظهروا ما عندهم من الشده وقد عولوا على المسير وان الربيع بن زياد هو الذى يدبر لهم ويشير وهم سائرون الينا وقلوبهم تغلى من نيران الحقد علينا وقد عولوا على حربنا وقتالنا فلما سمع عنتر من شيبوب هذا الكلام قال له لا تصف لنا أولاد اللئام فوحق الملك العلام الذى أنزل القطر من الغمام وارسى الجبال كالاعلام وأوسع البرارى والآكام لاتركت ليلة غد الصياح الا وكلهم مبتددون فى البطاح ثم التفت الى الملك زهير وقال أيها الملك اقعد أنت وأولادك ومن يعز عليك فى هذا المكان ويكون عندك خمسمائة من الفرسان حتى أسير أنا واكبس الاعداء فى هذا الوقت والحين وما أدع النهار يطلع الا وهم فى البر مفرقين فلما سمع الملك زهير من عنتر هذا الكلام قال لا وحق البيت الحرام ولا عذبت روحى عليك ولا سرت الا بين يديك فقال له عنتر

اذا كان خاطرك أيها الملك على هذا الامر فانا أشير عليك برأى موافق وهو انك تقسم العساكر ثلاث فرق واذا وصلنا اليهم تقصد كل فرقة الى جانب ونحمل ونزعق وكلنا فى ظلام الغسق (قال الاصمعى) فأعجب هذا الرأى الملك زهير وكل من حضر ومامنهم الامن أيقن بالنصر والظفر لما سمعوا ذلك القول من أبى الفوارس عنتر ثم انهم ركبوا خيولهم وساروا وقد أيقنوا ببلوغ مأمولهم ولم يزالوا حتى حاذوا ديار بنى فزارة فتفرقوا وحملوا عليهم من كل جانب وشرعوا اليهم بالقنا والقواضب فصار العقل منهم ذاهب مما حل بهم من المصائب وفى عاجل الحال ركبوا على صهوات الجنائب وكان أكثرهم خاليا من الزرد فمن دهشتهم تفرق شملهم وتبدد مما حل بهم فى الظلام الاسود وحارت منهم العيون وخابت آمالهم والظنون * هذا وسيوف بنى عبس تعمل فى أطرافهم وقد عاينوا اتلافهم وأما حجار فانه لما سمع صياح عنتر وهو كالرعد اذا هدر صاح فى بنى كندة معاشر الابطال والشجعان لا يهولنكم صياح هذه الشيطان فانتبتوا وجدوا لهم فى الطلب واياكم أن تحدثوا أنفسكم بالهرب ولا تخافوا من هذا الخطب الجليل فما هم الا فى نفر قليل ثم انه بعد ذلك النداء طلب عنتر بن شداد وقد سبقه من قومه الرجال الاجواد وخيم عليهم الغبار لما طلع من تحت أرجل الخيل الجياد فزاد الليل سواد وعملت بينهم البيض الحداد وكثر الابراق والارعاد ودامت الاهوال وكثر العناد ودار بهم العناء من كل مكان وتفرق الفرسان * هذا والثلاث مواكب تنادى عن لسان واحد يا آل عبس يا آل عدنان وجعلوا يصيحون بذلك النداء وهم فى أشد الكفاح وكثر بينهم القتل والجراح حتى اقترب الصباح وصارت الفرسان أشباحا بلا أرواح وقد حل بهم ما أتى به القضاء والقدر ومامنهم الامن تعب وتقهقر الا أبا الفوارس عنتر فانه عمل فى تلك الليلة عملا منكر وصار كأنه الاسد الادرع الذى يفترس ولا يشبع وبقيت الرجال قدامه تهوى وتقع ومازالوا على ذلك الحال الاشنع حتى انفجر الصباح وطلع وبنو فزارة وبنو كندة قد جزعت فى تلك الليلة الموت جزع وقد حل بهم من سيف عنتر الذل والويل وتفرق بنو فزارة فى ظلام الليل وبنو عبس قد أشفت الغليل لانه ما بقى الا حذيفة والربيع فى نفر قليل وكذلك بنو كندة حل بهم الويل الطويل بعد ما قتلوا وأسروا منهم ألفين قتيل (قال الراوى) ولما طلع النهار وأشرقت الشمس على وجه الارض عرف الناس بعضهم بعضا وكان الملك زهير قد قاتل هو وأولاده ذلك اليوم أشد قتال لانه كان اجتمع فى تلك الليلة بكل فارس قتال وأما عنتر فانه أبا دالابطال وتحيرت منه جميع الرجال ومازال على مثل ذلك الحال الى أن حميت الشمس واشتد الحر وحل بهم الفناء ونزل بالناس العناء وصارت الشمس فى كبد السما وحل بالطائفتين العطش والظما (قال الراوى) فعند ذلك نزلوا وقد انطرحوا فى جنبات تلك الساحة وقل منهم الحيل والقوى حتى هب عليهم نسيم الهوا فعادوا الى خيولهم وركبوها وكان أول من ركب وتحضر الى الميدان أبو الفوارس عنتر بعد ان رتب صفوفه فلما رأته بنو كندة فعلوا كفعله وركب حجار وابتدر الميدان نحو عنتر فارس عبس وعدنان فلما رآه عنتر حمل عليه حملة الغضب وقد انطبق عليه انطباق الصخر اذا نزل من صبب ولوح السيف وضربه فرماه فى وسط الفلاة فأدركه شيبوب وشد كتافه وساقه بين يديه فلما رأت بنو كندة ذلك حملت بأجمعها تريد عنترا فما أمهلها حتى تلقاها بضرباته فشردها وأمر الملك زهير لبنى عبس بالحملة فحملت على بنى كندة فأورثتها الذل والشدة (قال الراوى) فلما رأى حجار ذلك الامر والشان نزلت دموعه على خده غدران فقال له شيبوب لعن الله أباك وقبح بطنار باك تفعل فعال العدوان واذا جار عليك الزمان ورماك تبكى بكاء النسوان فقال له حجار يا شيبوب وحق علام الغيوب الذى يعلم ما فى القلوب ويكشف الشدة عن كل مكروب ما بكيت خوفا من القتل والهوان وانما بكائى على تقلبات الزمان لانه مازال ينقص

اللذات

اللذات ويفرق الجماعات واذا أضحك يوما أبكى سنة وليس له على أحد جميل ولا حسنة فلما سمع شيبوب مقاله رق لحاله وقال له ما معنى هذا الكلام ياحجار بينه لى حتى أعرفه وأنظر ما فيه من الاسرار فقال له ياشيبوب اعلم انى كنت أهوى جارية تسمى أمامة بنت أسد بن دودان صاحب أرض الحيوان وسيد قبيلة بنى الزيان وقد قاسيت لاجلها شدائد وأهوال تقصر الاعمار الطوال وتذل كل انسان وتحير الانس والجان وما سمح لى بها أبوها حتى توسط لى فيها الملك النعمان ولما انفصل الحال ودنت أيام الوصال وحملت الى أبيها النوق والجمال ومابقى لى عائق يعيقنى عن بلوغ الآمال أتانى فى ذلك اليوم كتاب الملك النعمان وهو يأمرنى بالمسير الى قتال أخيك فيمن معى من الفرسان فسرت أنا ومن صحبنى وقد اشتد منى العزم وقصدناكم وأنتم فى جبال الردم فأسرنى أخوك عنتر وأنزل بى الذل والعبر وتركنى فضيحة بين البشر فلما صالحه النعمان وأطلقنى سرت طالبا أهلى وما وصلت اليهم وقر بى القرار أرسلت أطلب من أسيد زوجتى فأرسل يقول لى أنت قد هلك الشنار وأسرك عبد من عبيد بنى عبس وألبسك ثوب العار وأنا ما بقيت أسلم ابنتى اليك ولا أزفها عليك حتى تأخذ منه ثارك وتكشف عنك عارك فبينما نحن على ذلك الشان واذا قد أتانا الخبر بالقبض على النعمان فلما سمعت ذلك الخطاب ضاقت بى الاسباب وما صدقت أن يأتينى من الملك الاسود كتاب حتى سرت اليه بمن معى من الاصحاب وقلت فى نفسى لعل وعسى فعاندنى الدهر وعلى أسا وجرى ما جرى واذا بى وقعت فى يده مرة أخرى وهى أشد من النوبة الاولى وعلمت انى أبقى بها عند العرب مثال وبعد ذلك أنا أعلم وأتيقن أنه ان عاد من الحرب ينزل بى المحن ويعذبنى ويسلب نعمتى وبعدها يضرب رقبتى وأنا مما جرى على من هذه الامور والاسباب جرت دموعى من شدة الاكتئاب (قال الراوى) فلما سمع شيبوب كلامه وعرف مرامه قال له ويلك ياحجار لو انك عوض ما سرت الى الملك الاسود وأتيت لتساعده على هذا النكد وأنت فى هذا الجمع والعدد وعملت هذا العمل فى حق النعمان بعدما أولاك الجميل والاحسان وجازيته بأسوا الجزاء وجئت تساعد عليه أعداه كنت جئت الى أخى عنتر حتى أنك ترى بعينك وتبصر ما يفعل معك من الجميل الذى يذكر ويبلغك ممن تحب جميع أوطارك وكان يجيئك الامر على حسب اختيارك ولكن لما كافأت النعمان بقبيح أعمالك أوقعك الغدر فى سوء فعالك فلما سمع حجار من شيبوب ذلك المقال بان عنده الحق من المحال وقال والله لقد صدقت ياشيبوب لكن ان سبب لى خلاصى علام الغيوب فأنا أرجع عن ذلك وأتوب ويكون على يديك اقلاعى عن هذه الذنوب وأريك ياوجه العرب أن تكون أنت المتولى لهذا السبب وتتوسط لى فى الصلح مع أخيك وخلاص مهجتى من العطب وان يصطنعنى ويرغب فى صحبتى وأنا وذمة العرب أخدمه جهدى وطاقتى حتى تدهمنى منيتى وأكون عونا له أنا وأهلى وعشيرتى وان أنا خنته بعد هذه المرة فتكون أمى زانية غير حرة وأكون قد كذبت فى نسبى وتعلم سائر العرب انى من غير أبى (قال الراوى) فلما سمع شيبوب مقاله عوّل على أن يعطيه ذمامه لما علم انه فى مقاله صادق وانه لم يكن بالكذب ناطق فأقبل عليه وقال له ياسيد بنى كندة أنا أفرج عنك هذه الشدة وأزيل عنك همك وغمك وآخذ لك ذمام أخى وأكرمك ولا يرجع أحد من أجله بكلمك ولكن ياوجه العرب ان كنت تعرف ما وراءك من الحسب والنسب فاحلف لى بالرب الكريم الذى هو بأحوال الخلائق عليم الذى أوسع الفلا ورفع السموات العلا وسطح الارض على تيار الما وأحاط بكل شئ علما وعلم آدم الاسما وخلق فى الارض نسمة تسعى وأخرج منها النبات والمرعى وعظم قدر الكعبة الغراء وأكرم مثواها بجاورة ابى قبيس وحراء وأمات وأحيا وحكم على عباده بالموت والفناء وتفرد بالدوام والبقاء وبحق موسى وابراهيم وما انزل

عليهما من الآيات البينات وبالنبي الذي يظهر في آخر الزمان من اخر عنصر معد بن عدنان صاحب المعجزات والبرهان انك ما تكون بعد هذه الايمان خوان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع جحار من شيبوب هذا المقال أجابه الى ما قال وقال له بمن أرسى شواهخ الجبال ويعلم كم وزنها ذرة ومثقال وأكد عليه في الايمان والاقسام بأنه ما عاد يغدر لا في قتال ولا في كلام ﴿قال الراوي﴾ وكانت هذه الايمان التي كانت تحلف بها الجهال في ذلك الزمان الاول وكل من حلف بها وهو كذاب يموت لوقته ان سلم من العذاب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع شيبوب من جحار ذلك اليمين واشهد عليه رب العالمين اطلقه من شداده ورد عليه كلاعدته وجواده فلما نظر جحار الى شيبوب وقد اطلق سراحه زال همه وكثرت افراحه وانذهل وزاد اعجابه ثم انه ركب وعاد الى اصحابه فلما رأت بنو عبس الى ذلك الحال ورأوا جحارا أقبل وهو في أحسن حال ظنوا انه انطلق غصبا عن شيبوب فصاح فيهم الملك زهير وأمرهم أن يأخذوه أسيرا واذا بالامير جحار ركض على الملك زهير وترجل عن ظهر جواده وقبل رجل الملك زهير في الركاب وحكى له ما جرى له مع شيبوب من الامور والاسباب ثم ان الامير جحار عاد الى ظهر جواده ونادى بأعلى صوته يا بني العم كفوا أيديكم عن ضرب الحسام البتار فقد حلفت الى بني عبس بمينا بمن أرسى الجبال الشواهخ وقدر الارزاق والآجال ورفع السموات العوال الذي لا شبيه له ولا امثال اني أكون الى الامير عنتر من جملة المحبين على طول الزمان حتى نخلص الى الملك النعمان فكل من سمع كلامي ورعى ذمامي والا عجلت عليه بحسامي اذا لم يرم مرامي فلما سمع بنو كندة كلام الامير جحار انكفوا عن قتال بني عبس وفرحوا بالخلاص من قدام عنتر الاسد الرئبال ✻ ثم ان جميع بني كندة وكانوا كما ذكرنا سبعة آلاف مالوا على بني فزارة وبني زياد وأبادوهم بالحسام وطعن الرمح الهدام وأما عنتر فانه كان تحت الغبار يبطح الابطال بحسامه الظامي البتار وكان عنتر قد خاف من غدر الامير جحار أن يغدر به تحت الغبار حتى رآه فعل تلك الفعال وأبصره هو وقومه بني كندة أبادوا بني فزارة وبني زياد ففرح عنتر واتسع صدره وانشرح بمصاحبة هذا البطل الجبار فبينما عنتر واقف يتفرج عليه اذا بالامير جحار هجم على عنتر وترجل عن ظهر جواده وركض وأراد أن يقبل رجل عنتر في الركاب فترجل عنتر اعن ظهر جواده الابجر واعتنق الامير جحار وقبله بين عينيه ✻ هذا وقد قال الامير جحار لعنتر يا أبا الفوارس كل دم بيننا موهوب والله مطلع على ما في القلوب لاني عرفت ما فعلت معي من الجميل والاحسان فلعن الله أبا جحار ان كان بقي بعد هذا اليوم بعين الاعداء عليك في البدا أو يضمر لك سوأ أبدا فلما سمع عنتر كلام الامير جحار شكره على كلامه واثنى عليه وتحالف الاثنان على حفظ الوداد ثم انهم حملوا على بقية بني فزارة وبني زياد وطعنوا في أقفيتهم بالرماح المداد ولم يزالوا خلفهم يطردوا فيهم حتى أوصلوهم للخيام وبعد ذلك عادوا على خيلهم الشارده والعدد المبدده الى أموالهم ورجعوا طالبين جبال أجا وسلمى وجحار راكب الى جانب عنتر وقد فرح بذلك واستبشر ﴿قال الراوي﴾ وأما بنو فزارة والربيع بن زياد فانهم كانوا واقفين قريب الخيام منتظرين الى جحار حتى يعود اليهم بعنتر أسيرا واذا بأصحابهم مقبلين عليهم هاربين وللنجاة طالبين فلما رأوهم كذلك وقع بهم الانبهار ولما نظر الربيع ذلك انقطع ظهره وحار في أمره ونادى ويلكم يا بني العم ما الذي جرى عليكم ونالكم فحكوا له ما جرى عليهم من بني عبس وعدنان وكيف أسر عنتر الامير جحار وقد صار من جملة أصحابه وكان أكثر شكواهم من عنتر وجحار وبني كندة فلما سمع الربيع ذلك الكلام انذهل وطلب الهرب خوفا من الهلاك والعطب وأما عمارة بن زياد فانه رمى الرمح من يده اليسار وبقي يركض ويلتفت الى ورائه من خوفه من عنتر وهو يقول يا ليتني ما كنت في هذا اليوم ركبت في هذا الموكب وانكسر الربيع وأخذا يسب الامير جحارا وبني كندة على ما فعلوا بهم ✻ وأما

الامير

الامير عنتر فانه رجع من خلف الاعداء وقد شفى فؤاده من بنى فزارة وبنى زياد وبلغ منهم ما اشتهى وأراد وعاد مع رجاله طالبين الجبال * هذا وكان عنترا كبا بجانب الامير حجار وقد أخرج يده من جلباب درعه وافتكر ما جرى له من الاهوال وما جرى عليه من المصائب الثقال فأشار بهذه الابيات يقول أفلح من يصلى على طه الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه

أعبلة أنت ضيعت العهودا * وصار وصالك الماضى صدودا * ومازال الشباب وما اكتهلنا
ولا أبلى الزمان لنا جديدا * ولازالت صوارمنا حدادا * تقدبها أنامل الحديدا
سلى عنا الفزاريين لما * شفينا من رجالهم الكبودا * وخلينا نساءهم وحيارى
قبيل الصبح يلطمن الخدودا * ملأنا سائر الاقطار حربا * فأضحى العالمون لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا فى علاها * ولم نترك لقاصدنا مزيدا * اذا بلغ الفطام لنا صبى
تخر له أعادينا سجودا * ومن يقصد بداهية الينا * يرى منا جبابرة أسودا
نديرالطعن بالسمر العوالى * اذاما الحرب أنضج ذى الكبودا * ونضرم نارنا فى كل أرض
نذيب العظم منهم والجلودا * تقد سيوفنا فى كل أرض * عظاما دامیات أو جلودا
اذا دارت على قوم رحانا * تركنا عامر الاطلال بيدا * ويوم البذل نعطى ما ملكنا
وغلا الارض احسانا وجودا * فهل من يخبر النعمان عنا * مقالا سوف يبلغه رشيدا
اذا عادت بنو العجام تهوى * وقد ولت ونكست البنودا * وسمر الخط تعمل فى قفاها
وتروى مثل ما تروى الكبودا * ويعلو ملكه ويبيت قهرا * يقاسى مثل ما أفنى ثمودا
أنا العبد الذى ألقى المنايا * حقيقا فارس الخيل المجيدا * وطئت بهمتى هام الثريا
وسعدى بازخ وسما حميدا * أنا عنتر وذكرى شاع جهرا * لدى الآفاق ذا فعل شديدا
ولى نجم سعيد من المعى * ومن خلق الانام له عبيدا

(قال الراوى) فافرغ عنتر من هذه القصيدة وهذا النظم الجيد حتى طرب الملك زهير وكل من كان حوله من أبطال بنى عبس الاماجيد وبنى كندة الصناديد وأما الامير حجار فانه بقى باهتا فى وجه عنتر وقال له والله يا أبا الفوارس لقد جمع الله فيك الفروسية والكرم والفصاحة وحسن الشيم وقد سدت على العرب والعجم والذى يحفظ مثل هذه الابيات ما يحتاج معه فى الليل الى أنيس ولا فى النهار الى جليس (قال الاصمعى) رحمه الله وكانت هذه الابيات سمتها العرب فى ذلك الزمان المؤنسة وكانت العرب اذا اختلت بأنفسها فى البر تنشدها فيجذبها الانس وهى من جملة القصائد المختارات لعنتر صاحب الوقعات هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من معديكرب الزبيدى وبنى زبيد فانه لما وصلت اليهم الاخبار بركوب خداوند الى بنى عبس هو والملك الاسود وان الملك النعمان انقبض عليه جمع معديكرب من قومه مقدار خمسة آلاف بطل من بنى زبيد وبنى خثعم ومراد وكاتب الامير حجار بن عامر الكندى أن يلاقيه على ارض بنى عبس وركب بعدها معديكرب وسار الى عند دريد بن الصمة يطلب منه ومن ذى الخمار معونة ونجدة على بنى عبس فلما نزل معديكرب عند دريد بن الصمة حكى له ما جرى على الملك النعمان وركوب ابن كسرى خداوند واجتماعهم على بنى عبس وان العرب والعجم اتفقت عليهم مع الملك الاسود فلما سمع دريد هذا الكلام صار الضياء فى عينه كالظلام وقال والله ان تم هذا الامر والسبب على فرسان العرب طمعت فينا أنذال العجم وباعونا فى بلاد الترك والديلم بيع الاماء والعبيد والخدم وهذا الامر ما أتركه يتم على أبطال العرب ولا بد ان أكاتب امارة العربان وأطلعهم على هذا الامر والشان ولم أزل مقيما فى هذا المكان حتى أسمع ما جرى على بنى عبس وعدنان وكيف رضى ملكهم زهير أن لا يعاونهم على حربهم وأنا

وحق ذمة العرب لالوعنترة فى بنى عبس لكنت سرت الى معاونتهم على قتال العجم ولكنى أخاف من معيرة العرب أن يقولوا سار دريد بن الصمة أمير بنى هوازن وجشم الى خدمة عنتر وهو عبد أسود راعى نوق وجمال وغنم وأما أنت يامعديكرب فانى لا أقدر أن أسير معك بعد قبض العجم على الملك النعمان وطمعهم فى قبائل العربان ولا أخرق حرمة بيت الله الحرام لانى أعلم ان الاسود ماندوم مملكته ولا يغلط من يتبعه وبينى وبين الملك النعمان عهد لا أضيعه فلما سمع معديكرب من دريد هذا الكلام انكسر قلبه وفترت نيته وأقام فى ضيافة دريد ثلاثة أيام ودخل فى اليوم الرابع وجعل يدور على القبائل والحلل ويجمع الفرسان من كل منهل حتى انه سار فى عشرة آلاف فارس وسار بهم طالبا قتال بنى عبس فمر فى طريقه على أرض الامير جحار بن عامر الكندى وخرج بنو كندة اليه ليتلقوه ويسلموا عليه فسألهم عن الامير جحار فاخبروه بمسيره الى قتال بنى عبس وانه اتفق هو وبنو زياد عليهم وان الجميع سائرون الى نصرة الملك الاسود حتى يتقدم فى طائفة العرب والعجم وسمعنا ان بنى عبس هربوا الى جبال أجا وسلما فلما سمع معديكرب هذا الكلام والخبر فرح واستبشر وصاح وافرحاه بعد ترحاه والتفت لمن معه وقال لهم وحق رافع السماء قد صح لى ما كنت أحب واختار وسهل الله لى بأخذ الثار وكشف العار ثم انهم ساروا يقطعون البرارى والقفار وجدوا فى المسير طالبين جبال أجا وسلما حتى أشرفوا على الجبال وطلع غبار خيلهم حتى غشى الابصار وكان لقيس بن زهير يد بانية على رؤس الجبال فلما نظر العبيد الى غبار معديكرب نزلوا من رؤس الجبال وأتوا الملك قيس وأعلموه بما نظروا من ذلك الغبار فلما سمع الملك قيس كلام العبيد صاح فى بنى عبس وأمرهم بالركوب فركبت الابطال والشجعان وضج حى بنى عبس من كل جانب ومكان وركب قيس ابن الملك زهير واعتقل حتى بقى كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وركض فى أوائل بنى عبس حتى وصلوا الى باب المضيق فأبصروا البرى يموج بالفرسان وفى أيديهم عوامل الاشطان فعند ذلك أرسل الملك قيس فارسا من بنى عبس وقال له امض واسأل عن هؤلاء ومن أى عرب هم أمن أصدقائنا أم من أعدائنا لان الطالب لينا كثير فسار العبسى حتى صار بين تلك العربان ونادى باعلى صوته هيا أيها العربان أخبرونا من أنتم من الرجال قبل أن يقع بيننا وبينكم القتال فعندها تقدم اليه معديكرب وقال ويلكم يابنى عبس الويل لكم ياقليلون الحياء يامن ألحقتم فى أنسابكم أولاد الاماء وقد دنا هلاككم والفناء بعد ما طلبكم العجم والعرب ونحن بنو زبيد وأنا مقدمهم معديكرب وقد جلبت كل من له عليكم دم وثار فسلموا أنفسكم قبل أن تصل اليكم عساكر العرب والعجم فلما سمع العبسى كلام معديكرب عاد الى قيس وحكى له بالخبر فبان فى وجه الملك قيس الغضب وصاح فى رجاله وثار الغبار وأضرم نار القسطل وأظلم النهار والتقى بنو عبس وبنى زبيد وأظلمت القفار والبيد ووقع بينهم طعن شديد وضرب مديد وانقلبت الدنيا بالصياح واسودت الوجوه الملاح وهبت نسمات الموت مع عواصف الرياح وكثر على بنى عبس المدد وزاد عليهم النكد ودهمتهم تلك المواكب ودارت بهم من كل جانب ووقع بهم الملل وقد تأخروا الى ذيل الجبل ولم يزالوا على مثل ذلك العمل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل فافترقوا عن بعضهم البعض من بعد ان سالت الدماء على وجه الارض فنزل بنو عبس فى فم الوادى خوفا على حريمهم من الاعادى ونزل معديكرب والابطال الذين معه على باب المضيق وأما الملك قيس بن زهير فانه اجتمع فى أبطاله وقال لهم يابنى العم الرأى عندى اننا نطاول هؤلاء القوم بالبراز ونحمى هذا المكان الى أن يصل الينا أبى بمن معه من الفرسان فلما سمعت منه بنو عبس هذا الخطاب قالوا أشرت بالصواب على اننا لولا هذا البطل الجبار معديكرب ما كنا نبالى بكثرة العرب الذين معه لكن هو الذى أضعف قوانا وأنزل بنا الكرب فقال لهم الملك قيس والله يابنى العم لو كان فيكم من يخلفنى ويدبركم بعدى لكنت خرجت اليه

فى غداة غد ولكن أخاف أن يقضى على ويقع فيكم بعدى الفناء ثم انهم بعد ذلك حرسوا أنفسهم الى ان طلع الصباح وغابت الكواكب وأقبلت اليهم الكتائب من كل جانب وأول من تقدم للحرب معديكرب قدام الجميع وهو كأنه الاسد الاروع وقد زاد به الغضب وأراد أن يظهر شجاعته عند العرب فقال لبنى عبس مخاطبا ويلكم يابنى عبس أين أسودكم عنتر الذى طلبتم حماه واتكلتم عليه أبرزوه هنا ان كان حاضر ودعوه اليوم يحامى عن النسوان الحرائر فوحق من أمر الغيث فهطل والبرق فأعشب لا تركن لى ولكم حديثا يكتب ومثلا يضرب ثم انه لعب برمحه أنداب حتى حير عقول أولى الالباب ولما نظر قيس الى فعال معديكرب وكيف أعجب بروحه نادى فى بنى عبس اليكم والجبال حتى أبرز الى هذه البطال المعجب بنفسه من دون الرجال ثم ان الملك قيسا تحرك على ظهر الجواد حتى صار قدام معديكرب وناداه ويلك يامعدى الى كم هذا التعدى ويلك أما أنت الذى أسرك حاميتنا عنتر بن شداد وجللك بالعار وجادلك بالاطلاق بعد ما أراد قطع ناصيتك وطعنك فضيعت الصنيع وفعلت فعال اللئيم الوضيع ولو كان عنتر ههنا حاضر البرز اليك وأخذ روحك من بين جنبيك لكنه ما غاب اليوم الا من أجل سعادتك وان غاب اليوم يحضر غدا وترى ما يحل بك من الردا والله يا ندل بنى زبيد ان عدت ووقعت قدامه وبين يديه لاطال لك عمر ولا بقى ولا لقيت منه الا شر ملتقى لانك قد أسأت الادب وأنت تزعم انك أمير صاحب حسب ونسب هذا ان رجعت اليوم من قدامى وأنت سالم وما فيك من سنان رمحى علائم ثم ان قيسا حمل على معديكرب وصدمه ومد سنان رمحه اليه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لو كنت تعرف يامعدى احسانا * لما جلبت لنا خيلا وفرسانا
وقد عفا عنك بعد الاسر فارسنا * وقد حلفت وخنت العهد عدوانا
أنكرت يامعد ما أولاك من نعم * وابن اللئام اذا أمنته خانا
لله در بنى عبس لقد حملت * منا لفخار أكاليلا وتيجانا
نحن الملوك وباقى الناس كلهم * تراه موعند ضرب السيف غلمانا
اذا ركبنا ظهورا الخيل وانبسطت * رماحنا قدحت فى الحرب نيرانا
يبيت من خلفنا كسرى على وجل * مخافة وملوك الارض تخشانا
فان وهبنا ملأنا الارض من كرم * حتى يصير عطانا منه طوفانا
وان بدا الفخر منا عدت فى نجل * لما ترى فعلنا سرا واعلانا

(قال الراوى) ولما فرغ قيس من هذه الابيات صاح معديكرب فيه وحمل عليه والتقى الملك قيسا كما تلتقى الارض العطشانة أوائل المطر والتحم بينهم القتال والطعن والنزال وجرى بينهم قتال شديد وحرب يذوب منه الحديد حتى طحنت ارجل خيلهم الحصى والجلامد الا ان قيسا ما كان من طبقة معديكرب فى الشجاعة والفروسية لان معديكرب كان من الجبابرة الالفية المعدودين فى زمن الجاهلية وسطا معديكرب على قيس بن الملك زهير واستطال وأراه فى الحرب أهوال ولما نظرت بنو عبس الى تلك الاحوال أرادت انها تحمل واذا بالعرب قد حملت والارض من ركض خيلهم قد تزلزلت ومدت الرماح السمهريه وجردت السيوف الهنديه وافترق قيس من معديكرب وكان معديكرب قد جرح قيسا فى موضعين فعند ذلك حملت أبطال بنى عبس وعدنان واختلطوا مع بعضهم البعض فى حومة الجولان وعملت الرماح الخطيه والسيوف الهنديه ومازالت السيوف بينهم تعمل والرجال تقتل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى نصف النهار وقد قل من بنى عبس الاصطبار وعادت الى باب المضيق وحملت أنفسها ما لا تطيق واعانتها العبيد بالحراب والمزاريق الى آخر النهار وقد أقبل الليل بالاعتكار ورجعت

كل طائفة الى خيامها ومعديكرب كأنه أسد وصار يقوى أصحابه على الحملة فقالوا له وحق ذمة العرب ما حملنا الا وقلنا انها وقعة الانفصال فقال معديكرب لو كنتم صبرتم ساعة واحدة كنت قتلت قيسا أو أخذته أسيرا لكن غدا نهجم عليهم الجبال وننهب منهم الاموال ونسبي الحريم والعيال فقال أمراء العرب والله يامعديكرب ان بني عبس شجعان وما بقي يسمع بمثلهم الزمان ويحق لهم أن تسميهم العرب الكرام فرسان المنايا والموت الزؤام وناصرين الحريم والايتام ثم انهم أقاموا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فزعق معديكرب على قومه وقال لهم دونكم وهذا المال المباح من قبل أن تأتيكم العربان وتزاحمكم الشجعان فهنالك ركبت الفرسان واعتدوا للحرب والطعان وكان بنو عبس لما اعتدوا واعتدوا عند الصباح تسايحت عليهم نساؤهم والاطفال وقالوا لهم لا تتركونا لقبائل العرب تباح فهنالك جرد بنو عبس الصفاح وتقدموا للحرب والكفاح وطاب الموت للرجال وقاتلوا دون المال والعيال فلما لقي معديكرب الامر قد طال ترجل عن ظهر الجواد وترجلت معه الابطال وفعلت بنو عبس مثل ما فعل وقد خاب الرجاء والامل وقد وقع بالجبان الملل وتضاربوا الضرب الوجيع حتى جرى للدم نجيع وقام الحرب بينهم على قدم وساق وضاق بهم الخناق وشربوا من المنية كأس المذاق ودام الامر على ذلك حتى أقبل الليل الحالك فافترقوا عن بعضهم البعض وقد امتلأ بالقتلى وجه الارض هذا ما كان لهؤلاء وما جرى لهم من الكلام والمقال (وأما ما كان) من الملك زهير والامير عنتر وما معهم من الرجال فانهم رجعوا كما ذكرنا طالبين الجبال وهم فرحون ببلوغ الآمال وعنتر أفرح الخلق بمصاحبة الامير حجار حتى قربوا من الجبال فقال الامير حجار لعنتر والله يا أبا الفوارس اني قد انكرت غيبة معديكرب لان كتبه أتت الى عندي وقد وعدني انه يلاقيني بأرضكم هو ودريد بن الصمة وذو الخمار واني أرهم ما بان لاحد منهم خبر وأنا خائف ان يكون سمع بمسيركم الى بني فزارة وسار الى حريمكم وسطا على أصحابكم في غيابكم والرأي عندي ان ترسل أخاك يأتينا بالاخبار فلما سمع عنتر كلام الامير حجار رآه صوابا فأمر أخاه شيبوبا انه يسير ويشرف على الجبال وينظر أحوال بني عبس ويرجع لهم بالخبر سريعا فأجاب شيبوب الى ما أمره أخوه عنتر وأعطى رجليه للريح وطلب البر الفسيح كأنه النسر اذا طار أو النمر اذا غار في البرارى والقفار حتى وصل للجبال فسمع صياح بني عبس فتقدم نحو نار الاعداء حتى يعرف من يكونون من عرب البيداء واذا بالقائل يقول يا بني زبيد أبشروا ببلوغ المراد فما بقي من بني عبس من يقدر ان يثبت للحرب والطراد وعند الصباح نمكن منهم ضرب الصفاح ونسبي الحريم الملاح ونأخذ بثار خالد ونسلب منهم الارواح فلما سمع شيبوب ذلك المقال عاد على عقبه كأنه ريح الشمال حتى التقى بعنتر والملك زهير ونادى بحالة الضيم والتنكير وقال واذل حريمكم يا بني عبس فقال له عنتر ويلك ما الخبر فقال شيبوب ان معديكرب قد جمع أوفى من ثمانية آلاف من الابطال وحاصروا أهلنا في الجبال وقد طال عليهم بقوته واستطال وسمعت صياح النسوان والاطفال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد به الهم والآلام وقال لعن الله أصلك يا معديكرب ولعن أبي وجدي ان لم أدع لي ولك حديثا يذكر من بعدي ثم ان عنترا هم ان يطلق عنان جواده ويلحق أهله قبل ان تسبيهم الاعادي فأقبل عليه الامير حجار وقال له يا أبا الفوارس بحياة عينين عبلة دعني أسير في هذه الخدمه حتى أبصر ما دبر هذا الرجل ومن تبعه من فرسان العرب وأريد أن اجعل بينك وبينه مودة ونسب فقال عنتر افعل ما بدا لك لانك أقسمت علي بقسم عظيم والا كنت سرت اليه وأخذت روحه من بين جنبيه ولكن افعل ما بدا لك فما بقيت أقدر ان أخالف مقالك فعند ذلك ركب الامير حجار في أبطال بني كندة وسار من نصف الليل الى ان أصبح الصباح ووصل الى الجبال ونظر الى القتال فقال الامير حجار واحرباه يالله من يوم مشؤم على معديكرب ومن معه من أبطال العرب فوحق

البيت

البيت الحرام لو أبصر عنتر ما بقومه من المصائب ما أبقى من بني زبيد لا ماشيا ولا راكب وفي ساعة الحال طلب معركة القتال ثم ان معديكرب لما نظر المواكب أقبلت وملأت البرية فرح بهم لانهم قحطانية وقال لقومه ابشروا فانه قد أتاكم جحار بن عامر وأناله في الانتظار حتى نقطع من بني عبس الآثار ثم انه حرك اليه ظهر جواده وقد انشرح فؤاده وغاص في الغبار حتى قرب من الامير جحار ونادى أهلا وسهلا بالاخ الشقيق والخل الرفيق وذمة العرب ما أتيت الا في وقتك حتى تأخذ من الغنيمة قسمك فتبسم الامير جحار وقال له وحق خالق الليل والنهار لقد خاب ظنك يا معديكرب قد نسبتني الى أبي وجدي وان الاحسان ما يضيع من الانسان ومن كان له نسب عالي رفيع ما يفعل فعال اللئيم الوضيع فقال معديكرب وكيف ذلك يا أمير جحار أما أنت مني على العهد مقيم قال جحار بلى وحق زمزم والحطيم ان كنت تسمع مني نصحي وطلبت مودتي وصلحي والا فدونك سيفي ورمحي فبقي معديكرب باهتا في وجه الامير جحار ولا يعلم أي شئ جرى من الاخبار وقد اشتد به الغيظ والغرام وقال له يا أخي أي شئ بلغك عني من قبيح الفعال حتى تكلمت معي هذا الكلام المحال الذي هو أشد من ضرب السيف اليمان فعندها حكى له الامير جحار جميع ما جرى له من عنتر بن شداد الفارس المغوار ووصف له كرمه وشجاعته وكيف أسره وسلمه لاخيه شيبوب وكيف عمل معه من الجميل وكيف أطلقه بعد ما حلف له ثم قال جحار وبعد ذلك يا معديكرب وحق مالك الممالك وموسع المسالك ومن فرق بين الصباح والليل الحالك لو أعطاني عنتر جمالة لرعيتها ولو مالت عليه الجبال لالتقيتها فان كنت ترضى يا معدي لنفسك ما قد رضيت فعاهدني على هذا المقال وكن بين يدي عنتر من بعض الرجال والا فدونك الحرب والقتال ودع عنك القول المحال فلما سمع معديكرب من الامير جحار هذا المقال تقطعت منه الاوصال وزادت ناره اشتعال وقال ويلك يا جحار والى هذا الحد تركت عزة النفس وذليت لعبد بني عبس فقال له جحار دع عنك هذه الحماقه يا معديكرب ولا بقيت تقول مثل هذا المقال عن الامير عنتر فكل الناس من أنثى وذكر ولكن عنتر في هذا الزمان معدوم المثال وليس له نظير في الابطال لان قتال الالف فارس والعشرة آلاف فارس والفارس عنده بالسواء ولا يعد نفسه الا غالبا بين فرسان العرب وأنا وان كنت أقول اني فارس الدنيا فما أقدر أن أقف بين يديه لاني بارزته في هذه المرة في أرض بني فزاره فرأيت منه العجائب وكلما بذلت فيه المضارب يبطلها عنه بضرب صائب ويعفو عني كما نعف الفرسان عن النسوان ولما أسرني سلمني لاخيه شيبوب الفارس المقدام ثم عفا عني وأعطاني الامان والذمام وأطلقني حتى كأني ما خطرت لهم على بال فلما رأيت أنا ذلك الحال هانت نفسي علي وصرت له من بعض الخلان وها أنا سائر معه أعينه على خلاص الملك النعمان وقتال الاعجام اللئام قبل أن تطلع فينا عباد النار ويخربوا حرمة بيت الله الحرام لان الملك الاسود تابع لكسرى في عبادة النار ولا بد لعنتر أن يقلع آثاره ويجعل دماره ويعيد الملك النعمان الى مملكته ويقتل خداوند بن كسرى أنوشروان وكل من معه من عساكر وشجعان فاترك يا معديكرب ما أنت عليه من نصرة العجم ولا تتبع هوى النفس فتندم وبادر الى صلح عنتر من قبل أن يحل بك العدم لاني تركت عنترا سائرا على أثري بمن معه وفي هذه الساعة يكون عندي لانه سمع ما جرى على قومه من الخبر ثم انه أعاد عليه جميع ما فعل عنتر وكيف أرسل اليه أخاه شيبوب بالحت الليل حتى انه أشرف على بني عبس ونظر الى ما جرى عليهم منك وتدبر وما فعلت بهم من الفعل المنكر وأراد أن يسير اليك فما مكنته من شفقتي عليك فبادر لهذا الامر قبل الفوات ولا ترم نفسك في الهلاك والممات فلما سمع معديكرب كلام الامير جحار تذكر قول دريد بن الصمة في سابق الحال وقد علم انه نصحه لما قال له عن الملك الاسود ذلك المقال وان ملكه لا يدوم ولا يفلح من

يتبعه وبقى متفكرا فى هذا الحساب والامر والشان بين الاجابة والعصيان ويخاف ان خالف هلك هو ومن معه من العربان وخاف ان يقتله عنتر ان وقع فى يده ثانى مرة فقال يا أمير حجار وكيف تصير قلوب بنى عبس لنا صافية بعد ما فعلت معهم هذه الفعال فقال حجار ان أصفيت لهم الوداد زالت من قلوبهم الاحقاد وسامحوك بما فعلت من الاخطار لان فرسان العرب مازالت تطلب أخذ الثار وكشف العار وأنا أكون واسطة فى هذه النوبة من غير تنكيد ويصير لك من هذه القبيلة ركن شديد ويأتيك الامر كما تريد ولاسيما اذا خلصنا صهرهم الملك النعمان فانه يشكرنا على ذلك جميع العربان ويرتفع لنا قدر وشان ونحتوى على أموال الاعجام ونسقيهم كأس الحمام ونحامى عن البيت الحرام الذى كانت العرب تحلف به فى ذاك الزمان ولما صفا الخاطر من التنكيد اختلطت بنو كندة فى بنى زبيد وكان قيس ومن معه من الاخيار قد زادهم الهم والاضرار من قدوم بنى كندة وحجار وقد ظنوا انهم أتوا لنجدة لمعديكرب فاشتد عند ذلك مصابهم وصاحت نساؤهم على حجار بحالهم فاذا حجار قد أنفذ اليهم يطيب خواطرهم ويعلمهم بجميع ما جرى من الامور فحل عندهم الفرح والسرور وما أقبل الظلام واعتكر حتى اقبل الملك زهير وعنتر فلاقاهم الامير حجار ومعه معديكرب وبشرهم بالصلح وزوال الكرب ثم ان معديكرب ترجل وقبل أيادى الملك زهير وسلم على عنتر وورق له فى الكلام واعتذر وقال له يا با الفوارس كل دم بيننا فهو موهوب غير مطلوب وربنا تعالى مطلع على القلوب فقال عنتر والله يا وجه بنى زبيد وحق من أوسع البيد نحن ما فعلنا هذه الفعال عصبية للملك النعمان وانما كان ذلك خوفا على البيت الحرام لان العجم لو تملكوا من البيت جعلوه معابد للنار وقلعوا من العرب الآثار من سائر الاقطار فصدقه جميع الحاضرين فى كلامه وشكروه على فعله وغمرهم الملك زهير بالحلم والتأم شمل هؤلاء القوم واجتمع ودخلوا الى الجبال وهم فى خمسة وعشرين ألفا من الابطال وأقاموا فى الولائم والدعوات سبعة أيام متواليات وفى اليوم الثامن قدم جرير أخو عنتر من أرض الحيرة وأخبر أخاه عنترا بكثرة عساكر العرب والعجم ووصف له ما قد اجتمع من الخلائق والامم فقال له عنتر ويلك يا جرير من أجاب من العربان للاسود الكشحان قال يا أخى الذى أجابه بنو الاشتر وبنو غامض وبنو ناهض وأصحاب الدماء من الفرسان وبنو طى وبنو شيبان وكل من كان يبغض دولة النعمان وأما من كان يحب الملك النعمان فما أجاب وأكثر القبائل منعوا كتابه فما ردوا عليه جواب ومازال يرتب أموره حتى قدم عليه الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر وكل أمراء بنى زياد وبنى فزارة على أكتاف النجب والمهاره وأخبروه انكم قلعتم منهم الآثار وأخربتم الديار وبكى حذيفة وانتحب وطلب منه تعجيل المسير بالعرب الى قتالكم فأجابه الى ما طلب وزاد به الغضب وحلف انه ما يبقى منكم أحدا وكان خداوند بن كسرى عول على انه يقسم العساكر قسمين واحدا يرسله اليكم والثانى الى مكة حين قدم عليه الربيع وبنو فزارة وحكوا له ان الامير حجار صار لكم من الاصدقاء فأشاروا على الملك الاسود انه يشير على خداوند بأنه يسير بجميع العساكر اليكم فدخل الملك الاسود على خداوند وقال له يا ملك الرأى عندى اننا نسير بكل العساكر على قدم واحد ونبصر من القبائل من هو طائع ومن هو معاند وبعد ذلك نهجم على بنى عبس نأخذهم كلهم أسارى حتى ينقادوا قدامك ذليلين حيارى ونطلب البيت الحرام لان بنى كندة قد مالت الى بنى عبس وستميل الى غيرهم لان عباد البيت الحرام لا يتخلون عن زمزم والمقام ولا يتركونه يهدم منه شئ حتى يصير الدماء حوله مثل سيل الغمام فلما سمع خداوند ذلك الكلام من الاسود أجابه الى ما طلب ونادى فى عساكره بالرحيل وما تركك فى الحيرة غير ألف فارس من العجم تحفظ الملك النعمان ومن معه من الفرسان وما فارقتهم يا أخى الا والدنيا ترهيج من لمعان العدد

والبيض

والبيض والزرد فصاح عنتر فى أخيه جرير بصوت يصدع الحجر وقال له لا تصف لنا طناجير العجم وحق من أبرق البرق وانار الشمس من الشرق لابد أن أفرق مواكبهم كالاسد الكاسر حتى لا يركن الاول للآخر ثم انه بعد ذلك الكلام دخل على الملك زهير وقال نحن ما لنا تدبير غير القتال وصون الحريم والعيال ولا نعرف من هؤلاء القوم الذين صاحبونا أن يقاتلوا معنا بنصيحة والا فنحن أصحاب القريحة فقال له عنتر يا ملك وحق ذمة العرب ما بيننا وبين القوم الا ان تقع العين على العين ويقتل عشرة فوارس من الطائفتين وقد طلب بعضهم بعضنا بالدماء فيلزمهم مثل ما يلزمنا ثم انهم طلعوا الى خارج الخيام وأخبروا الفرسان بالعساكر القادمة وان عدتهم مائتان وخمسون ألف عنان فقال الامير جار والله ان هذا من أعظم العار اننا نخلى هؤلاء القوم الطناجير الاشرار يدوسوا أرضنا بحوافر خيولهم وما بقى لنا فى البر قرار اذا لم يعودوا الى مملكة النعمان قال أمراء العرب الحاضرون ما الذى عزمت عليه أنت يا أبا الفوارس فقال عنتر عزمت على لقاهم والصبر على أذاهم قال معد يكرب والله لا تركنا من هؤلاء الطناجير من يمشى على قدم قال الامير جار صدقت يا معد يكرب فى كلامك ذى الحكم نحن كلنا عازمون على هذا الامر ولكن الرأى قبل القتال صواب فى هذه الامور والاسباب فقال قيس بن الملك زهير يا وجوه العرب ان جريرا أخا عنتر ذكر لنا ان الخلق كثيرا سائرون الينا وخداوند بن كسرى لما رحل من أرض الحيرة ما ترك كما تقدم لحفظ الملك النعمان غير ألف فارس من العجم وهذا جمع يسير والصواب أن يسير منا مائتا فارس على أكتاف النجب والمهاره واذا وصلوا أرض الحيرة يضعوا السيف فى الاعجام ويخلصوا الملك النعمان من القيود والاغلال فنبلغ بذلك الآمال لان هذه العساكر المتكاثره ما تشرف علينا الا بعد أيام كثيره لاجل بعد المراحل واذا وصلت ففينا كفاية أن نطاولهم فى القتال يوما وعشرة وعشرين الى ان تكونوا أنتم خلصتم الملك النعمان قبل أن تميل اليه كل قبائل العربان فلما سمع الحاضرون كلام قيس ابن الملك زهير رأوه صوابا وقال له الجميع لله درمن سماك قيس الرأى لانك أشرت بالصواب والامر الذى لا يعاب وما بقى بعد هذا الكلام والمقال الا الفعال قال عنتر الرجال ان كان ولابد لكم من هذا الحال فأنا أسير بعشرة أبطال وأخلص الملك النعمان ولو حال من دونه الانس والجان قال الملك زهير والله يا ابن العم ان مسيرك أنت عن بنى عبس فى مثل هذه الاوقات ما هو صواب لان المدى الى الحيرة بعيد ونحن طائفة قليلة قدام هذا العدد الكثير وقد خاف الملك زهير من عنتر أن يسير للحيره وهم يبتلوا بعده بالحيره قال الامير جار أنا أسير الى خلاص الملك وحق ذمة العرب لا يسير أحد غيرى فقال عنتر لما سمع كلام الامير جار ان كان يا أخى ولابد من مسيرك أنت فخذ معك عروة بن الورد مع رجاله فأجابه الى ما يريد واعتد الامير جار من يومه وركب فى مائة بطل من شجعان قومه وركب معه عروة بن الورد فى مائة بطل من رجاله على أكتاف النجب والمهارة وساروا الى أرض الحيرة ومن بعد مسيرهم صار عنتر كل يوم يأخذ معه معد يكرب ومقدار مائتى فارس ويبعدون عن الجبال ليكشفوا أخبار عساكر العجم للمسافر ويعودوا للجبال وما زالوا على ذلك الحال مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر وهم سائرون كما جرت لهم العادة واذا هم يرون الغبار من قدامهم علا وثار وسد منافذ الاقطار وبان ذلك الغبار عن خمسة آلاف فارس للعديد لابس وكانت هذه الابطال طليعة عساكر العجم مع فارس جليل القدر يسمى شاه مردو كان جبارا لا يقايس وشيطانا لا يمارس فلما بان وبانت وراءه المواكب قال معد يكرب لعنتر يا أبا الفوارس هذه طليعة عساكر العجم فاصنع بهم ما تريد قال عنتر الرأى عندى اننا نقاتلهم ولا نرى لهم تأثير ثم انه أيقظ جواده الابجر وعدل جميع رجاله وفعل معد يكرب مثل فعاله فابصر مقدم العجم اقبالهم فأنكر أحوالهم وقال لقومه لو كانوا طليعة العرب لكانوا من وقت أن رأونا عوّلوا على الهرب لكن يتقدم أحدكم يسألهم

عن أحوالهم وأتونى بأخبارهم فطلبتهم الفرسان من كل مكان والذى قصدهم ألف فارس فلما نظر معديكرب اليهم صاح فى بنى زبيد وأرادان يحمل عليهم ليفرقهم فى أقطار البر والبيد فقال له عنتر يا أخى لاتضيع عوائد العربان وتفعل فعالا مالنا فيها فائدة قال معديكرب كيف ذلك يا أبا الفوارس قال عنتر متى لقيت ألفا من العجم بمائة من العرب نقصت حرمتنا عند هؤلاء الطناجير ومن تابعهم من الخلق الكثير ولكن دعنا نلتقى أنا وأنت هذه الالف فارس بعشرة فرسان ونبيدهم يمين وشمال ونرمى فى قلوبهم هيبة لاتزال والاطمعوا فينا وفى قتلنا قال معديكرب وحق ذمة العرب انى أقدر أن ألقاهم وحدى وأفرقهم بقوة ساعدى وزندى ومادام انك أشرت بهذا الرأى فافعل مابدا لك واخترمن قومك من أردت فقال عنتر لا والله بل أحمل أنا وأنت ولايريد معنا أحد حتى يكون أهيب لنا وأجود قال معديكرب افعل يا أبا الفوارس ماتريد فأنا عن رأيك ما أحيد ثم حمل عنتر على الميمنة وحمل معديكرب على الميسرة وساروا تحت الغبار والقتام وصاح الاثنان صيحات الاسد الضرغام وصارت الاعين اليهم ناظره ومن فعالهم متحيره وأبصرشاه مردمن فعالهم ما أبصر وفى الحال نزل عن جواده وسجد للشمس كفرا وغرور وأنا وأنتم نوحد الملك الغفور وقال لمن معه من عساكر العجم وحق النار ان هذا الحديث يحق أن يؤرخ ويكتب بماء الفضة والذهب وهل رأيتم قط فارسين من رعاة الغنم يحملان على ألف من العجم فقال له أصحابه يامولانا هؤلاء من جاهلية العرب وجهلهم يحملهم الى الهلاك والعطب والساعة تبصر رؤس الاثنين تحت حوافر الخيل وبعدهم نحمل على رفقائهم حتى نهلك الجميع ولانخلى منهم لا رفيعا ولا وضيع قال شاه مرد أى شئ هذا الكلام وحق النار لم أترك أحدا يحمل من أصحابنا عليهم حتى ننظر ما يفعلوا هؤلاء الاثنان بهذه الالف فارس ثم انه وقف ينظر ما يجرى بينهم ساعة من النهار واذا بالعجم والدياليم طالعين من تحت أغبارهار بين وللنجاة طالبين وهم ينادون كبكبات زلزلات جرى خان عشر قيسرات يعنى الهرب الهرب من قدام هؤلاء العرب وفى أعقابهم صرخات عنتر ومعديكرب كأنها الرعد فى خلال الغمام ومازال العجم فى هزيمتهم حتى صاروا قدام شاه مرد وأكثرهم على تلك الحالة فقال لهم ما حالكم وما الذى جرى لكم قالوا يا حاجب الحجاب الذى جرى علينا ما جرى على أحد من هؤلاء الاعراب لان هؤلاء القوم ما هم من البشر وما هم الامن الجان الذين عصوا نبى الله سليمان واذا لم تحمل فى بقية الخمسة آلاف ما تنال منهم مراد فلما سمع شاه مرد منهم هذا الكلام صار الضياء فى عينه كالظلام وقال لهم أرأيتم فارسين من العرب رعاة الغنم يحملان على ألف فارس من العجم ويكسرانهم مثل ما يكسر الذئب الغنم فعلى هذا الحساب ان كانت العرب الذين ركب عليهم خداوند بن كسرى وقفت أمامهم فانهم يقدرون أن يلقوا كل من معه من العساكر والجيوش والدساكر ثم بعد كلامهم صاح فى الخمسة آلاف وانطبقوا على عنتر ومعديكرب فالتقوهم كما تلتقى الارض العطشانة أوائل المطر وحملت أبطال بنى عبس وبنى زبيد فى معونة عنتر ومعديكرب والتقت الاعجام بالسيوف وضربت الجماجم والقحوف وارتجفت من ذلك النفوس فى هذا اليوم العبوس وأظهر فيها معديكرب العجائب وعنتر مزق الكتائب ونكس الاعلام وأهلك فرسان الاعجام وهتك مرائر القلوب بطعن يرد النظر مقلوب وينهب الارواح بطعن الرماح وضرب الصفاح والتقى بشاه مرد وهو يهز فى يده العامود ويتوسل بالنار والنور والظل والحرور فقال له عنتر فى است أمك على أم كل من يعبد النار معك ثم انه زعق فيه صوتا فأذهله وخبله وطعنه بالرمح فى صدره فطلع عشر أنابيب تلمع من ظهره فرماه قتيلا وفى دماه جديلا فلما نظرت العجم الى قتل أميرها ولواهاربين وللنجاة طالبين وهم يشتمون النار كيف جعلت للعرب قيمة ومقدار ومازالوا فى هزيمتهم الى أن وصلوا عند قومهم فتلقاهم الحاجب الكبير وسألهم

عن

عن هذا الخبر النكير فقالوا انه قد اعترضنا عنتر ومعه ألف فارس وقتل شاه مرد وطعن فينا طعنا لا يرد ولولا أننا ولينا هاربين كان قتلنا أجمعين فاما سمع الحاجب ذلك الخبر اختط بالعسكر ولولا هيبة خداوند ابن كسرى كانوا تفرقوا في أقطار الصحرا ولكن ثبتوا أرواحهم وافتقدوا عددهم وسلاحهم ولم يزالوا الى أن أقبل الليل الحالك ولم يعلموا خداوند بذلك (قال الراوى) هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من عنتر ومعديكرب فانهم لما فرقوا الاعجام في الروابي والآكام جمعوا الخيول والاسلاب وعزموا على الرجوع والذهاب وأقبل عنتر على معديكرب في الخطاب وقال له ما تقول في ارسالنا الى أهلنا واعلامهم انهم يبيتون هاهنا ونلقى أعداءنا فقال معديكرب يا فارس الاعراب هذا ما هو صواب بل قتالنا عند الجبال أصلح لنا على كل حال وقد خاف معديكرب من عنتر أن يقف في هذا المكان بمائتي فارس قدام مائتين وخمسين ألف بطل مداعس فأجابه عنتر في مقاله وبلغه غاية سؤاله وساروا طالبين الجبال وعنتر قدام الابطال كأنه غطس في بحر من الدماء وهو يذكر ذلك اليوم وما جرى لهم فيه من الاهوال وما قتل من الابطال وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

قف بالمنازل ان شجتك ربوعها * فلعل عينك تستهل دموعها
دار لعبلة شط عنك مزارها * وناءت ففارق مقلتي هجوعها
وسقتك يا أرض الشربة مزنة * منهلة تروى ثراك همـوعها
وكسا الربيع الارض من أزهاره * حللا وأما الارض فاح ربيعها
كم ليلة عانقت جيد خريدة * يحيا بها عند الظلام ضجيعها
الشمس ان طلعت سجدت جلالة * لجلالها وجلا الظلام طلوعها
فلموت يا بنت الكرام كدوحة * وأنا ورمحي أصلها وفروعها
وغدا يمر على الاعاجم من يدى * كأس أمر من السموم نقيعها
فأذيقها طعنا تذل لوقعه * ساداتها ويشيب منه رضيعها
قاتلتها حتى يمل ويشتكى * كرب الغبار رفيعها ووضيعها
وتركت للاسد الضواري لحمها * ولمن يلينا خيلها ودروعها
يا عبل لون المنية صورت * أومت الى سجودها وركوعها

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجب معديكرب من شجاعته وفصاحته وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشنأك يا حامي بني عبس وعدنان يا زين الشجعان واستمروا سائرين طالبين الجبال وكان الليل قد أظلم والسواد قد خيم وكانوا أبطؤا على قومهم وفات وقت قدومهم وركب الملك زهير وأمراء بني عبس وساروا على آثارهم حتى يقفوا على أخبارهم فابعدوا عن الجبال حتى التقوهم مقبلين فتناشد بعضهم البعض وسلموا عليهم وهنوهم بالسلامة ابتداء * هذا وعنتر يحكى للملك زهير ما فعلوا في طليعة العجم وكيف كسروهم وبددوا شملهم وقتلوا مقدمهم فقال الملك زهير ان كسرة طليعتهم وتفريقهم في البراري والآكام علامة النصر والظفر وقد وجب علينا الشكر للرب الكريم رب زمزم والحطيم والثناء على هذا البطل الذي انتصرنا بسيفه على الاعداء اللئام وأومأ بيده على معديكرب فلما سمع معديكرب كلام الملك زهير في حقه تقدم اليه وقبل يديه وقال يا ملك ما نصرك الله الا بسيف هذا الفارس والبطل الغشمشم لان طعنته هي التي كسرت طليعة العجم فانهم لما نظروا الى حاجبهم وكيف ان عنترا طعنه فرماه ولوا الادبار وركنوا للهرب والفرار وبعد ذلك دخلوا الجبال وحكموا للفرسان بما جرى على عساكر الاعجام الانذال ففرحت بنو عبس وبنو كندة وبنو زبيد وأيقنوا بالنصر والظفر

وباتوا تلك الليلة فرحين حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فخرجوا طالبين الحرب والكفاح لكنهم ما اصطفوا واقدام الجبال حتى أشرفت عساكر العجم وطلع الغبار حتى سد منافذ الاقطار وأظلمت منه سائر الجهات ونفرت الوحوش من الغابات واهتزت الجبال من كثرة المواكب والكتائب وأظلمت المشارق والمغارب وظهرت الرايات والاعلام والازدهارات وكان كلما أشرف موكب ونظروا الى بني عبس مصطفين قدام الجبال وعنتر قدامهم يتعجبون من ثبات بني عبس وهم في هذا العدد قدام هذه العساكر الذين كأنهم البحار الزواخر وكان عنتر قال لمن حوله من الرجال هذا يا بني الكرام يوم تبين فيه منازل الابطال ذوي الاقدام ثم انه أفرد كل موكب بالف فارس وأقام عنتر يحرسهم كأنه الاسد الرئبال ولما وصلت عساكر العجم ونظرت الى قلة بني عبس طمعوا فيهم وانطبقوا عليهم فلقيهم بنو عبس كأنهم السباع الكواسر * هذا وعنتر وقف خارج المعمعة يحرس رجاله وهو يلتفت يمينا وشمالا وكلما أبصر طائفة من بني عبس تضعضعت يحمل معها ويعينها ولا يرجع حتى يرد عنهم الخيل ويفرقهم يمينا وشمالا ويهد قواهم ويفرق الرجال ويعود فيقف مكانه يحرس رجاله وفرسانه كما يحرس الاسد أشباله فلما أبصر معديكرب الى فعال عنتر صار يفعل مثل فعله ودام القتال على ذلك الحال حتى تنصف النهار وفي ذلك الوقت اشرف خداوند في الموكب الاعظم ولما اشرف ونظر القتال يعمل بين عساكره وبين بني عبس صاح في حاجبه زردخال وامره أن يرد العساكر عن القتال وقال حتى يستقر بنا النزول ونرسل الى بني عبس رسول لانهم رعيتنا على كل حال وربما يكونوا نادموا على ما فعلوا ويأتوا قدامي طائعين ويقضوا على عبدهم عنتر الدعين ويأتوا به الى عندي ذليلا حقيرا حتى نوقفه على فعله وبعد ذلك نعفو عنه لاننا نحن قوم سيمتنا الانصاف والعدل والاحسان عند كل انسان فلما سمع زردخال من خداوند هذا المقال رد العساكر عن الحرب والقتال فأبصر زردخال الارض مفروشة من القتلى وأكثرهم من العجم ونزلت عساكر العجم في الخيام وامتلأت الارض من عرب وعجم وأخذوا لهم راحة حتى برد الهواء فأمر خداوند الحاجب أن يكتب الى بني عبس كتابا يأمرهم فيه بالطاعة حتى أكون لهم عبدا الى شفيعا وان أبوا ولزموا اللجاج نبادرهم بالقتال والصدام ونفنيهم بحد الحسام ولا نترك منهم لا شيخا ولا غلام فعند ذلك كتب الوزير كتابا الى الملك زهير مثل ما أمره خداوند يقول فيه الذي أعرف به الملك زهير أن هذه الطائفة الحقيرة الباغية يجب عليك ان تردها الى الطاعة بعد العصيان فقد وصل الى العجم منها الاذيه فاعرف قدر هذه النبه ولا تخالف الدولة الكسرويه فانك تندم وترى بعينك الهوان والعدم لان الملك العادل كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان قد أمر ولده خداوند بهذه الاحكام وأوصاه انه لا يبقي منكم لا شيخا ولا غلام وانما هو رقيق القلب كثير الاحسان وقد أبصر قلتكم فوقع في قلبه رحمتكم وقد عول على أن يجعلكم الى دولته أركان ولشدته أعوان وسلام النار عليك ودخانها وشرارها داخل في عينيك ثم انه طوى الكتاب وختمه وأحضر بعض حجاب خداوند وأعطاه الكتاب وأمره بالمسير الى بني عبس وحمله بالجنائب والاعلام وزاد له في الاكرام وأضاف اليه عشرين فارسا من الاعجام وأعطاه ترجمانا من العرب يقال له عقاب بن ترجم وسيره بسير الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار وكان بنو عبس نزلوا في ذلك الوقت وما بقي أحد راكبا الا عنتر ومعديكرب ولما أبصر عنتر الى الحاجب أقبل قال لمعديكرب يا أمير ان هذا الحاجب مقبل النا يريد انا نسلمهم أرواحنا حتى يأخذونا ويصلبونا على قلة الايوان ويسقونا كأس الهلاك والهوان وأنا أريد أن أبدأ بهم قبل ان يبدؤا بنا وأصلبهم كلهم على رؤس هذه الجبال وآخذ جميع ما معهم من المال فبينما هم في الكلام اذا بالحاجب اليهم قد وصل فما سلم ولا تكلم بل انه سأل عن الملك زهير فقال الترجمان لعنتر ومعديكرب أنه سألكم عن

الملك

الملك زهير لان معه من خداوند كتابا يأمركم فيه بالطاعة ان كان أحد فيكم له عقل ونظر وان أنتم خالفتم فليكون الا السيف لكم جوابا (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الترجمان هذا الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وقال للترجمان نحن قرأنا كتابكم من قبل وصولكم الينا وقدومكم علينا وهوان ملككم يأمرنا أن نسلم أرواحنا اليه بلا حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال ثم ان عنترا صاح فى أخيه شيبوب وقال له ويلك رجل هذا الحاجب عن ظهر جواده هو ومن معاه من أصحابه ورفقاه وخذ ما معهم من المال وان أحد منهم تعاصى عليك فافعل معه هذه الفعال ثم ان عنتر فتح باعه ومد ذراعه وطعن الحاجب بالرمح فى صدره فطلع عشر أنابيب تلمع من ظهره ولما رأى الباقون ما فعل عنتر فى الحاجب نادوا الامان وسلموا أرواحهم الى شيبوب فشد الكل بالكتاف وقوى منهم السواعد والاطراف وأما عقاب الترجمان فانه اندهل وتحير وانقطع ظهره وحار فى أمره وقال جزاكم الله الخير لانكم أطعمتمونا قبل ان تقرؤا الكتاب فاذا كانت هذه خلعة الحاجب العظيم الشان فكيف تكون خلعة عبدكم الترجمان فقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان قولى صادق والكلام فقال الترجمان بلى وحق الرب العظيم وزمزم والحطيم الله ينصرك على العرب والعجم ان عفوت عن عبدك ابن ترجم وأنت أهل المروءة والكرم لانى والله ذو عيال وأنا صعلوك قليل المال لا نوق لى ولا جمال وأنا ما سرت مع هؤلاء الاعجام الا وقلت لعل ان يحصل لى شئ من المال أعود به الى العيال وما حسبت ان ألقى هذه الاحوال ولا ان أصلب وتبقى عيالى بعدى بالويل والحرب ثم انه بكى وانتحب وأشار يعلم عنترا وجماعته بشجاعته وقوته وبراعته يقول صلوا على طه الرسول

يا فارس الخيل والابطال تصطدم * وليثها وهى مثل البحر تلتطم
ذلت لهيبتك الابطال وانخذلت * لما رأوك وذلت بعدها العجم
ولو دنوا منك أو مد وا رماحهم * الى لقاك فما عادوا ولا سلموا
فارحم فديتك شيخا قل ناصره * عند المشيب وذلت بعده الحرم
مولاى ذنبى عظيم فاعتذرت به * فانظر الى فقد اضنى بى العدم
فما طعان القنا والحرب من شيمى * ولا الفزاع ولا فى صارمى سلم
اسمى عقاب ولكن ما أنا بطل * والسيف فى راحتى تصطاد فى الرخم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من عقاب هذه الابيات ضحك حتى استلقى على قفاه فقال معديكرب والله يا أبا الفوارس ان هذا الرجل حرام صلبه لانه أقر بذنبه فعندها أطلقه عنتر وقال له ارجع الى أهلك ولا تعد للعجم فتهلك واذا رأوك سالما اتهموك وربما انهم يقتلوك فقال الترجمان والله يا مولاى انك لصادق وحق ذمة العرب لو علمت انكم تكسرون العجم ما كنت فارقتكم وكنت أكسب لى شيأ من أموالهم أعود به الى عيالى فقال معديكرب يا شيخ هذا أمر يطول عليك شرحه لكن خذ سلب هذا الحاجب وعد الى أهلك ودع عنك الفضول وما بقيت تعود فتصير مقتول قال الترجمان والله يا مولاى انك لصادق لان العاقل من يمضى الى أهله وهو سالم وذلك خير له من الاموال والدراهم ثم انه تقدم للحاجب وأخذ سلبه وكان فى وسطه منطقة مرصعة بالجوهر والياقوت ومزركشة بالذهب الاحمر فلما رأى ذلك الجوهر أخذه الطمع فى كثرة المال لان العرب من طبعهم الطمع وتقدم الى عنتر ودعا له وقبل قدميه وقال له الله ينصرك على أعداك ويبلغك منهم منالك وأنا والله يا مولاى ما بقيت أفارقكم بل أقيم عندكم وأصبر حتى يرسل لكم الملك رسولا آخر فتقتله وتعطينى سلبه لانى ما أتيت الى هذه الجبال الا لاجل هذا الحال فضحك عنتر من كلامه وقال له أقم عندى وحق ذمة العرب ان أتى خداوند بن كسرى لاقتلنه وأعطيك جواده وسلبه * هذا

وعنتر أمر شيبوب أن يصلب الرسول واصحابه فقال معديكرب أتصلبهم وتنزل بهم الضير ولا تشاور بذلك
الملك زهير فقال له المشاورة ماهي في مثل هذه الساعة وان الجسارة كلها شجاعه لانه ما أحد يقع منا عندهم
ويقبلوا فيه شفاعة وهؤلاء ما أتوا الا ليقطعوا آثارنا وأي شئ لهم عندنا غير الصلب والعذاب والطعن
بالحراب وضرب الرقاب والملك زهير لابد أن أطلعه على الكتاب ثم انه أمر أخاه شيبوب أن يصلب الجميع
ويخلي منهم ثلاثة سالمين لاجل ان يعودوا الى خداوند ويعلموه بما فعل عنتر بهم ثم عدل عنتر الى الملك
زهير حتى وصل اليه وأعطاه الكتاب ففضه وقراه وفهم رموزه ومعناه وسمع ما فيه من التهديد وغليظ
الجواب فصعب عليه وكبر لديه والتفت الملك زهير الى عنتر وقال له يا ابن العم ما كان جواب هؤلاء القوم
الكلاب الا الصلب وضرب الرقاب حتى لا يعود خداوند يبعث لنا أحدا قال عنتر يهنيك يا ملك الزمان
أنا قضيت لك الاشغال وصلبت الجميع على الجبال قال الملك زهير وحق ذمة العرب أنت ما على رأيك
رأي فهما أردته فافعله فالامر مفوض لك في جميع الاحوال لا يعارضك أحد من الابطال فعاد عنتر وأتى
شيبوب قد صلب الجميع ما خلى غير الثلاثة الذين أمره أن يتركهم فأمره عنتر أن يحلق ذقونهم ويقطع آذانهم
وخشومهم ويضع رؤس المصلوبين في رقابهم ويردهم الى عند ملكهم ففعل شيبوب ما أمره عنتر فيهم
ثم انه أمرهم أن يرجعوا الى عند ملكهم خداوند فبعدان طلعوا من الجبال مات منهم واحد في الطريق
والاثنان وصلوا وثيابهم من الدم مثل العقيق وما زالوا سائرين حتى صاروا قدام زردخال ولما نظر الى
حالهم غاب عن الوجود وهد روز مجرو وكفر وتحير وطار من عينه الشرر وقال الذنب الى خداوند الذي يرسل
مثل هؤلاء العرب الذين أبدوا القبح ويطلب منهم الصلح ثم انه أخذهم ودخل بهم على خداوند بن
كسرى وحكى له جميع ما تم وما جرى فلما سمع خداوند من حاجبه هذا الكلام صارا لضياء في عينيه كالظلام
وحلف بالنار اذا لم تأتوا لي بجميع العربان الى بين يدي أجعين اسارى مكتفين مغلولين حتى أشفي منهم
كبدي والغليل والا جعلت كل من عندي قتيل ثم انه بات تلك الليلة وهو لا يصدق متى يصبح الصباح
حتى ينهب من أعدائه الارواح فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح نادت النقباء في المواكب
وصاحت الفرسان والكتائب وركبت صهوات الخيول والجنائب وتعدلت الميامن والمياسر وصار فوق
رؤسهم سرداق من الغبار وأظلمت الاقطار وبرقت الابصار وخفضت الرايات ودقت الطبول
وزمرت البوقات وتعالت الاصوات في وسيع الجو وعدم النور والضو وتقدمت الأعلام الكسروية
ووقفت الخيل العربية وهزت العجم حرابها وكشرت المنية أنيابها وخافت شيوخها وشبابها وثارت
بنو عبس تريد القتال وتطلب المدافعة عن الحريم والعيال وقد أيقنت بالويل والوبال ولم يبعدوا عن
الجبال خوفا على الحريم والعيال وحمل عنتر على عساكر العجم وصار يفترس منهم كل غشمشم وأراد انه
ذلك اليوم يرد العجم عن الحملة فما أمهلته العساكر بل انها صاحت بلغاتها المختلفات وتوسلوا بالنار والنور
وأنا وأنتم نوحد الملك الغفور * هذا وخداوند بن كسرى أمر زردخال انه يأمر الملك الاسود أن لا يدع
العرب تختلط مع العجم حتى لا تشتبه العرب بالعجم وقت الحرب والقتال ثم سار زردخال وأعلم الملك الاسود
فأجاب بالسمع والطاعة وكان قد ركب مع العرب من الجملة الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر وجماعة
من أمراء العرب لاجل ان يتفرجوا على القتال خارج المعمعة * هذا والدنيا قد انقلبت والشمس من
شدة الغبار قد احتجبت والارض من ركض الخيل قد تكدرت والنفوس على الخلاص قد تحسرت
وفي ذلك الوقت دافعت العرب عن أرواحها وقد أيقنت بافتضاحها * هذا وعنتر ومعديكرب بددوا
عساكر العجم ونثروا منهم القمم وأكثروا منهم الرمم وهما الاثنان كأنهما ماردان من مردة الجان أو
كأنهما فرسارهان يحملان حملات هائلات ويضربان ضربات قاتلات وكذلك الابطال من بني عبس

وبني

وبنى كندة وبنى زبيد قاتلوا قتالا لا يذكره القريب والبعيد (قال الاصمعى) ولقد كنت حاضر فى هذه الوقعة ولها ناظر فقاتلت بنو عبس لذلك الجمع الكثير وما قصرت وحمت حوزتها وما تأخرت فقال الربيع للملك الاسود وحق ذمة العرب يا ملك ان ثبات هذه القبيلة ما هو الا بعنتر ولو مات واندثر ما كان أحد منهم وقف ولا قاتل فقال الملك الاسود والله انك لصادق يا ربيع فى مقالك أما تسمع حس مواقع ضربات عنتر كأنها الرعد القاصف * هذا وخداوند جعل باله الى بنى عبس وحملانها وصعب عليه ثباتها وكان حوله مقدار عشرين ألفا من العجم فأمرها بالحملة فحملت ورمت أنفسها الى المجال وألقت أرواحها فى القتال * هذا وقد زاد الفزع والمخاف وقطعت الايادى من خلاف ودار عليهم ملك الموت بكأس الاتلاف وعاد الوعد بينهم خلاف والقتل اسراف واصفرت الوجوه خجلا وارتفع الغبار وعلا وصار السهل جبلا وعظم الويل والبلا وكساهم من الدماء حللا ومازال السيف يعمل بين الملا ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وهدت الارض من ركض الخيل بعد ما قل من الجميع القوى والحيل وامتلأت الارض قتلى ودارت المواكب حول خداوند بن كسرى لانه حارذلك اليوم من ثبات بنى عبس قدام العساكر التى كانها البحار الزواخر وقال وحق النار ان دام علينا هذا الامر انكسرنا موس الدولة الكسروية اذا لم يتبدد غداة غد أمر هذه الطائفة الدنيه والا أضرب رقابكم كلكم بالسواء فلما سمعت العجاب من خداوند ذلك الخطاب أوعدوه انهم لا يتركون من بنى عبس ديار ولا من ينفخ النار ثم بعدها نزل خداوند وعساكر العجم وهم حيارى من فعال عنتر الهمام هذا ما كان للاعجام (وأما ما كان) من بنى عبس وفارسها الادهم فانهم لما انفصلت العساكر وعادوا طالبين الجبال وعنتر قدامهم كأنه الاسد الرئبال وهو كأنه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وبات العسكران يتحارسان تحت مشيئة الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شان عن شان حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت العساكر واصطفت الدساكر للحرب والكفاح وظهرت أبطال بنى عبس وقدامهم عنتر بن شداد والى جانبه معديكرب كأنه من بعض الآساد ولما صاروا قدام الجبال ما مكنتهم العجم من الوقوف بل انهم صاحوا عليهم من سائر الجهات وانطبقوا على بنى عبس كما تنطبق البحار الزاخرات ودقت الطبول وزمرت البوقات وعلت الضجات ورقصت الخيل بركابها وهزت الدبالم حرابها وقد حار من الرجال ألبابها * هذا وبنو عبس لم يتأخروا عن الجبال خوفا على الحريم والعيال وعندها اندفقت عليهم عساكر العجم وأبطال الترك والديلم كأنها البحار الزواخر وعملت الرماح البواتر وصار الدم غائر والشجاع كاسر والجبان خاسر وتفطرت المرائر هذا وعنتر كأنه أسد جاسر وهو يجول فى تلك العساكر ولا تهوله الامور الكبائر وقد تدفقت عليه المواكب كأنها البحار السواكب وعملت بينهم القنا والقواضب وسال الدم على اللحاء والشوارب وكثر العجاج وحمى الشجاع وهاج ونادى ملك الموت فى الارواح بالهجاج * هذا والصوارم لمعت والرماح شلعت والدروع تقطعت والارواح انتزعت والارض بالدماء تبقعت ومنازل الابطال ارتفعت وزادت نيران الحرب وكثروا الطعن والضرب وعمل كل صارم عضب وصار الهين صعب * هذا والمعمعة غلت كغليان القدور وبخرت البطون وتقصفت الظهور وتعاظمت الامور ونزل عليهم القدر المقدور وحامت عليهم العقبان والنسور وصار الجبان مقهور والشجاع منصور وقاتلت الرجال وعظمت الاهوال واشتد القتال وجالت الاقيال وقل القيل والقال وعملت بينهم بيض النصال وطاب لهم السماع فى حومة الميدان بتلك البقاع وتسطحت القتلى فى جوانب القاع واندهل الشجاع وارتاع ودام الحرب واتصل ونار القسطل وتساقطت الرؤس من أعالى القلل ووقع الهجر والملل بكل

شجاع وبطل وضرب بالقوم المثل وكان عليهم ذلك اليوم كألف شهر وأطول كما قال فيه من رتب هذا الكلام وله نقل حيث يقول شعرا

نهار فى الدهور الخاليات * يؤرخ فى مقالات الرواة * جرت فيه الحروب وكل شر
على الاعجام والعرب السراة * وجيش الفرس قد جاؤا بخيل * وعسكرهم ملا كل الفلاة
وقد راموا هلاك العرب جمعا * وسكان البرارى المقفرات * فلاقتهم بنو عبس ومعهم
جيوش بنى زبيد الفاتكات * وكرت بينهم خيل المنايا * وقد نادى المنادى بالممات
وقد طلع الغبار بكل فج * وغيب فى الوغا شمس الكماة * وبرق البيض يلمع وهو يحكى
نجوما فى الليالى المظلمات * وضرب السيف يسمع مثل رعد * يقعقع فى السحاب السائرات
وطعن الرمح يخرق كل صدر * ويقلع للعيون الناظرات * وهمهمت الفوارس فى مجال
كأنهم أسود فى الفلاة * وصالت سائر الاقران فيه * بطعن فاتك أهل الترات
وهامت فى المجال رجال حرب * لهم فى الحرب أوصاف الصفات * وقد طربوا على حس المواضى
رجال الحرب شبه الغانيات * فلما شاهدوا منها قواما * وهى تجلى على كل الحماة
تناثرت الرؤس لها نثارا * وقطعت الرجال بذا بذلات * وغنت بينهم بيض وسمر
وقد قام السماع بمرهفات * فطابوا للسماع بكل وجد * وقد مالوا الى نحو الثبات
ودارت بينهم كأس المنايا * بخمر من شراب المهلكات * فأسكرهم وغيبهم جهارا
وقاموا للتعربد والشتات * وقد سلوا الصوارم ثم عادوا * الى بذل النفوس الغاليات
فلما عربدوا وجبت عليهم * حدود لارتكاب المنكرات * فنهم من تراه غدا طريحا
تدوس عليه خيل الصافنات * وآخر قطعت أعضاه قطعا * وآخر مل من طعن الكماة
وقد صاروا بوجه الارض صرعى * وقد شربوا لكاسات الممات * وناحت بينهم غربان بين
كذا سمعوا صياح النادبات * وغارت بينهم خيل المنايا * وأجسادهم مثل الرفات
ودام الحرب بينهم وملوا * وخيل الموت وافت جائلات * ودام وا فى الحروب وقد تفانوا
على هذى المعانى والصفات * وهذا النظم من رجل فقير * غريب يرتجى للمكرمات
غلام عند أهل النظم جمعا * ومداح الاصول الطيبات * حزين فى الزمان ينوح دوما
على عمر مضى فى الداهيات * وليس له من الاعمال شئ * يرجيه غدا فى يوم آتى
سوى مدح النبى خير البرايا * شفيع المذنبين مع العصاة * فهو كنزى وذخرى يوم حشرى
به أرجو السلامة مع نجاتى * من النيران والاهوال جمعا * وأسكن فى الجنان العاليات
أنا والحاضرون ووالدينا * وكل المؤمنين ذوى الثبات * وانى قد سميت لحب شيخى
بمحى الدين يسمى فى العصاة * وعبد القادر الفرد المسمى * قرا كل العلوم الخافيات
به وبجده خير البرايا * محمد من أتى بالبينات * وأرجو العفو من ملك قدير
الله جل عن حد الصفات * بحرمة عبدك المختار تقبل * سؤالى قبل ما تنضى حياتى
وان ابن الحسين لديك يرجو * زيارة أحمد قبل الممات * وفى الاخرى يكون لنا شفيعا
من النيران تلك الحاميات * وندخل جنة برضاء رب * كريم غافر للموبقات
أنا والمسلمون ووالدوهم * سألنا الله حسن الخاتمات * بجاه محمد خير البرايا
أجرنا فى الحياة وفى الممات * على طول الزمان يدوم دوما * الى أن تقبل الاخرى وتاتى

(قال الاصمعى) ولم يزل العسكران فى قتال وطعن ونزال الى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل

الليل بالانسدال ودقت طبول الانفصال فافترق العسكران عن بعضهم البعض بعد ما امتلأ بالقتلى وجه الارض ثم انهم باتوا يتحارسون الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ونادوا للحرب والكفاح ولما وقعت الصفوف وتعدلت المآت والوف وركبت الابطال على ظهور الخيل الصافنات واعتدوا كما جرت لهم العادات وأخذ الفرسان مواضعهم الا انه ما طال الوقوف بالناس حتى ظهر عنتر كأنه الموت الاحمر وبرز على ظهر جواده الابجر وهو مثل البرج المشيد أو كأنه قطعة من الجلامد وقد تبعه الملك زهير مع أولاده وسائر فرسانه وأجناده وأبوه وأعمامه ورجال بني قراد أمامه وانحدرت من خلفه بنو غطفان وكل واحد منهم كأنه مارد من مردة الجان وجميع الابطال والفرسان فقال الملك زهير لعنتر يا أبا الفوارس الجمع علينا كثير والعدد غزير فقال عنتر أي شئ هذا الكلام يا ملك الزمان فأنا أقسم بالملك الديان الرحيم الرحمن الذي خلق الانس والجان لأريتك حربا وقتالا يذكر ما بقي الزمان ولأبيدن هؤلاء الاقران وأرضي الرحيم الرحمن بهلاك عباد النيران ثم ان عنترا أنشد يقول

أنا العبسي عنتر ليث حرب * ولي ذكر سما بين الكرام * ذكرت عبيلة في وقت حربي
فأصبح حبها يفني عظامي * حملت قناة حربي فوق مهري * نهار الحرب في يوم الصدام
كسرت لاهلها من حد سيفي * وفاض دماؤهم مثل الغمام * ومارديت صدر المهر عنهم
وهمت بعبلة والحب سامي * فقلت لها اقصري عنها وسيري * فقد فزع الركائب بالزمام
حماة الروع قد جاءت الينا * كتائب تبتغي ورد الحمام * كتائب جيش عربان وفرس
علوج حول ذي ملك همام * بكر عليهم مهري كريما * قلائده مباسب مع أكام
وراكبه فتى من آل عبس * أبوه وأمه من نسل حام * زبيبة من بني حام بن نوح
كان جبينها حجر الظلام * تبعبع شبيه ضبع في فلاها * وساقاها عمدة العظام
وخيل تحمل الابطال شعس * غداة الروع أمثال النعام * بأيديهم مهندة وسمر
كأن ضياءها برق الغمام * فجاء بكر في حرب عوان * كأن حريقه نار الضرام
قتلت لوردشان وكان قرما * منيعا في اللقا يوم الصدام * تركت نساءه تبكي عليه
بتفجيع وهو في التراب دامي * وهذا اليوم أغتال ابن كسرى * ومعه أسود نسل اللئام
واني عنتر قد شاع ذكري * أقد الهام بالعضب الحسام

(قال الراوي) ثم بعد ما فرغ عنتر من هذه الابيات انحط على العجم كأنه الاسد الكاسر وصاح وحمل فاهتز لعظم حملته السهل والجبل وتحيرت الابطال من عظم صرخته ورأت الفرسان ما أهالها من شجاعته

(قال الراوي) لهذه السيرة العجيبة والامور المطربة الغريبة لقد سمعت على عنتر مرارا عديدة ممن أثق به من البشر واعتمد في كلام الصدق عليه قال لي يا أصمعي ان عنترا له حملات تهد الجبال الراسيات وله صرخة اذا صرخها تجاوبه القيعان والبيد ويلين منها الحديد وتفلق الحجر الصلب الجليد وتتزلزل الارض لعظم صرخته وتولى الخيل من شدة هيبته وتحطم الرماح من الازدحام وتتكردس الابطال والشجعان وما كنت أنا أصدقهم في هذا الكلام حتى حضرت في هذه الوقعة ورأيت بعيني تلك الحملة والصرخة من عنتر فحسبت ان الجبال انطبقت على تلك الارض والاطلال وان الرعد هدر في خلال حملته وصرخته والغمام قد اضطرب من عظم زعقته فعرفت ان الذي كان يصف لي عنترا ما قدر أن يوصف بعض صفاته حتى انذهل عقلي وحار فكري وتحيرت في أمري وكنت أصف عنترا وهذه الوقعة بين يدي بعض الملوك فكان يقول لقد كان لبني عبس عبد نجيب لو عاش لملكت به سائر الاقطار وان عنتر خلقه الله شرارة من النار ونقمة على الاشرار وذلت له رقاب العرب والعجم من حضر منها ومن غاب من الامم وكان

عنتر فى ذلك الزمان قد حاز الكرم والمعرفة وحسن الشيم واللطف فى المقال والقوة على النساء والرجال وحسن الصناعة والقوة والبراعة وقد مدح النبى المكى فى قصائده واستنجد به ولم يره ومن جملة ما قال هذه الابيات يامن حضر صلوا على نخر ربيعة ومضر الذى انشق له القمر وترضوا عن أصحابه الغرر أبى بكر وعثمان وعلى وعمر

أنا عبد بنى عبس المسمى * رجال الحرب تعرف لى مقامى * فبارباه أن تظهر محمد
رسول الله مصباح الظلام * وتنشر ذكره فى الارض جمعا * وتحمى حرمة البيت الحرام

(قال الراوى) فلاجل هذا سمعت جميع أشعار الجاهلية فلم أر نص الاكلام عنتر وقد طلب بعض الملوك رؤيته وكان ابن ثلاثين سنة لما سمع عن شجاعته وأوصافه الحسنة وأراد أن يكون فى ركابه بين الملا فوفق الله ان كان من ذريته من أسلم وقاتل بين يدى نبينا عليه الصلاة والسلام وهى ابنته عنترة وعمرو وجار العلم وزيدان والغضروف والغضنفر والجوفران وقد جعل فى ركاب نبينا صلى الله عليه وسلم من هو أشجع من عنتر وأفرس وأثبت عند اللقاء وأحرس وجعله الله آية لنبيه وأعطاه من الشجاعة ما ليس لغيره لا من قبله ولا من بعده وهو الامام الكرار والليث المغوار والاسد الهدار الضارب بذى الفقار الذى محا المشركين والكفار الامام الانزع والبطل الصميدع ليث بنى غالب فارس المشارق والمغارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (قال الاصمعى) وقد اجتمعت على عنتر مرارا عديدة فما رأيته قط يسجد لصنم ولا هتك حرم وما كان يحلف الا برب البيت الحرام وكان عنده يقين بظهور سيد المرسلين ولما رجع من سفرته من بلاد الروم من عند الملك قيصر أرسل وراء الراهب الذى فى دير الصنم وقال له متى يغور الماء الذى فى جزيرة الصافات ومدينة الواحات الذى فى جزائر الافرنج فقال يغور ذلك الماء بعد أن يظهر فارس بنى عبس الادهم وشجاعها المعلم ففى ذلك الوقت ينقطع الماء عيان وبعده يظهر المبعوث من آل عدنان يكسر الاصنام والصلبان ويبطل عبادة النار والاوثان قال عنتر ورب البيت الحرام أنا أحق من يؤمن به ويستجير مادمت فى قيد الحياة واذا ظهر أغازى أعداءه وبعد ذلك عاد عنتر من بلاد الافرنج طالبا أرض بنى عبس وعدنان وكانت مدة سفرته عشرين عاما ولما وصل الى الفرات وسمع بوصف النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يسير للبيت الحرام فقتله الاسد الرهيص وأسقاه كأس الحمام وكان ذلك بأمر الملك العلام فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى * ولما أتيت فى هذا الحديث فى سيرتى الحجازية المروية التى هى أثبت القصص اعترضنى جماعة من العلماء وكان ذلك فى حضرة هرون الرشيد وهو الخامس من بنى العباس وكان من جملة من اعترضنى فى حضرته وهم جلوس حسن البصرى وعبيد الخوارزمى وبشر البغدادى ومالك النغرى وعبد الرحمن السمرقندى وشعيب الاصفهانى ومالك بن يزيد الكندى وابراهيم الموصلى واسحق بن سعيد الدمشقى وعبد الله بن نافع الطائى وكان بحضرته أبو نواس ويحيى البغدادى وجعفر بن يحيى البرمكى وجماعة من وزراء هرون الرشيد وندمائه فجهدوا أن يبطلوا هذه السيرة تعمدا وعصبية وحسدا حيث انهم لم يقدروا أن يأتوا بترتيب ألفاظى وحسن اهتمامى وايقاظى وناظروني وكذبونى فأقمت الحجة عليهم وأرغمت أنوفهم وأشهرت سيفى وأغمدت أسيافهم وأشهرت هذه السيرة فى بلاد الحجاز وانتشر ذكرها فى سائر الآفاق لانى عمرت من العمر ستمائة وسبعين عاما فى زمن الجاهلية منها أربعمائة عام والباقى فى الاسلام وأدركت هرون الرشيد وهو الخامس من بنى العباس حتى أذنت بسماع هذه السيرة بين الناس وذلك لاجل ما تقوله العوام وتخوض فيه من الكلام وما يعرف هذا القول بارفاق الا أرباب العقول والارفاق الذين أطلعهم الله على سرائر مكنوناته وعرفهم بذاته وصفاته على حسن أقاويلهم واستعدادهم

واستعدادهم (ونرجع الى سياق الكلام الاول) بعد الصلاة والسلام على نبينا المفضل ولما أن حمل عنتر ذلك اليوم على العجم وصرخ جاوبته الجبال والاودية والقيعان وارتجعت الخيل على أعقابها وقدحت من حوافرها النيران وحين حمل عنتر صاح فى جواده الابجر فطلع من تحته كأنه البرق اذا برق أو السهم اذا مرق وعلى الحقيقة انه فى تلك الساعة اعتمت الجهات وأقيمت الرايات والغبائر خيمت والرجال تصادمت والجماجم تساقطت والبطون تفجرت والرماح تحطمت والسيوف تثلمت والدماء قد انسكبت والارواح انسلبت والفرسان باختلاف اللغات تجاوبت وبالحراب تراشقت وأصحاب الاشناب افتخرت والاندال تأخرت والشجعان تقدمت والصفوف بالجراح انفتحت والرؤس تطايرت والقتلى تكردست وفى ذلك اليوم ضاقت الانفاس وزاد الامر عن حد القياس ولم يزالوا فى حرب وقتال وطعن ونزال حتى أذن الله للنهار بالارتحال والليل بالانسدال فتفرقت العسكران وقد ملوا من الضراب والطعان * هذا وخداوند بن كسرى أنوشروان قد حار من هذا الامر والشان (قال الراوى) ثم أنزل خداوند وفى قلبه لهيب النار على عنتر ومن معه من العربان وجميع عساكر العجم ما لهم ذكر ولا كلام ولا قدر ولا شان الا عنتر وشجاعته وما فعل بهم فى الحرب والطعان هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بنى عبس فانهم لما عادوا وعنتر قدامهم كأنه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان * هذا والملك زهير وأولاده وبنو عبس الجميع ما عاد له ذكر ولا كلام غير عنتر الهمام الكل يدعو فكان له بالنصر والظفر وباتت العسكران تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح فعندها توانبت العجم الى ظهور الخيول واصطفوا ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وطلعت أبطال بنى عبس من الجبال وأخذت مواضعها الرجال وما طال بالناس الثبات ولا وقفوا غير ساعة من الساعات حتى برز عنتر وهو راكب على ظهر جواده الابجر وهو كأنه موج البحار الزواخر الا أنه ما جال ولا طلب براز ولا نزال دون أن حمل على عساكر العجم وعمل فيهم عمل النار فى الحطب وأنزل بهم البلاء والكرب وقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وبعد ذلك رجع الى بين الصفين صال وجال وافتكر فيما لاقى من الاهوال وأشار للعجم بهذه الابيات وهو يقول صلوا على طه الرسول

سيفى الضامى صديقى * وكذا الرمح رفيقى * صهوة الابجر عندى
وكذا الدرع خلوقى * وكذا الحرب دواما * هو صيتى وغبوقى
واذا الصائح نادى * بنجيب وشهيق * جئته والخيل تسعى
مثل نيران الحريق * وأجازيه سريعا * ليس أخشى من مضيق
وكذا الضامى شقيقى * لعدوى وصديقى * عبل انى أودى خصمى
وهو يقظان مفيقى * وأنا عنتر حقا * طعنتى تسقى لريقى
لا أبالى ان أتى الموـ * ـت ولى عزم وثيق * ليس لى فى الحرب ند
ان رمى كالعقيق * واذا الاهل جفونى * وتناونى صديقى
أكتم الغيظ واعفو * عن عدوى ورفيقى

(قال الراوى) فما اتم عنتر لكلامه وفرغ من شعره ونظامه الا وبرز اليه فارس من الديلم كأنه قطعة جبل وانحط على عنتر مثل القضاء المنزل وهو يذكر النور والنار فاستقبله عنتر كأنه الاسد الهدار وقال له فى است أمك على أم كل من يعبد النار يا ابن الاشرار وضربه بالحسام على وريديه فاطاح رأسه من بين كتفيه ورماه قتيل وفى دمه جديل ثم ان عنتر اصال وجال وطلب البراز والنزال فبرز اليه ثانى من العجم فأنزل به الهلاك والنقم فعند ذلك تتابعت اليه الفرسان من كل جانب ومكان ولم يزال يقتل ويأسر

حتى غابت الشمس فرجع من الميدان بعد ما قتل منهم مائتين وخمسين وأسر سبعين من الفرسان وعاد وهو كأنه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو بما فعل ذلك اليوم فرحان وهو مع ذلك ينشد ويقول أفلح من يصلى على طه الرسول

اذا شئت أمطرت القنا لون عندم * وجندلت فرسان الهياج بمخدمى
أنا ابن كرام الناس شرقا ومغربا * أصول كبأسى فى الوغا وتقدمى
أنا فارس لم ينتج الدهر مثله * أتيه بفعلى فى الوغا وتكرمى
أنا ظاهر الاهوال فى يوم بأسها * أنا قابض الارواح مفنى العزائم
أنا الفارس المطلوب باصائح الندا * أنا طاعن الشجعان يوم التصادم
أنا فارس الفرسان عزمى قد سما * وقد صار مقرونا بشمس العزائم
أعبلة انى فارس متقسور * وانى ذو بأس عبوس غشمشمى
فأقسم بالبطحاء والركن والصفا * وأركانها والمعشرين وزمزم
بأنى أقيم الحق فى حومة الوغا * وأوجزهم طعنا برمحى وصارمى
أقيم بنى عبس على الناس كلهم * بجودى وعزى عندهم وتقدمى
اذا نادت الابطال فى الحرب من لها * أنادى أنا والموت بالموت يرتمى
وأنى الذى ألقى المنية ضاحكا * وتلقانى الفرسان دون تبسم
فلا كل من يعلو الجواد بفارس * ولا كل معقود البطاقين صارمى
عبلة قومى وانظرى اليوم عنترا * هزبرا ويلقى كل جيش عرمرمى
خداوند فارجع لا تكون مخاطرا * بروحك مع حامى الحريم فتندم
أنا عنتر العبسى فارس قومه * وذات لسيفى العرب من كل أعجمى

(قال الراوى) فلما سمع بنو عبس من عنتر هذه الابيات قال له الجميع لافض الله فاك ولا كان من يشناك يا حامى الحريم والاهل والبنات ودافع عنا النائبات فشكرهم عنتر على مقالهم وأثنى عليهم ودعا لهم ودخلوا للجبال وهم فرحون بفعال عنتر الفارس الريال وباتوا يتعارسون الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الابطال واشتهرت الرجال واصطفت الصفوف وتعددت المئات والالوف وركب خداوند بن كسرى فى موكبه الخاص وعلى رأسه الازدهارات وقد لبس فى ذلك اليوم أحمر والغيظ كاد يخنقه من دون البشر وهو ينظر الى عساكر بنى عبس نظر شزر واذا بعنتر قفز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلى صوته هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزائز اليوم شيل الجنائز لا يبرز لى منكم باطنا جبير الجسم لا كسلان ولا عاجز مالكم واقفين وفى أمركم حائرين ابرز وافارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس ألف لفارس وان طلبتم قلة الانصاف احملوا على بجمعكم حتى ألتقيكم وحدى بقوة ساعدى وزندى (قال الراوى) فلما سمعت عساكر العجم وخداوند بن كسرى كلام عنتر وأقعهم التحير والفكر وقال خداوند وحق النار أن هذا من أعظم العار من يبرز لهذا العبد الجبار * هذا وقد تقدم الى قدام خداوند رجل شيخ من مشايخ النار وقبل يده وقال له يا ملك الزمان لا تحتقر بهذا البطل الذى ضربت بشجاعته الامثال وقد أهلك جميع الابطال والرأى عندى انك تحمل عليه وعلى بنى عبس بكل عساكرك من عرب وعجم وترك وديلم والا أفنانا هذا الفارس الادهم فلما سمعت أرباب دولة خداوند كلام ذلك الشيخ قالوا كلهم وحق النار يا ملك الاقطار ان هذا الشيخ تكلم بالكلام الصحيح وأبدى القول الصريح والرأى

عندنا

عندنا ان نسمع منه كلامه فعندها أمر خداوند الى العساكر بالحملة فحملت جميع تلك العساكر جملة رجل واحد من عرب وعجم وترك وديلم فالتقاهم عنتر كأنه أسد أغبر بضرب لا يبقى ولا يذر فلما نظر الملك زهير الى حملة العساكر وكيف احتاطوا بعنتر أمر بني عبس وبني كندة وبني زبيد بالحملة فحملوا بجملتهم واندفقوا على عساكر العجم وانطبقوا على بعضهم البعض كموج البحر اذا التطم حتى شابت من هول ذلك اليوم المفارق والقمم وقاتل الشجاع الغشمشم وذل الجبان وانهزم وعادت الموالى خدم وجرى عليهم ما خط بالقلم وانهار ركن الحياة وانهدم وأظلم عليهم النهار واعتم ودهمهم الشجاع وبرى المعاصم والقمم فابصر خداوند من بني عبس ومن فارسها الادهم حربا ما شاهد مثله لا في العرب ولا في العجم ومازال الحرب يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصلت العسكران عن بعضهم البعض وعاد عنتر قدام الابطال كأنه غطس في بحر من الدماء سال ودرعه صار ذلك اليوم مثل القنفذ من نبال العجم فافتكر هذه الوقعة وما جرى له فيها من الاهوال والامور الثقال فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

عبيلة بالحديث فلا تبالى * ولا يحزنك طارقة الليالى * ولا تخشى المنية فهى حتم
بأمر مقدر ماضى الفعال * وحقك لو نظرت الى الاعادى * تجول على في حال القتال
وقد نقضوا كتائبهم وجالوا * بكل غضنفر وافى النزال * وقد هاجوا الابحر فى لظاها
يبارى الريح فى يوم المجال * وما جوا مثل موج البحر حولى * وسلوا عند ما سلت نصالى
فكنت كالهزبر بلا ارتعاب * ولا خوف لدى ولا أبالى * ولو أبصرت برق الموت يبدو
من البيض المهندة الصقال * وكاسات المنايا دائرات * من السمر المثقفة العوالى
وعنتر تحت ظل من عجاج * يقد بسيفه هام الرجال * وان لذعته أطراف العوالى
يقاتل باليمين وبالشمال * أنا الموت الذى أعيا البرايا * تلين لشدتى صم الجبال
أنا ابن الكسروى بكل عرق * عريض الذقن منتوف السبال * بخلنا فيهموا عضمرات
ملمعة الخواصر كالسعالى * فلا قيناصدورهموبطعن * يقلقل وقعه قلل الجبال

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجبت من نظمه الابطال والسادات أما الملك زهير فانه انقض على عنتر وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه لانه خاف عليه ذلك اليوم وما صدق انه يراه سالما من نبال العجم وافتقد الملك زهير أولاده فوجدهم قد انجرح منهم ثلاثة وانصابت عين ولده ورقة بنبلة من نبال العجم فقال عنتر يا قوم لو لا ضربهم بالنبال كنا محقنا عددهم وقطعنا امددهم وتركناهم عبرة لمن اعتبر ثم انهم ربطوا الاسارى فى الحبال وأدخلوهم للجبال وعنتر يقول وحق ذمة العرب لا آخذ بثار ورقة ابن الملك زهير الا روح خداوند بن كسرى أنوشروان لانى غدا ان غدا لا بد أن أهجم عليه تحت الاعلام وآخذه أسيرا أو أتركه قتيلا معفرين الاكمام وبعدها نزلت العساكر وقد أوقدوا النار حتى بقى الليل مثل النهار وكانت بنو كندة عادت ذلك اليوم وهى متحيرة على من قتل منها كأنه وقع فيها المحاق والاضرار لاجل غيبة أميرها حجار وباتت تلك الليلة يلوم بعضها بعضا حتى أصبح الصباح وأمر خداوند الى حجابه أن يفتقدوا الطوائف التى فى الكفاح فقالوا يا ملك قتل منا مقدار عشرة آلاف وأسر ألفان فضاق صدره وحار أمره وقال غضبت عليكم النار واستوجبتم العار يا ويلكم كل هذا يجرى عليكم وأنتم أضعافهم فى العدد فلو كانوا مثل نصفكم أو مثل ربعكم ما كانوا تركوا منكم أحد فقال له الحجاب والمقدمون أيها الملك لا تلمنا لاننا كنا فى هذه الايام الماضية يتكل بعضنا على بعض وفى هذا اليوم نريد قتالهم مبارزة حتى يبين الشجاع من الجبان لانه يا ملك فى فرساننا كل واحد يلقى ألفا من هؤلاء العرب فغدا تغدى

عينك منا العجب ولا تخلى منهم لا رأسا ولا ذنب قال خداوند افعلوا ما بدا لكم ولا تخلوا العرب والملك
الأسود يروكم بعين النقصان ويقولوا ان العجم على كثرتهم ما قدروا على بنى عبس فى الحرب والطعان
فلما كان ثانى الايام اصطفت العساكر وترتبت الدساكر وكذلك بنو عبس ومعديكرب وبنو زبيد
ركبت واهتزت لذلك الجوانب وقال معديكرب لعنتر يا أبا الفوارس لو بارزنا هؤلاء القوم الاعجام كانت
بانت شجاعتنا بين الخاص والعام فقال عنتر يا معديكرب ان بارزونا أو حاربونا لا بد عن اهلاكهم
وكسرهم وتبديدهم فبينما هم فى الكلام اذا بفارس قد ظهر من عساكر الاعجام كأنه قطعة غمام
وتحته جواد صلب القوائم صبور على التصادم وعلى ذلك الفارس درع مانع وهو قصير الاكمام من
عمل داود عليه السلام ثم انه لما بعد عن الصفوف نزل عن جواده وسجد للشمس كفرا وغرور وأنا
وأنتم نوحد الملك الغفور وطلب من النار انها تنصره على بنى عبس ومن معهم من عرب القفار فلما نظر
معديكرب الى ذلك الفارس برز من بين عساكر العجم وصار بين الصفين قال لعنتر يا أبا الفوارس كأنه طالب
البزار فقد انقضت حاجتى وشهوتى واليوم أشفى منهم غلتى ثم ان معديكرب انقض على ذلك الفارس
وانطبق عليه فلما قاربه صاح فيه وزعم عليه وأراد العجمى أن يظهر شجاعته فلم يتركه معديكرب
يلتفت ولا يلوى العنان بل طعنه فى صدره فطلع الرمح عشرة انابيب يلمع من ظهره وانقلب عن
ظهر جواده الى الارض فتعجبت الاعجام من تلك الطعنة وقالوا من فينا يقدر ان يفعل مثل هذه الفعال
فقال خداوند وحق النار هذا البدوى ما خلى صاحبنا قدامه بندار ولا يلفت العنان * هذا ومعديكرب
صال وجال وبرز اليه الثانى فما خلاه يصول ولا يجول دون ان تركه على وجه الارض مقتول فصارت
الفرسان تتابع اليه وهو ينكسها بين يديه حتى تنصف النهار فقتل أربعين وأسر ثلاثين فتوقفت عن برازه
عساكر العجم وجرى على خداوند ما لم يجر على قلب بشر من الامم وأما الربيع بن زياد فانه لما كاد قلبه أن
يتفطر تقدم الى الملك الاسود وقال له أى شئ هذا التدبير يا ملك الزمان هذا شئ ما بلغنا من بنى عبس آمال
والصواب عندى ان نحمل كلنا عربا مع عجم ونرك وديلم ونهجم على بنى عبس داخل الجبال ونسبى الحريم
والاطفال حتى نبلغ منهم الآمال قال الملك الاسود يا ربيع أنا أعلم ان العساكر تنكسر مادام ان هذا
الصبى لهم مدبر لانه نظر ما جرى على أصحابه ومن قتل من حجابه فهانت روحه لانه صبى وجاهل على
كل حال هذا ما كان للربيع والملك الاسود (وأما ما كان) من خداوند فانه لما نظر ما جرى على أصحابه زاد به
الغيظ والغضب وعول على انه يسل حسامه ويقع فيمن قدامه ويتولى بنفسه الحرب والقتال فما مكنه
من ذلك الحال وزيره زردخال فارس بلاد العجم بل انه تقدم اليه وقبل الارض بين يديه وقال له أيها الملك
السعيد بعد ما بلغ الامر بيننا الى هذا الحال نحمل نحن ولا تقاتل أنت بنفسك لان فى عساكرك كل واحد
يلقى كل هؤلاء العرب ويردها بقوة ساعده وزنده وحده وأولهم أنا فان أردت ان آتيك بالجميع أسارى
الى بين يديك فعلت وان أردت يا ملك حملنا عليهم بكل العساكر جملة واحدة وقد تركنا هذه الارض
منهم خامدة قال خداوند ما كنت أريد الا من يأتينى بهذا البدوى الذى هو واقف فى حومة الميدان
حتى أعذبه أشد العذاب وأحرقه فى بيوت النيران حتى لا يقول الملك الاسود ما كان فى عساكر العجم من
يلقى هذا البدوى فى الحرب والصدام قال زردخال يا ملك الزمان أنا آتيك به أيها الملك الهمام وآتيك
بعده بعنتر الاسود الحجام قال خداوند وهل هذا البدوى ليس هو عنتر قال زردخال لا يا ملك بل هذا
البدوى يسمى معديكرب وفى هذه الايام صادق عنترا بصافى الجنان وصار له من بعض المحبين والاخوان
وقد التجأ هو وقومه الى بنى عبس وعدنان وأنا من أول يوم لو كنت توليت أمر القتال ما كنت تركت
لعنترا ولا لمعديكرب ولا لأحد من هؤلاء العرب ثم انه بعد كلامه برز الى بين الصفين وهو راكب على

جواد

جواد أدهم بغرة كالدرهم اذا صهل كاد أن يتكلم وعليه درع قصير الاكمام ينبي صاحبه من الكرب في الصدام ولما ان صار بين الصفين هدر وزمجر وصار يدمدم ويشتم العربان بلسان العجم حتى صار قدام معديكرب فلما نظر عقاب الترجمان الى الوز برزردخال صار قدام معديكرب في حومة الميدان تقدم عقاب الى قدام عنتر وقبل يده وقال له يا مولاي أما عاهدتني أنت انه كلما أتى اليك رسول أو حاجب تضرب رقبته وتعطيني جواده وعدته فعندها ضحك عنتر وقال ويلك يا عقاب وأين هو الرسول أو الحاجب قال عقاب هذا يا مولاي صاحب حجاب خداوند بن كسرى وقد خرج الى قتال معديكرب دونك واياه فاقتله واسقه كأس فناه والنار في است أمه على أم خداوند معاه فلعن الله أباسباله ما أحسن عدته وجواده وذمة العرب لا بد لي أن أسأل معديكرب اذا قتله وأسقاه كأس الهلاك والعطب ان يعطيني جواده وعدته والسلب فقال عنتر يا شيخ عقاب ما أطمعك من دون قبائل الاعراب أما أخذت أنت ما يكفيك قال عقاب بلى والله يا مولاي أخذت ما يكفيني لكن مرادي أن أجمع مالا كثيرا لاجل جارية رأيتها أمس بين خيام بني عبس ذات حسن وجمال وقد واعتدال وهي زائدة الاحتشام بوجه كأنه بدر التمام بعيون ترمي القلوب بسهام وحاجبين خطا بقلم الرحمن وفم كأنه خاتم سليمان وشفايف كأنها عقيق أو مرجان وصدر كأنه رخام ونهود تشبه الرمان وبطن كأنه طيات عجان وخدود كأنها الورد في نيسان وسرة تسع أوقية دهن بان وأخاذ أنعم من ريش النعام وبينها شيء ما أقدر أن أصفه بلسان كأنه أرنب مقطش الآذان فلما رأيتها يا أبا الفوارس بقيت ولهان حيران وليتني ما كنت جئت الى عندكم ولا رأيت هذه الجارية ويا ليتك صلبتني مع الحاجب والآن قد حكمت لك قصتي وأنا أريد من احسانك اذا قتل مولاي معديكرب هذا الحاجب ان تأخذلي جواده وسلبه حتى أضيفه الى ما معي من المال وأعطيه لابي الجارية فعساه ان يزوجني بها وأحظى بحسنها وجمالها قال عنتر ويلك يا عقاب من تكون هذا الجارية وأي شيء اسمها قال عقاب يا مولاي اني لما سألت عن اسمها قالوا لي اسمها عبلة بنت مالك بن قراد وأريد أن أتزوج بها وأقيم عندك في هذا الارض والوهاد وقالوا لي انه عشقها عبد اسود زنيم راعي نوقها وجمالها وأبوها ما هو مريد له وهذا الزواج لا يصح عند ابطال العرب ان البنت العربية تتزوج من غير أبناء جنسها فلما سمع عنتر كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له ويلك يا شيخ عقاب اني أخاف عليك من زوجها أن يسمع كلامك فيقتلك ويلعن أباسبالك قال عقاب يا مولاي من يكون زوجها بين العبيد السودان الاوغاد حتى يقتلني وأنا نازل في حمى الامير عنتر بن شداد فضحك عليه وعلم انه قليل العقل بين العباد وقال له ابشر يا شيخ عقاب فأنا آخذها لك فبينما هم في الكلام اذا برزردخال حمل على معديكرب فالتقاه كما تلتقي الارض العطشانة أوائل المطر ووقع بينهم حرب وقتال يذهل الابطال ويحير صناديد الرجال ومازالوا في كر وفر وأخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد الى آخر النهار وكان قتال معديكرب مع زردخال مدافعة لانه كان تعبان من براز الفرسان وما زالوا على ذلك الحال حتى مضى النهار وافترقوا عن بعضهم البعض وعاد معديكرب طالبا الجبال ولما نظر زردخال الى معديكرب عاد من قدامه سالما خجل ان يرجع الى عند خداوند وما علم معديكرب بأنه ينقض عليه مثل البرق اذا برق فاذا هو قد ضربه بحربة طلعت من بده كأنها صاعقة ووقعت في درقة معديكرب فخرقتها وعبرت الى الدرع ووصلت الى جسد معديكرب فرمته عن ظهر الجواد الى الارض والمهاد كأنه طود من الاطواد فلما نظر عنتر الى فعال زردخال وكيف غدر بمعديكرب ورماه في مقام الحرب والصدام صار الضياء في عينه كالظلام ولكز الابجر وانقض على زردخال كأنه الاسد وصاح فيه صوتا كأنه الرعد اذا هدر وطعنه بالرمح في صدره فطلع عشر أنابيب تلمع من ظهره فرماه الى

الارض قتيل وفى دماه جديل وتقدم عنتر الى معديكرب وأخرج الحربة من ظهره وكان الجرح واسعا مثل فم القربة وصارت الدماء تسيل منه دافقة على ظهر جواده وأمر أخاه شيبوب أن يأخذه الى الجبال فأجابه الى ما طلب وأخذ شيبوب معديكرب وهو غائب عن الصواب وكان الليل أقبل والنهار ولى وارتحل وتوجه بنو عبس للجبال وهم فى كرب لاجل جرح معديكرب وبات عنتر وهو ضيق الصدر لاجل هذا الامر هذا ما كان منه (وأما ما كان) من خداوند فانه زاد غيظه وغضبه وجذب سيفه وقال ائتونى بكل أسارى العرب حتى أقتلهم وأنزل بهم العطب فقال له وزير أبيه يا ملك تأن على نفسك ان قتل هؤلاء العرب ما يرد لك غليلا لانك ان قتلتهم يقتل العرب الاسارى الذين عندهم لان عندهم أوفى من خمسة آلاف أسير من العجم فبينما خداوند مع الوزير فى مثل هذا الكلام واذا بالملك الاسود أقبل ودخل وسلم وخدم ودعا للدولة الكسروية بدوام العز والنعم وقال له أيها الملك السعيد أى شئ هذا التدبير الذى ما يعود علينا منه الا الهلاك والتدمير أنت تعلم يا ملك الزمان ان العرب مناهم البراز لانهم يفتخرون به فى أرض الحجاز والرأى عندى أن تأمر جميع العساكر من عرب وعجم ان يحملوا حملة واحدة والا فانا تنال منهم مراد فى الحرب والجلاد وبعد ذلك أنت أخبر وفى تدبير شأنك أبصر قال خداوند وحق النار ما نقاتل هذه العساكر والعربان الا فارسا لفارس واذا لم تأتونى بالجميع أسارى والا فانى عند الصباح أبرز بنفسى الى حومة الميدان فاما أنال منهم ما أريد أو انى أقتل وأبقى مسودا على وجه الارض والصعيد ثم انه قام وقد لزم اللجاج فلما سمع الملك الاسود من خداوند ذلك الكلام رجع وهو غضبان وحدث أمراء العربان بما جرى من خداوند من الامر والشان فقال الربيع بن زياد كل هذا من سعد عنتر بن شداد حتى ينصره الله علينا فى الحرب والجلاد وأنا أعلم ان كل هذه العساكر تنكسر مادام هذا الصبى لها مدبر ثم انهم باتوا تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره الوضاح وركبت الابطال الخيل الجياد وتقدموا الى الحرب والجلاد وأردوا أن يشرعوا فى أمر القتال واذا بالامير عنتر سار فى وسط المجال وصال وجال ولعب برمحه العسال حتى انه أذهل عقول الرجال وحمل على ميمنة العجم وغاب فيهم ساعة من النهار وعاد من تحت الغبار كأنه شعلة نار وقد أهلك منهم سبعين فارسا كرارا ونزل عن ظهر جواده وأوثق حزامه فى حومة الميدان وحمل على الميسرة وكان فيها قبائل العرب فقاتلهم حتى تضاحى عليه النهار ورجع كأنه شعلة نار وقد أهلك من العرب مائة فارس كرار * هذا وشيبوب فى ركابه مثل البرق اذا برق والنجم اذا مرق * هذا وقد نكس رايات قوم يقال لهم بنو غيلم وعاد وراءهم وطلب الميدان وصال وجال ولعب على أربعة أركان المجال وأشار بناشد العرب والعجم ويقول صلوا على طه الرسول

سلى يا عبل ذا الجبلين عنا * ومالاقت بنو الاعجام منا * فنينا جمعهم لما أتونا
بموج مواكب انسا وجنا * ورام وا أكلنا من غير جوع * فأشبعناهم ضربا وطعنا
أذقنا الكل طعنا نافذات * تقد جنوبهم ظهرا وبطنا * وفككنا المواكب عن نساء
يزدن على نساء الارض حسنا * كمثل عبيلة ما فى زمانى * رأيت مثالها فى الناس أسنى
ألا يا عبل لا يلقاك طيش * اذا رمحى بكفى صار لدنا * وسيفى دائما يفنى الاعادى
اذا جردته فى الكف أجنى * وكم قرم تركت نساه صبحا * يرددن الصراخ عليه حزنا
وجار رأى طعنى فنادى * تأنى يا ابن شداد تأنا * خلقت من الحديد أشد قلبا
وقد تفنى الجبال ولست أفنا * انا الحصن المشيد لآل عبس * اذا ما شيد الاعداء حصنا
ولون الليل لونى غير انى * فعالى من شعاع الشمس أسنى * جوادى نسبتى وأبى وأمى
حسامى

حسامى والسنان اذا انتسبنا * وانى عنتر أحمى حماى * وليث الحرب فارسها المكنى

(قال الراوى) فلما تم عنتر كلامه حتى ان الملك الاسود رمى عمامته وحمل حملة أبعدت ملوك العرب فنادى الربيع بن زياد ويلكم اقتلوا هذا العبد الاسود ولد الزنا الذى طغى وتمرد وأنزلوا به الهلاك والنكد فهنالك حملت العساكر على عنتر من كل جانب ومكان فلما نظر عنتر الى شيبوب قال له ارجع للملك زهير وقل له يرسل لى ألف فارس حتى أقاتل هؤلاء العربان المجمعة ففعل شيبوب مثل ما أمره أخوه عنتر وفى دون ساعة أتت الى عنتر الفرسان أكثر من ثلاثة آلاف بطل من بنى عبس وبنى زبيد فقاتل بهم عنتر عساكر الملك الاسود ووقع العطن والضرب وصار الهين صعب وصارت الرؤس طائره والخيول غائره والاجساد مطروحه والفرسان مجروحه وفى أقل من ساعه رخصت كل بضاعه ودام ضرب الصارم الذكر حتى حارت الخواطر والفكر وسكر من كأس الحرب من كان عمره ما سكر وقد تشكت الاجناد من ثقل الحديد الذى هو عليها مقنطر وظهرت ذلك اليوم شجاعة أبى الفوارس الامير عنتر واعتكر عليهم الغبار أشد من سواد الليل وقل منهم القوى والخيل ونزل عليهم الذل والويل وكان عليهم يوما طويل ولم يجدوا الى الخلاص من سبيل وجرى العرق كالماء فى السراويل وعاد القوم منهم ذليل واشتد القتال وطاب النزال وكثرت الاهوال وعملت النصال * هذا والنهار أعتم والشجاع دمدم والبطل تقدم والرمح انحطم والقلب انخلع والرأس انقطع وفنيت الابطال أجمع فلا ترى فى ذلك اليوم الا قاتلا ومقتول وناكلا ومنكول وهدر كل ليث مهول وعنتر فى المعمعة كالاسد الاكول وهو يطرح الابطال عرضا وطول وكان لهم يوم مهول كما قال فيه بعض واصفيه حيث يقول صلوا على طه الرسول

تطايرت الرؤس عن الرقاب * وحل البؤس مع غش العذاب
وقطعت الصوارم كل وصل * من الاطراف حقا مع رقاب
وصار الدم فى الميدان يجرى * كما يجرى الغدير من السحاب
وعاد النقع مثل الليل لونا * وبرق البيض يلمع كالشهاب
وضرب البيض مثل الرعد صوتا * على الاحقاف يسمع بالضراب
تكردست الفوارس فى مجال * به الابطال تشبه ذا الشباب
وعم القوم يوم فيه حرب * يذوب لهوله صم الصلاب

(قال الراوى) فبينما الناس فى قتال وضراب وهموم واكتراب واذا هم بفارس مغوار قد خرج من تحت الغبار وهو ينادى يا آل عبس يا آل عدنان أنا حبيب عبلة على طول الزمان فتأمله الفرسان واذا به عنتر بن شداد وهو طالع من تحت الغبار وعليه عدة الجلاد ومعه أسير يقوده مثل البعير وخلفه شخص كادمن الفرح ان يطير وكان ذلك الاسير هو الملك الاسود لانه أول من حمل بين يدى الجيش وهجم على عنتر ورفع باعه بالرمح الذى فى يده وأراد أن يطعن عنترا فسبقه عنتر وهجم عليه هجمة الاسد القسور وضربه بالدرقة فى صدره (وقد ذكر الاصمعى) ان درقة عنتر كانت سبعة أطواق من جلود الحيات ووزنها مائتان وتسعون منا بالمكى وبها عشر حلقات كل حلقة وزنها عشر أقات وسمك الدرقة ثلاثون ذراعا بالحديد تمام فوقعت درقة عنتر على صدر الملك الاسود كأنها جبل فطرحته من على ظهر الجواد الى الارض والمهاد وهو غائب عن الوجود فأدار شيبوب يديه وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والاطراف وساقه قدامه وعنتر يرد عنه الخيل التى هى حوله كالسيل حتى أخرجه من المعمعة ورجع عنتر واقتحم الحرب والقتال وبدد الابطال وطرح الرجال وأظهر الاهوال وكان

معد بكرب متألما من الجراح التى أصابته من زرد خال الا انه ركب ذلك اليوم وصار يحرض قومه على القتال والجلاد مع عنتر بن شداد وأما خداوندفانه صعب عليه حملة العرب بغير اذنه وقال لحجابه وبلكم لا تخلوا أحدا من العجم يقاتل مع العرب حتى نبصر أمرنا كيف يكون مع هؤلاء الشياطين ومازال القتال عمال حتى ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال * هذا وقد هربت أكثر العرب والتجأت الى خيام العجم خوفا من ضربات عنتر * هذا وعنتر وبنو عبس عادوا طالبين الجبال وهم فى فرح بالنصر والظفر والنوال وعنتر قدامهم والدماء جامدة على درعه مثل أكباد الابل وهو ينشد ويقول أفلح من يصلى على النبى الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه

ترى علم الحساد أنى مظفر * على كل أعدائى العوالى بلا ريب
ولى صارم كالبرق يلمع نوره * اذا هزه كفى تلالا مع الشهب
ولى أسمر أفنى العدا بسنانه * وجندلهم صرعى على أغبر الترب
يريدون قتلى والحسام محكم * بكفى وجن الارض تفزع من حربى
أنا عنتر الفرسان فى ساعة اللقا * أكر على الاعدا وأسقيهم موضربى

(قال الراوى) فلما رجع خداوند بن كسرى وهو مكروب فمن شدة غيظه نزل فى السرادق وهو يقول وحق النار لقد انخرق ناموس الدولة الكسرويه وذلت الفرسان الديلميه وما بقيت ألوم النعمان على مصاهرته لهؤلاء العرب لان أهل الشرق والغرب لا يقدرون أن يفعلوا فعل عنتر بن شداد فى الحرب والجلاد فقال حجابه أيها الملك هؤلاء القوم لا يغلبون الا بالمكاثرة والرأى عندنا انك غدا تأمر جميع هؤلاء العسكر الذين معك من عرب وعجم ان تحمل عليهم وتهجم الى داخل الجبال حتى تسبى حريمهم والعيال وقد انقضت الاشغال فلما سمع خداوند هذا الكلام رآه صوابا وأمر النقباء ان تدور على العساكر وتعلمهم بما اتفقوا عليه فأخبروهم بالامر وباتوا يفتقدون العدد ويصلحون الحديد والزرد الى ان أصبح الصباح فركب خداوند وركبت عساكر العجم والعرب وصاحوا صيحة واحدة ارتجت منها الجبال والاودية الخوال وتقدموا بالحرب والنبال وعولوا على ان ذلك اليوم يجعلوه وقعة الانفصال هذا ما كان لهؤلاء (وأما ما كان) من بنى عبس فانهم باتوا فرحين تلك الليلة بما بان وظهر من أبى الفوارس عنتر ولما أصبح الصباح عوّل بنو عبس على أن يركبوا خيلهم ويحملوا كلهم حملة واحدة فمنعهم عنتر من ذلك الحال وقال لهم يا بنى العم هذا اليوم ما هو مثل سائر الايام التى مضت هذا يوم يشيب من هوله الاطفال لما يجرى فيه من الاهوال ومن عظم القتال ولكن اجتمعوا كلكم واثبتوا فى المضيق واياكم من التشتيت والتفريق بل اثبتوا فى ساعة الزحف واتفقوا ولا تتفرقوا ويكون قتالكم اليوم وانتم رجاله ولا تقاتلوا خياله لان العجم الى خيامكم يقصدون والى هلاككم يطلبون (قال الراوى) فما فرغ عنتر من هذا المقال حتى صدمتهم عساكر العجم وجبابرة الديلم وفاضوا عليهم كما يفيض البصر الزخار وهجموا على بعضهم هجوم موج البحار * هذا وقد ضاقت بهم الفجاج وكثر بينهم الانزعاج وعاد النهار كأنه ليل داج واختلطت الافواج بالافواج وماجوا كموج الامواج وقد جرى لهم يوم ما نظر أحد مثله ولا رأى شكله لانهم قاتلوا حتى وقعت الاجساد تالفة وعادت رعودا لموت بينهم راجفة وأرياح المنايا عليهم عاصفة ولرؤس القتلى ناسفة وكان عنتر ذلك اليوم اختار له من قومه ألف بطل وصار يقاتلهم بهم ويحمل هو قدامهم ويلتقى عنهم مهام الاعجام * هذا والعبيد واقفون خلف بنى عبس وهم فائدون الجنائب وهم يحمونهم بالقنا والقواضب وكلما رأى عنتر العجم أضعفوا من بنى عبس جانبا يركب هو على ظهر جواده الابجر ويحمل على الاعداء ويصيح على من قدامه من العجم ويحمل عليهم حملات الاسد الضيغم هو

والالف

والالف فارس الذين معه ولم يزالوا يقاتلون حتى فرقوا الاعداء فى جنبات البيداء ولم يزل عنتر فى كر وفر حتى وقعت هيبته فى قلوب العجم لاجل ما أبصروا منه فى البراز الذى تقدم فصار اذا صاح فى جوانبها تفرقت واذا حمل على كتائبها تمزقت ومازال الامر على ذلك الحال حتى تنصف النهار وعظمت الحروب وزادت الاخطار وارتفع الغبار وعمل السيف البتار وقصرت الاعمار وذل كل جبار ووقع بالعجم الانبهار وطلبوا الهرب والفرار وضعفت مواكب تلك العسكر وفاض الجمع وزخر وطنب الغبار واعتكر وشكت الارض ثقل هذا العسكر ولما نظر خداوند الى ثبات العرب قدام ذلك العسكر الجرار زاد فى قلبه لهيب النار ورحل عن ظهر جواده وزحف نحو العرب راجلا بسيفه وترسه ولما نظرته العجم ترجل عن ظهر الجواد الى قتال أبطال العرب هنالك تصارخت وترجلت حول ابن كسرى تلك الامم من عرب وعجم وترك وديلم ومامنهم الا من رمى روحه على الهلاك والعدم وفى ذلك الوقت ارتجت الآفاق وزاد الامر عن وصف الحذاق ولعبت الخيل العتاق وابتلى العجم بما لا يطاق وذاق من حضر أجله فى ذلك الطعن مر المذاق ومازال السيف يعمل حتى غاب نور الشمس بالاشراق وأقبل الليل بظلامه الغساق وأرخى ظلامه على الآفاق هنالك نادت الطوائف بالافتراق بعد ما كلت هى والخيل العتاق وعاد البطل الشجاع مما عاين فى ذلك اليوم مدهوشا وكان قتل ذلك اليوم من العجم أضعاف من قتل من العرب الا ان العجم من كثرتهم ما بان فيهم القتل والعدم ثم ان العرب عادوا راجعين الى الجبال ولكن قتل منهم رجال وأى رجال وأما بنو كندة فانهم حملوا بهم الاياس لانهم بلا مقدم ولا راس والذى كان فى أجله تأخير فانه ولى وانهزم وتفرقت فرسانهم بين الروابى والاكم وما تأخر عن الهرب والفرار الا كل بطل مغوار ومن خاف من الفضيحة والعار وكذلك بنو زبيد قد قل نشاطهم لاجل جرح مقدمهم معديكرب وباتت وهى محصورة على الخلاص وأما الربيع بن زياد فانه فرح بما جرى على بنى عبس وبات وهو يبشر حذيفة بالغلبة والنصر ويقول له سيتم غدا مثل ما جرى على بنى عبس اليوم فنقلع أثرهم وأثر من معهم من القوم قال حذيفة والله يا ربيع ما هم الا فرسان جبابرة عتاة لا يغلبون أبدا مادام هذا العبد الزنيم فيهم سالما لانهم من يوم ان حضروا ما قتل منهم فارس وقتل من العجم أكثر من مائة فارس ﴿قال الراوى﴾ وكان بنو عبس قد عادوا وهم فى أسوا حال وقد تجرح أكثرهم * هذا والملك زهير شاور عنترا فى الدخول على الجبال ليقاتلوا قدام الحريم والعيال قال عنتر لا وحق من أرسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والآجال ماندخل للجبال الا اذا غلبنا من هؤلاء الانذال وأنا يا ملك اذا بقى معى ألف فارس أقدر أن أحمى هذا المكان ولو اجتمع على الانس والجان والعفاريت الذين عصوا نبى الله سليمان والتفت عنتر الى أخيه شيبوب وقال له ويلك أبا رياح شد غدا غدا البنت عمى عبلة هودجا عالى وأطلعها خلفى الى خارج الجبال حتى ألقى قدامها هؤلاء الطغاجبر الاعجام الانذال اللئام فلما سمع الملك زهير كلام عنتر طاب قلبه وقال له افعل يا ابن العم ما تريد ونحن عن أمرك ما نحيد ثم ان بنى عبس باتوا تلك الليلة الى أن أصبح الصباح فركبت عساكر العرب والعجم لاجل الكفاح * هذا وقد اهتزت البرارى والاكام وركب خداوند بن كسرى وقد علا الصياح حتى ارتجت البرارى والبطاح وركبت أيضا أبطال بنى عبس الانجاب وعنتر فى أوائلهم كأنه أسد خرج من غاب وصال وجال وافتكر ما لاقى من الأهوال فأشار بسمع الاعجام بهذه الابيات والاوزان بقول صلوا على طه الرسول

أطربتنى صواهل الصافنات * وصرير الرماح والذابلات * وضجيج الفرسان فى يوم حرب
لفؤادى أحلى من اللـــذات * فهناك الفخار يا ابنة عمى * فدعينى من عذل قوم وشاة
ما فخار الفتى بكاسات خمر * دائرات فى مجلس السادات * انما الفخر فى الثبات لحرب

يوم جذب الصوارم المرهفات * ذاك يوم اذا افتخرت بقومى * كان فعلى موافقا لصفاتى
كل من قال ان جدى فلان * وأبى سيد من السادات * ذاك بين الانام شخص ذليل
وجبان لا يلتقى المعضلات * أنا نجل أبى وجدى حسامى * وخليلى مهرى لدى النازلات
انى عنتر وقومى عبس * وابن شداد صاحب الوقعات

(قال الراوى) وكانت عبلة فى ذلك اليوم خرجت وراءه وهى راكبة فى الهودج تنظر الى فعاله وتتفرج على قتاله ولما فرغ عنتر من هذه الابيات نادى بصوت كأنه الرعد القاصف انظرى بعينك يا عبلة يا بنت مالك ثم انه حمل على ميمنة العجم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرأ من تيار البحر اذا زخر فضرب فيهم ضربا يعمى البصر ويذهل العقل ويحير النظر فما مضت ساعة حتى قتل خمسة وعشرين فى لمح البصر ورجع للميسرة فقتل منها عشرة وعاد الى بين الصفين صال وجال بين الابطال ولعب فى حومة الميدان جملة أنداب حتى حير عقول ذوى الالباب من الشيوخ والشباب ثم انه نادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزائز اليوم شيل الجنائز لا يبرز لى اليوم منكم كسلان ولا عاجز فان هذا اليوم ليس مثل الايام التى مضت بل هذا يوم تنظر وا فيه ما أريد أن أفعل من الاهوال وما أقتل من الرجال وأشار اليهم يقول

أنا عانى تحجم الصافنات * ومجالى فى شاهق وكماة
ويخورى من العجاج وطيبى * عرق من سيوفنا المرهفات
وأنا عنتر وقومى عبس * هم أسود القتال فى الوقعات
همتى همة الاسود ولكن * عزماتى تعلو لدى الكائنات
فوحق الذى أمات وأحيا * خالق الخلق غافر الزلات
لست ألوى عن موقف الحرب حتى * يغزلوا لى الاكفان قبل الممات

(قال الاصمعى) فما أتم عنتر كلامه حتى برز اليه فارس الحديد لابس وكان هذا الفارس من مقدمين الديلم وكان يسمى رستم زاد وماله نظير بين الديلم فى الحرب والجلاد ولما صار قدام عنتر ناداه ويلك يا اسود يا زنيم يا عبد يا لئيم هذا اليوم أسكنك رمسك وأقطع من الدنيا رزقك وحسك قال له عنتر يا طنبور العجم وأخس الديلم لا بد ان أتركك اليوم عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انطبق عنتر عليه وقد أراد أن يرى بنت عمه طرفا من شجاعته فما ترك ذلك الديلمى يصول ولا يجول دون ان هجم عليه كأنه أسد أكول ومد له يدا كأنها رقبة البعير الاسود وطبق فى أطواق درعه والزرد فأخذه على يده كأنه العصفور فى يد الباشق الكسور ومسكه من رجله ولوحه كما يلوح المقلاع وأطلقه فطلع من يده كأنه حجر من منجنيق فوقع بين عساكر العجم وقد انقطع قلب كل من كان فى ذلك المكان من الامم فبرز اليه ثانى فارس من العجم كأنه الاسد القشعم فالتقاه عنتر بقلب أقسى من حجر ومد يده اليه ورفعه على ساعديه الى أن أعلاه الى فوق رأسه وخلده فى الارض فأدخل طوله فى العرض فبرز اليه ثالث بطل كأنه قطعة فصلت من جبل فما خلاه يصول ولا يجول دون أن هجم عليه كأنه أسد خرج من غاب حتى حك الركاب فى الركاب فكبب يده ولطمه على صدره فألصق صدره الى ظهره فرماه قتيلا وفى دماه جديل فبرز اليه رابع فارس شجاع وقرن مناع فالتقاه عنتر بقلب أقسى من الارض العطشانة أو ثل المطر وما تركه يلتفت دون أن مد يده الى رأس ذلك البطل وجذبه اليه فخلعت رقبته من بين كتفيه فانذهلت من فعال عنتر الرجال وقصرت عن الخروج اليه الابطال وأما عبلة فانها كانت تنادى اليه من الهودج وتقول له يا بطل لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا فارس الزمان ويا قاهر الشجعان وكان عنتر حين يسمع كلام عبلة لا يظن قدامه فرسان بل كأنهم نسوان وما زال يقاتل بالسيف والسنان

ويطرح الشجعان فى حومة الميدان الى أن أمسى المساء فوجد من قتل من فرسان العجم والديلم مائة وخمسين بطلا ضيغم * هذا وخداوند بن كسرى يتعجب من عنتر وشجاعته وأما عنتر فانه لما عاد من حومة الميدان أخذته عبلة بملء الاحضان وقالت له لله درك ياحامى الحريم وقاتل كل عدو غريم * هذا وعنتر لما سمع كلام عبلة زال عنه التعب والعناء حتى كأنه قاسى حربا ولاقتال ولاطعانا ولانزال وقد تيقن انه يلقى وحده كل عساكر العجم وكل من سكن البرارى والاكم فالتقاه أيضا الملك زهير وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه ثم بعد هادحلوا للجبال وبات بنو عبس وهم فى فرح يفعال عنتر الفارس الرئبال الى ان أصبح الصباح ففعل عنتر مثل ما فعل أول يوم وتولى وحده القتال ولم يزل عنتر وحده حامى الميدان ومجندل الشجعان الى تمام عشرة أيام ولما كان يوم الحادى عشر كل عنتر ومل وجرح فى أربع مواضع وجرى دمه من سائر جسده وهو لا يولى ولا يكل ولا يميل الى الفرار قدام بنت عمه عبلة ولا يمل * هذا والعجم قد أخذهم فيه الطمع فصاح الربيع ياويلكم دونكم والحملة على عنتر لانه جرح وكل وتعب ومل فاقتلوه بقلب غير خاشع واسبوا حريم بنى عبس اللاتى هن مثل البدور الطوالع (قال الراوى) فما فرغ الربيع من كلامه الا وهو يرى أثر غبار علا وثار وسد منافذ الاقطار وطلع من تحت ذلك الغبار جملة عساكر كأنهم البحار الزواخر وهى مقبلة أسرع من دنو الاجل والوحش من قدامهم قد جفل فلما نظرهم الربيع اندهل وتحير مما شاهد ونظر فالتفت الى حذيفة بن بدر أمير بنى فزاره وقال له ان صدقنى خبرى ياأمير فهذا الغبار غبار الملك كسرى أنوشروان وقد أتى فى كل عساكر خراسان لانه أبطأ عليه خبر ولده خداوند وان كان هذا صحيحا ما فيه لبس فما بقى يسلم أحد من بنى عبس ثم انه أحدق النظر الى ذلك الغبار واذا به انكشف عن عسكر جرار كأنه البحر الزخار وفى أوائل الجيش الملك النعمان والى جانبه الامير حجار بن عامر الكندى وعروة بن الورد العبسى ثم ان ذلك الجيش تفرق فى الجبال والبرارى والاكام ونادت فرسانه عن لسان واحد ياآل نجم ياآل جذام أبشروا بالويل والارغام يابنى الاعجام لقد جاءكم الملك النعمان ملك العربان ولما سمع الربيع بن زياد هذا الكلام انقطع ظهره وحار فى أمره وذهب ما عنده من الفرح وحل به البؤس والترح ثم انه التفت الى حذيفة وهو من الفزع حيران وقال والله ياابن العم ان بنى عبس قد خلصوا الملك النعمان وأتوا به الى نصرتهم فيمن معه من الشجعان وأنا أعلم بحقيقة الاخبار انه ما خلصه الا الامير حجار وسوف يعتب علينا الملك النعمان وعلى ما فعلنا ويقول لنا أنكم لما علمتم بحبسى وذهابى أتيتم لقتال انسابى واذلم نحسن الآن التدبير وقعنا فى الهلاك والتدمير ثم ان الربيع بعد كلامه عاد الى غدره ومكره والزور والبهتان وصار ينادى بأعلى صوته فى قبائل العربان وهو يقول ويلكم كفوا عن الضرب والطعان فهذا هو الملك النعمان وقد تخلص من القيود والاغلال على رغم أنف أعداء الاندال فلما سمعت قبائل العرب كلام الربيع بن زياد ونظرت الى ذلك الجيش الذى أقبل مع الملك النعمان وأخبر بعضها بعضا بذلك الحال رجعوا عن الحرب والطعان وجعلوا ينادون عن لسان واحد نعمان يامنصور يارب أدم له الفرح والسرور ثم ان العرب كلها مالت والى نحو الملك النعمان ترجلت والى الارض قبلت لانها بعد أسر الملك الاسود ذلت ولحقها الندم وصارت بلا رأس ولا مقدم ورأت الهوان من العجم والترك والديلم ولولا طمعها فى نهب أموال بنى عبس كانت تفرقت فى البر والاكم (قال الراوى) هذا ما كان من العربان وأما ما كان من سبب خلاص الملك النعمان فانه كان على يد الامير حجار بن عامر الكندى وعلى يد عروة بن الورد العبسى وكان هذا السبب فى ذلك الامر انهم لما ركبوا وساروا طالبين أرض الحيرة مازالوا سائرين على ظهر النجب والمهاره وهم يجدون المسير ليلا ونهارا حتى أشرفوا على أرض

الحيره وقصدوا الى المراعى والوديان وغاروا على الرعيان وأخذوا من الخيل أجودها ووضعوا السروج
على ظهورها ثم انهم تدرعوا بالزرد وتقلدوا بكل صارم مهند * هذا وقد تصايحت الرعيان وألقوا الصياح
فى أرض الحيره وركبت الالف فارس الذين كانوا فى أرض الحيرة الذين كان تركهم خداوند لحفظ الملك
النعمان وركبوا جميعهم وطلبوا القتال وفى أوائلهم الحاجب وهو كأنه الاسد الهدار فلاقاه الامير جحار
ابن عامر الكندى لما سمعه وهو يبربر بلغة العجم ويذكر النار فما فهم منه جوابا ولا خطابا بل انه
استقبله بطعنة بين يديه فأطلع الرمح يلمع من بين كتفيه وضرب عروة فارسا فرماه * هذا وبنو عبس
وبنو كندة صاحت بأنسابها وطعنت العجم فى صدورها وأجنابها وسطا عليهم الامير جحار بن عامر
الكندى بشجاعته ونكس الفرسان بضرباته فما كانت غير ساعة من النهار حتى أبلوا تلك الالف
فارس بالهلاك والدمار وفرقوهم فى البرارى والقفار وقتل أكثرهم وهرب من سلم ثم ان الامير جحار دخل
للحيرة بمن معه من الابطال وخلص الملك النعمان من القيود والاغلال وبشره بالسلامة وحكى له بما
جرى له مع عنتر وكيف صار له من المحبين ولما سمع الملك النعمان ذلك المقال شكر الامير جحار وفرح
بتلك الفعال وقال ما أعرف الساعة أن الذى خلصنى من القيود والاصفاد الا الامير عنتر بن شداد
* هذا وقد تخاصت الالف فارس المحبوسة معه من أهله وأقاربه ومن كتب يومه الكتب وأرسلها مع
النجابة الى كل محبيه وخلفائه وفى ذلك اليوم أقام يجهز جميع حاله وهو فرحان بخلاصه من اعتقاله فلما
كان ثانى الايام عند طلوع النهار أقبلت الفرسان كأنها البحر الزخار ولم يلبث فى الحيرة الا خمسة أيام
حتى صار عنده سبعة عشر ألف مقاتل ومن خوفه على بنى عبس من العجم رحل من يومه يقطع البرارى
والقفار * هذا وفرسان العرب تسمع بخلاصه وتتلاحق به من سائر الارض والاقطار ولم يزل يجد السير فى
الليل والنهار حتى أشرفوا على جبال أجاوسلما الا أنه ما وصل الى ذلك المكان حتى صار معه خمسة
وأربعون ألف فارس ما بين مدرع ولابس وجرى من القصة ما جرى هذا ما كان من السبب فى خلاص
الملك النعمان ولما أقبل نادى الربيع بذلك النداء فأقبلت العربان كلها على الملك النعمان وأقبل
الربيع بن زياد الى قدامه وقبل الارض واعتذر اليه وكذلك فعل حذيفة بن بدر وبنو فزارة وأما خداوند
ابن كسرى فانه خاف من مجىء الملك النعمان فعاد من الجبال وعادت معه عساكر العجم وقد خافوا عليه
من العرب وداروا من حواليه لانه قد بقى معه من المائة وخمسين ألفا خمسون ألفا والباقى كلهم
شربوا شراب الهلاك والعطب وصاروا معفرين فى التراب وأصابتهم النوب (قال الراوى) هذا وبنو
عبس كانوا مقطعين قدام الجبال ولما أقبل برجاله الملك النعمان ونظروا الى خوف العجم ورجوعهم عنهم
طمعوا فى نهب أموالهم وتصايحوا عليهم من كل جانب ومكان وهموا بالحملة مثل السلاهب فنهاهم الملك
النعمان عن ذلك الامر والشان وأمرهم بالوقوف وتقدم هو بنفسه الى خداوند لان الملك النعمان
كان حسن السياسة والتدبير ويعواقب الامور فطن خبير ثم انه تقدم طالبا خداوند ومعه الامير جحار
وعروة بن الورد وجماعة من أمارة العرب حتى صار قدام خداوند فترجل عن ظهر الجواد وسلم وخدم
ودعا للدولة الكسروية بدوام العز والنعم وقال لا تخف أيها الملك المحتشم ولا تفزع أيها الملك من قدومى
عليك بهذا الجيش العرمرم فما أنا الا عبد الدولة الكسروية وخادم المملكة الفارسية وأنا يا ملك ما عرفت
لى ذنبا أحبس عليه الا مصاهرتى لهذه الطائفة العبسيه وها أنت قد أبصرت فعالها وذقت حربها
وقتالها وأنا أقسم يا ملك بحق ذمة العرب أنا ما طلبت قرب هذه القبيلة الا من عظم ما رأيت من
حربها وأهوالها لانها يا ملك ما يقتل منها فارس حتى يقتل ألف فارس وما رأيت يا ملك أن نفنى من أجل
قبيلة واحدة كل قبائل العربان واسألنى فأنا أخبرك بالذى أحسنته فى سياستى وتدبيرى ولكن

سمع أبوك فى كلام الاعداء لاجل شئ لم يحط به علما وانه لما تسبب لى الخلاص ما جئت الا من خوف
عليك من جماعة العربان لانهم لا يعرفون قدر الملوك ولا يفرقون بين الغنى والصعلوك ومالهم
الا التشتت من أرض الى أرض والتفرق عن بعضهم البعض والآن يا ملك كان الذى كان ونظر
العين أحسن وأوفى من سماع الآذان وها أنت قد نظرت اليهم بعينك وقد كفى وهذا الامر عليك
وعلى أبيك لا يخفى وأنا ما أعلم منكم الا الاحسان والوفا فان رضيتموني لدولتكم كنت لكم سامعا وطائع
وان كرهتموني فالبر بين يدى واسع على انى ما عدت أفارقك حتى أفرق عنك هذه العشائر
والقبائل وأسير الى عند أبيك بالخبر الكامل (قال الراوى) فلما سمع خداوند من الملك النعمان هذا
الكلام تفكر فى بعضه البعض وأطرق من شدة حيائه وجهه الى الارض لانه كان ولد انفيسا من الاصايل
وهو قريب المرجوع مليح الخصايل وكذلك كانت الاكاسرة لانهم كانوا ملوك ذلك الزمان وكان آخر
ملوكهم الملك بردبن بن شهريال وهو الذى قتله الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأخذ بنته
أسيرة وزوجها للحسين بن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومنها الائمة الاطهار والسادات
الاخيار أهل الكرم والفخار (ونرجع الى ما رويناه من الاخبار) هذا وخداوند ترجل للملك النعمان
وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال يا أبا نعمان انى قد عذرتك فى هذا الامر والشان وما بقى عليك
عتب ولا ملام (قال الراوى) وبعد ذلك اصلح الامر والشان وتبدل خوف خداوند بأمان وقال للملك
النعمان وحق النار والنور ما أسير الا ومعى ركابك مقرون واذا وصلت الى عند أبى ترى ما أفعل معك
ومع اصهارك لاننا ما عرفنا قدرك حتى حققنا أمرك ولما نظرت الى قتال عنتر وضرباته التى كأنها
الموت الاحمر التى لا تبقى ولا تذر عذرتك فى هذا الامر المدبر ولكن أريد منك أن تأخذ عنترا معنا حتى
أغمره من نعمتى وأجعله عونا على شدتى فلما سمع الملك النعمان من خداوند هذا الكلام فرح بهذا
الامر وقال له وحق ذمة العرب يا ملك ما عنتر الا فريد العصر ونتيجة الدهر والساعة تراه هو وكل بنى
عبس بين يديك ويسعون فى خدمتك ويقبلون رجليك ويعتذرون مما فعلوا اليك ثم ان الملك النعمان
أمر عروة بن الورد أن يسير الى عند الملك زهير وعنتر ويحكى لهم كل ما جرى وتدبر ويأمرهم بالحضور الى
قدام خداوند بن كسرى فأجابه عروة الى ما طلب وسار من وقته وساعته طالبا بنى عبس حتى وصل
اليهم فالتقاهم راكبين الخيل العوال ومصطفين قدام الجبال ولما وصل اليهم سلم عليهم وأعلمهم بما صار
له من العز والشان عند خداوند بن كسرى أنوشروان وقد كانوا واقفين ينظرون على أى شئ ينفصل
الحال ولما أتى اليهم عروة بن الورد أمرهم بالمسير الى عند خداوند بن كسرى صاحب الايوان فلما سمع
الملك زهير ذلك المقال زال عنه الهم والخبال وقال الحمد لله الملك المتعال الذى سبب لنا الخلاص من
الهلاك والوبال ونجانا من هذه العساكر التى كأنها البحار الزواخر وبعدها ما بقى الا المسير الى خدمة
هذا الملك الكبير لعل أن يزول عنا هذا الامر العسير وينصلح هذا الفساد ثم يزول عنا الشر والعناد
ويعود الملك النعمان الى أحسن ما كان ونعود نحن للمنازل والاوطان وتهدأ قلوب الرجال منا والنسوان
لاننا جعلنا أنفسنا هدفا للمصائب وعادينا الاعاجم والاعارب ثم ان الملك زهيرا بعد كلامه التفت الى
عنتر وقال له أى شئ ترى عندك يا أبا الفوارس من الرأى قال عنتر وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب
ما كان عندى أصوب من قتل خداوند بن كسرى وهلاك أبطاله ولكن ما يمكننى ان أضيق صدر مولاى
الملك النعمان بل انى أجيب بالسمع والطاعة فلما سمع الملك زهير كلام عنتر أقبل عليه وشكره وأثنى
عليه وانتخب مقدار مائة فارس من أمراء بنى عبس وسار مع عروة بن الورد الى عند خداوند بن كسرى
والملك النعمان وجعل عروة يحكى لعنتر والملك زهير كيف كان خلاص الملك النعمان وما فعل الامير جبار

ابن عامر الكندى * هذا وكان عنتر اسائر معهم كانه سائر الى شهادة زور لان نفسه كانت تأبى الذل ولا تطلب الا أعلى المنازل * هذا وقد جعل عنتر يسير قدام الملك زهير ورمحه معرض على عنق جواده وهو ينظر أبطال العجم بعينين كأنهما الجمر الاحمر لانه كان يبغض أبطال العجم وما كان يشتهى أن يرى منهم أحدا فازالوا سائرين حتى صاروا قدام خداوند بن كسرى فترجل الملك زهير ومن معه من الرجال وسلموا على الملك النعمان فأمرهم أن يتقدموا قدام خداوند بن كسرى و يفعلوا مثل ما أمرهم فتقدموا وسلموا وللارض قبلوا ولثموا فتبسم خداوند من فعالهم وتعجب من مقالهم وقال لهم يا وجوه العرب الاجواد العتب فى هذا الوقت يجدد الفتنة والاحقاد وأنا الساعة ما أحضرتكم الا حتى أهبكم دم رجالى وأستوهب منكم دم رجالكم وأجعلكم لدولتى أركانا وأعوان لان أبى جعلنى ولى عهده وصاحب حله وعقده وأوصى لى بالملك من بعده وأريد أن أتخذكم لى أنصارا وحبائب وأدفع بكم الآفات والمصائب وأبذل لكم كل ما أملك من الفضة والذهب حتى تطيعنى جميع قبائل العرب وأهل المنازل والرتب * هذا والملك زهير قال له وحق ذمة العرب أيها الملك الجليل الفخيم نحن عبيد دولتك جديدا وقديم ولكن الانسان اذا بلى بشئ وعلم أنه هالك يحامى عن نفسه ولو سلك أعظم المسالك وبعده تقدم عنتر الى قدام خداوند وأراد أن يقبل يديه فوثب خداوند له على قدميه وقبله بين عينيه لان هيبة عنتر كانت وقعت فى قلوب جميع العجم وفى قلب خداوند أيضا من شدة ما رأى من حربه ومن قتاله فلما كان ذلك اليوم تبسم خداوند فى وجه عنتر وفرح به واستبشر * هذا وعنتر صار يدعى لخداوند ولابيه وللدولة الكسروية وأشار يمدح خداوند بهذه الابيات ويقول صلوا على طه الرسول

كفاك الله نائبة الزمان * وعشت من الحوادث فى أمان * ولازالت نجومك زاهرات
بسعد ثابت وعلو شان * ولازالت سيوفك قاطعات * رقاب عداك فى الحرب العوان
ودمت محكما فى العز دوما * مدى الايام ذا جاه وشان

(قال الراوى) فلما سمع خداوند من عنتر هذه الابيات شكره خداوند وأثنى عليه وأعطاه سيفا من سيوف الاكاسرة يساوى خراج العراق اذا كانت عامرة وقد سير له عشر جنائب من جنائبه الخاصة بعددها ولاماتها وسروجها من الذهب الاحمر وبعده قدم للملك زهير ولكل أمراء بنى عبس الجنائب والخلع السنيه والعمائم البهيه فعندها صفت منهم القلوب من جميع الكروب لان حطام الدنيا محبوب ونعيمها مطلوب وبعد ذلك أقبل خداوند على الملك النعمان وقال له ياشاه الزمان يعنى يا ملك العربان مرادى منك ان تأخذ عنتر امعنا الى البلاد حتى انى أسمع حديثه وأشبع من كلامه فقال النعمان السمع والطاعة وأكون أنا المسعود فى هذه البضاعه (قال الراوى) فاصدق الملك النعمان ان يسمع من خداوند هذا المقال فى حق عنتر حتى أخذه معه لان الملك النعمان كان خائفا من غدر العجم فأتاه الامر مثل ما أراد بأخذ عنتر بن شداد لانه اذا كان معه الامير عنتر ما يأتى بكل من سكن البر الاقفر وهنالك أقبل النعمان على عنتر وقال له يا أبا الفوارس ان خداوند أمرأنك تسير معنا الى أرض الحيرة فقال عنتر السمع والطاعة يا مولاى أنا أسير معك وأينما سرت أتبعك وما أقبل الليل بالانسدال حتى انصلح الامر والحال وصنعوا الولائم والدعوات وكثرت بينهم الافراح والمسرات وأطلق بنو عبس جميع الاسارى الذين كانوا عندهم فى الاسر والهوان ومن جملتهم الاسود أخو الملك النعمان فأتى الى عند أخيه ودخل عليه واعتذر من فعله اليه وقبل يديه فعفا عنه الملك النعمان وبعد ذلك أصلح بين بنى عبس وبنى فزارة وكذلك أصلح بين بنى قراد وبنى زياد وعنتر بن شداد صلحا لا يضر ولا ينفع والتفت الملك النعمان الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا أعلم أنى نغصت عليك عيشتك فى هذه الايام لاجل تأخر زواج ابنة عمك

عبلة صاحبة الاحتشام وبعد هذا ما بقى الانجاز شغلك وتحصيل أمرك فقال عنتر لا وحق ذمة العرب الكرام انى ما أدخل بعبلة حتى تدخل على بنت مولاى الملك زهير المتجردة ويزول همك وغمك ويطيب لك الزمان ويصير كسرى أنوشروان عليك راضيا غير غضبان واذا لم يتم لك هذا الامر والشان زلزلت على رأسه الايوان وأجعلك أنت الحاكم مكانه على العجم والعربان وتبقى ملك العصر والزمان وحاكم الوقت والاوان فلما سمع الملك النعمان كلام عنتر دعا له وله شكر وعلم انه على ما يقول يقدر ثم انهم أقاموا بعد ذلك الكلام فى الولائم والدعوات ثلاثة أيام متواليات وفى اليوم الرابع أخذوا أهبتهم للسفر فقال الملك النعمان للملك زهير ارحل يا ملك وانجز أمر بنتك حتى يأتى رسولى اليك وكذلك قال الملك الاسود لحذيفة بن بدر لانه كان أيضا خطب أخت حذيفة وبعد ذلك تقدم عنتر الى عند عبلة حتى يودعها فبكى بين يديها بكاء شديد ما عليه من مزيد وأشار يودعها بهذه الابيات يقول أفلح من يصلى على طه الرسول

وحق الركن والبيت الحرام * ومن لبى بزمزم والمقام * وحق فتور عينيك اللواتى
بهما أبرا وأشفى من سقامى * يمينا لا نسيت هواك حتى * يذيب العشق لحمى مع عظامى
فقرى واقنعى بالقول منى * ولا يدخلك ريب من كلامى * فوجهك بغيتى وهواك دينى
وذكرك مؤنس لى فى الظلام * شربت هواك مع لبنى صغيرا * ويوم منيتى أنوى فطامى

(قال الاصمعى) فلما سمعت عبلة من عنتر هذه الابيات بكت بكاء شديد ما عليه من مزيد وقالت له والله يا ابن العم يعز على فراقك ولم أزل طول غيابك أشتاقك ولكن يا ابن العم كل مقدر لابد عن انفاده وأشارت له بهذه الابيات تقول أفلح من يصلى على طه الرسول

سر فى أمان الله يا لون الدجا * وأجل من ركب الجواد وأسرجا * فالقلب بعد فراق عنتر مؤلم
والنار تشعل فى الفؤاد توهجا * أنت المؤمل للحوادث كلها * تبغى لنا من كل ضيق مخرجا
أنت المنا أنت الغنا أنت ألوفا * أنت الرجاء لنا وأنت المرتجى * أنت الذى فى ذا الزمان مؤيد
ما مثل عنتر قط من سلك الدجا * ان غبت عن عينى فشخصك حاضر * فى وسط قلبى ليس منه مخرجا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام عبلة فرح بصفاء قلبها وحسن مودتها وكثرة محبتها فتقدم اليها وضمها الى صدرها وقال لها يا بنت العم ويا مزيلة الهم والغم وحق ذمة العرب ان فراقك عندى أصعب من فراق الارواح وبعد ذلك استدعى بأبيه شداد وعمه زخمة الجواد ومالك أبى عبلة وابنه عمرو وأوصاهم بعبلة وقال لأخيه شيبوب وأنت يا ابن السوداء لا تغفل عنها وتعاهدها ليلا ونهارا ولا تغفل عنها فى الطريق ولا فى الاحياء والا أقطع أعصابك وأعدمك أحبابك قال شيبوب افعل ما بدا لك يا ابن الملعونة أنا والله أحفظها أحسن منك وبعد ذلك أقبل على الملك زهير وأولاده وودعهم وأوصاهم على بنت عمه عبلة فقال شاس انه والله يعز علينا يا أبا الفوارس فراقك فلا أبعدنا الله عنا شخصك ولا مزارك ثم ان شاسا بكى على فراق عنتر وتنهد وتحسر وأشار يودعه بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

لقد حرت لما سرت عن أرضنا شرقا * وكاد فؤادى أن يذوب ولا يبقى
فيا راحلا عنا لارض غريبة * فلا تبعدن عنا فمثلك ما نلقى
فأنت لعمرى كنز عبس وعزها * فلا زلت فى سعد مدى الدهر لا تشقى
عليك سلامى يا ابن شداد دائما * سلاما جديدا كلما غنت الورقا
ونذرا كيدان ظفرت بقربكم * عتقت عبيدى عند ملقاكم عتقا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام شاس انذهل وتحير وما أراد أن شاسا يكلمه بمثل هذا الكلام ثم قال عنتر يا ترى ما الدهر صانع بنا فى هذه المره كأنى ما بقيت أرى الى شاس بعد هذه الخطره لكن

يا ترى من الفقيد منا ثم أشار عنترا الى شاس بهذه الابيات يقول صلوا على من سارت اليه الهمول

عبيدك يا مولاى لا تبتغى عتقا * ولا كان دهر أنت من صرفه تشقى
سأمضى مع النعمان أوفى بذمتى * وأدفع عنه من أعاديه ما يلقى
وأتركه سلطان كل قبيلة * ومن رام عزلا منه أمحقه محقا
وان صار صلح عدت عنه مؤيدا * وفيا بما عاهدته كلما أبقى
فياشاس قد أرميت فى القلب جمرة * فيالينتى ما سرت عن أرضكم شرقا
فسيروا بنى عبس ورا السيد السنى * زهير ولا تخشوا بسطوته خلقا
واسأل مولاى الذى أنا عبده * يسهل أمرى مع عبيلة كى ألقى

(قال الراوى) وبعد ذلك سارت العساكر يتلو بعضها بعضا وكل منهم طالب أرضه وبلاده ورحلت بنو عبس طالبة أرضها وبنو فزارة طالبين أوطانهم ورحل خداوند والملك النعمان وعنتر طالبين أرض الحيرة وكان عنترا راكبا الى جانب الملك النعمان وهو كأنه الاسد الغضبان وقد أخرج يده من جلباب درعه وتذكر ماله من العوقات والامور الهائلات وفراق ابنة عمه عبلة وأشار يقول صلوا على طه الرسول

أترى تعود الدار تجمع شملنا * بكمو ويختلس المحب الاجزع * وأرى عبيلة بالعيان لعل ان
يشفى الفؤاد ومن هواها يقنع * هل للعليل وان تعاظم داؤه * منكى شفاء أو دواء ينفع
من بعد عبلة صار دمعى عبرة * تروى به البيدا وأرض بلقع * من اعينى تروى التراب مدامعى
حين ازدهت أجفانها والبرقع * ماذا الذى نالته حتى غيرها * وبذا الدلال تتيه اذ ما تطلع
متباسقات فى البجاج لانها * طافت تسابقها الرياح الاربع * ولها تقر الدار ان هى لم تزل
من دون أهليها وفيها البلقع * وأتيت أحبا باحفظت على الوفا * لهم العهود وهم لعهدى ضيع
ان أعوذوا وردا الركا يا بعدما * يأتوا فهادمعى لهن المشرع * ياعبلة كم من حروب خضتها
وبها رجال من لقاهم يفزع * وعليهم الزرد النضيد تحصنا * فكسرتها وازيل تلك الادرع
لما التقينا فى الغداة عشية * دارت بنا الفرسان كل يطمع * فحملت حملات عليهم جندلت
فرسانهم ما عاد قرن يرجع * وتركت قوم الفرس كلا هائجا * فى قفرة فيها السباع الروّع

أنا عنتر العبسى حامى حيرتى * وجميع أهل الارض منى تفزع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجب الملك النعمان وقال له لا ردا الله فاك ولا كان من يشناك يا فارس الزمان وحامى بنى عبس وعدنان * هذا وهم سائرون يقطعون الاراضى والقيعان يصيد الوحوش والغزلان وفى كل وقت يسمعون من عنتر بدائع الاشعار حتى وصلوا الى أرض الحيرة وتلك الديار فكان لدخولهم الى الاوطان يوم عظيم الشان ما جرى مثله لاحد فى ذلك الزمان فنزل الملك النعمان فى محل عزه وقد فرحت به المحبون والاخوان وعمل خداوند وليمة عظيمة فرحا بخلاصه وعودته الى الملك على رغم أعدائه اللئام ومازالت الولائم متصلة مدة سبعة أيام حتى شبع فيها الخاص والعام * هذا وعنتر جالس الى جانب خداوند بن كسرى أنوشروان وهو يناديمه على الخمر والمدام وفى اليوم الثامن حط الملك النعمان فى رقبته منديلا وأقبل على خداوند بن كسرى أنوشروان ونادى بأعلى صوته اشهدوا على يا من حضر فى هذا المكان من أمارة وفرسان انى أنا عبد الدولة الكسروية وخادم الى المملكة الفارسية فان رضونى أن أكون لدولتهم ناصرا رضيت وكنت لهم سامع وان أرادوا نفى فالبر قدامى واسع وان أرادوا قتلى فبالله عليكم يا سادة يا كرام ما أحد منكم يعارضنى ولا يحامى لى ولا يمانع فانى قد سلمت أمرى اليه يفعل بى ما أراد فلما سمع خداوند من الملك النعمان هذا الكلام حن قلبه عليه ووثب

خداوند

خدواند على قدميه وقبل الملك النعمان بين عينيه وقال يا اسود لا جزاك الله خيرا كما فعلت بأخيك هذه الفعال بين الرجال ثم ان خداوند التفت الى النعمان وقال له طب نفسا وقر عينا يا نعمان وحق النار ما أكون لك الا محاميا عند أبي وعونا على طول الزمان ثم ان خداوند خلع على الملك النعمان وأجلسه مكانه وبعد ذلك التفت خداوند الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس مرادي منك أن تنشد لنا شيأ من أشعارك حتى نلتذ ونطرب ونملأ كؤس المدام ونشرب فقال عنترا السمع والطاعة يا مولاي وكان عنتر مراده بهذا الكلام ان يسمع الملك الاسود بما فعل بأخيه الملك النعمان من الامر والشان فأشار اليهم بهذه الابيات ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

بين العذيب وبين ذاك المحمل * طال البعاد على رسوم المنزل * واذا تحمل أهلها وترحلت
عنها بدور كالصباح المقبل * لعبت بها الاهواء بعد نسيمها * والكاس بعد صفاه ليس بممتلى
فوقفت في عرصاتها متحيرا * أبكي شجونا لي بدمع مهمل * وأثارت الاشجان مني والاسى
حتى لقد نصحت شجون مسائلي * من أجل واضحة الجبين عزيزة * تسبي العقول بعارض متهلل
ولقد رأيت الموت بل ولقيته * متسربلا والموت غير مسربل * فقحمت في وسط الجحاج مصمما
مالي مجير غير حد المنصل * ضحكت عبيلة من فتى متذلل * أسد شجاع ماجد متفضل
كم ضيغم جندلته بمهندي * وأقول لا شلت يمين الصيقل * ناديت عبسا فاستجابت بالقنا
وبكل أبيض ماحق لم يفلل * وبكل مداد الكعوب مثقف * في يد كل صميدع لم يجهل
يدعون عنتر والرماح سواجر * والخيل تعثر في رؤس القتل * ان المنية لو تمثل شخصها
لي في الهجاج طعنتها في الاول * فاحذر مصاحبة اللئام وقربهم * ان الكريم عن اللئيم بمعزل
واحذر ديار السوء لا تنزل بها * واذا نبا بك منزل فتحول * أحظى المنازل منزل تسمو به
شرفا بلا ضيم ترى وتذلل * واذا أردت منازلا في ساحة * فاسأل عن الجيران قبل المنزل
والق ضيوفك بالكرامة والدعا * وابسط لسانك عندهم بتذلل * واعلم بأن الضيف يخبر أهله
بمبيت ليلته وان لم يسأل * والجار فاحفظه وراع حقوقه * والق الصديق بكل فعل أجمل
والق الضيوف ترحبا وتحية * وابسط لسانك للكرام وسهل * واسمع أيا ملك الزمان قصيدتي
وابلغ سلامي للمليك العادل * وانصحه حتى ان يجود بفضله * للعرب والنعمان ذاك الباذل
واصفح له اذ قال عنتر فتنة * ليثير حربا في خلال قبائل * ما كل من طلب العلاء يناله
بل لم ينل الا بسعد أول * واذا وليت ولاية كن عادلا * واعلم بأنك عن قريب تعزلي
واذا هممت بفعل سوء فانثني * واذا هممت بفعل خير فافعل * يا عبلة كم حلة باكرتها
وتركت فارسها قتيل الجندل * أدعى بعنترة اذا انتشب القنا * وتفر مني الاسد عند المحفل
أشفيت نفسي من أعادي مهجتي * وقهرت كل صميدع ومكمل * وبلغت كل فضيلة بمجز الورى
عنها بكل مهند وبذابل * اني أنا الليث الهمام وسطوتي * تعلو على كل الملوك الكمل

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من كلامه في هذا القصيدة وما فيها من التهديد والملام والتعنيف في طيب الكلام قالت أمراء العرب كلها لا ارد الله فاك ولا كان من يشنأك وطول الله عمرك وأبقاك وأما الملك الاسود فانه من شدة ما دخل على قلبه من الغيظ والحنق كادت مرارته من كلام عنتر أن تنشق فقام وطلع من بين الحاضرين وأما خداوند فانه قال لعنتر يا فارس الزمان ويا قاهر الشجعان وحياتك ما تكون للملك النعمان ولجميع العربان من أجلك الا مساعدين على نوائب الزمان وأطيب قلب الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان من جهة الملك النعمان فعندها شكره على ذلك

الملك النعمان وباس الارض بين يديه وله خدم ودعا لابيه بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم
ولما انقضت الولائم وكان اليوم الثامن أمر خداوند العساكر بالرحيل الى أرض المدائن وعندها دقت
الكاسات وزمرت البوقات ونشرت الرايات والازدهارات وركب خداوند وركب وراءه الملك
النعمان وعنتر بن شداد رئيس الشجعان وسار وامعه مقدار يوم كامل وودعوه وعادوا الى أرض
الحيرة واستقام عنتر مدة عشرة أيام عند الملك النعمان وهم منتظرون من كسرى أنوشروان اتيان
الخلع والاحسان وفي يوم الواحد وعشرين أقبلت الهدايا والتحف من كسرى أنوشروان مع وزيره
الموبذان (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان خداوند لما رجع الى عند الملك كسرى أنوشروان
وجد أباه على مقاسى النار من كثرة الانتظار حين أبطأ عليه سماع الاخبار فما صدق حتى نظر الى
ولده خداوند عاد سالما فسأله عما جرى فقال خداوند اعلم يا أبي اننا كنا ظلمنا الملك النعمان وسمعنا
فيه كلام أهل البغي والعدوان اعلم يا أبي أنه ما يصلح لدولتنا محاميا غير الملك النعمان لانه شفوق
وصاحب رأى صائب والرأى عندى يا أبي انك ترسل له الخلع والمواهب وتجعله عندك في أعلا المراتب
وكذلك عنتر بن شداد الذى لا يوجد مثله في سائر العباد ثم انه أحكى له بما قاسى من عنتر في الحرب
والقتال وأخفى عنه من قتل من عساكر الهجم والترك والديلم وقال له في آخر كلامه يا أبتاه ارسل للملك
النعمان والى عنتر هدايا والاموال ودار بهم بالخلع الغوال ومازال خداوند يلح على أبيه بمثل هذا الكلام
حتى انخدع كسرى ولان وانصلح الامر والشان ورضى بعدما كان عضبان وأمر أن يحضر واله
عشر نجائب بعددها ولامتها من الذهب مرصعة بالدر والجوهر وعشرة آلاف دينار ذهب كسر وخمسمائة
ثوب من الديباج وعشرين عقدا من خالص الجوهر ومائة نفجة مسك أذفر وخمسين وزنة من العنبر
وشئ من الخلع الحسان وقال هذا قسم عنتر بن شداد قاهر الفرسان أرسله للملك النعمان وأنفذ له بخاتم
الامان ومنديل الذمام وأمر الموبذان أن يأخذ الجميع ويسير الى أرض الحيرة الى الملك النعمان
فأخذ الموبذان الجميع وسار الليل والنهار حتى أشرف على أرض الحيرة تلك الديار فسمع الملك النعمان
بقدومه فركب الى لقائه بجميع عساكره وهو فرحان بما وصل اليه مع الموبذان حتى انهم التقوا
بالموبذان وسلم عليه النعمان وعنتر وجميع الفرسان وقال الموبذان للنعمان ان الملك العادل كسرى
أنوشروان يقرئك السلام وقد أرسل لك هذه الاموال وبعدها أقبل على عنتر وقبله بين عينيه وقال والله
يا أبا الفوارس لقد نلت ما لم ينله راجل ولا فارس والملك كسرى أنوشروان أرسل لك هذه الاموال
والجنائب والخلع الحسان وهي قليلة في مقابلة فعلك يا فارس الزمان فعند ذلك شكره عنتر وأثنى عليه
وعلى كسرى أنوشروان وقبل يد الموبذان وقال والله يا مولاى ما أنا الا عبد الدولة الكسروية ثم بعد ذلك
رجعوا الى أرض الحيرة وعملوا الولائم والدعوات ثلاثة أيام متواليات وشبع فيهم الخاص والعام وأمر
الملك النعمان بأن تزين الحيرة سبعة أيام وأعطى ووهب وفرق الفضة والذهب وأعطى عنتر لمعديكرب
الزبيدى وعروة بن الورد أموالا لا تعد ولا تحصى وبعدها عاد الموبذان طالبا المدائن فطلع الملك النعمان
وعنتر وجميع أمراء العرب الى وداعه يوما كاملا وسار الموبذان طالبا المدائن ولما وصل الملك النعمان
بهم الى الحيرة صنع لهم وليمة عظيمة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلب عنتر الادن من الملك النعمان في
المسير الى الديار والاوطان فقال الملك النعمان والله يا أبا الفوارس ان فراقك وفراق الروح عندى سواء
ولكن ما أقدر ان أمسكك لاجل ما في قلبك من الشوق والكمد من حب عبلة التي علم به كل أحد ثم ان
الملك النعمان أذن له في المسير والانصراف بعدما أعطاه من الهدايا والتحف ما يكل عن وصفه اللسان
وركب النعمان ووزراؤه الى وداع عنتر حتى بعدوا يوما كاملا عن أرض الحيرة ثم عاد الملك النعمان

الى

الى ديارهِ والاوطان واستمرعنترا سائرا طالبا أرض الشربه وديار الاحبه وهوفرحان بماوصل له من المال والهدايا الغوال ولما بعدعن أرض الحيرة وصارفى البرارى والقفار جاءت خيلة فى باله وافتكر من أجلها ماجرى له فتأوه من فؤاد مذبول وأشار بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

ذنبى غدا عند حبى غير مغتفر * لما توضح وخط الشيب فى شعرى
لقد أصيب فؤادى من لواحظها * بكل سهم شديد الغور فى الحور
فاعجب لها من سهام غير طائشة * من الجفون بلا قوس ولا وتر
كم ما طلتنى وقد أغفلت ما جلبت * يد التفرق من وجدى ومن سهرى
وكم حفظت ذمام القوم وهوله * يصطاد فى الغاب ذات الدل والخفر
من لى طبيبا وبى داء يخامرنى * طول الزمان وذا انقص من العمر
من حب خود يغار الغصن حين يرى * لقدها بين ميادو مختصر
أيام غصن شباب فى شبوبته * ألهو بما فيه من زهر ومن ثمر
يا منزلا أدمعى وقف عليه اذا * طل السحاب على الاطلال بالمطر
أرض الشربة كم قضيت ذا طرب * فيهن بالغيد والخلان من وطر
بمربع ورماح السمر تكنفنى * أبطاله فى ظلال البيض والسمر
أين الزمان الذى قد كنت أحمده * على التدانى بلا غبن ولا ضرر
لم يخطر البين فى بالى فأحذره * ولا أهاب لما فيه من الخطر
ألهو بجب عبيل فى الديار وما * أبات منه ومن وجدى على غرر
يا وجه خل أرى شمسا اذا طلعت * منه بوادر تغنينى عن القمر
فى كل يوم أرى من نشرها سحرا * يبدو ضياه كنشر الزهر فى الشجر
وكل غصن غدا من حظه نظرا * ما خص عاشقها منها سوى السهر
ما هبت الريح من نجد معطرة * الا ولوعا بريا بردها العطر
وما جرت أدمعى والشمل مجتمع * الا لما علم الاحباب من حذرى
خوفا عليها ولولا ذاك ما وقفت * ركائبى بين ورد القوم والصدر
كلا ولا كنت بعد القرب مقتنعا * منها على شط نأى الدار بالخبر
هم الاحبة ان خانوا وان نقضوا * ودى فما حلت عن عهدى وعن سهرى
فكم أضاعوا محبا فى الغرام بلا * ذنب وكم ظل فيه من دم هدر
يشكو ذوو الهجر فى سر وفى علن * شكوى تؤثر فى صلد من الحجر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجب عروة مع رجاله من فصاحة عنتر ومقاله فقال عروة بن الورد لا فض فاك ولا كان من يشنأك ولعن الله منك يا حامية عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان لقد فقت على أبطال هذا الزمان بالشجاعة والفصاحة والكرم وحسن الشيم فشكره عنتر وأثنى عليه ثم انهم جدوا فى المسير الليل والنهار وكل ليلة يحرسهم عنتر من خوفه عليهم من طماعة العرب ولم يزالوا سائرين على ذلك الحال حتى انهم وصلوا الى أرض معطشة موحشة مدهشة فساروا فيها ثلاثة أيام حتى قطعوها بعدما كانوا أشرفوا على الهلاك وسوء الارتباك من شدة العطش وعظم الدهش واليوم الثالث بان لهم جبل عالى الاكام وكان هذا الجبل يبان من مسيرة ثلاثة أيام وكان يسمى جبل أبان فقال لهم الدليل جدوا فى المسير لعلنا نصل الى هذا الجبل فأجابوه وجدوا فى المسير طول

ذلك النهار حتى وصلوا اليه وقت المساء ونزلوا على غدير ماء فى لحف ذلك الجبل فأسقوا خيلهم وشربوا وأكلوا شيأ من الزاد وأراد عنتر بن شداد أن يحرسهم تلك الليلة فما مكنه عروة بن الورد من ذلك الحال وتقدم الى قدام عنتر وقال له وحق ذمة العرب لا أمكنك من هذا الامر لان لك ليالى كثيرة تحرسنا فيهم أنت الليلة وأنا ورجالى نحرس القوم فأجابه عنتر الى ما طلب فأخذ عروة من رجاله خمسة أبطال ودار تلك الليلة حول المال والنوق والجمال وكانوا أطلقوا خيلهم ترعى فى ذلك البر والمرعى فما زال عروة ورجاله حول المال دائرين حتى تنصف الليل وجاء وقت السحر فأتوا الى تل عال أشرفوا منه على المال والنوق والجمال وجلسوا فى ذلك المكان وأخذوا فى الحديث والكلام فهب عليهم الهواء فناموا كلهم معا كأنهم قتلى ما فيهم من أفاق حتى طلع الصباح بالاشراق فأفاقوا وقد انذهلوا فافتقدوا خيلهم فما نظروا منها قليلا ولا كثيرا فامتزج عروة بن الورد بالغيظ والغضب وقال والله لقد افتضحنا عند سائر قبائل العرب فبينما هم يلومون بعضهم البعض واذا بعنتر أقبل عليهم من تلك الارض وسألهم عن الخبر فحكوا له عن ضياع الخيل فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال لعروة لاى شئ هذه الفعال يا أبا الابيض كيف تنام أنت ورجالك حتى بلغت الاعداء منا المراد فى هذه الارض والمهاد فقال عروة وقد استحى من عنتر والله يا أبا الفوارس لقد درنا فى هذا البر الاقفر حتى جاء وقت السحر وقلنا ان هذه الارض لا يأتى اليها أحد وما حسبنا هذا الحساب الا لهذا النكد ثم ان عروة أطرق رأسه الى الارض من شدة حيائه من عنتر فقال عنتر والله ان فراق روحى عندى أهون من فراق جوادى الابجر ولكن ما أكون عنتر ولا من ظهر شداد اذا لم ألحق الذى فعل بنا هذا الفعال وأجعله مثلا يضرب به بين النساء والرجال ثم ان عنتر أمر رجال عروة بن الورد أن يتفرقوا فى تلك البرارى والتلال يمينا وشمال لعلهم ان يقفوا للخيل على خبر أو على جلية أثر فأجابوه الى ما أمر وتفرقت رجال عروة مثل ما أمرهم عنتر وغابوا ساعتين من النهار حتى حمى الحر واشتد هجير البر فعاد الكل الى قدام عنتر وما فيهم أحد وقع للخيل على خبر فحكوا لعنتر انهم ما رأوا للخيل خبر فقال عنتر أما رأيتم لهم أثر قالوا بل رأينا أثر حوافر الخيل معاودة الى ناحية أرض العراق قال عنتر نعم خيلنا ما راحت الى أرض الحيرة لان الذين فعلوا معنا هذه الفعال ما هم الا تابعون أثرنا من أرض العراق الى هذه الاراضى والآفاق ثم ان عنتر التفت الى أخيه جرير وقال له ويلك يا ابن الام سر وأتنى بشئ عليه أركب ولو أنك تسرق لى جوادا من بعض أحياء العرب لان شيبوبا ما كان حاضرا اذ ذاك مع أخيه عنتر لان عنتر كان أرسله مع بنى عبس لاجل حفظ عبلة والا فما كان جرى عليهم شئ من هذه النوائب والكروب لو كان حاضرا أخوه شيبوب فأراد جرير أن يسير الى ما أمره أخوه عنتر واذا هو ينظر الى الابجر وهو مقبل كأنه الطير الطائر أو النمر النافر وقد أقلق الارض بالصهيل كأنه ناقة ضل عنها الفصيل فلما نظر عنتر الى جواده الابجر فرح واستبشر وقال جاء جوادى فاليوم ألحق على ظهره الاعادى ثم ان عنتر ركب على جواده وقد بردت النار من فؤاده والتفت الى عروة ورجاله وقال له اتبعنى يا أبا الابيض أنت ورجالك واركبوا على هذه النوق والجمال حتى أسير أنا بين هذه الروابى والتلال ثم ان عنتر ساق جواده على الاثر فى ذلك البر الاقفر حتى تنصف عليه النهار وحمى الحر واشتد هجير البر فأراد عنتر أن ينزل عن ظهر جواده الابجر ويدعه يستريح من التعب من كثرة ما قاسى من النصب واذا هو برى راجلا مقبلا بين تلك الجبال والاودية والتلال وهو يركض كأنه غزال وأياديه مكتوفات الى وراه وفى رقبته حبل طويل يسحبه فى البر والفلاه ومن خلف ذلك الراجل عشرون فارسا يطردونه وقد تقطعت خيلهم فى الطرد من ثقل الرمال فلما نظر عنتر الى ذلك الحال تأمل فى ذلك الراجل الذى حلت به الكروب واذا به أخوه

شيبوب

شيبوب فلما ان عرف عنتر أخاه شيبوبا وثب من الارض الى ظهر جواده وكان شيبوب عرف أخاه عنتر فصاح بأعلى صوته ويلك يا ابن الا وداء خلصني من هذه النوائب والكروب فأنا أخوك شيبوب *هذا وقد ركض عنتر على ظهر جواده الابجر وتلقى اخاه شيبوبا فقطع الكتاف من يديه وأزال الحبل من رقبته وكتفيه وقال له ويلك أبا رياح وأى شئ الذى جرى لك حتى صار هذا الحال حالك هل أحد سبانا كم من العرب وبلاكم بهذه النوب قال شيبوب ما أحكى لك ما جرى حتى تقتل هؤلاء الفرسان الذين يطردونى فى هذا البر والقيعان من أول هذا النهار فلما سمع عنتر كلام أخيه التقى العشرين فارسا كما تلتقى الارض العطشانة أوائل المطر وطعن الاول فى صدره فأطلع الرمح يلمع من فقار ظهره بخندله ورماه والثانى أعدمه الحياه والثالث ألحقه برفقاه والرابع ترك رأسه بحذاه والخامس تركه من الحياة آيس والسادس جعل رأسه ناكس والسابع تركه فى التراب واقع وما كانت غير ساعة من النهار حتى قتل من العشرين ستة عشر بطلا والاربعة هربوا على خيلهم قدام عنتر وهم ينادون لعن الله أباقصتك وقحبة ربتك ما أشد ضرباتك وما أنفذ طعناتك وما أصعب حملاتك *هذا وعنتر ما تبعهم بل تعلق قلبه بأخيه شيبوب ونزل عن ظهر جواده الابجر فى تلك البرارى والبطاح وقال له ويلك يا أبا رياح احك لى الآن ما جرى لك حتى وقعت مع هؤلاء العسكر البسير وجرى عليك هذا الامر العسير قال شيبوب ما أقول حتى تحكى لى أنت ما الذى أتى بك من أرض العراق الى هذه الارض وأنت وحدك بلا رفاق فقال عنتر بلى يا أخى مى عروة بن ورد ورجاله ولكن يا شيبوب انسرقت خيلنا منا وأصبحنا فى هذا الارض رجاله وابتدأ عنتر يحكى لاخيه شيبوب جميع ما جرى له وقت ان كان عند الملك النعمان وما أعطاه من المال وكيف عادوا طالبين الارض والاطلال وكيف تولى عروة بن الورد الحرس فى جبل أبان وأصبحنا ما رأينا من خيلنا قليلا ولا كثيرا فى هذه الكثبان ثم قال له عنتر وقد التقيت جوادى فركبته وركضت على أثر الخيل فوقعت فيك فى هذا المكان وخلصتك من الاسر والهوان فلما سمع شيبوب كلام أخيه عنتر تعجب من هذا الامر الذى جرى غاية العجب وقال والله يا ابن الام ان سرقة خيلكم كانت السبب اسلامتى وسلامة الحارث بن الملك زهير لان الذين سرقوا خيلكم يا أخى كانوا أربعين سلالا من سلالين العرب والمقدم عليهم محنة العرب الذى لا يطاق فى الحرب والتلاق يقال له أويس بن السعلا وأنا والله يا أخى أعرف الخلق به من دون الملا (قال الاصمعى) وقبل ما أذكر لكم أسر شيبوب والحارث ووقوعهم مع بنى زهران وقدومهم الى ذلك المكان أذكر سبب سرقة خيل عنتر ومن معه من الفرسان فأقول قد كان السبب فى ذلك ان عنتر لما طلع من عند الملك النعمان طالبا أرض بنى عبس وعدنان ومعه تلك الاموال التى لا تعد ولا تحصى نظر اليه ذلك السلال أويس بن السعلاء وكان أويس ابن السعلا بطلا جبار لا يصطلى له بنار آفة من الآفات وبلية من البليات يقاتل فارسا وراجل واذا ركض على قدميه يسبق الخيل الصواهل وانه لما نظر الى تلك الاموال السائرة مع عنتر اخذه الطمع وكانت رجاله اربعين سلالا والكل يقاربونه فى العباره والمكر والدهاء والشطاره فأقبل عليهم وقال لهم دعونا نخاطر مع عنتر ونتبعه من وراء الى ورا فى هذه البيد والصحرا لان الطريق قدامه بعيده وهى صعبة شديده فلا بد انه ليلة من الليالى يغفل أو ينام فنأخذ منه بعض هذه الاموال فأجابه رجاله الى ما أمر فى الحال ثم انهم تبعوا عنتر ومن معه من الرجال ولم يزالوا تابعين منه الآثار ويقطعون البرارى والقفار وكل ليلة يرون عنتر دائرا على حرسهم فتمنعهم هيبة عنتر من الهجوم عليهم وما زالوا تابعين لعنتر حتى وصل الى ذلك الجبل وتولى عروة تلك الليلة الحرس وكان أويس بن السعلاء فى تلك الليلة قال للسلالين الذين معه يا بنى العم واحد منكم يسير ويكشف لنا الاخبار فان رأيتم لنا فرصة اغتنمناها والا فدعونا نرجع لان أكثر

من هذا الاجتهاد لا يتأتى من سائر السلالين فأشرف على عنتر ومن معه فوجدهم لاجل القضاء والقدر جميعا نائمين ووجد خيلهم قد تباعدت عنهم فى الصحراء وقد توسعت فى البر لاجل الماء والمرعى فعاد ذلك السلال وأعلم أويس بن السعلاء ومن معه من السلالين بما رأى فقال أويس الرأى الصواب اننا نقنع من هؤلاء القوم بخيلهم لا غير والا فان اخذنا بعض هذه الجمال بما عليها من الاموال والاحمال يلحقنا عنتر ومن معه من الرجال وينزلوا بنا الهلاك والنكال فنكون خاطرنا معهم برؤسنا وضيعنا نفوسنا فأجابه السلالون الى ما أراد وأقبلوا على خيام عنتر بن شداد ورأوا الخيل وهى ترعى وقد بعدت عن الخيام فى البر وهى تسعى فانقضوا عليها وركبوا بعضها وجدوا فى المسير تحت الليل والظلام من غير نكير ومازالوا يطلقون الاعنة حتى جاء وقت السحر من خوفهم ان يتبعهم عنتر * ثم قال فلما كان وقت السحر اذا أنا أسمع هدير الابحر وهو يركض فى عرض البر الاقفر فعرفت أنه جواد أبى الفوارس عنتر وقد اندهشت بنو زهران فأردت أنا كشف الخبر فوقفت وجذبت نفسى ممن كان قائدا زمامه ولطمته برجلى فى بطنه فكاد أن يشرب كاس المنيه وصرت أركض فى ذلك البر والفلاه وافتقدت تلك على ظهر الابجر لاجل أن تعدمهم الخياه فركض خلفى هؤلاء السلالون على أظهر الخيل التى كانت معهم فما لحقوا منى سوى الغبار فعادوا عنى وهم خائفون على أنفسهم من الهلاك والدمار الى أن تنصف عليهم النهار فأدركتهم فرسان بنى زهران فلما نظروا الى تلك الاربعين سلالا عرفوا انهم سلالون فصاحوا عليهم وحملوا فيهم وكان بنو زهران الذين معهم شيبوب والحارث أسارى خمسمائة فارس والسلالون أربعين فما كانت غير ساعة حتى قتلوا منهم ثلاثين وهربت العشرة مع أويس بن السعلاء (قال الراوى) وفى ذلك الوقت الذى جرى فيه على السلالين ما جرى هرب شيبوب من يد العبد الذى كان ماسكاله وما به درى لان العبد الذى كان قائدا لشيبوب انتهى بالفرجة على السلالين القادمين وكان ماسكا شيبوب بجمل من رقبته فجذب شيبوب نفسه من ذلك العبد وطلب الهرب فى البر والسبسب فأعلم العبد خيل بنى زهران بهروب شيبوب فطلعت الخيل فى طلبه تطرده حتى التقى بأخيه عنتر وكان عنتر قد ملك جواده الابجر فحمل على تلك الخيل وهى تطرد شيبوب فأنزل بهم الهم والكروب وقتل ستة عشر فارسا من بنى زهران وخلص شيبوبا كما ذكرنا من ذلك الهوان وقال له ويلك يا أبا رياح احكى لى الآن ما جرى لك أنت والحارث ابن الملك زهير فى بنى زهران وأى شئ الذى صيرك أسيرا أنت واياه فاشرح لى قصتك واكشف لى عن حالتك حتى أجد فى خلاص الحارث فقال شيبوب لا يا أخى انه لا يحتاج انك تسير اليهم لانهم لابد ان يقطعوا خلفى الدكادك ويصلوا الى هذا المكان من هنالك فتفعل فيهم ما تشتهى وتريد وتذيقهم العذاب والتنكيد بل الصواب انك تنظر الى عروة بن الورد ورجاله حتى يصلوا وركبوا من هذه الخيل الشاردة الذى حصلت لنا وتستعينوا بها على الاعداء لان الاربعة الذى هربوا من العشرين لابد ان يصلوا الى بنى زهران ويعلموهم بما فعلت فى أبطالهم والفرسان فلما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب رآه صواب ما فيه شئ يعاب * هذا وشيبوب ابتدأ يحكى لاخيه عنتر عن سبب وقوعه ووقوع الحارث فى أسر بنى زهران وما جرى لهم من الشدائد والهوان (قال الاصمعى) وكان السبب فى ذلك ان بنى عبس لما رجعوا من قتال خداوند بن كسرى أنوشروان من جبال أجا وسلما الى أرضهم وهى أرض الشربة والعلم السعدى وكانت هيبة بنى عبس وقعت فى قلوب سائر العربان فى ذلك الزمان من آل عدنان وقحطان وجذيمة وشيبان من اجل انهم عادوا خداوند بن كسرى أنوشروان والملك النعمان ومن معه من العربان وما قدروا عليهم فى الحرب والطعان فوقعت هيبتهم فى قلوب العربان وجميع من سلك البرارى والقيعان (قال الراوى) فاتفق من الامور والاحكام ان الحارث ابن الملك زهير ركب يوما من بعض

الايام

الايام وطلب الصيد والقنص ومعه جماعة من بني عبس فأبعدبهم عن أرض الشربة لانتهاز الفرص وصار يشق فى تلك الاراضى فى طلب الصيد شرقا وغربا حتى وصلوا الى وادمن أودية بنى عبس يقال له وادى النقا وكان ذلك الوادى مشعبا من دون الوديان لان فيه مناهل كثيرة وغدران وكان هذا الوادى منزلا لبنى عبس من قديم الزمان ولكن ضاق عليهم فانتقلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى ولما وصل الحارث ومن معه من الابطال الى هذا الوادى شقوا فى نواحيه وكان عهد الحارث بهذا الوادى انه ما فيه أحد من السكان فرأى ذلك اليوم فيه خداما وخياما ومضارب وقنى وقواضب وخيولا وجنائب وجمالا تسرح ومهارة تمرح فأنكر الحارث ذلك غاية الانكار فسأل بعض الرعيان عن ذلك المال فقالوا له يا مولاى نحن من بنى زهران قال الحارث ومن أنزلكم فى هذا المكان فقال له العبد يا مولاى ما نزلنا فى هذا المكان الا بأمر صاحبه الملك زهير بن جذيمة ملك بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان لاننا طلبنا منه الامان والذمام فأجارنا وأعطانا الامان والذمام فبينما الحارث ابن الملك زهير يتحدث مع ذلك العبد وهو يجاوبه واذا بغزالة قد لاحت من قدامه فهمز جواده وطلبها ففاتته فعاد عنها طالبا رفقته واذا بفحل غزال أقرن قد طلع من قدامه فلحقها الحارث وبقى يكدى الجواد خلفه حتى لحقه فوصل الغزال الى الغدير واذا بجماعة من النسوان والبنات وهن حول الغدير يلعبن واذا بفحل الغزال وصل اليهن ودخل تحت أذيال واحدة منهن كالمستجير وكانت تلك البنت بنت أمير هم وهم العرب الذين سأل الحارث العبد عنهم فقال له نحن من بنى زهران وكان أميرهم يسمى بكر بن المقداد الذى فاق بجوداده على كل احد وكان اسم البنت لبنى (قال الراوى) وكان سبب رحيلهم من ارضهم ونزولهم فى ارض بنى عبس وعدنان هو ان هذا الامير بكر بن المقداد كانت له هذه البنت التى نحن فى حديثها وهى لبنى وكانت بديعة فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وكان كثر على أبيها الخطاب والراغبين والطلاب فما أنعم أبوها لاحد منهم بزواجها وكان لها ابن عم يسمى جرير بن قادم وكان للابطال مصادم شجاع فى ميدان الحرب صبور على البلاء والكرب الا انه كان قبيح الخلقه بشيع الصورة وكان خطبها من ابيها فلم ترض به لبنى لانها كانت تبغضه من قصه فقالت لابيها متى انعمت على ابن عمى بزواجى فأنا أقتل روحى لان نفسى لا تقبله من قبح صورته فلما سمع ابوها مقالها رد ابن عمها خائب مما هو له طالب وجرى بينهم كلام وخصام ولاجل هذا رحلوا من أرضهم وقطعوا البرارى والقيعان حتى انهم وصلوا الى أرض بنى عبس وعدنان واستجاروا بالملك زهير فأجارهم وأعطاهم الذمام والامان وأنزلهم فى هذا المكان فكان هذا هو سبب نزولهم فى تلك الارض والقيعان (ونرجع) الى الكلام الاول بعد الصلاة على نبينا المفضل ولما أتى الحارث خلف الغزال ورآه دخل تحت أذيال لبنى كالمستجير نظر الحارث الى لبنى فرأى الغزال تحت أذيالها فتعجب من قدها واعتدالها وقال لها الحارث يا غزالة الوادى هاتى لنا صيدنا ولما نظرها الحارث نظرة أعقبته النظرة ألف وخمسمائة حسرة فقالت له لبنى يا ابن السادات الكرام صيدك استجار فى الحريم فاتركه لنا لانه طلب منا الذمام فلما رآها الحارث وهى تكلمه تحير وصار باهتا وقتلته بلين قوامها وحسن ابتسامها وكان هو أيضا جميل الصورة زائدا عليها فنظرته وهو واقف ينظر اليها فارتجت أعضاها وزاد عشقها وبلاها وأعقبتها النظره ألف وخمسمائة حسره وبقيت لبنى تتحدث مع البنات وتتبسم فى وجه الحارث ويلوح البرق من بين ثناياها وهى باهتة فيه من شدة ما حل بها ودهاها وكثر شوقها ووجدها وقل صبرها وحارت فى أمرها فعندها تأوهت من فؤادها وأشارت لبنى الى الحارث بن الملك زهير تناشده بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

ان عينى صاح رمداء عن فتى * مرتبى يبغى من الصيد الظبا * وانثنى فاصطاد قلبى حسنه

ومضى فازداد قلبي لهبا * جاء يصطاد غزالا في الفلا * صاد ظبيا آنسا عنه نبا
ظبية لم تدر ما البؤس ولا * رعت الشيح بأكناف الربا * قلت دع للصيد قد نالت المنى
وبلغت السؤل ثم الاربا * كنت أصطاد بعيني الظبا * ما لقلبي صاده من لي سبا

(قال الاصمعي) فلما سمع الحارث من لبنى هذه الابيات اشتعلت في قلبه النار وزادت زفراته وما بقى له اصطبار وصار لا يعرف من شدة العشق والهوى ان كان هو في أرض أو في سماء ومن شدة ما جرى عليه أشار الى لبنى ينشدها بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

انظر الى شمس القصور وبدرها * والى جمالها وحسن زهرها * ان تلق عينك أبيضا في أسود
جمع الجمال فوجهها مع شعرها * وبحمرة الوجنات يخبر حسنها * عن طرفها ان لا تحيط بخبرها
وتمايلت فقضيت من أردافها * عجبا ولكن قد بكيت لخصرها

(قال الاصمعي) ثم ان الحارث ابن الملك زهير رجع الى ورائه وحب لبنى قد تمكن في أعضائه فتكاسل في مشيه وقلت همته ولا برح سائرا حتى وصل الى رفقته فلما نظرت أصحابه الى حالته أنكروا أمره وعجبوا من قصته وقالوا له ما بالك يا حارث قد كنت الساعة في الصيد فرحان كالاسد الغضبان ونراك في هذا الوقت قد عدت وأنت فاتر كسلان فقال لهم والله يا بني العم قد اختبط جسدي من كثرة الشوق في هذه الارض والبيداء وأنا الساعة أريد ان أرجع الى الاحياء ثم انه بعد ذلك سار طالبا الحي والديار وهو طائش العقل ذاهل اللب مما أخذه من الوجد والحب فلما وصل الى قرب خيام بني عبس صار يتلفت الى ناحية خيام بني زهران وينهل كاسات الغرام والهيمان وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

سلامي على الوادي ومن حل دونه * فقد حملوني فوق ما أنا حامله * مررت به أبغي من الصيد ظبية
فعدت وقد صارت فؤادي حبائله * وخليت قلبي عند سكان أرضه * وجسمي على نار الهوى ومراجله
فان يك جسمي قد مضى نحو أهله * فان فؤادي عندكم وبلابله

(قال الاصمعي) ثم ان الحارث لم يزل سائرا حتى وصل للخيام ودخل الى مكانه وبات تلك الليلة وقد زادت لوعته وكثرت حسرته فوصل خبره الى أمه واخوته فأتوا اليه وسألوه عن حالته فقالت له أمه تمازر وقد تألمت لوجيعته يا ولدي ما الذي أصابك حتى صرت في هذا الحال دون أصحابك فقال لها الحارث يا أماه أعضائي بها وهن وقد تغير مني البدن وأنا مكروب ولا يعلم بحالتي سوى علام الغيوب فحزنت أمه من عنده مع اخوته وما بقي عنده أحد فأرسل الحارث خلف دابته وكانت تحبه محبة عظيمة دون اخوته وكان الحارث يأمن اليها دون رفقته في كل أموره ومصلحته فأتت اليه وسلمت عليه وقالت له ولدي مالي هكذا أراك جعلني الله من السوء فداك فأعلمها الحارث بأمره وأمرها أن تكتم خبره ولا تبوح بسره وقال لها اعلمي يا خالة ان أباحة السر ردية أولها هتيكة أحبابه والثانية شماتة أعدائه وحساده وبعد هذا كله فاني أخاف من أبي لانه ان علم بما حل بي يقول لي لم تعرضت الى جيراني ويمنعني عن ذلك وينهاني ثم انه بعد ذلك كشف لها عن حالته وأطلعها على قصته فلما سمعت الدابة مقالته أوعدته انها تساعده على بلوغه وتزيل عنه غصته فقال لها الحارث أريد منك يا خالة انك تمضي اليها في زي زائرة وتبصري ان كان في قلبها مثل ما في قلبي لانها قد ملكت عقلي ولبي وعرفي أباها ومن ثم رأيتها أني رأيتها تتنهد وتتحسر بعد مسيري عنها وأريد منك أن تعلميها بما عندي لها من الهوى وان كان حالها مثل حالي فعديها انها تخرج الى الغدير ويكون ذلك في وقت تعينه لك حتى اني اليها أسير وأقصدها وأجتمع أنا واياها لان قلبي يحبها ويهواها فلما سمعت الدابة كلام الحارث أجابته بالسمع والطاعة وقالت ها أنا سائرة اليها من هذه الساعة وما أجيء من عندها حتى أدبر الرأي على اجتماعك بها (قال الراوي) وكانت هذه الدابة

فى القيادة لها رأى عظيم ثم انها سارت طالبة وادى النقا ولم يأخذها من ذلك تعب ولا شقا فلما وصلت الى الوادى ونظرت الى خيام بنى زهران دخلت عند النسوان وأظهرت لهن انها زائرة لذلك المكان ولم تزل تفعل الحيل حتى انها اختلت بالجارية لبنى وتحدثت معها وبخبر الحارث بن الملك أعلمتها فلما سمعت لبنى بذكر الحارث تنهدت وتحسرت وقالت لها وحق من يقول للشئ كن فيكون انى البارحة ما غمضت لى من أجله عيون وزادنى الشوق اليه وبقيت حائرة فيمن يوصل خبرى اليه لانى قد قل صبرى وحرت فى أمرى والآن قد انفرج الهم عنى بحضورك عندى ولا بقيت أعرف اجتماعى به الا منك فلما سمعت الدابة مقالها علمت بأن حب الحارث قد غير أحوالها فقالت لها ما بقى فى الامر الا انك تطلبى الليلة عند الغدير حتى آتيك به وتجتمعى معه زمنا يسير فلما سمعت لبنى هذا الكلام قالت لها السمع والطاعة وانى لليلة غد أكون على الغدير ولا أخاف من كبير ولا صغير * هذا والدابة لما سمعت كلام لبنى ودعتها وعادت طالبة الحارث الى ان وصلت اليه فابصرته على مقالى النار وهو قاعد لها فى الانتظار فتقدمت اليه وأخبرته بجميع ما صار لها من الشوق والغرام فلما سمع الحارث من الدابة هذا الكلام أيقن بالوصال والتئام الاحوال وأقام ذلك اليوم للمساء ولما كان آخر النهار أخذ الدابة معه وطلب معها النقا لعله أن يفوز باللقا وأشار بهذه الابيات ينشدو يقول صلوا على طه الرسول

وسرنا نريد الصيد فى البر والربا * أصبنا الظبا والعين والقلب فى مرح
طردنا الظبا فى ساحة البر نحوة * وقد طاب منا القلب والخاطر انشرح
وقد عن لى غزل عتيق من الظبا * فأكرمته فى البر طردا وقد سرح
الى ان أتى ذات الجنادل لاعبا * بذعر صبا نحو البنات وقد مرح
وألقى بنفس لا تزال عزيزة * الى نحو لبنى والفؤاد قد انشرح
ووافيته فى حضن لبنى وقد غزت * بحب جوادا والعسير قد انصلح
فما بنت منها قامة شبه بانة * تجلى كبدرا لتم والحسن قد وضح
وأنقا كطرف السيف والثغر باسم * وأثر فى الاحشاء والقلب فانجرح
بعنق كعنق الريم والصدر مرمر * ونهدين كالرمان فى الصدر قد طرح
وخصر رقيق ثم ساق مدملج * وردف ثقيل مهجة الصب قد قرح
فيا حب لبنى قد جرحت حشاشتى * وقد حرت فى أمرى وصبرى قد برح
وبالبتنى ما جئت نحو غديرهم * وكان جوادى عن منازلهم جمح

(قال الراوى) ثم ان الحارث بعد هذه الابيات لم يزل سائرا حتى انه وصل للغدير وكمن هو والدابة تحت شجر الاراك حتى أمسى المساء هذا ما كان للحارث بن الملك زهير هو والدابة * وأما ما كان من لبنى فانها صبرت الى وقت المساء وأخذت جاريتها معها وطلبت الغدير كأنها تشم الهواء فلما وصلت للغدير وجدت العجوز والحارث من أجلها على مقالى النار وقد عدم الاصطبار فلما نظرت لبنى اليه ألقت روحها عليه فضمها الى صدره وجعل يقبلها فى فاها وهى تقبله وما زالا على ذلك الحال حتى بردت من قلوبهما نيران الوجد والاشتعال وبعد ذلك أخذوا فى الحديث والشكوى وتشاكوا من ألم الهوى واقترقوا بعلة ما لها غير الوصال دوى ثم ان لبنى حكت للحارث قصة ابن عمها جرير بن قادم وما جرى لها معه من الاخبار وسبب رحيلهم من أرضهم والديار ثم انها بعد ذلك الكلام قالت له وحق ذمة العرب الكرام لقد سلوت بحبك الديار والاوطان وما بقى لى عنك صبر ولا سلوان قال الحرث وأنا كذلك يا در التمام

(قال الراوى) فما تفرقوا من ذلك المقام حتى تعاهدوا وجددوا الاقسام بأن لا يملك أحدهما نفسه الى غير

صاحبه من الانام وصار لهم ذلك المكان معهدا فى كل وقت يجتمعون فيه وهما فى عيشة هنية مدة زمانية كل هذا وما جرى بينهم فاحشة أبدا بل انما هى محبة لعب ومزاح لا محبة نكاح الى ان كان يوم من بعض الايام ركب الحارث ابن الملك زهير جواده وسار طالبا وادى النقا ليزيل ما به من الهموم والشقا ولما وصل للوادى ولم يجد للقوم خبر ولا جلية أثر قلق لذلك وتحير واسود فى عينه ذلك البر الاقفر ووقف حائرا على ظهر جواده وقد اشتعلت النار فى فؤادى وبكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وأشار يسأل الربع والدار عما جرى على أهلها وما عليهم صار بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

مالى أرى دارا تنكر أهلها * وتغيرت جنباتها والوادى
ياويلها من بعد فقد أحبتى * فلمن أسائل ربعها وأنادى
والبين والتفريق أقلق مهجتى * ورمى سهام البعد وسط فؤادى
لما وقفت على المنازل بعدهم * أدعوهمو ولهم أكون منادى
انى أنوح بعبرة مصفرة * من اجل سادات مضوا بوسادى
ما صابهم الاعيون حواسد * نالوا مناهم منهمو واعادى
ياويح دهرى فيهمو لما رموا * بالنبل عن قوس أصاب فؤادى
قد أصبحت أوطانهم قفرا ولا * فيها أنيس غير ذاك النادى

(قال الاصمعى) ثم ان الحارث عاد الى حى بنى عبس وما وجد له راحة دون ان ارسل خلف دايته وأعلمها بما هو فيه من بليته فلما سمعت الدايه كلامه قالت له ياولدى لا شك ان القوم رحلوا الى أرضهم وديارهم فاسمع منى واترك عنك هذه الاحوال والا حل بك الهلاك والوبال فربما انه يفضى بك ذلك الى العدم وتندم حيث لا ينفعك الندم فلما سمع الحارث كلام دايته بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وقال لها يادايه وحق ذمة العرب أنا ما أقدر ان أصبر على فراق لبنى ولا ساعة واحدة وأشار اليها ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

انى ليقلقنى شوق وتذكار * لما حدا بهم الحادى وقد ساروا
وخلفونى وحيدا بعدهم بعدهمو * وهتكت لبعادالقوم أستار
ساروا وفى القلب منهم لوعة وأسى * وأضرمت فى الحشى من حبهم نار
فعدت من بعدهم أبكيهم وأسفا * ودمع عينى على الخدين مدرار
كم قلت من فرط شوقى نحوهم أسفا * يادار بالله أين الحب يادار
هذى منازلهم تشكوا لبعادلهم * وانما حكمت بالبعد أقدار
كانوا بأطيب عيش فى منازلهم * واليوم ما منهمو فى الدار ديار
يادار انى حزين القلب بعدهمو * قد أضرمت فى الحشى من بعدهم نار
وفارقونى وقد ضاقت لغيبتهم * على ياسادتى مدن وأقطار
ياخفعة البين كم فتت من كبد * يوم الفراق وكم قد بان أستار
أخفعت يابين قلبى بالفراق فلا * بلغت يابين ما تهوى وتختار
ياوحشتى منهمو ياخفعتى لهمو * فكم قضى فى الهوى بالوصل أوطار
كانوا لعينى شموسا استضىء بهم * وفى الظلام هموالله أقمار
وارهم الدهر عن عينى فوا حزنى * ياليتهم أيقظونى عند ما ساروا
يا قلب صبرا على بلوى الغرام عسى * يأتى اليك من الاحباب أخبار
ان كان قد رحلوا عن خاطرى فلقد * أمسوا وهم فى سواد القلب حضار

(قال

(قال الاصمعى) وكان السبب فى رحيل لبنى وأبيها وقومها بنى زهران من ذلك المكان له كلام عجيب وأمر مطرب غريب وهو انه أتاهم رسول من عند ملكهم وكان ملكا عظيما صاحب حرمة وكله يقال له الاشعث بن ضرمه وهو صاحب أرض البيضا ووادى الغضا لانه ما كان علم برحيل أبى لبنى الا بعد ما قطع الاراضى فصبر مدة أيام حتى علم انه نازل فى أرض بنى عبس وعدنان ولما علم انه مقيم فى ذلك المكان أنفذ اليه رسولا يقول له أنا من الاول ما علمت بسبب رحيلكم وتحويلكم والا فما كنت تركتكم تتغربون عن أهلكم ولا تبعدون عن أرضكم وبعد ذلك لما علمت بأن المعتدى عليكم ابن عمكم جرير بن قادم غضبت عليه من أجلكم وأوقعت فيه الخسارة وضيقت عليه وحبسته فى مغاره وما بقيت أطلقه الا ان كنتم أنتم تجيئون اليه وتطلقوه بأيديكم وأريد منكم أنكم تعودون الى الاوطان قبل ان يتصل نسبكم فى بنى عبس وعدنان فلما وصلت هذه الرسالة الى أبى لبنى بردت حرارة ناره وقل شره وفرح بالعودة الى دياره لانه كان بلغه ما جرى لابنته مع الحرث بن الملك زهير فرحل من وقته وساعته فيمن معه من قومه وعشيرته (قال الراوى) فلما حقق الحرث الامر وصح عنده رحيل القوم حلت به الكروب وكاد من الفراق أن يذوب وقال فى نفسه لو كان عنتر حاضرا كان يساعدنى ويسعى فى قضاء حاجتى لكن ما بقى فى الامر الا انى أرسل خلف أخيه شيبوب وأعلمه بما حل بى من الهموم والكروب لانه لمثل هذه الاشياء دروب ثم ان الحرث من وقته وساعته أرسل خلف شيبوب أخى عنتر فلم تكن غير ساعة حتى انه حضر وحكى له جميع ما جرى له مع لبنى وكثرة أشواقه اليها فلما سمع شيبوب كلام الحرث قال له وما الذى تريد يا مولاى من الفعال اعلمنى بما عندك من المقال حتى انى أساعدك بروحى ونفسى وأنوب فى هذه المرة عن أخى عنتر العبسى فلما سمع الحرث مقاله أيقن باصلاح حاله وقال له أريدك ياشيبوب أن تسير معى الى ديار المحبوب فلعلى ان أنال المطلوب وتنفرج عن قلبى هذه الهموم والكروب فلما سمع شيبوب من الحرث ابن الملك زهير ذلك المقال قال له يا مولاى يجب عليك أن تخفى أحوالك وتدبر أمرك ولا تطلع أحدا على سرك لئلا يحدث شئ يضرنى ويضرك قال الحرث لقد قلت الصواب لان أبى لو علم بهذه الامور والاسباب كان يقبض علينا ربما يعيقنا عن المسير والذهاب ثم انهم صبروا حتى أقبل الليل بالظلام وأخذوا أهبتهم للمسير وقطع البرارى والآكام ولبس الحرث بن الملك زهير عدته واعتقل برمحه وتقلد بصمصامته وكذلك فعل شيبوب مثل فعلته وتنكب بقوسه وكنانته ثم انهم طلعوا من الخيام عندما اعتكر الليل بالظلام وجعلوا يقطعون البرارى والكثبان وهم طالبون ديار بنى زهران هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من الملك زهير فانه لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح افتقد ولده الحرث فما وجد له خبرا فزاد همه وغمه لغيبة ولده وصار فى كروب وكذلك جرى على زبيبة أم شيبوب وغدت حائرة فى أمرها وتعكر فكرها وأما الداية فما لقيت لها أوفق من السكوت لانها خافت أن تقول للملك زهير فيقول لها لاى شئ ما أعلمتينى بمسيره وبقتلها فسكتت حتى تبصر كيف ينفصل الحال هذا ما كان لهؤلاء (وأما ما كان) من الحرث وشيبوب فانهم لم يزالوا سائرين يقطعون البر والقيعان حتى انهم قربوا من أرض بنى زهران فاقبل شيبوب على الحرث وقال له يا مولاى اكمن أنت فى هذا المكان حتى أسير أنا وآتيك بالاخبار وأبصر ما جرى وصار ثم ان شيبوب أخذ اسم الجارية من الحرث وصفاتها حتى انه يسأل عنها وعن أبياتها وسار طالبا محل بنى زهران التى فى تلك الكثبان وهو كأنه من بعض فقراء العرب حتى يكشف الامر والسبب * هذا وقد لف عمامة على رأسه وأفلج رجله اليمنى وعور عينه الشمال وكتع يديه وانعوج وانفلج حتى بقى عبرة لمن يراه ولم يزل سائرا حتى وصل للمراعى واختلط مع الرعيان فاحسنوا اليه واكرموا مثواه وقالوا له انت من اى العرب ومن

ابن وارد فقال لهم شيبوب انا من بنى عطارد ثم انه لم يزل شيبوب عندهم حتى اعتكر الليل بالظلام وهو يتحدث معهم بزخارف الكذب والمحال الى ان وصل الخيام ولما ان صار فى خيام بنى زهران سار يدور بين البيوت ويسأل عن مضارب بكر بن المعتمد بعض الاماء كانه يستطعمهم القوت فدلوه عليها فسار حتى وصل اليها ووقف على باب الخيام فى صفة سائل وطلب قوت النفس فخرجت اليه جارية لبنى ومعها القمة خبز وقالت خذ يا فقير وادع لصاحبة هذا البيت أن يجمع الله شملها بالاحباب فلعل دعاك مستجاب فلما سمع شيبوب مقالها أخذ الخبز من يدها والخبر من فمها وقال لها يا بنت الاحرار هل أنتم أغراب أم من أهل هذه الديار فقالت لا والله ما نحن غرب بل نحن من هذه الارض والديار ونحن من بنى زهران لكن ستى لها آلاف فى بنى عبس وعدنان وهى من شدة شوقها اليه لا تلتذ بشراب ولا طعام فلما سمع شيبوب مقالها وبانت له احوالها قال لها شيبوب والله ان حديثك عجب ويجب ان يؤرخ ويكتب بماء الفضة والذهب وان الله لدعائك قد استجاب وقد جمع الله شمل ستك بالاحباب لانى انا عبد الحرث بن الملك زهير وقد اتى مبى وهو على نفسه احذر من الطير لانه قد خاطر بنفسه الى هذه الارض والديار مما حل به من الافتكار ثم ان شيبوب اخبرها بقصته وما جرى له من المقاساة ووجده ولوعته فلما سمعت الجارية من شيبوب ذلك المقال بكت رحمة لستها لبنى ثم انها دخلت على مولاتها لبنى واعلمتها بقدوم الحرث بن الملك زهير المفضال وما سمعت من شيبوب عنه من المقال وانه اتى من اجلها تلك الارض والاطلال فلما سمعت لبنى من جاريتها ذلك الكلام وثبت لبنى على الاقدام وخرجت الى شيبوب وقد زاد بها العشق والغرام وسلمت عليه وحيته وقالت له وحق ذمة العرب ما اتى سيدك الا وقت الحاجة اليه لانى فى هذين اليومين ايقنت بحضور المنية لان الخيتعوش بن الاشعث كان يريد ان يدخل على وقد زوجنى ابى به وانا والله ما احبه ولا اطلبه ولا اريد الا مولاك الحرث واطلب قربه (قال الاصمعى) وكان سبب زواج لبنى للخيتعوش امرا من الامور وذلك ان ابا لبنى لما ان عاد من ارض بنى عبس الى ارضه راى أخاه جرير بن تادم محبوسا عند الملك الاشعث فى مغارة فقال له الملك الاشعث خذ ابن اخيك فقد جعلت امره اليك ان اردت قتله فاقتله وان اردت اعتاقه فاعتقه قال ابو لبنى لا يا ملك اطلقه ودعه يمضى عنا لان قتله ما يهون على لانه ابن اخى فعند ذلك اطلقه الملك الاشعث بعد ما ايقن بالهلاك وسوء الارتباك ولما جرت هذه الامور خطب الاشعث لبنى الى الخيتعوش وقال لابيها اذا زوجت بنتك برلدى وصار اسمه عليها انقطع طمع ابن عمها منها ولا يقدران يذكرها بشفة ولا لسان فلما سمع ابو لبنى هذا المقال فرح بذلك الحال واجاب من غير مطال وزوجه بها من غير خلاف وقبض المهر من غير مخاف وما بقى فى تلك الايام الا الزفاف * ثم أتى شيبوب والحرث الى تلك الديار وجرى ما جرى من الاخبار الان لبنى لما علمت ان الحرث أتى بسببها فرحت وطاب قلبها ثم انها عادت الى خباها بعد ما امرت شيبوب انه يستناها ثم انها أقامت حتى اعتكر الليل بالظلام وهجع كل من فى الخيام ونام وبعد ذلك خرجت الى شيبوب وقد حن قلبها الى لقاء المحبوب ومعها ناقة وهى تمشى خلفها وقد حملت عليها فى ذلك المضرب كل شئ لها ثم قالت لشيبوب خذ هذه الناقة وسر بنا الى عند مولاك واحترس من احد يراك فعندها سار شيبوب ولبنى من ورائه وهى ترجف من شدة خوفها وفزعها وشيبوب قد فرح بقضاء حاجة الحرث ولم يزل سائرا وهو من الفرح مشروح حتى وصل الى عند الحرث وقال له قم يا مولاى قد بلغت السؤال والمنى فهذا الحبيب منك قد دنا فلما نظرت لبنى للحرث رجف قلبها من شدة عشقها ومحبتها ومن عظم وجدها وأشارت تترحب بالحرث فى هذين البيتين وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

لو علمنا بمجيئكم لفرشنا * مهج القلب أو سواد العيون
وفرشنا خدودنا ومشينا * ليكون المسير فوق الجفون

(قال الاصمعي) فلما فرغت لبنى من هذا الكلام وقعت على الحرث بن الملك زهير فوق صدره وجعلت تقبله فى عارضه ونحره ولما رآها الحرث كادت روحه أن تفارقه ثم انه جعل يقبلها ويبكى وهى تقبله واليه تشتكى فقال شيبوب ويلكم ما هذا وقت بوس ولا عتاب قوموا بنا نطلب الهرب والذهاب من قبل ان يأتينا سبب من الاسباب قالت لبنى صدقت ياشيبوب فى كلامك وأقبلت على الحرث وقالت له يامنية القلب والفؤاد وهل أنت لاجلى قد تغربت فى هذه الاراضى والمهاد فوحق ذمة العرب لو كنت أنا عرفت طريق دياركم ما كنت أحوجتك الى عناء ولا تعب بل كنت أنا سرت الى عندكم خادمة لكم ثم انها ركبت ظهر الناقة وأخذ شيبوب بزمام ناقتها وركب الحرث جواده وقد بلغ من أخذها مراده وساروا يقطعون البرارى والقفار تحت الليل وظلام الاعتكار هذا ما كان لهؤلاء (وأما ما كان) من أهل لبنى فانهم لما افتقدوها عند الصباح وما وجدوها صعب على بنى زهران وصاح الاشعث بن عباد فى فرسان بنى زهران فركبت الابطال وتحضرت الفرسان وتفرقوا فى جميع البرارى والقيعان وأما بعلها الخميتعوش فكاد أن يهلك من هذه الامور وركب فى خمسمائة فارس للحديد لابس ثم انه سأل أبا لبنى عن ذلك الحال فقال والله يامولاى ما أصاب بنتى سبب من هذه الاسباب فى بنى زهران الا أن يكون فى أرض بنى عبس وعدنان لانى سمعت عند عودتى بأن الحرث بن الملك زهير قد تولع بابنتى وانها قد أحبته وهو الذى أحوجنى انى أعود بها سريعا من جيرته فلما سمع الخميتعوش من أبى لبنى هذا الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وقل منه الاحتيال وقال وحق ذمة العرب الابطال لاحقنها ولو وصلت الى بنى عبس وأقتل الحرث وبنى عبس أجمع وما أترك منهم من ينطق ولا من يسمع ثم انه فرق الخيل التى معه فى جميع الاقطار وسار هو فيمن بقى على الآثار هذا ما كان لهؤلاء من هذا الامر الحادث * وأما ما كان من لبنى وشيبوب والحرث فانهم ساروا تحت أستار الظلام حتى بدا الصبح بالابتسام وأصبحوا فى مرج يقال له مرج الظبى وجبل يقال له جبل السنام وكان هذا الجبل شامخا فى الارض والاقطار وهو مملم رامخ الاحجار لا يقدر أحد ان يسلكه الا من طريق واحد لانه كان عظيم الاخطار ولاجل ذلك كان طريقه انقطع من السفار ولما وصل شيبوب والحرث اليه ومعهم لبنى عولوا على النزول فى بعض نواحيه فبينما هم كذلك وقد أيقنوا بالوغ المأمول واذا قد ظهر عليهم من ذروة ذلك الجبل عشرة عبيد كأنهم غول الجمال وفى أيديهم الحجف والنصول العوال وفى أوائلهم عبد كأنه غول وهو عظيم العرض والطول وهو يهدر وهديره قد دوت منه البرارى والفلاه والعبيد تتجارى من وراه (قال الراوى) وكان هؤلاء العبيد قد اتخذوا ذلك المكان لهم سكنا وحمى وهم فيه دائما يسفكون الدما ويقطعون الطريق عن تجار العرب وكانوا اذا طلبهم أحد يتعلقون فى ذلك الجبل وما كان له غيره طريق وكل من تبعهم حملوه من البلاء ما لا يطيق وكان لهم فى ذلك المكان كهف عظيم المرام واسع لا يرام وكان القاعد فيه ينظر الشئ من مسيرة ثلاثة أيام وكان المقدم على هؤلاء العشرة عبيد عبد يسمى حابس بن عابس وكان بطلا من الابطال الا ناجيب لا يحاربه محارب ولا ينجو من قدامه هارب وكان فى صبيحة ذلك اليوم الذى أقبل فيه الحرث وشيبوب ولبنى لما أشرفوا عليهم من ذلك البر نزلوا اليهم وقد ظنوا فى نفوسهم بأن الفارس يهرب ويقتلون الراجل ويسبون الجارية ويبلغون منها المراد والامل ولم يعلموا ان الراجل نار محرقة وصاعقة مبرقة فلما نظر اليهم شيبوب والحارث وهم فى ذروة الجبل أقبل شيبوب على الحرث وقال له تمهل يامولاى بالنزول ولا تعجل حتى أبصر ما يكون هؤلاء العبيد اللئام لانى أريد ان أقتلهم وأسقيهم كأس الحمام لانى

أعلم انهم من فتاك العرب الذين لادين لهم ولامذهب ثم ان شيبوب تقدم اليهم حتى يكشف خبرهم واذا بالمقدم عليهم يصيح ويلكم ضعوا الصنيعة وانجوا بأنفسكم لانها لكم أوفى غنيمة وان خالفتم هذا المقال أهلكناكم فى الحال (قال الراوى) فما أتم العبد كلامه وفشاره حتى انتزع شيبوب نبلة من كنانته ومكنها من كبد القوس ورمى بها ذلك العبد فأصابته فى صدره وطلعت تلمع من ظهره فصاح ووقع قتيلا وفى دمائه جديلا فلما نظرت العبيد الى مقدمهم وهو قتيل زعقوا على شيبوب وطلبوه مثل العقبان وهم يصيحون أشل الله أناملك ياشيطان قتلت فارسا مابقى بنتج مثله الزمان فلما نظر الحرث الى العبيد قد طلبوا شيبوب وسعوا نحوه كأنهم الريح الهبوب ساق الحرث جواده الى معونته واذا بسهم وقع فى صدر جواده فرماه ووقع الحرث من أعلاه ولما صار الحرث راجلا سحب سيفه وترسه وهجم على العبيد بنفسه فقال له شيبوب على مهلك أيها الملك الهمام ولاتهن نفسك مع هؤلاء العبيد اللئام ودعنى أعجل لهم الهلاك والارغام ثم ان شيبوب سعى نحوهم كأنه غزال وصار يرميهم بالنبال وكلما ضايقوه يطلع من بينهم كأنه ريح الشمال ولم يزل يسعى خلفهم على قدميه وهو يرميهم بالنبال ويقتلهم واحدا بعد واحد فى المجال حتى قتل منهم ستة رجال وبقيت أربعة فعند ذلك رجعت الاربعة على أنفسها بالملام وقالوا وحق ذمة العرب الكرام ان هذا الرجل ماهو انسان وانما هو شيطان من الجن الساكنين فى هذا المكان لان مقدمنا كان يقول لنا بأنه يرى الجن عيانا فى هذا الوادى اذا ذهب النهار وأقبل الليل الهادى وكنا ما نصدقه حتى بانت لنا حقائقه ودهينا من هذا الشيطان الذى أصابنا منه هذا الامر والشان فقال واحد منهم ويلكم ان كنتم سمعتم من مقدمنا هذا الكلام لاى شئ ما أعلمتمونا قبل مافعلت الجان بنا هذه الفعال لكن دعونا الساعة من هذا المقال واطلبوا بنا الفرار عسى أن ننجو من الهلاك والوبال ثم انهم ولوا هاربين والى النجاة طالبين فنظروا الى شيبوب يسبقهم الى المضيق وهو ينادى ياأوغاد غير أمجاد الى أين تفرون وتطلبون الهرب وأجلكم قد اقترب ثم انه ضرب الاول منهم بنبلة فى صدره فرقت تلمع من ظهره ثم انه عدا على قدميه ولحق الثانى وقد عول على الرجوع والهرب من بين يديه وضربه بالخنجر فأخرج امعاءه وأعدمه الحياة وأما الاثنان الآخران فانهم طلبوا البر الاقفر وهم ينادون لعن الله أباقصتك وقحبة ربتك يا ابن الاندال ما أقوالك على رمى النبال وما أقوى عضلك وما أشد ركبك فما زلنا نظلم فى هذا المكان كل من جاز علينا من العربان حتى ضر الله لنا من فعل بنا هذه الفعال وتركنا مفرقين فى البرارى والقيعان واما شيبوب فانه عاد الى ناحية الحرث بن الملك زهير من خوفه عليه فقام الحرث وتلقاه وتبسم فى وجهه وحياه وقال له لله درك ياشيبوب على مافعلت اليوم بهؤلاء العبيد اللئام ولكن من تشبه بأخيه فما ظلم فقال شيبوب انى فعلت هكذا مع هؤلاء العرابيد وما كنت يامولاى أخلى الملك يقاتل أخس العبيد فشكره الحرث على مافعل وقال له يا أبا رياح كيف العمل لانى بقيت راجلا فى هذه الارض والبيد والطريق قدامنا بعيد ولا نأمن من خيل تلحقنا وتأخذنا وتهلكنا (قال الراوى) فما أتم الحرث كلامه الا والغبار علا وثار وسدمنا فذ الاقطار وانكشف الغبار وبان عن بريق زرد ولمعان خود وفرسان مالكثرتها عدد وقد أقلقوا بصيحاتهم ذلك البر والقيعان وكانوا هؤلاء القوم من بنى زهران والمقدم عليهم الخيتعوش زوج لبنى وفى قلبه النار وهم مقبلون مطلقون العنان وأبو لبنى الى جانب الخيتعوش وفى قلبه على بنته النار وعلى ماجرى لها من تلك الامور الكبار ولما نظرت لبنى الى الخيتعوش والخيل علمت انها قد أتت وراءها كالسيل ونظرت فى أوائلها فرأت بعلها وأباها فعند ذلك تقطعت امعاها واحشاها وفاضت الدموع من عيناها وأيقنت بهلاكهما وفناها * هذا وقد تألم قلب الحرث لاجلها وخاف عليها من أعدائها ثم انه التفت الى شيبوب

وهو

وهو قد أيس من لبنى وقال له والله يا ابن العم هذا هو الهلاك بعينه لاننا والله ما نقع فى يد هؤلاء القوم اللئام الا ويسقونا كأس الهلاك والحمام فقال له شيبوب يا مولاى الآن ما بقى لنا ملجأ نلتجئ اليه الا الشقيف الذى كانت فيه العبد لاننا اذا صرنا فى أعلاه أمن كل واحد منا من بلاه وأعداه لانى أفرغ كنانة النبل قدامى وأجيد من أهل الارض فى طولها والعرض ولا أدع أحدا منهم يصل الينا بسوء ونطاول القوم بهذه الاحكام ونطلب النصر من رب زمزم والمقام وان رأينا الشقيف ما ينجينا من هذا الامر وقدرنا على الهرب هربنا قال الحرث افعل ما بدا لك ودبر حالنا وحالك ولكن أنا خائف على لبنى ان تذهب من ايدينا ويحصل لنا شئ يفتينا فقال شيبوب وكيف تضيع منا لبنى يا ملك الزمان وحق ذمة العرب انى لا ادل بين يديك المجهود قال الحرث يا ابن العم كيف تقدر لبنى ان تطلع هذا الجبل وما بقت تستطيع أن تتحرك من شدة الخوف والوجل فقال شيبوب أشر يا مولاى ببلوغ الارب وانتظر من خادمك شيبوب فى هذا اليوم العجب ثم انه دنا من لبنى وحملها على أكتافه وسعى بها على أقدامه حتى أوصلها الى ذيل الجبل وتسلق عليه كأنه شيطان أو قرد مذعور من الجان حتى انه وصل الى الشقيف أسرع من دنو الآجال وأما الحرث بن الملك زهير فانه سعى خلف شيبوب وصار يجهد روحه حتى انه يلحق بلبنى وشيبوب فما قدر على ذلك الحال وأما أبو لبنى والخيتعوش فانهم لما نظروا الى شيبوب وهو كأنه من بعض الطيور تحيروا من تلك الامور وصاروا اليه ناظرين حتى انه وصلها الى الشقيف * هذا وهم على ظهور الخيل وقد أطلقوا الاعنة ولحقوا الحرث وهو فى ذيل الجبل لانه كان متقلا مما له قد حمل من اللبس الذى عليه والعدد والحديد والزرد * هذا والحرث أخذ يمانع عن نفسه ويدافع بسيفه وترسه فأخذوه أسيرا وشدوه كتاف وقيد من السواعد والاطراف (قال الراوى) وكان شيبوب قد أوصل لبنى وهم ان يرجع ويحمل الحرث على أكتافه وينجيه من تلافه فوجد الحرث وقع مع بنى زهران أسيرا فحزن عليه حزنا كبيرا وفاض الدمع من جفون لبنى كما يفيض الغدير وخافت عليه من القتل والتدمير * هذا والخيل تتواصل على مهل ونزلت فى الوادى من تحت ذيل الجبل ثم ان جماعة منهم تسابقوا يطلبون الصعود الى الشقيف فتلقاهم شيبوب كأنه البلاء المصبوب وصار يقصد منهم الدلوع والصدور ويرميهم فى النحور وما أتى عليهم الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام حتى أنزل بهم الهلاك من رمى النبال وعندها نزل أبو لبنى والخيتعوش وقلبهما متعوب وقد حاروا جميعا من فعال شيبوب وأقبل الخيتعوش على أبى لبنى وقال له أرى من الرأى الصواب أن نترك هذا الشيطان الذى رأينا منه ما لم نره من الجان لكن ما بقى فى الامر الا شئ واحد وهو اننا عند الصباح نخرج الاسير العبسى للصلب ونقول لهذا الشيطان اذا لم تسلمنا بنتنا حتى اننا نقضى عنكم والا صلبنا ابن ملكهم ولم نزل محاصرين لك حتى نقدر عليك ونأخذ روحك من بين جنبيك فقال أبو لبنى لما سمع هذا الكلام افعل ما بدا لك فما أحد منا يخالف مقالك فعندها شدوا الحرث الى جانب مضرب الخيتعوش ووكلوا على ذيل الجبل عبدين وأمروهما أن يرصدوا الى شيبوب فاقاموا ينتظرونه الصباح لتنجلى عنهم هذه الهموم والامور القباح وأما الحرث ابن الملك زهير فانه بات تلك الليلة يقاسى الهموم والاتراح وكان فراقه من لبنى أشد عليه من أسره والجراح وأما شيبوب فانه لما أظلم الظلام وخيم على الاقطار والآكام أتى عند لبنى ودخل الى ذلك الشقيف ودموعه على خدوده نازله فوجد فيه ما عوزا دا يكفيهم سنة كامله فأكل شيبوب منه كفايته وقدم الى لبنى فما ذاقته ولا مدت يدها اليه من حزنها على الحرث وما جرى على نفسها وعليه فطيب شيبوب قلبها ووعدها انه ينزل ويسعى فى خلاص الحرث ويفديه بنفسه ثم انه أقام فى تلك الارض والبقعة حتى مضى من الليل هجعة فلما علم ان القوم استولى عليهم سلطان المنام سل خنجره فى يده ونزل يزحف تارة

على بطنه وتارة على ظهره وتارة يحبى على يديه وتارة على رجليه وهو خائف من أحد تقع عينه عليه ولم يزل على تلك الامور الصعبه حتى انه أتى الى ذيل العقبه فوجد العبدين راقدين كأنهما موتى من كثرة التعب الذى حل بهما النصب فدنا شيبوب منهما وذبح الاثنين وعجل لهما الحين ثم انه سار بعد ذلك الى ماهو عازم عليه وجعل يمشى على يديه ورجليه حتى وصل الى الخيام ثم انه عبر بين الخيام وعينه تدور على الحرث عسى أن يسمع له كلام واذا به بأن أنينا شديد ويكثر من البكاء والتعديد وينشد هذه الابيات صلوا على سيد السادات

بالقومى قيود أسرى وناق * مابقى لى من أسرها اطلاق
أدركونى قبل الصباح والا * نهبت مهجتى السيوف الرقاق
يابنى العم ماتهنيت يوما * بوصال حتى دهانى الفراق
ورمانى الفراق منه بسهم * قاتل مالرميه ترياق
فاطلبوا الثار يابنى العم بعدى * كلما جالت الخيول العتاق
واخبروا عنتر بن شداد أنى * مت شوقا وقد دهانى المحاق
فهو كهف اللقا بسيف منيع * وأمير غضنفر لا يطاق
ويح لبنى ماذا تلاقيه بعدى * من عداها اذا شجاها الفراق
قد رجونا أنا نعيش جميعا * فى أمان لينطفى الاحتراق

(قال الاصمعى) فلما سمع شيبوب من الحرث هذه الابيات تألم قلبه عليه ثم انه تقدم فوجده مشدودا والقيد فى رجليه فدنا منه شيبوب وقطع فى الحال الوثاق من يديه وفك القيد من رجليه * هذا والحرث قد حاروا أخذه الانبهار وبقى كأنه فى منام لانه كان أيقن بشرب كأس الحمام وقال له شيبوب اتبعنى وافعل مثل فعلى ثم ان شيبوب صار يمشى على يديه ورجليه والحرث من خلفه وهو ينظر اليه حتى وصل شيبوب للموكلين عليه فذبح منهم عشرة عبيد ذبح الاغنام وكان يأتى الى جنب العبد وينام ويمد يده اليه ويذبحه من الوريد للوريد وبعد ان يذبحه يشق بطنه لئلا يشخر فيفيق الذى بجنبه وبعد ذلك طلع الحرث من بينهم ولم يزل يتخطى النيام وهم سائرون باهتمام مسرعون على عجل حتى وصلوا الى ذيل الجبل وهم شيبوب أن يطلع فحجزا الحرث فقال له شيبوب مالك يامولاى فقال الحرث ياشيبوب الامر قد أوهن عظمى وأقل قواى فدنا شيبوب من الحرث واحتمله على أكتافه وسعى به من غير مهل حتى صار فى أعلا الجبل فلما نظرت لبنى الى شيبوب قد أقبل والحرث معه فى جاه فرحت لبنى بخلاصه من أعداه ثم ان شيبوب حطه عن أكتافه وأطعمه شيأ من الزاد حتى قوى منه رمق القلب والفؤاد وأقاموا حتى أصبح الصباح فلما انتبه الخبيتعوش من مرقده طلب الحرث فما وجده فى معهده ورأى القيد مقطوعا والعبيد الموكلين به مذبوحين وعلى وجه الارض ملقين فالتفت من شدة مادهاه الى الابطال الذين معاه وقال لهم ويلكم يا أنذال قد خلصه ذاك الشيطان من أيديكم وبالامس قتل شجعانكم وبلبل أحوالكم فكيف تحفظونى اذا كانت هذه الفعال فعالكم ثم انه هم أن يقتل باقى الموكلين وينزل بهم الفناء فى الحين فمنعه من ذلك أولاده وقال له هؤلاء ياأمير مالهم ذنب فى هذا العمل بل الذنب على الذين وكلناهم بذبل الجبل ومع ذلك ماعمل كل هذا العمل الا الذى أمس للبنى على أكتافه حمل ونحن لانقدر عليه مالم نصعد اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونعجل له الهلاك والهوان ونخلص منه لبنى ولانصير معيرة عند العربان فلما سمع الخبيتعوش من ابنى لبنى ذلك الكلام والخطاب قال هذا هو الصواب وفى ساعة الحال صاح فيمن معه من الرجال وأمرهم بالطلوع للجبل

فتسارعوا

فتسارعوا الى ماطلبه وطلعوا لهم صياح وزجل ولما نظر شيبوب الى تلك النوبة الصعبة أفرغ كنانة النبل قدامه وقعد لهم على رأس العقبة يرميهم بالسهام وهى تنفذ فى الدروع منهم والاجسام وأما الحرث فانه جعل يرمى عليهم الصخور والاحجار من علو ذلك المكان فتهرس الراكب منهم والسيقان وما كانت غير ساعة حتى قتل من بنى زهران مقدار خمسين فارسا من الشجعان وعاد الباقون بالخيبه وقلة الهيبه فقال الخيتعوش يا آل زهران ياذلنا والهوان كل هذا يجرى علينا من فرد انسان ونحن فى خمسمائة فارس من الشجعان وذمة العرب الكرام انا يهون علينا ان ألقى ألف فارس من الفرسان ولا أقاسى ماقاسيت اليوم من هذا الشيطان ثم انه بعد ذلك التفت الى من معه من الرجال وقال لهم يابنى العم قد انفتح لى باب اقول انه صواب وبه نأخذهم بغير اتعاب وهو انه الليلة لابد أن ينزل الى العسكر ويأخذ له سهام ليبلغ بها المرام والمأمول منه أنه مطرق علينا بالنزول لينال بذلك المأمول وأريد منكم أن ترصدوه واذا رأيتموه فاقبضوه واياكم أن يفلت من أيديكم لانه لو سابق الريح يسبقه وما فينا من له جواد يلحقه ثم انه أوصاهم باليقظة والاحتراز وسار الى مضربه هذا ما كان لهؤلاء (وأما ما كان) من شيبوب فانه ضاق صدره لاجل فراغ نبله فما صدق ان الليل أقبل بظلامه حتى نهض على أقدامه وسل خنجره بيده وهو أمضى من الاجل حتى صار فى أسفل الجبل فتوالت العبيد عليه فهجم عليهم وقد أراد الخلاص من أيديهم وجعل يضرب فيهم بخنجره يمينا وشمالا * هذا وصياحهم قد أذهل العقل والبلبال فاستيقظت الرجال ووصلوا اليه ومسكوه باليد وقبضوا عليه بعد ما قتل منهم أربعة وشدوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وقدموه الى قدام الخيتعوش فلما نظر الى شيبوب فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وقال له وقعت ياشيطان وحق ذمة العرب لاذيقنك من العذاب ألوان ثم انه بعد ذلك أمر الرجال بالطلوع للجبل فطلع الجميع وأبو لبنى فى الاول ولما رأى الحرث الى ماجرى زاد همه وغمه وسل سيفه والتقى بنى زهران وقد أيقن لنفسه بالهلاك والهوان ولما رأت لبنى ذلك الحال أمرت الحرث أن يفعل بها شيأ قبل حصول الهلاك والوبال فقال لها الحرث وحق ذمة العرب الكرام انى لا أقربك الا فى الحلال لا فى الحرام ثم انه انحدر الى بنى زهران وقاتل حتى قتل منهم نحو عشرين فارسا وبعدها تكاثروا عليه وأخذوه قبضا باليد وشدوه كتافا وقووا منه السواعد والاطراف ثم ان أبا لبنى تقدم الى ابنته وهى ترجف من شدة الخوف والفزع فشدها من ذوائب شعرها وجرها للعقبة وأراد أن يذبحها فامكنه من ذلك الخيتعوش وقال له دعها أما هى زوجتى وقبضت مهرها منى وأنا لما أصل للديار أصلب الحرث الذى هى تحبه وبذلك ينقطع طمعها منه ثم انهم أقاموا فى ذلك المكان حتى ظهر الصباح وشدوا الحرث على ظهر جواد بالعرض وأركبوا لبنى على ناقتها وربطوا شيبوب بحبل من رقبته بعد ما شدوه كتافا وسلموه الى عبد من عبيد بنى زهران وقالوا له سق هذا الشيطان فما دوم من يتعب من السير واياك ان تغفل عنه فيهرب فى هذه البرارى والقفار فلا تلحق خيلنا له غبار ثم انهم هموا بالمسير عند ما طلعت الشمس فاشرف عليهم فى ذلك الوقت اويس بن السعلاء بخيول بنى عبس هو والسلالون وهم جميعا سائرون فى ذلك البر الاقفر بلا هدو ولا مستقر ولما نظر بنو زهران اليهم طمعوا فيهم وقال الخيتعوش يابنى العم دونكم وهؤلاء السلالين اقتلوهم وخذوا منهم هذه الخيل لانهم سرقوها من ابعد مكان فلما سمع بنو زهران كلام الخيتعوش حملوا على السلالين من كل جانب ومكان فلم تكن غير ساعة حتى قتل منهم ثلاثون ونجا اويس بن السعلاء والعشرة الباقية لانهم كان تحتهم خيل تسبق البرق اذا برق وغاصوا بها فى البر والقفار وطلبوا اهلهم والديار وفى وقت القتال والحروب اشتغل العبد الذى كان يقود شيبوب بخذب شيبوب نفسه من يده وهرب وغاب فى البر والفلاه فصاح العبد فى الفرسان مما دهاه وساقت الخيل فى طلبه يطردونه فى ذلك السير

الاقفر حتى حمى عليهم الحر وهو جالبر وحلت بهم الكروب وتقطعت خيلهم من خلف شيبوب وحس هو أيضا بالتعب والتدمير لان بدنه كان تاما مكتوفتين الى ورائه والا كان طار قدامهم فى البر والفلاه الا انه عندا ياسه من نفسه وهو فى ذلك البر الاقفر تلاقى مع أخيه عنتر فخلصه من الكتاف وحمل على بنى زهران وقتل منهم ستة عشر من الفرسان وانهزم الاربعة وعاد عنتر الى عند أخيه شيبوب وسأله عن سبب أسره وأسر الحرث بن الملك زهير فحكى له ماقدمنا من الكلام * هذا ما كان من السبب فى أسر الحرث وشيبوب ووقوعهم فى يد بنى زهران وقدومهم الى ذلك المكان * ثم ان عنتر اصار منتظرا قدوم عروة ورجاله فلما فرغ شيبوب من كلامه مع أخيه عنتر حتى وصل جيش بنى زهران وكانوا مقدار مائة فارس همام وكان سبب مجىء بنى زهران الاربعة فوارس الذين هربوا من قدام عنتر فانهم مازالوا فى هزيمتهم حتى انهم وصلوا الى بين يدى الخيتعوش وأبى لبنى وحكوا لهم ما جرى عليهم من عنتر بن شداد وكيف أجار ذلك الرجل الذى كنا نطرده وقتل منا ستة عشر فارسا وما سلم الا نحن الاربعة فلما سمع الخيتعوش منهم هذا الكلام صار الغبراء فى عينه ظلام وقال ويلكم أنا ما أصدق ان فارسا واحدا ولو كان منتخب يعمل كل هذه العمايل لكن أنا اليوم أريكم فيه العجب ثم انه انتخب مائة فارس وسار طالبا قتل عنتر البطل المغوار بعدما أوصى أبا لبنى على الحرث وعلى لبنى وسار مجدا فى السير حتى أشرف على عنتر كما ذكرنا ونظر الى قومه مقتولين كما وصفنا فزاد به اللهب وصاح فى عنتر صيحة الغضب لاسيما لما نظر الى شيبوب جالسا بجانبه وأشار الى عنتر يقول صلوا على طه الرسول

يا صاحب الفرس الجواد الادهم * والسيف والرمح الاصم اللهذمى
ان كنت انت قتلت من فرساننا * فالدهر يغدر بالهزبر الضيغم
واذا سقى عبدا كؤس حلوة * غلطا أتاه بغيرها كالعلقم
واذا حضرت الحرب يوم مجالها * اردیت منها كل نسر قشعمى
ورجعت والابطال ترجف خيفة * وترى شديد الارض كالمتهدم
فاختر لنفسك حيلة تنجو بها * فالعذر يمحى قبح ذنب المجرم
ودع الذى قد كان أصل بلائها * حتى تعود بفرحة وبمغنم

(قال الراوى) وكان عنتر ماركب جواده الا بجر فلما سمع جميع ما أنشده الخيتعوش قال لشيبوب اليك يا ابا رياح احفظ انت هذه الخيل العوال حتى ارى لك ما افعل فى هؤلاء الاندال ثم وثب عنتر فى الحال من تلك الوهاد وعلا من الارض الى ظهر الجواد وانطبق على الخيتعوش وأجابه على شعره يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أنبيك انى قد تركت رجالكم * بالسيف رزقا للنسور الحوم * وسنان رمحى قد شكا كرب الظما
واذا التقينا اليوم يروى بالدم * أحدثكم قدرى وقد قرت به * فرسان فارس فى بلاد الاعجم
وفوارس الهيجاء فى يوم اللقا * تعترف ذكر شجاعتى وتكرمى * واذا سلكت البر آنس وحدتى
فى الليل سيف كالقضاء المبرم * وجوادى المشهور سمرة وجهه * وسواده مثل الغراب الاسحم
والرمح فى يوم البراز ذخيرتى * وسنان رمحى لامع كالارقم * كم وقعة لى قد تركت رجالها
رزق السباع وكل نسر قشعمى * وقبيلة صبحتها ونساءها * بين البيوت تقيم حزن المأتم

(قال الاصمعى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات انطبق على الخيتعوش فالتقاه واصطدما الاثنان والتحما وماجا والتطما وتباعدا وتقاربا ومازال الامر بينهما على ذلك الحال ساعتين من النهار حتى وقع التعب فى أيادى الخيتعوش فعلم عنتر من حاله انه كل رمل وبعد عزه ذل فنزل عليه نزول القضاء

والقدر

والقدر فضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالضامى على صدره فاوصله الى جديلة ظهره ورماه قطعتين كأنه انقسم بميزان نصفين وكانت المائة فارس الذين هم من بنى زهران تبعوا شيبوب لانه هرب من قدامهم وجعل يلوح لهم بيده فتعبت خيلهم من الركض خلفه وكان قصد شيبوب بذلك انه يبعد الفرسان عن أخيه حتى لا يعينوا الخيتعوش عليه فصار يأخذ قدامهم تارة يمينا وتارة شمالا وتارة خلفا وتارة أمام حتى انه ضيعهم فى تلك البرارى والاكام واختفى منهم فى مكان لا يهتدى اليه ابليس ولا أولاده المتاعيس وصارت الخيل تدور عليه فى ذلك البر وتلك القيعان وهو قاعد ينظر اليهم من ذلك المكان وأما عنتر فانه بعد ما قتل الخيتعوش حمل على تلك الخيل التى تطرد الى شيبوب وصاح فى الابجر من تحته كأنه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من الانبوب وفى دون ساعة لحق الخيل كأنه أسد قسور وزعق عليهم بصوت كأنه الرعد اذا هدر وطعن أول فارس فرماه واذا بشيبوب ظهر من جانب الابجر وضرب الثانى بنبلة فأعدمه الحياه وقتل عنتر الثالث وقتل شيبوب الرابع فلما نظرت بنو زهران الى عنتر وشيبوب حلت بهم الكروب وكانوا قد علموا بقتل الخيتعوش فهربوا من قدام عنتر فى البر الاقفر بعد أن قتل منهم أكثر من أربعين وما زالوا فى هزيمتهم حتى وصلوا الى أبى لبنى فسألهم عن الخبر فحكوا له جميع ما جرى وتدبر وكيف قتل الخيتعوش على يد عنتر فقال أبو لبنى ويلكم كم كانت الابطال الذين فعلوا معكم هذه الفعال قالوا وحق رأسك يا أمير ما كان غير فارس واحد لكنه أسود راكب على جواد أسود وله قلب أقوى من الحجر الجلمد قال أبو لبنى أنا ما أصدق ان فارسا واحدا يقتل الخيتعوش ويفعل كل هذه الامور لكن سيروا معى حتى أريكم العجب فما أتم أبو لبنا كلامه حتى تقدم اليه فارس من بنى زهران يسمى جفال وقال له يا أمير الرأى عندى انك تترك بنتك لبنا وهذا الاسير فى هذا المكان وتوكل عليهم جماعة من العبيد السودان حتى نسير كلنا الى هذا البطل الجبار ونأخذ منه بالثار ونكشف العار فلما سمع أبو لبنى من ذلك الفارس هذا الكلام رآه صوابا فترك الحرث ولبنا فى ذلك المكان ووكل عليهم خمسة عبيد وسار أبو لبنا فى كل أبطال بنى زهران هذا ما كان لهؤلاء من الامر والشان (وأما ما كان) من عنتر قاهر الفرسان فانه بعد ما قتل الخيتعوش وكسر بنى زهران أمر أخاه شيبوب أن يجمع الخيل الشاردة والعدد المبددة فاجابه الى ما أمر واذا بعروة ورجاله مقبلين الى عنتر راكبين النوق والجمال فوق الفرائع والاعدال فالتقوا عنتر واقفا على جواده الابجر وهو كأنه الاسد الغضنفر ونظروا الى تلك الارض ملآنة بالقتلى ومخضبة بالدماء فتعجبوا من ذلك الامر والسبب غاية العجب وسأل عروة عنتر عما جرى فحكى له عنتر جميع ما جرى على بنى زهران وما فعل بهم من تلك الفعال وأمرهم أن يركبوا فتقدم شيبوب قدام أخيه عنتر وقال له يا ابن الام أنا عولت على ان أركب جوادى وأسير الى بنى زهران فاستمروا أنتم سائرين على أثرى عسى ان أجد لى فرصة أو حيلة أعملها لكم على الحارث ولبنى لانى اخاف يا أخى من بنى زهران اذا علموا بقتل الخيتعوش المشهور ان يقتلوا عوضه الحارث وتعظم الامور فقال عنتر افعل ما بدا لك فوثب شيبوب الى مكان المعمعة بسدان ركب على جواده ولبس عدة حربه وجلاده وتزيا بزى بنى زهران المكسورين وسار حتى اختلط بهم مع أخيه عنتر ورجال عروة بن الورد من ورائه سائرين على الاثر فما كان غير ساعة حتى التقوا مع بنى زهران وصاح عنتر فى عروة بن الورد ورجاله وحمل فارتج لعظم حملته السهل والجبل ولما نظر بنو زهران الى ذلك الامر والشان أقبلوا على أبى لبنى وقالوا له اعلم أيها الامير ان كل بنى عبس أتوا مع عنتر لان المنهزمين ذكروا لنا عن عنتر انه وحده وها نحن نبصر عنتر ومعه أبطال كثيرة ثم انهم قاتلوا ساعة ونظروا الى عنتر وضرباته التى لا تبقى ولا تذر وقد قتل منهم فى ساعة الحال مقدار مائة فارس ريبال فنادى أبو لبنا الهرب يا بنى عمى الهرب يا بنى زهران فما زالوا هاربين

حتى وصلوا للمكان الذى تركوا فيه الحارث ولبنى فما وجدوا منهم ديار ولا نافخ نار ولقوا الخمسة عبيد مقتولين ولبنى والحارث هاربين قال أبو لبنى لمن معه لاشك يا بنى العم ان بنتى لبنى تخلصت للعبسى وأخذها وسار الى أرضه ثم انه فات ابنته خوفا من عنتر أن يسقيه كاس منيته واستمر فى هزيمته هو وأبطال عشيرة بنى زهران وبعد ساعة وصل عنتر وأبطال بنى عبس وعدنان الى ذلك المكان فقال عنتر لعروة بن الورد يا أبا الابيض أشر علينا واوى لنا هذا المرض لاننا ان تبعنا بنى زهران أخاف على أخى شيبوب وان اقمنا حتى نكشف اخبار شيبوب أخاف على ابن الملك زهير قال عروة بن الورد الرأى عندى يا أبا الفوارس اننا ننزل فى هذا المكان حتى نريح الخيل فان أتى اخوك شيبوب كان والا ابقينا له هنا أحدا من رجالنا وتبعنا نحن بنى زهران فأجابه عنتر الى ما طلب ونزلوا فى ذلك البر والسبسب وتفرقت رجال عروة تجمع الخيل والسلب واذا بجماعة تنادى على عنتر من رأس الجبل الينا الينا يا أبا الفوارس فقد وجدنا الحارث بن الملك زهير فى مغارة فى هذا المكان فلما سمع عنتر هذا الكلام اخذ عروة ورجاله وطلع الى ذلك الجبل ولما وصل الى ذلك المغار لقى الحارث مجروحا فى عاتقه جرحا اشرف منه على الهلاك لكنه مشدود الجرح فتقدم عنتر اليه وسأله من فعل بك هذه الفعال فلما سمع الحارث صوت عنتر فرح واستبشر وردت اليه الروح وفتح عينيه وابتدأ يحكى لعنتر عن سبب جرحه (قال الاصمعى) وكان السبب فى ذلك الامر الذى جرى على الحارث هو ان أبا لبنا لما وكل عليه وعلى ابنته لبنا الخمسة عبيد وسار طالبا قتال عنتر فمن بعد مسيرهم من ذلك البر الاقفر وصل الى ذلك البر جرير بن قادم ابن عم لبنا وقد ذكرنا انه كان يحب لبنا محبة عظيمة ولما أخذها الحارث وشيبوب وطلعت خيل بنى زهران خلفهم كان ابن عم لبنا جرير ركب على جواده واعتد بعدة حربه وجلاده وتبع منهم الاثر لعله يدرك من لبنا فرصة فما زال سائرا يقتفى منهم الاثر حتى انه وصل الى ذلك البر الاقفر فالتقى العبيد الخمسة ولبنا والحارث فى ذلك المكان وما عندهم أحد من الفرسان فهجم جرير بن قادم على الخمسة عبيد فقتلهم ورماهم على وجه الصعيد وضرب الحارث بن الملك زهير بالسيف على عاتقه فهدل كتفه وأراد أن يثنى عليه فرمت لبنا روحها عليه وقالت له يا ابن العم بحياتى عليك لا تضربه ثانيا يكفى هذا الجرح وخذنى وسر بى الى حيث أردت فلما سمع جرير كلامها رد فها خلفه على ظهر الجواد وسار يعتسف فى البرارى والمهاد وبعد مسيره عن الحارث بقليل وصل اليه شيبوب ونظر الحارث على ذلك الحال يئن من ألم الجراح فتقدم اليه وسأله من فعل بك هذه الفعال فحكى له ما جرى من جرير ابن عم لبنا ثم قال له وانى يا شيبوب بعد أن بعد من هذا المكان كنت اسمع حس لبنا بعده فى أدنى هذا البر والقيعان فلما سمع شيبوب كلام الحارث دفعه فى ذلك الغار بعد أن شد جرحه وطلب جريرا ولبنا فما زال يركض خلفهم الى ان دخل وقت السحر وكان جرير آمنا على نفسه فى ذلك الوقت من الهلاك والضرر ولا يعلم بما نزل به من القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر واذا بشيبوب نظره فتقرب اليه بحيث لا يراه وانتزع السهم من كنانته ومكنه من كبد القوس وضرب به جريرا فوقع فى خصيتى جواده فشب به الجواد ورماه هو ولبنا من أعلاه فى ذلك البر والفلاه فما تركه شيبوب يقوم الا وهو راكب على صدره وضربه بالخنجر فى صدره فأطلعه يلمع من بين كتفيه وأعلى ظهره فصار قتيلا وفى دماه جدلا وقال للبنا لا تخافى أنا شيبوب أخو عنتر ففرحت لبنا وسألته عن الحارث فحكى لها انه طيب وانه شد جرحه ودفعه الى غار ففرحت لبنا ثم ان شيبوب أخذها وعاد طالبا أخاه عنتر وكان عنتر نظر للحارث ابن الملك زهير وهو قاعد فى انتظار أخيه شيبوب واذا بشيبوب اقبل ولبنا معه فلما رآه عنتر فرح واستبشر وتقدم اليه وسلم عليه وسأله عما فعل فحكى له شيبوب بكل ما جرى وتدبر ففرح عنتر وحكى لشيبوب عن كسر بنى زهران والتفت بعد ذلك عنتر الى لبنا وقال لها

ويلك يالبنا تقدمي الى الحارث وكليه حتى انها تأتي اليه عوافيه لان مرض العاشق النسيب لا يبرأ الا برأفة الحبيب وهو الدواء والطبيب فعند ذلك تقدمت لبنا الى الحارث وكان من وجه مطروح فلما رآها الحارث رجعت اليه الروح ثم انه وثب اليها وضمها الى صدره وردت روحه اليه ونسي كل ما جرى عليه ثم ان عنترة أقام بهم في ذلك المكان ثلاثة أيام حتى استراح الحارث وردت اليه عوافيه وفي اليوم الرابع ساروا طالبين ارض الشربة والعلم السعدي وكان عنتر كلما نظر الى محب اجتمع مع حبيبه يرفع رأسه الى السماء ويقول اللهم اني اسألك ان تكون لدعائي مجيبا وتجمع بيني وبين من يحبه قلبي قريبا ثم ان عنترة تذكر عبلة وبعده عنها وما قاسى من اجلها فاشار ينشد هذه الابيات ويقول

أمسك بدا ام عنبر فاح واشتدا * ام الريح هبت في الربا تنشر الندا
ام البرق من ثغر الحبيبة اذ بدت * تحاكي لبدر التم اذ نوره امتدا
بلى نرجس الدوح النضير كطرفها * وتفاحه والورد قد أشبها خدا
أهيم بها شوقا وأعصى عواذلي * ولست أرى للوجد في حبها حدا
أيا عبل قلبي في هواك معذب * وأبدلتني بعد التقرب لي بعدا
أيا عبل اني في الوغا ملهب اللظى * اذا خمدت أضرمت نيرانها وقدا
أيا عبل نجمي في السرادق لائح * وربي في الهيجاء أعطاني السعدا
أيا عبل لا تخشي علي من العدا * فان قضاء الله لا ينثني ردا

(قال الاصمعي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها الفرسان وساروا بعدها طالبين الاوطان يقطعون البراري والقفار بالليل والنهار حتى بقي بينهم وبين أرض الشربة والعلم السعدي يوم واحد أو بعض يوم فعند ذلك أمر عنتر أخاه شيبوب أن يسبق للديار ويبشر الملك زهير بسلامة ولده الحرث فأجابه شيبوب الى ما طلب وأعطى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح فما غاب أكثر من نهار واذا به قد رجع كأنه الطير اذا طار أو النمر اذا غار حتى صار بين يدي عنتر البطل المغوار فقال له ويلك يا أبا رياح أي شيء عاقك عن المسير فقال شيبوب بلى يا ابن الام ياشهم يا كبير قد وصلت الى الديار والاوطان فلقيت كل أبطال بني عبس عدنان متفرقين في البراري والقيعان فسألت بعض العبيد عن حقيقة الحال وما لبني عبس متفرقين بين الروابي والتلال وهم على ظهور الخيل العوال فاعلمني بعض الابطال بان الملك زهير أتاه البشير بعلم بقدوم أخيه أسيد من مكة فطلع الى لقاه ومعه أولاده واخوته ورفقاه فصادفتهم الاعداء في الطريق فأسروا الجميع واعدموهم التوفيق وقد ذكروا ان البعض قتل والبعض أسر وقد ركبت الفرسان في أدراك المطالب ولم يعلموا السالم من العاطب وسمعت ان الذي فعل بهم هذه الفعال فارس واحد منتخب ومعه جماعة من صعاليك العرب فقال عنتر أما علمت في أي أرض أسروا قال بلى سمعت ان الخيل طالبة أرض الاراك ووادي البان فقال عنتر هذا والله أعجب مما كنا فيه وذمة العرب ما قدم أرضنا وفعل هذه الفعال الا رجل لا يهاب الرجال ولا يبالي بالابطال ثم ان عنتر بعث الحرث ولبنا الى الحي مع عشرين فارسا من أصحاب عروة بن الورد وسار هو وباقي الابطال طالبا أرض الاراك ووادي البان وشيبوب بين أيديهم مثل السرحان (قال الراوي) وكان الملك زهير لما فقد ولده الحرث قد حار في أمره وأرسل العبيد الى سائر الحلل لتأتي له بالاخبار وأقام هو لهم في الانتظار (قال الراوي) لهذا الكلام فبينما الملك زهير ذات يوم من الايام جالس بين أصحابه الكرام واذا بنجاب قد أقبل * وقد بلغنا في سير هذه الاخبار المغنى سماعها عن السمير والمؤانس الى نهاية هذه الجزء السادس

(ثم يليه الجزء السابع وأوله قال الراوي واذا بنجاب قد أقبل وهو غزل الخ)

الجزء السابع من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٦ هجريه)

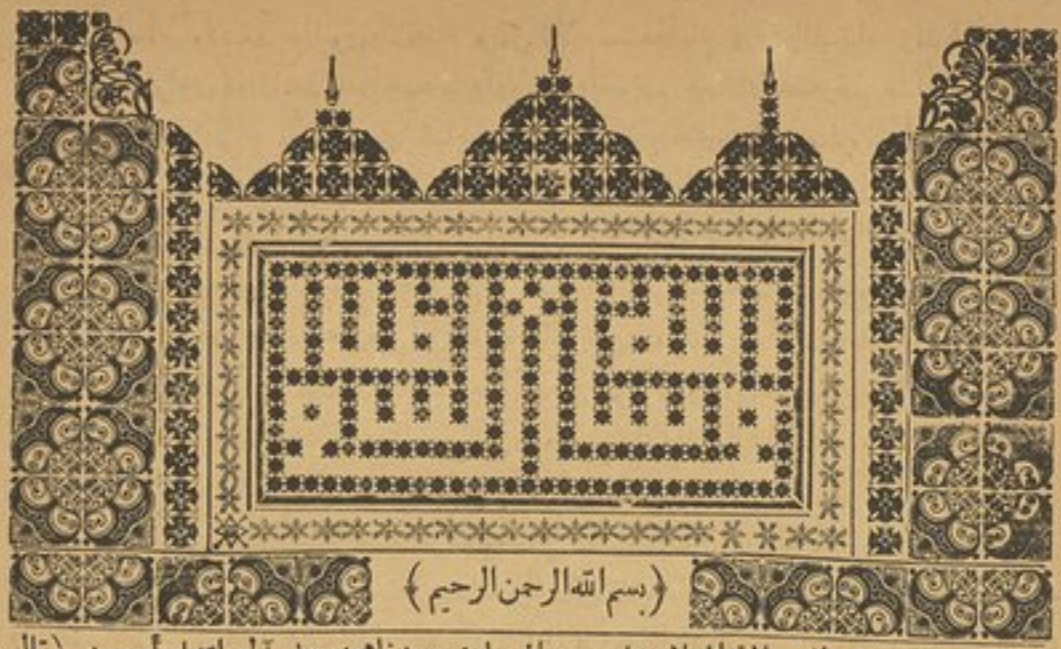

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين ﴿قال الراوى﴾ واذا بنجاب قد أقبل وهو غزل شردان ثم انه استمر سائرا الى ان اتى الى بنى عبس وعدنان فاستقبلوه وعن حاله سألوه فقال لهم أين الملك زهير بن جذيمة فناداه الملك زهير ما خطبك من أين والى أين فقل ما تشاء فانا الذى تريد فقال له يا مولاى انا أرسلنى الملك النعمان وهو يقول لكم جهزوا العروس بالخمر الملبوس فانه قد أرسل يخبركم مع عنتر فما أتاه منكم خبر فقالوا له وأين عنتر فقال لهم وحق النار ان له مدة أكثر من شهرين من حين خرج من عندنا وقد أنعم عليه الملك النعمان واعطاه نوقا وجمال وخزا وبزا وان ابن عمه عصاما ورائى وهو مقبل اليكم ووافد بالمهر عليكم فأرسلوا معه المتجردة ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب فلما سمع الملك زهير ذلك الخطاب خلع عليه وقال له سر أنت من يومك اليه فى الحال وبشره ببلوغ الآمال وارسال العروس بالخمر ما يكون من الملبوس بعد أن أنزله فى دار الضيافة ثلاثة أيام ثم خلع عليه ثانى مرة واعتذر اليه وسيره الى صاحبه بسلام فلما كان بعد أن سار النجاب بسبعة أيام وكان الملك زهير قد اشتهى ان يطلع الى العلم السعدى فعمل هناك وليمة وجلس هو وأولاده وشداد وأخوه زخمة الجواد فأكلوا وشربوا وشدادا فرحان بسلامة ولده عنتر ﴿قال﴾ فبينما هم فى الكلام واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار ثم انه انكشف عن رجال أبطال وليوث أقيال فالتفت الملك زهير الى أخيه خداش وقال له ائتنى بخبر هذا الغبار فانى أقول انه عصام ابن عم الملك النعمان فركب عند ذلك خداش فى مائة فارس وسار الى ان التقى بهم فاذا هم من بنى لخم وجذام والمقدم عليهم عصام فلما رآهم خداش حياهم بتحية العرب فردوا عليه ثم انه أرسل بعض فرسانه الى الملك زهير ليعلمه بقدوم عصام فركب أولاد الملك زهير مع جملة الفرسان وطلعوا لمقابلة رسول الملك النعمان فلما أقبلوا اليه ناداه شاش نعمت صباحا يا عصام ودمت فى الخير والانعام ثم تقدم اخوته اليه وحيوه وسلموا عليه ثم ساروا حتى نزلوا على بنى عبس عند الملك زهير وقد التقاهم من برا الخيام وترحب بعصام فقال له عصام يا مولاى ان الملك النعمان يسلم عليك وقد أرسل لك ألفين ناقة من النوق العصافير ومثلها حمرا الوبر سودا الحدق وألف جواد من الخيل الاصايل الجياد ومن الخز والديباج ونوافج المسك جملة نفيسة ومن ظرائف العجم شيأ كثيرا وقد اعتذر اليك أيها الملك المحترم فقال الملك زهير والله ان هذا شئ كثير ولولا كلام العرب ما أخذت منه عقال حتى لا يظن اننا نفتش على مال ولا نوال فشكره عصام على ذلك

المقال

المقال ثم انه أمر أولاده بذبح النوق والاغنام وعمل الولائم سبعة أيام وروقوا المدام وقد طاب لهم المقام (قال الراوى) واذا بحذيفة رأخيه حمل وأولاد بدر واخوتهم وسادات عشيرتهم قد أقبلوا على بنى عبس فتلقوهم بالاكرام وانزلوهم فى الخيام وجددوا الولائم لقدوم أولادعمهم ثلاثة أيام وفى رابع الايام أخرج عصام مهر أخت حذيفة التى قد خطبها منه الملك الاسود فتسلمه منه وهو من نوق وجمال وخز وبز ومال ونوال وقد أمرهم ان يصلحوا أحوالهم للسير فما مضى لهم ثلاثة أيام الا وبنو فزارة قد أتوا بعروسهم فى هودج عظيم مجلل بالحرير وكان الملك زهير قد أصلح هودجا عظيما لابنته وجلله بالذهب المكلل باللؤلؤ الرطب كان قد أعطاه له عنتر من أول سفرته لما أتى من عند كسرى وأهداه له هدية وهى قبة عظيمة (قال الاصمعى) وقد أرسل الملك زهير مع ابنته مائة أمة من المولدات ومائتى عبد وعليهم ثياب الديباج وقد خرجت فرسان بنى عبس وعدنان مع العروستين وهم يلعبون قدامهم بالرماح ثلاثة أيام ثم ان الملك زهير تقدم ومسك بزمام ناقة ابنته المتجردة وقال لها يا بنية كنت عندنا واحدة بين عشرة وكنت عزيزة والآن صرت أعز ولكن يا ابنتى أنت قادمة على ملك همام فكيف ما قدرت لبنى له الكلام وابدئيه بالسلام واياك ان يقع منك غليظ الكلام فاحفظى ذمامه وأمسكى كلامه وأعطيه كلاما رطيب ووصال حبيب وان كنت سيدة بنى عبس وملك خدام فلا تكونى له الا من جملة الخدام حتى انه يودك ويراعاك ويحبك ولا ينساك واياك ان تنفرى فيه بالكلام أو تبدى من غير تعجب أدنى ابتسام وأحبى ما يحب واكرهى ما يكره وأنت فوق ذلك ولكن الوصية نافعة يا بنية فامضى فى وداعة الله ثم انه أوصى عليها عشرة من العبيد كانوا مولدين فى بنى عبس وأمرهم أنهم اذا رأوها فى ضيق يأتوا اليه ويخبروه ثم انه ودع عصاما وولده شاس وأعطى له زمام الناقة وأوصى عليه حذيفة بن بدر وقال لهم خذوا معكم مائة فارس فقال حذيفة لا والله ما نأخذ أحدا فلا تتعب نفسك ولا فرسانك ثم ان الملك زهير ودعهم والنار فى قلبه على ولده شاس لانه اقسم أن لا يتبعه أحد من بنى عبس ثم انهم ساروا وما زالوا سائرين الى ان قربوا من أرض العراق وهم فى بسط وانشراح ثم انهم أرسلوا أعلموا بقدومهم الملك النعمان فاخرج اليهم عمر بن حسان وسائر اخوانه فالتقوهم واكرموهم وساروا حتى قاربوا الحيرة فخرج الملك النعمان الى لقائهم هو وسائر بنى لخم وجذام وبنى بكر بن وائل وشكر وذهل ومرة وثعلبة والنمر ابن قاسط وشيبان فالتقوهم وساروا الى المنازل والاوطان وقد خلع عليهم الملك النعمان الخلع الحسان وقدم لهم الخيل الجياد والعبيد الاجواد وزاد لهم فى الاكرام ثلاثة أيام وبعد ذلك شرع فى الولائم فى أرض تسمى صحرات بنى بكر بن وائل وهى تسع اهل الدنيا وكل القبائل ثم انه ارسل خلف المحبين والحلفاء والمتعصبين فأتته الوفود حتى ملؤا تلك الصحراء وسدوا أقطار البيداء (قال الراوى) وكانوا قبائل مختلفة من سائر أجناس العرب مصرية وقحطانيه وقضاعية وخزاعية وشيبانيه حتى ضاق بهم فسيح تلك الارض والصحارى وكان النعمان قد ارسل الى بلاد الشام أحضر ألفى حمل من المدام وأرسل خلف خداوند بن كسرى ليحضر وليمته ويجبر بخاطره فاتى اليه بقية مكالة بسائر المعادن من دروجوهر وياقوت وبهرمان وقد كال له خمسة تيجان كل واحد يساوى ملك خراسان وأحضر له من الجمال البخاتى ألف وقد أكثر له من التحف (قال الاصمعى) فعند ذلك طلع النعمان الى لقائه هو وسائر اخوته وأولاد عمه من بنى لخم وجذام وسائر ملوك الانام فلما التقوا به نزلوا كلهم عن خيولهم وترجلوا وقبلوا رجل خداوند فى الركاب فحلف عليهم ان يركبوا خيولهم والدواب فركبت سائر الاعراب بعد ان خلع على المقدمين والسادات الانجاب ثم انهم رجعوا الى الاطلال ونحروا الاغنام مع الطيور وروقوا المدام وسكبوا الخمور وعملوا صحبة ثلاثة أيام وبعد الثلاثة أيام عملوا وليمة طامة لجميع العربان من القبائل عدى وشيبان وبنى لخم وبنى مالك وبنى الصعب وبنى الظعن وبنى العون وثعلبة

وسهل وعكابة وأسد وبنى جندب ومرة وغيلم وربيعة الفرس وبنى تميم بن مرة وبنى دارم وحنظلة والبراجم والمربان وسعد وبنى يربوع ومقفر واللهاذم وعصام ومقاعس وبنى نويرة وثعلبة ومازن وبنى نهشل والاجمال وفقعس وكل هؤلاء طوائف تميم بن مره ﴿قال الراوى﴾ وقد أتى الى الملك النعمان من سائر القبائل وقد نحر الملك النعمان فى هذه الوليمة عشرة آلاف ناقة وخمسين ألف رأس من الغنم وشيأ كثيرا من الطيور وذبح أخوه الاسود ألف ناقة وعشرة آلاف رأس من الغنم وشيأ كثيرا من الطيور وأصنافها وذبحوا مائة أسد ومائة لبوة أتت بها الرجال من الآكام والجبال وقد أحضر الملك النعمان سادات العربان وخلع عليهم الخلع الحسان وقد كسا الارامل والايتام ودعوا للملك النعمان بالعز والنصر ورفعة الشان وداموا على أكل الجزور وشرب الخمور سبعة أيام ﴿قال الراوى﴾ وبعد ذلك حملوا المتجردة وأجلوها عليه وكذلك زفوا أخت حذيفة بن بدر على الملك الاسود ودخل الملك النعمان وأخوه الملك الاسود على بنات عربيات يخجلن الشموس والنجوم الزاهرات وهن محاكين البدور الطالعات وقد زادوا على البدر ملاحة وصباحة وعذوبة مبسم وكمال بهجة مع حسن قوام وغنج وابتسام فسبحان من خلقهن وسواهن من نطفة قذرة وهو الذى يقول للشئ كن فيكون فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام ياسادة ياكرام هذا وقد انبهر الملك النعمان مما قد رأى من جمال المتجردة بنت الملك زهير العبسية وكان يعشقها على الصفة والسماع وكلما ذكروها له يغيب عن الوجود من شدة الغرام فلما رآها حار من حسنها وجمالها وأخذه الانبهار ثم انه صار كأنه مجنون من حسن تلك العيون واختلى بها سبعة أيام ليلا ونهار وهو معها فى أكل وشرب ولذة وطرب ومسره ووصال حبيب مع الاكرام والمبره ﴿قال الاصمعى﴾ وبعد السبعة أيام قالت المتجردة ياملك وسيد ملوك هذا الزمان أى شئ فعلت مع أخى الملك شاس المفضال وما صنعت فى حقه وما عملت معه من الاعمال فقال لها وحياتك ياحبيبة القلب انى نسيته وانى بدهشة جمالك صرت كأنى ما عرفته ولا لقيته ولكن هذا الوقت أمضى اليه وأنعم عليه ثم ان الملك النعمان خرج الى محل مملكته وأرسل أحضر الملك شاس وأمر أخاه الملك الاسود أن يحضر حذيفة بن بدر ويهاديه ويعطيه عطاء جزيلا فسار الملك الاسود من وقته وساعته ثم انه أحضر أصهاره وأعطاهم وأنعم عليهم بالخيل والجمال والنوق العصافير الغوال والثياب الفاخرة من الخز والديباج والاموال ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام ياسادة ياكرام فهذا ما كان من أمر الملك الاسود وأصهاره وأما ما كان من أمر الملك النعمان وما جرى له مع صهره الملك شاس فانه التفت اليه وقال له تمن على ما شئت يا ابن السادة الكرام ولك أضعاف ما تتمناه وحق الملك العلام فقال له شاس اعلم ياسيد ملوك هذا الزمان من قحطان وعدنان أنى ما أريد غير سلامتك ياملك الزمان وعافيتك على ممر الزمان وأكبر مرادى وامنيتى ان لا يكون لك عدو فى العربان الا وتملكه بالسيف والسنان ﴿قال الراوى﴾ لهذا الديوان فعند ذلك أحضر الملك النعمان من خزائنه جواهر ويواقيت ودر ومرجان وقال له وحق آبائى وأجدادى الكرام والنار المضيئة الشديدة الاضرام ان تتمنى على أمنية فقال له يامولاى أعطنى من الطيب والعنبر والمسك الاذفر فقال النعمان أوقروا مائة جمل من طيب وعنبر ومسك اذفر وظرائف العراق فقال شاس لا وحق البيت الحرام ما يتبعنى غير حمل مطيتى طيبا لانه ياملك الزمان من بصاهر لا يناكر ولا يخاصم ولا يصادر فقال النعمان أنت حلفت ان نوقرها من الطيب فنحن نوقرها لك من الذهب الصبيب فقال شاس لا وحق الاله القريب لا يتبعنى من عندك غير حملها طيب ولا يكون لزهير بن جذيمة غير ذلك نصيب فبينما الملك النعمان مع شاس فى ذلك الكلام واذا بحذيفة وأخيه حمل قد حضروا سريعا الى حضرة الملك النعمان فانعم عليهما واوصى شاس بهما وبعد ما اوصى بهما ركب هو والملك الاسود وسائر سادات

القبائل

القبائل حتى يودعوا شاسا وحذيفة ومن معهم وبعد يومين حلفوا عليهم وأرجعوهم وقد أوصوا حذيفة وأخاه بشاس فقالوا يا ملك الزمان كيف توصينا يا بن عمنا وهو كاشف همنا وغمنا ولو قدرنا جعلناه فى سواد أعيننا (قال الاصمعى) ثم رجع الملك النعمان وعساكره وسار بنو فزارة وحذيفة وشاس حتى وصلوا الى غدير يسمى غدير بغيض بن الاملوس فنزلوا وباتوا ومن الصباح قد رحلوا وطلبوا الديار والاماكن وهم يتذاكرون أخبار الولائم فقال حذيفة والله ان الاسود عمل وليمة ما عملها النعمان ولا يقدر عليها أحد فى هذا الزمان (قال الراوى) فقال له شاس ولم ذلك يا حذيفة قال لانه ذبح ألفى ناقة وخمسة عشر ألف رأس من الغنم فقال شاس وأى شئ الذى ذبحه النعمان قال حذيفة دونه يا شاس قال شاس كذبت يا حذيفة لانه ذبح اربعين ألف رأس من الخيل والجمال والنياق شيأ لا بعد ولا يحصى وملأ الآفاق وخلع ووهب وفرق الفضة والذهب وفعل ما لا يفعله أحد (قال الراوى) فقال حذيفة والله يا شاس انك تعديت وما انصفت وقد بغيت وصار بنو فزارة يؤيدون كلام حذيفة ويكذبون كلام شاس فصعب عليه وكبر لديه وقال والله يا حذيفة أنت وبنو عمك قد تعديتم وفى قولكم كذبتم وبغيتم وتكلمتم على قدر هواكم فقال حذيفة وكان جاهلا خسيفا خبيثا أوهج أهوج مجنونا ظالما قليل الانصاف ماله شغل غير البغى والاسراف كذبت يا شاس وان لم تسكت لارمين منك الرأس وأخذ منك الانفاس واهدم منك الاساس (قال الراوى) فقال شاس ويلك يا حذيفة أولى تهدد بهذا الكلام وأنا وحق الملك العلام ما كذبت عمرى فى كلام ولا حلت عن الزمام وان زدت على فى كلامك قطعت بهذا الحسام هامك (قال الاصمعى) فلما سمع حذيفة هذا المقال قامت فى رأسه مقل عينه وتغيرت سائر حواسه وكاد من شدة جهله وحماقته وقلة عقله أن يمزق ما عليه من لباسه وجذب على شاس ماضى حسامه وحمل عليه بجهله وقوة اهتمامه فلما رأى شاس هذه الامور حار وأخذه الانبهار وجذب حسامه وهجم على حذيفة وتقابضا باللحا وكل منهما الغريمه لام ولحى وأراد ان يتباطشا فدخل بينهما بنو فزارة وفرقوا بينهما وابطلوا الغارة بعد ما قد تهامروا وأبرقوا وارعدوا وافترقت بينهم اوائل الرجال من سادات وأبطال ثم قال حذيفة يا شاس ويلك يا ابن زهير امض عنا فى دربك انت وعبدك فلست لنا برفيق بعد هذا الشر والتعويق (قال الاصمعى) فصعب ذلك على شاس وقال قبحك الله بين الناس أهكذا تقول بنو الاعمام فلا كنت بين الانام وانا وحق الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام ما عدت لك برفيق ولو عدمت التوفيق فاما ان تسيروا امامى واما أن اسير أنا امامكم فقال له رجل شيخ كبير منهم يا ابن زهير نحن لا نفارقك وأنا وبنو عمى هؤلاء العشرون فارسا نرافقك ولا نتركك وحدك كرامة لاهلك وقومك (قال الراوى) فقال له شاس لا والله يا عم لا سرت الا وحدى ولا ارافق الا عبدى فقال الشيخ بئس والله ما فعلت يا حذيفة بتركك ابن عمك فى هذا البر والقفر وما معه من بنى عمه احد فوحق الفرد الصمد لا عدت انا الآخر أرافق منكم احد (قال الراوى) وكان هذا الشيخ اسمه نجيد ثم انه سار وحده وقال لشاس يا ابن العم أنا ماضى الى سعد العشيرة ابن ضبية فسر معى حتى أهديك الى الطريق ومن هناك سر وحدك وبعينك ربك وهو نعم الرفيق (قال الراوى) فسار نجيد وشاس ذلك النهار فى البرارى والقفار ومن الليل نزلوا على مياه بنى غيلم ومن الغد سار وا فى براقفر وهمه اغبر الى أن جميت الشمس وقد أتوا الى فم الوادى فعندها افترق القوم فقال نجيد اسمع منى يا شاس اتبعنى حتى انزل بك على اخوالى بنى سعد العشيرة فنأكل ضيافتهم ونبيت فى حلتهم وأكون أنا وأنت رفقة لان قلبى خائف عليك يا شاس فقال له يا عم امض الى حال سبيلك فوالله لا رافقت أحدا فى المسير فسر مصاحبا للسلامة والخير فقال له الشيخ يا ولدى المقدر كائن وأذا نزل القضاء بالبلاء عمى البصر ثم ودعه شاس وسار وهو يقول هذه الابيات

صلوا على سيد السادات صلى الله عليه وسلم

يقول نجيد لما سار عني * أخاف عليك من شر البوادي * ألم يعلم بان الله حق
فمن يقضي قضاه عن العباد * اذا يقضي على أموت قتلا * فان قضاءه ماضي المراد
فلا لاقيت خيرا يا ابن بدر * ولا صادفت عمرك من رشاد * لانك يا ردىء بغيت فعلا
ردىء الطبع دوما للعناد * بغيت على ابن عمك في قفار * وقد امسى غريبا في البلاد
ورمت قتاله من غير ذنب * فسار مغاضبا لك في انفراد * ولم ترعى له ابدا ذماما
فسار بلا رفيق وهو غادي * ولكن أنت جبار عنيد * بطول الدهر تسعى في الفساد
فان ارجع الى قومي فاني * اجازيكم على رغم الاعادي * واني لست ارجو لي رفيقا
سوى ربي وسيفي مع جوادي * هموأنسي وأجنادي وعزي * ومن اصفيتهم ابدا ودادي
فسر لا سرت من ندل لئيم * كثير الشر وغدر كاد

(قال الراوي) ياساده فسار الواسائرين وكل واحد منهما في طريق هذا يمين وهذا يسار الى أن وصل نجيد الى مبارة وصار شاس يجد السير طالبا أرض بني عبس وعدنان فهذا ما كان منهم يا اخوان (قال الاصمعي) وأما ما كان من أمر الملك زهير فانه لما أرسل ولده شاسا الى العراق افتقد بعده ولده الحرث فقال له اخوته هو عند اخواله بني الشربة في صيد وقنص فقال قيس والله ليس هو عند بني عامر ولكن أنا ارسل اليه عبدي يكشف خبره فقال الملك زهير نعم الرأي يا قيس (قال الراوي) فبينما هم عازمون على أن يرسلوا العبد واذا بنجاب ينهب البر انتهاب فاستقبله بنو عبس وقالوا له من أين والى أين فقال لهم أنتم من بني عبس قالوا له نحن من بني عبس فقال معي رسالة من صاحب وحبيب فأتوا به الى عند الملك زهير فسلم الاعرابي عليه بتحية العرب وترجم ثم انه أخرج الكتاب وناوله للملك زهير فأخذه وناوله لعروة بن الورد بحضرة سادات بني عبس فاذا فيه يقول بسم الله القديم رب اسماعيل وابراهيم والسلام على الاخوات والاهل واني واصل اليكم عن قريب فاذا وصل اليكم كتابي فانعموا ولا قوار كابي أنا وسائر أولاد عمي وأصحابي ونحن سالمون غانمون ولكننا اليكم مشتاقون وكان ذلك من أسيد بن جذيمة ونصر بن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق (قال الاصمعي) فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام أخذه الفرح والاستبشار ونادى في بني عبس بالركوب للقاء المحبوب فركبت السادات من بني عبس وسار الملك زهير بسائر أولاد جذيمة وأولاده وبني عمه وأجواده بعدان خلع على النجاب وكان أسيد غائبا في مكة له عشرون سنة فأمر الملك زهير أخاه خداش أن يأخذ مائة فارس وخمسمائة من الغنم وعشرين حملا من المدام وساروا لاجل ان يلاقوا اسيد بن جذيمة وكان الملك زهير قد ركب في سائر بني عمه واخوته واقربائه ونزلوا في وادي الظباء ثم ساروا ضحوة النهار مع كمال الصفاء ومازالوا سائرين ثلاثة أيام حتى نزلوا في وادي كثير الزهر وقد جرت في ارجائه الانهار وكان يسمى مرج العفور ووادي الشحرور فنزلوا فيه واذا هم بغبار مقبلة والى نحوهم سائره (قال الراوي) فساقت الى نحوهم الفرسان واذا هم باسيد بن جذيمة ومن معهم من الفرسان فحياهم أسيد باحسن التحيات ثم استقبلهم أحسن استقبال فتعانقوا وتصافحوا وساروا وهم فرحون في تلك الفلوات وباتوا تلك الليلة فقال أسيد لاخيه ما فعلت بفرسي الودكاء فقال كما تحب وترضى يا ابن أبي ثم انه أمر بني عبس فحضروا بها مسرجة ملجومة فركبها أسيد بن جذيمة وكان له عشر سنين ما ركب جوادا ولا هجين وقد رأى تلك الارض وفيها الوحوش سائبات فلما رأى اسيد ذلك طرد فحل غزال حتى لحقه وطعنه فرماه ونزل اليه فذبحه ثم ركب فرسه وحضن شجرة طلح كانت هناك وضم اغصانها وبكى وأن واشتكى وأنشد يقول شعرا

العمر فان والزمان عجيب * وكذاك فى عقب الشباب مشيب * هيهات أن يأتى لنا ماقد مضى
وتعود أوقات الصفا وتطيب * لله أوقات مضت بوصالكم * فى مرج يعفور وغاب رقيب
حياك ياوادى الاراك تحية * وسقاك هطال يسح صبيب * ماطاب عيشى من زمانى برهة
حتى دهانى بالفراق حبيب * فتركت لذاتى وأهلى والربا * من بعد خل بان فهو غريب
يادهر هل تسمح لنا بتواصل * ويعود غصن الوصل وهو رطيب * ياحبذا وادى الاراك ويعفر
حيث انثنى للوصل فيه حبيب * انى غريب الدار طالب حاجة * يارب كن عونى فأنت قريب

(قال الاصمعى) ثم ان أسيدا بكى حتى ابتلت لحيته وفى تلك الساعة أقبل عليهم خداش بن جذيمة بالنوق والمدام وكان مع زهير ثلاثون فرسا وكان عليها فرسان الصدام فركبها عشرة من اخوته وعشرة من أعمامه وعشرة من سادات قومه وكانوا كلهم حاضرين وماغاب منهم غير الحارث وشاس فلما نزلوا نحروا الذبائح وروقوا المدام بعد ترويح الطعام ثم انهم أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وتذاكروا أوقاتا مضت فى أيام الصبا فطابت أوقاتهم ودار المدام بينهم وتناشدوا أخبار العشاق ثم تذاكروا الحرب والكفاح والضرب بالصفاح ثم انهم باتوا فى ذلك الوادى تحت شجرة الاراك ومقابلها شجرة طلح ثم ان الملك زهير التفت الى أخيه أسيد وكان المكان خاليا ماعنه غير أولاد زهير وقال له ياأخى سألتك الله وبلبن أمك الا ماأخبرتنى عن خبر الاراك والطلحة والبيان التى عانقت أغصانها فقال لهم اعلموا ياأخوانى اننى كنت فى زمن شبابى وأنا خالى من الهم والغم وكان نديمى أخى هانى وابن عمى بشر النعمانى فطلبنا يوما الصيد والقنص فركبنا وسرنا نحو البر الاقفر واذا بجملة من الحمر الوحشية وسرب من الغزلان فأطلقنا نحوها الاعنة فرأيت بينها خلا أقرن وهو يكر على سرب الغزلان كما تكر الفرسان وهو معجب بنفسه فأطلقت عنانى خلفه ومازلت كذلك الى ان جيت الرمضاء ثم التفت فلم أجد من أصحابى أحدا فطلبت الغزال فهرب منى ومازال يجرى الى أن دخل الى وادى الاراك ومرج اليعفور واذا بحى هناك جارية تحير الاذهان بقامتها الفيه وطلعة مضيئة فلما رأيتها ياأخى سلبت عقلى فناديتها ياز ين الدلال لعلك تسقينا شربة من الماء لتطفى لهيب الحر والظما فقالت ياوجه العرب أبشر بالماء والقرى فقد وجب حقك علينا فانزل لتستريح فقد أهلكت الجواد المليح فما صدقت بذلك الكلام حتى قلت لها يابنت الكرام اخرجى لى هذا الذى قتلنى بسلام فقالت انه صار فى جوارنا وتحت ذمامنا وعندنا غيره ثم انها أحضرت لى لبنا وعسلا وقالت دونك والسويق فبرد فؤادك بلا تعريق فشربت منه شيأ ألذ من الروح اذا عادت الى البدن ثم انى طلبت الراحة فقدمت لى وسادة وطراحة فاردت النوم فما قدرت فقمت الى قدرها وقد أصلحته وكان عندها لحم طرى فوضعته فى القدر ساعة واذا بشيخ كبير أتى الينا فلما رآنى مال الى فصيل فنحره ثم قربه الى عند ابنته ثم جلس يحادثنى فقال لى حييت وحيتك اللات والعزى من أى القبائل أنت فقلت أنا أسيد بن جذيمة بن رواحة العبسى سيد بنى عبس وعدنان فقال سيد كريم وفتى عفيف شريف فقلت له وقد زال الحياء من وجهى ياسيد قومه من تكون من العربان الكرام فقال نحن حلة من بنى شمخ بن عثمان بن مزينة وسيدنا الاسلت بن عاصم فقلت وهذه الفتاة ابنتك فقال ياابنى انها بنيتى من ذوات الخدور وان طلبتها فهى أمة لك بالفرح والسرور وأنا أيضا لك عبد مأمور ثم انه قام وأحضر جماعة من أجاويد بنى شمخ فحضروا ثم ان الشيخ قام على قدميه وقال ياابنى عمى ألست أنا واصل بن مسرور ونسبى بينكم معلوم مشهور وأنتم تعلمون أن الخطاب قد أتت اليها وردد تهم من بنى عمنا أحق ذلك أم لا فقالوا والله انك صادق وليس فى كلامك باطل فقال ياابنى عمى وأنتم تشهدون انى عبد لهذا السيد أسيد بن جذيمة وابنتى له أمه ومن يقف له فى الخدمه فقلت

ياسادات العرب انى قبلت كلامه وهى كرمته المصونه ثم انى قلت له انكحنى كريمتك على نقد وقدره
مائة ناقه اليك منساقه ومائتا جواد من أنفر خيول العرب فهل ترضى بهذا الكلام أيها الاسد الضرغام
فقال رضيت يا ابن الكرام وحق الملك العلام وعند ماشاهدت طلعتك أحببت أن تكون سلمى ابنتى
مطيتك ثم انه حط اليد فى اليد وقد صرنا على عهد فقمت يا أخى من ساعتى وأشركتهم فى قصتى وقد
وعدتهم انى من الغد أكون عندهم وآتيهم بالنعم والصداق الذى تقدم ذكره وعبرت الى الخيام
واقتطعت من مالى مائة ناقة تمام ومائتين من الاغنام وقدر عشرين ثوبا من الديباج ومائة من الذهب
الوهاج وشيأ من الطيب وخزا وبزا وأربعة من العبيد لاجل سوق الانعام وصبرت حتى جن علينا
الظلام وركبت جوادى وخرجت من الخيام ولم يرنى منكم أحد وسارت العبيد قدامى حتى بقيت ظاهر
البيوت وتوكلت على الحى الذى لايموت وطلبنا البر والسباسب حتى أشرفنا على المضارب فما أصبح
الصباح ولاح الضياء فى البطاح الاوقد بان لنا من بين أيدينا خيام وقباب واعلام وهى لبنى شمخ بن
عثمان الشمعان الملاح من مدينة قريش وتلك البطاح وكانوا أحسن العربان ونساؤهم تفوق الحور
والولدان فكنت أناوالشمس بالسواء على خباء ذلك الشيخ الاجل فناديته فلبانى من غير مهل وقال
ماهذا يا ابن الكرام فقلت له هذا مهر ابنتك بدر التمام وهو الذى قد ذكرته لك وضمنته فى الكلام وهذه
عشرة من النياق لاجل النحر فى الخيام وهذه خمسون رأسا من الاغنام غير ما يخصك من الانعام وذلك
من أجل الولائم والطعام فقام الشيخ من وقته وساعته الى مقدم قبيلته وكان يسمى سبيب بن الوضاح
وحضرت أكابر الحلة ورحبوا بى وفرحوا غاية الافراح وقد قالوا له سعدت الآن ياواصل وصار نسبك
بنسب بنى عبس واصل وها أنت صاحب الحسب والنسب دون سادات العرب ثم اننا تعاقدنا ثانيا على
المهر والصداق وقد نحروا من تلك النياق وكذلك من الاغنام وقد روّحوا عندهم الطعام وروّقوا
آنسة المدام ثم انهم يا أخى أدخلونى على سلمى فكان دخولى عليها تحت هذه الشجرة الاراك وهذه
الظلمة التى هناك ثم تكفكفت عينا أسيد بالدموع الا انه اظهر الخشوع وقد ناداه أخوه الملك زهير
وكان قد اشتاق الى كلامه كثير وقال له ثم ماذا كان يا أخى من الامور التى جرت فقال أسيد يا أخى ثم لما
دخلت عليها وجدتها درة ما ثقبت ومطية ما ركبت فازلت بكارتها يا اخوان بعد ان أطلقت العنان
وقومت السنان وطعنت به فى حومة الميدان وقد بت تلك الليلة نشوان كانى كسرى صاحب الايوان
أوقيصر ملك عبدة الصلبان وقد زادت محبتها عندى وهى أيضا كذلك حتى كاد كل منا ان يشرف على
المهالك ثم انى اقمت عند صهرى سبعة أيام وبعد ذلك ودعته ومضيت من عنده الى أن وصلت الى الخيام
فرأيت أبى واخوتى يتحسرون على غيبتى وقد أقلقوا البيداء خوفا على من شر الاعداء فلما ان رأونى
قاموا لى واستقبلونى وفرحوا بسلامتى وسألونى فى أى أرض كانت اقامتى ثم انى دخلت الى الخيام وأقمت
معهم ثلاثة أيام وقلت لهم أنا ماضى الى بنى غطفان لاقيم عند سيدهم حسان برهة من الزمان لانهم أولاد
عمى وبهم يزول همى وغمى لان لى أياما وأنا بهم ولهان وقد زادت بى الاشجان ثم انى مضيت أنا وعبدى
بعد ما أخذت معى هدية طيبة عظيمة وكان لها قدر وقيمه وهى تصلح للحبيب وفيها شئ من المسك
والطيب وسرت فى ذلك البر الطويل فوصلت الى بنى شمخ فى نصف الليل فوجدت سلمى لى من
المنتظرين فأخذتها فى حضنى وبتنا آمنين ومازلنا على ذلك الاكرام هكذا عشرين يوما تمام فاحست
منى بحملها وزاد بها شغفها فقالت لى يوما من الايام ويحك يا مولاى هلا تبلغنى منالى فهل سمعت من
بعض الحاسدين ان فى نسبى شيأ يشين لم لاتعلم بى قومك وتأخذنى معك فى يومك حتى يتكمل حظنا
ويجتمع شملنا وتبقى أهلنا خلان ونقيم مع بعضنا فى الاوطان ونصير بها قطان كما تفعل أجاويد
العربان

العربان فقلت لها والله ياسلمى ان قولك مليح ورأيك صليح لانى كنت اخاف من عتب اخوتى وابى لانهم يقولون لى تزوجت وما أعلمتنا ولا عزمت علينا ولا اكرمتنا فبكت وقالت انى أخاف الفراق لانى بالامس رأيت غرابا ينعق عن شمالى فبت تلك الليلة من دون الليالى وهى تضمنى الى صدرها وتبكى والى ياأخى تشكى ثم انها رأت فى كتفى دملجا من ذهب وفيه صورة صنمين من حجر البهرمان وهو يساوى ملك خراسان فقالت لى اعطى هذا الدملج عسى أبلغ به أربى واحتفظ به حتى يجى من هو عندى أعز من روحى وقلبى وقد عنت بذلك ولدى فتفتت لها عند ذلك كبدى فسلمته اليها وقد حن قلبى عليها وقلت لها خلى بالك فلا بد لى من ذلك فقالت يا مولاى لا تنس ودى فان قلبى قد أقلقه الانزعاج وأخاف من الفرقة والهجاج فقلت لعن الله شيطانك فاقصرى من همك واحزانك ثم انى نمت معها الى الصباح ولما أصبحت أعطيتها الدملج فقالت تودع منى يا ابن السادات فقلت ما هذا الفال ياسلمى وما هذه الاشارات فقالت يا ابن الكرام لقد رأيت وحق الملك العلام البارحة فى المنام انك قد انحطيت على وأنت فى صفة طائر فاقتنصتنى ثم صرت آدميا وعاشرتنى ثم انى قعدت معك يومين وفى اليوم الثالث قلت لى ياسلمى امضى معى الى الديار فأجبتك فقلت حتى أعلم اهلى وعشيرتى فكأننى مسكتك وقلت لك اعطنى شيأ من أثرك فأعطيتنى هذا الدملج فأخذته وسرت أنت الى أهلك فلما مضيت عنا ثار علينا من ناحية اليمن غبار اسود مظلم يشبه النار وظهر شئ هائل على النار فاخمدها وأضرمها بارياحه فبددها وأطفأ النار بعدما أحرقت الرجال الابطال ولم يبق الا أنا وأنت فلا فى ذلك السواد المظلم ومضى بنا الى اليمن فأتانى آت وضرب ظهرى فخرجت من فرجى شعلة نار فاوهجت واستعرت ثم انها سارت الى نحو الحجاز فطافت الى غدرانه جميعا ثم انها أتت الى مكانى هذا وأنت وقومك هنا فلحقتكم جميعا وأخذتكم وعادت واذا قد ظهر علينا فيل اسود فاصطلى النار ذات الوقود حتى عادت بعد ذلك فى خمود ثم انه أراد أن يبول على الجمر ليطفئه فاذا به قد صار شمعة مضيئة فنورت عليكم وبقيتم فى نورها والفيل الاسود قد خضع لكم بعد ما تحير وازبد وارعد واقلب الارض من اراضى اليمن كانها يامولاى ارض بنى عبس وهى ارض شرحة واذا بنيران احرقت الارض والسهل والجبل واحرقت كل ما مرت عليه فلما اقبلتم على النار اضرمت واشعلت فهربت من قربها الرجال وأحاطت بالنساء والاولاد والبنات من ذوات الجمال واذا بالفيل قد حمل على النار وخاض هزامها وجعل يصب الماء من فيه فتخمد النار ويذهب وقودها وقد بقى من النار شئ يسير فسار ذلك الفيل اليها وجعل يأكل النار ويرش من زلومته الماء ورأيت ذلك الفيل مازال يفعل كذلك أربع مرات والنار تأتى من قبل اليمن ورأيت ذلك الفيل طالت زلومته حتى انها فاضت على أرض الحجاز وتهامه واليمن ونجران واليمامه وحضرموت وارمنت وبلاد الحبش والعجم والروم وسائر النجوم وسمعت رجلا يقول لابد ان يبعث طه ويس النبى العربى الرسول فيهدى الامه ويكشف الغمه ويذهب هذه الظلمه وله النور الساطع فيا فوز من كان له تابع فهذا منامى قصصته عليك ولا أعلم معناه فقلت لها دعى هذا الهذيان والله ان هذه سيرة طويلة ليس لها أول يفهم ولا آخر يعرف وما أظن ان يصح هذا الكلام ثم انها أشارت بهذه الابيات وهى تقول صلوا على طه الرسول

رأيت منامًا هائلًا زاد اشكالى * وحربًا ورعدًا ذا حلول وترحال
وبرقًا يمانيًا أتى لنهامة * وعاد على نجد بعزم واشعال
أصابك مع أبنا ابيك سعيرها * وأذهلكم احراقها أى اذهال
وعادت كما جاءت فعارض وهمها * من الغرب فيل قد حكى عشر افيال
له شدة مع رعدة كصواعق * وصولة ضرغام على فقد أشبال

وصار يدوس النار يطفى شرارها * ويأكل منها الجمر والضوء متعالى
الى أن بقى من جمرها فرد جمرة * وقد طفئ الاشعال من برد سلسال
فاشعل منها شعلة مثل أنجم * وقد أفرعت غصنا بزهر الربا العالى
فانقذكم من حرها الفيل عامدا * وسار امام الجمع منكم بترحال
الى أن أتيتم نحو ربع يمانيا * وكم فيكموم من عجب ارغال
اصبتم عجاجات ونارا تأججت * ورعدا وبرقا زائدات باهوال
وقد أحرقت ذاك الربا وشعابه * ونحن بتلك الدار فى منزل غالى
وقد ضجت الابطال مما أصابها * وقد برزت منهم نساء باطفال
فوافيتمو والفيل يمشى امامكم * وقد سال من زلومه الماء سلسالى
فما زال يطفى النار بالماء آكلا * لجمراتها الحمراء من غير اهمال
الى ان هدا تلك العجاجة كاشفا * وأخمد نارا أضرمت ذات اشعال
وعدنا التقينا بعد دهر وغيبة * وقلبى لكم والله لم يك بالسالى
وعدنا رجعنا بعد بين وفرقة * ومعنا جواد أبيض أكحل غالى
جواد كريم خلفه قاد مهرة * يمانية منسوبة العم والخال
وهذى أمور ربا أسيد جليلة * مقدرة من مالك حكمه عالى

(قال الراوى) وكان اسيد يحكى لاخوته هذا الكلام وهم على المدام وأسيد غائب حتى كأن أباه قتل فى البيت الحرام فلما فرغ من حديث سلمى كفكفت عبراته واستعادت اخوته منه الحديث فقال فلما قالت لى سلمى هذا المقال قلت لها قفى حتى أحضر من الحلة المطايا والعبيد من بنى عبس وآخذك الى الديار فقالت لى قف حتى أودعك فان قلبى وعينى ما عادت تنظرك فان هذا المنام قد ازعجنى وأحرمنى لذة الطعام رملأ قلبى حسابات وأوهام لكن الامور لها تقادير فقف لى ياسيدى ولا تبخل بالوداع وان سمعت منى ذلك الكلام فأردفنى خلفك وخذنى معك ودع المطايا والهوادج فان قلبى من هذا المنام خائف فقلت لها اهجعى ياسلمى ومن يقدر أن يرد القضاء اذا نزل من السماء لا تفزعى واصبرى للقضاء والقدر فان الامر كله بيد الله تعالى ثم أنشدتها هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

رأت فى طيب الاحلام سلمى * منا ما ما به خبر صحيح * فكفى ياسليمى واطمئنى
فان وراءك البطل الرجيح * نخلى عنك ذا الهذيان سلمى * فبعلك سيد بطل صبيح
غدا يغدو بك لديار قوم * خيامهم وهى الرحب الفسيح
وتبقى فى أمان مع سرور * بدار ربعها ربع ملسح

(قال الاصمعى) قال أسيد ثم انى حلفت لها انى لا أغيب عنها غير ثلاثة أيام ان لم يعقنى عائق مرض أو حمام فودعتها وسرت فلما أتيت الى الاحياء رأيت الحى منقلبا بالنواح والشعور محلولة والخيول مهلوبة والنساء تعدد وتبكى فلما رأيت ذلك الحال أخذتنى البهتة والخبال وسألت عبدا من العبيد عن هذا الحال فقال ياسيدى قتل سيدى جذيمة أبو سيدى عمرو فلما وصل خبره تبعه ولده عمرو على أثره فنزلت عن جوادى وكسرت رمحى وحثيت التراب على رأسى وأخذت فى البكاء والانتحاب وعملنا العزاء أربعة عشر يوما ثم سرنا بعد ذلك لاخذ الثار وقتلنا الربان قاتل أبى ثم رجعنا الى الاحياء ونحن فرحون مسرورون بأخذ الثار فلما رجعنا أرسلت خلف بنى عمى هؤلاء وهم نصر بن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق وأعلمتهم بامرى وأودعتهم سرى وقلت لهم أريد ان تروحوا معى الى وادى الاراك

حتى

حتى آتى بزوجتى سلمى فقالوا على الرأس والعين فركبنا وأخذنا معنا أربعة عبيد وعشرين مطية وسرنا فى الليل من أوله نجد السير حتى أصبحنا فى وادى الاراك فرأينا الديار بلاقع والمنازل قفرا وآثارا معممة ورأينا القتلى قد اكلت لحمها الوحوش فتحيرت من ذلك وقلت لاصحابى لقد حس قلبى بزوجتى سلمى بذلك الامر وأخبرتنى به سابقاتم انى بكيت وانبت وقلت لصحبى انزلوا بنا لنرى آثار الحبيب قبل الرحيل فنزلنا وجلسنا نبكى واذا نحن برجل على مطية وهو قاصدنا فسلم علينا وحيانا فسألناه عن بنى شمخ بن عثمان فبكى وقال والله يعز علينا ما جرى لبنى عمنا من القتل وسبى الحريم فقلت يا أخى كيف كان هذا الامر ومن دهمهم من الفرسان والسادات الاعيان فقال يا أخى نحن من بنى خميس بن مزينة بجرى بيننا وبينهم شأن فرحلوا عنا فسرنا اليهم بعد أيام واسترضيناهم وطيبنا خواطرهم وقلنا لهم عودوا معنا يا بنى الاعمام الى الديار فأجابوا وباتت سادا تنافى ولائمهم الى الصباح واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وانكشف عن بريق صفاح ولمعان رماح وزرد وفرسان تنادى بالعرب بالقحطان ثم انهم بذلوا فى أهل الحى السيوف وأخذوا الاموال بعد قتل الرجال ونهب الاموال وسبى الحريم والعيال وساروا مسرعين فسرنا وراءهم بالخيل الجياد فعادوا علينا وقتلوا منا عشرين هماما وسمعنا بان الذى أخذهم من همدان ومذحج فرسان الطعان وفارسهم محارب الاسد عمران البارقى لانهم كانوا من ثلاث قبائل وهم خمسة آلاف فارس غير اتباعهم فما قدرنا عليهم ولما كان الليل رجعنا نخيل لنا عنهم بالخسارة ورحل بنو قحطان بالتجارة وسمعنا بانهم باعوا النساء والاطفال وجعلوا الرجال يرعون الجمال فلما سمعت ذلك أخذنى الانذهال وأنشدت هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

بهذا الربع قد كانت سلمى * ولكن لست أعلم أين سارت * ولا أدرى بأى الارض حلت
ولا هذى النوائب كيف دارت * لقد طرقت الى شمخ خيول * وقد دهمتهم موصبحا وجارت
وفرق شملهم صرف الليالى * بفرسان طلوع الشمس غارت * فيا ريح الصبا بلغ سلامى
الى ظبى به النيران ثارت * سلمى منكى وبها غرامى * واحشائى محبتها استعارت

(قال الراوى) ثم انى رجعت الى الديار وقد اسودت الدنيا فى عينى لاجل جذيمة سيد بنى عبس ثم انى أخفيت سرى وقلت لاصحابى انى أريد البيت الحرام وأقضى العمر بين زمزم والمقام فقال لى نصر ابن سيار ومسروق بن راشد وعاصف بن ماجد وطارق بن سابق والله يا أسيدنا لا نفارقك ابدا وانما سرت سرنا معك ولو رحلت الى الربع الخراب من الدنيا تبعناك فأمرتهم ان يخفوا أمرى ولا يظهروا أحدا على سرى فسرنا الى الحى وأنا حزين رزين وقد قلت لك يا أخى انى أريد أن أعتكف فى بيت الله الحرام واعبد الآلهة الكرام فقلت لى أنت وشانك فسر أنت وخلانك فأخذنا من أموالنا ما نريد وأخذنا معنا عشرة عبيد وعشرين ناقة وسرنا الى بيت الله الحرام ومكثنا به مستوطنين مدة الايام وأرسلت من عبيدى ثلاثة دخلوا الى بلاد اليمن ففتشوا على سلمى فى أحياء اليمن فما وقفوا لها على خبر ولا رأوا لها جلية أثر فقطعت منها ايامى وقضيت أيامى بشدتى وباسى فلى الآن عشرون عام وأنا مجاور بيت الله الحرام وقد قطعت من الدنيا الاطماع ومددت فى خدمة له السماء الباع وقد رافقنى يا أخى هؤلاء السادة الاماجد والفرسان الصناديد حتى صار لى عشرون عام وقد تركت سائر الانام الا الوجد والغرام فانى لمولاى شاكى ومن غرامى باكى وأكثر بكائى يا أخى على ولدى فقد ضاع وتفتت عليه كبدى وأنا أدعو لصاحب هذا البيت ان يجمع شملى بولدى وأهلى الى ليلة من جملة الليالى وكانت فى آخر شهر رجب فسهرت الى نصف الليل فأخذتنى سنة من النوم فنمت وسبحان من لا ينام واذا بآت أتانى وقال كم يا أسيد تبكى أبشر بقرب الحبيب ونجل نجيب قريب لان لله فى ملكه ارادة

شقاوة وسعاده وفراق وبعده تلاق وبعد ذلك يا أسيد أبشر باللقا فقد زال الشقا فارجع الى مكانك فان المقادير تجمعك على خلانك فاذا اجتمع شملك فاشكر خالقك ورازقك ثم اني انتبهت وأنا فرحان وأخبرت نصر بن سيار ففرح ورجعنا وكان ملتقانا موضع فراقنا وأنا أسأل رافع السبع الطباق الواحد الخلاق أن يجمعنا في مكان واحد ولكن يا أخي قد خطر ببالي شئ أريد أن أعمله فقال زهير ما هو يا أخي حتى أساعدك عليه فقال قصدي أن آخذ خيلا وجمالا وأدخل اليمن في صفة تاجر لعلي انظر سلمى فقال زهير والله يا أخي ان كلامك صواب ولكن حتى نتملى برؤيتك حينا من الزمان وبعد ذلك سر الى أي مكان شئت ولعل القضاء والقدر يفعلان شيأ لا يكون في الغرضيات ثم ان الملك زهير تناول أخاه القدح فطاب له مجلس الشراب وانشرح فرجع الى النفس الابية والفحوة العربية وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول اللهم صلى وسلم وبارك عليه

رأت في طيب الاحلام سلمى * برؤيا ذات اهوال عظام * لنيران من الربع اليماني
أتت نحو الحجاز بالاضطرام * وقد لفحت ضحى سادات عبس * وأهوت منهم ونحو الشآم
فعارضها من الابطال فيل * شديد البطش في يوم الزحام * فأخمد سائر النيران قهرا
وعاد بشمعة نحو الظلام * وقد ذكرت لنا سهرا طويلا * وأخبارا تدل على التمام
وقالت قم نقم في أرض عبس * ونأمن عندهم شر الانام * فقلت لها أعاود نحو عبس
وآتيك باقوام كرام * فسرت وقد بكت سلمى وقالت * عليك الدهر يا أسدي سلامي
ستر جع نحو هذي الدار يوما * فلا تلقى الرجال مع الخيام * فقلت لها اهدئي سلمى وقري
فأنت عزيزة في ذا المقام * وسرت الى السرية باهتمام * لقيت جذيمة صيد الحمام
وقد أسفت عليه شيوخ عبس * وقد حزن الكبير مع الغلام * وقمنا في العزا سبعا وسبعا
وللثارا نتدبنا باهتمام * فأرونا بنى الريان حربا * فلم يغبوا بغير الانهزام
قتلنا منهم السادات قهرا * ونلنا الثار منهم بالحسام * وعدنا للديار نريد سلمى
وقلبي كل يوم في انصرام * ركبت مطيتي وأخذت عشرا * مطايا بالرحال وبالزمام
وعشرة أعبد أيضا شدادا * وسرنا نحو سلمى بانتظام * وعاصف كان مع نصر رفيقي
ومسروق وطارقة الهمام * الى وادي الاراك نرى قفارا * بها الغزلان تمرح في الخزام
فلم ألق بني شمخ نزولا * ولا قوما سواهم في المقام * فألويت العنان وعدت أبكي
وفي قلبي حرارات الغرام * ولم أعلم بسري غير ربي * ولم أخبر سوى محيي العظام
ورحت مهاجرا من دار قومي * الى مأوى حمى البيت الحرام * أقمت مجاورا عشرين عاما
لزمزم والحطيم مع المقام * وحرمت القيان وحظ نفس * وحرمت العقار مع المدام
الى أن كان في ذا العام آت * أتاني مخبرا لي في المنام * فقال ابشر أسيد فسوف تلقى
لمن غابت وأبلت بالغرام * ويجمع شملك الرحمن يوما * باحباب وسادات كرام
لخمرك ساكنا عندي قديما * وذكرني المنازل مع خيام * فسرت أقول يا دهري عساهم
يعودوا للشجي المستهام * فسرت اليكموا والقلب يبكي * وصبري نازح والشوق نامي
فيا سلمى سقيت بغاديات * بدار العز يا بنت الكرام

(قال الراوي) فلما فرغ أسيد من شعره فاضت دموعه من عيونه فقال له اخوته يا أسيد نحن نساعدك وندخل معك الى اليمن فلعل أن نقع لها على خبر ثم دارت عليهم الكاسات وانبسطت السادات ولم يكن معهم أحد من بني زياد ولا من بني قراد الا بنى جذيمة وساداتهم ولم يزالوا يشربون حتى أخذت منهم الخمرة ما أخذها

مأخذها وقد هبت عليهم نسمات الاسحار فى جانب تلك الانهار فناموا آمنين لكونهم فى بلادهم سالمين وهم سادات عدنان فناموا الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح واذاهم بالخيال فى رقابهم وهم مكتفون وقد ربطتهم الرجال على الخيل بالعرض وساروا بهم فالتفت الملك زهير الى أخيه أسيد وقال له يا أسيد لك عشرون عاما تنتظر فى هذا المنام فلا باركت فيه الاصنام فبارد أسيد جواب فأجابه نصر بن سيار وقال يا زهير اعلم ان المرء فى أموره مسير وليس هو مخير فاصبر فان لكل شئ سببا فاسألوا هذه السرية من أى العرب هى فصاح نصر بن سيار وقال من أى العرب أنتم أخبرونا فقالوا ما أنتم الا من بنى عدنان فقالوا نعم فقالوا لهم ونحن من بنى القيان ولنا ثار على فرسان بنى عبس وعدنان فقالوا ومن صاحب ثاركم فأوموا الى زهير فقالوا ومن هذا قالوا زهير بن جذيمة وكان معهم رجل شيخ قد عاش مائة وخمسين عاما وكانت بنو عبس أسرته فى الطريق وأسروا مولاهم بشر وكان يعرف بنى عبس واحدا واحدا وكان هذا الفارس المقدم على هذه السرية يقال له نازح تربى فى أبيات عباد ونشأ مع ضباء وكان نازح أحسن ما يكون من الشباب فاحبته ضباء وأحبها هو أيضا وكان لا يزال يغزو على حلل العرب ويجمع المال والمكسب حتى خافت منه جميع قبائل العرب وكان هناك رجل جبار يقال له جزيم بن فاتك من بنى نعامة وكان نازح فى بعض غزواته فأتى جزيم بن فاتك وخطب ضباء فرده عباد سيد بنى القيان أقبح رد وقال له يا جزيم لو كان عندى ألف كلبة ما أعطيتك منها شعرة امض لأم لك فمضى من عنده وهو غضبان وأتى الى بنى عمه ولبس السواد وآلى على نفسه انه لا يكلم أحدا من العباد فدخلت عليه سادات قبيلته وقالوا له ما بالك يا جزيم لا أحزن الله لك قلبا ولا اعترك ضيم لم فعلت هذه الفعايل ونحن سادات ورؤس القبائل فما رد عليهم جواب لا خطأ ولا صواب فقالوا له أيها الملك والله انه يعز علينا هذه الفعائل فأوضح لنا أمرك وأعلمنا من ذا الذى من العرب قهرك فعند ذلك زفر جزيم زفره وأتبعها بحسره وقال يا قوم وأى شئ تنفع الشكوى لمن لا يزيلها فقالوا له بحق الذى رفع السماء بغير عمد الا ما أخبرتنا وكان جزيم مضطجعا فقعد وقال لهم يا معاشر بنى نعامة هل سمعتم فى بطون أسد بن دوران وأحيائهم وقبائلهم وحللهم وعشائرهم أحدا قال ان فى شيأ يعيبنى فى حسبى أو نسبى فقالوا لا والله ما سمعنا بمثل هذا فقال وهل سمعتم أن أحدا قصدنى فى شئ وخيبته قالوا لا قال فكيف أمضى الى كلب بنى القيان عباد ذى الجهل والفساد فيردنى عن بنته ويقول لى لو كان عندى ألف كلبة ما أعطيتك منها شعرة أخبرونى يا بنى الاعمام عن أصل هذا الكلام فقاموا وقد غضبوا ولقتاله تأهبوا وقالوا سوف نفكره بكلامه ونذكره به عند ملامه انه أمسك أولاد القطا وآذى بنى عمه وسوف ترى يا ابن الكرام ما نفعل معه من الانتقام وكان نازح هذا قد تربى فى أبيات عباد كما ذكرنا وكانت أمه سلمى عندهم فى أعلا منزل لان عباد كان لا يعيش له أولاد فرزق ببنت فسماها ضباء لاجل قلة الاولاد وكان له ابن عم من كهان العرب ودهاقنتهم فقال لهم وقد رأى نازحا وهو ابن ثلاث سنين يا عباد من أين لك هذا الولد الجواد اخبرنى وعلى سره أطلعنى فقال يا عم أنا أخبرك بخبره وذلك أنى خرجت فى ليلة من بعض الليالى الى الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص وكان معى أولاد عمى فصادفنا فى البرخيل ابن عمرو ويزيد بن حذاق السكسكى فى ألفين فارس من السكاسك ومعهم صفن سبى وهو محزون وكنا صادفناه فى مضيق العجم فرأينا معهم غنائم لا تعد ولا تحصى ونوقا وجمالا وكان وقت السحر والقوم لا يلتفتون الينا من كثرة الغنائم فقطعنا منها فى مضيق العجم خمسين ناقة ودخلنا بها الى كهف كفرى قديم بسع ألفى نجيب وكنا فيه الى الصباح ثم خرجنا الى رأس الشعب فلقيناهم سائرين وهم لا يلتفتون فخرجنا وسقنا النياق واذا نحن بامرأة ضخمت وجهها ولبست الحداد والسواد على أهلها ومن قتل لها فلما رأتنى قالت يا ابن العم هل عندك عفة وصيانات

للنساء العربيات فانني قد قاسيت من السبي والغربة والتشتيت مالا قاساه أحد فبالله عليك أن تستر وجهي ولا تفضحني وأنا أسأل الله السماء ان لا يفضح لك حريم ولا يرميك في يد غريم فارحم من فارقت ديارها وابدلها الدهر العجيب بعد الامان بالخوف والتغريب ورماها الزمان بنوائب الحدثان وأحسن كما أحسن الله اليك لانني من كرام الناس السادات ولكن الدهر له نكبات ما قرب الا وأبعد وما جمع الا وفرق وان كنت للكرم تجيب فان خير الكرم اكرام الغريب وقد قيل في الامثال كما تدين تدان (قال الراوي) فما فرغت سلمى من كلامها حتى جرت من الرجال العبرات وحصرت عقول الرجال بهذا الكلام الفخيم الذي كأنه الدر النظيم فقال لها عباد ابشري يا حرة بالستر والحمى وكشف المضرة والعنا لانك وحق من له الاسماء العظام من أولاد السادات الكرام والله لاجعلنك بين أهلي وتكوني من بعض بنات الاعمام وتعيشي في جواري والذمام وأنت حرة من بعض أحراري مادمت سالما من الآفات وحق رب الارض والسموات فما اسمك يا بنت الكرام فقالت له أنا سلمى بنت واصل بن سرور البطل المشهور من بني شمخ بن عثمان المزني من مدينة قريش فقال لها كيف قدر هؤلاء عليكم وأنتم سادات شجعان فقالت له يا مولاي أتوا الينا بغتة ونحن في وليمة أصحابنا مع قومنا وساداتنا فرحين سكارى فما أصبحنا الا والسيف يلعب في ساداتنا وصرنا لكل قوم عبرة فصار ما صار وهلك الصديق والجار (قال الاصمعي) فعند ذلك أخذ عباد سلمى وعاد الى قومه وبني عمه فلما دخل على زوجته ورأت سلمى بصحبته غارت منها فلما علم عباد منها ذلك قال لها يا أم ضياخذي اليك هذه الجارية الغريبة الطريدة المسبية فاكرمي مثواها وبردي غليلها وجواها فانها لي من بعض الاخوات وحق رافع السموات وهي في ذمامي فهما أكرمتيها بشيء فهو من اكرامي ففرحت زوجته لما سمعت منه هذا الكلام وقالت لها ابشري يا ابنة السادة الكرام بجوارنا والذمام فقري عينا فما يصيبك شيء فهدأ روع سلمى وقد كانت حاملة من أسيد فمكثت الى أن تكامل حملها فأتاها المخاض والطلق باذن خالق الخلق فحضر حولها نساء الحي وقالوا هذه غريبة وعن أهلها بعيدة ومنا قريبة فخنهم عليها محسن القلوب وكاشف الكروب ثم انها استغاثت بعلام الغيوب فما استتمت دعاءها حتى وضعت ولدا ذكرا مثل القمر ابلج بطرف أكحل أدعج فقالوا له يا بنت الكرام ما تسمي هذا الغلام فقالت أسميه نازح لانه لقلبي جارح ولعمري انه نازح عن الاوطان والمطارح وقعدت سلمى تربيه في الدلال وكان بنو غسان في كل وقت يتواعدون على حرب بني عبس ويقولون لابد من أخذ الثار لانهم قتلوا بشرا اباعباد فاخفت امرها وقالت هذا الولد عبدكم وانا الكم امة ولما سألوها عن ابي هذا الغلام قالت لهم كان رجلا من بني عمنا ومات لما دهمتنا الاعدا واحتلوا بنا الردا وقد كانت ضيا اكبر من نازح بسنة وهي مثل البدر اذا اشرق او الغصن اذا اثمر واورق فربى نازح مع ضيا في الدار في العز والافتخار الى ان كمل له من العمر ثلاث سنين وكان عباد يحبه محبة زائدة اكثر من ابنته لانه يتيم وقد ذكرنا انه كان في بعض الايام خرج به عباد الى الغدير فرآه ابن عم له يقال له عانق بن عفيف الكهين فقال يا عباد من اين لك هذا الغلام فقص عليه ما تقدم لامه من الكلام فقال الي به حتى اكشف لك امره وما يكون منه لاني أراه ولدا نجيبا فاخذه منه وأعراه من لباسه وقد غسله من الغدير وصبر عليه الى ان جفت اقدامه وأمشاه على الرمل وهز راسه وقال يا عباد احفظ هذا الغلام لعل ان ينالنا منه الخير ويبلغنا من اعدائنا المراد ويقهر الاعداء والحساد وهو الذي يأخذ لنا بالثار ان احياه الملك القهار ثم رجع عباد الى الاحياء وقد زاد في اكرامه وكذلك سلمى وصار لا يأكل ولا يشرب الا معه في الحمى ومازال نازح ينمو ويكبر وينشأ الى أن صار له من العمر عشر سنوات وكان نازح هذا غلاما مليح بقد معتدل رجيح ولسان فصيح فكانت ضيا تحبه محبة

زائدة

زائدة وأقسمت انها ما تريد أحدا سواه ومن كثرة محبتها له كانت تراه عندها أحلى من السكر ولا تناديه الا
بيا ابن العم ان غاب أو حضر الى أن كان فى يوم من بعض الايام وهب له خاله عباد جملة أغنام فكان نازح
يخرج بها مع أمه سلمى الى المرعى وكان خاله عباد أعطاه فرسا يقال لها الهراوة وكانت تلك الفرس
عجوزا عقيما لانها عاشت من العمر تسعين سنة وكانت فرس بشر أبى عباد سيد بنى غسان وكان لما مات
بشر حرم عباد ركوبها وكانت وقعت أسنانها وانقطع نسلها فكان عباد يطحن لها الشعير ويطعمها
ويزيد فى اكرامها ومنعها الا أن تسرح وتعود فقال له نازح يا خالاه أريدك أن تهب لى الهراوة حتى
أبقى أركبها الى المرعى وأعود فقال له خاله يا نازح الهراوة لا يركبها راكب وحق عينيك ولو كان سيف
ابن ذى يزن ما كان لها من الفرسان ولكن هى لك فارفق بها ولا تعنفها فانك يا نازح عندى عزيز ثم
ان نازحا أخذ الهراوة وصار يركبها الى المرعى ويلعب عليها بالقصب الفارسى ويطعن الشجر وكانت
الهراوة جوادا أصيلا فصارت تعلمها الجولان والفروسية وكان فى حى بنى القيان جواد يقال له السكاب
وكان هو أيضا أجود خيول الاعراب وقد كان فى المرعى ذلك اليوم مع عبد من عبيد صاحبه فلما رأى
الهراوة صهل وانجذب على الهراوة فلما رأته الهراوة ضربت بأربعتها حتى قلبت الدنيا بالصهيل فلما رأى
نازح الهراوة قد وقفت وانحلت مفاصلها نزل خوفا على نفسه فركبها الجواد أولا وثانيا واذا بصاحبه قد
أقبل وكان الخبر قد وصل اليه من الخدم فأتى والسيف فى يده مشهر وقال لنازح ويلك يا ولد الزنا أنت
ما رأيت غير جوادى تشده على تلك العجوز العقيم فقال نازح والله يا عم ان جوادك هو الذى طرح شره
علينا فخذ أنت الحصان والهراوة ولا توقع بيننا وبينك خصاما فقام صاحب الحصان وسحب حسامه
وضرب عراقيب الهراوة فقطعها فوقعت الى الارض فشد يده فى حيائها وجرف ما فى بطنها من ماء جواده
ومسح يده فى التراب ودسها فيها ثانيا وثالثا وقال أنا ما أخلى ماء جوادى فى جوفها وبعدها سحب خنجره
وضربها فى قلبها فصارت بنها وأخذ حصانه ورجع فقعد نازح يبكى على الهراوة وكان نازح غلاما ذكى العقل
فأخذ من شوك السعدان وقطب بطن الهراوة بعدما أدخل مصارينها بأربعة عشر شوكة كبارا مثل
المسلات ثم أخذ طينا جبليا وكبسه وكان ذلك الطين من طين اليمن فمسك على جرحها باذن الله تعالى وربط
على أعضائها بحبل كان معه وبات عندها فى البرية الى الصباح واذا بخاله عباد مقبل ومعه من الحى جماعة
وأمه باكية قدام الكل خائفة عليه فرأوه عند الهراوة وقد غرقت فى دمائها فتلقحت أمه عليه وقالت له
والله يا ولدى ما غمت هذه الليلة لاجلك فمن فعل بك هذه الفعال وبفرسك الهراوة فحكى لهم وقال ان الذى
فعل معى هذه الفعال هو عمران بن الجراح من شأن فرسه السكاب وخرق بطنها حتى لا تأتى منه بحصان
نجيب فقال عباد أما يعلم عمران الخسيف العقل ان فرسنا الهراوة عاقر ولكن عمران يكرم لانه من
فرسان القبيلة (قال الراوى) ثم انه عاد بنازح والهراوة وقد تقطعت أعصابها وانعقر بطنها الى أن
أراد الله عز وجل بكرمه فطابت ومكثت سنة فولدت حصانا ما رأى أحد مثله فى ذلك الزمان أصفر مثل
الذهب المصفى محجل الثلاثة مطلوق اليمين سائل الغرة فأمره عباد أن يخفيه ولا يظهره لئلا يعلم به عمران
فيأخذه فكان نازح يسقيه لبن النياق اللقاح فى المساء والصباح حتى كان له من العمر ثلاث سنين فصار
يركبه ويخرج به الى الصيد والقنص ليوم من بعض الايام التقى فيه نازح بعمران ومعه عشرون من
الفرسان وهم سائرون الى الغارة فرأى نازحا وتحته جواده الزعفران فلما رآه عمران صبر الى أن قرب
اليه فقال له نهنيك يا نازح بهذا الجواد الاصيل الذى أمه الهراوة وأبوه السكاب فقال هنيت يا عمران
فان الله تعالى أطعمنى على غيظك فتحقق عمران أن هذا الجواد من الهراوة لانه ما تكلم مع نازح هذا
الكلام الا لتثبته فلما ثبت عنده انه من جواده انقلبت عيناه فى أم راسه وتغيرت حواسه وقال له انزل

لا أم لك ولا أب قبل أن أخرج هذا السنان من ظهرك فقال له نازح لا تفعل يا عم لان المراوة كانت غير ولود والمولى هو الواصل فلا تبغ على فان البغي له مصرع فقال عمران لاصحابه ألا ترون ابن الزنا كيف يكلمني بهذا الكلام ثم انه أطلق عليه عنانه وقوم سنانه فلما رآه نازح حمل عليه وفاجاه فضرب حسامه وضرب به رمح عمران فبراه فجذب عمران حسامه وانطبق عليه انطباق الغمام فكر عليه نازح ولاصقه وأنعبه وأكربه وأبطل عليه ضربته وأمسكه من أزياقه وأرعبه وانقض عليه وأخذه أسيرا وصاح على أصحابه فهربوا من بين يديه رعاية لحاله عباد فرجع نازح الى عمران وقال له يا قرنان كيف رأيت نفسك لابد أن أهدم منك الاركان فقال عمران الصنيعة لك يا نازح وأنا أصير لك من جملة الخدام فاطلقه فلما رأى الرجال اطلاق صاحبهم اجتمعوا عليه وقالوا له أنت أميرنا ومقدمنا ومشيرنا وكنا نحن عازمين على الغزو والمسير فهل لك أن تسير معنا فقال نازح سيروا على بركة الله تعالى (قال الاصمعي) فسار نازح وعمران بعد ما صافاه وحسن منه الوداد وساروا قاصدين الى بني ثعلبة ومازن وتميم لانهم أعداؤهم من قديم الزمان ومازالوا يجدون المسير ثلاثة أيام وفي رابع يوم أشرفوا على مكان وفيه غدير ماء يجري فكمنوا حتى سرحت أموالهم والانعام فعند ذلك طلع منهم خمسة خيالة فقطعوا نحو ألفين ناقة وساقوها في البر الاقفر فلما بعدوا عن الحي مقدار فرسخ واذا بخيل بني ثعلبة قد تلاحقت بهم وفي أوائلهم حاميتهم ميسرة بن السراح فصاح على بني القيان ابشروا بالحمية واتركوا الغنيمة وانجوا بأنفسكم فهو رأس المال فقال نازح أنا لهم فقالوا له اعلم أن فيهم الحية الرقطا والرزية المعطا وهو ميسرة بن السراح البلية المسلطة فقال لهم نازح يا بني عمي أنا له ولامثاله فقالوا له ونحن بجميع بني ثعلبة (قال) وكانوا خمسمائة فارس فأعطوا النوق الى خمسة فوارس ورجع الباقي مع نازح ثم استقبلوا أول الخيل ونازح ماله قصد الا ميسرة ابن السراح فصدمه صدمة جبار عنيد لا يخاف من الموت الشديد ثم انهم أخذوا في صدام ولزام * هذا وميسرة قد اغتاظ من ناح وقد استقله في عينه فوقع بينهم حرب تشيب منه الرضع واختلف بينهم ضربتان وكان السابق نازحا فضرب ميسرة في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره فرأى بنو ثعلبة الى حاميتهم على وجه الارض قتيلا فولوا الادبار وتركوا الاموال وركنوا الى الفرار فساق نازح وعمران النوق والخيل الشاردة والاسلاب وباقي الاموال وساروا يقطعون الارض في طولها والعرض الى أن وصلوا الى وادي الملتمس وغدير جابر فنزلوا هناك للراحة (قال الاصمعي) وكان اتفق بالقضاء والقدر ان الادرم بن حيان فارس بني همدان أخذ معه ألف فارس وسار الى أرض عدنان وغار على بني مدلج وكان فارسهم سراقة الخثعمي الذي لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من قريش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع يا سراقة فلم يرجع فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الارض أن تبتلعه فأخذته الى صدره جواد فقال يا محمد اطلقني وأنا أرد عنك كل من أتى وراءك يطلبك من قريش فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الارض ان تطلقه فاطلقه ثلاث مرات حتى رجع وعاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد عنه كل من أتى من قريش يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول لهم ارجعوا فان هذا المكان ما أتى فيه أحد فيرجعوا وتاخر اسلام سراقة بعد فتح مكة فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الاصمعي) الراوي لهذا الحديث العجيب فلما أتى الادرم الى أحياء بني خثعم ومدلج أشار اليهم وكان في الحي سبعون فارسا ففتك فيهم الادرم وقتل منهم عشر فوارس وهرب الباقي فأخذ المال وعفا عن الحريم والعيال وسار يقطع الارض طولا وعرضا حتى أصبح الصباح ودخلوا وادي الملتمس وغدير جابر واذا بنازح وعمران وهؤلاء العشرين فارسا من بني القيان وكانوا لما رأوا الغبرة ركبوا ظهور الخيل واذا بالادرم بن الجبان قدامهم هو وبنو الهمدان وقد تنافروا مثل العقبان فقال عمران اعلموا يا بني العيان ان هذا هو الادرم بن الجبان وفي هذه الساعة

تذهب

تذهب منا الارواح فقال نازح اسكت ياجبان فسوف أريه قدره بين الشجعان فقال عمران أنت ما تعرفه ياولدى هذا يقال له مثير الحروب فرده أنت عنا ونحن نحمى القبيلة من غيره قال نازح فلما رأيت ذلك قلت لفرسى الزعفران اليوم ولا كل يوم ثم انه قوم السنان وأطلق العنان وقال يا آل بنى القيان فعندها تبسم الادرم وقال لنازح يصلح لمثلك أن يفتخر ويتكلم بهذا الكلام لانى أقول قول من له فراسة ومعقول انك لست من بنى القيان وحق الملك الديان لان فروسيتك تشابه فروسية بنى عدنان ولكن انت معجب بنفسك واليوم اسكنك فى رمسك وانا اعلم ياغلام ان ما فى بنى القيان من له بذلك عادة ومتى يصطاد الرخم عقبان (قال الاصمعى) فلما سمع نازح من الادرم هذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال له ويلك ياأدرم اما تدرى ما تقول من الكلام وتعرف قدرك بين الانام وأنا وحق الملك العلام لابد أن اشك فى نحرك هذا السنان المعتدل القوام وأبرى منك الهام بهذا الحسام الصمصام أتظن ياويلك ان الشجاعة برسمك ام نزلت من السماء على اسمك فان طلبتم الانصاف ففارس لفارس وان لم تطلبوا الانصاف فدونكم والقتال ياأطراف العربان فقال له دونك والميدان ودع الفشار والهذيان فصدم نازح للادرم فرآه مثل الجبل العظيم فأخذ معه فى طراد وجلاد وكر وفر واخذ ورد ومستقرا حتى ضج الفريقان وحارت تلك العربان من هول ذلك الحرب المهول الذى يسلب العقول (قال الراوى) ولم يزالا على ذلك العيار حتى جاء آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال الادرم والله ياغلام ما أنت الا أسد ضرغام امض قد عفوت عنك فى هذا النهار وان عدت سقيتك كأس البوار (قال) وكانت الفرسان التى مع الادرم ما قاتلوا بل وقفوا ينظرون الى قتال نازح مع فارسهم وباتوا يتشاورون فى قتل نازح ويسوقوا الغنيمة التى معه (قال الاصمعى) هذا ما كان من جماعة الادرم وأما نازح وعمران فانهم باتوا فى الوادى وقالوا لنازح كيف أنت مع غريمك يانازح لانه فارس اليمن وغفير صنعاء وعدن فقال نازح والله يابنى الاعمام انه لفارس همام وأسد ضرغام لكن أنا غدا أقتله بعون الرب القديم رب زمزم والحطيم وأفرق بنى همدان فى البرارى والآكام * قال ثم انهم باتوا الى أن أصبح الصباح فركب الفريقان واصطف الجيشان واذا بالادرم قد برز الى الميدان ونادى بافصح لسان ياويلكم يابنى القيان اتركوا الغنيمة من أيديكم ولكم الامان ولا تسمعوا كلام نازح الشيطان فانه جاهل بمكافأة الشجعان ولو شئت لقتلته بالامس وعجلت حلول مصابه ولكن رحمته لاجل شبابه (قال الاصمعى) فلم يتم الادرم جملة كلامه حتى تأهب الامير نازح لصدامه فمنعه عمران عن ذلك الشان وقال له ياناز ح اعلم أنى لك ناصح وترك هذه الغنيمة من أكبر المصالح فتقدم الى الادرم وصالحه ولا تقاتله ولا تكالحه فربما يظفر بك ويقتلك فصاح عليه نازح اسكت ياجبان ياذليل يامهان وحق الملك المنان لقد صدق الادرم المفضال فيما قاله من المقال ومتى كان فى بنى القيان فارس يعتد مع الفرسان فخذ لك أنت وبنى عمك منه الامان فاستحى عند ذلك عمران وقد عمل معه كلام نازح مثل ما يعمل السيف والسنان فقال له ياأمير نازح ان هذا عيب وتبائح وها نحن بين يديك ورؤسنا من تحت قدميك ولا نبخل بارواحنا عليك ثم انه برز الى الميدان ومحل الجولان وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

سوف أودى بنى القيان بضرب * قاطع للرؤس فى الميدان
كى يقروا ويعلموا أن عزمى * وطعانى مجندل الشجعان
سوف تدرى ياأدرم القوم بطشى * حين تبقى رهين ذى القيعان
حين تلقى بهذه الارض طعما * لوحوش الفلا بهذا المكان
وبعزمى أرد ما قد نهبتم * من أياديكم وبنى همدان

كى تقرواوتشهدوالى جيعا * انى فاس فـــــر بدزمانى

(قال الراوى) فلما سمع ذلك الادرم نسر الحروب وعقابها ومضرم نارالحرب تحت قتامها تبسم وزادبه الانبساط وقال له يانازح يحق لمثلك أن تقول هذا المقال وتفعل هذه الفعال وأنا أقول وحق الملك الديان بفراسة أهل العقول والعرفان انك لست من آل بنى القيان لان فروسيتك تشبه بنى عدنان ولكن أنت معجب بنفسك وفى هذا اليوم أسكنك فى مسك وأنا أعلم ياغلام أن بنى القيان قد طابت نفوسهم بفوت الغنيمة وقد رضوامنى بالسلامة والهزيمة ولكن أنت الذى ثبتهم ولحربى أوقعتهم وهم لا يغنون عن أنفسهم شيأ فكيف يغنواعنك يانازح أويشيع لهم ذكر عن كل غادو رائح وهم يرتضون بالذل والفضائح فبحق مالك الممالك هذا القول منى صادق وليس الامر بخلاف ذلك فقال نازح ياأخى كلامك صحيح ورأيك مليح ولكن ماالذى تريد أيها البطل الصنديد فقال له يانازح خذ هذه الغنيمة وحدك فقد صارت ملك يدك ولاتعط منها شيأ لبنى القيان وامض سالما الى الاوطان فقد وهبتك نفسك دون أبناء جنسك فقال نازح أمسك عليك لسانك ولا تكثر هذيانك لان الشرف فى قبضة يدى وأنا محتوى عليه بشدة ساعدى وزندى ولايمكن أن انسانا يهب شيأ لايملكه وان وقع له مال فعار عليه أن يتركه ولكن أيها الامير ان أنت خليتنى أسير وتركتنى ذليلا حقير وشديتنى بالحبال فخذ أنت المال والجمال وأنا لا أرضى بهذا المقال ولا يكون بيننا انفصال الا بحرب وقتال تتعوذ منه الابطال وتشيب له رؤس الاطفال (قال الراوى) فعند ذلك حمل الادرم حملة الفيل الادغم والليث اذا هجم ولنازح قد صدم وكانت صدمته صدمة جبار لايصطلى له بنار فعندها تلقاه نازح مثل الاسد العرين وتطاعن الاثنان حتى تقصف الرمحان وتضاربوا بالسيفين الى أن كلت منهما سواعد الزندين الا أن نازحا كان مجول وبطلا مهول يفوق على الاقران فى حومة الميدان كأنه الاسد الغضبان (قال الاصمعى) فعند ذلك هاجم الادرم وزاوغه وضربه بالسيف صفحا فقلبه وعن جواده كركبه فانقض عليه فارس من بنى القيان وأوثق شداده وهو غائب عن رشاده ثم ان نازحا رأى الخيل وهى تموج فى الميدان وتنادى ياآل همدان نحن أسود الوغا نهار الطعان حملوا على نازح وأطلقوا العنان وهم ألف فارس من الشجعان فاستقبلهم نازح بالسنان وجود الضرب فيهم والطعان وصاح ويلك ياعمران دونك وهؤلاء الفرسان فحمل بالخمسة عشر فارس وأعانوه على تلك الحوادث وكانت خيل بنى همدان تزيد عن ألف عنان فصاروا يطعنون فى نحورهم حتى حاروا فى أمورهم ومازالوا على ذلك الغبار الى أن تنصف النهار فقتل من بنى القيان خمس فوارس أعيان وجرح مثلهم فى الميدان فولى الباقون وهم من فعل نازح متحيرون وأما الامير نازح البطل المكافح فانه صبر على الضرب والويل الى أن دخل عليه الليل فعاد من بينهم راجع وقد جرح فى أربعة مواضع وكان قد قتل من بنى همدان خمسين فارسا أعيان وجرح مائة وعشرين بالسنان ورجع نازح آخر النهار وهو مثل الاسد الهدار وقد جمد الدم على ذراعيه فلما أن رآه عمران قام اليه وقبله بين عينيه وقال له لله درك يافارس الزمان ويابطل العصر والاوان ثم ان عمران غسل عن نازح الدم وقدم له من الزاد ماعمك به رمق الفؤاد ثم انه بعدما أكل من الطعام جلس فى بعض الخيام وأحضر الادرم بن الجبان سيد بنى همدان وقال له كيف ترى حالك ياأدرم فقال أسد ضيغم ولابد للاسد ان تصيد وأن تصاد فافعل ماشئت أيها البطل الجواد فان قتلتنى وأهرقت دمى على الصعيد فياطالما قتلنا منكم من أحرار ومن عبيد وان طلبت الفداء فعلنا كما تريد واطلب ماشئت من الاموال والنوق والجمال وان تصفح وتمن علينا بالخلاص فانت المحمود المشكور واعلم ان هذا المقال ماهو خوفا من الممات وحق رافع

السموات

السموات ولكن أنت تعلم بأن سراقة بن خثعم قد نهب ماله وقتل رجاله وكأنك غداة غد به قد طبق البيداء بغباره فانه لابد أن يطلع علينا ويأتي بجيشه الينا وأخاف أن يسطو على بني همدان فيفنيهم بالحرب والطعان فقال نازح يا أدرم وهل فيك موضع للصنيعه فقال اى وحق من خضع له كل شئ انني أكافئ على الصنيعه وحوزتي منيعه وخيري بادي وقد سال كرمي من الابادي فقال عمران والله يا نازح انه السيد المطاع والقرن المناع (قال الراوي) فعند ذلك استحلفه نازح على الوفا والصدق والصفا وانه لا يخون ذمامه اذا هو عنه عفا وكل من خان برميه الملك الديان فحلفه بأعظم الايمان وقام اليه نازح وتناوله بالاحضان من بعد ما أطلقه من الوثاق وحلف له بالملك الخلاق ثم انه أنعم عليه بجواده وردله عدة جلاده وأرسله الى بني همدان فسار الادرم غير قليل حتى عاد الى قومه وأخذهم وعاد بهم من يومه وأخبر نازحا أنهم كانوا يريدون أن يكبسوا عليهم في الليل * هذا وقد تقدمت أجاويد بني همدان وتشكر والنازح بكل ثناء واسان وباتوا في أكل وشرب وزال عنهم الهم والعنا والبؤس والضنا (قال المؤلف) وكان الادرم قد أرسل لقومه من غير عاقه وأتى من عندهم بألف ناقه فقال له بالله عليك يا أمير نازح أنت من اى العرب والى اى القبائل تنسب فقال لا ادري غير ان عباد بن بشر القياني دعوه بخالي وابن عمي لانه اخو أمي فقال والله انك لفارس كريم ولكن يا نازح بحق هذا الزاد وجميع الفتيان الاجواد انك تقبل مني هذه الالف ناقة يا ابن الكرام ولا تردني خائبا بين هؤلاء الاقوام ولا تترك على عتبا ولا ملام ثم انه اراد ان يقبل يده فانجذب منه وقال والله لولا ان مقامك عظيم وخاطرك جسيم ما قبلت منها عقالا ثم انهم باتوا باحسن مبيت الى الصباح فقال الادرم يا نازح نحن مطلوبون للحرب وقريبون من حلة بني مدلج وأنا قلبي يحدثني بانهم يأتوا خلفي فقال نازح هدئ روعك وسر على بركة الله تعالى وانا أسير معك الى وادي العرفج ومياه غياغب ومن هناك أسير من اليمين وأنت تسير من الشمال فقال الادرم نعم الراي أيها البطل المفضال لكن أكثر خوفي من وادي العرفج ومياه غياغب (قال المصنف) لهذا الكلام فسار وا ذلك اليوم حتى نزلوا على ركاباشا كر فطلب عمران الاذن في الرواح قبلهم ليبشر أهل الحي بسلامتهم فقال له نازح سر يا عم ولا تخلي خالي عباد يتعب ويطلع ليلاقينا ثم انه سار بمن ودع أهل الحي في السحر وحملوا النوق والجمال وساقوها وقطعوا البر الاقفر وقد ساروا الى قرب الغدير واذا هم ببريق زرد ولمعان خود ثم عارضتهم تلك الخيل وهي تنادي الى أين تأخذون يا كلاب همدان اثبتوا فقد أتتكم فرسان بني مدلج بن بكر الشجعان وسراقة امامهم على جواده الجارود كأنه أسد من الاسود (قال الراوي) فلما ان رآهم الادرم تغيرت ألوانه وظهرت أحزانه فقال له نازح هدئ روعك وهل هم سوى خمسة آلاف من الفرسان لا قدر لهم ولا شان ثم انه حمل على بني مدلج كأنه السرحان وكان الادرم قال لنازح اكفني مؤنة هذا الشيطان وانا أكفيك شر ما حوله من الاقران وقد كان سراقة أسر الادرم مرة وقتل أخاه وابن عمه في كره ومكث في بني مدلج ستة أشهر وهو يطحن لهم الشعير حتى أنه فدى نفسه ومضى من هذا العذاب النكير وأقام بعد ذلك يطلب من سراقة أخذ ثاره ودفع ما يخجل به من عاره * قال فلما ان صدمه نازح وهو ينادي بنسب بني القيان ضحك عند ذلك سراقة من أجل ذلك الشان ثم انه قال ومتى كان في بني القيان فارس من الفرسان أو شجاع يعد من الشجعان وما كان خامتهم سوى عباد وعمران ولعمري متى يصيد الرخم عقبان ومتى تقاتل سباع الغاب أقل الكلاب ومتى كان لبني القيان ذكر مذكور او خبر مشهور بين الشجعان أسكت يا ويلك عن هذا الخبر ولا تفتخر بما لا يفتخر به ولا تعدهم مثل ما يكون من الخلق والبشر وهات ما عندك من الحرب واستعد للطعن والضرب (قال الراوي) فعند ذلك انطبق الفارسان على

بعضهما البعض وقد أخذوا فى جولانهما طولا وعرض ثم انهم تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وتضاربوا بالسيوف حتى تثلمت الا أن سراقة قد تأمل فى حرب نازح فرآه فارسا متين وهو كالاسد العرين فتحايد عنه فى عاجل الحال وتجنبه فى المجال ومازال معه فى النزال الى أن حول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وجن عليهم الظلام وقد رجعت الطائفتان عن الحرب والصدام وباتوا يتحارسون الى الصباح وكان الادرم قد سأل نازحا عن سراقة فقال والله انه فارس جبار وبطل مغوار ولكن فى غداة غد يكون الانفصال اما ان يقتلنى ويتركنى طريحا فى الرمال واما ان أقتله وأستريح من الغيل والقال فقال له عمران بل أنت تقتله ان شاء الملك الديان أو تأسره فى حومة الميدان هذا ما كان من هؤلاء من الامر والشان (وأما ما كان) من سراقة فانه عند ما سأله بنو اعمه عن فارس بنى القيان وما جرى له معه فى الطعان قال والله يا بنى عمى ما هو الا فارس كريم وبطل عظيم وما هو من بنى القيان وليس فيهم انسان يشبه له فى الطعان ولا من يثبت معه فى حومة الميدان الا أن تكون أمه قد التقطته من بنى عبس وعدنان لانه يا بنى الاعمام له حملات ما هى قحطانيه وما هى الاضربات عدنانيه وحق خالق البريه وانى أشهدكم على يا بنى الاعمام انى ما عفوت عنه فى هذا النهار الا من الفضيحة والعار وغداة غد أقتله بالصارم البتار ولو يكون فارس الاقطار (قال الناقل) لهذا الاخبار بعد الصلاة والسلام على سيد الابرار قال نجد ومازلوا على ذلك الرواح الى أن اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح واذا بالامير نازح الجحاح قد خرج يريد الحرب والكفاح فلما ان توسط الميدان واشتهر بين الفرسان نادى بأفصح لسان يا بنى مدلج الكرام ابرزوا الى محل الصدام لانكم والله فرسان واقران وأنا أريد منكم الحرب والطعان (قال المؤلف) لهذا الديوان فلما استتم كلامه الا وسراقة قدامه وقد أخذ معه فى الجولان والصدام والكر والاقدام وأخذوا فى طعن يقد شوامخ الجبال والجلاميد وقد ثبتوا ثبات الفرسان الصناديد ومازالوا فى عراك الى أن وقفت الشمس فى قبة الافلاك فوقفت الفرسان فى وسط الميدان * هذا وسراقة سأل نازحا ان يتمهل عليه لحظة فامهله نازح فنادى سراقة يا أدرم أنت أضرمت النار فلاى شئ تتكل على غيرك يصطليها يا أذل العرب قد عوّلت على صبيان بنى القيان أن يأخذوا لك بالثار ويكشفوا عنك العار هيهات هيهات ستندم على ما فات لانى ألبستك ثوبا من العار لا تقدر أن تقلعه الا وتزندك وساعد جدك ابرز الى الميدان ودع مدلج وهمدان وأنا أشرط على نفسى شرطا واحدا وفيه الصنيعة اعلم ان المال الذى أخذته وغرت عليه مالى وهى ستة آلاف وثلثمائة ناقه غير الخيل والبغال فابرز الى الميدان ومقام الطعان فان أنت قتلتنى مضى بنو عمى ولا يطالبوك بثارى فى هذه النوبة بل يدعوه الى مرة أخرى وعضوا أنتم بغنائمكم سالمين واذا أنا قتلتك أخذت المال وأطلقت بنى عمك بلا غنيمة سالمين فلما سمع الادرم هذا الكلام أخذته النفس الابيه والخلة الدنيه وحمل على سراقة بعدان قال لنازح يا ولدى تنح أنت عنه وعن قتاله هذا قاتل أخى وابن عمى وأنا أحق بقتاله * قال فأخذ معه فى الحرب أخذا أكيد وتطاعنا طعنا شديد فتقاتلا طول النهار الى الليل فهجم الادرم على سراقة هجمة الاسد الغضبان وأمسكه من جلابيب درعه وأراد ان يبطش به ويقتله ويأخذ منه ثاره فلما رأى سراقة هذا الامر لزم غريمه وتجاذبا على ظهر الخيل حتى قتل تحتهما الفرسان وبعدها هجم الادرم على سراقه وضربه فقطع الدرع والدرقه ونزل السيف فى كتفه وكذلك الادرم ضرب سراقة على هامه فنزل السيف حتى قطع الرفادة وشق دماغه فوقعوا بعدان صاحوا صيحتين فحملت الفريقان على بعضهما لما سمعوا صياحهما وكان السابق اليهما نازح فلا زال يضرب بالسيف حتى خلص الادرم وأخذ سراقة بعدان قاتل الى الليل فرجعت بنو مدلج وتالوا فى انفسهم أما سراقة فقد قتل ونحن غدا نطالب الاقاله من

هذا

هذا الفارس الذى هو من بنى القيان لانه ليس له عندنا ثار يأخذه فان رضى والا فالبغى يصرعه (قال) هذا ما كان من بنى مدلج وتدبيرهم وأما ما كان من نازح فانه أحضر الاثنين عنده وشد جراحهما بعد ان ربطهما فأفاقوا الاثنان بعد ان سقاهما الشراب المنعش فقال سراقة أين أنا فقال له نازح ليهدأ روعك ياسراقة ما أنت عزيز الا عند من يعرف قدرك ولا يهمل امرك وانى قد أطعمتك طعامى وأسقيتك مدامى ثم انه أرسل خلف عشرة من مشايخ بنى مدلج وقال لهم اعلموا يا بنى الاعمام أنه قد انفصل بين سراقة والادرم الكلام على أنكم ترحلون بسلام لاننا لا نركب مطية البغى فتردينا وتشمت الاعداء فينا وهذا سيدكم عندى مكرم معزوز معظم الى أن تطيب جراحه ويتم صلاحه ويثور للسلام اليكم فقالوا له حبا وكرامة ثم تركوا مع سراقة ثلاثين فارسا أعيان أبطال الشجعان وسار الباقى فى ظلام الليل (قال) فلما سار بنو مدلج الى أحيائهم سار نازح ومعه سراقة والادرم ومعه فرسان همدان الى أن بقى بينه وبين الديار يومان واذا بعمران ملاقى نازح وهو راجع بركض بجواده مثل المجنون ويقول النفير النفير الحق يا نازح بنى القيان قبل ان تهلكهم الفرسان ويتبدل عزهم بهوان فانهم قد ابتلوا بما لا يطاق وقد ضيقوا عليهم الخناق والذى أحوجهم لغزونا جذيمة بن فاتك الاسدى وبنو نعامة لانه كان قد خطب ضبا فردته خالد وقال له انى قد أعطيت ضبا لنازح ابن أختى فرجع عليه جذيمة بنى نعامة وبعض قبائل العرب وحلفائه واتى الينا فى سبعة آلاف خيال ونحن عسكرنا الفان وخمسمائة خيال وله اليوم ثلاثة ايام وهو يقاتل بنى القيان وقد ألجأهم الى جبل ساهم فى شدة وضيق فالبدار البدار قبل أن يفنيهم جذيمة ابن فاتك (قال الراوى) فلما سمع نازح ذلك الكلام انقلب الضياء فى عينه ظلام وقال من هم هؤلاء اللئام سيعلمون من هو النادم ومن يرجع خاسرا وهو كاظم وانا اقسم بمن يقول للشئ كن فيكون لابدان اذيقه كأس المنون ثم انه جد فى المسير وقد اطلق الادرم وسراقة ولهت احوالهم وقد اصلح بينهما نازح وعمران وجعلوهما اخوان ثم ساروا وفى قلب نازح من جذيمة نار لا تطفا ولهيب لا يخفى وفى ثانى يوم وقت الصباح أشرف نازح على ارض بنى القيان فوجد الحرب بينهم عمال وقد اشتعل وقوده أى اشتغال (قال) فسأل عن ذلك وكان السبب فى ذلك ان جذيمة لما أتى الى عباد ورجع وهو غضبان اجتمع باهله وشكا لهم ذله وانكسار نفسه فقالوا له ومن هو عباد الحدادين الحداد وكانت بنو القيان فى الجاهلية يصنعون السيوف والزرد واللبوس وآباؤهم من قبلهم كانت هذه صنعتهم ومعنى القيان يعنى الحدادين فلذلك سموا بنى القيان وكان لما أن ظهر نازح صار حامية الاخوان وكان عباد فى القبيلة وهو آمن من الويل فما شعر الا وقد دهمته الخيل وهم ينادون باحسابهم ودارت بنى القيان سبعة آلاف عنان من كل جانب ومكان ثم أرسلوا الى عباد رسولا يقول لهم اعلموا يا بنى القيان ان صاحب هذه الخيل جذيمة بن فاتك أمير بنى نعامة وجليلها وقد أتوكم بالعارس والراجل فانكم قد رددتم جذيمة بن فاتك الرد الذى لا يصلح لمثله ان يرد به وذلك قولك الصريح لو كان عندى ألف كلية ما أعطيته منهم شعرة فانت جعلته كلبا وهو سيد بنى نعامة صاحب النسب الصحيح فاغتاظ لذلك واستجار ببنى عمه واستغاث بنا لنكشف همه وغمه فأجبناه وأغثناه وأنت يا عباد قد أسأت الادب مع سادات العرب وأهل المنازل والرتب فان أتيت حافى الاقدام مقرا بهذا الخطأ والاجرام ومع هذا تهديه بنتك بلا مهر فانك تنجو من الذل والقهر لانه حلف أن يأخذ ما سبيه فقلنا له لا تفعل فاذا وصل رسولنا اليك يا ذا الهمة العليه فافعل ما أمرناك (قال الراوى) فلما وصل هذا الكتاب مع الرسول الى عباد بهذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال يا كلاب أنتم لكم قدر بين الانام حتى تقولون لمثلى هذا الكلام قوموا عليهم بالحرب والطعان وهل هى الا مرتة واحدة أكون قاتلا أو مقتول وينفرج ذلك ويزول فان قتلت

خذوا ابنتي ومالي وعقاري ثم انه قام في بني عمه خطيبا وقال الحمد لله على كل حال اعلموا يا بني الاعمام ان المنازل لا تنال الا بالصبر على الاهوال والشدائد والنزال والعمر لا يزيد ولا ينقص والرزق مقسوم لا يزيد ولا يقل فقاموا يا بني عمي عن الحريم والاموال ولا تخافوا يا بني عمي من هؤلاء الاذلال فانهم بغاة والباغي له مصرع والله تعالى يرميهم ويردهم خائبين المرجع (قال الراوي) فلما سمع ذلك بنو القيان قاموا الى الخيل فشدوها والى الدروع فلبسوها وكان لهم جيران يقال لهم بنو ذهيب نحو خمسمائة فارس فصاروا ثلاثة آلاف خيال والاعداء في سبعة آلاف خيال ورجع الرسول الى جذيمة بما قال له عباد وجماعته وقال له انهم ما عندهم أخس منك ولا ممن معك فلما سمع هذا الكلام قال غداة غد يكون الحرب ونزلوا على المياه والقدران ثم انهم ملؤا ذلك البر والصحصحان وكان بجوار بني القيان جبل يقال ساهم وهو جبل منيع وحوله شعاب وصخور وهضاب فأوقدوا تلك الليلة النيران وحملوا كل شيء لهم وخلوا البيوت خالية من العيال والنسوان وسار وا نحو جبل ساهم فاحست بهم بعض الاعداء من رغاء الجمال وقت تحميل الاموال فركبوا خيلهم واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف ليباشروا الحتوف فلما حل بنو القيان وعباد النوق والجمال سيروها قدامهم ووقف عباد وسادات قومه في ناحية الاعداء واذا بالخيل قد أقبلت وعليها فرسان بني نعامة وبني مراد وجميع العرب الذين جمعهم جذيمة قد أثاروا كضاء فاصطدم الفريقان واختلطت الطائفتان وحان الحين وزعق غراب البين ولا زال الحرب يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل الى أن طلع النهار ونزل جذيمة وفتك في بني القيان وجرح السادات والفرسان مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع بينما هم في شدة الحرب واذا بعمران أقبل وعلم بالبشارة فقاموا يكون في وجهه وينعون اليه من قتل من بني القيان فحسبوهم فوجدوهم ثلاثمائة خيال ومن بني ذهيب ثمانين فارسا وقالوا له ان أكثر فرساننا الذين عليهم المعتمد وجدوا مجروحين فبادر يا عمران قبل حلول الحين فرجع عمران وهو طائر العقل فلما رآه نازح وهو صائح قال له ما بالك أنت أتخنت حتى تصيح وأنت فارقتنا على انك طالب الحمى والاوطان فما اعادك وانت في هذا الهوان (قال) فأخبره عمران بما وقع من جذيمة وما فعل وما جمع من القبائل وانه قائم الحرب بالليل والنهار فلما علم نازح ذلك عض على يده وقال سوف أرى جذيمة ما فعل وأجازيه فسار وهو يقول صلوا على طه الرسول

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ✻ تنوعت الاسباب والموت واحد

ثم جدوا في السير الى أن وصلوا الى الديار فوجدوا الاعداء قد ملكوها وكان نازح أرسل عمران وقال له اكشف لنا خبر أهلنا فسار وعاد وأخبر ان الاعداء قد ملكوا المضارب وأنهم في الجبل (قال الاصمعي) فلما دخل نازح ومن معه ورآه أهله فرحوا به وقويت قلوبهم على الحرب وكان نازح قد سبق النوق والجمال وعمران سبقهم الى الجبل وأدخلهم الشعب واجتمع مع عباد فقال له عباد أين نازح فقال له خلفناه في الجبل بحسب حساب الاعداء وقال اذا سبقت أنت بهؤلاء المجروحين فخليهم في الجبل ونبقى نحن جرائد وقد بلغنا الامل اذا جاءتنا الخيل وان ابتليتنا بالجمال رجعنا اليهم في الحال فلما سمع عباد ذلك المقال ركب وسار بمن معه وبقبائل نازح وكان عمران قد قطع من النوق والجمال شيأ يسيرا وقصر بهم خوفا أن أحدا يلتقيه فيلهيه وكان مع الاعداء مائة فارس ركبوا خيلهم وتصدوا الشعب وكان مقدمهم أخو جذيمة يقال له جهزم النعام وكان قد سبق النوق والرجال المجروحين فصاح فرسان بني القيان بفرسان بني نعامة وكانوا بالامر المقدر سهرانين تلك الليلة واذا بالنوق الذي قصدها عمران الجبل حتى قرب من الاعداء وكان قد رآها الاعداء فقال واحد منهم ما تقولون في هذا الذي هو مقبل علينا فقالوا له ويلك يا حبش فما تقول أنت يا ابن خير بلد فقال أقول ان جيشا مقبل من هذه

الناحية

الناحية فان كانت هى الخيل فالفرار وان كانت غنيمة مع فارسهم نازح نخذوها ثم انهم صبروا الى أن وصلت اليهم وصرخوا فأجابهم الفرسان من جميع الجهات والتقت الفرسان بالفرسان وصاحوا على الخيل التى مع الغنيمة فأجابهم عمران يقول يا بنى القيان أصحاب الضرب والطعان وكان اخو جذيمة قد قاطع من الجانب الآخر فاجتمع بحمر وحبش بن الصمصامة وحملوا على تلك العشرة فوارس الذين هم من بنى القيان فكان نازح قريبا كما ذكرنا من هذا المكان يحرس الظعن والنوق والجمال والانعام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع نازح البطل الجحجاح ذلك الصياح أدركهم فى الوقت والساعة وحمل وأدرك العسكرين فى تلك الساعة وقد قوى الامر وزاد الشر وزاغت مقل العينين وارتفع العياط بين الفريقين وقد ابلوا بنى نعامة بما لا يطاق فقال لهم عمار بن مسعود اتحسوا هذه الجمال باعقاب الرماح واطلقوها على بنى القيان وهى تدوسهم تحت ارجلها وتهلكهم فقالوا هذا هو الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم لزغوا النوق والجمال كما أمرهم عمار فردت النوق على بنى ذهيب وهمدان ونازح وبنى القيان فلما أن رأى نازح ذلك قال يا بنى الاعمام اقلبوا عنان الخيل والحقونى الى رأس الجبل لعلكم تنجون فقالوا لماذا فقال لهم الحقونى ولا تراجعونى ثم انه لوى عنانه فعندها لوت همدان وذهيب وبنو القيان كلهم اعنتهم الى أن ساروا فى فم الوادى ونزل نازح عن جواده وقال لهم يا بنى الاعمام افعلوا كفعلى وانزلوا عن تلك الخيل واتركوها مع الجمال وتعلقوا أنتم فى الشعاب فعند ذلك نزل الجميع وقد نزل كل واحد عن جواده وصار وا فى الصحراء وتعلقوا فى الشعاب وقد اطلقوا الخيل فداستها الجمال وقد كان بعض الخيل أصيلا عتيقا معودا بالسلوك بين الصخور فهرب وهو مثل الارقم فنجا ووصل الى جبل ساهم كأنه النسر القشعم وقد عبرت الجمال كلها الى الشعاب ولم يضع منها عقال وقد دخل الفرسان فى أثر الجمال فرأوا هناك الرجال ملقين على الرمال وكانوا سبعين فارسا وهم مطروحون وفى دمائهم مزملون ففرحوا بذلك ثم انهم رجعوا الى أماكنهم وقد أقاموا ذلك النهار للراحة وقد استراح نازح وفرح بسلامته وسلامة أصحابه الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد ﴿قال الراوى﴾ ثم بعد هذا أتى نازح الى جواده الزعفران وركبه وكان ذلك الجواد تربى مع الخيل الجياد فركبه ومضى عليه الى عند أمه وسلم عليها وسألها عن بنت خاله عباد فقالت له يا نازح ما كانت سفرتك عليها الا كل يوم منها مقوم بسنة وكانت تسأل عنك فى النهار ثلاث مرات وكانت تأخذها الحما وتسخن فى غيبتك وكانت كل ليلة تبكى الى الصباح وتبدى الانين والنواح وتقول يا هل ترى الزمان يسمح لى وأرى نازح ماشيا امام خيامى وغادى وهو حول خبائى ظاهر وبادى ومن يوم أقبل جذيمة وسمعت انه يطلبها قالت لى يا خالة الى اين قد مضى نازح فانه قد ابطأ علينا خبره من دون كل غادى وبادى وهذا جذيمة يريدنى وانا قد أخذت هذه الشفرة التى تحلق اللحى فان أنا اهديت اليه ورأيته دنا منى وضعتها والله فى نحرى أو فى قلبى فاعلمى نازح انى له ذاكرة ولا نعمه شاكرة وحافظة للعهد والوداد الى يوم التناد ﴿قال الراوى﴾ فبينما نازح مع أمه فى الكلام واذا برسول من عند خاله عباد أتى يطلبه فقام على حيله وسار اليه فرأى مشايخ قومه عنده ولما نظر عباد نازح قام له وترحب به وقال له يا ابن أختى أنت تعلم وأهل الحى انى قد اردت أن تبرز غدا الى جذيمة فان قهرته فهى لك وخذها وان قهرك هو فالله يدبر لك الامر كيف يشاء فقال له نازح والله يا خال ما لها الا انا بنفسى وأنا فداء كل من فى الحى ﴿قال الاصمعى﴾ ثم انهم باتوا على ذلك الحال الى أن اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح فقامت الفرسان وركبت الجرد القداح واصطفوا للحرب والكفاح والطعن بالرماح فكان اول من برز الى الميدان ومقام الضرب والطعان ليظهر الكاسب من الخسران هو نازح رئيس الشجعان ونادى يا جذيمة تقدم الى الميدان

ان كنت من الفرسان الا انني أنا اطلب ضياوأنت أيضا تطلبها فابرز الى الميدان ومقام الضرب والطعان
فكل من قدر منا على خصمه بأسر أوقتل اخذها ويريح العرب من الحرب والقتال والطعن والنزال
ودع الناس فى حالهم فلاى شئ يقتتلون من اجلى ومن اجلك (قال الراوى) وهو نجد بن هشام فلما ان
سمع جذيمة بن فاتك هذا الكلام ضحك واستبشر وقال واحراه على كبدى ثم انه وكل أمر بنى نعامة الى
معقل ابن عمه وقال له وانت خليفتى على بنى نعامة فان رأيتنى قتلت فاحمل أنت عليهم وخذ بثارى
واكشف عنى عارى ثم انه برز وهو على جواد أحمر يساوى عشر بدر ثم انه همز جواده وحماه
بالسوط فخرج من تحته مثل الريح الهبوب أوالماء اذا اندفق من ضيق الانبوب ولما ان قرب الى
نازح قال له ياولد الزنا لست أنت من امثالى ولا تعد من اشكالى ولا أنت فى الحرب من أبطالى ثم
انه أنشد يقول شعرا

اليوم يانازح تبقى مثله * وأنت ملقى فى القيعان مطروح
بطعنة العسال أوضربة * من ابتر فى الحرب ممدوح
غضب يمانى مليح الظلا * يسلب من جثمانك الروح
من كف قرم أروع ماجد * يترك منك الدم مسفوح

(قال الراوى) فلما سمع نازح هذا الكلام قال له انى أنا اليوم يا ابن اللئام اطير منك الهمام ثم اجابه على
عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

بشر جذيم الندل مع قومه * بنار حرب تأكل الروح
وغارة تلقاه من فارس * يردى جزيما وطليه يصير مقروح
ترجو بأن تأخذ ضيا بلا * دلعن يخلى الدم مسفوح
هيهات ياه ذا وعز الالقا * ويبيت منك القلب مشروح
من دون ضيا فارس ضيغم * يترك كبش القوم مطروح
فاقدم جذيمة تلقى نازحا * يطعنك طعنا يسلب الروح

(قال الاصمعى) فما استتم نازح كلامه حتى اطبق عليه جذيم مثل البرق الخاطف أوالريح العاصف
والتطموا واصطدموا وقد أظهروا شدتهم وبأسهم حتى ابهروا النواظر وسلبوا عقل من كان حاضرا الا أن
نازحا لاصقه وضربه بالحسام على هامته فشطره الى نصف قامته فوقع على الارض من ساعته فصاحت
بنو قيان لاشلت يداك ولا كان من يشنأك يافارس الزمان وفريد العصر والاوان ثم انهم حملوا وحملت
بنو نعامة وعقيل ابن عم خزيمة والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وعظم الحرب والنزال ودام
القتال ورأت الفرسان الاهوال والتقى نازح وحجر بن جبلة وهو يحرض الابطال فانقض عليه نازح انقضاض
العقاب واختلف بينهما الطعان والضراب وشابت من هول حربهما المشايخ والشباب وبعد ساعة
من النهار اختلف بينهما طعنتان سابقتان وكان السابق بالطعنة حجر بن جبلة فضرب نازح رمحه فبراه
كما يبرى القلم وهجم عليه وضربه بسيفه فرماه ولما أن وقع انقض عليه رجل من بنى القيان وأوثقه كاف
وقوى منه الساعد والاطراف واذا بجيش بن الصمصام قد حمل على نازح وصاح فيه الى اين يا لقيط يا ابن
الزنا فالتقاه نازح بقلب أقوى من الصخر والبولاد وكان فى جيشه فارس مذكور وبطل مشهور فما زال مع
نازح فى كر وفر الى دخول وقت العصر ولما رأى نازح الى طول المقام معه هجم عليه مثل الأسد وضربه
بالحسام فطير رأسه عن الهام فلما رأى بنو عدى الى سيدهم والخيل تلعب برأسه حملوا وتبعهم بنو بشر
وسيدهم عمار بن مشير الى آخر النهار ونازح مثل الجمل الهدار وقد فرق الفرسان والاقران وفتكت

بنو

القيان وهمدان وطرحوهم على وجه الارض وفرقوهم طولا وعرض فلما رأى عمار بن مشهر ذلك أطلب هو وقومه الفرار وولوا الادبار فلحقهم بنو عمرو وبنو مراد وقد تشتتوا فى كل واد وبنو القيان وبنو دمهت وهمدان يقتلون فيهم ويأسرون الى آخر النهار ورجعوا عنهم ونزلوا فى الخيام ونحروا النوق والاغنام وروّحوا الطعام وروّقوا المدام وباتوا باطيب ليلة الى أن أصبح الصباح فاحضر نازح الادرم وسراقة بن خثعم وأصلح بينهم صلحا ملجا وحلفهم أنهم لا ينقضوا الوداد فحلفوا وتعاهدوا انهم لا يخونوا وانهم فى الخير والشر سواء فأعطى كل واحد منهم ألف ناقة وأعطى بنى همدان قوم الادرم نصف غنيمتهم ثم أحضر حجر بن جبلة وأراد أن يرمى رقبته فشفع فيه السادات وقالوا لاجل ابن عمه قيس بن مشكوح المرادى فقال له نازح يا حجر هل عندك موضع للصنيعة فقال نعم وحق الحنان المنان مكون الاكوان انى أكافئ على الاحسان (قال) فخلفه على الوفاء والصدق فخلف ثم أطلق سبيله وأطلق أكابر قومه فشكروه وودعوه ومدحوه ولما طابت الخواطر وقرت العيون والنواظر التفت نازح الى خاله وقال له يا خال أوفى لى بوعدى من جهة تطيبة القناص ودرة الغواص فقال عباد يا نازح أنت وأهل القبيلة تعلمون ان دماء ناطريه عند بنى عبس وعدنان لانهم قتلوا أخا بشر بن وهب وأخى فاذا أتيتنى بفارس مشهور من بنى خزيمة أو من بنى زياد أو من بنى قراد أو يكونوا اثنين سددت حتى أبى أقضى منهم الدين وازيل العار والشين فبعد ذلك خذها وهذا أشرف لى ولك وأنا أرى منك ان تكتم هذا الحال عن النساء والرجال وان قلت لامك فانها لا تدعك ان تروح لانها تخاف عليك من فرسان عدنان أرباب الحرب والطعان ولعمرى انهم فرسان وسادات وأصحاب حروب وغارات فان كنت عنهم عاجزا فلا تحمل نفسك مالا تطيق فقال له نازح يا مولاى بالتدبير يهون العسير وأنا قصدى أن أجمع خمسين فارسا من بنى القيان يكونون لى اتباعا واعوان فقال له خذ لك ستين فارسا وخذ معك أيضا عمران ابن الجراح (قال الراوى) ثم أحضرهم وأمرهم بالمسير معه الى الغارة فأجابوه بالسمع والطاعة ثم انه ودع أمه فسألته عن سفرته فقال لها الى غارة قريبة فقالت له غارة عدنانية أو قحطانية فقال لها لا أدرى فقالت يا بنى اياك اياك والحذر ثم الحذر ان تغير على الطائفة العدنانية فانهم فرسان الطعان وأنا أخاف من الفارس الاروع والبطل الامجد الذى أذل الفرسان وأباد الشجعان وأهلك الاقران حامية بنى عدنان الطويل النجاد وحية بطن الواد وسافك الدماء المسمى بعنتر بن شداد فقال لها يا أماه زودينى بدعائك فقالت له روح الله يسهل عليك أمرك ويرفع قدرك ثم انه خرج من عند أمه وقد اعتدبعدة حربه وجلاده ثم انه سار وتبعته الرجال وفى أوائلهم عمران بن الجراح (قال الاصمعى) ثم انهم ساروا أول يوم والثانى وفى الثالث نزلوا على غدران الحجاز ومن هناك صاروا يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل مدة سبعة أيام الى أن وصلوا الى بلاد جشم وهوازن ثم انهم عرجوا على سقط اللواء ومنعرج النقا وقطعوا تهامة فى خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرفوا على العلم السعدى فكمنوا فى وادى الظباء ووادى الاراك ثمانية أيام وفى تاسع يوم رأوهم نياما فى الوادى المذكور فقبضوهم وساروا يقطعون الرباوالبطاح مدة سبعة أيام وهم يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فتاهوا عن الضرب وكنوا فى ديار سبأ وحمير القديمة وربوعها فقال بعضهم لبعض نحن نعرج عن اسودهم فقال نازح أسأل الرب العظيم رب زمزم والحطيم ان يجمعنى أنا وأسود بنى عبس * ثم انهم جدوا فى المسير وهم يقولون لعلنا ندرك ثنية العوسج قبل الصباح ثم ساروا الى أن قاربوا الثنية واذا هم قد اعترضهم عشرون فارسا عشرة من اليمين وعشرة من الشمال وفارس بارز عنهم وهو أدهم وجواده أدهم وهو كأنه قطعة من جبل وهو ينادى أين

تذهبون ونحن لكم فى الطلب ياأندال العرب قد أتاكم فارس الجلاد وقانص الاسود يوم الطراد ومفتت القلوب والاكباد الامير عنتر بن شداد (قال الراوى) فعندها أجابه نازح أهلا وسهلا فأنا والله لى زمان طويل أفتش عليك والحمد لله الملك الجليل الذى جمعنا فى هذا المكان بحضرة هؤلاء الشجعان * قال وكان قدوم عنتر فى ذلك اليوم له أمر عجيب وحديث مطرب غريب وذلك أن عنتر والحارث بن زهير لما أتوا القوم وقتلوا الخيتعوس بن عراعر وأتوا الى الحى فرأوه مقلوبا والناس تقول قد فقدت السادات من بنى خزيمة وهم ساداة عبس وعدنان من وادى الاراك فاغتاظ عنتر وقال للحارث اقعد هنا يامولاى ثم أخذ عروة وعشرين فارسا من رجاله وترك الحارث فى فرسان بنى عبس الكرام وسار عنتر وشيبوب قدامهم يقفز قفزات الغزلان الى أن وصلوا الى وادى الاراك وصار شيبوب يقتنص الاسود أول يوم وثانى وثالث ورابع الى أن دخلوا ثنية العوسج فوقف شيبوب وكمن بهم فى الوادى ثم قال له عنتر يا ابن الام قص هذا الاثر وانظر ما يكون وفى أى وقت يأتوننا فسار شيبوب الى ثنية العوسج وقال هيهات هيهات قد انقضت الحاجات وسبقناهم ولو كانوا طيورا ياسادات * ثم انهم باتوا تلك الليلة وفى ذلك اليوم التقى نازح وعنتر وقد زعق فيهم عنتر وقال لهم دعوا سادات بنى عبس وذبيان وانجوا بأمان قبل أن تعودوا الى نقصان ثم انه هم وزهير ولعب برمحه الاسمر وأنشد يقول صلوا على الرسول

ارفق بنفسك يامن انت متعوب * واعلم بأنك يامغرور مطلوب
كيف التخلص من رمح ومن ترس * ومن حسام صقيل الحد منسوب
ملكت ساداتنا والجر خامرهم * حتى علتهم مذلات وتعذيب
أما سمعت باسمى ويلك فى ملا * وان من ذاق طعنى فهو معطوب
أما علمت بانى سوف أطلبهم * ولو دهاهم الى السدين تغريب
ياويح من بات لى فى حيه طلب * يمسى ذليلا ويضحى وهو مكروب
ياعبل كم فارس أرديت منجدلا * فوق الرمال وهو بالدم مخضوب
وكم عجاج غبار خضت غمرته * وقدت فرسانه والكل مغلوب
والسمهرى مع الصمصام يعرفنى * عند النزاع وعقل المرء مسلوب
ويل الى أم نازح حين تعدمه * تبكى عليه بدمع وهو مسكوب
فسوف تعلم من منا يكون غدا * قتيل بنى وهو فى التراب مسحوب
انى أنا عنتر أو ما سمعت به * بطل كمى يرد القرم ملهوب

(قال الراوى) فما استتم عنتر كلامه وما ابدى من نظامه حتى صار نازح امامه وقد انقلبت عيناه فى أم راسه وقد انزعج عقله وحواسه وأخذته النخوة العربية والنفس الابية وصار فى حمية الجاهلية ورقرق رقرقة مثل النار المحرقة أو الصاعقة المبرقة وأجابه على شعره يقول صلوا على الرسول

يا أسود الجلد يامن أصله النوب * ويا كثير الخنا والاصل معيوب
اليوم أرديك طعنا فى الفلا ولا * أبقى عليك وأنت اليوم مغلوب
واسأل لادرمكم عن نازح أفنا * عن طعنه حين أضحى وهو ملهوب
طعنته طعنة فى الحرب بالغة * هوى بها وهو فوق الارض مكروب
تركته لوحوش البر تنهشه * فوق الحصا وهو للعقبان منهوب
كذاك جر أمرناه بهمتنا * كالكلب شد واضحى وهو مسحوب
وسوف أردى بعزمى عنترا وكذا * أجرى دماه فيمسى وهو مسكوب

يبدى أننا وأعضاه مجندلة * فوق الرمال وهو بالدم مخضوب

(قال الاصمعى) فلما فرغ نازح من شعره وسمع عنتر ما قاله من نظمه ونثره زادت به الغموم وقد صار الضياء فى عينه ظلام وقال له يا ابن اللئام دونك والصدام واثبت الى طعن القنا وضرب الحسام ثم انهما اصطدما كأنهما جبلان والتطما كانهما بحران زاخران أو كانهما أسدان ضاريان وقد تعجب منهما كل من رآهم بالعيان * هذا والامير أسيد كلما رأى حرب نازح يتعجب ويزيد به الطرب وينظر الى خفته ورشاقته وحسن حربه وشجاعته وهو مع ذلك صغير السن فاخذته عليه الشفقة والرأفة وصار يتأمل الى هذا الغلام و يقول فى نفسه والله ان هذا الغلام ما يجوز أن يقتل ثم انه نادى بعنتر وقال له بالله عليك يا فارس البدو والحضر ان قدرت على هذا الغلام لا تنزل به العبر ولا تتركه قتيلا معفر وتدعنى عليه أتحسر (قال الاصمعى) الراوى لهذا الكلام ثم ان عنتر البطل الهمام لما سمع هذا النثر من مولاه أسيد زاد به الابتسام وجدع نازح فى الخصام وأخذ معه فى الصدام الى أن جرى منهم العرق وزاد القلق ورأى عنتر من نازح طعنا يقلب الحدق ويشبه البرق اذا برق فاحترز منه على نفسه خوفا ان يسكنه فى رمسه فاقترقا عن العطان وقد وقفا فى الميدان فصار عنتر يعذله باللسان وهو لا يعرف انسان ولم يأخذ كلام عنتر بقبول وأشار اليه ينشد و يقول ونحن وأنتم نصلى على طه الرسول

دع عنك عزلى فلا أصغى الى عزلى * ولا أجيبك فى قول ولا عمل
موت الفتى وسيوف الهند تنهبه * أخير من عيشه فى الذل والخبل
ليس التقدم يوم الحرب يهلكنى * ولا الفرار يجيبنى من الاجل
من كان يكره أن يلقى منيته * فالموت أحلى على قلبى من العسل
قابلتنى الآن يا عبد اللئام ولو * عرفتنى كنت تخشانى من الوجل
لان جنسك عبد أسود كدر * من يصطفى العبد لا يأمن من الزلل
فاليوم أريدك فى البيداء منجدلا * رزقا لوحش الفلا فى السهل والجبل
لانى ذكر فى الحرب ذو ذكر * مقلد ذكرا أهوى الى القلل
انا الذى لسراة الحرب أسرهم * لانى فارس والناس تشهدلى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه وفهم شعره ونظامه ومالفظ به من كلامه أشار برد عليه جوابه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا قاصدا بنى قتالى فى الفلا * وبرومنى عند اشتباك قناها * كم قد أبدت كائبا وموا كبا
وحملت فيها كى تدور رحاها * وبريق سيفى فى العجاجة لامع * يغشى عيون الناظرين ضياها
وسنان رمحى فى الصدور مشرق * ومغرب حتى يشك كلاها * وأنا الذى لو مثلوا لى صورة
للموت يوم الحرب لا أخشاها * أحمى بنى عبس على طول المدا * حتى أموت ولم يمت ذكراها

(قال الاصمعى) ولما قدم عنتر من أرض العراق حكى له أبوه شداد على ما جرى لبنى عبس الاجواد فتبع منهم الآثار فقال له شيوب اتبعنى فى وسيع القفار وأنا يا ابن الام أسبقهم بيومين ولو كان كل منهم يطير بجناحين والحقك بهم فى أقل من طرفة عين ثم أخذ بهم فى عرض البر أول يوم وفى ثانى الايام طلع بهم من جبل وتحدر منه ونزل وفى ثالث يوم أشرف بهم على تلك الثنيه وصار يتأمل فى جوانب البريه فقال له عنتر سير ولا تخشى من نكير فقال له هيهات هيهات سبقناهم ولو كانوا طيور طائرات فما أقاموا غير قليل حتى بان لهم النور وهم على تلك الامور فاشرف عليهم نازح وهجم عليهم وقد أنشد الشعر الذى أنشده وأجابه عنتر وحمل كل واحد منهما على صاحبه وقد ذاق مر طعنه ومضاربه واصطدما كانهما بحران

والتقيا كانهما جبلان * هذا وعنتر كلما رأى رشاقة نازح وملاحة حربه على صغر سنه يتعجب من ذلك * ثم ان أسيد صاح بالله عليك يا أبا الفوارس لا تقتل نازحا ولا تردبه بل ابقه تأسره وتبقيه لان قلبي عليه في احتراق ولم أدر ما السبب في ذلك الاشفاق * هذا وعنتر قد رأى من نازح طعنا مثل الجمر الى أن سال منهما العرق وقد زادبهما القلق وكان الامير نازح معه ثلاث من الحرب التي كانت من قديم الزمان يتعاربون بها في بلاد السودان وكان اذا رشق بها خصمه أو زجها اليه تنفذ من الحديد والزرد الذي عليه لانها تخرج من يده مثل البرق اذا برق أو مثل السهم اذا مرق فاغتصبت منها واحدة من يده وجعل الاثنين تحت فخذه فلما تعب من عنتر وحل به الخوف والضرر زجها اليه فخطفها عنتر من الهواء فاخذ حربة أخرى من الحربتين اللتين تحت فخذه وقد غضب حيث خابت حربته ثم انه زاوغ عنتر وأشار اليه بها وقد هزها الى ان حر رطرفها نحوه وقال خذها في نحرك يا أسود يا حجام و يا راعي الاغنام فجعل عنتر ترسه على صدره ووجهه فلما رآه نازح قد استتر من فوق زجها الى صوب مشعره لشقه فوقعت الحربة في قربوص سرجه وكان من الحديد الصيني اليابس وهو من سروج كسرى فخرقته وكان قد انحرف الى ناحية عن السرج فضربه بالحربة التي كان قد خطفها من الهواء فسبقته حربة نازح فجاءت في السرج ونفذت منه وحصلت تحت فخذ عنتر فجرحته (قال الاصمعي) فلما أحس عنتر بالم الجرح الذي في فخذه اغتاظ وهز تلك الحربة الى أن التقت طرفاها على بعضهما البعض وقد طار منها الشرار ثم أرسلها اليه فخرجت من كفه مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف فوقعت في لبة جواده الزعفران فخرقت من بين فخذيه مثل السهم اذا مرق أو الريح اذا سبق فوقع الجواد الى الارض فاراد نازح ان يثب من على ظهره الى الارض فما أمهله عنتر بل هجم عليه وأخذه أسيرا (قال الراوي) هذا ولما ان رأت بنو القيان ما حل بنازح حملوا الجميع على عنتر لما ان رأوا فارسهم معه أسيرا طمعا في خلاصه من يد قناصه فعند هارمى عنتر نازحا من يده الى وجه الارض فكاد ان يرض عظامه رض واذا بثيوب قد انقض عليه مثل الريح الهبوب وفي عاجل الحال شده كاف وأوثق منه السواعد والاطراف * ثم ان عنترا زعق على من معه من الفرسان وأمرهم بالقتال والضرب والنزال فعندها حملوا وعنتر وضع فيهم الطعن بالرماح والضرب بالصفاح فثار عليهم الغبار الى أن سد البطاح وقل الفلاح وكثر النواح وقد تجندلت الفرسان على البطاح * هذا وقد صار الغبار من فوق رؤسهم مثل الدخان فهرب الجبان وتشتت الاقران وكانوا في ذلك المكان كانهم العقبان فصار هذا يكر وهذا يفر وهذا عير كأنه السبع الغضنفر وكانوا في ذلك البر الاقفر ما يطلع أحد منهم على خبر فما كان للجبان صبر ولا مستقر ولم تكن الاساعة من النهار حتى وقع الفناء في فرسان بني القيان وقد اشتدت عليهم المصائب والاحزان فقتلوا منهم ثلاثين بطلا وأسروا خمسين وانهزم في تلك البرارى عشرون (قال الراوي) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب بعد الصلاة والسلام على صاحب القضيب والبردة والنجيب الذي كل من صلى عليه قطعا لا يخيب وكيف يخيب وهو يصلي على الحبيب * ثم ان عنتر تقدم الى الملك زهير وأطلقه من الشد والوثاق هو ومن كان معه مأسورا من أخوته وأولاده وسائر الرفاق ولما استقر بهم القرار تقدم عنتر الى الملك زهير وقبله بين عينيه فشكره الملك زهير واثنى عليه بكل خير وحكى له على ما حصل لهم من الهم والضير وعن سبب أسرهم وما وقع لهم ونالهم وهم نيام في البر والآكام فقال عنتر يا مولاي يجب على كل انسان أن لا يأمن غدرات الزمان فانه لم يزل غدارا وأنا أشكر ربي الكريم على هذا الخلاص والتيسير من غير حصول ما يوجب التكدير لانه هو الذي سخر لنا الامور والا بقينا معسرة في سائر البرور * ثم ان عنتر بعد ذلك حدث الملك زهير بما جرى له في أرض العراق وكيف سرقت خيولهم في الطريق

وكيف

وكيف انهم رأوا شيبوب والحارث والبنات مع بني زهرة وهم في غاية ما يكون من شدة الاسر بعد ما أيقن كل واحد منهم انه مقبور * هذا والملك زهير يسمع وأجفانه من العبارات تدمع ثم انه قال يا أبا الفوارس هل ولدى الحارث اليوم في الحياة وهو في الحلة سالم فقال عنترله نعم انه في الاحياء ما تم عليه من الشر شئ تخشاه فقال له لله درك يا أبا الفوارس فوالله لقد أزلت عني ما كان اعتراني من الوساوس لانه كان قلبي من ولدى آيس * ثم انه قال له يا أبا الفوارس سر بنا في هذه القفار واطلب بنا الاهل والديار من قبل ان تشيع عنا هذه الاخبار ولكن قبل المسير اضرب رقاب هؤلاء الكلاب واعلم أن قتلهم عندى هو الصواب واقتل هذا الولد ابن الزنا قبلهم وأنزل به الذهاب (قال) فلما ان سمع الحاضرون من الملك زهير هذا الكلام قال له الجميع والله لقد أشرت بالصواب هذا وقد تقدم شيبوب وأخذ نارح وقدمه امام الجالسين وعراه في عاجل الحال من ثيابه فبان له جسم أبيض كأنه البلور ثم ان شيبوب بعد ان عراه كشف رأسه فبان له شعر اجعد اسود فتأمله أسيد بن خزيمة فرأى هذا القد الرشيق وتلك الخلقة العظيمه ورأى في ذراعه معضدية وفيها صفة ضمين وهما من الخرز المجزع منظومان وهما على هيئة الآلهة والاصنام وكانت تلك المعضدية لا يلبسها الا رجل جليل عاقل لبيب * هذا وبنو عبس قد أرادوا أن ينزلوا بنارح التنكيل وتقدموا اليه بكل سيف صقيل فقال لهم أسيد اصبروا يا بني عمي على قليلا حتى انني انظر ما تحقق عندى من بعض ما أرى ثم انه تقدم الى نارح وقد حل المعضدية من على ذراعه وقبلها ساعة وبكى وأن واشتكى ثم انه قال لنارح من أين لك هذه المعضدية ياغلام (قال الراوى) فعندها بكى نارح وقد نزلت دموعه مثل الغمام وقال له اعلم ان هذه قد أعطتها لى أمى واذا اعترانى أمر فبير كنها يزول همى وغمى (قال الراوى) فلما ان سمع أسيد ذلك الكلام نزلت دموعه على خدوده سجام فقل لنارح يا هذا وما يقال لابيك بين الفرسان فقال نارح والله يا مولاى انى لا أدرى من هو أبى ولا أعرف من هم من القبائل عربى ولا ربيت الا غريبا يتيما في غير هذه البلاد وقد انتشيت في نعمة مولاى عباد وان له بنتا يقال لها ضمية وقد هويتها أيام الصبا وبسببها نازلت الابطال وقاسيت الاهوال وصرت كلما أهم أن اطلبها منه يمنعنى الحياء وأقول في نفسى بالامس كنت بتيما بينهم واليوم أطلب بنته فوالله لا فعلت ذلك أبدا ولو انى اشرب كاسات الردى ثم انى لم أزل أتقرب اليه بكل ما يرضيه وصرت ابالغ في خدمته وأكتم في قلبى هوى ابنته وكلما اشتد بى الغرام اشكو الى أمى ما بى من الهيام فكانت اذا سمعت مقالى تبكى على أحوالى فيسمع أبوها بقصتى وقصتها ولما رآنى قد تفرست وقهرت الابطال طلب منى مهرها مثل سادات بنى عبس وعدنان وقد ذكر لى ان عليهم تارمن قديم الزمان وهو من أجل ذلك يتقلى على مقالى النار واذا تذكر أفعالكم تدمع عيناه كالغدران وكان قبل ذلك قصدكم مرارا وهو يعود بالخيبة ولم يحظ بطائل فقال لى ان كنت تريد أن تحظى بالقصد فسر الى أرض الحجاز وأتنى بغرمائى في الاصفاد ولما ان رأت أمى ما عزمت عليه أعطتنى هذه المعضدية وقالت لى يا ولدى اعلم ان هذه تكون لك حماية ان أراد نصرك رب السماء لان فيها اسم محيى العظام وخالق النور والظلام واعلم ان ابالك قد اعطانى اياها وقال لى احفظيها ولا تعطيها لاحد وكان ذلك يوم حملت بك ولا ادرى بعد ذلك ما يكون من مكتوبى ومكتوبك من جميع الاعداء ثم انها قالت لى يا ولدى ان انت ظفرت باعداك وبلغت منالك فاحمد رب زمزم والمقام ومنى وان أنت أخذت أسيرا فمن بركتها تخلص من البؤس والعنا فربطتها في عضدى وقد ظننت أن أنال بها قصدى ثم انى بعد ذلك عرضت المسير على قومى فأجابنى منهم مائة فارس فأوعدتهم بالغنائم وقد سرنا الى وادى البان وقد ظفرنا بكم من غير تعب يا مان

هذا وقد لاح لى قول أمى فى المعانى وقطعنا بكم البرارى الى أن لقينا هذا الفارس الاسود الذى مثله فى هذا الزمان لا يوجد وقد جرى لى معه ما قد جرى وحل لى منه النكبة وها أنتم قد قد متمونى لضرب الرقبة وقد أيقنت من ساعتى بالوفاه وأيست من الحياه (قال الراوى) نجد فلما سمع أسيد من نازح هذا الكلام لاح له من الحق لائح السلام فعند ذلك تقدم اليه وقد ضمه الى حضنه وقبله بين عينيه وقال له أنت ولدى وقطعة من كبدى واعلم ان هذه المعضدية قد أعطيتها الامك ليلة دخولى عليها وها اسمى مكتوب فيها ثم انه التفت الى أخيه زهير وقال له يا أخى ان الزمان قد عاد وعلى جاد وقد رد على ما ذهب واسدى الى ما وهب واعلم أن لى مع أم هذا الغلام قصة وقد كنت أحدثك بقصتها (قال الراوى) فلما سمع الحاضرون كلام أسيد تعجبوا وحل بهم الانذهال وقد بكوا وجرت دموعهم الغوال * هذا وعنتر قد بكى وتعجب ولحقه الفرح والطرب وفى عاجل الحال جاء الى نازح وقبله بين عينيه وقد زال ما فى قلبه من الاحقاد عليه لانه قد رآه فارسا غضنفر وبطلا قسور فقال نازح يا بنى عبس ما أنتم الا معدن الجود والفخر (قال الاصمعى) وبعدها عادوا طالبين الطريق المستقيم والمنهج القديم * هذا ونازح سائر بجانب أبيه أسيد بن جزيمة يتحدثون وأسيد يعطيه صفة أمه وأحكامها وما كان من أمرها ونازح يقول له صدقت وقد صح عندى انك أبى ولا بقى لى صبر عنك ولا عن قومى وعربى غير انى متفكر كيف أقيم عندكم فى بنى عبس وأمى أتركها بحسرتها فى بنى القيان تقاسى من شوقها الى النيران ولا سيما اذا سمع عباداتى من عبس فوالله ما كان يتركها تمشى على الارض وأموت أنا بحسرتها ثم حسرتى على ابنته ضمية لان فى رجلى قيدا ثقيل لا ينفك من محبتها الا بوصل حبل الاجتماع بها وصحبتها فقال له أسيد وكيف يا ولدى أخلى أملك فى يد العدا وأخلى من ضمية فى قلبك غصة أبدا * ثم انهم لم يزالوا سائرين الى أن أمسى المساء فنزلوا وهم فرحون حتى أكلت الخيل عليقها وركبوا وساروا على ما هم عليه حتى وصلوا الى وادى البان فوجدوا فرسان بنى عبس وبنى زياد وهم فى تلك الروابى والمهاد وقد أنت تقتفى الملك زهير واخوته فسار وراءهم حتى يحفلى بفعل الجميل معهم فخاب أمله وحظى بالفعل الجميل غيره الا أنه لما أبصر الملك زهير واخوته حدثهم بما جرى لهم مع نازح وبالقصة التى جرت من أولها الى آخرها (قال الراوى) فلما سمع الربيع ذلك الكلام تقدم بمكره ودهاه الى عنتر وسلم عليه وشكره على فعله وقال له لا كان يوم لا ننتظرك فيه لانك ذخيرة لاصدقائك ومصيبة على أعدائك يا سيفنا القاطع ورمحنا الساطع فلما سمع عنتر مقاله استحى منه وشكره فعاله وقال له هل أنا الا عبدكم بسيفكم أضرب وبعزمكم أغلب ثم انهم ساروا الى المساء حتى أشرفوا على وادى الاراك فباتوا هناك الى أن بدا الصباح فعولوا على الرحيل والرواح فقال أسيد أنا ما أقدر أن أعود معكم الى الاحساء حتى أمضى وأخلص زوجتى سلمى وأبلغ ولدى نازح المنا وبزول عن قلبى العنا واذا لم نفعل معه هذه الفعال والا فما يطيب له عندنا مقام ولا يزداد الا قلقا وهيام (قال الاصمعى) فلما سمع الملك زهير من أخيه هذا الكلام قال له يا أخى كلنا نسير معك الى بلاد اليمن وننزل بكل من فيها المصائب والمحن ولا نعود الا بلوغ المقصود فقال عنتر لا وحق من أخرج الماء من الجلمود وأهلك قوم عاد وثمود لا يسير لهذا الامر الا أنا ولا أحوجكم الى تعب ولا عنا فقال الربيع لله درك يا أبا الفوارس ويا زين المجالس وأنا واخوتى نسير بين يديك ولا نفضل بأرواحنا عليك وكان قول الربيع مكرا ومحال حتى يرمى عنتر روحه على الاهوال فانه كان يتمنى له عثرات الزمان أو مصيبة تصيبه فى بلاد اليمن من الذل والهوان فشكر عنتر مقاله وهو يعرف مكره ومحاله ثم أقسم بمن يعلم عدد النبات أن لا يسير فى هذا الامر غيره هو والامير عروة ومن صحبه من رجاله السادات فقال الملك زهير هذا الامر لا يكون وكيف نترك مثلك يخاطر بنفسه ويرميها فى البلاء والمحن أتريد ان

نهلك

تهلك روحك فى بلاد اليمن بل كلنا نسير معك وعلى ما تلقاه نساعدك والا تخذ معك ألف فارس من بنى عبس الاشاوس فقال عنتر أيها الملك الهمام لا وحق زمزم والمقام لو كنت سائر الأفتح بلاد الشام لاخذت معى ألف فارس تمام وهل هى الا قضاء حاجة ونعود ولكن يا مولاى ما يطيب على قلبى المسير الى هذا المعنى حتى يدخل الحارث على لبنى (قال الراوى) وكان الحارث قد برئ من جراحه وقد بدا علامة صلاحه * هذا ولم يزل بنو عبس سائرين حتى وصلوا الى الديار ونزلوا وقربهم القرار وقد أخذوا فى الولائم والهنا وجدوا فى عرس لبنى وهم فى فرح وسرور وهناء وحبور وذبحوا فى عرس الحارث خمسمائة ناقة وألفين رأس من الغنم * هذا وقد رتع فى العرس الخاص والعام سبعة أيام تمام وزفوا لبنى عليه ودخل بها وطاب وقته بقربها وأقاموا بعد العرس سبعة أيام فأتى أسيد الى عنتر وشكا اليه ما فيه ولده نازح من الغرام فقال له عنتر والله لو أرسلت الى بعض العبيد ما كنت تأخرت عن السفر أيها الملك السعيد ثم انهم قالوا للملك نحن معوّلين على المسير فقال امضوا يسر الله لكم العسير ثم أرسل معهم مائتين فارس غضنفر وعقد لاخيه أسيد راية وقدمه عليهم وسار معهم للوداع حتى بعدوا عن المنازل وودع بعضهم البعض وسار عنتر وأسيد قاصدين بلاد اليمن وكملت عدتهم ثلاثمائة فارس وهم المائتين اللتين أرسلهم معه الملك زهير والمائة فارس رجال عروة بن الورد ومع نازح ثلاثون فارسا من قومه صحبة عمران بن الجراح نخدوا فى قطع البرارى والبطاح فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الملك زهير فانه رجع الى الديار فوجد الدنيا منقلبة بالنواح فلما نظر الملك زهير الى ذلك حار ولحقه الانبهار وقال على من هذا المصاب والبكاء والانتحاب فتلقاه ولده الحارث وهو مسلوب الحواس وقال له انه لقتل أخى شاس فكاد ان يقع من على ظهر الجواد وقال له ومن أتاكم بهذا الخبر من العباد واذا بعبده سالم تقدم وأشار يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

قتلت عامر شاسا * بسهام قاتلات * صاده الصياد غدرا * فوق ظهر الصافنات
جاءه سهم بليل * فهوى فى الفلوات * بعد ذا قد أم نحره * ظالم ذو فدرات
ثم أمضى بعد قتله * دفنه فى الربوات * جئتكم اسعى اليكم * سادتى ذوا المكرمات
فاعلموا حقا يقينا * صدق قولى يا ثقاتى * واطلبوا الثار سريعا * يا كرام السروات
فهو فى عامر حقا * مع على بثبات * بينهم قد راح شاس * بسهام قاتلات

(قال الراوى) ثم ان العبد ابتدأ يحكى للملك زهير ما وقع لولده شاس وكيف حمل ناقته طيبا وكيف تعالج مع بنى فزارة ورافقهم وكيف رافق الشيخ مجيد وكيف حلف مولاى ما يرافق أحدا ثم قال وسرنا يا مولاى حتى أتينا غدران جعفر والنظيم فصاد فنا رجل كريم وقال لسيدى باتوا عندنا الليلة وفى غد سافروا الان كل ليلة يدا ورنا سلال وهذا الليل عاكر فقال سيدى وحق ذمة العرب ما نبيت الا قدام فسرنا يا مولاى الى نصف الليل فأشرفنا على غدير وكان بالقضاء والتقدير عليه صياد وكان الصيد قد أتى اليه وكاد أن يقع فى اشراكه فنفر منه فقال الصياد ما هذا الظلم الذى بدا منكم الينا يا أنذال العرب أحرمتمونا رزق العيال ونفرتم عنا الصيد بعد ما كاد أن يقع فى الحبال فقال شاس وبلك يا نسل الحرام نحن ما معنا خبر منك ومن صيدك فى هذه الاكام فقال الصياد لمثلى يقال هذا الكلام خصوصا فى مثل هذا الظلام ولكن خذ ما جاءك وأبشر بالحمام ثم انه فوق سهما وضرب به مولاى فى صدره فأخرجه من ظهره وزوده باخرى فى ظهره فقلبه وهجم عليه وبرك على صدره وفى يده خنجر ماضى الحد فصرخت عليه فقام الى كأنه فرخ من الجان والخنجر يقطر دما فعلمت انه نحره وقال اغد يا كلب العبيد لا تقرب منى خفت أن يقتلنى ولا أصل اليكم فركضت فى عرض البر الاقفر حتى وصلت

اليكم لتأخذوا بالثار وتكشفوا العار ثم ان العبد بكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

أيا عين ابكى بالدموع السواكب * على شاس مولاى وعينى وحاجبى
ويا كبدى الحراء عليه تقطعى * فلا كانت الدنيا بغير حبائبى
فلو حمل بالافلاك ما فى قلوبنا * تساقطت الافلاك من كل جانب
فهذا مصاب عم شرقا ومغربا * على سيد من نسل قوم أطايب
وذلك أن سرنا أتينا لعامر * فصاد فنا صياد هذى الارانب
وصاح على شاس تنحا ولا تكن * جريئا وخف من سطوتى ثم جانب
فلم يصغ شاس للكلام لانه * من الملك فى أمن وأعلا مراتب
فمزق سهما للقضا صاب نحره * وأقلبه عن سرجه فى الغياهب
فخفقت مولاى على الارض ثاويا * ببعض الحصا ملقى على فرد جانب
وصاح ولم يقدر يتم كلامه * وأروت دماه للحصا والسباسب
وقد أخذ البهلول منى جواده * وغيبه فى الارض تحت المتارب
وقد صاح جهرا بعد قتلة سيدى * ورام هلاكى بعد قتلة صاحبى
فأسرعت يامولاى فى البر هاربا * أجوب الفيافى مسرعا كالنجائب
فأخبرتكم بالامر يامالك الملا * لتسعى اليهم سائرا بالكتائب
فوالله لاطابت حياتى بعده * ولا لذلى عيش لفقد الحبائب

(قال الراوى) فلما فرغ العبد من شعره نزل الملك زهير وأقام بالفلا ثلاثة أيام وركب فى أولاده فى بكاء وانتحاب على فقد أخيهم شاس وزهير سائر فى أوائل الناس مقروح الفؤاد والضمائر حتى أشرف على بنى عامر فركب غشم ملاعب الاسنة فى قومه الى ملتقى الملك زهير فأقبل اليه الى أن قاربه وترجل وسلم عليه وقال له ما هذه الهمة العلية يامالك الزمان لم لم تعلمنا بقدومك الينا حتى كنا نتأهب الى لقائك بالاكرام فقال الملك زهير اسمع ياغشم أنا ما جئت لكم زائرا ولا ضيف بل أتيت أضع فيكم السيف فقال غشم وما الذى بلغك عنا وأنت ملكنا فاخبره بما جرى على ولده شاس وكيف قتل فى أرضهم وأتى عبده وأخبره بذلك فقال ملاعب الاسنة وأنت ياسيدى تأخذنا بقول عبد علينا واذا كان الامر صحيحا ياسيدى فانه يرد على الماء بالليل من كل قاطع طريق وعابر سبيل وربما اتفق له انسان مريب وكان منه قريب فقتله وأنت ملك كريم لا تأخذ البرىء بالسقيم فان كنت يامالك لا تسمع كلامنا سلمنا أنفسنا اليك وأولادنا وأموالنا بين يديك تفعل فينا ما تريد يا ابن الكرام ولا تجرد فى وجهك حسام فاستحى الملك زهير أن يقاتلهم من غير سيئة صدرت منهم على هذا الكلام فرجع هو والاولاد وقد زادت النار فى فؤاده وكان أعظم أولاده حرقة ابنه قيس لان العرب تسميه قيس الرأى فلما رجع الى الديار دعا بدايته وقال لها يا خالتى أريد منك أن تسيرى الى بنى عامر وتأخذى معك على هذين الناقتين الشحم والدقيق وأظهرى أن عندك بنتا وفى مرادك أن تزوجيها وانتسبى الى غير قبيلة عبس ولا تبيعيه الا بطيب يكون زكى الرائحة وعلامته ان تكون رائحته فائحة واسألى عنه من أين انجاب عسى ان تقفى على خبر أو جلية أثر فاجابت بالسمع والطاعه وأخذت الناقتين وسارت وأرسل معها فرسانا تغفرها الى قرب بنى عامر ويرجعوا فسارت العجوز حتى دخلت بين الحلل والمضارب فاجتمعت عليها النسوان من كل جانب وكانت سنة غلاء وقحط وقد عم على جميع الناس وكانت بالامر المقدر زوجة الصياد ثعلبة بن الاعوج محتاجة الى الزاد وقد عيطوا عليها الاولاد فاتت الى العجوز فرأتها والنسوان حولها

وكلما

وكلما جابوا لها شيأ تقول أريد خيرا من هذا فقالت لها زوجة الصياد ياخالتى أنا عندى مطلوبك فقومى معى الى بيتى وأنا أقضى حاجتك وأبلغك أمنيتك فقامت العجوز وهى تقول يابنتى جميع ما تفعليه مع هذه البنية اليتيمة تلقيه فقالت ماهناك الا الخير لان عندى نوعا من الطيب لا يوجد عند خطار ولا يوجد الا عند الملوك الكبار ولكن ما أدفع لك الطيب حتى تعلمينى من أى القبائل أنت فقالت ياسيدتى أنا من بنى دودان فلما معنى هذا الكلام يابنت السادة الكرام فقالت اسمى ياخالة ان زوجى رجل صياد يقال له ثعلبة بن الاعوج وقد رزق على فقره مالا يرزقه أحد لانه كان فى بعض الليالى يصطاد فرعليه غلام من بنى عبس يقال له شاس ابن الملك زهير فنفر الصيد عنه فضربه بسهم فقتله ودفنه وكان معه عبد هرب وخلاه فأتى بركبه وناقته فوجدنا حملها كله طيبا من هذا فذبح الناقة وفرقها على المساكين وأخذ الجواد والعدد لاجل أن يبيعهم فى بلاد اليمن ويرجع فى أقرب زمن وأنا ما أدعك تسيرى من عندى حتى تحلفى لى أنك لا تعلمى أحدا بهذا الكلام فقالت لها ياستى وأنا لا أعرف هذه القبيلة من أى قبائل العربان ولا أعرف أن فى العرب قبيلة تسمى بنى عبس وعدنان ثم انها ألهتها بشئ من الشحم والدقيق ورجعت على عقبها تقطع الطريق الى أن دخلت على قيس وأعلمته بجميع الخبر وكان الملك زهير بعد رجوعه قد أتاه حذيفة وطائفة من بنى فزارة يعزوه فى ولده فقال زهير والله ياحذيفة أنت ما أتيت معزيا ولكن أتيت شامتا لانه ما فرط فى ولدى غيرك ولا قتل الا بسببك ولكن اذا ظهر قاتل ولدى قابلناه بما فعل فطلع حذيفة من عنده حردان وهو يقول وحق ذمة العرب لا كنت له معاونا ولا مساعدا لانه لا يخلع نعال التكبر والتجبر من رجليه أبدا فهذا ما كان من حذيفة (وأما) الملك زهير فانه لم يزل مقيما فى مضربه واذا بولده قيس دخل عليه وأعلمه بما دبر وكيف أتت العجوز بالخبر فلما سمع الملك زهير هذا الكلام قام واقفا على الاقدام وصاح يا آل عبس الكرام فأتت اليه الاكابر باهتمام فقال اركبوا فقد ظهر قاتل ولدى فى بنى عامر فركب الفرسان من بنى عبس وعدنان وسار زهير قدامهم وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

كم فرحنا بطارقات الليالى * وفؤادى من الحوادث خالى
فأتتنا رزية عرفتنا * بالرزايا وبالهموم الثقال
يالقومى فقدت من كان سيفى * ويمينى عند اللقا وشمالى
كان تاجا على بنى عبس طرا * وهلا لا يزداد كل كمال
فأتاه المحاق والنقص لما * رشقته أيدى العدا بالنبال
يابنى عامر أما خفتم البغ * ى الذى أهلك القرون الخوالى
أى أرض تلقكم بعد شاس * أو حمى يرتجى لكم من وبالى
خيلنا ضمر لاجل حروب * وسيوف تقدهام الرجال
وعوالى الرماح تشهد أنا * فى المعالى لنا بيوت عوالى
وملوك الزمان فى كل أرض * يخدمونا ونحن فيهم موالى
أبشروا بالدمار من حد سيفى * وخيول لنا تحاكى السعالى

(قال الناقل) ثم انهم جدوا المسير وفى قلوبهم نيران السعير حتى أشرفوا على بنى عامر وكان المقدم عليهم أميرا يقال له خالد بن جعفر وفارسهم غشم بن مالك وبنو عبس المقدم عليهم الربيع بن عقيل وبنو كلاب المقدم عليهم جندح بن البكاء وهذه الثلاث قبائل نازلة فى فردمكان وبينهم أهلية ومناسبة الا ان الحاكم على الجميع خالد بن جعفر وكان فى هذه الايام غائبا فى أرض العراق عند الاسود أخى النعمان لانه كان متزوجا بنت أخيه الاخوص وكان اسمها سعاد لانه لما سمع بزواجه باخت حذيفة أخذ جماعة من بنى عامر وسار يهنيه فجهزته بنت أخيه وقالت له أقم عندى حتى أبصر كيف يكون حالى وكان كلما سمع منها ذلك المقال يقل صبره من هذا الكلام فلاجل هذا أجابها

وعندها أقام وفى غيبته جرت هذه الاحكام ووصل الملك زهير الى بنى عامر فى تلك الايام فوجد الاحياء خالية من الابطال وما فيها غير ملاعب الاسنة فى نفر قليل من الرجال وهم لا يثبتون قدام بنى عبس وعدنان فى قتال ﴿قال الراوى﴾ فلما رأت بنو عامر ملك بنى عبس ركبوا الى لقائه وخضعوا له فى الكلام وسألوه عن عودته وسبب قدومه فى سفرته فأخبرهم بالحيلة التى دبرها ولده قيس حتى بلغ المراد وأعلمهم بأن قاتل ولده ثعلبة بن الاعرج الصياد فلما سمعوا ذلك المقال وحققوه طلبوا ثعلبة فما وجدوه فاحضروا زوجته وقرروها وبالقتل هددوها فأقرت بما فعل زوجها واحضرت ما كان بقى من الطيب عندها فلما صح ذلك المقال عند الملك زهير صعب عليه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه وقال يا بنى عامر أريد منكم ثلاث خصال والا مكنت منكم السيوف الصقال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت بنو عامر ذلك المقال قالوا أيها الملك المفضال وما هى الثلاث خصال قال الاولى أن تعيدوا ولدى كما كان حيا والاسلموا لى نساء بنى عبس وأطفالها أقتلهم بثار ولدى وان لم تفعلوا فاملؤا لى بردتى من نجوم السماء ﴿قال الاصمعى﴾ فلما سمعوا ذلك المقال قالوا تعديت وبغيت فيما أشرت لانه يحيى الموتى ويميت الاحياء الا الله تعالى وحده وأما قولك علا أملك بردتك من نجوم السماء فهذا محال لانك تعلم ان بيننا وبين السماء سفر خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك ولا يقدر أحد على ذلك الكلام وأما قولك نسلم لك نساء بنى عبس وأطفالهم حتى تذبح الجميع فهذا شئ ما نقول انك تفعله وأنت ملك عادل كريم لا تأخذ البرئ بالسقيم وأما اثارة الحرب بيننا وبينك فعاذ الله ان تفعل ذلك ولا تثير الحرب بين الفرسان ولكن نحمل اليك عشر دبات ونسألك أن تعتق نساءنا والبنات ونكون لك عبيدا ونساؤنا خادمات ونطلب ثعلبة بن الاعرج أينما كان ونأتى به اليك تنزل به الذل والهوان ومازال القوم على ذلك الشان حتى رق لهم الملك زهير ولان والتفت يشاور الربيع فى العودة الى الديار فقال له أيها الملك المفضال وأى شئ هذا المقال كيف نبقى رأسنا بين العرب تشال وولدك قد دق الاحتيال حتى عرف قاتل ولدك من الرجال وبعد ذلك تخدع بالمحال ثم انه جذب الحسام ونادى الثار الثار وضرب فى بنى عامر بالبتار فنادت أولاد زهير مثل نداه فارتجت لصيحتهم الفلاه ومدوا أسنة الرماح وعملت بينهم الصفاح وعلا الصياح ولبست أبطال بنى عبس السلاح ودافع بنو عامر عن أنفسهم وقد اشتد الكفاح وكثر القتل والجراح وجرى الدم وساح وطلع الغبار حتى غشى المقل الصحاح وانتثرت الجماجم عن هياكل الاشباح وقاتل بنو عامر عن أولادهم وقل صلاحها وكثر فسادها وما قاتل ذلك اليوم قتالا ردبه الا عنه الاملاعب الاسنة لانه كان من الفرسان المشهوره والابطال المذكوره ولكنه أبصر جميع بنى عبس قد تفرقت وجميع قومه قد تمزقت فخاف من انقلاب الآثار وخراب الديار فأخذ من قومه جماعة من الرجال الكرام وقصد الملك زهير تحت الرايات والاعلام ومن حوله أولاده فترجل اليه وقبل فى الركاب قدميه وقال له أيها الملك لا تفعل فعال الجاهلية اللئام وأنت السيد الهمام فادفع عنا الحسام واقبل منا الكلام حتى نخرج لك هذه القبيله التى قتلت ولدك من بيننا ونذل ساداتهم الكرام ونسلمهم اليك لتبلغ منهم المرام ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا ونتركنا مطروحين فى الفلاه ونطالبنا بشئ ما فعلناه واصبر علينا بقية هذا اليوم وعند الصباح دونك والقوم ولم يزل يرق له فى السؤال ويخضع له فى المقال حتى أجابه الملك الى ما طلب وقد استحى ممن حوله من العرب وقال قد أمهلتكم بقية هذا اليوم حتى لا يبقى علينا عتب ولا لوم ثم انه فى ساعة الحال أنفذ عبيده ترد الرجال وما انفصل القتال حتى أقبل الليل بالانسدال ثم ان ملاعب الاسنه عاد الى قومه وقال لهم حصنوا حريمكم والعيال فى رؤس الجبال لانى خدعت زهيرا بالمقال حتى تمضى هذه الايام ويدخل الشهر الحرام ويرحل عنا هذا الجبار الذى لا يرام

فلعل

فلعل أن يقدم علينا خالد من أرض العراق و يدبر هذه المصيبة التى لا نطاق والا تشتتنا فى الآفاق
(قال الاصمعى) فلما سمعت بنو عامر هذا الخطاب رأوه عين الصواب وتبادروا وقلعوا المضارب والقباب
وحمل كل واحد منهم ماله وحصن فى الجبال جماله وعياله وما طاع النهار الا والمنازل من سكانها
قفار وهم موجون فى أعلا الجبال مثل ماء البحر الزخار وكان الملك زهير قد ركب عند الصباح وزحف
فى بنى عبس يريد الكفاح فرآهم على هذه الفعال فعلم ان ملاعب الاسنة قد جاءهم بالمحال فزاد حنقه
وعظم قلقه وزحف فى قومه والابطال وحصرهم فى الجبال وكل من وقع فى يده اسقاه كأس الوبال
وتفنى من حوله الابطال من جميع الرجال وجعل شاعر بنى عبس يقول صلوا على طه الرسول

جدوا بنا يا معشر الاناس * ومكنوا السيوف وسط الراس * لا أقلع البيضة مع لباسى
ولا أزال قابض الانفاس * حتى تردوا للحياة شاسى * والا فلا رفعت عنكم باسى

(قال الراوى) ولم يزالوا فى حرب وخصام مدة خمسة أيام ودخل الشهر الحرام وهو شهر رجب
الذى تعظمه العرب وتترك فيه القتال واذا التقى الواحد بقاتل أخيه أو أبيه فلا يكلمه ولا يؤذيه
وتسير فيه العرب بغير سلاح فى جميع الاماكن والنواح ولاجل ذلك سمى الشهر الاصم لان الاذن تعدم
فيه قعقعة الحديد ويأمن فيه الوحوش القريب والبعيد ويقال له الشهر الاصب لان الله يصب فيه
الرحمة أعظم صب وكانت العرب تحج فيه الى بيت الله الحرام وتزور زمزم والمقام ويطلبون المغفرة من
الملك العلام فلما رأى زهير هلال شهر رجب احترق فؤاده والتهب وتأسف كيف ما بلغ من بنى عامر
الارب وترك القتال حتى لا يسن فى العرب سنة قبيحة المنوال وقال لولده قيس اذهب يا ولدى وهات أملك
حتى أقضى الشهر الحرام عند زمزم والمقام فانا ما بقيت ارجع الى الديار حتى آخذ ثارى وأكشف
عارى (قال الراوى) فلما سمع قيس من أبيه هذا الكلام أجابه بالسمع والطاعه وسار قاصدا الى الديار
وأما زهير فانه سار طالبا البيت الحرام حتى وصل اليه وطلب المقام حتى قدمت زوجته وأولاده وهم
لابسون ثياب الاحزان فنزلوا فى منزل بنى عدنان لانه كان لهم فى كل حرب منزل معروف بهم أيام الزيارة
ومما اتفق من العجب ان خالد بن جعفر قدم من أرض العراق فأتى قاصدا البيت الحرام وكان قد حج
جماعة من بنى عامر الكرام وكان من جملتهم ملاعب الاسنه فأعلموه بما جرى لهم مع زهير فاحمرت من
خالد مقل عينيه وكاد يغشى عليه وقال وأسفاه على أنى ما كنت حاضر ولكنه اغتنم غيبتى مثل الكلب
الغادر ثم انه بات الى الصباح وسار الى الطواف بالبيت فرأى زهير فى الطواف فقال له ويلك يا زهير
اغتنمت غيبتى وخلو الديار وهتكت الاحرار فقال الملك زهير والله يا خالد ما أدركت بذلك الثار
ولا كشفت عنى عار ولولا الشهر الحرام دخل علينا فى هذه الايام ما كنت أبقيت أحدا منكم فى الديار
ولابد ان أنهب أموالكم وأخرب دياركم اذا انقضت هذه الايام فقال له خالد أما تخشى عاقبة البغى
وأن تدور الدوائر عليك وعلى أهلك وتنقطع آثارك كما انقطع من كان قبلك وحق البيت الحرام
لو كنت حاضرا فى الديار لقابلتك على صنيعك وأريك من يكون الخاسر ولكن بعد ما وقعت بيننا الدماء
سوف ترى ما يحل بك من البلاء ومن بعض كفيه ندما و يتوجع ألما فقال له الملك زهير وقد اشتد
به من هذا الكلام الغيظ والله يا خالد لو كنت تكلمت بهذا الكلام فى غير هذه الايام ما كان لك
جواب غير الضرب بالحسام فقال له خالد كذا يكون ان شاء الله الملك العلام وأنا أشتهى ان اجتمع أنا
وايالك فى يوم معركة وصدام وأسأل الرب القديم ان لا يفرق بيننا الا بانفصال اما ان يكون بى أو بك
ينتهى القتال (قال الراوى) فلما ان سمع الملك زهير منه ذلك الكلام وعلم أنه من عجبه وتجبره ضحك
وقال هذا يكون قريبا غير بعيد وتبلغ بدعائك ما تريد فوالله يا خالد لو كنت أنا ناما قدرت أن

توقظني من منامي ولا تبلغ ريقك قدامي فكيف اذا سللت حسامي فعند ذلك استقبل خالد الكعبة وقال اللهم يا من رفع هذه الاركان وعظم قدر هذا المكان وجعله للابيض والاسود امان لا يمضي هذا العام ولا تنقضي هذه الايام حتى أمكن كفي هاتين الضعيفتين من عنق زهير بن جزيمة وأصل اليه وأكون منصورا عليه يا الله (قال الراوي) فعند ذلك تقدم زهير بعظام تجبره وتكبره وقد زاد به الغيظ والغضب وقال اللهم يا رباه لا تترك هذا العام ينقضي حتى تمكن كفي هاتين القويتين الشديدتين من عنق خالد بن جعفر حتى أقضي عليه وخلي أنا واياه فاني قادر عليه ولا أريد معاونا ولا ناصرا منك عليه وكان حولهم جماعة من العرب قيام فسجدوا قدام الاصنام وقبلوا أركان البيت الحرام وقالوا هلك زهير في هذا العام بتجبره على الرب القديم الباقي على الدوام فقال زهير وقد تاه عن المعقول ولا بقي يعرف ما يقول اعذروني يا فتيان العرب في هذا الكلام ولا تجعلوني في مقام الملام لان الغيظ يعمل في أكباد الرجال عمل الحسام وأنا أقسم لولا حرمة البيت الحرام والاوثان والاصنام لكنت شربت من دم خالد مثل المدام فقال خالد يا زهير أما هذه الايام فانها سوف تنقضي وتسير ومن له دين يستوفيه بلا تعسير ثم انه انصرف وفرقت العرب بينهما وزهير يعض على يديه من الغيظ الذي جرى عليه واما خالد فانه ما أقام في مكة غير ثلاثة أيام وسار يطلب داره والاكام وهو يتذكر قول زهير في البيت الحرام وينشد ويقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

تعدى زهير واتى الذماما * واجرى الدماء وحل الحراما * فهزوا معي يا بني عامر
صدور القناة وسلوا الحساما * ولا تلبسوا العار يوم الطعان * وبيعوا النفوس وموتوا كراما
وان خيم الذل في أرضكم * فخذوا رحيلا وخلوا الخياما * بني عامر قد أفاق الزمان
وفوق نحو الاعادي سهاما * ولاقوا زهيرا وأبناء عبس * اذا فارقوا زمزما والمقاما
وميلوا عليهم بحد الصفاح * وزيلوا اللحوم وأفروا العظاما * فهدم أركان عبس بعزم
كما قد هشمتم لشاس عظاما * ونرمل نساء لابطال عبس * ونبقي البنين لدينا يتامى

(قال الراوي) ثم انهم جدوا في المسير وفي قلب زهير نيران السعير وجدوا في قطع البراري والقيعان حتى وصلوا الى الاوطان فوجدوا بني عمهم نزلوا من الجبال وضربوا مضاربهم على الغدران وهم في أمن وأمان ولكن أكثر المضارب فيها البكاء والنواح على من قتل من الرجال الملاح فعند ذلك نزل خالد عندهم وطيب قلوبهم وفي يومه جمع الثلاث قبائل وأعلمهم بما جرى له مع زهير في مكة وقال لهم يا بني عمي أنا قد عولت على غزو بني عبس وأطالبهم بالدماء وأنزل بهم البلاء واذا قتلنا زهيرا رجعنا بعد قتله الى نهب الحلة لان عنتراءهم غائب وهم آمنون من المصائب وان لم نجتهد ونغتنم هذه الفرصه جرعونا ألف غصه فماذا أنتم قائلون وما الذي تفعلون (قال الاصمعي) فلما سمعت بنو عامر ذلك الكلام أخذهم الفرح والابتسام وقالوا نحن لك وبين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك لانك ما خليت عليك ملاما لاحد من الرجال ونحن ما هبنا زهيرا وتحصنا منه في الجبال الا لاجل مصاهرته للملك النعمان يا ابن الموال ولاجل بعدك عن الديار والاطلال فدبر نفسك الآن بما تحب وتختار أيها المفضال وافعل الامر الذي لا يضرك وستنظر منا ما يسرك فقال خالد يا وجوه العرب الكرام أما خوفكم من النعمان فما نبالي به لان أخاه الاسود زوج بنت أخي بردعناشره ولا يدعه يؤذينا ولكن جهد النعمان ما يعمل فينا اذا وصلت اليه أخبارنا فذلك الوقت يكون ربح من ربح وخسر من خسر على اننا نكون الرابحين وهذا الذي فتح علي من الرأي وهو النصر المبين * قال وكان خالد جيد الرأي والتدبير ومع شجاعته ومعرفته هو بعواقب الزمان بصير وله في الخداع والمكر شيء كثير (قال الراوي) فعند ذلك قال يا بني الاعمام

تاهبوا

تاهبوا فى هذه الايام التى بقيت من الشهر الحرام حتى أسير بكم وألتقى زهيرا عند عودته من مكة واعجل له بالهلكة لانه ما معه غير ولده قيس فى نفر قليل من فرسانه وأصحابه واقرانه واذا نحن قتلناه وقلعنا شأفته وأردیناه رجعنا وجمعنا حلفاءنا وأصحابنا وسرنا الى بلاده وأرضه وأنزلنا عليها المصائب ولا نعطى أحدا منهم ذماما لان عترة عنهم غائب وان لم نجد فى اغتنام هذه الفرصه والاجوعتنا بنو عبس أعظم غصه ﴿قال الاصمعى﴾ فلما سمع بنو عامر هذا المقال أخذهم الفرح والاستبشار وقال جميع الابطال والله ياوجوه العرب ما ترك خالد لذى رأى مقال ولا دبر الا تدبير الرجال الذى يبلغون به الآمال وها نحن هنا عشرة آلاف فارس حلاحل سوى حلفائنا وكبراء القبائل فكم تريد أن يسير معك منا فقال خالد أريد جميعكم لعل أن نبلغ المنى فانى أريد أن اقسمكم على سائر الطرقات حتى لا تفوتنا الفرصات فتأهب القوم وساروا الى منازلهم واصلحوا احالهم وتجهزت الثلاث قبائل وهم من بنى عبس وعامر وكلاب وأقامت الرجال الكرام وقد بقى من الشهر الحرام عشرة أيام ففرغوا من أشغالهم فى سبعة أيام وساروا فى البر الاقفر وفرقهم خالد كل ألف فارس على طريق ومعهم مقدم وقال لهم خالد يا بنى عمى ومن هم قرابتى أنتم عمدتى فى كل خطب جسيم بكون الملتقى بيننا أرض هوازن وحى بنى منصور القديم وكذلك أوصى جندح بن البكاء وكان على فرقة أخرى وجعل خالد بحث الشجعان ويوصى الفرسان من شدة شوقه الى الحرب والطعان ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى أرض هوازن وحى بنى منصور الذى هو المطلوب فنزل خالد هناك ونزلت رجاله من على كل جواد منسوب وبقوا هنالك مثل الفخ المنصوب فهذا ما جرى من خالد بن جعفر واقامته فى أرض هوازن ابن منصور القديمه ﴿قال الاصمعى﴾ وأما ما كان من الملك زهير بن جزيمة فانه قضى حجه وعاد وفى قلبه النار على بنى عامر لاجل أخذ الثار ولم يزل يجد المسير بالليل والنهار حتى وصل الى بعض أصدقائه بسوق عكاظ فاقام فى ضيافتهم ثلاثة أيام وبعد ذلك رحل وهو على بنى عامر مقهور حتى أشرف على أرض هوازن بن منصور فنزل على بعض المياه وما عنده خبر من قضاء رب السماء وابلاه وكان النهار قد ولى فقال لولده قيس ايش قلت فى المبيت هنا فقال له قيس ارحل بنا يا أبتاه وادلج بنا فى هذا الليل المعتكر حتى نترك أرض بنى عامر خلفنا لانك أثرت فى قلوبهم أثرا وأنا والله خائف عليك من مكر خالد وأخاف ان يدهمنا فى هذا البر الاقفر فاقبل منى يا أبتاه رأيى فى هذه المرة فان فيه النجاه وسر بنا حتى نقطع هذه الارض ونتعلق ببلادنا قبل أن تثور مفسدو العرب علينا عند فراغ الشهر الحرام فلما تكلم قيس بهذا الكلام زاد زهير الابتسام وقال ويلك ياقيس ايش هذا الكلام ومن هم بنو عامر وخالد بن جعفر وكل من سكن البر الاقفر فوحق الرب القديم الواحد المنجى من الشدائد لارحلت من هذا المكان الا بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال ولو مالت على الجبال فى صورة الرجال وسالت من كل جانب مثل الرمل السيال حتى لا تقول العرب وسائر الابطال انى جزت أرض بنى عامر وقطعتها تحت سور الاعتكار وخفت من جوازى عليهم بالنهار خوفا من بنى عامر الذين رفعت عنهم الحسام الباتر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع قيس من أبيه زهير هذا الكلام علم انه قد دنا منه الحمام فعند ذلك نبه أصحابه للمشورة والكلام وبات القوم جميعهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح ﴿قال الاصمعى﴾ فبينما زهير وولده قيس فى الكلام واذا هم بفارس قد أقبل من ناحية ديار بنى عامر وهو مجد فى السفر فتثبتوه واذا به عمرو بن الشريد أخو تماظر وأولاده وكان شيطانا نحوس وقد أتى من عند بنى عامر فى صفة جاسوس لانه كان نازلا عندهم ومتزوجا من نساء جندهم وكان يبغض زهيرا بغضة عظيمة لانه نفاه من أرض بنى عبس ولولا أخته لكان قتله لانه كان قتل لزهير عبدا من عبيده وكان شاطرا فرحل والتجأ الى بنى عامر وقد تزوج

منهم فلزمه ما لزمهم وكان هذا الرجل فى سائر الحالات يتمنى له الآفات * وقد ذكرنا ان خالد بن جعفر قد كمن لزهير فى ذلك البر الاقفر وهو منتظره ومن معه من العسكر وقد فرق جنده كل ألف فى طريق وصار كل قسم فى فريق فابطأ عليه خبر زهير وعودته من سفره ﴿قال الاصمعى﴾ فعندها قال لاصحابه من يمضى الى أرض هوازن بن منصور القديمه ويأتى لنا بخبر زهير بن جزيمه حتى لا يضيع تعبنا وتدبيرنا الان البر مثل البحر الجاج ونخاف أن يفوتنا فى هذا الجاج وتزيد فى قلوبنا نار الهياج فقال له قومه والله يا خالد ما لنا مثل عمرو بن الشريد لانه صهر زهير وخال أولاده وهو صاحب رأى سديد ولم تنكر عليه الموالى والعبيد لانه يقول أنا أتيت اهنى أختى يقبولها وقد ومها من مكة وبعد ذلك ينظر نزولهم فى اى مكان وتتضح له البراهين ويأتى لنا بالخبر اليقين والا فكل من سار منا ووقعوا به أحموه الرجوع الى أولاده وقطعوا منه الانين فقال خالد يا بنى عمى أخاف من عمرو ان يخوننا ويعلم قومه بفعلنا ولم نبلغ قصدنا ويضيع تعبنا فقالوا هذا شئ لا تخاف منه واقال ترداده فاننا نعلم ان الرجل يبغض زهيرا وأولاده ولو قدر على لهمهم جعله زاده وان خاننا قبضنا عليه ونحرناه هو وأولاده ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع خالد هذا الخطاب علم انه صواب فدعا بعمرو واعلمه بما جرى من الامر فقال يا مولاى انا أكشف لك الخبر لكن على شرط ولا يكون لكم من هذا الشرط مفر وذلك انكم اذا قتلتم زهيرا وصار فى المقابر طمير لا تسبوا اختى ولا من معها من الاولاد لا كبيرا ولا صغير فقال خالد لك ذلك علينا وهو بعض ما يجب لدينا وبعد ذلك سار فى ذلك البر وكان قيامه من بنى عامر نصف الليل فأصبح على مياه بنى هوازن فابصره قيس فعرفه فعاد الى أبيه وقال يا أبتاه هذا خالى أتى على انه زائر وأقول انه ما أتى الا جاسوسا لبنى عامر وسوف أبين لك الحق من المحال وأريك ما أفعل من الفعال فما تم هذا الكلام الا وعمرو وصل الى الخباء وهنا الملك زهير بجمعه وزيارة البيت الحرام بعد ما اجتمع باخته وسلم عليها أحسن سلام وأخذ أخبار الفرسان وقعد يتحدث معهم بشئ كان وشئ ما كان فعند ذلك قال له قيس يا خاله فيما اذا أتيت فقال عمرو زائرا لكم ومهنيا بقدومكم لان خالدا رجع من مكة هو وجميع سادات بنى عامر وبكى بين أيديهم وجميع ما جرى له مع أبيك أعاده عليهم فثارت فى قلوب القوم الاحقاد واتفقت ساداتهم على انهم يقلعوا منكم الاوتاد ويطلبوكم برجالهم الشداد وقد ساروا فى عشرة آلاف فارس من كل مدرع ولابس وقد أخبروا خالدا انكم ضيوف بسوق عكاظ ولبنى عامر من وقت أن ساروا عشرة أيام وأنا وحق البيت الحرام من عهد ان ساروا ما ذقت منام وبقيت خائفا عليكم وحايرا فيمن يوصل الخبر اليكم فسرت فى أثرهم حتى قاربوا مكة وأنا أقول ما أفارقهم حتى انظر ما يجرى بينهم حتى علمت انهم أيسوا منكم ورجعوا متفرقين فى اقطار البر خائبين فرجعت فى هذا الطريق وقد طاب قلبى بسلامتكم وعلمت انكم من الاعداء أمنتم وأنكم لا تركبوا هذه الطريق فان ركبتموها انصرتم على أعداكم ولو انهم عدد رمل وادى العقيق وتمام افراحى ملتقاكم بهذا المكان واعادة خوفكم أمان فقال له الملك زهير يا ابن الشريد لا خوف علينا وحق من يعلم اين تضع النملة رجلها فى الليل الهادى لان لقاء الاعداء أكبر مرادى وأنا فى انتظارهم حتى اشفى منهم فؤادى لاجل شاس أكبر أولادى وان كانوا أرسلوك جاموسا فارجع وقل لهم اننا لا نبرح من هذا المكان الا بعد ثلاثة أيام حتى انى ألقاهم وأبيد اقصاهم وأدناهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عمرو ذلك ازورت منه العينان وقال لزهير يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان وهل بغضتى ما زالت فى قلبك والله لقد ضاع تعبى الآن وصار جميلى قبيحا وعدوان ولكن أيها الملك المفضال أنا ما فعلت هذه الفعال وخاطرت فى هذا البر والوهاد الا لاجل اختى ومن معها من الاولاد ومادام رأيتها سالمة فقد اطمأن قلبى وان رأيتمونى مرة غير هذه فلا تغفروا ذنبى ثم ان عمرا بعد كلامه نهض قائما على

اقدامه

أقدامه ليركب جواده فما مكنه قيس بل مسكه وشد كتافه وقوى سواعده وأطرافه ولولا انه خاله لأورثه اتلافه وقال والله ياخال لابد ان تمضى معنا من هذا الرباط القبيح حتى نجوز هذه الارض ونقرب منزلنا الفسيح ونشم بعيرانه والشيح لان قلبى حدثنى بشئ واظنه صحيح فقالت تماظر ويلك ياقيس ايش هذه الاعمال التى ما يعملها الا الجهال تقبض على خالك وتجعل جزاءه على زيارته لناشده بالقيد والحبال ثم تذكرت ولدها شاسا وبكت لان شاسا كان يحب عمر احباشديد ما عليه من مزيد فاشارت تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

عجزنا عن مراغمة الحمام * ودأب الموت مغترى بالانام * وما جزع الجزوع وان تناهى
بمغن عن نوائبه العظام * وكيف نحيد عن طرق المنايا * وفى أيدى الردى طرف الزمام
هى الايام تأكل كل حى * وتغدر بالكرام وباللئام * وكل مقارف للعيش يلقى
كما لقى الرضيع من الفطام * وما يغتر بالدنيا لبيب * يفر من الحياة الى الحمام
رأيت الموت يبلغ كل وقت * على بعد المسافة للمرام * كذا شاس أتاه الموت حقا
وكان مماته تحت الظلام * ولم نعلم بقاتله حقيقا * فتأخذ ثاره كل الكرام
ومن عظم الرزا ياهل مجير * يخلصنا من المحن العظام

(قال الراوى) فما فرغت تماظر من كلامها حتى أبكت كل من كان عندها وبكى مالك ابنها على أخيه شاس واشتعلت النار فى ضمائره فباح بما فى خاطره وأشار يقول صلوا على طه الرسول

جدوا لاخذ الثار بالاشطان * حتى يعود النوم فى أجفانى
أنتم بنو عدنان سادات الورى * تتفاخروا بالضرب فى الميدان
ما كل ميال العمامة فارس * يلوى العنان على أعز مكان
فى كل ناد أو بكل ملمة * يتذكرون مفاخر الفرسان
اذا لا يضيفون المعايب بينهم * وبيوتهم وقف على الضيفان
الطاعنون رماحهم مهج العدا * من كل ضرب صادق وطعان
الراكبون الخيل تعرفهم بها * تحت العجاج اذا التقى الجمعان
قوم اذا هطلت سحاب أكفهم * هطل الحيا متفارق الهطلان
واذا تحار بت القبائل خلقوا * غرر السوابق بالنجيع القانى
واذا رأيتهم وعلى صهواتها * أبصرت عقبانا على عقبان
وأسود حرب لا يهابون الردى * تحت الظبا واسنة العيدان
يا آل عدنان الذين تطاولوا * فى المجد كل ممنع الاركان
قد راح شاس وكان تاج رؤسكم * فافتوا لعامر يا بنى عدنان
وكذا لك عامر مع كلاب بضعوا * يا آل عبس مع ذوى ذبيان
قد لاح أخذ الثار من هام العدا * قوموا طعانكم ولذى الاقران

(قال الراوى) فلما سمع قيس هذا الكلام والنعى من أمه وأخيه قال هذا الكلام لا أسمعه ولا أعيه والذى مضى ندبر روحنا وأحوالنا فيه وأما خالى هذا فانا أعرف انه لا يشتهى ان يرى لى يوما مليح ومراده لو كنت على الارض طريح فقالت أمه دع هذا الهذيان وراقب فى ذلك الرحمن فقال قيس دعينى والا قتلت روحى ومنى تستريحى لانى أقسم بمن قسم الارزاق ما أفكه من الوثاق الا بعد ثلاثة أيام بلياليها حتى نفوت هذه الارض التى تعكر خاطرى فيها أو يعطينى عهدا من الله الذى يعلم

ما في الخواطر انه لا يذكرنا بلسانه الى أحد من بني عامر ولا يسمي منا بشر لا انثى ولا ذكر الى ان نصل
الى ديارنا ويقر قرارنا فقالت تماضر لاخيها أعطى ولدى عهدا من الاقسام فعندها حلف عمرو
بالبيت الحرام وزمزم والمقام وحرمة الرب الذي خلق الانام وسير الغمام ورزق الوحش والهوام
انني لا اذكركم لاحد الا بعد ثلاثة أيام فخلاه قيس من وثاقه والاصفاد فوثب قائما وركب الجواد وطلب
من اخته شيأ من الزاد فاعطته زقاقية لبن فاخذها وسار في الفلاه وهو لا يصدق بالنجاه وبعد رواحه قال
الملك زهير لقيس ايش هذا الفعل الردىء الذي فعلته أكل هذا من خوف الاعدا فقال له نعم لان
العاقل اذا كان له عدو يجب عليه ان يتجنب طرق الردى ولا سيما نحن في نفر قليل وأعدانا قريب ومالنا
في هذه الارض مجيب ولا حبيب فقال الملك زهير أنا الساعة قد أقسمت بالاقسام انني لا أبرح من هنا
الا بعد ثلاثة أيام واذا دهمني عدو سوف أريك كيف أطعن فيهم بالرمح الهدام وافنيهم بالحسام
فسكت قيس وعلم أن أباه قد فرغ أجله فنبه الفرسان وجعل لهم ديدبان ينتظر نوائب الزمان وطوارق
الحدثان فهذا ما كان من هؤلاء ﴿وأما ما كان﴾ من عمرو بن الشريد فانه لما فارقهم جد المسير وقد
زاده الغيظ على بني عبس لاجل ما فعل معه قيس من الامر الخطير وما زال سائرا حتى أشرف على
بني عامر وقد ركب خالد الى لقاه وما صدق انه يراه فلما قرب منه استخبره عن حاله فارتد عليه
جواب ولا أبدى له خطاب بل عدل الى شجرة هناك وهي مغروسة في التراب وصار يقول لها أيتها
الشجرة التي لا ترد جواب ولا تسمي خطاب ولا تعدى من الحيوان الناطق ولا تفرق بين الحديث
الكاذب والصادق أنا قد تزودت لبنا من لبن بني عدنان وأنا من عاقبته فزعان وأريدان تذوقيه
وتعلمي ما طعمه حتى أكون من شربه في أمان وصادق اللسان في الايمان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع خالد
ذلك الكلام قال لمن تبعه من الابطال الرجل وقع بالاقوام وحلفوه أن لا يذكرهم لاحد من
الانام ولولا ذلك ما انفلت منهم والصواب ان تذوقوا هذا اللبن وتبصروا ما طعمه فان كان حلوا فزهير
وجماعته قريب منكم وان كان حامضا فهم بعيد عنكم فعندها وثبت جماعة من رجاله وشربوا منه
فوجدوه حلوا على حاله وهو طيب ما تغير فقالوا لخالد أبشر فان القوم قريب وما بيننا وبينهم الا مرحلة
فقال خالد صدقتم وما كذبتم وأظن الرجل ما فارقهم الا من مياه هوازن بن منصور وقد أتى الينا بصحة
الامور وربما يكونون بعد فراقه لهم رحلوا طالبين أهلهم والديار فالرأي عندي اننا نسير من هذا
الوقت ولا نتهاون في الامور فان وقعنا بهم والا رجعنا على الطريق الاعظم الى مياه هوازن بن منصور
فنجدهم في تلك الساعة نزولا لاجل طلب الراحة في تلك الطلول فقال له بنو عامر افعل ما بدا لك فانا منا
من يحالف مقالك ولعل بعض قومنا يقع بهم وتستريح خيلنا من الجد والشقاء فقال خالد وذمة العرب
وشهر رجب ما يقع بهم أحد ولو داروا على طول الابد لان أصحابنا نفروا في سائر الاقطار ومسكوا
الطرقات التي لا يسلكها الا كل خائف والملك زهير بتجبره قد سار على الطريق الواضح ولم يسمع
نصيحة الناصح ولهذا قصدت أنا المسير الى هذا المكان وحسبت حساب الفرسان الذين عركتهم
نوائب الزمان ولما انتهى خالد من مقالة رحل بفرسانه وأبطاله وقد أخذ في عرض البر حتى تنصف
الليل وعادوا الى الطريق الواضحة وأرخوا أعنة الخيل واستقبلوا مياه هوازن وخالد مثل الواله المفقود
فزعان ان يفوته المقصود الى أن أصبح الصباح فأشرفوا على الماء الذي قدمنا ذكره فنظر قيس الى
الغبار الذي قد ظهر فأيقن بنزول القضاء والقدر ثم انه نزل من الجبال وعاد الى أبيه وقال خذ أهبة
الحرب والقتال واحذر من خالد بن جعفر أمير النزال فقال له لا تخف علي فاني قادر على ضرب السيف
وطعن القنا واليوم افرجك على ما يجري وتبلغ المنى ثم انه لبس عدته وركب القعسا جحرته وهو يقول

أهلا

وسهلا بك يا ابن جعفر اليوم يبين من استجاب الله دعاه ويبلغ من خصمه مناه ثم انه خرج يطلب القفار فتبعه أولاده من كل جانب ومن معه من اخوته والاقارب ولما أبصر خالد ذلك الامر فرح واستبشر ثم انه صاح فى بنى عامر فتسابقت اليه وقدمت الرماح وقد ثاروا وزعقوا واختلط بعضهم ببعض وجالوا طولا وعرضا وحكم الحسام وفلق الهام وهشمت العظام واشتد الزحام وقل الكلام وثبت الكرام وفر اللئام وقد دارت عليهم الكاسات بشرب راح المنيات وقد هد الملك زهير وزجر وبان مافى قلبه وظهر واشهر سطوته فى بنى عامر ونثر الجماجم مثل الاكر وكان اذا طعن خرق واذا ضرب محق واذا زعق فى جيش نفرق وترمى أرواحها الفرسان من زعقته على الارض والقيعان وما انكشف النهار حتى عولت بنو عامر على الفرار لانها أبصرت من بنى عبس قتالا ما أبصرته فى سائر الاقطار وما ثبتت على الويل والضرر الا بثبات خالد بن جعفر لانه اختار القتل على الهرب وكافح زهير حتى أشرف على العطب وفى تلك الساعة وصلت باقى الفرق والابطال فرأت الحرب عمال فطابوا الحرب والقتال وكانت بنو عامر عولت على الهرب مما قد ذاقوا من البلاء والعطب فقويت قلوبهم بقدوم أصحابهم لانه كان فيهم فرسان مثل الاسود منهم الربيع بن عقيل وجندح بن البكا والطفيل بن تهامة المعروف بفارس اليمامة وحماة القبائل الكرام الذين ذكرناهم قبل هذا الكلام فحملوا عليهم فى ذلك الجمع والملا وارتفع الصياح وعلا وكثر على بنى عبس العدد وتزايد المدد (قال الاصمعى) وأين العشرة آلاف من المائة فارس ولكن المائة فارس أقارب واخوة ونسائب فبان لهم أن البركة رماح وسيوف وسلاح وأما قيس وأبو زهير فان كلا منهما قد أشرف على شرب كاسات الردا من كثرة العدا وقاتل زهير أقوى قتال ما أبصرت مثله الاقيال لانه أبصر بعينه الهلاك وأيقن أنه ما بقى له من الموت فكاك حتى بقى كجسد بلا روح وقد جندل من بنى عامر مائة وخمسين فارسا ما بين مقتول ومجروح فابصر خالد فعاله فالقى نفسه عليه وقصد بالحملة اليه * هذا وزهير مال فى حومة الميدان وقد افتخر على الفرسان وصال وجال وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أيا جيرة بين اللوا والشقائق * يسومون للاعداء ثوب التمالق
أبينوا لقومى والرفاق بانني * لقيت العداط رابخيل سوابق
لعلهم ان يدركونا فاننا * قليلون والاعدا كبحر مطابق
فهم عصبة سباقة وقلوبهم * اذا شهدوا الهيجاء غير خوافق
كأن فتات المسك درحيقه * مع العرف فى كاساتهم والنمارق
أسيد سيأتى ثم نازح بعده * وعنترمقدام ليوم العوائق
هموا يأخذوا بالثار من آل عامر * لشاس اذا ما حق يوم الحقائق
واما دعا داعى النوى فى جموعهم * تجاوبت الغربان من كل ناعق
فانى اناادى من عيون قريحة * أنا الوجد أضنانى وحر البوائق
تخلى دموعى تستهل فما الهوى * يدارى ولا وعد اللسان بصادق
منعت الكرى اذ لم أقدها عوابسا * تثير عجاج المارق المتطابق
يجيد عليها الكر كل صميدع * ينال العلا والمجد غير مسارق
زواهر فى ليل الغبار كأنهم * نجوم رجوم مع سهام رواشق
فأفنى بهم من آل عامر عصبة * وآخذ ثارى بالقنا والبوارق
فان لم أنل قصدى فلا عدت بعدها * أحامى على ظهر الخيول السوابق

(قال الاصمعى) فلما فرغ زهير من هذا النظام التقى خالدا وحمل عليه من غير ملام واصطدما الاثنان كأنهما جبلان ودمدما وهمهما والتحما وافترقا والتزما حتى تكملا عمرا وطول لعمى وغابت عنهما الارض والسما ونعوذ بالله من احقاد جاهلية العرب لانها تعمل عمل النار فى الحطب لاسيما الملك زهير الغضنفر وخالد بن جعفر لانه قد جرى بينهما قتال وضراب يشيب من هوله الغراب وما بقى فى أيديهما من الرماح غير الاعقاب فرموها فى البطاح وسلوا أشفار الصفاح وتعاشقوا بين الفريقين حتى تثلمت فى أيديهما حدود السيفين وتعاركا الاثنين كتعارك الاسدين ولم يزالوا على هذا المنهاج حتى وقعا فى وسط العجاج فتماسكوا بالذقون وهان عليهم شرب كأس المنون حتى وقعوا على وجه الارض وبعضهما عالق ببعض الأن زهيرا لاجل تجبره فى البيت الحرام وقوله الفاسد وقع تحت كلكل خالد وصار خالد فوقه وملك ساعده وزنده وأراد ان يسل سيفه من غمده فما تمكن ولا بلغ مراده فصاح بمافى فؤاده الى فرسانه واجناده يابنى عامر أنجدونا واقتلوا زهيرا سريعا واذا لم تقدروا على ذلك فاقتلونا جميعا (قال الراوى) ولم يكن وقت الصباح أقرب اليهما من ورقة بن زهير فصاح وأبتاه ورمى روحه على خالد وضربه بالسيف على كتفه فلم تعمل شيأ من المآثر فكادت روحه أن تخرج من الضمائر ووصل بعده جندح ففتح يده بالسيف وضرب زهيرا على مفرقه فأضاع عمره وسمع لسيفه فى رأسه رنة وطنين وقال لخالد قم فوثب خالد عن صدر الملك زهير وعاد الى حجرته أخذها وصاح فى بنى عامر ارفعوا السيف فقد انقضت الحاجة فقال له الربيع بن عقيل وكان قد أتى على حس الصياح فابصر ما تم على الملك زهير لان المعمعة قد انقلبت كلها على صياحه وازدحمت فى ذلك المكان فصاح الربيع على خالد وقال له لا لك ولا لكرامة ولم ترفع السيف عنهم ونحن أبدا ما نجد لنا فرصة على الاعداء مثل هذا اليوم فدعنا نسقيهم كؤس الردا فقال له يا ربيع انى أخشى عواقب البغى والاعتدا أو أن يحل بنا ما حل بزهير لما بغى واعتدى وقد قلت لعمرو بن الشريد يعافينى من أن أسبى لهم حريما وحلفت على ذلك بالله رب العالمين وقد ظفرت بالمنى فما بقيت اتعدى هذا الكلام خوفا من البغى بين الانام ثم ان الربيع تبع خالدا وهو طالب أرضه ودياره حتى وصل لها وقر قراره وهدأت ناره وهو يقول لجندح ان سيفك لم يعمل أبدا واشمت بنا العدا فقال جندح والله يا خالد انى ضربته به ضربة لو جاءها توفيق من الهبل الاعلا ما عاش أبدا الا انك تعلم ان ساعدى شديد وعزمى ما عليه من مزيد وانى لما ضربته رأيت على السيف شيأ أبيض مثل السمن فلحسته فوجدته ملح فعلمت ان زهيرا مات وناحت عليه النوائح فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من قيس وبنى عبس فانهم لما علموا بموت زهير طلبوا الهرب حتى انقطع عنهم الطلب فقال قيس عودوا بنا الى أبينا ننظر حالته فان كان فيه رمق حملناه الى الديار لان الاعداء لا شك أتاهم شغل أشغلهم فى هذه القفار ثم ان قيسا عاد بهم الى أن وقف على مصرع أبيه فوجده يتململ مما أصابه ودهاه فنزل قيس اليه وكلمه ففتح عينيه وقال له ما الذى تريده منى يا ولدى اذهب فأنت الخليفة من بعدى على بنى عبس وعدنان ومالى عندك وصية الا أخذ ثارى من خالد بن جعفر ولكن اياك ثم اياك من أن تفرط فى الاحتفاظ بابن عمك عنتر فلا تسمع فيه كلام الاعداء والحساد وأولهم عمارة والربيع أولاد زياد فانهم له أشد عداوة وأقوى عنادا فتمسك به فان ملكك لا يدوم الا به ثم أشار يقول صلوا على طه الرسول

لك الحمد يا ربى وحكمك قاهر * فانت كريم غافر الذنب ساتر
قضاؤك ماض فى العباد جميعهم * بامرك يا مولاى تجرى المقادر
وصبرا جميلا الهمنى فانى * فقير وأنت الله بر وغافر
ويا رب فاقبل توبتى عند موتتى * فانك تواب رحيم وجابر

احس

أحس بروحى اذ يدب دبيبها * حريرعلى شوك وقلبى صابر
تموج باعضائى وترجع غيرة * تودع جسمانى وعقلى نافر
أبا عنتر قصدى أفوز بنظرة * أبل بها شوقى وتهدا السرائر
فلو كان فى ذا اليوم يشهد ماجرى * لكان لاخذ الثار حقا مبادر
وياقيس فاصبر للزمان وجوره * فما خاب عبد للمقادير صابر
فلا خير فى عيش يدوم بلذة * اذا ما يكون العبد لله شاكر

(قال الراوى) ثم انه بعد كلامه عاد الى حال غشوته فضج أولاده بالبكاء والانتحاب وأرخوا العمائم فى الرقاب فقال قيس لابيه وهو فى كرب من هذا الامر العظيم والخطب الجسيم أما نحملك معنا الى بنى عبس وعدنان فقال زهير لا ياولدى لا تزعجنى ولا تتعجب من حالات الموت فان الضربة التى فى رأسى أحس بها فى سائر جسدى والاعصاب ومالميت دواء ياولدى الا التراب فانه يستره من نهش الوحوش والذئاب ثم انقطع كلامه وفى عاجل الحال جاءه حمامه (قال الراوى) فعند ذلك حفروا له ووارروه فى التراب وشقوا ما عليهم من الثياب وعادوا طالبين المنازل والاطلال وهم حيارى فى أسواحال وما كان فيهم أشد حزنا وانتحاب من ورقة الذى قد ضرب خالدا وما قربت ضربته منيته وخاب فبقى ماشيا وهو مطاطى الرأس بين اخوته وجميع الناس وهو يتمنى الموت من عظم ماجرى عليه ودموعه تجرى على خديه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

رأيت بأنى تحت كلكل خالد * وقد عميت عنه وجوه المقاصد
بنادى الينا آل عبس تلفتوا * الى وعينونى على قتل خالد
فبادرته والخيل تعثر بالقنا * وبيض الظبا والموت صعب الموارد
ولكن نبا سيفى بكفى وخاننى * جنانى وما طاعته كفى وساعدى
و ياليتنى من قبل ضربة خالد * أتانى نزاع الموت بين العوائد
ولا بشرت بالخير امى تماظر * كما بشرت بى فى الرجال الاماجد
لقد بشرت بى وهى ترجو معونتى * نخاب رجاها عند يوم الاوابد
وصرت حديثا بعد ضربة خالد * أردد ما بين العدا والحواسد
فياليتنى فى قفرة مدلهمة * طريحا بها والطير تحوى كحائد
وياليت أمى لم تلدنى بفرحة * و ياليت شل الله كفى وساعدى
سقاك اله العرش ياابن جعفر * كؤس الردى من كل حر وبارد
بنى عامران كنتم قد ظفرتموا * بقتل زهير واشتفى قلب خالد
فعما قليل تنظرون فوارسا * تهز المنايا والقنا فى السواعد
ألا يابنى عبس وغطفان بادروا * ألا واسعفونى بالرجال الاماجد
و ياعنتر العبسى غوثا لما جرى * فانت رجانا يوم عظم الشدائد
لقد باتت الحساد فى فرش الهنا * بقتل زهير والبكا فى البوائد
سنقتل من فرسانهم كل سيد * ونسبى نساء بالولا والقلائد
ونفنى كلابا مع غنى وعامر * ونهلك أبطال الرجال بواحد
فعهدى به والحرب تخشى اقتداره * وتطلب منه العفو عند الاوابد
فلا كانت الدنيا اذا لم يكن بها * ولا طاب عيشى بعد فقدى لوالدى

لقد أصبحت عبس بغير مقدم * عليها الحمى ركنها فى الشدائد
اذا ما رأيت الدهر ياصاح قد بدا * فكن فى اجتماع الشمل من غير فاقد
وسارع اذا ما سارع الغير وانتبه * فعمر الفتى لا شك هجعة راقد

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من هذه الاشعار بكت الكبار والصغار وقامت النوادب ولطمت اللواطم وسار القوم طالبين الديار وهم فى هموم وافتكار وتماظرتا كل لهم يديها وكفيها وتلطم على خديها وقد أكثرت من تعديدها وهى تهم ان تقتل روحها فتمنعها خدامها وعبيدها ومع ذلك كانت أكثر النساء عقلا واعلاهن حسبا ونسبا واشارت تقول صلوا على الشفيع المشفع يوم البعث والنشور المهول

ليت سكان الابارق والنقا * علموا بالحزن منا والشقا * ساعدونى بالبكا عند اللقا
فلقد صار بكانا علقا * اكثروا النوح على اطلالهم * بعد ما ساروا وقد عز اللقا
مذ نأوا غنى وغابت عينهم * وحدا حادى المطا بامشرقا * رحلت روحى وسارت معهمو
وكذا قلبى غدا منطلقا * قلت يا روحى ارحلى لا ترجعى * ثم يا قلبى المعنى استفقا
جاوبتنى الروح والقلب معا * هل لنا من عودة أو ملتقا * ذهب العيش بأكناف الحمى
وتقضى عز سكان النقا * ما ظننت الدهر ان يفجعنا * لا ولا أيقنت ان نفترقا
كيف صبرى بعدكم من بعدكم * ليس لى صبر وعز الملتقا * واحيائى من عداتى كلما
نظروني كنت منهم مطرقا * فعل الدهر بنا فرقنا * شتت الشمل فلا يرجى اللقا

(قال الاصمعى) ثم انهم ساروا وورقة بن زهير لم يقم قامته بل يبكى و يقول وامصيبتاه كيف قعادى بين السادات أم كيف خروجى الى المهمات ثم انه أشار بقول صلوا على طه الرسول

رأيت أبى قد خر ملقى أناظره * فاقبلت اسعى نحوه وأبادره
أرى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان حد السيف والسيف باتره
فشلت يمينى يوم ضربة خالد * ولم يحمه منى حبيب مناصره
فاضربه والقلب ليس بحاضر * وعقلى مما يؤلم القلب خامره
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * فقدت ولم أعرف من الدهر ضائره
ويا ليتنى من قبل ضربة خالد * وقتل زهير لم تلدنى عماظره
فقد بشرت بى وهى ترجو معونتى * فخاب رجاها حين عز تناصره
ستعلم قومى ان أعيش وان أمت * بقلبى حزن دائم هاج ثائره
فصبرا خالد ان كنت تقدر طائرا * فعقلى لاجل الملتقا حام طائره

(قال الراوى) فتباكوا عليه الجميع وكان أكثرهم هما وغما قيس فانه صار يقول القلب من فراق عزى قد احترق والدمع على الخدود قد اندفق وجعل ينشد و يقول صلوا على محمد الرسول

نخطو وما خطونا الا الى الاجل * وننقضى وكأن العمر لم يطل
والعيش يوردنا بالموت أوله * ونحن نرغب فى الايام والدول
يأتى الحمام فينسى المرء صرعته * وأعضد المرء ما تثنى عن الامل
لا تحسب العيش ذا طول فتركبه * ياقرب ما بين عنق المرء والكفل
نصاب من حادث الدنيا ونطلب ما * يدنى الزمان بارماح من الاجل
سلوا عن العيش ظل لا يدوم لنا * فاهون العيش ما يشفى من العلل
يقودنى الموت من دارى فاتبعه * وقد هززت باطراف القنا الذبل

فالمرء

فالمرء تدركه حتما منيته * وقد نجا من قراع البيض والأسل
يبكى الفتى وكلام الناس يأخذه * والدمع يسرح بين الغدر والعلل
ليس الفناء بمأمون على أحد * ولا البقاء بمقصود على رجل
وفى الجفون دموع غير فائضة * وفى القلوب غرام غير مرتحل
هذا العزاء وذى الدنيا مفارقة * والعمر يقطعه المغرور فى شغل
فلا تمل لزمان أنت فى يده * رهن ومالك بالاقدار من قبل
قد راح شاس ولم تظفر بقاتله * كيف القرار مع الجيران فى الحلل
وقد مضى والدى من بعده وغدا * رهن رمس فياذلى و ياخجلى
أقسمت بالكعبة البيت الحرام ومن * أتى لها قاصدا حاف ومنتعل
لابد ان أقتفى آثار قاتلهم * وآخذ الثار بالعسالة الذبل
سقى الاله ثرا باضم أعظمهم * مجلل الودق محمر وما من العلل
ولا يزال على قبر تضمنهم * برق يشق جيوب العارض الهطل

(قال الاصمعى) فهذا ما كان من بنى عبس ورجوعهم (وأما ما كان) من بنى عامر فانهم وصلوا الى ديارهم وهم فرحون مستبشرون وكان ملاعب الاسنة مقيما فى الاحياء والاطلال فى نفر قليل من الرجال خوفا على الحريم والعيال فركب عند قدوم خالد والنقباء وسأله عما جرى له مع أعداه فبشره بكل خير وأعلمه بقتل الملك زهير وأوقفه على جلية الخبر فهناه بالنصر والظفر فقاله والله ياخالد بئس ما فعلت من ترك قيس واخوته لان الانسان اذا فعل شأ يتمه و بعمله جيدا لان ترك العدو لا يفيد فقال خالد والله يا ابن العم انى خفت من عاقبة البغى واليمين الفاجر هو الذى رمى زهيرا لما تجبر فى الكعبة على رب العالمين فاصبح فى المقابر وهو رهين فقال ملاعب الاسنة والله ياخالد ما هذه فعال الرجال ولكن دلنى عليهم حتى الحقهم بالابطال و يبلغك ما أنزل بهم من النكال و بعد ذلك نسير كلنا الى ديارهم ونقطع آثارهم فقال خالد يا ابن العم الامر قد فات وأما قولك نطلب ديارهم فهذا لا يتم لنا حتى نهلك عنترة بن شداد فاذا قتلناه بلغنا منهم الارب والمراد وأفعل به كما فعلت بزهير وأتركه على الارض عفير لانه مضى الى بلاد اليمن مع غلام قد ظهر لاسيد بن جذيمة فنسير من ههنا ونكمن له فى الشعاب التى بيننا وبين بلاد اليمن وهى شعاب المسارح فلما سمع ملاعب الاسنة ذلك صعب عليه وأخذته حمية الجاهلية لانه كان من الفرسان القويه وقال لخالد أنت ما وجدت لى فضيلة الا قتل هذا العبد الاسود وحق ذمة العرب انا ما أرضى بقتل سادا تهم الاماجيد فكيف أرضى بقتال العبيد وقد رأيت لما أتانى كتاب الاسود أخى النعمان وطلب منى النصرة عليهم فما رضيت ان أسير اليهم حتى لا أقاتل عبدا لا قدر له ولا قيمة فان أردت ان نسير اليه فسر أنت وأنا أقيم عند الحريم والمال حتى انك تعود وتقضى الاشغال فقال خالد دعنى أنا أقاتله وألبس العار ويلحقنى الذل والشنار ثم انه نزل الى الراحة ومن الغد انفذ الى سائر الاقطار ليأتى الى معونته كل فارس مغوار وبعد ذلك أخذ ثلاثة آلاف فارس من كل مدرع ولابس وفى جملتهم جندح بن البكا والربيع بن عقيل الفارس النبيل وسار قاصدا شعاب المسارح الى ان أتى اليها وأقام كما منافيها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عنتر بن شداد فانه سار مع أسيد ونازح يقطعون البر والوهاد و يتذكر ما لقى من حب عبلة وما صفا له من الزمان وهو ينشد و يقول هذه الابيات صلوا على صاحب الآيات

شكواى دهرى للضمير وضيغم * وأغيظهم فى منعهم عن مغنم
لا سلوة بل صبوة متتيم * يرجو الوصال له مودة مغرم

خير الوداد وداد الف ناطق * ان تلعب الاهواء به لم يصرم
حتى المنيع الجار يقرب بأسه * بالسابقات الى جزيل الانعم
غرس الفصيح بلا لسان صامت * دون الثناء ولا يفي بمنهم
لي همة تصبو لسالف عهدها * لم ترض نسيان الرفيق الاقدم
مظروفة بشفا الخطوب بنوشها * بالجود غايات العز بزالازلم
يابنت مالك زادني شوقي الى * ذلك الجمال فأنعمي وتكرمي
سعد الجهول لقد أراح فؤاده * مما اروم فليتني لم أعلم
يلوى مواعدها الزمان فتنقضي * انجازه فالى متى والى كم
يابنت مالك زاد وجدي والاسا * وسكت حتى لا يقال تكلمي
وصبرت خوف الحاسدين على الهوى * وسترت وجدا في فؤاد مهيم
وهيام وجدي في الضلوع مخيم * لولا اصطباري ما سميت متيم
والآن قد سافرت مع ملك له * فضل وفي كل الحروب غشمشمي
كل القبائل تخش من سطواته * متواضع ذو عفة وتكرم
يوم الحروب تكاد زرق رماحه * عند الطعان تميل نحو الانجم
ياسيدي فاسمع لشرح قتلته * لازلت من جور الزمان مسلم

(قال الاصمعي) فطرب أسيد من شعره وحسن نظامه وزاد به غراما فباح بما في جنانه من هيامه وصار يقول هذه الابيات

انا محبوك ياسلمى فحبينا * وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى عز ومكرمة * في يوم سارت كرام الناس فادعينا
ان نبتدر غارة في يوم معركة * تلق السوابق منا كالشواهينا
وليس يهلك منا سيد أبدا * الا أقمناه مما سيد افتينا
انا لنرخص يوم الروع أنفسنا * ولحفظ شباننا من كل هلينا
بيض مفارقنا تغلي مراجلنا * وبذل أموالنا آثار ايدينا

(قال الراوي) فلما فرغ اسيد من هذه الابيات هاجت بنازح ولده الزفرات وأشار يمدح عنترا بهذه الابيات ويقول صلوا على سيد السادات

يكاد الدجى يغدو صباحا منورا * اذا عدد المثنى مناقب عنتر
ويزكو نسيم الجو عند مديحه * كان باعلاوجهه نشر عنبر
اذا مدرحا أسمرا في نزاله * فلا طعن الا في ضمير ومحجر
وتشكو طغاة القوم صورة فتكه * بظلمة ليل مع صباح ومسفر
فللوحش رزق من مواهب سيفه * وللطير من جسم الكماة المعفر
تمنع عن سكنى الجفير حسامه * فيغمده ما بين رأس ومنحر
وتكره ورد الماء كل خيوله * فيوردها في ناقع اللون أحمر

(قال الراوي) فتقدم عنتر اليه وقبل يديه وشكره وأثنى عليه وقال له ياسيدي جميع ما طلع من فلك فهو فيك لانك أنت بالمديح أولى لاني أنا العبد وأنت المولى ثم انهم ساروا يجدون المسير وأخذوا في الجد والتشمير واذا قد ظهر من بين أيديهم غبار وعلا وسد الاقطار ساعة من النهار وظهر من تحته

جيش

جيش جرار كأنه البحر الزخار وفى المقدمة فارس كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد وذلك الجيش من خلفه يسير ثم انه لما رأى جيش عنتر قد اعترضه فى الطريق أرسل بعض عبيده يكشف له الخبر وكذلك فعل عنتر لانه لما أبصر الغبار أرسل أخاه شيبوب يأتيه بالاخبار فالتقوا الاثنان فى الطريق فقال لشيبوب يا ابن الخالة من أى العرب جئتم ومن أين والى أين أنتم سائرون ومن هو مقدمكم وقائدكم وافلكم فقال له شيبوب نحن من بنى عبس الذئاب الطلس المعروفين بين العرب الكرام بفرسان المنا باوالموت الزؤام وأما مقدمنا فهو أوحد هذا الزمان وفريد العصر والاوان حامية عبس وعدنان الذى قال فيه الشاعر مالك بن حسان هذه الابيات الحسان

هذا الذى شاع فى الآفاق مدحته * هذا المسدد عند العجم والعرب
هذا المعد لدفع المعضلات ومن * يسطو بمرهفه فى الموقف الرهب
ما ان يرى فى التقافى يوم معركة * الاوقد زلت الابطال للهرب
هذا المؤمل والضرغام تعرفه * كل الصناديد والفرسان فى العرب
لم يعل مثل له ظهر الجواد ولم * يرى شبيه له فى سالف الحقب
يسوق اعداه سوق السرح فى ملا * ويغنم بالمال والانعام مع سلب
أبو الفوارس سموه بعنترة * أبوه شداد عبس مفخر العرب

(قال الراوى) ثم انه قال وأما سؤالك عن مسيرنا فان بعض ملوكنا أسرت له زوجة فى بلاد اليمن ونحن سائرون الى خلاصها ثم قال وأنتم من أى البلاد ومن أى العرب ومن قائد جيوشكم والى أين أنتم سائرون فقال له العبد وقد تبسم وزاد به السرور اما قولك من أى العرب فاننا من بنى هبيرة وأما قائد جيشنا وسيدنا ومالك قيادنا فهو المعروف بمشبع الاطيار وأما جهة سيرنا فاليكم قصدنا وانتم طلبتنا ثم ان العبد سار طالبا قومه وعاد شيبوب الى أخيه عنتر (قال الاصمعى) وكان السبب فى مجىء هذا الجبار كلام عجيب وذلك ان هذا الفارس شيطان من شياطين اليمن يقال له سابق بن طود الجيوش وكانت العرب تسميه مشبع الاطيار وكان خروجه من أرضه فى طلب عنتر بن شداد وهو فى جملة من الفرسان الاجواد وذلك انه لما بلغه الخبر بان عنتر قتل صديقه خطاف القنا الذى قتله وهو عائد من عند النعمان فى وقعة الخيشمور والهيثم بن فضالة وهو أقفى من فرسانهم بلا اطالة فسار حتى يأخذ ثاره ويكشف عنه عاره الى ان التقى بعنتر وقد نزل شيبوب بكشف الخبر ورجع كل واحد الى رفيقه وأقبل العبد على طود الجيوش وأعلمه ان مقدم هذا الجيش عنتر بن شداد ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد ودعس جواده الى الميدان واشتهر بين الفرسان وصال وجال وطلب الحرب والقتال وأنشد وقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

اليوم اكشف ما فى القلب من غصص * ولى اصطبار على هذا ولى جلد
كم ذا نضام ونسقى كل نائبة * من المذمة والاحشاء تتقد
لا صبر لا صبر بعد اليوم ان لنا * نارا بحمر لظاها يحرق الكبد
فأطمسوا بذباب السيف أعينهم * فأين ملجؤهم ان مالت الاسد
فأين عنترهم يأتى الى رجل * يبرى الرؤس ومنه تفلق الخود
ساخذ الثار والجمعان ناظرة * هذى فعالى وكل الناس لى شهدوا

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره ونظامه ووقف فى ميدان حربه ومقامه وسمع عنتر كل كلامه وكان أخوه شيبوب أعلمه بما أتى فيه هذا الفارس بقوة اهتمامه حمل عنتر عليه وساق الجواد وقصد اليه وهو يجيبه على شعره ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

كم خضت معمعة بحد حسامى * أخمدت نار ضرامها بضرامى * مارامنى يوم الحروب بحالد
الا أزلت جلاده بحسامى * لامرحبا يامن أتانا قاصدا * اليوم تلقى فارسا ضرغامى
أنا عنتر العبسى والبطل الذى * ذكرى سرى فوق الثرى بأنام

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه * هذا وقد مالت بنو عبس على بنى هبيرة وقلوا فى أعينهم ومالت بنو هبيرة عليهم ولم يعلموا ان فيهم مثل نازح وأبيه وأسيد وعروة ابن الورد وشداد بن قراد (قال الاصمعى) فعند ذلك التفت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وعمل السيف القضاب وقل اللوم والعتاب وتعثرت الخيل برؤس الشيوخ والشباب ودارت طواحين الاجال ومال عليهم نازح واستطال وكذلك عروة بن الورد عمل عملا عظيما وقاتل قتالا جسيما ولم يزل القتال يعمل الى ان قامت الشمس فى كبد السما وقد خاضت الخيل فى الدما وأشرفت الناس على الهلاك والعمى * فبينما هم على أشد ما يكون من القتال والطعن والنزال واذا بصائح قد صاح وهو بأعلا البطاح وفى يده رمح عالى عليه سنان ومن فوقه رأس انسان كأنها رأس شيطان وهو ينادى ويلكم يا أوغاد غيرا مجادهذه رأس سيدكم قد قتله عنتر بن شداد الذى سلطه الله على أهل العناد (قال الاصمعى) وكان قد جرى بين مشبع الاطيار وعنتر قتال يعمل عمل النار لانهما تطاعنا حتى تقصفت الرماح ورجعا الى ضرب البيض والصفاح وأخذا فى الانطباق والالتصاق فضايقه عنتر ولاصقه وسد عليه طرائقه وضربه بالسيف على عاتقه فأطلعه يلمع من علائقه فخطف شيوب الرأس من الهواء بالعجل وجعلها على رأس سنان رمح معتدل وقصد بها ذلك التل والجبل وأعلن بالنداء كما ذكرنا * هذا وحين أبصر بنو هبيرة رأس سيدهم كما وصفنا ولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وبنو عبس تعمل فى أقفيتهم بالسيف البتار والرمح الخطار وما رجعوا من ورائهم الا آخر النهار وعنتر بين أيديهم ينشد ويقول

كفى ملامك عن لومى وتفنيدى * صبابتى بالمها والخرد الغيد
اطلت حتى حسبت المجد منقصة * كلا ولو انه حتف الاماجيد
لما رأيت غراما جل عن عدد * تركت نومى وقد داومت تسهيدى
ومذ أتى مشبع الاطيار يطلبنى * بثار صاحبه والدهر مكدودى
ضربت قمته بالسيف مقتدرا * وجلت فى قومه جول الصناديد
وكم لقيت بقلبى كل نائبة * والخطب يجلب من قوم رغاديد
والخيل تجرى خفافا فى أعنتها * وهن ما بين مقتول ومطرود
تكر تحت غبار النقع فى وهج * على نجيع من الفرسان مسرود
وآل عبس على صهوات اظهرها * قد حطموا فى التراقى كل معدود

(قال الراوى) وقد بات عنتر فى تلك الارض باصحابه الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وذكرت الصلاة على سيد الفصاح سيدنا محمد بن الملاح ورسول الملك الفتاح فجمعت بنو عبس الخيل والاسلاب وساروا الى ان قربوا من أرض بنى القينان فاراد نازح ان يسبقهم الى الحى ليعلم أهله بما قد جرى له فسار ومازال سائرا الى ان وصل الى الحى فابصر وافى ارضهم طيورا طائرة وهى فى الجو حائمة وبرق صوارم لامعة وصياح نسوان وبكاء صبيان وأمورا تدل على وبال وشر وقتال (قال الاصمعى) فلما رأى نازح هذه الاحوال عاد الى عنتر فى عاجل الحال وقال له دهمنا يا حامية عبس اسرع لاجل القتال حتى اننا نخلص الحريم والعيال من أيدى هؤلاء الاعداء الانذال فقال له الامير عنتر أبشر يا ولدى بما يسرك ودفع جميع ما يضرك ثم ان عنترا قسم الثلاثمائة فارس الذين معه ثلاثة أقسام وأمرهم بالحملة سوية على هؤلاء

الاعداء

الاعداء اللئام وكان عروة مقدم رجاله ونازح مقدم اقياله والامير شداد مقدم المائة الاخرى وترك له أسيدا واقفا تحت الاعلام فى خمسين فارسا تمام وأمره ان يرد من يعود عن الحرب والصدام وكان أسيد اراد ان يحمل معهم فى الاول ويجادل ويكافح لان القتال من أجل ولده نازح فما مكنه أبو الفوارس عنتر من ذلك بل قال له يا مولاى ما هذا صواب أن تقاتل أنت معنا هؤلاء الكلاب ولكن كن أنت فى مكانك تحت هذا العلم حتى تعلم هؤلاء الاعداء ان لنا رأسا ومقدم واذا رأيتنا قد ولينا منهم مدبرين فاحمل أنت وانصرنا ولا تدع الاعداء تملكنا فعندها أجابه أسيد الى ما طلب وحمل عنتر بالخمسين فارسا الذين معه على أعدائه كانه الاسد الاغلب فعندها جميع بنى عبس حملت ولأعنة خيلها أرسلت وعلى القتال عولت وصاحت ودمدمت ولسيوفها فى الرقاب أرسلت فحمل الامير عنتر الى معونتهم كأنه البلاء المسلط وأخوه شيبوب الى جانبه كأنه الثعبان الارقط أو الذئب الامعط وانطبقت فرسان بنى عبس على بنى الارقط (قال الراوى) وكانت هذه العساكر أشد عرب اليمن وأجبرها وأصبرها على نوائب الزمن وكذلك كان مقدمهم أعظم الملوك وأجبرها وأشدها جهلا وكفرا وأوحشها صورة ومنظرا وكان شديد الباس صعب المراس كثير الفرسان والابطال والاقران وكان اذا ركب الى الميدان تخضع له رقاب الشجعان من أرض السواد الى جبل الدخان وكان مولعا بحب النسوان وله عجائز تدور فى الاحياء ويدخلون على بنات السادات فاذا نظروا بنتا عربية حسنة أتوا اليه وأعلموه بها فينفذ الى أبيها ويخطبها منه فان أرسلها اليه كان وان أبى أرسل اليه العساكر وخرب دياره والاوطان ويأخذها منه غصبا بالارضا ولا يزال معها الى أن يسمع بغيرها فيجعلها من جملة أمواته الى ان سمع بحديث ضمية بنت عباد فأنفذ يطلبها من أبيها فرد أبوها رسوله خائبا وقال انا ما أزوج ابنتى لرجل جبار لا يعرف العار ولا يغار على النساء الاحرار (قال الراوى) فلما سمع نقمة كلامه اشتد به الغضب وانفذ اليه ولده كلبوب فى سبعة آلاف فارس من بنى الارقط وقال لولده كلبوب لا تعد الا وعبادة معك ذليل مهان وائتنى به بين الابطال والفرسان فقال ولده السمع والطاعة وحق الليل اذا اعتكر والقمر اذا ظهر ما أتركهم الا مثل ما يذكر بين البشر وعبرة لمن اعتبر (قال الراوى) وكان هؤلاء القوم يعبدون القمر ويستغيثون به فى المهمات وضلوا عن رب الارض والسموات فسار كلبوب بعد وصية أبيه نقمة الى بنى القيان وحصل لهم ما حصل ووصل نازح وبنو عبس وعنتر وأسيد ووجدوهم نهبت أموالهم وهتكت نساؤهم وسبيت بناتهم فحمل عنتر عليهم وفرق من الاعداء كتائبها وخرق جوانبها ونكسها عن مراكبها وسمعت فرسان بنى عبس صياح عنتر فدخلت فى قسطل الغبار فرجعت بنو الارقط الى وراها وأبصرت البلاء قد أتاها فعادت من بين المضارب والخيام وهى نافرة مثل الوحوش الشاردة والزرازا عليهم واردة (قال الاصمعى) فعند ذلك سأل كلبوب بن نقمة عن الخبر وقال ما بالكم هاربين قالوا انا رأينا العبر وكان كلبوب واقفا خارج المعمعة وهو ينظر السبى الذى يأتوا به بين يديه وكان قد أبصر فرسان بنى عبس لما حملت بابطالها وجالت بفرسانها ولكن نظر الى قلتهم فما خطر بباله الاهتمام بهم ولم يعلم انهم فرسان المنايا والموت الزؤام الا انه لما نظر ابطاله نافرة يمينا وشمال أخذته البهتة والانذهال فنادى يا ويلكم ايش هذه الفترة يا بنى الاندال اعلموا ان هذه غنيمة قد أتتكم من غير هذه البلاد وهى نجدة للعباد وهى أكثر من ثلثمائة فارس وفرد رجل واحد ماشى على الاقدام (قال الراوى) ثم انه حمل وزعق وقسم أصحابه ثلاث فرق فحملت كل فرقة على فرقة فرأوا بنى الارقط فوارس لا ترد وأبطالا لا تعد ولا تبالى بالعطب ولا تطلب الهرب بل تحمل حملات الاسود فيفرون البطون والنهود وظهرت من الرجال النخوات وعنتر يطعن فيهم طعن المميات فما استطاعوا الوقوف بين يديه فولوا هاربين والى النجاة طالبين وما سلم منهم غير القليل فصاروا يستغيثون

يا بن ملكهم كلبوب وهم يقولون يا ويلنا من هذا الفارس المنتخب والرأى عندنا انك يا كلبوب تطلب الهرب من قبل أن يقدم عليك عنتر وينزل بك العطب ويخطف روحك من بين جنبيك ويترك أهلك ينوحون عليك (قال الراوى) فلما سمع كلبوب منهم ذلك المقال سحب حسامه وضرب منهم عشرة رجال وقال أذلكم الله بين العرب يا ويلكم أنتم ألف فارس وتنهزموا من مائة فارس ولكن لوانى أريد ان أريكم ما أفعل بهذا الفارس الذى ذكرتموه فلا يأتينى منكم أحد فى هذه الساعة ثم انه خرج من تحت الاعلام وقال لبعض رفقائه تقدم واسأل هذا الشيطان من أى قبيلة فسار من عنده جماعة الى عنتر وقالوا لمن حوله ولم يقدروا أن يسألوه ما يقال لهذا الفارس الذى خاب امله ودنا مرتحله فسمعه عنتر فلم يمهله أن يتم كلامه حتى طعنه برأس السنان فكركبه عن جواده وضرب الذى يليه بالرمح فى فاه فخرج يلمع من نقرة قفاه وضرب الثالث بالحسام فطير منه الهام وحمل على مقدمهم كلبوب وانطبق عليه وحملوا على بعضهم كأنهما بحران التطما أو جبلان اصطدما وحمى بينهم الطعن والضرب وقد طلب أصحاب كلبوب أن يعينوه فما مكنهم من ذلك وأراد ان يريهم قتاله ومقاله فزعق عليهم وأوقفهم وقد دام القتال واشتد النزال وفى دون ساعة انكسرت الالف الذين كانوا قدام نازح (قال الراوى) وقد انهزمت الطائفة التى قدام عروة بن الورد وأوسعوا فى الهرب وولوا فى البر والسبسب وقد نادى عباد فى بنى القيان يا بنى الاعمام اشهروا بالنصر والمصالح فقد وصل الينا نازح ومعه العصبة القوية والفرسان العدنانية فقاتلوا معه بنية قوية (قال الاصمعى) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان انكسرت بنو الارقط وسار نازح ومن معه يطلبون عنتر * هذا وبنو القيان لما رأوا ذلك الفرج اعلنوا بالصياح وحملوا وطعنوا فى العدا بالرماح الى ان انكسرت بنو الارقط وهجموا فى الربا والبطاح وقد رجع نازح وبنو عبس وأما عنتر فانه مازال مع خصمه فى قتال وطعن ونزال الى ان كل كلبوب ومل وانحل عزمه واضمحل وطلب الهرب من قدام عنتر فاظهر له عنتر الفتور فطمع فيه كلبوب واشتد وطعنه طعنة قوية وعنتر صابر لها وهو متنبه للضربة الى ان قاربه السنان ووصل الى نحره فجذب سيفه وضرب به رمح كلبوب فبراه وورده عليه بعد ان أمهله الى ان قاربه وصار بين يديه فضربه على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه ولما ضربه عنتر ووقع على الارض قتيل وفى ذمه جديل حملت الطائفة التى كانت معه وقصدت عنتر من كل جانب ومكان وأقبلت عليه مثل فروخ الجان وعنتر قد هاج كانه البحر العجاج المتلاطم بالامواج وكان شيبوب أخذ رأس كلبوب ووضعها على الرمح وصار ينادى يا ويلكم ممن تقاتلون يا عباد الليل والقمر وصاحبكم كلبوب قد مات وانقبر فلما عرفوا رأس سيدهم كلبوب ولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وتشتتوا فى اقطار القفار بعد ما قتل منهم خلق ما يقع عليهم عيار (قال الاصمعى) فلما نظرت بنو القيان الى عنتر وما فعل ترجلت اليه الابطال والشجعان وقال عباد يا نازح من يكون هؤلاء القوم الذين قاتلوا معنا من غير معرفة فقال نازح وقد تبسم هم بنو عبس وعدنان وأما دخولهم معى فى هذا المكان فليس بعجب لان ملكهم أبى ويليهم نسبى (قال الراوى) ثم انه حدثه بحديثه وما جرى له فى سفرته وكيف كانت معرفته بهم فى غيبته فلما سمع نازح حديثهم تعجب وحصل عنده غم وارتعب لانه لما ذكر له بنى عبس ضاقت منه النفس وبعدها راقت أحواله وأخذه الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله ما كان عندى قبل اليوم أشد بغضة من بنى عبس ممن طلعت عليه الشمس لاجل ما كان بيننا من الغارات والقتل والآن وحق من رفع السموات وبسط الارضين على الماء وجعل البيت الحرام أمنا وحما انا ناصرنا لهم عبيدا ونساؤنا لهم اماء خادمات وحق من هو عالم بما كان وما هو آت ولكن يا ولدى من أبوك فيهم فقال له اعلم ان أبى أسيد بن جذيمة الذى على

راسه

راسه العلم صاحب المهابة العظيمة وهو زوج أمي سلمى التي هي أختك في عهد الله وميثاقه (قال الراوي) ثم انهم ساروا الجميع الى ناحية الامير أسيد بن جذيمة وسلم بعضهم على بعض وانبسطوا في تلك الارض قد علم عباد انهم طائفة كريمة من ذوي الرتب فاكرمهم وشكرهم وحياهم بتحية العرب فقال أسيد اعلم ياعباد وحق الملك الجواد أنه قد صار فضلك البنا واحسانك علينا لانك قد ربيت لنا هذا الولد الى أن صار من الفرسان ويعد من الشجعان ومابقينا نقدر على مكافأتك طول الزمان وأنا ما أتيت هذا المكان لامن أجل ضميمة بنتك بدر التمام ونريد أن تتم احسانك وتوصل النسب بيننا وبينك فقال عباد يامولاي ومن أين لي بهذا الامر وحق زمزم ومنى لا آخذ منه مهرا معدود ولا أطالبه بصداق ممدود * قال فشكره أسيد (ثم) انهم ساروا الى أن وصلوا الى الاحياء فتلقتهم النساء وصار البنات يضربون بالمزاهر والآلات وخرجت أم نازح وسلمت عليه وقبلته بين عينيه فاخبرها بما كان من أمره وانه عرف أباه أسيدا وأعطاها ملبوسا من دار عبس فلبسته ضمية بنت عباد وفرحوا بذلك الايراد (قال الراوي) فلما علمت أم نازح أن أباه قد أتى معه في طائفة بني عبس وهم شداد وولده عنتر وعروة بن الورد زادت افراحها وقد لبست ثيابها وزالت اتراحها ونظرت الى بعلها أسيد فعرفته فهرولت اليه وقبلته وسلمت عليه فترجل اليها وسلم عليها واعتنقها وبكى ومافيهم الامن ذكر العهد القديم واشتكى وحدث كل واحد منهم صاحبه بما لاقى بعد فرقته فكانوا كما قال الشاعر حيث قال بفطنته

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

(قال الاصمعي) فلما دخل الليل الا وضربت لهم الخيام ونقلوا اليهم البسط والفرش ومدت لهم أواني الطعام وصافي المدام وعند الصباح وصلت اليهم من عباد الهدايا والتحف الملاح وما تضاحى النهار حتى صارت أمورهم نافذة في بني القيان وقد عزت أنفسها بعدما كانت تهان وبهذا حكم الملك الديان الذي لا يشغله شان عن شان (قال الراوي) وقد اصطنع عباد وليمة عظيمة جمع فيها سائر بني عبس وسادات قومه الكرام وصارت جميع فرسان بني القيان تخدم عنتر بن شداد وتزيد له في الاكرام وبعد ذلك طالب أسيد عبادا بزفاف ضمية على ولده نازح فقال له سمعا وطاعة ثم قال اعلم ان بنتي قد انتجز أمرها وفرغ شغلها ولو أمرتني الليلة ان أزفها لزففتها ولكن قلبي خائف من هذا الجبار الذي قتلتم ولده كلبوب ولا بد ان يسير الينا في عالم عظيم ويقطع منا الآثار فقال عنتر ياعباد ومن هو هذا الجبار الذي تقول عنه هذا المقال فوالله انني لا أخرج من هذه الديار واترك أحدا يحكم عليك من الرجال فوحق ذمة العرب وشهر رجب لاقودن هذا الجبار من رقبته اليك وأريك فيه ما تقر به عينيك واجعل كل من على وجه الارض في جبال الدخان طعما لوحش الفلا والغربان وان شاء الله تعالى أسير في مائة فارس واصرم عمره واقطع أصله وفرعه فقال عباد يا أبا الفوارس لا تحلف ولا تحدث بما ليس لك به علم ولا تظن ان هؤلاء القوم مثل غيرهم لان أرضهم ضيقة ما للفوارس فيها مجال وان هذا الجيش الذي أهلكناه ما هو الا نقطة من تيار أو شرارة من نار ولكن اصبر حتى اننا نكاتب الحلفاء والاصدقاء وسائر العربان ونسير كلنا الى جبل الدخان ونبذل المجهود مع هذا الشيطان وان كان يطلب منا فديه دخلت له تحت كل ما يريد وان لم يرض بذلك قاتلناه وطلبنا النصر من الملك المجيد (قال الاصمعي) فلما سمع عنتر من عباد هذا الكلام قال يا أسيد ايش هذا الكلام فوحق من سطح المهاد وجعل الجبال أوتاد وكسا الليل حلة السواد لاسرت اليهم الا في مائتين فارس من بني قراد وعروة بن الورد وأبي شداد ولو أنهم بعدد قوم ثمود وعاد صاحب ارم ذات العماد (قال) ولما ان سمعوا من عنتر هذه الاقسام تعوذوا برب زمزم والمقام والمشاعر العظام ومافيهم من رد عليه كلام الا ان أسيدا قال له يا أبا الفوارس ان كان ولا بد

فارحل من غد ونحن نلحقك لانك لا تأمن عليك ان تسير فى أرض لم تعرفها وتريد أن تلقى أهلها فى هذا النفر القليل فقال عنتر يامولاى الامر اليك وأنا أرجو ان شاء الله تعالى أن أمضى هذا الشغل قبل ان تلحقونى (قال الراوى) وكان هذا القول عند المساء ولما ان هوّد الليل وطلع نجم سهيل أمر عنتر أباه شداد وعروة بن الورد ان ينتخبوا فوارس اجواد يكونون معدودين للحرب والجلاد فاخذهم وقت السحر وساروا يقطعون البر الاقفر * ولما ان خلا عنتر بنفسه تذكر محبوبته عبلة فبكى وأن واشتكى لانه رأى أسيدا اجتمع بزوجته سلمى ونازح بضمية فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم يارباه أنت تعلم بما أنا فيه من البلا وما قاسيت بين الملا وجميع الناس انتظم أمرهم وما بقى الا أنا فاجبر خاطرى بعبلة لان قلبى قد انكسر وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

حسناتى عند الزمان ذنوب * وفعالى مذمة وعيوب * ونصيبى بعدا لحبيب جلاد
ثم غيرى له الذنوب نصيب * كل يوم يبرى الزمان سقاما * من محب ومالسقمى طبيب
ان طيف الخيال ياعبل يحيى * ان سرى القلب وهو ذا المكروب * كيف يسرى ودونه فلوات
دون تقطيعها الصبا والجنوب * يانسيم الحجاز لولاك تطفى * نار قلبى اذ زار قلبى لهيب
ولقد ناح فى الغصون حمام * فشجانى حنينه والنحيب * بات يشكو فراق الف بعيد
وينادى أنا الوحيد الغريب * قد تنفست من فؤاد عليل * نفسا يستعيذ منه الطبيب
ياحمام الغصون لو كنت مثلى * عاشقا ما حوالك غصن رطيب * فاترك العشق والهوى لتحب
قلبه قد ثوى به التعذيب * كل يوم له عتاب كدهر * وقدا تجمعت عليه الخطوب
وحروب لا تنقضى ورزايا * مالها آخر يكون قريب * فاسلى عبل عن جواى خبيرا
وشجاعا قد جربته الخطوب * فهو يخبرك ان فى حد سيفى * مورد الموت حاضر لا يغيب
وسنانى يوم الطعان عليهم * مرهفات تهاب منها القلوب * كم شجاع دنا الى ونادى
انتى القرم والشجاع النجيب * مادعانى حتى أتاه حمام * من حسام تنشق منه الجيوب
يضحك السيف فى يدى وبنانى * وله فى بنان غيرى نحيب * فهو يحمى حمى اذا حضر الحر
ب كما يحتمى النسيب النسيب * وكانى شربت كاس سلاف * مع حوار لهن مسك وطيب
فدعينى أجر أثواب فخرى * فلها فى علا الثناء ضروب * وأنا عنتر المتيم سقما
لا يزال الثنا لعمرى يطيب * لو تكنى غيرى بما أنا فيه * ذاب جسمى وعمه التعذيب
لكن الحكم للهيمن ربى * يصطفى من يشاء وهو المجيب

(قال الراوى) ولما أن فرغ عنتر من انشاد مرقى له قلب أبيه شداد وكذلك عروة بن الورد ومازالوا سائرين طالبين أرض السواد ودياربنى الارقط وبين أيديهم شيبوب وهو مثل الذئب الامعط أوالاسد الارقط (قال الاصمعى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نقمة بعد انفاذ ولده كلبوب الى بنى القيان فانه بقى متطلعا الى خبره ومنتظرا له أن يأتى بضمية بنت عباد وما علم ان الزمان أحلف عليه الميعاد وأرسل له عنتر بن شداد ينزل به البلاء والانكاد ومازال فى انتظاره الى أن وصل اليه المنهزمون من عشرة وعشرين وكانوا فى البر متفرقين ونعوا اليه ولده كلبوب وما أصابه من شرب كأس المنون فقامت قيامته وزادت حسرته ولعبت النار فى أحشائه ومهجته وقال لهم ياويلكم أنتم سرتم فى سبعة آلاف عنان ومعكم ولدى كلبوب بعد بألف من الشجعان وجرت عليكم هذه الامور من بنى القيان وأتيتم وتركتم ولدى قتيلا فى الصحصحان فقال رجل منهم يقال له عنان ياملك الزمان أما بنو القيان فقد أبدنا منهم الفرسان وأهلكنا منهم الابطال والشجعان وانما وصل اليهم نجدة وهى ثلثمائة فارس مع بطل أسود

مثل

مثل الظلام لايسمع من أحد كلام ولا يرد جواب بل يطعن برمحه فى الاجناب والرجال الذين معه تنثر سيوفهم الجماجم والرقاب وذلك الفارس الاسود أشدهم باس وأقواهم مراس وهو الذى قد طعن بقوته فرساننا وقتل ولدك كلبوب وحمل علينا حملة المجنون ونهب الارواح وشق البطون وكسرنا وأخرجنا من تلك البلاد بعد ما ملكنا المضارب والبيوت ولو شاء لتبعنا ولا خلى منا واحدا يفوت (قال الراوى) فلما أن سمع نقمة كلامه جذب حسامه وضربه على ورديه أطاح رأسه بين يديه وقال للعبيد اقبضوا عليهم وقدموهم بين يدى فوحق القمر اذا أشرق والليل اذا غسق لا أبقين منكم أحدا ففعل العبيد ذلك فصار يضرب منهم الرقاب فتقدم أخوه نعمة وأخذ السيف من يده وكان نعمة رحيم القلب يحب العدل والانصاف وقال يا ملك الزمان خفت فى ولدك فتب عن بنات العرب فقال نقمة أنت معارضى هل أنت ملك مثلى كيف أكون ملك اليمن وأترك شهوة من شهوات الزمن فوحق سواد الليل والبدر التمام الذى يعرفنا عدد الشهور والايام ان عدت تعارضنى لأرمين رقبتك بهذا الحسام ثم انه صاح فيه وقال له اخرج من قدامى والا رميت رأسك بحسامى (قال الاصمعى) فصاح العبيد فيه وأخرجوه من قدامه * قال ولما ان خرج نعمة من قدام أخيه ركب جواده وسار يطلب منازله فالتقاه فرسانه واجناده ومعه فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف يسمعون كلامه ويبغضون أخاه كثيرا لاجل تجبره وسماجته ولما أن اجتمع نعمة بقومه حدثهم بما كان بينه وبين أخيه من الكلام وكيف هدده بالقتل وضرب الحسام فصعب عليهم وقالوا له قلنا لك ألف مرة لا تعده ولا تجل له قدرا ولا ترفع له رأسا وأنت ما تقبل كلامنا فدعنا نحمل عليه ونضرب رقبته ونملك مملكته فقال لهم هذا أمل بعيد أنا لابد لى من المسير فى هذه الامصار وأجلب العرب من سائر الاقطار وأقلع منه الآثار وأول ما أقصد أهل الحجاز الذين قتلوا كلبوب فى أرض بنى القيان لانى قد سمعت ان فيهم فارسا كرار يعد بالف من الاحرار فقالوا له افعل ما تريد (قال الراوى) ثم انه قال لهم نسير من الصباح الى بنى القيان ونكون لهم من جملة الاعوان ونسير الا بجميع الاموال والعيال والنساء والبنات والصبيان (قال الراوى) ثم انه أمر عبيده بحمل الاثقال فحملت رجاله وعياله وقد ركبت فرسانه وجميع أبطاله وساروا يقطعون الجبال بالاولاد والنساء والعيال * قال فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من نقمة فانه بقى بعد رواح أخيه من عنده محترق القلب على ولده كلبوب وقد زاد به الكروب وقال لقومه أنا أسير الى بنى القيان واذبح الرجال والنساء والصبيان وافنى هؤلاء الاندال الذين قتلوا ولدى والا ما تنطفى نار كبدى ثم انه بات تلك الليلة الى الصباح فارسل الى بنى رباح والى بنى وشاح وأمر الجميع بالحضور اليه من غير مهل وكانت هذه القبائل تطيع أمره وتحمل اليه الخراج وكانت منقطعة عن الارض الطيبة وكان جبلهم من عجائب مخلوقات الله تعالى لان الدخان كان يطلع منه ومن أرضه مثل الغمامة السوداء لا ينقطع منه لا صيفا ولا شتاء وكان كلما هل الهلال يسمع له انين مثل أنين المرأة الثكلى ويطير منه جمرات النيران الى عنان السماء وهو أسود عالى الجنبات وما فيه عشب ولا نبات ولا يقدر أحد ان يصعد اليه ولا يعلم ما فى اعلاه الا الذى خلقه وسواه سبحانه لا عين تراه (قال الاصمعى) وقد ذكر كعب الاحبار ان الاسكندر بن زاراب الرومى لما عبر الى ذلك المكان ورأى انعقاد الدخان سأل أبا العباس الخضر عليه السلام فقال له يا أخى اعلم ان هذا الجبل قد سخط عليه الله بعد خلق الدنيا وقد خصه بالعذاب وحكم عليه يوم القيامة ان يكون حجرا من حجارة جهنم وانى قد اطلعت عليه فى بعض السياحات فرأيت فيه أمورا هائلات ورأيت رأسه مقسومة قسمين ومفروقة فرقتين وفى وسطه بحر من نار لا يعرف له قرار يوهج لهيبه ليلا ونهارا مختلط بغضب الجبار وعليه ملائكة الغضب لا ينامون ولا يأخذهم تعب من عذابه طول الابد وذلك

بامر الواحد الاحد الفرد الصمد فقال له الاسكندر يا أخي هذا الجبل لا يعقل ولا يفهم وقد سخط الله عليه وجعله حجرا من حجارة جهنم فقال له الخضر يا أخي ان الله سبحانه وتعالى لما خلق السموات والارض قال لهما ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين الا هذا الجبل اللعين فانه شمخ من دون الجبال وعلا وطال وتجبر وما أجاب فانزل الله عليه ذلك العذاب ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الاسكندر من الخضر عليه السلام هذا الكلام تعجب غاية العجب ثم انه رحل طالبا عين الشمس ومطلعها وهو يسبح الله ويقدسه ويمجده على الطاعة والمعرفة ﴿قال الاصمعى﴾ ولنعد الى الكلام فنقول الاول وعند الصباح سأل نقمة من بعض السادات عن أخيه نعمة فتقدم اليه واحد وأخبره بخبر أخيه وقومه برحيلهم فصعب عليه وكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال أنا الذى فرطت لو كنت ضربت رقبته ما كان فعل ما فعل ولكن لا بد لى من لحاقه ثم انه ركب فى ثمانية آلاف فارس وعليهم العدد والخود والزرد وقال لهم أنا ما أريد الا انجاز أمر أخى وأكون أنا معكم فى المقدمة وبعدها أسير الى بنى القيان وأفنى منهم الرجال واسبى منهم النسوان وبعد ذلك ارحل الى أرض الحجاز واضع السيف فى فرسانهم والابطال وآخذ نسوانهم والعيال وأهدم مكة واجعل حج العرب الى جبل الدخان وكل من عصانى تركته رزق النسور والعقبان ﴿قال الاصمعى﴾ فلما أن سمع بنو الارقط كلامه أجابوه وقد انتصف النهار وهو وسائر بهم سير الجبابرة فى الاستعجال الى ان أظلم الليل فنزلوا عن الخيل لاجل الراحة حتى تأكل عليقها ثم انهم أكلوا ايضا شيأ من الزاد ورحل بهم على عجل من حنقه على أخيه نعمة ومازال يقطع بهم البطاح الى الصباح فنظر بين يديه سوادا فبشر أصحابه وقال لهم بان لنا غبار وأقول انه غبار أخى فأدركوه وامنعوه عن المسير وسيروا للطعن واتركوا الخيل للراحة فركبوا الجنائب وتركوا الخيل للراحة وساروا فأدركوهم فلما أدركوهم قال لهم نعمة ضعوا السيف فيهم والقواضب ولا تتركوا منهم لاما شيا ولا راكب ومن ظفر منكم باخى لا يقتله بل يأسره ويأتى به بين يدى حتى أعذبه باشد العذاب والنكال وبعد ذلك اصليه على قرون الجبال ﴿قال الاصمعى﴾ فهذا ما كان منهم وأما ما كان من نعمة فانه لما سار بالعيال وهو مجد خوفا من الالحاق ورأى غبار أخيه نقمة والرجال فقال لاصحابه هاهو قد لحقنا القوم ثم انه وقف هو وبنوعمه وأدخل الحريم بين الروابى والكثبان ورجال نقمة صاحوا عليه ومنهم الصياح قد علا ودكدكوا أقطار الفلا ونعمة وقف ينظر ما الخبر فابصر المواكب عليه أقبلت والفرسان بالقنا والقواضب وسدت عليهم الطرق والمذاهب ﴿قال الراوى﴾ فعندها تغير لونه واضطرب ثم انه شاور أبطاله فيما يعمل وقال لهم اريد منكم أن تحسنوا التدبير وما فيكم الا من يسمينى بالامير ويلزمنى فى القتال ما يلزمكم فقالوا انا ما سرنا معك الا محبة لك وبغضا فى أخيك واليوم نريك منا ما يرضيك فاننا وحق من يرد سواد الليل الى بياض ويعيننا من الاعلال والامراض ما فينا من يخل عنك ولا عن الحريم والاولاد حتى تلعب برؤسنا حوافر الخيل ﴿قال﴾ ثم انهم هزوا قطع الرماح وتأهبوا للحرب والكفاح وهان عليهم بذل الارواح وفى تلك الساعة أشرف عليهم عنتر بن شداد وهو راكب مثل الاسد على الجواد ومعه عروة بن الورد وأبوه شداد فى فرسان بنى عبس وعدنان الانجاد فأبصروا الخيل قد ملأت القفار فأنكر ذلك عنتر غاية الانكار ثم قال لشيبوب البلاء المصبوب ما هذه الغبرة يا أبا رياح انطلق الى هذا الغبار وائتنا بالخبر لان فيهم نساء ورجال ومعهم عيال وفيهم هارب وطالب ومنهوب وناهب فعندها انطلق شيبوب مثل الريح الهبوب الى أن وصل الى أصحاب نعمة ونادى يا وجوه العرب الكرام أخبرونا ما حالكم ومن أى العرب أنتم فتقدم اليه نعمة فقال له يا فتى ما الذى تريد بسؤالك عنا وعن أحوالنا فنحن قوم هاربون من الجبار المتكبر نقمة بن الاشتر الذى قد طغى وتجبر فأنتم من أى العرب فأخبرونا العل أن يكون لنا على أيديكم فرج فقال له شيبوب أبشر يا وجه العرب بكشف هذه

الغمة

الغمة ان كنتم من أعداء نقمة لانا قد أتيناله طالبين وعليه واردين ونحن الذى قتلنا ولده كلبوب
وأما سؤالك عن أنسابنا فنحن من بنى عبس الذئاب الطلس ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع نعمة من شيبوب
ذلك الكلام داخله السرور وعلم ان حاله قد استقام وأمره انصلح واتسع صدره وانشرح ثم قال لشيبوب
يافتى اعلم وحق ماتعتقد اننا كنا اليكم سائرين والى نصرتكم طالبين ومن أجلكم جرى علينا ماجرى ثم
انه حدثه بحديثه على جليته ثم قال له ارجع الى قومك وقص قصتنا عليهم وقل لهم يقاتلوا معنا ويستبشروا
منا بالغنى وبيل المنا ﴿قال الاصمعى﴾ فعند ها رجع شيبوب الى أخيه عنتر وأعلمه بالخبر ففرح عنتر
واستبشر وقال لابيه شداد والله ان الامر قد تيسر الا انى أخاف أن تكون مكيدة أو حيلة حتى نبقى فى
أوساطهم فعند ها يتطبقوا علينا ويميل المواكب فقال له أبوه ياولدى ان هؤلاء هاربون ومعهم عيال وهم
عازمون على القتال فاحمل أنت يمينا واحمل أنا شمالا لعلنا أن نتجز هذه الاشغال ونعود الى أهلنا والاطلال
فقال له عنتر صدقت يا أبتاه ﴿قال الاصمعى﴾ ثم بعد ذلك حمل على الارقط وحده وأخره شيبوب بين يديه
وكانت أبطال نقمة اختلطت بابطال بنى عبس وطعن بعضهم فى بعض وقد انطبقوا فى تلك الارض ومالوا
طولا وعرضا والاسنة فى الصدور قد حصلت والرماح اليهم قد وصلت وقد اشتد الامر على نقمة وبنى
عمه وزادت بهم الانكاد وخاض الهجاج أبو الفوارس عنتر بن شداد وكسر وحده الميمنة وألقى فى قلوبهم
الخوف والهيبة وأعانه أخوه شيبوب وفرج عنه الكروب وحمى ظهره مع جولته كما تحمى الاسود اشبالها
وملأ عنتر الارض من القتلى وبهر الاعداء بقتاله وطعانه وهو يجول فى ميدانه وأما عروة بن الورد
وشداد ومن معهم من الاجواد فانهم حملوا على الميسرة حملات منكرة وقد أخرجوا الفرسان وراءهم فابصر
نعمة وأصحابه أفعال بنى عبس الاقيال وحالهم ورأوا منهم ماهالهم ففرحوا بهم فرحا زائدا وقد قام الحرب
على ساق وقدم والسيف بينهم قد حكم ومازالوا الى أن أقبلت جيوش كالظلام وقد اسودت الاقطار
من القتام ورجعت الطوائف عن بعضها البعض ونزلوا لاجل الراحة فى مقاومة الشجعان وأصحاب نقمة
صاروا يستعيذون من فعال بنى عبس وعدنان ونزل نقمة وعقد عزمه قد انحل وصارم همته قد فل ولما
ان جلس فى مضاربه قال لاصحابه ياويلكم أبهذه القلوب تريدوا أن تسيروا الى أرض الحجاز وتلقوا أبطالهم
عند البراز وأنتم لقيتم أخى فى ثمانية آلاف والحمى فى ثلاث آلاف وقد فعلوا بكم هذه الفعال ﴿قال
الاصمعى﴾ فعند ذلك تقدم اليه أرباب دولته وقالوا لا تلمنا على حربنا وقتالنا لانا نار أينا فى هذا اليوم فرسانا
ما رأينا مثلهم فى غابر الزمان ولا ندرى من أى طريق وصلوا ونظن انه قد كاتبهم أو يكونوا اتفقوا له اتفاق
وقد نظرنا فى ذلك اليوم الى الفارس الذى حمل فى الميمنة بين يديه يامالك فاذا هو رجل يقاتل على أقدامه
وهو يهمز على الارض كما تهمز الغزلان فان كنت رأيته يامالك ولمتنا فانت والله معاقل قال لهم أنا نظرت
الى الفارس الذى فعل هذه الفعال وقد كنت عزمت على أن أحمل عليه بنفسى وأردشره عنكم فخفت من
ذلك الفارس فلزمت ناموسى فزعا من الخسارة وزرق الهيبة وأنا والله قد عذرتكم لانهم والله فرسان
أوقاح ولا يوجد مثلهم فى سائر البطاح ولكن فى غداة غد أبرز اليهم فى الميدان وكلما قتلت منهم فارسا أقتل
منكم عشرة حتى لا يرجع أحد منكم يفر من قدام العساكر الا ان يتشحط بالجراح أو يصير ملقى فى
البطاح ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمعوا منه ذلك الكلام خافوا على أنفسهم منه فقالوا له أيها
الملك الهمام والبطل الضرغام نحن نشهد على أنفسنا اننا عاجزون عن بعض أعمالك لانك
سيف البدو والحضر وأوحد أهل العصر فدعنا يامالك نحمل على الاعداء فى غداة غد فلما ان سمع منهم
نقمة هذا الكلام عذرهم وأقاموا الى الصباح ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان منهم وأما ما كان من
نقمة ورجاله الاوقاح فانهم كانوا خائفين على النساء والصبيان الذين معهم فلما أبصروا بنى عبس وقد كسروا

العساكر وصدم عنترة الميمنة وكسرها وكذلك شداد بن قراد وعروة بن الورد كسر الميسرة طاب قلب نعمة وزال عنه الكرب وزغرتت النسوان وهلك الفرسان وفرحت الشجعان بعدما كانوا أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك ونزلوا على الغدران ونحروا النوق السمان والبقر والاغنام وأصلحت النسوان الطعام وروقت العبيد المدام وأشعلت النيران فى سائر الخيام والمضارب من كل ناحية وجانب (قال الراوى) فما أمسوا حتى راج لهم الطعام فى الاوانى والجفان وقد حملوا العبيد من جميع الاطعمة المختلفة الالوان هذا وأراد الملك نعمة أن يقف للخدمة مع جملة أصحابه والخلان فقام له الامير شداد وأخذ بيده وأقعده الى جانبه فى الحال وقال ابشر ببلوغ الآمال واعلم ياوجه العرب اننا ما دخلنا تلك الارض الا فى حاجة أنفسنا لا لاجل حاجتك وأما هذه الاسباب فانها جرت بسعادتك ثم انه حدثه بحديث نازح بن أسيد وكيف انه تربى عند الامير عباد سيد بنى القيان وكيف انه قد هوى ابنته ضمية وحدثه بحديث أسيد مع سلمى وقال له اننا آلينا على أنفسنا انا لا نخرج من هذه الارض ونترك لعبادا عداء يخاف منهم فنزلنا نطلب أخاك نقمة ونلحقه بولده كلبوب فعندها تعجب نعمة والحاضرون غاية العجب (قال الاصمعى) فعند ذلك صار لبنى عبس فى قلبه هيبة وقال نعمة فى نفسه لولا أن يكونوا هؤلاء القوم أشجع أهل الارض ما أتوا الى أخى نقمة وديار الارقط يطلبون قلع آثارهم وخراب ديارهم وهم فى مائتين من الفرسان فقال لهم نعمة ياوجوه العرب وحق ما أعتقده من اعتقادى والدين الذى وجدت عليه آبائى وأجدادى ان أنتم قتلتم أخى نقمة وقلعتم آثاره من جبل الدخان فلا أكون الا خادما لكم بطول الزمان واذا أراد الامير عباد ان أزوجه بنتى ست العرب فعلت حتى يبقى بيننا علقة ونسب وأنا ما كنت أرضى لاخى نقمة بالظلم وما وقع بينى وبينه هذه الاحوال الا من أجل عباد لانى أدخلت أخى وهو على ولده مقروح الفؤاد فذكرته عاقبة البغى فاحترق بى غاية الاحتراق وقد أفضى بى الامر الى هذا الحال وقد وصلتم أنتم ونحن على نية الحرب والقتال فكان وصولكم لسعادتنا وأتمنى أن تكون هذه الارض لى وتلك الاطلال ولكم ياوجوه العرب النوق والاموال والجمال (قال الراوى) فلما ان سمع عنتر ذلك الكلام قال له اعلم أيها الملك انا ما نأخذ على فعل الجميل جزاء ومادمت أيها الملك على هذه النية فنحن نتخذك لنا صديق فى كل شدة وضيق وانا أيها الملك أقسم بحق من أمر بالحج الى الكعبة الحرام لابد أن أحمل غداة غد على أخيك وأضرب رقبته وأملكك مملكته بعدما اصرم عمره وأقطع من الدنيا خبره ثم انهم قدموا مناسف الطعام وأكلوا وصار بينهم حرمة وذمام وباتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلمت على زين الملاح ورسول الملك الفتاح فتبادرت الفرسان الى الحرب والكفاح وقد أبصر عنتر الى عزم أصحاب نقمة فقال لاخيه نعمة اعلم أيها الملك ان أعداءك اليوم مظهرون النشاط فخذ أنت ورجالك الميسرة ونحن الميمنة وان رأيتم ما لا طاقة لكم به فاندفعوا بين أيديهم حتى يتبعكم كل طامع فأنطبق أنا على أخيك نقمة وأتركه ملقى على الرمال (قال الراوى) فلما سمع نعمة من عنتر هذا الكلام انعزل بقومه فى ناحية عن بنى عبس فلما رأت بنو الارقط الى بنى عبس وقد انعزلت عن أصحاب نعمة علموا أن الطائفتين يريدون أن يقاتلوهم فعندها حملت وقد تبادرت وخافت من سطوة ملكها فعندها التفت عنتر الى أبيه شداد ورجاله الاجواد وقال لهم اعلموا ياوجوه العرب ان الامر قد هان عليكم فاقصدوا منى الى ذلك العلم الازرق الذى عليه صورة القمر فانه على رأس نقمة بن الاشطر واعلموا أننا ان لم نقتله زاد علينا عمله فعندها انتخت بنو عبس لنفوسها وسلت سيوفها وانطبقت على بنى الارقط انطباق الغمام وأما عنتر فانه همز جواده الابجر بالمهاميز وقد أذعره ففرج من تحته كأنه البرق فى لمعانه أو الغيث فى انهماله وبنو عبس من وراء ظهره كأنهم الشواهين الطائرة

او

أو العقبان الكاسرة فما كان بنو عبس يصدمون موكبا الا فرقوه ولا جمعا الا مزقوه ولا طائفة الا
ويكسروها ولا خيلا الا ويبطحوها ولا جماعة الا ويهلكوها (قال الراوى) فلما طلع النهار وظهر
تدبير الافكار وقد قتل بنو عبس الفرسان وأهلكوا الشجعان ونكسوا الرايات وأكثروا العيطات
والزعقات وأبصرت بنو الارقط قتال بنى عبس وتواترت طعناتهم فتأخروا الى وراها وقد أحاط بهم بلاها
فهجمت من الميمنة واندفقت عن الميسرة فكثر على نعمة العدد وزيد عليه المدد فعول نعمة على الهرب
فاندفعوا بين يدى أعدائهم فتبعوهم بنو الارقط قدر فرسخ فعندها وقف الملك نعمة قدام الاعداء وثبت
قومه وقال لهم يا وجوه العرب الرجعة الرجعة واثبتوا قليلا ولا تهربوا فتفتضحوا عند العرب وعند هذا
الفارس المنتخب الذى بذل مهجته فى هوانا (قال الراوى) وصار نعمة يردد الابطال وينخى بنى عمه وأصحابه
على الثبات عند القتال ومقابلة الاهوال فبينما هم كذلك واذا بمنادى ينادى ويقول يا معشر بنى
الارقط الآن نقمة قد قتل وانقطع منه الاجل من الفارس الغضنفر والليث القسور فارس البدو
والحضر أبى الفوارس عنتر فلما سمعت بنو الارقط هذا النداء احتارت فى أمورها وحارت فى قتل ملكها
عقولها وقد عادت الفوارس الذين مع نقمة على الاعقاب وانكشفت عن القوم الغمة والعذاب * قال
وكانت قتلة الملك نقمة على يد شجاع المعامع والاسد المدارع مفنى العساكر يوم الجلاد أبى الفوارس عنتر
ابن شداد لانه لما حمل على بنى الارقط صارت تتكسر بين يديه الفرسان وهو يقتل الشجعان ويشتت
الفرسان فتفر من بين يديه وقد رأى نقمة مصمما عليه فعندها حمل عليه وصوب الرمح اليه فتلقاه نقمة
وتقاتلا وتناضلا وتضاربا بالرماح الى أن تقصفت وبالسيوف الى أن تثلمت قدر ساعة من الزمان وقد
كل نقمة ومل فرأى عنتر منه ذلك فرمى الرمح من يده وجذب سيفه الصمصامى الابتر وضرب رمح نقمة به بعد
ان صار بحذائه فجاء فى صدره وعبر الى قلبه ونفذ من ظهره وكان لانسا أربع دروع فخرق الجميع
فحمله عنتر على الرمح وقال يا بنى الارقط هذا ملككم الجبار الذى كان يهتك البنات الابكار ويغربهم عن
الاوطان والديار أهلكه الله العزيز الجبار (قال الراوى) فعند ذلك وقعت الخلائق واشتغلوا عما هم فيه
وصاروا ينظرون الى ملكهم وهو قتيل فى يد الفارس النبيل ولما ان فرغ عنتر من كلامه نفضه بقوة
ذراعه فتدحرج أوفى من عشرين ذراعا وقد خرجت روحه ومات ونزلت عليه الآفات والبليات فلما
علم القوم بقتله وتحققوا أمره جردوا سيوفهم ورموا الى الارض نفوسهم وقد انضموا الجميع الى أخيه نعمة
وقالوا الامان الامان من فارس الزمان ومبيد الشجعان ونادوا نعمة يا منصور أدام الله عليك السرور
وحفظ لنا أبا الفوارس عنتر البطل الغيور والاسد الكسور وأبقى لنا أخاه شيبوب البلاء المصبوب (قال
الراوى) وما انتصف النهار الا وقد لبس نعمة التاج وهو فى جيش جرار مثل أمواج البحار وعلى رأسه
الاعلام والرايات ودقت له الكاسات وكان يوما لا يعد من الاعمار وتقدمت بين يديه الحجاب وولاة البلاد
وخاطبوه بالملك واجتمع عليه من الفرسان احد عشر ألف عنان وسار فى تلك العساكر الى ناحية بنى
عبس وعنتر ماسك بعنان الجواد الى ان دخل الى الصيوان فعندها حمله عنتر وأجلسه على سرير الملك الذى
كان لاخيه نقمة وسل عنتر سيفه الصمصامى وأشار الى القوم وقال لهم اعلموا أيها العرب ان كل من كان له باب
مغلوق لا يفتحه ومن كان له باب مفتوح لا يغلقه ومن كان له اقطاع فهى له أو ديوان فهو على حاله
والامير أمير والوزير وزير وكل من لقلق أو أكثر الكلام أطمحت عنقه بهذا الحسام فماذا أنتم قائلون
(قال الاصمعى) فعند ذلك أجابوا كلهم بالسمع والطاعة وقد دقت الطبول والكاسات ونفرت البوقات
وباتوا تلك الليلة فى أمان واطمئنان ولما أن كان عند الصباح أمر عنتر الناس بالرحيل الى جبل الدخان
فرحلوا وساروا الى أن أشرفوا على جبل الدخان وكان بعد خروج الملك نعمة اجتمعت العربان من جميع

الوديان والبلدان الذين هم من أعمال جبل الدخان وكان جملتهم ثلاثين ألف عنان فأجابوا جميعهم بالسمع والطاعة ودخل الملك نعمة الى جبل الدخان وجلس على سرير ملكه ولما ان نظر عنتر الى ذلك أمر أن ينادى فى البلاد بالامان والاطمئنان فخرجت المنادون ينادون يامعشر الناس من العربان القاصى والدان انه قد أمر الامير جمال الدولة عنتر بن شداد انكم تبيعوا وتشتروا وتأخذوا وتعطوا وانه يحذركم وينذركم ان كل من تعرض أو تكلم فى حق الملك نعمة كان ماله وحريمه وعياله لعنتر بن شداد ويكون أول مقتول وقد حذروا وأنذروا ومن لا يصدق فليجرب ﴿قال الراوى﴾ وبات الناس من فعل عنتر يتعجبون الى أن أصبح الله بالصباح فعملت الولائم وذبحت الاغنام وأكل الخاص والعام مدة ثلاثة أيام وبعدها انصرفت القبائل الى مصالحها وأما الملك نعمة فانه ما خرج من عنده أحد حتى ألبسه من الخلع السنية وأركبهم الخيول العربية ففرحت العرب بذلك ﴿قال الاصمعى﴾ فعند ذلك قال له عنتر اعلم أنه يجب عليك أن تتلطف بالرعية فأجاب وأطعم الفقراء من أفخر الطعام وكسا الارامل والايتام وأقام بواجب الخواص من الرعية والعوام ﴿قال﴾ ولما أن تمهدت لنعمة قواعد مملكته وجلس على كرسى سلطنته وبسط العدل وهابته جميع الفرسان وأطاعته العربان فعند ذلك استأذنت بنو عبس فى العودة الى ديارهم والاوطان فقال لهم الملك نعمة والله ياوجوه العرب ما هذا شرط المروءة فكيف يجوز لكم أن تعودوا من غير فائدة ولا مال وذمة العرب ما يرجع معى مما صحبنى من مال أخى عقال بل أنكم تأخذوه وتعذر ونى فى التقصير فقال له عنتر يامالك وحق من أنطق الالسن وشق الاعين ان الذى قد فعلناه لنافيه الحظ الاوفر وأنت عندنا اليوم الملك الاكبر والسيد الافخر فقل لنا يامالك ان كان بقى لك عدو فانا نسير اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونقلع آثاره ولا نعود كلنا من عندك الا وانت وافر الحظ فقال الملك نعمة يامولاى ما بقى لى بعد أخى عدو ولا من يريدنى سوأ أبدا وان كان ولا بد لكم من العودة الى دياركم فما يمكننى أن تسيروا من عندى من غير فائدة لكن خذوا منى هذه النوق والجمال فانها تعينكم على قطع الطريق واعلموا أنها غريبة من هذه الديار ومن أرض الحجاز لانها سوداء حالكة السواد وليس لها مثيل فى سائر البلاد ولا توجد عند أحد فى غير هذه الارض ﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه الجمال من عجائب الدنيا لانها كانت حالكة السواد زرق العيون لطاف الاجساد طوال الوبر قصيرات فى الدواب فعند ذلك أقطع الملك منها عشرة آلاف ناقة وجمل وسلمها الى مائة عبد من عبيده ومائة أمة وقد أمرهم بسوقها معهم فأراد عنتر أن يحلف ويردها فما تركه شيبوب أن يفعل ذلك بل قال له سر واترك عنك الفضول فضحك عنتر من كلامه وقال له ويلك ياشيبوب أتأخذ مال الرجل وتفقره فقال له دع عنك هذا الكلام فلولاك ما كان له فى هذه الديار مقام ثم انهم رحلوا من جبل الدخان وساروا وما زالوا سائرين الى أن أمسى المساء فنزلوا على غدير وباتوا هناك تلك الليلة وعند الصباح جهزوا رحالهم وركبوا وساروا فاراد الملك نعمة أن يسير معهم فلم يمكنه عنتر من ذلك بل حلف عليه ورده الى دياره وسار عنتر ومن معه من الاصحاب فى ذلك البر الى أن أقبل عليهم الظلام فنزلوا للراحة وناموا فى تلك الارض ولما ان كان من الغد رحلوا وساروا فما ساروا غير قليل حتى ظهر لهم من قدامهم غبار وفى قدر ساعة انكشف وبان من تحته جيش جرار فبهتوا له وأحدقوا بالابصار وسار عنتر وأبوه شداد وعروة بن الورد قدام الاجناد وأرسلوا شيبوب ليكشف لهم الخبر فغاب وعاد وقال لهم هذا الامير أسيد ونازح وعباد وبنو القيان ﴿قال الاصمعى﴾ فبينما هم فى الكلام واذا بأسيد ونازح وعباد وفرسان بنى القيان ومالهم من الخلفاء والاصدقاء وهم فى عشرة آلاف فارس من كل مدرع ولابس وصاروا فى فرح برؤية عنتر ومن معه من الرجال ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مجىء هؤلاء القوم أنه لما سار عنتر من عندهم هو والثلثمائة الذين معه من الاصحاب

وسار بعده هذا الجيش بعد عشرة أيام كما جرى بينهم الشرط والميعاد على أنهم يلحقوه الى جبل الدخان و يقاتلوا معه الفرسان فالتقوا به وهو راجع وقد بلغ من أعداه المراد باذن رب العباد فهنوه بالسلامة وسألوه عن حاله وما جرى له مع نقمة فاخبرهم بما جرى وكيف حصل له من السرور وما ظفر به فى هذه الامور وساعدته المقادير باذن الواحد الغفور ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم عادوا راجعين الى ديار بنى القيان فوصلوا الى الحى وقضوا أكثر أيامهم بالفرح والسرور وزفوا ضمية على نازح وقضوا أيامهم بالدعوات والمواسم وصاروا فى أكل وشرب الى يوم من بعض الايام أراد أسيد التخفيف على عباد فاستأذنه فى المسير الى أهله وأرضه فقال عباد والله انه يشق على ذلك لكنى لا أمنعكم عن أوطانكم فعندها أمر أسيد بنى عبس بالرحيل فرحلوا واجتمع شمله بزوجته سلمى وولده نازح بزوجته ضمية وساروا مقدار مرحلة وبعد ذلك ترحلوا وحلفوا على عباد ودعوه وساروا يقطعون الارض الى أن قاربوا الاوطان وعنتر كثير الاشتياق والهيمان الى عبلة ثمرة الفؤاد وغاية المراد فعندما تذكرها أنين المشتاق وأنشد يقول

أسير وفى قلبى جوى وسعير * الى منزل أشتاقه وأشير * وانى مشوق يا ابنة العم عاجز
عن الصبر والافكار فى تحير * وانى اسار فى القفار مموله * وقلبى به نار الجوى وزفير
أياعبل انى قد لقيت فوارسا * لهاطعنات مالهن مجير * ففرقتها بالطعن حتى تركتها
ترى الارض من خوفى كجلد بعير * قتلت لكلبوب ونقمة بعده * وهذى فعالى والخيول تغير
أموت وأحيا كل يوم وليلة * وما لكسير العاشقين جبير * وكل الذى قد تم من أجل نازح
غلام يجيد الطعن وهو خبير * فيا جبل الدخان لازلت فى لظى * وزادك من نار الجحيم سعير
و ياعلم السعدى حييت منزلا * وأسقاك هطل دائم وغزير * به منزل أشتاقه كل ساعة
ولى فيه الف لا يفك أسير * وانى على طول التباعد والله * وثار بقلبى زفرة وسعير
فبى منك أشواق أقل مسيرها * على السفن لو حطت لكان قطير

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت له السادات ومازالوا سائرين الى أن قاربوا الى شعاب المسارح وتلك الهضاب وهى التى أمسكها خالد بن جعفر وكن فيها الاننا قد ذكرنا أنه بعد قتل الملك زهير وولده شاس أخذ خالد قلع بنى عبس وأنفذ الى سائر القبائل وترك ملاعب الاسنة فى الاحياء يلم العرب والعساكر وسار خالد فى ثلاثة آلاف فارس ومعه الربيع بن زياد وعقيل وجندح بن البكا وأقاموا فى هذا الشعب منتظرين قدوم عنتر ليقتلوه ويهلكوا الذين معه و بنعفوا قوة بنى عبس بقتل حاميتهم عنتر ﴿قال الاصمعى﴾ وقد كان عنتر وصل الى هذا المكان ولما أشرف عنتر ومن معه نزلت النظار من على رؤس الجبال وأعلموا خالدا بذلك وقالوا له اعلم أيها الملك الامير اننا أبصرنا خيلا قد نزلت على الغدران لترد الماء وما ندرى هل هى خيل عنتر أو غيرها ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع خالد منهم هذا المقال فرح فرحا شديدا مما عليه من مزيد وأمل أن يبلغ ما يريد ثم انه صبر الى أن عسعس الليل وطلع نجم سهيل فعند ذلك أمر عبدا من عبيده أن يسير الى الماء الذى نزلت عليه الخيل وينظر ان كان هو عنتر أو خلافه من الفرسان وقال له لا تعدا الا أن تعرفهم من أى العرب لان لنا فى بلاد اليمن أعداء كثيرة فعند ذلك تجهز العبد من وقته وساعته وسار كما أمره مولاه فما وصل ذلك العبد الا نصف الليل فدخل عليهم وانحشر بينهم وتحقق انهم من بنى عبس ورأى فيهم عنتر فعند ها رجع لما ان صعنده الخبر ومازال عائدا الى ان وصل الى مولاه وقال له يا مولاى ابشر ببلوغ المراد ومجىء عنتر بن شداد فنبه يا مولاى عزمك وأصحابك للحرب والكفاح والجلاد واعلم أنى دخلت عندهم فى الليل بين البيوت واذا أنا بعنتر وأخيه شيبوب وهما يتحدثان فى حرب الفرسان وعنتر يشكو ما به من شوقه الى عبلة وبعد ذلك

يامولاى أنشد أبياتا ما فهمت منها الا هذين البيتين وهما

يابانة العلمين هل من مخبر * حال المشوق الهائم المتغير
وبما لقيت من المهالك والعدا * بالله يارمح الجنوب تخبرى

(قال الراوى) فلما أن سمع خالد هذا الكلام نبه رجاله واشهر حسامه والتفت الى قومه وقال لهم اعلموا ان الرأى عندى أن نكبس على عنتر عند السحر لانه يكون أتم لحالنا وبلوغ آمالنا فقالوا الرأى رأيك فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من عنتر الفارس الهمام ومن معه من الكرام فانهم نزلوا فى ذلك المكان وباتوا على الغدران وأقام عنتر على حرس القوم هو وأخوه شيبوب وتذكر محبوبته عبلة الساكن حبها فى القلوب فغاض دمعه وانحدر وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

يابانة العلمين هل من مخبر * حال المشوق الهائم المتغير وبما لقيت من المهالك والعدا
بالله يارمح الجنوب فخبرى * قولوا لعبلة انني من أجلها * لاقيت أهوالا تزيل تصبرى
ياعبل ويحك لو نظرت لعنتر * بين الحمافل والعداة الاكثر * والخيل فى وسط المضيق تطاعنت
بحوى كمثل العارض المتفجر * فى معرك سد الفضاء قتامه * ظهروا على الخيل العتاق الضمر
من كل أدهم كالرياح اذا جرى * وباشهب عبل البطون وأشقر * فصرخت فيهم صرخة عبسية
كالرعد سارت فى جميع العسكر * وعطفت نحوهم ووصلت عليهم * وصدمتهم صدما بصدر الابجر
وأذقتهم ضربا وطعنا هائلا * بالمشرفى وبالكعوب الاسمر * فجعلتهم مثل الحصاد كأنهم
أعجاز نخل فى خصيب المحجر * ودماؤهم فوق الصعيد تحدبت * منها الجلامد كالعقيق الاحمر
وجرى النجيع كأنه نهر جرى * كالارجوان ومثل بحر أزخر * ورجعت تشبه للعقيق سواعدى
والمهر مختضب بدم غضنفر * وأنا أنادى تحت مشتجر القنا * والنقع فوق والغبار مكدرى
ياآل عبس أنا الغشمشم فى الوغا * أفنى الفوارس بالحسام الابتر * وخرجت من تحت الغبار يحوشنى
مثل العقائق أو كصبغ العصفر * وقتلت كلبو باووالده الذى * يدعى بنقمة ظالما ذا مفخر
ولاصهب جرعته كاس الردى * وفنيت أيضا كل ليث قسورى * أردتهم جمعا بضرب قاتل
بحسامى الصامى الثقيل الابتر * وقبائل العرب الجميع تفرقوا * فى كل طود شاهق متوعر
وجماعة الفرسان صاروا فى الفلا * لم أبق منهم داعيا ذا مخبر * وملكت أموالا ونلت غنائما
تملا الفلا والسهل ذاك المقفرى * شهدت لى الابطال أنى فارس * أقوى من الليث الهمام الفسور
ما نال قبلى فارس ما نلته * وقدارتقيت على جميع الاعصر * أمى زبيبة است أنكر اسمها
وأنا ابن شداد الزكى العنصر * سودا تحاكى للظلام ووجهها * كالصبح فى الليل البهيم الاكدر
نلت السعادة والفخار مع العلا * بعزيمة من فوق ذاك المشترى
والموت حقا لورآنى لانثنى * عنى وولى خوف سيفى السمهرى

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره ترنحت السادات ثم ان عنترا أقام فى ذلك المكان الى أن مضى من الليل هجعة وهى الاقل (قال الراوى) فعند ذلك أمرهم بالرحيل فقال له أخوه شيبوب ياأبا الفوارس هل مرادك ان تدخل المسارح فى هذا الظلام فقال عنتر نعم دعنا نسير بمن معنا لانا شبعنا من بلاد الغربة فقال شيبوب يا ابن الام تأن تأمن عواقب الزمن فقال عنتر ومن ايش تخاف وتفزع فان كنت تخاف من عرب تقطع علينا الطريق أو عدو يمسك علينا رأس المضيق فلا تخف فانى ملاقاتهم حقيق فقال شيبوب وذمة العرب ياأبا الفوارس ان قلبى يحدثنى ان هذه الطريق لنا فيها تعويق فقال عنتر ارحل ودع عنك الفضول (قال الراوى) فعندها عاد شيبوب ونادى فى بنى عبس بالرحيل فقال

اسيد

أسيد ياشداد ان ولدك قد انتشق نسيم عبلة وقد زاد به اللهيب عند قربه من ديار الحبيب وما عاد يقدر على المقام ويحق له ان يفعل هذه الافعال لان قصته قد طالت وأنا وذمة العرب لابد ان أتولى نوبته وأفرج كربته ثم ان القوم ساروا الى أن قربوا من الشعاب وقد بقى من الليل شئ يسير فعندها قال عروة ياعنتر الصواب انك تترك هذه الظعن يسير بين أيدينا ونسير نحن فى تبعه حتى لا يكون أحد يطمع فى تبعنا ليأخذ النوق والجمال فقال له عنتر دبر كل ما تريد واحترز واعلى أنفسكم واعلموا أنه لو جاءتنا الجن لقاتلناها وحاربناها فعندها وقفت الفرسان والشجعان عند سماع هذا الكلام الى أن عبر الظعن جميعه (قال الاصمعى) هذا كله وقع من بنى عبس وعنتر وخالد ينظر الى الجميع وهو فوق الجبل فعندها أمر خالد الى ثلاثمائة فارس من أبطاله وقدم عليهم ابن عمه فاخذهم ونزل من الشعاب وصبر خالد الى ان عبر عنتر وأبو شداد وأسيد وولده نازح وعروة بن الورد وقد تتابعت الفرسان واسرعت فى عودتها الى ذلك المكان فقال شداد لعروة ان قلبى فزعان فقال عروة وأنا كذلك (قال الراوى) وكان خالد بعد عبور القوم أقام الصائح فى بنى عامر وكان قد بقى معه سبعمائة فارس بخردت الصفاح وهزوا قطع الرماح وقد حملوا من كل جانب بالقنا والقواضب فما كانت الاساعة حتى انطبقت السبعمائة فارس العامرية على الفرسان العبسية انطباق الغمام وكان أسبق الكل الى عنتر الربيع بن عقيل وقد طعنه طعنة منكرة كفته على عنق الجواد فعند ذلك سل عنتر سيفه الظامى وضربه فطير اعلا البيضة عن رأسه ثم عصر على صدغيه فغيب رشاده حتى لم يعلم الربيع بن عقيل ان كان هو فى أرض أم فى سماء ولما وقع الى الارض أدركه شيبوب مثل الريح الهبوب وكتفه أقوى كاف وقوى منه الاطراف وكان جندح بن البكا حمل على نازح بن أسيد وتقاتل معه وتكافح وتتابعت الفرسان وازدحموا فى المضيق حتى صاروا لا يعرف العدو من الصديق وعنتر قد استيقظ لنفسه وطعن فى صدور الفرسان طعنا يشفى الغليل ويبرى العليل (قال الاصمعى) فهذا ما جرى مع هؤلاء وأما شيبوب فانه لما شد الربيع ابن عقيل وأخذه أسيرا سار به الى من يحفظه فرأى جندح بن البكا مهموما من تلك الوقعة فعارضه شيبوب وضرب حصانه بنيزله فانصرع وشب على قوائمه فانقلب من عليه (قال الاصمعى) فعندها هم نازح أن يترجل اليه ويشده كاف فادركه شيبوب وقال له يا مولاى لا تتعب نفسك فى شده ورباطه فأنا اكفيك أمر هذا الشيطان ثم ان شيبوب دنا منه وشده أقوى كاف وأخذه ومضى به الى الربيع بن عقيل فتركه وعاد واقتتلت الفرسان وركضت بالخيول الشجعان وعلا الصياح وقد خرجوا من بين الشعاب كأنهم اسود الغاب واشتد القتال والكفاح وقد عظم الامر وكثرت الجراح وجرت الدماء واشتد البلاء ووقع بالجواد الغائر البغى والملل حتى صارت تلك الوقعة يضرب بها بينهم المثل والسيف قد انثلم وجعله الفرسان بينهم حكم وقتل عنتر من كان أجله قد انصرم (قال الراوى) ولما أبصر خالد الخسارة بهم قد وقعت ورأى غالب فرسانه قهرت وأسرت حار واندهل وندم على ما فعل وصار يصيح فى فرسانه فلا تسمع صياحه وقد ولت الادبار وفوارس بنى عبس تطعن فى صدورهم فتهدها وتضرب فى جماجمهم فتقدها وصار كل واحد منهم اذا أراد انشاء الطعنة لا يقدر ان يعيدها بل ان القوم تكردست على بعضهم وكثر همهم وغمهم ولم يزل الدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن طلعت غرة الصباح وبانت الوجوه القباح من الوجوه الصباح فعند ذلك تسال جيش بنى عامر وفى البر تمزق وقل عدده وانمحق وما حوى خالد بن جعفر من الفرسان الكبار الا من يخاف على نفسه من العار (قال الراوى) فعندما أبصر خالد عين الهلاك والوبال عاد الى الخديعة والمحال فرمى الرمح من يده وأغمد السيف فى غمده وأقبل على عنتر وتحته حجرة الملك قيس وهو متقلد بسيفه ذى النور ونادى عنترا

بصوته المشهور وقال كفاك ياوجه العرب من هذا الطعن والعطب وأقل من هذا الجلاد ان كنت من الفرسان الاجواد فنحن نبلغك المراد فأنت قتلت ساداتنا وأسرت حماتنا وانا قد اعترفنا بخطئنا وغرر حالنا الطمع وقد حل بهم الهلع والعجلة ندامة والخيرة سلامة واعلم انى مقدم القوم وعلى العتب واللوم فحق ذمة العرب من أنتم ولمن تنسبون من الفرسان أصحاب النسب أهل الفضل والحسب وقل لاصحابك يغمدوا الحسام حتى ينتهى ما بيننا من الكلام لعل هذا الامر يعقبه صلاح بعد الفساد ولعلكم تكونوا لنا بعد ذلك أصدقاء وعماد فحق من أرسى الجبال اكشفوا لنا عن هذا الحال ولا تخفوا عنا حسبكم ولا نسبكم (قال) فلما ان سمع عنتر كلام خالد ظن ان قوله صحيح فعند ذلك أمر عنتر شيبوب أن يرد فرسان بنى عبس عن القتال حتى يعلموا ما أتى فيه خالد فلما أن وقف عنتر عن القتال وتمهل عن الحرب والنزال قال خالد ياوجه العرب ان كنت تريد تسأل عنا فاننا عابرون سبيل وخرجنا نطلب المعاش والمكسب كما جرت عادة العرب وانت تعلم ان العرب طماعة وطول عمرها تجرى على المكسب فأنتم من تكونوا من العرب فقال له عنتر وقد انطلى عليه محاله اعلم ياوجه العرب اننا من بنى عبس الكرام وأنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد وكان لنا فى بلاد اليمن شغل قضيناه وعدنا طالبين أهلنا ولكن ما تريد من سؤالك عنا وقد ثارت الفتن بيننا (قال الاصمعى) ولما انتهى عنتر من كلامه زعق خالد مل رأسه وقال واحرباه واحراه على كبدى لان الليل قد أخفى عنا كل ويل على انى وحق البيت الحرام قد ازددت فيكم محبة وصار لى فيكم رغبة وهذا أمر ما يفرق بينى و بينكم فى الحسب والنسب ولا لى فيه عليكم عتب لاجل هذا السبب وما قتل الامن دنا أجله وانقطع من الدنيا رزقه وحان مرتحله فعند ذلك تعجب عنتر من كلامه وقال له ومن أنت من السادات ومن تكون من أصحاب الفتوات وأى جامعة بيننا وبينكم فقال له اعلم ياحامية عبس وعدنان انى قد اجتمعت بالملك زهير الذى فضله عم على جميع بنى عامر الكبير منهم والصغير وقد صار لنا حصنا وحمى وقد اجتمعت به فى البيت الحرام وزمزم والمقام وصار بيننا حرمة ولما ان عدنا من مكة حلفت عليه وأخذته الى ديار بنى عامر وانزلته هو وأولاده فى خيامى وفعلت معهم ما قد وصلت يدى اليه وأضفته مدة عشرة أيام وما رجع من عندى حتى اتصل بينى وبينه النسب وصرنا روحين فى جسد ثم ان الملك زهير خطب منى ابنتى بدر الحلل لولده شاس وقد بذل لى من المهر ما لا يقدر عليه أحد من الناس وأركبنى حجرته العسا وقلدنى بسيفه ذى النور وقد سار من عندى وهو محمود مشكور وبعد مضيهم من عندى هممت أنا فى شغل بنتى بدر الحلل وقلت أريد أن أجهزها بما لا يقدر عليه انسان فى هذا الزمان لعلى أجازيه على بعض ما أولانى من جميل الاحسان فعندها أخذت ثلاثة آلاف فارس وسرت طالبا بلاد اليمن لاجل المكسب ونزلنا فى هذا المكان أمس وعولنا على المسير فوصل طلعتكم قدام الشعب فظن الرجال انها غنيمة من بلاد اليمن فطمعوا فيها فخرت بيننا يا أبا الفوارس هذه الاسباب (قال) فلما سمع عنتر ذلك الكلام ورأى حجرة الملك زهير تحته وتحت فخذه سيفه ذو النور أخذه الانبهار وأطرق الى الارض من شدة الحياء فعرف خالد انه قد انطلى عليه المحال فمن خيبته ودهاه ترجل عن الحجرة وسعى الى عنتر وهو يقول ياحامية عبس لا تغتم على ما فعلت لانك غير عالم بهذه الحادثة والاسباب التى تمت علينا (قال الراوى) ثم ان خالدا أراد أن يقبل رجل عنتر فى الركاب فمنعه ورمى روحه عليه وقبل رأسه وبين عينيه وقال يامولاى ان القتل عندى كان أهون من هذه الفضائح ولكن اعذرنى فى هذه الامور والكريم مسامح ه قال فلما ان كان بعد أن اعتذر الفريقان لبعضهم تعجب بنو عبس من هذه الامور واتفاق المقدور وفى عاجل الحال صاحت بنو عبس على العبيد وأمروهم باطلاق الاسرى وكانوا أوفى من أربعمائة فارس من

الابطال

الابطال وفيهم مثل جندح بن الاكا والربيع بن عقيل وغيرهم من الشجعان فأطلقوا الجميع من الاعقال وقد انصلح الحال * ثم ان خالدا قال ياوجوه العرب من بني عبس بالله عليكم سامحونا بما قد جرى وبما صدر منا في حقكم والذي مضى لا يعاد وسيروا معي الى أرضي وبلادي وهي ديار بني عامر حتى أفوز بخدمتكم لانه لابد لي من العودة الى الديار وقد علمت ان هذه السفرة غير محمودة وقد أتنافيها تلك النائبة وأنا أريد أن أسير الى غيرها من غير هذا الطريق فقال أسيد لاوذمة العرب لانتبعك ولانسير معك لاننا في نيتنا أن لانعلم أحدا بما جرى بيننا ولانقول انا رأيناك ولا رأيتنا ثم انهم ودعوا خالدا وأبطاله وخالد يقول لهم سلموا الى الملك وأولاده وعرفوه أني مشغول في شغل ولده شاس ﴿قال الاصمعي﴾ ثم ان خالدا بعد ذلك مضى وهو لا يصدق بالنجاة ولما ان أبعدوا عن بني عبس قالوا والله ياأمير لقد أحكمت التدبير وخلصتنا من هذا الامر العسير وقد كفيتنا شر الاعدا وسلمتنا من الردى فقال لهم لدوحق ذمة العرب لولا فعلت معهم هذه الحيلة وخدعتهم بالمحال ما كنتم خلصتم من الاعتقال ولو كنتم وصلتم الى ديار بني عبس ما كان يقع على الارض من دمكم قطرة ﴿قال الراوي﴾ فعندها قال الربيع بن عقيل والله ياخالد ما رأيت أشد من هذا العبد باس ولا أقوى مراس ولا يقدر بقاومه أحد من الناس وانه والله ضربني بسيفه صفحا على رأسي ولو كانت الضربة بحده كان أخمد أنفاسي وما أقول ان عدوه يبلغ منه مقصود الا أن يكون بكثرة الفرسان والجنود فقال خالد والله لاجمعن عليهم كل من في الصحراء واترك ديارهم خراب قفراء وأجعلهم عبرة بين الانام وافنيهم بالحسام الصمصام قال وما زالوا على مثل ذلك الكلام الى أن رصلوا الى ديارهم والخيام فرأوها ملآنة جيوشا وفرسان وكان هؤلاء هم الذين كاتبهم خالد قبل مسيره لعنتر فتبادروا اليه من كل جانب ومكان وما في هؤلاء القادمين الا من هو بقتل الملك زهير فرحان لاجل ما في قلوبهم عليه من الاحقاد القديمة ولما أن وصل خالد الى الديار ركب الى لقائه ملاعب الاسنة في جماعة من الابطال ﴿قال الاصمعي﴾ ولما ان سمعوا بقدومه اقبلوا اليه فرأوا عليه آثار الذل والانكسار فسألوه عما جرى له فحدثهم بما جرى وما كان ولولا أنه احتال ما خلص هو ولا من معه من الابطال ﴿قال الراوي﴾ ولما ان سمعوا هذا الكلام قالوا وما نيتك ان تفعل بعد هذه الفعال فقال لهم خالد والله العظيم لولا اني خدعته بالكلام ما كان خلص منا لا شيخ ولا غلام وان لم نذهمهم عن غفلة منهم ما نبلغ منهم مرام لاسيما عبدهم عنتر الذي كنا له في الانتظار لانه فارس لا يصطلى له بنار وقد سمعنا عنه ما حير الافكار وما نقدر عليه الا بكثرة الفرسان من الرجال الاخيار فقال غشم وقد تبسم من ذلك المقال أبشر ياخالد بما تحب وتختار لاننا اليوم قد صرنا في ثلاثين ألف فارس كرار والعرب متواصلة الينا من جميع الاقطار وأما عنتر فأنا أريك ما أفعل به عند القتال والطراد وما أنزل به من الانكاد ﴿قال الاصمعي﴾ ثم انهم عادوا ونزلوا في الخيام وقد اجتمع على خالد سادات القوم الذين عنده فأكرمهم غاية الاكرام وفرق عليهم السلاح والعدد وأمرهم أن يأخذوا الاهبة للرحيل الى ديار بني عبس ويعتدوا بالرماح ويلبسوا الزرد وينقلدوا بالصفاح ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر ومن معه من بني عبس فانهم ما زالوا سائرين وهم مجدون في السير وشيبوب يقول لهم والله يابني عبس انها مكيدة من بني عامر وقد عملت علينا الحيلة والصواب أننا كنا نقبض عليهم ونسير بهم الى الحلة وننظر ما قد تجدد من الاحوال فوالله ان قلبي فزعان فقال لهم أسيد سيروا بنا يابني الاعمام فاني من ذلك الامر حائر الاوهام فساروا يقطعون البراري والقفار وعنتر يستنشق نسيم العلم السعدي والاوطان فهاج به الوجد والغرام وزاد به الهيمان فأنشد هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

أسير وفى قلبى جوى وزفير * ووجد شديد دائم وسعير * وعندى من الاهواء ياعبل فاعلمى
بما حل بى أنى اذا الصبور * أياعبل كم من مهمه خضت فى الفلا * وأسد الشرى خوفا الى تشير
أناعنترة كم فارس قد تركته * جديلا بعض الارض وهو عفير * وكم من شجاع قد رأى عظم سطوتى
فولى هزيما فى الفلاة يخور * وكم جحفل لاقيته تحت قسطل * ومهرى له عند اللقاء هدير
ومن فوقه ليث هزبر غضنفر * كريم على الطعان خبير * وأردبت كلبو باونقمة بعده
تحوم عليهم حدأة ونسور * وكل الذى قد تم من أجل نازح * غلام بجيد الطعن وهو خبير
أياجبل الدخان لازلت فى لظى * وزادك من نار الجحيم سعير * وياعلم السعدى عليك تحية
واسقاك ويل هاطل وغزير * أياعبل قد شط المزار متى اللقا * فهلا الى لقياك يأت بشير
أرى كل مشتاق ينال مراده * سواى وانى فى هواك اسير * فان كان لونى يا ابنة العم اسودا
فلى بيض افعال تضىء وتنير * ولى مقعد فوق السماك محله * ونجمى وسعدى مالهن نظير
وكل ملوك الارض تخشى لسطوتى * وانى على أموالهم لقدير

(قال الاصمعى) ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى أرض لشربة والعلم السعدى واذا هى تموج بالعساكر والبر يرهج من لمعان الزرد والخود والعدد وبريق السلاح واسنة الرماح فقال عنترة لما رأى ذلك والله انها نائبة نزلت على قومنا من بعدنا وما هى والله علامة خير وانى خائف على الملك زهير فقالوا والله انك صادق لان الزمان كثير البوائق ثم انهم حثوا المسير فى سفح الجبل وتركوا الظعن خلفهم على مهل (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الامر ان الملك قيس لما عاد هو واخوته بعد قتل أبيهم نعوه وحزنوا عليه وقد أقبلوا الى الابيات والمضارب وانفجعت لهم الحلل والكتائب ووصلت لهم بنو غطفان وبكوا بنجعة وحران وكانوا اذا عزوه يهنوه بالملك الذى وصل اليه فيقول لهم ياقوم لا تهنونى بالملك ولا بالغنى حتى آخذ ثأرى بالسيوف والقنا وأبلغ من خالد بن جعفر المنى وأنزل بسادا تهم الفنا فتقول له فرسان بنى عبس ياقيس وحق ذمة العرب وزمزم ومنى لا نعود الى أهلنا حتى ترى ما يسرك منا ثم انهم أنفذوا عبيدهم ليأتوهم بالخيل والعدد والسلاح والزرد * قال ولما أن رأى قيس طاعة العرب واظهارا لامتثال خف عنه الكرب والوبال وتلقى الرجال والابطال فنحر لهم النوق والجمال وفرق عليهم السلاح وآلة الحرب وكان الملك زهير فى حال حياته قد أنفذ جماعة من العشرة الذين كانوا معه فتلقاهم قيس وحياهم وردهم الى أوطانهم وأما الربيع بن زياد فانه صار صاحب الامر والنهى لان الملك قيس تزوج ابنته وصار مدبر دولته ولما أن عزم على المسير الى ديار بنى عامر اجتمعت عليه العشائر فقال حذيفة بن بدر الفزارى ياملك اصبر على عشرة أيام حتى انى اكاتب حلفائى من بنى مرة وأطلب فارسهم الحارث بن ظالم لانه اليوم صديقى ورفيقى ومقاربى فى النسب وقد سمعت بفعاله وأنا أعلم انه اذا سار معنا الى ديار بنى عامر تركها قاعا صفصفا فقال قيس نعم سمعت عنه مالا يوصف بلسان من زيادة شجاعته على عنترة فى الميدان فقال حذيفة ومن هو عنترة اذا حضر الحارث الطعان لان الحارث له وقعات تحير الفرسان وقد قتل من بنى لحيان خمسمائة من الاعيان وقلع عين فرعون بن صخر فى الميدان وكبس فى وادى العقر بيت قبيلة بنى الريان وفى هذه النوبة ان شاء الله من نصره لكم على مدى الزمان (قال نجد) ثم ان حذيفة كتب الى بنى مرة كتابا وحيا الحارث وأثنى عليه فى الكتاب وطلب منه النصر والمعونة على بنى عامر وأخبره بقتل الملك زهير وما جرى عليه من الضير وأرسله مع فارس من بنى فزارة وأمره بالجد فى قطع القفار فأخذ الفارس الكتاب وسار وأقام حذيفة فى انتظار الجواب (قال الاصمعى) وكان الحارث بن ظالم

جبار

جبار لا يصطلى له بنار ولا يرعى حق جار ولا يحترم البيت الحرام ولا يرعى حرمة الطعام وكان كثير الغارات والافعال القبيحات ان رافق رفيقا قتله وان ظفر بصديق عجل مرتحله ولا يسترحمه ولا يرعى ذمة وكان من حين نشأ وتولع بالحرب لا يغفل عن أخبار عنتر ويترك عليه العيون والارصاد وأضمر له نفسه له الشر والفساد وذلك من وجهين * الوجه الاول انه كان له على عنتر ثار لانه كان أسر أباه ظالم وجز ناصيته ولما أن حضر أباه الموت أوصاه بأخذ ثاره * والثانى انه كان يحسده لما وصلت اليه الاخبار فأراد قتله لاجل أن لا يبقى فى العرب من يذكر بالفروسية غيره وكان يأتى فى طلب عنتر الى أرضهم فى كل عام واذا لم يره ولم يقع به فيقتل كل من وقع به ويأخذ سلبه ويعود وكان خالد قد كتب اليه كتابا وقال له فى الكتاب يا حارث الحرب اعلم أنى قد قتلت شاسا وأباه زهيرا الذى لم يترك لكم بين العرب رأسا تنشال وقد تجبر وظلم وقد جمعت عليه كل من له ثار ودم وعولت أنى ما أترك من قبيلتهم من يمشى على قدم وأنت تعلم ما فعل عبدهم بأبيك ظالم من قطع رأسه وخلاه موعظة بين الناس وهذا الوقت ما يكون فيه أحسن من أخذ الثار وأريد منك النجدة والافتخار لانك تخشى العار وتزيل الشنار وأبشرنى بالهنا وبلوغ المنا وأريد أن ازوجك بنتى بدر الحلل (قال الاصمعى) فلما بلغ هذا الحديث الى الحارث بن ظالم فى الكتاب جمع من قومه الاعيان خمسمائة فارس وعول على المسير الى بنى عامر فوصل اليه كتاب حذيفة فقال لرسوله ما كان حذيفة يحتاج ان يبعث الى رسولا أنا الميه كنت واصل وها نحن قد شددنا الخيول فعد اليه وأعلمه أنى سابقه الى ديار بنى عامر وبما قتلت أنا خالد بن جعفر قبل أن يدركنى بالقبائل فرد الرسول فى ذلك اليوم ورحل بعده بيوم فى خمسمائة فارس كأنهم أبالس ولما صار فى البرقال له رفقاؤه حدثنا يا حارث بما تريد أن تفعل فقال يا بنى عمى أبشروا بالغنى وبلوغ المنا ولا بد لنا ان نلتقى فى القفار وننظر من ينكسر منهم ويلحقه العار فنبيد رجالهم وننهب أموالهم فقال له رفقاؤه فى نصرة من تكون قال فى نصرة بنى عامر وانما قلت لرسول بنى عبس هذا القول حتى لا يقطعوا منا الآمال ولا يستكثر وا من الرجال ويأتوا طمعا فى نصرتى بالمقال فنقطع منهم الآجال ونبيدهم بالسيوف الصقال ونبلغ منهم الآمال ونحظى بالغنائم والاموال وآخذ لابى بالثار وأكشف العار وان وقع اسودهم فى يدى لاقطعن ناصيته كما جززنا ناصية أبى (قال الراوى) وكان الذى يبين الحارث على هذه الاحوال حسامه ذا الحيات وهو سيف ورثه من أبيه وقد ذكر الاصمعى انه سيف الاقرن بن تبع وكان اذا ضرب به حامله فى الصخر قطع واذا برق ولمع رأوا منه هول المطلع وهذا السيف هو الذى يرميه فى المصائب الهائلات ويلتقى به الرجال والسادات وما سار قط الا وهو من تحت ثيابه ولا يأمن عليه وهو فى قرابه واذا نام يخفيه عن أهله وأصحابه (قال الاصمعى) فسار الحارث هو ومن معه من أصحابه وقد تعجبوا من خديعته ومن خيانته فهذا ما كان منهم وأما ما كان من رسول حذيفة بن بدر فانه لما سمع كلامه عاد الى بنى عبس وحدثهم بمقالته ومسيره الى بنى عامر ففرح حذيفة ودخل على قيس وقال يا ملك ان الرجل عاقل سديد الرأى فلاجل هذا توجه الى بنى عامر وتجنب المجىء الى هنا لاجل ما فى قلبه من عنتر لما جز ناصية أبيه والصواب يا ملك أن نسير عاجلا ونلحقه (قال الراوى) فقال له قيس افعل ما تراه ثم انه شاور الربيع وأعلمه بسير الحارث فقال والله ان صح هذا القول وصدق الحارث معنا أفنينا بنى عامر وفى ذلك اليوم وصل عنتر وأسيد بن جذيمة وولده نازح وأبصروا الارض مزعجة فاشتغلت قلوبهم من أجل ذلك فركبت الخيل من بنى عبس للقاهم وفى أوائلهم مالك بن زهير والحارث فعرف مالك عمه اسيد وعنتر ففاض الدمع من عينيه وتحدر ورمى نفسه عن الجواد وكذلك من كان معه من بنى عبس وكثر بكاؤهم وانتحابهم ونادوا

أدركناوا أسيداه ومازالوا ينادون مثل ذلك حتى هاجت الاجساد للنخوة والحمية فانذهل عنتر وأصحابه من تلك القضية ورمى عنتر روحه الى الارض وبكى وقال لمالك ياموالاى وايش السبب فى هذه المصائب فقال ياأبا الفوارس هذه مصيبة لاتنسى ومحبة قد عمت الرجال والنسا وحدثه بقتل شاس وأبيه زهير فكاد أن يغشى عليه فقال ومن ذا الذى قتل الملك وولده المفضال وقدم على هذه الاهوال والفعال قال ياأمير هو خالد بن جعفر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ومن معه ذلك الكلام دقوا على صدورهم ولامهم شيوب على انفلات الرجال من أيديهم وحدثوا مالك بن زهير بما أخذوا من الاسارى فى الحبال مثل الربيع بن عقيل وجندح بن البكاء وكيف أطلقوهم وكيف دخل عليهم من خالد المحال فقال مالك ان جندح بن البكاء هو الذى ضرب أبى بالسيف وهو عائد من مكة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك نادى واحرباه عليك ياخالد كيف انفلت من يدى والله لاقابلنك باشيم النكال وأنزل بك الوبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

مصاب خلى من أعز المصائب * وندب خليلى من أجل المراتب
لفقد زهير السيد الملك الذى * حمى آل عبس بالقنا والقواضب
وكل همام قسورى صميدع * يذوب جناه عند جمع الكتائب
وكان يخوض النقع فى كل قسطل * يجرد من الخيل الجياد السلاهب
يعز علينا فقد ملك مهذب * كريم السجايا كان لى خير صاحب
أنوح أعلى ملك اذا شب قعر القنا * انار لنار الحرب من كل جانب
وفقد الفتى شاس لقد هد قوتى * وأشعل قلبى نار فقد الحبائب
سأبكى لفقد السيد بن بهمة * زهير وشاس سيدى كل صاحب
سينشد بهم ياصاح طير بايكة * وجود عتاق الخيل من تحت راكب
بنى عامر لابد من أخذ ثارنا * ألا فابشروا منى بقتل الحبائب
سأترك أرضا أنتم واتسكنوبها * يصيح عليها البوم من كل جانب
ألا فابشروا بالويل والسبى والوبا * وحوز المواشى وانهتاك السكواعب
وأسقى غداة الحرب كاسا لخالد * ابى جعفر بالعضب ماضى المضارب
أنا عنتر العبسى أحمى عشيرتى * وجارى وخلانى وأهلى وصاحبى
سأروى حسامى من دماء عشيرة * حوت خالدا ذاك الرفيع المواكب

﴿قال الراوى﴾ ثم انهم دخلوا بين المضارب والقباب ولهم صجة وانتحاب فجعدوا على بنى عبس الاحزان فجرت الدموع منهم على الاجفان وأرادوا أن يدخلوا على قيس وهم باكون فلاقاهم الربيع ابن زياد وقال لهم اعلموا ان الملك قيس قد أخذ الاهبة للقاء العدو لاجل أخذ الثار وكشف العار فاطفئوا عنه وعن أنفسكم هذه النار ولا تتعرضوا له واتركوه فى جمعيته الى أن يأخذ ثار أبيه وأخيه من الذين قتلوهم واعتدوا عليهم وظلموهم ﴿قال الراوى﴾ وكان قصد الربيع بن زياد بهذا الكلام انه يكسر نفس عنتر فاخفى عليه الحال بل اغتاظ ودفع الربيع فى صدره فألقاه على ظهره وتركه ودخل على الملك قيس وبكى بين يديه وكذلك فعل أسيد ومن معه من سادات العرب وقد زاد بعنتر الحسرات وتناثرت من جفونه العبرات فأشار يرثى الملك بهذه الابيات

أفل البدر بعدما كان تما * واختفى نوره وعاد ظلاما
وأحاط الكسوف بالشمس جهرا * وترى الصبح فارق الابتساما
وكذا الغيم فى السموات أضحى * باهت الضوء عاد فيه غماما

وجميع البحار غارت وجفت * وعدمنا مياهها والغماما * حين قالوا زهير صار قتيلا
نزل الذل عندنا وأقاما * ملك كان في الملوك مهابا * منه تخشى شهامة وانتقاما
كان عوني وعدتي في الرزايا * كان درعي وخودتي والحساما * يا جفوني ان لم تجودي بدمع
صار طيف الكرى عليك حراما * واذا الدمع خانني وجفاني * أذرف الدمع ثم أبكي سجاما
قسما بالذي أمات وأحيا * أوجد الكون والضيا والظلاما
لا ثنيت الحسام في الحرب حتى * منه تمسي العدا حيارى يتامى

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره بكى الملك قيس الى أن غشي عليه ثم انه أفاق بعد ساعة فرأى عنترا عند رأسه يبكي و ينتحب وينشد هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

جفوني جودي بالدموع السواكب * على ما جرى من لوعتي ومصائبي
ولا تنشفي من فوق خدي وأهملي * بدمع همى مثل فيض السحائب
و يا نائحات الحي نوحوا بشجوكم * وزيدوا معي الاشجان في كل جانب
لفقد الذي قد كنت أرجو جنابه * لعزولا اخشى ملامة صاحب
لقد كان كهفا للضيوف وملجأ * لكل فقير يشتكي للنوائب
مليك له ذلت رقاب ملوكها * وخافت حماه الأسد من كل جانب
زهير لقد كنت المعول والرجا * وكنت لنا ذخرا لكل المصايب
زهير لقد احنيت ظهري وطالما * رددت العدا عني بحد المضارب
فيا آل عبس قد فقدتم لسيد * رحيم كريم في جميع المطالب
وقد أظلمت أيامكم بعد نورها * وقد خمدت نيرانكم في المذاهب
بنو عامر قد بالغوا جل قصدهم * وخالد أضحى وهو بالقتل عاجب
سابلوه مو ماطار طير مغرد * وما دمعت بيض السحاب السواكب
وآخذ ثاري من بني عامر الذي * طغوا وبغوا من دون كل الكتائب
وأفنيهم طرى بطعن مواصل * قوي و بالهندي ثم الكواعب
وان لم أكن في القول حقا بصادق * فنائلت ما أرجوه من كل طالب
وسوف أنال القصد منهم بصارمي * وأهدم منهم ركنهم مع جوانب
وأتركهم في البر ما بين شارد * وما بين مطروح جديل السباسب
واترك في اطلالهم كل ساعة * عويلا وندبا من ذهاب الحبائب
أنا عنتر المعروف في الحرب واللقا * اذا فرت الابطال خوف المعاطب
ولكن دهري قد رماني بنكبة * لقد زهير أصبح الرأس شائب

(قال الراوي) فعندها بكى الملك قيس وبكى كل من في الحي واجرى عنتر منهم العبرات لما أنشد هذه الابيات ولم يزالوا على مثل ذلك الحال الى أن أصبح الصباح فرحل الملك قيس بالعساكر وأراد عنتر أن يسير معهم فأتى اليه صديقه مالك وقال له يا أبا الفوارس لا تسر مع القوم والزم ناموسك فانك ان سرت معهم أتعبت أخي قيس من أجل بني فزارة فقال عنتر ولم يا مولاي خدثه بالحديث الذي جرى من جهة الحارث بن ظالم وقد قال له الربيع بن زياد في أمس ذلك اليوم انك لا تسر معهم وأشار واعلى أخي بمنعك عن المسير وقالوا اذا سار معنا ورآه الحارث قتله وان لم يقدر عليه عمل معنا بالخلاف وقد وصف له ما فيك من الفروسية وكيف أنهم فضلوك على ابطال الجاهلية (قال) فلما

سمع عنتر من مالك ذلك الكلام كاد ان ينشق قلبه من الغيظ لاجل ما جرى على قلبه من خالد وقد علم أن سيفه قد انثلم وحبط مجده قد انهدم وان عمه مالك عاد يسخط عليه ولا يلتفت اليه بل يميل الى بني زياد ويرجع الى ما كان عليه من العناد والغدر والفساد فعندها قال لمالك سر أنت يا مولاي والحق بأخيك وعاونه عني أخذ ثارا بيك وان عادوا وسمعت ببقاء أحد من بني عامر أو خالد بن جعفر فعلت ما أقدر عليه ولا أقعد عن أخذ ثار مولاي زهير وولده شاس الذي الحقني بالنسب وجعلني أشيل رأسي بين سادات العرب وان رجعوا مكسورين نصرتهم ولا أؤاخذهم بقبيح أفعالهم وان هم طردوني خرجت من ديارهم وها أنا الساعة لازم الخباء كما أمروني الى أن أبصر ما الذي يشير وابه على لاني معدود عندهم من جملة العبيد والعبد لا يجوز له أن يعصي مولاه فقال مالك والله يا أبا الفوارس لولا أني أخشى معيرة العرب وقولهم ان مالكا عجز عن أخذ ثار أبيه ما تبعت أخي في هذه النوبة لاجل بني فزارة والربيع بن زياد ثم ان مالكا ودع عنترا وسار ولحق بأخيه وسارت مع قيس الابطال والكتائب وقد خلت الديار والمضارب * قال وما كان في السرية التي سار بها قيس الا من ظن أن عنترا معهم ولما افتقدوه فلم يجدوه قالوا انه ما تخلف الا ليلحقنا الساعة * قال ثم ان عنترا عاد بعد ان مضى مالك بن زهير ودخل المضرب ودمعه قد انسكب وهو غارق في بحار الفكر فقالت له أمه زبيبة يا ولدا الشوم الى كم هذا اللجاج والى كم ترمي نفسك في المصائب وتحفظ قدر من لا يرعى لك الجميل ارحل بنا عن هؤلاء القوم العتاة وانزل بنا في بعض الوديان ونعيش في هذا الرزق الواسع واترك بني عبس سنة واحدة لاجل تنهبهم العربان الذين لهم عليهم الدماء فقال لها ويلك وأخلي عبلة وأرحل عنها حتى تتحكم فيها بنو زياد ويشمتوا بي الاعداء والحساد لا كان ذلك أبدا ولو شربت كؤس الردا وسوف اريك من فعالي ما ينسيك ما قدم تقدم وآخذ عبلة ولو عاند في كل من مشى على قدم وأنا عنتر الاسد الغضنفر فقالت له زبيبة والله ان عبلة عليك مشؤمة الصباح ولا بد ان تهلك في جرتها بين الاسنة والرماح وأما قعودك عن هذه السفرة فانه من سعادتك لانه ما في القوم الذين سافروا مع قيس الا من لا يشتهي ان ينظر الى صورتك فقال شيبوب ان الحق قد نطق على لسانك لان حذيفة بن بدر والربيع بن زياد أنت تعلمي ما في قلوبهم من الاحقاد وهذا الشيطان الحارث بن ظالم الذي حصل في قلبه ما حصل لانه جز ناصية أبيه ظالم فأراه تاركا عليك العيون والارصاد فقال عنتر وحق ذمة العرب انني قد سمعت بهذا الطلب ولكن ليس له عندي من القدر أن أجعله على بالي ومادام انه قد كاشفني بهذه العداوة فسوف أريك فعالي والله لا أتركه يعود من هذه السفرة الى الديار الا وهو مذلول قليل الانصار ﴿قال الراوي﴾ ثم انه سأل أمه عن عبلة هل ذكرته في غيبته هذه أم لا فحدثته أمه أنها كانت تسأل عنه في كل ساعة وتأخذ خبره وتبكي على فراقه وسمعت نساء عمومته بانه قد تخلف عن المسير وانه مقيم في الاحياء فأتوا اليه وهنوه بالسلامة وكانت عبلة وأمها في جملة النساء فسألوه عن حاله فاخبرهم بما جرى له وسألهم عن الذي جرى بعده من الوسواس فقالت له عبلة يا أبا الفوارس ما جرى الا ما علمت به من قتل الملك زهير وولده شاس وكنا منتظرين قدومك حتى تأخذ لهم بالثار ونرى الناس كلهم ساروا وأنت مقيم في الديار فقال لها يا ابنة العم قد وقع لهم حامية غيري فابعدوني وأردت ان أسير معهم فطردوني ثم انه حدثهم بما قال له مالك ابن الملك زهير فتعجبت النساء من ذلك الامر الشنيع وقالوا كل هذا من الربيع لانه صاحب الامر والنهي في العشيرة وقد جعله قيس وزيره ونحن نسأل اله السماء خالق النور والظلماء ان يكفينا شر مشورته الذميمة فقال عنتر والله ما لتدبيره عندي قدر ولا قيمة الا ان تعرض لمولاتي عبلة بمحال من

الاحوال

الاحوال فهنالك تخرج الارض مافيها من الاهوال وترى العرب من هو أحق بالقول والفعال فقالت عبلة وقد رجعت من خلف أمها ويحك يا ابن العم يزوج الرجل ابنته اذا كانت راغبة الزواج وأنا قد مل قلبي من الغربة ومن الهجاج وأنا لا آخذ ابيض ولا اسود فضحك عنتر من كلامها ونظر الى طلعتها وقوامها وقال حاشى ان يكون مثلك له غرض فى العبيد لان العبد ان جاع سرق وان شبع فسق فتعجبت النساء من كلامه ومنادمته وعولن على الانصراف من عنده فعلف عليهن وأعاقهن للضيافة وأمر أخاه ان يوقد النار ويذبح الاغنام ويزوج الطعام ثم أظهر ما كان قد صحبه من بلاد اليمن من الثياب الملونات والعقود المثمنات وفرق على نساء عمه وطالبت عبلة عنترا بسهمها من الهدية فقال لها يا مولاتى انا وما أملك لك وقد وقع قسمى فى هذه النوبة خمسمائة ناقة وجمل حسان من أرض السواد وجبل الدخان وهى زرق الاعين سود الاحداق طوال الوبر والاعناق لطاف المسير وهى غريبة فى ذلك المكان فقولى لعبيدك سوقوها الى المرعى فى البطاح ودعوها تسرح مع النياق العصافير واعذرينى يا ابنة العم فى التقصير لانى ما سرت فى طلب معاش ولا غنيمة وما كنت الا فى حاجة ابن جذيمة ﴿قال الراوى﴾ وعند ذلك أنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أيا عبل لى قلب بحبك عالق * كئيب الى لقياك جمالك شائق
أيا عبل رفقا فى الهوى بمتيم * مدامعه مثل البحار دوافق
أيا عبل قد تيمت قلبى بطلعة * سناها على الشمس المنيرة فائق
أيا عبل يحكى وجهك الصبح فى الضيا * وشعرك مثل الليل اسود غاسق
أيا عبل ما فى الغانيات جميعها * جمالك بل والله حسنك فائق
أيا عبل يحكى خدك الورد حمرة * ويخجل منه الروض اذ هو باسق
وفى صدرك الرمان أطلب قطفه * ولو لمعت من دون هذا البوارق
فيا عبل جودى بالوصال لهائم * محب له قلب لوصلك شائق
فان تصلى تحيى من الهجر مهجتى * وان تهجرى فالدمع منى دافق

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت نساء العرب السادات وقلن له لا فض الله فاك ولا كان من يشنأك فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك قيس ومن معه من العساكر والعربان فانهم ساروا الى ديار بنى عامر وفى مقدمتهم حذيفة فى ألف فارس طليعة وقد أظهر النصيحة وكان قيس قوى القلب بالحارث بن ظالم وشجاعته وهو يتحدث مع قومه ورفقته وشجعانه وفرسان قبيلته وكانوا يتحدثون فى أمر القتال والحرب والنزال فقال حذيفة وحق الواحد المتعال ما نصل الا والحارث بن ظالم قد قضى الاشغال وبلغنا جميع الآمال وكان يقول هذا المقال لما يعرف من شجاعة الحارث عند النزال ﴿قال الراوى﴾ ولما توسطوا فى الطريق العامر ظهرت لهم طليعة بنى عامر وكانوا مائة فارس فيهم ملاعب الاسنة غشم بن مالك وبجانبه الحارث بن ظالم لانه لما سار رسول حذيفة من عنده قدم هو على خالد بن جعفر وأعلمه بالخبر ففرح واستبشر وخلع عليه وعلى قومه الخلع التمام وأكرمهم غاية الاكرام وقال له يا سيدى مرة قد أتيتنى وأنا معول على الرحيل واحترتنى على قومك وجازيتنى بالخير الجزيل وما أقدر أن أزيك بسوى هذه الجمرة القعساء التى كانت للملك زهير فاقبلها وخذها لك مركوبا فانها والله قليلة المثال صبورة فى المجال وهذا سيفه الذى كان يسميه ذا النور ثم أعطاه الجميع فشكره الحارث على ذلك الصنيع وركب الجمرة وترك السيف تحت ركابه وقال هذا يكون فى حيازتى على طول الايام وسيفى ذو الحيات لا يكون له بديل فى الشدايد الهائلات وقد أقسمت أنى أخضبه بدم عنتر بن

شداد (قال الراوى) ثم انه التفت فوجد العرب وقع فى جنباتها الرحيل والتغير وقد كان هو معولا على الرحيل وابصر ملاعب الاسنة قد رحل فى المقدمة فأوصى خالد بأصحابه وسار يجد المسير فالتقى بطليعة بنى عبس كما وصفنا وكان حذيفة أنكر الحارث وخاب ظنه فيه لما رأى طليعة بنى عامر فلما وقعت العين على العين رفعوا أصواتهم بالصياح ومدوا الى بعضهم الرماح فنبه حذيفة أصحابه للضرب والطعان وقال لهم دونكم وهؤلاء الفرسان فما هم أكثر من مائة فارس فانهبوهم بحد المشرفيات القواضب الى أن نصل الى بنى عبس السادة الغوالب (قال الراوى) وقد سمع حذيفة الحارث وهو ينادى يا آل مرة أنا الحارث بن ظالم سيد الفرسان القشاعم فلما سمع حذيفة صوته انقطع ظهره وحار فى أمره وقال له ويلك فعلتها وقطعت ما بيننا من النسب ووسمت نفسك بالغدر بين فرسان العرب فقال له اى والله قد وسمت نفسى بالغدر واليوم أفنى بنى فزاره وآل بدر ثم قال له ويلك ياحذيفة كيف يطيب على عقلك انى أعين قوما جعلوا عبدهم من بعض ساداتهم والله ياحذيفة ما بقيت ارجع عن بنى عبس حتى أقتل عبدهم وأفنى ساداتهم واذا أردت السلامة فعد الى قومك وقبيلتك وأرضك ودع عنك الفضول والا تكن أول مقتول ويلك ياحذيفة أنت كنت مع أبى وأبصرت ما جرى عليه من عنترجين جز ناصيته فلم تذكر الثار وتقاتل لمن ألبسك العار (قال الراوى) فلما سمع حذيفة قول الحارث علم انه وقع فى قبضته فأخذه الانذهال وعلم انه ما بقى يخلصه الا القتال فهانت المائة فارس عنده وحمل وحملت معه رجاله وطلبوا باسنة الرماح المقاتل وبذلوا الصفاح فى الاعناق والهياكل ولعب ملاعب الاسنة بأنفس الرجال والفرسان وسطا وتجبر على الشجعان (قال الراوى) وقامت المائة فارس العامرية بالالف فارس الفزارية ومازال الطعن يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى تلاحقت بهم المواكب وأشرفت عليهم الكتائب وتنافرت الوحوش من كل جانب وحامت بالشجعان المصائب وكان كل من وصل ورأى القتال يعمل ويصيح يحمل الى أن زاد الامر عن الحد وعظم الويل واشتد وأظلم النهار واسود وأشرف قيس فى باقى بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وجميع من معه من العربان ومافيهم الا من ينادى بالثارات الملوك والفرسان زهير وولده شاس سلاطين الزمان وزعقوا كلهم وحملوا من جميع الاقطار (قال الراوى) وقام بينهم الحرب على ساق وقدم وماج بحر المنايا والتطم وعاد الوجود فى ذلك اليوم عدم وشابت المفارق والمم وحل بالجبان الندم وصف كأس المنايا واحتكم وفعل الحارث بن ظالم فى ذلك اليوم فعلا حير به النواظر وأدهش الخواطر وجعل قصده بنى عبس من دون العشائر ونكس راياتها وباد جماتها وقتل جماعة من ساداتها وما أمسى المساء الا وقد بانت الخسارة على بنى عبس وبنى فزارة وافترقت الطائفتان عن القتال والطعن والنزال وكان قد أخذ الضياء فى الارتحال وأقبل الليل بالانسدال والبر صار ملآن من القتلى والارض بقيت ربانة من الدما (قال الراوى) وكان الملك قيس نزل وهو نادم لكونه اتبع حذيفة بن بدر والربيع الكشحان وكيف انه ترك مثل عنتر فى الاوطان (قال) فلما ان نزلوا واستقر بهم القرار قال الملك قيس والله لقد كان تدبيرنا بئس التدبير وقد أخرقنا حرمتنا عند الكبير والصغير فقال حذيفة وقد عرف ان الكلام له والقول عليه يا ملك وحق القديم الاول ما علمت ان هذا الغدار يعمل هذا العمل وما قلت انه يخدعنى ولا يجرد فى وجهى حسام ولا يضيع حرمتى ولا يقطع نسبته من نسبتى وما ظننت الا انى أكسر به بنى عامر ولا أدع منهم لا بادا ولا حاضر فخاب ظنى فى هذا الخائن الغادر فقال الربيع والله يا أبا حجار ما كنت أعرفه الا خبيثا غدار وما قلت انه يظاهرنا بهذه العداوة الى هذا الحد كله وما كنا الا رابحين على بنى عامر ولولاه كنا افنيناهم بالبواتر (قال الراوى)

فقال

فقال قيس يابنى عمى مضى مامضى ونحن قد جئنا نأخذ بالثار فاكتبنا عارا على العار ومابقى فى الامر الا اننا نطاول القوم بالبراز يومابعد يوم حتى يأتينا من الحلفاء والقرائب من يعيننا على هذه المصائب فقال له مالك والله ياأخى اذا كان الامر على هذا الايراد فانفذ الى خالف عنتر بن شداد فهو الذى يدفع هذه الحوادث ويقتل هذا اللئيم الناكث فقال الربيع بن زياد يامالك عوض ماتفعل هذه الفعال أنفذ نحو الملك النعمان وأعلمه بهذا الامر والشان فينجدنا برجاله وأبطاله ولاتذكر عنترا بحال من الاحوال وهؤلاء بنو عامر فى ثلاثين ألف عنان والعرب اليها متتابعة مثل العيون النابعة واذا جاء عنتر بن شداد لاقدرة له بهؤلاء الاجناد فقال مالك بن زهير تقول يار بيع بعقلك هذا المقال وأين الحجاز من العراق ومن يبقى سالما من الفرسان الى أن تأتى عساكر النعمان كان يصح فينا المثل المضروب فى سائر الآفاق الى أن يأتى الترياق من العراق يكون المسموع مات واستراح الراق ولكن والله يامالك ان لم يأتنا عنتر بن شداد والا لم يبق منا من يعاد ولا أحد من الفرسان الجياد (قال الراوى) فعند ذلك قال أسيد أبو نازح القسور وجماعة من محبين عنتر والله لو عرفنا انكم تركتم عنترا فى الخيام ماكان أحد منا تبعكم الى هذا المقام والصواب انكم تنفذون اليه وتجعلون معولكم عليه والا طمعت فيكم الاعداء وتشتت شملكم فى البيداء (قال الراوى) فعند ذلك قال قيس هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم انه أرسل خلف عنتر نجاب وبات يتفكر فى هذه الامور والاسباب قال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من بنى عامر فانهم لما افترقوا من الصدام باتت جميع فرسانها تشكر الحرث بن ظالم وتثنى عليه وخالد يتقرب بالخلع والهدايا اليه ويمدحه بكل خير ويثنى عليه بعد ان قبله بين عينيه فعندها قال الحرث لاتمدحنى ولاتشكرنى الا ان نظرت عنترا وهو ذليل حقير وتنظر رأسه على رمح طويل أسمر على انى والله جعلت بنى عبس قصدى وطفيت بقتل فرسانها نار كبدى وقد درت فى جوانبها وأوسطها على هذا العبد الاسود فما رأيته ولا وقعت عينى عليه وما أظنه الا غائب أوضاع من بين الكتائب ولكن فى غداة غد اطلع الى الميدان وأطلبه بين الفرسان فان برز لى تجلت عطبه وجعلت للمقابر مرتحله فقال له خالد هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم انهم أقاموا تلك الليلة فى حديث وكلام الى ان رحل الظلام وأصبح الله بالصباح وعادوا الى الحرب والكفاح وقد تلاطم الفرسان وتضارب الشجعان الى ان خاضت الخيل فى الدماء وطلع الغبار الى السماء وحامت الوحوش على قتلاهم وحار شيخهم وفتاهم وقد نادى المنادى بناديهم الا ان جيش بنى عبس قد ضعفوا عند المسا وتأخروا الى وراء قدر نصف ميل والتمت أطرافها وقد انتشرت بنو عامر حولها وفارقوهم من كل جانب وانسدت عليهم المذاهب وقد نزل الملك قيس وقد خنقته العبرة وزادت به الفكرة وقد علم ان رأيه سيئ حيث انه ما أتى بعنتر معه فقال عمه أسيد ياقيس تأدب بهذه المرة وانعظ ولاتعد تسمع فى حق عنتر كلام الحساد الذين لم يكشفوا ضيما ولا أنكاد وان دمت تسمع فيه كلام الاعراض فيقع فى بنى عبس الاغراض والامراض ووالله يابن العم لو كان معنا عنتر بن شداد ما احتجنا الى بنى فزارة ولا بنى زياد ولا أحد من العباد لان عنتر رجل مسعود وما عانده أحد الا ومات مكمود ثم انه أخبر بما جرى له فى بلاد اليمن وما فعل من المصائب والمحن وكيف قتل كليبون وأورثه البلا والغبون وما فعل فى نقمة وكيف سلطن أخاه نعمه ثم انه قال للملك قيس الصواب انك لاتسمع فيه كلاما ولا مقال لامن عال ولا من دون فيصبح خاسرا محزون فقال له والله ياعماه أنا ما تركته بخاطرى وانما لما كان معك فى بلاد اليمن احتجت ان أتركه حتى يستريح فى الديار ووافقت الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد والآن آن الامر الى الانكسار وان هربنا كبنا العار والذل والشنار وما فى الامر الا انى اصطلى الحرب بنفسى وهى اخوتى وعشيرتى ونضرب فى الاعداء بالحسام حتى نشرب كؤس الحمام ومازال بنو عبس على ذلك الكلام

حتى ذهب الظلام وركبوا على الخيل وهم من الجراح فى ويل الان بنى عامر اكثر وانشط وأجلد وأقوى همة وأشد وعولوا على الحملة فبينما هم فى الكلام اذ قد برز عليهم حذيفة بن بدر على حجرته الغبراء وكانت حجرة يدخرها للشدائد والاهوال ثم انه طلب القتال وصال وجال وقال يا بنى عامر اعلموا ان الدماء بيننا قد احتكمت وما بقينا نتفصل الا ان هلك أقصانا وأدنانا وأنتم وان كنتم اكثر منا عددا الا ان الكثرة لا يفتخر بها عاقل وانما الفخر ذا اتطابقت الاعدا وصارت فى مقام الاخطار والردى فأبرزوا فارسا الفارس ان كان فيكم انصاف واتركوا طريق الجور والاعتساف ثم انه دنا من الصفوف وقلبه على بنى عامر ملهوف ثم أنشد وقال

بنى عامر ما الفخر جمع الجحافل * فعودوا الى الانصاف عودة عاقل
وكروا الينا فارسا بعد فارس * ترونا جلادا عند وقع الذرابل
فوالله لولا ان عقل ابن ظالم * غبى وفى افعاله غير عادل
لكنا أخذنا بالقنا من سراتكم * ومن خلفكم فى كل حق وباطل
ولكن بغى والبغى يلقاه عاجلا * ويبقى حديثا شائعا فى القبائل

(قال الراوى) وما فرغ حذيفة من شعره حتى برز اليه الحرث بن ظالم وفى يمينه سيفه ذو الحيات وكان ملاعب الاسنة أراد الخروج فأقسم الحرث عليه بأجل الاقسام أن لا ينزل أحد سواه وفى الحال همز الجواد وصار فى الميدان وبقى عنده وساواه وهو راكبا على حجرة الملك زهير القعسا وقلبه عليه قد قسا وقال له ويلك يا ابن بدر ارجع الى وراك ودع طرق المهالك لسواك ولا ترم نفسك للهلاك وسوء الارتباك فان فرسان بنى عامر شجعان ذو وثبات ولا يفوتهم فى الحرب فوات رفيهم مثل الربيع بن عقيل وجندح بن البكا الفارس القيل وملاعب الاسنة الذى تفر من رمحه الشجعان والسيف اليمان وقد أراد أن يخرج اليك ومراده ان يأخذ روحك من بين جنبيك فمنعته أنا وخرجت اليك من طريق الشفقة عليك لاردك عن موارد العطب لاجل ما بينى وبينك من النسب فارجع الآن من حومة الميدان وقل لعنتر بن شداد ينزل الى الحرب والجلاد حتى آخذ بثارى منه على رؤس الاشهاد واسأل فيكم بنى عامر الجياد (قال) فلما سمع حذيفة منه هذا الايراد زاد به الحنق والكياد وقال له ويلك يا ابن الملعونة ان عنتر بن شداد من أجلك قد طردناه وأبعدناه وقد أتينا طامعين منك بالوعد والميعاد الذى قد أوعدتنا به على لسان رسولنا فوجدناك عاملتنا بالخيانة والبهتان وفعلك كفعل الشيطان ولو كنا علمنا ما فى نفسك من المكر والخداع والكياد ما كنا طردنا عنتر بن شداد وكنا تركناه يفعل بك مثل ما فعل بأبيك ويقابلك على فعالك ويجازيك ولكن اعلم ان هذا ما يفوتك يا ملعون يا قليل الاصل يا مجنون لان الملك قيس قد أرسل خلفه نجاب ولا بد ان يأتى فى جماعة من الاصحاب وترى يا خبيث ما يحل بك أنت وبنى عامر من العذاب لانك قد بالغت فى الخبث والغدر والعداوة وقتلت من سادا تنا جماعة وتناهيت فى البغى والوقاحة وما كفاك هذا حتى أتيت نجار بنا وتقاتلنا على حجرة ملكنا وحاكمنا فبعد هذا الحيف ما بقى لك عندنا جزاء الا السيف (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة الرائقة الفائقة الغريبة وما فيها من أخبار العربان الذين كانوا فى ذلك الزمان بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان الذى كلمه الضب ونطق له الثعبان * يا سادة يا كرام فيما استتم حذيفة هذا الكلام وانتهى فى الخطاب حتى ضحك الحرث بن ظالم وابدى بالانبسام وقال له والله يا أبا جحار لو تدبرت هذا الكلام بعقلك لكان هذا عليك فيه العار وعلى جميع من معك من الكبار والصغار يا ويلكم تعجزون عن لقاء الفرسان الصناديد والابطال الاماجيد وصرتم كل وقت تنتصرون بالعبيد والله

لا قطعن

لاقطعن منكم نسبي فلا أنتسب لكم أبدا طول الزمان ولا تسمون بي سائر العربان ولاحصدنكم بهذا الحسام حصد الهشيم الا أن تتركوا الافتخار بهذا العبد الزنيم ثم انه زاد به الغيظ وصرخ على حذيفة وحمل عليه ومال بكليته عليه ومد السنان اليه وجال معه في سعة الفضاء وتطاعنا طعنا كسبق القضا وأحر من جمر اللظى ساعة من النهار وقد اختلف بينهما طعنتان وهما تحت الغبار وكان الاسبق بالطعنة منهما الحرث بن ظالم وقد فاجأه بهذه الطعنة وزعق فيه فعاد الى وراء وأيقن من تلك الطعنة بعدم الحياة وحلول الوفاة فرآه أخوه حمل وهو على تلك الحالة فصاح واعظم مصيبتاه ثم انه حمل على الحرث وقد صاح من ألم جواه وقال ويلك ياحارث لعن الله أباك وبطن ارماك ما أخبثك وعلى الشر ما أجراك أهذا جزاء حذيفة منك ياندل ياجبان يامهان فقال له الحرث يا أخس العربان ويا أرذل العرب ومن ضرب في البيداء أومد طنب هو الذي قد اشتهى لنفسه الذل والعطب وقد نهيته فما انتهى كان أجله قد اقترب ثم انه صاح وحمل عليه فصبر الحارث الى ان وصل بحملته اليه وضرب رمحه براه وثنى عليه بضربة على رأسه فقطع الخودة والرفادة ووصلت الى رأسه فسال دمه ووقع على الارض وغشي عليه وبقي الحرث واقفا على رأسه الى ان ردت روحه اليه فقال له الحرث عد الى أهلك ولا تعد الى مثلها فتهلك ودع غيرك يبرز لي (قال الراوي) فرجع والنهار قد اسود في عينيه وصار لا يعرف من بين يديه ولما صار هذا الحال يعجب الحرث بنفسه وجال وصال وركض بحجرة الملك زهير حتى قارب الاعلام ودنا من طائفة بني عبس الكرام ثم نادى بأعلا صوته يا بني عبس وعدنان أنتم أصحاب القريحة وقد أتيتم تطلبوا من بني عامر أخذ الثار وتزيحوا عن قلوبكم هذا العار فابرزوا الى الآن فارس لفارس ولا تحتجوا بالكثرة فما بقي أحد يدفع عنكم الى ان أشفي غليلي من جمعكم وأطفي نيران قلبي بسفك دمكم وأروي هذا الحسام من نحور حماتكم وساداتكم (قال الراوي) فلما ان سمع الملك قيس هو وفرسان بني عبس من الحرث ما أبداه من القول والخطاب ورأوا ذلك الجهل والتجبر والاشراك هان عليهم الهلاك وقد زاد بهم الارتباك وقد غلب على عقولهم الانذهال وصاروا في أسوأ حال فصار بنو عبس يخرجون اليه واحد بعد واحد وهو يعدمهم أرواحهم ويبري بسيفه رماحهم ويسلم الى رفقته عددهم وسلاحهم ومازال معهم على مثل ذلك الحال الى ان تنصف النهار وقد لحق الابطال من فعاله الانبهار والانذهال وانقطعت منهم الآمال وخافت منه الفرسان وهابته جميع الاقران والشجعان فعند ذلك صال وجال واقتخر في المقال وأنشد شيأ من الابيات لعنه الله هو وأبياته ومقاله (قال الراوي) فلما سمعت بنو عبس كلامه علت منهم الغوات وهان عليهم نزول المحن والبليات فتبادروا اليه للحرب والجلاد وقصدوا الطعن في الاكباد فخرج في ذلك الوقت عروة بن الورد وشداد بن قراد ومالك بن الملك زهير والربيع بن زياد ومافيهم الا من حلف على صاحبه وأراد أن يسبقه الى القتال والطعن والنزال وقد خافوا واختشوا من العار واستحسنوا حلول الدمار فرد الامير نازح بن أسيد الجميع وحلف واقسم بالايمان العظيمة انه لا ينزل أحد الى قتال الحرث بن ظالم في ذلك النهار غيره وقال لانه صاحب أفعال قبيحة وقد زاد علينا في الكلام واستهان بنا في هذا المجال وان سبقني اليه أحد من أبناء جنسي قتلت بذلك الحسام نفسي ثم انه همز جواده وكان ذلك الجواد منسوب مجرب في الشدائد والخطوب وعلى عاتقه رمح غليظ وهو مقلد بسيف عريض عتيد وقد ذكرنا ما كان لنازح من الفروسية والشجاعة ووصفنا لكم ما هو فيه في غير هذه الساعة وقد انطبق على الحرث بن ظالم من غير كلام ولا سلام وكان الحرث بن ظالم لما رأى سادات بني عبس وطلبهم له وعودتهم عنه من طابق المجال وقد رأى نازح صدمه من دون هؤلاء الابطال علم عند ذلك ان القوم قد اكتفوا به عن غيره (قال الراوي) وكان فارسا شديدا

وبطلا صنديدا فصال معه وجال كما جال مع غيره من الابطال وقد علا عليهما الغبار الى ان غاب عن الابصار واحتجبا عن أعين النظار وقد أيست فى ذلك الوقت من نازح الطائفتان وخافت عليه الفرسان حين علا عليهما الغبار وقد بكى عليه أسيد بن جذيمة وحسب حساب أمه سلمى ان تفقده فتصير نائبتها عظيمة أو يموت وفى قلبه حسرة من زوجته ضبة الدرة اليتيمه فصار ينطاول الى صوب المعمعة وكل واحد قد أطال لصاحبه النظر ودموعه من أجفانه تتحدر كالمطر وكان الناس كلهم على ذلك وهم وقوف واذا بفارس قد خرج من طائفة بنى عامر وظهر بين الطائفتين واشتهر بين الفريقين وقد رمقته كل عين واذا به بدوى حاله شين ولكنه فارس طويل كأنه من أولاد قابيل عريض الاكتاف غليظ السواعد والاطراف أسود اللون أغبر أشعث الحال ملعون الفعال رث الثياب لكنه مفتول السواعد والاعصاب وعدته لا تصلح لحرب ولا لقتال ولا تكشف شدائد ولا تبلغ آمال وعليه ثوب خام قصير الاكمام ردىء الهندام وهو مكشوف الرأس حافى الاقدام وهو عبرة فى نفسه والسلام وعلى أكتافه رمح مكسر مشدود بالقد والعصب وتحته سرج مسمر بألواح الخشب وركابه من ليف لكن من القديم الضعيف راكب على جواد رقيق الجسم نحيف حالته ملعونة مشؤمة لا يصلح فى هذا الزمان الا للطاحونه وهو متقلد بسيف خلق الغمد والحمائل أسفله مكسر وأعلاه مائل وهو على الابطال صائل (قال الراوى) فلما أقبل ذلك الفارس ركض وطلب الحرث بن ظالم والجواد يقوم ويقعد ويتململ من تحته من ثقل جثته وهو متكلف لحمله ومازال راكضا الى ان قارب الحرث وصار يرمقه بالنظر فظن الحرث انه من عبيد خالد بن جعفر وقد أتاه برسالة أو بخبر (قال الراوى) فلما ان وصل اليه وقرب منه صاح صيحة عظيمة أرهق منها الاثنين فلما سمعا صياحه افترقا الاثنان عن القتال بعدما كانا منطبقين على بعضهما مثل الجبال فقال له الحرث ويلك ما الذى تريد بصياحك علينا وما الذى أقدمك الينا فقال له ذلك الفارس الويل لك يا ابن الزنا وتربية الخنا لا وقيت من الردا وأشمت الله بك العدا وسيكون هذا اليوم آخر أيامك من الدنيا ولا تبلغ قصدك ومرادك لانك قد أخذت وحدك الميدان وقد خرقت حرمة من اجتمع من العربان فى هذا المكان يا ندل العرب وأقل من مد فى البيداء طنب يا كلب يا شيطان فمن تكون أنت يا ابن ألف قرنان لم لا تقعد وتترك غيرك يطلب ثاره ويكشف عاره وأنت واقف بطرطورك هذا ترقص فى الميدان وما جعلت لاحد وقارا ولا شان كأنك أنت ملك أو سلطان فمن تكون أنت أخبرنى يا شيطان يا ابن الاندال اللئام أما تعلم أن هذه القبائل قد اجتمعت والابطال الذى قد التمت من سائر الاقاليم والحلل ولها على بنى عبس دماء وقد أتت تطلب ثارها وتكشف عارها وتنال من قتل أعدائها مرادها فمنعتهم أنت بخبثك ومكرك وقد قصدت عنادها بشؤمك وغدرك وأولهم أنا يا ابن الاندال أما تعلم انى قد قطعت أوديه وجبالا وكثبانا ورمالا واراضى وتلالا وفلوات وأوعارا وبرارى وقفارا وصخورا وأحجارا وقد أتيت أريد أن أكسب شيأ من المال وأعود به الى الاهل والعيال فحلت أنت بينى وبين بلوغ الآمال فارجع الآن ودع غيرك ينزل ودع عنك القتال يا ذليل يا جبان يا محتال والاوحق الملك المتعال الذى أرسى شوامخ الجبال أطعنك فى صدرك بهذا الرمح الكعوب العسال أجعلك على الارض مجندلا وبالدماء مخضوبا وبالتراب معفرا وأقاتل مع بنى عبس الغرر وأسهل عليهم هذا الامر الذى تعسر وفى استاملك على أم خالد بن جعفر لانكم أنتم من أنذال العرب وأخس البشر فوحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذى من توكل عليه غلب لابد لى ان أخذلك أنت ومن معك (قال الراوى) فلما ان سمع الحرث من ذلك البدوى هذا الكلام القبيح شخر ونخر وطغى وكفر وطار من عينيه الشرر واسود وجهه

وتغير

وتغير لونه وصار عبرة لمن اعتبر وهاج وماج وصار كأنه الاسد اذا انذعر وهدر ثم انه زعق من صميم فؤاده ومافتر وقام فى ركابه وتعطى على جواده وطعن البدوى فى مثل لمع البصر طعنة تكاد تسبق القدر فراغ عنها ذلك البدوى أسرع من البرق اذا برق وقد أفسدها وتأخر ذلك البدوى الى ورائه وأراد أن يطعنه جواب طعنته فخرج جواده فخانه ذلك الجواد وقصر به عن بلوغ المراد فلم يتمكن منه لضعف فرسه وقلة نشاطه فضربه بالرمح فوقع بين أكتافه فغيب صوابه وأشرف على اتلافه ومن شدة تلك الطعنة انكسر الرمح أربع قطع ﴿قال الراوى﴾ فلما أبصر نازح ذلك الفعل من البدوى اندهش مما جرى منه وماقد صنع وأما الحرث فانه لما أحس بتلك الطعنة خاف أن يقع فهمز حجرته فخرجت من تحته كأنها البرق اذا برق ولما ان تباعد الحرث نزل البدوى عن جواده الى الارض وصار ينظر الى العساكر طولا وعرضا وصار يلم قطع رمحه من على وجه الارض والرمال ثم شد منه تلك الاوصال هذا كله جرى وسائر العربان تنظر اليه وتتعجب من فعاله ومما قد شاهدوا من أعماله ومافيهم الا من ظن انه مجنون والجميع عليه يتفرجون ﴿هذا ونازح قد انفرجت عنه تلك الكربه لانه كان مع الحرث فى شدة وقد عاين منه الهلاك وأشرف منه على الوقوع فى الارتباك وزال عنه ماهو فيه من الضيق مع ذلك الجبار الزنديق ﴿قال الراوى﴾ ولما ان رأى نازح الى ذلك البدوى وهو يشد فى رمحه أخذته عليه الحمية والرحمه وحرك جواده وسار اليه حتى قاربه وبقى عنده وقال له يافتى دع عنك هذا الذى أنت فيه وخذ فى هلاك عدوك ولا تبقيه لانه قد جهل أمرك وازدرى قدرك ولم يعرف لك قيمه وخذ أنت هذا الجواد فانه يعينك على بلوغ المراد ولو كنت فى الاول على ظهر هذا الحصان لكنت أهلكت هذا الشيطان ونلت كل ماتشتهى وتريد من هذا الغدار الخوان وكنت تسير معى الى بنى عبس وعدنان وتصير لنا من جملة الاخوان فشكره البدوى على ذلك الكلام ثم انه مد يده وأخذ الرمح من نازح وركب جواده فلما صار على صهوته قال لنازح يافتى بحق رب العباد اركب أنت على ذلك الجواد ولا ترجع الى قومك والاجناد بل قف مكانك حتى أجازيك بشئ من أسلاب هؤلاء الاقوام الانذال ولو انك غير محتاج الى هذا المال ومايخفى على انك من أمراء العرب الابطال ولكن يا أمير صيد الحروب مثل صيد البر محبوب وترتاح فى آخره القلوب ثم ان البدوى بعد ذلك عاد الى الحرث بن ظالم وصار له مقام وكان الحرث فى هذه الفترة قد راق لنفسه وعادت اليه روحه وهدأ عقله من الحقد الذى كان أن يطير مقل عينيه لاجل ماجرى فى ذلك النهار عليه وأما البدوى فانه لما ركب ذلك الجواد وقد صار تحته علم انه جواد موصوف وللحرب مألوف فلعب عند ذلك بالرمح فى الميدان بين الصفوف وقد حير بفروسيته الفرسان الوقوف حتى خيل للعيان انه بالقد مكتوف أو كانه بين الشجعان مثل الطير المنتوف وقد زعق زعقة عظيمة ارتعدت منها الابدان وذلت لها الشجعان ثم انه حمل على خصمه وقد انطبق عليه وقاربه وأبعد عنه وأطلق الرمح من يده ودحاه الى ان صار فى أعلا الجو والتقاه ثم انه قلب السنان الى خلفه وهجم على الحرث وطعنه فى صدره بعقب الرمح فألقاه على الارض وركبه وعن حجرته قلبه فمن شدة الوقعة كاد ان يخلط بعضه فى بعض ثم انه أشار الى نازح البطل الهمام وقال له تقدم أيها الفارس والقرن المداعس وخذ هذه الحجرة فهى القعساء حجرة الملك زهير التى كان يدخرها لكل شدة وضير وهى باهذا نظير جوادك الذى تكرمت على به ﴿قال نجد بن هشام﴾ فعند ها نزل نازح عن جواد البدوى وركب القعساء وقد كان الملك قيس كلما نظر اليها وهى تحت الحرث بن ظالم يذوب جسده من شدة الغيظ والغضب وقد عجبوا من ذلك كل العجب ولما ان رآها الملك قيس فى ذلك الوقت وهى تحت ابن عمه نازح زال ما بقلبه من الغم والنصب وفرح بما جرى على الحرث من الامر والتعب وماحل به من العطب

فقال لمن حوله ياقوم واحد منكم يمضى الى هذا البدوى ويوعده عنا بكل مايشتهى من المال وبما يريد من النوق والجمال ويسوق الحرث بن ظالم الينا فى غاية الهوان والتنكيد والاذلال من قبل أن تحمل قومه عليه ويخلصوه من يديه ثم يهونوا عليه ماهو فيه من النكال والوبال ونشتريه من هذا الرجل الصعلوك الفقير الحال بقدر مايطلب من المال وندعه عندنا فى أعز مكان وأنعم بال ونترك هذا اللئيم عندنا فى الاعتقال والقيود والقيود والاغلال لاسيما ان رجع هذا الرجل الاعرابى الى بنى عامر وشد معهم بقتال تلك العشائر يكونوا كلهم علينا (قال الراوى) فبينما الملك قيس فى ذلك الكلام مع الفرسان الكرام واذا بالبدوى قد أومى الى الطائفة التى قد خرج منها ونادى بأفصح كلام أين مفرج فخرج اليه فارس حالته مثل حالته الا أن صورته أحلى من صورته ولما أن وصل اليه وقدم عليه وصار بين يديه قال له ماتريد ياأخى فقال له دونك وهذا الشيطان وشد كافه وأوثق أطرافه واعلم انى اريد أن أكافئ هذا الامير الخطير الذى قد تكرم على وأعطانى عدته وجواده وذلك من عظم نخوته ولا يخفى عليك انه من ملوك العرب وهو من أصحاب الحسب والنسب وأنا أريد اليوم أن أساويه فى المكسب واجازيه بكل ماطلب واقسم بينى وبينه ما أخذته من جميع المكسب فعندها نزل ذلك البدوى القادم على الحرث بن ظالم بركب كأنه ركب البعير فكاد أن يخسف بالوثاق أضلاعه وقد زاد أوجاعه ثم انه قد أدار كتافه وذلك البدوى الاول واقف على رأسه الى ان تمكن من الحرث رفيقه فعندها تركه وعاد بوجهه الى صوب بنى عامر وهو يجول فى الميدان ويطلب الحرب والطعان (قال الراوى) وكان خالد بن جعفر قد أبصر ماجرى على الحرث بن ظالم من ذلك البدوى القادم فخرج من بين قومه اليه لما رأى ماجرى من الخطر عليه ثم لما نظر خالد اليه وسمعه وهو ينادى يامفرج وقد خرج آخر من بين عشيرته وهو رفيقه فسد عليه سائر المذاهب وما بقى يقدر أن يبلع ريقه وقد اختنق من شدة غيظه ثم ان خالدا قال وذمة العرب لابد أن يكون فى هذه الطوائف من هو مخامر لنا أوان أحدا من بنى عبس قد اختلط بنا ودنا منا الى ان احتال هذا البدوى ورفيقه حتى وصل الينا أو يكون الحرث قد رجع الى خبثه ومكره ودهاه وغدره والا فما كان هذا البدوى الصعلوك يقدر عليه ولا يصل اليه وما قدر على أسره الا بمشورته والصواب أن نمنعوا هذه القبائل عن القتال الى أن ينكشف لنا باطن هذا الحال * (قال الاصمعى) * ثم انه أمر جماعة من قومه أن يردوا الفرسان عن القتال ففعلوا ذلك الحال وقد وقفت الفرسان عن القتال والحرب والنزال ثم ان خالدا بعد ذلك أمر من ينزل الى ذلك البدوى ويستخبره وينظر من أين هو ومن أى القبائل يكون فعند ذلك خرج الى البدوى جندح بن البكاء وقال له ان خالدا سوف آتيك أنا به عاجلا من وسط الميدان وابين لك حقيقة هذا الحال وذلك الامر والشان ثم انه هز جواده وحركه وقد طلب الميدان وهو مثل الاسد الغضبان وقد ذكرنا ان جندح بن البكاء هو الذى قد شارك خالدا فى قتل الملك زهير وما قصر وقد تركه على الارض معفر وهو الذى ضربه بالسيف على راسه وفرق بينه وبين دنياه وناسه وكان ذلك الملعون بطلا من الابطال وجبارا من الجبابرة الاقيال (قال الراوى) ولما ان طلب جندح ذلك البدوى كما ذكرنا وركض بجواده الى ان وصل اليه وصار قدامه وبين يديه وقد رمقه بعينيه ناداه وقال له أنت من أى القبائل تكون والى أى العرب والقبائل تنسب فاذكر لى نسبك وأوضح لى حسبك والا عجلت فى هذه الساعة وهذا الوقت عطبك وأعدمك حس نظرك واقطع من الدنيا رزقك فتكلم وأوجز فى الكلام ياندل ياذليل يامهان * (قال نجد) * فلما ان سمع البدوى من جندح ذلك الكلام قال له ويلك يانسل اللئام وولد الزنا وابن الحرام دع عنك ذكر الآباء والاجداد والقبائل والاخوال والاعمام واعلم أن هذا الكلام الذى تذكره لايكون فى هذا المقام ولا فى

موضع

موضع القتال والحرب والنزال والصدام وانما يكون فى الموسم وقت شرب المدام والمفاخرة فى الكلام
لان هذا المقام لا يقع فيه الا السؤال عن ثبات الجنان والصبر على الضرب والطعان بين الفرسان
والشجعان الكرام (قال نجد بن هشام) ثم ان البدوى بعد ذلك الكلام جذب الحسام وزعق على
جندح وحمل عليه فلما ان رأى جندح هذا البدوى فعل هذه الفعال فعل مثلها وجذب الآخر حسامه
وقد انطبقا الاثنان انطباق الجبال وهمهما الى أن اهتزت لهما الاطلال وهمهم كل واحد منهما مثل
ما يهمهم الاسد الرئبال وقد طحنت أرجل خيلهما الحصا والجلمود واقشعرت من هول ما جرى
بينهما الاكباد والجلود وقد عرفت الفرسان مرارة العدم من حلاوة الوجود ثم افترقا افتراق وادى
زرود والتصقا التصاق جبال الاخدود وقد صار الغبار كالرواق الممدود وأصواتهما فى آذان الابطال
مثل الرعود ومازالا على مثل ذلك الى أن اشتد الهجير وهبط الطير ووقف كل سائر عن المسير فعند
ذلك رمى الاثنان الرماح من أيديهما الى الارض وتعاركا على ظهور الخيل طولا وعرض وقد مالا على
بعضهما بعض ولكن البدوى كان أشد قوة وجنان وأخبر بالحرب وأعرف بمرارة الفرسان فجذب
البدوى جندحا جذبة الاسد الغضبان فرجله عن جواده وكركبه عن ظهره الى وجه الارض وقد أخذ
سيفه من يده وطلب أن يسوقه الى عند الحارث من ذلك المكان فصار يتململ ويتمنع وهو يطلب الخلاص
من يد ذلك القناص فعند ذلك ضربه البدوى بالسيف صفحا على قفاه فألهب مهجته وقد أعدمه
قواه وقد أحس جندح بأن رأسه طارت عن جثته فداخ وضاقت منافسه ولولا انه شد حيله لكان
وقع الى الارض على أم رأسه فسار قدامه وقد ساقه ذلك البدوى وهو صاغر ذليل حقير على رغم أنفه الى
أن قارب رفيقه وصاح بأعلى صوته من غير مهل يا مساعد خرج اليه فارس من المكان الذى خرج منه
الفارس الاول وسلم عليه وقال له أتاك يا شيخ العرب * هذا وجندح قد وقع به الانذهال وأخذه الانبهار
وقد طاش عقله وحار (قال الراوى) فلما ان أقبل ذلك الفارس قال له البدوى خذ هذا اليك وأدر كأسه
واحفظه الى أن يمضى النهار ويقبل الليل بالاعتكار ونبصر من يقع بعد هؤلاء فى أيدينا ونتدبر بعد ذلك
تدبيرا يعود نفعه علينا ويصل خيره الينا فعند ها نزل اليه ذلك البدوى وشد يديه الى رجليه (قال نجد)
هذا كله جرى والخلائق قد كثر بينهم الكلام والقيل والقال وزاد الكلام فى حق هذا الفارس الهمام
والبطل القمقام فقال الملك قيس يا بنى الاعمام اعلموا انى قد احترت فى هذا الفارس والقرم المداعس
وهذا الذى أراه فى اليقظة قد رأيته فى المنام فوالله لقد أتانا النصر فى هذه الوقعة وحق خالق الانام لان
الذى قد ضرب رأس أبى قد وقع بغدره والحارث بن ظالم قد كفيناشره وما بقينا نشتهى ونريد الا من
يستميل لنا قلب هذا البدوى الفارس الصنديد الذى قد بلغنا فى هذا اليوم كل ما نشتهى ونريد لان هذا
البدوى وحق ذمة العرب لا يكون مثله عنتر ولا غيره من سائر الفرسان ولم يقدر أحد أن يبرز اليه بعد
هذا من الابطال والشجعان فى حومة الميدان وهو مع هذا الحال عريان الجسد خالى من الدرع والزرد
وعلى جسده ثوب خام وهو قصير الاكمام وقد بلى بمثل هؤلاء الفرسان فى مثل هذا المقام فهل أحد منكم
يتقدم الى هذا الفارس الصنديد ويضمن له عنى كل ما يريد (قال نجد) فعند ذلك قال شداد لما سمع كلام
الملك قيس بين أهل ذلك المحضر يا ملك لما ذا تحط قدر ولدى عنتر وترفع قدر غيره ان غاب أو حضر هل
أنت ثبت عندك ان هذا الفارس الذى ذكرته هو واحد عصره وفريد أوانه ودهره وزمانه فقال له قيس
بلى يا شداد وذمة العرب والسادة الامجاد فقال شداد والله يا ملك الزمان وحرمة زمزم والمقام والمشاعر
العظام ان هذا الفارس الذى هو فى الميدان هو ولدى عنتر الفارس الغضنفر والاسد القسور وهذا
الفارس الذى أتاه الآخر وطلع فى الاول وسماه مفرجا هو شيبوب وقد عرفته وصح عندى هذا الخبر

والفارس الذى أتاه ثانيا وناداه يامساعد هو أخوه جرير فقال عروة وحق ذمة العرب الاجواد والسادة الامجاد انك صدقت فى هذا الكلام ياشداد ولكن ياأمير شداد الفارس الذى زعق عليه فى الاول وسماه مفرجا وخرج اليه من ذلك المكان هو شيبوب بعينه لانى عرفته بركبته لان ركبته لاتشبه ركبة الفرسان لانى رأيت الفرس من تحته يخب به وهو من فوقه يهتز ويكاد أن يسبقه فى وثبته فقال الملك قيس هذا هو الجنون الزائد ياقوم تقولون شيبوب وعنترالآن فى أبياتنا وبيننا وبينهما مسافة فمتى أتى عنتر من دريانا وفعل هذه الفعال فى يوم واحد أو يومين أو ثلاثة ونرجع نقول اذا كان تهيأ وجاء الى هنا فى يومين ومعه هذه الاخبار فكيف كان يلتجئ الى بنى عامر ويصير معهم فى جملة الناس ويقاتل معهم وقد علم انهم قتلوا الملك زهير وأخى شاسا فقال له شداد ياملك أما اتباعه لنا فما فيه شك ولا مقال ولاريب ولامحال لانه خاف علينا من الاعداء وانه ولدى عنتر سيد الفرسان وأنا أقول انه ما أقام بعدنا الا ليلة واحدة وأما اختلاطه ببنى عامر فما هو فى هذه الفعال ظالم لانه قد سمع انكم فضلتم عليه الحارث بن ظالم فمال الى أعدائكم ليريهم شجاعته ولاقدرة له على الاختلاط بالاعداء الا أن يكون بهذا الزى واللباس حتى لايعرفه أحد من الناس ولو كان يعلم ان الحارث معهم وقد مال بخيله اليهم وفعل هذه الفعال ما كان أتى الا الينا من كثرة شفقته علينا وذلك أنه لايفعل معه الغضب أن يشتهى أن تشمت بكم العرب فقال له الملك قيس وحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام ان كنت صادقا ياشداد فى هذا الكلام والله لاخرجن اليه وأقدم عليه ثم أتلقاه أنا بروحى وأقبله بين عينه وأقبل بعد ذلك قدميه ولا أتكبر عليه بعد هذا اليوم وكلنا نسير بين يديه ﴿قال الراوى﴾ رحمة الله عليه ثم انه أراد أن يفعل ذلك الذى قد عزم عليه هو ومن معه من الاقربين فرأى عنترا ونازحا مقبلين وهم متبسمين وعليهم واردين ونازح بجانب الامير عنتر الفارس القسور ﴿قال الراوى﴾ وكان الخبر الذى أخبره شداد عن ولده صحيحا لان عنترلما تخلف فى الاحياء وجرى له مع عبلة ماقد جرى وبل شوقه منها بالنظر وأصبح وهو كثير الفكر قال لشيبوب والله ياأخى لابد لى أن ألحق بنى عبس وأتبعهم الى ديار بنى عامر وأبصر مايفعل فى حقهم الحارث بن ظالم الغادر وأخرج اليه وآخذه أسيرا وأعرف حذيفة بن بدر والربيع بن زياد شؤم هذا التدبير فقال له شيبوب وفى أى حيلة تدخل عليهم يخفى بها على بنى عامر حالك فقال له فى زى العبيد أنا وأنت وأخى جرير نلبس لباس الضعفاء وأعتقل أنا بعقال مشرذم الاطراف فقال له شيبوب هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب اعلم انهم اذا انتصروا على بنى عامر بسيف غيرك لايرجع الملك قيس والربيع يلتفون اليك وربما يكون سببا لخروج عبلة من بين يديك ﴿قال الراى﴾ ثم انهم بعد ذلك قدر كبوا فى تلك الليلة الخيول الضعاف وقد لبسوا لباس البدوى الذى قد ذكرناه ووصفناه وساروا على أثر الجيش كما قدمنا فقال شيبوب يا ابن الام اذا أنت اختلطت ببنى عامر ورأيت الحارث تقدر أن تلقاه بهذه العدة وهذا الجواد فقال عنتر وحق الملك العلام انى أقدر ألقاه بالعصى التى كنت أرعى بها الجمال وآخذه أسيرا بحالة الذل والخبال ثم انهم ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا الى أن وصلوا الى القوم وقد اختلطوا بهم فى ذلك اليوم وعنتر ما كان فى حسابه ان الحارث الامع بنى عبس فلما ان برز فى الميدان كأنه فرخ من فروخ الجان وقد رأى أفعاله وما أبداه من أعماله وخرج اليه حذيفة وأخوه وجرى لهم معه ماجرى وبرز اليه نازح فقال لشيبوب والله يا ابن الام ان نازحا ما هو من أبطال هذا الجبار وان غفلت عنه قتله فقال له عنترها أنا خارج اليه من قبل أن تصل الاذية اليه فخرج عنتر اليه وجرى له معه ماقد جرى وكان عنتر لما برز للحارث انحل لثامه فعرفه نازح فدنا منه وسار قدامه وقد فرح بلقاه وقال له والله يا أبا الفوارس لو كنت أنا وأبى عرفنا أنك ما أتيت فى هذه السرية ما كنا تبعنا فيسا الى هذه الارض بالكلية

وصكنا

وكنا تركناه يتكل على الربيع وحذيفة ومن معهم من الطائفة الفزارية ﴿قال الراوى﴾ ولما ان سمع عنتر من نازح ذلك الكلام قال له يا مولاى ما يجب على العبد أن يأخذ مولاه بالخطا ولا يشمت به الاعداء وهذا الذى شارك خالدا فى أفعاله قد ألقاه الله فى غيه وأعماله فعد بنا الساعة الى قومنا حتى اننا نطيب قلوبهم برؤيتنا ثم انهم عادوا وسار عنتر بين الصفين وبين يديه الاسيران فى الذل والهوان ثم أشار يقول شعرا

لله در بنى عبس وما فعلت * أسيافهم فى العدا والطعن بالاسل
لى فى الوغا سيف عزم لو ضربت به * صم الجلاميد لانت خشية الاجل
تبيت أعداى من خوفى على وجل * ولا يبيت لى جار على وجـــل
وقد أسرت لفرسان العداة ضحى * وصرت من فرحى كالشارب الثمل
فانني بطل من فخر ما انتسبت * شداد هاوهى بالهيجاء فى شغل

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع نازح شعره طرب لنظمه ونثره وكان الملك قد خرج للقاء عنتر ومعه جماعة من عشيرته فسمعه وهو ينشد تلك الابيات فقال له والله يا ابن العم انك لفوق ما تقول ثم انه اعتنقه وقبله بين عينيه واعتذر اليه وقال له يا أبا الفوارس أتظن أنى بعد قتل أبى وأخى بقى لى عقل أدبر به نفسى بل كل من أقبل على وأشار بشئ قبلت مشورته وتلافيت قصته وكل ذلك فزعا من اختلاف العرب فى بداية أمرى وولايتى على موضع أبى فعند ذلك قبل عنتر عذره وقبل يده وسلم اليه قاتل أبيه فأخذ سيفه من عاتقه وقال له ويلك يا جندح بهذا السيف قتلت أبى فقال له نعم ومهما أردت أن تفعل فافعل بى وان كان أجلى فرغ على يدك فاقتلنى فقال له قيس وبه أضرب رقبتك فقال ها أنا بين يديك ﴿قال نجد﴾ فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام انتدب بالسيف وهزه الى ان ظهر الموت من افرنده وضرب به جندحا فأطاح رأسه عن جسده ثم انهم بعد ذلك قد عادوا الى قومهم والحرث معهم وقد أيس بعد قتل جندح من الحياه وأيقن بالموت والوفاه وكان الليل قد هجم وولى النهار وأقبل الظلام فتلاقوهم الاصحاب والمحبون وسلموا على عنتر وفرحوا به وبقدومه وأما أصحاب الحرث فانهم لما ان أسر أميرهم كان الليل قد اقبل ولولا ذلك لما صبروا عن الحملة فى طلب خلاصه فعادوا هم وبنو عامر الى خيامهم وباتوا تلك الليلة فكانت عليهم ليلة منحوسة وقد نزل خالد بن جعفر وهو متفكر فيما جرى وتدبر وكان من حذره على نفسه قد أوصى بنى عمه وحذرهم مرة بعد مرة وقال لهم اجعلوا بالكم من بنى مرة الى غد فانه تخرج وتبصر ما يفعل بنو عبس بالحرث وما ينهون من الامور ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فانهم قد ردت اليهم أرواحهم بعد ان كان ذاهبة منهم وقد باتوا وهم فرحون بوصول حاميتهم اليهم وبصلاح حالهم بعد فسادهم ﴿قال الراوى﴾ ولما ان استقر بهم الحال فى ذلك المنزل جمع الملك قيس ساداتهم وشاورهم فى قصة الحرث وما يفعل به من الفعال ان كان يقتله أو يتركه فى الاعتقال لانه قد خان وكذب فى المقال وهو عون للاعداء علينا فى القتال وقتل منا فرسانا ورجالا وأبطال ﴿قال الراوى﴾ فكان أول من تكلم فى حقه وأراد تخليصه من أيديهم الربيع بن زياد لانه علم انه يكون له ذخيرة وعونا على عنتر ان سعى فى اطلاقه فقال يا ملك اعلم ان الرأى عندى ان تطلق سبيل هذا الرجل وتكشف كربته وتسامحه من ذنبه لوجوه عديدة وأنا أيها الملك أوضح لك دليل قولى اعلم أن الوجه الاول هو قربه من نسبنا وقد رأيت بعينك شجاعته وما عمل فينا والوجه الثانى اننا طالبون أخذ الثار وكشف العار وأعداؤنا كثيرة وان أقلينا عقولنا رقتلناه طالبنا بنومرة بدماه وانت تعلم انه ما فى بنى فزارة الا من يريد بقاه لاجل قربه منهم وكونهم نسباه وينفتح علينا فى هذه الوقت باب لا نقدر ان نسده بحال من الاحوال ولا سبب من الاسباب فقال شداد والله يا ربيع ما الرأى الا ضرب رقبته واتلاف مهجته

وأى شئ هو هذا القرنان وما تكون قيمته لانه كلب خوان غدار قليل الانصاف دعنا نقطع شأفته
ونعزم على نهب قومه وعشيرته ولا نترك هذا المكار الخائن ولا من أحد قبيلته لانه ما فعل معنا هذه
الفعال الا مراده خراب ديارنا والاطلال (قال الراوى) ولما ان فرغ شداد من كلامه لم يبق احد منهم الا
تكلم بكلام على قدر ما فى قلبه من الحرث من الاوجاع والآلام فقال أسيد عم الملك قيس ياقوم احضروه
حتى نسمع كلامه ونفهم مرامه فان كان فيه موضع للصنيعة اصطنعناه وان رأيناه ناوى الخيانة قتلناه
(قال الراوى) فلما ان حضر قام اليه الامير عنتر بن شداد والسيف فى يده مشهر وصاح عليه وقال له
ويلك يا ابن الاندال ما الذى حملك على هذه الاحوال وقابلت أصحابك بهذه الفعال وقد سعيت فى
حقهم بالردا وأعنت عليهم الاعدا فقال الحرث وحق ذمة العرب الكرام يا أبا الفوارس انى
صادق فى هذا الكلام ما حملنى على ركوب هذه الاهوال العظيمه والاحوال الجسيمه الا أنت واعلم ان
الصدق فى الكلام من شيم القوم الكرام والكذب قبيح على من يدعى حفظ الذمام أتانى مدة من
الزمان أترك عليك العيون والارصاد حتى انى أقع بك وقتلك وأريح منك سائر العباد ولما ان جرت
هذه النوبة العظيمة الكثيرة الاخطار وقتل الملك زهير وصار ملقى فى القفار والاودية والاوعار وسمعت
ان قومك سائرون الى بنى عامر بسبب أخذ الثار وكشف العار علمت انك تكون فى جملة الابطال
ففعلت هذه الفعال وقد قلت فى بالى انى آخذ منك ثارى فاكتسيت عارا على عارى وقد ظفرك
الله بى وقد صرت أسيرا فى يديك على كل حال فعند ذلك قال له عنتر ويلك يا حارث أما كنت تسمع
بفعالى ولا بلغك شئ من أعمالى حتى كان يردك عن حربى وقتالى فقال بلى يا حامية عبس
وعدنان انى كنت أسمع بأوصافك فى كل موضع ومكان ولكن جهلى كان يزين لى الطغيان
والطمع والهذيان لانى من حين ركبت الجواد ما أسرت ولا قهرت قط فى ميدان بطول الدهر
والازمان ولقد لقيت فرعون بن صخر فى أرض اليمامة وحاربته وقهرته بالشجاعة والبراعة وأسرت
ابن عباد فارس النعامة ولا جرى على أمر من الامور الى هذا الآن ولا قدر على أحد من الفرسان ولا
قلت ان الزمان غادر وخوان والآن قد لزمت الادب وعلمت ان الزمان ينقلب بأهله أى منقلب وقد
وقعت فى يدك ورأيت الهوان وبليت بالذل والحرمان وما بقى فى الامر الا حالتان أما ان تقتلنى
وتستريح من فعالى وأمان تعتقنى وتقبل سؤالى فقال له عنتر وحق ذمة العرب لو علمت ان فيك موضعا
للصنيعة لاصطنعتك وجعلتك لى صديقا وأطلقتك ولكن أنا سمعت عنك من بعض الاقوام الكرام
انك رجل خبيث لا تعرف الذمام ولا ترعى حرمة من أكلت معه الطعام ولا تحفظ يمينك اذا حلفت باليمين
ولا تكرم قريبا ولا قرين فقال له الحرث صدقت يا أبا الفوارس وسيد الفرسان قد كان هذا طبعى من قديم
الزمان وقد كنت أحلف وأخون فى الايمان واليوم قد فضحتنى فى الميدان وذليتنى بين الشجعان
وحق رب الاواخر من الامم والاوائل لقد هانت نفسى عندى وما بقى لى قلب ألقى به فارسا ولا راجل وان
أنت أطلقتنى وعدت بعد ذلك وغدرت بك لعنتنى سائر القبائل وما عليك فى ذلك ملام وان خنتك بعد
هذا الكلام فانت قادر على أسرى وتكون محكما فى أمرى فقال له عنتر أنا أطلقك من الوثاق لكن وحق
الملك الخلاق ان خنت العهد والميثاق لانزلن بك المحاق ثم انه أمر الملك قيسا بأطلاقه وقال له أيها الملك
أطلقه ودعه يرجع الى أهله وقبيلته فانا فى غنى عن نصرته فقال الحرث لا تفعل يا حامية عبس فتكون غير
شاكر اصبر على حتى انى أكسر بنى عامر وأبيض وجهى عند هذه القبائل والعشائر وبعد ذلك أعود الى
أهلى والاوطان وأنت عنى راض غير غضبان فقال عنتر هل أنت يا حارث تكسر جيش بنى عامر وحدك
بشجاعتك والا بالفرسان الذين هم من قبيلتك فقال له يا فارس الخيل ما أكسرهم الا بألف وخمسمائة بطل

من

من أبطال قبيلتى وسادات عشيرتى فاذا رأونى عند الصباح وقد خرجت الى الميدان وطلبت الحرب والكفاح وأنا سالم من الاذى والجراح يزداد بهم السرور والافراح ويعرفون ان حالى معكم قد انصلح وقد تخلصت من قبضة الاسد الكاسر وحملت على بنى عامر فيضرب بنو عمى فيهم بالسيف البائر فتنكسر قبائلهم والعشائر ومايسلم منهم الامن جواده ضامر وأجله باق غير حاضر وبعد ذلك أجعل بالى الى سيدهم خالد الاسد الغادر لانى أعرف مكانه من حين كنت له مسافر فان ظفرت به أكون قد بيضت وجهى معكم ومع هذه العشائر فقال له الربيع لقد أصبت فى ذلك وأنت لا تقدر على بنى عامر الا فى المجال فقال عنتر الفارس الهمام والاسد الضرغام وفارس عبس وعدنان الكرام لعن الله من لم يقدر بفنيهم بحد الحسام فى أقل من خمسة أيام ولا يترك منهم شيخا ولا غلام فقال الربيع صدقت فى هذا الكلام يا ابن السادات الكرام أنت تقدر تكسرهم وتبغلنا منهم الغرض والمأمول ولكن الشرح هنا يطول اعلم يا أبا الفوارس وزين المجالس أنه ان كان قلبك نافرا من الحارث بن ظالم ولم تقنع منه باليمين فانا يا فارس الخيل له ضمين فقال الملك قيس ما بهذا الرأى من باس ولا يذمه أحد من الناس يا فارس الميدان وحاوى قصب الرهان وحامية عبس وعدنان ان بنى عامر فى زيادة ونحن فى نقصان (قال الاصمعى) المصنف لهذا الديوان وقد بلغنى أن عدتهم ثلاثون ألف عنان ثم استقر الحال والامر على تلك الفعال وأخذ الربيع الحرث معه فى خيمته ولما خلا به سأله عن حالته وما فى قلبه من الغدر لعنتر وكان الحرث يعلم أن الربيع يبغض عنتر فقال له ايش هو عنتر الكلب الالكن والذئب الاجرب وذمة العرب لابد ان أتسبب فى قتله بكل سبب لانى أتيت آخذ ثارى فازددت عارا على عارى ولو عرفت ان ذلك العبد الزنيم خرج يحارب بنى ما كان غلبنى ولا قهرنى بل كنت أضحكت عليه الصغير وتركته مجندلا بين الفريقين ولكن لما رأيته ورأيت حالته ازدريته وفى عينى احتقرته فقال له الربيع بن زياد والله يا حارث لقد صدقت فى هذا الايراد وقولك كله صواب وما فيه شئ يعاب وأنا أساعدك على هذه الاحوال وأعاونك على ما تريد من الفعال ولكن فى غير هذه الاوقات يا فارس الدهر وشجاع العصر لاننا والله محتاجون اليه والميل فى هذا الامر واذا اشتغل كل واحد منكم بصاحبه ضاعت مصالحنا ويكون أكبر أعادينا حذيفة بن بدر وهو ابن عمنا والصواب ان توفى بما ضمنت أنا عنك حتى تطيب قلوب الفرسان وبعد ذلك فالزمان طويل وأنا أعاونك على هلاك هذا العبد الذليل ولا أتخلى عنه حتى أراه قتيل ولما أصبح الصباح خرجت الرجال تطلب الحرب والكفاح فظهر من وسط بنى عامر صياح وقبائلهم قد هاجت فى اقطار البر والبطاح والسيف قد عمل فى المفارق وقد انخسفت الصدور من الطعن الخارق * قال وكان السبب فى ذلك الامر المنكر خالد بن جعفر لانه كان أنفذ جاسوسا من أول الليل يكشف له خبر الحرث بن ظالم وما يجرى له من بنى عبس من الامور العظائم وأوصاه أن يعرف خبر الفارس الذى أسر الحرث ومن أى العرب هو فمضى العبد من وقته وساعته ليكشف الخبر فغاب عنهم رقدة من الليل ورجع وقت السحر وأعلم خالدا أن الفارس الذى أسر الحرث هو عنتر وان الحرث قد انصلح حاله مع القوم وفدوعدهم بهلاك أبطالنا وقتل رجالنا ونهب أموالنا وسبى عيالنا فقال خالد ابن جعفر لما سمع هذا الخبر لعن الله مقاله فان هذا الطبع الذى فيه عنه لا يتغير حتى يموت ويقبر وانه لا يصفو لصديق ولا يراعى رفيق والرأى عندى ان نبيده قبل أن يبيدنا ونضع السيف فى قومه ونذيقهم المهالك قبل ان يذيقنا ثم انه أمر بنى عامر فسار وا الى بنى مره وأنزلوا بهم الويل والمضره وتم السيف يفعل فيهم حتى سار وا بين القبائل شهره فسمع الحرث صياحهم وناداهم فصعب عليه ما دهاهم وصاح يا آل مره هلكت السادات فى هذه الكره ثم انه حمل بريد أعانتهم وحمل معه الربيع مع اخوته وطائفة من

فرسانه ورفقته وتبعهما ألفان من بنى فزاره لان الملك قيس أمرهم بذلك وجعلت بنوعبس على ميمنة بنى عامر وفى أوائلهم عنتر بن شداد وأبطال بنى قراد وكان ضياء الصبح قدار تفع وشعاع الشمس قد طلع واشتدت الشجعان وزمجرت الاقران وازدحمت الخيول الاعوجية والرماح السمهريه ولعبت الخواقر بالجماجم الآدمية وفعل عنتر فعالا تعجز عنها الفرسان الجاهلية ونكس اعلام القبائل الذين قدامه وأوصى سنانه بهتك استار القلوب فما خالف الوصيه (قال الراوى) وكانت بنوعبس تطعن طعنات نافذات مالها من قياس وتنادى بثار الملك زهير وولده شاس * هذا والعساكر قد دام بينهم القتال وقبائل بنى عامر متفرقون فى الجبال حتى أقبل الليل بالانسدال وكان الحرث قد لقى فى ذلك اليوم الاهوال الى أن وصل الى أصحابه وأعانهم فى القتال * هذا وبنوعبس قد عسوا فى بنى عامر وعروة بن الورد يقول وحق من يعلم وساوس الصدور انى اذا دار الطعن والضرب وكنت وحدى لا ألقى أكثر من فارس واذا علمت ان حلقى الامير عنتر أرمى روحى فى ألف فارس أو أكثر واكون فيهم بالسيف داعما ولا أتقهقر (قال الراوى) هذا والفرسان قد دار بينهم القتال وقبائل بنى عامر تفرقوا فى التلال وهربوا فى رؤس الجبال * هذا والحرب بعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والجبان يتململ والشجاع بالدماء تسربل وكثر الوجل وزاد الضجر وضرب بالناس المثل وهم فى عمى ولعل الى أن ولى النهار والليل انسدل * هذا والحارث بن ظالم قد لقى فى هذا اليوم الاهوال ووصل الى أصحابه وأعانهم فى القتال وقتل فى ذلك اليوم مائة فارس من سائر الابطال (قال الراوى) ولما ان كشف عن قومه الشدة والاهوال وزال العناد اختلط قومه مع بنى عبس الاجواد وأصحاب الربيع بن زياد ثم رجع الى الميدان فالتقى بملاعب الاسنة ذلك اليوم فى الميدان وجرى بينهم من الطعان ما شيب رؤس الولدان وفى آخر النهار جرح كل واحد منهما صاحبه وأشرفا على الهلاك (قال الراوى) ولما انفصلت الطوائف عند اقبال الظلام واستقروا فى الخيام جمع خالد سادات بنى عامر ورحل بهم بطلب الديار وقد علم انه ان أصبح عليهم الصباح قلعت بنوعبس منهم الآثار وربما انهم لا يقدروا على الهزيمة بالنهار (قال الراوى لهذا الكلام) هذا وبنوعبس قد باتت فرحانة بالنصر والظفر وما فيهم الا من يثنى على أبى الفوارس عنتر وكانوا قد علموا برحيل بنى عامر فأراد عنتر أن يتبعهم ويسقيهم شراب المهالك فما مكنه قيس من ذلك وقال وحياتى عليك ارفق بالناس يا ابن العم فانهم قد باتوا فى غاية التعب والنكال وفيهم جرحى باسوا حال وان رجعت وخالطت بهم العرب المجتمعة تساوينا نحن وهم فى القتال لانهم الجميع عرب جهال وما فيهم من يعرف خصمه من الرجال ونحن ما قصدنا الا خالد بن جعفر من دون جميع البشر ولكن نحن ما بقينا نظفر به الا فى وقت آخر فقال عنتر لابد لنا من ذلك ولو قطعنا من خلفهم المسالك ثم انهم باتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فنهض بنوعبس لجمع الاسلاب ولم الخيل الشاردة فى الهضاب وبعد ذلك قال عنتر للملك قيس ان من الصواب ان لا نأخذ أحدا من المعانيين ونعطى لبنى فزارة هذه الغيمة والاموال ثم نجزى القوم خيرا ونردهم الى ديارهم والاطلال ويكون معهم كل جريح وضعيف ونطرق نحن ديار بنى عامر ونحن خفاف الظهور ونعانى بأنفسنا هذه الامور فان حذيفة قد وهن من الوقعة وماله أوفق من الرجعة (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام رآه صواب فردا الحلفاء والاصحاب بعد أن فرق عليهم الغنائم والاسلاب وقال لحذيفة يا ابن العم ما بقينا نتركك تلقى أكثر مما لقيت لانك من أجلنا جرحت وشقيت والذى جرحك هو أقرب الناس اليك والحرث قد أصلح نوبته معك وهو عائد الى أرضه فى صحبتك ثم أصلح بينهم ورد الكل مكرمين ومعهم جميع الضعفاء والمجروحين وقد ساروا فى أربعة آلاف فارس وعنتر فى مقدمتهم مثل الاسد وقد فرح بقلة

العدد

العدد ولما ان تمادى به المسير فى البر والقفد تذكر ما جرى عليه فصار ينشد ويقول صلوا على طه
الرسول اذا نحن حالفنا حداد البواتر * وسمر القنا فوق الجياد الضوامر
على حرب قوم كان فينا كفاية * ولو انهم مثل البحار الزواخر
وما الفخر فى جمع الجيوش وانما * لنا الفخر فى تغريق جمع العشائر
سلى بنت عمى كيف عزمى وقد أتت * قبائل كانت مع غنى وعامر
تموج كموج البحر من كل جانب * مكدرة من نقع وقع الحوافر
وكيف تولوا والقنا فى ظهورهم * تشك الكلى بين الحشا والضوامر
ولو ثبتوا خلفت فى الارض منهمو * عظاما ولحما للطيور الكواسر
وما غر قومى غير قول ابن ظالم * وكان خبيثا قوله قول غادر
طغى وادعى ان ليس فى الارض مثله * فلما التقينا بان نحر المفاخر
وكان لأعدانا معينا وناصرا * فعاد بسيفى خاسرا غير ناصر
أحب بنى عبس ولو سفكوا دمى * محبة عبد صادق القول صابر
يذلوا اذا ما أبعدونى والتقى * سهام العدا عنهم بنور النواظر
تولى زهير والرماح قواصد * اليه وأطراف السيوف البواتر
فواحزنا كيف اشتفى قلب خالد * بتاج بنى عبس وشمس العشائر
وما زادنى حزنا سوى فقد شبله * يسمى بشاس كان عزى وناصرى
أنا عنتر العبسى واحد عصره * وأفرس أهل الارض بادو وحاضر
ولم يك قرلى دعوة بل مروءة * وانى وحق الله نسل الاكابر

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه طربت بنو عبس من ألفاظه وكلامه وجدوا فى سيرهم وهم يقطعون البيداء طالبين أرض الاعداء وهى أرض بنى عامر (قال الراوى) وكان خالد بن جعفر لما وصل الى ديارهم ما بقى معه من تلك الجحافل اكثر من عشرة آلاف وباقى القبائل قد تفرقوا وطلبوا ديارهم وما بقى معه الا من لزمه من بنى عامر من أولاد عمه وأقاربه (قال الراوى) ولما وصلوا الى الاطلال أشاروا على خالد برفع العيال الى رؤس الجبال قائلين ان بنى عبس لابد ان تتبع آثارنا لاجل رحيلنا والصواب اننا نحرص على أنفسنا ونقاتل القوم عند وصولهم الينا واذا انهزمنا من شدة الضراب تركناهم ودخلنا فى الشعاب فعند ذلك حصن بنو عامر المال والعيال ورفعوهم فوق الجبال ومن الغد أشرقت بنو عبس ولمع حديدها كشعاع الشمس وحملت من غير راحة تطلب الثار ودارت ببنى عامر من سائر الاقطار فابصر خالد عددهم قد قل ففرح وأمل وصاح فى بنى عامر يا بنى العم أبشروا من بنى عبس بالاموال الجليلة فما وصلوا الا وهم فى طائفة قليلة ثم انه حمل وطلب اعلام الملك قيس وحملت خلفه الفرسان وعمل الحسام وطلع القتام وجرت المقادير والاحكام وعمل عنتر فى بنى عامر ما لا تعمله السهام لانه كان أشار على قيس برد بنى فزارة وغطفان وأوعده بالنصر والامان وعلم انه فى ذلك اليوم متكل عليه ففعل أكثر مما كان قد وعد وعمل عملا لا يقدر عليه أحد وما أمسى المساء حتى أهلك هو وبنو عبس أوفى من ألف فارس ومائتين من القناعس وعاد عنتر وعليه من الدماء حلة أرجوان وهى تجرى على درعه مثل جريان الماء والغدران وهو بذلك مسرور فرحان وقد أهلك تحته فى ذلك اليوم خمسة وعشرين حصان وشيوب يأتيه بغيرها الى الميدان وما وقع أكثرها الا من شدة تهضانه عليها لان الامير عنتر ما كان يثبت تحته الا جواده الابجر وكان قد تركه فى ديار بنى عبس لانا نذكركم حالته التى أتى فيها هو وأخوته (قال

الراوى) وكان قيس لما عاين فى الحرب قتاله مال له قلبه حين شاهد أعماله وعلم ان ملكه لا يدوم الا به فاخلص له نيته واستقبله عند دعوته وشكره مع اخوته * قال وكانت بنو عامر قد عادت وهى تشكى حالها لابن جعفر وما قاست من سيوف بنى عبس وعنتر فقال لهم خالد وذمة العرب ان عذركم يا بنى العم واضح وان عنترة والذى أهلك فرساننا وبددهم فى البطائح وهذه النوبة ان لم أفصلها أنا والا خسرنا واشتفت الاعداء منا فقالوا له وما الذى تريدان تفعل فقال لهم أخرج الى الميدان وأطلب أخصامى وادعوهم الى الضرب والطعان وهم قيس وجميع اخوته ومن خرج الى منهم أسقيته كأس منيته وقد انفصلت هذه النوبة أو أقتل وأستريح من الذل والحيبه لان القتل تحت الغبار أهون من الهرب والفرار ثم انه بات على هذه النية الى أن أقبل النهار وسارت الابطال من سائر الاقطار واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف فنزل من بنى عامر فارس صغير السن أمرد وعليه درع من الزرد وعلى عاتقه حسام مهند وفى يده رمح مسدد وتحته جواد أجرد (قال الراوى) فلما توسط الميدان جال وصال وفعل فعل الابطال ودنا من طائفة بنى عبس وقال لهم يا سادات العرب الكرام وحق البيت الحرام والركن والمقام والمشاعر العظام ما بلغ عمرى اليوم الا عشرين عام ولا خرجت قط من المضارب والخيام ولا حضرت عمرى حربا ولا طعانا ولا صداما وما تعلمت الكر والفر الا من بنى الاعمام وذلك من محبة أمى لى وشفقتها على فلا تدعنى أركب على حصان ولا أباشر حربا ولا طعان وانا أريد اليوم أجرب روحى فى هذا المقام وأحمى فرسان عشيرتى والحريم والصبيان وأخالف أمى فى المقام وأطلب منازل أبى واعمامى والاخوال أو يكون عمرى قرب فاهلك فى هذا المجال قبل بلوغ الآمال واقتل على يد بعض فرسانكم والابطال فابرزوا الى من يقضى حاجتى ويبلغنى المراد وأجرب معه فروسيتى بين العباد ولكن يكون نسبه كنسبى وحسبه كحسبى لانى وحق ذمة العرب من قوم كرام غير لئام ومعودين على الصبر فى وقت الصدام ومبارزة الابطال الكرام وأنا يقال لى عامر بن الطفيل ومافى نسبى عيب ولا ميل وملاعب الاسنة ابن خالتى ولولا انه مجروح ما كان طاوعنى على ارادتى على ان أمى كبشة منعتنى وعن القتال عزلتنى فما قبلت ولا امتنعت ولا طاوعتنى نفسى على القعود حين رأيت الاعلام والبنود والغبار الممدود فخرجت الى مقام أهل الجود وهذه الخلائق شهود ثم انه جال وصال وطلب الحرب والقتال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لا تلمنى أماه فى الاشفاق * واصبرى عند مصرعى للفراق * واتركينى أجد فى طلب المجـ
ـد بحد المهندات الرقاق * وأنادى فى سوق ربع المعالى * بعوالى سمر الرماح الدقاق
ودعينى أبغى الفخار بعزمى * ان هذا المقام مر المذاق * فلعلى أطفى بحد حسامى
نار حرب شديدة الاحراق * وأرد العدا وأعتق قومى * من اسود على خيول عتاق
أو أوافى منيتى بسنان * خارق ما للسعه من راق وأخلى أمى تصيح مع الثكـ ـلى بادر اردمعها المهراق

(قال الراوى) وما أتم عامر كلامه وشعره ونظامه حتى خرج اليه فارس من بنى عبس الاشاوس عظيم الهمة شديد العزمة عليه درع مانع وفى يمينه سيف قاطع ورمح بارق وتحته جواد سابق ولما قاربه أراد أن يجول معه فصاح عامر فيه روعه وضايقه وطابقه وسد عليه طرائقه وطعنه فصرعه ولما ان قتله زاد فى العبسى طمعه وطلب البراز فحمل عليه فارس ثانى ودانا غاية التدانى ولكن ما طال عليه المطال حتى تركه عامر مطروحا على الرمال وبعدها طلب القتال ولعب فى الميدان لعب الدلال وأظهر شجاعته بين الفرسان وقتل الابطال بالكلام قبل السنان وصاح يا بنى عبس وحق اللات والعزى أنتم فرسان الزمان وابطال عدنان فدعونا من هؤلاء الرجال القليلين الخبرة بالقتال

واخرجوا

وأخرجوا الى شجعانكم الابطال ولا تحقروني لصغري واختبروني بعض صناديدكم وقد بان لكم صدامي وفعائلي (قال الراوى) فلما سمعت ابطال بني عبس هذا المقال وابصرت ماتم لعامر من الفعال تبادرت من كل جانب وخرجت اليه خروج السلاهب وهزت القنا والقواضب ولكن كان أسبقها اليه مليح القوام قليل الكلام حلو الابتسام من كملت فيه جميع المعانى فارس يقال له قرواش بن هانى وكان ابن عم الملك قيس بن زهير وكان أعظمهم عنده قدرا وأنفذهم فى العشيرة أمرا (قال الراوى) ولما أبصره الفرسان قد تقدم تأخرت ووقفت وحمل قرواش على عامر وأخذ معه فى المجال والميل وتطاعنا حتى قل منهم القوى والحيل وكان عنتر قد استقبح خروجه الى عامر بن الطفيل لما رآه قريب العهد من الرضاع وما علم بأنه بطل شجاع * هذا وقد اشتد بين الفرسان الضرب بالبتار وانكشف عنهم الغبار واذا بقرواش مع عامر أسير وقد بقى ذليلا حقير وبعدها قصرت الفرسان وهابت الخروج الى الميدان وهم عنتر بالخروج اليه فسبقه نازح بن أسيد وقاتل عامرا الى أن أقبل الليل وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وهو يصف ما لقى من طعنه وضاربه (قال الراوى) ولما عاد عامر الى مضاربه تلقاه قومه وأقاربه وزادت بهم المسرات وأما أمه كبشة فما وسعتها الدنيا من الفرح والسرور والحظ الموفور وكانت من وقت خروجه الى الحرب تتقلى مثل الحية على المقلاة فى الجمر وأما خالد فانه فرح وأمل النصر والظفر (قال الراوى) ولما كان عند الصباح خرجت بنو عبس تطلب الحرب والكفاح وكان أشدها غيظا عنتر لما نظر من عامر الغضنفر حين برز الى الميدان وجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب الحرب والقتال وتذكر كلام أمه والمقال فأنشد وقال

سرفت أم عامر فى التنادى * من ركوبى فى حال حرب الاعادى * منعتنى خوفا على من القتـ
ـل بحد المهندات الحداد * لا تخافى أماه فالموت حـــتم * وهو فى القرب مثل حال البعاد
ودعينى أخوض بحر المنايا * بخيـــول مضمـــرات جياد * يا بنى عبس ما لكم من حسامى
وسنانى الحديد بالموت فادى * فاحملوا حلف همتى تجدونى * فارسا لا أمل من ذا الطراد

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما فرغ عامر من شعره طلب القتال والحرب والنزال فقفز اليه عروة بن الورد على جواد أجرد واراد ان يحمل عليه فلم يتركه عنتر بل قال له تمهل يا أبا الابيض وتأنى حتى أقطع رزق هذا الغلام من الدنيا لانه قد أغاظنى باعجابه وفرحه بشبابه وبت طول ليلى من فعاله أتلهب بنيرانى وأنت اذا خرجت ولم تقدر عليه يذهب ويقتل قرواشا ويفوت الامر فيه وهو يقوم مقامه ومقام قبيلته ثم ان عنترا قفز اليه وصار قدامه وناداه دونك والمجال يا ابن الاندال فقال له عامر يا ولد الزنا والله ما كان آبائى أندال وانما كانوا سادات وأبطال اذا ركبوا اهتز لهم الجبال وتخضع لهم الاسد فى الدحال ولو كان معك انصاف كنت رجعت على نفسك بالملام والمقال على انى ما أقاتلك ولا أدخل معك فى المجال لانى لا أقاتل الا من يكون نقى الجد كريما أصيل الحسب عظيم المجد رفيع الاصل فى الحسب والنسب ولا أرضى أن أقاتلك مخافة أن يقال عنى انى قاتلت عبدا ولدزنا ولا تظن انى قلت لك هذا فزعا ولا جزعا الا ان أمى رأت لى منام قبل قدومك فى هذا المقام وخافت على من شرب كأس الحمام ومن خوفها مضت الى كاهن من العرب وفسرته عليه فقال لها لا تتركى ولدك يقاتل عبدا أسود نسبه خفى غير واضح فانه يكون معه خاسرا غير رابح ولولا هذا الامر والسبب لفضحتك بين سادات العرب وأريك فى القتال العجب من طعن الرمح والحسام المشطب

﴿تم الجزء السابع من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد﴾
﴿ويليه الجزء الثامن وأوله بقية هذه الوقعة وهو قوله قال الراوى فلما سمع عنتر الخ﴾

الجزء الثامن من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام
من انتشرت شهرة فروسيته فى كل واد
ليث النزال الامير عنترة بن شداد
وهى السيرة الفائقة المجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التى مركزها فى مصر خان أبى طاقيه)
(سنة ١٣٠٧ هجريه)

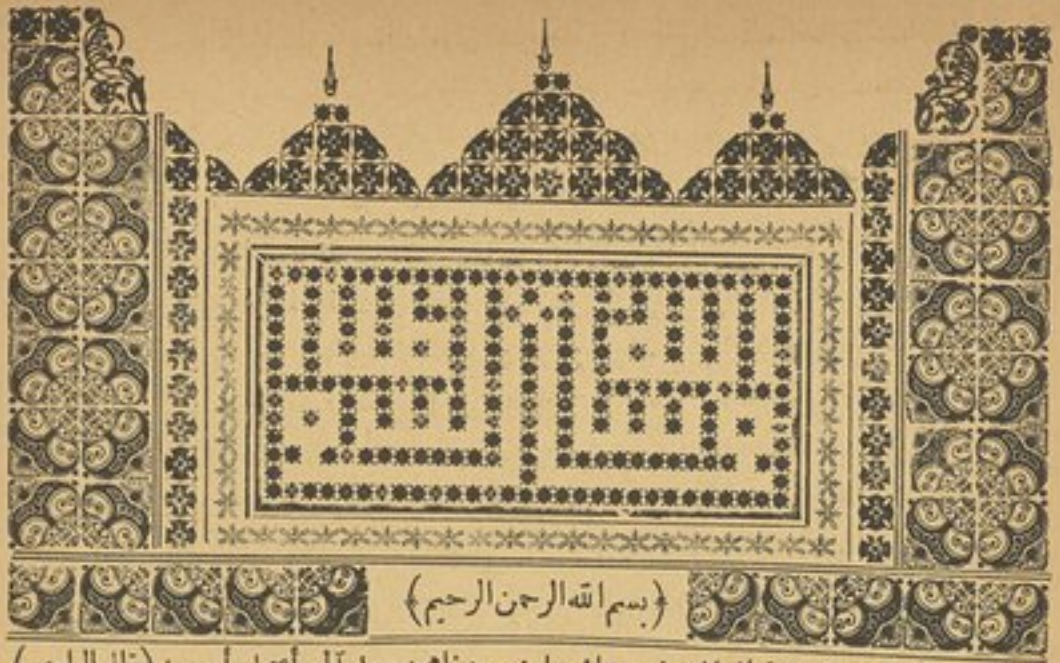

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا السب زاد به الغيظ والغضب وقال لعامر ويلك يا ابن الملعونة ومن يصل الى هذا المقام ويقتل الفرسان الكرام يعمل برؤيا النسوان ياقرنان يا ابن الف قرنان دونك والقتال والحرب والنزال ثم انه حمل عليه حملة الاسد الضرغام وزعق عليه بين الاقوام فتغير لونه وارتعش كفه ولكن تعين عليه حربه وقتاله وطعنه ونزاله فأوسع بين يديه مجاله وطاعنه وطاوله وكان قد أراد أسره حتى يكون فداء لقرواش بن هانى فلما أعياه الامر وضايقه زعق فيه عنتر فأرعبه ثم حاذاه وقاربه وحذف الرمح من يديه وطبق على جلباب درعيه وجذبه عن جواده وملك أسره مع قياده ونادى لشيبوب يا ابن الملعونة فخرج اليه مثل الليث الغضنفر والنمر الغضنفر فأخذه منه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف (قال الراوى) واذا بأمه كبشة قد خرجت من بين الصفين واشتهرت بين الفريقين وهى حاسرة ومدانية غاية التدانى وخلفها بعض العبيد يسوقون قرواش بن هانى فلما قاربت عنتر بن شداد ناديته باوجه العرب الاجواد لا تشد ولدى كتاف ولا تذيقه العدم والنلاف وخذه صاحبك واعتقه ومن عليه بروحه وأطلقه (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامها وشوقها وغرامها رق قلبه لها ورحمها وزعق على أخيه شيبوب وقال له أطلق ولدها ثم انه أخذ قرواش بن هانى وسار به الى بين يدى الملك قيس فهنأهما بالسلامه وشكر عنترا على حسن اهتمامه وأراد أن يأمر العساكر بالحملة واذا بخالد بن جعفر قد خرج بين الصفين واشتهر بين الفريقين وهو على جحرة برذاء كأنها الليلة الزرقاء وهو كأنه سد من حديد أو قطعة من بعض الجلاميد ثم انه ركض الى أن قارب أعلام الملك قيس ونادى ياويلكم يا بنى زهير الى متى هذا التعدى ونحن نجمع القبائل والفرسان ونلقى الفتن بين العربان ونهلك الابطال والشجعان فأنا الذى قتلت اباك وما أهجع حتى ألحقك به أنت واخوتك واقربائك وأبيد أقصاكم وأدناكم وأهلك شجعانكم واقناكم وعبيدكم واماكم وما بقيت أعانى الامر الا بروحى فأخرجوا الى واحدا منكم أتجالد أنا واياه حتى أنجل رداه وبعدها اخرجوا لى واحدا بعد واحد وقد انقضى الامر وهان الشر بلا معاون ولا مساعد ولا يخرج الى الا الملك قيس فى الاول لانه قد صار فى مقام أبيه وهو الحاكم على بنى عبس وعدنان كما أنى الحاكم على بنى عامر وغنى وكلاب الشجعان ومن قتل مناصاحبه بلغ الغرض وشفى قلبه من المرض ونال المنى وأراح العربان من التعب والعنا ومن القتل والفنا (قال نجد) فلما سمع

الملك

الملك قيس من خالد ذلك الكلام وما أبداه بين العربان من الاهتمام اشتد به الغيظ وزاد به الغرام فعند ذلك هاجت بنو عبس وما فيهم الا من اعتد واشتد وعول على الخروج من الفرسان والسادات أهل الرتب وقد أبصر عنترة فعالهم فقال لهم أنا فداكم من التعب وها أنا أسبقكم اليه وأسقيه كأس العطب فقال الملك قيس لا وذمة العرب يا أبا الفوارس لا يخرج اليه في الاول الا أنا حتى لا أكون نودي بي لاخذ النار فتأخرت عن ذلك ﴿قال الراوي﴾ وكان عليه من الدروع والزرد ما لا يقدر عليه أحد ثم انه ركب على جريته القعساء وتقلد بسيفه ذي النور وأسبل عليه من الزرد ما لم يلبس مثله أحد ولما استوى في سرجه استلم الرمح وجعل طالبا خالد بن جعفر مثل القضاء المنزل وقد فعل خالد مثل ما فعل واصطدما والتقيا ﴿قال الراوي﴾ وكانا الاثنين من شدة ما بينهما من الحقد والغيظ والحنق ما فيهما من أنشد شعرا ولا به نطق بل صاحا وزعقا وعلى بعضهما انطبقا وجالا على ظهور الخيل الى أن طلع عليهما الغبار ونسردق وصار بينهما طعن يسبق الحدق ويأخذ الشجعان منه الحمق ودام الامر كذلك حتى تقطعت من الطعنات والضربات صفاق الدرق ولمع صارم المنايا وبرق وانهتك ستر ناموسهم وانخرق والتهبت نيران الغيظ وزاد الحنق وعنتر قد ضاق صدره على الملك قيس وتمنى أن يكون مكانه وقد تحير في قضاء هذه الاشغال وبلوغ الآمال وقد تأهب للقاء الرجال وأمر بني عبس بالاحتراز على الاموال وكذلك فعلت بنو عامر حين تهيأت لموت الغادر ﴿قال الراوي﴾ ومازال الفارسان في حرب وكفاح الى أن تثلمت الصفاح وتقصفت الرماح وقد تقابضا وما لا على بعضهما البعض ووقفا على وجه الارض من شدة الحنق وصاح كل واحد منهما وزعق والتفت الى أصحابه يطلب منهم معينا أو نصيرا وأيقن كل واحد منهم انه يكون قتيلا أو أسيرا فعندها حملت الفرسان من كل جانب وهزت القنا والقواضب واندفقوا اندفاق السيل اذا كان ساكب وكان أسبق الناس الى الملك قيس من بني عبس عنتر بن شداد وأسبق الناس من بني عامر الربيع بن عقيل الذي كانت العرب تسميه الفارس الصدام وقد صدم كل واحد منهما صاحبه وطاعنه وضاربه وهمهم واهمهمة الاسود في الدحال اذا سلبت منها الاشبال وكان قلب كل واحد منهما على خصمه ملآن من النوبة الاولى لما التقيا في الشعاب مما جرى بينهما من الامور والاسباب ﴿قال الراوي﴾ وقد جدا في الطعان ومالت اليهما الشجعان كل منهم الى ناحية ملكهم والمقدم عليهم مثل السحاب وقد قاتل في ذلك اليوم اخوة الملك قيس ومن حوله أشد قتال وكذلك الربيع بن عقيل واخوته ومن يتعلق بهم من الفرسان والابطال وقد تتابعت فرسان بني عامر تتابع الغيث الهطال واشتبكت الابطال بالابطال والرجال بالرجال وقد قدا الحسام في الاجسام ومالت الفرسان وتساقطت من على ظهور الخيل العوال وبطل القيل والقال وجرى الدم وسال ﴿قال نجد﴾ وكانت لهم ساعة تشيب رؤس الاطفال وعنتر يقاتل الربيع بن عقيل وقلبه على الملك قيس ومن شدة غيظه مال على خصمه وضايقه وزعق فيه زعقة الخرد وصار كأنه الاسد ثم طعنه طعنة جبار لا قى منها النوائب والاخطار فشك أضلاعه مع الزرد وقد أخرج الرمح من ظهره أشبار ثم بعد ذلك جذب الرمح منه فانقلب وصار كأنه عود يتشحط في دمه ويضطرب في عندمه ثم عاد عنتر الى بني عامر فتكس فرسانها وحلق حاجبها من أبدانها وأعدمها أرواحها ومازال كذلك حتى فرق الجميع عن قيس وخالد وصاروا قفا على رأس الاثنين وكانا قد أشرفا على الهلاك من دوس الخيل وشدة العراك فعند ذلك أراد عنتر أن يقتل خالدا ويخلص الملك قيس ويعيده على ظهر جواده فصاح به الربيع بن زياد وقال يا أبا الفوارس لا تفعل فان صديقك مالك بن الملك زهير قد أسر ومعه أخي عمارة وان قتلت خالدا يقتلوا الاثنين بثاره ﴿قال الراوي﴾ فلما ان سمع عنتر من الربيع ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه ثم انه

ضرب خالدا بالسيف صفحا فرماه وأمر أخاه شيبوب أن يشده ويكتفه فشده كتاف وقوي منه السواعد والاطراف وكان مما جرى عليه قد غاب عن الدنيا من شدة تلك الضربه وأيقن بالتلاف والنكبه (قال نجد) ولما أن رأى قيس عنترا قد فعل مع خالد ما فعل قام على قدميه وسعى من شدة فرحه واهتمامه وعانق عنترا عند قيامه ولما أن وقع خالد من ضربة عنتر أغمي عليه ساعة زمنية ولم يبع لنفسه بالكلية فلما أفاق أبصر شيبوب بين يديه وهو يوسقه بالقد الذي في يديه وكان قيس من فرحه قد أغمي عليه فلما أفاق وجد شيبوب وهو يكتف خالدا فشكره وأثنى عليه وعلى أخيه عنتر فعندها تركهم شيبوب وعاد ومعه فرسه فركبها ولما أن صار على ظهرها قال له عنتر يا مولاي أخرج من غبار الخيل الى الصحراء فسار الى خارج المعمعة وقد حمل عنتر على الخيل ففرقها والدماء أهرقها وفرق المواكب ومزقها فعند ذلك انكسرت بنو عامر عند المساء وتضعضع حالها وقد عادت بنو عبس بعد أن شفت غليلها وما بقي الا نفر قليل من أبطالها ونزلوا في خيامهم واستقر قرارهم (قال الاصمعي) ولما أن نزلوا هنوا الملك قيس بالسلامه ثم أعلمه الربيع بن زياد بأسر مالك وأخيه عمارة فصعب عليه وكبر لديه ثم قال الملك قيس للربيع اعلم انه ما أسر أخي وأخوك الا السلامة هذا القرنان ولولا هذا السبب ضربت رقبته بين الفرسان لكن احتفظ عليهم يا ربيع الى أن تفادى بهم أخي وأخاك عند الصباح ثم ننظر له غير هذا الوقت فيكون دمه مباح فقال عنتر يا ملك لا تضيق صدرك من خلاص أسرانا بهذا الشيطان واعلم انه ان سلم اليوم مني ما يسلم غدا ولولا شغل قلبي بالربيع بن عقيل وقتله في حومة الميدان لكنت اتيت اليه وأسقيته كأس الحمام من قبل أن يجري هذا الحال على أصحابنا وان بني عامر قد باتوا كلهم الليلة عند الظعن في رؤس الجبال وصاروا عند الحريم والعيال وعند الصباح نترجل عن الخيل ونطلع اليهم بالسيوف والدرق وننثرهم من على الروابي والتلال نثر الورق فعندها فرح الملك قيس بكلامه وقد طاب قلبه وخف غرامه وشكر عنترا على مقاله ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أحضروا خالد بن جعفر وأطلعوه على ذلك الخبر من أسر مالك وعمارة وطلبوه بالفداء فأجاب الى ذلك وحلف دون ارتياب باليمين الذي كانت العرب تعتمد عليه في الامور الصعاب فعندها أطلقه الملك قيس وفي قلبه نيران لا تطفا ولهيب لا يخفى (قال الراوي) ولما انطلق خالد من الاسر من عند بني عبس سار الى قومه ولما وصل الى عشيرته تلقوه وسلموا عليه وهنوه بالسلامة ومالوا اليه وأراد أن يعلمهم بما جرى عليه فسألوه فحدثهم بالحديث كله وما اتفقوا عليه وقال لهم أطلقوا مالكا وعمارة فما طاوعه بنو عامر على ذلك بل قاموا كلهم عليه ومن جملتهم أهل القتلى وقالوا له والله لا بد لنا من صلب الاثنين على قرون الجبال ونأخذ من هؤلاء بالثار وهو نار بعض من قتل منا من الفرسان الاخيار لان بني عبس هم الذين فعلوا فينا هذا الدمار وما بقوا يرحلوا عنا الا ان قلعوا آثارنا وخربوا ديارنا وأهلكوا جميعنا وأبادوا أبطالنا وربما سبوا الحريم والعيال ولا يبقوا منا على انسان فانظر ما يكون عندك من الرأي والسلام (قال نجد بن هشام) فلما أن سمع خالد منهم هذا الكلام وعلم ان هذه امور عظام حار وقال لهم يا بني عمي أي شيء هذا الكلام وأنا قد أقسمت بأعظم الاقسام والا كان نحرني الملك قيس نحر الاغنام وما يمكنني ان أغدر في الايمان يا بني الاعمام وأكون باغيا غدار ونحن في هذا الانكسار والادبار ويبقى علينا العتب والملام وأنتم تعلموا ان أعظم مسرتي قطع بني عبس وأسر بني زهير ولكن الزمان قد خانني والرب العظيم قد خذلني ولا أعانني ولا بد أن أبذل المجهود في معاداتهم وأجمع كل من له عليهم دم وأوعدهم بالاموال لهلاك ساداتهم والابطال وأبذل للعربان والفرسان كل ما تملك يدي من الدراهم والاموال حتى أقلع أثر بني عبس وأبلغ منهم الآمال وأترك ديارهم العامرة

ففرحوا بابا أوابنى طربحا على الرمال فقال سادات بنى عامر وقد طابت نفوسهم بكلامه ان كان الامر كذلك وأردت أن تفدى ايمانك وأقسامك حلف هذين الاسيرين وخذ عليهما العهد والميثاق انهم يرحلوا عنا فى هذا العام ويمضوا بأهلهم عنا بسلام وان لم يحلفوا لنا صلبناهم على قرون الجبال وانتقمنا منهم غاية الانتقام ثم دبرنا نحن أمورنا بما يعود به علينا الصلاح بين الانام فقال لهم خالد هذا رأى صواب وأنا أطاوعكم عليه (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك الكلام أحضروا مالكا وعمارة وكان عمارة مجروحا جرحا وثيقا فلما حضروا قص عليهم خالد القصة وما قد جرى من قومه وعرفهم ان قومه قد اختلفوا عليه وعولوا على صلبكم ان لم تحلفوا لهم انكم ترحلوا عنهم من هذه الديار بقومكم وتكفوهم شركم وتصبروا عليهم بقية هذا العام وان لم تفعلوا ذلك وتطاوعوهم والا ما أطلقوكم ولوانهم جرعوا كاسات الحمام (قال نجد) فلما أن سمع مالك وعمارة ذلك الكلام أجابوا وقد حلفوا له لانهم عاينوا الاهوال والهلاك وما صدقوا بالخلاص من قيد الاقفاص فعند ذلك حلوهم وأنزلوهم عن الجبال وقد أركبوهم على جوادين وسيروهم مكرمين * قال ولما وصلوا الى بنى عبس حدثوهم بما جرى لهم من القوم فقال الملك قيس لعن الله بنى عامر لان الغدر فعالهم والخبث أبدا خصالهم فقال الربيع والله يا ملك ما لخالد عندى فى هذه النوبة ذنب لاننا لو كنا خليناه فى الوثاق وأرسلنا اليهم فى الفداء لكان صوابا والآن فما خلص أخوك الا من فم الاسد والا كانوا قتلوهم وربما خلص منا اسراهم ولكن كان الذى كان وما بقى غير الرحيل والصبر الى أن تنقضى هذه المدة المقدرة وبعد ذلك ندبر على قدر ما نرى وما نسمع لان خالد لابد له من مكاتبة القبائل ونحن فى هذه النوبة الثانية تقطع منهم الآثار وتخرب منهم المنازل والديار (قال الراوى) فلما أن سمع الملك قيس من الربيع هذا المقال استصوب رأيه وأمر بنى عبس بالرحيل ثم انه رحل وقد علم أن بنى عامر فى رؤس الجبال وانه ما يبلغ منهم الآمال اذ هو قائم فى تلك الاطلال فسار يطلب الديار واخوته والكل حوله كالاقمار وعنتر وعروة فى المقدمة وليس لهم غرض فى هذا الصلح مع هؤلاء القوم والرحيل عنهم غير انه قد علم أن الملك قيس مادام مشغول القلب بحزنه على أبيه يطلب الثار من خالد بن جعفر ولا يقدر ان يتكلم فى أمر عبلة ولا يطلبها وكان الآخر أبينا عنده من هم الملك زهير غم عظيم فصبر وهو على ما هو عليه فسار وهو يذكر ما جرى له واقومه ويذم الزمان ونوائب الحدثان التى تعرضت له من دون سائر العربان فأشار ينشد ويقول

ألا يا عبل قد طال اكتئابى * ولج زمان هجرك فى عذابى * وصعب هواك ينمو كل يوم
كما تزداد أطوار الشباب * عذلت صروف دهرى فيك حتى * فنى عمرى وصبرى فى عناب
ولاقيت العنا وحفظت قوما * أهانونى ولم يرعوا جنابى * سلى يا عبل عنا يوم زرنا
قبائل عامر وبنى كلاب * فكم من فارس خليت ملقى * حضيب الارجلين بلا خضان
يحرك رجله عبثا وفيه * سنان الرمح يلمع كالشهاب * وكم ليث أتى نحوى ذليلا
يجر قناته فوق التراب * وناداني فكنت له مجيبا * بطعن نافذ قبل الجواب

قتلنا منهم مائتين صبرا * وألفا بالقلاع وبالروابى
أيفرح خالد بمصاب قوم * ويوم فنائه أعلى مصاب

(قال الراوى) ومازال القوم يقطعون الارض والبلاد والتلال والوهاد وهم طالبون الديار ليلا ونهار وعنتر يحرسهم فى الليل الى أن يطلع النهار وهو سائر على مقدمتهم الى أن قاربوا أرضهم وبقى بينهم وبين أهلهم ليلة واحدة فباتوا تلك الليلة ولما أن أصبحوا عولوا على الرحيل فانتظروا عنتر فلم يجدوه ولا رأوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فتحير الملك قيس من ذلك الحال وكذلك اخوته وأما المبغضون له فانهم قد تباشروا

بهلاكه لاسيما الربيع وأخوه عمارة القواد وأبو عبلة مالك بن قراد فعند ذلك منع الملك قيس الناس
عن الرحيل فى ذلك اليوم وقد أراد بالمقام كشف أخبار عنتر وقد أنفذ الخيل فى طلبه يمينا وشمالا وأقام
منتظرا ما يكون من ذلك الحال وقد صارت الفرسان يتحدثون فى غيبة عنتر وأكثرهم يقول انه قد سبق
الى الاحياء ليفوز من بنت عمه عبلة بالحديث والنظر وأبوها يسمع ذلك ومرارته تتفطر * قال ولما كان
عند المساء عادت الخيل خائبة ومافيهم من قال انه رآه ولا سمع له خبر فقال الملك قيس وحق ذمة العرب
ما أبرح من هذا المنزل الى أن أبصر ما جرى على ابن عمنا عنتر ونكشف حاله فقال عمارة لاجل دلاله على
الملك قيس لانه زوج ابنة أخيه والله يا ملك ان هذا الذى قلته غير صائب وكيف تقيم سادات بنى عبس
وعدنان تنتظر عبدا ليس له قدر ولا شان فقال الملك قيس وقد اغتاظ من كلامه ويلك يا عمارة أى شئ
هذا الكلام أما تخشى أن تنسب ابن عمك فى غيبته للعبودية وهو أمس قد خلصك من الاعتقال والرقيه
ولولاه لكانت بنو عامر قطعونا قطع الحطب للنار فوالله لو كان حاضرا وتكلمت قدامه بهذا الكلام
ما أمنت عليك منه فقال عمارة واذلاه واضيماه من قولك ابن عمنا وادخاله فى حسبنا ونسبنا وحق
الكعبة ان الموت دون ذلك فقال له الملك قيس وقد أراد بذلك غيظه ثانى مره أعظم من الاولى ما هو الا ابن
عمك ان شئت أو أبيت وأبضا هو سيدك وأنت له تبع فاترك قولك هذا والبدع لانك ما أنت فى الحرب
الاجبان لا تنفع ولا لك فى الشجاعة مدخل ولا مطلع بل ان عينك من شدة الخوف تدمع وأنت
لا تصح الا طنجير مفتح قم من قدامى لا كنت ولا استكنت فلولاه ما كان ارتفع للقبيلة عامود بيت فعند
ما نظر عمارة الى قيس وقد احمرت عيناه أحس أنه لوث نفسه فقام خجلا بعد ان لعن أباه (قال الراوى)
فلما سمع الربيع بن زياد ذلك الكلام ذاب جسده وتفتت كبده لكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد
فقال لقيس يا ابن العم دع هذا الكلام واترك أخى والحديث معه لانه كثير اللجاج والصواب اننا نقيم
فى انتظار ابن عمنا فان أتى والا رحلنا بالناس فانهم شكوا من كثرة الشوق الى أهلهم واعلم ان فيهم جرحى
فى أسوا حال من الجراحات التى بهم وعنتر ما عليه خوف ولا حذر ولا بد أن نلحقه فى الاحياء عند ابنة عمه
عبلة وهو يحظى منها بالحديث والنظر والمقال ويغتنم غيبة الرجال عن الاحياء لطول ما هو من العوارض
خال (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من الربيع بن زياد الكثير العناد علم مقصوده
فما أمكنه المقام بل انه أمر بالرحيل فرحل بالناس عند السحر وهو مشغول القلب لغيبة عنتر لانه ما أعطاه
أحد عنه خبر فقال الملك قيس والله انهم قد ظلموا الرجل لانهم قد تحدثوا فيه بشئ ما فعله ولا تدعه مروءته
أن يفعل ذلك (قال الراوى) ومازالوا سائرين الى أن أشرفوا على الديار فأرسلوا من يبشر بقدومهم
وسلامتهم ومازالوا يجدون المسير والترحال الى أن دخلوا الى الديار والاطلال وفرح المقيمون بالقادمين
السادات وبعد ما استقروا بالابيات سمع مالك أبو عبلة كلاما من بعض الاماء بما جرى لابنته مع عنتر
لما رحلت السادات الى غزو بنى الاشرار وقت ما حلت الديار فدخل على زوجته وفى قلبه لهيب النار
وسل عليها الحسام البتار وقال لها يا لخنا كل هذا منك وانت التى تحسنى لعبلة الوقوف قدام عنتر صاحب
الوجه الاغبر كلما غاب أو حضر وتطالبيه بالهدية كلما قدم من سفر وتطلبى منه الاموال وتأمريها تتحلى
فى وجهه ولا تتركى رأسى تنشال ثم انه عول أن يضربها بالحسام فرقت له فى الكلام وقالت له والله يا ابن
العم أنا ما فعلت هذه الافعال الا لما رأيتك ملت للرجل وأنعمت له بالزواج ومكنته من الدخول عليها
والخروج قبل مسيره مع أسيد بن جذعة الى بلاد اليمن والآن ما دام قلبك قد تغير عليه ما بقيت أرجع
أمكن ابنتى من نظره ولا من الوصول اليه فقال لها مالك يا لخنا أنا ما كنت أفعل ذلك الا من أجل الملك
زهير وولده شاس والآن فما بقى أحد يشهد لهذا العبد ولد الزنا ولا يرفع له راس وأنا ما أزوج ابنتى الا

لمن

لمن يكون سيدا من سادات العرب وغلاما صنديد ولا أزوجها لاقل العبيد على ان عنترا اليوم فى العدم
وما أقول انه بقى يسلم ولا بد له فى هذه النوبة من شرب كأس النقم وان سلم وعاد وسمعت ان واحدة
منكن أرسلت اليه أو سلمت عليه أو كلمته بكلام قطعت رأسها بهذا الحسام وحق البيت الحرام
﴿قال الراوى﴾ ومن الغد أتى حذيفة بن بدر مع اخوته ومعه جماعة من بنى فزارة ووجوه عشيرته وهنوا
قيس بالنصر على بنى عامر فقص عليهم كل قصته وأخبرهم بخبر خالد بن جعفر وسلامته وقال يا بنى عمى
لا تهنونى الا بعد قتاله لانه لا يتركنا ولا بد أن يجمع علينا الابطال والقبائل ويبذل فى قتالنا المجهود فقال
حذيفة اذا فعل ذلك يا ملك كنا نحن ممن نقدر عليه لك وبين يديك فشكره قيس على مقاله ودعا
له ولرجاله وعمل وليمة عظيمة لها قدر وقيمه وأحضر سادات بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان وعلم
حذيفة بعدم قدوم عنتر فاستوحش له وأظهر خلاف ما أضمر وأخذ الناس فى أكل الطعام وشرب المدام
ومناشدة الاشعار حتى تنصف النهار واذا بصياح قد عم سائر الاقطار وكان الصياح يدل على فرح
واستبشار فقال الملك قيس ما الخبر فقالوا له يا ملك لك البشارة قد أتى شيبوب الغضنفر أخو أبى
الفوارس عنتر وهو قادم عليك يعلمك بالحال وعن سبب غيبته وما جرى له من الامور الثقال فقال الملك
قيس أحق ما تقولون قالوا اى وحق من لا تحيط به الظنون ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو فى الكلام مع
الجماعة والكل مجتمعون على شرب المدام فى تلك الساعة واذا بالامير عنتر قد قدم ووصل وعينه تقدح
الشرر من شدة غيظه لان عروة كان قد حدثه بما جرى وما فعل الملك قيس وبما تكلم فى حقه الحساد
والاضداد وكيف عايره عمارة بالعبودية والسواد ولما ان عبر على الملك قيس والجماعة قاموا له الجميع
الرفيع منهم والوضيع وقد خرجوا من الابيات ولاقوه وسلموا عليه وهو على صهوة الجواد فأبصروا
على درعه دما طريا فسألوه عن حاله وعن سبب غيبته فقال لهم اعلموا أن السبب فى غيبتى هو انى كنت فى
خدمة من لا يستحق أن يخدم ولا يرفع له رأس ولا يعلوله قدر لانه خبيث الطبع ردىء الاصل والفرع
ولا يزال يسبنى بلسانه فلا يرجع حتى أهدم بهذا السيف أركانه فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس أى
شئ هذا الكلام المبهم فقال الامير عنتر يا ملك عبس وعدنان اسمع حديثى وتبين خبرى وان كنت
مستحقا ما يقولون فى حقى فأنت المحكم فقال له الملك قيس وضحه لنا حتى نسمعه فقال له الامير عنتر أيها
الملك هو انكم ليلة ما فقدتمونى وأنا فى الحرس قد كنت تباعدت فى البر خوفا عليكم من الشر ومن لص
أو طارق يطرقكم فبينما أنا كذلك اذ لاح لى شبح مخاطر فتبينته فاذا هو رجل أعرابى وهو راكب على
مطية تسعى به تحت ظلام الليل فى تلك البريه وهى كأنها ذكر النعام فصرخت عليه وقربت منه فوقف
وقال ما تريد منى دعنى أمضى الى حال سبيلى فسألته عن حاله وما الذى جرى له فعندها اطمأن قلبه
وقال يا فتى اعلم انى رجل مظلوم وأنا قاصد الى ديار بنى عبس لصديق لى يقال له الربيع بن زياد أسأله
أن يعينى على كشف ظلامتى لان بينى وبينه صداقة وذمام من مدة شهور وأعوام ﴿قال الراوى﴾ فلما
أن سمعت منه يا ملك ذلك الكلام قلت له بذمة العرب ما الذى جرى عليك وما قد أصابك أخبرنى به
واعلم أنى أنا عبد الربيع بن زياد وانه قد أنفذنى فى أمرهم فقال يا فتى اعلم انى يقال لى بشارة بن
معبد ولى بنت قد خطبت منى فأنعمت بها على من أرسل لى بسببها فأخذت من مالى مائة ناقة وسرت بها
طالبا وادى النقا وقد أردت أن أبيعها وأشترى بها ثيابا وطيبا لاجل به حال ابنتى وأستر عورتى فبينما
أنا سائر اذ لقيتنى خيل غائرة آخر النهار فطلبتنى وقد أخذوا النوق منى وقد هربت أنا على ظهر هذا
النجيب وسلمت من القتل والتعذيب وانى كنت قبل هروبى عرفت القوم وعلمت انهم من بنى كنانة
ولما قربت الآن من بنى عبس قلت فى نفسى انى أسير الى صديقى الربيع بن زياد وأسأله ان يركب معى

فى جماعة من قومه الاجواد ويخلص لى منهم مالى ويكشف عنى سوء حالى ويجيب سؤالى والآن قد لحقتنى أنت وأعفتنى عن المسير وقد ذكرت لى انك عبد لصديقى الربيع فان كنت كما ذكرت فابصر ما قد تفعل فى حقى فلما أن سمعت حديثه يا ملك بنى عبس قلت له ابشر بقرب الطريق واعلم انى أنا أنوب عنه لانه مولاى ولا أدعك تسير اليه والآن سر قدامى وأوصلنى الى أعداك حتى أبلغك منهم مناك فعندها عادين يدى راجعا وأنا أركض خلفه ومازلنا على ذلك الحال من أول الليل الى أن طلع الفجر وقد بان ضياه فلحقناهم عند طلوع الشمس على ماء يقال له فرير وأرض النقير وكانوا أربعين فارسا فلما ان تميزتهم وعلمت عدتهم حملت عليهم وقتلت منهم خمسة وعشرين فانهزم الباقون فعندها يا ملك أخذت جميع ما كان معهم للرجل وجمعت أيضا أسلاب القتلى وجمعت الخيول الشاردة ودفعتها لذلك الرجل وقلت له خذ هذه الاسلاب والخيل وبعها وتساعد بثمنها على حالك واشكر مولاى الربيع على ذلك الصنيع وتركته وعدت عنه بعد ان أوصلته الى مكان يأمن فيه وقد بنيت لك بيت مجد وحزت لك فيه شكرا وحمدا هذا وقد سمعتهم يذكرونى بالخيانة وانهم يعايرونى بالسواد فهذا جزاء من يفعل هذه الفعال وبهذا نعرف أولاد الزنا من أولاد الحلال ﴿قال الراوى﴾ ثم انه بعد ذلك الكلام التفت الى عمارة وقال له ويلك يا عمارة الكلب الى متى هذا التعدى يا ابن زياد فوحق ذى العرب الاجواد ومن كسا الليل حلة السواد وجعل النهار معاشا للعباد وقد تنزه عن الزوجة والاولاد وأتبع الماء من الجماد ان لم تنته عن الفساد وتحسن خصالك وترفع العناد لاقطعن بسيفى هذا أوصالك وأعجل الى المقابر ارتحالك ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمع الامير عمارة من عنتر ذلك الكلام وكان جالسا بين اخوته والجمرة قد لعبت فى راسه فاستحى من ندمائه وجلاسه وثب قائما على قدميه وسل حسامه وقال لعنتر ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا ايش الذى بلغ من قدرك حتى تقابلنى بهذا المقال قدام سادات عدنان ولى مثلك ألف عبد فى المرعى سوى غيرهم من الغلمان ثم ان الامير عمارة قد طلبه والسيف فى يده مشهر فقامت اليه الرجال وقد دارت به الابطال فعندها صاح به أخوه الربيع وتقدم الى نحوه ولطمه فدهاه وأخذ السيف من يده وقال له ويلك ياندل أيكون جزاء ابن عمنا منك هذا الامر وقد بذل نفسه دوننا وخدمنا حق الخدمة ﴿قال الراوى﴾ هذا كله كان من الربيع وعنتر يقول والله يا عمارة الكلب ما أريدك أن تسل حسامك وتطلبنى الا فى قفر خال ما فيه أحد الا أنا وأنت ولا يكون معى غير عصاى التى كنت أرعى بها الجمال حتى يسمع ما يكون بيننا من الفعال ويحققوا فعالى من فعالك ثم انه بعد ذلك قلب عنان جواده وطلب الى قومه وأبياته وقد استحى من قيس أن يتفرق الناس عنه وتتكدر عليه وليمته ﴿قال الراوى﴾ ولما وصل الى أبياته تلقته أمه زبيبة وهى باكية العين فرحة باللقاء لانها كانت حزينة فى طول غيبته وما صدقت أن تراه سالما فأرادت أن تعانقه وتبل شوقها منه فدفعها فى صدرها فألقاها على ظهرها من شدة غيظه منها وقال لها اذهبى عنى يا لخنا فلولا لك ما عايرونى بالعبودية والخنا فقالت له زبيبة وقد زاد بكاها يا ولدى وأنا ايش ذنبى حتى تفعل بى هذه الفعال وأنا ما أريد الا أن تكون قدام عينى ترعى النوق والجمال وتستريح من القيل والقال وتكون عندى بالليل والنهار فيكون أحب الى من الشجاعة والفروسية ومن رميك لنفسك فى النار الحامية والآن قد مضى ما مضى وبقى الا أن تقتلنى لعل أن يمحى عنك اسم العبودية وتأخذ لك أما غيرى تكون عربية لعل أن تبقى سيدا من السادات المسمية ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلام مهارق لحالها وجبر قلبها هذا ما كان من عنتر ❊ وأما عمارة بن زياد وأخوه الربيع الكياد فانه لما خرج عنتر من الوليمة وهو وحدان صار الملك قيس من أمرهم حيران فطيب قلبه الربيع وقال له يا ملك هذا أمر لا يتم ولا يتصور مادام

ان

ان العداوة قد وقعت مع أخي وعنتر وقد خطر ببالي له خاطر وهو صواب وأريد أن أفعله وبه تتم الاسباب وينفصل هذا الامر وينطفئ ذلك الشر ولكن يا ملك الزمان اليوم يوم خمر وغدا لك الامر لاسيما وعندك سادات بني بدر والصواب تمام السرور معهم ودفع العتب عنهم (قال الراوي) ثم انهم عادوا الى ما كانوا فيه من الفرح وشرب المدام الى أن ولى النهار وأقبل الظلام ورحل حذيفة عند الصباح الى أهله وبني عمه وأما الربيع بن زياد فانه دعا اخوته ورفع خيامه ورحل بجميع بني عمه وأتباعه بالسويه الى واد يقال له وادي العمورية وقال وحق ذمة العرب لا جاورت أنا قيسا بعدها أبدا مادام عنتر في جوارهم لانه سب أخي عمارة وطعن في انسابنا بكل لسان وما كلمه في ذلك قيس ولا نهاه وكأن هذا القول منه في حقنا أرضاه (قال الراوي) وكان الربيع بن زياد شيخا من مشايخ بني عبس الكبار وكان الملك قيس صهره كما قد ذكرنا فتبعه من بني عبس أوفى من خمسمائة بيت وخمسمائة فارس ونزلوا معه في الوادي المذكور وكانوا كلهم يكرهون عنتر فبلغ قيسا ذلك الخبر فصعب عليه وكبر لديه فقال لاخوته ووجوه عشيرته ألا يا بني الاعمام ان الملك زهير في حال حياته قد رضي عنترا ابن عمه وألحقه بنسبه ونقله من رق العبودية الى النسب والحرية وعنتر وعمارة اذا اجتمعوا فرقوا شمل العشيرة وفرقتهم خير من اجتماعهم * قال ثم انه أقام وقلبه قوي بعنتر وكونه في الحي وما أنكر على الربيع فعاله ولا عتب عليه ولا أتعب حاله بل صار يمضي الى وادي العمورية ويداريه لاجل القرابة التي بينهم ولاجل الرجال الذين رحلوا معه * قال وكان الذي رحل مع الربيع بن زياد غالب فرسان الحي الجياد وأما عنتر بن شداد فانه كان قد سمع بما قد جرى لعمه مالك بن قراد مع زوجته وكيف أراد قتلها والكلام الذي تقدم مما وعته آذانكم أيها السادة الاجواد فما عاد عنتر يدخل في أبياته ولا يلم بساحاته خوفا على قلب الامير زعبلة من حصول الذبله (قال الراوي) هذا كله يجري وقيس بن زهير كان منتظرا ما بينه وبين بني عامر ويراعي أخبار خالد بن جعفر الى أن وصل اليه الخبر انه طرح روحه على شيخ العرب دريد بن الصمة أمير العرب وكبيرها سيد بني هوازن وجشم وهمدان وأوحد العصر والاوان وانه وعده أن يكاتب القبائل والفرسان ويأمرها بطاعته والمسارعة الى خدمته ويعينه من عنده بعشرة آلاف فارس أبطال اشاوس (قال الراوي) وكان دريد بن الصمة من جملة المعمرين لانه عاش عمرا طويلا قيل انه بلغ من العمر أربعمائة وخمسين سنة من سنين هذا الزمان وكانت سائر العرب تسميه رحانة الحرب وتطيعه في كل أمر صعب لاجل كبره في السن ولاجل ما فيه من الشجاعة وحسن التدبير (قال الراوي) الا أن قيسا لما سمع هذا الخبر صعب عليه وكبر لديه وتحير وقال هذا والله هو القلق الاكبر ثم جمع بين يديه سائر الفرسان من بني عبس وعدنان وأخبرهم بما قد سمع من ذلك الامر والخبر من جهة دريد بن الصمة وجلية الاثر فما منهم الا من خاف واذعر لكنهم أخفوا الكمد وأظهروا الجلد الا انهم قالوا يا ملك لو أنه سار الينا بكل من في الدنيا من الابطال والفرسان ما متنا الا قدام أولادنا والنسوان فعند ذلك قال عنتر بن شداد لا تخف أيها الملك من أحد من أبناء الزمان فدعه يجهد جهده ويجمع ما عنده فلو انه أتى ومعه النمرود بن كنعان أو جميع الانس والجان لمحقت آثارهم وحق مكون الاكوان فطب نفسا وقر عينا فوربة أبيك الملك زهير لا تلقاه الا في ألفين فارس من الاصحاب وآتيك برأسه والاسلاب وأهلك كل من معه ولو ان الانس والجن تتبعه فطاب قلب الملك قيس بذلك الكلام وأخذ في أهبة الحرب والصدام (قال الراوي) وكان الملك قيس قد افتقد آلة السلاح فلقيها قليلة فأوصى عنترا بالحي وترك عمه أسيد مكانه وأخذ معه أموالا ونوقا وجمالا وسار في مائة صنديد يطلب يثرب ليشتري منها سلاح وآلة حرب وكفاح * قال وكانت يثرب قريبة من الديار وكان الحاكم

عليها يومئذ أحيحة بن الجلاح اليثربي وهو أخو عبد المطلب من أمه وكان بينه و بين قيس صداقة ومودة ومكانة من أيام أبيه (قال الراوي) فلما وصل قيس الى يثرب نزل في منزله ففرح به أحيحة وأكرمه غاية الاكرام وسأله عن خاله فاخبره انه أتى لاجل شراء سلاح (قال الراوي) وكان قيس قد سمع ان عنده درعا داود ياسابغة كثيرة العدد ضيقة الزرد كأنها عيون الجرد ما اقتنى مثلها أحد من ملوك العرب وهي أحسن من سائر العدد فعند ذلك قال قيس يا أمير أحيحه أنا قد بلغني ان عندك درعا داود باقدهام قلبي بها وأريد منك أن تبيعها لي أو ان تهبنيا ياها وتبلغ روحي منا ها حتى ألقى بها الاعدا وأفتخر بها على طول المدا وأعوضك أمثالها ما بقيت روحي في جثمانها * قال فلما سمع أحيحة ذلك منه تبسم وقال ياسيد بني عبس من أفضل مني حتى اني أبيعه درعي ولم يكن أحد غيري لها أهلا على اني والله العظيم والرب القديم لولا اني أخاف من مذمة خالد بن جعفر ما عدت الا وهي معك لاجل قولك اهدها الى لاني ما اعرف منذ عمري اني رددت سائلا سألني عن حاجة ولو كانت روحي لوهبتها اليه من غير لجاجه فقال قيس أيها الامير والسيد الخطير كيف يذمك خالد بن جعفر اذا أنت أعطيتني اياها فقال لانه قد قصدني فيها وطلبها مني ومدحني بابيات من الشعر وما سمحت له بها لما علمت انه يقاتلك بل عوضته شيأ من السلاح غيرها وصرفته بجميل وأخاف اذا وهبتك اياها أن يرجع يذكرني بعدها بالقبيح على لسان كل فصيح فقال قيس أيها الامير وما الذي قاله خالد بن جعفر من الشعر النضير قال هذه الابيات

اذا ما طلبت العز من آل يثرب * فنادي أبا عمرو أحيحة يسمع
وقم تحت ظل اليثربي فانه * اذا ذقت فيه خاف بأسك تبع
وأبصرت انسانا على نور وجهه * لثام تغيب الشمس فيه وتطلع
بني في العلا والمجد والفخر منزلا * له فوق أكناف السما كين موضع
اذا هز في يوم الكريهة سيفه * رأيت شعاع الشمس في السيف يلمع
وان وهبت كفاه فالغيث هاطل * يدوم عطاه والسحابة تطلع
ويأمن في أبياته كل خائف * ويشبع من جدوا دمن ليس يشبع
خصائل كانت للنجارة قديمة * فصار عليها انه يتتبع

(قال الراوي) فلما سمع قيس هذا الكلام والشعر والنظام قال له والله ما بقي عليك يا أمير ملام ثم انه أقام عنده تمام الثلاثة أيام ساعيا في طلب ماله من القصد والمرام فلما اشترى ما يريد وأراد ان يرجع الى يثرب أمسكه احيحة وقال له ياقيس بت عندي هذه الليلة فاني بعد ما مضيت خطر لي خاطر وأظن فيه الصلاح لك ولابد ان أطلعك عليه وأخبرك اياه ثم انه في الحال نحر له الابل والاغنام وأحضر له الطعام وآنية المدام وشرب معه قيس حتى أمسى المساء ولما أخذت الخمرة بعض عقله وطاش بها لبه أشار الى قيس ينشد ويقول شعرا

الا ياقيس مادرعي يسام * فمثلي لا يساوم في الدروع
ولولا اني عودت روحي * عوائد صاحب النسب الرفيع
وهبتك مثلها عشرا ومهرا * أسيل الخد محبوك الضلوع
ولكني أخاف بسب عرضي * وينفر قلب خالد من صنيعي
فساومني عليها واشترها * كما تشترى البضاعة في المبيع
ليقبل خالد في الدرع عذري * وتحظى أنت بالدرع المنيع

(قال الراوي) وكانت هذه الزردية تسمى الوشاحية وفي لغة أخرى تسميها العرب ذات المواشيح وتقومها بمائة ناقة سود الحدق حمر الوبر فلما سمع قيس ذلك الكلام علم مراده وعلم انه لا يشتهي ان يسمع

خالد انه خيب شعره ورده عليه ووهب السلاح لعدوه فعذره فى ذلك وأقام عنده الى ان أصبح الصباح وقدم له باقى ما عنده من الاموال كلها وقال أنا أعلم ان قيمتها أعظم من ذلك وأوفى مما بذلت لك وانما أنت قد أهديتها الى فقال أحيحة بن الجلاح ياقيس والله لقد ندمت حيث قصدتنى فيها فى الاول وما قضيت حاجتك وبقى فى قلبى من ذلك أثر فاصدقت أراك حتى أبلغك منها مناك وأسر قلبك وأطيل هناك ولا ترجع تذمنى ولا تقطع ما بينى وبينك من النسب والصداقة والآن قد بعتك درعى بهذه الناقة ثم أخذ من فوق الملك قيس ناقة واحدة وأعطاه بقية المال والدرع وأراد أن يشاع البيع فى الظاهر ويكون هدية فى الباطن ثم بعد ذلك رحل قيس فعجب أهل يثرب من ذلك وقالوا والله لقد سمحت نفس أحيحة بما لا تسمح به الفرسان ولا ملوك الزمان ولا اقتنى مثلها التبع حسان * (قال الراوى) * ثم ان قيسا قد جد فى المسير وما وسعته الدنيا من شدة فرحه وما زال سائرا على هذا الحال حتى قرب من الحى والاطلال فأنفذ السلاح الذى اشتراه مع الفرسان المسمية وجد فى سيره الى أن وصل وادى اليعمور به الذى نزل فيها الربيع بن زياد وكان ذلك فى أواخر الشتاء فبلغ الخبر للربيع بن زياد فخرج الى قيس واستقبله وسأله عن خالد بن جعفر فقال له قيس وأنت يا ربيع ما فى نيتك ان تشد معنا اذا أتى خالد بن جعفر أما سمعت بالجمع الذى جمعه فقال له الربيع بلى يا ملك قد سمعت انه طرح نفسه على شيخ العرب دريد بن الصمة وقد ضمن له هلاك وهلاك بنى عبس اجمع والشتاء قد انصرف وما بقى غير أخذ الثار وكشف العار ولقاء بنى عامر وجشم الفجار لانهم لنا هم فى الطلب وهم أشد عداوة لنا من جميع العرب وان لم يشد بعضنا البعض والا تمتت بنا العرب فقال له قيس جزاك الله خيرا يا ابن العم وأنا ما عبرت ههنا الا لابصر ما فى قلبك * قال وضرب قيس كفل ناقته وأراد ان يسير فمسكه الربيع وقد رأى الحقيبة ملآنة فقال له ياقيس أى شئ فى حقيبتك وأى السلاح الذى اشتريته لنا حتى نقاتل به الاعداء فقال قيس يا ابن العم السلاح قد مضى قدامى الى الاحياء وأما الذى فى حقيبتى فهو شئ ما أبصرته عمرك ولا اقتنت الملوك مثله لا قريب ولا بعيد من العرب لانه أعجب من كل شئ عجب فتبسم الربيع وقال والله ياقيس لقد علقت قلبى وما أدعك تمشى حتى أبصر ما معك ولا يكون فى قلبى حسرة * قال فعند ذلك أناخ قيس ناقته وأخرج الدرع من حقيبته فقال الربيع ومن أين وقعت بهذا الدرع وهو من دروع القدماء ولا يقدر عنى مثلها أحد من العظماء فقال قيس نعم هذا درع أحيحة البثربى لانى نزلت عنده فأضافنى وأكرمنى غاية الاكرام وطلبتها منه فأهداها الى فقال الربيع والله يا ابن العم لقد سمحت نفس هذا الرجل بما لا تسمح به نفوس الرجال فقال قيس نعم وحق الكعبة الحرام لو سألته فى ولده لكان أعطانى اياه لاجل ما بينى وبينه من المودة وصلاح الحال فقال الربيع لقد وهب وتكرم هذا المفضال (قال الراوى) وكان الربيع رجلا اطول من سائر الرجال عريض الاكتاف والاوصال فأخذ الدرع ولبسها فاذا هى سابلة الى كعبه فهام بها وتمشى ودخل الى خبائه وعاد وقد تقلد بسيفه وقال ياقيس ان هذه أعجوبة عند الرفيع والوضيع والمال الحلال لا يضيع لان هذا الدرع منى سرق والى رجع ولا ألقى أعداك الا فيها ولا أجد أحسن منها ثم انه مد يده الى قائم السيف وجرده فرأى قيس الشر يلوح فى وجهه فقال قيس يا ابن زياد أى شئ هذا التعدى تدعى الباطل وتتبع الغدر وتبيع ما بينى وبينك من القرابة بهذا القدر فضحك الربيع وقال لا وحياتك ياقيس ما هذه الادرعى وأريد أن تحدثنى بحديثها وكيف وصلت اليك والا أتهمتك بها وهذه علامتى فيها وهى هذا الجرب الذى فى ذيلها (قال الراوى) ثم ان الربيع ابن زياد معدن المكر والخبث والفساد دمهم ودمدم وأخذ بالشعر يترنم

ياقيس درعى لا أبيع ولا أهب * معروفة لجميع أحياء العرب

وما أنا ممن ان تكلم قد كذب * عرفتها وحق من عنا احتجب
أحدث فيها الدهر شيأ من عجب * علامة أوضح من كل نسب
ولولا قرب بيننا من النسب * حللت فيك حرمة شهر رجب

(قال الراوى) فلما سمع قيس كلامه أجابه على عروض شعره

تريد أن تأخذ درعي ياغبي * بالزور والبهتان والقول الوبي
درع أخيحة الكريم البثربي * دع عنك ذا القول فذا حلم الصبي
وحق من اغسق جنح الغيهب * لست أخليها ولو كنت أبي

(قال الراوى) ثم تلاججا فى الكلام وكثر بينهما الخصام واجتمع عليهم الرجال وصارا خوة الربيع يضحكون على قيس كلما رأوه يرق فى الكلام وعمارة يقول له ويلك يا ابن العم ان أخي يمزح معك فارجع الى أهلك ونحن نرسلها عندك والا ارسل حاميتك عنتر يخلصها لك فعند ذلك امتلأ قلبه غيظا وحنق وعلم ان القوم يريدون الشر فعطف عنهم راجعا ولحق باهله وكتم غيظه *قال ولما وصل الى الحى حدث ابنة الربيع وكانت زوجته كما قدمنا وقال لها يا ابنة الربيع والله لقد وقعت مع أبيك فى أمر شنيع لانى ان تركت الدرع لابيك شاع خبرها عند كل العرب وعابرنى بذلك أهل المنازل والرتب ويقولون ما قدر على خلاص درعه وقد أخذه منه غصبا وأنا لا أرضى ان الشر يقع بيننا مع هذه الاخبار التى سمعناها عن أعدانا ويكون ذلك سببا لقلعنا وفنانا لان أبيك اليوم فى جماعة كثيرة من أهل القبيلة وما ألقى خالد بن جعفر الا بهم وكان الملك قيس له بنت من بنت الربيع بن زياد وكانت أعقل أهل زمانها فى الفصاحة والادب من جميع بنات العرب وتقول الشعر على الحاضر فى جميع العشائر ولها العقل الوافر زائدة فى الحسن والجمال فقالت يا أبتاه أنا أرد عليك الدرع ولا تعرفه الا منى لان جدى يحبنى واذا نام فى خيامنا ما ينام الا عندى وأقول أنى اذا قصدته لا يخيب قصدى فقال لها أبوها الملك قيس افعلى ما بدا لك نجح الله أفعالك فعند ذلك ركبت ناقتها وأخذت معها جماعة من العبيد والاماء المسمية وسارت تجد السير الى وادى اليعمور به ودخلت على جدها الربيع وكان يحبها محبة عظيمة لاجل ما فيها من فصاحة اللسان وحسن البيان (قال الراوى) فلما رآها جدها الربيع علم بحالها ولاى شئ قدمت فقام اليها وسلم عليها وضمها الى صدره وأقعدها فى حجره وقبلها بين عينيها وسألها عن حالها فقالت وقد فرحت بذلك الاكرام يا جداه ردعلى أبى درعه واقبل سؤالى فيه لانه كدر عيش أمى بهذا السبب وعاداها من أجلك وحلف انه لا يغسل ثوبه ولا أحد منا يعبر عليه الا ان رجع درعه اليه فقال الربيع يا جانة وحياة عينيك لو صبر لرددته اليه ولكن أقول انه أقدمنى على الشر وأكثر فيه اللجاج والعناد لا سيما وقد ابعدنى وقرب عبد شداد ومن حين رحلت ما سألنى ولا رضانى فقالت جانة يا جدى بحياتى رد الدرع على أبى واقبل سؤالى فيه والا يحصل بينكم الشر بسببه فقال الربيع وقد تبسم من مقالها يا جانة وحق ذمة العرب ما كان فى نيتى أن ارد الدرع على أبيك ولا ألقى الاعداء الا بها ولكن لا أخيب رجاك وأنا ألقى خالدا وبنى عامر فى الدرع وأرده بعد ذلك اليه اذا انفصل الحرب وأخذنا بالثار ويتفرغ القلب من هذه الاخطار (قال الراوى) فلما سمعت جانة مقاله عرفت مكره واحتياله وقد علمت انه ما يرد الدرع وان الغدر بينهم سبقع وان سؤالها ما نفع فتركت ما هى فيه من الطمع وباتت تلك الليلة عند جدها (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قامت مسرعة وركبت ناقتها وأخذت عبيدها وسارت وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

أبى لا يرى أن يسلب اليوم درعه * وجدى يرى ان يسلب الدرع من أبى

فرأى

فراى أبى راى الضنين برأيه * وسيمة جدى سيمة الظالم الغبى
فلا ابن زهير تارك درعه له * ولا ابن زياد ان راى الصلح يعتب
فياقيس ترك الدرع أوفى مروأة * عليك من الحرب المشيب للصبى
ويا ابن زياد ردها ان حبستها * تجللها حرب عقيمة كم وبى
فانى أخاف اليوم عنترة الذى * يريد اقتناص الحرب من كل سبسب
وأن يتولى الحرب يوما بنفسه * وأبطال عبس حوله لم يخيب

(قال الاصمعى) رحمة الله عليه ولما وصلت الجمانة ابنة قيس الى بنى عبس دخلت على أبيها وأخبرته بما جرى بينها وبين جدها لربيع وقالت له بالله عليك يا أبى ان أمكنك أن تترك له الدروع فاتركه فانه بعد أن ردنى ما بقى يقبل سؤال أحد وان لاجئته لاجلك وان قاتلته قاتلك وينغص عليك حياتك ويكدر عليك عيشك فقال قيس وقد زاد به الحنق وتمنى انه لم يخلق ياجمانة وحق ذمة العرب والرب الذى عن عيون خلقه قد احتجب لابد أن أقاتل جدك الربيع أشد المقاتله وأعامله أشد المعامله وأنا أقسم وحق البيت الحرام والرب الباقى على الدوام لا أغسل رأسى حتى أفرغ من جميع أعدائى بالحسام (قال الراوى) وقد شاع الخبر فى الحله وقد استعجزوا قيس بالجمله وتحدث الناس مع بعضهم بالامور الرديه فى حق الملك قيس (قال الراوى) وكان عنتر قد أتى اليه فى أول قدومه وهناه بالسلامة وأبصر السلاح الذى اشتراه ولكنه ما أطلعه على ما جرى بينه وبين الربيع من الامر الشنيع (قال الراوى) ثم بعد قليل من الزمان بلغ الحديث الى عنتر من عروة بن الورد فصعب ذلك الامر عليه واشتد غيظه منه وكبر لديه وأتى الى الملك قيس وعتب عليه وقال له لماذا صبرت على الذل ونحن بين يديك فوحق ذمة العرب لو كنت علمت بهذا الامر من أول النهار لكنت استخلصته لك فى أسرع وقت وكنت أخذتها منه غصبا وأثرت من أجلها حربا وضربا وتركت وادى اليعموريه خربا (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا الكلام تبسم له عجبا وأخذ يعجب منه فرحا وطربا وقال له والله يا حامية عبس وافرس من طلعت عليه الشمس أنا ما حسبت الا هذا الحساب ولا رضيت أعملك بهذه الاسباب وأرحت نفسى من هذا العذاب وقد رأيت يا ابن العم ان من الصواب السكوت عن هذا الامر حتى ننظر حالنا مع حالدين جعفر وندبر لنا أمرا يكون به الفوز والنصر (قال الراوى) فصعب هذا الامر على عنتر واستعجز قيسا وعاد وهو يذمه ولما صار فى مضربه أحضر أخاه شيبوب الاغبر وقص عليه هذا الخبر وشاوره فى هذا الامر المنكر وقال له والله يا ابن الام ما بى من أخذ الدرع مثل ما بى من قول عمارة لقيس قل لحامينك عنتر يخلص لك هذا الدرع لانك اتكلت عليه وصار حامينك وأنا والله يا أخى لولا قلب الملك قيس بن الملك زهير ما تركت النهار يتضاحى وفى وادى اليعموريه من يخبر بخبر أو يأتى بأثر بل كنت أشفى غليلى من بنى زياد وعمارة القواد والربيع الكياد وأريد منك يا أخى أن تعاونى ببعض التدبير لعل ينطفى ما بقلبى من نار السعير فقال شيبوب يا أخى أنا ان شاء الله أدبر لك أحسن التدبير فامض معى فى هذه الليلة اذا نام أهل الحى ونامت الاماء والعبيد ونخمد النيران من وادى اليعموريه وأنا أكمن لك فى بعض نواحيه وأرصد بنى زياد فان ظفرنا بأحد منهم نلنا المراد ونأخذ الذى غلكه منهم ونخفيه فى مضار بنا ونذعنه فى العذاب الشديد على الدوام ونسلكه فى سلك من حديد ولا نزال نعذبه بالعذاب النكيد حتى يفدى نفسه منا بالدرع ولو اننا نقتل وبعد أن نأخذه لا نبالى بنفس غيره وتكون أنت قد بلغت المراد وشفيت غليل الفؤاد وقيس اذا رآنا وقد رددنا درعه اليه فلا يعتبنا ولو اننا قتلنا الذى نأخذ الدرع منه فقال عنتر والله يا أخى لقد قلت الصواب وأتيت بشئ لا يعاب فلا عدمتك يا أبا رياح ولا زلت بشير الافراح خاليا من الهم والاتراح افعل هذه

العبارة لعل يقع فى يدنا الربيع أو أخوه عماره وتكون سفرتنا ربحا بلا خساره وان صح لى هذا الامر وملكنا الربيع بهذا السبب شفيت غليلى منه ويخف بعذابه بعض ما بى من اللهيب والكرب وأنا أرجو ذلك من الله ربى وان يبلغنى أربى (قال الراوى) ثم صبر عنتر حتى دخل الليل وطلع نجم سهيل وخرج هو وأخوه شيبوب وهم فى زى البعيد وما معهم الا السيوف والخناجر وهم يطلبون الوادى المتقدم ذكره وينتخبون الطريق وشيبوب يدب به فى ظلام الليل ومازالوا على ذلك حتى مضى نصف الليل الا قليل وتوسطوا الطريق والرمال وكان شيبوب سائرا وعينه تدور يمينا وشمالا وهو يتحدث مع أخيه عنتر بن شداد واذا هو قد رأى بين يديه خيال جواد وهو ينهش من هشيم البرو بين يديه انسان نائم وعليه ثياب جميلة وعمامة كبيرة وقد ثقل نومه وعلا غطيطه فقال شيبوب يا ابن الام هذا رجل لاشك انه غريب من هذه الارض وقد أمسى عليه المساء فنام ثم انه تقدم اليه ووقف على رأسه وصاح فيه فانزعج وقام وعينه مملوءة بالمنام وقال يا مولاى أراك الليلة رجعت على عجل بخلاف الليالى الاول فهل قنعت من عبلة بنظر وقضيت منها وطر والا وقعت عليك عين بشر وخفت على نفسك من الخطر فقال له شيبوب وقد خفق قلبه لما سمع ذكره لعبلة هو وأخوه عنتر وقد هز الحسام فى يديه ما حتى دب الموت من فرنده ما هذا الخبر ويلك يا ابن اللئام من تعنى بهذا الكلام ومن أنت من العرب اللئام ومن هى عبلة التى تذكرها بهذا الكلام ومن هو مولاك الذى تذكره فى هذا الظلام فقال العبد وقد طار من عينيه المنام لما أبصر بريق السيوف فى جنح الظلام يا هذا تلطف وارفق بى فما أنا أمير ولا فارس خطير بل ما أنا الا عبد حقير ومولاى رجل طخير لا سلمه الله بين العباد يقال له عماره بن زياد وهذه ثيابه التى تراها وعمامته التى على رأسى وهذا سيفه وجواده فقال شيبوب والى أين مضى مولاك من الاماكن وتركك هنا كامن فقال له وقد ظن أنه من بعض العرب الغرباء والله يا سيدى ومولاى انه مضى الى بنى عبس ليفوز بالنظر الى وجه عبلة بنت مالك بن قراد بلاه الله هو واياها بالضرر والانكاد فقد أرعبتنى رعبة تقطع منى الاولاد ولا تزول من قلبى الى يوم المعاد وهكذا كل قليل يأتى ولا يصيبه غير العناء والتعذيب ويأخذنى ويسير من وادى العمورية وأنا أظنه يختفى عن عنتر الى أن يأتى الى هذا المكان ويخلع ثيابه ويلبس ثيابى ويدخل الى خيام بنى قراد لينظر عبلة وما يعود الا وقت السحر ويحلف لى أنه ما وقع لها على أثر فقال له شيبوب ويلك يا عبد السوء انه اذا دخل الى الخيام والمضارب تنكر عبيد القوم عليه وتقبض عليه فقال العبد لا يا مولاى لان له هناك اغراضا كثيرة برشهم بالمال والكساوى فيخفوه بينهم اذا دخل ويعاونوه على بلوغ الامل فقال شيبوب هذا حديث ما نعرفه ولا ندريه وانما أنت من فزعك تخترعه اخلع الآن ثيابك التى عليك وسلمنى الجواد الذى معك وبين يديك واغد الى حال سبيلك والاطار يا هذا رأسك فى البر الاقفر من بين كفيك وتحل بك الخساره ولا ينفعك الربيع ولا أخوه عماره فقال له العبد يا مولاى لمن تكون أنت من الناس فقال له شيبوب يا أنا الامن بعض العفاريت الطياره اخلع ما عليك الآن والحق بأهلك يا هذا قبل أن تهلك وتعجل من الدنيا مرتحلك فلما سمع العبد هذا الكلام لاح له وجه الخلاص فتجرد لهم من ثيابه وخطى خطوة برجله والثانية سبقتها رأسه * قال وكان عنتر أدركه عند انصرافه وضربه ضربة رجل جبار واذا برأسه عن جسده قد طار فقال له شيبوب ويلك يا أخى وأى شئ ذنب هذا المسكين فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة وأى ذنب أعظم من هذا أما تعلم ان ذنبه معاونته لعماره على نظره عبلة فأريد ان أحرم أحدا بعده ان يتبع عماره ويعاونه على بلوغ آماله والآن هذا أمر قد سهل وقد تيسر أخذ مولاه عماره الصقيع وقد تخلص الدرع للملك قيس من عند الربيع بعد ان

اشتق

أشتفى أنا من عمارة بالضرب الوجيع والرأى عندى اننا نعود على أثره وأينما وجدناه قبضنا عليه
فقال شيبوب لا يا أخى ما هذا صواب لانى أخاف أن تخالفه فى الطريق لانه ما هو من أهل الشجاعة
والبراعة حتى انه يسلك الطريق الواضحة ويمشى على الجادة من الخوف والحذر بل يأتى على غير
طريق الحذر حتى يفوز بالسلامة وحسن الظفر والرأى عندى اننا نقيم فى هذا المكان واذا عاد نأخذه
بامان ونسير من هذا المكان ولا نكون فعلنا شيأ ثم أفسدناه (قال الراوى) ثم ان شيبوب فى الحال
قلع ثيابه ولبث ثياب العبد وانطرح مثل ما كان العبد وصار عنتر الى البر وانعزل ومازال كذلك
حتى بقى من الليل الثلث الاخير واذا بالامير عمارة قد أقبل يهرول على نجل فلما أبصره جواده صهل
فقال له جئتنا ياصهال بعد أن شفيت ما بقلبى بنظرى عبلة من الامراض والاعلال ثم تقدم الى شيبوب
ووكزه بالعصا وقال له يا ابن الملعونة قم ما أكثر نومك لعن الله قومك واخلع يا ويلك ثيابى قبل
أن يدركنا الصباح * قال ومن عجلة عمارة ووهجته قلع ثيابه التى هى للعبد وبقى عريانا وقد بان من
العورة ما بان وبان له فردتان ما يخرجهما قبان فعندها أبصره شيبوب على ذلك الحال فوثب الموثبة
الاسد الغضنفر والسيف فى يمينه مجهر وقال له أدركناك يا قرنان يا غدار يا مكار فخل عنك ذكر
العبيد والاحرار فقد وقعت فى النار أبشر بالقتل والبوار واعلم انك وقعت فى قبضة جنى طيار من
عمار تلك القفار وسأجرعك الموت بهذا البتار واذا بالامير عنتر قد جاءه وقبض على عظم قفاه
وكبس عليه فخرجت عيناه ومن عظم ما تضايق من يده سيب على نفسه خراه وبقى عبرة لمن يراه فعند
ذلك تقدم اليه شيبوب وقال له ويلك ما أقرب خراك لعن الله أبا الحاك ثم وثبحه بالسوط الذى فى يده
فعند ذلك قال لهم عمارة يا وجوه العرب اطلبوا منى الفداء فأنا سيد كبير أحكم على جمع كثير
ويكون فى علمكم انى أنا عمارة بن زياد وأخى الربيع الجواد واذا لم تقبلوا عن نفسى الفداء بالمال والا
تخلصت منكم بلا نوق ولا جمال ويهلككم أخى الربيع ولو كنتم فى أقصى الجبال فقال عنتر وقد أوجعه
بالسوط على جلده الناعم لا خير فيك ولا فى الربيع أخيك ولا كنتم ولا استكنتم فوحق ذمة العرب
لا بد لى أن أقطع جلدك بالضرب وأشفى بعذابك قلبى وأحرمك أن تذكر عبلة مع الذاكرين أو تزورها
فى زى العبيد المنافقين وأخلص بك الدرع الذى أخذه أخوك من قيس وقلت أنت له قل لحامتك
عنتر يخلصها لك ويلك ان كنت لا تعرفنى أنا أعرفك بنفسى يا ابن الاوغاد أنا عنتر بن شداد كما أنت
عمارة بن زياد وأنا اذا ذكر اسمى تخضع له الاسد وتذل له الرجال الاجلاد (قال الراوى) فلما سمع
عمارة ذكر عنتر خرس لسانه وانهدت أركانه وأيقن بالموت بين اخوانه وعلم انه زمانه قد خانه وضحك
عليه بعد أمانه فذل بعد العز وقال بغنج وفتور وكلام كلام النسوان يا ابن العم لا تؤاخذنى بعثرات
اللسان فان صنيعك عم سائر الفرسان اشتر بكل ما تريد وأنا أسلم لك هذا الدرع المشوم فقال له
عنتر أنا لا أقبل كلام حتى أشفى منك غليل قلبى بضرب السوط والا لام (قال الراوى) ثم انه ألبسه ثياب
العبد التى كانت عليه وشده كتافا وربطه على ظهر جواده بالعرض وصار عنتر يجلده كلما تفكر مقاله
ويوجعه بالضرب ويقبح أفعاله (قال الراوى) فساروا الى الديار حتى قاربوا عمارة شدة لا ينساها ما بقى
فى الحياة ولما ان وصلوا الديار ووجدوها خامدة دخلوا الى مضاربهم وأخفى عنتر عمارة فى بيت أمه
زبيبة وأصبح فى الحى وكأنه ما ذهب منه وما مضى ذلك اليوم حتى علم الربيع بفقد عمارة واحترق قلب
أمه بناره وكذلك اخوته وما فيهم الا من يقول قتله عنتر فقال الربيع أنا قاتلى يحدثنى بغير هذا وأنا أقول
ان قيس بن زهير طرح عليه العيون والارصاد واغتاله وأخذه لاجل الدرع الذى أخذته منه ويأمل
منى ان أفديه وهذا شئ لا أفعله أبدا الا ان كان رغما عنى ويؤخذ غصبا وان كان قد فعل ذلك فأنا

أطرح الارصاد على أخيه مالك وكل من وقعت به من اخوته أخذته وأثخنته بالجراح وأعذبه مساء وصباح حتى يفدى روحه مني بأخي الذي أخذوه والا أمرت اخوتي ان يصلبوه وأصيرها عداوة أصلية حتى تصير مثلا بين سائر البريه ولا يخرج الدرع من يدي بالكليه ويعلم قيس من مناعلى الشر أقدر ومن أشد في الحيل وأمكر فقالت أمه يا ولدي أتقطع ما بينك وبين قيس من القرابة والنسب وتصيروا مثلا بين العرب فقال نعم يا أماه لانه درع من الدروع الجياد لاجل ميله لعنتر بن شداد فوالله لادبرن هلاكه وهلاك بني جذيمة وسائر الاجناد وأعمل على وقوعهم في العطب حتى يعلموا ان مثلي ما يضيع حقه ولو صبر بين العرب وان كان عنتر قتل أخي وأسقاه كأس المنية وصح عندي موته بالكلية فما أطلب ثاري الا من الملك قيس بنفسه والا فعبد شداد ماله قيمة بين العباد حتى أعاديه وأطلب معه الشر والعناد (قال الراوي) ثم ان الربيع بن زياد معدن المكر والفساد أقام يدبر فيما يصنع من المكر والكيد ووضع على أولاد الملك زهير العيون والارصاد وقال وفي أسرع ما يكون شاع الخبر بفقد عمارة بين النساء والرجال في البدو والحضر وسمع الملك قيس بالخبر واتهم بموته الملك قيس وعنتر فقال قيس والله لقد كذب الربيع واعتدى وهذا شئ ما خطر ببال عنتر أبدا ولا غاب عن الحلة ولا أقول انه يقتل عمارة لانه وقع به غير مره وخلصه من الاسر أكثر من كره ولا له عنده دين ولا مال ولو اشتهى قتله كان قتله من مدة زمان طويل وهذا أمر لا يخفى ولا بد له أن يظهر ونقابل الربيع على مقاله وسوء أفعاله وأنا أعلم انه يطرح العيون والارصاد على من يخرج في حالة الانفراد فالصواب اننا نحترز على أنفسنا من مكره وشره ثم انه أوصى اخوته بذلك الحال وقال لهم اخرجوا كل يوم بالنوبة واحفظوا المراعي والمال في جماعة من الرجال والا دهمنا الربيع المحتال فقال أخوه مالك لا يضق يا اخي من هذا صدرك ولا يشتغل فكرك وان كنت فزعا من هذا الحال فأنا أنفذ الى خليلي عنتر فارس الرجال وأكلفه حفظ النوق والجمال وآخذه وأخرج كل يوم الى المرعى والعبيد قدامنا تسعى وان تعرض لنا أحد من بني زياد أو من جميع العباد قلت لعنتر يقطع أعمار الجميع (ياسادة ياكرام) فعند ذلك قال الملك قيس لاخيه مالك هذا التدبير يؤول الى المهالك لان عنتر اذا وقع بين زياد أفناهم عن آخرهم وآثار الدماء بيننا وبينهم والصواب اننا نداوي هذا الداء الذي قد تجدد علينا وظهر حتى تنفصل نوبتنا مع خالد بن جعفر وبعد ذلك أقابله على جميع افعاله وأخلص الدرع منه بغير اختياره فاجابه مالك الى ذلك الحال وقد غاظه صبر أخيه على الاذلال وصار يخرج كل يوم مع الاموال في جماعة من الابطال وأما عنتر فانه علم بذلك التدبير واوصى اخويه شيبوب وجرير وقال لهم ان الملك قيس قد فزع من الربيع بن زياد وقد ألان له جانبه وظن انه اذا جاءت العدا يساعده وأنا ما يمكنني ان أخالفه ولا أشير عليه بما لا يريد والصواب ان يخرج واحد منكم كل يوم الى المرعى مع النوق والجمال ويحفظ أولاد الملك زهير المفضال ويقعد لهم ديدبان على رؤس الروابي والكثبان وهم لا يعلمون بالحال واذا رأوا الربيع دهمهم على غفلة ومعه الرجال يعود الى ويعلمني بالاخبار في الحال وأنا اريهم كيف يكون القتال فعند ذلك قال شيبوب السمع والطاعة فهذا ما كان من شيبوب وجرير وعنتر ثم بعد ذلك اجتمع مالك بن الملك زهير بعنتر وشكا له لين جانب أخيه قيس لبني زياد وأعاد عليه الحديث الذي قد عوّل عليه فقال له عنتر يا أمير المؤمنين مالك لا يضق صدرك ولا يشتغل سرك ودع أخاك يدبر كيف يشتهي فان أخاك يراعي بني زياد لانهم اصهاره ويظن انهم جنوده وانصاره وأما عبدك عنتر فانه قضى الحاجة من غير علم قيس بن الاجواد وأشفيت غليلي من بني زياد (قال الراوي) فلما سمع مالك بن الملك زهير هذا الكلام لم يدر ما معناه وبقي حائرا وفكره قد تاه وقال له كيف ذلك يا ابن

العم

النعم يامزيل الهم والغم فأخبره بقصة عماره وكيف انه قبضه وأنزل به الخساره وأنه عندهم فى الاسر والهوان يقاسى من العذاب ألوان فتعجب مالك من ذلك الامر وقال والله يا أبا الفوارس لقد أشفيت الغليل من هذا الوغد الذليل والصواب انك تقتله مادام أمره غير معلوم وحاله مكتوم فقال عنتر يامولاى نحن ماقتلنا أحدا من بنى زياد وجرى على قلب أخيك هذه الانكاد فكيف لو قتلت منهم أحدا وبذلت سيفى فيهم فما كان أخوك قيس يرجع يجاورنى أبدا ولكن الرأى السديد والامر الحميد ان نبلغ منهم مانريد بتطويل الروح والمداراة بحسن الاسباب فنصير محمودين العاقبة عند الاقارب والاصحاب لان عمارة مابقى له فرج الا بالدرع الذى أخذه أخوه من أخيك لانه قد ضمن لى هذا من مدة طويلة من الزمان وأنا الى الآن ماشفيت من عذابه والهوان (قال الراوى) وبعد أيام من قبض عمارة وقع الصياح فى أطراف البيوت ودخل شيوب على أخيه عنتر وأعلمه بذلك الخبر وقال له قم والحق صديقك مالك ابن الملك زهير قبل أن لا تلحقه الا وهو هالك لانه اليوم كانت نوبته لحفظ الاموال فشن عليه الغارة الربيع ابن الاندال وقتل من رجاله خمسة رجال وما أتيت اليك الا وقد تركتهم فى أشد القتال فقال عنتر اى وأبيك اليوم أريك قتالا تقر به عيناك ويعجبك ويرضيك ثم ركب فى الحال على ظهر جواده الابجر الذى قوائمه أقوى من الحجر ثم انه تقلد بحسامه الصمصامى الابتر الذى فى فرنده الموت الاحمر واعتقل برمحه الاسمر الذى لا يبقى ولا يذر وخرج من البيوت والخيام كأنه أسد خرج من الآجام وحرك الجواد حتى وصل الى رأس الوادى الذى خرجت منه الرجال وفعلت هذه الافعال فدعينه فرأى الربيع بن زياد واقفا فى خمسة فوارس من رجاله والاقارب والباقى احتاطوا بمالك بن زهير من كل جانب وقد طلبوه بالقنا والقواضب وعبيد الربيع تسوق النوق والجمال وهو فرحان ببلوغ الآمال ويأمل أن الرجال والابطال تأسر مالك بن الملك زهير وتحجز هذا الحال (قال الراوى) فلما رأى عنتر هذا الامر المنكر طار من عينيه الشرر وهدر وزمجر وشتم وبربر وصارت عيناه مثل الجمر الاحمر وزعق على العبيد زعقة الاسد القسور فاقشعرت من هول صرخته الابدان وتأخرت من هيبته الفرسان وسمع الربيع منه ذلك ورأى بعينه خلاص مالك فأيقن بالمهالك وقال لمن معه يابنى عمى والاخوان من أوصل خبرنا الى ذلك الشيطان فأتى البنا فى هذا المكان فكأنه كان مختفيا بين الشعاب وكأنه حاسب هذا الحساب والدليل على ذلك انه أتانا وحده وما معه أحد من جنده فأريد منكم المعاونة عليه لعل أن يبلغ قلبى مناه وأنال منه ما أتمناه ثم نزل من أعلى الرابية وطلب موته وفناه من قبل أن تطلبه فرسانه وجماه * هذا وقد اقتحم الربيع الغبار وزعق زعقة الجمار وقد أراد أن يبارز عنتر الفارس الكرار ويغتنم الفرصة فى ذلك النهار واذا بأخيه ظهر من تحت الغبار وعقله قد انسلب وهو ينادى باللعرب قصف والله أصلاعى هذا العبد الزنيم الراعى * قال وكان عنتر لما رآه بالعين طعنه طعنة قصف له ضلعين وصرخ فيه صرخة الاسد الغالب فولى من بين يديه هارب وقد ضاقت عليه جميع المذاهب فلما سمع الربيع ذلك ذاب جسمه وزاد به الغضب والحنق وتمنى انه لم يخلق ولحقه فى نفسه الخبال وأيقن بخيبة الآمال وصاح فى عبيده وقال ويلكم يابنى الاندال سوقوا هذه الاموال حتى أخرج أنا الى هؤلاء الاندال وأنزل الى هذا العبد المخذول وأقاتله قتال الفحول لعلى آخذ لاخى عمارة بالثار ونعود كلنا الى الديار ثم انه صاح فى فرسانه وأطلق لجواده عنانه واذا هو بالرجال قد ظهرت من تحت الغبار وهى طالبة الهرب والفرار * هذا وعنتر قد فرق الفرسان يمينا وشمالا وهو يطعن فى أعقابهم طعنا قتالا فقال الربيع يالله من يوم ما أيشمه ووقت ما كان أعظمه فيه أهلك هذا العبد فرساننا وأباد أبطالنا وان كان يلحقه من بنى عبس النفير لا يترك من فرساننا الا قليلا ولا كثير ثم انه التفت فرأى جميع

الفرسان الذى معه هاربه والى النجاة طالبه فعاد الآخر يطلب النجاه وقد طلب عرض البر والفلاه وأيقن بحلول الوفاه فان يوم الشر قد فاجأه فعند ذلك نظر عنتر اليه ودرع الملك قيس عليه فاسودت الدنيا فى عينيه وانقض عليه انقضاض الكوكب وجعله قصده والمطلب وضيق عليه البر والسبب وطعنه بعقب الرمح فانقلب فنادى الربيع بالويل والثبور وعظائم الامور وقام على قدميه وقد أثقله الدرع الذى عليه فانقطعت منه حمائل حسامه فوثب كأنه جمل انكسر عظم سنامه وكاد من خوفه أن تقايا ماشرب من أمه من اللبن وصاح بأعلى صوته يا ابن العم لا تفعل أنا فى جيرتك يا ابن الكرام الصنيعة الصنيعة أيها البطل المقدام فصاح فيه عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام الآن قلت الصنيعة يا ابن اللئام اخلع الدرع عنك وارجع بالارغام والاوحق الملك العلام خالق الضياء والظلام ومنشئ الامم وجميع الانام ضربت عنقك بهذا الحسام الصمصام وجعلت يومك أنحس الايام فقال له السمع والطاعة يا ابن العم يا منزل الهم والغم اصبر على ولا تعجل حتى أخرج كمى منها بالعجل ثم قلعها وسلمها اليه وظن أن روحه خارجة من بين جنبيه فعند ذلك تسلمها عنتر وعاد وقد بلغ المراد واشتفى غليله من بنى زياد وانشرح صدره من بعد ما كان محزون الفؤاد وجاش الشعر فى خاطره فباح بما استقر فى ضمائره فأنشد وقال

ألا يا عبل ضيعت العهودا * وأمسى وصلك الماضى صدودا * ومازال الشباب ولا كتمنا
ولا أبلى الزمان لنا جديدا * ولازالت صوارمنا حدادا * تقد بها أنا ملنا الحديدا
سلى ابن زياد عنا حيث كنا * شفينا من رجالهم الكبودا * وخلينا نساءهم حيارى
قبيل الصبح يلطمن الخدودا * ملأنا ساتر الاقطار خوفا * فأضحى العالمون لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا فى علاها * فلم نترك لقاصدنا مزيدا * اذا بلغ الفطام لنا صبى
تخر له أعادينا سجودا * ومن يقصد بنا هيهات منا * يرى منا جبابرة أسودا
تدير الطعن بالسمر العوالى * اذا ما الحرب أنجحت الكبودا * ونضرم نارنا فى كل أرض
تذيب العظم منهم والجلودا * اذا دارت على قوم رحانا * تركنا عامر الاطلال بيدا
ويوم البذل نعطى ما ملكنا * ونملا الارض احسانا وجودا * أنا العبد الذى يلقى المنايا
حقيق فارس الهيجا مجيدا * علوت بهمتى أعلا الثريا * بسعد بازخ وثناء جيدا
وفى الآفاق ذكرى شاع جهرا * وفعلى فى الورى أنمى سديدا
ولى نجم سعيد من اله * قديم قادر خلق العبيدا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام الاوخيل بنى عبس طالعة من وسط الاكام وهم لبعضهم تابعين والملك قيس فى أوائلهم مثل الاسد العرين وما صدق ان يرى أخاه ومن معه سالمين فلما رآه هذا وعنتر قال له يا مولاى أتعبت سرك فخل عنك وعبدك عنتر يهلك عدوك واقد خلصت لك درعك الذى كنت بسببه حزينا وقد أشفيت قلبك من أعدائك وسأبلغك منهم مناك (قال الراوى) ففرح الملك قيس فرحا شديدا ما عليه من مزيد * قال وكان السبب فى مجيئهم الى هذه الفرسان الذين كانوا مع الامير مالك انهم كانوا خرجوا على عبيد الربيع المحتال فقتلوهم جميعا وخلصوا منهم الاموال والنوق والجمال ولما رأوا عنتر فعل هذه الفعال رجع بعضهم الى الملك قيس وأعلمه بالحال فخرج على الاثر حتى التقى بأبى الفوارس عنتر وجرى ما جرى وأما الربيع المحتال فانه رجع وهو خائب من كل جانب موجوع الظهر من شدة الوقعه وما حصل له من تلك الفجعه وانه حين أمن على روحه من القتال جمع من كان معه من الرجال الذين هربوا فى الجبال وتركوه ممدودا على الرمال وكان أكثرهم ما خرج من وادى اليعمور به ولا حضروا حربا ولا قتالا بالكليه فعتب عليهم الربيع ولامهم وقال لهم

يا بنى

يابنى عمى ماهذه الفعلة التى فعلتموها وماحضرتم هذه الوقعة ولاشاهدتموها ووقت الحاجة اليكم تخليتم عنى وخذلتمونى عند ازحال وقتال الابطال فقالوا له وماتريد منا يارييع أنحب أن نقاتل معك ملوكنا ونشاقق بالعداوة ساداتنا ونثير الدماء وتبقى العداوة بيننا وأكثرهم أقاربنا وأزواج بناتنا وما كفاك انا جئنا معك الى هذا المكان وتركنا لاجلك الاوطان (قال الراوى) فلما سمع الربيع ذلك المقال علم انه ماينال بهم غرض ولايشفى بهم مرض فقال لهم يابنى عمى اذا كانت هذه النية نيتكم وقد عقدتموها بينكم فارحلوا الى ساداتكم فانى غنى عنكم وعن نصرتكم ولاحاجة لى بمجاورتكم فقالوا له تعست مرافقتك وفى أست أملك على أم والدتك فهانحن راحلين والى قومنا واصلين (قال الراوى) ثم انهم عادوا الى بنى عبس وكان وصولهم عند طلوع الشمس وقد اعتذروا من أفعالهم الى بنى عمهم ونزلوا فى أماكنهم وأطلالهم وأما الربيع بن زياد فانه ارتحل الى بنى فزاره الطائفة الغداره فعلم عنتر برحيلهم فأطلق عمارة أخاهم وهو فى زى العبيد وفى يديه ورجليه أثر الرباط الشديد بعد ماجازاه على فعاله وقطع بالضرب أوصاله وكان قال له يامذلول السبال وحق الملك المتعال لاتركنك طول العمر فى الاعتقال ولاترى أهلك أبدا وكنت تقاسى العذاب سرمدا فلما قضى عنتر أربه قال له بعد ماقضيت الحاجة مابقى فى اعتقالك ارادة فسر الى أخيك القرنان وقل له يامذلول السبال وذميم الافعال افعل ماعندك واجهد أعظم جهدك فلا رحم الله أباك ولا جدك وان فعلت شيأ فأنا به أجازيك وعلى فعالك أكافيك ثم انه أطلقه وهو لايصدق بالنجاه لانه كان أيس من السلامة والحياه (قال الراوى) وكان أخوه نزل على بنى فزاره معدن الخبث الطائفة الغداره وأعاد على حذيفة جميع قصته وأطلعه على بليته وأخبره بفقد عماره وما ناله من الذل والخساره فقال له حذيفة ماكان يحتاج الى نزولك فى وادى اليعمورية بل كنت تأتى الى ههنا ونحن كنا شديدنا معك وحميناك وبكل ماغلك من أموال الفادينا ك فقال ياحذيفة انك غاية الآمال وعنتر سباله مذلول ولاتترك تلك الفعلة لذلك الزربون فلا الغدار الخؤون فعند ذلك قال حذيفة أما عمارة فما فات عنتر بن الاندال وماهو الا عنده فى الاعتقال أوقتله وأخفاه بين آكام الرمال فقال الربيع والله أيها السيد الكريم مالنا غير ه خصيم ومصابنا كلها من هذا الشيطان الرجيم لكن وحق الاله القديم وزمزم والحطيم لابد من التدبير على هلاكه واتلاف مهجته ولوفنى جميع اخوتى ومن بلوذ بى من أهلى وعشيرتى (قال الراوى) فبينما هم فى تلك العباره اذ قد وصل اليهم الامير شرف الدين عماره وهو على تلك الحالة التى وصفناها والقصة التى عرفناكم اياها فصعب ذلك على الربيع وعلى اخوته وبكوا حين رأوا تغير صورته وسألوه بعد ذلك عن قصته وما جرى له فى غيبته فأخبرهم بالقصة من أولها الى آخرها وليس فى الاعادة افاده فصعب ذلك على الربيع وعلى بنى فزاره الجميع فقالت أمه فاطمة أنت ياولدى مافرغت معارضتك لعنتر وما كفاك هذه المصائب والعبر فقال لها عمارة ياأماه ياأماه والله ان القتل أهون على مما لاقيت من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم ولكن وحق ذمة العرب لابد لى أن أهلكه وآخذ عبلة وأبلغ منه ماأريد فقال الربيع بالله ياأخى اقصر عن هذا الكلام فقد انفتح لى باب أبلغ به كل الارب وبعد ذلك نشتت بنى عبس عن كل العرب ثم انه وقف قائما على الاقدام وأخذ يدبر الحيل وينقش العمل وسيكون له معنا كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه (وأما ما كان) من بنى عبس الكرام فانهم قد أتاهم خبر من السفار ان خالد بن جعفر جمع عليهم عرب البرارى والقفار ومعه أخوه الاحوص بن جعفر فى بنى عامر وبنى كلاب وانه طرح نفسه على شيخ العرب زيد بن الصمة فأرسل معهم أخاه عبد الله فى جيش كبير من بنى جشم وهوازن وجمع لهم تمام اربعين ألف عنان وهم الجميع طالبون اليكم وقادمون عليكم فخذوا أهبتكم للحرب والقتال والا ارحلوا الى أعلى الجبال تحمى لكم الحريم والعيال وأيضا وصل الخبر الى بنى

فزارة فأنفذ حذيفة الى الحرث بن ظالم وطلب منه النصرة على بنى عامر وأخبره بما جمع خالد بن جعفر
فى هذه المرة (قال الراوى) وقد طلب حذيفة الربيع لان يشاوره ان كان يرحل أو يقيم فى أرضه فلم يجده
فسأل عنه من اخوته ومن فرسان قبيلته فقالوا له انه من منذ أيام أخذ أخاه عمارة وطلب هلاك عنتر بن
شداد والى الآن ما عاد فقال حذيفة نحن فى شئ والربيع فى غيره ثم انه أمر قومه أن يأخذوا أهبة الحرب
والطعن والضرب وبقى منتظرا من قيس رسولا يقول له كيف يدبر وماذا يفعل نال وفعل قيس مثل ما فعل
حذيفة لما بلغه ما جمع خالد بن جعفر وكيف انهم انقسموا قسمين كل قسم عشرين ألف فارس فقال
قيس كذب فاله وخزى شيطانه ولعن سبباله ثم انه جمع بنى عبس وفرق عليهم الزرد والدروع
والسلاح وآلة الحرب والكفاح وبعدها طلب عنترا ليأخذ معه فى المشاورة فما وجده ولا سمع له خبر
ولا جلية أثر فقلق لذلك وتحير وأخذه لاجل ذلك الفكر والضجر فأحضر أخاه جريرا وسأله عن حاله
فقال له يا مولاى من مدة ليال صاح به صائح فى غسق الظلام وطلب منه النجدة والذمام فركب يا مولاى
وأخذ معه أخاه شيبوب والى الآن ما عاد (قال الراوى) فعند ذلك صعب على قيس ودق يداعلى يد ونال
والله لقد فقدناه فى أضيق الاوقات وهذه عاداته لا يسبر قط فى شغل ويعلم أحدا بحاله ثم انه أشار على اخوته
وأعمامه فيما يعمل وقال قد رأيت انى أرسل الى بنى فزارة تأتى الى ههنا بالمال والعيال والحريم
والاطفال ونكون نحن فى أرض واحده ونكون على الاعداء عصبة مساعده فقالوا له ما رأيت الا الامر
السديد والرأى الحميد فقال الامير مالك بن زهير لاخيه قيس يا أخى لا ترسل الى بنى فزارة مادام الربيع فيهم
فقال جماعة من بنى عبس للملك قيس هذا الرأى الذى قاله أخوك هو الصواب ثم بعد ذلك أشاروا على قيس
بارسال الرسول فأرسل من يومه الى بنى فزارة يأمرهم بالمجىء (قال الراوى) وكان حذيفة بن بدر قلبه على
الربيع ملآن فزعا فما عاد ولا وصل الا فى اليوم الذى أتى فيه رسول قيس وكان وسوله هو وأخوه عمارة
بالليل وكان قد سار معهم أربعون عبدا فما رجع من الجميع واحد ومن الغد بلغ الامير حذيفة مجيئه
فأحضره وسأله عن حاله فقال له بلغت المراد من عنتر بن شداد وأهلكته بحيلتى وهلك معه أربعون عبدا
من عبيدى وعبيد اخوتى لاننا لما ملكناه وعولنا على قتله جاءتنا خيل غائره وفرسان سائره وكانت
أكثر من مائتين فارس فاهلكوا باقى عبيد اخوتى وعبيدى وأخذوه معهم وطلبوا به عرض الفلاة
ورأيتهم يطالبوه بالدما وقد دار واحوله بالسيوف والقنا فنجونا نحن بأنفسنا وقد علمنا انه مقتول
لا محاله وأيقنا ببلوغ المأمول والمنا بلا اطاله فلما سمع حذيفة بن بدر مقالهم قال وحق البيت الحرام
ان بلوغ الانسان مناه يساوى الدنيا وما فيها (قال الراوى) ثم انه أعلمه بالاخبار التى سمعها عن خالد بن
جعفر ثم استشاره فيما يفعل وهل يقيم فى داره أم الى بنى عبس يرحل وأعلمه برسالة قيس بن زهير
المفضل فقال له الربيع يا ابن العم لا تفعل دعنا ههنا نحمى حريمنا وعيالنا وأهلنا وأطلالنا ودع قيسا
يدبر أمره كما يريد لاننا أظهر منه وأقوى لا سيما اذا وصل الينا الحرث بن ظالم فى بنى مره والملك قيس
قد علم بعدم عنتر فى هذه المره فاسمع منى ودع قيسا يتفصل بنفسه حتى يرى بعينه المذله ويعلم اننا
كنا نحميه ونحفظ له أرضه ومراعيه وانه لا يقدر أن يلقى أعداه ولا يقيم فى أرضه وبرباه فقبل
حذيفة ما قاله الربيع بن زياد وسمع رأيه واعتمد عليه ثم انهم اتفقوا على أن يردوا رسول الملك قيس
خائبا فردوه وكان الجواب لرسول قيس من الربيع أن قال له ويلك قل للملك قيس يحمى نفسه
ويحفظ مراعيه كيف أراد هو وعنتر بن شداد الذى يقول انه حاميته وبدع بنى فزارة تدبر أمرها وهى
تعاونه على بعض أعداه وانه لو لا عنتر لكان بينهم وبين بنى فزارة معامله ولا كانت صحت عداوة خالد بن
جعفر وبنى عامر الاكابر (قال الراوى) فلما وصل رسول الملك قيس بهذا الجواب وفهم هذا الخطاب

استصوب

استصوب الجماعة وقيس رأى مالك فى الاول وقوله لا ترسل اليهم رسولا فقال الملك قيس لعن الله الربيع ابن زياد لانه ما خلع لباس المكر من رجليه ولا تزول بغضتنا من قلبه حتى تدور الدوائر عليه * قال وما زالوا على ذلك الامر والشان حتى وصلت اليهم بنو غطفان فى أربعة آلاف فارس مع مقدمها ثابت بن حسان وكان الفتى ثابت أحب الناس اليه بنو عبس وعدنان وهم أقارب وفرع من عدنان (قال الراوى) فلما وصلوا ترحب بهم الملك قيس وانزلهم فى أعز مكان وشاور حسان فى أمر القتال فقال له يا ملك الصواب رحيلنا الى أعدائنا لان ذلك أجود لنا وأهد ألقلوبنا فقال قيس هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم جعلوا يدبروا أمورهم ويهيئوا أشغالهم حتى سمعوا ان الاعداء قاربت أرضهم فرحلوا فى ثمانية آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس عليهم البيض والزرد والخود والعدد متقلدين بالسيوف الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين على الخيول العربية الا ان الجميع مستوحشون لغيبة عنتر بن شداد لاسيما أسيد بن حذيفة وعروة بن الورد ومن كان يحب عنتر صار يتصعب عليه (قال الراوى) ثم ساروا الناس فى ذلك اليوم حتى أمسى المساء ونزل بهم الملك قيس ونال يا بنى عمى خذوا أهبتكم من ههنا للعرب والقتال فما يمكننا أن نبعد عن الحريم والعيال أكثر من هذا الحال * قال فعند الصباح طلعت عليهم نواصى الخيل وثار عليهم الغبار حتى بقى النهار مثل الليل وصاح خالد بن جعفر فى بنى عامر وقد وصلت الجيوش والعساكر وظهروا من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب واهتزت الارض من ركض الجنائب وتزاحمت الصافنات واهتزت الجبال من كثرة الصياحات والزعقات ونادى خالد ابن جعفر ألا ما أبركه من صباح وحمل ملاعب الاسنة وطلبت فرسان العرب الحرب والكفاح ونادت بنو عبس بأنسابهما المتصله وتلقت جميع الفرسان المقبله واشتبكت الرماح مثل آجام القصب وكثر الركض والنهب حتى كادت الجبال بهم تنقلب وفتكت الاسياف فى الدروع واللبب وجرى الدم وانسكب وعظم الويل والحرب واشتد الغيظ والغضب وهان المال المكسب وافتخرت سادات العرب ودنا الاجل واقترب وزادت الوساوس والكرب (قال الراوى) واصطفت الخيل فى الصدور وبان صبر الصبور وقطعت الايادى والنحور وسفكت الدماء على الارض وهتكت الستور وحامت على القتلى الجوارح والطيور وتقايضوا باللحاء والشعور وظنوا أنه يوم البعث والنشور وقد بعث الله جميع من فى القبور فسبحان العزيز الغفور وصاح خالد بن جعفر الثار الثار وأظهر ملاعب الاسنة منعته بضرب السيف البتار وصدمت القبائل بنى عبس تحت الغبار واندفقت عليهم مثل موج البحار واندهش الشجاع وحار وهربت الاشرار وتقدمت الاخيار وما صدقوا بانسدال الليل ومضى النهار حتى نزلوا وقد أبصروا ما حيرهم وأدهش فكرهم من كثرة العدد وزيادة المدد فقال قيس يا بنى عمى ما كان رحيلنا عن الحريم بصواب لان بين أيدينا خلق كثير ولو سار أحد منهم الى حلالنا تركها قاعا صفصفا وما فى الامر الا أنا نعود الى العيال ونقاتل دونهم بالحسام والنبال حتى نموت كراما ولا نعيش لئاما فان هذا الامر كان مقدرا علينا من رب السماء وقد فقد حامينا عنتر رئيس النبلاء وصعب علينا ما جرى لنا * قال ثم أقاموا حتى رقدوا من الليل هجعة وركبوا على ظهور الجنائب فصاح خالد بن جعفر وسار فى آثارهم الى الصباح وقد زاد طمعه فيهم فلما رأوهم بنو عبس قد اقتفوا آثارهم وقع بهم شدة الفزع لما رأوا جيش الاعداء قد طلع ثم انتشب الحرب بين الفريقين ووقعت المقاتلة بين الطائفتين وصارت طائفة بنو عبس تقاتل عن أنفسها وتدفع وصارت الجماجم تتطاير وسيوف المنايا تقطع وكادت الخيل من تحتهم أن تقع وانقطع طريق الطمع وسال الدم وهمع والنساء ينادون باسم حاميهم عنتر ويصحن صياحا منكر ويصرخن صراخ من قد فجع بحاميته * هذا وعبلة قد وكف دمعها وهمع وقطعت

شعورها من الحزن والجزع وتهتكت من حولها النساء وكشفن كلهن الشعور عمادها هم من عظائم الامور ونادوا يابنى الاعمام أين البطل الغيور أين من كان يستر الحريم فى مثل هذا اليوم المشهور قاتلوا يابنى الاعمام ولا تتركونا فى قبائل العرب جوارا خدام واسبياه وافضيحتاه واغربتاه * هذا والقتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والبلاء على بنى عبس قد نزل وغشم بن مالك قد حمل وقتل الشجعان وما أمهل (قال الراوى) وعند آخر النهار كشف الملك قيس راسه وألقى ما كان عليه من لباسه ونادى فى بنى عمه واخوته ياويلكم يابنى جذيمة تختارون الحياة والهرب وتخلون انساءكم سبايا مع العرب ثم انه حمل واستقتل وفعل اخوته مثل ما فعل وحمل عروة بن الورد ورجاله ودام السيف يعمل والدم يبذل حتى دخل الليل وافترقوا عن بعضهم البعض وقد انكسر بنو عبس الى الخيام وكذلك بنو غطفان وقد أسروا منهم مائتين وخمسين فارسا على بد ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل * قال ولما هدأ الليل زاد بكاء الاطفال والنساء وكان اعظمهم حرقة واكثرهم مشقة عبلة ابنة مالك بن قراد لفقد حاميتها عنتر بن شداد (قال الراوى) وكان أكثر الرجال أيسوا من قيس وبنى جذيمة جميعا لان ملكهم بعد عنتر قد زال وانهدم وعلموا أنه أشرف على الهلاك والعدم وقال قيس وحق ذمة العرب ما كانت هيبتنا الا بعنتر فيا ليت شعرى أين هو من آثار القضاء والقدر وما الذى أصابه من الامر المنكر ويا هل ترى يعلم ما وقع فيه بنو عمه من هذا الضرر وما حل بعبلة من الخطر والقضاء والقدر فهذا ما جرى لهؤلاء من الخبر (وأما ما كان) من بنى فزارة الغرر فانه دهمهم عبد الله بن الصمة أخو دريد فى عشرين ألف فارس من العرب وكانوا قد تبعوه فى طلب المال والمكسب فقاتل بنو فزارة أول يوم والثانى ونزل عليهم النعس والنكس وكانت مصيبتهم أعظم من بنى عبس وما كانوا مستظهرين الا بالحارث بن ظالم لان الفارس الجيد اذا كان فى طائفة حماها وكان الربيع بن زياد قد نصح فى هذه الوقعة هو واخوته فى القتال وكان فرحهم بفقد عنتر بن شداد ووقوعه فى الشدائد والانكاد (قال الراوى) فهذا ما جرى لهم من الايراد واسمع ما كان من أمر عنتر بن شداد وذلك أنه بعد أخذه للدرع من الربيع الصقيع وجرى له ما جرى وأطلق عمارة الرقيع فبينما هو ذات ليلة من بعض الليالى أراد أن ينام واذا هو بصائح فى جنح الظلام هل من مجير هل من نصير أين أصحاب النخوات أين أصحاب العزمات أين من يغار على البنات العربيات يا أبا الفوارس الحقنا ومن هذه البلية خلصنا فأنا بك مستجير ياذا البأس الشديد ان الاعداء سبوا حريمى وحجزت عن لقاء غريمى * قال فلما سمع عنتر ذلك الصوت فى الليل الهادى آلم قلبه نداء هذا المنادى فعند ذلك صاح على أخيه شيبوب وقال له قدم لى الجواد يا ابن الام فقام شيبوب وشد عليه عدته فوثب عنتر وعلا على صهوته وسار مع الرجل المستجير به لان العرب فى ذلك الزمان كانوا كما قيل فى حقهم هذه الابيات

قوم اذا نادى اليهم خائف * لبوه قبل سؤالهم عن حاله
وحموه من اعدائه حتى يرى * شهما عزيزا عندهم بعياله

(قال الراوى) ومازال عنتر يركض خلف ذلك الرجل حتى مضى أكثر الليل فعندها ناداه عنتر ياوجه العرب قف الآن وأخبرنى بحالك ومن هو الذى أخذ مالك وسبى عيالك وأبشر بكل ما تريد ولو أن خصمك كسرى أو قيصر قلعت منه الاثر وجعلته عبرة لمن اعتبر وهيجت فرسانهم الى سد اسكندر فعند ذلك بكى الرجل وقال ياحامية عبس وعدنان أنا رجل من بنى شيبان ولى اتصال بالامير بسطام وكان معى بنت عمى وابنتى وكنا سائرين الى بنى مرة لاختى شقيقتى فلما وصلت الى هاهنا طلع على عشرون فارسا وأظنها من أرضكم فجروحونى وأخذوا حريمى ورجعوا فهذه شكوى قصتى وأنا قد سمعت

بذكرك

بذكرك وانك كثير الغيرة فقصدتك وأنا مستجير بك أيها البطل الكريم وأريد منك أن تبلغني المراد
كما سمعت عنتر بن شداد قال وكان هذا الامر قد دبره الربيع بن الاوغاد وأرسل هذا الرجل وعلمه أن يقول
هذا المقال وسار هو وأخوه عمارة في أربعين عبدا شداد وكتموا لعنتر الى أن يأتي مع الرجل الذي سار اليه
حتى يطموه بالاحجار الثقال ويقيموا في وجهه الحصا والرمال فلما وصل عنتر عندهم وصار في وسطهم صاحوا
عليه من كل جانب وطلبوه بالقنا والقواضب فصاح يا بني الزواني والله لاسلمت لكم روحي أبدا حتى
أشفي فؤادي منكم بالردا ثم قفز بالجواد فتعثر فعرف شيبوب انها حيلة فأراد أن يرمي بالنبال فدهمته
الرجال ودار وابه من اليمين والشمال فسل الخنجر وهجم عليهم فقتل منهم خمسة عبيد وقاتل قتالا
شديدا حتى انه جرح وتكاثرت على عنتر الرجال قال وكان بعضهم معلقا في الجبال ومعهم الاحبال
فقدموها قدام جواد عنتر فتعثر ورموه بالاحجار وأخذه الانبهار ثم انه ترجل عن الابجر خوفا عليه
وسل حسامه وغاص فيهم في سواد الليل والغسق وضرب فيهم ضربا يورث البوار والقلق حتى كثر
عليه رمي الاحجار مع الصخور الكبار وأشرف على الهلاك والاخطار وهو صابر صبر كرام الرجال
حتى قتل عشرة من العبيد اللئام ولكن مع القضاء والقدر أتاه حجر من الاحجار الكبار فرماه على وجهه
في القفار فعند ذلك ركبت العبيد صدره وملكت قياده وأسره وأتاهم الربيع وعماره وأعانوا عبيدهم
على هذه العباره وشدوه على ظهر الجواد وخرجوا به من فم ذلك الواد وكان الفجر قد طلع والصبح قد
قد أسفر فعند ذلك قال الربيع الزنديق اعلوا بنا الى رأس هذا الطريق حتى نلعب في جسده
بالسيوف والمزاريق ونفرج عليه كل عابر طريق فقال عنتر بن شداد ويلك يا ابن الاوغاد أنت
اجتهدت باحتيالك حتى بلغت مني آمالك فاقتلني وعد الى أهلك والديار قال فالى أين أنت سائر في
القفار فقال عماره مما في قلبه من الحراره لا ذمة العرب يا ولد الزنا لا نقتلك حتى نشفي بعذابك
قلوبنا ثم ان عمارة وثبه بالسوط على اكتافه وزاد بالضرب عليه حتى انغاظ عنتر واحمرت حمالق عينيه
فانقلب على صفحة قفاه وناول عمارة بالكعب فحكم في عين ثقبته فوقع الى الارض وصار اعلى ما فيه رجلاه
وبقي حاله عبرة لمن يراه وبعد ذلك قام على حيله والبول يتقاطر من ذيله فصاح عليه عنتر صيحة ارجف
بها فؤاده وقال له ويلك يا طنجير هذا الضرب لا يصلح لمثلي وانما يصلح لمثلك أنت لانك طنجير وأما أنا فيصلح
لي ضرب الحسام من يد فارس همام في مثل هذا البر والآكام فوالله ما تركت العرب منكم أحدا من
بعدي فقال عمارة يا أخي أنا عوّلت ان أقطع يديه ورجليه لاذيقه التنكيد وأخليه في هذا البر يقاسي العذاب
الشديد فقال الربيع لاخيه عمارة افعل بنا ما بدا لك وعد من قريب (قال الراوي) فبينما هم على ذلك
الحال واذا هم بعشر فوارس قد طلعت عليهم من صدر البر فتأملوها واذا به عشرين أخرى وهي من ورائهم
تركض واذا بثلاثين وفرقة أخرى خمسين ومن خلف الجميع غبار زائد يدل على جيش كبير يبلغ
مقداره ألفا ومائتين فقال عمارة يا أخي هذه وقعة مثل الطين قال الربيع ويلك يا عمارة اقتل هذا المذلول
عنتر وارجع بنا الى أهلنا قبل أن يأتينا من يشغل قلوبنا فعند ها شال عمارة يده بالسيف وهم أن يضرب
به عنتر فصهل جواده الابجر ومرمر السحاب اذا انحدر وطلب الخيل المقبلة في البر الاقفر لانه كان
معودا من صاحبه بطلب الفرسان اذا أبصرها وكان الفجر قد طلع وأبصرت الخيل هؤلاء في ذلك البر
حائرين فطلبوهم من كل جانب وتسابقوا اليهم مثل السلاهب وقدموا نحوهم الرماح وأكثروا من
حولهم الصياح فقال الربيع لاخيه عماره انجوا بنا الآن والا وقعت بنا الخساره (قال الراوي) ثم ان
الربيع لوى عنان جواده وطلب الاهل والديار وكان قد بقي معه عشرون عبدا من الذين كانوا معه
فشالوهم الفرسان على أسنة الاشطان وقد تقدم مقدم القوم الى عنتر ونظر اليه فعرفه وعرف أخاه

شيبوب وقد كان فى رقبته حبل طويل وهو مع العبيد الذين هم للربيع وهو مغلول اليدين ولما ان ملكته
العبيد كانت الفرسان به دائرة فما قدر على الهرب لاسيما وأخوه مشرف على العطب بل صبر وأراد أن يبصر
ما يجرى عليه من هؤلاء الفرسان الذين داروا حواليه ان كانوا أعداء أو اصدقاء ومن أى العرب هم بين
العربان (قال الراوى) وكانت هذه العربان من بنى خولان وقد أتوا من أرض بارق فى طلب المعاش
والمكسب فلما ان سمعوا بأن أرض بنى عبس وقبائلها قد اختلفت وان العرب طلبوهم مع خالدين جعفر
من كل جانب أتوا الى ذلك المكان لعل أن يكسبوا شيأ من المال فوقعوا بالربيع وعمارة وهؤلاء العبيد وعنتر
وشيبوب ففرح المقدم الذى عليهم وقال لقومه أبشروا يا بنى الاعمام ببلوغ المنا بلا تعب ولا عنا واعلموا ان
هذا الفارس هو حامية بنى عبس عنتر بن شداد واعلموا أن الملك صفوان صاحب ارضنا فى قلبه منه حرارات
وأحقاد لانه قتل له ثلاثة أولاد واذا سلمناه اليه بلغنا منه المراد فعندها أخذوا عنتر وشيبوب وقصدوا بهم
أرض بارق * قال وكان الربيع وعمارة فى ذلك اليوم يأكلان كفيهما ما ندما الا انهما أيقنا ان الذين أخذوا
عنترة ما بقوا يقوا عليه فاستمرا سائرين الى أن وصلا الى بنى فزارة وأخبرا حذيفة بما جرى فما مضى الا أيام قلائل
حتى وصلت اليهم قبائل العرب مع عبد الله أخى دريد وجرى لهم ما جرى * هذا وقد جدت بنو خولان بعنتر
حتى وصلوا الى أرضهم وشدوا الامير عنترة فى أربع سكك من حديد ووكلوا به جماعة من العبيد ثم أخذ
مشاجع معه جماعة من عاداتهم وسار يطلب الملك صفوان بن مراد صاحب تلك الارض والبلاد ليأخذ
منه الاذن فى قتل عنتر بن شداد (قال الراوى) لهذا الكلام المعتبر وبعد ذلك تسامعت نساء الحى بقصة
عنتر وتواصفوا عظيم خلقته وهول صورته فصاروا يأتون اليه جماعة بعد جماعة وينظرون لعظم هيكله
وهيئته ويتعجبون كل العجب لان الشجاعة لائحة بين عينيه وقد شاعت فروسيته فى جميع الاقطار
وأخباره قد سمعت بها العبيد والاحرار وكان آخر من دخل عليه عجوز كبيرة وهى غريبة من ذلك الحى
وهى عند هؤلاء القوم نازلة ولما ان دخلت عليه ونظرته عرفته فعند ذلك انكبت عليه وصارت
تقبل أسافل قدميه وتقول له يعز على يا أبا الفوارس أن أراك فى هذه الحالة وقد طرقتك
طوارق الزمان وأصابك هذا الحدثان فقال لها نساء الحى ونساء الامير مشاجع يا عجوز من أين
لك بهذا العبد معرفة وما الذى بدا لك من الجميل حتى انك تبكين عليه وتقبلى قدميه فقالت لهم
العجوز يا حرائر العرب لا تقولوا عبد فوحق الرب العظيم رب موسى وعيسى وابراهيم ما على وجه
الارض أفرس منه ولا أشجع من هذا الفارس ولا أكرم منه فقالت زوجة الامير مشاجع يا عجوز
أما شجاعته فقد سمعنا عنها وهى مشاهدة على اعطافه ولكن اعلمينا أنت بالذى رأيت من كرمه
فقالت لها أما كرمه ومروءته فأوفى من شجاعته وأنا أعلمك بما وصل الينا من احسانه وأذكره
لك وهو ان ولدى أنتم تعرفون حسنه وجماله وأنا مالى غيره وانه لما أراد أن يتزوج بابنة عمه طلب عمه منه المهر
فأخذ معه جماعة من بنى عمه وسار فى طلب المعاش والمكسب لاجل العرس والوليمة ولما ان سار أغار على
مال هذا الفتى وساق من جماله قطعة وأراد أن يسير فلحقه هذا الفتى فاستخلص منه الاموال وأخذه أسيرا
فى حالة الذل والنكال فبكى ولدى بين يديه وقد شكا ما يجده من محبة بنت عمه اليه وعشقه لها وأعلمه انه
ما أتى وخاطر بنفسه الا لذلك فلما سمع هذا الفتى كلام ولدى وشكواه رحمه لبكاه وحل عقاله وأعطاه الجمال
التى كان قد أغار عليها وزاده فوقها مائة ناقة وقال له خذها وارجع الى أملك وأهلك وتزوج ببنت عمك
ومتى أتاك الفقر فعد الينا سريعا ونحن نعطيك ما تطلبه ثم انه ودعه وردده بجميل منه فعاد ولدى بالمال
الذى أعطاه له هذا الفتى وقد دخل على بنت عمه والى الآن ونحن نعيش فى فضله وخيره واحسانه واعلموا
انه ما فى قبائل العرب من هو أوفى منه فى الحرب ولا فى الشجاعة (قال الراوى) فلما سمع النساء منها

ذلك

ذلك المقال تعجبوا من مروءة عنتر وصاروا يتقربون اليه بالطعام ويرفقوا به عند الكلام وقد نفسوا له ذلك الشد والرباط وصاروا يفرشون له الفراش ويخدمونه الى أن ينام وقد اجتمع عنده أكثر النساء يسألونه عن عبلة وهو يشكى اليهم محبتها وقد باتوا عنده تلك الليلة (قال الراوى) ولما كان عند الصباح طلعت على القوم نواصى الخيل العادية وكان لها غبار شديد قد سد الارض والبيد وفيه جلبة وصياح قد هز الرباوالبطاح وقد لمعت منه أسنة الرماح وبريق الصفاح وفى أوائل الخيل فارس جبار وأسد مغوار لا تخمد له نار وهو ينادى بأعلى صوته يا مارية لمثل هذا اليوم كنت لك فى الانتظار حتى أبلغ منك ما أختار ثم انه بعد صياحه صرخ وصدم الرجال الذين كانوا معه ودخلوا الخيام وداسوا الاطناب وقد وقع السبى فى الكواعب الاتراب وقد اشتد عند ذلك المصاب ونشرن الشعور ولطمن الخدود ودقوا بأيديهم على الصدور وقد فزعوا من عواقب هذه الامور (قال الراوى) وكانت هذه الخيل التى كبستهم مع رجل جبار وهو من شياطين العرب الكبار يقال له مبادر بن حارح الاسود وكان يهوى مارية بنت الامير مشاجع الذى عنتر فى أسره لانها ذات حسن وجمال وقد واعتدال وفصاحة مقال وقد وصل وصف حسنها الى مبادر فأرسل الى أبيها خاطب فرده خائب وأخبره بتلك المصائب ٭ قال ومن شدة ما جرى عليه أحضر أمه بين يديه وشكا اليها محبته فقالت أنا أعلمك بشئ وهو انك تحتال على البنية الى أن تراها فان أعجبتك فاجمع العساكر وقاتل أهلها وأباها وان لم تقع بخاطرك فاتركها واسلها وخذ من بنات أعمامك أحسن منها وذلك يغنيك عن اتصالك ببنى خولان واعلم أن البنات كثير لمثلك ٭ قال فلما ان سمع مبادر ذلك الكلام قبل ما أبدته أمه له من المرام وسمع مشورتها وقد رأى أن كلامها له صواب فمن يومه قلع ما كان عليه من الثياب ولبس غيرها وسار الى القوم فى زى فقير من فقراء العرب وقد تحايل على الجارية حتى رآها وأبصرها بعد ان قعد ثلاثة أيام وهو بين خيامها فارتعدت فرائصه فرجع وقد شرع فى جمع الفرسان من قومه وهو يطلب النصر من رب السماء وقد صار يطرح نفسه على جميع الحلفاء والاصدقاء الى أن اجتمع له هذا الجمع فأرسل بعض عبيده الى حى بنى خولان ليكشف له هذا الخبر فغاب برهة من الزمان ثم عاد وأعلمه ان الحى خال من الفرسان وان الامير مشاجع غائب فى أطراف أرض بنى بارق فى جميع بنى خولان فأجمع رأيه على اغتنام الفرصة وسبى مارية وأخذها غصبا فعند ذلك أخذ فرسانه وسار فى هذه الجموع التى قد جمعها (قال الراوى) ولما ان وصل الى الحى هجم وقد حمل بالخيل التى معه حتى وقع النهب فى البيوت وقد علا الصياح فى الحلة من سائر الجنبات وما قدر أحد أن يرد من الفرسان لخافت البنات والنسوان من السبى والانهتاك وكان أكثر البلا والهوان والمصائب فى أبيات الامير مشاجع لانهم قد علموا بالقصة التى جرت وانها من تحت رأس مارية فخافوا من العار والفضيحة والشنار وصارت مارية تنادى وهى مكشوفة مهدولة الذوائب وتقول واذلاه واقلة ناصراه وفضيحتاه اليوم تحكم فينا الاعدا ونلبس العار ونبلى بالردا (قال الراوى) فلما أبصرت العجوز المقدم ذكرها التى عرفت أهل الحى بعنتر ذكرت لهم ما جرى لولدها على يديه من المكرمات وما جرى على القوم علمت انهن مسبيات فأتت اليهن وقالت لهن يا حرائر العرب ما بقى لكن الى الخلاص من سبيل ولا لكن مهرب ولا ينجيكن أحد من العرب لان أهلكن ورجالكن الجميع غياب وما ينجيكن من هذه البليه ولا ينفعكن من هذه الرزيه الا هذا الفارس الاسود الذى هو عندكم فى الاعتقال فما لكن الا أن تدخلوا على هذا الفارس المنتسب الذى هو أفضل من سائر العرب فى الفروسية والحسب والنسب وتستجيروا به وترموا أنفسكن عليه وتخضعوا بين يديه ثم تسألوه النصر والمعونة وتطلبوا منه الذمام فان انتصر لكن فهو قادر والله على هلاك هذه الاعداء ولو انهم بعدد رمل البيداء لان فيه القوة والحمية

والمروءة والغيرة على الحريم (قال الراوى) فما أتمت العجوز هذا الكلام حتى صارت الخيل العادية معهم فى الخيام وخرجت البنات الكواعب الاتراب بالشعور والذوائب وندبت النوادب وعظمت المصائب وخرجت النساء هاربات ودخلن على عنتر فى الابيات وصرن يقبلن يديه ويرتمين عليه ويقلن له يا حامية عبس وعدنان ارحم ماترى من حال النسوان وأجرنا من غدرات الزمان ثم ان جارية قالت يا أبا الفوارس أجرنى مما دهانى وساعدنى على مابه الزمان رمانى ثم أجرت دموعها وزاد تفجيعها فاغتم عنتر عليها وعلى مانالها وقد سألها عن حالها فأعادت عليه جميع ماجرى لها فلما سمع عنتر ذلك الكلام من الحريم صعب عليه فعال هذا اللئيم فقال عنتر أطلقونى وأنا أرد عنكن هؤلاء العدا وأسقيهم كؤس الردا فقالت النساء نحن خائفون من الجانبين ان نحن اطلقناك تقصد أهلك ومرباك وان نحن خليناك تسبينا الاعداء عن آخرنا فقال عنتر يا بنات وحق من أوسع الفلوات العالم بما مضى وماهو آت الذى فجر الانهار وأجرى البحار وخلق الليل والنهار وزين السماء بالفلك الدوار الملك المعبود ان أنتم أطلقتمونى من الاغلال والقيود لاأتركم حتى يفعل بى مايشاء الملك المعبود فلما سمعت النساء كلامه ومقاله وقد صمم عندهن أعماله تقدمن اليه وخلصن الحديد من يديه ورجليه وأحضرن له عدته وسيفه وجحفته وقلن له أما جوادك فانه أول ماسمع صهيل الخيل فما أمكن أحد أن يتقدم اليه الا ويقتله برجليه فقال عنتر صدقتم لانه معتاد من صاحبه أنه اذا نظر الخيل نزل عليها نزول السيل ولكن أطلقوا أخى شيبوب فانه يأتى به فعند ذلك أطلقت النساء شيبوب فقام الى الابجر ومسح ناصيته وأتى به مسحوبا وكان عنتر غارقا فى لامته ولابساعدته فقفز من الارض حتى بقى على صهوته ونظر الى الخيل وتبسم تبسم الكرام الى الاحباب وصاح صيحة الاسد اذا خرج من الغاب ودمدم كأنه الرعد فى السحاب ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد شجاع المعامع والطراد ثم انه حمل وارتمى كأنه صاعقة من السما فأبلى الاعداء بالويل والعمى وأباد الفرسان واستخلص منهم النسوان وأخرج الابطال الى خارج الخيام وقتل أحد عشر بطلا هماما وصال وجال وأنشد وقال

اذا ما كنت فى قوم نزيلا * وأمسوا خائفين من الاعادى * فلا قبضت كعوب الرمح كفى
ولا كحلت جفونى بالرقاد * وما أسرى وبيت الله عيب * وقد جربت فى يوم الجلاد
أسرت بحيلة وقضاء رب * له بطش شديد فى العباد
يسوق العبد رغما فى زمام * الى طرق الهلاك أو الرشاد

(قال الراوى) وهذه الابيات مما استدل بها على أن العرب أصحاب المفاخر والرتب وفرسان الجاهلية قديما يعرفون ان لهم خالق يحاسبهم على الدقائق ولذا أشار زهير بن أبى سلمى فى قصيدته المعلقة على البيت الحرام حيث يقول هذا الكلام

ولا تكتمن الله ما فى نفوسكم * ليخفى فهما تكتموا الله يعلم

(قال الراوى) وقد ذكرت علماء المسلمين أئمة الدين ان سائر من تقدم من الامم من زمن أبى البشر آدم يعتقدون ان الله هو الواحد الديان عظيم السلطان رازق قديم معروف من القدم واجب الوجود غافر الزلات ومحرك الحركات أبرز الخلق من العدم لكنهم اختلفوا فى طريق عبادته فاعترفوا بالتقصير لما كلفوا أنفسهم معرفة قدرته فتعبوا فيما كلفوا ومازالوا سابحين فى بحر الضلال وهم تائهون فى ظلمات الجهالة حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم بأوضح الرساله وأصدق المقاله الهادى الى الطريق الاقوم بكلامه الاحكم الصادق المصدوق فى أحكامه الذى وعد المؤمنين بالشفاعة يوم القيامه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما يرجو بهما الكاتب والقارئ والمستمع من أمته السلامه ماغنت فى الايك حمامه

وما

وما تناسلت الامم يوم القيامه وهو الذى يقوم من قبره ويداه على حشاه ويزعج أهل الموقف بنداه ورجاه وينادى يارباه ارحم من أمتى العصاه ولا تشمت بهم الطغاة البغاه فان كانوا عصوك فقد وحدوك وما عصوك الا طمعا فى كرمك لما عرفوك ثم يسجد صلى الله عليه وسلم تحت ساق العرش فلا يرفع رأسه حتى يغفر الله لاصحاب الكبائر من أمته فيسمع النداء من العلى الاعلا يامحمد ارفع رأسك فقد شفعناك فى كل من تبعك وصلى الله عليك وعرفك حق معرفتك وهو الرسول المكرم والنبى المعظم اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله واصحابه الكرام الى يوم الدين آمين (قال الراوى) ثم ان عنترة الهمام لما أخرج الفرسان والابطال من الخيام وبذل فيهم رمحه والحسام ورأى مبادر عنترا قد قتل من قتل وفعل بأبطاله ما فعل فانقض عليه انقضاض الموت المعجل وناداه ويلك من تكون من الفرسان والى من تنسب من الشجعان من قبل أن أقطع راسك وأخمد أنفاسك فلما سمع عنتر ذلك المقال صاح فيه يا ابن الاندال أنا فارس عبس وعدنان وحامى الحريم والنسوان ويلك اترك الغنيمة وارجع الى ديارك والاوطان قبل أن تشرب من العذاب ألوان فتبسم مبادر من كلامه وزاده عظيم اهتمامه وقال له ويلك أنت تدعى الكرم والفتوه والفخر والمروه وتأتى من أقصى البلاد تأخذ من يدى غنيمتى فارجع الى ديارك قبل تحيل بوارك فقال عنتر صدقت يانسل الاشرار ان البغى مصرع ولا يجلب لصاحبه منفعة وهذا من جملة بغيك لانك طلبت من الرجل ابنته فما رضيك أن تكون لها أهلا فجئت تسبيها فى غيبته وتخرق حرمته فهذا يانسل الحرام فعل اللئام ثم انه جل عليه وجال وصال وأنشد وقال

ألا أيها المغرور بين العوالم * أتتك كؤس الموت فى حد صارمى
أنا عنتر العبسى قسورة الوغا * مبيد الاعادى عربها والاعاجم
تريد بأن تسبى الحريم تعمدا * ولم تخش من رب قريب وعالم
فابشر فهذا اليوم تبقى مجندلا * وتلقى طريحا للنسور الفشاعم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من كلامه وسمع مبادر شعره ونظامه قوى عزمه وجنانه وأطلق عنان حصانه وقوم سنانه وحمل عليه وصال وجال وأشار برد أبياته عليه فقال

أتاك همام فاق كل العوالم * خبير بطعن الرمح ثم الصوارم
أيا وغد عبس لا تكون مقاتلى * فتصبح نهبا للنسور الفشاعم
فسوف تذوق الموت من حد صارمى * وطعنات رمح ماله من مقاوم

(قال الراوى) ثم حمل هو وعنتر بعد هذا الكلام وأخذا فى الضرب والاصطدام ورفع مبادر يده وطعن عنترا بالسنان فمال عنتر عن سنانه وصبر عليه حتى أوسع فى ميدانه ومال عليه وطعنه بالرمح بين ثديه أطلعه يلمع من بين كتفيه ودنعه من فوق الجواد فوقع على الارض والمهاد وطلب رجاله ففرقها ونزل عليهم نزول السيل اذا هطل وسقاهم كأسا أمر من الحنظل فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وأوسعوا فى البرارى والقفار وصار عبيدا لمن بقى من رجاله يجمعون خيول الهاربين وأسلاب المقتولين من الخيول الشارده والعدد المبدده ورجع عنتر من خلف المنهزمين وترجل عن ظهر الابجر وعاد الى البيت الذى كان فيه وأكثر النساء من الشكر والثناء عليه وقبلوا يديه فجلس عنتر فى البيت وقدم القيد الى رجليه وقال لهم أعيدوا القيود الى حالها فقال له شيبوب ويلك يا ابن الاماجد ما هذه الفعال والرأى الفاسد وما الذى دخل فى عقلك حتى انك تعود الى الاغلال والقيود وتنتظر من يرمى رقبتك ويتلف مهجتك ويلك قم وارجع الى ظهر جوادك وخلنا نطلب أرضنا والبلاد * هذا وعنتر لا يلتفت اليه ثم ان النسوان تراموا على رجليه وصاروا يقبلونها وقالوا والله لا نوضع فى رجليك القيود لانك أبد لتنا بعد

العدم الوجود فلما سمع عنتر كلامهم ورأى امتناعهم قال لاخيه شيبوب بحياتي عليك يا أخي ردني الى ما كنت عليه ولا تحلفني باليمين وتجعل الكذب لي قرين فقام شيبوب على الاقدام وقال له يا ولد الزنا ما بقيت تقدر على أكل لقمة حرام ثم انه شده شداوثيقا وقرط عليه من غيظه منه وأقام ينتظر العرضيات والامور المقضيات هذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من بني عبس وعدنان فان بني عامر أدخلوهم الابيات وأسروا من جملتهم مائة وخمسين فارسا وقتلوا أكثر من ذلك لعدم المحامي والنصير وملكوا منهم المنزل والغدير وانتصروا عليهم بكثرة العدد وزيادة المدد وصاح النساء بالويل والثبور وعظائم الامور * هذا وقد ألقت الرجال أنفسها على المهالك وضيقوا عليهم جميع المسالك وقدمت عليهم الاعداء من جميع الاقطار فأخرجتهم من البيوت قوة واقتدار وتحصنوا في العلم السعدي وقد تركوا الاماء والاحرار فقال الملك قيس يا بني عمي طاولوا القوم بالبراز لعل أن تأتينا نجدة تعيننا على فرسان الحجاز فلما سمع بنو عمه ذلك الكلام وطنوا أنفسهم على شرب كأس الحمام وتولى برازهم ملاعب الاسنة وكان آخر من برز اليه شداد أبو عنتر وهو على فرس نجدية بقوة عبسية الى ان صار في وسط الميدان فتذكر ولده عنتر فاض دمعه وانحدر فزاد به الذل والهوان واحترق قلبه بالنيران فأشار يرثي ولده بهذه الابيات

ترى أي سهم من سهام المصائب * أصابك يا ابن الاكرمين الاطايب
وأي شجاع مد نحوك باعه * وباعك في الفرسان أمضى المضارب
ترى أنت حي يا بني فارتجي * لقاك كما يرجى لقاء كل غائب
والا قتيل في الفلاة مجندل * ينوشان وحش البر من كل جانب
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا * يعد بجيش حافل وكتائب
وكنت ترد الخيل عنا مغيرة * خلاة الهوادي داويات الجوانب
أيا ولدي مذ غبت عنا تبادرت * خيول الاعادي نحونا كاللاهب
ودارت بنا الاعداء من كل جانب * يرومون أن يسبوا ذوات الكواعب
ودار بنا بحر يموج عبابه * بسمر القنا والمرهفات القواضب
وقد أصبحت أبناؤنا في يد العدا * وأزواجنا بين المضارب
ونحن حيارى والنساء حواسر * يقدن الى بيت العدا بالذوائب
وعبلة تبكي من فؤاد مقرح * اليك وتهمي بالدموع السواكب
وها قد خرجت اليوم أبذل مهجتي * وألقى شجاعا عارفا بالنوائب
لعلك تأتينا وفينا بقية * بعزمك يا حامي حريم الحبائب

(قال الراوي) فلما فرغ شداد من كلامه وأتم شعره ونظامه نظره بنو مراد وهو مخن على ظهر الجواد كأنه النسر المعمر الا انه في الحرب أسد قسور وارتفع صياح بني عبس من بعيد وقريب * هذا وملاعب الاسنة صبر حتى قاربه شداد فنظر الشجاعة لائحة عليه ظاهرة بين عينيه فصاح فيه من تكون أيها الساعي الى حتفه بقدميه الجاني على نفسه بيديه فقال له ويلك أنا فارس الطراد الامير شداد بن قراد دونك والحرب والجلاد ان كنت من الفرسان الشداد فتبسم غشم وقال والله انك بطل غشمشم وهل مثلك يحمي الحريم في الموقف العظيم ثم حملا على بعضهما وأوسعا ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وزاد بينهما الجولان حتى غابا عن الاعيان وتصادما وتهاجما ولم يزالا في قتال وجدال ومفارقة واتصال حتى وقع التعب بشداد وأخذه الانبهار من خصمه الجبار فلما علم ذلك ملاعب الاسنة هجم عليه وأخذه أسيرا وناده ذليلا حقيرا وأسلمه الى عربه وعاد طالبا الحرب والجلاد ونادى يا بني عبس ابشروا بالتعس فلما سمع منه

قيس

قيس هذا المقال زادت به نارا الاشتعال وعول أن يحمل على ملاعب الاسنة وأراد نازح أن يحمل عليه ويخاطر بنفسه فسبقه عروة الى الميدان وتذكر أيام عنتر ففاض دمعه وانحدر وقال لا أبعد الله ركابك يا أبا الفوارس ولا أعدمك أحبابك من قائم وجالس وأنشد يقول

تحكمت الاندال يا أبا الفوارس * ابعدك عن ربع الظباء الاوانس
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا * يلاقى عداها ضاحكا غير عابس
وكنت لنا يا ظهر عبس محاميا * اذا نام عنا كل حام وحارس
فبعدك قد أوهى قوانا وهاننا * وأطمع فى اعراضنا كل جالس
فكم سيد منا أسير مقيد * وكم من قتيل فى الفلاة الدوارس
وكم حرة تبكى عليك بعقلة * مسهدة من ناظر غير عابس
وشداد قد أضحى به الذل موثقا * لبعدك عنا يا مبيد الفوارس
نرى من يحامى عن عبيل رقومها * اذا غبت عنهم يا مبيد القناعس
ومن بك يحميها اذا كثر العدا * ويجلى صداها يوم جدع المعاطس
سقى الله قبرا أنت فيه موسد * سحاب غمام غيثه غير حابس
فلو كنت حيا ما تركت نساءنا * يئن علينا فى ظلام الحنادس
عليك سلام الله يا نكبة العدا * ويا أفخر الفرسان عار ولابس
وجادت عليك المزن فى كل ساعة * وحيى ثرى مثواك بين الدوارس

(قال الراوى) ثم ان عروة بعد ان فرغ من نظامه حمل على ملاعب الاسنة وأخذ فى حربه وحصامه وضاق بهما الخناق وهما على ظهور الخيل العتاق وكان عروة فارسا جبارا وبطلا مغوارا الا انه لم يكن من طبقة ملاعب الاسنة ولا من أنداده فمال عليه غشم فأخذه أسيرا وتاده ذليلا حقيرا فألقى الملك قيس البيضة من على رأسه وصاح يا بنى عمى هذا يوم بذل الارواح فبيعوا أنفسكم بيع السماح وموتوا كراما ولا تعيشوا لئاما فهذه نساؤكم قد هتكت ودماء رجالكم قد سفكت وفرسانكم الاجواد قد أسرت وحاميتنا قد وكانه ما كان ولم يبق مما نحمى به حريمنا الا سيوفنا ورماحنا ثم انه وضع يده فى قربوص سرجه وركب وحمل وحملت خلفه اخوته ورفقاه وفرسان بنى عبس الحماه وعلا خلفهم صياح النسوان وكثر عليهم الهم والاحزان وصاح خالد بن جعفر فى الرجال الذين جمعهم والابطال دونكم وهذه العصابة اليسيرة والطائفة الحقيرة التى كرهت الحياة وبذلت الارواح الى الفناه وأبشروا بسبى النساء الملاح وأخذ المال المباح فعند ذلك حملت المواكب وتدفقت الكتائب فى طلب بنى عبس من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب وسدوا فى وجوههم جميع المذاهب وبزوا منهم الجماجم والرقاب فتبددت الاجسام على التراب وهلك الشيوخ والشباب فاستغاث الحريم الى رب السماء لما رأوا سفك الدماء وهول الحرب والمتاعب فبينما هم فى تلك المصائب اذ طلع عليهم غبار سد جميع الاقطار وارتفع وعلا فظهر من تحته سيوف تلمع ورماح تشلع وتتدفق مثل السحاب اذا همع فلما رأى بنو عامر ذلك الغبار والقتام انكفوا عن ضرب الحسام ووقفوا ينظرون الى تلك السيوف اللامعة والاسنة الساطعة واذا هم بخمسمائة فارس كرار وأسد مغوار يقدمهم فارس كأنه ليث عابس على فرس أدهم أغر ملجم وهو ينادى بصوت ملأ السهل والجبل ويحكم يا أوغاد غير أمجاد كفوا عن الحريم والاولاد فقد أتاكم عنتر بن شداد مبيد الفراعنة الشداد ثم انه حمل وحمل من معه من الفرسان خلفه واشتد الطعن واتصل ورحى الحرب والكرب بالاعداء نزل وتباشرت بنو عبس بالافراح وترك نساؤهم البكاء والصياح وتحقق

لهم النصر ولاح ونادى الملك قيس فى تلك البطاح ابشروا يابنى عمى بالنصر فقد أتى الفارس الجحجاح
أسد الحرب والكفاح فقويت العزم والهمم وحملوا السيوف فى الغمم فعند ما سمعت بنو عبس الكرام
بهذا الكلام زالت غمومهم وقويت عزائمهم وحملوا حملة واحدة صارت منها جمرة الاعداء خامدة ولما
رأى بنو عامر قوة بنى عبس وشدة طعنهم تحقق عندهم قدوم عنتر بن شداد ورأوا ضربانه وهى تهوى الى
الاقبال تقطع منهم الاوصال * هذا وأما خالد بن جعفر فانه صاح فى خواص قومه ومن يعتمد عليه من
الابطال عودوا الى المنزل الذى كنا به والخيام حتى نبذل فى الاسارى الحسام أو ننتقم منهم غاية الانتقام
فانى علمت ان الامر آيل الى الانهزام حيث وصل هذا الاسود الشيطان الذى كانه مارد من مردة الجان
لانه فارس لا يلتقى ولا يبالى بحرب ولا شقا ثم ان خالد بعد هذا الكلام قصد البر وتبعته الشجعان
وترادفت خلفه الاقران الى أن وصل الى المكان الذى به الاسارى وأراد أن يذيقهم كأس الحمام واذا هو
بضجيج من وسط الخيام قد علت وصيحة زادت وارتفعت والاسارى قد أقبلت كأنها رسل الحمام أو شعلة
نار لها ضرام (قال الراوى) وكان خلاصهم من الكرب على يد الامير شيبوب لانه وصل اليهم وفرسان
بنى عامر مشتغلة بقتال عنتر فخلصهم من الاسر والضرر وأحضر لهم آلة الحرب والكفاح فى لمح البصر
وكانت عدتهم مائتين وخمسين فارسا شداد يقدمهم عروة بن الورد والامير شداد فلما نظرهم خالد بن جعفر
أيقن هو ومن معه بالموت الاحمر فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وخافوا على أنفسهم من بنى عبس
وقال لقومه اقصدوا بنا بنى فزارة حتى ننظر ما جرى لهم مع عبد الله أخى دريد بن الصمة وبنى هوازن
أصحاب العزيمة والهمة ونعلمهم ان الجيش الذى كان معنا انهزم وطلب البر والاكم ثم انه قصد عرض
البر وسار وقد حلت به الهموم والافكار وبعد مسيره دام القتال وقوى ضرب السيف الفصال ساعة
من النهار وولى بقية الفرسان الادبار وركنوا الى الفرار * هذا وملاعب الاسنة لما رأى راياته خالدولت
وأبطاله انفلت هم هو أيضا بالفرار يريد النجاه من خوفه من عنتر أن يعدمه الحياه لانه نظر من حربه
الهول العظيم ونظر منه العذاب الاليم ثم دار بنو عبس بعنتر يهنوه من كل جانب بعودته سالما من
المعاطب وصار عنتر يحكى للملك قيس على قسته وما تم له مع مشاجع لما خلصه من الربيع واخوته وما
فعل مشاجع فى حقه والملك قيس يتعجب من ذلك (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص عنتر ومجيئه من
بنى خولان انه لما قتل مبادر اعاد الى القيود كما تقدم وجعل النساء يدعون له ويحترمنه ويكرمنه مدة
ثلاثة أيام ثم بعدها أتت رجال بنى خولان الذين ذهبوا لاجل أن يبشروا صفوان بن مراد بوقوع عنتر
ابن شداد ففرح وضمن لهم المال الكثير من النوق والدنانير وعادوا طالبين أهلهم والاطلال فلما
وصلوا رأوا أهلهم فى مغانى وأفراح وبسط وانشراح فسأل كل واحد أهل بيته عن هذا الحال فأخبروه
بما جرى له مع مبادر من الحرب والقتال ولما رأى مشاجع رأس مبادر على باب بيته فوق رمح عالى
سأل عن ذلك فأخبره أهل بيته أيضا عن فعل عنتر به وردا السبى وقتله لمبادر وكيف حمى الحريم ورجع
الى القيد بعد دفع الغريم فقال مشاجع والله ما هو الا رجل كريم وأسد عظيم ومثل هذا يجب أن
نتخذه صديقا لكل شدة وضيق ثم اجتمع سادات الحى مع مشاجع ودخلوا على عنتر وقبلوا رأسه وبين
عينيه وخلعوا عليه جميل الخلع وصاروا يتقربوا اليه بالاحسان الا انه كان فى بنى خولان رجل يقال له مثير
يتمنى قتل عنتر لانه قتل له أربعة أولاد فقال لمشاجع يا أمير أنت سرت الى صفوان وبشرته بوقوع عنتر
فارس بنى عبس وعدنان وضمن لك المال الكثير والاحسان الغزير وها أنت عولت على اطلاقه من
شده ووثاقه بعد ما ربطت لسانك معه وهو ملك هذه الديار وحاكم هذه الامصار فما جوابك له اذا
أرسل يطلب منك خصمه فقال له مشاجع والله لم يكن أكبر مما فعله عنتر حيث اننا أسرناه وأردنا ذله

وقتله

وقتله وقابلناه بكره وشجاعة الرجال وقاتل أعداءنا وحمى حرمنا وحفظ اعراضنا والله مابقى لى يد اليه بسوء قط (قال الراوى) ولما سمع النساء كلام مثيرة قمن اليه وفى أيديهن أعمدة البيوت وصرن يضربنه حتى أشرف على الممات ولولا أن الرجال خلصوه لمات ثم ان النساء قلن وحق الملك الديان لو أتى لهذا الرجل كسرى أو النعمان لخرجنا اليهم فى الفلاه وردد ناعنه أعداه فوحق ذمة العرب وشهر رجب ان لم تسرد جالنا فى خدمته الى أهله وعشيرته لانصاحبهم أبدا ولو سقينا كؤس الردا فقال لهن مشاجع ارجعن الى بيوتكن فقد قبلنا كلامكن ثم انه اختار من قومه مائة فارس شدادا فلبسوا السلاح وعزموا على المسير والرواح فشكر عنتر القوم وأراد أن يحلف عليهم ويردهم فقال له شيبوب دعهم يسيروا معنا فانى أظن ان الاعداء خربوا ديارنا ونهبوا أموالنا وأطلالنا فاذا ساروا معنا أعانونا على لقاء الاقران فاستصوب عنتر رأيه ثم انهم ركبوا وخرجوا من الديار وساروا يقطعون البرارى والقفار وعنتر سائر بجانب مشاجع وهو يتذكر فى نفسه مافعل معه الربيع بن زياد وكيف خلصه رب العباد ونجاه من ذلك الشر والفساد وسخر لخدمته أولئك السادات الاجواد ثم تمايل وأنشد قائلا

من لى برد الصبا والله والغزل * هيهات مافات من أيامنا الاول
طوى الجديدان ماقد كنت أنشره * وأنكرتنى ذوات الاعين النجل
وماثنى الدهر عزمى عن مهاجمة * والاسد تحذرنى فى السهل والجبل
وقد نهانى النهى عنها وادبنى * فلست أبكى على رسم ولا طلل
بل من فراق التى فى طرفها حور * ضنى فؤادى بما فى اللحظ من كحل
تصيد أسد الشرى باللحظ ان نظرت * والصعب فى سقم منها وفى وجل
يابنت عمى ليس العشق من شيمى * فى حالة الحرب بل فيه انتهى أملى
بالصافنات وبالهندى لى شغل * وما الصبابة والصهباء من شغلى
متى ينال العلا اليقظان همته * اذا أقام بذكر اللهو والغزل
ذرنى لفرى وكرى فى معامعها * كالليث أمشى كمشى الشارب الثمل
سلى الابيجر عنى يوم يحملنى * هل فاتنى بطل أوحلت عن بطل
كم من جيوش أبادت همتى فزعا * وكان ابطالها كالعارض الهطل
وغمرة خضت أعلاها وأسفلها * بالضرب والطعن من بيض ومن أسل
مالى أرى عذلى يستقطرون دمى * ألست أولاهمو بالقول والعمل
لايرعووا بالملام الدهر عن أسد * بالليل مشتمل بالجمر مكتحل
لايشرب الماء الامن قريب دم * ولايبيت له جار على وجل
لولا مليك الدناقيس وطاعته * شربت جهرا دما أحلى من العسل
من الربيع ومن ندل يعارضنى * فى عبلتى وهواها وحدها شغلى
فانما أنا من قوم مفاخرهم * مشهورة أبدا فى السهل والجبل
أريد أقتل فيهم ثم يمنعنى * حلمى وعفوى وافدامى ومحتملى
فمن أراد فخارا مثل مفخرتى * فليقطعن العدا كالفارس البطل

(قال الراوى) فلما سمع بنو خولان من عنتر هذه الابيات تمايلوا طربا واهتزوا عجبا ثم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على الديار وشاهدوا الضرب بالبتار فحمل عنتر وبنو خولان وقد فرقوا بنى عامر وأبلوهم بالبلاء الغامر وجرى ماجرى وسمع قيس آخر الحديث من عنتر بن شداد فزاد تعجبه وفرحه وطربه وقال

وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان حديثك أطرب فرسان عرب اليمن والحجاز ولابد أن نجازى هذه الفرسان بما نقدر عليه من الاحسان ان أسعفنا بذلك الزمان ونحن ان تعجز أمرنا وانطفأ عنا الشر والضرر والبؤس والحذر ولا فكرة لنا الا فى خالد بن جعفر لاننا ياحامية عبس ان لم نهلكه لا يطيب لنا عيش فى الديار ثم انه أخبره بقضية بنى زياد وما أحاط بهم من القبائل وقال له يا أبا الفوارس كنت قبل أن تقدم علينا الاعداء أنفدت اليهم أطاب مجيئهم الينا لنكون يدا واحدة على لقاء الاعداء وتحصل لنا بهم مساعدة فما فعلوا وما تركهم الربيع يقاتلوا معنا بل انفصلوا منا ومن علينا حذيفة بالمعاونة التى بها عاونا وقال أنا ولاك ياقيس ما كان بينى وبين خالد معامله وأنا خائف أن يجرى عليهم أمر من الامور أو يقتل منهم أمير مشهور والصواب أن نسير اليهم عند الصباح ونساعدهم فى الحرب والكفاح ولا نخلى لهم ادنى مقال ولا حالا من الاحوال فقال عنتر يامالك الزمان والله انها لغيبة زائدة كيف أسير وأساعد الربيع وحذيفة وهم لو تمكنوا منى ما أبقوا لى طرفة عين بل يسقونى كؤس البين ولكن لاجل خاطرك أسير اليهم وأساعد الربيع وحذيفة بعد أن نودع هؤلاء الاقوام الكرام ونسير جميعا اليهم بالتمام (قال الراوى) فلما سمع مشاجع هذا الكلام قال والله يا أبا الفوارس ويازين المجالس لو طارت رؤسنا بين يديك ما نتكبر عليك وأنا أقسم بالرب القديم الذى هو يوساوس الصدور عليم لا أعود الى أهلى حتى تنقضى أشغالكم وتأمنوا فى دياركم فقال له الملك قيس جزاك الله خيرا ولا لقاك يوساوس ضيرا ثم انهم صبروا حتى استراحت الناس وذهب عنهم الوساوس وأقاموا حتى ولى الليل الحالك وأقبل الصباح الضاحك ورحل قيس بالفرسان طالبا بنى فزارة ورحل معهم بنو خولان وبنو غطفان وعنتر سائر وعروة بجانبه وهو يقول له والله يا أبا الابيض انها مصيبة عظيمة كيف أسير الى أعدائى وأنقذهم من الشدائد والنوائب ثم انه تنفس من فؤاد مصدوع وقلب موجوع فزاد عليه الهم والغم لانه قد تنفس كمدا وأبدى لوعة ووصبا وأنشد يقول

أسير الى نصر الربيع وقومه * ولست اذا ثار الهياج بجالس
ولولاك ياقيس لما كنت سائرا * اليهم ولكن أنت عزى وحارسى
فزارة تبغى كل يوم حروبنا * ولكنهم فى الحرب رغم المعاطس
لان ملوك الارض تخشى مضاربى * وطعنة رمحى فى صدور الفوارس
ولى همة فوق السماكين رفعة * وفى النقع أسطو كالهزبر المداعس
وان كان لونى أسودا ففعائلى * صباح وخوفى فى قلوب القناعس
وقد علمت كل القبائل اننى * همام كمى ليس جدى بناكس
لانى مجيد الطعن فى كل معرك * وأصرخ فى الهيجاء هل من منافس
أنا الاسد الكرار فى حومة الوغا * أنا عنتر العبسى مبيد الفوارس
أنا الضيغم الهجام والاسد الذى * تقر له الابطال يوم التداعس
تذل ملوك الارض من خوف سطوتى * وفى الحرب أفنى للكماة الاشاوس
وسيفى بنادينى اذا رقسطل * الا فاسقنى صرفا دماء الفوارس
ورمحى فى يوم الكريهة عابس * عليه سنان مثل لمعة قابس
وقد كلت الابطال من عظم هيبتى * وهابت لقائى الاسد من كل عابس
وانى قد ذللت يابنت مالك * بحبك يازين النسا فى المجالس
أياعبل لو شاهدت فعلى وموقفى * اذا ثار نقع فى الفلا كالحنادس
هناك ترينى أصطليها بهمة * يقصر عنها كل عار ولابس

أنا

أنا عنـــترة العبسى فارس قومه * ولى همة فى الحرب مردى العوابس

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت بها السادات وقال له الامير مشاجع أنت سيد بنى خولان والملك قيس سيد بنى عبس وعدنان لا رداه الله فاك ولا كان من يشناك ثم انهم جدوا فى المسير حتى أشرفوا على بنى فزارة فرأوهم فى الذل والخسارة لانهم قاست من بنى عامر حربا يفطر المرائر وكان من حالهم مثل ما كان من حال بنى عبس أعظم لانهم غمروهم بكثرة العدد وزيادة المدد وفاضت عليهم مثل ما يفيض البحر الزاخر ألا ان الحارث بن ظالم قاتل قتالا تعجز عنه القرسان الشداد والابطال الاجواد حتى زاد عليه الحال فصبر الى آخر النهار وأخذ قطعة من أموال حذيفة وأخذ جماعته وقتل جماعة من فرسان بنى فزارة وقصد عرض البر الاقفر وباتت بنو فزارة حتى أصبح الصباح وقامت الفرسان لطلب الحرب والكفاح وافتقدوا الحارث بن ظالم فما وجدوه وافتقد حذيفة أمواله فوجدها قد فقد منها قطعة جيدة فقال قاتل الله الحارث بن ظالم وقتله ما أخبثه وأجهله فبينما هم فى ذلك الحال واذا بالاعداء وقعوا فيهم بالحسام والرمح العسال ولعب السيف فى بنى فزاره وقد أيقنوا بالذل والخسارة واحتاج الربيع أن يبذل نفسه هو واخوته لاطراف القنا ووطنوا أنفسهم على الموت والفنا وحلت بهم الاتراح وبقوا أشباحا بلا أرواح حتى أقبل الليل وأنزلوا بهم الذل والويل ودافعوا عن أنفسهم حتى قرب الصباح واذا هم بأسنة رماح وشفار صفاح وفرسان تنادى يا لعبس يا لعدنان يا لبنى خولان وكان وصولهم مثل الماء الزلال على كبد الظمآن وكان عبد الله بن الصمة قد وصل اليه خالد بن جعفر فسأله عن سبب قدومه فى بعض عسكره فأخبره بقتل فرسان بنى عامر وهلاك الابطال والعشائر فقال عبد الله وكيف تم عليك هذا الحال وشتت أبطالك فى الجبال ونحن قد أتتنا الاخبار انك انتصرت على بنى عبس الاخيار وحصرتهم وطال عليهم الحصار فكيف تم هذا عليك ووصل شرهم اليك فأخبره بخبر عنتر وكيف كان غائبا وحضر فكسرنا وشتتنا فى القيعان لانه قد أتى وصحبته بنو خولان ومالوا علينا بالضرب والطعان والصواب أنك تقاتل بنى فزارة بالليل حتى تبيد أعصاهم وادناهم قبل أن يأتى عنتر وينجدهم فبينما هم على ذلك الحال اذ طلعت عليهم نواصى خيل بنى عبس العاديات ويقدمهم عنتر صاحب الهمات وطلبوا الحرب والطعان وحلت الاقران وقصدوا الفرسان ونكسوا الشجعان وسار عنتر يقصد الاعلام ويخوض القتام وهو يطعن فى صدور الرجال ويبيد الابطال حتى اتسع عليه المجال وبنو خولان تحمل من خلفه كحملاته وتتفرج على طعناته وتتمنى أن يعود معها الى الديار ويعطوه الامرية عليهم ليحكم فى الاشرار منهم والاخيار هذا وقد اشتد من نيران الحرب الوقود وعملت الاسنة فى الصدور والكبود وغابت الابطال عن الوجود وعلا الغبار حتى صار مثل الرواق الممدود ومالت الاعلام والبنود وعادت الوجوه البيض سود وكانوا بين ناقص الحظ ومسعود وحاضر ومفقود وقاصد ومقصود الى أن ملت النفوس ولعبت حوافر الخيل بالرؤس ووصل الى بنى هوازن الضر والبؤس وأبصروا يوما عبوس وطعنا يشيب النواصى والرؤس فنفرت مثل ما يفر النعام وتفرقت بين الروابى والآكام وأما عبد الله أخو دريد بن الصمة فانه لما علم بانقلال العرب خاف من الهلاك والعطب فطلب الفرار والهرب * هذا والطعن أخذهم من سائر الجنبات ودارت عليهم العيطات فطلبوا الروابى والفلوات ونجا خالد بنفسه وقد خمد حسه ثم تفرقت المواكب والجموش وتركوا قتلاهم رزقا للوحوش ولما انفصل الحرب والقتال وبطل الطعن والنزال عاد عنتر بطلب أرض بنى عبس قبل مغيب الشمس ومعه أبطال بنى خولان وأبوه شداد وعروة بن الورد وفرسانه الاجواد ومارضى أن يقابل الربيع بن زياد ولا حذيفة ابن الاوغاد بل انه رجع وهو ينشد ويقول

ســل السيف فى يوم الوغا عن فعائلى * وضربى به بين الكلى والمفاصــل

وعن رمحى العسال فى النقع كم به * طعنت لسادات كرام أفاضل
وكم قسطل قد خضته فوق أجرد * أنادى بأعلا الصوت هل من منازل
اذا مارآنى القرن يرمى سلاحه * مخافة سيفى الهندوانى وذابلى
وكم بطل أرديته بمهند * يمج نجيعا من حتوف الفواصل
وشردت فى البيداء أبناء عامر * على صهوات الصافنات الصواهل
يتيهون فى البر القفار تعسفا * مخافة بأسى رهبة من فعائلى
ألا فاعلمى ياعبل كم من فوارس * قتلت فاضحوا مثلة فى المنازل
وكم بطل يوم النزال أسرته * فبات وخانته جميع الوسائل
تركت جديلا خالدين محارب * على الارض ماماواه غير الجنادل
ونقمة مع كلبون حقا أذقتهم * كؤس المنايا مع شراب الحناظل
وانى بوادى السيل شتت شملهم * وأرديت جمارا بضرب المفاصل
وحزت لاموال العراق جميعها * وقد صار كسرى حائرا من فعائلى
كذا الحصروان القرن فرقت جيشه * وأرديته فى الحرب بين الاماثل
وأرديت هذا البدر موط بضربتى * وقد عجزت عنه ليوث المحافل
جلبت عصافير النياق لاجلك * وتاج الكسرى ماله من مماثل
أنا عنتر العبسى حامى قبيلتى * كريم شجاع حالك اللون باسلى
أنا البطل المغوار فى كل معرك * أنا أسد الهيجا كمى الحلاحل
فان كان جلدى اسود اللون فاحما * فبيض فعالى زائدت المباهل
ولى همة فوق السماكين قد علت * واقبال سعد بالسعادة شامل
ولى كرم أسنى وحسن مودة * وبيتى مأوى للضيوف النوازل
وكل ملوك الارض يخشون سطوتى * وقد شاع ذكرى فى جميع القبائل
ويسبق طعنى للحتوف مع الردا * اذا الروح وافت من جميع المفاصل
ويخشى مرامى الموت حتى لوانه * يريد فرارا عاجلته أنامل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذا النظام ترنحت له الفرسان وطربت أبطال بنى خولان وجدوا المسير حتى وصلوا الى الاوطان فعمل عنتر لهم الولائم وبذل المجهود للرجال الاكارم مدة سبعة أيام وفى اليوم الثامن قدم عنتر الى الفرسان الخيول الحسان وخلع على مشاجع سيد بنى خولان خلعة من ملابس الملك النعمان وقدم له حجرة عربية وخمسين فسيلا من النوق العصافيرية وخمسين ناقة من نوق جبل الدخان فسار القوم وهم شاكرون لانعام عنتر وما أعطاهم من الاحسان وكذا شكروا الملك قيس وساروا قاصدين ديارهم ورجع عنتر من ورائهم ثم ان قيس جعل يأخذ بخاطر عنتر ويقول له لاتحزن ياأبا الفوارس على مافعل معك الربيع بن زياد فوحق الملك الجواد انك لوظفرت بهم ماكنت تفعل بهم هذه الفعال ولكن الباغى له مصرع ومن سل سيف البغى قتل به فطاب خاطر عنتر بهذا الكلام ولم يزالوا هم فى حديث وكلام حتى وصلوا الى المضارب والخيام واستقر قرارهم وأنست بهم ديارهم وبقى الملك قيس منتظرا أخبار خالد بن جعفر وانقادت له الفرسان بهيبة عنتر وكان اذا حضر معه على الطعام وأبصر تقصيره فى أكل الطعام وشرب المدام يطيب قلبه ويقول له ياأبا فارس عبس وعدنان مابقى فكرا لافى قتل خالد ابن جعفر لانى اشتهيت أن أزف عبلة اليك لكن تكون رأس خالد على رمح عالى وتبلغ أفراحنا أرجى

المعالى

المعالى لانه مادام خالد سالما ما أقدر أن أغصب عمك على مالا يريد وأفرق شمل العشيرة ومن خلفى ذلك الشيطان المريد فكان عنترا اذا سمع هذا الكلام يتسلى على كل حال ويتعلق قلبه بأذيال المحال فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من خالد بن جعفر فانه لما انهزم من الوقعة الثانية سار حتى وصل الى حلته فرآها منقلبة بالبكاء والنوادب فزادت به المصائب فطيب قلوبهم وأوعدهم بنيل مطلوبهم وجمع أكابر قبيلته ومن جملتهم أخوه الاحوص بن جعفر وملاعب الاسنة لانهم وصلوا مع الفرقة الاولى وأجمعوا أمرهم على المسير الى أرض العراق فى عشرة فوارس من الرفاق وقال الاحوص على أن أدخل على صهرى الملك الاسود والا فما يكون لنا فى الديار مقام لانى أعلم ان أخبارنا وصلت اليه وقد سمع الملك النعمان بما جرى وهو على كل حال صهر بنى عبس ولابد أن نذهب اليه ونقص قضيتنا عليه ونسأله فى اصلاح الشان والا فما يترك منا انسان ثم انه قصد أرض العراق وأخذ منه جماعة من الرفاق فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الحارث بن ظالم فانه لما انهزم من أرض بنى فزارة وانحدر الى العراق فى عشرة من الرفاق وأراد أن يعلم الملك النعمان حتى انه يفصل بين الطوائف وكانت له أخت متزوجة فى الحيرة برجل يقال له سنان بن أبى حارثة وكانت تسمى سلمى وكانت دابة لاولاد الملك النعمان وكان للنعمان معها ولد قد ربته يسمى شرحبيل وكان الملك النعمان يحبه وروحه معلقة به وكان من زوجته القديمة ضرة المتجردة ولما نزل الحارث الى العراق قصد زيارة أخته وعول على أن يحدث النعمان بما جرى على بنى عبس وعدنان ويطالب منه أن ينفذه اليهم بأن يكون هو المقدم عليهم حتى انه يزداد عند العرب قدرا وقيمة وشان الا انه أقام أكثر من ثلاثة أيام حتى وصل خالد وأخوه والقوم الذين صحبوهم من بنى عامر ودخلوا على الملك الاسود المهاب وبكوا بضجة وانتحاب وشكوا اليه حالهم وجميع ما جرى لهم بذلة وخشوع وجريان دموع فقال الملك الاسود يا خالد قد وصلنا الخبر انك قد جمعت على بنى عبس جميع عرب البر الاقفر وقد بذلت فيهم السيف الابتر وبعد ما قتلت فرسانهم وأسرت أقرانهم وقتلت ملكهم زهير وقتل ثعلبة بن الاعرج الصياد ولده شاس وتركتهم مثلا بين الناس والحارث بن ظالم حدث أخى النعمان بفعلك وقبيح عملك وعول أخى ان ينفذ معه عسكرا الى قتالك وافناء رجالك وأراك تشكو منهم وتجعل الذنب جميعه منهم فكيف هذا الحال الذى هو غير مفهوم فنحن ما عرفنا الظالم من المظلوم فلما سمع خالد هذا المقال أظهر البكاء والعويل وقال يا مولاى ان الحارث حدث بما سمع وما علم بعده ما جرى علينا لاننا يا سيدى من أول حديثنا الى آخره مظلومين وفى ابن الملك وقصته منهومين لان الملك زهير فى حال حياته وشدة الباس أتهمنا فى ولده شاس وما كان عندنا منه خبر ولا نعلم من قتله من البشر لانهم ذكروا ان الذى قتله هو ثعلبة وقتل فرساننا بسببه ولولا هلال الشهر الحرام ما فارقناه ولما قابلته فى مكة حكى لى انه يريد قطع قبيلتنا من بين الانام ويجبر علينا وأوصل أذيته الينا وفى الوقعة الثانية التى صارت بيننا قتل منا ألفا ومائتين بطل وعبدهم عنتر يشهد بأنهم قتلوا منا مائتين وألفا بالهضاب والروابى وهذا يا ملك سوى من قتلوا منا فى غير هذه الوقعة وأنزلوا بنا الذل والفجعة ولما أبصرنا بأعيننا الهوان خفنا من الهلاك وخفض الشان فطرحنا أنفسنا على دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة فأنجدنا بالجيوش والفرسان وسرنا الى بنى عبس وعدنان وقصدناهم وكنا رابحين ولكن أنجدهم عبدهم الهجين لانه كان غائب فأقبل وشتت جمعنا والكتائب ولم يبق راجلا ولا راكبا وقتل الفرسان وأبادا الاقران وأورثنا الذل والهوان ولو رأيت أيها الملك حالتنا ونظرت حالتنا كنت رحمتنا والنسوان حاسرات والبنات لاطمات والبيوت من أهلها خاليات ثم انه بكى وأظهر الحسرات وأطلق دموعه مسلسلات وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

فجعنا في البنين وفي العيال * وحل الذل في أرض الدلال * وراح العز عنا في انهزام
وأبيات لنا عادت خوالي * فلو شاهدتنا لبكيت حزنا * على حزن البنات ذوي المجال
وأصبح جمعنا في افتراق * وامسى حالنا في سوء حال * وصرنا خائفين من الاعادي
وعدنا ننذب الطلل الخوالي * ديار الامن عادت دار خوف * وقد شان الزمان بالانتقال

فلما سمع الملك الاسود من خالد هذه الابيات فاضت دموعه بالعبرات ورق قلبه للقوم وترك العتب واللوم وضمن لهم اصلاح الحال وانزلهم واكرمهم ومن الغد دخل على أخيه النعمان وكان قد وصل اليه خبر قتل زهير ولبست عليه المتجردة السواد ولزمت البكاء والتعداد وكانت كلما سألته أن ينصر قومها ويساعد قيسا أخاها فيقول لها ان جاءني منهم رسل يطلبون النجدة أنجدتهم ولكن أنا أعرف انهم قادرون على أخذ ثارهم من عدوهم ولوان أعداءهم بعدد الجراد وكان النعمان مراده أن يذل بني عبس بكل سبب حتى انها تدخل تحت طاعته مثل جميع العرب الى أن دخل عليه أخوه الاسود وأخبره بكل ماجرى وتجدد فتعجب من ذلك غاية العجب وقال أنا لا أرى الصواب الا الصلح بين الاعراب والتفت الى أخيه وقال له أحضر الى الحارث بن ظالم فلما حضر قدام الملك النعمان أصلح بينه وبين بني عامر وحلفوا انهم لا يخون بعضهم البعض وعمل لهم وليمة وأسقاهم المدام وكان يومهم أحسن الايام الى أن أمسى المساء وهجم الظلام وصاروا يعيدون عليه الوقعات وماجرى عليهم من بني عبس من الكربات الى أن تمزق شمل من كان هناك من الناس وذهب عنهم الايناس وعاد كل واحد منهم الى خيامه وأما الحارث فانه أخذه الحسد لما سمع مدحة عنتر وتفتت كبده وانفطر وقال في نفسه ان كان عنتر نال هذه المرتبة بشجاعته واقتداره وشاعت بذلك محاسن اخباره فانا الآخر افعل شيئا أفتخر به على سائر الفرسان ويظهر لي به أمر وشان وأقوم اقتل خالدا في حرم النعمان وأخون العهد والايمان ثم انه قام من وقته وقوى عزمه على ذلك الامر والشان وذو الحيات في يمينه حتى وصل الى الخيمة ودخل على خالد وهو راقد وضربه فقطع راسه من جسده وطلع وهو يظن انه قد بلغ المراد وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

علوت بذي الحياة مفرق رأسه * وما بركب المكروه الا المخاطر
فضللت به لما قتلت لخالد * لان حسامي ماحوته الاكاسر

ثم انه حدثته سكره انه ما قتله ووضع ذبابة السيف على صدره واتكأ عليه حتى نفذ من ظهره الى الارض شبرا وسار تحت الليل وغياهبه وهو لا يدري أي الطرقات يذهب وعلم انه لا ينجيه الهرب فتلبد في بعض الاماكن الى أن اصبح الصباح فأقام الاخوص من المنام ودخل على أخيه فرآه على تلك الحالة التي ذكرناها فصاح من شدة مصابه ودق على صدره وخرق لباسه وحثا التراب على راسه وصاح بالويل والحرب وسوء المنقلب وعاد من وقته الى الملك الاسود وحوله رجاله وأعلمه بما قد أصابه وان الحارث ابن ظالم قتل أخاه خالد بن جعفر وتركه بدمه معفر فجرى على الملك الاسود مالم يجر على أحد وقال لعن الله الحارث وأخزاه وأبعده ولا أدناه فوالله ما كان خصمه الا أنا وسأجازيه بأشد الجزاء ثم انه أحضر رجاله العشرة أولاد عمه ثم قال كل من أتاني بالحارث أعطيته أجود العطيات وأزيده من الخيرات فأتوني به لاجل أن أصلبه على باب المدينة وأرسل النعمان في طلبه الخيل الى ان كان في الغداة فعادت الخيل خائبة مما سارت له طالبه ولم يقعوا له على خبر ولا جلية أثر فزاد بالنعمان التهابه وعظم عصابه وعول على قتل أصحابه من شدة ما قد أصابه فقال له أخوه الاسود أيها الملك الكريم لا تأخذ البريء بالسقيم لانهم لو رضوا بفعل الحارث كانوا هربوا معه والصواب انك تدعهم في الاعتقال حتى يظهر خبر هذا القران ونجازيه بالصلب والهوان (قال الراوي) فهذا ما كان من

هؤلاء

هؤلاء وأما الحارث الغدار فانه لما قتل خالد وهج على وجهه فى القفار لم يزل سائرا حتى أصبح الصباح وأفاق من شرب الراح فواقعه الندم وعلم أن النعمان لابد أن يطلبه ويحل به العدم وعلم أنه ما أحد يجيره من قبائل العربان بل يطلبوه من كل مكان فحار فى أمره وضاق صدره وتفكر فى نفسه وأيقن بهلاكه فزاد عليه مصابه وما هان عليه أصحابه فتأسف عليهم كيف يهلكوا فى يد النعمان بغير ذنب ولا سبب فعاد من حرقته طالبا الحيرة وهو فى هموم وحيره وصبر الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل بين الخيام وجعل يدور بين المضارب والناس نيام فرآهم حول مضرب الاخوص بن جعفر وعندهم خمسة من العبيد فدنا منهم وذبح الخمسة ودخل الى أصحابه وحلهم من الكتاف وقال لهم انجوا بأنفسكم من التلاف فاذا أمنتم على أرواحكم فاقصدوا ديار بنى عبس وعدنان وعيشوا عندهم فى أمان تحت كنف قيس بن زهير فانه يصلح حالكم مع النعمان لانه صهره وما يجيركم أحد سواه وأما أنا فما يجيرنى أحد من العربان لاجل خاطر النعمان وقد عولت على أمر وأريد أن أفعله قبل هلاكى حتى أكون قد أخذت بثار نفسى وأترك لى حديثا يذكر من بعدى ثم انه فارق القوم وقد هانت عليه نفسه وقصد بيت أخته سلمى وقت السحر فلما دخل عليها ورأته حارت من فعله وقالت يا أخى ما أقدمك وما الذى أعادك الى أرض النعمان بعد ما سلمت من الهوان والله يا حارث ان وقعت فى يده فما يتركك ساعة من الساعات حتى يوردك المهلكات فقال الحارث أين أمضى وبمن احتمى والنعمان غريمى فما لقيت لى خلاصا من هذه الامور الا بما خطر فى بالى والا سفك دمى وساءت أحوالى فقالت له وما الذى تريد أن تفعل حتى انك تنجو من الهلاك فقال لها تسلمى لى ولد النعمان فأخذه على كتفى وألتقى به أباه وأقول له أنا فى جيرة هذا الصبى فيعفو عن ذنبى ويسمح عن خطيئتى فاذا اصلح حالى مع النعمان نجوت من نوائب الزمان ولا أبالى بأحد من بنى عامر ولا من جميع العشائر فقالت هذا رأى مليح وبه تنجو من كل قبيح ثم انها من شفقتها عليه سلمت ذلك الطفل اليه فأخذه على كتفه وأتى الى باب الحيرة فرآه مفتوحا والناس خارجة لقضاء أشغالهم وافتقاد أحوالهم وكان عسكر النعمان خارجا قدام الملك يريدون الصيد والقنص واغتنام اللهو مع الفرص فصرخ الحارث صوتا أوقف الجميع وحذف الصبى الى الهواء والتقاه بسيفه ذى الحيات فحكم بين رجليه فشقه نصفين فضجت العساكر من سائر الجهات وقصدوه بالمرهفات فقصد عرض البر والقفار فجدت وراءه القوم على الآثار حتى لحقوه وأدركوه فعادا اليهم وهجم عليهم ومال فيهم وصال وجال ففرق جمعهم وصيرهم فى خبال ثم رجع الحارث قاصدا الى الجبال فتبعوه وصرخوا عليه فرجع اليهم وقاتلهم الى قريب المساء فعند ذلك ضعفت قواه وقلت همته واضمحلت عزيمته وكان العسكر بعيدا عنه فتأسف على سيفه ذى الحيات كيف يملكه غيره من السادات فأتى الى صخرة عظيمة وهى قطعة من جبل وأقام يده بالحسام وضربه على تلك الصخرة لاجل أن يكسره فنزل بحده فقد الصخرة شطرين فانبهر واخذ الحسام وسار قاصدا البر والآكام وكان قاصدا بها هلاكه فكان فيها نجاته لان العساكر لم يزالوا خلفه يجدون المسير حتى أتوا الى الصخرة فرأوها نصفين وقد كانوا رأوه وهو يضربها فوقفوا عندها وقالوا لبعضهم البعض الذى فيه عزم يقد الاحجار كيف نتبعه فى هذه القفار ثم انهم وقفوا حتى أتى النعمان وأعلموه بالذى جرى وكان فلما نظرها النعمان رجع وهو يقول لعن الله الحارث ما أقواه ثم انه كتب الى جميع القبائل كل من وقع بالحارث يقبضه ويأتى به اليه وله جميع ما يكون عليه ثم انه بعد ذلك أحضر سنان بن أبى حارثة وقال له أنا ما أعرف ولدى الا منك لان الحارث صهرك وأخذ ولدى من بيتك فبكى سنان وقال له لا تظلمنى يا ملك فأنا وحيات رأسك ما كنت البارحة عند زوجتى ولو كنت عند زوجتى لأعلمتك أو كنت قبضت عليه وأحضرته بين يديك حتى

تقتله وتظهر فيه نقمتك لاجل أنه خرق حرمتك فقال النعمان أنا لا أسمع هذا الكلام ولا أطلقك
بانسل الحرام حتى تقيم لك ضمينا وتشهد على نفسك أنك تسير وتقتفى أثره حتى انك تقع على خبره
وان لم تفعل ذلك تكون خامرتني وتكون أنت عوضه لانى ما أطلب ولدى الا منك ولا أعفو عنك
فقال سنان افعل ما بدا لك فما أخالفك فى أقوالك وأنا أقسم وحق الملك العلام لا أخامرك بل أنا
الضامن له أينما كان فأنا أطلع أدور عليه فى قبائل العربان وأنا ضامن لكل ما طلبته فاطلقه النعمان
وصبر عليه حتى يصبح الصباح ويقصد عرض الرباوالبطاح فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من
أصحاب الحارث فانهم جدوا فى قطع القيعان حتى وصلوا الى بنى عبس وعدنان ودخلوا على الملك قيس
وأخبروه بما فعل الحارث وكيف قتل خالدا فى حرم النعمان وكيف انه خاصنا وقال لنا اقصدوا الملك
قيس فما يجيركم أحد سواه من العربان وها نحن قدمنا عليك وصرنا بين يديك وبشرناك بأخذ ثارك
وكشف عارك فلما سمع قيس بذلك فرح واتسع صدره وانشرح وأخلع عليهم وحياهم وأكرم مثواهم
وضمن لهم الزمام وقال والله لقد فاز الحارث بهذه المكرمه وسمع عنتر بما فعل الحارث من قتل خالد وهو
نائم فقال لعن الله الحارث بن ظالم لانه ما قتله الا وهو سكران عادم فلو كان قتله فى الصدام كان أقوى
فخرا وأعظم شان وكان عنتر يتمنى قتل خالد على يديه حتى تقر بذلك عينيه وأما الملك قيس فانه خلا
قلبه ونحف عنه همه وكربه فأكثر من الولائم والافراح مساء وصباح وابصر اخوته فضاق خاطره
واحترق قلب عنتر وسائره فقال مالك لاخيه قيس لم لا تشد اركان دولتك وتبذل مجهودك وهمتك
وتنجز أمر حامية العشيرة وتدخله على زوجته حتى تزول عنا كروبنا ونبلغ مقصودنا فلما سمع قيس
ذلك قال يا أخى افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك ثم ان قيس اصطنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة على
غدر برذات الارصاد وجمع سائر اخوته واعمامه وأكابر دولته وفرسان عشيرته وقدم لهم الطعام حتى
اكتفوا وادار عليهم كاسات المدام ثم انه دعا بمالك بن قراد وعظمه بين السادات الاجواد وقال اعلمنى
لماذا منعت ابن أخيك أن يلم بأبياتك وضيعت حقه عليك وأمرت ابنتك بالاستتار منه أما هى زوجته
وقبضت مهرها منه وأشهدتنا عليك فقال مالك اعلم أيها الملك السعيد انى ما منعتها عنه الا من كلام
الاعداء من قريب وبعيد وقولهم أن عنتر خلا بها قبل ان تزف عليه ولكن يا مالك الزمان هى زوجته
وقبضت مهرها منه ولو طلبها فى تلك الساعة أخذها ولولا شغل قلوبنا فى مثل هذه الايام كان معه منها
عشرة أولاد كرام ولكن مادام انه قد انشرح صدرك وبالك فافعل ما بدا لك فقال قيس يكون ذلك
بعد ثلاثة أيام فقال مالك ابنتى أمتك وأبوها وأخوها خدمك فلما سمع عنتر كلام عمه قام اليه وقبل يديه
وما انقضت الوليمة حتى انقضى الامر وذهب الشر وعاد مالك الى أبياته واختلى بزوجته وشكا اليها حالته
وما ألزمه قيس من تزويج ابنته فقالت له يا ابن العم انى كم هذه المشاجرة وقد فرغت الاعمار فى هذه
المضاجرة ومضت الشهور والاعوام وتقضت الاوقات والايام ولم تزل عبلة تابن قلبه وهو ما يزداد
الا قساوة ولم يقبل لها كلام وأما عنتر فان الملك قيس استدعاه وطيب قلبه وأوعده بكل مسرور فخرج
من عنده وهو فرحان وظن انه قد بلغ المرام وبات وهو يشكر الملك قيس على ما فعل من الفعال وما
الزمه به عمه من المقال ولم يزل فى أشد الافراح حتى أصبح الصباح وأراد عنتر ان يركب واذا بأخيه
شيبوب قد أقبل وقال له يا ابن الام اختك مروة قد وصلت من بنى غطفان وهى طالبة اليك ولا شك
انها حرانه أو نزلت عليها نائبة ما طاقت حملها فلما سمع عنتر كلام أخيه قام وقصد الى بيت أمه لينظر ما حل
باخته وكانت مروة هذه أول أولاد شداد وكانت عزيزة عنده ويحبها محبة شديدة وكانت متزوجة برجل
من بنى غطفان وهو جليل القدر والشان وكان معها ولد مليح صاحب وجه صبيح وقد رجيح تعلم
الفروسيه

الفروسية وكان يأتي اليه خاله عنتر يزوره ويقيم عنده فيطلع الى البرية ويعلمه الشجاعة والفروسية ويقول له اطعني ولا تشفق علي فطلع نارا محرقه وصاعقه مبرقه وصار اذا رأى خيلا وفرسانا يحمل ويشابه خاله عنترا الى أن بقي من الشجعان وبلغ من العمر اثني عشر عاما وكان عنتر اذا سأل اخته أن تخلي له الهطال عنده لا ترضى لانه واحدها ومالك قلبها فلما أتى شيبوب واعلم أخاه عنترا بقدومها قام اليها ودخل عليها وقال لها ما حالك وما الذي قد جرى لك فقالت له وهي باكية شاكية اعلم يا أخي ان أولاد بني غطفان أمروا ولدي عليهم وسار وا في طلب غنيمة ومضى لهم أيام طويلة ولم يرجعوا وقد احترق فؤادي وجفاني مضجعي وأخذني الوسواس وأحرمت جميع من حولي من الناس المنام ففي ليلة من الليالي رأيت ولدي في المنام ومن معه من الاولاد في دخلة عظيمة ورابط لهم على باب الدخلة أسدا من الآساد وهو يهددهم بالاكل ليلا ونهارا فانتبهت وقد اشتعل قلبي بالنار وبقيت كذلك حتى طلع النهار واذا بعبد واقف على باب المضرب وهو لابس عمامة دنيسه وثيابا رديه في زي سائل فخرجت اليه ومعي قعب من اللبن وشيء من القديد وقلت له خذ يا غريب وادعي لولدي الغائب بالرجوع فقال لي وقد تبسم من كلامي ومن هو ولدك الغائب لعله الهطال الغطفاني فقلت نعم أهل عندك منه خبر فقال نعم لاني مررت على حلة بني تميم ودارم فرأيته في أسر اللقيط بن زرارة وهو مشبوح بين أربع سكك حديد فأخذتني عليه الشفقة وتقدمت اليه وسألته ما الذي تم عليه فقال لي عن حسبه ونسبه وقبيلته وعربه وحلفني ان مررت على بني غطفان أن نعلم أمي لاجل أن تعلم خالي عنتر وضمن لي مالا كثيرا ان تخلص من الاسر والضرر فهذا ما تم لي من القضية فلما سمعت ذلك من العبد وخلاني وراح جرت دموعي سفاح وها أنا قد أتيت اليك ووقفت بين يديك فلما سمع عنتر ذلك الكلام صار الضياء في عينه ظلام وتعجب من نوائب الزمان وكيف يحدث قبل الفرح أحزان لانه قد تعلق قلبه بزفاف عبله وانحلت عقدته فحدث عليه هذا الحادث فبقي ينظر ما بين يديه فقال لاخته قلي من أحزانك وسيري الى مكانك ثم انه طيب قلبها ونفس عنها كربها ثم أنفذ أخاه شيبوب الى عروة يعلمه أن يجهز نفسه هو ورجاله ويلاقيه على أرض المريقب اذا انسدلت جيوش الغيهب وأخذ من بني قراد مائة فارس أمجاد وأوصى أبيه شداد بكتمان الحال وانه لا يبدي الى أحد مقال وسار في صحبته أخاه شيبوب وجرير وأما عمه مالك فانه انكشف عنه همومه وزالت غمومه لانه كان عوّل أن يجتمع مع الربيع بن زياد ويستشيره في أمر من الفساد وأظهر أنه يقطع الآفاق فرده عنتر وقال يا عماه لم يكن قد امنا أمر يوجب عناك فلا تخيب الرب القديم مسعاك فارجع انت وأصلح حال ابنتك وهيئ حالها واقض أشغالها فقال والله لقد تنغص عيشنا وأشغلناهم الهطال عن أفراحنا فقال عنتر يا عماه من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه وان لكل شيء وقتا معلوم وما أحد يتعدى حكم مسير النجوم وهو الملك الحي القيوم وأنا يا عم طول عمري أعاون الغربا فكيف أتخلى عن الاقربا لاسيما وابن أختي كيف أتركه في الاعتقال فان غفلت عنه فلا أكن ولد حلال ثم انه رده الى الديار وسار يقطع البر والقفار فوجد عروة في تل المريقب هو ورجاله وهم له في الانتظار فأخذهم وساروا يقطعون البراري والقفار وهو يتعجب من حاله وما الذي تم عليه ثم أنشد يقول

الى كم أداري صروف الردا * ومن شأن ذا الدهر أن يغدرا * فيقصد حربي نهارا اذا
ونارة بالليل اذ يعكر * أياد هـــــراني قوي الجنان * مثير العجاج أنا قسور
وعندي احتمال لحمل الاسا * وأخفي الاســـية لا أظهر * تيقن لقيط بقتل الهمام
وعمي لقيط غدا تقصر * أنا عنـــــتر القرم يوم اللقا * اقيم الحروب ولا أفكر

(قال الراوى) ثم انه بعد جد المسير يأتى له كلام * وأما ما كان من أمر هذا اللقيط بن زرارة الذى هم قاصدون اليه فانه كان فارسا جبارا تبطل عنده الشجاعة وتقر له الاقيال بالفروسية والبراعة وكانت الفرسان من العرب تسميه عقاب الحرب وفارس الطعن والضرب وأما أمره للهطال فانه كان له سبب عجيب وأمر غريب لان اللقيط بن زراره كان له اخوة أمارة تنهد لهم الرجال وكانوا ثمانية عشر أخ من أب وأم واحده وكانت أمهم يقال لها ماريه بنت عبد اللات وكانت من المجملات وما كان أحد منهم الا من ينادى بالامير والسيد الخطير وكانوا مثل الكواكب الزهريه والاهلة المنيره فمنهم الامير حاجب بن زراره الذى رهن قوسه عند الملك كسرى على الوفاء لانه كان منعزلا عن أبيه بعربه وكانوا فرقة وحدهم فاقحطت أرضهم ومنع المطر عنهم فرحل بقومه الى بعض الاراضى فرمتهم الطرقات على مدائن كسرى فأخذ هديه سنيه وطلع الى الديوان وقبل الارض بين يديه وقال له يا مالك الزمان اننا اليوم فى جوارك وأينما كنا تحت أمانك ونريد فى هذا العام أن نكون تحت نظرك ونزن لك الخراج مثل ما كنا نزن للملك النعمان فقال له كسرى أنا أقمت عليكم نائبا من تحت يدى يعرفكم ويعرف جنسكم وأما أنتم اذا نزلتم عندى تمارو الى آخر السنة فانكم ترحلوا فما أعرف لكم جبالا ولا جنسا وان كنتم تقيموا عندى خلوا عندى رهاين على الوفاء فقال حاجب هاك قوسى فقال له كسرى ان قوسك معوجة فقال له يا ملك وحالى مستقيم فتبسم كسرى من جوابه وقبل خطابه فصار ذلك فخرا لبنى تميم فهم يفتخرون على العرب بذلك الى زمن أبى تمام الطائى لما كانوا يقدمون الى سوق عكاظ فتأتى كل قبيلة وشاعرها بين أيديها ينشد لهم أبياتا من الشعر يخبر فيها عن مكارم اخلاقهم وما فعلوه أجدادهم من الشجاعة والفروسية فتقدم فى زمان أبى تمام فلما سمع شاعر بنى تميم ينشد بين أيديهم ويفتخر برهن القوس على الوفا فقام أبو تمام قدام بنى طى وبنى شيبان وأشار يقول صلوا على طه الرسول

اذا افتخرت يوما تميم بقومها * فخارا على ما أوطرت من مناقب

فانتم عريب قد أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(قال الراوى) وكان قوس حاجب قد اشتهر فخره حتى نرغت به الشعراء وافتخرت به الامراء وقد قال بعضهم فيه شعرا

وكل وفاء كان فى قوس حاجت * وأنت جمعت الغدر فى قوس حاجب

وأقام القوس فى خزائن الملك الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب لما فتح المدائن وكان فى العسكر عطارد بن حاجب فدخل الى الخزائن فوجد قوس أبيه فأخذه وطلع به الى سيدنا عمر وقال له يا أمير المؤمنين هذا قوس أبى الذى رهنه على الوفاء فتعجبت الصحابة منه لانه لم يكن أحد يقدر يوفيه فى العرب غيره وشاع اسمه وذكره فى القبائل ومنهم مالك الحاتمى ومنهم علقمة مأوى الهالك ومنهم هذا اللقيط بن زوارة الفارس الشجاع والقرن المناع وكان أبوهم أفخر العرب نسبا وأجلهم أصلا وأبا فبينما الامير زرارة مقيم يوما من الايام واذا بأولاده السبعة عشرة أقبلوا عليه وهم يشكون من أخيهم اللقيط وتجبره عليهم وأذيته لهم وأصالته اليهم فانفذ أبوه خلفه فحضر وهو لابس ثوبا خاما رفيعا مطرزا بالاكمام وهو يهتز فى خطوته ويعجب فى مشيته فقال له أبوه يا ولدى قل من تباهيك ومن هذا الاعجاب والافتخار على أهلك وعلى الاغراب فوحق ذمة العرب لو أن فى مرعاك ألف ناقة من النوق العصافير التى للملك النعمان أو تكون زوج بدر اليمن بنت الامير جابر بن رفاع العظيم الشان ما مشيت فى قومك هذه المشية ولا اهتززت هذا الاهتزاز أو تكون أسرت عنتر ابن شداد فارس الحجاز فى البراز فلما سمع اللقيط من أبيه هذا الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وعملت فيه نخوة العرب وكتم أمره ومازح أباه واخوته وقال له يا أبتاه وبهذه الثلاث خصال ينال الانسان درجة الكمال فقال أبوه وأى فخر أعظم من زواج بدر اليمن ونياق النعمان وبراز عنترة الفرسان فقال

اللقيط

اللقيط وحق مالك الممالك المنجى من المهالك مابقيت أرجع الى الاوطان حتى أنال هذه الثلاث
خصال الحسان ثم قام على الاقدام وسار الى بيته ونام حتى ذهب الظلام وشكا حاله الى خاله وطلب
منه المعونة على بلواه فاوعده ببلوغ مناه ومن يومهم ركبوا جوادين وأخذوا ناقة لحمل المال والزاد
وعبدين من العبيد الاجلاد وقصدوا عرض البرارى والوهاد حتى بعدوا عن الديار ودعسوا البر والقفار
ونشاوروا أى الاماكن يقصدون وأى الاقطار يطلبون وكان خاله من أصحاب العقول الزاكيات وكان
اسمه عبد مناف فقال له يا ابن أختى اقبل نصيحتى ومشورتى واقصد بنا فى الاول الى الملك جابر بن رفاع
صاحب المجد والارتفاع فان أنعم بابنته فنسير بعدها الملك النعمان فان ملكت النياق ملكت عنتر
وبشيع اسمك فى جميع الاقطار والآفاق فمال اللقيط الى كلامه وشد عزمه وقوى اهتمامه وجدوا
المسير فى قطع القفار والبيد وكان طلوعهم من أرضهم فى طالع سعيد وكان هذا الملك الذى هم قاصدون
اليه وقادمون عليه ملكا مطاع وطويل الباع وكانت بلاده فى أطراف معادن النحاس وكان هذا
الملك عمر فيها حصنا مشيدة الاركان لا يقدر عليه انسان وكان هذا الملك من أصحاب التيجان وهو ملك
عظيم صاحب عز وتكريم وكان راغبا فى عبادة الاصنام وكان قد اصطنع له صنما من ذهب وبنى
له بيتا على صفات البيت الحرام وجعل هذا الصنم على باب البيت وسماه الجبار ونحن وأنتم نستغفر الله
الملك الغفار وكان له بنت بديعة الجمال فوهبها لهذا الصنم وردّ عنها الخطاب ومنع الطلاب وقال أنا
ما أزوج ابنتى الا لمن يأمرنى به صنمى ولو خطبها منى ملوك الاقطار ثم انه أقام على ذلك الحال (وأما)
اللقيط وخاله فانهم جدوا المسير الى أن قربوا من الديار فأبصروا أرضا واسعة وعينا نابعة وغدرانا سائحة
ووحوشا سارحة وطيورا سانحة وأشجارا السائر الاثمار جامعة ورياضا وحياضا وماء فياضا وخياما
ومضارب وخيولا وجنائب وملكا لا يقدر عليه الارب المشارق والمغارب فقال اللقيط لخاله والله يا خال
ماهذا الا ملك عظيم واقليم لا يقاس بالاقاليم وفى هذا الوقت يريد الانسان قبل اطلاق اللسان
ثبات الجنان ثم انهم نزلوا على بعض الغدران وخلع اللقيط ما عليه من ثياب السفر ولبس ثياب الحضر
وتعمم بعمامة مطرزة الاطراف بالذهب وهى فى رؤيتها عجب وكان جواده من أحمر خيول العرب
وأرخى أطراف العمامة على كتفيه وضيق اللثام وكان حسن القوام ملىء الابتسام وسار هو وخاله
وقد فعل مثل فعاله وساروا الى ان وصلوا الى القصر فرأوا كثرة العساكر وازدحام الدساكر فعندها قوى
اللقيط جنانه وأجرى لسانه وأجهر صوته وسلم وسأل الحجاب أن يأخذوا له الاذن فى الدخول على
الملك فردوا عليه السلام وبجلوا قدره بالاكرام والاحترام وقالوا له أخبرنا ما حاجتك حتى نقضيها وننجز
لك أشغالك وننهيها فقال لهم حاجتى لا أذكرها لاحد غير الملك فلما سمعوا كلامه زادت هيبته فى قلوبهم
لانهم رأوا الشجاعة لائحة عليه تشهد له ولا تشهد عليه فأوقفوه ودخلوا على الملك وأخبروه بالخبر وبما
رأوا من اللقيط وأوصافه (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامهم فرح فرحا شديدا وقال لهم عودوا واسألوه
عن اسمه وعربه فان قال لكم أنا اللقيط بن زرارة من بنى تميم وبنى درام فأكرموه والى عندى أحضروه وان
قال لكم غير ذلك الاسم فاحملوه الى دار الضيافة حتى نتفرغ وننظر ما معنى هذا الكلام فقال له الحجاب
أيها الملك الهمام ومن يكون هذا اللقيط بن زرارة فضحك الملك وأبدى الابتسام وقال لهم ان قصتى عجيبة
وأحوالى غريبة اعلموا ان لى اليوم عند صنمى قيمة ومقدار لانى ثقلت وزنه وزدته من الذهب قنطار فبقيت
صورته عجيبة وقلت له بعد ذلك أسألك أن ترزق بنتى بزوج يكون شجاعا وقرنا مناعا صاحب حسب ونسب
وسيدا من سادات العرب الى أن كان فى هذه الليلة رأيت صنمى أقبل على فى حال الرضا وقال لى أبشر فقد
سمعت كلامك وبلغتك مرامك وقد أرسلت الى ابنتك بعلا كريما صاحب قوة وشطاره ويسمى اللقيط بن

زراره وهو فارس همام وأسد ضرغام وقد رضيته لابنتك بعلا ورأيت كذلك فى الليلة الثانية وفى هذه الليلة الى أن أصبح الصباح فدخلتم على وأعلمتمونى بذلك فقلت لكم على السبب (قال الراوى) وكان هذا المنام من الشيطان لاجل وسوسته بابنته ولسعد اللقيط فرجعت الحجاب الى اللقيط وسألوه عن حسبه ونسبه فانتسبهم باسمه وعرفهم فاخذوه ودخلوا به على الملك فترحب به ورفع قدره وسأله من أنت ياوجه الاماره فقال أنا الذى شهدت بفخاره الكواكب السيارة أنا اللقيط بن زرارة صاحب الشرف العالى الملقب بعقاب الحرب يوم طعن العوالى وقد أتيت خاطبا ابنتك زينة البنات الغوالى فأوصل حبالها بحبالى ولا تضيع سعيى اليك أنا وخالى فاعجب الملك كلامه وقال له مايحتاج الى هذا الكلام فان حاجتك قد انقضت قبل وصولك الينا بأيام والذى أمر بقضائها لا يقدر أحد يراجعه فى كلام ثم أخذه وأجلسه الى جانبه وأكل معه الطعام وقدم له مارق من المدام وفى ثانى الايام أمر الملك باصطناع الولائم ودق الطبول وانقلب الحى بالافراح وتزينت البنات الملاح ورقصت الاماء والمولدات والبنات العربيات ودارت باللقيط السادات وصاروا يهنئونه بزوجته ويهنئون الملك به وبهمته وبعد ذلك مد الملك يده الى اللقيط وصافحه وعاقده وناكحه وشرط على نفسه انه قبض المهر والصداق وبعد ذلك ضربت قبة الزفاف ولا بقى خلاص غمد اللقيط زمانه وانزاحت عنه أحزانه ودخل على زوجته فوجدها مثل الشمس الضاحية فى السماء الصاحية فتفكر فى هذا الحال وكيف انه يدخل عليها بلا مهر ولا مال فخاف أن يبقى معيرة طول الزمان وتضرب به الامثال جميع الفرسان فاعطاها ظهره ونام ساعة من الليل فابصر الجارية نائمة فقام من عندها وخرج الى خاله واعلمه بحاله وما خطر بباله فقال له لقد نظرت موضع النظر ومن الصواب أن تقصد بنا أرض العراق ونسأل الملك النعمان فى المهر والصداق فعسى أن نأخذ شيأ من الدنانير وقطعة من النياق الصعافير ونرجع مجبورا عند الكبير والصغير ثم انهم شدوا على خيولهم وساروا يقطعون القفار الى أن طلع عليهم الغبار فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما الجارية) فانها انتبهت وقت السحر فما رأت لزوجها خبر ولا جلية أثر فزادت بها الافكار واذاهى بالنسوان دخلت عليها يهنوها بزواجها فرأوها وحدها فسألوها عن حالها وما تم عليها وجرى لها فقالت لهم انه مادنا منى بل لفت ظهره ونام عنى وها أنا قمت وقت السحر فما رأيته فقلن لها النسوان والله ان أباك فعل فعال الجهال ردعنك الخطاب من كل أمير وزوجك لرجل غريب فقير وباعت الناس واشترت فيها وفى أيهما الى أن بلغه ذلك فقال لهم أنا ما فعلت الا ما أمرنى به صنمى وان كان أخطأ أو أصاب فهو أخبر بالصواب فقالوا صدقت أيها الملك المهاب فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) اللقيط وخاله فانهم مازالوا سائرين يريدون الملك النعمان وفى نية اللقيط أن يلقى كل من عنده من الفرسان ومما اتفق انه التقى بالحارث وهو تائه فى الوديان والبرارى والقيعان وهو خائف من الملك النعمان لانه عرف ان الملك كاتب فيه جميع العربان وكان اللقيط وصل اليه كتاب الملك النعمان فلما رآه نادى وافرحاه بلغت المنا ونلت جميع المهنا وانحلت عقدتى وقضيت حاجتى ثم انه أعلم خاله بتلك الاسباب وانقض على الحارث مثل العقاب وانطبق كل واحد على صاحبه وجد فى طعانه ومضاربته وأخذ فى الهزل والجد والصد والرد وكان الحارث يقاتل عن نفسه قتال مغلوب وقد حلت به الكروب * هذا واللقيط طامع فى أخذه أسيرا الى بين يدى الملك النعمان حتى يبلغ المال والاحسان ودام بينهما القتال حتى تصرم النهار ومل الحارث من الطعان لانه كان تعبان جيعانا ولهان وقصر جواده فى الجولان وانكسر منه الرمح وأراد أن يجذب سيفه فذا الحيات فلم يمكنه اللقيط من ذلك بل هجم عليه هجوم الليث اذا انذعر فناداه الحارث ترفق بى ياسيد بنى دارم ولا تظلم رجلا قد أضر به البر من مقاسات البرد والحر فاحسن أيها الامير لمن

بقى فى يدك أسير ثم وقف وأسبل يديه وأجرى دمعه على خديه فقال اللقيط أدركنى والا أوردك تلافك فقال الحارث سمعا وطاعة ياسيد العرب الاعمان لكن بحق الملك الديان لاتشاركنى فى دمى الملك النعمان وان كنت تعفو عنى فأنا أعطيك مالا كثيرا ونوقا وجمالا ثم غافله وهجم عليه وجذب سيفه ذا الحيات وضربه على رأسه فقطع البيضة والزفادة ونزل الى نصف جبهته فخرجه جرحا شنيعا ولولا ان الحارث كان ضعيف القوى لا رجمه أن يشم نسيم الهواء هذا واللقيط ندم على فعاله واستعجز نفسه على سماع مقاله وقد اسودت الدنيا فى عينيه وأظلمت البيداء عليه فنظر حاله الى ذلك فأيقن له بالمهالك وحمل على الحارث وأشغله عن حاله وأخذ معه فى مجاله لانه كان بطلا من الابطال وفيلا من الاقيال فقاتل الحارث الى ان فاق اللقيط وعاد على الحارث عودة الاسد الربيال وطعنه طعنة ألقاه من على ظهر الجواد ونزل اليه وشده كتاف وقوى منه الاطراف وهو لا يعقل من الجوع والعطش وزاد به الرعش والدهش وأقبل على اللقيط خاله وقطبه وأقاموا فى هذه الارض الى ثانى الايام وقاموا وشدوا الحارث على ظهر جواده وجدوا المسير وأمنوا من التعسير وصاروا يجدون فى البرارى والآفاق مدة من الايام الى ان أشرفوا على أرض العراق ومن جملة سعادة اللقيط أن دخوله كان فى يوم النعيم لانا ذكرنا فى أول السيرة تأصيل هذين اليومين وهم يوم النعيم ويوم البؤس فلما نظرت طائفة النعمان الى اللقيط تجاروا اليه وخلعوا جميع ما معهم عليه ونثروا عليه الفضة والذهب وصاحوا عليه صياح الفرح والطرب حتى وقف جواده عن السير فنادى على العبيد والغلمان وقال ياقوم اصبروا قليلا فقد غمرنى بالاحسان حتى أصل الى هذا الملك العظيم الشان سيد ملوك الزمان وخليفة كسرى صاحب الايوان لان معى عدوه الحارث بن ظالم وأريد منه العطاء والمكارم فلما سمعوا منه هذا المقال زاد فرحهم والانبهال وعادوا الى النعمان ثم أخبروه بما جرى من الاحوال ففرح النعمان ومال وزاد به الفرح والانبهال وأنس من هذا المقال وقال خذوه وفى بعض المطامير ارموه ووكلوا به جماعة من العبيد وصبوا عليه العذاب الشديد حتى تنقضى أيام النعيم والعيد لانى ان وقعت عينى عليه بدلت النعيم بالبؤس وبعد ما يكون سعودا ينقلب نحوس فعند ذلك سارت الغلمان وأخذت الحارث من اللقيط وفى بعض المطامير سجنوه وبعد ذلك ترجل اللقيط عن الجواد وتمنى وسلم فأبصر النعمان الى حسن خطابه وجميل أثوابه فترحب به وزاد فى اكرامه وسأله عن حسبه ونسبه وقومه وعربه فقال يامولاى أنا من بنى دارم أصحاب المنازل والمعالم والخيول القوادم والسيوف اللهازم الذين نارهم فى الحرب لا تخمد ولهم من النجيع دم مزبد وأنا اللقيط بن زراره الذى شهدت بفخاره الكواكب السيارة الفارس الوثاب والليث المهاب المسمى فى الحرب بالعقاب (قال الراوى) فتعجب الملك النعمان من سرعة جوابه وحدة خطابه وقال له يا ابن السادة الاماجيد تمن على واطلب ما تريد فى هذا النهار السعيد فثبت اللقيط جنانه واطلق لسانه وشرح للملك النعمان قصته وخبره وأمره واعلمه بزواجه وقال له أيها الملك الهمام اريد منك شيأ وهو مناقلبى وبغيتى من الزمن وهو مهرزوجتى بدر اليمن فقال له الملك النعمان باللقيط وحق النور والنار لو كنت طلبت ملكى لسلمته اليك ولا أمن به عليك ومادام انك قنعت منا بذلك الامر والشان فسوف يصل اليك وكان اللقيط قد طلب من الملك النعمان الخطير ألف ناقة من النوق العصافير فعندها نال الملك النعمان للخدم والغلمان أنتم وما خرج معكم فى هذا اليوم من مال ونوال وأوانى فضة وذهب وخلع وجنائب وأثواب الحرير فانه يكون لهذا الغلام قليله والكثير واذا قضينا حق ضيافته ثلاثة أيام أوصلناه الى ما يتمنى من الانعام ثم انه ضرب له المضارب والخيام ورتب لخدمته الخدام ونظر اللقيط الى ذلك الحال فرآه حالا عظيم وجنة نعيم ورأى ألوانا من الطعام والاوانى تحمل بصافى المدام فعند ذلك اغتنموا الاوقات

وانتهبوا اللذات مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أمر له الملك النعمان بألف ناقة من النوق العصافير وخمسمائة من غيرها وحمل على أكثرها حرير وطيباوزاداوسيره من عنده في زي الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار بجمال وأحمال وخيول وبغال وعبيد واماء ومال وأراد أن يسير معه خيلا تغثره فأبى اللقيط ذلك لعزة نفسه وسار هو وخاله يقطع البر والدنيا لا تسعه من شدة الفرح لانه كان في نار الفراق زوجته بدر اليمن حتى ظن أنه ما بقي يجتمع بها بقية الزمن وكان أبو الجارية من حين ما فارقه اللقيط قد اشتدت بليته وعظمت رزيته وأكلوه بنوعمه بالكلام وأوجعوا قلبه بالملام وهو بظاهر الجلد ويخفي الوجد والكمد وكلما يسمع العزل يقول أنا ما أسمع في صهري كلام ولا أشك فيما أمرني به صنمي في المنام ومازال على مثل ذلك حتى وصل اللقيط بتلك الاموال والنوق والجمال ولما تلاقوا عتب عليه الملك ولامه على غيبته فقال له اللقيط أيها الملك أنت فعلت معي عند قدومي عليك مالا يفعله أحد ورضيتي لابنتك بدر اليمن وحملتني فوق طاقتي منن وأنا ما رأيت ان أملك بنات الملوك بلا صداق ولا مهر وأعاير بذلك على طول الدهر وأنا أدعى بسيد الفرسان في العصر فضيت في طلب المعاش والمكسب فسبب لي القديم من حيث لا أحتسب ثم انه حدثه بحديثه من حين فارقه الى حين رجع ثم أمر العبيد فقادت بين يديه الجنائب المزينة بسروج الذهب والنوق العصافيرية وأظهر ما صحبه من الاموال والجواهر والثياب الغوال والفضة والذهب فحار الملك بما رأى من العجائب وفرح لابنته بهذا البعل العالي المناقب ثم انهم جددوا الولائم والدعوات وعملوا الفرح والمسرات ثلاثة أيام متواليات وزفها على اللقيط زفافا ثانيا وزاد فرحه بذلك الحظ والمعاني والتقى اللقيط مع زوجته وبات فرحانا معانقا لها وقضى ليله معها الى الصباح ولم يزالوا كذلك في أطيب عيش وانعام مدة من الايام وبعد ذلك اشتاق الى الاوطان وأراد أن يعلم أباه واخوته بما وصل اليه من الملك النعمان فاستأذن أبا الجارية في المسير الى أهله باهتمام وحدثه بما جرى له مع أخيه من الاقاويل والكلام فأذن له في ذلك بعد ما علم أنه كفؤ لابنته وأعطاه شيأ كثيرا من ماله ونعمته وودعت بدر اليمن أباها وجميع بنات عمها بعد ما ودعت أمها ومن الغد حلف عليه اللقيط ورده الى دياره والاوطان وبعد ذلك سار اللقيط هو وخاله يقطعون السهول والوديان وهم يتناشدون الاشعار ويروون الاخبار فلما تمادى بهم المسير وجدوا في التشمير فعند ذلك أنشد اللقيط يقول صلوا على طه الرسول

بلغت كل المنا والسؤل في زمني * لما ملكت بسيفي بدرة اليمن
بدرا اذا بدرت من حول مضربها * بوادر النوق صار الخلق في المحن
تمت ملاحتها فالشمس تخدمها * اذا بدت في معاني الحسن والدمن
كأن سيف أبيها من لواحظها * يغري القلوب بلا فرض ولا سنن
كأنما الحسن واخاها وصاحبها * كما تصاحب روح الحي للبدن
لو نادت الميت يوما في مقابره * لقام يسعى ولباها من الكفن
ملكتها بحسامي بعد ما انقطعت * قلوب خطابها من شدة المحن
وقد تهيبت الابطال من همتي * اذا مصيت ذيول الفخر في وطني
وكلما جد سيفي في الوغا خضعت * له الفوارس من صنعا الى عدن

(قال الراوي) ولما فرغ اللقيط من شعره ونظامه ونثره وابرامه استوى على سرجه وطلب الطريق الواضحه وسار بهمة فالحه وجدوا في قطع الربا والاكام فبينما هم سائرون يقطعون البر والوهاد اذ قد طلع عليهم الهطال ابن أخت عنتر بن شداد في عشرين فارسا من فوارس بني غطفان الاجواد

ونظروا

ونظروا الى مامعه من النوق والجمال والخيل والاموال وهو وحده فى تلك الرباوالتلال فطمعوا فيه وطلبوه بما معه من ذلك المال وان ينجو بنفسه سالما فلم يلتفت اليهم بل حمل عليهم وحملوا عليه ولم يزل القتال يعمل بينهم الى ان قتل اللقيط ثلاثة من جماعة الهطال وثنى منهم اثنى عشر فارسا ريبال وبعد ذلك حمل على الهطال ولم يكن الهطال من رجاله ولا يعد من أشكاله ولم يطل بينهم المطال حتى أخذ الهطال أسيرا بحالة الذل والتعيير وبعد ذلك أقبل على الهطال وقال له من أى العرب أنت تكون من الفرسان ولمن نسبك بين العربان فقال له أنا من بنى غطفان أصحاب الاكاليل والتيجان ولهم اتصال ببنى عبس وعدنان وخالى عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد ولولا ضعفت مناكبى وأوصالى ماقدرت على فى مجالى فلما سمع اللقيط كلامه تعجب من اقدامه وقال لخاله ياخال مارأيت أبرك منها طريق فقال له خاله وكيف ذلك يالقيط فقال له أنت تعلم بقصتى وكيف خروجى من الحى وذلك لما شكانى اخوتى الى أبى ورآنى وقد أتيت أصحب أذيال نجبى وقال لى لوان فى مراعيك ألف ناقة من النوق العصافيريه أوانت زوج بدر اليمن بنت صاحب السرادق الكبير اوتكون لاقيت فى البراز عنتر فارس الحجاز مامشيت هذه المشية ولااهتززت هذا الاهتزاز وماعايرنى أبى بهذه الاشياء الا أنه قد علم انها غاية التحف وأعلا درجات المعالى والشرف وها أنا قد لاقيت منها اثنين بافعالى واقبالى ونلت بهم المعالى والدرجة الثالثة هذا الغلام الغطفانى لانه ابن أخت عنتر بن شداد ولابد لخاله أن يأتى لخلاصه وألقاه قدام أبى وأريه ما أفعل به فى حومة الميدان وان لم يأت فأنا أسير اليه بجماعة من أصحاب عشيرتى الاعيان وأقلع بنى عبس جميعا ولا أبقى لهم آثار وآخذ لبنى عامر منهم الثار ولا أترك العرب تعايرهم فى جميع الاقطار لان من يقتل خالد بن جعفر فانا خصمه طول الزمان واذا أهلكت بنى عبس وعبدها لا يتوجه على ملام ثم انه سار بمن معه وهو فرحان حتى وصل الى دياره والاوطان وقال لهم انه قد فرح بى الملك النعمان وصار لى عنده اليد البيضاء واليه سبقت المبشرين بالاخبار ونال منزلة عالية وفخار وكان أبوه مشتغل القلب عليه وقد ندم على ذلك المقال الذى قاله اليه ومازال على ذلك الحال حتى أخبروه بقدومه فخرج الى لقائه من يومه هو وسائر اخوته وجميع قبيلته ولما رأى مامعه من الاموال والنعم فرح بذلك وسأله عن حاله فأخبره بكل ماجرى له وكيف ساعدته الاقدار وصروف الزمن حتى تزوج ببدر اليمن فزاد سرور أبيه لعظم همته وعلم انه أقوى من سائر اخوته * هذا وقد شد الهطال مع رفقته وعمل الولائم لفرسان عشيرته ونحر وعقر لسلامته ومن شدة عجبه بنفسه وشوقه الى لقاء عنتر بن شداد أنفذ ذلك العبد الى بنى غطفان وأخبره عن لسان الهطال بالخبر الذى ذكرناه وأعلمه أنه يقول لامه على لسان ولدها اقصدى خالى عنتر واعلميه بالخبر وما أنا فيه من الاسر والضرر فانى فى عذاب شديد وهوان ماعليه من مزيد فمضى العبد واعلم امه بذلك الخبر فتنغص عيشها وتكدر واعلمت بذلك اخاها عنتر فتنهد وتحسر وفى اليوم الثانى تجهز للمسير وسار عنتر وهو متعجب ومتفكر فى حوادث الايام وماتبديه الشهور والاعوام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

وجدى بكم رغما مى كيف أستره * وفى فؤادى نار الحرب تسعره
فكيف استر حالى وهو مشتهر * وكيف أنكره والدمع يظهره
أقول قد قر قلبى فى محبتكم * فينثنى لى باشواق تغيره
وكلما قلت دهرى قد صفا وعفا * عادت لياليى هجران تكدره
ياعبل كيف أفيق اليوم من ولهى * والدهر عاندنى حظى يظاهره
وانى طالب الهطال أطلبه * من الوثاق ومما كان يحذره

أردى اللقيط على الغبراء مجدلا * أو ينثنى وهو فى اسر يخاطره

(قال الراوى) فقالت الفرسان لا رد الله فالك ولا كان من يشنالك وساروا الى أن قربوا من ديار بنى دارم وشارفوا أرضهم والمعالم وبقى بينهم وبين حلتهم يوم واحد فنزلوا على بعض الغدران وتشاوروا فيما يفعلوا من الامر والشان فقال لهم شيبوب الرأى عندى انكم تأخذوا فى عرض البر واذا صرتم خلفهم تكمنوا الى أن أعود اليكم وأقول لكم كيف تكسبون القوم وأنا ان شاء الله تعالى أتركهم تغنموهم وتملكوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وتخلصوا الهطال وتأخذوا أموال بنى دارم وتستعينوا بها على الافراح والولائم لئلا ترجع تتغير عليك نية عمك مالك ويرتد عما كان عازما عليه من ذلك فقال عنترة والله يا أخى لقد أشرت بالصواب وأتيت بالامر الذى لا يعاب لاننا ان تم لنا هذا الحال افتخرنا وبلغنا الآمال من خلاص الهطال فقال شيبوب هذا يتم ان شاء الله الكبير المتعال فدبروا كما ذكرت لكم وانظروا كيف الحال ثم انه رحل بهم وأخذ بهم فى عرض البر الاقفر حتى علم انه قرب بهم منازل اللقيط رحلة بنى دارم وقال لهم دوموا أنتم على مسيركم الى وادى الرملة وتلك المعالم واكمنوا هناك حتى أعود اليكم سالم ثم ان شيبوب أخذ معه أخاه جريرا وخرج يطلب الاحياء والخيام وكان قد لبس ثوبا خام قصير الاكمام ثم تعمم بعمامة كبيرة وأوسع هو وأخوه جرير فى المسير على الاقدام حتى وصلوا الى ديار بنى دارم قبيل الظلام ولما قاربوا المضارب توانبت اليهم العبيد من كل جانب وسألوهم عن حالهم فقال شيبوب نحن رسل من بنى عامر الى الامير اللقيط من عند الامير الاخوص بن جعفر وملاعب الاسنة غشم بن مالك أين نجد الامير يا فتيان فقال لهم العبيد اقصدوا الى ذلك السرادق الكبير الاطناب الواسع الاركان فتقدم شيبوب وجرير فوجدوا اللقيط جالسا على باب المضرب وله هيبة عظيمة وملوك العرب كلها حوله واخوته بين يديه والخيول والنوق تعرض عليه فلما رأى شيبوب ذلك قوى جنانه وأطلق لسانه وشق الكل قبل أن يسأله اللقيط عن حاله ودنا اليه وتقدم الى بين يديه وخدم وقبل الارض وقال حيا الله الامير المحتشم والفارس الغشمشم سيد بنى دارم ونسل السادات الاكارم سيد هذه الديار وحاميها وفارس الخيل ومرديها فقال له اللقيط وقد استغرب به وصار يتأمله وناداه يا غلام من أبى أنت يا مولد العرب ومن أى الناس أنت يا ابن الكرام فقال له يا مولاى من بنى عامر وقد أتيت اليك لان سيدى الاخوص بن جعفر أرسلنى لك من شفقته عليك وقال لى سر الى أخى اللقيط واخبره ان عنتر بن شداد سائر اليه قاصد خلاص ابن اخته الهطال وأنا يا أمير خائف عليك من شره فان وجدت منه غفلة فجرعه كاس الممات وأريدا ذا بلغت الرسالة تقول له أن يجعل باله من الحارث بن ظالم الذى قتل أخى فى حرم النعمان فان وقع به عين علينا بانفاذه حتى نشكره طول الزمان وان كان الهطال كما ذكر عنده فى الاسر والاعتقال يرسله الى حتى أذيقه الوبال وأرسل له عوضه مهما طلب من المال وان كان قتله عين علينا برأسه من جملة المنن ويجعلها حق تهنئتى له بزوجته بدر اليمن فلما سمع اللقيط ذلك الكلام من شيبوب تعجب من حلاوة لفظه الذى أخذ بمجامع القلوب وقال وحق ذمة العرب ما هذا العبد الا فصيح اللسان يصلح لقضاء الحوائج من كل مكان فلله در قبيلة عبيدها تشابه ساداتها ثم انه قال يا غلام ان الحاجة الاولى التى طلبها صاحبك قد قضيت وانى سلمت الحارث الى من يسفك دمه وقد قضيت الحاجة فيه ثم انه حدث شيبوب بما جرى له مع الحارث وكيف ساقه الى النعمان وسلمه اليه وهو فى حال الذل والهوان وكيف أخذ عرضه النوق والجمال وبعض ما تيسر من المال وأما الهطال فهو الى الآن فى الاعتقال الى أن يأتى حاله الى خلاصه من وثاقه فاذا جاء أجعل عطبه ومحاقه والا فحاشا لمثلى أن يبيع عدوا لصديق بمال أو يأخذ حقه نوقا أو جمال وانى قد أقسمت برب الخلق والبشر أننى لا أترك من بنى عبس من يخبر بخبر ولا أبقى منهم كبيرا ولا صغير ولا آخذ منهم فدية الاسير ولو جل ذهب وقد عولت عند الصباح

ان

أن أسير الى هذا العبد بخواص عسكرى واجنادى ولا أدعه يصل الى أرضى و بلادى لانى أنا الذى
أنفذت الى أم الهطال وأخبرتها انه عندى فى الاسر والاعتقال وقد علمت انها تمضى الى بنى عبس ويقطع
نفسها على أخيها حتى يأتى بجماعة من فرسان عشيرته أو يأتى وحده بحماقته و يطلب خلاص الهطال
من يدى ولم يعلم انى حريص عليه بكل طاقتى و جهدى وها قد بلغنى ان ذلك العبد الزنيم نسل الاوغاد
قد أتى قاصدا الى هذه البلاد وكان الذى أعلم اللقيط بالخبر هو العبد الذى أرسله الى أم الهطال لانه قد عاد اليه
وأخبره بما فعل ودبر وقال ما يا مولاى ما برحت حتى وصلت أم الهطال الى بنى عبس فى جماعة من النسوان
وعلمت أنها تقصد عنتر من دون الفرسان وتطلب منه خلاص ولدها فقال له اللقيط ياويلك قد عجلت
بعودتك وكان الصواب مسيرك خلف النسوان ونظرك الى عنتر كيف يدبر وفى كم يسير من الفرسان
ومتى يكون مسيره الى هذا المكان ثم انه صار يتأهب للقتال وعنتر ينتظر شيبوب وجرى ما جرى من
التبيين وقوى عنده اليقين وشد عزمه على المسير وسرعة التشمير فلما نظر شيبوب الى ذلك الحال علم انه
انخدع بالمحال فقال له يا مولاى اذا كنت تكرمت علينا بهؤلاء الانذال فأنا أريد أتونى عذابهم ما داموا
فى الاعتقال الى أن تعود أنت مؤيدا منظفرا ومعك أسرى بنى عبس ومعهم عنتر وأرجع أنا يا مولاى الى
سيدى الاخوص بن جعفر بما يسره من الخبر وينقطع من بنى عبس الاثر لانى ما أتيت من عند مولاى الا
وملاعب الاسنة معول على غزوهم والمسير الى ديارهم فى أبطال بنى عامر لعل أن يفرق شملهم ما دام عبدهم
غائبا عنهم لان لنا فيهم عيونا وارصادا من وقت ما عاد بناهم يأتونا باخبارهم ليلا ونهارا ولولا ذلك ما كنا
علمنا بمسير عنتر بن شداد لما سار وطلبك بفرسانه الاشرار فلما سمع اللقيط ذلك الكلام قال لشيبوب
وما معكم خبر فى كم سار هذا العبد من الفرسان فقال بلى يا مولاى أخبرنا أنه سار فى ألف فارس أعيان
من فرسان بنى عبس وعدنان الا انهم كلهم أبطال وشجعان فقال اللقيط لما سمع هذا الكلام بعد ان
زاد به الابتسام أذل الله ذلك العبد ولد الزنا وفى ألف فارس يريد أن يلقى مثلى أنا وحق البيت الحرام
وزمزم المقام لارينه ضربا وطعان تتحدث به السفار والركبان ثم انه أمر عبيده أن يسلموا الهطال ومن معه
من جماعته الى شيبوب حتى تنفرج عنه الكروب ثم قام هو الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح
وأخذ من قومه ثلاثة آلاف فارس ليونا عوابس وترك فى الخيام خمسمائة فارس تحفظها من الوساوس
وسار وهو من شدة حنقه من عنتر يحلف أنه لا يرجع حتى ينزل به العبر وقد أعجب بنفسه وتكبر على
أبناء جنسه ولما سار ركب الطريق الراضحة التى تنتهى الى بنى عبس وما علم ان الذى جاء له جاسوس وقد أراد
له التعس والنكس ولما خف الحى من ذلك الامر الخطير أرسل شيبوب أخاه جريرا الى أخيه عنتر يعلمه
بذلك الخبر فلما وصل اليه زالت عن قلبه أفكاره وسأله عن حقيقة حاله فأخبره كيف سار اللقيط بثلاثة
آلاف فارس من قومه الابطال الى ديار بنى عبس والاطلال وأخلى الحى من الفرسان والرجال ففرح عنتر
بهذا المقال وأقام الى وقت السحر ورحل عند الصباح برجاله والفرسان وقد تأهب للضرب والطعان
وركب على بنى دارم فى الصباح ومازال واقفا برجاله فى البطاح حتى رأى السرح قد اتسع فى المراح
فطلب ذلك الوقت الجمال والنسوق الملاح ودخل فيها وساقها هو وأبطاله بالرماح وساقوا معهم العبيد
والاموال وأخذوا ما قدروا عليه فى الحال وطرحوا فى أنفية العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال ومددوا
أكثرهم على الرمال وأعادوا الباقين ينادون بالويل و الوبال حتى وصلوا الى المضارب والخيام فركب
باقى اخوة اللقيط وطلبوا البر والاكام وطلبوا القارة وهم مثل الطيور الطيارة والكل بالدروع الحديد
والزرد النضيد وكان عنتر أمر خمسين فارسا أن تسوق الجمال ووقف هو وباقى القوم يردوا الفرسان والابطال
ولما وصلت الشجعان الى مقام الضرب والطعان تصايحوا أشد صياح ومد بعضهم الى بعض عوامل

الرماح وتطاعنوا طعنا يخطف الارواح وتصادموا بشفار الصفاح حتى اهريق الدم وساح وكان عنتر علم انه ما فى الحملة أكثر من العسكر الذين ظهروا فسطى عليهم بقوته وتجبر عليهم بفروسيته ساعة من النهار ومالت الفرسان من الضراب وتنافروا تحت الغبار والضباب فدفعتهم أبطال بنى عبس حتى تاربت المضارب ووقع الصياح من كل جانب وخرجت العبيد والاماء يطلبون المدافعة والحما وقطرت الاسنة دما وكان شيبوب قد عرف نفسه للهطال وطيب قلبه وقلب من معه من الابطال وأعلمهم ان عنتر يغير على الاحياء عند الصباح ويطلق لهم السراح ففرحوا بذلك وانفرجت عن قلوبهم الهموم والاتراح وقد تباشروا بالخلاص والفلاح حين تم من الحديث ما تم وابصر شيبوب المضارب قد خلت من الابطال والعبيد واشتغلوا بالقتال الشديد وأمكنته الفرصة فحل القوم من الوثاق والحديد وأتى لكل واحد منهم بجواد من الخيل الجياد وأتاهم من السلاح بما كفاهم وقال لهم الحقوا بنى عمكم واعينوهم على القتال فقال له الهطال جزاك الله خيرا يا شيبوب لانك لم تزل أنت وأخوك مفرجين الكروب ثم انه حمل يطلب خاله برجاله وأبطاله ولما قاربوا المعمعة صاحوا كلهم وحملوا وبذلوا ما معهم من العدد وقاتلوا وكانت رجال الحى على الهرب قد عولوا ومابقى ثابتا منهم الا احوة اللقيط بن زرارة لانهم خافوا أن ينهزموا من مائة فارس وهم خمسمائة من الابطال القناعس وهم كلهم عصبة وأعاصب وبنوهم واقارب فصبروا حتى أمسى المساء وأقبل الظلام فالهبهم عنتر بالطعن حتى أدخلهم الى المضارب والخيام والجأهم الى النساء والعيال وقد ترك الارض ملآنة بالقتلى وطرحهم على الرمال فى جنبات الفلا وعاد عنتر وهو يقول لعروة ورجاله يا بنى عمى مادام رجالنا تخلصوا من الاسر والاعتقال وأصحابنا الآخرين قد أبعدوا بالنوق والجمال فنحن ممن يستحسن سبى العيال فى غيبة الرجال والابطال والصواب عودتنا من هذه البلاد وترك البغى والفساد ثم هنى الهطال بالسلامة والخلاص من الندامة وساروا فى عرض البرارى والقفار طالبين الاهل والديار فقال لهم شيبوب سيروا على أثرى فساروا خلفه بالاموال وتأخر عنتر فى خمسين فارسا من الابطال وسار على أثرهم حاميهم حتى بعدوا عن ديار الاعدا وانقضى أكثر الظلام والدجا ولحقوا أصحابهم وهم على حالهم حتى تضاحى النهار وحميت الصخور والاحجار فنزل بهم شيبوب على ماء يعرفه يقال له ماء العوام ونام القوم هناك وارتاحوا بالمنام ولما عولوا على المسير قال عنتر لشيبوب ويلك على أى أرض أنت سائر يا ابن السوداء فقال له على ديار بنى عامر يا ابن البيضاء ولكن لا أدخل عليهم الا فى الليل حتى لا يسمع الاخوص بن جعفر باخبارنا الا ونحن فى ديارنا فقال له عنتر سر بنا أنت على أى أرض أردت واذا خرج أهلها الينا ونفروا علينا بددت شملهم ولو انهم بعدد رمل القفار ثم رحلوا وسار بهم شيبوب على غير طريق معروفة ومازال يقطع بهم الطرق والمنازل ويردبهم الغدران والمناهل حتى أشرفوا على ديار بنى عامر ونزل بهم شيبوب دونها ورحلوا من أول الليل وجدوا المسير الى ان أصبح الله بالصباح وجازبهم ديار القوم ولم يعلم أحاه بذلك ولم يزل سائرا بهم حتى تنصف النهار وأمرهم بالنزول والراحة وهناهم بالسلامة فى تلك الساحة فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة وايش كان خلفنا من الخطر حتى تهنينا بالسلامة وهى لم تزل معنا مادمنا مالكين سيوفنا ورماحنا ونحن على ظهور خيلنا وفينا أرواحنا فقال له يا ابن الام أنت تعلم ما بيننا وبين بنى عامر والاخوص بن جعفر من العداوة والدماء ولولاهم ما كنا حرمنا كم فى هذه الليلة من الراحة ومن لذيذ الكرى الا انى خفت ان يعلموا بنا فيعوقونا عن مسيرنا وبلوغ مرادنا فقال له عنتر يا ابن الانذال لعن الله أباك وأمك وعربك وقومك وحق ذمة العرب يا ابن الزانية لو انى علمت ذلك ما كنت أنا عبرته وتركت بنى عامر فى عافية ثم نزلوا فى ذلك المكان حتى تقضى أكثر النهار فعند ذلك رحلوا طالبين أرضهم وبلادهم وهم مشتاقون الى

حريمهم وأولادهم ومازالوا يقطعون البرارى والبطاح حتى لاحت لهم غرة الصباح فدشيبوب نظره فرأى غبارا قد ثار واغتم منه ضوء النهار وهو غبار وعجاج وزوابع ملأت الفجاج فعند ذلك وقف شيبوب وقال لاخيه عنتر هذا غبار بين أيدينا قد ظهر وأقبل من ناحية أرضنا وأرض بنى فزارة وأنا خائف أن يكون اللقيط بن زرارة ولاشك أنه سار لما رحلته أنا بالمحال ودخلت عليه بالاحتيال وأقول انه طلبك فى الطريق فما وجدك فوصل الى بنى عبس وقطع الطريق والبلاد ودهاهم بداهية وعاد أو يكون بنو عامر بلغهم الخبر انك سرت الى بنى دارم فساروا الى أرضنا ورجعوا منها بالغنائم ولا تخلوا القضية عن هذه الاحوال والصواب اننا نتأهب للقتال ولا نزال فى هذا المكان حتى ننظر الصدق من المحال ثم انهم ردوا النوق والجمال وما ساقوا شيأ من الاموال وتركوا الكل وراء ظهورهم وتقدموا الى ذلك الغبار الذى لهم لاح وهزوا فى أيديهم قطع الرماح وأشهروا البيض والصفاح ولما ان قاربوا الغبار ظهر من تحته جيوش مثل الرمل السيال وفرسان كانهم الجبال وكلهم بالدروع الثقال ومعهم خيول وجمال ونياق وأموال ونساء وأطفال وعويل قد قلب السهول والجبال فقال شيبوب لاخيه عنتر الآن قد ظهر الامر وبان الخبر والغريم قد اشتهر ودهينا فى المال والعيال وان كان حزرى قد أصاب فلاشك ان هذا جيش بنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب فقال عنتر والله لقد صدقت ياشيبوب وهذا صوت عبلة قد قلب البر والمهاد وكذا أصوات نساء بنى عبس وبنى قراد (قال الراوى) وكان الحساب الذى حسبه شيبوب وعنتر صحيح لان الاخوص بن جعفر لما قتل الحارث بن ظالم أخاه فى حرم النعمان ودبر ما دبر من التدبير وعاد هو الى بنى عامر وفى قلبه من بنى عبس نار السعير ومن شدة حنقه عليهم وما عنده لهم من الاحقاد ترك عليهم العيون والارصاد وصارت تأتى اليه الاخبار من تلك المعالم والديار الى أن بلغه الخبر ان عنتر قد سار الى بنى دارم وفى صحبته جماعة من الفرسان المقادم من سادات بنى عبس الذين عليهم المعتمد وكان قد علم الربيع بالامر الذى فى بنى فزارة تجدد وأن معهم طائفة كثيرة من الشجعان أصحاب الضرب والطعان فالتفت غشم بن مالك وقال أى شئ تقول فى غزو عدونا ثانيا وأخذ ثارنا منهم حيث غاب عنهم عنتر الذى لولاه ما تركنا لهم ذكرا يذكر فقال غشم هذا هو الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه جمع سادات بنى عامر وغنى وكلاب فكان الحاضر منهم ستة آلاف فارس من كل شديد شجاع ما فيهم من يخاف الموت ولا يرتاع فترك منهم ألف فارس لحفظ القبائل والاموال وسار فى خمسة آلاف فارس ريال ولما قرب من ديار بنى عبس فرقهم ثلاث فرق وكسر الحمى فى أذيال الغسق وكانت أكثر الناس نيام وبعضهم سكارى من شرب المدام فانتقم منهم غاية الانتقام ولما أصبح الصباح ملك الخيول والجنائب والبيوت والمضارب وانهزم قيس مع اخوته ومن تبعهم من فرسان عشيرته وطلبوا ديار بنى غطفان على ظهور الجنائب ومنهم من طلب أرض بنى فزازه وخسرت بنو عبس غاية الخساره ورجع بنو عامر عند الصباح وهم فى هنى واطمئنان وانشراح وقد ملكوا ما وقعت أعينهم عليه من المال والخيول وطلبوا أرضهم والطلول وهم سائرون على مهل ولهم صياح وزجل والاخوص بن جعفر صار لا تسعه الدنيا من فرحه بأخذ الثار وبلوغ الآمال لانه أفنى من بنى عبس ربع عددهم من الرجال وجرح منهم مثل ذلك من الابطال وجرى عليهم ما لم يجر على بشر فى ذلك الزمان من القتل والفناء وسبى النسوان (قال الراوى) وكانت عودة ملاعب الاسنة واستجماله خوفا من أن يعود الملك قيس فى أبطال بنى غطفان وشجعان بنى ذبيان فساروا وهو فرحان ببلوغ الآمال وما زال يقطع الربا والتلال والبرارى الخوال حتى التقى بعنتر وابصرت كل طائفة غبار الاخرى فصحت عندهم الاخبار وكان عنتر قد صدق كلام أخيه شيبوب وعلم أنه فى حسابه دروب وسمع عنتر صياح النسوان والصبيان وصوت عبلة قد علا على الجميع فاعتراهم

كلهم البلاء وأصاب عنترغم وحمة لما سمع صوت عبلة خطمهم بالحملة وانحط عليهم انحطاط القضاء
وأتبعته فرسانه الانجاب وأرادوا أن يخلصوا الاسارى من شدة العذاب فعرفته فرسان بنى عامر
وأبطال بنى كلاب ونادى ملاعب الاسنة ما أبرك هذا الصباح من صباح وافرحا بهذا الاتفاق الذى
يسطر ويكتب فى الاوراق يابنى عمى بادروا هذا العبد ولد الزنا المهان وقطعوه بضارب السيوف وطعن
السنان حتى نقطع فى هذه النوبة آثار بنى عبس الى آخر الزمان ثم انه حمل يطلبه وحمل الجيش كله
لحملته فعند ذلك حمل عنتر وأصحابه وأبطاله وأقرانه وأقياله وهم طالبون معونته فى قتاله وكانت جملة
فرسان عنتر مائتين فارس الا انهم فرسان عوابس تفترس الاسود من الغابات وتلتقى فى صدورها الرماح
السمهريات وقلوبهم أقوى من الجبال الراسيات وقد هدتهم عنتر على طول الزمان العوالى الشامخات
وهو ينكس الرايات ويجندل الفرسان وفرسانه كلهم موكب واحد وتلقى الاسنة التى للخمسة آلاف فارس
بوجوه وقاح واشتد بينهم الحرب والكفاح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وكثرت الآلام
والجراح * هذا وعنتر قد زعق فى وجوههم وصاح وسمعت النساء صياح عنتر فزادت بهن الافراح ونادت
الا ما أبركه من صباح فيه قد أتانا بشير الافراح وقابض الارواح ثم دعوا له بالنصر من الملك الفتاح ثم
ان الجيش قد اختلط وامتزج والوحش فى أقطار البر نفر وانزعج والبر بين يدى الهارب ضاق وحرج حتى
صار ضياء الشمس فى سواد الليل مندرج وأقبل الظلام بوجه مالح السمج وصارت أسود بنى عبس
الاكابر تفترس فى مخالبها بنى عامر * هذا وقد اندهشت النواظر وحارت الخواطر وتقدم من بنى عامر
سبعمائة فارس ما بين جريح وهالك وقتل من بنى عبس عشرون فارسا وعادت وهى مثل سباع الاغتيال
والرجال تحفظ ما فى أيديها من الاموال ومن ورائها حامتها عنتر بن شداد الاسد الريال وابن أخته
الهطال وعروة وأبوه شداد المفضال وهؤلاء الاربع فوارس هم الذين قضوا الاشغال لاسيما عنتر الريال
وحامية الابطال ولولا كثرة العدد كانوا خلصوا النساء والاطفال والاهل والعيال (قال الراوى) ولما نزلوا
للراحة أخذوا فى المشورة والتدبير وكيف يخلصوا منهم الحريم وكيف يقاتلوا هذه الخلائق والغريم فقال
عنتر والله يا أخى لو طال النهار ودام الحرب والقتال واجتمعت علينا كل الحلل والابطال ما أبرح حتى أخلص
نساءنا من العدا أو أشرب شراب الردا على انى وحق زمزم والمقام والرب الباقى على الدوام ما أخلى
فى خمسة أيام من هذه الخمسة آلاف لا شيخا ولا غلام وفى غداة غد أتولى برازهم وأهلك أبطالهم وفرسانهم
ثم ان عنتر يات يحرسهم ويطيب قلوبهم ويقوى هممهم على الحرب والنزال فهذا ما جرى لهؤلاء
(وأما بنو عامر) فانهم رجعت الى خيامها وهى متعجبة مما جرى لها لانهم أبصروا من قتالهم ما لم يروا من
غيرهم من جميع العرب الذين فى البر فشكوا حالهم الى الاخوص فشكا اليهم أقوى من شكواهم وقال لهم
يابنى عمى ان دام هذا العبد لا يخلى منا أحدا وقد سمع ان عبلة معنا وأباها وأخاها فقالوا له صدقت فى هذا
الكلام وحق البيت الحرام وان لم نصدمهم غداة غد بجمعنا ويكون ملاعب الاسنة أمامنا والا فما نبلغ
منهم آمالنا فقال الاخوص والله لولا انى خائف من الهطال وعروة وشداد أن يأخذهم شيوب ويسيروا بهم
فى عرض الوهاد ويخلصوا حريمهم من بين أيدينا ويعود شرهم علينا والا كنت أشغلتهم عنكم بالبراز الى
أن أفنى من معهم من الرجال ونبلغ منهم الآمال ونذهب أجسادهم على أسنة الرماح الطوال
ولكنى أخاف ان بلزمنا معهم البراز ويطول علينا المطال ويدركنا قيس بن زهير فى جميع حرب الحجاز
وتعظم القضية وربما جاءنا ما لا طاقة لنا به بالكلية فنختار الهرب والهزيمة ونخلى مثل هذه الغنيمة العظيمة
ولكن يابنى عمى اذا كان الامر على هذا يتم فأنا أسير السبى تحت ستور الظلام مع مائة فارس همام
يسيروا به فى عرض البرارى والقفار ويقصدوا أرضنا والديار واذا أصبح الصباح على هذا الحساب

تتسبب فى هلاك عنتر بكل الاسباب واذا أتانا مالا طاقة لنا به عوّلنا على الهزيمة والهرب ونكون قد ربحنا المال والمكسب فقال ملاعب الاسنة هذا هو الصواب لان عنترا ان علم بهم فى هذه الليلة وسار اليهم بكل الاسباب وطلب خلاصهم من الوبال حملنا نحن على أصحابه ونفرقهم فى الجبال وان هو أقام فان قلبه على عبلة يشتغل بالنيران ويشتغل بها فيضعف عزمه ويضعف منه الجنان فندوربه ونبلغ منه الارب لانه لا يقاتل ويرمى نفسه الى الاهوال المتكاثرة الا اذا كانت عبلة حاضرة ثم انهم أجمعوا أمرهم على انفاذ السبى مع مائة فارس من الرجال فعند ذلك ساروا بالنوق والجمال والغنيمة والاموال وأضاف اليهم رجلا دليلا يسير بهم تحت الدجا فى ذلك البر الطويل ولما أصبح الصباح واضاء نوره ولاح كان أوّل من نار الى القتال الامير عنتر وما عنده مما جرى خبر وتواثبت قدامه فرسان بنى عامر وماجت كما تموج البحار الزواخر وصاح فيهم الاخوص بن جعفر وقد أيقن بهلاك عنتر لانهم قد أصبحوا فى دون أربعة آلاف وهؤلاء فى مائة وخمسين فارسا غير مجروحين الا انهم بالنصر موقنين بهيبة حاميتهم عنتر بن شداد فارس بنى عبس يوم الجلاد هذا وقد التقوا الاعداء بهذه النيات وطعنوا فيهم بالرماح الخارقات واشتدت المصائب والآفات واذا استقتل الانسان يقاتل واذا طاشت له المنية هانت عليه المصائب والنوازل فلله در عنتر وما فعل فكم من هام أردى وكم دم بحسامه بذل وكم من شجاع أورثه بعد صولته الخجل ومازال عنتر عانع عن أصحابه ويقاتل حتى مضى نصف النهار ولما رأى ملاعب الاسنة قد بذل فى أصحابه الحسام البائر انقض عليه انقضاض الاسد الكاسر وعلم ان بثباته تثبت بنو عامر فزعق عليه وثار به وقد أظهر ما عنده من فروسيته وعجائبه وفى دون ساعة أتعبه وأكربه ومد يده الى درعه وأراد أن ينزله عن مركبه واذا بغبار قد ثار وقتام تزوبع وتحته صياح عظيم قد ارتفع وخيل سائرة كأنها السحاب أذا همع وحديد يلمع ورماح تشرع ورجال لا تخاف ولا تفزع والكل ينادوا بالمشاجع بالدارم وفى أوائلهم اللقيط بن زراره واخوته من حوله مثل الكواكب السياره ولما قاربوا المعمعه وأبصر دوائر الحرب دائره حملوا على بنى عبس بالكفاح وقد سمعوا النداء واستدلوا بالصياح وعرفوا به الاصدقاء من الاعداء وعرف عنتر حقيقة الحال وأبصر المواكب كلها قاصدة اليه فخلى ملاعب الاسنة من يده بعدما كان رجله وأراد أن يكتفه فأطلقه وصار عن نفسه يدافع وقد لعبت فى جسمه السيوف القواطع وقاتلت بنو عبس قتال من ليس له من الموت فكاك وقد نهبت الارواح بأطراف القنا ووضع بينهم المحاق والفنا ولولم تكن العنايه من رب السماء ما فضل منهم من يشرب الماء الا انهم ما فرق بينهم الا الظلام وقد قتل من بنى عبس عشرون غلام وجرح عنتر وأبو شداد وأسروا عروة وجماعة من بنى قراد وأحاطت بهم الاعداء من جانب وسدت عليهم الطرقات والمذاهب وخلص اللقيط منهم الاموال وفرح ببلوغ الآمال ثم التقى بالاخوص وسادات بنى عامر وهى تشكر اللقيط على فعاله ويسألوه عن سبب مجيئه مع رجاله فحدثهم بالقصه وكيف أتى شيبوب برسالته وسيره عن أهله فى طلب عنتر وهو عازم على مقاتلته ثم احتال على انى أبعدت أخوتى وخلص الهطال من قبضتى وساق أخوه أموالنا بعد اطلاق الرجال وقتل من عشيرتى جماعة من الابطال وذلك ان شيبوب لما احتال عليه ورحله من بلاده ذلك اليوم فى ضحوة النهار واذا قد ظهر من بين يديه مائة فارس طالبين أهله والديار وهم من ناحية بنى عبس وبنى فزاره فقال اللقيط لاشك ان هذه طليعة عنتر الذى أناله طالب ثم سار فى كتائبه والمواكب ودار وا بهم من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب فقتلوا أكثرهم وهرب منهم جماعة كثير وما هرب منهم الا من كان فى أجله تأخير ولما حضروا الاسارى قدام اللقيط قال لهم ويلكم أين خليتم عنتر عبد بنى عبس وفى كم فارس قد سار الينا فقالوا له ما وراءنا أحد وما عندنا من عنتر خبر وما جئنا من هذه الطريق الا لنقتفى منه الاثر

وندبر على هلاكه وعدمه فقال اللقيط تكذبوا يا أولاد الزنا ما أنتم الا بنو عمه وعليكم زى بنى عبس و بنى فزارة فكيف تنكروا أخباركم والاخوص بن جعفر قد أرسل الى عبد امن عبيده وأخبرنى بمسيركم ومسير أسودكم وما أنا سائر الا فى طلبكم حتى أبلغ منكم الوطر واقلع منكم الاثر فقال له الاسارى يا أمير وحق الكعبة الحرام ما عندنا من هذا الحديث خبر وأما قولك اننا من بنى عبس و بنى فزارة فقد صدقت واننا ما ننكر احسابنا وما أتينا الا من سبب ذلك العبد ولد الزنا حتى اننا نقتله وعلى الارض نجندله ولا نخلص من أنياب النوايب ان بغينا عليه وفعنا فى هذه المصائب (قال الراوى) وكان الذى أنقذ هؤلاء الاوغاد الربيع بن زياد لان عنترلما سار الى خلاص الهطال أرسل عمه مالك الى الربيع بن زياد وأعلمه بمسير عنتر بن شداد وقال له اعلم يا ربيع ان الملك قيس لج على فى عبلة ابنتى وزفافها على عنتر وقد اتفقوا على وتجبروا وكنت قد عولت انى أهرب بها الى العراق واستجير بالملك النعمان فأتى للقوم ما أشغلهم عنا وعن غيرنا من القتال والطلب وأراحونا من العناء والتعب وقد سار عنتر الى بنى دارم والمراد يا ابن العم انك لا تتخلى عنا ولا تغفل عن معونتنا بل تسعى فى هلاكه وتتسبب فى ارتباكه فلما وصلت الرسالة الى الربيع بن زياد اعلم حذيفة بن بدر بذلك التدبير الا أن اللقيط لما علم حقيقة الحال أراد أن يفرق المواكب فى سائر الاطلال فأتت النجابة من بنى دارم وأخبروه بما أنزل عليهم عنتر من البلاء المتراكم وانه خلص الهطال هو ومن معه من الرجال وما كان لنا ولك من جميع الاموال وقتل من بنى عمك فوق الثلثمائة من الابطال والذى أتى اليك وقال انه عبد الاخوص بن جعفر هو شيبوب أخو عنتر فارجع ولا تتعب وان قدرت فجد له فى الطلب فانهم سار وا فى البر الغامر ونقول ان طريقهم على بنى عامر فلما سمع اللقيط ذلك الخبر تأسف وتحير على ما جرى لاهل حلته وتحسر وعض على كفيه ندما لاجل ما تم عليه من شيبوب المحتال وقال وحق الكبير المتعال الحميد المجيد لا رجعت عن هؤلاء العبيد حتى أبلغ منهم ما أريد ثم انه قال للفرسان خذوا فى عرض البر واطلبوا بنا الطريق الواضحة التى ترمينا على ديار بنى عبس لعلى أدرك هذا الاسود اللئيم وأصرم عمره وعمر من معه من الشياطين فعند ذلك ساروا فى البرارى والقفار وكانوا اذا أرادوا النزول فى بيد عهم ينزلوا بل يحثهم على المسير فى البر من حرقته على عنتر حتى وصل الى بنى عامر وهم فى القتال مع بنى عبس وجرى ما جرى مما ذكرنا فى كلامنا وأظلم الظلام ورجع كل منهم الى الخيام ونزل اللقيط بن زرارة واخوته عند الاخوص بن جعفر وفرق الثلاثة آلاف التى أتى بها حول عنتر وكان قد خلص له وبلغ آماله وحدثه الاخوص بما فعل فى بنى عبس وكيف كسبهم وقتل رجالهم ونهب أموالهم فقال له اللقيط يا سيد بنى عامر هذا أمر قد شرعنا فيه وما نرجع حتى نتمه وما بقينا نقعد عن هذه القبيلة العبسية حتى نقطع من الدنيا فروعها بالكلية ثم باتوا وهم لا يصدقوا ان الصباح يصبح من فرحتهم بوحدة عنتر وكان عنتر قد بات وهو حامل هم أصحابه ورجاله أكثر مما هو حامل هم نفسه وقد علم بمسير عبلة وسبا يا بنى عبس وأموالهم الى بنى عامر فجرى عليه ما لا يجرى على قلب بشر وكادت مرارته تنفطر فقال لرجاله أنا اعلم يا بنى عمى انه لم يبق من عمرى أكثر من هذه الليلة أو غدا الى آخر النهار لانى عند الصباح أبرز الى هذه المواكب وأرمى روحى فى وسط هذه الكتائب التى قد دارت بنا من كل جانب وأغاروا بالكثرة وطلب منا المبارزة مائة مائة فان فعلوا ذلك بلغت منهم ما أريد ولو انهم بعدد رمل البيد وان أبوا ذلك ورأيتهم قد بغوا علينا وصدوا رماحهم الينا شققت قدامكم هذه المواكب والعساكر وخلصتكم من السيوف والرماح البواتر وحميتكم حتى تغيبوا عن العين وتطلبوا أرض الشربة والعلم السعدى وارجع الى القوم وأقاتلهم بعزم ساعدى وزندى ولو مزقت أسنة الرماح جلدى ويصير لى ولهم حديث يذكر من بعدى ولا أترك العرب تلعن أبى وجدى فقال له أبوه والله يا ولدى ما فينا أحد يتخلى عنك

حتى

حتى تلاقى ما تلاقى ولو بلغت أرواحنا التراقى وكذلك قال ابن اخته الهطال وكل من معه من الابطال وباتت تلك الطوائف تحت مشيئة الرحيم الرحمن الذى يعلم ما يكون وما قد كان ولما أصبح الصباح وارت فرسان بنى عبس الى الحرب والكفاح وقد ودعت فى تلك الساعة الارواح والدنيا فدا نقلبت بالصباح وخرج عنتر الى البراز وقد حدثته نفسه انه يشفى قلبه قبل هلاكه من الاعدا ويفعل شيأ يذكر به دائما أبدا فترنح على سرجه شوقا الى القتال والحرب والنزال وطرب بملاقاة الابطال وأنشد وقال

وانا لقوم ما نروّعنا القنا * ولا نتوقى عاقبات النوائب
وكيف لنا والموت يسحب ذيله * فنلقاه منا بالنفوس الاطايب
وما أحد منا الى الموت كاره * لان القنا حتم على كل ذاهب

(قال الراوى) الا انه لما فرغ من هذا المقال أراد أن يطلب البراز للابطال فطلع من ناحية بنى عامر غبار أسود مظلم وقتام مقتم اذا نظره الانسان اذ عرفه بهت اليه الابصار وصار ضوء النهار مثل الاصفرار وحسب كل واحد حساب وما فيهم من وقف على صواب وهمت الفرسان أن تطلق الاعنه وتبصر ما تحته من المحنه واذا بغبار آخر قد طلع وبان من ناحية أرض بنى عبس وعدنان وكان أكثر سوادا وأعظم جهادا وكان تحت ذلك الغبار الملك قيس بن زهير وفرسانه الا أن الغبار الذى أقبل على ناحية أرض بنى عامر له اتفاق أحسن اتفاق وأعجب حديث يكتب ويسطر فى الاوراق لانه قد انكشف عن سبى بنى عبس وأموالهم وبناتهم وأطفالهم وقد خلصوا من السبى والاعتقال وفى أوائلهم الحارث بن ظالم وهو مثل البعير اذا حل من عقال وهو ينادى يا آل مرة أنا الحرث بن ظالم الربيال ابشروا يا أبا الفوارس بالنصر والظفر وهلاك الاعداء بالصارم الذكر وكان السبب فى ذلك أمرا عجيبا لانا ذكرنا ان الحرث بن ظالم قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقتل ولده شرحبيل ظلما وعدوان وذكرنا ان اللقيط أتى به وأخذ عوضه ألف ناقة من النوق العصافير وهى محملة من المال الكثير وحبس النعمان الحرث وفى الحديد أوثقه وبالقيود نقله وأراد أن يقتله بعد أن يقضى أيام النعيم فسمعت به المتجردة بنت زهير فحصل عندها هم وضير وتألم قلبها وزاد جواها لانه قتل الذى قتل أباها فلما تحققت ذلك خافت عليه من المهالك فانفذت اليه خمسة من العبيد الذين كانوا أتوا معها من ديار قومها وكانوا عندها مثل أخوتها فقالت لهم انظروا كيف تخلصوه واعطوه فرسه وسلاحه وآلة حربه وكفاحه وقولوا له يلحق ببنى عبس وينزل على أخى قيس وعنتر ويستجيرهم فانهم يجيروه من سائر البشر فقالوا لها سمعا وطاعة ثم انهم صبروا الى أن لاحت لهم فرصة ووجدوا الى خلاص الحرث سبيلا وخلسه فأتوا فى الليل وهموا أن يدخلوا عليه واذا به يتقلقل من الكتاف وهو مشرف على التلاف وسمعوه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا قومى أضنى لجسمى الوثاق * ما بقى لى من أسره اطلاق
بادرونى قبل الصباح والا * نهبت مهجتى السيوف الرقاق
يا بنى عبس هل أرى من مجير * ليزول العنا وهذا الوثاق

(قال الراوى) فلما سمعوا حسن نظمه ونثره رقت قلوبهم لشعره وفعلوا فى الليل ما فعلوا وقتلوا الرجال الذى حواليه وكانوا ثلاثة من أقارب الملك النعمان فخلصوه وأعطوه سلاحه وأركبوه جواده وقالوا له اطلب أرض الشربة والعلم السعدى واستجر بقيس وعنتر فانهم يحمونك من سائر البشر فسار الحرث وهو لا يصدق بالنجاة لانه كان قد أيقن بالوفاه فجعل يكمن فى النهار ويسير فى الليل حتى عبر أرض بنى عامر وأمن على نفسه وجد يطلب أرض الشربة والعلم السعدى فوقع بسبى بنى عبس وأموالهم وهى سائرة مع المائة فارس الذين أرسلهم الاخوص بن جعفر فلما رأى ذلك المال وأبصر من معه من الرجال عرج عنهم فى البر الاقفر من أجل انه قتل سيدهم خالد بن جعفر واذا ببنى عامر قد رأوه عرج عنهم فطلبوه وقد طمعوا فيه فلما

رآهم قد فعلوا هذه المعانى ناداهم يا أولاد الزوانى طمعتم فى لوحدتى وجهلتم مكانى وصولتى وأنا قتلت سيدكم خالد بن جعفر وألبستكم العار الاكبر فلما سمعوا منه هذا المقال قال بعضهم لبعض هذا الحارث وحق من أرمى الجبال دونكم وإياه حتى نأخذ بثار سيدنا خالد ونكسب المجد عند كل قائم وقاعد ثم حمل عليه المائة فارس حملة رجل واحد وسدوا عليه رأس الطريق وغرهم الطمع وما علموا ان قوته أشد من ألف فارس صميدع لان الحارث كان فارسا كرار وبطلا فى الحرب ماله عيار فخرق منهم بطعناته الصدور وأجرى دماءهم من أنابيب النحور فما ثبتوا بين يديه غير ساعة من النهار حتى انهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار بعد ما أهلك منهم سبعين فارسا كرار وأما الثلاثون فانهم لما طلبوا الهزيمة أحاطت بهم بنو عبس وأنزلوا بهم التعس والنكس لان عبيدهم حلوهم من حبال الهوان وساعدتهم فى حلهم النسوان حتى أطلقت جميع الشجعان وتبادرت الى بنى عامر فقتلوا الباقين وما سلم منهم انسان وداروا بالحارث بن ظالم وزادوا له فى الشكر والثنا وهنوه بالسلامة وبلوغ المنا وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وكيف أن المتجردة خلصته من شرب كأس المنون ومن حبس الملك النعمان وقالت له الحق ببنى عبس وعدنان ثم انه أعلمهم انه سائر الى أرضهم يستجيرهم وعلكهم قيس ويقيم عندهم فى امان الى أن تنصلح نوبته مع النعمان فقال له مالك أبو عبلة والله يا فتى لقد جرى على قيس فى هذه النوبة ما لا يجرى على بشر ثم شرح له ما جرى عليهم من بنى عامر من الاثر وكيف كبسوهم فى الليل وأخبروه أن عنترة فى قتالهم وانه قد التقاهم وهو راجع من بنى دادم وأعاقهم عن المسير بالابطال وأراد خلاص السبى والاموال وكيف أنقذهم الاخوص بن جعفر مع تلك الرجال وشرح له جميع ما جرى على التمام والكمال فلما سمع الحارث ذلك المقال قال لهم ارجعوا بنا حتى نلحق عنترة فى القتال على انى أقول انا لا نلحقه الا و يكون قد قضى الاشغال وفرق بنى عامر فى البرارى والتلال ثم عادوا راجعين وفى سيرهم مجدين حتى أشرفوا على عنتر عند ما تأهب للقتال والحرب وعول على الطعن والضرب (وأما) الغبار الثانى الذى ظهر من ناحية ديار بنى عبس فانه غبار الملك قيس وقد أتى فى ثلاثة آلاف فارس ليوث عوابس من أبطال بنى غطفان وطلب بهم خلاص الاموال والنسوان ليأخذوا ثارهم و يكشفوا عنهم عارهم لان بنى فزارة تخلت عن قيس فى هذه النوبة لاجل الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر معدن الخبث والغدر ولما ان أرسلوا المائة فارس الذين أرسلوهم لهلاك عنتر وأمروهم أن يحلوا به العبر حلت بهم الخسارة وهلكوا على يدى اللقيط بن زرارة الا أن قيس لما أشرف عليهم وأبصر غبار بنى عامر فعند ذلك كشف رأسه وحمل وفعلت أصحابه مثل ما فعل ونادى يا لعبس يا لعدنان ونادى الحارث بالمرة بالذبيان وسمع عنتر ذلك النداء فاطمأن فؤاده وهدا فعندها هدر وزمجر وما كان أخفاه فى ذلك الوقت ظهر ونادى يا له من صباح ما أشأمه على الاعدا فاليوم أجرعهم كؤس الردى ثم انه حمل وقد انشرح للقتال وخفت عنه الهموم والاثقال وكان اللقيط قد حدث الاخوص وسادات بنى عامر بما تم له مع الحارث وكيف سلمه الى النعمان وتركه مشرفا على الهلاك والحرمان ولما رآه فى هذه النوبة قد عاد سالما تعجب من خلاصه وخاف من بنى عامر أن يشكوا فى قوله فعند ذلك حمل وصاح فى بنى دارم وقصد عنترة واحارث بن ظالم ومن كان معهم من الرجال الاكارم * هذا وقيس بن زهير ومواكبه قد انطبقت على بنى عامر وفى دون ساعة اختلطت العشائر وثارت الغبرات وعملت البواتر ودارت الدوائر ووقعت الاسنة فى المحاجر وجرت الدماء من أنابيب المناحر ولعبت بجماجم الابطال الحوافر وفعل عنتر بن شداد والحارث بن ظالم فعال تحير الخواطر وتبهت النواظر وكان الحارث قلبه ملآن على اللقيط لاجل ما جرى له معه فصار يطلبه من سائر أقطار الفلا ويضرب بسيفه

الاعناق

الاعناق والطلى حتى ملأ الارض بالقتلى وأراد عنتر أن يحمل عنه الاثقال فأشعل نار الحرب ولهبها
اصطلى ودام الطعن والضرب حتى عاد النهار مرتحلا وأقبل الليل منسدلا وقد صار القوم مثلا
وانفصلت الطوائف من بعضها البعض وقد امتلأت من القتلى الارض ورجع كل فريق الى قومه
بعد ما عرفت الاصحاب الاصحاب وعاد كل فريق الى جانب وخسرت صفقة بنى عامر وبنى دارم ورجع
اللقيط وهو خاسر نادم وقد هلك من أصحابه ستمائة فارس مصادم وأما بنو عامر فقد هلك من عددهم
أوفى من ثلثهم حتى اجتمع عنتر بالحارث وسأله عن أمره وشكره على فعله فأخبره بما جرى له مع الملك
النعمان وانه قد أتى يطلب الذمام والامان فقال له عنتر وحق مكون الاكوان ومن أرسل الغيث الى
كل مكان تكرما منه واحسان العالم بما يكون وما كان لو طار رأسى بين يديك لا أتركك ولو أن
حصنك كسرى أنوشروان أو قيصر ملك عباد الصلبان أو الحارث بن غسان وقد أعطيتك الذمام
وأنالك من جملة العبيد والخدام فشكره الحارث بن ظالم على ذلك وعاد عنتر الى الملك قيس وهناه
بالسلامة من الردا والنصر على الاعدا فدعا له بطول العمر والبقاء على ممر الزمان والمدا ثم باتوا تلك
الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا بردا الحريم والاموال وخلاص الفرسان الذين كانوا فى الاعتقال
وما فيهم الا من شكر الحارث وأثنى عليه وحدث صاحبه بما لقى وما جرى عليه وأراد الحارث أن يمدح
الملك قيس بن زهير ويميل قلبه اليه فأشار بقول صلوا على طه الرسول

ألا حييت اطلا لكم وخيام * عليهن منى ما حييت سلام
سلام امرئ يقرى اليكم تحية * وقد مسه مما عراه سقام
لقد خضت أهوالا وجئت مبادرا * الى ملك أفنى العداوهمام
أقيس فأنت السيد الملك الذى * له حسن رأى ما عليه مرام
وقد خاصتنى أختك الآن عنوة * من السجن لما كنت فيه أضام
وأنبيك أنى قد قتلت ابن جعفر * وقد نالة بعد الهوان حمام
أخذت لكم بالثار منه بصارم * له لمعان والقتام ظلام
قطعت الفيافى اذ وصلت الى لقا * بنى عامر والسبى فيه قيام
رأيتهموفى الذل بيدوا تأسفا * عليهم من الحزن الشديد قتام
وعبلة قد أضحت لديهم مهانة * وأدمعها فوق الخدود سجام
تنادى بذل أين عنتر كى يرى * هوانى ومع هذا الهوان أضام
فخلصت كل السبى منهم بهمة * وفى كبدى منهم جوى وغرام
وقد جئت من أرض العراق مصمما * اليك رجائى من علاك ذمام
وانت شجاع الحرب ياعنتر الذى * له الاسد تخشى وهى منه رغام
أفارس عبس لى اليك شكاية * لهم وسقم ليس فيه ملام
فكن لى معينا يا فتى عبس وانتظر * لحالى فمن والاك ليس يضام
أجرنى من النعمان مالى سواك من * يحامى عنى والخطوب عظام
لانك قد أصبحت تخشى وتتقى * وعزمك من كل الامور يرام
وكم قد تركت الخيل سلبا عواريا * وفرسانها فوق الصعيد نيام
اذ سمعوا مرماك فى كل معرك * ترى الرعب فى كل القلوب يقام
وقد علمت كل القبائل أن من * تكون له حصنا فليس يضام

وكل ملوك الارض تخشاك فى الورى * لانك فرد فى الانام همام
فلازلت للقصاد كهفا وملجأ * وأنت حمى للنائبات حسام
علوت على السبع الشداد بهمة * وعزم له فوق السماك مقام

(قال الراوى) فلما سمع الملك قيس شعره تعجب من نظمه ونثره وقال له وحق ذمة العرب لو طلبك كل من فى الارض طولها والعرض ما مكنتهم منك هذا وقد بات عند بنى عبس من الافراح مثل ما عند أعدائهم من الاتراح ولما طلع ضوء النهار وأصبح الصباح عادوا للحرب والكفاح وبذلوا الاجساد والارواح للسيوف والرماح وقد كانت لهم وقعة تشيب رؤس الاطفال ولما عبر نصف النهار وقعت الخسارة فى بنى عامر وبنى دارم ونثر عنتر فرسانهم بالطعن الدائم ورمى بحسامه القلل والجماجم وطير القحوف والمعاصم والتقى بملاعب الاسنة الحارث بن ظالم فاصطدما ودمدما وغابت عنهم الارض والسما وجرت من الاحداق الدما ومازالوا كذلك الى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وولت القبائل قدام بنى عبس وعدنان ثم طلبت ديارها والاوطان واختارت الهزيمة وكانت نجاتها أوفى غنيمة ورجعت بنو عبس بالاسلاب والغنائم وخيل الشجعان وقد بنت لها المعالى بيتا مشيد الاركان ثم انهم نزلوا للراحة فى ذلك المكان وكل منهم يهنى بالسلامة صاحبه ويسلم على الذى بجانبه ويحدث كل أحد بما لقى من قتاله وعجائبه ولما أصبح الله تعالى بالصباح رحلوا بالحريم والاموال والغنائم وقد سلم عنتر الغنيمة الذى معه من بنى دارم الى عمه مالك وقال له يا عم هذه الغنيمة قد تركتها للعرس والوليمة فقال له عمه مالك بخبثه ودهاه يا ابن أخى ابشر بكل ما تريد فعيلة أمك وأنا وأخوها من جملة خدمك ولكن يا ابن أخى تريد أن تصبر حتى يهدأ روعك ويقل هلوعك وتتم أفراحنا مادام ان القلب قد بلغ المنا وهزمنا عدونا فطاب بذلك الحديث قلب عنتر بن شداد وتسلى بذلك المعاد وانطلى عليه مكر عمه والكياد وكان قوله كله زور او محال وغلا واد غال (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام قال والله ما نقيم فى الديار أكثر من ثلاثة أيام ونزف عبلة على حاميتنا عنتر قبل أن يجد علينا عارض آخر لان أعداءنا كثيرة وهمومنا غزيرة ولابد أن النعمان يرسل يطالبنا بالحارث بن ظالم ويصير لنا معه علقه وتشب نار الحرب ونتعب بهذا السبب ثم انهم جدوا يطلبون الديار ويقطعون البرارى والقفار وعنتر بجانب الحارث وهو يطيب قلبه ويوعده بالامان وحسن الحالات وهو ينشد هذه الابيات

أعادى صرف دهر لا يعادى * وأحتمل القطيعة والبعادا
وأظهر نصح قوم ضيعونى * أزالوا من قلوبهم الودادا
أعلل بالمنا قلبا عليلا * وبالصبر الجميل وان تمادى
يعيبونى العدا بسواد جلدى * وبعض خصائلى تعلو السوادا
سلى ياعبل قومك عن فعالى * ومن حضر الوقائع والجلادا
رددت الخيل والابطال حولى * تهز أكفها السمر الصعادا
وخضت بمهجتى بحر المنايا * ونار الحرب تتقد اتقادا
وعدت مخضبا بدم الاعادى * وكر الحرب قد بل الجوادا
وكم خلفت من بكر رداح * بنهج حسنها تحيى الفؤادا
بسيف مرهف الحدين ماض * يقد بحده الصخر الجمادا
ورمحى ماطعنت به لقرم * وعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمى وسنان رمحى * لما رفعت لها عبس عمادا

(قال

(قال الراوى) فلما سمع الحارث شعر عنتر عظم فى عينيه وصفا قلبه اليه ومدحه واثنى عليه وكان الحارث خبيثا لا يصفو قلبه لأحد من الابطال وما كان لفارس قط عنده هيبة من الفرسان والرجال ولولا فزعه من النعمان كان ذله وقهره والا كان مكر بعنتر وغدره ولكن علم ان العرب كلها لا تقدر أن تجيره من النعمان ولا أحد يقدر يقاومه من ملوك الزمان فلاجل هذا أذل لبنى عبس وعنتر واعتمد عليه من دون البشر ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى الديار وانقطع يأس مالك أبى عبلة من سائر العرضيات وعلم ان ابنته تخرج من يده ويأخذها عنتر بغير اختياره فالتهب قلبه وزاد توارد أفكاره وخلا بولده عمرو وأطلعه على أسراره فقال عمرو والله يا أبتاه ان عندى أضعاف ما عندك وها أنا منتظر الى أن يتم هذا الامر وكأنه محقق وأهج على وجهى فى القفار وأبكى على فضيحتنا ليلا ونهار ولكن الصواب يا أبتاه اننا نرحل الى بنى فزارة ونعلم حذيفة بن بدر ان الحارث بن ظالم عندنا وانه استجار بملكنا قيس وجعل معتمده عليه لعله يرسل الى الملك النعمان ويخبره بذلك الامر والشان فلعله يرسل الى قيس ويشغله عنا ونبلغ نحن ما ننتهى فلما سمع مالك كلام ولده زال عنه بعض ما يجده وفى الحال أنفذ الى الربيع بن زياد يشكو اليه ما هو فيه من العناء والعناد ويعرفه بجميع ما يجرى من قيس وعنتر بن شداد وانهم لما وصلوا الى الديار وقربهم القرار أنزل الحارث عنترة فى أبياته وصار يقضى معها أكثر الاوقات بالفرح والمسرات وهم فى شرب وتناول لذات وهو منتظر وعد عمه وانجاز الميعاد من الملك قيس بالمعاونة والاسعاد

(قال الراوى) وبعد خمسة أيام جاءته الامة خبيسة وهو فى بيت أمه زبيبة وقد أصبح ذلك اليوم تعبان مخمودا مكمودا مكروب وقد امتنع عن الركوب فقالت له الامة يا مولاى احفظ نفسك من عمك مالك ولا تغتر بوعده فانه قد غدر عهده وقد أتى اليه رسول من الربيع بن زياد وهو يقول له اخرج بعنتر الى غدير ذات الارصاد وأظهر له انك تريد الهوة به والمشورة فى أمر ابنتك عبلة حتى نذهمكم على غفلة ونخفى أمره ونجرحكم جراحات خفيفة غير قاتلة حتى اذا رجعتم الى الاحياء وسألكم الملك قيس تقولوا له نحن ما ندرى الا وخيل غائرة قد هجمت علينا ونحن فى فرحنا ومسرتنا فجرحونا ونحن سكارى وما ندرى من جرى وما نعرفهم من الاعداء أو من الاصدقاء وتستريحوا أنتم من الهتيكة والفضيحة فى ابنتكم لانه لما سار الى بنى دارم أرسلنا سرية من الخيل خلفه لنقتله فأهلكها اللقيط بن زرارة وكانت مائة من الفرسان الامارة فهلك منها سبعون ونحن من أجلها حزانى منكسرون وهذا الحديث يا أبا الفوارس ما علمت به مولاتى عبلة ولا سمعه الا مولاى مالك وولده عمرو لان الذى أتاهم يقال له مكتوم وهو من خواص عبيد الربيع وهو يحبنى محبة زائدة ولولا هذا ما كان أطلعنى من هذا الحديث على لفظة واحدة ثم عادت الامة من عند عنتر وقد أوصته أن يأخذ لنفسه الحذر وتركته كأنه فى نار سقر ومن شدة ما جرى عليه شك فى مقال الجارية خبيسة وما ظن أن عمه يغدر به ثم كتم ما معه وما سمع وأراد بذلك أن يعلم صحة الخبر ويرى للحديث برهانا وأثر وكان السبب فى ذلك ان الربيع بن زياد لما وصل اليه الرسول من مالك وولده عمرو وسمع الربيع ان عنترة عاد سالم ومعه أموال بنى دارم وذلك بعد ما أهلك فرسان بنى عامر وفرسان اللقيط الجماهر وانه خلص منه السبايا هووالحارث بن ظالم وقد أجاره من جميع المآثم وهو عنده فى أعظم الجوار وقال له ابشر بطيب المزار وان تعرض لك كسرى هدمت ايوانه أو قيصر ذبحت قساقسته ورهبانه فعند ذلك أعلم الربيع حذيفة بن بدر بهذا الخبر وأطلعه على ذلك الامر المنكر وقال له والله يا أبا جحار ما بقى لنا رأس تشال اذا لم ندبر هلاك هذا العبد نسل الانذال ثم انهما اتفقا على المعاونة وأنفذوا من يومهم رسولا الى الملك النعمان وهم يقولون الذى نعرف به الملك العظيم الشان ملك العربان الملك الهمام وسيد كل من ضرب فى البيداء خيام ان عدوك الحارث الذى قتل ولدك

شرحبيل وقتل خالد بن جعفر فى حومل وهرب من حبسك فهو الآن فى بنى عبس وقد أجاره قيس
وعنتر وقال قيس هذا الذى قتل قاتل أبى وأخذ ثارنا وأريد أن أبذل نفسى دونه ولو طلبه النعمان
أو كسرى أنوشروان أو قيصر ملك عباد الصلبان ما سلمته اليهم الا بعد ضرب يهد وطعن يقد وأما عنتر
ابن شداد فما أقدر أن أواجه الحضرة النعمانية بما أبداه من الكلام لان ملك العرب أخبر بحماقته وما يخفى
على الملك تكبره ووقاحته وبعد انفاذ الرسالة الى الملك النعمان أرسل الى مالك أبى عبلة أمره أن يفعل
بعنتر كما ذكرنا وجرى من القصة ما جرى وعلم عنتر بذلك الحال فبقى بين المكذب والمصدق فتارة يسىء
الظن بعمه مالك أن يكون أضمر له الشر والمهالك وتارة يظن أن الربيع بن زياد دبر هذا التدبير لما علم ان
عمى قد رضى على وانصلح حالى معه فأنفذ العبد الى خيمة وأخبرها بذلك الحال وما دبر من الاحتيال حتى
يمنعنى عن بلوغ الآمال وأنا ورب الكعبة ما اطلع على حالى أحدا حتى أبصر آخر هذه القصة كيف
تكون وأكشف عنى هذه الغبون لانى أخاف أن يدعونى عمى بغير اتفاق ويكون هذا الحديث خداعا
ونفاق ونرجع الى ما كنا عليه من العناد وبنفسد ما تقرر مع عمى من الصلاح والوداد ثم أقام عنتر على
ما هو عليه من الهم والافتكار حتى انبسطت الشمس وتعالى النهار واذا بابن عمه عمرو قد أقبل وقال يا أبا
الفوارس ان أبى أنفذنى اليك وهو يسلم عليك وقال لى خذ ابن عمك عنتر فى غفلة من الناس ثم امض به
الى غدير ذات الارصاد حتى اننا نخلو به اليوم ونشاوره فى أمورنا وننظر ما فى نيته أن يفعله فى حق عبلة
وتعيد معه المشورة والرأى على ما نحن نختار ولم نعلم بحالنا أحدا من الكبار والصغار فقال له
عنتر السمع والطاعة لاى شئ لم ترسل يا ابن العم بعض عبيدك ولا كنت أتعبت نفسك لانى أنا المسعود فى
هذه العبارة ثم انه صار الى مضربه ولبس أخر أثوابه بعد ما لبس ثوبا من الزرد مضاعف العدد لا يعمل فيها
الصارم المهند وهى حرز لمن عليها اعتمد وكل ذلك احترازا منه على نفسه من الحديث الذى سمعه من خيسه
وقدم له شبوب الابجر فركبه وتقلد بسيفه الصامى الابتر وسار مع ابن عمه عمرو وأخوه جرير وشبوب فى
ركابه وقد أطلعهم على ذلك الحال وأوصاهم بالاحتراز فلما وصلوا الى غدير ذات الارصاد وجد عمه له فى
الانتظار والعبيد بين يديه وهم يروقون المدام ويصلحون قدور الطعام فلما أقبل عنتر قام له مالك على الاقدام
وبجله وقال له أهلا وسهلا بسيفى وترسى رحيبى وظهرى ثم شكره وأثنى عليه وما استقر بهم المقام حتى
قدموا له الطعام فلما اكتفوا من الطعام دارت عليهم أقداح المدام وأخذوا بعد ذلك فى المشورة
والكلام وطابت لهم الخلوة وعملت فيهم النشوة وقال له عمه يا أبا الفوارس أنا ما خلوت معك فى هذا اليوم
الا حتى يذهب التعب واللوم لان حبلى بحبلك قد اتصل ومرادى بك قد حصل فأنفذ غدا الى أصدقائك
وادع من تشاء من رفقائك حتى تشرع فى أمر عرسك وتبلغ منالك وأنا فى نيتى أن أجمع كل من فى الحى من
النساء والرجال والعبيد والاحرار ولا أترك كبيرا ولا صغير ولا عبدا ولا أمير ولا غنيا ولا فقير الا وأجعله
يحضر فى الوليمة وأدع جميع الناس يرتعوا فى الطعام ويشربوا المدام وأكسى الارامل والايتام ونحن اسمنا
كبير وخيرنا كثير فافعل أنت ما تشاء من التدبير فعندها طاب قلب عنتر بهذا الكلام وحقق أن قول
خيسه الذى سمعه منها عن الربيع زور ومحال ومن شدة سروره وافراحه وقف قائما على الاقدام وقال والله
يا عماه ما أنا الا عبد لك على مدى الازمان وانى قد فوضت أمرى اليك يا سيد العربان وتركت زمام
قيادى بيديك واتكالى على الله وعليك فافعل ما شئت ودبر ما هو بيت وابذل جميع ما عندك من
المال واذا خرج شئ من يديك فالرب القديم يخلفه عليك لانى يا عماه أموال العرب كلها بيدى وهى
تصير كلها اليك وأنت تكون الحاكم والامير وأنا ما أريد من الدنيا الا سيفى ورمحى وجوادى بعد بلوغ
آمالى ومرادى وأنا أسعى فى عمل الوليمة وتحصيل الخلع والخير ونبادر فى هذا الامر ثم انهم بعد ما دار بينهم

الكلام

الكلام وامتلؤا من الطعام أخذوا فى تناول كاسات المدام ودارت عليهم الكاسات والاباريق والخمر الصافى العتيق وغنت لهم الاماء والمولدات وطابت لهم الاوقات حتى نسوا المصائب والآفات ولم يزالوا على ذلك العيار الى آخر النهار وقد لبست الشمس حلة الاصفرار وطال على مالك أبى عبلة الانتظار وكذلك ولده عمرو زاد به الاشتعال وهم ينظروا الى تلك البرارى والتلال ويرتقبوا الخيل تطلع عليهم من ناحية بنى فزارة وعليها الابطال قبل قدوم الظلام وصار مالك أبو عبلة يشرب المدام ويسقى عنترة على ذكر عبلة بالكبار والصغار وقد أكثروا على عنتر بالشرب لاجل أن يسكروه لعلهم أن يبلغوا منه مايؤملوه هذا وعنتر يأخذ منهم ويشرب وهو على قلب غافل ولا غم عنده بل هو فى طرب وكان مالك أبو عبلة قد أعلم العبيد بما يفعلون من المكر والتنكيد فصاروا يتغامزون عليه بالعيون والاحداق وقلوبهم تغلى بالمكر والنفاق فعند ذلك أفاق عنتر وصح عنده كلام الامة خيسة وكان أخوه شيبوب واقفا فى الخدمة وشكيمة الابجر بيده وهو تارة يشرف عليهم وتارة يدور حولهم ويقول لجرير أخيه ويلك يا أخى راقب هذه التلال وأحاقيف الرمال مخافة ان يكون قد كمن لاخيك رجال يطلبون هلاكه والوبال * هذا وشيبوب يرقب البر كأنه السرحان وكلما أبصر أخاه بينهم وهو على ذلك الحال وهم دائرون به من اليمين والشمال يزيد به الهم والبلبال ونظر الى عمرو أخى عبلة وهو منتظر من أبيه أن يأمره بضربهم منتظرين الرجال من بنى فزارة والابطال فعند ذلك صاح شيبوب على أخيه صيحة الاسد وقد عدم الصبر والجلد وقال له ويلك قم يا ولد الزنا من بين هؤلاء الاندال وكل ماهم فيه زور ومحال فأسرع من عندهم والا لعبوا فى جسدك بالسيوف الحداد وتهبوك على أسنة الرماح المداد فعند ذلك وثب عنتر وسل حسامه الصمصامى الابتر وعول أن يبذله فى الجميع واذا هو بخيل بنى فزارة قد طلعت وفرسانها قد أسرعت وفى أوائلها الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر معدن المكر والكيد والكل ينادون جاءك البلاء يا ابن شداد ثم انهم افترقوا ودار وا حوله من كل جانب وأقبلوا اليه بالقنا والقواضب وبان فى ذلك الوقت الصادق من الكاذب فتقدم عنتر ليركب على ظهر الجواد ويتلقى الخيل التى أتت اليه مع الربيع بن زياد فعند ذلك صاح مالك على ولده عمرو وقد لعبت به نشوات الخمر وقال له ويلك ياجبان اضرب به بسيفك الصقيل أو اطعنه برمحك الطويل فما لقى له بعد قدوم هؤلاء الفرسان الى الهرب من سبيل فعند ها سل عمرو حسامه وضرب به عنترا الا انها ضربة ذليل مهان فلم يبال بها عنتر ولا أوهت له جنان بل انها قطعت أثوابه وردها عنه الدرع المقدم ذكره فلم يتألم لها وقفز حتى بقى على ظهر جواده الابجر واستلب الرمح الكعوب الاسمر وتقلد بسيفه الصمصامى الابتر وقفز الى الخيل المقبلة كأنها القضاء والقدر وطلبها قبل ما تطلبه وهو يشتم ويدمدم ونوى لعمه مالك الشر والمهالك وهو يقول له ياغدار يامكار وحق الملك الجبار لابد أن أقابلك على هذه الافعال بالوباء والوبال ولاحرمنك شرب الماء الزلال ثم انه استقبل الابطال وطلب منهم الشر والقتال وشيبوب بين يديه يهمز مثل همزات الغزال ويرمى بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وصار هذا يطعن بالرمح فى الصدور وهذا يرمى بنباله فى النحور وجرير ينادى خاب والله ظنكم يا بنى الزوانى من صيد هذا الاسد الكسور وكان النهار كما ذكرنا قد انقضى أكثره وبقى أيسره الا انه ما أقبل الليل الا وقد تعددت الفرسان مثل العدد وضاق عليهم البر والفدفد وضربهم ضربا يقد الزرد وطعنا اذا سمع وقعه الاسد شرد وتفرقوا فى أقطار الفلا وأيقنوا بكل البلا ثم ان عنترة هجم على حذيفة وأراد أن يطعنه ويسقيه كأس المنية ويفقده روحه بالكلية واذا بشيبوب قد استقبله وضرب جواده بنبلة فقلبه ووقع حذيفة عن مركبه فأدركه عنتر وضربه بقوة حيله فوصل السيف الى عاتقه فخله وتركه مرميا تحت أرجل الخيل وطلب الربيع ابن زياد وزعق فيه فولى هاربا لانه لما أبصر حملاته أهاله ورأى ضرباته أبهته قال والله ما هذه حملات

سكران ولاضربات نشوان ولايقاتل هذا اللئيم الشيطان الامن تكون منيته قد قربت وروحه عليه قد هانت ثم انه أدار رأس جواده وطلب أرض بني فزارة ومن بقي بين يدي عنتر أنزل به الذل والخسارة وحل به الويل والعدم وتركهم ممددين على الروابي والاكم ولما نظر جل الى أخيه حذيفة وهو على الارض ممدد في دهشته ربطه على بعض الخيول وهو غائب عن الدنيا وتبع الربيع بن زياد ولعب عنتر بسيفه فيمن بقي من الرجال وقد ساقهم اليه مقدر الارزاق والآجال ومن حكم عليه بالمحاق والوبال ثم ان عنتر عاد عنهم بعد هذه الفعال وأنشد وقال

ترى علمت عبسل باني مظفر * على كل أعدائي اللئام بلا كذب
ولي صارم كالبرق يلمع نوره * اذا هزه كفي تلالا مع الشهب
فمن شاء فليقدم الي فانني * أرى الموت سهلا والحياة بها كربي
يريدون قتلي والحسام محكم * بكفي وجن الارض تهرب من حربي

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من أبياته عاد وهو من شدة حنقه على عمه مالك وولده عمرو يطلبهما على الغدير حتى يشفي منهما غليل صدره وما عنده من الزفير وكان قد عول انه اذا لقاهم أوثقهم بالجراح وسبي عبلة ويطلب البعد عنهما والانتزاح فلما رأى لهم أثرا فقال لاخيه شيبوب انهم قد عادوا يطلبون الخيام وعند الصباح تقع المشافهة والكلام ثم انه سار يطلب أبياته فما وصل الا والليل قد مد رواقه بالظلام فترجل عنتر وأوصى اخوته ونام وكان أبوه شداد وعمه زهمة الجواد والحرث بن ظالم وعروة بن الورد ذلك اليوم في دعوة الملك قيس بن زهير وقد عادوا من عنده سكارى وناموا ولما كان عند الصباح انتبه عنتر من المنام ثم عرض ما جرى له على قلبه وكان ظن أنه رأى ذلك في المنام فأحضر أخاه شيبوب عنده وقال له يا أخي رأيت رؤيا شنيعة وأريد أن أقصها عليك ثم ابتدأ يحدث شيبوب بما جرى له من تلك الاحكام فقال شيبوب يا ولد الحرام هذا يقظة لا منام ثم انه أعاد عليه الحديث من أوله الى آخره وأخبره كيف قاتل بني فزارة وكيف قتلهم وما أنشد من الشعر الرقيق ثم قدم الزردية التي كانت عليه وهي مخضبة بالدماء وكذلك سيفه وقال له والله يا ابن الام ما ظننت أنك ترجع سالم وما صدقت أني أراك في بيتك نائم ولكن سلم الله العزيز الدائم فقال عنتر لاخوته والله لقد سلمنا يا بني الاكارم ولكن أين مضى عمي هو وولده عمرو وكيف كان حديثهم في ذلك الامر فقال شيبوب والله يا ابن الام انه قال لولده عمرو اضرب عنتر بسيفك الصقيل واترك دمه على الارض يسيل قبل أن يذهب هذا العبد الذليل ويخلص من أشراك الوبال لانهم حافوا عليك بالشراب وخدعوك بزخاريف المحال ولما قدمت الخيل عليك وجرحت حذيفة بن بدر وانهزمت الفرسان بين يديك هرب الربيع بن زياد وهو خائف منك وصار يلتفت اليك وأنت تخب بالجواد وتطلب غدر ذات الارصاد وأنت تقسم انك لا تبقي من الاعداء أحدا وصرت أنا أردك وأنت لا ترتد ولا تسمع مني بل تزعق علي وترمي بالسيف الي وأنا خائف ان تقع ضربة منك بواحد منهم تقتله وتندم اذا صحيت ومازلنا على مثل ذلك التيسير الى ان وصلنا الى الغدير ودرنا عليهم فارقعنا بهم ولا رأينا أحدا الا كبيرا ولا صغيرا فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الخبر قلق لذلك وتحير وحمل اثقالا من الهم والفكر وعول انه في ذلك اليوم لا يظهر فبينما هو كذلك اذ الامة خيسة أقبلت اليه وقالت له يا أبا الفوارس مولاتي عبلة تسلم عليك وتعلمك أن أباها وأخاها رحلا على وجوههما في القفار من بين يديك وحلفا لا يسكنان الحي وأنت حي فقال عنتر عند ذلك أما كفاهم ما فعلا بي من الغدر والردا وقد نسبا اني الى الظلم والاعتدا وهم أساس البلا فحدثني بما جرى (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان أبا عبلة لما دبر هذا التدبير وما قدر على هلاك عنتر بل انه لما رأى بصر موكب بني فزارة أكثره قد هلك من نبال شيبوب

وضربات

وضربات عنترا سقى مالك وولده عمرو أن يرجعا الى الخيام فقال مالك لذلك وهام وقال لولده عمرو والله ياولدى مابقى لنا فى هذه الديار مقام لأن الناس عند الصباح يعلموا بقصتنا ويأكلوا لحومنا بالملام والكلام لاسيما الملك قيس واخوته وأخى شداد وزوجته وأنا عولت على أنى أسير الى الملك النعمان وأحكى له على قصتى واستجير به من بلوتى وأدخل تحت زمامه من هذا العبد الزنيم الذى عاندنى فى ابنتى على ان النعمان بعد ما علم ان الحرث عندهم وانهم أجاروه لابد أن يسير اليهم بسائر فرسان العرب ويقطع مابين القبيلتين من النسب ويكون هذا القلع آثارهم سبب وان قتلنا عنتر بلغنا والله الارب وتزوج أختك لمن تكون فى نعمته وتستريح بهيبته فقال عمرو الصواب ياأبتاه اننا نأخذ عبلة معنا ونبعد عن هذه الديار فقال أبوه لا يابنى ماهذا صواب لاننا لو أردنا أخذها معنا ماطاوعتنا على هذه الاحوال ثم قال مالك للعبيد الذين كانوا معه ارجعوا أنتم الى الاوطان والعيال واحفظوا المراعى والانعام والاموال حتى نبصر آخر هذه القصة وكيف تكون الاحوال وقولا لابنتى عبلة انى هايج على وجهى فى الجبال خوفا عليها فان كانت هى تختار عنتر علينا وتطاوعه على ما يريد فدعها تفعل ما تختار وان أرادت أن تصون عرضها وتستر نفسها فتمضى تستجير بأخى شداد وعمها زخمة الجواد فان عنترا لا يهتك حرمتها ولا يخفر لاجلها ذمتها ولا يؤذيها (قال الراوى) ثم سار مالك وولده عمرو فى الليل وجدوا المسير على ظهور الخيل ورجعت العبيد الى المضارب والخيام وأعادوا على عبلة ماقال أبوها من الكلام فتجددت عليها المصائب والاحزان ونالت عبلة وحق البيت الحرام مارأيت على وجه الارض بنية أشقى منى فيا ليت أمى لم تلدنى وأما قول ابى انى أستجير بعمى شداد من عنتر فأنا الا أبرح من هذا البيت ولا أظن فى ابن عمى هذا الظن لانه طول عمره يطلب نصرتى وتسبينى العدا ويخلصنى من النوائب والردا ثم انها باتت متفكرة فى أمرها الى أن طلع النهار وأنفذت الامة خيسة الى عنتر تعلمه بهذه الاخبار وقالت امضى الى عنتر وأعلميه بهذا المعنى فضت اليه الامة خيسة واعلمته كما ذكرنا فلما سمع عنتر هذا الحديث والكلام حس ان روحه تسل من جسده وصارت الدنيا مظلمة عنده وأخذته الحيرة والخبل ومابقى يدرى كيف يفعل وهو متفكر فى هذا الحال الذى به قد نزل وانه أصبح مظلوما فى زى ظالم ومنسوبا الى الجرائم فبينما هو متفكر فيما جرى عليه من تلك الاخبار والاسباب اذ قد دخل عليه عروة خليله والحرث مجاوره ومافيهم الا من هو مستوحش لعنتر وسأله كل عن حاله فتحسر وقال والله لقد كان يومى أشأم الايام وأشرها لا يجعل الله مثله لصديق ثم جعل يحدثهم بالحيلة التى دبرها عمه مالك وماجرى له من بنى فزاره وكيف أعادر بحهم الى الخساره ثم قال لهم وأنا أعلم ان عمى فى هذه النوبة مايخطى الملك النعمان بل لابد أن يصل اليه ويحدثه بحديث الحرث بن ظالم ولابد ان يصير بيننا وبينه العداوة والقتال وأحتاج أن ألقى روحى فى الاهوال الى أن أبلغ الآمال أو تلعب الخيل برأسى فى المجال ولابد أن ينفذ الملك النعمان يطلب الحرث من الملك قيس فقالوا له صدقت ياأبا الفوارس وأما عمك فانه يطلب ابنته والربيع بن زياد يأخذ أخاه عماره ويزوجه عبلة ويضيع كل ماعملته ولا تبلغ مهما أملته فقال عنتر وحق ذمة العرب من معد بن عدنان لو أتانا النعمان بنفسه وسائر العربان أو أتانا كسرى أنوشروان وطلب من ذوائب عبلة شعرة واحدة لما قدر الا يقطعن بعمى البصر وضرب لايبقى ولايذر فقال الحرث ياأمير عنترا ما النعمان فلا تحمل همه فأنا اذا سمعت انه سائر اليك آخذ معى عشرة فوارس وأسير اليه وأهلك عساكره وأدرى كتائبه وأبيد عشائره وأما عمك مالك فواجب عليك انك تسير اليه وتأخذ الملك قيس بن زهير وتلحقه فى الطريق وترضاه وتترفق به وتردّه الى الحلة لاجل محبوبتك عبلة لان المحب يذل لمحبوبه ولو كان الجفاء والهجر من نصيبه كما قال الشاعر

اذا ذل المحب وبات يشكو * الى عوّاده شكوى السقيم

يؤمل أن يزيل الله عنه * لهيب توقد الشوق القديم
ولاسيما اذا كان التشاكي * من البلوى الى قلب رحيم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذه الابيات من الحرث بن ظالم دمعت عيناه وزاد جواه وكثر جنونه وزاد شجونه وقال أما عمى مالك فأنا أركب واسير وراءه وأترضاه وان لم أجده سيكون بيني وبينه حديث يذكر ويروى * قال فبينما هم فى الحديث والكلام اذ دخل عليهم عبد من عند الملك قيس الهمام وقال له يا أبا الفوارس كلم مولاى قيس فان رسول حذيفة قد أتى اليه على سبيل الشكوى ويذكر ان له عليك دعوى وقد ذكرانك جرحته وبغيت عليه وأوصلت الاذية اليه وما هكذا ينبغى أن تكون الرجال الاجواد المعروفين فى القتال والجلاد ان تصير فى مثل هذا الوسواس الى العدم والالم فقال عنتر وهو مشرف على التلاف وقد نزل به العدم لو قدرت اليوم على بنى فزارة ما تركت منهم من يمشى على قدم لانهم طول عمرهم طالبون قتلى فى السفر والحضر ولا بد لى معهم من يوم أسود أغبر من ضرب المسام الذكر والاما أكون فما أنا ابن شداد عنتر لاسيما حذيفة والربيع بن زياد الفرزان الكثير الكياد الخوان وان سلم اليوم فما يسلم غدا ثم انه ركب وسار الى حضرة الملك قيس فلما حضر قام له كل فى المجلس وسأل عن الخبر والحال فقال له قيس يا أبا الفوارس أى شئ أوجب هذه الفعال وما سبب هذا القتال ولماذا تسرف فى شرب الخمر الميشوم حتى جرى منك هذا الامر المذموم فقال عنتر وما الذى فعلت من الفعال حتى استوجب هذا المقال وأنا وحق الارباب قط ما شربت وغاب لى صواب فقال له الملك قيس هذا رسول حذيفة جاءنى يشكوالى ويقول لى على لسان هذا الرجل يا قيس أنا ركبت فى مائة فارس أنا والربيع بن زياد وكنا قد جئنا نهنيك بالسلامة ونعتذر فى التقصير من قلة المسير اليك لاننا كان لنا سرية فى بلاد اليمن وهلكت وما عاد منها الا القليل وذكر لنا بعض المنهزمين ان الاعداء وراءهم طالبين وقد قعدت خوفا على الحريم ولما سمعنا انك قد عدت سالما أتينا نهنيك بالسلامة فثار علينا عبد شداد عند غدير ذات الارصاد وهو سكران لا يعقل انسان فقتل رجالنا وأهلك أبطالنا ومازالت الرجال تردعن أنفسها وأنا أقول يا بنى عمى لا تثيروا بيننا الدماء ولا تحاربوا هذا الرجل واحذروه فانه سكران ولم يزل الى أن وصل الى وأنا أقول هذا المقال ولا أمانع ولا أدافع بل صرت أقول اذا رآنى يستحى منى ويرعانى فما هو الا أنه لما لحقنى مد يده الى وضربنى فقلت انه قتلنى وقلت ان أنا هاجمته ولم ارعكم يثور الحرب بيننا وبينكم وما كفاه حتى صار يقول لنا يا أولاد الزنا ونتيجة الخنا أنتم تطلبون قتلى ولولا ان عمه مالك كان رده عنا لكان قد تبعنا الى الديار فنحن يا قيس بقينا أولاد زنا وعنتر عريق النسب وأصيل الحسب فان كان فعل هذا عن اذنك فاعلمنا حتى نعلم انك حردان علينا فنحترز على أنفسنا ونعلم انك ناقم علينا لاجل بعادنا عن نصرتك وان كان ما عندك من ذلك خبر فلا تستحسن البغى يا عنتر ولا تستحسن هذه الفعائل التى بها تتكدر وأنت بالامس كنت راغبا فينا ومراعيا جانبنا فان كنت على ما نعهد فانف عنتر ودعه يرحل عنك ويطلب أرضا غير هذه الارض حتى نعلم انك غضبت لغضبنا ورضيت لرضانا ثم قال قيس يا عنتر وحق البيت الحرام لقد ضاق صدرى لاجل سماع هذا الكلام لان عندى من كثرة أعدائنا وزيادة همنا ما يشغلنا عن معاداة بنى عمنا فقال عنتر يا ملك وحق من أرسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والآجال ان هذا الحديث زور ومحال وما أتوا هؤلاء الا لانك لا يريدون قتلى وسفك دمى ويعاونوا عمى على هلاكى وعدمى ثم أخبره بما جرى له مع عمه على الحقيقة وأعلمه ان عمه وولده قد هربوا خوفا منه ومن الفضيحة وبعدها فما بقيت أقع بأحد من الاعداء الا وأقتله وأسفك دمه لاسيما الربيع بن زياد واخوته الذى بانت لى عداوتهم لانهم لما رأوا عمى مال بجانبه جعل يراسله ويقسى قلبه على بد واهيه ومعائبه وأما قولهم انهم كان لهم فى بلاد اليمن فرسان وهلك أكثرهم

فصدقوا

فصدقوا فى هذا المقال لانهم ياملك قد علموا بسيرى لاجل خلاص ابن اختى الهطال ورجاله فانفذوا تلك السرية لقتلى فوقع بهم الاقيط وفعل بهم هذه الفعال وكل هذا ياملك يجرى وأنا أخفيه وفى آخر الامر يقولون ان عنتر بنى على سائر العالم والحال انى مظلوم وبعدوى ظالم فانا أريهم اليوم عاقبة الظلم والبغى على من تعود (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس هذه المقالة عرف بباطنه صدقه من محاله لان طريق الحق واضح وشواهدها على من تكلم بها لائحه فقال قيس للرسول الذى لهذيفة يا ابن العم والله ما على كلامك من برهان واضح وان الحق مع عنتر وشهوده عليه لوائح فقل له ان كل من أشار على بنى عنتر عن الاوطان فما يكون الا قد أراد لى الهلاك والقلعان لانى رجل كثير الاعداء قليل الاعوان وان فعلت هذا فلا آمن من نوائب الزمان فكم من مرة خلص عنتر حريمنا والنسوان وأنقذهم من الذل والهوان وبعد هذا أنا أدخل بين عنتر وبين بنى فزارة لان الاختبار قد بين لهم الربح من الخسارة وهم قد جربوه مرارا وعرفوه وان أراد المناصفة فانصفوه ثم انه رد الرسول وعلم ما فى قلبه وأوعده أن يعينه على عمه ورجع عنتر الى مضاربه وأمواج الهموم تلعب فى فؤاده وجوانبه وكان أكثر همه وغمه لاجل غيبة عمه لانه لا يعلم أين قصد وعلم أن عبلة يتنغص عيشها لغيبته وبقى عنتر مدة خمسة أيام لا يلتذ بطعام ولا يتهنى بمنام وبعد ذلك طلبته أم عبلة وقالت له اعلم ياولدى انه قد خرب بينى من الرجال ويخاف على ما عندى من الاموال وخراب البيت ما هو صواب وتشمت بنا سائر الاعداء لاسيما الاهل والاصحاب وأنت ياولدى أخبر بعيشتنا فى هذه الايام وعمك وولده غائبين فى البرارى والاكام وللآن ما سمعنا لهم خبر ولا عرفنا لهم مستقر وان وقع بهم من له عليهم دما ترك وجودهم عدما ونلقى بعدهم الذل والاسا فى الصباح والمسا والصواب انك تجد السير خلفهم وتكشف أخبارهم ولا تؤاخذهم بفعالهم لان كل ما جرى من تدبير الربيع بن زياد ابتلاه الله بالضر والانكاد ثم قالت له أم عبلة اعلم انهم اذا وقعوا وتم عليهم أمر من الضير فما نلقى بعدهم سرورا ولا خير ولا سيما من كلام الناس فان العرب كلها تقول تركت أباها وأخاها واعتمدت على عنتر فى شدتها ورخاها وأنت أخبر بهذا الامر فدبر تدبيرا يكون فيه فى الصلاح فقال لها عنتر يا مولاتى انت تعلمى ان الذى جرى على فى هذه النوبة من يده كان وهو ما طلب الاهلاكى والقلعان لانه كان يظهر لى خلاف ما كان منه فى الفؤاد ويلقانى بالترحيب والوداد ويرجع يدبر على هلاكى هو والربيع بن زياد عاقبه الله بهذا اللجاج والعناد لانه فعل هذا ألف مرة ثم يعود ذلك عليه وبالا ومضره ويلقى عاقبة بغيه وأنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لو كان قال لى يا عنتر أنا ما أريدك لا بنتى عبلة ولا أريدك أيضا تقيم عندنا فى الحلة ما كنت فيها أقمت بل كنت رحلت وعلى الله توكلت فعند ذلك كلمته عبلة وقالت له يا ابن العم كيف يكون لك جلد ان تبعد عنى وتقنع بالتمنى فان هذا ما هو الا زور ومحال فدع عنك هذا المقال وبحياتى عليك قضى وتكشف خبر أبى وأخى ويكون عندك الاحتمال ولا تؤاخذهم بما فعلوا من سوء الفعال واعلم انه اذا كان العبد يريد مولاته يحسن مداراته فقال ياسيدتاه وهذه المداراة كيف تكون وأنا والله لقد كرهت الحياة وضجرت حيث انى أعمل جميلا ويجازينى عليه بالقبيح ولكن كل هذا يهون على قلب عبدك اذا كنت راضية عنه وأنت مقيمة على عهدك وأما أبوك فما عليه خوف الا من بنى عامر لان حواشيهم بين أبياتنا يدورون الليل والنهار قرب حللنا ويبصرون من ينفرد من رجالنا وأبوك اذا وصل الى النعمان فما يكون الا فى الامان وأنا وحق هواك فى هذه الليلة أقفو خلفه الاثر ولا أعود حتى أكشف الخبر وأرده الى الديار والاوطان واجازى قبيحه بالاحسان حتى يعرف قدرى كما عرفه كل انسان أو يشتفى منى اذا رآنى ملقحا تحت أرجل الخيل وجميع الفرسان تنعانى فى النهار والليل فقالت أم عبلة وحياة ولدى عمر وان حقك عندى واجب

معروف وبالكعبة أجل الاقسام وبحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أتركنه يزف ابنتي
الا عليك ولو قطعتني بالحسام فطاب قلب عنتر بهذا الكلام ودعا لها وقد زال ما بقلبه من الجوى
والغرام ولما وصل الى خيامه دعا بعروة بن الورد والحارث بن ظالم وأبيه شداد وعمه زخمة الجواد
وقص عليهم ما جرى له ولعبلة وقال قد عولت أن أسير في قلب عمي مالك اذا جن الليل وأسأل عنه ان
كان وصل سالما الى النعمان ولا أؤاخذه بما فعل في حقي من الهوان ولا أقابله بتدبير الربيع بن زياد
القرنان وأقابل القبيح بالاحسان ولا أدع الاعداء يبلغون مني المراد لاجل العداوة والكياد لان قلبي
خائف من بني عامر وما أحضرتكم الا لاجل أوصيكم بعبلة وربما تطول سفرتي ويأتي عمي هاهنا ويأخذ
أهله وعبلة في غيبتي ان كان وصل سالما الى النعمان وأريد منكم ان تم له هذا الامر والشان وأتى هو
أو رسوله يطلب عبلة فما تمكنوه من ذلك وان رأيتم ما لا طاقة لكم به تخذها يا أباهائ وارحل بها وانزل
على بني شيبان وأقم عند أخي بسطام الى حين قدومي فان بيني وبينه عهدا لا يضيعه لانه كريم من نسل
قوم كرام وأريد في غداة غد يا أبتاه تنقلها الى أبياتك وتجعلها من جملة بناتك فقال له شداد يا ولدي
لا تخف أما عبلة فما تبرح من أبياتي وأما أنت يا ولدي فوحق ذمة العرب ما أدعك تسير وحدك وأنت
هكذا في البر وحيد ولا بد أن تصحب معك جماعة من الفرسان الصناديد فقال عنتر والله يا أبتاه
ما أدعك تنتقل من الحي خطوة واحدة لا أنت ولا عمي زخمة الجواد لان مالي غيركم اتكل عليه في حفظ
الامير عبلة وأنا أسأل رب السماء أن يصرف عنكم شر الاعداء لان اتكالي في هذا الامر عليكم وهو
الصواب الذي خطر ببالي فقال الحارث اذا كان الامر على ما ذكرت فاسير أنا وأنت الى ما أردت
ونترك هؤلاء هاهنا يحفظون ابنة عمك كما أمرت لتكون مطمئن القلب ونحن فينا كفاية لاهل الشرق
والغرب فقال عروة أنا وحق ذمة العرب أسير معكما ولا أقعد عنكما لان عنترا اذا كان غائبا عن
الديار تظلم في عيني الاقطار ويتساوى عندي الليل والنهار فشكره عنتر على هذا الكلام ثم تأهبوا لمثل
هذه الاحكام حتى أقبل الليل الحالك بالظلام ثم ركبوا بعد ما غاصوا في الحديد وتدرعوا بالزرد
النضيد وتقلدوا بالسيوف الحداد واعتقلوا بالرماح المداد ثم انهم خرجوا من الخيام وأهل الحي
نيام وساروا وشيوب بين أيديهم مثل ذكر النعام وأراد جرير المسير فما مكنه من ذلك عنتر بل أمره
بمراعاة عبلة وحفظها ولما توسطوا البر قال شيوب لاخيه أعلمني يا أبا الفوارس أي طريق تريدان
تذهب فقال له أقصد أرض بني عامر لكن أريد طريقا لا يلقانا فيها أحد بيقنا لكي يخفى خبرنا على كل
أحد من كل مقيم ومسافر وان كان عمي قد وقع به بغيه فمن هناك نأخذ خبره فقال شيوب اتبعني
يا ابن الام لترى العجب مني واذا خرجنا من الارض وقربنا من ديار بني عامر وبقي بيننا وبينهم دون
اليوم أخفيكم في البراري والقفار وأخرج ألتمس لكم الاخبار ثم انهم ساروا يقطعون البيداء وكان أكثر
مسيرهم في الليل البهيم ولما قاربوا أرض بني عامر أخفاهم شيوب في مكان عظيم وقال له عنتر سر وانظر
هل تسمع لنا على عمي من خبر وانظر سراح القوم هل أمنوا وسرحوه في الجبال وارجع الينا واعلمنا
بالحال لاجل أن نخرج على الاموال ونسوقها ونقتل حماتها ولا نترك طريقنا عضى خائبة فقال لهم
شيوب سمعا وطاعة فسار شيوب وقد لبس زي فقراء العرب من المماليك والصعاليك وأقاموا ينتظروه
بقية ذلك اليوم وتلك الليلة الى الصباح وخاف عليه عنتر ان يكون قد هلك أو وقع به بعض الاعداء
وألقى في الشرك فهم أن يسير في طلبه ويكشف خبره واذا به قد طلع عليهم من كبد البر مثل ذكر النعام
ومعه عبد أسود وهو رابطه بحبل وكلما وقع صاح عليه وسحبه فتعجب عنتر من ذلك وتواثبوا اليه حتى
قاربوه وقالوا له ما هذا العبد يا شيوب فقال هذا عبد رائج بن الصياح سيد بني جهان ومنه قد

أخذت الخبر عن عمك وولده عمرو وقد ذكرا أنهما عند سيده رابح بن الصباح وانه يهددهما بالقتل مساء وصباح ويعذبهما بعذاب ما عذب به أحد من الرجال والنساء لانني لما سرت من عندكم أجهدت نفسي في المسير الى آخر النهار وأردت بذلك انني أختفي وأدخل ديار بني عامر أول النهار وأكشف لكم الاخبار واذا بهذا الشيطان قد اعترضني وعن قضاء حاجتي أعاقني وكان مقبلا من ناحية أرض وادي زرود فقاطع علي وقال لي أنت من عبيد بني عامر يا وجه الخير فقلت وما الذي تريد يا ابن الحلال فقال لي أنا من عبيد بني جبهان من عند رابح بن الصباح أطلب الاخوص بن جعفر وملاعب الاسنة لان سيدي قد أنفذني اليهم أبشرهم بوقوع مالك وولده عمرو وأقول لهم يسيروا الينا على عجل ويحضروا قتل الاثنين وبلوغ الامل لاجل ما بينهما من العداوة ولما حققت ذلك منه طار عقلي وقلت انقضت حاجتي التي أتيت اليها ثم قلت له يا وجه العرب سر معي حتى أوصلك الى مضارب الاخوص بن جعفر لانه مولاي ثم قصرت في المسير وصرت أسأله كيف وقع عمك وولده حتى انتشرت أجنحة الظلام وخفيت عنا البراري والآكام فدنوت منه وضربته بالخنجر أشغلته عما هو فيه بنفسه وعدت على أثري وقد أردت حضوره بين يديك فانه أراد أن يهرب من يدي فقاسيت الشدائد حتى أوصلته اليك فلما علم عنتر بذلك زاد همه وغمه وأقبل على العبد الذي أتى به شيبوب فلما رأى ذلك العبد عنترا انهدمت قوته وتعجب من عنتر وهول صورته ومن شيبوب وجسارته فقال له عنتر ما اسمك يا غلام فقال اسمي بشير يا مولاي فقال وأين أنتم نازلون قال في أرض العنز فقال له وكيف وقع هذا ان الاسيران العبسيان في أيديكم فقال له كان سيدي عائدا من وليمة قد دعي اليها هو وزوجته دعد العامرية وكان قد أقام فيها سبعة أيام وعاد ومعه فارس واحد يقال له عبد مناة وهو فارس أرضنا وليث عشيرتنا ولما قاربنا الديار التقينا بهؤلاء العبسيين فأخذهما سيدي ولما وصل بهما الى داره عذبهما أشد العذاب وربطهما مع الكلاب وكان السبب في ذلك ان مالكا أباعبلة وولده لما جرى لهما ما جرى وهجا على وجوههما في الصحرا وهما يتململان غيظا وقهرا فانهما لم يزالا ساهرين ذلك اليوم وتلك الليلة الى أن أصبح الصباح وقد وقفا وأمنا على أنفسهما من طلب عنتر البطل الجحجاح وكان مالك قد عول أن أسير الى الحيرة ويدخل هو وولده على الملك النعمان ويلقيان الشر بينه وبين بني عبس وعنتر ويقيما تحت ظله وينفذ مالك يأخذ عبلة من بني عبس ويزوجها بالامير عمارة بن زياد ويبلغ من النعمان ما أراد ولم يزالا ساهرين ذلك اليوم وتلك الليلة الى الصباح الى أن وصلا الى قوم يقال لهم بنو صالح وفيها التقوا بالامير رابح ومعه الهوادج والكال فقال عمرو لابيه مالك يا أبتاه هذه عروس سائرة الى بعلها أو امرأة طالبة أهلها ومعها فارسان وثلاثة عبيد وأريد أن أحمل على الجميع وألتقطهم بالسنان وآخذ بغية هذا الهودج المنصان مسبية بما عليها من الحلل والاموال ونسير بها في الطريق الى ان نصل الى العراق ونجتمع بالملك النعمان فقال له أبوه بالله عليك يا ولدي دعنا من معاداة العربان ومن ذكر النسوان فان لنا شغلا بهجاجنا من الاوطان ومفارقة الاهل والخلان * هذا ومالك جعل ينهى ولده فلم يقبل له كلام بل انه أطلق عنانه وقوم سنانه وزين له الشيطان وجه المحال فصاح وقال ويلكم خلوا عن الهوادج والاموال واطلبوا النجاة قبل الوبال فقال عبد مناة من أنتم أيها الانذال ثم انه حمل على عمرو وجال معه ساعة حتى عرف ما فيه من الشجاعة ثم بعد ذلك قاربه ورمى الرمح من يده وأوهمه أنه يضربه بالسيف على رأسه وضرب رأس الجواد رماه فوقع على ظهره وأيس من الحياة وغاب عن دنياه وأبصر أبوه هذا الحال فاحتاج أن يقاتل ويخلصه من الذل والخبال الا انه ما حمل حتى شد له عمرو ولده وقد ذاب كبده وقل صبره وجلده وناداه واولداه وبذل مع عبد مناة المجهود وتكاثفا كالخمة الاسود لان

مالك بن قراد كان من فرسان بنى عبس الاجواد بخالد خصمه أشد جلاد ومازال معه فى طراد وعناد
حتى صار بياض النهار الى سواد وزادت بعبد مناة الاحقاد فصاح بمالك بن قراد صيحة الاسود
وزعق زعقة عظيمة أذهلته وطعنه طعنة قتلته فشك السنان فى درعه ونحسه فى ضلعه فوقع وقد
أيقن بالهلاك وحل به الارتباك وانقلب من فوق المركوب من ألم الجراح وشده راح
ابن الصياح فزادت به الافراح واستخبر من عمرو عن نسبه وعن عربه وعن الشيخ الذى معه وقد
جد فى طلبه فقال له نحن من بنى عبس وهذا الشيخ أبى ثم أخبره باسمائهم وكناهم فأمهل عليهم
وساقهم بعد ذلك وأراد هلاكهم ثم قال وحق الاله المعبود والرب الموجود لا قيلكم حتى أعذبكم أشد
العذاب وأذيقكم الذل والخسارة وأربطكم مع الكلاب الهبارة وأشفى بكم قلب الاخوص بن جعفر
واللقيط بن زرارة لانكم قد فجعتمونى فى أخى يوم وقعة بنى فزارة ثم انه جال عليهم بالسوط حتى شفى
قلبه منهم وقال لعبيده سوقوهم وروحاله الى الاحياء ولا تفتروا عنهم بالضرب والعناء وأنفذوا الى
اللقيط بن زرارة عبدا يعلمه بذلك ويأمره بالحضور وكذلك أنفذ الى بنى عامر الذى لقاه شيبوب وأحضره
الى أخيه عنتر واستفاد منه الخبر فدنا اليه الحارث بن ظالم وضربه بذى الحيات طير رأسه عن جثته
وقال يا أبا الفوارس ان الصواب اننا نلحق عمك ونخلصه من العذاب قبل أن يهلك وأنا أعلم انه فى هذه
المرة يصير لك أذل من العبيد وتبلغ منه ما تريد فقال له عنتر يا أخى وكم من مرة خلصته وهو لا يزداد
الا عنادا وعتوا وفسادا ولكن له عندى شفيع قوى وهى عبلة ابنته التى هى كروحى التى بين الجنبين
ولاجل عين تكرم ألف عين ثم أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

لوان قلبك لى يرق ويرحم * مابت فى ألم الهوى أتالم
ومن العجائب انى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم
هم يظلمونى بعد قربى قصدهم * صد الحبيب وذاك ضد يلزم
مع انى أرضى بما يرضيهمو * ولاجل عين ألف عين تكرم

ثم انه أمر أخاه شيبوب أن يعدل بهم عن الطريق التى لبنى عامر حتى لا يعيقهم عائق ولا سائر ثم سار
فى البرارى يطلب أرض العنزتين لتقر منه بنيل قصده العين هذا وعنتر يتذكر ما لاقاه من ألم الهوى وما
يقاسيه من البلوى وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

عذابك لى عبلة ذاك سهل * وجورا بيك انصاف وعدل * فجورى واطلبى قتلى وظلمى
وتعذيبى فانى لا أمل * ولا أسلو ولا أشفى الاعادى * فساداتى لهم فخر وفضل
أناس انزلونا فى محل * من العلياء فوق النجم يعلو * اذا جاروا عدلنا فى هواهم
وان حكموا لحكمهم ونذل * وعبلة فى هواها قل عزمى * وصبرى غير انى لا أمل
فكيف يكون لى عزم وجسمى * فنى حتى بقى منه الاقل * فياطير الاراك بحق رب
براك عساك تعلم أين حلوا * وتطلق عاشقا من أسر قوم * له فى حبهم أسر وغل
فلولا الهوى رجل شجاع * طعنت اهابه والسيف يعلو * فقد جار الهوى من أجل قوم
أحلوا من دمى ما لا يحل * ينادونى وخيل الموت تجرى * محلك لا يقاومه محل
وقد أمسوا يعيبونى بامى * ولونى كلما عقدوا وحلوا * لقد هانت صروف الدهر عندى
وهانوا أهله عندى وقلوا * ولى فى كل معركة حديث * اذا سمعوا به الابطال ذلوا
أثير عجاجها والخيل تجرى * ثقالا بالفوارس لا تمل * وارجع وهى قد ولت خفافا
تسل الطعن وهى به تفل * وافعل فعل ذى عزم قوى * لدى الابطال لو فعلوه ملوا

واضرم

واضرم نار حربي كل يوم * على الاعداء ان رحلوا وحلوا * وأرضي بالاهانة من اناس
أراعيهم ولو قتلي أحلوا * واصبر للحبيب وان جفاني * ولم أترك هواه ولست أسلو
عسى الايام تنعم لي بوصل * وبعد الهجر مر العيش يحلو
وانى عنترالعبسي وذكري * مدى الازمان فوق الشهب يعلو

(قال الراوي) وكان عنتر ينشد هذه الابيات والحارث يطرب لفصاحته ويتعجب من مروءته وقال والله يا أبا الفوارس لو جرى على بعض ما جرى عليك كنت قتلت عمي وكل من يلوذ به وسلبت نعمته وأخذت ابنته فقال والله يا حارث لا كان هذا أبدا ولو انهم سقوني كأس الردا لانه يا أخي كل مقدر كائن ثم انهم جدوا المسير سبعة أيام ووصلوا في اليوم الثامن الى غابة الاسد وهي منازل بني جبهان وكان نزولهم وقت المساء فقال لهم شيبوب لا تقطعوا بينكم الحديث حتى أدخل الى الخيام وانظر ما قد جرى وكم يخرج من الحي من الفرسان وأعود اليكم بالخبر اليقين فقال عنتر يا شيبوب أما قولك كم يخرج من الحي من الشجعان فنحن لا نبالي بالشجعان ونحن ها هنا ثلاث رجال نريد ثلاثة آلاف فارس من الابطال وأما دخولك الى الحلة وحدك فوحق ذمة العرب والحطيم وزمزم لا يدخل المضارب الا أنا وأنت لاني اشتهيت أن أبصر عمي في هذه النوبة وهو يقاسي الذل والعذاب فقال شيبوب وبلك يا ابن الام وكيف يكون ذلك ومالك بهذا الامر عادة ولا سابقة قبل هذا اليوم فأما لا أطاوعك على هذا أبدا لاني أخاف عليك أن تقع علينا عين فاهلك أنا وأنت ويكون يا ابن الام آخر مناعتك لعمك الهلاك وعدم تمام عشقك وهواك على اني اذا وقعت على العين في الحال همزت همزات الغزال بين المضارب والخيام فقال عنتر ويلك ايش هذا الحديث والكلام فأنا وحق من خلق الانس والجان لو ان أهل الحي بعدد الرمل والكواكب لا أترك منهم ماشيا ولا راكب فقال شيبوب ان كان ولا بد من هذا الحال فاخلع عنك السلاح وآلة الحرب والكفاح ثم البس مثل لباس العبيد حتى يتم لك ما تريد ثم انه لبس لباسا يصلح لمثل هذه الاشياء وكان معه يلبسه وقت احتياجه اليه ودخلا الى غابة الاسد واحتطبا حزمتين حطب وكانت حزمة عنتر كبيرة ومشيا حتى دخل الى الحي وقد أقبل الظلام ودخل شيبوب قدام واخترق الخيام امام عنتر لانه بهذه الامور أخبر ومازال ماشيا بين المضارب والخيام الفساح حتى وصل الى مضارب رابح بن الصباح ومد شيبوب عينيه فنظر ما لكا وولده عمرو مربوطين مع الكلاب وهم في غاية الضر والاتعاب وقد تغيرت أحوالهم من العذاب وهم مربوطين في حبال الاوصاب فقال شيبوب لاخيه هذا يا ابن الام عمك وولده فانظر اليهم فحط عنتر حزمة الحطب عن اكتافه وأظهر أنه يستريح من التعب وفعل شيبوب كذلك الا انهما ما أقاما الا بقدر ما خرج رابح بن الصباح وكان حوله جماعة من العبيد والخدم وأخذ في الحديث مع رعاته وصار يسأل منهم عن العشب والكلا وكل يحدثه بما يرعى فيه من الفلا الى ان قال له بعض العبيد يا مولاي رأيت اليوم عجبا وهو اني كنت في وادي البرحاء وجئت عند المساء والابل بين يدي تسعى في البيداء فلما صرت في الطريق التي تأتي الى أرضنا من ناحية العلم السعدي رأيت فارسا أخذ يطرد غزالة وبين يديه رجل كأنه النمر الارقم والفارس على فرس كأنها الليل اذا اظلم والرجل معه قوس عربية وكنانة بالنبل ممتلئة ولم يزل خلف الغزالة يريد أن يصيدها فوقفت انظر اليهما واذا بالرجل قد سبق الفارس ومسك الغزالة من قرنيها وهي في جريها وأتى بها الى الفارس وسلمها اليه فلما صارت في يديه بكا بكاء شديدا ثم باسمها بين عينيها وأطلقها ولم يكدر عليها ووقف وأنشد يقول

اذهبي في الامان من كل شر * ما توالت بسيرها الايام

لك من عبلة التكحل فى العين وجيد يشوره العرام
ورقيق القوام يحكى قواما * فوق خصر كأنه الاوهام
وحياك الاله من كل سوء * وانثنت عنك باغزال السهام

(قال الراوى) فلما سمع رابح بن الصباح من العبد هذه الابيات تعجب وقال ويلك ياولد الزنا ومتى كان هذا فقال يامولاى آخر النهار فقال هذه صفات أسود بنى عبس وان كان قد غره الطمع وأتى الى هذه الاماكن فى طلب هذين الاسيرين فأنا أقوده غدا أسيرا ويكون لنا الفرح التام كل هذا يجرى وعنتر واقف يسمع كلام العبد ويتعجب من هذا العبد حيث حفظ شعره وقد كان تم له هذا الحديث مع أخيه شيبوب وقال هذا المقال فلما سمع عمرو ولده صفات عنتر عرفوه وعلموا انه قد أتى لخلاصهم فقال مالك وحق الكعبة ان كان هذا الكلام صحيحا ونجوت من هذا العذاب الاليم على يد عنتر بن شداد لاضمرله بعدها أبدا عناد ولا أسمع فيه كلام الاعداء والحساد لان البغى عاقبته نحس * هذا ورابح يقول لعبيده لقد أبطأ علينا خبر عبدنا بشير الذى أنفذناه الى الاخوص وكذلك العبد نازح الذى أنفذناه الى اللقيط وأنا أريد أن أقتل هذين العبيدين وارتاح من التوكيل عليهم فقالوا له ماهذا صواب لانك قد أرسلت خلف سادات القبائل فاصبر حتى يحضروا ويقتل هؤلاء الكلاب يشتفوا وان أنت فعلت هذه الفعال ضاع تعب الاثنين ولاملك الابطال فقال رابح اذا كان الامر على هذا فأنا أنتظر تمام هذه الليلة وغدا فان أتى أحد من الذين أنفذنا اليهم كان والا ضربت رقاب الاثنين واهدينا الى بنى عامر والى اللقيط الرأسين * هذا كله يجرى ومالك وولده يتحسران على أنفسهما وعنتر وأخوه قائمين فى جملة العبيد كأنهم متفرجين وكل واحد منهم ماتكئ على جوزته والليل قد سترهما ولما انتهى رابح من كلامه دخل الى خيامه وفى دخوله وخروجه عبر على مالك بن قراد وولده عمرو وضربهما بالسوط الذى كان فى يده وقال لعن الله قبيلة أنتم منها لانكم قوم كثيرون اللجاج والاسراف قليلون المروءة والانصاف لاتعرفون عدلا ولا تعطون عطاء ولا بذلا بل الطمع لكم لباس والبغى لكم أساس وها أنتم مشايخ بنى عبس الكبار وقد فضل عليكم عبد لا قيمة له ولا مقدار وأحسن اليكم ألف مرة وخلصك وولدك كم من كره وهو عنتر بن شداد وقد سمعت انك أخذت مهر ابنتك منه شيئا زيلا من المال وجازيته بقبيح الفعال وكذبت فى المقال فلعن الله وجهك الكالح وفعلك الكثير القبائح ثم أوصى العبيد بحفظهم ودخل الى المضرب للمنام وقد فرق الظلام بين القعود والنيام فقال شيبوب لعنتر احمل بنا الحطب لنذهب قبل الانكار فقال عنتر لا وحق الواحد القهار ومن أعشب القفار وجاد علينا بالسيول والامطار وأجرى الانهار وأدار الفلك الدوار فقال شيبوب وماتريد أن تفعل فقال عنتر أطرح هذه الاحطاب على النار التى قدام مضرب رابح وأهجم على هؤلاء العبيد الذين توكلوا بعمى وأضع فيهم الحسام وأطلق الاثنين قبل أن يذهب الظلام حتى لا أكون خاطرت بنفسى وأعود خائبا فزعان من الرماح والطعان فقال شيبوب ان فعلت هذه الفعال لانصل الى الديار ولانخلص من هذه الخيام والقفار فقال عنتر ويلك يا ابن السوداء أنا أخلصك ولو أن أهل الحى عدد رمل البيداء لانهم اذا سمعوا الصياح يطلبوا النار الشديدة الاضرام والاشتعال وأكون أنا قد خلصت عمى وولده من الاعتقال فخذهم أنت وسر ودعنى أنا للقاء الرجال وملاقاة الابطال فقال شيبوب افعل يا أخى ماتريد وما عليه عزمت ولكن لا تلومنى اذا رأيت الغلبة وانهزمت فقال يا أخى قف أنت قدامى وانظر العجب واذا رأيت الغلبة فانج بنفسك واطلب الهرب ودعنى أنا أجد خلف القوم فى الطلب ثم حمل عنتر خزمته ووضعها على النار وسل سيفه الصمصامى وأرجه من تحت أثوابه وطلب البيت الذى فيه عمه وفعل شيبوب مثل فعاله وكان

الموكلون

الموكلون بعمه مالك وولده ثلاث رجال وقد انطرحوا على الارض وعولوا على المنام فعبر عليهم عنتر ووضع فيهم الحسام فما نار أحد منهم ولا قام الا وقد طار منه الهمام وأما شيبوب فانه جرد خنجره ودنا من مالك وولده وقطع كتافهم وقال لهم قوموا وخذوا من سيوف القتلى ما تحتاجوا اليه وهرولوا مع أخي وهو يحميكم واعرفوا له قدر هذه القصة فيكم (قال الراوى) فساروا عند ذلك وهم لا يصدقوا بالنجاة من المهالك * هذا وعنتر وقف على باب رابح بن الصياح وأمهله الى ان خرج على حس الصياح ثم ضربه طير رأسه مع هبوب الرياح وسار على أثر أخيه خوفا عليه ممن يلتقيه وأوقدت الاحطاب وعملت نار الالتهاب بين الاطناب وتنابحت الكلاب وضج الحي من كل جانب وتجارى كل من سمع الصياح وحمل سيفه وطلب مضارب رابح بن الصياح وأراد كشف الاخبار وعاد الليل مثل النهار وذلك من وهج النار * هذا وعنتر يصيح فى مالك وولده عمرو ويخترق بهم المضارب والخيام وشيبوب فى الاثر وسيفه فى يمينه مشهر وصار عنتر يضرب يمينا وشمالا وبعدد بين الخيام الرجال الا انهم ما خلصوا وصاروا فى الصحراء الا بعد أن أهلكوا خلقا كثيرا وركب عنتر ومالك من الخيول الشاردة ما شاؤا وأراد شيبوب أن يطلب بهم غابة الاسد فالتقاهم عروة والحارث بن ظالم الجحاح وقد أتوا على الحس لما سمعوا الصياح فعند ذلك ركب عنتر على ظهر جواده الابجر وقال لهم سيروا بنا ما دامت بنى جبهان مشغولة بقتل سيدهم رابح بن الصياح ولم يزالوا سائرين والحارث يهنى عنتر بالسلامة ويقول لمالك أبى عبلة من يكن له مثل هذا الاسد الذى تهابه السباع فى الغاب يبغضه ويهرب منه ويلقى نفسه فى العذاب فقال مالك يا حارث دعنى ولا تعذلنى ولا تكسنى ثوب الحياء والخجل فأنا رجل كانت على عينى غشاوة وقد زالت لما أراد الرب القديم زوالها ثم انه ثنى رجله وترجل وتقدم الى عنتر واعتنقه واليه اعتذر وقال له اعلم يا ابن أخى انى كنت أقول بلسانى خلاف ما فى قلبى والبوم وحرمة البيت العتيق ان فى قلبى من شكرك ما لا يصفه الواصفون وان أنا خنتك بعد هذه النوبة فما أكون انسان لانك من العذاب أنقذتنا وبعد الموت أحييتنا فطيب قلبك واقطع بنا هذه الارض ورمالها فما تصلح عبلة الا لك ولا تصلح الا لها فلما سمع عنتر كلامه زال ما فى قلبه من هيامه وترجل الى عمه واعتنقه وقال له يا مولاى لو أنك فعلت معى أضعاف ما فعلت ما قصرت فى خدمتك ولا ملت لان العبد ماله أن يعترض على مولاه ولو قتله كل يوم وأحياه ثم شكره وأثنى عليه ودعا له وأعاده الى جواده وساروا يقطعون الارض وحين انجلى الظلام ولاح الصباح وأشرقت الشمس فى البطاح لحقتهم الخيل من بنى جبهان لان الفارس منهم كان يقصد النار التى أوقدها عنتر ويسأل عن حقيقة الخبر فأخبره النساء بما جرى على رابح بن الصياح وانهن فى غاية الحزن والافتضاح من كثرة الدم الذى قد ساح وسمع أصوات النساء والصياح فعاد الفارس منهم الى خيامه ولبس السلاح وركض فى عرض البر والبطاح وكان من جملة من فعل هذه الافعال عبد مناة لانه لما أخبره النساء بالخبر وأبصر تلك الضربة عرف المعنى فركب وسار يطلب بنى عدنان يقطع الارض رفعا وخفض ونظر عنتر الى الخيل فلما أدركتهم وقف وقال لعروة وقد ألوى عنانه وانعطف يا أبا الابيض خذ معك عمى وولده والحارث وسر على ما أنتم عليه وأنا أرد عنكم الاعداء والحقكم عند المساء فقال عروة لا وعز حياتك يا أبا الفوارس ما نترك وراءنا شاغلا بل نرجع كلنا البلوغ المرام واذا خفت ظهورنا سرنا الى حال سبيلنا وقال الحارث أيضا مثل ذلك واتفقوا كلهم على ذلك فقال لهم عنتر يا قوم الامر لا يستحق ذلك واذا كنتم لا تسمعوا لما أقول فافعلوا فكل فعلكم غير معقول هذا وعمه مالك أبصر الخيل متلاحقة به من كل جانب فأيقن بالبلاء والمصائب وخاب أنه ثانى مرة يقع ولكأس الموت يجرع فقال يا أبا الفوارس أنت اليوم العدة لنا والعدة وكل يوم تدفع عنا نائبة وشدة

فدونك اليوم والاعدا فدتك عبس من الردا فبينما هم فى ذلك الكلام اذ طلع عليهم غبار آخر من ناحية بنى دارم وارتفع حتى اسودت منه الاقطار والمعالم وانكشف وبان من تحته مائة فارس من كل بطل مداعس وقرن ممارس وفى أكفهم الرماح الذوابل وعلى عواتقهم السيوف الفواصل وفى أوائلهم الطويل الركاب المسمى فى الحرب بالعقاب اللقيط بن زرارة وقد أتى يشتفى من مالك بن قراد وولده عمرو ولما رأته بنو جهان عرفته ومالت اليه بالحال وأخبرته ورفعت أصواتها اليه بالصياح وأعلمته بما جرى على رابح بن الصياح وبأن عنترة خلص عمه مالك وولده فقال اللقيط وقد فعل عنتر ولد الزنا هو وأخوه شيبوب هذه الفعال لكن لا يستغرب ذلك لانهما كثيران الاحتيال جسوران على لقاء الاهوال وبمثل هذا خلصوا من يد الهطال وأهلكوا رجالنا والابطال ولكن ما بقى لهم من يدنا خلاص بعد ما وقعت العين على العين وأنا لابد اليوم أن استوفى منهم الدين فاحملوا بنا كلكم ولا تحتقروهم لاجل قلتهم فينهبوكم بالرماح والصوارم والصفاح ولا سيما ان كان فيهم الحارث بن ظالم ثم انهم حملوا وهوفى أوائلهم وأضاء البريق الاسنة واطلقوا للخيل الاعنة وعلت الضجة والرنة * هذا وقد اشتد الامر على مالك وولده عمرو ونادوا باسم عنتر الاسد الكاسر وأكثروا من الشكر باطنا وظاهر * هذا وعنتر قد زاد به الفرح وعلم ان سعده قد حصل وحاله قد انصلح فقال لعروة يا أبا الابيض أيما أحب اليك الميمنة أم الميسرة أو تلقى أنت اللقيط وحدك وأنا أرد الخيل كلها فقال الحارث وهل أقف أنا هكذا بلا شغل ولا سبب لا وحق ذمة العرب أنت تعلم ان اللقيط خصمى وبينى وبينه عداوة وهو الذى سعى الى الملك النعمان ولابد لى من ملاقاته فى هذا المكان فاقصد أنت وعروة وعملك وولده ما تريدون وقاتلوا من تشتهون ثم ان الحارث همز بجواده بعد تلك العبارة وقصد الى ناحية اللقيط بن زرارة ولم يلتفت الى أحد ولما أبصر عنتر فعاله وهو يدمدم دمدمة الاسد فرح بكثرة العدد وزاد سروره وزال عنه الكمد فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

مضى الحقد من قلب عمى وزالا * ولما رأى الحق خلى المحالا * وقد سر قلبى بما قاله
فكيف اذا ما رأيت الفعالا * وان أخلف الوعد سلمته * الى من براناورسى الجبالا
وحسبك من رجل كلما * خضعت له قعلى استطالا * أنا عندهم يوم طعن القنا
أجل الفوارس عما وخالا * وان صار فى أهله آمنا * فأمى زبيبة أرعى الجمالا
فيا سيف كن حاكما بيننا * اذا ما حضرنا جميعا قتالا * ومن فر أومل طعن الرماح
فقل للملاح تزده مللا * وما قد مضى قد مضى أمره * ومن قاتل اليوم حاز الجمالا

(قال الراوى) وكان عروة بن الورد جعل لحملته وسمع حسن أبياته وتعجب من انشاداته وكذلك عمه مالك وولده عمرو واحتاجا أن يقاتلا عن أنفسهما فعند ذلك حمل وانصل الطعن وقطع الضرب للاكباد وصار الشجاعة مثلا بين الاقران وشربت الاسنة من دماء الفرسان واشتبكت الرماح فى الكبود والكلا وقد اكتست الارض من الدماء حللا وجرى بين اللقيط والحارث حرب ما جرى مثله للجبابرة العلا وملأ عنتر الارض بالقتلى واسكن فى القلوب خوفا ووجلا وأبصر عمه مالك منه نارا لا تصطلى فحار عقله وصار منذهلا وأمن على نفسه من الاعدا وقر فؤاده وهدا وفى آخر النهار قصرت الفرسان عن عنتر وتأخرت الذئاب من خيفة الاسد وقل منها العدد وتبددت بنو جهان فى الفدفد وعاد الى الحارث ابن ظالم فوجده مع اللقيط بن زرارة وبنى دارم وقد قتل منهم أحد عشر بطلا ولما قتل جواده تكاثر واعليه واللقيط يزعق عليه ويضاربه وقد طمع فى جانبه فعند ذلك حمل عنتر لما رأى ذلك وحطم القوم فأباد الرجال وأهلك الابطال وطلب اللقيط أشد الطلب ونثر من حوله المواكب

بالسيف

بالسيف المشطب فبينما هم كذلك واذا بعروة بن الورد قد اعترض اللقيط وجدله فى الطلب وطعنه فى جنب جواده فانقلب وتكركب عن مركوبه وكان مشتغلا بالفرسان وبالحارث بن ظالم فاشتغل عنه بنفسه وانكفت عنه الفرسان ووقف عروة على الحارث حتى ركب على جواد من الخيل الشاردة وصاح اللقيط يابنى عمى اكشفوا عنى العار ولا تولوا الادبار وتطلبوا الهرب والفرار فانى سوف أشد رحى وأعود اليكم فعندها صبرت الرجال على العطب واختارت الموت على الهرب وكانت لهم ساعة تشيب لها الاطفال الى ان أقبل الليل بالانسدال ومد على الخافقين ذيلا وسربال وولت فوارس بنى دارم وقد ألهبها عنتر بالطعن الدائم وماراح منهم سالما الا من كان فى أجله تأخير وكان اللقيط قد أظهر الجلد وأراد الثبات فما قدر من ألم الجراح ونظر أصحابه قد هلك أكثرهم وبقى أيسرهم فنجا بنفسه وفى قلبه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى حيث جرى عليه ما جرى من خمس فوارس وعاد عنتر والدماء تقطر من حوانبه وعمه لا يغفل عن الشكر له والثناء عليه فقال عروة لمالك بن قراد يا مالك دع شكرك وذكر القيل والقال ومن حين تصل الى الاحياء سالما فزوجه بعبلة ذات الدلال فما تجد لها كفؤا مثله فقال مالك والله لقد صدقت يا أبا الابيض وأنا أقسم بمن لا تعتريه الاوهام ولا يخشى من العارض فى ملكه اذا عرض ولا يخفى عليه لفظ الانسان لفظ انى لو كنت الليلة فى أرضنا لزففتها عليه عند الصباح وتركت جمالها له مباح فجازته اللات والعزى عنى خيرا وانى قد عجزت عن شكره وكل لسانى فأعفانى من اللوم واتركانى فقال عنتر وقد زاد فرحه يا ابن العم خل عمى يفعل ما يشاء فأنا عبده ان أحسن الى أو اساء ثم ساروا يطلبون البيداء نحت أذيال الدجا وشيبوب بين أيديهم يسير الى ان لاح ضياء الفجر وبدا وقد تباعدوا عن ديار الاعداء وعنتر لا يقر له قرار ولا تهدأ له نار ويشتهى لو كان طيرا لطار حتى يصل من ساعته الى الديار وينظر وعد عمه وما يصنع من الجميل والاثار وهو لا يصدق بتلك الاخبار وهل يصدق فى وعده ويفعل ويوصل القول بالعمل وكانوا أى حلة عبروا عليها نهبوا أموالها وقتلوا من يخرج اليهم من رجالها الى ان قاربوا أرض الشربة والعلم السعدى وقد صار معهم مال عظيم وأرادوا أن ينفذوا شيبوب قدامهم بشيرا واذا هم قد طلع اليهم رجل اعرابى وهو سائر بهيم بين الروابى ولما أبصرهم صار اليهم قاصدا وانحرف نحوهم عامدا وصار ينادى باللعرب ما أقربها من طريق وما أحسن أوقات السعادة والتوفيق فلما سمع عنتر هذا الكلام تعجب كل العجب ونظر الى الاعرابى فرآه اليه اقترب واذا به من عند الملك قيس بن زهير فقال له عنتر ويلك الى أين يا ابن الخالة فقال له البلك يا أبا الفوارس لا تأخذن خبرك واقعوا أترك فقال عنتر ولم ذلك فقال له يا مولاى ان الملك قيس قد أقلقه التذكار لبعدك مما حصل له لاجلك من الافكار وقد احترق قلبه بالنار وسأل أباك عنك فذكر له انك قد سرت فى طلب عمك وانه ما يعلم أى طريق سلكت فضاق صدره لاجل غيبتك ودعا على عمك بالهلاك وصار ينفذ فى البيداء جماعة بعد جماعة وكل أصحابى عادوا خائبين من أخبارك الا أنا الانى أمس خرجت من الاحياء وقد ضمنت على نفسى انى ما أعود الا بخبرك فبلغنى الله تعالى ذلك وقصر على المدا وأزال عن قلبى التعب والعناء فقال له عنتر ابش عندك من الاخبار من جهة أبى شداد وفريق آل قراد وكان قصد عنتر أن يستمع أخبار عبلة فقال له العبد والله يا مولاى ما الناس الا على شرف المهالك والفتن وخراب الديار والدمن فتحقق فؤاد عنتر على بنى عبس وقال ويلك بانسل اللئام ولم ذلك فقال له يا مولاى لان حذيفة بن بدر رجل باغى وأنت تعرف ما فى رأسه من الحماقة وانه ما يشتهى أحدا من بنى عبس لاسيما والربيع بن زياد عنده وهو يغويه لاجل ما فى قلبه منك ومن مولاى قيس ومن جميع أولاد الملك زهير وفى هذه الايام جرى بينه وبين مولاى الملك قيس ملاجة وكلام من جهة سابق الخيل والناس اليوم

كلهم خائفون من الحرب والويل (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك قيس لما ضاق صدره لغيبة عنترة نفذ العبيد كما ذكرنا فى طلبه وعادوا اليه وقالوا له ما عرفنا له خبر ولا وجدنا له أثر ثم تقدم اليه عبد من بعض العبيد وقال له يا مولاى أنا أتيت اليك بخبر أحب اليك من سائر البدو والحضر فقال له وما هو الخبر فقال له انى لما دورت على عنتر ما وقعت له على خبر فمررت على حى بنى تميم وبت فى بطن من بطونهم يقال لهم بنو رباح ولهم مقدم يقال له جابر بن عوف ورأيت فيها يا مولاى مهرا مجمل الاربع يقال له داحس وهو لرجل يقال له مكرم وحق البيت الحرام والحجر الاسود والرب العظيم الباقى على الدوام ما نظرت عينى صورة مثل صورته ولا أشرع منه فى المجال ثم لج العبد فى صفته فاشتغل به قلب الملك قيس وأعجب بحالته وكان هذا المهر معجوبة من العجائب التى فى ذلك الزمان ما رأت العرب أحسن منه لانه كان أوفى الخيل حسبا ونسبا وان العرب كانت تسمى هذا المهر داحس وأبوه العقاب وأمه يقال لها حلوا يحسدها البرق على سرعتها وتكل الخيل عن ادراك مسابقتها والقمر يستحى من غرتها والغزالة تستعير من بهجتها وبهذه الحجرة والحصان كان يفتخر رباح بنو رباح على سائر العربان وكان الحصان لرجل اسمه كريم * ويقال ان فى بعض الايام كانت الحجرة مع عبد من العبيد والحصان مع ابنة كريم وهما على الغدير فأدلى الحصان ولعب بأربعته وسحب مقوده فضج صبيان الحى منه فاستحت الجويرة وأطلقت المقود من يدها ودخلت الى بعض المضارب والخلل من شدة الحياء والخجل وكانت الحجرة طالبة فلحقها الحصان وقفز عليها ولما نزل عنها خرجت البنية من المضرب فربطته على معلفه ولما أتى أبوها ونظر الى عين جواده فعرف انه قفز فاغتاظ من ذلك أشد الغيظ وقال لها ايش الذى جرى على جوادى حتى انقلبت عيناه بعد السواد بالاحمرار فاوقع الاخبر من الاخبار ثم انه لج على ابنته فأخبرته بما جرى فزاد غيظه وغضبه وخرج الى وسط الحى ونادى يا آل رباح يا آل رباح فأتت اليه الفرسان من كل جانب وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وقال والله يا بنى عمى ما أخلى جوادى ينزو على حلوى ولا أصبر على هذا الحال ولا أبيعه بمال ولا أريد أن يكون لفرسى مثال فقالوا ما الذى تريد أن تفعل من الفعال وقد نفذ الامر فكيف يكون الحال فقال ائتونى بالحجرة وأوقفوها بين يدى حتى أغسل حياها ولا أدع ماء جوادى جواها والا وذمة العرب أسلط عليها من يقتلها فعند ذلك أتوه بالحجرة وقالوا له افعل ما تريد فقام على أقدامه وبل يده ودسها فى التراب وأدخلها فى حياها وجرف ما فى جوفها فازدادت جمالا كما أراد الرب القديم الله موسى وابراهيم ولما حال عليها الحول ولدت لصاحبها مهرا ما نظر شكله فسماه داحس لاجل ما دحس كريم يده فى أمه حلوى ولكنه خرج أحسن من أبيه عقاب وأقوى منه اعصاب واسع الصدر ملىء الارداب أعجوبة لمن تعجب ويقال انه عبر مع أمه حلوى فى بعض الايام ففقز كريم وأخذه وقال هذا مهرى وأنا أحق به من صاحبه وبلغ الخبر الى صاحب المهر فجمع سادات العشيرة ثم أتوا اليه فلاموه وعنفوه على ما فعل ثم انهم قالوا له أيها السيد أنت بالامس فعلت فى حجرة ابن عمك ما فعلت وحكمنا عليه بذلك واليوم تريد أن تغصبه وتأخذ ماله فقال كريم يا بنى عمى لا تطيلوا الخطاب فوحق من أخرج العشب من التراب وخلق ابن آدم من الارحام والاصلاب لما أعطيها اياه الا أن تقاتلونى عليه وتأخذوه منى غصبا فحينما فوا من اثارة الفتنة فقالوا والله لا نقاتلك ولا نفاصلك أبدا ولا نجعل العرب تضرب بنا الامثال فأنت أعز عندنا من ذلك لاجل ما بيننا من صلة الحسب والنسب وتركنا لك المهر ولو كان ضمنا من ذهب وكان صاحب المهر مكرم موصوفا بالجود والكرم وانه لما رأى اللجاج غير مدوح قال يا ابن العم المهر مهرك وهذه الحجرة موهوبة لك وهدية منى اليك حتى لا أفرق بينه وبين أمه ولا أكون ممن يخلى ماله عن ابن عمه ثم ان مكرم انصرف عنه وترك المهر وأمه فاستحسن سادات العشيرة فعاله

وشكروه

وشكروه على حسن أعماله واستماكريم من مكرم وكرمه عليه وافضاله فانفذاليه الجمرة ومعها قطعة جيدة من نوق وجمال فخرج ذلك المهر باهر الصفات قليل الشبيه والمثال وكان صاحبه اذا أراد ان يسابق عليه يقول لخصمه اسبقني رمية نشاب حتى ألحقك وأسبقك بعون رب الارباب ويصيح فيه فيسبق البرق البارق ويخيل للذى يراه انه سهم راشق فيفوت الريح ثم يتخطى فى البر الفسيح (قال الراوى) ولما وصل الى الملك قيس صفته تعلق به قلبه وطار لاجله لبه ثم أرسل الى صاحبه مكرم رسولا ليشتريه منه ويبذل فيه مهما طلبه من النياق والجمال والفضة والذهب أعز الاموال فقال مكرم لما سمع رسالة قيس وقد عمل معه الغضب والله ما قيس الا جاهل قليل العقل والادب أيظن انى تاجر أبيع الخيل وانى أبيع فرسى الجواد الذى ألقى عليه الاعادى والاضداد وأنا وحق رافع هذه القبة الخضراء وساطح الغبراء لوكان قيس أرسل يطلبه منى هدية لكنت أنفذته اليه ومعه قطعة من النوق والجمال وأما على سبيل البيع والشراء فهذا شئ لا يكون أبدا ثم رد الرسول بغير فائدة فعاد الرسول الى الملك قيس وأخبره بما جرى فزاد به الهيمان واشتعل قلبه بالنيران وركب وسار الى بنى رياح فى ألف فارس من بنى عبس غائصين فى الحديد والسلاح ولما قارب أرضهم أغار عليهم عند الصباح وجعل أموالهم مباح وأخذ منها جملة وسلمها الى مائتين فارس ودخل بباقى الفرسان بين المضارب والخيام وكان أهل الحى آمنين من الاهوال وما فى الحى الا نفر قليل من الرجال فحطمهم بنو عبس حطما وأهلكوا منهم الرجال وهشموهم هشما وسبوا منهم النساء والعيال وملكوا الاماء والاطفال وارتفع الصياح من اليمين والشمال وكان مكرم مع فرسان قومه غائب وداحس مقيد فى وسط الخيام والمضارب لانه كان من شفقته عليه لا يحضر به قتال ولا يباشر عليه حربا ولا نزال فلما حضر مكرم ورأى بعض أطناب البيوت تتقطع والنهب فى البيوت قد وقع أتى الى داحس عبد من الحلة وأراد فتح قيده فما قدر فعند هاركبه وهو مقيد ودق بكعبيه على جنبيه وصرخ بين أذنيه والقيد فى يديه فمن شدة نخوته صار يهمز كهمزات الغزال اذا راعها الصياد بأشراك حبلته فلما صار فى البر تجارت فرسان بنى عبس وراءه بخيول مثل الطيور فما لحقوا له غبارا ولما أبصر الملك قيس ذلك لحقه الانبهار وزاد به تلهفه وعظم عليه تلهفه ولم يقدر على الحاقه فقال لبعض العبيد الذين أسرهم هذا هو داحس قال نعم يا مولاى فقال قيس والله ما قصر مكرم فيما رجى ثم تبع قيس العبد الذى هو راكبه حتى قاربه وكان قد نزل من عليه وفك قيده من يديه وعاد الى ظهره يريد الهرب فنادى به قيس لا تفزع يا وجه العرب واصبر على حتى أكلمك ولك منى الذمام والاكرام فقال له العبد قل ما تريد ولا تطمع فى داحس ولا تتكن له مدانيا ولا ملامس فانك لو كنت على الفلك الدوار ما لحقت منه الغبار فقال الملك قيس وحق ذمة العرب لقد صدقت بافنى وما أنا ممن يطمع نفسه بالمحال والامل الكاذب ولكن ان أردت بيعه فانى له راغب فقال العبد أنا ما أبيعه الا بكل هذه الغنيمة ويعز على أن أبيعه بهذه الغنيمة لانه لو اشتراه الانسان بمل ء هذا الفلا لا يكثر فقال قيس اشتريت يا غلام وحق مسير الغمام المخالف بين الضياء والظلام وهذه يدى لك على ما ذكرت من الكلام وانى مسلم لك جميع ما ملك بنو عمى من الاموال والانعام ولا يتبعهم منها عقال ولا خزام فلما سمع العبد هذا الكلام طاب قلبه ونزل عن الجواد وتسلمه قيس بنفسه ففرح به قيس غاية الفرح وعاد الى بنى عمه فرحان وحدثهم بالذى جرى فأطلقوا سبيل الاسارى وخلوا سبيل النساء ورموا الرجال والمال وعادوا من وقتهم وطلبوا الديار والاطلال والملك قيس على متن الجواد قد حس بروحه انه فوق السبع الشداد ولما وصلوا الى أرضهم ونزلوا فى الخيام زادت محبة داحس فى قلب الملك قيس ووصل الخبر الى بنى فزارة فحسدوه عليه وأرادوا ان يدبروا على هلاكه وينفذوا له بعض العبيد يقتله فقال الربيع يا حذيفة لا يتم هذا الامر لك ولا تقدر عليه فى هذه الايام حتى يشبع منه

قيس وعلم وندبر له من يقتله (قال الراوى) واتفق انهم عملوا وليمة لهما قدروقيمه وكان قرواش بن هانئ بن
عم الملك قيس عندهم زائرا فاحضروه فى وليمتهم واقعدوه فى منادمتهم ولما أكلوا وأخذوا فى شرب الراح
وأقداح المدام جرى بينهم ماجرى من حديث سباق الخيل وجريانها فقال قرواش والله يابنى فزارة ماعلى
وجه الارض اليوم أجود ولا أسبق من فرس بن عمى قيس ومابقى بعده للخيل قدر ولا قيمة لانه والله مدهش
لمن يراه وشهوة لمن اشتهاه ومازال يلج فى وصفه حتى قال جمل بن بدر كفاك ياقرواش تحدث بكلام
لاش فى لاش واعلم ان مافى الارض مثل فرسى وخيل اخوتى ولا ربى فى العرب مثلها ولا أسبق منها ثم
انه فى حماقته أمر العبيد الذين له ان يأتوا بالخيل وقال اعرضوا على قرواش خيلنا حتى يعلم انه لم يكن
يراها ولم ينظر اليها ولا يبقى لفرس ابن عمه مع خيلنا قيمة ففعلت العبيد ذلك وعرضت عليه كل الخيل وهى
تتجلى كالعرائس فلما رآها قرواش قال والله مابها افتخار ولا تنجى من الاخطار فساقوا بعدها خيول
حذيفة بن بدر وكان له حصان يقال له صادق وحجرة يقال لها الغبراء فقال حذيفة لقرواش كيف ترى
فقال قرواش والله ياأباجار انها ماتساوى علفها ولا تصلح للافتخار فقال له حذيفة ولا حصانى ولا حجرتى
الغبراء فقال قرواش انهم مايساووا من داحس الغبار فقال حذيفة كذبت وحق ذمة العرب ماأظن
أحدا ملك مثلها ولا ربى شكلها فقال له قرواش لاتطل مافى خيل العرب مثل داحس لمن يفاخر
ويقايس ثم تلاحيا فى الكلام فقال حذيفة أنت لقلة عقلك وعدم صحة نقلك تشكر فرس ابن عمك على سائر
خيول بنى فزارة وتخيره على صادق والغبرا فانظر باذا ترى من المعقول وأقل مما تقول فقال قرواش هذا
كله شئ لا يقال ولا يبلغ به أحد آمال وانهم مايسووا من داحس ظفرا واحد ومن يفتخر به نال جميع
المقاصد فقال حذيفة تراهنى ياقرواش على فرس ابن عمك قيس فقال قرواش نعم أراهنك ان فرس ابن
عمى داحس يسبق كل فرس كان فى بنى فزارة فقال حذيفة وقد زاد به الغيظ والوهم وقد ذكرنا حماقته
فيما تقدم لا ياقرواش انا ماأظن ان حجرة أحد تسبق حجرتى الغبرا قال قرواش والله لقد غرك الطمع
وخدعك المحال وأنا ماأراهنك الا على عشرة جمال ثم تعاقدوا ووضعوا الرهان على سباق داحس والغبرا
وتواعدوا على ماهم عليه الى أن أصبح الصباح فركب قرواش وعاد الى بنى عبس وكان قيامه وقت السحر فأشرف
على الديار وقت غروب الشمس ولما وصل قرواش دخل على ابن عمه قيس وحدثه بما جرى بينه وبين
حذيفة من الملاجة فى حديث الخيل والرهان فقال قيس والله لقد أخطأت وحق ذمة العرب لقد وقع الشر
بين القبيلتين كنت احب أن تراهن من شئت من العرب غير حذيفة وبنى بدر لانهم قوم كثيرون اللجاج
لاسيما وعندهم اليوم الربيع بن زياد وهو الذى يحسن لهم البغى والعناد فعندها قال قرواش والله يابن العم
لقد أوجبنا الرهان وشهدت بذلك علينا العربان ومابقى لنا منه بد فقال قيس أنا أركب وأمضى الى
القوم وأزيله لانه يحب الشر ويعانيه وان كان تركه خيرا من الجد فيه فقام قيس من وقته وساعته
وركب فى مائة فارس من قومه وسار بنفسه فى مهابته وكمال عقله وفضيلته حتى قدم على حذيفة بن بدر
واخوته فرآهم كلهم مجتمعين يأكلون وبين أيديهم قصعة خبيص فلما رأوه قاموا اليه وعظموه ودار وابه
وعن جواده أنزلوه وزادهم بين يديه قدموه وحلفوا عليه ان يأكل معهم فأكل معهم وصار يلقم لقما
كبارا فقال له حذيفة وقد أراد ان يمازحه ياقيس ما أكبر لقمتك أبعدك الله يابن العم عنا نقمتك فوالله
لو علمنا انك جائع ماعزمنا عليك فقال الملك قيس والله يابنى عمى لولا أنى أراكم تأكلون الخبيص ما أكلت
وكيف أراه عندكم وأتركه مع انى نفسى تشتهيه وبعد ذلك فانى ماأتيت الا لازيل عن ابن عمى قرواش
الرهان وأنا أسأل الاقالة فيه فقال حذيفة أنا والله ماأزيل الرهان ولا أقبل فيه سؤال ولا يزول الا بالنوق
والجمال واذا حضروا فأنا المخير ان شئت تركت سبقى وان شئت أخذت حقى فلما سمع الملك قيس هذا الكلام

اغتاظ

اغتاظ وصعب عليه وكبر لديه وكذره القول فازداد الاجاجة وكان حمل أخو حذيفة حاضرا ومعه جماعة من سادات بني فزارة فصاروا كلهم يتضاحكون على قيس ويهزؤن به كلما رأوه يزيد في الشغب فزاد بقيس البلاء والغضب وهانت عليه المصائب والآفات والنوائب وقال يا أباحجار على كم كان الرهان والاتفاق فقال على عشر من النوق يؤديها المسبوق وتكون من خالص الجمال والنوق فقال قيس يا حذيفة جميع ما فعله ابن عمي قرواش لاش وأنا أريد عوضه ان أجعل الرهن بيني وبينك على عشرين ناقة وتكون بيني وبينك المسابقة فقال حذيفة وذمة العرب ما أسابقك الا على ثلاثين فقال قيس على أربعين فقال حذيفة على خمسين فقال قيس على ستين ومازالوا على زيادة وملاجمة ولباقه الى أن أوصلوا الرهان الى مائة ناقة واتفقوا على سباق الخيل بعد تضميرها أربعين يوما فقال قيس لحذيفة وتكون المسافة للخيل من مائة غلوة ويكون الرامي اياس بن منصور فقال حذيفة والسبق الى غدير ذات الارصاد فقال قيس وأنا رضيت بذلك فقال شيخ من مشايخ العشيرة يا للعرب وقع والله الشر بين القبيلتين من بني عدنان ولابد أن يضرب بهذين القبيلتين الامثال ما توالت الايام والليال وقال هانئ وزنباع أعمام الملك قيس مثل هذا المقال ومافيهم الامن خشي من الحرب والقتال ومازالوا يعذلونهم في ترك الرهان ويقولون لحذيفة والله ما كان جواد قيس الامثل ناقة حرب البسوس ولابد ان يصير مثلا للقيام والجلوس ثم قالوا لحذيفة ان قيس أتى ليزيل الرهان عن ابن عمه فلاجمته وعمل معك الهجب حتى انتهى الامر الى مثل هذا ونحن نسألك أن تزيل الرهن عن ابن عمك ولا تشغل قلبك ولا تشعل للعرب نارا تحرق الكبار منا والصغار فقال حذيفة يا اياس اعطني مائة ناقة وأنا أزيل عنك الرهان وكثر الهذيان فقال اياس وقد اغتاظ من كلامه والله يا عم ما أنت الا رجل كثير اللجاج والبغي ولا سيما وأنت لا تسمع مقال ولا يخطر لك الموت على بال وانت معنا وعلينا على كل حال ولابد لنا أن نشتد معك ان كنت على الحق أو على المحال ثم انه أشار اليه وقال

حذيفة ما فيك من هجنة * ولا في طهارة قيس دنس
لان له سطوة في الامور * يسود بها قومه ان جلس
فما فوق سودده سودد * ولا فخر الا له يقتبس
فراهن لمن ليس في ملكه * جواد ولا لابيه فرس
ودع عنك قيسا فقيس له * عزم قوى لاخذ النفس
ولا سيما احس في الرهان * فان شاء سار وان شا جلس
جوادا اذا سار تحت الغبار * يطير بلا ريش كالقبس

(قال الراوي) ولما سمع حذيفة مقال اياس قال له يا اياس أنا ما أرجع عن رهاني بهذا الكلام ولابد أن آخذ من ابن زهير النوق والجمال على التمام فقال قيس والله ما أخلي لك من الرهن لا ناقة ولا عقال ثم انه عاد الى بني عبس وهو من الغيظ في الانكاد وأمر العبيد أن يضمروا الجواد ويجتهدوا في خدمته كل هذا جرى وعنتر غائب في سفره وما عنده خبر من ذلك الامر وهو في خلاص عمه مالك وولده عمرو وفي ذلك اليوم وصل عنتر من السفر وأخبره العبيد بذلك الخبر فاشتعل قلبه ودخل الى الخيام وحمل هم الملك قيس وزادت به الآلام واشتد غيظه على بني فزاره وأضمر في نفسه أن يوقع بهم الذل والخساره ولما علم به بنو عبس اشتدت ظهورهم واستبشروا ببلوغ المآرب لانهم خافوا أن يقع الحرب بينهم وعنتر غائب * هذا وعنتر قد اشتغل عن كل انسان وما كان له هم الا فرجته على ذلك الحصان فرآه أعجوبة الزمان فعاد الى الملك قيس وسلم عليه بأحسن سلام فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس لا يقر لنا قرار وأنت غائب عن الديار ولو انك تعلمنا قبل مسيرك بأحوالك ما يكون علينا بأس ولا ندعنا لاجل غيابك في وسواس فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه وقال أنا ما أشتهي أن أتعب قلوب ساداتي في قضاء

حاجاتى لان أمورى ما لها حدود ولا يعلم بحالى الا الملك المعبود ثم حدثه بما جرى لعمه وكيف خلصه من همه وغمه وأعلمه بأنه قد صفا له قلبه وعرف حقه لما فرج كربه ثم انه قال يا مولاى ان قصتى شرحها يطول وما هذا وقت أطالة ولا يحتمل المقالة لاجل قلبك المشغول لانى سمعت ما جرى لك مع حذيفة ابن بدر ونظرت فرسك داحس فرأيته من الخيل الاصال ولا رأيت فى القبائل له مثال ولا ملكت مثله الملوك أصحاب المنازل العوال فطيب قلبك ولا تحمل هم السباق فأنت الظافر بالجمال والسباق فقال قيس يا أبا الفوارس ما أنا حامل هم السباق ولكن أنا خائف من شؤم عاقبة بنى بدر لان حذيفة طبعه المكر والغدر وهو عظيم الكياد وعنده مثل الربيع بن زياد وهو يزيده ضلالا وابعاد وأنا ضيفت لهم بنفسى وطلبت منهم الاقالة فما أقالونى بل تضاحكوا على وحقرونى وهذا دليل على انهم ما يسابقونى الا ليقاتلونى و يحاربونى فقال عنتر يا ملك سابق أنت القوم على الشرط الذى جرى فان أنصفوا والا فبعينك سوف ترى وسأبدل ضحكهم ببكاء وأخلى حريمهم بندبن على الرجال صباحا ومساء لان فينا مجازاة لمن أحسن ولمن أساء ولا يكون هذا الكلام الا اذا ظهرت الخيل وجرى السباق وأكون أنا قائما أشهد وان جرى أمر فاقعد أنت ولا تكلم أحد وأنا أخلى شملهم يتبدد ثم طيب قلب الملك قيس وعاد الى أبياته والحارث بن ظالم يقول والله يا أبا الفوارس ان ترك هذا الامر خير من الجد فيه لان بنى فزارة أقرب الناس اليه ثم قال وان حاربناهم قطعنا أنسابنا بأيدينا فقال عنتر والله يا حارث ان بقى حذيفة على قيس لاسقينه كأس العطب لان البغى يقطع الحسب والنسب وفى تلك الايام وصل صهر الحارث سنان بن أبى حارثة من عند الملك النعمان وأخبره بنو فزارة ان الحارث فى بنى عبس وانهم قد أجاروه وأعطوه الذمام وحلفوا انه لو اجتمع كل من فى الارض ما سلموا منه شعرة واحدة وقالوا هذا الذى قتل غريمنا خالد بن جعفر وأخذ ثارنا ولا بد أن نقاتل بين يديه كل فارس يذكر وكان فى قلب النعمان من الحارث نار لا تطفا ولهيب وحسرة لا تخفى ومراده أن يعلم من أجاره من العربان وكان يسمع أن المتجردة أخت الملك قيس هى التى سعت فى خلاصه ولولا محبته لها كان قتلها وندم أيضا كيف وقع فى يده وأبقى عليه وأقسم انه ان رآه قتله ومازال على مقالى النار حتى وصل اليه رسول الربيع بن زياد وأخبره أنه فى بنى عبس وأنهم قد أجاروه فلما سمع ذلك النعمان اشتد به الغيظ وأراد بذلك تأكيد القصة وأن يرسل الى قيس رسولا ليركب الحجة عليه ووصل سنان بن أبى حارثة كما ذكرنا وعلم به قيس فأنزله فى خيامه للضيافة وفى الغد أحضره وسأله عن خبره فقال له يا قيس ان النعمان ملك العرب قد سمع ان الذى قتل ولده عندكم وقد أجرتموه وحلفتم له ان رؤسكم لا تطير الا بين يديه وقد أحسن الظن فيكم الملك النعمان وقال أنا ما أصدق هذا الكلام فى صهرى الملك قيس لان لى فيه اعتقاد وأرجو منه النصرة على الاعداء والحساد ولا أقول انه يضيع ما بينى وبينه من القرابة أبدا ومن كثرة ما تواترت عليه الاخبار أرسلنى أكشف أخباركم وأبصر ان كان الرجل عندكم أمرتكم بالقبض عليه وتسليمه الى حتى أوصله اليه والصواب يا ملك انك تجيب ملك العرب الى ما طلب ولا تقطع ما بينك وبينه من النسب ولا ترد نى خائبا فيكون سبب الهلاك والعطب وربما يأخذه اللجاج و يرسل اليكم الفرسان من أرض العراق الى أرض تهامه فتقع بكم الندامة وترجعوا على أنفسكم بالملامة ولا تظن يا قيس انك أشفق على الحارث منى لانى أنا زوج أخته ولى فى قلبه المنزلة العلية التى ليس لها نظير ولكنى لا أقدر أن أخالف الملك الكبير والرأى عندى انك تقبض عليه وتسلمه الى وترسل الى أختك المتجردة حتى تسأل فيه الملك النعمان فان قبل حصل المقصود وأنت تكون قد فعلت المجهود فلما سمع الملك قيس كلام سنان قال له أنا ما أصغى الى هذا الهذيان وقد علمت أن الحارث قتل قاتل أبى وخاطر بنفسه ولما وقع فى يد النعمان خلصته أختى من الهلاك والكيد

وأرسلته

وأرسلته الينا لعلمها انك لا تسلمه لاحد من العباد وانه لو وصل الينا ونحن فى الديار كان لنا فى ذلك الاختيار
ولكنه لتمام سعادته التقى سبينا مع بنى عامر فخلصه بحسامه البائر وصار فضله علينا أول وآخر وما بقينا
نقدر على مكافاته الا بحفظه ومراعاته والرجل نازل عندنا وقد أجرناه ولو أتى النعمان بنفسه ما سلمناه فان
أراد يقطع ما بيننا من النسب وان شاء يرضى وان شاء يغضب فبينما هم فى ذلك الكلام واذا عنتر قد دخل
وهو متقلد بالحسام وكان قد علم بخبر سنان وعلم بالذى أتى فيه ولما وصل الى بين يدى الملك قيس ما سلم
ولا خدم بل قال لسنان يا شيخ أنت الرسول الذى أتيت قال نعم يا مولاى فقال عنتر وحق من شق
الاسماع لولا انك رسول لتركتك أول مقتول قم من بوطك وعد الى قومك وقل للذى أرسلك انى قد
أجرت الحارث بن ظالم ولا أسلمه لعرب ولا لاعاجم وان أرسل الينا رسولا فما يعود الا نادم ثم انه
صاح فى سنان فقام وقد ارتعدت مفاصله وخرج وهو يجر أذياله ومن يومه ركب وسار وفى قلبه من كلام
عنتر النار وكانت أخبار عنتر قد وصلت الى بنى فزارة وسمع حذيفة انه قد وصل سالم وقد قوى قلب قيس
على السباق بعدما كان نادم فقال لاخيه جل وحق ذمة العرب ان فى قلبى من هذا العبد الزنيم مصائب
قد هدت عمرى ولا بد لى فى هذه النوبة أن أشفى منه غليل صدرى لانه لولاه ما كان قيس الا تحت أمرى
فقال جل والله يا أبا جحار هذا أمر ما تبلغ به مراد ولا تكمد به حساد مادام انه حضر عنتر بن شداد
لانه والله شيطان ما يوجد مثله فى هذا الزمان لانى شاهدت قتاله بالسيف والسنان وأخاف أن يثير
الحرب فتخسر وتهان وأخاف انك تزيل الرهان وتدعنا ننظر العرضيات من هذا العبد المهان فانا أسير
الى قيس وأخاطبه يأتى اليك ويزيل الرهان ولا تسمع العرب انك سألته بل هو سألك فأجبته فيعظم
قدرك ويزداد فخرك ولا تتعرض لمسعود فتموت وأنت مقهور مكمود واعلم ان كل شئ له مبتدا ومنتهى
فدع هيبتك على حالها مقيمة ولا تتعرض لامور تكون عواقبها ذميمة ومازال يخدعه بالخطاب حتى
انخدع وأجاب وتركه يفكر فى هذه الامور والاسباب وسار حمل الى أن وصل الى الملك قيس وقال له
يا قيس اعلم ان أخى كثير اللجاج والمقال والصواب انك لا تؤاخذه بقبيح الفعال بل يكون الفضل لك
فى السؤال لانكم ان دمتم على اللجاج خربت الديار والاطلال وضربت من أجلكم الامثال والصواب
انك تمضى اليه وتسأله الاقاله لانه قال ان أتى الى قيس وسألنى الاقالة قبلت منه السؤال فلما سمع قيس
كلامه استحالانه كان قريب المرجوع طيب الاصل والفروع فأجابه الى ذلك وقال له أنت تعلم انى من
الاول ما رضيت بالرهان وهو الذى حملنى على ذلك الشان وأنى قد أجبت سؤالك ولا أضيع تعبك
وفعالك ثم انه ركب من ساعته وأخذ عمه أسيدا فى صحبته وسار هو وحمل الى بنى فزارة من غير أن يعلم
أحد بحالته ولما توسط حمل فى الطريق تقدم قدام قيس وجعل ينشد بفصاحته

يا قيس ان مع الرهان لجاجة * فيها الوبال وفعلها مذموم * يا قيس لا تغضب حذيفة انه
نكد اللجاج وانه ميشوم * انى أخاف على أخى من شؤمه * يلقى كما لاقى الفتى كلثوم
جازى أخاه على مقال فانثنى * وهو الشقى وأنفه مرغوم * يا قيس فيك وفى حذيفة نحوه
يأتى اليها فعلكم مذموم * فابعد هواه وكن حليما ماجدا * من قبل تصبح ظالما مظلوم
ماذا ترى ممن سعى فى حتفه * يبغى عليك وحتفه محتوم
ان الذى يبغى حذيفة منكمو * فى الواقعات فشره معلوم

ومازال يذم أخاه ويشكر قيسا سرا وجهرا حتى وصلوا الى بنى فزارة عند المساء ولما وصل اليهم ورأى حذيفة
وسادات العشيرة كلهم مجتمعين سلم عليهم فردوا عليه السلام ومد قيس عينه فرأى سنان بن أبى حارثة الى
جانب حذيفة فأنكر قيس ذلك وقال أرجو يا سنان أن تكون سعيت فى اصلاح الحال فقال سنان وأنا

ايش لى من الراى والشان وحق مكون الاكوان أنا ما أقدر اصلح نفسى ولا أصلح حالى لانك تعلم أنت وسادات العشيرة انى ضامن الحارث للملك النعمان لانه أخذ ولده شرحبيل من عندى وقتله وتركنى فى حزنى وما أتيت فى رسالته اليكم الا ظنننت انكم تعطونى الرجل أسلمه اليه وأخلص روحى من الضمان بين يديه ولما خاب ظنى وضاع تعبى فلا أعود اليه بل أنفذ أصحابى يعلموه بالحال وأنا أقيم عندكم فى هذا المكان حتى تتفصلوا على أى وجه كان وكان قول سنان كله محال وما كان عادالى بنى فزارة الا حتى يلقى الفتن ويعمل على قلع بنى عبس من تلك الدمن لانه لما خرج من عند الملك قيس بعد ما سمع من عنترة ذلك الكلام قال لاصحابه الذين كانوا معه يا أولاد أنا ما فى رجوعى فائدة تستفاد الا اذا قابلت عبد شداد وعلى فعاله أقابله وها أنا قد عزمت على انى أعود الى بنى فزارة وأدير القاء الفتن فسيروا أنتم الى الملك النعمان وأخبروه بذلك الامر والشان وحرضوه على انفاذ العسكر ويكون كالبحر اذا زخر فلعلها تصل الى ههنا وتعين حذيفة بن بدر على قتال بنى عبس ثم انهم ساروا بعد ما أعلمهم بما يقولوا للملك النعمان وساروا الى بنى فزارة فالتقاه الربيع بن زياد واخوته وحذيفة بن بدر وسادات عشيرته وسألوه عن حاله وقصته فأخبرهم بالحال الذى ذكرناه وقال يا بنى عمى قد أهلكنى الغيظ من كلام هذا العبد ولد الزنا وأريد أن أقيم فى أرضكم حتى أبلغ المنى وأسقيه كأس الفنا لانه الآن ما بقى لاحد عنده قدر ولا قيمة من وقت ما ألحقه بالنسب بنو قراد وبنو جذيمة فقال الربيع بن زياد والله ما صبرنى هكذا مشردا عن الاوطان الا هذا العفريت الشيطان فقال له سنان طب نفسا وقر عينا فانا أكون لفناء عمره سبب وأحوج الملك النعمان ان يسير اليهم بفرسان العجم والعرب فقال حذيفة اذا كان الامر على هذا فأنا ما أصالح ولا أخلى الجمال والنوق ولا بد لى أن أثير الحرب بيننا على الرهان ولا أبقى من بنى عبس ولا مخلوق ثم انه حدث سنان بما جرى وأخبر أن أخاه جل قد سار الى الملك قيس يأتى به لاصلاح الحال وترك الرهان فقال سنان أنا ما علمت الا بعض الحديث والصواب انه اذا أتى قيس وطلب الاقالة فلا تقله بل رده خائبا الى أن تضمر الخيل وتكون قد وصلت رفاق الى الملك النعمان وتخبره بما كان من ذلك الامر والشان ويرسل الينا عساكر العراق وبعد ذلك تنظر بنى عبس كيف تتشتت فى الآفاق ولا سيما ان أتى مع العساكر الملك الاسود صهرك فانه يشتد به ظهرك فلما سمع حذيفة كلام سنان فرح به وأكرمه ومازالوا فى ذلك الحديث حتى وصل الى الملك قيس كما ذكرنا وسلموا وهموا بالنزول فصاح حذيفة فى جمل وقال له ويلك من أمرك بالمسير خلف هذا الرجل وكيف خطر ببالك أن تجيبه الى ترك الرهان وحق ذمة العرب لو سألنى هو وكل من فى الدنيا أن أترك من النوق والجمال عقالا ما تركته فلما سمع قيس ذلك المقال زاد به الغيظ والخجل وعاد الى ظهر الجواد بعد ما كان قد نزل وعاد يطلب أهله وهو يلوم حمل على فعله وينشد ويقول

قد كرهت السياق من خيفة الشر * فاستمع ما أقول انى حكيم
قلت للمرء يا حذيفة دع ذا * مستقيلا للبغى فالبغى شوم
يا أخا الحمق غرك الحلم منى * وتوهمت انى جبان عقيم
وأنا والذى له الركن والبيـ * ـت جميعا وزمزم والحطيم
لى عزم يقد صرف الليالى * حيث لم يبق أمرها محتوم
ورجال تلقى الرماح العوالى * بقلوب قد وافقتها الجسوم
كل من كان ناصحا فهو غر * فوقه طائر الهلاك يحوم

وكان قيس قد عنى بهذا البيت الاخير سنان بن أبى حارثة ووصل هو والى أبياته وعمه فوجد اخوته واعمامه

واعمامه له فى الانتظار وهم من أجله على مقالى النار فلما رأوه قالوا له والله ما فعلت الا فعل الجهال
وأشغلت قلوب القرابة بهذه الاشغال لانك سمعت من مقالة جمل بن بدر وألقيت نفسك فى قبضة قوم
أظهر والك العداوة والغدر وفى قلوبهم الكياد وهذا الحديث لو سمعه عنتر بن شداد لاستقل بك بين
العباد فقال لهم قيس لا تعتبوا على فانى ما فعلت الا فعل من يريد الصلح بين القرائب ويخشى من
العواقب ولولا سنان بن أبى حارثة كان انصلح الحال والآن ما بقى لنا الا القتال ثم حدثهم ان سنان قد
اختار المقام عندهم ووعدهم بالمعونة والتدبير فتعجبوا من ذلك التيسير وقد عزم الملك قيس على
السباق والنزال وضمر الخيل أربعين يوما والعرب تموج فى الحال ويفاوض بعضهم بعضا فى الصحراء وما بقى
لهم حديث الا ذكر داحس والغبراء ولما دنا الاجل وأتى ميعاد سباق الخيل الجياد اجتمع فرسان القبيلتين
على غدير ذات الارصاد وأحضروا اياس بن منصور على الموضع الذى وقع عليه الشرط فأعطى ظهره الى
المكان المعروف بالغدير الذى تريد الخيل أن تأتى اليه واستقبل مهب الشمال ورمى بقوسه مائة منهم
فانتهى الى المكان المعروف واجتمع المشايخ كلهم وقوف وكان فرسان بنى ذبيان وشجعان بنى غطفان
قد تسامعوا بالرهان وانتظروا ذلك الاوان وأتوا للفرجة على سباق الخيل ومشاهدة الفرسان وكانوا كلهم
فى أرض واحدة وكان الملك قيس قد أوصى عنترا أن يقيم فى الخيام وقت السباق خوفا من اثارة الفتنة
ونزول المحنة فأراد المقام فما قدر ولا قر له قرار فركب على جواده الابجر وتقلد بالصارم الابتر
وأخذ شيبوب بركابه ولحق الناس فى شدة الحر وكان ذلك خوفا على قيس من غدر بنى فزارة ولما
هموا أن يطلقوا الخيل رأوه قد طلع مثل الاسد الكسور والسيف فى يده مشهور وعيناه يتطاير منهما
الشرر ومازالوا ينظرون اليه حتى صار فى وسط الجميع ونادى يا سادات العرب من ذبيان وغطفان
و يا من اجتمع فى هذا المكان أنتم كلكم عرفتم أنى صنيعة الملك زهير أبى الملك قيس وهو الذى ألحقنى
بالحسب والنسب ولكنه لم يعش حتى أجازيه على بعض صنيعه وأجعل سائر العرب تتبعه وتطيعه ولكن
عانده الزمان وطرقته طوارق الحدثان وخلف هذا الولد لبنى عبس الذى قد ارتضى به سائر أعمامه
واخوته والاقارب ونصبوه ملكا لاجل ما عنده من الامور السديدة والعقل الصائب وأنا ملك يده ومعزلمن
والاه ومذل لمن عاداه وأكره أن أنظره يذل وهو لا يطلب الاقالة من أحد ابدا ولكن قد ارتضى بهذا
السباق وأشهد على نفسه سائر الرفاق والامر قد احتكم وما بقى بعد ما جرى الا اطلاق الخيل وسيكون له
النصر من الذى خلق النهار والليل وأنا أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام لئن بنى حذيفة وظلم
لاسقينه بسيفى كؤس النقم ولاجعلن بنى فزارة حديثا للامم وأقيمن الحرب على ساق وقدم وها أنتم
سادات القبائل والاحياء فلا تطلبوا الاعتداء فعندها ضجت الفرسان من كل جانب وكثر الكلام بين
الاصحاب والقرائب فمنهم من يقول صدقت ومنهم من يشتمه فعند ذلك انتخب حذيفة فارسا من بنى
ذبيان خبيرا بمدارة الخيل وهو فى ركوبها دروب ويقال له مالك بن مغلوب وانتخب قيس
لجواده داحس من بنى عبس فارس كان طول دهره يربى الخيل ويخوض عليها بالنهار والليل بين
الصفوف والمواكب ويقال له سابق بن غالب فلما صار كل واحد منهما على ظهر الفرس أقبل
قيس على صاحبه وعلمه كيف يركب على ظهر داحس وكيف يكون له ملامس وأشار اليه يقول

لا ترسلن عنان فرسى كله * وان علاه عرق وبله
فامسحه بساقيك وأحسن سبله * انك ان أتعبته تمله

فلما نظر حذيفة قيسا قريب من صاحبه ووالاه دنا هو أيضا من صاحبه وأوصاه وعلمه كيف يركب فرسه
وأنشد مقتبسا للشعر الاول يقول

لاترسلن لها العنان كلها * وان علاها عرق وبلها
فامسحه ساقيك واحسن سبلها * انك ان أتعبتها تملها

فلما سمع عنترة شعر حذيفة تبسم وقال ورب الكعبة يا أباجحار لتؤخذن جمالك الانكار وسبقك الملك قيس فى المعانى لان كلمات العرب ماقلت حتى تقول ماقال قيس بلا توانى لان قيس ملك وابن ملك مطاع ولم يزل متبوعا فى سائر البقاع واتباعك له فى الوصية دليل على ان فرسك يتبع فرسه فى هذا اليوم فقال حذيفة هذا اليوم مضى أكثره وما أريد أن أطلق الخيل الا غدا عند ذهاب الليل وكان يريد بهذا المقال أن يدبر بابا من أبواب المحال الا أن قيسا أجابه الى ذلك وساعده على ماهنالك واتفقوا على أن يطلقوا الخيل عند طلوع الشمس فصاح شيبوب ياسادات العرب بحق الرب القديم رب زمزم والحطيم اصبروا على قليل واسمعوا مقالى بلا تطويل فانعطفت عليه الفرسان ودارت حوله الشجعان وقالوا له قل مابدا لك من المقال لعل أن يكون فى مقالك انفصال فقال لهم يابنى عمى هذه عربان مجتمعة وهى من بنى عبس ومن بنى فزارة والكل فى أرض واحدة وقد جرى لهم ماجرى من القيل والقال على داحس والغبرا وأنا أراهن الفريقين وأفرج على فعالى الطائفتين لكن بشرط ان سبقت يكون لى مائة ناقة وان سبقنى هو أعطيته السباق خمسين ناقة فقال له شيخ من مشايخ بنى فزارة ويلك ياعبد الزنا كيف اذا سبقت تأخذ مائة ناقة وان سبقك تدفع خمسين ناقة فأخبرنا ما السبب فقال شيبوب نعم يادبوث العرب لانى أغدو على مائتين والخيل على أربع قوائم وذنب فتضاحكت الفرسان من مقاله وتعجبوا من فعاله وطلبوا الفرجة على أعماله فرجعوا وعنترة يقول يا ابن الام كيف تسبق هذين الفرسين وقد اتفقت جميع الابطال على أن مافى خيل العرب لهم مثال فقال شيبوب وحق من فجر من الصخر عيون وعلم ما كان قبل أن يكون أنا أسبق الجوادين ولو طار كل واحد منهما بجناحين ولى فى ذلك منافع كثيرة لان فرسان العرب اذا سمعت هذا الخبر ماترجع اذا انهزمت بعد ذلك تتبع لى أثر فلما سمع عنترة مقاله سار مع الملك قيس واخوته ولما وصلوا الى الغدير الذى تريد الخيل أن تتسابق اليه عاد حذيفة الى أبيانه واستدعى لعبد من عبيده يقال له حابس فقال له اذهب من ليلتك هذه الى المكان الفلانى فاكمن فيه صباح النهار واذا طلعت الشمس وبسطت فى الاقطار اجعل بالك من داحس جواد قيس فاذا رأيته قد سبق فعارضه والطم وجهه وردّه الى وراء وخل فرسى الغبراء تتقدم عليه حتى لا يكون سابقا عليها لانى رأيت داحس وأطلعنى الفرسان على أمره وأنا خائف منه أن يسبق فرسى فأصير معيرة عند العرب الغرباء فقال حابس يامولاى وكيف أعرف داحس من الغبراء اذا أقبلا تحت الغبار فقال أنا أريك ذلك جهارا وقام وجمع له من البرشا من الحصا وقال له استعد من ذلك الحصا عشرين حصاة وضعهم معك فان رأيت الشمس أشرقت فابدأ بعددهم وارمهم الى الارض أربعة بأربعة وافعل ذلك خمس مرار فان الغبراء تأتى عند انتهاء العدد لان ميعادها عندى الى ذلك المقدار وان أشرف عليك غبار ومعك من الحصا مقدار مثل ثلثه أو نصفه فاعلم ان داحس هو السابق فاخرج اليه وافعل به ما أمرتك به فأجابه حابس الى ذلك وأخذ الحصا ومضى الى ذلك المكان وبات وقد أمن من الغلبة من كل جانب ولاجل هذا كان حذيفة أخر سباق الخيل لاجل هذا التدبير الذى خطر بباله ولما أضاء النهار طلعت الرجال على الروابى والشعاب وازدحمت المشايخ والشباب وأطلقت الفرسان الخيل عند ذهاب الليل وصاحت عليها فرسانها فخرجا كالبرق اذا برق أو الريح اذا عصف وتقدمت الغبراء وتأخر داحس فصاح الفزارى سبقتك يا أخا عبس فعز نفسك بالتعس والنكس فقال العبسى كذبت يا أبا فزارة وانظر بعد من تقع به الخسارة وصاح فى داحس فرقدامه

مثل

مثل الشيطان اذا تعطى فى البطاح فقطع السهل وطار بلا جناح وقد دعس فى الفلا ومن ذلك الوقت
غباره قد علا وتخيل لراكبه انه على الفلك الدوار وصار قدام الغبراء كلح الناظر فنادى العبسى للفزارى
هل لك من حاجة الى بنى بدر فتجرع من خلفى مرارة الصبر * هذا وشيبوب فى عراض داحس كأنه
ريح الشمال وهو بهمز فى البر همزات الغزلان ويهيم كما يهيم السرحان وصار كل من يراه يظنه شيطان
وقد هام فى تلك البرارى والوديان حتى قاربوا الشعب الذى فيه العبد كامن * هذا والعبد قد رأى داحس
مقبلا عليه كالقمر المنير طالبا الى الغدير وكان شيبوب أسبق منه ولما مر الجواد على ذلك العبد لطمه
لطمة بالغة بين عينيه وكان قد أخذ فى يده جندلة من الارض فلطم بها داحس فدار وارتعد وتتعتع وكاد
راكبه من فوقه أن يقع وأبصر شيبوب هذه الفعال فعلم انه نكل به غاية النكال وعلم انه من تدبير حذيفة
ابن بدر ومن شدة حنقه سل حنجره ووثب على العبد وضربه فقطع أمعاءه ومزق شحم كلاه وهم أن يعود
على داحس ويحسن فيه المدارة واذا بالغبراء قد أقبلت مثل الريح وتخطت طالبة الى البر الفسيح فخاف أن
يكون راكب داحس مسبوق وتطلب منه الجمال والنوق فانطلق مثل البرق اذا برق وطلب الغدير فكان
اليه أسبق بمقدار رمية سهم وأتت الغبراء فى أثره ووصل داحس وأثر اللطمة فى وجهه ودموعه نازلة على
خده وكانت القبائل ضجت عند اقبال شيبوب وتعجبوا من خفته وقوة عصبه ولما أقبلت الغبراء
بعده ارتفعت من بنى فزارة الافراح وأخبر شيبوب لقيس بما جرى من الخبر فكادت مرارته أن تنفطر
ودمدم لاجل ذلك عنتر وأشهر حسامه الابتر وأراد أن يظهر فى بنى فزارة العبر فمنعه المشايخ من ذلك
وسألوه الصبر فصبر ولاموا حذيفة على فعاله فأنكر وحلف أنه ما عنده من العبد خبر وقال أنا أريد حق
وسبقى فما هذه اللجة الباردة التى ما لها من برهان ولا لفظ بها انسان فقال قيس وحق الركن والحجر
ما كانت هذه اللطمة الا مشومة على بنى فزارة ان أعطانى الله النصر والظفر ولا بد أن أقطع منهم الاثر لان
حذيفة ما طلب السباق الا لاجل هذا الجمال وما لج الا لطلب الحرب والقتال ثم زاد الكلام بين الفرسان
وارتفع الصياح من كل مكان وسلت السيوف وسفك الدم وانقلبت الدنيا فتر جلت المشايخ والسادات
وكشفت الرؤس خوفا على البنين والبنات ودخلوا بين الامراء والسادات وداروا فى أوساط الجميع وردوا
الناس باللين والخضوع وما أمسى المساء حتى اتفقوا على ان شيبوب يأخذ المائة ناقة من بنى فزارة لاجل
تعبه وفرجة الناس عليه وتحقيق أبصارهم اليه ويخلى حذيفة اللجاج فى طلب الجمال لاجل لطمة
داحس وردة عن المحال وسلم الرجل الذى كان الرهن على يديه الى شيبوب ما راهن عليه وأراد بذلك
اطفاء الشر بين القبائل والعشائر وعادت كل طائفة الى خيامها ومضاربها وفى قلوبهم من الحقد ما ملأ
صدورها وجوانبها وكان أشد الطائفتين احقادا وأعظمها لجاجا وعنادا حذيفة بن بدر لا سيما وقد
سمع بقتل عبده حابس الذى لطم داحس وأما قيس فانه رجع وهو من الغيظ قد انصرع وعنتر
يسليه ويقول أيها الملك لا تشغل خاطرك بهذا الامر فوحق نعمتك لاقتلن كل فزارى تقع عينى عليه
لانهم دائما يتطلعون على أخبارى وأنا أنجنبهم لاجل قلبك ولاجل ما بيننا من النسب والآن ما بقيت
أظفر بواحد منهم الا وأسقيه كأس العطب ولما أصبح الصباح نحر من نوقه عشرة وفرقها على صعاليك
العشيرة ونحر عشرة أخرى وعمل بها وليمة لسائر عبيد الحى وجمعهم حول مضربه واشترى لهم خمرا
وأسقاهم المدام وما تركهم يخرجوا من عنده الى ثلاثة أيام وفى رابع يوم نحر باقى النوق للفرسان
والسادات وجمع سائر الابطال من بنى قراد اخوة الملك قيس ومن يلوذ بهم من الخدم والاصحاب وما
منهم الا من أتى ومعه مغنية وزق خمر وانقلبت الدنيا بالافراح وأشرقت الاقطار بشرب كؤس الراح
وأجلوها عليهم فى الاباريق والاقداح وبلغ الخبر الى بنى فزارة فاشتدت عليهم المصائب وعمل الحسد

فى قلوبهم عمل السيوف القواضب وقالوا كيف نكون نحن السابقين يا أمير حذيفة وأموالنا يأكلها شيوب هو والعبيد المنافقون أنفذ لقيس واطلب منه حقك شاء أو أبى ومازالوا على ذلك حتى الهبوا قلب حذيفة من الحسد وسقوه كاسات الغيظ والكمد ومن ساعاته رفع رأسه الى ولده وكان اسمه شديد ويلقب بابى قرافة وقال له اركب ياولدى وسر الى قيس بن زهير وقل له ياقيس أبى يقول لك ادفع له سبقه سرا والا أخذها منك جهرا ويفضحك بين العرب تارة أخرى وكان عنده فى تلك الساعة شيخ من مشايخ العشيرة يقال له حمصيصة فقال له يا أباجحار ما هذا البغى والاسراف فى المقال أما تستحى تسمع كلام الجهال وتنفذ الى ابن عمك تطالبه بالمال وأنا والله ما أرضى لك بهذا الفعل والمقال لانه نقص فى العقل والكمال وما يوصف الانسان الا بالجود والاحسان والرأى عندى انك تقصر هذا اللجاج لان مثل قيس بن زهير يجب أن ينصف ولا يظلم وفرسان بنى عبس اذا سألتها كان لمالك أسلم وقد رأيت عبدك لما لطمك احس كيف قابله البغى سريعا وصار فى البر مخضبا بالنجيع وقد نصحتك وأنت بذلك أخبر وبعواقب أحوالك أبصر فلما سمع حذيفة هذا المقال لعب الغضب بعطفيه فصاح على الشيخ وقال ياحمصيصة هذا الكلام من عنتر حفظته أو خلط جديد فى رأسك قد هاج ما عهدته والله لو أن بنى عبس بعدد الرمال ما جعلتهم لى على بال فعندها قام الشيخ من عنده وأنشد وقال

البغى شؤم ياأباجحار * فتكانه كطوارق الاسحار
فاحذر مضاربه اذا جربته * وانصف ولا تلبس ثياب العار
واسأل خبيرا عن ثمود وقومه * لما بغوا وطغوا على الجبار
يخبرك كيف أتاهمو فى ليلة * أمر من الله العزيز البارى
فأبادهم تحت الظلام فأصبحوا * بين الطلول شواخص الابصار

فلما سمع حذيفة شعره لم يلتفت اليه بل لعب البغى بعطفيه وقال لولده ياويلك امض لما أمرتك فركب وسار الى بنى عبس وطلب قيس بن زهير فى بيته فما رآه بل وجد زوجته المدللة بنت الربيع فقالت له ياأبا قرافة فى أى شئ قد أتيت وما الذى تريد من قيس صاحب البيت فقال أريد منه سبقنا وأطالبه بحقنا فقالت له وأى حق لكم ويلكم يابنى بدر الى كم هذا البغى والغدر أما تخافون عاقبته ارجع ياأبا قرافة على عقبك واشكر الذى خلقك وهو بك اعلم فانك لو وجدت الملك قيس قائم لما رجعت سالم فرجع الى أبيه وأخبره بالخبر فلما سمع خطابه غاب صوابه وقال له ياويلك رجعت لى بالمذلة وسمعت كلام المدللة فعد الى قيس وقل له يقول لك أبى انتظر فى الغد منه حربا فانه يريد أن يأخذ سباقه بسيفه غصبا وسوف ترى ما يحل بك من الندم اذا نزل بك وبعشيرتك العدم فقال أبو قرفة هذا يكون منى غدا وقبت حوادث الردا فان الليل قد أتى وأدركنى المساء وعند السحر أقوم هنا وأصبح بنى عبس قبل طلوع الشمس وأطالب قيسا بحقنا قبل أن يركب وكان قيس قد أتى الى أبياته آخر النهار وهو سكران من شرب كاسات العقار لانه كان فى دعوة أخيه مالك فأبصرته زوجته المدللة سكران طافح فحادثته بحديث أبى قرافة ولا عرفته مقاله ولا أوصافه بل أمهلته حتى صحا من الخمر وحدثته بما جرى لها من أبى قرافة من الامر فعند ذلك حار فى أمره وتشتت سليم فكره فبينما هم كذلك واذا عنتر قد أقبل اليه لاجل السلام عليه فسأله عن حاله فحدثه بحديثه وحديث بن حذيفة ومقاله فقال عنتر لعن الله أباسباله والله لا يزال بهذا اللجاج ومخالفة نصح النصاح حتى أتركه يغص بالماء القراح وأريه ما يشيب رؤس الولدان من ضرب الصفاح وطعن الرماح سر بنا أيها الملك الى بنى بدر الموصوفين بالبغى والغدر حتى نلحقهم بأهل المقابر فالى متى يبغون علينا وأنت صابر ومازال عنتر يحمى الملك قيس بالكلام حتى زاد به

الغيظ

الغيظ والغرام وقال له والله يا أبا الفوارس لو كنت هناك حاضر والى صورته ناظر وتكلم بهذا الكلام لقطعت رأسه بالحسام فبينما الملك قيس مع عنتر فى ذلك الكلام اذا أبو قرافة داخل من أول الخيام ولم يزل الى ان وقف قدام الملك قيس من غير أن يبدى سلام بل قال له يا قيس يقول لك أبى اوصل اليه حقه وأنت كريم والا أخذه منك وأنت ذليل كظيم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه وقال له يا ويلك عدمتك أمك وعدمك قومك واهلك يا نسل اللئام لمثلى تخاطب بهذا الخطاب والكلام ثم انه استل حربة من جانبه وقد لعبت نخوة العرب فى راسه حتى غبرت سائر حواسه وضربه بها بين صدره طلعت تلمع من بين كتفيه فأبصره عنتر وهو يريد أن يميل عن ظهر الجواد فلزمه ورطه على جواده عرضا وتركه يعود على حاله فعاد وهو يهيم على غير طريق حتى صارت عيناه من الدماء مثل العقيق فأبصرت الفرسان القتيل فعرفوا حاله حين أبصروه والدماء منه تسيل فنادوا بالويل الطويل وعولوا على البكاء والعويل ونادوا قتل والله أبو قرافة وزعزع من الحى اطرافه فخرق حذيفة أثوابه وعلا بكاءه وانتحابه وخرجت زوجته صارخة وحولها جماعة من الاماء ومافيهم الا من خدشت خدودها بالدماء وجعل حذيفة يدور بنفسه حول البيوت والاطناب وهو ينادى يا آل فزارة الثار الثار البدار البدار يا بنى عمى بادرونى بالسيوف والقنا وفعل سنان بن أبى حارثة مثل تلك الفعال لانه كان كثير السكر والاحتيال وكشف رأسه وخرق ثيابه وكان له شيبة طويلة ففرشها على صدره وصار يحرض الابطال ويكثر من البكاء والاعوال فتنافرت الرجال وتبادرت الابطال وأشهروا السلاح ودار واحول حذيفة بالسيوف والرماح ألا انهم ماصاروا خارج الخيام حتى ذهب الظلام وقارب وقت الصباح فساروا جميعهم ولم يبق فى الخيام سوى العيال والمشايخ من الرجال * وأما الربيع بن زياد واخوته ومن يتعلق به من عشيرته فانه قال أنا ما انا بالغ مع قومى بالعداوة ولا أكون معهم ولا عليهم وكان أيضا قد اغتاظ من سنان بن أبى حارثة لانه من حين أتى الى بنى فزارة وحذيفة مائل اليه ويشاوره فى أموره وما بقى يرفع له رأسا فهانت نفسه عليه وصار يفكر باى وجه يصالح قيس بن زهير ويعود الى بنى عبس ويعيش بينهم عزيزا ولا يقيم فى غير وطنه ذليل وكان قيس قد ركب هو وسائر اخوته وأمر العبيد أن ينادوا فى جوانب الحلة وقد استصوب عنتر رأيه وركب معه بجميع أبطاله ورجاله وغاصت الفرسان فى الحديد والزرد النضيد وكان حالهم مثل حال بنى فزارة فى اهمامهم فى أمر القتال ولم يتخلف فى الخيام الا الحريم والعيال وكان الحرث بن ظالم من جملة المتخلفين لانه قال أنا ما انا قاتل لبنى عمى وصهرى سنان وكانت نوبة عظيمة مذكورة بين عبس وبنى فزارة وصارت كل طائفة تطلب الاخرى وكان الملتقى عند طلوع الشمس الا ان الصباح ما علا حتى انقلبت أقطار الفلا وارتج بريق السيوف ولعبت اسنة القنا رعول عنتر بن شداد أن يثير الدما ويبذل السيف فى بنى فزارة وأما حذيفة فانه قد برز وهو لابس السواد مهلوبا ذنب الجواد ولما صاروا بين الصفين نادى لقيس وطلب منه البراز وقال له ويلك يا ابن زهير ما هو ملج قتل الاطفال بالمحال بل تبرز اليوم الى المجال حتى يظهر عند اختلاف القنا من يصلح للملك أنت والا أنا فلما سمع الملك قيس هذا المقال صعب عليه رعول على البراز والقتال وخرج من تحت اعلامه فردته عنتر بن شداد فأقسم بتربة أبيه انه لا يرجع ثم حمل قيس على حذيفة فحالا على ظهور الخيل الجياد وكان الملك قيس على جواده داحس وحذيفة على حجرته الغبراء فجرى بينهما ما يؤرخ ولما نظرت كل طائفة الى صاحبها عولت أن تحمل معه وتعينه فعندها علت الاصوات وارتفعت الصيحات وتزعزعت الجنبات وأشهرت البيض المرهفات وقال عنتر بن شداد لعروة بن الورد ولاعمامه احملوا بناء على ميمنة بنى فزارة قبل أن يميل على قيس وتعين حذيفة بن بدر على البغى والخساره

وفى تلك الساعة أقبلت سادات القبيلتين ومشايخ الطائفتين ومن كان قد تخلف منهم وهم مكشوفين الرؤس حفاة الاقدام وعلى أكتافهم الاوثان والاصنام فدخلوا بها بين المواكب والكتائب وخوفوا الفرسان من عواقب النوائب وهم يقولون يا بنى الاعمام بحق خالق الضياء والظلام لا تدعونا غنائمنا للاعداء والحساد واتركوا عنكم اللجاج والعناد ولا تيتموا البنات والاولاد وكفانا ما للعرب علينا من الدماء وما لنا فى أقطار الارض من الاعداء فأعينوا بنى عمكم واسألوا كم أهلك البغى من الامم قبلكم وراقبوا من حكم عليكم بالممات وانتظروا الحمام فانه عن قريب آت تسكنوا فى الحفر والظلمات ولا يبقى غير الذكر الجميل اذا أصبحت الامم بالبليات وما زالت مشايخ العشيرة على مثل ذلك حتى خمدت النيران الموقدات وانكسرت أصحاب العزمات ورجع حذيفة عن القتال وانفصل بينهم الحال على ان قيس يودى فداء أبى قرافة من جزيل المال وقطعة من النوق والجمال وما رجعوا المشايخ من وسط المجال حتى عانق قيس لحذيفة بن بدر وأجاب الى هذا الحال لانه كان قريب المرجوع بين الاقيال ولما أجاب قيس وأنعم حود عنتر بن شداد ودمدم وقال يا ويلك أى شئ هذا الفعل الوبيل ولماذا تأخذ بنو بدر منا دية قتيل وسيف عزمنا صقيل وأسير حربنا لا يفادى الا بالنصول وقتلنا أبدا مهطول فقال حذيفة اسكت يا ابن الاماء ويا ولد الزناء فوحق الكعبة الغراء لولا حضور الآلهة والاصنام وحياء هؤلاء الشيوخ الكرام لكنت أفنى عددكم فى هذه الايام وأترك نساءكم أرامل وأولادكم أيتام كيف أنفذ ولدى بطلب حتى فتقتلوه وتربطوه على الجواد وترسلوه وتقول أنت لقيس لا تحمل له دية ولا فدية يا ابن الاوغاد فقال له عنتر بن شداد وقد زاد به الغيظ من ذلك الكلام والله يا حذيفة ان يدك أقصر من أن تقتل كلبا من كلاب الحى بين الخيام ولولا المشايخ والرجال كنت بينت لك العبيد من أولاد الحلال فعندها قال حذيفة للمشايخ وذمة العرب ما أترك حتى ولو نهبتنى الاعداء بالصفاح وأطراف الرماح فقال أخوه حل يا ابن الام لا تركب طريق اللجاج وتجهل وصالح بنى عمنا فانهم أعيان العرب الحمية وشموسهم المضية ونحن ظلمناهم بالامس لاجل لطم جوادهم داحس وما قتل ولدك الا لانك أنفذته بطالب القوم بما لا تستحقه والسلم خير من الحرب فاقبل الفداء وارض به والا أوقدت علينا نار الحرب ثم أنشد يقول

وحق الذى أرسى الجبال بلا أس * اذا أنت لم تقبل فداء بنى عبس
أتتك خيول فى الحروب صوارم * على ظهرها الابطال كالاسد الشرس
أغرك ان قالوا حذيفة سيد * فكن سيدا تفديك بالمال والنفس
وحل جواد البغى لا تركبنه * فيلقيك فى بحر من التعس والنكس
نهيتك عن قيس وقيس نهيته * ولكن مع المقدور لا ينفع الحرس
حذيفة ترك الحرب عنك مروة * ولا سيما حرب الفوارس من عبس
فان كان قيس غادرا فى فعاله * فأنت الذى علمته الغدر بالامس
فدعهم لنا حصنا اذا جالت العدا * علينا صباحا بالمسومة العبس

ولما فرغ من شعره شكرته العرب على نظمه ونثره وألزموا حذيفة بأخذ الفداء وردوه عن الظلم والاعتداء وعادت الابطال الى الاحياء وحمل قيس الى بنى بدر مائتى ناقة وعشرة من الخيل وعشرة من العبيد وعشرة من الاماء وانصلح الحال وقرت الناس فى الاطلال ولما كان من الغد ركب عنتر بن شداد والحرث بن ظالم وطلبوا البر للصيد والنقص وكان معهم مالك بن الملك زهير فأوسعوا فى البر وطردوا الوحش حتى حمى عليهم الحر وعادوا الى وادى يقال له الضباب وكان فيهم قوم ضعفاء من بنى غراب فوردهؤلاء على ركاياهم فوجدوا على ذلك الماء شيخا قد أحناه الكبر وغيرت حالاته العبر ومعه

ابنته

ابنته وهى مثل الخشفة العطشانة وعيونها أحسن من عيون المها وكأن جفونها سهام السها فرشقت بها مالك بن زهير فلما نظرها تعلقت بها أحشاؤه من حسنها وجمالها فأقبل على أبيها وسلم عليه فرد عليه السلام فقال مالك ياشيخ هذه الجويرية ما تكون منك فقال يامولاى هى ابنتى لم يبق لى الزمان غيرها وهى تعينى على المرعى فقال مالك ياشيخ أما خطبها أحد منك فقال له يامولاى ان الانسان اذا كان صعلوكا فما أحد يلتفت اليه فلما رآه مالك قد اشتكى وكلامه قد علا قال له ياشيخ أترضانى أن أكون لابنتك بعلا وتكون لى ابنتك زوجة وأهلا حتى أكمل فيما أملكه من الملك والغنا وأزيل عنك ثياب الفقر والعنا فقال الشيخ وقد تبسم يامولاى من أين لى بذلك وأنا رجل فقير وأنت ملك وابن ملك كبير فقال مالك ياشيخ لا تقل هذا المقال ولا تظن ان المال يزيد الانسان كمال بل الحسب والنسب عند سادات العرب خير من المال والمكسب

(الى هنا نهاية الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع وأوله من بقية هذه القصة التى يسر)

(بتلاوتها ذو والالحاظ قال الراوى فبينما هم فى ذلك الكلام الخ)

COLUMBIA UNIVERSITY
0026815583